معارف نظارت جليله سنك (٢٥٣) و (٦٣٣) نومرلو ربخصتنامه لريله
مطبعهٔ عامره ده طبع اولنمشدر

فهرست الجزء الرابع من التفسيرين الجليلين الاول

المسمى بانوار التنزيل واسرار التأويل ❁ الثانى

المسمى بلباب التأويل

فى معانى التنزيل

الاوجهه ﴾ الاذاته فان ماعداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم ﴿ له الحكم ﴾ القضاء النافذ فى الخلق ﴿ واليه ترجعون ﴾ للجزاء بالحق ٭ عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طسم القصص كان له من الاجر
بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق
ملك فى السموات والارض الاشهد له
يوم القيامة انه كان
صادقا

أى فان ﴿ الاوجهه ﴾ أى الاهو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الاما أريد به وجهه لان عمل كل شئ أريد به غير الله فهو هالك ﴿ له الحكم ﴾
أى فصل القضاء بين الحق ﴿ واليه ترجعون ﴾
أى تردون فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم
والله أعلم بمراده

الاوجهه) أى الاایاه فالوجه يعبر به عن الذات وقال مجاهد يعنى علم العلماء اذا أريد به وجه الله (له الحكم) القضاء فى خلقه (واليه ترجعون) ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب والله أعلم

(الاوجهه) الاما ابتغى به وجهه ويقال كل وجه متغير الاوجهه وكل ملك زائل الا ملكه (له الحكم) القضاء بين خلقه (واليه ترجعون) بعد الموت فيجازيكم باعمالكم

(ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين وما يستحقونه من العذاب فى معادهم من فى محل نصب بفعل مضمر أى يعلم (وما كنت ترجو أن يلقى) يوحى (اليك الكتاب) القرآن (الا رحمة من ربك) هو محمول على المعنى أى وما ألقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك أو الا بمعنى لكن للاستدراك أى ولكن لرحمة من ربك ألقى اليك الكتاب (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) معينا لهم على دينهم (ولا يصدنك

عن آيات الله) هو على الجمع أى لا يمنعك هؤلاء عن العمل بآيات الله أى القرآن (بعد اذ أنزلت اليك) الآيات أى بعد وقت انزاله واذ يضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ (وادع الى ربك) الى توحيده وعبادته (ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر) قال ابن عباس رضى الله عنهما الخطاب فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد أهل دينه ولان العصمة لا تمنع النهى والوقف على آخر لازم لانه لو وصل لصار (لا اله الا هو) صفة لالها آخر وفيه من الفساد ما فيه (كل شئ هالك

(ومن هو فى ضلال مبين) فى كفر بين وخطأ بين (وما كنت) يا محمد (ترجوا أن يلقى اليك الكتاب) أن

﴿ومن هو فى ضلال مبين﴾ وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله ﴿وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب﴾ اى سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه ﴿الا رحمة من ربك﴾ ولكن ألقاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قال وما القى اليك الكتاب الا رحمة اى لاجل الترحم ﴿فلا تكونن ظهيرا للكافرين﴾ بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ﴿ولا يصدنك عن آيات الله﴾ عن قراءتها والعمل بها ﴿بعد اذ أنزلت اليك﴾ وقرئ يصدنك من أصد ﴿وادع الى ربك﴾ الى عبادته وتوحيده ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ بمساعدتهم ﴿ولا تدع مع الله الها آخر﴾ هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم ﴿لا اله الا هو كل شئ هالك

جواب لكفار مكة لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك لفى ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربى أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه ﴿ومن هو فى ضلال مبين﴾ يعنى المشركين ومعناه هو أعلم بالفريقين ﴿قوله عز وجل ﴿وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب﴾ أى يوحى اليك القرآن ﴿الا رحمة من ربك﴾ فاعطاك القرآن ﴿فلا تكونن ظهيرا﴾ أى معينا ﴿للكافرين﴾ على دينهم وذلك حين دعوه الى دين آبائه فذكره نعمه عليه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه ﴿ولا يصدنك عن آيات الله﴾ يعنى القرآن ﴿بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك﴾ الى معرفته وتوحيده ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ قال ابن عباس الخطاب فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أى ولا تظاهر الكفار ولا توافقهم ﴿ولا تدع مع الله الها آخر﴾ معناه واجب على الكل الا أنه خاطبه به مخصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبى صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدعو مع الله الها آخر فما فائدة هذا النهى قلت الخطاب معه والمراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلا على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره ﴿لا اله الا هو كل شئ هالك﴾

ينزل عليك جبريل بالقرآن وتكون نبيا (الا رحمة من ربك) ولكن منة وكرامة من ربك اذ أرسل عليك (أى) جبريل بالقرآن وجعلك نبيا (فلا تكونن ظهيرا) عونا (للكافرين) بالكفر (ولا يصدنك) لا يصرفنك (عن آيات الله) القرآن (بعد اذ أنزلت اليك) جبريل بها (وادع الى ربك) الى توحيد ربك وكتاب ربك (ولا تكونن من المشركين) مع المشركين على دينهم (ولا تدع مع الله الها آخر) لا تعبد من دون الله أحدا ولا تدع الخلق الى أحد دون الله (لا اله الا هو) وحده لا شريك له (كل شئ) كل عمل لغير وجه الله (هالك) مردود

على رضى الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون أشراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الامانى ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وقال بعضهم حقيقته التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبثا بقوله ان فرعون علا فى الارض ولا تبغ الفساد فى الارض (والعاقبة) المحمود (للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها) مر فى النمل (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات) معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيآت موضع الضمير لان فى اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين بحالهم

الناس كما اراد فرعون وقارون ﴿ والعاقبة ﴾ المحمودة ﴿ للمتقين ﴾ مالا يرضاه الله ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ ذاتا وقدرا ووصفا ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات ﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم ﴿ الا ما كانوا يعملون ﴾ اى الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة ﴿ ان الذى فرض عليك القرآن ﴾ اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ﴿ لرادك الى معاد ﴾ اى معاد وهو المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه اومكة التى اعتدت بها على انه من العادة ورده اليها يوم الفتح كأنه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انه لما بلغ جحفة فى مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت ﴿ قل ربى اعلم من جاء بالهدى ﴾ وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم

حق وقيل العمل بالمعاصى ﴿ والعاقبة للمتقين ﴾ أى العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء أوامره واجتناب نواهيه وقيل عقبة المتقين الجنة ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيآت الا ما كانوا يعملون ﴾ تقدم تفسيره ﴿ قوله تعالى ﴿ ان الذى فرض عليك القرآن ﴾ أى أنزل عليك القرآن وقيل معناه أوجب عليك العمل بالقرآن ﴿ لرادك الى معاد ﴾ قال ابن عباس الى مكة أخرجه البخارى عنه قال القتيبى معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع الى الطريق ونزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فاتاه جبريل عليه السلام وقال له أتشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس أيضا لرادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة ﴿ قل ربى أعلم من جاء بالهدى ﴾ هذا

وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين (الا ما كانوا يعملون) الا مثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لا يجزى السيئة الا بمثلها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة (ان الذى فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك) بعد الموت (الى معاد) أى معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر فلذا نكره أو المراد به مكة والمراد رده اليها يوم الفتح لانها كانت فى ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق الى مولده ومولد آبائه ولما وعد رسوله الرد الى معاده قال (قل) للمشركين (ربى أعلم من جاء بالهدى) يعنى نفسه وماله من الثواب فى معاده

بالنقش والتصاوير والمعاصى (والعاقبة) الجنة (للمتقين) الكفر والشرك والعلو والفساد فى الارض (من جاء بالحسنة) بلا اله الا الله مخلصا بها (فله خير منها) فله منها خير (ومن جاء بالسيئة) بالشرك بالله (فلا يجزى الذين عملوا السيآت) فى الشرك بالله (الا ما كانوا يعملون) النار (ان الذى فرض عليك القرآن) نزل عليك جبريل بالقرآن (لرادك الى معاد) الى مكة ويقال الجنة (قل) يا محمد (ربى أعلم من جاء بالهدى) بالتوحيد والقرآن

(ينصرونه من دون الله) يمنعونه من عذاب الله (وما كان من المنتصرين) من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اى منعه منه فامتنع (وأصبح) وصار (الذين تمنوا مكانه) منزلته من الدنيا (بالامس) ظرف لتمنوا ولم يرد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) وى منفصلة عن كأن عند البصريين قال سيبويه وى كلمة تنبه على الخطأ وتندم يستعملها النادم باظهار ندامته يعنى ان القوم قد تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وقولهم ياليت لنا مثل ما أوتى قارون وتندموا (لولا أن من الله علينا) بصرف ما كنا تمناه بالامس (خسف بنا) وبفتحين حفص ويعقوب وسهل وفيه ضمير الله تعالى (ويكأنه لايفلح الكافرون) أى تندموا ثم قالوا كانه لايفلح الكافرون (تلك الدار الآخرة) تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعنى تلك التى سمعت بذكرها وبلغك وصفها وقوله (نجعلها) خبر تلك والدار نعتها (للذين لايريدون علوا فى الارض) بغيا ابن جبير وظلما الضحاك أو كبرا (ولافسادا) عملا بالمعاصى أو قتل النفس أو دعاء الى عبادة غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولاتركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن

اذا ميلته ﴿ ينصرونه من دون الله ﴾ فيدفعون عنه عذابه ﴿ وما كان من المنتصرين ﴾ الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع ﴿ واصبح الذين تمنوا مكانه ﴾ منزلته ﴿ بالامس ﴾ منذ زمان قريب ﴿ يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ﴾ يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لالكرامة تقتضى البسط ولالهوان يوجب القبض ووى كأن عند البصريين مركب من وى للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك وأن وتقديره ويك اعلم ان الله ﴿ لولا ان من الله علينا ﴾ فلم يعطنا ما تمنينا ﴿ لخسف بنا ﴾ لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف بنا لاجله وقرأ حفص بفتح الخاء والسين ﴿ ويكأنه لايفلح الكافرون ﴾ لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة ﴿ تلك الدار الآخرة ﴾ اشارة تعظيم كأنه قال تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر ﴿ نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ﴾ غلبة وقهرا ﴿ ولافسادا ﴾ ظلما على

﴿ ينصرونه من دون الله ﴾ أى يمنعونه من الله ﴿ وما كان من المنتصرين ﴾ من الممتنعين مما نزل به من الخسف ﴿ وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس ﴾ أى صار أولئك الذى تمنوا ما رزقه الله من الاموال والزينة يندمون على ذلك التمنى ﴿ يقولون ويكأن الله ﴾ ألم تعلم وقيل ألم تر وقيل هى كلمة تقرير معناها أما ترى صنع الله واحسانه وقيل ويك بمعنى ويلك اعلم ان الله وروى ان وى مفصولة من كأن والمعنى ان القوم ندموا فقالوا متندمين على ما سلف منهم وى وكأن معناها أظن وأقدر ان الله ﴿ يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ﴾ قال ابن عباس أى يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء ﴿ لولا أن من الله علينا ﴾ أى بالايمان ﴿ لخسف بنا ويكأنه لايفلح الكافرون ﴾ ❊ قوله عز وجل ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ﴾ أى استكبارا عن الايمان وقيل علوا واستطالة على الناس وتهاونا بهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذى سلطان وعن على أنها نزلت فى أهل التواضع من الولاة وأهل المقدرة ﴿ ولافسادا ﴾ قيل الذين يدعون الى غير عبادة الله تعالى وقيل أخذ أموال الناس بغير

(ينصرونه) يمنعونه (من دون الله) من عذاب الله حين نزل به (وما كان من المنتصرين) الممتنعين بنفسه من عذاب الله (وأصبح) صار (الذين تمنوا مكانه) قدره (حق) ومنزلته وماله (بالامس يقولون) بعضهم لبعض (ويكأن الله) ليس كما قال قارون ان هذا المال بصنعى ولكن الله (يبسط) يوسع (الرزق) المال (لمن يشاء) على من يشاء (من عباده) وهو مكر منه كما كان لقارون (ويقدر) يقتر على من يشاء وهو نظر منه (لولا أن من الله علينا) فمنع عنا ما أعطاه (لخسف بنا) غارت بنا الارض كما خسف بقارون (ويكأنه) وانه والياء والكاف صلة فى الكلام (لايفلح) لاينجو ولايأمن (الكافرون) من عذاب الله (تلك الدار الآخرة) الجنة (نجعلها) نعطيها (للذين لايريدون علوا) عتوا وتكبرا (فى الارض) بالمال (ولافسادا)

ثم رفضه بنو اسرائيل فجعل لها ألف دينار أو طستا من ذهب أو حكمها فلما كان يوم عيد

الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبته ثم قال خذيه فأخذته الى وسطه ثم قال خذيه فأخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فأوحى الله اليه ما أفظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتى وجلالى لو دعانى مرة لأجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله ﴿ فما كان له من فئة ﴾ اعوان مشتقة من فأوت رأسه

بيده فحسبه فوجده شيأ كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بنى اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شئ فاطعتموه وهو يريد يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت قال آمركم ان تجيؤا فلانة البغى وتجعلوا عليكم لها جعلا على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل فرفضوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها قارون أنزلك وأخلطك بنسائى على أن تقذفى موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بنى اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بنى اسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم فى مرج من الارض فقام فيهم فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه الى أن يموت فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة البغى قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى بالذى فلق البحر لبنى اسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت فى نفسها أحدث توبة أفضل من ان أوذى رسول الله فقالت لا والله ولكن قارون جعل لى جعلا على ان أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى الله اليه انى أمرت الارض ان تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فاخذتهم باقدامهم وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وأصحابه فى ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده أربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى فى ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم فاطبقت عليهم الارض فاوحى الله الى موسى ما أغلظ قلبك يستغيث بك قارون سبعين مرة فلم تغثه أما وعزتى وجلالى لو استغاث بى مرة لاغثته وفى بعض الآثار لا أجعل الارض بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به الارض فهو يتجلجل فى الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قرارها الى يوم القيامة وأصبح بنو اسرائيل يقولون فيما بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الارض فذلك قوله تعالى ﴿ فما كان له من فئة ﴾ أى جماعة

قام موسى فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها بالذى فلق البحر وأنزل التوراة ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى الله اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فقال الله تعالى استغاث بك مرارا فلم ترحمه فوعزتى لو استرحمنى مرة لرحمته فقال بعض بنى اسرائيل انما أهلكه (قا و خا ٧٤ بع) ليرث ماله فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه (فما كان له من فئة) جماعة

(فما كان له من فئة) من جماعة وجند

﴿ فخسفنا به وبداره الارض ﴾ روى انه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بنى اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان ارميك بنفسى فخر موسى شاكيا منه

ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون أى على طاعة الله وعن زينة الدنيا * قوله تعالى ﴿ فخسفنا به وبداره الارض ﴾

ذكر قصة قارون

قال أهل العلم بالاخبار والسير كان قارون أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون واقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان أول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى أوحى الى موسى ان يأمر قومه أن يعلقوا فى أرديتهم خيوطا أربعة فى كل طرف خيطا أخضر كلون السماء يذكرونى به اذا نظروا الى السماء ويعلمون انى منزل منها كلامى فقال موسى يارب أفلا تأمرهم ان يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له ربه ياموسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير فاذا لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر الكبير فدعاهم موسى فقال ان الله يأمركم ان تعلقوا فى أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكى تذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعل بنو اسرائيل ماأمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما فعل هذا الارباب بعبيدهم لكى يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى ببنى اسرائيل البحر جعلت الحبورة لهارون وهى رآسة المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بقربانهم الى هارون فيضعها على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك فى نفسه فأتى الى موسى فقال له ياموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست فى شئ من ذلك وأنا أقرأ التوراة لاصبر لى على هذا فقال أما أنا ماجعلتها لهارون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لاأصدقك حتى ترينى بيانه فجمع موسى رؤساء بنى اسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها وألقاها فى قبته التى يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فاصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى ياقارون ترى هذا فقال له قارون والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التى بينهما وهو يؤذيه كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بنى اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار عنها دينار وعلى كل ألف درهم عنها درهم وكل ألف شاة عنها شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى

وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ماقسم الله من القليل عن الكثير (فخسفنا به وبداره الارض) كان قارون يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بنى اسرئيل وقال ان موسى يريد ان يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت قال نبرطل فلانة البغى حتى ترميه بنفسه

على أمر الله والمرازى ويقال لا يوفق لكلمة الطيبة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا الصابرون على أمر الله والمرازى (فخسفنا به) بقارون (وبداره) بمنزله (الارض) غارت به الارض

يسئلون لتعلم من جهتهم بل يسئلون سؤال توبيخ أولا يسئل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الامة (فخرج على قومه في زينته) في الحمرة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن من الحلي والديباج وفي زينته حال من فاعل خرج أي متزينا (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) قيل كانوا مسلمين وانما تمنوا على سبيل الرغبة في اليسار كعادة البشر وقيل كانوا كفارا

فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم ومعاقبهم عليها لامحالة ﴿ فخرج على قومه في زينته ﴾ كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه ﴿ قال الذين يريد الحيوة الدنيا ﴾ على ماهو عادة الناس من الرغبة ﴿ ياليت لنا مثل ما اوتي قارون ﴾ تمنوا مثله لاعينه حذرا عن الحسد ﴿ انه لذو حظ عظيم ﴾ من الدنيا ﴿ وقال الذين اوتوا العلم ﴾ باحوال الآخرة للمتمنين ﴿ ويلكم ﴾ دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لايرتضى ﴿ ثواب الله ﴾ في الآخرة ﴿ خير لمن آمن وعمل صالحا ﴾ مما اوتي قارون بل من الدنيا ومافيها ﴿ ولا يلقاها ﴾ الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة ﴿ الا الصابرون ﴾ على الطاعات وعن المعاصي

سؤالهم لانه عالم بحالهم وقيل لايسئلون سؤال استعلام وانما يسئلون سؤال توبيخ وتقريع وقيل لاتسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم * قوله عز وجل ﴿ فخرج على قومه في زينته ﴾ قيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفا عليهم الثياب الحمر والصفر والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيضاء عليهن الحلي والثياب الحمر وهن على البغال الشهب ﴿ قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ماأوتي قارون انه لذو حظ عظيم ﴾ أي من المال ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ﴾ أي علم بما وعد الله في الآخرة وقال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل للذين تمنوا مثل ماأوتي قارون ﴿ ويلكم ثواب الله ﴾ أي ماعند الله من الثواب والخير ﴿ خير لمن آمن ﴾ أي صدق بتوحيد الله ﴿ وعمل صالحا ﴾ أي ذلك خير مما أوتي قارون في الدنيا ﴿ ولا يلقاها الا الصابرون ﴾ أي لايؤتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لايؤتى هذه الكلمة وهي قوله

(ياليت لنا مثل ماأوتي قارون) قاله غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه كهذه الآية والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله تعالى ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضر الغبطة قال لا الا كما يضر العضاه الخبط (انه لذو حظ عظيم) الحظ الجد وهو البخت والدولة (وقال الذين أوتوا العلم) بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى لغابطي قارون (ويلكم) أصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك مالا يرضى وفي التبيان في اعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أي الزمكم الله ويلكم (ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها) أي لايلقن هذه الكلمة وهي ثواب الله خير (الا الصابرون) على الطاعات

(فخرج) قارون (على قومه في زينته) التي كانت له من الخيل والبغال والغلمان والجواري وحلي الذهب والفضة وألوان السلاح والثياب (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) وهم الراغبون (ياليت لنا مثل ماأوتي) أعطي (قارون) من المال (انه لذو حظ عظيم) نصيب كثير (وقال الذين أوتوا العلم) أعطوا علم الزهد والتوكل وهم الزاهدون قالوا للراغبين (ويلكم) ضيق الله عليكم الدنيا (ثواب الله خير) في الجنة أفضل (لمن آمن) بالله وبموسى (وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (ولا يلقاها) لايعطى الجنة (الا الصابرون)

المؤمن منها (وأحسن) الى عبادالله (كما أحسن الله اليك) أو أحسن بشكرك وطاعتك لخالق الانام كما أحسن اليك بالانعام (ولاتبغ الفساد فى الارض) بالظلم والبغى (ان الله لايحب المفسدين قال انما أوتيته) أى المال (على علم عندى) أى على استحقاق لما فى من العلم الذى فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا أو العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندى صفة لعلم قال سهل مانظر أحد الى نفسه فافلح والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية منة الله تعالى عليه فى جميع الافعال والاقوال والشقى من زين فى عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولافتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر بها وادعاها لنفسه فشؤمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا (أولم يعلم) قارون (ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة) هو اثبات لعلمه بان الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لانه قد قرأه فى التوراة كأنه قيل أولم يعلم فى جملة ماعنده من العلم هذا حتى لايغتر بكثرة ماله وقوته أو نفى لعلمه بذلك لانه لما قال أوتيته على علم عندى قيل أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو اكثر جماعة وعددا (ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب أو يعترفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسيماهم فلايسئلون (سؤالهم) أولا

﴿ وأحسن ﴾ الى عبادالله ﴿ كما احسن الله اليك ﴾ فيما انعم عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ﴿ ولاتبغ الفساد فى الارض ﴾ بامر يكون علة للظلم والبغى ﴿ ان الله لايحب المفسدين ﴾ لسوء افعالهم ﴿ قال انما اوتيته على علم عندى ﴾ فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندى صفة له اومتعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى اى فى ظنى واعتقادى ﴿ أولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ﴾ تعجيب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه فى التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ اورد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم عنه اى اعنده مثل ذلك العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين ﴿ ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها اومعاتبة

صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ وأحسن كما احسن الله اليك ﴾ أى أحسن بطاعة الله كما أحسن اليك بنعمته وقيل أحسن الى الناس ﴿ ولاتبغ ﴾ أى ولاتطلب ﴿ الفساد فى الارض ﴾ وكل من عصى الله فقد طلب الفساد فى الارض ﴿ ان الله لايحب المفسدين قال ﴾ يعنى قارون ﴿ انما أوتيته على علم عندى ﴾ أى على فضل وخير علمه الله عندى فرآنى أهلا لذلك ففضلنى بهذا المال عليكم كما فضلنى بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب كثرة أمواله وقيل كان علمه حسن التصرف فى التجارات والزراعات وأنواع المكاسب قال الله عز وجل ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ﴾ أى للاموال ﴿ ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ قيل معناه ان الله تعالى اذا أراد عقاب المجرمين فلاحاجة به الى

(وأحسن) الى الفقراء والمساكين (كما أحسن الله اليك) بالمال (ولاتبغ الفساد فى الارض) لاتعمل بالمعاصى وخلاف أمر الرسول موسى عليه السلام (ان الله لايحب المفسدين) بالمعاصى (قال) قارون (انما أوتيته) أعطيت هذا المال الذى أعطيت (على علم عندى) على ماعلم الله انى أهل لذلك ويقال بصنع الذهب بالكيمياء (أولم يعلم) قارون (ان الله قد أهلك من قبله من القرون) الماضية (من هو أشد منه قوة) بالبدن (وأكثر جمعا) مالا ورجالا (ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون) المشركون يوم القيامة كل يعرف بسيماه

من الكنوز ما ان مفاتحه)ما بمعنى الذى فى موضع نصب بآتينا وان واسمها وخبرها صلة الذى ولهذا كسرت ان والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به أو مفتح بالفتح وهو الخزانة والاصوب انها المقاليد (لتنوء بالعصبة) لتثقل العصبة فالباء للتعدية يقال ناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على أصبع وكانت من جلود (أولى القوة) الشدة (اذ قال له قومه) أى المؤمنون وقيل القائل موسى عليه السلام ومحل اذ نصب بتنوء (لا تفرح) لا تبطر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يفرح بالدنيا الا من رضى بها واطمأن وأما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه يتركها عن قريب فلا يفرح بها (ان الله لا يحب الفرحين) البطرين بالمال (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بان تتصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف الى أبواب الخير (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وهو ان تأخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه واطلب بدنياك آخرتك فان ذلك حظ

من الكنوز﴾ من الاموال المدخرة ﴿ما ان مفاتحه﴾ مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح ﴿لتنوء بالعصبة اولى القوة﴾ خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى أماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ﴿ اذ قال له قومه﴾ منصوب بتنوء ﴿ لا تفرح ﴾ لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال

اشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

ولذلك قال الله تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم * وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ﴿ان الله لا يحب الفرحين﴾ اى بزخارف الدنيا ﴿وابتغ فيما آتاك الله﴾ من الغنى ﴿الدار الآخرة﴾ بصرفه فيما يوجبها فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ﴿ولا تنس﴾ ولا تترك ترك المنسى ﴿نصيبك من الدنيا﴾ وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك

من الكنوز ما ان مفاتحه ﴾ جمع مفتح وهو الذى يفتح به الباب وقيل مفاتحه يعنى خزائنه ﴿ لتنوء بالعصبة أولى القوة ﴾ معناه لتثقلهم وتميل بهم اذا حملوها لثقلها قيل العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الاربعين وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أين ما ذهب تحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا ﴿ اذ قال له قومه لا تفرح ﴾ أى لا تبطر ولا تأشر ولا تمرح ﴿ ان الله لا يحب الفرحين ﴾ أى الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل انه لا يفرح بالدنيا الا من رضى بها واطمأن اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ﴾ أى اطلب فيما أعطاك الله من الاموال الجنة وهو ان تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه فى رضا الله ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ أى لا تترك ان تعمل فى الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا ان يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الآخرة * عن عمرو بن ميمون الاودى قال قال رسول الله

من الكنوز)يعنى الاموال (ما ان مفاتحه) مفاتيح خزائنه (لتنوء بالعصبة) لتثقل بالجماعة (أولى القوة) ذوى القوة وهم أربعون رجلا يحملون مفاتيح خزائنه (اذ قال له قومه) قوم موسى (لا تفرح) لا تبطر بالمال وتشرك (ان الله لا يحب الفرحين) البطرين فى المال (وابتغ) اطلب (فيما آتاك الله) بما أعطاك الله بالمال (الدار الآخرة) يعنى الجنة (ولا تنس نصيبك من الدنيا) لا تترك نصيبك من الآخرة بنصيبك من الدنيا وقيل لا تنقص نصيبك من الدنيا بما أنفقت وأعطيت للآخرة

والنشر (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه وقال الزجاج يجوز أن يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل الله فيهما ويكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه (ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) كرر التوبيخ لاتخاذ الشركاء ليؤذن ان لاشئ أجلب لغضب الله من الاشراك به كما لاشئ أدخل فى مرضاته من توحيده (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) يعنى نبيهم لان الانبياء للامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للامم (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل (فعلموا) حينئذ (ان الحق لله) التوحيد (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشئ الضائع (ما كانوا يفترون) من الوهية غير الله والشفاعة لهم (ان قارون) لا ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرنت الشئ لانصرف (كان من قوم موسى) كان اسرائيليا ابن عم موسى فهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بنى اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى (فبغى عليهم) من البغى وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بنى اسرائيل فظلمهم أو من البغى الكبر تكبر عليهم بكثرة ماله وولده أو زاد عليهم فى الثياب شبرا (وآتيناه

﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولكى تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها ﴿ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لاشئ اجلب لغضب الله من الاشراك به والاول لتقرير فساد آرائهم والثانى لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشهى وهوى ﴿ونزعنا﴾ واخرجنا ﴿من كل امة شهيدا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه ﴿فقلنا﴾ للامم ﴿هاتوا برهانكم﴾ على صحة ما كنتم تدينون به ﴿فعلموا﴾ حينئذ ﴿ان الحق لله﴾ فى الالهية لايشاركه فيها احد ﴿وضل عنهم﴾ وغاب عنهم غيبة الضائع ﴿ما كانوا يفترون﴾ من الباطل ﴿ان قارون كان من قوم موسى﴾ كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به ﴿فبغى عليهم﴾ فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره اوتكبر عليهم اوظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل اوحسدهم لما روى انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا فى غير شئ الى متى اصبر ﴿وآتيناه

أى بالنهار ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أى نعم الله فيهما ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ ﴿ونزعنا﴾ أى أخرجنا وقيل ميزنا ﴿من كل أمة شهيدا﴾ يعنى رسولهم يشهد عليهم بانه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم ﴿فقلنا﴾ أى للامم المكذبة لرسلهم ﴿هاتوا برهانكم﴾ أى حجتكم بان معى شريكا ﴿فعلموا أن الحق لله﴾ أى التوحيد لله ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أى يختلقون فى الدنيا من الكذب على الله * قوله عز وجل ﴿ان قارون كان من قوم موسى﴾ قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن فى بنى اسرائيل أقرأ منه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى ﴿فبغى عليهم﴾ قيل كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل فظلمهم وبغى عليهم وقيل بغى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد فى طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثيابه خيلاء أخرجاه فى الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو ﴿وآتيناه

فضله بالعلم والعبادة (ولعلكم تشكرون) كى تشكروا نعمته عليكم بالليل والنهار (ويوم) وهو يوم القيامة (يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) تقولون انهم شركائى (ونزعنا) أخرجنا (من كل أمة شهيدا) نبيا يشهد عليهم بالبلاغ وهو (من) نبيهم الذى كان فيهم فى الدنيا (فقلنا هاتوا برهانكم) حجتكم لماذا رددتم على الرسل (فعلموا) علم كل أمة (أن الحق لله) ان عبادة الله ودين الله الحق وان القضاء فيهم لله (وضل عنهم) اشتغل عنهم بانفسهم (ما كانوا يفترون) يعبدون بالكذب (ان قارون كان من قوم موسى) ابن عم موسى (فبغى عليهم) فتطاول على موسى وهارون وقومهما فقال لموسى الرسالة ولهرون الحبورة ولست فى شئ لا أرضى بهذا ورد على موسى نبوته (وآتيناه) أعطيناه

وجه اللذة لا الكلفة (وله الحكم) القضاء بين عباده (واليه ترجعون) بالبعث والنشور وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب (قل أرأيتم) أريتم محذوف الهمزة على (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) هو مفعول ثان لجعل أى دائما من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم فى الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل (الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون) والمعنى أخبرونى من يقدر على هذا (قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فه أفلا تبصرون) ولم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التى تتعلق به متكاثرة ليس التصرف فى المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمه قرن بالضياء أفلا تسمعون لان السمع يدرك مالا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ماتبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه واتبتغوا من فضله) أى لتسكنوا بالليل واتبتغوا من فضل الله فى النهار فيكون من باب اللف

الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده ﴿ وله الحكم ﴾ القضاء النافذ فى كل شئ ﴿ واليه ترجعون ﴾ بالنشور ﴿ قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا ﴾ دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص ﴿ الى يوم القيمة ﴾ باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها فوق الافق الغائر ﴿ من اله غير الله يأتيكم بضياء ﴾ كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين ﴿ أفلا تسمعون ﴾ سماع تدبر و استبصار ﴿ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة ﴾ باسكانها فى وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق ﴿ من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه ﴾ استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل حيث قال تسكنون فيه ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل ﴿ أفلا تبصرون ﴾ لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ﴾ فى الليل ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ فى النهار بانواع المكاسب

فى الآخرة فى الجنة ﴿ وله الحكم ﴾ أى فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاوة ﴿ واليه ترجعون ﴾ * قوله عز وجل ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد لاهل مكة ﴿ أرأيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان جعل الله عليكم الليل سرمدا ﴾ أى دائما ﴿ الى يوم القيمة ﴾ لا نهار فيه ﴿ من اله غير الله يأتيكم بضياء ﴾ أى بنهار تطلبون فيه المعيشة ﴿ أفلا تسمعون ﴾ أى سماع فهم وقبول ﴿ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة ﴾ أى لا ليل فيه ﴿ من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾ أى ما أنتم عليه من الخطأ قيل ان من نعمة الله تعالى على الخلق ان جعل الليل والنهار يتعاقبان لان المرء فى حال الدنيا وفى حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل ما يحتاج اليه ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ولاجله يحصل الاجتماع فتمكن المعاملات ومعلوم ان ذلك لا يتم الا بالراحة والسكون بالليل فلابد منهما فاما فى الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء أبدا فبين الله تعالى انه القادر على ذلك ليس غيره فقال ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار ﴾ أى يتعاقبان بالظلمة والضياء ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ أى فى الليل ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾

والآخرة (وله الحكم) القضاء بينهم (واليه ترجعون) بعد الموت (قل) لهم يا محمد لاهل مكة (أرأيتم) ماتقولون يا معشر الكفار (ان جعل الله عليكم الليل) ان ترك الله عليكم الليل مظلما (سرمدا) دائما (الى يوم القيمة) لا نهار فيه (من اله غير الله) سوى الله (يأتيكم بضياء) بنهار (أفلا تسمعون) أفلا تطيعون من جعل لكم الليل والنهار (قل) لهم يا محمد أيضا (أرأيتم) ماتقولون (ان جعل الله عليكم) ان ترك الله عليكم (النهار سرمدا) دائما (الى يوم القيمة) لا ليل فيه (من اله غير الله) سوى الله (يأتيكم بليل تسكنون فيه) تستقرون فيه (أفلا تبصرون) أفلا تصدقون من جعل لكم خلق لكم الليل والنهار (ومن رحمته) نعمته (جعل لكم) خلق لكم (الليل والنهار لتسكنوا فيه) لتستقروا فى الليل (واتبتغوا من فضله) لكى تطلبوا بالنهار

(وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين) اى فعسى ان يفلح عندالله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين على الاسلام وترغيب للكافرين على الايمان ونزل جوابا لقول الوليد بن المغيرة لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى نفسه أو أبا مسعود (وربك يخلق مايشاء) وفيه دلالة خلق الافعال ويوقف على (ويختار) أى وربك يخلق مايشاء وربك يختار مايشاء (ما كان لهم الخيرة) أى ليس لهم ان يختاروا على الله شيأ ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف فى ما كان لهم الخيرة لانه بيان لقوله ويختار اذ المعنى ان الخيرة لله وهو أعلم بوجوه الحكمة فى افعاله فليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ومن وصل على معنى ويختار الذى لهم فيه الخيرة فقد أبعد بل ما لنفى اختيار الخلق تقرير لاختيار الحق ومن قال ومعناه ويختار للعباد ماهو خيرلهم وأصلح فهو مائل الى الاعتزال والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أى الله برئ من اشراكهم وهو منزه عن أن يكون لاحد عليه اختيار (وربك يعلم ماتكن) تضمر (صدورهم) من عداوة رسول صلى الله عليه وسلم وحسده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره فى النبوة (وهو الله) وهو المستأثر بالالهية المختص بها (لا اله الا هو) تقرير لذلك كقولك القبلة الكعبة لا قبلة الا هى (له الحمد فى الاولى) الدنيا (والآخرة) هو قولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد ثمة على (فى)

وعمل صالحا ﴿ وجمع بين الايمان والعمل الصالح ﴿ فعسى ان يكون من المفلحين ﴿ عندالله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح ﴿ وربك يخلق مايشاء ويختار ﴿ لا موجب عليه ولا مانع له ﴿ ما كان لهم الخيرة ﴿ اى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عندالتحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد به انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ماروى انه نزل فى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح ﴿ سبحان الله ﴿ تنزيها له ان ينازعه أحد او يزاحم اختياره ﴿ وتعالى عما يشركون ﴿ عن اشراكهم او مشاركة مايشركونه به ﴿ وربك يعلم ماتكن صدورهم ﴿ كعداوة رسول الله وحقده ﴿ وما يعلنون ﴿ كالطعن فيه ﴿ وهو الله ﴿ المستحق للعبادة ﴿ لا اله الا هو ﴿ لا احد يستحقها الا هو ﴿ له الحمد فى الاولى والآخرة ﴿ لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا

وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين ﴿ أى من السعداء الناجين وعسى من الله واجب ☼ وقوله تعالى ﴿ وربك يخلق مايشاء ويختار ﴿ نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفى أخبر انه تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله أن يخص من يشاء بما يشاء لا اعتراض عليه البتة ﴿ ما كان لهم الخيرة ﴿ أى ليس لهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ما كان هو الاصلح والخير لهم فيه ☼ ثم نزه الله تعالى نفسه فقال ﴿ سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ماتكن ﴿ أى تخفى ﴿ صدورهم وما يعلنون ﴿ أى يظهرون ☼ وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة ﴿ أى يحمده أولياؤه فى الدنيا ويحمدونه

(وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (فعسى) وعسى من الله واجب (أن يكون من المفلحين) من الناجين من السخط والعذاب (وربك يخلق مايشاء) كما يشاء (ويختار) من خلقه بالنبوة من يشاء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ما كان لهم) لاهل مكة (الخيرة) الاختيار (سبحان الله) نزه نفسه (وتعالى) تبرأ (عما يشركون) به من الاوثان (وربك يعلم ماتكن صدورهم) ما تضمر قلوبهم من البغض والعداوة (وما يعلنون) مايظهرون من المعاصى (وهو الله لا اله الا هو) لا ولد له ولا شريك له (له الحمد) له الشكر (فى الاولى والآخرة) على أهل الارض والسماء ويقال له الحمد والمنة والفضل والاحسان فى الاولى والآخرة على أهل الدنيا

(تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر (ما كانوا ايانا يعبدون) بل يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى (وقيل) للمشركين (ادعوا شركاءكم) أى الاصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) وجواب لو محذوف أى لما رأوا العذاب (و يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) الذين أرسلوا اليكم حكى أولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم ثم ما يشبه اشماتهم بهم لاستغاثتهم آلهتهم و عجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل (فعميت عليهم الانباء يومئذ) خفيت عليهم الحجج أو الاخبار وقيل خفى عليهم الجواب فلم يدروا بما ذا يجيبون اذ لم يكن عندهم جواب (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر والحجة رجاء أن يكون عنده عذر وحجة لانهم يتساوون فى العجز عن الجواب (فامامن تاب) من الشرك (وآمن) بربه وبما جاء من عنده

فغووا غيا مثل ما اغوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فأفاده زيادة على الصفة وهو وان كانت فضلة لكنه صار من اللوازم ﴿ تبرأنا اليك ﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ﴿ ما كانوا ايانا يعبدون ﴾ اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا ﴿ وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم ﴾ من فرط الحيرة ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ لعجزهم عن الاجابة والنصرة ﴿ ورأوا العذاب ﴾ لازبالهم ﴿ لو انهم كانوا يهتدون ﴾ لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمنى اى تمنوا انهم كانوا مهتدين ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ﴾ عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء ﴿ فعميت عليهم الانباء يومئذ ﴾ فصارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدى اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنكم بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء ﴿ فهم لا يتساءلون ﴾ لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله ﴿ فاما من تاب ﴾ من الشرك ﴿ وآمن

﴿ تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ﴾ معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا أعداء ﴿ وقيل ﴾ يعنى للكفار ﴿ ادعوا شركاءكم ﴾ أى الاصنام لتخلصكم من العذاب ﴿ فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ﴾ أى لم يجيبوهم ﴿ ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ﴾ معناه لو أنهم كانوا يهتدون فى الدنيا ما رأوا العذاب فى الآخرة ﴿ ويوم يناديهم ﴾ أى يسأل الكفار ﴿ فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾ أى ما كان جوابكم لمن أرسل اليكم من النبيين ﴿ فعميت عليهم ﴾ أى خفيت واشتبهت عليهم ﴿ الانباء ﴾ يعنى الاخبار والاعذار والحجج ﴿ يومئذ ﴾ فلم يكن لهم عذر ولا حجة ﴿ فهم لا يتساءلون ﴾ أى لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكتون فلا يسأل بعضهم بعضا ﴿ فاما من تاب وآمن

(تبرأنا اليك) منهم (ما كانوا ايانا يعبدون) بامرنا (وقيل ادعوا شركاءكم) آلهتكم حتى يمنعوكم من عذاب الله (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوهم برفع عذاب الله عنهم (ورأوا العذاب) القادة والسفلة (لو انهم كانوا (قا و خا ٧٣ بع) يهتدون) تمنوا لو أنهم كانوا فى الدنيا على الحق والهدى (ويوم) وهو يوم القيامة (يناديهم) الكفار (فيقول) الله لهم (ماذا أجبتم المرسلين) بما دعوكم (فعميت) فالتبست (عليهم الانباء) الاخبار والاجابة (يومئذ) يوم القيامة (فهم لا يتساءلون) لا يجيبون (فامامن تاب) من الكفر (وآمن) بالله

أى الجنة فلاشئ أحسن منها لانها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى (فهو لاقيه) أى رائيه ومدركه ومصيبه (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه فكذبوه فانهم لمحضرون نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى جهل لعنه الله أو فى على وحمزة وأبى جهل أو فى المؤمن والكافر ومعنى الفاء الاولى انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفمن وعدناه أى أبعد هذا التفاوت الجلى يسوى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة وفاء الثانية للتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد وثم لتراخى حال الاحضار عن حال التمتع ثم هو على كما قيل عضد فى عضد شبه المنفصل بالمتصل (ويوم يناديهم) ينادى الله الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيامة أومنصوب باذكر (فيقول أين شركائى) بناء على زعمهم (الذين كنتم تزعمون) ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره كنتم تزعمونهم شركائى ويجوز حذف المفعولين فى باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما (قال الذين حق عليهم القول) أى الشياطين أوأئمة الكفر ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء) مبتدأ (الذين أغوينا) أى دعوناهم الى الشرك وسولناه لهم الغى صفة والراجع الى الموصول محذوف والخبر (أغويناهم) والكاف فى (كما غوينا) صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا فلافرق اذا بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان فى مقابلته دعاء الله لهم (تبرأنا) الى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا أنفسكم

وعدنا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود ﴿فهو لاقيه﴾ مدركه لامحالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية ﴿كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا﴾ الذى هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ للحساب او العذاب وثم للتراخى فى الزمان او الرتبة وقرأ نافع وقالون فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتى قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ﴿ويوم يناديهم﴾ عطف على يوم القيامة او منصوب باذكر ﴿فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد ﴿ربنا هؤلاء الذين اغوينا﴾ اى هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ﴿اغويناهم كما غوينا﴾ اى اغويناهم

الجنة ﴿فهو لاقيه﴾ أى مصيبه وصائر اليه ﴿كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا﴾ أى وتزول عنه عن قريب ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ أى فى النار قيل هذا فى المؤمن والكافر وقيل نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى جهل وقيل فى على وحمزة وأبى جهل وقيل فى عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة * قوله تعالى ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ أى فى الدنيا انهم شركائى ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ أى وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ أى دعوناهم الى الغى وهم الاتباع ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ أى أضللناهم كما ضللنا

محمد عليه السلام وأصحابه ويقال هو عثمان بن عفان (فهو لاقيه) معاينه فى الآخرة (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا) أعطيناه المال والخدم فى الدنيا يعنى أبا جهل بن هشام (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) من المعذبين فى النار (ويوم) وهو يوم القيامة (يناديهم) الله يعنى أبا جهل وأصحابه (فيقول) الله عز وجل (أين شركائى الذين كنتم تزعمون) تعبدون وتقولون انهم شركائى (قال الذين حق عليهم) وجب عليهم (القول) بالسخط والعذاب وهم الرؤساء (ربنا) يا ربنا (هؤلاء) السفلة (الذين أغوينا) أضللنا (أغويناهم) أضللناهم عن الحق والهدى (كما غوينا) ضللنا عن الحق والهدى

﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ لتلك المساكن من ساكنيها أي لا يملك التصرف فيها غيرنا (وما كان ربك مهلك القرى) في كل وقت (حتى يبعث في أمها) وبكسر الهمزة حمزة وعلي أي في القرية التي هي امها أي أصلها ومعظمها (رسولا) لالزام الحجة وقطع المعذرة أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الارض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة لان الارض دحيت من تحتها رسولا يعني محمدا عليه السلام (يتلوا عليهم آياتنا) أي القرآن (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) أي وما أهلكناهم للانتقام

العذاب بظلمهم وهو اصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعذار اليهم (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها) وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة الفانية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفسه من ذلك (وأبقى) لانه دائم (أفلا تعقلون) ان الباقي خير من الفاني وخير أبو عمرو بين الياء والتاء والباقون بالتاء لا غير وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرر هذه الآية بقوله (أفمن وعدناه وعدا حسنا)

﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليها او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت ﴿ وما كان ربك ﴾ وما كانت عادته ﴿ مهلك القرى حتى يبعث في امها ﴾ في اصلها التي هي اعمالها لان اهلها يكون أفطن وأنبل ﴿ رسولا يتلوا عليهم آياتنا ﴾ لالزام الحجة وقطع المعذرة ﴿ وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون ﴾ بتكذيب الرسل والعتو في الكفر ﴿ وما اوتيتم من شيء ﴾ من اسباب الدنيا ﴿ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها ﴾ تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية ﴿ وما عند الله ﴾ وهو ثوابه ﴿ خير ﴾ في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة ﴿ وابقى ﴾ لانه ابدي ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرأ أبو عمرو بالياء وهو ابلغ في الموعظة ﴿ أفمن وعدناه وعدا حسنا ﴾

المسافرون سكونا قليلا وقيل لم يعمر منها الا اقلها وأكثرها خراب ﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ يعني لم يخلفهم فيها أحد بعد هلاكهم وصار أمرها الى الله تعالى لانه الباقي بعد فناء الخلق ﴿ وما كان ربك مهلك القرى ﴾ يعني الكافرة أهلها ﴿ حتى يبعث في امها رسولا ﴾ أي في أكبرها وأعظمها رسولا ينذرهم وخص الام ببعثة الرسول لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في أم القرى وهي مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء ﴿ يتلوا عليهم آياتنا ﴾ يعني انه يؤدي اليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا ﴿ وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون ﴾ أي مشركون * قوله عز وجل ﴿ وما أوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها ﴾ أي تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هي الى فناء وانقضاء ﴿ وما عند الله خير وأبقى ﴾ لان منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهي دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة بالقياس الى البحر العظيم ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أي ان الباقي خير من الفاني وقيل من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعي من أوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان أعقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير وما هم الا المشتغلون بطاعة الله تعالى ﴿ أفمن وعدناه وعدا حسنا ﴾ يعني

(وكنا نحن الوارثين) المالكين على ما ملكوا وتركوا بعد هلاكهم (وما كان ربك مهلك القرى) أهل القرى (حتى يبعث في أمها) في أعظمها مكة وتسال الى عظمائها وكبرائها (رسولا يتلوا عليهم آياتنا) بالامر والنهي (وما كنا مهلكي القرى) أهل القرى (الا وأهلها ظالمون) مشركون (وما أوتيتم من شيء) ما أعطيتم من المال والخدم يا معشر قريش (فمتاع الحيوة الدنيا) كمتاع الحياة الدنيا الخزف والزجاج (وزينتها) زهرتها لا تبقى هذه الزهرة (وما عند الله) لمحمد وأصحابه في الجنة (خير) أفضل (وأبقى) ادوم مما لكم في الدنيا (أفلا تعقلون) أفليس لكم ذهن الانسانية ان الدنيا فانية والآخرة باقية (أفمن وعدناه وعدا حسنا) يعني الجنة وهو

أولم نمكن لهم حرما آمنا) قالت قريش نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك ان يتخطفونا من أرضنا فالقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم في الحرم الذي أمنه بحرمة البيت وأمن قطانه بحرمته والثمرات تجبى اليه من كل أوب وهم كفرة فأنى يستقيم أن يعرضهم للتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز (تجبى اليه) وبالتاء مدني ويعقوب وسهل أي تحمل وتجمع (ثمرات كل شيء) معنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء (رزقا من لدنا) هو مصدر لان معنى تجبى اليه يرزق أو مفعول له أو حال من ثمرات لتخصصها بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما تنصب عن النكرة المتخصصة بالصفة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بمن لدنا أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بانعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فأهلكوا وكم نصب باهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وايصال الفعل أي في معيشتها والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (فتلك مساكنهم) منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الاسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب {المسافرون} وغيرهم (لم تسكن) حال والعامل فيها الاشارة (من بعدهم الا قليلا) من السكنى أي لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة

في النبي عليه الصلاة والسلام فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله ﴿أولم نمكن لهم حرما آمنا﴾ اولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه ﴿تجبى اليه﴾ تحمل اليه وتجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء ﴿ثمرات كل شيء﴾ من كل اوب ﴿رزقا من لدنا﴾ فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ﴿ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾ جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى تجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله ﴿وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ اي وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم ﴿فتلك مساكنهم﴾ خاوية ﴿لم تسكن من بعدهم﴾ من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم اولا يبقى من يسكنها ﴿الا قليلا﴾ من شؤم معاصيهم

نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقول حق ولكن ان اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرض مكة قال الله تعالى ﴿أولم نمكن لهم حرما آمنا﴾ وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون حيث كانوا لحرمة الحرم ومن المعروف انه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحدأة ﴿يجبى اليه﴾ اي يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن ﴿ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني ان أكثر أهل مكة لا يعلمون ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴿وكم اهلكنا من قرية﴾ أي من أهل قرية ﴿بطرت معيشتها﴾ أي اشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا﴾ قال ابن عباس لم يسكنها الا

مكة (ولم نمكن لهم) ننزلهم ونجعل لهم (حرما آمنا) من ان يهاج فيه (يجبى اليه ثمرات كل شيء) يحمل اليه ألوان كل شيء من الثمرات (رزقا من لدنا) طعاما لهم من عندنا فكيف أسلط عليهم الكفار ان آمنوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون (وكم أهلكنا من قرية) من أهل قرية (بطرت معيشتها) كفرت بمعيشتها (فتلك مساكنهم) منازلهم (لم تسكن من بعدهم) من بعد هلاكهم (الا قليلا) منها يسكنها المسافرون وسائرها خراب

الاذى (ومما رزقناهم ينفقون) يزكون (واذا سمعوا اللغو) الباطل أو الشتم من المشركين (أعرضوا عنه وقالوا) للاغين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) أمان منا لكم بان نقابل لغوكم بمثله (لا نبتغى الجاهلين) لا نريد مخالطتهم وصحبتهم (انك لا تهدى من أحببت) لا تقدر ان تدخل فى الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم (ولكن الله يهدى من يشاء) يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء (وهو أعلم بالمهتدين) بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلائل والآيات

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فى سبيل الخير ﴿واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ تكرما ﴿وقالوا﴾ للاغين ﴿لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم﴾ متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه ﴿لا نبتغى الجاهلين﴾ لا نطلب صحبتهم ولا نريدها ﴿انك لا تهدى من احببت﴾ لا تقدر ان تدخله فى الاسلام ﴿ولكن الله يهدى من يشاء﴾ فيدخله فى الاسلام ﴿وهو اعلم بالمهتدين﴾ بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك صادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت ﴿وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من اوضنا﴾ نخرج منها نزلت فى الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أى فى الطاعة ﴿واذا سمعوا اللغو﴾ أى القول القبيح ﴿أعرضوا عنه﴾ وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل مكة ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم ﴿وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ أى لنا ديننا ولكم دينكم ﴿سلام عليكم﴾ ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم ﴿لا نبتغى الجاهلين﴾ يعنى لا نحب دينكم الذى أنتم عليه وقيل لا نريد ان نكون من أهل الجهل والسفه وهذا قبل ان يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال

* قوله تعالى ﴿انك لا تهدى من أحببت﴾ أى هدايته وقيل أحببته لقرابته ﴿ولكن الله يهدى من يشاء﴾ وذلك أن الله تعالى يقذف فى القلب نور الهداية فينشرح الصدر للايمان ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أى بمن قدر له الهدى (م) عن أبى هريرة قال انك لا تهدى من أحببت نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راود عمه أبا طالب على الاسلام وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى طالب عند الموت يا عم قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيرنى قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك ثم أنشد

ولقد علمت بان دين محمد ٭ من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ٭ لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

ولكن على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فأنزل الله هذه الآية ﴿وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ يعنى مكة نزلت فى الحرث بن عثمان بن

قال الزجاج أجمع المفسرون على أنها نزلت فى أبى طالب وذلك أنه قال عند موته يا معشر بنى هاشم صدقوا محمدا تفلحوا فقال عليه السلام يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخى قال أريد منك أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخى أنا قد علمت أنك صادق ولكنى أكره أن يقال جزع عند الموت وان كانت الصيغة عامة والآية حجة على المعتزلة لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل ان وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا

(ومما رزقناهم) أعطيناهم من الاموال (ينفقون) يتصدقون (واذا سمعوا اللغو) الباطل يعنى طعنة الكفار عليهم (أعرضوا عنه) كراما (وقالوا) معروفا (لنا أعمالنا) عبادة الله ودين الاسلام (ولكم أعمالكم) عليكم أعمالكم عبادة الاوثان ودين الشيطان الشرك بالله (سلام عليكم) هدا كم الله (لا نبتغى الجاهلين) لا نطلب دين المشركين بالله (انك) يا محمد (لا تهدى) لا تعرف (من أحببت) ايمانه يعنى أبا طالب (ولكن الله يهدى) يوفق ويرشد ويعرف (من يشاء) لدينه أبا بكر وعمر وأصحابهما (وهو أعلم بالمهتدين) لدينه (وقالوا) حرث بن عمرو النوفلى وأصحابه (ان نتبع الهدى) التوحيد (معك) يا محمد (نتخطف) نطرد (من أرضنا)

(الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل القرآن وخبر الذين (هم به) بالقرآن (يؤمنون) نزلت في مؤمني أهل الك
(واذا يتلى) القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله) من قبل نزول القرآن (مسلمين) كائنين على دين الاس

وقوله انا بيان لقوله آمن لانه يحتمل أن يكون ايمانا قريب [illegible] (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة وايمان بالقرآن أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب (ويدرؤن بالحسنة السيئة) يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم

﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن كالمستكن في ﴿واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به﴾ اى بانه كلام الله تعالى ﴿انه الحق من ربنا﴾ استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم به ﴿انا كنا من قبله مسلمين﴾ استئناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه ح وانما هو امر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن اوتلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن ﴿بما صبروا﴾ بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى هاجرهم من اهل دينهم ﴿ويدرؤن بالحسنة السيئة﴾ ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة والسلام اتبع الحسنة السيئة تمحها

يتعظون ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ أى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن ﴿هم به يؤمنون﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل بل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر بن أبي طالب فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ﴿ثم وصفهم الله تعالى فقال ﴿واذا يتلى عليهم﴾ يعني القرآن ﴿قالوا آمنا به انه الحق من ربنا﴾ وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ﴿انا كنا من قبله مسلمين﴾ أى من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ يعني بايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر ﴿بما صبروا﴾ أى على دينهم وعلى أذى المشركين (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها ثم تزوجها فله أجران ﴿ويدرؤن بالحسنة السيئة﴾ قال ابن عباس يدفعون بشهادة أن لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون ما سمعوا من أذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو

يتعظوا بالقرآن فيؤمنوا (الذين آتيناهم الكتاب) أعطيناهم علم التوراة (من قبله) من قبل مجيء محمد عليه السلام والقرآن يعني عبد الله ابن سلام وأصحابه نحو أربعين رجلا منهم من جاء من الشام ومنهم من جاء من اليمن (هم به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (يؤمنون) يوقنون (واذا يتلى عليهم) يقرأ عليهم القرآن بنعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته (قالوا آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (انه الحق من ربنا انا كنا من قبله) من قبل قراءة القرآن علينا (مسلمين) مقرين بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك) أهل هذه الصفة (يؤتون (ومما
أجرهم مرتين) يعطون ثوابهم ضعفين (بما صبروا) على أذى الكفار وطعنهم متى بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في كت
ودخلوا في دين محمد عليه السلام (ويدرؤن بالحسنة السيئة) يدفعون بالكلام الحسن بلا اله الا الله الكلام القبيح الشرك من غير

اسحرأوجعلوهما سحرين مبالغة فى وصفهما بالسحر (وقالوا انابكل) بكل واحدمنهما (كافرون) وقيل ان أهل مكة كما
فروا بمحمدعليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا فى موسى ومحمد ساحران تظاهرا أوفى التوراة والقرآن
حران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمدفاخبروهم أنه فى كتابهم فرجع الرهط
ن قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (قل فأتوا بكتاب

من عندالله هوأهدى منهما) مماأنزل على موسى ومماأنزل على (أتبعه) جواب فأتوا (ان كنتم صادقين) فى أنهما سحران ا فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم أنهم قدالزموا ولم تبق حجة الااتباع الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أى لاأحدأضل ممن اتبع فى الدين هواه وبغير هدى حال أى مخذولا يخلى بينه وبين هواه (ان الله لايهدى القوم الظالمين ولقدوصلنالهم القول لعلهم يتذكرون) التوصيل تكثير الوصل وتكريره يعنى ان القرآن أتاهم متتابعامتواصلا وعداووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليتذكروا فيفلحوا

الكوفيون سحران بتقدير مضاف اوجعلهما سحرين مبالغة اواسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز ه وقرئ اظاهرا على الادغام ﴿وقالوا انابكل كافرون﴾ اى بكل منهما اوبكل الانبياء ﴿قل فأتوا بكتاب من عندالله هواهدى منهما﴾ ممانزل على موسى وعلى واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ﴿اتبعه ان كنتم صادقين﴾ انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التى يرادبها الالزام والتبكيت ولعل مجئ حرف الشك للتهكم بهم ﴿فان لم يستجيبوا لك﴾ دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعى فاذاعدى اليه حذف الدعاء غالبا كقوله

وداع دعايامن يجيب الى الندى * فلم يستجبه عندذاك مجيب

﴿فاعلم انما يتبعون اهواءهم﴾ اذلواتبعوا الحجة لاتوابها ﴿ومن اضل ممن اتبع هواه﴾ استفهام بمعنى النفى ﴿بغير هدى من الله﴾ فى موضع الحال للتأكيد اوالتقييد فان هوى النفس قديوافق الحق ﴿ان الله لايهدى القوم الظالمين﴾ الذى ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى ﴿ولقد وصلنالهم القول﴾ اتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتصل التذكير اوفى النظم لتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر ﴿لعلهم يتذكرون﴾ فيؤمنون ويطيعون

كل واحدمنهما الآخر وقيل ساحران يعنى محمدا وموسى وقيل ان مشركى مكة بعثوا الى رؤس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم أن نعته فى كتابهم التوراة فرجعوا فاخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا ﴿وقالوا انابكل كافرون﴾ يعنى بالتوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى ﴿قل﴾ يامحمد ﴿فأتوا بكتاب من عندالله هوأهدى منهما﴾ يعنى من التوراة والقرآن ﴿أتبعه﴾ يعنى الكتاب الذى تأتون به من عندالله وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله ﴿ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك﴾ أى فان لم يأتوا بما طلبت ﴿فاعلم انما يتبعون أهواءهم﴾ يعنى ان ماركبوه من الكفر لاحجة لهم فيه وانما آثروا اتباعهم ماهم عليه من الهوى ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لايهدى القوم الظالمين﴾ * قوله عزوجل ﴿ولقد وصلنالهم القول﴾ قال ابن عباس بينا وقيل أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا وقيل بينا لكفار مكة بمافى القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنالهم خبرالدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة فى الدنيا ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أى

(وقالوا) كفار مكة (انابكل) بالتوراة والقرآن (كافرون) جاحدون (قل) لهم يامحمد (فأتوا بكتاب من عندالله هوأهدى) أصوب (منهما) من التوراة والقرآن (أتبعه)

يعمل به (ان كنتم صادقين) ان التوراة والقرآن سحران تظاهرا فلم يقدروا ان يأتوا قال الله (فان لم يستجيبوا لك) فان لم يجيبوك الظلمة
سألتهم (فاعلم انمايتبعون أهواءهم) بالكفر والشرك وعبادة الاوثان (ومن أضل) اكفر عن الحق والهدى (ممن اتبع هواه)
الكفر والشرك وعبادة الاوثان (بغير هدى من الله) بغير حجة وبيان من الله (ان الله لايهدى) لايرشد الى دينه (القوم الظالمين)
المشركين أباجهل وأصحابه (ولقد وصلنالهم القول) بينالهم القرآن بالتوحيد (لعلهم يتذكرون) لكى

من الكفر والظلم ولما كانت أكثر الاعمال تزاول بالايدى نسبت الاعمال الى الايدى وان كانت من أعمال القلوب تغليبا للاكثر على الاقل (فيقولوا) عند العذاب (ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الاولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها فى حكم الامر اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل فى جواب الامر والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصى هلا أرسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم يعنى أن ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب فى الارسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا للارسال ولكن العقوبة لما كانت سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الارسال فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا (فلما جاءهم الحق من عندنا) أى القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المعجز (قالوا) أى كفار مكة (لولا أوتى) هلا أعطى (مثل ما أوتى موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة (أولم يكفروا) يعنى أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة فى زمن موسى عليه السلام (بما أوتى موسى من قبل) من قبل القرآن (قالوا) فى موسى وهارون (ساحران تظاهرا) تعاونا سحران كوفى أى (كل)

﴿فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا﴾ لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة فى سياقها لانها مما اجيبت بها بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اى انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم ﴿فنتبع آياتك﴾ يعنى الرسول المصدق بنوع من المعجزات ﴿ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى﴾ من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا ﴿اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل﴾ يعنى ابناء جنسهم فى الرأى والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد ﴿قالوا ساحران﴾ يعنون موسى وهارون او موسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم ﴿تظاهرا﴾ تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرأ

﴿فيقولوا ربنا لولا﴾ أى هلا ﴿أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ ومعنى الآية لولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكنا بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿قالوا﴾ يعنى كفار مكة ﴿لولا﴾ أى هلا ﴿أوتى﴾ محمد ﴿مثل ما أوتى موسى﴾ يعنى من الآيات كالعصا واليد البيضاء وقيل أوتى كتابا جملة واحدة كما أوتى موسى التوراة قال الله تعالى ﴿أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل﴾ قيل ان اليهود أرسلوا الى قريش أن يسألوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتى موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل يعنى اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال ﴿قالوا ساحران تظاهرا﴾ يعنى التوراة والقرآن تقوى

(فيقولوا) عند نزول العذاب بهم يوم القيامة (ربنا) يا ربنا (لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا) مع الكتاب قبل العذاب (فنتبع آياتك) كتابك ورسولك (ونكون من المؤمنين) بالكتاب والرسول لاهلكناهم قبلك ولكن أرسلناك اليهم بالقرآن لكى لا يكون لهم حجة علينا (فلما جاءهم الحق) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (من عندنا قالوا) كفار مكة (لولا أوتى) هلا أعطى محمد عليه السلام يعنى اليد والعصا والمن والسلوى والقرآن جملة (مثل ما أوتى) أعطى (موسى) بزعمه (أولم يكفروا) كفار مكة (بما أوتى موسى) أعطى موسى (من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم يعنى التوراة (قالوا) كفار مكة (سحران) يعنى التوراة والقرآن (تظاهرا) تعاونا

استدراكين بعده (وما كنت ثاويا) مقيما (فى أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلوا عليهم آياتنا) تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التى فيها وتتلو فى موضع نصب خبر ثان أو حال من الضمير فى ثاويا (ولكنا كنا مرسلين) ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (ولكن) أعلمناك وأرسلناك (رحمة) للرحمة (من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) فى زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة (لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت ايديهم)

بعد قرن (وما كنت) يا محمد (ثاويا) مقيما (فى أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا) تقرأ على قومك آياتنا القرآن تخبرهم (ولكنا كنا مرسلين) الرسل الى القرون الاولى وبينا قصة الاول للآخر كما بينا لك قصة الاولين (وما كنت بجانب الطور) جبل زبير (اذ نادينا) حيث كلمنا موسى ويقال اذ نادينا أمتك (ولكن) علمناك وأرسلناك (رحمة) نعمة ومنة (من ربك) اذ أرسل اليك جبريل بالقرآن بأخبار الامم (لتنذر قوما) لكى تخوف قوما بالقرآن (ما آتاهم من نذير) لم يأتهم رسول (قاوخا ٧٢ بع) مخوف (من قبلك) يعنى قريشا (لعلهم يتذكرون) لكى يتعظوا فيؤمنوا (ولولا ان تصيبهم مصيبة) ولولا ان يصيب قومك قريشا عذاب يوم القيامة (بما قدمت أيديهم) بما اكتسبوا فى كفرهم

﴿وما كنت ثاويا﴾ مقيما ﴿فى اهل مدين﴾ شعيب والمؤمنين به ﴿تتلوا عليهم﴾ تقرأ عليهم تعلما منهم ﴿آياتنا﴾ التى فيها قصتهم ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ اياك ومخبرين لك بها ﴿وما كنت بجانب الطور اذ نادينا﴾ لعل المراد به وقت ما اعطاه التورية وبالاول حيثما استنبأه لانهما المذكوران فى القصة ﴿ولكن رحمة﴾ نصب على المصدر او مفعول له ﴿من ربك﴾ ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة ﴿لتنذر قوما﴾ متعلق بالفعل المحذوف ﴿ما اتاهم من نذير من قبلك﴾ لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببنى اسرائيل وما حواليهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون ﴿ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم﴾

﴿وما كنت ثاويا﴾ أى مقيما ﴿فى أهل مدين﴾ أى كمقام موسى وشعيب فيهم ﴿تتلوا عليهم آياتنا﴾ أى تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ يعنى أرسلناك رسولا وأنزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار لتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها أنت ولم تخبرهم بها ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ أى بناحية الجبل الذى كلم الله موسى عليه ﴿اذ نادينا﴾ يعنى موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يارب أرنى محمدا وأمته قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديت أمته وأسمعتك صوتهم قال بلى يارب قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب آبائهم وقال ابن عباس قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب الآباء والارحام أى أرحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد ان رحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عقابى قد أعطيتكم قبل أن تسألونى وقد أجبتكم قبل ان تدعونى وقد غفرت لكم قبل ان تستغفرونى ومن جاءنى يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدى ورسولى دخل الجنة وان كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر ﴿ولكن رحمة من ربك﴾ أى رحمناك رحمة بارسالك والوحى اليك واطلاعك على الاخبار الغائبة عنك ﴿لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ يعنى أهل مكة ﴿لعلهم يتذكرون﴾ اعلم أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم جمع بين هذه الاحوال الثلاثة العظيمة التى اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذ قضينا الى موسى الامر هو انزال التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا فى أهل مدين أول أمر موسى والمراد بقوله اذ نادينا الليلة المناجاة فهذه أعظم أحوال موسى ولما بينها الرسوله ولم يكن فى هذه الاحوال حاضرا بين الله أنه بعثه وعرفه هذه الاحوال الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزته كانه قال فى اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك ﴿قوله تعالى﴾ ﴿ولولا ان تصيبهم مصيبة﴾ أى عقوبة ونقمة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ يعنى من الكفر والمعاصى

للمقبوحين (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما اهلكنا القرون الاولى) قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (بصائر للناس) حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد والسعادة كما ان البصر نور العين الذي يبصر به الاجساد يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل (وهدى) وارشادا لانهم كانوا يخبطون في ضلال (ورحمة) لمن اتبعها لانهم اذا عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة (لعلهم يتذكرون) يتعظون (وما كنت) يا محمد

(بجانب) الجبل (الغربي) وهو المكان الواقع في شق الغرب وهو الذي وقع فيه ميقات موسى (اذ قضينا الى موسى الامر) أي كلمناه وقربناه نجيا (وما كنت من الشاهدين) من جملة الشاهدين للوحي اليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته (ولكنا أنشأنا) بعد موسى (قرونا فتطاول عليهم العمر) أي طالت أعمارهم وفترت النبوة وكادت الاخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير منها فارسلناك مجددا لتلك الاخبار مبينا ما وقع فيه التحريف وأعطيناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا فاذا هذا الاستدراك شبيه

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿من بعد ما اهلكنا القرون الاولى﴾ قوام نوح وهود وصالح ولوط ﴿بصائر للناس﴾ انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل ﴿وهدى﴾ الى الشرائع التي هي سبل الله تعالى ﴿ورحمة﴾ لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله ﴿لعلهم يتذكرون﴾ ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت ﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ يريد الوادي أو الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى أو الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي ما كنت حاضرا ﴿اذ قضينا الى موسى الامر﴾ اذ أوحينا اليه الامر الذي اردنا تعريفه ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ للوحي اليه او على الوحي اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ﴿ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر﴾ اي ولكنا اوحيناه اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه

* وقوله عز وجل ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿من بعد ما أهلكنا القرون الاولى﴾ يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كانوا قبل موسى ﴿بصائر للناس﴾ أي ليبصروا ذلك فيهتدوا به ﴿وهدى﴾ أي من الضلالة لمن عمل به ﴿ورحمة﴾ أي لمن آمن به ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي بما فيه من المواعظ ﴿وما كنت﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي وما كنت يا محمد ﴿بجانب الغربي﴾ أي بجانب الجبل الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه ﴿اذ قضينا الى موسى الامر﴾ أي عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ أي الحاضرين ذلك المقام الذي أوحينا الى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك ﴿ولكنا أنشأنا قرونا﴾ أي خلقنا بعد موسى أمما ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ أي طالت عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا أمره وذلك ان الله عهد الى موسى وقومه عهودا في محمد والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها

الوجوه وزرق الاعين (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعني التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) (وما) من قبل موسى (بصائر) بيانا (للناس) لبني اسرائيل (وهدى) من الضلالة (ورحمة) لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) لكي يتعظوا فيؤمنوا به (وما كنت) يا محمد (بجانب الغربي) الجبل (اذ قضينا الى موسى الامر) حيث أمرنا موسى الاتيان الى فرعون (وما كنت من الشاهدين) من الحاضرين هناك (ولكنا أنشأنا) خلقنا (قرونا) قرنا بعد قرن وبينا قصة الاول للآخر كما بينا لك (فتطاول عليهم العمر) الاجل فلم يؤمنوا فاهلكناهم قرنا

ان هامان جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل وقطعة فى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق أحد من عمل فيه الا هلك (واستكبر هو وجنوده) تعظم (فى الارض) أرض مصر (بغير الحق) أى بالباطل فالاستكبار بالحق لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أى المتبالغ فى كبرياء الشأن كما حكى رسولنا عن ربه الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) يرجعون نافع وحمزة وعلى وخلف ويعقوب (فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) من الكلام المفخم الذى دل به على عظمة شأنه شبههم استقلالا لعددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ بكفه فطرحهن فى البحر (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك فانك منصور عليهم (وجعلناهم أئمة) قادة (يدعون الى النار) اى عمل أهل النار قال ابن عطاء نزع عن أسرارهم التوفيق وأنوار التحقيق فهم فى ظلمات نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد وفيه دلالة خلق أفعال العباد (ويوم القيمة لا ينصرون) من العذاب (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) ألزمناهم طردا و ابعادا عن الرحمة وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس اياهم بعدهم (ويوم القيمة هم من المقبوحين) المطرودين المبعدين أو المهلكين المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم ظرف

اله (واستكبر) تعظم عن الايمان (هو) فرعون (وجنوده) جموعه القبط (فى الارض) فى أرض مصر (بغير الحق) بغير أن كان له ذلك (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) فى الآخرة (فأخذناه) يعنى فرعون بكلمته الاولى أنا ربكم الاعلى والاخرى ما علمت لكم من اله غيرى (وجنوده) جموعه القبط (فنبذناهم فى اليم) فالقيناهم فطرحناهم فى البحر (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) آخر أمر المشركين فرعون وقومه (وجعلناهم) خذلناهم (أئمة) قادة الى الكفار والضلال (يدعون الى النار) الى الكفر والشرك وعبادة الاوثان (ويوم القيمة لا ينصرون) لا يمنعون من عذاب الله (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) أهلكناهم فى الدنيا بالغرق (ويوم القيمة هم من المقبوحين) سود

معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام ﴿واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق﴾ بغير استحقاق ﴿وظنوا انهم الينا لا يرجعون﴾ بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائى بفتح الياء وكسر الجيم ﴿فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم﴾ كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واحتقار للمأخوذين كأنه اخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ﴿فانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كان عاقبة الظالمين﴾ وحذر قومك عن مثلها ﴿وجعلناهم أئمة﴾ قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أو بمنع الالطاف الصارفة عنه ﴿يدعون الى النار﴾ الى موجباتها من الكفر والمعاصى ﴿ويوم القيمة لا ينصرون﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة﴾ طردا عن الرحمة أو لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ﴿ويوم القيمة هم من المقبوحين﴾ من المطرودين أو ممن قبح وجوههم

غيرى وانه أرسله ﴿واستكبر هو وجنوده فى الارض﴾ أى تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بالباطل والظلم ﴿بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون﴾ أى للحساب والجزاء ﴿فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم﴾ أى فالقيناهم فى البحر وهو القلزم ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ يعنى حين صاروا الى الهلاك ﴿وجعلناهم أئمة﴾ أى قادة ورؤساء ﴿يدعون النار﴾ أى الكفر والمعاصى التى يستحقون بها النار لان من أطاعهم ضل ودخل النار ﴿ويوم القيمة لا ينصرون﴾ أى لا يمنعون من العذاب ﴿وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة﴾ أى خزيا وبعدا وعذابا ﴿ويوم القيمة هم من المقبوحين﴾ أى المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون

انه لايفلح الظالمون) أى ربى أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعنى نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لانه غنى حكيم لايرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هى العاقبة المحمودة لقوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران قال موسى بغير واو مكى وهو حسن لان الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات العظام سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر ربى أعلم حجازى وأبو عمرو ومن يكون حمزة وعلى (وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى) قصد بنفى علمه باله غيره نفى وجوده أى مالكم من اله غيرى أو هو على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده (فاوقد لى ياهامان على الطين) أى اطبخ لى الآجر واتخذه وانما لم يقل مكان طين هذا لانه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة ولانه أفصح وأشبه بكلام الجبابرة اذ أمر هامان وهو وزيره بالايقاد على الطين منادى باسمه بياء فى وسط الكلام دليل التعظم والتجبر (فاجعل لى صرحا) قصرا عاليا (لعلى أطلع) أى أصعد والاطلاع الصعود (الى اله موسى) حسب انه تعالى فى مكان كما كان هو فى مكان (وانى لاظنه) أى موسى (من الكاذبين) فى دعواه ان له الها وانه أرسله الينا رسولا وقد تناقض المخذول فانه قال ماعلمت لكم من اله غيرى ثم أظهر حاجته الى هامان وأثبت لموسى الها وأخبر انه غير متيقن بكذبه وكان تحصل من عصا موسى عليه السلام فلبس وقال لعلى أطلع الى اله موسى روى

وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء ﴿ انه لايفلح الظالمون ﴾ لايفوزون بالهدى فى الدنيا وحسن العاقبة فى العقبى ﴿ وقال فرعون ياايها الملأ ماعلمت لكم من آله غيرى ﴾ نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده مايقتضى الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله ﴿ فاوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى ﴾ كأنه توهم انه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه ثم قال ﴿ وانى لأظنه من الكاذبين ﴾ أو اراد ان يبنى له رصد يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها مايدل على بعثة رسول وتبدل دولته وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كقوله أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق

الآخرة ﴿ انه لايفلح الظالمون ﴾ أى الكافرون ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى ﴾ فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته ﴿ فاوقد لى ياهامان على الطين ﴾ أى اطبخ لى الآجر قيل انه أول من اتخذ آجرا وبنى به ﴿ فاجعل لى صرحا ﴾ أى قصرا عاليا وقيل منارة قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق وأراد الله ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعده راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه على عسكره فقتلت منهم ألف ألف رجل ووقعت قطعة منه فى البحر وقطعة فى المغرب فلم يبق أحد عمل شيأ فيه الا هلك فذلك قوله ﴿ لعلى أطلع الى اله موسى ﴾ أى أنظر اليه وأقف على حاله ﴿ وانى لأظنه ﴾ يعنى موسى ﴿ من الكاذبين ﴾ أى فى زعمه ان للارض والخلق الها

(انه لايفلح) لايأمن ولاينجو (الظالمون) المشركون من عذاب الله (وقال فرعون ياأيها الملأ) يارجال أهل مصر (ماعلمت لكم) ما عرفت لكم (من اله) الها (غيرى) فلا تطيعوا موسى (فاوقد لى) أى النار (ياهامان على الطين) فاطبخ لى ياهامان من الطين آجرا (فاجعل لى صرحا) قصرا (لعلى أطلع) أصعد وانظر (الى اله موسى) الذى يزعم انه فى السماء وأرسله الى (وانى لأظنه من الكاذبين) ليس فى السماء من

مدنى (يصدقنى) عاصم وحمزة صفة أى ردأ مصدقالى وغيرهما بالجزم جواب لارسله و معنى تصديقه موسى اعانته اياه بزيادة البيان فى مظان الجدال ان احتاج اليه ليثبت دعواه لاان يقول له صدقت ألا ترى الى قوله هوأفصح منى لسانا فارسله وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان لالقوله صدقت فسحبان وباقل فيه يستويان (انى أخاف أن يكذبون) يكذبونى فى الحالين يعقوب (قال سنشد عضدك باخيك) سنقويك به اذ اليد تشتد بشدة العضد لانه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور (ونجعل لكما سلطانا)

﴿ يصدقنى ﴾ بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة ﴿ انى اخاف ان يكذبون ﴾ ولسانى لايطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى بالرفع على انه صفة والجواب محذوف ﴿ قال سنشد عضدك باخيك ﴾ سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ﴿ ونجعل لكما سلطانا ﴾ غلبة أو حجة ﴿ فلايصلون اليكما ﴾ باستيلاء أو حجاج ﴿ بآياتنا ﴾ متعلق بمحذوف أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل أى نسلطكما بها أو بمعنى لايصلون اى تمتنعون منهم أو قسم جوابه لايصلون أو بيان للغالبون فى قوله ﴿ انتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ بمعنى انه صلة لما بينه أو صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر مفترى ﴾ سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله أو سحر تعمله ثم تفتريه على الله اوسحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر ﴿ وماسمعنا بهذا ﴾ يعنون السحر أو ادعاء النبوة ﴿ فى آبائنا الاولين ﴾ كائنا فى ايامهم ﴿ وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ﴾ فيعلم انى محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال ما قاله جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فتميز صحيحهما من الفاسد ﴿ ومن تكون له عاقبة الدار ﴾ العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا

أى عونا ﴿ يصدقنى ﴾ يعنى فرعون وقيل تصديق هرون هوان يلخص الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد ﴿ انى اخاف ان يكذبون ﴾ يعنى فرعون وقومه ﴿ قال سنشد عضدك باخيك ﴾ أى سنقويك به وكان هرون بمصر ﴿ ونجعل لكما سلطانا ﴾ أى حجة وبرهانا ﴿ فلايصلون اليكما ﴾ أى بقتل ولا سوء ﴿ بآياتنا ﴾ قيل معناه نعطيكما من المعجزات فلايصلون اليكما ﴿ أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ أى لكما و لاتباعكما الغلبة على فرعون وقومه ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات ﴾ أى واضحات ﴿ قالوا ماهذا الا سحر مفترى ﴾ أى مختلق ﴿ وماسمعنا بهذا ﴾ أى بالذى تدعونا اليه ﴿ فى آبائنا الاولين وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ﴾ أى انه يعلم المحق من المبطل ﴿ ومن تكون له عاقبة الدار ﴾ أى العقبى المحمودة فى الدار

غلبة وتسلطا وهيبة فى قلوب الاعداء (فلايصلون اليكما بآياتنا) الباء تتعلق بيصلون أى لايصلون اليكما بسبب آياتنا وتم الكلام أو فنجعل لكما سلطانا أى نسلطكما بآياتنا أو بمحذوف أى اذهبا بآياتنا أو هو بيان للغالبون لاصلة أو قسم جوابه لايصلون مقدما عليه (أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحات (قالوا ماهذا الا سحر مفترى)أى سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أوسحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (وماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين) حال منصوبة عن هذا أى كائنا فى زمانهم يعنى ماحدثنا بكونه فيهم (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار

(يصدقنى) يعبر عنى كلامى ويصدق قولى (انى أخاف ان يكذبون) بالرسالة (قال) الله (سنشد عضدك) سنقوى ظهرك (باخيك) هرون (ونجعل لكما سلطانا) عذرا وحجة (بآياتنا) مقدم ومؤخر (فلايصلون اليكما) الى قتلكما (أنتما ومن اتبعكما) بالايمان والآيات (الغالبون) على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا) اليد والعصا (بينات) مبينات (قالوا)ياموسى (ماهذا) الذى جئتنا به (الا سحر مفترى) كذب مختلق من تلقاء نفسك (وماسمعنا بهذا) الذى تقول ياموسى (فى آبائنا الاولين) من آبائنا الماضين (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى) بالرسالة والتوحيد (من عنده ومن تكون له عاقبة الدار) الجنة فى الآخرة

واضمم يدك الى صدرك يذهب مابك من فرق أى لاجل الحية عن ابن عباس رضى الله عنهما كل خائف اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى و اتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا ألقيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ماهو غضاضة عليك واظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لان يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه أو أريد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه عند انقلاب العصا حية حتى لايضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومعنى من الرهب من أجل الرهب أى اذا

أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك

فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات ﴿فذانك﴾ اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس ﴿برهانان﴾ حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن ﴿من ربك﴾ مرسلا بهما ﴿الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين﴾ فكانوا احقاء بان يرسل اليهم ﴿قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون﴾ بها ﴿واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردأ﴾ معينا وهو فى الاصل اسم مايعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف

امر يدك وماتراه من شعاعها فادخلها فى جيبك تعد الى حالتها الاولى وقال ابن عباس أمر الله موسى أن يضم يده الى صدره فيذهب عنه مانا له من الخوف عند معاينة الحية وما من خائف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه و قيل المراد من ضم الجناح السكون أى سكن روعك واخفض عليك جناحك لان من شأن الخائف ان يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك يدك واخرجها من كمك لانه تناول العصا ويده فى كمه ﴿فذانك﴾ يعنى العصا واليد البيضاء ﴿برهانان﴾ أى آيتان ﴿من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين﴾ أى خارجين عن الحق ﴿قال رب انى قتلت منهم نفسا﴾ يعنى القبطى ﴿فاخاف ان يقتلون﴾ اى به ﴿واخى هرون هو افصح منى لسانا﴾ أى بيانا وانما قال ذلك للعقدة التى كانت فى لسانه من وضع الجمرة فى فيه ﴿فارسله معى ردأ﴾

من أجل الرهب الذى بان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك واسلك يدك فى جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين اذ الغرض فى أحدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء الرهب ومعنى واضمم يدك الى جناحك فى طه أدخل يمناك تحت يسراك (فذانك) مخففا مثنى ذا ومشددا مكى وابو عمرو مثنى ذلك فاحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا (برهانان) حجتان نيرتان بينتان وسميت الحجة برهانا لانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة (من ربك الى فرعون وملئه) أى ارسلناك الى فرعون (أى) وملئه بهاتين الآيتين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون) به بغير ياء وبالياء يعقوب (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فارسله معى) حفص (ردأ) حال أى عونا يقال ردأته أعنته و بالاهمز

الناس (فذانك برهانان) فهاتان حجتان (من ربك الى فرعون وملئه) قومه (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين مفسدين فى شركهم (قال) موسى (رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف أن يقتلون) بدلها (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا) أبين منى كلاما وكان على لسان موسى رتة (فارسله معى ردأ) معينا

ن ياموسى) أن مفسرة أو مخففة من الثقيلة (انى أناالله رب العالمين) قال جعفر أبصر نارادلته على الانوار لانه
ى النور فى هيئة النار فلما دنا منها شملته أنوار القدس واحاطت به جلابيب الانس فخوطب بالطف خطاب واستدعى
ه أحسن جواب فصار بذلك مكلما شريفا أعطى ماسأل وأمن مما خاف والجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن فعاصم
ح الجيم وحمزة وخلف بضمها وغيرهم بكسرها العود الغليظ كانت فى رأسه نار أولم تكن ومن الاولى والثانية
بتداء الغاية أى أتاه النداء من شاطئ ومن الشجرة بدل من شاطئ

بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ﴿ ان ياموسى ﴾ اى ياموسى ﴿ انى اناالله رب العالمين ﴾ هذا وان خالف مافى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود ﴿ وان الق عصاك فلما رآها تهتز ﴾ فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز ﴿ كأنها جان ﴾ فى الهيئة والجثة أوفى السرعة ﴿ ولى مدبرا ﴾ منهزما من الخوف ﴿ ولم يعقب ﴾ ولم يرجع ﴿ ياموسى ﴾ نودى ياموسى ﴿ اقبل ولاتخف انك من الآمنين ﴾ من المخاوف فانه لايخاف لدى المرسلون ﴿ اسلك يدك فى جيبك ﴾ أدخلها ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ عيب ﴿ واضمم اليك جناحك ﴾ يديك المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بادخالهما فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما اليه ﴿ من الرهب ﴾ من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف

سمرة خضراء ترف وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن عباس انها العناب ﴿ أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين ﴾ قيل ان موسى لما رأى النار فى الشجرة الخضراء علم أنه لايقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله تعالى فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق فى نفس موسى علما ضروريا بان المتكلم هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله تعالى وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداء الله قال انى سمعته بجميع اجزائى فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لايقدر عليه أحد الا الله تعالى ﴿ وأن ألق عصاك ﴾ أى فالقاها ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ أى تتحرك ﴿ كأنها جان ﴾ هى الحية الصغيرة والمعنى انها فى سرعة حركتها كالحية السريعة الحركة ﴿ ولى مدبرا ﴾ أى هاربا منها ﴿ ولم يعقب ﴾ أى ولم يرجع قال وهب انها لم تدع شجرة ولا صخرة الابلعتها حتى ان موسى سمع صرير أسنانها وقعقعة الشجر والصخر فى جوفها فحينئذ ولى مدبرا ولم يعقب فنودى عند ذلك ﴿ ياموسى أقبل ولاتخف انك من الآمنين ﴾ * قوله عز وجل ﴿ اسلك يدك ﴾ أى أدخل يدك ﴿ فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ أى برص والمعنى انه أدخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس ﴿ واضمم اليك جناحك من الرهب ﴾ اى من الخوف والمعنى اذا هالك

الوادى بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ أى الجانب (وان ألق عصاك) ونودى ان ألق عصاك فالقاها فقلبها الله ثعبانا (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية فى سعيها وهى ثعبان فى جثتها (ولى مدبرا ولم يعقب) يرجع فقيل له (ياموسى أقبل ولاتخف انك من الآمنين) أى أمنت من أن ينالك مكروه من الحية (اسلك) أدخل (يدك فى جيبك) جيب قميصك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس (من غير سوء) برص (واضمم اليك جناحك من الرهب) حجازى بفتحتين وبصرى الرهب حفص الرهب غيرهم ومعنى الكل الخوف والمعنى

من نحو الشجرة (أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين) سيد الجن والانس (وان ألق عصاك) من يدك (فلما

رآها) بعدما ألقاها (تهتز) تتحرك رافعة رأسها (كأنها جان) حية لاصغيرة ولا كبيرة (ولى مدبرا) هاربا منها (ولم يعقب) ولم يلتفت اليها قال الله (ياموسى أقبل) اليها (ولاتخف) منها (انك من الآمنين) من شرها فاخذها موسى فاذاهى عصا كما كانت قال الله له (اسلك) أدخل (يدك فى جيبك) فى ابطك ياموسى (تخرج بيضاء) لها ضوء كضوء الشمس (من غير سوء) من غير برص (واضمم اليك جناحك) أدخل يدك فى ابطك بعد ذلك (من الرهب) من الفرق اذا أرهبت بها

شاهد حنظ ﴿ فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله ﴾ بامرأته روى انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا آخر ثم عزم على الرجوع ﴿ آنس من جانب الطور نارا ﴾ ابصر من الجهة التي تلي الطور ﴿ قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر ﴾ بخبر الطريق ﴿ أو جذوة ﴾ عود غليظ سواء كانت فى رأسه نار اولم تكن قال كثير

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ... جزل الجذى غير خوار ولا دعر

والقى على قيس من النار جذوة ... شديدا عليها حرها والتهابها

ولذلك بينه بقوله ﴿ من النار ﴾ وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ تستدفئون بها ﴿ فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن ﴾ اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى ﴿ فى البقعة المباركة ﴾ متصل بالشاطئ او صلة لنودى ﴿ من الشجرة ﴾ بدل من شاطئ

اوفاهما وقال وهب انكحه الكبرى وروى شداد بن اوس مرفوعا بكى شعيب النبى صلى الله عليه وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له ماهذا البكاء أشوقا الى الجنة أم خوفا من النار فقال لايارب ولكن شوقا الى لقائك فأوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيألك لقائى ياشعيب لذلك اخدمتك كليمى موسى ولما تعاقدا هذا العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطى موسى عصاه يدفع بها السباع عن غنمه قيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها الانبياء وكان لا يأخذها غير نبى الا اكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم شعيب اليه ابنته فقال لها موسى اطلبى من أبيك أن يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك فقال لكما كل ماولدت هذا العام على غير شيتها وقيل ان شعيبا أراد ان يجازى موسى على حسن رعيه اكراما له وصلة لابنته فقال له انى قد وهبت لك من ولد أغنامى كل أبلق وبلقاء فى هذه السنة فاوحى الله تعالى الى موسى فى النوم ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام منه ففعل ذلك فما أخطأت واحدة الا وضعت حملها مابين أبلق وبلقاء فعلم شعيب ان هذا رزق ساقه الله الى موسى وامرأته فوفى له بشرطه وأعطاه الاغنام * قوله عز وجل ﴿ فلما قضى موسى الاجل ﴾ أى أتمه وفرغ منه ﴿ وسار بأهله ﴾ قيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشر سنين أخرى ثم استأذنه فى العود الى مصر فأذن له فسار باهله أى بزوجته قاصدا الى مصر ﴿ آنس ﴾ أى أبصر ﴿ من جانب الطور نارا ﴾ وذلك انه كان فى البرية فى ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق ﴿ قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر ﴾ أى عن الطريق لانه كان قد أخطأ الطريق ﴿ أو جذوة من النار ﴾ أى قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذى اشتعل بعضه ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ أى تستدفئون ﴿ فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن ﴾ يعنى من جانب الوادى الذى عن يمين موسى ﴿ فى البقعة المباركة ﴾ جعلها الله مباركة لان الله تعالى كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة ﴿ من الشجرة ﴾ أى من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت

[illegible] (وسار بأهله) نحو مصر [illegible] اجل [illegible] وجنة ودنا أيام الزلفة وظهرت أنوار النبوة سار باهله ليشتركوا معه فى لطائف صنع ربه (آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) عن الطريق لانه قد ضل الطريق (أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) بالنسبة الى موسى (فى البقعة المباركة) بتكليم الله تعالى فيها (من الشجرة) لعناب أو العوسج

(فلما قضى موسى الاجل) عشر سنين (وسار بأهله) نحو مصر (آنس من جانب الطور نارا) رأى عن يسار الطريق نارا (قال لأهله امكثوا) انزلوا ههنا (انى آنست) رأيت (نارا لعلى آتيكم منها) من عند النار (بخبر) عن الطريق وقد كان تحير فى الطريق (أو جذوة) قطعة (من النار لعلكم تصطلون) لكى تدفؤا بها وكانوا فى شدة من الشتاء (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) عن يمين موسى (فى البقعة المباركة) بالماء والشجر (من الشجرة)

الاجلين وحتيقة قولهم شققت عليك وشق عليه الامر أن الامر اذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقـول تارة أطيقه وطورا لا أطيقه (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) فى حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز أن يراد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراطه مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لانه ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ذلك (قال) موسى (ذلك) مبتدأ وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب والخبر (بينى وبينك) يعنى ذلك الذى قلته وعاهدتنى فيه وشارطتنى عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا فيما شرطت على ولا انت فيما شرطت على نفسك ثم قال (ايما الاجلين قضيت) أى أى اجل قضيت من الاجلين يعنى العشرة او الثمانية واى نصب بقضيت وما زائدة مؤكدة لابهام اى وهى شرطية وجوابها ﴿٥٦١﴾ (فلا عدوان على) اى لا ﴿سورة القصص﴾ يعتدى على فى طلب الزيادة

عليه قال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه فى ايهما ولكن جمعهما ليجعل الاقل كالاتم فى الوفاء وكما ان طلب الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل (والله على ما نقول وكيل) هو من وكل اليه الامر وعدى بعلى لانه استعمل فى موضع الشاهد والرقيب روى ان شعيبا كانت عنده عصى الانبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع فى يده الا هى سبع مرات فعلم ان له شأنا ولما اصبح قال له

شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ (قا و خا ٧١ بع) على يمينك فان الكلأ وان كان بها أكثر الا ان فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا التنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا وقال له انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل أدرع ودرعاء فاوحى اليه فى المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن أدرع ودرعاء فوفى له

فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك فى اطاقته ورأيك فى مزاولته ﴿ستجدنى ان شاء الله من الصالحين﴾ فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة ﴿قال ذلك بينى وبينك﴾ اى ذلك الذى عاهدتنى فيه قائم بيننا لا نخرج عنه ﴿ايما الاجلين﴾ اطولهما أو اقصرهما ﴿قضيت﴾ وفيتك اياه ﴿فلا عدوان على﴾ فلا يعتدى على بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثمانى أو فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم على وهو ابلغ فى اثبات الخيرة وتساوى الاجلين فى القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان على * وقرئ ايما كقوله

تنظرت نصرا والسماكين ايما * على من الغيث استهلت مواطره

واى الاجلين ما قضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل أى أى الاجلين جردت عزمى لقضائه وقرئ عدوان بالكسر ﴿والله على ما نقول﴾ من المشارطة ﴿وكيل﴾

الا ان تتبرع ﴿ستجدنى ان شاء الله من الصالحين﴾ أى فى حسن الصحبة والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب وانما قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته ﴿قال﴾ يعنى موسى ﴿ذلك بينى وبينك﴾ أى ما شرطت على فلك وما شرطت من تزويج احداهما فلى والامر بيننا على ذلك ﴿أيما الاجلين قضيت﴾ أى أى الاجلين أتممت وفرغت منه الثمانية أو العشرة ﴿فلا عدوان على﴾ أى لا ظلم على بان أطالب باكثر منه ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ قال ابن عباس شهيد بينى وبينك (خ) عن سعيد بن جبير قال سألنى يهودى من أهل الحيرة أى الاجلين قضى موسى قلت لا أدرى حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى اكثرهما واطيبهما لان رسول الله اذا قال فعل وروى عن ابى ذر مرفوعا اذا سئلت اى الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وابرهما واذا سئلت اى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهى التى جاءت فقالت يا ابت استأجره فتزوج صغراهما وقضى

(ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) بالوفاء (قال) موسى (ذلك) الشرط (بينى وبينك أيما الاجلين قضيت) الثمان أو العشر (فلا عدوان على) فلا سبيل لك على (والله على ما نقول) من الشرط والوفاء (وكيل) شهيد

من الاجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع وأما أخذ الاجر على البر والمعروف فقيل انه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام على انه روى انها لما قالت ليجزيك كره ذلك وانما أجابها لئلا يخيب قصدها لان للقاصد حرمة ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب ألست جائعا قال بلى ولكن أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وانا أهل بيت لا نبيع دنيانا بالدنيا ولا نأخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فأكل (قالت احداهما يا أبت استأجره) اتخذه أجيرا لرعى الغنم روى ان أكبرهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هى التى ذهبت به و طلبت الى أبيها أن يستاجره وهى التى تزوجها (ان خير من استأجرت القوى الامين) فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت نزع الدلو وأمرها بالمشى خلفه وورود الفعل بلفظ الماضى للدلالة على ان أمانته وقوته أمر ان متحققان وقولها ان خير من استأجرت القوى الامين كلام جامع لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان أن الكفاية والامانة فى القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقيل القوى فى دينه الامين فى جوارحه وقد استغنت بهذا الكلام الجارى مجرى المثل عن ان تقول استأجره لقوته وأمانته وعن ابن مسعود رضى الله عنه أفرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر فى عمر (قال انى أريد أن أنكحك) أزوجك (احدى ابنتى هاتين) قوله هاتين يدل على انه كان له غيرهما وهذه مواعدة منه ولم يكن ذلك عقد نكاح اذ لو كان عقدا لقال قد أنكحتك (على أن تأجرنى) تكون أجيرا لى من أجرته اذا كنت له أجيرا (ثمانى حجج) ظرف والحجة السنة وجمعها حجج والتزوج على رعى الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بامر الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة (فان أتممت عشرا) أى عمل عشر حجج (فمن عندك) فذاك تفضل منك ليس بواجب عليك أو فاتمامه من عندك ولا أحتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع (وما أريد أن أشق عليك) بالزام

﴿قالت احداهما﴾ يعنى التى استدعته ﴿يا ابت استأجره﴾ لرعى الغنم ﴿ان خير من استأجرت القوى الامين﴾ تعليل جامع يجرى مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انه امين مجرب معروف وروى ان شعيبا قال لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه ﴿قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى﴾ على ان تأجر نفسك منى او تكون لى اجيرا او تثيبنى من اجرك الله ﴿ثمانى حجج﴾ ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اى رعية ثمانى حجج ﴿فان اتممت عشرا﴾ عملت عشر حجج ﴿فمن عندك﴾ فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندى الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على اجرة معينة وبمهر آخر او برعية الاجل الاول ووعدله ان يوفى الاخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع فى ذلك ﴿وما اريد ان اشق عليك﴾ بالزام اتمام العشر او المناقشة

... فرعون و قومه وانما قال ذلك لانه لم يكن لفرعون سلطان على مدين ﴿قالت احداهما يا أبت استأجره﴾ أى اتخذه أجيرا ليرعى أغنامنا ﴿ان خير من استأجرت القوى الامين﴾ يعنى ان خير من استعملت من قوى على العمل وأدى الامانة فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأمانته قالت اما قوته فانه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه الا عشرة وقيل أربعون رجلا وأما أمانته فانه قال لى امشى خلفى حتى لا تصف الريح بدنك ﴿قال﴾ شعيب عند ذلك ﴿انى أريد أن أنكحك﴾ اى أزوجك ﴿احدى ابنتى هاتين﴾ قيل زوجه الكبرى وقال الاكثرون انه زوجه الصغرى منهما واسمها صفوراء وهى التى ذهبت فى طلب موسى ﴿على أن تأجرنى ثمانى حجج﴾ أى تكون لى أجيرا ثمان سنين ﴿فان أتممت عشرا فمن عندك﴾ أى فان أتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ أى الزمك تمام العشر

(قالت احداهما) وهى الصغرى (يا أبت استأجره) ان خير من استأجرت) من الاجراء هو (القوى) على الحمل الثقيل (الامين) على الامانة ثم (قال) يثرون لموسى (انى أريد أن أنكحك) ازوجك يا موسى (احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى) تعمل لى فى غنمى (ثمانى حجج) ثمانى سنين (فان أتممت عشرا) عشر سنين (فمن عندك) الزيادة (وما أريد ان أشق عليك) فى الزيادة

سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة أيام وقد لصق بظهره بطنه ويحتمل ان يريد انى فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الى من خير الدارين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون فى ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السنى وفرحا به وشكرا له وقال ابن عطاء نظر من العبودية الى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من الانوار (فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا) على استحياء فى موضع الحال أى مستحيية وهذا دليل كمال ايمانها وشرف عنصرها لانها كانت تدعوه الى ضيافتها ولم تعلم أيجيبها أم لا فاتته مستحيية قد استترت بكم درعها وما فى ماسقيت مصدرية أى جزاء سقيك روى انهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى فتبعها موسى عليه السلام فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق (فلما جاءه وقص عليه القصص) أى قصته وأحواله مع فرعون والقصص مصدر كالعلل سمى به المقصوص (قال) له (لاتخف نجوت من القوم الظالمين) اذ لا سلطان لفرعون بارضنا وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا أو أنثى والمشى

سائل ولذلك عدى باللام وقيل معناه انى لما أنزلت الى من خير الدين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك ﴿فجاءته احداهما تمشى على استحياء﴾ اى مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صفراء وهى التى تزوجها موسى ﴿قالت ان ابى يدعوك ليجزيك﴾ ليكافئك ﴿اجر ما سقيت لنا﴾ جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا فى الاجر بل روى انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لانبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذا عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدى بشئ لم يحرم اخذه ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين﴾ يريد فرعون وقومه

لقد قال موسى رب انى لما أنزلت الى من خير فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة وقيل ماسأل الا الخبز فلما رجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه الى قال الله تعالى ﴿فجاءته احداهما تمشى على استحياء﴾ قيل هى الكبرى واسمها صفوراء وقيل صفراء وقيل بل هى الصغرى واسمها ليا وقيل صفيراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء وقيل استحيت منه لانها دعته لتكافئه وقيل لانها رسول أبيها ﴿قالت ان ابى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا﴾ قيل لما سمع موسى ذلك كره أن يذهب معها ولكن كان جائعا فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق اذا أخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشاء مهيأ فقال اجلس يافتى فتعش فقال موسى أعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك ألست بجائع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا أهل بيت لانطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يافتى ولكنها عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس وأكل فذلك قوله عز وجل ﴿فلما جاءه﴾ أى موسى ﴿وقص عليه القصص﴾ أى أخبره بامره أجمع من ولادته وقتله القبطى وقصد فرعون قتله ﴿قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين﴾ يعنى

محتاج (فجاءته احداهما) وهى الصغرى واسمها صفورا (تمشى على استحياء) معترضة زافعة كمها على وجهها كمشى العذارى واضعة يدها على وجهها (قالت ان أبى يدعوك ليجزيك) ليعطيك (أجر ماسقيت لنا) عوض ماسقيت لنا غنمنا (فلما جاءه) موسى الى أبيها يثرون بن أخى شعيب وقد مات شعيب قبل ذلك (وقص عليه) على يثرون (القصص) فراره من فرعون وغير ذلك (قال) له يثرون (لاتخف نجوت من القوم الظالمين) أهل مصر

(قال ماخطبكما) ماشأنكما وحقيقته ماخطوبكما اى مامطلوبكما من الذيادة فسمى المخطوب خطبا (قالتا لانسقى) غنمنا (حتى يصدر الرعاء) مواشيهم [illegible] يصدر شامى ويزيد وأبو عمرو أى يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام (وأبونا شيخ) لايمكنه [illegible] وفى السن لايقدر على رعى الغنم أبدتا اليه عذرهما فى توليهما السقى بانفسهما (فسقى لهما) فسقى غنمهما لاجلهما رغبة فى المعروف واغاثة الملهوف روى انه نحى القوم عن رأس البئر وسألهم دلوا فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا

أربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وترك المفعول فى يسقون وتذودان ولانسقى فسقى لان الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقى ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذا فى لانسقى وفسقى فالمقصود هو السقى لا المسقى ووجه مطابقة جوابهما سؤاله انه سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب فى ذلك انا امرأتان مستورتان ضعيفتان لانقدر على مزاحمة الرجال ونستحى من الاختلاط بهم فلابد لنا من تأخير السقى الى ان يفرغوا وانما رضى شعيب عليه السلام لابنتيه بسقى الماشية لان هذا الامر فى نفسه ليس بمحظور والدين لاياباه وأما المروءة فعادات الناس فى ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة (ثم تولى الى الظل) أى ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة فى الدنيا (لقد) بخلاف مايقوله بعض المتقشفة ولما طال البلاء عليه انس بالشكوى اذ لانقص فى الشكوى الى المولى (فقال رب انى لما) لاى شئ (أنزلت الى من خير) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) محتاج وعدى فقير باللام لانه ضمن معنى

لئلا تختلط باغنامهم ﴿قال ماخطبكما﴾ ماشأنكما تذودان ﴿قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء﴾ يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا من مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان مايدل على عفتهما ويدعوه الى السقى لهما ثم دونه ٭ وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اى ينصرف ٭ وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال ﴿وابونا شيخ كبير﴾ كبير السن لايستطيع ان يخرج للسقى فيرسلنا اضطرارا ﴿فسقى لهما﴾ مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لايقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ماكان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ﴿ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما انزلت الى﴾ لاى شئ انزلت الى ﴿من خير﴾ قليل او كثير [illegible] الاكثرون على الطعام ﴿فقير﴾ محتاج

وتخلو لهما البئر وقيل تكفان الغنم عن أن تختلط باغنام الناس وقيل تمنعان أغنامهما عن ان تند وتذهب والقول الاول أولى لما بعده وهو قوله ﴿قال﴾ يعنى موسى للمرأتين ﴿ماخطبكما﴾ أى ماشأنكما لاتسقيان مواشيكما مع الناس ﴿قالتا لانسقى﴾ أى أغنامنا ﴿حتى يصدر الرعاء﴾ أى حتى يرجع الرعاء عن الماء والمعنى انا امرأتان لانستطيع أن نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا نحن مواشينا من فضل مابقى منهم فى الحوض ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ أى لايقدر أن يسقى مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقى الغنم قيل أبوهما هو شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو بيرون ابن أخى شعيب وكان شعيب قد مات بعدما كف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع صخرة من على رأس بئر أخرى كانت بقربهما لايطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقى غطوا رأس البئر بحجر لايرفعه الا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرويت فذلك قوله تعالى ﴿فسقى لهما ثم تولى الى الظل﴾ أى عدل الى أصل شجرة فجلس فى ظلها من شدة الحر وهو جائع ﴿فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير﴾ معناه انه طلب الطعام لجوعه وحاجته [illegible] ابن عباس ان موسى [illegible] عن ابن عباس قال

(قال) لهما موسى (ماخطبكما) مابالكما لاتسقيان غنمكما (قالتا لانسقى) لانقدر أن نسقى غنمنا (حتى يصدر الرعاء) حتى يفرغ القوم ثم نسقى (وأبونا شيخ كبير) ليس له أحد يعينه غيرنا (فسقى لهما) فسقى موسى غنمهما وذهبتا الى أبيهما فاخبرتا أباهما عن خبر موسى (ثم تولى) موسى (الى الظل) ظل الشجرة ويقال ظل حائط ويقال ان (فقال) موسى (رب انى لما أنزلت الى) ماقدرت لى (من خير) من طعام (فقير)

أو يتشاورون بسببك والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر (فاخرج) من المدينة (انى لك من الناصحين) لك بيان وليس بصلة الناصحين لان الصلة لاتتقدم على الموصول كانه قال انى من الناصحين ثم أراد أن يبين فقال لك كما يقال سقيا لك ومرحبا لك (فخرج) موسى (منها) من المدينة (خائفا يترقب) التعرض له فى الطريق أو ان يلحقه من يقتله (قال رب نجنى من القوم الظالمين) أى قوم فرعون (ولما توجه تلقاء مدين) نحوها … … تلقاء الشيء … ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن فى سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية … ابن عباس رضى الله عنهما خرج ولم يكن له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) أى وسطه ومعظم نهجه فجاءه ملك فانطلق به الى مدين (ولما ورد) وصل (ماء مدين) ماءهم الذى يستقون منه وكان بئرا (وجد عليه) على جانب البئر (أمة) جماعة كثيرة (من الناس) من أناس مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) فى مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) تطردان غنمهما عن الماء لان على الماء من هو أقوى منهما فلا تتمكنان من السقى أو لئلا تختلط أغنامهما باغنامهم والذود الطرد والدفع

من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر ﴿فاخرج انى لك من الناصحين﴾ اللام للبيان و… … الناصحين … … … على الموصول ﴿فخرج منها﴾ من المدينة ﴿خائفا يترقب﴾ لحوق طالب ﴿قال رب نجنى من القوم الظالمين﴾ خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ قبالة مدين قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة … ﴿قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل﴾ توكلا على الله وحسن ظن به وكان لايعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فأخذ فى اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا فى الآخرين ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها ﴿وجد عليه﴾ وجد فوق شفيرها ﴿امة من الناس﴾ جماعة كثيرة مختلفين ﴿يسقون﴾ مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ فى مكان اسفل من مكانهم ﴿امرأتين تذودان﴾ تمنعان اغنامهما من الماء لئلا

﴿فاخرج﴾ أى من المدينة ﴿انى لك من الناصحين﴾ أى فى الامر بالخروج ﴿فخرج منها﴾ يعنى موسى ﴿خائفا﴾ على نفسه من آل فرعون ﴿يترقب﴾ أى ينتظر الطلب هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ الى الله تعالى لعلمه انه لاملجأ الا اليه ﴿قال رب نجنى من القوم الظالمين﴾ أى الكافرين ✽ قوله تعالى ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أى قصد نحوها ماضيا اليها قيل لانه وقع فى نفسه ان بينهم وبينه قرابة لان اهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية ايام قيل خرج موسى خائفا بلا ظهر ولا زاد ولا أحد ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى رأى خضرته فى بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله لموسى ﴿قال﴾ يعنى موسى ﴿عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل﴾ أى قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها قيل لما دعى موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين ✽ قوله عز وجل ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم ﴿وجد عليه﴾ أى على الماء ﴿أمة﴾ أى جماعة ﴿من الناس يسقون﴾ أى مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ أى سوى الجماعة وقيل بعيدا من الجماعة ﴿امرأتين تذودان﴾ أى تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس

فاخرج) من المدينة (انى لك من الناصحين) من المشفقين (فخرج) موسى (منها) من المدينة خائفا يترقب ينتظر ويلتفت متى يلحق ويؤخذ به (قال) عند ذلك (رب نجنى من القوم الظالمين) أهل مصر (ولما توجه تلقاء مدين) سار نحو مدين خاف أن يخطئ الطريق (قال عسى) لعل (ربى أن يهدينى) أن يرشدنى (سواء السبيل) قصد الطريق نحو مدين (ولما ورد) بلغ (ماء مدين) وهو بئر (وجد عليه) على الماء (أمة) جماعة (من … يسقون) غنمهم (ووجد من دونهم) من ورائهم (امرأتين تذودان) تحبسان غنمهما عن الماء من ضعفهما حتى يفرغ …

ضال عن الرشد ظاهر الغي فقد قاتلت بالامس رجلا فقتلته بسببك والرشد في التدبير أن لا يفعل فعلا يفضي الى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصرته (فلما أن أراد) موسى (أن يبطش بالذي) بالقبطي الذي (هو عدو لهما) لموسى وللاسرائيلي لانه ليس على دينهما أولان القبط كانوا أعداء بني اسرائيل (قال) الاسرائيلي لموسى عليه السلام وتوهم انه أراد أخذه لا أخذ القبطي اذ قال له انك لغوي مبين (ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا) يعني القبطي (بالامس ان تريد) ما تريد (الا أن تكون جبارا) أي ﴿الجزء العشرون﴾ الا بالغضب ﴿٦٠٥﴾ (في الارض) أرض مصر (وما تريد أن تكون من المصلحين)

ولكن خفي قتله فلما أفشى على موسى عليه السلام علم القبطي أن قاتله موسى فأخبر فرعون فهموا بقتله (وجاء رجل من أقصى المدينة) هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون (يسعى) صفة لرجل

وصف بقوله من أقصى المدينة (قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) أي يأمر بعضهم بعضا بقتلك

(الآن تكون جبارا) قتالا (في الارض) في أرض مصر (وما تريد أن تكون من المصلحين) من المتورعين (فخرج) الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر (وجاء رجل) وهو حزقيل (من أقصى المدينة) من أسفل المدينة ويقال من وسط المدينة (يسعى) يسرع ويشتد في مشيه (قال ياموسى ان الملأ) أولياء المقتول (يأتمرون بك) تتشاورون عليك (ليقتلوك)

آخر ﴿ فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ﴾ لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما أولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل ﴿ قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ﴾ قاله الاسرائيلي لانه سماه غويا فظن أنه يبطش به والقبطي وكأنه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ﴿ ان تريد ﴾ ما تريد ﴿ الا أن تكون جبارا في الارض ﴾ تطاول على الناس ولا تنظر العواقب ﴿ وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال ﴿ وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى ﴾ يسرع صفة لرجل أو حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لاصلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف ﴿ قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾ يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا

رجلا بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه ﴿ فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ﴾ وذلك ان موسى أخذته الغيرة والرقة للاسرائيلي فمد يده ليبطش بالقبطي فظن الاسرائيلي انه يريد أن يبطش به لما رأى من غضب موسى وسمع قوله انك لغوي مبين ﴿ قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ﴾ معناه انه لم يكن علم أحد من قوم فرعون ان موسى هو الذي قتل القبطي حتى أفشى عليه الاسرائيلي ذلك فسمعه القبطي فأتى فرعون فأخبره بذلك ﴿ ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض ﴾ أي بالقتل ظلما وقيل الجبار هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب وقيل هو الذي يتعاظم ولا يتواضع لامر الله تعالى ﴿ وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ [illegible] قتل القبطي أمر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال انه مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ أي يسرع في مشيه وأخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى وأخبره وأنذره بما سمع ﴿ قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ﴾ أي يتشاورون فيك ﴿ ليقتلوك ﴾ وقيل يأمر بعضهم بعضا بقتلك

الجدال واقبل عليه بالعون (فلما أن أراد أن يبطش ان يأخذ (بالذي هو عدو لهما) القبطي ظن الاسرائيلي انه يريده (قال) أي الاسرائيلي (ياموسى أتريد أن تقتلني) اليوم ([illegible]) قبطيا (بالامس ان تريد) ما تريد

...ن ر انه عـدو مضل مبـين) ظـاهر العداوة (قال رب) يارب (انى ظلمت نفسى) بفعـل صار قتلا (فاغفر لى)
...ى (فغفر له) زلته (انه هو الغفور) باقالة الزلل (الرحيم) بازالة الخجل (قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا) معينا
...للمجرمين) للكافرين ربما أنعمت على قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بانعامك على بالمغفرة لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين
...استعطاف كانه قال رب اعصمنى بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون

فى استعظام محقرات فرطت منهم ﴿ انه عدو مضل مبين ﴾ ظاهر العداوة ﴿ قال رب انى ظلمت نفسى ﴾ بقتله ﴿ فاغفر لى ﴾ ذنبى ﴿ فغفر له ﴾ باستغفاره ﴿ انه هو الغفور ﴾ لذنوب عباده ﴿ الرحيم ﴾ بهم ﴿ قال رب بما انعمت على ﴾ قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك على بالمغفرة وغيرها لأتوبن ﴿ فلن اكون ظهيرا للمجرمين ﴾ او استعطاف اى بحق انعامك على اعصمنى فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه لم يستثن فابتلى به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت على من القوة اعين اوليائك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك ﴿ فاصبح فى المدينة خائفا يترقب ﴾ يترصد الاستقادة ﴿ فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه ﴾ يستغيثه مشتق من الصراخ ﴿ قال له موسى انك لغوى مبين ﴾ مبين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل

انه عدو مضل مبين ﴾ أى بين الضلالة وقيل فى قوله هذا اشارة الى المقتول لا الى عمل نفسه والمعنى ان عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا الله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى المقتول يعنى انه من جند الشيطان وحزبه ﴿ قال رب انى ظلمت نفسى ﴾ أى بقتل القبطى من غير أمر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب * وقوله ﴿ فاغفر لى ﴾ أى ترك هذا المندوب وقيل يحتمل أن يكون المراد رب انى ظلمت نفسى حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلنى به فقال فاغفر لى أى فاستره على ولا توصل خبره الى فرعون ﴿ فغفر له ﴾ أى فستره عن الوصول الى فرعون ﴿ انه هو الغفور الرحيم قال رب بما ﴾ أى بالمغفرة والستر الذى ﴿ أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين ﴾ معناه فانا لا أكون معاونا لاحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على ان الاسرائيلى الذى اعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فابتلى فى اليوم الثانى أى لم يقل فلم أكن ان شاء الله ظهيرا للمجرمين ﴿ فاصبح فى المدينة ﴾ أى التى قتل فيها القبطى ﴿ خائفا يترقب ﴾ أى ينتظر سوأ والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به ﴿ فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه ﴾ أى يستغيث به من بعد قال ابن عباس أتى فرعون فقيل له ان بنى اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينماهم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعونى وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطى ﴿ قال له موسى ﴾ للاسرائيلى ﴿ انك لغوى مبين ﴾ أى ظاهر الغواية قاتلت

...ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه فى جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد (فاصبح فى المدينة خائفا) على نفسه من قتله القبطى أن يؤخذ به (يترقب) حال أى يتوقع المكروه وهو الاستقادة منه أو الاخبار أو ما يقال فيه وقال ابن عطاء خائفا على نفسه يترقب نصرة ربه وفيه دليل على انه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس انه لا يسوغ الخوف من دون الله (فاذا الذى) اذا للمفاجأة وما بعدها مبتدأ (استنصره) أى موسى (بالامس يستصرخه) يستغيثه والمعنى ان الاسرائيلى الذى خلصه موسى استغاث به ثانيا من قبطى آخر (قال له موسى) أى للاسرائيلى (انك لغوى مبين) أى

الشيطان (انه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة وندم

...ى قتله (قال رب انى ظلمت نفسى) بقتل النفس (فاغفر لى) ذنبى تجاوز عنى (فغفر له انه هو الغفور) المتجاوز (الرحيم) لمن تاب (قال
...ب بما أنعمت على) مننت على بالمعرفة والتوحيد والمغفرة (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) فلا تجعلنى عونا للمشركين لفرعون
...ومه (فأصبح) فصار (فى المدينة خائفا) من قتل القبطى (يترقب) ينتظر متى يؤخذ به (فاذا الذى استنصره) استغاث به
...(بالامس) على القبطى (يستصرخه) يستغيثه على آخر من القبط (قال له) للاسرائيلى (موسى انك لغوى مبين) مجادل بين

الاعلى تغفل (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) ممن شايعه على دينه من بنى اسرائيل قيل هو السامرى و

الرجل أتباعه وأنصاره (وهذا من عدوه) من مخالفيه من القبط و

دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه﴾ احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية ﴿فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه﴾ فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه ﴿فوكزه موسى﴾ فضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره ﴿فقضى عليه﴾ فقتله واصله فانهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر ﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾ لانه لم يؤمر بقتل الكفار اولانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم

كان يسمى ابن فرعون وكان يركب فى مراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما جاء قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى فى أثره فادركه المقيل بأرض منف فدخلها وليس فى أطرافها أحد وقيل كان لموسى شيعة من بنى اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ماهو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم فى دينه حتى أنكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لايدخل قرية الاخائفا مستخفيا على حين غفلة من أهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا فى صغره فاراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وأمر باخراجه من مدينته فاخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعنى عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به وعن على انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ أى يتخاصمان ويتنازعان ﴿هذا من شيعته﴾ أى من بنى اسرائيل ﴿وهذا من عدوه﴾ أى من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذى كان من الشيعة هو السامرى والذى من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فاتون وكان القبطى يريد ان يأخذ الاسرائيلى يحمله الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بنى اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من القبط ﴿فاستغاثه الذى من شيعته﴾ يعنى الاسرائيلى ﴿على الذى من عدوه﴾ يعنى الفرعونى والاستغاثة طلب الغوث والمعنى انه سأله أن يخلصه منه وان ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لانه أخذه وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعونى خل سبيله فقال انما أخذته ليحمل الحطب الى مطبخ أبيك فنازعه فقال الفرعونى لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى قد أوتى بسطة فى الخلق وشدة فى القوة ﴿فوكزه موسى﴾ أى ضربه بجمع كفه وقيل الوكز الضرب فى الصدر وقيل الوكز الدفع باطراف الاصابع ﴿فقضى عليه﴾ أى قتله وفرغ من أمره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفنه فى الرمل ﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾

[illegible] وقيل [illegible] غائبين عن جهة [illegible] قال هذا من شيعته [illegible] وهذا من عدوه (فاستغاثه) فاستنصره الذى من شيعته على الذى من عدوه (فوكزه موسى) ضربه بجمع كفه أو باطراف أصابعه (فقضى عليه) فقتله (قال هذا) اشارة الى القتل الحاصل بغير قصد (من عمل الشيطان) وانما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه كان مستأمنا فيهم ولا يحل قتل الكافر الحربى المستأمن أو لانه قتله قبل أن يؤذن له فى القتل وعن ابن جريج ليس لنبى أن يقتل مالم

المغرب (فوجد فيها) فى المدينة (رجلين) اسرائيليا وقبطيا (يقتتلان) يتنازعان ويتجاذبان بينهما (هذا من شيعته) من شيعة موسى الاسرائيلى (وهذا من عدوه) [illegible] القبطى [illegible]

أصابعه وقبض عليها فلكزه لكزة (فقضى عليه) الموت فخر ميتا (قال) موسى (هذا من عمل الشيطان) بأمره (انه)

التم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن
لا أوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها وأجرى عليها وذهبت به الى بيتها وأنجز الله وعده فى الرد فعندها ثبت واستقر فى
علمها انه سيكون نبيا (فرددناه الى أمه كى تقر عينها) بالمقام معه (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم أن وعد الله حق) أى
ليثبت علمها مشاهدة كما علمت خبرا فقوله ولا تحزن معطوف على تقر وأعطاها لها ما كان يعطى من الدنانير كل
يوم كما قال السدى لانه مال حربى لا أنه أجرة على ارضاع ولدها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) هو داخل تحت علمها أى
لتعلم ان وعد الله حق ولكن ﴿٥٢﴾ أكثر الناس {سورة القصص} لا يعلمون انه حق فيرتابون
وبشبه التعريض بما فرط
منها حين سمعت بخبر
[illegible] (ولما
[illegible]) [illegible] موسى
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]) [illegible]
[illegible]
سنة [illegible]
[illegible] اربعين
سنة ([illegible] حكما) نبوة
(وعلما) فقها او علما
بمصالح الدارين (وكذلك
نجزى المحسنين) اى كما
فعلنا بموسى وامه نفعل
بالمؤمنين قال الزجاج جعل
الله تعالى ايتاء العلم والحكمة
مجازاة على الاحسان
لانهما يؤديان الى الجنة
التى هى جزاء المحسنين
والعالم الحكيم من يعمل
بعلمه لانه تعالى قال ولبئس
ما شروا به انفسهم لو كانوا
يعلمون فجعلهم جهالا اذ لم يعملوا بالعلم (قاو خا ٧٠ بع) (ودخل المدينة) اى مصر (على حين غفلة من اهلها) حال من الفاعل اى مختفيا
هو ما بين العشائين او وقت القائلة يعنى انتصاف النهار وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل المدينة

الاقبلى فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت الى بيتها من يومها وهو قوله ﴿ فرددناه
الى امه كى تقر عينها ﴾ بولدها ﴿ ولا تحزن ﴾ بفراقه ﴿ ولتعلم ان وعد الله حق ﴾
علم مشاهدة ﴿ ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾ ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض
الاصلى من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى
يد فرعون ﴿ ولما بلغ اشده ﴾ مبلغه الذى لا يزيد عليه نشوء وذلك من ثلاثين الى اربعين
سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على رأس الاربعين ﴿ واستوى ﴾
قده او عقله ﴿ آتيناه حكما ﴾ اى نبوة ﴿ وعلما ﴾ بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم
قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لان الاستنباء بعد
الهجرة فى المراجعة ﴿ وكذلك ﴾ مثل ذلك الذى فعلنا بموسى وامه ﴿ نجزى المحسنين ﴾
على احسانهم ﴿ ودخل المدينة ﴾ ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل منف
او حابين او عين شمس من نواحيها ﴿ على حين غفلة من اهلها ﴾ فى وقت لا يعتاد

فيها قالوا صدقت فأتينا بها فانطلقت اليها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها
اليهم فلما وجد الصبى ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريا قيل كانوا
يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى ﴿ فرددناه الى أمه كى تقر عينها ﴾ أى برد
موسى اليها ﴿ ولا تحزن ﴾ أى ولئلا تحزن ﴿ ولتعلم ان وعد الله حق ﴾ أى برده اليها
﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ ان الله وعدها أن يرده اليها ﴿ ولما بلغ أشده ﴾
قيل الاشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وقيل الاشد ثلاث وثلاثون سنة ﴿ واستوى ﴾
أى بلغ أربعين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل ﴿ آتيناه حكما وعلما ﴾
أى عقلا وفهما فى الدين فعلم وحكم موسى قبل ان يبعث نبيا ﴿ وكذلك نجزى المحسنين ﴾
﴿ قوله تعالى ﴿ ودخل المدينة ﴾ يعنى موسى والمدينة قيل هى منف من أعمال
مصر وقيل هى قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هى مدينة
عين شمس ﴿ على حين غفلة من أهلها ﴾ قيل هى نصف النهار واشتغال الناس بالقيلولة
وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخوله المدينة فى ذلك الوقت ان موسى

فرددناه الى أمه كى تقر عينها) تطيب نفسها بموسى (ولا تحزن) على موسى (ولتعلم ان وعد الله) فى رده اليها (حق) صدق
ولكن أكثرهم) يعنى أهل مصر (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون (ولما بلغ أشده) ثمانى عشرة سنة (واستوى) خلقه اربعين
سنة (آتيناه) اعطيناه (حكما) فهما (وعلما) نبوة (وكذلك) هكذا (نجزى المحسنين) النبيين بالفهم والنبوة ويقال الصالحين
بالعلم والحكمة (ودخل المدينة على حين غفلة) اشتغال (من أهلها) عند القيلولة ويقال بعد صلاة

من المصدقين بوعدنا وهو انا رادوه اليك وجواب لولا محذوف أى لابدته أو فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون تبناه ان كادت لتبدى بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذى حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لابتبنى فرعون قال يوسف بن الحسين أمرت أم موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها (وقالت لاخته) مريم (قصيه) اتبعى أثره لتعلمى خبره (فبصرت به) {الجزء العشرون} أى أبصرته ﴿٥٥٢﴾ (عن جنب) عن بعد حال من الضمير فى به أو من الضمير فى بصرت (وهم لايشعرون) انها أخته (وحرمنا عليه المراضع) تحريم منع لاتحريم شرع أى منعناه أن يرضع ثديا غير ثدى أمه وكان لايقبل ثدى مرضع حتى أهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدى أو الرضاع (من قبل) من قبل قصها أثره أو من قبل أن ترده على أمه (فقالت) أخته وقد دخلت بين المراضع ورأته لايقبل ثديا (هل أدلكم) أرشدكم (على أهل بيت يكفلونه) أى موسى (لكم وهم له ناصحون) النصح اخلاص العمل من شائبة الفساد روى انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف أهله فخذوها حتى تخبر بقصة هذا الغلام فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فانطلقت الى أمها بامرهم فجاءت (فيها) بها والصبى على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكى يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس

الواثقين بحفظه لابتبنى فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجراء للضمة فى جار الواو مجرى ضمتها فى استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله ﴿ وقالت لاخته ﴾ مريم ﴿ قصيه ﴾ اتبعى اثره وتتبعى خبره ﴿ فبصرت به عن جنب ﴾ عن بعد وقرئ عن جانب وهو بمعناه ﴿ وهم لايشعرون ﴾ انها تقص أو انها اخته ﴿ وحرمنا عليه المراضع ﴾ ومعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه يعنى الثدى ﴿ من قبل ﴾ من قبل قصصها اثره ﴿ فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم ﴾ لاجلكم ﴿ وهم له ناصحون ﴾ لايقصرون فى ارضاعه وتربيته روى ان هامان لما سمعها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تأتى بمن يكفله فأتت بامها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لااوتى بصبى

﴿ وقالت لاخته ﴾ أى لمريم أخت موسى ﴿ قصيه ﴾ أى اتبعى أثره حتى تعطى خبره ﴿ فبصرت به عن جنب ﴾ أى عن بعد قيل كانت تمشى جانبا وتنظره اختلاسا ترى انها لاتنظره ﴿ وهم لايشعرون ﴾ انها أخته وانها ترقبه ﴿ وحرمنا عليه المراضع ﴾ المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لايقبل ثديا قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد من ترضعه كلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها وهم فى طلب من يرضعه لهم ﴿ من قبل ﴾ أى قبل مجئ أم موسى وذلك لما رأته أخت موسى التى أرسلتها أمه فى طلب ذلك ﴿ فقالت ﴾ يعنى أخت موسى ﴿ هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ﴾ أى يضمونه ويرضعونه وهى امرأة قتل ولدها فاحب ماتدعى اليه أن تجد صغيرا ترضعه ﴿ وهم له ناصحون ﴾ أى لايمنعونه ماينفعه من تربيته وغذائه والنصح اخلاص العمل من شوائب الفساد قيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله قالت ماأعرفه ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت انما قلت ذلك رغبة فى سرور الملك واتصالنا به وقيل قالوا من هم قالت أمى قالوا أو لامك ولد قالت نعم هرون وكان هرون ولد فى السنة التى لا يقتل

من المرسلين (وقالت) يعنى أم موسى (لاخته) لاخت موسى تسمى مريم (قصيه) اتبعى أثره (فبصرت به) بالغلام (عن جنب) عن بعد (وهم لايشعرون) لايعلمون انها أخت موسى (وحرمنا عليه) على موسى (المراضع) ألبان النساء (من قبل) من قبل مجئ أمه (فقالت) أخت موسى لآل فرعون (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) يرضعون لكم هذا الغلام (وهم له ناصحون) حافظون بالتربية فدلت على امه

(لاتقتلوه) خاطبته خطاب الملوك أو خاطبت الغواة (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور وبرء البرصاء (او نتخذه ولد) أو نتبناه فانه أهل لان يكون ولدا للملوك (وهم لايشعرون) حال وذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لايشعرون انهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان (وأصبح) وصار (فؤاد أم موسى فارغا) صفرا من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون (ان كادت لتبدي به) لتظهر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وأنه ولدها قيل لما رأت الامواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول واابناه وقيل لما سمعت ان فرعون أخذ التابوت لم تشك انه يقتله فكادت تقول واابناه شفقة عليه وان مخففة من الثقيلة أي انها كادت (لولا أن ربطنا على قلبها) لولا ربطنا على قلبها والربط على القلب تقويته بالهام الصبر (لتكون من المؤمنين)

الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها ﴿ لاتقتلوه ﴾ خطاب بلفظ الجمع للتعظيم ﴿ عسى ان ينفعنا ﴾ فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه ﴿ أو نتخذه ولدا ﴾ أو نتبناه فانه اهل له ﴿ وهم لايشعرون ﴾ حال من الملتقطين أو من القائلة والمقول له اى وهم لايشعرون انهم على الخطأ في التقاطه أو في طمع النفع منه والتبني له أو من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس أى وهم لايشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه ﴿ واصبح فؤاد أم موسى فارغا ﴾ صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اى خلاء لاعقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدر او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ﴿ ان كادت لتبدي به ﴾ انها كادت لتظهر بموسى اى بامره وقصته من فرط الضجرة أو الفرح بتبنيه ﴿ لولا ان ربطنا على قلبها ﴾ بالصبر والثبات ﴿ لتكون من المؤمنين ﴾ من المصدقين بوعد الله أو من

لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لايشعرون ﴾ قال وهب لما نظر اليه فرعون قال عبراني من الاعداء فغاظه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأة فرعون من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت أما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وأنت أمرت أن تذبح الولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقيل انها قالت انه أتانا من أرض أخرى وليس هو من بني اسرائيل فاستحياه فرعون وألقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه ❊ قوله تعالى ﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ﴾ أي خاليا من كل شئ الا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسيا للوحي الذي أوحى الله عز وجل اليها حين أمرها أن تلقيه في اليم ولاتخاف ولاتحزن والعهد الذي عهد اليها أن يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله وألقيته في البحر وأغرقته ولما أتاها الخبر بان فرعون أصابه في النيل قالت انه قد وقع في يد عدوه الذي فررت منه فانساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها ﴿ ان كادت لتبدي به ﴾ أي لتصرح بانه ابنها من شدة وجدها قال ابن عباس كادت تقول واابناه وقيل لما رأت التابوت ترفعه موجة وتحطه أخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شدة شفقتها عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى بن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله اليها أن يرده عليها ﴿ لولا أن ربطنا على قلبها ﴾ أي بالعصمة والصبر والتثبيت ﴿ لتكون من المؤمنين ﴾ أي من المصدقين بوعد الله اياها

يافرعون (لاتقتلوه عسى أن ينفعنا) في ضيعتنا (أو نتخذه ولدا) أو نتبناه (وهم لا يشعرون) بنو اسرائيل لايعلمون انه ليس منا ويقال وهم لايشعرون ان هلاكهم على يديه (وأصبح فؤاد أم موسى) صار قلب أم موسى يوحانذ (فارغا) من كل هم وذكر الا هم موسى وذكر موسى (ان كادت) قد كادت (لتبدي به) لتظهر به تقول هذا ابني بعدما انتسب به الى فرعون (لولا أن ربطنا) حفظنا (على قلبها) بالصبر (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله ان يكون

(فالتقطه آل فرعون) أخذه قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اصطخر (ليكون لهم عدوا) أى ليصير الامر الى ذلك لأنهم أخذوه ليكون قرة عين لهم فكان عاقبة ذلك أن كان لهم عدوا وحزنا ولكن لما كانت العاقبة ذلك شبه بالتعليل كقولهم للموت ماتلده الوالدة وهى لم تلد لان يموت ولدها ولكن المصير الى ذلك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون ان هذه لام العاقبة والصيرورة وقال صاحب الكشاف هى لام كى التى معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمنى ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذى هو نتيجة المجئ (وحزنا) وحزنا على وحمزة وهما لغتان كالعدم والعدم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) خاطين تخفيف خاطئين أبو جعفر أى كانوا مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وكانوا خاطئين فى كل شئ فليس خطؤهم فى تربية عدوهم ببدع منهم (وقالت امرأت فرعون قرة عين لى ولك) روى انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبى نوره بين عينيه فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت الى وجهه فبرأت فقالت الغواة من قومه هو الذى تحذر منه فاذن لنا فى قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لى ولك فقال فرعون لك لالى وفى الحديث لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل الفرض أى لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها وكان أسلم كما أسلمت وقرة خبر مبتدأ محذوف أى هو قرة ولى ولك صفتان لقرة (لاتقتلوه)

﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا وقرأ حمزة والكسائى حزنا ﴿ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ فى كل شئ فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون أو مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ ﴿وقالت امرأت فرعون﴾ اى لفرعون حين اخرجته من التابوت ﴿قرة عين لى ولك﴾ هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت احباه أو لانه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحرى يشبه

فرعون فى جواريها حتى جلست على شاطئ البحر مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوهن اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا لشئ فى البحر قد تعلق بالشجر ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هى بصبى صغير فى التابوت واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه فى ابهامه يمص منه لبنا فالقى الله محبته فى قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبى من التابوت عمدت الى ما يسيل من أشداقه من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو هذا رمى به فى البحر فزعا منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لى ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أى فنصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا وكانت لاتلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لى فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها الله فقيل لآسية سميه قالت سميته موسى لانا وجدناه فى الماء والشجر لان مو هو الماء وسا هو الشجر فذلك قوله تعالى ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ الالتقاط وجود الشئ من غير طلب ﴿ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ أى عاقبة أمرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ﴿ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ أى آثمين وقيل هو من الخطا ومعناه انهم لم يشعروا انه الذى يذهب بملكهم ﴿وقالت امرأت فرعون قرة عين لى ولك

(فالتقطه) فرفعه (آل فرعون) جوارى فرعون من بين الماء والشجر فاخذته وذهبن به الى امرأة فرعون (ليكون لهم عدوا) من بعد ما يجيء اليهم بالرسالة (وحزنا) بذهاب ملكهم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) مشركين (وقالت امرأت فرعون) آسية بنت مزاحم وكانت عمت موسى (قرة عين لى) هذا الغلام (ولك)

مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها عن السعاية فارضعته ثلاثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في النيل

لابنك حبا ما وجدت حب شئ مثل حبه فاحفظي ابنك فاني أراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤا الى بابها ليدخلوا الى أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفته بخرقة وألقته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ماتصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما أدخل القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخته فأين الصبي فقالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله في قلبها أن تتخذ تابوتا له ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ماتصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لي أخبؤه في التابوت وكرهت الكذب قال ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم تدر الامناء مايقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه وأخرجوه وبقي حيران فجعل لله عليه ان رد عليه لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه فيحفظه حيثما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يارب دلني على هذا العبد الصالح فدله عليه فآمن به وصدقه وقال وهب لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله تعالى وذلك شئ ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم الامين ففتش النساء تفتيشا لم يفتش قبل ذلك مثله وحملت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينب بطنها فكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد الا أخته مريم وأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فكتمته ثلاثة أشهر فلما خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم ألقته في اليم وهو البحر ليلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت

من المرسلين و روى انه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وروى انها حين ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ماجئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت القابلة جاءت عيون فرعون فلفته في خرقة و وضعته في تنور مسجور لم تعلم ماتصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيأ فخرجوا وهي لاتدري مكانه فسمعت بكاء من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى اليها بالقائه في اليم فالقته في اليم بعدان ارضعته ثلاثة اشهر

(ونجعلهم الوارثين) أى يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم (ونمكن) مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد ومعنى التمكين (لهم فى الارض) أى أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تنبو بهم ويسلطهم وينفذ أمرهم (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) بضم النون ونصب فرعون وما بعده وبالياء ورفع فرعون وما بعده على وجزة أى يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ويرى نصب عطف على المنصوب قبله كقراءة النون أو رفع على الاستئناف (منهم) من بنى اسرائيل ويتعلق بنرى دون يحذرون لان الصلة لا تتقدم على الموصول (ما كانوا يحذرون) الحذر التوقى من الضرر (واوحينا الى ام موسى) بالالهام او بالرؤيا او باخبار ملك كما كان لمريم وليس هذا وحى رسالة ولا تكون هى رسولا (ان ارضعيه) ان بمعنى اى أو مصدرية (فاذا خفت عليه) من القتل بان يسمع الجيران صوته فينموا عليه (فالقيه فى اليم) البحر قيل هو نيل مصر (ولا تخافى) من الغرق والضياع (ولا تحزنى) بفراقه (انا رادوه اليك) بوجه لطيف لتربيته (وجاعلوه من المرسلين) وفى هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن ان الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما وبشرت برده اليها وجعله

﴿ونجعلهم الوارثين﴾ لما كان فى ملك فرعون وقومه ﴿ونمكن لهم فى الارض﴾ ارض مصر والشأم واصل التمكين ان تجعل للشئ مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ﴿ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم﴾ من بنى اسرائيل ﴿ما كانوا يحذرون﴾ من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع ﴿واوحينا الى ام موسى﴾ بالهام اورؤيا ﴿ان ارضعيه﴾ ماامكنك اخفاؤه ﴿فاذا خفت عليه﴾ بان يحس به ﴿فالقيه فى اليم﴾ فى البحر يريد النيل ﴿ولا تخافى﴾ عليه ضيعة ولا شدة ﴿ولا تحزنى﴾ لفراقه ﴿انا رادوه اليك﴾ عن قريب بحيث تأمنين عليه ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ روى انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بنى اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت

﴿ونجعلهم الوارثين﴾ يعنى املاك فرعون وقومه بان نجعلهم فى مساكنهم ﴿ونمكن لهم فى الارض﴾ أى نوطن لهم أرض مصر والشأم ونجعلها لهم سكنا ﴿ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ أى يخافون وذلك انهم أخبروا ان هلاكهم على يد رجل من بنى اسرائيل وكانوا على حذر منه فاراهم الله ما كانوا يحذرون ۞ قوله تعالى ﴿واوحينا الى أم موسى﴾ هو وحى الهام وذلك بان قذف فى قلبها واسمها يوحانذ من نسل لاوى بن يعقوب ﴿ان أرضعيه﴾ قيل أرضعته ثمانية أشهر وقيل أربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكى ولا يتحرك فى حجرها ﴿فاذا خفت عليه﴾ أى الذبح ﴿فالقيه فى اليم﴾ أى فى البحر وأراد به نيل مصر ﴿ولا تخافى﴾ أى عليه من الغرق وقيل الضيعة ﴿ولا تحزنى﴾ أى على فراقه ﴿انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين﴾ قال ابن عباس ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصى ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى أن أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام

﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾

قال ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بحبالى بنى اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها وقالت لها قد نزل بى ما نزل فلينفعنى حبك اياى اليوم فعالجت قبالها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور عينى موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها ياهذه ماجئت اليك حين دعوتنى الا ومرادى قتل ولدك ولكن وجدت

(ونجعلهم الوارثين) وارثى أرض مصر (ونمكن لهم) ونملكهم (فى الارض) أرض مصر (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) جموعهما (منهم) من موسى وبنى اسرائيل ﴿لابنك﴾ (ما كانوا يحذرون) من ذهاب الملك (وأوحينا الى أم موسى) ألهمنا أم موسى يوحانذ بنت لاوى بن يعقوب (أن أرضعيه) أن ارضعى هذا الصبى (فاذا خفت عليه) أن يضيع (فألقيه فى اليم) فاطرحيه فى التابوت والتابوت فى البحر (ولا تخافى) من الغرق (ولا تحزنى) من الضيعة أن لا يرد اليك (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) الى فرعون وقومه

(من نبأ موسى وفرعون) أي نتلو عليك بعض خبرهما(بالحق) حال أي محقين(لقوم يؤمنون) لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم(ان فرعون) جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال ان فرعون(علا) طغى وجاوز الحد في الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسي العبودية (في الارض) أي أرض مملكته يعني مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه أو فرقا مختلفة يكرم طائفة ويهين أخرى فاكرم القبطي وأهان الاسرائيلي(يستضعف طائفة منهم)هم بنو اسرائيل(يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم) أي يترك البنات احياء للخدمة وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حمق فرعون فانه ان

صدق الكاهن لم ينفعه القتل وان كذب فامعنى القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف (انه كان من المفسدين) أي ان القتل ظلما انما هو فعل المفسدين اذلا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب(ونريد أن نمن) نتفضل وهو دليل لنا في مسئلة الاصلح وهذه الجملة معطوفة على ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصاله أو حال من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وارادة الله تعالى كائنة فجعلت كالمقارنة لاستضعافهم (على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة) قادة يقتدى بهم في الخير او قادة الى الخير او ولاة وملوكا

نتزله مجازا ﴿ من نبأ موسى وفرعون ﴾ بعض نبئهما مفعول نتلو ﴿ بالحق ﴾ محقين ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لانهم المنتفعون به ﴿ ان فرعون علا في الارض ﴾ استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر ﴿ وجعل اهلها شيعا ﴾ فرقا يشيعونه فيما يريد أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل أو احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه ﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل أو صفة شيعا أو استئناف وقوله ﴿ يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم ﴾ بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه ﴿ انه كان من المفسدين ﴾ فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ﴿ ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ﴾ ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ أو حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان تجري مجرى المقارن ﴿ ونجعلهم ائمة ﴾ مقدمين في امر الدارين

من نبأ ﴾ أي خبر ﴿ موسى وفرعون بالحق ﴾ أي بالصدق ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أي يصدقون بالقرآن ﴿ ان فرعون علا ﴾ أي تجبر وتكبر ﴿ في الارض ﴾ أي أرض مصر ﴿ وجعل اهلها شيعا ﴾ أي فرقا في أنواع الخدمة والتسخير ﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ يعني بني اسرائيل ﴿ يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ﴾ سمى هذا استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم ﴿ انه كان من المفسدين ﴾ أي بالقتل والتجبر في الارض ﴿ ونريد أن نمن ﴾ أي ننعم ﴿ على الذين استضعفوا في الارض ﴾ يعني بني اسرائيل ﴿ ونجعلهم أئمة ﴾ أي قادة في الخير يقتدى بهم وقيل ولاة ملوكا

من نبأ موسى وفرعون بالحق) بالقرآن (لقوم يؤمنون) يصدقون بك وبالقرآن (ان فرعون علا) خالف وتجبر وكفر (في الارض)أرض مصر(وجعل أهلها شيعا)فرقا فرقا(يستضعف)يقهر (طائفة منهم) من بني اسرائيل (يذبح أبناءهم)صغارا (ويستحيي نساءهم)يستخدمهم كبارا(انه كان من المفسدين) في كفره بالقتل والدعاء الى غير عبادة الله(ونريد) بارسال موسى اليهم وهلاكهم (أن نمن)ننزلهم بالنجاة (على الذين استضعفوا) قهروا وهم بنو اسرائيل (في الارض)أرض مصر(ونجعلهم أئمة)قادة في الخير

(و قل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد أعداءه
سيريهم الله من آياته في الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر و الدخان وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا (وما ربك بغافل
عما تعملون) بالتاء مدني وشامي وحفص و يعقوب خطاب لاهل مكة وبالياء
غيرهم أي كل عمل يعملونه فان الله عالم به غير غافل عنه فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه

﴿ سورة القصص مكية ثمانون وثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ طسم تلك آيات الكتاب المبين ﴾ يقال بان الشئ وأبان بمعنى واحد ويقال ابنته فأبان لازم و متعد أي مبين خيره و بركته او مبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والاخلاص والتوحيد (نتلوا عليك) نقرأ عليك أي يقرؤه جبريل بامرنا ومفعول نتلو

(وقل) يا محمد (الحمد لله) الشكر لله والوحدانية لله (سيريكم آياته) علامات وحدانيته وقدرته بالعذاب يوم بدر (فتعرفونها) فتعلمون أن ما يقول لكم محمد عليه السلام حق وصدق (وما ربك بغافل) ساه (عما تعملون) في الكفر و الشرك يعني كفار قريش هذا وعيد لهم من الله في الكفر والشرك ويقال بتارك عقوبة ما تعملون من المكر والخيانة والفساد

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها القصص وهي كلها مكية الا قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فانها نزلت بالجحفة بين مكة والمدينة آياتها ثمان وثمانون وكلمها أربعمائة واحدى واربعون وحروفها خمسة آلاف (من وثمانمائة ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (طسم) الطاء طوله وقدرته و السين سناؤه ورفعته و ملكه و يقال قسم أقسم به (تلك آيات الكتاب المبين) ان هذه السورة آيات القرآن المبين بالحلال والحرام والامر والنهي (نتلوا عل

﴿ وقل الحمد لله ﴾ على نعمة النبوة أو على ما علمني ووفقني للعمل به ﴿ سيريكم آياته ﴾ القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض أو في الآخرة ﴿ فتعرفونها ﴾ فتعرفون انها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة ﴿ وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ في السبعة بالياء عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

﴿ سورة القصص مكية وقيل الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك ﴾ بقراءة جبرائيل ويجوز ان يكون بمعنى

نسختها آية القتال ﴿ وقل الحمد لله ﴾ أي على جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام باداء الرسالة والانذار ﴿ سيريكم آياته ﴾ الباهرة ودلائله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما أراهم من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل آياته في السموات والارض وفي انفسكم ﴿ فتعرفونها ﴾ أي فتعرفون الآيات والدلالات ﴿ وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ فيه وعيد بالجزاء على أعمالهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة القصص وهي مكية الا قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون آية وأربعمائة واحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ طسم تلك ﴾ اشارة الى آيات السورة ﴿ آيات الكتاب المبين ﴾ قيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه بين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام ﴿ نتلوا عليك

النار أو عبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالرأس والرقبة عنها أى ألقوا فى النار ويقال لهم تبكيتا عند الكب (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الشرك والمعاصى (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) مكة (الذى حرمها) جعلها حرما آمنا يأمن فيها اللاجئ اليها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها (وله كل شئ)مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين له (وان أتلوا القرآن) من التلاوة أو من التلو كقوله واتبع مايوحى اليك من ربك أمر رسوله بان يقول أمرت ان أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان أتلو القرآن لاعرف الحلال والحرام ومايقتضيه الاسلام وخص مكة من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها أحب بلاده اليه وأعظمها عنده وأشار اليها بقوله هذه اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها وجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها (فمن اهتدى) باتباعه اياى فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفى الشركاء عنه والدخول فى الملة الحنيفية واتباع ماأنزل على من الوحى (فانما يهتدى لنفسه) فنفعة اهتدائه راجعة اليه لاالى (ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) أى ومن ضل ولم يتبعنى (قا و خا ٦٩ بع) فلا على وما أنا الا رسول منذر وماعلى الرسول الاالبلاغ المبين

﴿هل تجزون الاما كنتم تعملون﴾ على الالتفات أو باضمار القول اى قيل لهم ذلك ﴿انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها﴾ امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعدما بين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وماعليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق فى عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ التى حرمها ﴿وله كل شئ﴾ خلقا وملكا ﴿وامرت ان اكون من المسلمين﴾ المنقادين أو الثابتين على ملة الاسلام ﴿وان اتلوا القرآن﴾ وان اواظب على تلاوته لينكشف لى حقائقه فى تلاوته شيأ فشيأ أو اتابعه وقرئ واتل عليهم وان اتل ﴿فمن اهتدى﴾ باتباعه اياى فى ذلك ﴿فانما يهتدى لنفسه﴾ فان منافعه عائدة اليه ﴿ومن ضل﴾ بمخالفتى ﴿فقل انما انا من المنذرين﴾ فلا على من وبال ضلاله شئ اذما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت

عن جميع البدن كأنه قال كبوا وطرحوا جميعهم فى النار ﴿هل تجزون الاما كنتم تعملون﴾ أى تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الاما كنتم تعملون فى الدنيا من الشرك * وقوله تعالى ﴿ انما امرت ﴾ يعنى يقول الله تعالى لرسوله قل انما امرت ﴿ان أعبد رب هذه البلدة﴾ يعنى امرت ان أخص بعبادتى وتوحيدى الله الذى هو رب هذه البلدة يعنى مكة وانما خصها من بين سائر البلاد بالذكر لانها مضافة اليه وأحب البلاد وأكرمها عليه وأشار اليها اشارة تعظيم لانها موطن نبيه ومهبط وحيه ﴿الذى حرمها﴾ أى جعلها الله حرما آمنا لايسفك فيها دم ولايظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ولا يدخلها الا محرم وانما ذكر انه هو الذى حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان تحريمها من الله لامن الاصنام ﴿ وله كل شئ ﴾ أى خلقا وملكا ﴿ وأمرت ان أكون من المسلمين ﴾ لله المطيعين له ﴿ وان أتلوا القرآن ﴾ أى امرت ان أتلو القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ماأمر به أتم قيام على ماأمر به ﴿ فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ﴾ أى نفع اهتدائه يرجع اليه ﴿ ومن ضل ﴾ أى عن الايمان وأخطأ طريق الهدى ﴿ فقل انما أنا من المنذرين ﴾ أى من المخوفين وماعلى الا البلاغ

(تجزون) فى الآخرة (الاما كنتم تعملون) فى الدنيا قل يا محمد (انما أمرت ان أعبد) أوحد (رب هذه البلدة) يعنى مكة (الذى حرمها) جعلها حرما (وله كل شئ) من الخلق (وأمرت ان أكون من المسلمين) مع المسلمين على دينهم (وأن أتلوا القرآن) أمرت ان اقرأ عليكم القرآن (فمن اهتدى) آمن بما فى القرآن (فانما يهتدى) يؤمن (لنفسه) ثواب ذلك لنفسه (ومن ضل) كفر بالقرآن (فقل) يا محمد (انما أنا من المنذرين) المخوفين من النار بالقرآن ثم أمره بعد ذلك بالقتال فقال

سريعا كالسحاب اذا ضربته الريح وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لاتكاد تبين حركتها كما قال النابغة فى صفة جيش

بارعن مثل الطود تحسب انهم ٭ وقوف لحاج والركاب تهملج

(صنع الله) مصدر عمل فيه مادل ... عليه تمر لان مرورها ... كمر السحاب من صنع الله فكان قليل

﴿صنع الله﴾ مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله ﴿الذى اتقن كل شئ﴾ احكم خلقه وسواه على ماينبغى ﴿انه خبير بما تفعلون﴾ عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقى بالفانى وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها وهو الجنة ٭ وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ يعنى به خوف عذاب يوم القيامة وبالاول مايلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وأمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله افأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ قيل بالشرك ﴿فكبت وجوههم فى النار﴾ فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدى فى قوله ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة

عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وعظمه وبعد مابين أطرافه فهو فى حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لايرى لعظمها كما ان سير السحاب لايرى لعظمه ﴿صنع الله الذى أتقن كل شئ﴾ يعنى انه تعالى لما قدم هذه الاشياء كلها التى لايقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشياء التى أتقنها وأحكمها وأتى بها على وجه الحكمة والصواب ﴿انه خبير بما تفعلون﴾ ٭ قوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة﴾ أى بكلمة الاخلاص وهى شهادة أن لا اله الا الله وقيل الاخلاص فى العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها لله عز وجل ﴿فله خير منها﴾ قال ابن عباس فمنها يصل الى الخير بمعنى ان له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمن من العذاب أما ان يكون له شئ خير من الايمان فلا لانه لاشئ خير من لا اله الا الله وقيل هو جزاء الاعمال والطاعات الثواب والجنة وجزاء الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله ورضوان من الله وقيل معنى خير منها الاضعاف أعطاه الله بالواحدة عشر أضعافها لان الحسنة استحقه العبد والتضعيف تفضيل الرب تبارك وتعالى ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ فان قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من فى السموات ومن فى الارض ٭ قلت ان الفزع الاول هو ما لايخلو عنه أحد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر اليه فاما الفزع الثانى فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه وأما مايلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاهوال فلا ينفك منه أحد ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ يعنى بالشرك ﴿فكبت وجوههم فى النار﴾ عبر بالوجه

صنع الله ذلك صنعا وذكر اسم الله لانه لم يذكر قبل (الذى أتقن كل شئ) أى أحكم خلقه انه خبير ... بما ... تفعلون ... وغيرهم بالتاء أى انه عالم بما يفعل العباد فيكافئهم على حسب ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) أى بقول لا اله الا الله عند الجمهور (فله خير منها) أى فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لايكون خير بمعنى أفضل ويكون منها فى موضع رفع صفة لخير أى بسببها (وهم من فزع) كوفى أى من فزع شديد مفرط الشدة وهو خوف النار أو من فزع ما وان قل وبغير تنوين غيرهم (يومئذ) كوفى ومدنى وبكسر الميم غيرهم المراد يوم القيامة (آمنون) أمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله (ومن جاء بالسيئة) بالشرك (فكبت) ألقيت (وجوههم فى النار) يقال كببت الرجل ألقيته على وجهه أى ألقوا على رؤسهم فى

(صنع الله) هذا فعل الله بخلقه (الذى اتقن) أحكم (كل شئ) من الخلق (انه خبير) عالم (بما تفعلون) من (عن) الخير والشر (من جاء بالحسنة) من جاء يوم القيامة بلا اله الا الله مخلصا بها (فله خير منها) فخيره كله منها ومن قبلها (وهم من فزع يومئذ آمنون) وهم آمنون من الفزع والعذاب اذا أطبقت النار (ومن جاء بالسيئة) بالشرك بالله (فكبت) قلبت (وجوههم فى النار

لاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كائن لامحالة والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون (الامن شاء الله) لامن ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر رضي الله عنه منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله وينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله (وكل اتوه) حمزة وحفص وخلف آتوه غيرهم واصله آتيوه (داخرين) حال أي صاغرين ومعنى الاتيان حضورهم الموقف ورجوعهم الى أمره تعالى انقيادهم له (وترى الجبال تحسبها) بفتح السين شامي وحمزة ويزيد وعاصم وبكسرها غيرهم حال من المخاطب (جامدة) واقفة ممسكة عن الحركة من جمد في مكانه اذا لم يبرح (وهي تمر) حال من الضمير المنصوب في تحسبها (مر السحاب) أي مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة في مكان واحد لعظمها وهي

من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ﴿ الامن شاء الله ﴾ ان لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى عليه السلام لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك ﴿ وكل آتوه ﴾ حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية أو راجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه على توحيد لفظ الكل ﴿ داخرين ﴾ صاغرين وقرئ دخرين ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة ﴾ ثابتة في مكانها ﴿ وهي تمر مر السحاب ﴾ في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها

ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين ﴿ الامن شاء الله ﴾ روى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى الامن شاء الله قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لا يصل اليهم الفزع وقيل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة ويروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل فيأخذ نفسه ثم يقول من بقي يا ملك الموت فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم بقي جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيأخذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي من خلقي فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت بقي جبريل وملك الموت فيقول مت ياملك الموت فيموت فيقول ياجبريل من بقي فيقول تباركت فتعاليت ياذا الجلال والاكرام بقي وجهك الدائم الباقي وجبريل الميت الفاني فيقول الله ياجبريل لابد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب ويروى انه يبقى مع هؤلاء الاربعة حملة العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم أرواح حملة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق أحد الا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطي السجل للكتاب ثم يقول الله أنا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيقول الله تعالى لله الواحد القهار (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فاكون أول من رفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلي ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وقيل الذين استثنى الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية ﴾ وقوله تعالى ﴿ وكل ﴾ أي وكل الذين أحيوا بعد الموت ﴿ أتوه ﴾ أي جاؤه ﴿ داخرين ﴾ أي صاغرين ﴾ قوله تعالى ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة ﴾ أي قائمة واقفة ﴿ وهي تمر مر السحاب ﴾ أي تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوي بها وذلك ان كل شئ

من الخلق (الا من شاء الله) من أهل السماء جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فانهم لا يموتون في النفخة الاولى ولكن يموتون بعد ذلك (وكل) يعني أهل السماء وأهل الارض (أتوه داخرين) يأتون الى الله يوم القيامة صاغرين ذليلين (وترى الجبال) يا محمد في النفخة الاولى (تحسبها جامدة) ساكنة مستقرة (وهي تمر مر السحاب) في الهواء تسيير سيرا

... السؤال (قال) لهم تعالى تهديدا (أكذبتم بآياتي) المنزلة على رسلي (ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال كأنه قال أكذبتم بآياتي بادئ الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها و انها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب (أم ماذا كنتم تعملون) حيث لم تتفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا (ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) أي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن

﴿ قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما ﴾ الواو للحال أي أكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق أو التكذيب أو للعطف اي اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها ﴿ أم ماذا كنتم تعملون ﴾ أم أي شئ كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك ﴿ ووقع القول عليهم ﴾ حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك ﴿ بما ظلموا ﴾ بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله ﴿ فهم لا ينطقون ﴾ باعتذار لشغلهم بالعذاب ﴿ ألم يروا ﴾ ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة في مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم ﴿ انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه ﴾ بالنوم والقرار ﴿ والنهار مبصرا ﴾ فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ﴿ ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ لدلالتها على الامور الثلاثة ﴿ ويوم ينفخ في الصور ﴾ في الصور أو القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ﴿ ففزع من في السموات ومن في الارض ﴾

﴿ قال ﴾ الله تعالى لهم ﴿ أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما ﴾ أي ولم تعرفوها حق معرفتها ﴿ أم ماذا كنتم تعملون ﴾ أي حين لم تتفكروا فيها وقيل معنى الآية أكذبتم بآياتي غير عالمين بها ولم تتفكروا في صحتها بل كنتم بها جاهلين ﴿ ووقع القول ﴾ أي وجب العذاب ﴿ عليهم بما ظلموا ﴾ أي بما أشركوا ﴿ فهم لا ينطقون ﴾ أي بحجة وقيل ان أفواههم مختومة ﴿ ألم يروا انا جعلنا ﴾ اي انا خلقنا ﴿ الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ﴾ أي مضيأ يبصر فيه وفي الآية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على تقلب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت ﴿ ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ أي يصدقون فيعتبرون ﴿ قوله تعالى ﴿ ويوم ينفخ في الصور ﴾ هو قرن ينفخ فيه اسرافيل قال الحسن الصور هو القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب في الاجساد فتحيا بها الاجساد ﴿ ففزع ﴾ أي فصعق ﴿ من في السموات ومن في الارض ﴾ أي ماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع

النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون (ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) حال جعل الابصار للنهار وهو لاهله والتقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدقون فيعتبرون وفيه دليل على صحة البعث لان معناه يعلموا أنا جعلنا الليل والنهار قواما لمعاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار أخرى للثواب والعقاب (ويوم) واذكر يوم (ينفخ في الصور) وهو قرن أو جمع صورة والنافخ اسرافيل عليه السلام (ففزع من في السموات ومن في الارض) اختير فزع على يفزع

اجتمعوا (قال) الله لهم (أكذبتم بآياتي) بكتابي ورسولي (ولم تحيطوا بها علما) يقول جحدتم ولم تعلموا انها ليست مني (أماذا كنتم تعملون) في الكفر (و) والشرك (ووقع القول) وجب القول (عليهم) بالسخط والعذاب (بما ظلموا) بكفرهم وشركهم (فهم لا ينطقون) لا يجيبون (أو لم يروا) كفار مكة (أنا جعلنا الليل) مسكنا (ليسكنوا) ليستقروا (فيه والنهار مبصرا) مضيئا مطلبا للمعايشهم (ان في ذلك) فيما فعلنا بهم (لآيات) لعلامات (لقوم يؤمنون) يصدقون (ويوم ينفخ في الصور) وهي نفخة الموت (ففزع) مات (من في السموات) من الملائكة (ومن في الارض)

من اعظم المساجد حرمة على الله يعنى المسجد الحرام ﴿ تكلمهم ﴾ من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروى انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنكت بالعصا فى مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم فى انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ﴿ ان الناس كانوا بآياتنا ﴾ خروجها وسائر أحوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن ﴿ لا يوقنون ﴾ لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله أو علة خروجها أو تكلمها وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح على حذف الجار ﴿ ويوم نحشر من كل امة فوجا ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ ممن يكذب بآياتنا ﴾ بيان للفوج اى فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبى واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين ﴿ فهم يوزعون ﴾ يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ﴿ حتى اذا جاؤا ﴾ الى المحشر

وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وروى عن ابن عباس انه قال قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون الى منى وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذاك يارسول الله قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وروى عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب أجياد فتمس رأسها السحاب ورجلاها فى الارض وروى عن على قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من رآها ان أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون ﴿ تكلمهم ﴾ أى بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول ما أخبر الله تعالى ﴿ ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ تخبر الناس عن أهل مكة انهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وقرئ تكلمهم بتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزى سئل ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم وتكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر * قوله تعالى ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ﴾ أى نحشر من كل قرن جماعة ﴿ ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ﴾ أى يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا الى النار ﴿ حتى اذا جاؤا ﴾ يعنى يوم القيامة

تكلمهم) هى الجساسة فى الحديث طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وقيل لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير ومابين المفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية فتقول (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أى لا يوقنون بخروجى لان خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين أو تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام أو بان هذا مؤمن وهذا كافر وفتح أن كوفى وسهل على حذف الجار أى تكلمهم بان وغيرهم كسروا لان الكلام بمعنى القول أو باضمار القول أى تقول الدابة ذلك ويكون المعنى بآيات ربنا أو حكاية لقول الله تعالى عند ذلك، ثم ذكر قيام الساعة فقال (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) من للتبعيض أى واذكر يوم نجمع من كل أمة من الامم زمرة (ممن يكذب) من للتبيين (بآياتنا) المنزلة على أنبيائنا (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى اذا جاؤا) حضروا موقف الحساب

(تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا) بآيات ربنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويقال بخروج الدابة (لا يوقنون) لا يصدقون وان قرأت بنصب التاء تضربهم وتجرحهم (ويوم) وهو يوم القيامة (نحشر من كل أمة) من كل أهل دين (فوجا) جماعة (ممن يكذب بآياتنا) بكتابنا ورسولنا (فهم يوزعون) يقول يحبس أولهم على آخرهم (حتى اذا جاؤا)

﴿ فهم مسلمون ﴾ مخلصون من اسلم وجهه لله ﴿ واذا وقع القول عليهم ﴾ اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب ﴿ اخرجنا لهم دابة من الارض ﴾ وهى الجساسة روى ان طولها ستون ذراعا لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروى انه عليه الصلاة والسلام سئل من مخرجها فقال

﴿ فهم مسلمون ﴾ أى مخلصون * قوله تعالى ﴿ واذا وقع القول عليهم ﴾ يعنى اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك فى آخر الزمان قبل قيام الساعة ﴿ اخرجنا لهم دابة من الارض ﴾ (م) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا * عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج دابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الحق ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * وروى البغوى باسناده عن الثعلبى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم بينا الناس يوما فى أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله يعنى المسجد الحرام لم يرعهم الا وهى فى ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمر وما بين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها عصابة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت فى الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلى فيقبل عليها بوجهه فتسمه فى وجهه فيتجاور الناس فى ديارهم ويصطحبون فى أسفارهم ويشتركون فى الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر * وباسناد الثعلبى عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة على الله فبينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض وينشق الصفا مما يلى المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها الطالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا فاما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب درى وتكتب بين عينيه مؤمن

اى ما يجدى اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون بآياته اى يصدقون بها (فهم مسلمون) مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه [illegible] خالصا له (واذا وقع القول عليهم) سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة (اخرجنا لهم دابة من الارض

(فهم مسلمون) مخلصون بالعبادة والتوحيد (واذا وقع) وجب (القول عليهم) بالسخط والعذاب (أخرجنا لهم دابة من الارض) بين الصفا والمروة وهى عصا موسى ويقال معها عصا موسى

فيه احزابا ووقع بينهم التناكر فى اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان مااختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى (وانه) وان القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين) لمن انصف منهم وآمن اى من بنى اسرائيل او منهم ومن غيرهم (ان ربك يقضى بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (بحكمه) بعدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما او بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بمن يقضى له وبمن يقضى عليه أو العزيز فى انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين (فتوكل على الله) امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين المبين) وعلل التوكل بانه على الحق الابلج وهو الدين الواضح الذى لا يتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصرته (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم) لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس وبالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وبالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى ثم اكد حال الصم بقوله اذا ولوا مدبرين لانه اذا تباعد عن الداعى بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا فى الروم وما انت تهدى العمى وكذا فى الروم حمزة (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا)

كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح ﴿ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ فانهم المنتفعون به ﴿ ان ربك يقضى بينهم ﴾ بين بنى اسرائيل ﴿ بحكمه ﴾ بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه ﴿ وهو العزيز ﴾ فلا يرد قضاؤه ﴿ العليم ﴾ بحقيقة ما يقضى فيه وحكمه ﴿ فتوكل على الله ﴾ ولا تبال بمعاداتهم ﴿ انك على الحق المبين ﴾ وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره ﴿ انك لا تسمع الموتى ﴾ تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم فى قوله ﴿ ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ﴾ فان اسماعهم فى هذه الحال ابعد * وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم الدعاء ﴿ وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ﴾ حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة وما انت تهدى العمى ﴿ ان تسمع ﴾ اى ما يجدى اسماعك ﴿ الا من يؤمن بآياتنا ﴾ من هو فى علم الله كذلك

ببيان ما اختلفوا فيه ﴿ وانه ﴾ يعنى القرآن ﴿ لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم ﴾ أى يفصل بينهم ويحكم بين المختلفين فى الدين يوم القيامة ﴿ بحكمه ﴾ أى الحق ﴿ وهو العزيز ﴾ الممتنع الذى لا يرد له أمر ﴿ العليم ﴾ أى باحوالهم فلا يخفى عليه شئ منها ﴿ فتوكل على الله ﴾ أى فثق به ﴿ انك على الحق المبين ﴾ أى البين ﴿ انك لا تسمع الموتى ﴾ يعنى موتى القلوب وهم الكفار ﴿ ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ﴾ أى معرضين * فان قلت ما معنى مدبرين والاصم لا يسمع صوتا سواء أقبل أو أدبر * قلت هو تأكيد ومبالغة وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت أى يفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذى لا سبيل الى سماعه وكالاصم الذى لا يسمع ولا يفهم ﴿ وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ﴾ معناه ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان ﴿ ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا ﴾ الا من يصدق بالقرآن أنه من الله

فيه فى الدين يخالفون (وانه) يعنى القرآن (لهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (للمؤمنين) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ان ربك يقضى بينهم) بين اليهود والنصارى (بحكمه) وقضائه يوم القيامة (وهو العزيز) بالنقمة منهم (العليم) بهم وبعقوبتهم (فتوكل) يا محمد (على الله انك على الحق المبين) على الدين الظاهر وهو الاسلام (انك) يا محمد (لا تسمع الموتى) بالقلوب ويقال كأنه ميت (ولا تسمع الصم) بالقلوب ويقال المتصامم (الدعاء) دعوتك الى الحق والهدى (اذا ولوا) أعرضوا (مدبرين) عن الحق والهدى (وما أنت) يا محمد (بهادى العمى عن ضلالتهم) الى الهدى (ان تسمع) ما تسمع دعوتك (الا من يؤمن بآياتنا) بكتابنا ورسولنا

أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) ان العذاب نازل بالمكذب (قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون) استعجـ
العذاب الموعود فقال لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولاتلقوا
بأيديكم الى التهلكة أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم و ازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وعسى ولعل وسوف في
وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده (وان ربك لذو فضل) أى افضال
(على الناس) بترك المعاجلة بالعذاب (ولكن أكثرهم لايشكرون) أى أكثرهم لايعرفون حق النعمة فيه ولايشكرون
فيستعجلون العذاب بجهلهم ليعلم ماتكن) تخفى (صدورهم
ومايعلنون) يظهرون من
القول فليس تأخير العذاب
عنهم لخفاء حالهم ولكن له
وقت مقدر أو انه يعلم
مايخفون وما يعلنون من
عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومكايدهم وهو
معاقبهم على ذلك بما
يستحقونه وقرئ تكن يقال
كننت الشئ وأكننته
اذا سترته وأخفيته (ومامن
غائبة في السماء والارض الا في
كتاب مبين) سمى الشئ الذى
يغيب ويخفى غائبة وخافية
والتاء فيهما كالتاء في العافية
والعاقبة ونظائرهما الرمية
والذبيحة والنطيحة في انها
اسماء غير صفات ويجوز
أن يكونا صفتين وتاؤهما
للمبالغة كالراوية كانه قال
ومامن شئ شديد الغيبوبة
الاوقد علمه الله وأحاط به
وأثبته في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة (ان هذا القرآن يقص على { بيان }
بنى اسرائيل) أى يبين لهم (أكثر الذى هم فيه يختلفون) فانهم اختلفوا في المسيح فتحزبوا

﴿ ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم ﴾ تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿ بعض الذى تستعجلون ﴾ حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده ﴿ وان ربك لذو فضل على الناس ﴾ بتأخير عقوبتهم على المعاصى والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل ﴿ ولكن اكثرهم لايشكرون ﴾ لايعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون لجهلهم وقوعه ﴿ وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم ﴾ ماتخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اى سترت ﴿ ومايعلنون ﴾ من عداوتك فيجازيهم عليه ﴿ ومامن غائبة في السماء والارض ﴾ خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لمايغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة ﴿ الا في كتاب مبين ﴾ بين او مبين مافيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة ﴿ ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون ﴾

ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف ﴾ أى دنا وقرب ﴿ لكم ﴾ وقيل معناه ردفكم ﴿ بعض الذى تستعجلون ﴾ أى من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر ﴿ قوله عز وجل ﴿ وان ربك لذو فضل على الناس ﴾ يعنى على أهل مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب ﴿ ولكن أكثرهم لايشكرون ﴾ أى ذلك ﴿ وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم ﴾ أى تخفى ﴿ ومايعلنون ﴾ أى من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ومامن غائبة ﴾ أى جملة غائبة من مكتوم سر وخفى أمر وشئ غائب ﴿ في السماء والارض الا في كتاب مبين ﴾ يعنى في اللوح المحفوظ ﴿ ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل ﴾ أى يبين لهم ﴿ أكثر الذى هم فيه يختلفون ﴾ أى من أمر الدين وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن

يامحمد (ان كنتم صادقين) ان كنت من الصادقين بمجئ العذاب (قل) لهم يامحمد (عسى) وعسى من الله واجب (ان يكون ردف لكم) قرب لكم (بعض الذى تستعجلون) من العذاب يوم بدر (وان ربك) يامحمد (لذو فضل) لذو من (على الناس) بتأخير العذاب (ولكن أكثرهم لايشكرون) بتأخير العذاب (وان ربك) يامحمد (ليعلم ماتكن صدورهم) تضمر قلوبهم من البغض والعداوة (ومايعلنون) مايظهرون من الكفر والشرك والقتال (ومامن غائبة) من سر خفى (في السماء والارض) من اهل السماء والارض (الا في كتاب مبين) الامكتوب في اللوح المحفوظ (ان هذا القرآن) الذى تقرأ عليهم يامحمد (يقص على بنى اسرائيل) يبين لبنى اسرائيل اليهود والنصارى (أكثر الذى هم فيه يختلفون) كل الذى هم

في الهلاك (وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) من قبورنا أحياء وتكرير حرف الاستفهام في أئذا وأئنا في قراءة عاصم وحمزة وخلف انكار بعد انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والعامل في اذا ما دل عليه لمخرجون وهو نخرج لان اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام أو ان او لام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف اذا اجتمعن والضمير في أنا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم لكنه غلبت الحكاية على الغائب وآباؤنا عطف على الضمير في كنا لان المفعول جرى مجرى التوكيد

أى البعث (نحن وآباؤنا من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم قدم هنا هذا على نحن وآباؤنا وفي المؤمنين نحن وآباؤنا على هذا ليدل على ان المقصود بالذكر هو البعث هنا وثمة المبعوثون (ان هذا الا أساطير الاولين) ما هذا الا احاديثهم واكاذيبهم (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى آخر أمر الكافرين وفي ذكر الاجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم كقوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيآتهم أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لاجل انهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا (ولا تكن في ضيق) في حرج صدر (مما يمكرون) من مكرهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس يقال

وام تدارك وما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسيره بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون اورد وانكار اشعورهم ﴿ وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون ﴾ كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث أو من حال الفناء الى الحياة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائى اننا لمخرجون بنونين على الخبر ﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ﴾ من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث نظرا الى الاهتمام ﴿ ان هذا الا اساطير الاولين ﴾ التى هى كالاسمار ﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ على تكذيبهم واعراضهم ﴿ ولا تكن في ضيق ﴾ في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اى امر ضيق ﴿ مما يمكرون ﴾ من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ العذاب الموعود

الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا ﴿ قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ أى مشركو مكة ﴿ أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون ﴾ أى من قبورنا أحياء ﴿ لقد وعدنا هذا ﴾ أى هذا البعث ﴿ نحن وآباؤنا من قبل ﴾ أى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشئ ﴿ ان هذا ﴾ أى ما هذا ﴿ الا أساطير الاولين ﴾ أى أحاديثهم وأكاذيبهم التى كتبوها ﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ﴾ أى بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك ﴿ ولا تكن في ضيق مما يمكرون ﴾ نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة ﴿ ويقولون متى هذا الوعد

ضاق الشئ ضيقا بالفتح وهو قراءة (قا و خا ٦٨ بع) غير ابن كثير وبالكسر وهو قراءته (ويقولون متى هذا الوعد)

فهي لا يبصرون (وقال الذين كفروا) كفار مكة (أئذا كنا) صرنا (ترابا) رميما (وآباؤنا) قبلنا (أئنا لمخرجون) من القبور أحيون (لقد وعدنا هذا) الذى تعدنا (نحن وآباؤنا من قبل) من قبلنا (ان هذا) ما هذا الذى تعدنا يا محمد (الا أساطير) أحاديث الاولين قل) يا محمد لاهل مكة (سيروا) سافروا (في الارض فانظروا) فاعتبروا (كيف كان عاقبة المجرمين) آخر أمر المشركين (ولا تحزن عليهم) يا محمد ان لم يؤمنوا ويقال ولا تحزن عليهم بالهلاك (ولا تكن في ضيق) ولا تضيق صدرا يا محمد (مما يمكرون) مما يقولون ويصنعون (ويقولون متى هذا الوعد) الذى تعدنا

حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل ويقولون ما في الدار أحد الا حمار وقالت عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (وما يشعرون) وما يعلمون (أيان) متى (يبعثون) ينشرون (بل ادرك) مكي وبصري ويزيد والمفضل أي انتهى وتكامل من ادركت الفاكهة تكاملت نضجا بل ادرك عن الاعشى افتعل بل ادارك غيرهم استحكم وأصله تدارك فادغمت التاء في الدال وزيد ألف الوصل ليمكن التكلم بها (علمهم في الآخرة) أي في شأن الآخرة ومعناها والمعنى ان أسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله (بل هم في شك منها بل هم منها عمون) والاضرابات ثلاث تنزيل لاحوالهم وتكرير لجهلهم وصفهم أولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وقد جعل الآخرة مبتدأ عماهم ومنشأه فلذا عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم عن التدبر والتفكر ووجه ملاءمة مضمون هذه الآية وهو وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه انه لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا أبلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لابد من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع ان عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجاز أن يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما تقول لاجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته ويجوز ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفنى من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم في الآخرة وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا

على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولى العلم من خلقه وهو موصول أو موصوف ﴿ وما يشعرون ايان يبعثون ﴾ متى ينشرون مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة ﴿ بل ادرك علمهم في الآخرة ﴾ لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي ﴿ بل هم في شك منها ﴾ كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا ﴿ بل هم منها عمون ﴾ لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآأدرك بالف بينهما وبل ادرك وبل اتدارك وبلى ادرك وبلى آأدرك وام ادرك

ويعلم متى تقوم الساعة ﴿ وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ يعني ان من في السموات وهم الملائكة ومن في الارض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك ﴿ بل ادارك علمهم ﴾ اي بلغ ولحق علمهم ﴿ في الآخرة ﴾ هو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله تعالى ﴿ بل هم في شك منها ﴾ أي هم اليوم في شك من الساعة ﴿ بل هم منها عمون ﴾ جمع عم وهو أعمى القلب وقيل معنى الآية ان الله أخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في

وما يشعرون) وما يعلم الخلق (أيان يبعثون) متى يبعثون من القبور (بل ادارك علمهم في الآخرة) يقول اجتمع علمهم على ان الآخرة لا تكون (بل هم في شك منها) من قيام الساعة (بل هم منها) من قيام الساعة (عمون)

أأله مع الله قليلا ماتذكرون) وبالياء أبو عمرو وبالتخفيف حمزة وعلى وحفص ومامزيدة أى تذكرون تذكرا قليلا (أمن يهديكم) يرشدكم بالنجوم (فى ظلمات البر والبحر) ليلا وبعلامات فى الارض نهارا (ومن يرسل الرياح) الريح مكى حمزة وعلى (بشرا) من البشارة وقدمر فى الاعراف (بين يدى رحمته) قدام المطر (أأله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤ الخلق) ينشأ الخلق (ثم

يعيده) وانما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون للاعادة

خلفاء فيهما ان ورثكم سلكناها والتصرف فيها ممن قبلكم ﴿ أأله مع الله ﴾ الذى خصكم بهذه النعم العامة والخاصة ﴿ قليلا ماتذكرون ﴾ اى تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم أو الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ أبو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائى وحفص بالتاء وبتخفيف الذال ﴿ أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ﴾ بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالى اضافها الى البر والبحر للملابسة أو مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتى لامنار بها ﴿ ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ﴾ يعنى المطر ولو صح ان السبب الاكثرى فى تكون الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلاشك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب ﴿ أأله مع الله ﴾ يقدر على مثل ذلك ﴿ تعالى الله عما يشركون ﴾ تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق ﴿ أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ﴿ ومن يرزقكم من السماء والارض ﴾ أى باسباب سماوية وارضية ﴿ أأله مع الله ﴾ يفعل ذلك ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على ان غيره يقدر على شئ من ذلك ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية ﴿ قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله ﴾ لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ماهو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيهما من يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم او متصل

لانه أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار (ومن يرزقكم من السماء) أى المطر (والارض) أى ومن الارض النبات (أأله مع الله قل هاتوا برهانكم) حجتكم على اشراككم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم ان مع الله الها آخر (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) من فاعل يعلم والغيب هو مالم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعول والله بدل من من والمعنى لا يعلم أحد الغيب الا الله نعم ان الله تعالى يتعالى على ان يكون ممن فى السموات والارض ولكنه جاء على لغة بنى تميم

﴿ أأله مع الله قليلا ماتذكرون ﴾ أى تتعظون ۞ النوع الرابع قوله عز وجل ﴿ أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ﴾ أى يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين فى البر والبحر ﴿ ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ﴾ أى قدام المطر ﴿ أأله مع الله تعالى الله عما يشركون ﴾ ۞ النوع الخامس قوله تعالى ﴿ أمن يبدؤ الخلق ﴾ أى نطفا فى الارحام ﴿ ثم يعيده ﴾ بعد الموت ﴿ ومن يرزقكم من السماء والارض ﴾ أى من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات ﴿ أأله مع الله قل هاتوا برهانكم ﴾ أى حجتكم على قولكم ان مع الله الها آخر ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ ۞ قوله تعالى ﴿ قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله ﴾ نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذى يعلم الغيب وحده

(أأله مع الله) سوى الله فعل ذلك (قليلا ماتذكرون) ماتتعظون قليلا ولا كثيرا (أمن يهديكم) ينجيكم (فى ظلمات البر والبحر) من شدائد البر والبحر اذا سافرتم (ومن يرسل الرياح بشرا) مبشرة (بين يدى رحمته) قدام المطر (أأله مع الله) سوى الله فعل ذلك (تعالى الله) تبرأ الله (عما يشركون) به من الاوثان (أمن يبدؤ الخلق) يبتدئه من النطفة (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أأله مع الله) سوى الله فعل ذلك (قل هاتوا برهانكم) حجتكم (ان كنتم صادقين) ان مع الله آلهة شتى (قل) يا محمد لاهل مكة (لا يعلم من فى السموات) من الملائكة (والارض) من الخلق (الغيب) متى قيام الساعة ونزول العذاب (الا الله

الانفاء أراد ان تأتى ذلك محال من غيره (أإله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل شريكاله (بل هم قوم يعدلون) بدء
أو يعدلون عن الحق الذى هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب أبلغ فى تخطئة رأيهم (أمن جعل الارض) ومابعد
بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه (قرارا) دحاها وسواها الاستقرار عليها (وجعل خلالها) ظرف أى وسطها و
المفعول الثانى والاول (أنهارا) وبين البحرين مثله (وجعل لها) للارض

(رواسى) جبالا تمنعها عن الحركة (وجعل بين البحرين) العذب والمالح (حاجزا) مانعا ان تختلط (أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون) التوحيد فلا يؤمنون (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) الاضطرار افتعال من الضرورة وهى الحالة المحوجة الى اللجا يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذى أحوجه مرض اوفقر أونازلة من نوازل الدهر الى اللجا والتضرع الى الله اوالمذنب اذا استغفر أوالمظلوم اذا دعا أومن رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر (ويكشف السوء) الضر أوالجور (ويجعلكم خلفاء الارض) أى فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرن بعد قرن أوأراد بالخلافة الملك والتسلط

﴿ أإله مع الله ﴾ أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ آإلها باضمار فعل مثل اتدعون أوتشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين ﴿ بل هم قوم يعدلون ﴾ عن الحق الذى هو التوحيد ﴿ أمن جعل الارض قرارا ﴾ بدل من أمن خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها ﴿ وجعل خلالها ﴾ اوساطها ﴿ انهارا ﴾ جارية ﴿ وجعل لها رواسى ﴾ جبالا تتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع ﴿ وجعل بين البحرين ﴾ العذب والمالح أوخليجى فارس والروم ﴿ حاجزا ﴾ برزخا وقدم بيانه فى الفرقان ﴿ أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون ﴾ الحق فيشركون به ﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ﴾ المضطر الذى احوجه شدة ما به الى اللجاء الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ﴿ ويكشف السوء ﴾ ويدفع عن الانسان مايسوءه ﴿ ويجعلكم خلفاء الارض ﴾

والزروع تسقى بماء واحد لايقدر عليه الا الله تعالى ولايتأتى لاحد وأن تأتى ذلك لغيره محال ﴿ أإله مع الله ﴾ يعنى هل معه معبود أعانه على صنعه ﴿ بل ﴾ يعنى ليس معه اله ولا شريك ﴿ هم قوم ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ يعدلون ﴾ يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل ﴿ النوع الثانى قوله عز وجل ﴿ أمن جعل الارض قرارا ﴾ أى دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لاتميد باهلها ﴿ وجعل خلالها أنهارا ﴾ أى وسطها بانهار تطرد بالمياه ﴿ وجعل لها رواسى ﴾ أى جبالا ثوابت ﴿ وجعل بين البحرين ﴾ يعنى العذب والملح ﴿ حاجزا ﴾ أى مانعا لايختلط أحدهما بالآخر ﴿ أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون ﴾ أى توحيد ربهم وقدرته وسلطانه ﴿ النوع الثالث قوله تعالى ﴿ أمن يجيب المضطر ﴾ أى المكروب المجهود وقيل المضرور بالحاجة المحوجة من مرض أونازلة من نوازل الدهر يعنى اذا نزلت باحد بادر الى الالتجاء والتضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب اذا استغفر ﴿ اذا دعاه ﴾ يعنى فيكشف ضره ﴿ ويكشف السوء ﴾ أى الضر لانه لايقدر على تغيير حال من فقر الى غنى ومن مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة الا القادر الذى لايعجز والقاهر الذى لايغلب ولاينازع ﴿ ويجعلكم خلفاء الارض ﴾ اى سكنها وذلك انه ورثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل أولادكم خلفاءلكم وقيل جعلكم خلفاء الجن فى الارض

البساتين (أإله مع الله) سوى الله فعل ذلك (بل هم قوم يعدلون) به الاصنام (أمن جعل الارض قرارا) (أإله) مسكنا (وجعل خلالها أنهارا) وسطها أنهارا (وجعل لها) للارض (رواسى) الجبال الثوابت أوتادا لها (وجعل بين البحرين) العذب والمالح (حاجزا) مانعا لايختلطان (أإله مع الله) سوى الله فعل ذلك (بل أكثرهم لايعلمون) لايصدقون (أمن يجيب المضطر) فى البلاء (اذا دعاه) بدفع البلاء (ويكشف السوء) بدفع البلاء (ويجعلكم خلفاء الارض) سكان الارض بعد هلاك أهلها

ذنوبهم (آلله خير أما يشركون) بالياء بصري وعاصم ولا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شئ وانما هو الزام لهم وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيأ على شئ الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط وليعلموا ان الايثار يجب أن يكون للخير الزائد وكان عليه الصلاة والسلام اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ثم عدد سبحانه وتعالى الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله فقال (أمن خلق السموات والارض) والفرق بين أم وأم في أما يشركون وأمن خلق السموات أن تلك متصلة اذ المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شئ (وأنزل لكم من السماء ماء) مطرا (فانبتنا) صرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تأكيدا لمعنى اختصاص الفعل بذاته وايذانا بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسنها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده (به) بالماء (حدائق) بساتين والحديقة البستان وعليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة (ذات) ولم يقل ذوات لان المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت (بهجة) حسن لان الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكينونة

عبيده شكرا على ما انعم عليه وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين أو نوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك ﴿ آلله خير أما يشركون ﴾ الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء ﴿ أمن ﴾ بل أمن ﴿ خلق السموات والارض ﴾ التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله ﴿ وانزل لكم ﴾ لاجلكم ﴿ من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ﴾ عدل به عن الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ﴿ ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ﴾ شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة

على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعني الانبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين ﴿ آلله خير أما يشركون ﴾ فيه تبكيت للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آلله خير لمن عبده أم الاصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده وآمن به لانجائه عنه من الهلاك والاصنام لم تغن شيأ عن عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر أنواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته * فالنوع الاول قوله تعالى ﴿ أمن خلق السموات والارض ﴾ ذكر أعظم الاشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته والمعنى آلاصنام خير أم الذي خلق السموات والارض * ثم ذكر نعمه فقال ﴿ وأنزل لكم من السماء ماء ﴾ يعني المطر ﴿ فانبتنا به حدائق ﴾ أي بساتين جمع حديقة وهو البستان المحيط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة ﴿ ذات بهجة ﴾ أي ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من يراه ﴿ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ يعني ما ينبغي لكم لانكم لا تقدرون على ذلك لان الانسان قد يقول أنا المنبت للشجرة بان أغرسها وأسقيها الماء فازال الله هذه الشبهة بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها لان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والطعوم والروائح المختلفة

وسلم (آلله خير) قل يا محمد لاهل مكة أعبادة الله أفضل (أما يشركون) اما عبادة ما يشركون بالله من الاوثان (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء) مطرا (فانبتنا به) بالمطر (حدائق) بساتين ما أحيط عليها من النخل والشجر (ذات بهجة) ذات منظر حسن (ما كان لكم) مقدرة (أن تنبتوا شجرها) شجر

(فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط) أي لوطا ومتبعيه فخبر كان جواب واسمه أن قالوا (من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) يتنزهون عن القاذورات ينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وقيل هو استهزاء كقوله إنك لأنت الحليم الرشيد (فأنجيناه وأهله) خلصناه من العذاب (إلا امرأته قدرناها) بالتشديد وخففها أبو بكر أي قدرنا كونها (من الغابرين) من الباقين في العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) حجارة مكتوبا على اسم صاحبها (فساء مطر المنذرين) الذين لم يقبلوا الانذار (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء وهو تعليم لكل متكلم في كل أمر ذي بال بأن يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما وقيل هو خطاب للوط عليه السلام بأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من

الجزء العشرون

﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ يتنزهون عن فعلنا أو عن الأقذار ويعدون فعلنا قذرا ﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين﴾ قدرنا كونها من الباقين في العذاب ﴿وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين﴾ مر مثله ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ أمر رسوله عليه السلام بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من

﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ يعني من أدبار الرجال ﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين﴾ أي قضينا عليها بأن جعلناها من الباقين في العذاب ﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾ أي الحجارة ﴿فساء﴾ أي فبئس ﴿مطر المنذرين﴾ قوله عز وجل ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله

(فما كان جواب قومه) فلم يكن جواب قومه (إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط) لوطا وابنتيه زعورا وريثا (من قريتكم) سدوم (إنهم أناس يتطهرون) يتنزهون عن أدبار الرجال (فأنجيناه وأهله) ابنتيه (إلا امرأته) المنافقة (قدرناها من الغابرين) يقول قدرنا عليها أن تكون من المتخلفين بالهلاك (وأمطرنا عليهم) على شذاذهم ومسافريهم (على (مطرا) حجارة (فساء) فبئس (مطر المنذرين) من أنذرهم لوط فلم يؤمنوا (قل) يا محمد (الحمد لله) الشكر والمنة لله على هلاك (وسلام) سعادة وسلامة (على عباده الذين اصطفى) اختارهم الله بالنبوة ويقال اصطفاهم الله بالإسلام وهم أمة محمد صلى الله عل

أربعة آلاف نجوا مع صالح من العذاب (ولوطا اذ قال) واذكر لوطا واذ بدل من لوطا أى واذكر وقت قول لوط (لقومه أتأتون الفاحشة) اى اتيان الذكور (وأنتم تبصرون) تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها

من بصر القلب أو يرى ذلك بعضهم من بعض لانهم كانوا يرتكبونها فى ناديهم معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض مجانة وانهماكا فى المعصية أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم ثم صرح فقال (أئنكم) بهمزتين كوفى وشامى (لتأتون الرجال شهوة) للشهوة (من دون النساء) أى ان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر والانثى للانثى فهو مضادة لله فى حكمته (بل أنتم قوم تجهلون) تعملون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو أريد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة فى قوله بل أنتم قوم تجهلون وبل أنتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لانه أقوى اذ الاصل أن يكون الكلام بين الحاضرين

﴿ولوطا﴾ واذكر لوطا أو وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه ﴿اذ قال لقومه﴾ بدل على الاول ظرف على الثانى ﴿أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون﴾ تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح أو يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون افحش ﴿أئنكم لتأتون الرجال شهوة﴾ بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة فى المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر ﴿من دون النساء﴾ اللاتى خلقن لذلك ﴿بل انتم قوم تجهلون﴾ تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح أو تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به فى معنى المخاطب

يقال ان الناجين كانوا أربعة آلاف ﴿قوله تعالى﴾ ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ أى الفعلة القبيحة ﴿وأنتم تبصرون﴾ أى تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم ﴿أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾ فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون انه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التى كانوا عليها

والفواحش وقتل الناقة (ولوطا) أرسلنا لوطا الى قومه (اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) اللواط (وأنتم تبصرون) تعلمون انها فاحشة (أئنكم لتأتون الرجال) أدبار الرجال (شهوة) اشتهاء لكم (من دون النساء) من فروج النساء (بل أنتم قوم تجهلون) أمر الله

ضع الهلاك والثاني المصدر مهلك غيرهم من أهلك وهو الاهلاك أو مكان الاهلاك أى لم نتعرض لاهله فكيف تعرضنا له أو ما حضرنا موضع اهلاكه فكيف توليناه (وانا الصادقون) فيما ذكرنا (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) بمكرهم ما أحضروه من تدبير القتل لصالح وأهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روى انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثالث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا عليه السلام ومن معه (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم) بفتح الالف كوفي وسهل وبكسرها غيرهم على الاستئناف ومن فتحه رفعه على انه بدل من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم أو نصبه على معنى لانا أو على أنه خبر كان أى فكان عاقبة مكرهم الدمار (وقومهم أجمعين) بالصيحة (فتلك بيوتهم خاوية) ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط أو خالية من الخواء وهى حال عمل فيها مادل عليه تلك (بما ظلموا) بظلمهم (ان في ذلك) فيما فعل بثمود (لآية لقوم يعلمون) قدرتنا فيتعظون (قاو خا ٦٧ بع) (وأنجينا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) ترك أوامره وكانوا

اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا ﴿وانا لصادقون﴾ ونحلف انا لصادقون أو والحال انا الصادقون فيما ذكرنا اذ الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا أو لانا ماشهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ﴿ومكروا مكرا﴾ بهذه المواضعة ﴿ومكرنا مكرا﴾ بان جعلناها سببا لاهلاكهم ﴿وهم لا يشعرون﴾ بذلك روى انه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلى فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين﴾ وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف أو خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف أو بدل من اسم كان أو خبر له وكيف حال ﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ خالية من خوى البطن اذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهى حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿بما ظلموا﴾ بسبب ظلمهم ﴿ان في ذلك لآية لقوم يعلمون﴾ فيتعظون ﴿وانجينا الذين آمنوا﴾ صالحا ومن معه ﴿وكانوا يتقون﴾ الكفر والمعاصى فلذلك خصوا بالنجاة

﴿وانا الصادقون﴾ أى في قولنا ما شاهدنا ذلك ﴿ومكروا مكرا﴾ أى غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح وأهله ﴿ومكرنا مكرا﴾ أى جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب ﴿وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم﴾ أى اهلكناهم أى التسعة قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتت التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم وسيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهلك الله جميع القوم بالصيحة ﴿وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾ أى بظلمهم وكفرهم ﴿ان في ذلك لآية﴾ أى لعبرة ﴿لقوم يعلمون﴾ أى قدرتنا ﴿وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾

صالح وأهله (وانا الصادقون) بصدقوننا في قولنا ولا يردقولنا أحد (ومكروا مكرا) أرادوا قتل صالح ومن آمن معه (ومكرنا مكرا) أردنا قتلهم (وهم لا يشعرون) بمكرنا يقال قتلتهم الملائكة في دار صالح بالحجارة وهم لا يشعرون من الملائكة (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة مكرهم) عقوبة مكرهم بصالح (أنا دمرناهم) أهلكناهم بالحجارة (وقومهم أجمعين) وأهلكنا قومهم أجمعين (فتلك بيوتهم خاوية) خالية ساقطة (بما ظلموا) أشركوا (ان في ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة (لقوم يعلمون) يصدقون بما فعل بهم (وأنجينا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) الكفر والشرك

الطاء وزيدت الالف لسكون الطاء (وبمن معك) من المؤمنين (قال طائركم عند الله) أى سببكم الذى يجئ منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته أو عملكم مكتوب عند الله فانما نزل بكم مانزل عقوبة لكم وفتنة ومنه كل انسان ألزمناه طائره فى عنقه وأصله ان المسافر اذا مر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيامن واذا مر بارحا تشاءم فلما انسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذى هو السبب فى الرحمة والنقمة (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون وتعذبون بدينكم (وكان فى المدينة) مدينة ثمود وهى الحجر (تسعة رهط) هو جمع لا واحد له ولذا جاز تمييز التسعة به فكأنه قيل تسعة أنفس وهو من الثلاثة الى العشرة وعن أبى دؤاد رأسهم قدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا أبناء أشرافهم (يفسدون فى الارض ولا يصلحون) يعنى ان شأنهم الافساد البحت لا يخلط بشئ من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح وعن الحسن يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم وعن ابن عطاء يتبعون معايب الناس ولا يسترون عوراتهم (قالوا تقاسموا بالله) تحالفوا خبر فى محل الحال باضمار قد أى قالوا متقاسمين أو امر أى أمر بعضهم بعضا بالقسم (لنبيتنه) لنقتلنه بياتا أى ليلا (وأهله) ولده وتبعه (ثم لنقولن لوليه) لولى دمه لتبيتنه بالتاء وبضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء وضم اللام حمزة وعلى (ماشهدنا) ماحضرنا (مهلك اهله) حفص مهلك أبو بكر وحماد والمفضل من هلك فالاول

﴿ وبمن معك ﴾ اذ تتابعت علينا الشدائد أو وقع بيننا الافتراق مذ اخترعتم دينكم ﴿ قال طائركم ﴾ سببكم الذى جاء منه شركم ﴿ عند الله ﴾ وهو قدره او عملكم المكتوب عنده ﴿ بل انتم قوم تفتنون ﴾ تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ مايحيق بهم الى ذكر ماهو الداعى اليه ﴿ وكان فى المدينة تسعة رهط ﴾ تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة أو السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة ﴿ يفسدون فى الارض ولا يصلحون ﴾ أى شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح ﴿ قالوا ﴾ اى قال بعضهم لبعض ﴿ تقاسموا بالله ﴾ امر مقول أو خبر وقع بدلا أو حالا باضمار قد ﴿ لنبيتنه واهله ﴾ لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ﴿ ثم لنقولن ﴾ فيه القرآت الثلاث ﴿ لوليه ﴾ لولى دمه ﴿ ماشهدنا مهلك اهله ﴾ فضلا ان تولينا

﴿ وبمن معك ﴾ قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لامساك القطر عنهم قالوا انما أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك ﴿ قال طائركم عند الله ﴾ أى مايصيبكم من الخير والشر بامر الله مكتوب عليكم سمى طائرا لانه لاشئ أسرع من نزول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذى اتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم أى عملكم عند الله سمى طائرا لسرعة صعوده الى السماء ﴿ بل أنتم قوم تفتنون ﴾ قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون * قوله تعالى ﴿ وكان فى المدينة ﴾ يعنى مدينة ثمود وهى الحجر ﴿ تسعة رهط ﴾ يعنى من أبناء أشرافهم ﴿ يفسدون فى الارض ﴾ أى بالمعاصى ﴿ ولا يصلحون ﴾ أى لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف ﴿ قالوا تقاسموا بالله ﴾ يعنى يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم ﴿ لنبيتنه ﴾ أى لنقتلنه ليلا ﴿ وأهله ﴾ يعنى قومه الذين آمنوا معه ﴿ ثم لنقولن لوليه ﴾ أى لولى دمه ﴿ ماشهدنا ﴾ أى ماحضرنا ﴿ مهلك أهله ﴾ أى ماندرى من قتله ولا هلاك أهله

تشاء منا بك (وبمن معك) من قومك يعنون شدتنا من شؤمك ومن شؤم من آمن بك (قال) صالح (طائركم) شدتكم ورخاؤكم (عند الله) من عند الله (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون بالشدة والرخاء ويقال تخذلون ولا توفقون (وكان فى المدينة تسعة رهط) نفر من الفساق من أبناء رؤسائهم قدار بن سالف ومصدع بن دهر وأصحابهما (يفسدون فى الارض) بالمعاصى (ولا يصلحون) لا يأمرون بالصلاح ولا يعملون به (قالوا تقاسموا بالله) يقول توافقوا وتحالفوا بالله ثم قال (لنبيتنه وأهله) لندخلن عليه وعلى أهله ليلا ولنقتلنه وأهله (ثم لنقولن لوليه) لورثته وقرابته (ماشهدنا مهلك أهله) قتل صالح

(ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم) فى النسب (صالحا) بدل (أن اعبدوا الله) بكسر النون فى الوصل عاصم وحمزة وبصرى وبضم النون غيرهم اتباعا للباء والمعنى بان اعبدوا الله وحدوه (فاذا) للمفاجأة (هم) مبتدأ (فريقان) خبر (يختصمون) صفة وهى العامل فى اذا والمعنى فاذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معى وهو مبين فى قوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون وقال الفريق الكافر يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين (قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعذاب الذى توعدون (قبل الحسنة) قبل التوبة (لولا) هلا (تستغفرون الله) تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والايمان قبل نزول العذاب بكم (لعلكم ترحمون) بالاجابة (قالوا اطيرنا بك) تشاءمنا بك لانهم قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه الى مجيئه والاصل تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء فى

فيما امر به عباده وقد اختلف فى انه تزوجها أوزوجها من ذى تبع ملك همدان ﴿ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله﴾ بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء ﴿فاذاهم فريقان يختصمون﴾ ففاجأوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين ﴿قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا ﴿قبل الحسنة﴾ قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ ﴿لولا تستغفرون الله﴾ قبل نزوله ﴿لعلكم ترحمون﴾ بقبولها فانها لاتقبل حينئذ ﴿قالوا اطيرنا﴾ تشاءمنا ﴿بك﴾

ولا فى خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره مارأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة انى لم يمسنى حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لاندرى فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهى سلحين وبينون وغمدان ثم كان سليمان يزورها فى كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له ولدا ذكرا وقال وهب زعموا ان بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى أزوجك اياه فقالت ومثلى يا نبى الله ينكح الرجال وقد كان لى من قومى الملك والسلطان قال نعم انه لايكون فى الاسلام الا ذلك ولا ينبغى لك أن تحرمى ما أحل الله قالت فان كان ولا بد فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لذى تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد الى أن مات سليمان وحال الحول وعلم الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال باعلى صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك سليمان وملك ذى تبع وملك بلقيس وبقى الملك لله الواحد القهار قيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ❁ قوله عز وجل ﴿ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله﴾ أى وحدوه لاتشركوا به شيأ ﴿فاذاهم فريقان﴾ أى مؤمن وكافر ﴿يختصمون﴾ أى فى الدين كل فريق يقول الحق معنا ﴿قال﴾ يعنى صالحا للفريق المكذب ﴿ياقوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ أى بالبلاء والعقوبة ﴿قبل الحسنة﴾ أى العافية والرحمة ﴿لولا﴾ أى هلا ﴿تستغفرون الله﴾ أى بالتوبة اليه من الكفر ﴿لعلكم ترحمون﴾ أى لاتعذبون فى الدنيا ﴿قالوا اطيرنا﴾ أى تشاءمنا ﴿بك﴾

(ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم) نبيهم (صالحا أن اعبدوا الله) ان قل لهم وحدوا الله وتوبوا اليه من الكفر والشرك (فاذاهم فريقان) نصاروا فرقتين مؤمنة وكافرة (يختصمون) يتخاصمون فى الدين (قال) صالح للفرقة الكافرة (ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعذاب (قبل الحسنة) قبل العافية والرحمة (لولا تستغفرون الله) هلا تتوبون من الشرك والكفر وتوحدون الله (لعلكم ترحمون) لكى ترحموا فلا تعذبوا (قلوا اطيرنا بك)

كلام مبتدأ أي قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل أو صدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل (قيل لها ادخلي الصرح) أي القصر أو صحن الدار (فلما رأته حسبته لجة) ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) سأقيها بالهمزة مكي روي ان سليمان أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحقيقا لنبوته وقيل ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجمع فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو أشد فقالوا له ان في عقلها شيأ وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها شعراء فصرف بصره (قال) لها (انه صرح ممرد) مملس مستو ومنه الامرد (من قوارير) من الزجاج وأراد سليمان تزوجها فكره شعرها فعملت لها الشياطين النورة فأزالته فنكحها سليمان وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له (قالت رب اني ظلمت نفسي) بعبادة الشمس (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) ﴿ ولا ﴾ قال المحققون لا يحتمل أن يحتال سليمان لينظر الى ساقيها وهي اجنبية فلا يصح القول بمثله

وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول أي صدها نشؤها بين اظهر الكفار أو التعليل له ﴿ قيل لها ادخلي الصرح ﴾ القصر وقيل عرصة الدار ﴿ فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ﴾ روي انه أمر قبل قدومها فبنى قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤق واسؤق ﴿ قال انه ﴾ ان ما تظنينه ماء ﴿ صرح ممرد ﴾ مملس ﴿ من قوارير ﴾ من الزجاج ﴿ قالت رب اني ظلمت نفسي ﴾ بعبادتي الشمس وقيل بظني بسليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة ﴿ واسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾

يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس ﴿ قيل لها ادخلي الصرح ﴾ وذلك ان سليمان لما اختبر عقلها بتنكير العرش وأراد أن ينظر الى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفهما لما اخبرته الجن ان رجليها كحافر حمار وهي شعراء الساقين أمر الشياطين فعملوا لها قصرا من الزجاج الابيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء والقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ثم وضع سريره في صدر المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت في الوصفاء والوصائف فلما جلس على السرير دعا بلقيس ولما جاءت قيل لها ادخلي الصرح ﴿ فلما رأته حسبته لجة ﴾ أي ماء عظيما ﴿ وكشفت عن ساقيها ﴾ لتخوض الماء الى سليمان فاذا هي أحسن النساء ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها ﴿ قال انه صرح ممرد ﴾ أي مملس ﴿ من قوارير ﴾ زجاج وليس بماء فحينئذ سترت ساقيها وعجبت من ذلك وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة ﴿ قالت رب اني ظلمت نفسي ﴾ بعبادة غيرك ﴿ وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ أي أخلصت له التوحيد والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد أن يغرقني وكان القتل أهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي بذلك الظن واختلفوا في أمر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى أمرها الى قولها أسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر في الكتاب

(قيل لها ادخلي الصرح) القصر (فلما رأته حسبته لجة) ماء غمرا يعني كثيرا (وكشفت) رفعت ثيابها (عن ساقيها قال) لها سليمان (انه صرح) قصر (ممرد) أملس (من قوارير) تحته ماء فلا تخافي واعبري عليه (قالت رب اني ظلمت نفسي) بعبادتي الشمس (وأسلمت مع سليمان) على يدي سليمان (لله رب العالمين) سيد الجن والانس

فلما جاءت) بلقيس (قيل أهكذا عرشك) ها للتنبيه والكاف للتشبيه وذا اسم اشارة و لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا (قالت كأنه هو) فاجابت أحسن جواب فلم تقل هوهو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل للامرين اولما شبهوا عليها بقولهم أهكذا عرشك

﴿ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ﴾ تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل ﴿ قالت كأنه هو ﴾ ولم تقل هوهو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها ﴿ واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾ من تتمة كلامها كأنها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة أو المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمه من المعجزات التى لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ماجاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم فى ذلك شكرا له ﴿ وصدها ما كانت تعبد من دون الله ﴾ اى وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام أو وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان ﴿ انها كانت من قوم كافرين ﴾

حمل سليمان على ذلك ماقال وهب و محمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشى اليه اسرار الجن لان أمها كانت جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان و ذريته من بعده فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان فى عقلها شيأ وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح ﴿ فلما جاءت قيل ﴾ لها ﴿ أهكذا عرشك قالت كأنه هو ﴾ قيل انها عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقيل انها كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من الكذب ولا قالت لا خوفا من التكذيب أيضا فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها بحيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه عليها أمر العرش لانها تركته فى بيت عليه سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فما أغنى عنك اغلاق الابواب ثم قالت ﴿ وأوتينا العلم من قبلها ﴾ أى من قبل الآية فى العرش ﴿ وكنا مسلمين ﴾ أى منقادين منطاعين خاضعين لامر سليمان وقيل قوله تعالى وأوتينا العلم أى بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبلها اى من قبل الآية فى العرش وكنا مسلمين أو معناه وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه أن خصه بمزيد العلم والتقدم فى الاسلام وقيل معناه وأوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها طائعة وكنا مسلمين لله * قوله تعالى ﴿ وصدها ما كانت تعبد من دون الله ﴾ أى أى منعتها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه ﴿ انها كانت من قوم كافرين ﴾ أخبر الله أنها كانت من قوم

شبهت عليهم بقولها كانه هو مع انها علمت انه عرشها (واوتينا العلم من قبلها) من كلام بلقيس أى واوتينا العلم بقدرة الله تعالى وبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من امر الهدهد والرسل من قبل هذه المعجزة اى احضار العرش أو من قبل هذه الحالة (وكنا مسلمين) منقادين لك مطيعين لامرك أو من كلام سليمان وملأه عطفوا على كلامها قولهم وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ماجاء من عنده قبل علمها أو اوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين موحدين خاضعين (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) متصل بكلام سليمان أى وصدها عن العلم بما علمناه أو عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين أظهر الكفرة ثم بين نشأها بين الكفرة بقوله (انها كانت من قوم كافرين) أو كلام

لا يعرفون (فلما جاءت قيل) قال لها سليمان (أهكذا عرشك) سريرك شبهوه عليها (قالت كأنه هو) شبهتموه على

(وأوتينا العلم من قبلها) فقال سليمان قد أعطانى الله بتغيير سريرها ومجيئه من قبل مجيئها (وكنا مسلمين) أى مخلصين من قبل مجيئها (وصدها) صرفها سليمان ويقال صرفها الله (ما كانت) عما كانت (تعبد من دون الله) يعنى الشمس (انها كانت من قوم كافرين) المجوس

(فلما رآه) أى العرش (مستقرا عنده) ثابتا لديه غير مضطرب (قال هذا) أى حصول مرادى وهو حضور العر
فى مدة ارتداد الطرف (من فضل ربى) على واحسانه الى بلا استحقاق منى بل هو فضل خال من العوض صاف عن الغر
(ليبلونى أأشكر) ليمتحننى أأشكر انعامه (أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه يحط به عنها عبء الوا
ويصونها عن سمة الكفران ويستجاب به المزيد ويرتبط به النعمة فالشكر

بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسمية
والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله
وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا ۞ لقلبك يوما اتعبتك المناظر
وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شئ فقبل ان ترده احضر
عرشها بين يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه ﴿ فلما رآه ﴾ رأى العرش ﴿ مستقرا
عنده ﴾ حاصلا بين يديه ﴿ قال ﴾ تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله
تعالى ﴿ هذا من فضل ربى ﴾ تفضل به على من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من
احضار العرش فى مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره والكلام فى امكان
مثله قد مر فى آية الاسراء ﴿ ليبلونى أأشكر ﴾ بان اراه فضلا من الله بلا حول منى
ولا قوة واقوم بحقه ﴿ أم أكفر ﴾ بان اجد نفسى فى البين أو اقصر فى اداء مواجبه
ومحلهما النصب على البدل من الياء ﴿ ومن شكر فانما يشكر لنفسه ﴾ لانه به يستجاب
لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ﴿ ومن
كفر فان ربى غنى ﴾ عن شكره ﴿ كريم ﴾ بالانعام عليه ثانيا ﴿ قال نكروا لها عرشها ﴾
بتغيير هيئته وشكله ﴿ ننظر ﴾ جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف ﴿ أتهتدى
أم تكون من الذين لا يهتدون ﴾ الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان
بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس

وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجئ
بالعرش فى الوقت ﴿ فلما رآه ﴾ يعنى رأى سليمان العرش ﴿ مستقرا عنده ﴾ أى
محولا اليه من مأرب الى الشام فى قدر ارتداد الطرف ﴿ قال هذا من فضل ربى ليبلونى ﴾
يعنى التمكن من حصول المراد ﴿ أأشكر ﴾ أى نعمته على ﴿ أم أكفر ﴾ فلا أشكرها
﴿ ومن شكر فانما يشكر لنفسه ﴾ أى يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام
النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ﴿ ومن كفر فان
ربى غنى ﴾ أى عن شكره لا يضره ذلك الكفران ﴿ كريم ﴾ أى بالافضال عليه
لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة ﴿ قال نكروا لها عرشها ﴾ يعنى
غيروا سريرها الى حال تنكره اذا رأته قيل هو أن يزاد فيه أو ينقص منه وقيل انما
يجعل أسفله اعلاه ويجعل مكان الجوهر الاحمر أخضر ومكان الاخضر أحمر ﴿ ننظر
أتهتدى ﴾ الى معرفة عرشها ﴿ أم تكون من الذين لا يهتدون ﴾ الى معرفته وانما

للنعمة الموجودة وصيد للنعمة
المفقودة وفى كلام بعضهم
ان كفران النعمة بوار وقلما
أقشعت نافرة فرجعت فى
نصابها فاستدع شاردها
بالشكر واستدم راهنها
بكرم الجوار واعلم ان سبوغ
ستر الله تعالى متقلص عما
قريب اذا أنت لم ترج لله
وقارا أى لم تشكر لله نعمته
(ومن كفر) بترك الشكر
على النعمة (فان ربى غنى)
عن الشكر (كريم) بالانعام
على من يكفر نعمته قال
الواسطى ما كان منا من
الشكر فهو لنا وما كان
منه من النعمة فهو الينا
وله المنة والفضل علينا
(قال نكروا لها عرشها)
غيروا أى اجعلوا مقدمه
مؤخره وأعلاه أسفله
(ننظر) بالجزم على الجواب
(أتهتدى) الى معرفة عرشها
أو للجواب الصواب اذا
سألت عنه (أم تكون
من الذين لا يهتدون

من بعيد (فلما رآه مستقرا)
ثابتا (عنده) يعنى عرشها عنده عرشه (قال) لآصف (هذا من فضل ربى) من منة ربى (ليبلونى) يختبرنى (أأشكر) فى حمل
نعمته (أم أكفر) أم أترك شكر نعمته (ومن شكر) نعمته (فانما يشكر لنفسه) ثواب ربه (ومن كفر) ترك شكر نعمته (فان ربى غنى
عن شكره (كريم) متجاوز لمن تاب لا يعجل بالعقوبة (قال نكروا لها عرشها) غيروا سريرها فزيدوا فيه وانقصوا
(ننظر أتهتدى) أتعرف (أم تكون من الذين لا يهتدون)

...ير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها (قال عفريت من الجن) وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان (أنا آتيك به قبل أن ...م من مقامك) مجلس حكمك وقضائك (واني عليه) على حمله (لقوي أمين) آتي به كما هو لا آخذ منه شيأ ولا ابدله فقال ...يمان عليه السلام أريد أعجل من هذا (قال الذى عنده علم من الكتاب)

﴿ قال عفريت ﴾ خبيث مارد ﴿ من الجن ﴾ بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا ﴿ انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك ﴾ مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار ﴿ واني عليه ﴾ على حمله ﴿ لقوى أمين ﴾ لا اختزل منه شيأ ولا ابدله ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب ﴾ آصف بن برخيا وزيره أو الخضر او جبريل أو ملك ايده الله به أو سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى ﴿ انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ﴾ للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو اراد اظهار معجزة فى نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد

انها ان أسلمت يحرم عليه مالها فاراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه لانه أعجبه وصفه لما وصفه له الهدهد وقيل اراد أن يعرف قدر ملكها لان السرير على قدر المملكة ﴿ قال عفريت من الجن ﴾ وهو المارد القوي وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ أى مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له فى الغداة مجلس يقضي فيه الى متسع النهار وقيل نصفه ﴿ واني عليه ﴾ أى على حمله ﴿ لقوي أمين ﴾ أى على مافيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب ﴾ قيل هو جبريل وقيل هو ملك أيد الله به سليمان وقيل هو آصف ابن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه أعلم بنى اسرائيل بالكتاب وكان الله قد آتاه علما وفهما فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذى كلمه فاراد سليمان اظهار معجزة فتحداهم أولا ثم بين للعفريت انه يتأتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتأتى للعفريت قيل كان الدعاء الذى دعا به ياذا الجلال والاكرام وقيل ياحي ياقيوم وروى ذلك عن عائشة وروى عن الزهري قال دعاء الذى عنده علم من الكتاب ياالهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتنى بعرشها وقال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمين ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجرون به تحت الارض حتى نبع من بين يدى سليمان وقيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسى سليمان فقال ما قال ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ﴾ قال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي

أى ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عند قول العفريت أو جبريل عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ أو الخضر أو آصف بن برخيا كاتب سليمان وهو الاصح وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب وهو ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام أو ياالهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت وقيل كان له علم بمجارى الغيوب الهاما (أنا آتيك به) بالعرش وآتيك فى الموضعين يجوز ان يكون فعلا أو اسم فاعل ومعنى قوله (قبل أن يرتد اليك طرفك) انك ترسل طرفك الى شئ فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى ان آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمين ودعا آصف فغار العرش فى مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل ان يرتد طرفه

(قال عفريت) شديد (من

...) يقال له عمرو (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) من مجلسك للقضاء وكان مجلس قضائه الى انتصاف النهار (واني عليه) على ...(لقوي أمين) على مافيه من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة قال سليمان بل أريد أسرع من هذا (قال الذى عنده علم من الكتاب) ...لله الاعظم ياحي ياقيوم وهو آصف بن برخيا (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قبل أن يبلغ اليك الشئ الذى رأيته

حالكم وما ارضى منكم بشئ ولاأفرح به الابالايمان وترك المجوسية والفرق بين قولك أتمدونني بمال وانااغنى منكم وبـ
ان تقوله بالفاء انى اذاقلته بالواوجعلت مخاطبي عالما بزيادتي فى الغنى وهو مع ذلك يمدني بمال واذاقلته بالفاء فقدجـ
ممن خفيت عليه حالى فانا اخبره الساعة بما لااحتاج معه الى امداده كأنى اقول له انكر عليك مافعلت فانى غنى عنه ويـ
وردفما آتانى الله ووجه الاضراب انه لماانكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذى حملهم
وهوانهم لايعرفون سبب رضاولافرح الان يهدى اليهم حظ من الدنيا
لايعلمون غيرها (ارجع اليهم) خطاب للرسول اوالهدهد محملا كتابا آخر اليهم ائت بلقيس وقومها (فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها) لاطاقة لهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أى لايقدرون أن يقابلوهم (ولنخرجنهم منها) من سبأ (أذلة وهم صاغرون) الذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا فى أسر واستعباد فلما رجع اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو نبى ومالنابه طاقة ثم جعلت عرشها فى آخر سبعة أبيات وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه وبعثت الى سليمان انى قادمة اليك لانظر ما الذى تدعو اليه وشخصت اليه فى اثنى عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ
من سليمان (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) أراد أن يريها بذلك بعض ماخصه (انها)
الله تعالى به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان أو أراد أن يأخذ
قبل أن تسلم لعلمه انها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وهذا بعيد عند أهل التحقيق أو أراد ان يؤتى به فينكر

حالهم فى تصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ﴿ ارجع ﴾ ايها الرسول ﴿ اليهم ﴾ الى بلقيس وقومها ﴿ فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ﴾ لاطاقة لهم بمقاومتها ولاقدرة بهم على مقاتلتها وقرئ بهم ﴿ ولنخرجنهم منها ﴾ من سبأ ﴿ اذلة ﴾ بذهاب ما كانوا فيه من العز ﴿ وهم صاغرون ﴾ اسراء مهانون ﴿ قال يا ايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها ﴾ اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه فى دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره ﴿ قبل ان يأتونى مسلمين ﴾ فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها

بعض وأماأنا فلاأفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتى لان الله قدأعطانى منها مالم يعط أحدا ومع ذلك أكرمنى بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد ﴿ ارجع اليهم ﴾ أى بالهدية ﴿ فلنأتينهم بجنود لاقبل ﴾ أى لاطاقة ﴿ لهم بها ولنخرجنهم منها ﴾ أى من أرض سبأ ﴿ أذلة وهم صاغرون ﴾ أى ان لم يأتونى مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتاب لمارجعت رسل بلقيس اليها أى من عند سليمان وبلغوها ماقال سليمان قالت والله لقدعرفت ماهذا بملك ومالنابه من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومى حتى أنظر ماأمرك وما الذى تدعو اليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعلته فى آخر سبعة أبيات بعضها داخل بعض ثم أغلقت عليه سبعة أبواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احفظ ما قبلك وسرير ملكى لايخلص اليه أحد ثم أمرت مناديا ينادى فى أهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان فى اثنى عشر ألف قيل من ملوك اليمن كل قيل تحت يده الوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لايبتدأ بشئ حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فسمع وهجا قريبا منه قال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فقبل سليمان على جنوده ﴿ قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ﴾ قال ابن عباس يعنى طائعين وقيل مؤمنين قيل غرض سليمان فى احضار عرشها ليريها قدرة الله تعالى واظهار معجزة دالة على نبوته وقيل أراد أن ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل ان سليمان علم

اليكم (ارجع اليهم) بهديتهم (فلنأتينهم بجنود) بجموع (لاقبل لهم بها) لاطاقة لهم بها (ولنخرجنهم منها) من سبأ (أذلة) مغلولة ايمانهم الى اعناقهم (وهم صاغرون) ذليلون (قال) سليمان (يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها) بسريرها (قبل أن يأتونى مسلمين) مستسلمين مصالحـ

عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية ﴿ فلما جاء سليمان ﴾ أي الرسول أو ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا ﴿ قال أتمدونني بمال ﴾ خطاب للرسول ومن معه أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء ﴿ فما آتاني الله ﴾ من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه * وقرأ نافع وابو عمرو وحفص باسكان الياء وباسقاطها الباقون وبامالتها الكسائي وحده ﴿ خير مما آتاكم ﴾ فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندي ﴿ بل انتم بهديتكم تفرحون ﴾ لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم أو بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليهم وتعليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على

فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وترك على طريقهم موضعا على قدر ما معهم من اللبن في ذلك الموضع فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا أن يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع ولما رأوا الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم فكانوا يمرون على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم تلقيا حسنا وسألهم عن حالهم فاخبره رئيس القوم بما جاؤا فيه وأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحق فاتى به فحركه فجاءه جبريل فاخبره بما فيه فقال لهم ان فيه درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب قال الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الجزعة فقال سليمان من لي بثقبها وسأل الانس والجن فلم يكن عندهم علم ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فلما جاءت الارضة أخذت شعرة في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت يكون رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجواري بان أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيديه ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فميز بين الغلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله تعالى فقال تعالى ﴿ فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله ﴾ أي ما أعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك ﴿ خير ﴾ أي أفضل ﴿ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ معناه أنتم أهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا تفرحون باهداء بعضكم الى

رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم (فلما جاء) رسولها المنذر بن عمرو (سليمان قال أتمدونني بمال) بنونين واثبات الياء في الوصل والوقف مكي وسهل ووافقهما مدني وأبو عمرو في الوصل أتمدوني حمزة ويعقوب في الحالين وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما والخطاب للرسل (فما آتاني الله) من النبوة والملك والنعمة وبفتح الياء مدني وأبو عمرو وحفص (خير مما آتاكم) من زخارف الدنيا (بل أنتم بهديتكم تفرحون) الهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال بل أنتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف

فلما جاء سليمان) رسولها الى سليمان (قال) (قا و خا ٦٦ بع) سليمان (أتمدونن بمال) هدية (فما آتاني الله) أعطاني الله من الملك والنبوة (خير) أفضل (مما آتاكم) أعطاكم من المال (بل أنتم بهديتكم تفرحون) ان اردت

ولم يرض منا الآن نتبعه على دينه فبعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن راكبى خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رسلا وأمرت عليهم المنذر بن عمرو بدليل قوله تعالى بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا وقالت فيه ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف وأخبر بما فى الحق واثقب الدرة ثقبا واسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره وان رأيته بشاشا لطيفا فهو نبى فاقبل الهدهد وأخبر سليمان الخبر كله فامر سليمان الجن فضربوا لبنات الذهب والفضة وفرشوها فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبنات وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروث على لبن الذهب رموا بما معهم من (فرش) الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم سليمان بوجه طلق فاعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فامر الارضة

عمرو فى وفد وارسلت معهم غلمانا على زى الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظم شأنه تقاصر اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق واخبر

وصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست الجوارى لبس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لبس الجوارى وجعلت فى ايديهم أساور الذهب وفى اعناقهم أطواق الذهب وفى آذانهم أقرطة وشنوفا مرصعات انواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج وبعثت اليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود اليلنجوج وعمدت الى حق جعلت فيه درة يتيمة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب عقل ورأى وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما فى الحق قبل أن تفتحه واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل فى الخرزة خيطا من غير علاج أنس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت فان نظر اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك أمره ومنظره فانا أعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبى فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وان يفرشوا لبن الذهب والفضة وان يخلوا مقدار تلك اللبنات التى معهم وأن يعملوا حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال أى دواب البر والبحر أحسن فقالوا يا نبى الله ما رأينا أحسن من دواب البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة ألوانها لها أجنحة واعراف ونواص قال على بها الساعة فأتوا بها فقال شدوها بين يمين الميدان وشماله ثم قال للجن على باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسى على يمين الميدان وعلى شماله وأمر الانس والجن والشياطين والوحش والطير والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم الى الميدان ونظروا الى ملك سليمان رأوا أول الامر الدواب التى لا يرى مثلها تروث فى لبنات الذهب والفضة فلما رأوا ذلك تقاصرت أنفسهم وخبؤا ما معهم من الهدايا وقيل ان سليمان

كل واحد على عشرة آلاف (قالوا) مجيبين لها (نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد) ارادوا بالقوة قوة الاجساد والآلات وبالبأس النجدة والبلاء فى الحرب (والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين) اى موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولانخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال اوأرادوا نحن من ابناء الحرب لامن أبناء الرأى والمشورة وأنت ذات الرأى والتدبير فانظرى ماذا ترين نتبع رأيك فلما أحست منهم الميل الى المحاربة مالت الى المصالحة ورتبت الجواب فزيفت أولا ماذكروه و أرتهم الخطأ فيه ﴿ ٥١٩ ﴾ حيث (قالت {سورة النمل} ان الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (افسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أذلوا اعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة التى لاتتغير لانها كانت فى بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية ومارأت من الرأى السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها واحتج الساعى فى الارض بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر واذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين (وانى مرسلة اليهم بهدية) أى مرسلة رسلا بهدية (فناظرة) فمنتظرة (بم) أى بما لان الالف تحذف مع حرف الجر فى الاستفهام (يرجع المرسلون) بقبولها أم بردها لانها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم فان كان ملكا قبلها وانصرف وان كان نبيا ردها

﴿ قالوا نحن اولوا قوة ﴾ بالاجساد والعدد ﴿ واولوا بأس شديد ﴾ نجدة وشجاعة ﴿ والامر اليك ﴾ موكول ﴿ فانظرى ماذا تأمرين ﴾ من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك ﴿ قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها ﴾ تزييف لما احست منهم عن الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان عليه السلام خططهم فيسرع الى افساد مايصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لايدرى عاقبتها ﴿ وجعلوا أعزة اهلها اذلة ﴾ بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة أو تصديق لها من الله عزوجل ﴿ وانى مرسلة اليهم بهدية ﴾ بيان لما ترى تقديمه للمصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكى ﴿ فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روى انها بعثت منذربن

﴿ قالوا ﴾ يعنى الملأ مجيبين لها ﴿ نحن اولوا قوة ﴾ أى فى الجسم على القتال ﴿ وأولوا بأس شديد ﴾ أى عند الحرب وقيل أراد بالقوة كثرة العدد والبأس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال أى ان أمرتهم بذلك ثم قالوا ﴿ والامر اليك ﴾ أيها الملكة أى فى القتال وتركه ﴿ فانظرى ماذا تامرين ﴾ أى تجدينا مطيعين لامرك ﴿ قالت ﴾ بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال ومايؤل اليه أمره ﴿ ان الملوك اذا دخلوا قرية ﴾ أى عنوة ﴿ افسدوها ﴾ أى خربوها ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ أى أهانوا أشرافها وكبراءها كى يستقيم لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ أى كما قالت هى يفعلون وقيل هو من قولها وهو للتأكيد لما قالت ثم قالت ﴿ وانى مرسلة اليهم بهدية ﴾ أى الى سليمان وقومه أصانعه بها على ملكى وأختبره بها أملك هو أم نبى فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا أن نتبعه فى دينه وهو قولها ﴿ فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الامور وجربتها فاهدت

وتشاورونى (قالوا نحن أولوا قوة) بالسلاح (وأولو بأس شديد) بالقتال (والامر اليك) يقول أمرنا لامرك تبع (فانظرى ماذا تأمرين) حتى نفعل ما أمرتنا ثم نطقت بحكمة (قالت ان الملوك) ملوك الارض (اذا دخلوا قرية) عنوة بالحرب والقتال (أفسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بالضرب والقتل وغير ذلك (وكذلك يفعلون) قال الله كذلك يفعلون يعنى ملوك الارض بالكبرياء (وانى مرسلة اليهم) الى سليمان (بهدية فناظرة) فأنتظر (بم يرجع المرسلون) الرسل

(قالت) لقومها خاضعة خائفة (ياأيها الملأ انى)وبفتح الياء مدنى (ألقى الى كتاب كريم) حسن مضمونه ومافيه أومخ
قال عليه الصلاة والسلام كرم الكتاب ختمه وقيل من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به أو مصدر بسم
الرحمن الرحيم أولانه من عند ملك كريم (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) هو تبيين لما ألقى اليها كأ
قالت انى ألقى الى كتاب كريم قيل لها ممن هو وماهو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وأن فى (ألاتعلو
لاتترفعوا (على) ولاتتكبروا كماتفعل الملوك مفسرة كقوله وانطـ

الملأ منهم أن امشوا يعنى أى امشوا (وائتونى مسلمين) مؤمنين أو منقادين وكتب الانبياء مبنية على الايجاز والاختصار (قالت ياأيها الملأ أفتونى فى أمرى) أشيروا على فى الامر الذى نزل بى والفتوى الجواب فى الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء فى السن والمراد هنا بالفتوى الاشارة عليها بما عندهم من الرأى وقصدها بالرجوع الى استشارتهم تطييب أنفسهم ليمالؤها ويقوموا معها (ماكنت قاطعة امرا) فاصلة أو ممضية حكما (حتى تشهدون) بكسر النون والفتح لحن لان النون انما تفتح فى موضع الرفع وهذا فى موضع النصب واصله تشهدوننى فحذفت النون الاولى للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها وبالياء فى الوصل والوقف يعقوب اى تحضرونى اوتشيرونى
اوتشهدوا انه صواب اى لاابت الامر الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا (قالوا)

ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول ﴿قالت ﴾ أى بعد ماالقى اليها ﴿ ياأيها الملأ انى القى الى كتاب كريم ﴾ لكرم مضمونه أو مرسله أولانه كان مختوما أو لغرابة شانه اذ كانت مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به ﴿انه من سليمان ﴾ استئناف كأنه قيل لها ممن هو وماهو فقالت انه أى ان الكتاب أو العنوان من سليمان ﴿وانه ﴾ أى وان المكتوب أو المضمون وقرئتا بالفتح على الابدال من كتاب أو التعليل لكرمه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ان لاتعلوا على ﴾ ان مفسرة أو مصدرية فتكون بصلته خبر محذوف أى هو أو المقصود ان لاتعلوا أو بدل من كتاب ﴿وائتونى مسلمين ﴾ مؤمنين أو منقادين وهذا الكلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا أو التزاما والنهى عن الترفع الذى هو ام الرذائل والامر بالاسلام والجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة ﴿قالت ياأيها الملأ افتونى فى امرى ﴾ اجيبونى فى امرى الفتوى واذكروا ماتستصوبون فيه ﴿ ماكنت قاطعة امرا ﴾ ماابت امرا ﴿حتى تشهدون ﴾ الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالؤها على الاجابة

وأخذوا مجالسهم ﴿ قالت ﴾ لهم بلقيس ﴿ ياأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم ﴾ قيل سمته كريما لانه كان مختوما وروى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كريم أى شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن الكتاب فقالت ﴿ انه من سليمان ﴾ قرأت المكتوب فيه فقالت ﴿وانه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فان قلت لم قدم انه من سليمان على بسم الله قلت ليس هو كذلك بل ابتدأ سليمان بسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت مافى الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ألاتعلوا على ﴾ قال ابن عباس لاتتكبروا على والمعنى لاتمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر ﴿ وائتونى مسلمين ﴾ أى طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد ﴿ قالت ياأيها الملأ أفتونى فى امرى ﴾ أى أشيروا على فيما عرض لى ﴿ ماكنت قاطعة امرا ﴾ أى قاضية وفاصلة ﴿ حتى تشهدون ﴾ أى تحضرون

قومها (قالت ياأيها الملأ) الرؤساء (انى ألقى الى كتاب كريم) مختوم (انه) عنوانه (من سليمان وانه) أول سطره (بسم الله الرحمن الرحيم ألاتعلوا على) أن لاتتكبروا على (وائتونى مسلمين) مستسلمين مصالحين وأشياء كانت فيه مكتوبة (قالت ياأيها الملأ الرؤساء (أفتونى فى أمرى) اخبرونى عن أمرى ويقال شاوروا لى (ماكنت قاطعة أمرا) فاعلة أمرا (حتى تشهدون) تحضرو

ن كلامه (قال) سليمان للهدهد (سننظر) من النظر الذى هو التأمل (أصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) وهذا أبلغ من أم كذبت لانه اذا كان معروفا بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذبا لامحالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلاتعلوا على وأتونى مسلمين وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب بكتابى هذا فالقه) بسكون الهاء تخفيفا أبو عمرو وعاصم وحمزة ويختلسها كسرة التدل الكسرة على الباء المحذوفة يزيد وقالون ويعقوب فالقهى باثبات الياء غيرهم (اليهم) الى بلقيس وقومها لانه ذكرهم معها فى قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وبنى الخطاب فى الكتاب على لفظ الجمع لذلك (ثم تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون مايقولونه بمسمع منك (فانظر ماذا يرجعون) ما الذى يردونه من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على نحرها وهى راقدة وتوارى فى الكوة فانتبهت فزعة أو أتاها والجنود حواليها فرفرف ساعة وألقى الكتاب فى حجرها وكانت قارئة فلما رأت الخاتم

العظيمين بون عظيم ﴿قال سننظر﴾ سنتعرف من النظر بمعنى التأمل ﴿أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾ أى أم كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل ﴿اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم﴾ ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾

من كلامه ﴿ قال ﴾ سليمان ﴿ سننظر أصدقت ﴾ أى فيما أخبرت ﴿ أم كنت من الكاذبين ﴾ ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وروى الناس والدواب ثم ان سليمان كتب كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى امابعد أن لاتعلوا على وأتونى مسلمين قيل لم يزد على مانص الله فى كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جملا لايطيلون ولايكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد ﴿اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم﴾ انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه جعله جوابا لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم ﴿ثم تول عنهم﴾ أى تنح عنهم فقف قريبا منهم ﴿ فانظر ماذا يرجعون ﴾ أى يردون من الجواب وقيل تقدير الآية فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أى انصرف الى فاخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بارض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فأتى الهدهد وألقى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحولها القادة والوزراء والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس رأسها فالقى الكتاب فى حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد وسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت ان الذى أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت هى حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قيل مع كل قيل مائة ألف والقيل ملك دون الملك الاعظم وقيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤا

(قال) سليمان للهدهد (سننظر) فى مقالتك (أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم) عليهم (ثم تول عنهم) تنح عنهم حيث لايرونك (فانظر ماذا يرجعون) يقولون ويردون ويجيبون كتابى ففعل كما أمره سليمان فأخذت بلقيس كتاب سليمان وخرجت الى

(فهم لايهتدون) الى الحق ولايبعد من الهدهد التهدى الى معرفة الله تعالى. ووجوب السجود له وحر
السجود للشمس الهاما من الله له كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى لايكاد العقلاء الرا
العقول يهتدون لها (ألايسجدوا) بالتشديد أى فصدهم عن السبيل لئلا يسجدون فحذف الجار مع أن أو أدغمت النو
اللام و يجوز أن تكون لامزيدة ويكون المعنى فهم لايهتدون الى أن يسجد

وبالتخفيف يزيد و على وتقديره ألا ياهؤلاء اسجدوا فألا للتنبيه و يكون يا للنداء ومناداه محذوف فمن شدد لم يقف الا على العرش العظيم ومن خفف وقف على فهم لايهتدون ثم ابتدأ الا يااسجدوا أو وقف على الا ياثم ابتدأ اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة فى القراءتين جميعا بخلاف مايقوله الزجاج انه لايجب السجود مع التشديد لان مواضع السجدة اما أمر بها أو مدح للآتى بها أوذم لتاركها واحدى القراءتين أمر والاخرى ذم للتارك (لله الذى يخرج الخبء) سمى المخبأ بالمصدر (فى السموات والارض) قتادة خبء السماء المطر وخبء الارض النبات (ويعلم مايخفون وما يعلنون) وبالتاء فيهما على وحفص (الله لااله الاهو رب العرش العظيم) وصف الهدهد عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة الى سائر ماخلق من السموات والارض

﴿فهم لايهتدون﴾ اليه ﴿ألايسجدوا لله﴾ فصدهم لان لايسجدوا وزين لهم ان لايسجدوا على انه بدل من اعمالهم أو لايهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائى ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اى الا ياقوم اسجدوا كقوله

وقالت ألا يا اسمع نعظك بخطة ۞ فقلت سميعا فانطق واصيبى

وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله أو من سليمان والوقف على لايهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة لاعند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والاتسجدون وهلا تسجدون على الخطاب ﴿الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ماتخفون وماتعلنون﴾ وصف له بمايوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ماخفى فى غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج مافى الشئ بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج مافى الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائى ماتخفون وماتعلنون بالتاء ﴿الله لااله الاهو رب العرش العظيم﴾ الذى هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين

﴿فهم لايهتدون﴾ أى الى الصواب ﴿ألايسجدوا﴾ قرئ بالتخفيف ومعناه الايا أيها الناس اسجدوا وهو أمر من الله مستأنف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا ﴿لله الذى يخرج الخبء﴾ يعنى الخفى المخبأ ﴿فى السموات والارض﴾ قيل خبء السموات المطر وخبء الارض النبات ﴿ويعلم مايخفون ومايعلنون﴾ والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لايستحق العبادة الامن هو قادر على من فى السموات والارض عالم بجميع المعلومات ﴿الله لااله الاهو رب العرش العظيم﴾ أى هو المستحق للعبادة والسجود لاغيره

فصل

وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها فان قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها والى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد

ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالاضافة الى عروش أبناء جنسها من الملوك الى ههنا كلام الهدهد فلما فرغ (من)

والهدى (فهم لايهتدون) سبيل الحق والهدى (ألايسجدوا لله الذى) وقد قلت لهم ألا ياهؤلاء اسجدوا لله ويقال هذا قول سل
يقول لم لايسجدون لله الذى (يخرج الخبء) ماخبئ (فى السموات) من المطر (والارض) من النبات (ويعلم مايخفو
مايسرون من الخير والشر (ومايعلنون) يظهرون من الخير والشر (الله لااله الاهو رب العرش العظيم) السرير الكبير

لاهلها ﴿ واوتيت من كل شئ ﴾ يحتاج اليه الملوك ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ عظمه بالنسبة اليها أو الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ﴾ كأنهم كانوا يعبدونها ﴿ وزين لهم الشيطان اعمالهم ﴾ عبادة الشمس وغيرها من مقابح افعالهم ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ سبيل الحق والصواب

المال لاحاجة لى به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس وجاء فى الحديث ان أحد أبوى بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمعت فى الملك وطلبت قومها أن يبايعوها فاطاعها قوم وأبى آخرون وملكوا عليهم رجلا آخر يقال انه ابن أخى الملك وكان خبيثا سيئ السيرة فى أهل مملكته حتى كان يمد يده الى حريم رعيته ويفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فارسلت اليه فعرضت نفسها عليه فاجابها الملك وقال مامنعنى ان ابتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك لانك كفؤ كريم فاجمع رجال أهلى واخطبنى منهم فجمعهم وخطبها فقالوا الانراها تفعل فقال بلى انها قد رغبت فى فذكروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت فى ملأ كثير من خدمها وحشمها فلما دخلت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحزت رأسه وانصرفت الى منزلها من الليل فلما أصبحت أرسلت الى وزرائه واحضرتهم وقرعتهم وقالت أما كان فيكم من يأنف لكريمته أوكرائم عشيرته ثم ارتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا الانرضى غيرك فملكوها وعلموا ان ذلك النكاح كان مكرا وخديعة منها (خ) عن أبى بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة * قوله تعالى ﴿ وأوتيت من كل شئ ﴾ يعنى ماتحتاج اليه الملوك من المال والعدة ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ أى سرير ضخم عال * فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها على ما رأى من عظمة ملك سليمان * قلت يحتمل انه استعظم ذلك بالنسبة اليها ويحتمل انه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا فى ثلاثين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثون ذراعا وقيل كان طوله ثمانين فى ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا * قوله عز وجل اخبارا عن الهدهد ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ﴾ وذلك انهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ المزين هو الله لانه الفعال لما يريد وانما ذكر الشيطان لانه سبب الاغواء ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ أى عن طريق الحق الذى هو دين الاسلام

ل المدينة (وأوتيت) حال وقد مقدرة (من كل شئ) من أسباب الدنيا مايليق بحالها (ولها عرش) سرير (عظيم) كبير قيل كان ثمانين ذراعا فى ثمانين ذراعا وطوله فى الهواء ثمانون ذراعا وكان من ذهب وفضة وكان مرصعا بانواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق واستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم عرشها لذلك وقد أخفى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) أى سبيل التوحيد

بلقيس (وأوتيت من كل شئ) أعطيت علم كل شئ فى بلدها (ولها عرش عظيم) حسن كبير عليه من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة كذا وكذا (وجدتها وقومها يسجدون للشمس) يعبدون الشمس (من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم) عبادتهم للشمس (فصدهم عن السبيل) فصرفهم الشيطان عن طريق الحق

(فمكث)الهدهد بعد تفقد سليمان اياه و بضم الكاف غير عاصم وسهل و يعقوب وهما لغتان (غير بعيد) أى مكثا
طويل أو غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة على اسراعه للدلالة خوفا من سليمان فلما رجع
عما لقى فى غيبته (فقال أحطت) علمت شيأ من جميع جهاته (بما لم تحط

﴿ فمكث غير بعيد ﴾ زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف ﴿ فقال احطت بما لم تحط به ﴾ يعنى حال سبأ وفى مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان فى ادنى خلق الله تعالى من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه و يتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق ﴿ وجئتك من سبأ ﴾ وقرأ ابن كثير وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة ﴿ بنبأ يقين ﴾ بخبر محقق روى انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ماشاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقفا فانحط اليه فتواصفا فطار معه لينظر ماوصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ماحكى ولعل فى عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها ﴿ انى وجدت امرأة تملكهم ﴾ يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير فى تملكهم لسبأ أو

أبطأك عنى فقال الهدهد ما أخبر الله عنه بقوله تعالى ﴿ فمكث غير بعيد ﴾ معناه أى غير طويل ﴿ فقال أحطت بما لم تحط به ﴾ أى علمت مالم تعلم وبلغت مالم تبلغ أنت ولا جنودك ألهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان تنبيها على ان أدنى خلق الله قد أحاط علما بما لم يحط به ليكون لطفا له فى ترك الاعجاب والاحاطة بالشئ علما أن يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه منه معلوم ﴿ وجئتك من سبأ ﴾ قيل هو اسم للبلد وهى مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ فقال رجل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة ﴿ بنبأ ﴾ أى بخبر ﴿ يقين ﴾ فقال سليمان وماذاك فقال ﴿ انى ﴾ أى الهدهد ﴿ وجدت امرأة تملكهم ﴾ هى بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد ولد له أربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منهم كفؤا لى وأبى ان يتزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه منهم امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن قيل فى سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم أنه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صورة الظباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل انه خرج متصيدا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فافاقت وأطلقها فلما رجع الى داره وجلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل فخاف منه فقال لا تخف أنا الحية البيضاء التى أحييتنى والاسود الذى قتلته هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال

ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام مع ما أوتى من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاء له فى علمه و فيه دليل بطلان قول الرافضة ان الامام لايخفى عليه شئ ولا يكون فى زمانه أحد أعلم منه (وجئتك من سبأ) غير منصرف أبو عمرو جعله اسما للقبيلة أو المدينة وغيره بالتنوين جعله اسما للحى أو الاب الاكبر (بنبأ يقين) النبأ الخبر الذى له شأن وقوله من سبأ بنبأ من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع لفظا ومعنى ههنا ألا ترى انه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما فى النبأ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال (انى وجدت امرأة) هى بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير فى (تملكهم) راجع الى سبأ على تأويل القول أو

(فمكث غير بعيد) فلبث غير طويل حتى جاءه (فقال أحطت بما لم تحط به) بلغت الى مالم تبلغ وعلمت مالم تعلم { المال
أيها الملك (وجئتك من سبأ) من مدينة سبأ (بنبأ يقين) بخبر حق عجب (انى وجدت امرأة تملكهم) يقال لها

ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن يحضر من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصرة على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين يتدين يانبي الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يانبي الله قال مقدار ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء زوال أي وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها فاحب النزول بها ليصلي ويتغدى فلما نزل قال الهدهد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى الدنيا وعرضها فبينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير ليعفور من أين أقبلت واين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن اين أنت يا يعفير قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال أمرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلاثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال اخاف أن يفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء قال الهدهد اليماني ان صاحبك يسره ان تأتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها وأما سليمان فانه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الانس والجن فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ماأدري أين هو وماأرسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لاعذبنه الآية ثم دعا العقاب وهو أشد الطير فقال له علي بالهدهد هذه الساعة فرفع العقاب في الهواء حتى رأى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده فعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي قواك واقدرك على ألا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال ويحك ثكلتك أمك ان نبي الله قد حلف أن يعذبك أو ان يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله واخبروه بما قال سليمان فقال الهدهد أوما استثنى نبي الله قالوا بلى ولكنه قال أو ليأتيني بسلطان مبين قال نجوت اذا فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يانبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له أين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم قال ما الذي

أم كان من الغائبين) أم بمعنى بل والمعنى انه تعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال مالى لأراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر
لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب وذكر ان سليمان عليه السلام
خرج الى اليمن فأتى صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلى فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الأرض
كما يرى الماء فى الزجاجة فتستخرج الشياطين الماء فتفقده لذلك وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر
فاذا موضع الهدهد خال فدعا [illegible] وهو النسر فسأله عنه فلم يجد
عنده علمه ثم قال لسيد الطير
وهو العقاب على به فارتفع
فنظر فاذا هو مقبل فقصده
فناشده الله فتركه فلما
قرب من سليمان أرخى
ذنبه وجناحيه يجرهما على
الارض وقال يا نبى الله اذكر
وقوفك بين يدى الله فارتعد
سليمان وعفا عنه (لأعذبنه
عذابا شديدا) بنتف ريشه
والقائه فى الشمس أو
بالتفريق بينه وبين الفه
أو بالزامه خدمة أقرانه أو
بالحبس مع أضداده وعن
بعضهم أضيق السجون
معاشرة الاضداد أو بايداعه
القفص أو بطرحه بين
يدى النمل ليأكله وحل له
تعذيب الهدهد لما رأى
فيه من المصلحة كما حل ذبح
البهائم والطيور للاكل
وغيره من المنافع واذا سخر
له الطير لم يتم التسخير الا
بالتأديب والسياسة (أو
لأذبحنه أو ليأتينى) بالنون
الثقيلة ليشاكل قوله لأعذبنه
وحذف نون العماد للتخفيف ليأتيننى بنونين مكى الاولى للتأكيد والثانية للعماد (بسلطان مبين) بحجة له (فى غيبته)
فيها عذر ظاهر على غيبته والاشكال انه حلف على أحد ثلاثة أشياء اثنان منها فعله ولا مقال فيه والثالث فعل الهدهد
وهو مشكل لانه من أين درى انه يأتى بسلطان حتى قال والله ليأتينى بسلطان وجوابه أن معنى كلامه ليكونن أحد الامور
يعنى ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس فى هذا ادعاء دراية

أم كان من الغائبين ﴾ منقطعة كأنه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره
فقال مالى لا أراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول أهو غائب
كأنه يسأل عن صحة ما لاح له ﴿ لأعذبنه عذابا شديدا ﴾ كنتف ريشه والقائه فى الشمس
أو حيث النمل يأكله أو جعله مع ضده فى قفص ﴿ أو لأذبحنه ﴾ ليعتبر به ابناء جنسه
﴿ أو ليأتينى بسلطان مبين ﴾ بحجة تبين عذره والحلف فى الحقيقة على احد الاولين
بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه
بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير أو ليأتيننى بنونين الاولى مفتوحة مشددة

تفقده الهدهد وسؤاله عنه اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله
وجنده الطير من الشمس فاصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فرآه خاليا وروى عن
ابن عباس انه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض
كما يرى فى الزجاجة ويعرف قربه من بعده فينقر الارض فتجئ الشياطين فيحفرونه
ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الازرق
يا وصاف انظر ما تقول ان الصبى منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب فيجئ الهدهد وهو
لا يبصر الفخ حتى يقع فى عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا جاء القدر حال دون البصر
وفى رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج
الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدله على الماء فقال مالى لا أرى الهدهد على
تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم انه أدركه الشك فقال ﴿ أم كان من الغائبين ﴾ أى
أكان وقيل بل كان من الغائبين ثم أوعده على غيبته فقال ﴿ لأعذبنه عذابا شديدا ﴾
قيل هو أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه فى الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل ولا من غيره وقيل
لاودعنه القفص وقيل لأحبسنه مع ضده وقيل لافرقن بينه وبين الفه ﴿ أو لأذبحنه أو
ليأتينى بسلطان مبين ﴾ أى بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره
العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتجهز
للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما
وافى الحرم أقام ماشاء الله ان يقيم وكان فى كل يوم ينحر طول مقامه خمسة آلاف ناقة

مكانه (أم كان من الغائبين) يقول ان كان من الغائبين من بين الطيور (لأعذبنه عذابا شديدا) لانتفن ريشه فكان عذاب
الطير هذا (أو لأذبحنه) بالسكين (أو ليأتينى بسلطان مبين) بعذر بين

فعلوا قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال (فتبسم ضاحكا من قولها) متعجبا من حذرها واهتدائها لمصالحها و نصيحتها للنمل أوفرحا لظهور عدله وضاحكا حال مؤكدة لان تبسم بمعنى ضحك و أكثر ضحك الانبياء التبسم كذا قاله الزجاج (وقال رب أوزعنى) ألهمنى و حقيقته كفنى عن الأشياء الاعن شكر نعمتك (أن أشكر نعمتك التى انعمت على) من النبوة والملك والعلم (وعلى والدى) لان الانعام على الوالدين انعام على الولد (وأن أعمل صالحا ترضاه) فى بقية عمرى (وأدخلنى برحمتك) وأدخلنى الجنة برحمتك لابصالح عملى اذلا يدخل الجنة أحد الا برحمته كما جاء فى الحديث (فى عبادك الصالحين) أى فى زمرة أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روى ان النملة أحست بصوت الجنود ولاتعلم أنهم فى الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة (و تفقد الطير فقال مالى) مكى وعلى وعاصم وغيرهم بسكون الياء والتفقد طلب ماغاب عنك (لا أرى الهدهد

أنهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف أى فهم سليمان والقوم لايشعرون ﴿ فتبسم ضاحكا من قولها ﴾ تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها أو سرورا مما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره ﴿ وقال رب أوزعنى ان اشكر نعمتك ﴾ اجعلنى ازع شكر نعمتك عندى اى اكفه وارتبطه لاينفلت عنى بحيث لاانفك عنه وقرأ البزى وورش بفتح ياء اوزعنى ﴿ التى انعمت على وعلى والدى ﴾ ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة أو تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية ﴿ وان اعمل صالحا ترضاه ﴾ تماما للشكر واستدامة للنعمة ﴿ وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ﴾ فى عدادهم الجنة ﴿ وتفقد الطير ﴾ وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد ﴿ فقال مالى لاارى الهدهد

ان سليمان نبى ليس فيه جبروتية ولاظلم ومعنى الآية انكم لولم تدخلوا وطؤكم ولم يشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لايتكلم أحد بشئ الاحملته الريح حتى تلقيه الى مسامع سليمان فلما بلغ وادى النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم ✽ فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهو فوق البساط على متن الريح ✽ قلت كأنهم أرادوا النزول عند منقطع الوادى فلذلك قالت نملة لايحطمنكم سليمان و جنوده لانهم مادامت الريح تحملهم لايخاف حطمهم ﴿ فتبسم ضاحكا من قولها ﴾ قيل أكثر ضحك الانبياء تبسما وقيل معنى ضاحكا متبسما وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت مارأيت النبى صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم ✽ عن عبدالله ابن الحرث بن جزء قال مارأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذى ✽ فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان ✽ قلت شيآن أحدهما مادل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لايشعرون يعنى انهم لوشعروا مايفعلون الثانى سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من ادراك سمعه ماقالته النملة وقيل ان الانسان اذا رأى أوسمع مالاعهدله به تعجب وضحك ثم ان سليمان حمد ربه على ماانعم به عليه ﴿ وقال رب أوزعنى ﴾ أى ألهمنى ﴿ أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ﴾ أى أدخلنى فى جملتهم وأثبت اسمى مع أسمائهم واحشرنى فى زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم و اسمعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل أدخلنى الجنة مع عبادك الصالحين ✽ قوله عز وجل ﴿ وتفقد الطير ﴾ أى طلبها وبحث عنها والمعنى انه طلب مافقد من الطير ﴿ فقال مالى لاأرى الهدهد ﴾ وكان سبب

قول النملة (فتبسم) سليمان ضاحكا) تعجبا (من قولها) من قول النملة لانه لم يكلمه دون جنوده (وقال رب أوزعنى) ألهمنى (أن أشكر نعمتك) أؤدى شكر نعمتك (التى أنعمت على) مننت على بالتوحيد (وعلى والدى) بالتوحيد (وان اعمل صالحا) خالصا (ترضاه) تقبله (وادخلنى برحمتك) بنبوتك (فى عبادك الصالحين) مع عبادك المرسلين الجنة (وتفقد الطير) طلب الطير فلم ير الهدهد مكانه (فقال مالى لاأرى الهدهد)

(حتى اذا أتوا على وادى النمل) أى ساروا حتى اذا بلغوا وادى النمل وهو واد بالشام كثير النمل وعدى بعلى لان ... من فوق فأتى بحرف الاستعلاء (قالت نملة) عرجاء تسمى طاخية ... قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فسأله أبو حنيفة رضى الله عنه وهو شاب عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فأفحم فقال أبو حنيفة رضى الله عنه كانت أنثى فقيل له بماذا عرفت فقال بقوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة فى وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهى (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه لما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون فى أولى العقل أجرى خطابهن مجرى خطابهم (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم والحطم الكسر وهو نهى ... [illegible] ... طريقة لا أرينك ههنا أى لا تحضر هذا الموضع وقيل هو جواب الامر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد لانه من ضرورات الشعر (سليمان وجنوده) قيل أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ (وهم لا يشعرون) لا يعلمون بحطمكم أى لو شعروا ...

﴿حتى اذا أتوا على وادى النمل﴾ واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من علو أو لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشىء اذا انفده وبلغ آخره كأنهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادى ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق ﴿لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾ نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا أرينك ههنا فهو استئناف أو بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخله فى السعة ﴿وهم لا يشعرون﴾

اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق بشىء الا جاءت الريح وأخبرتك به ❊ قوله عز وجل ﴿حتى اذا أتوا على وادى النمل﴾ أى أشرفوا على وادى النمل روى عن كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والارض واتخذ ميادين للدواب فتجرى بين يديه والريح تهوى به فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبى يكون فى آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فأوحى الله اليه ما يبكيك قال يارب ابكانى هذا نبى من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا على ولم يهبطوا ولم يصلوا عندى والاصنام تعبد حولى من دونك فأوحى الله اليه لا تبك فانى سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا فى آخر الزمان أحب أنبيائى الى واجعل فيك عمارا من خلقى يعبدوننى وافرض عليهم فريضة يرفون اليك زفيف النسر الى وكرها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان والاصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادى السدير واد من الطائف فأتى على وادى النمل كذا قال كعب الاحبار وقيل انه بالشام وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل مركبهم وقيل ان ذلك النمل أمثال الذباب وقيل كالبخاتى والمشهور انه النمل الصغير ﴿قالت نملة﴾ قيل كانت عرجاء كانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرمى ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ ولم يقل ادخلن لانه جعل لهم عقولا كالآدميين فخوطبوا خطاب الآدميين وهذا ليس بمستبعد أن يخلق الله فيها عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك ﴿لا يحطمنكم﴾ أى لا يكسرنكم ﴿سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ قال أهل التفسير علمت النملة

(حتى اذا أتوا على وادى النمل) بأرض الشام هو على واد فيه النمل (قالت نملة) عرجاء يقال لها منذرة (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) جحركم (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم ولا يدوسنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) بكم ويقال وهم يعنى جنود سليمان لا يشعرون

(ان هذا لهو الفضل المبين) قوله وارد على سبيل الشكر كقوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخرا والنون فى علمنا وأوتينا نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على الحال التى كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك (وحشر) وجمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) روى ان معسكره كان مائة فرسخ فى مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبر فى وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعد وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لايقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك أن لايتكلم أحد بشئ الا ألقته الريح فى سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فالقته الريح فى أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انى جئت اليك لئلا تتمنى ما لاتقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أى يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالى ليكونوا مجتمعين وذلك للكثرة العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضى الله عنه مايزع السلطان أكثر مما يزع القرآن

باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ماهو من جنسه ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذى صوته والغرض الذى توخاه به ومن ذلك ماحكى انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير فى علمنا واوتينا له ولابيه اوله وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شئ كثرة ماأوتى كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ ﴿ ان هذا لهو الفضل المبين ﴾ الذى لايخفى على احد ﴿ وحشر ﴾ وجمع ﴿ لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون ﴾ يحبسون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا

من أمر الدنيا والآخرة وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين ﴿ ان هذا لهو الفضل المبين ﴾ أى الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا وروى ان سليمان أعطى مشارق الارض ومغاربها فملك ذلك أربعين سنة فملك جميع الدنيا من الجن والانس والشياطين والطير والدواب والسباع وأعطى مع هذا منطق الطير ومنطق كل شئ وفى زمنه صنعت الصنائع العجيبة ﴿ وحشر ﴾ أى جمع ﴿ لسليمان جنوده من الجن والانس والطير ﴾ من الاماكن المختلفة فى مسير له ﴿ فهم يوزعون ﴾ أى يحبسون حتى يرد أولهم على آخرهم قيل كان على جنوده وزعة من النقباء ترد أولها على آخرها لئلا يتقدموا فى المسير قال محمد بن كعب القرظى كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثناعشر ألف خطوة فالبريد ثمانية وأربعون ألف خطوة لانه أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا من ذهب وحرير فرسخا فى فرسخ وكان يوضع كرسيه فى وسطه فيقعد وحوله كراسى الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لاتقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة يعنى حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فيرفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به وأوحى الله

ان هذا لهو الفضل المبين) المن العظيم من الله على (وحشر) سخر وجمع (لسليمان جنوده) جموعه (من الجن والانس والطير فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى اجتمعوا

واوتينا من كل شئ تشهير النعمة الله وتنويه بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اتيه والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان ومركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه أو التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما تتفاوت

لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول هذ قالوا لا قال انه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة قال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري قال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شئ هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن كانت الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخي مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة أشياء ان أخبرتنا آمنا وصدقنا قال سلوا تفقها لا تعنتا قالوا أخبرنا ما تقول القنبرة في صفيرها والديك في صعيقه والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج قال نعم اما القنبر فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين وأما الضفدع فانه يقول سبحان الله المعبود في البحار وأما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فانه يقول اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرزور فانه يقول اللهم اني أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق وأما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فاسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم وروى عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده الحسين ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال اذا صاح النسر قال يا ابن آدم عش ما شئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال الهي العن مبغض محمد وآل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد العالمين كما يمد القارئ ※ وقوله تعالى ﴿ وأوتينا من كل شئ ﴾ أي مما أوتي الانبياء والملوك قال ابن عباس

فقال تقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة

وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأة تقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد

ومثله وأوتيت من كل شئ

(وأوتينا) أعطينا (من كل شئ) علم كل شئ في مملكتي

ا) حال من الضمير في جحدوا وأى ظلم أفحش من ظلم من استيقن انها آيات من عند الله ثم سماها سحرا بينا (وعلوا) ترفعا الايمان بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق هنا والاحراق ثمة (ولقد آتينا) أعطينا ود وسليمان علما) طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا والمراد علم الدين والحكم (وقالا الحمد لله الذى فضلنا على ير من عباده المؤمنين) والآيات حجة لنا على المعتزلة في ترك الاصلح وهنا محذوف ليصح عطف الواو عليه ولولا تقدير ذوف لكان الوجه الفاء كقولك أعطيته فشكر وتقديره آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الذى فضلنا كثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفى الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته وأهله وان نعمة العلم من أجل النعم وان من أوتيه فقد أوتى فضلا على كثير من عباده وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الأنبياء الا لمدانأتهم لهم فى الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدوا الله على ما أوتوه وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر رضى الله عنه كل الناس أفقه من عمر رضى الله عنه (وورث سليمان داود) وورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر قالوا اوتى النبوة مثل أبيه فكانه ورثه والا فالنبوة لا تورث (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) تشهيرا لنعمة الله تعالى واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد كان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض روى انه صاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال تقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح خطاف

﴿ظلما﴾ لانفسهم ﴿وعلوا﴾ ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما﴾ طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع أو علما أى علم ﴿وقالا الحمد لله﴾ عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به فى مقابلة هذه النعمة كأنه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله ﴿الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ يعنى من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذى لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير ﴿وورث سليمان داود﴾ النبوة أو العلم أو الملك بان قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر ﴿وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾

وضرائرهم ﴿ظلما وعلوا﴾ أى شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعنى الغرق ❊ قوله تعالى ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما﴾ أى علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجبال وعلم سليمان منطق الطير والدواب ﴿وقالا الحمد لله لذى فضلنا﴾ أى بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس ﴿على كثير من عباده المؤمنين﴾ أراد بالكثير الذين فضلا عليهم من لم يؤت علما أو لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل انهما لم يفضلا أنفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع قوله تعالى ﴿وورث سليمان داود﴾ يعنى نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطى سليمان ما أعطى داود وزيد له تسخير الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود واقضى منه وكان داود أشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى ﴿وقال﴾ يعنى سليمان ﴿يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ سمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول

﴿ظلما﴾ خلافا واعتداء (وعلوا) يقول عتوا وتكبرا (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة المفسدين) آخر أمر المشركين فرعون وقومه كيف أهلكناهم فى البحر (ولقد آتينا) أعطينا (داود) ابن ايشا (وسليمان) ابن داود (علما) وفهما بالنبوة والقضاء (وقالا) كلاهما (الحمد لله) الشكر والمنة لله (الذى فضلنا) بالعلم والنبوة (على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود) ملك داود من بين أولاده كان لداود تسعة عشر بنين (وقال) سليمان (يا أيها الناس علمنا) فهمنا (منطق الطير) كلام الطير

(وادخل يدك فى جيبك) جيب قميصك وأخرجها (تخرج بيضاء) نيرة تغلب نور الشمس (من غير سوء) برص ونحوه
ومن غير سوء حالان (فى تسع آيات) كلام مستأنف وفى يتعلق بمحذوف أى اذهب فى تسع آيات ...
وادخل يدك فى جملة تسع آيات (الى فرعون وقومه) الى يتعلق بمحذوف أى مرسلا الى فرعون وقومه (انهم كانوا قوما
فاسقين) خارجين عن أمر الله كافرين (فلما جاءتهم آياتنا) أى ...

ذنبه بالتوبة ﴿ وادخل يدك فى جيبك ﴾ لانه كان مدرعة صوف لا كم له وقيل الجيب القميص لانه يجاب أى يقطع ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ آفة كبرص ﴿ فى تسع آيات ﴾ فى جملتها أو معها على ان التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون أو اذهب فى تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به ﴿ الى فرعون وقومه ﴾ وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا ﴿ انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ تعليل للارسال ﴿ فلما جاءتهم آياتنا ﴾ بان جاءهم موسى بها ﴿ مبصرة ﴾ بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط ... الابصار بحيث ... تبصر نفسها لوكانت مما يبصر أو ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لا تهتدى فضلا عن ان تهدى أو مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴾ واضح سحريته ﴿ وجحدوا بها ﴾ وكذبوا بها ﴿ واستيقنتها انفسهم ﴾ وقد استيقنتها لان الواو للحال

استثناء من المتروك ومعناه لا يخاف لدى المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهذا الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم أى اغفر له وأزيل خوفه وقيل الا هنا بمعنى ولا ومعناه ولا يخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يعنى تاب من ظلمه فانى غفور رحيم ثم ان الله تعالى أراه آية أخرى فقال تعالى ﴿ وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء ﴾ قيل كانت عليه مدرعة صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده فى جيبها وأخرجها فاذا هى تبرق مثل شعاع الشمس أو البرق ﴿ من غير سوء ﴾ أى من غير برص ﴿ فى تسع آيات ﴾ أى آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن فعلى هذا تكون الآيات احدى عشرة العصا واليد البيضاء والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم وقيل فى بمعنى من أى من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع ﴿ الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ أى خارجين عن الطاعة ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة ﴾ أى بينة واضحة يبصرونها ﴿ قالوا هذا ﴾ أى الذى نراه ﴿ سحر مبين ﴾ أى ظاهر ﴿ وجحدوا بها ﴾ أى أنكروا الآيات ولم يقروا ... ﴿ واستيقنتها أنفسهم ﴾ أى علموا انها من عند الله والمعنى أنهم جحدوا بها بألسنتهم واستيقنوها بقلوبهم

بينة جعل الابصار لها وهو فى الحقيقة متأمليها لملابستهم اياها بالنظر والتفكر فيها أو جعلت كانها تبصر فتهدى لان الاعمى لا يقدر على الاهتداء فضلا أن يهدى غيره ومنه قولهم كلمة عيناء وعوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى (قالوا هذا سحر مبين) ظاهر لمن تأمله ... والمبين (وجحدوا بها) قيل الجحود لا يكون الا من علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح لان الجحود هو الانكار وقد يكون الانكار للشئ للجهل به وقد يكون بعد المعرفة ... هذا ... فى شرح التأويلات وذكر فى الديوان يقال جحد حقه وبحقه بمعنى والواو فى (واستيقنتها) للحال وقد بعدها مضمر والاستيقان أبلغ من الايقان (أنفسهم) أى جحدوها بالسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم

(وادخل يدك فى جيبك) فى ابطك (تخرج بيضاء من غير سوء) من غير برص اذهب (فى تسع آيات) مع تسع آيات (و ...
(الى فرعون وقومه) القبط (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (فلما جاءتهم آياتنا) موسى بآياتنا (مبصرة) مبينة بعضها على
أثر بعض (قالوا هذا سحر مبين) كذب بين ما جئتنا به يا موسى (وجحدوا بها) بالآيات كلها (واستيقنتها أنفسهم)
بعدما استيقنت أنفسهم أنها من الله

جع الى ما دل عليه ما قبله أى ان مكلمك أنا والله بيان لأنا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهو تمهيد لما أراد أن يظهر
بيده من المعجزات (وألق عصاك) لتعلم معجزتك فتأنس بها وهو عطف على بورك لان المعنى نودي أن بورك من
النار وأن ألق عصاك ... وهما ... نودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل
له ألق عصاك ويدل عليه
ما ذكر في سورة القصص
وان ألق عصاك بعد قوله
ان ياموسى انى أنا الله على
تكرير حرف التفسير (فلما
رآها تهتز) تتحرك حال من
الهاء فى رآها (كأنها جان)
حية صغيرة حال من
الضمير فى تهتز (ولى) موسى
(مدبرا) أدبر عنها وجعلها
تلى ظهره خوفا من وثوب
الحية عليه (ولم يعقب) ولم
يلتفت أولم يرجع يقال
قد عقب فلان اذا رجع
يقاتل بعد ان ولى فنودي
(ياموسى لا تخف انى لا يخاف
لدى المرسلون) اى لا يخاف
عندى المرسلون حال خطابى
اياهم أو لا يخاف لدى المرسلون
من غيرى (الا من ظلم) أى
لكن من ظلم من غيرهم لان
الانبياء لا يظلمون أو لكن
من ظلم منهم من زل من المرسلين
فعل غير ما أذنت له مما يجوز
على الانبياء كما فرط من آدم
ويونس وداود وسليمان
عليهم السلام (ثم بدل حسنا)
أى اتبع توبة (بعد سوء)
زلة (فانى غفور رحيم)
أقبل توبته واغفر زلته
وأرحمه فا حقق أمنيته وكانه تعريض بما قال (قاو خا ٦٤ بع) موسى حين قتل القبطي رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له

عن الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير ﴿ والق عصاك ﴾ عطف على بورك اى نودي ان بورك من فى النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان ياموسى انى انا الله بتكرير أن ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ تتحرك باضطراب ﴿ كأنها جان ﴾ حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين ﴿ولى مدبرا ولم يعقب ﴾ ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله ﴿ ياموسى لا تخف ﴾ أى من غيرى ثقة بى أو مطلقا لقوله ﴿ انى لا يخاف لدى المرسلون ﴾ حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس من الله أو لا يكون لهم عندى سوء عاقبة فيخافون منه ﴿ الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم ﴾ استثناء منقطع استدرك به ما يختلج فى الصدور من نفى الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف أى من ظلم ثم بدل

لما أراد الله أن يظهره على يده من المعجزات والمعنى أنا القوى القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله ﴿ وألق عصاك ﴾ تقديره فالقاها فصارت حية ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ أى تتحرك ﴿ كأنها جان ﴾ وهى الحية الصغيرة التى يكثر اضطرابها ﴿ ولى مدبرا ﴾ أى هرب من الخوف ﴿ ولم يعقب ﴾ أى لم يرجع ولم يلتفت ❊ قال الله تعالى ﴿ ياموسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون ﴾ يريد اذا أمنتهم لا يخافون اما الخوف الذى هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أخشاكم لله ﴿ الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم ﴾ قيل هو ما يصدر من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل يحتمل أن يكون المراد منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطي وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقول موسى انى ظلمت نفسى ثم انه خاف من ذلك فتاب قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له قال ابن جريج قال الله تعالى لموسى انما أخفتك لقتلك النفس ومعنى الآية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عن حالة من ظلم من الناس كافة وفى الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقديره الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم ...

(وألق عصاك) من يدك فألقاها (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية لا صغيرة ولا كبيرة (ولى مدبرا) أدبر هاربا منها (ولم يعقب) لم يلتفت اليها من خوفها قال الله (ياموسى لا تخف) منها (انى لا يخاف لدى) عندى (المرسلون الا من ظلم) ولا من ظلم (ثم بدل حسنا بعد سوء) ثم تاب بعد ذلك فانه ينبغى له أن لا يخاف أيضا (فانى غفور) متجاوز لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة

لفظ التزوج (لعلكم تصطلون) تستدفؤن بالنار من البرد الذي اصابكم والطاء بدل من تاء افتعل لاجل الصـ
(فلما جاءها) أي النار التي أبصرها (نودي) موسى (أن بورك) مخففة من الثقيلة وتقدير
نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان وجاز ذلك من غير عوض وان منعه الزمخشري لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره في أحكام كثيرة او مفسرة لان في النداء معنى القول أي قيل له بورك أي قدس أو جعل فيه البركة والخير (من في النار ومن حولها) أي بورك من في مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها أي موسى لحدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه (وسبحان الله رب العالمين) هو من جملة ما نودي فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره (ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم) الضمير في انه للشأن والشأن أنا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر أو

وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعبادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده ﴿لعلكم تصطلون﴾ رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة ﴿فلما جاءها نودي ان بورك﴾ أي بورك فان النداء فيه معنى القول أو بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة ﴿من في النار ومن حولها﴾ من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك البقعة وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء واموات وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له امر عظيم ينتشر بركته في اقطار الشام ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمته ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته ﴿ياموسى انه أنا الله﴾ الهاء للشأن وانا الله جملة مفسرة له أو للمتكلم وانا خبره والله بيان له ﴿العزيز الحكيم﴾ صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد

نار ﴿لعلكم تصطلون﴾ أي تستدفؤن من البرد وكان في شدة الشتاء ﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار﴾ أي بورك على من في النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملائكة والمعنى من في طلب النار وهو موسى ﴿ومن حولها﴾ وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن في النار هم الملائكة وذلك ان النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها موسى لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه بوركت النار والمعنى بورك من في النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى وروى عن ابن عباس في قوله بورك من في النار يعني قدس من في النار وهو الله تعالى عني به نفسه على معنى انه نادى موسى وأسمعه من جهتها كما روى انه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعين واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثة موسى منه ومن ساعين بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهي احدى حجب الله عز وجل كما صح في الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال الله ﴿ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم﴾ قيل معناه ان موسى قال من المنادي قال انه أنا الله وهذا تمهيد

(لعلكم تصطلون) لكي تدفؤا وكان في شدة من الشتاء (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار) يقول بوركت النار (ومن حولها) من الملائكة وهكذا قراءة أبي وعبد الله بن مسعود ويقال تبارك من نور هذا النور ويقال بورك من في الطلب يعني موسى من اقام حوله من الملائكة (وسبحان الله) نزه نفسه (رب العالمين) سيد الجن والانس (ياموسى ﴿لما﴾ انه) الذي دعاك (أنا الله العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن بي (الحكيم) في أمري وقضائي أمرت أن لا يعبد غيري

(فهم يعمهون) يترددون فى ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق (أولئك الذين لهم سوء العذاب) القتل والاسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الاعمال (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) أشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه وتلقنه (من لدن حكيم عليم) من عند أى حكيم وأى عليم وهذا معنى تنكيرهما وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الاقاصيص وما فى ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (اذ) منصوب باذكر كانه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام (قال موسى لاهله)

لزوجته ومن معه عند مسيره من مدين الى مصر (امكثوا انى آنست) أبصرت (نارا سآتيكم منها بخبر) عن حال الطريق لانه كان قد ضله (أو آتيكم بشهاب) بالتنوين كوفى أى شعلة مضيئة (قبس) نار مقبوسة بدل أو صفة وغيرهم بشهاب قبس على الاضافة لانه يكون قبسا وغير قبس ولا تدافع بين قوله سآتيكم هنا ولعلى آتيكم فى القصص مع ان أحدهما ترج والآخر تيقن لان الراجى اذا قوى رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة ومجيئه بسين التسويف عدة لاهله انه يأتيهم به وان أبطأ أوكانت المسافة بعيدة وبأو لانه بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ولم يدر انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين وهما عز الدنيا والآخرة واختلاف الالفاظ فى هاتين الصورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النكاح بغير

التى وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها ﴿فهم يعمهون﴾ عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع ﴿اولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ كالقتل والاسر يوم بدر ﴿وهم فى الآخرة هم الاخسرون﴾ اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة ﴿وانك لتلقى القرآن﴾ لتؤتاه ﴿من لدن حكيم عليم﴾ أى حكيم وأى عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هى حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله ﴿اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا﴾ أى اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم ﴿سآتيكم منها بخبر﴾ أى عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة أو الوعد بالاتيان وان ابطأ ﴿أو آتيكم بشهاب قبس﴾ شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه أو

واللذات ولا يخلق العلم بما فيه المضار والآفات ﴿فهم يعمهون﴾ أى يترددون فيها متحيرين ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ أى أشده وهو القتل والاسر ﴿وهم فى الآخرة هم الاخسرون﴾ أى انهم خسروا أنفسهم وأهليهم وساروا الى النار * قوله تعالى ﴿وانك لتلقى القرآن﴾ أى تؤتاه وتلقنه وحيا ﴿من لدن حكيم عليم﴾ أى حكيم عليم بما أنزل اليك * فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم * قلت الحكمة هى العلم بالامور العملية فقط والعلم أعم منه لان العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا والعلوم النظرية أشرف ﴿اذ قال﴾ أى واذكر يا محمد اذ قال ﴿موسى لاهله﴾ أى فى مسيره بأهله من مدين الى مصر ﴿انى آنست﴾ أى أبصرت ﴿نارا سآتيكم منها بخبر﴾ أى امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق ﴿أو آتيكم بشهاب قبس﴾ الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوسة منها وقيل القبس هو العود الذى فى أحد طرفيه

(فهم يعمهون) يمضون عمهة لا يبصرون (أولئك) أهل هذه الصفة (الذين لهم سوء العذاب) شدة العذاب فى النار (وهم فى الآخرة) يوم القيامة (هم الاخسرون) المغبونون بذهاب الجنة ودخول النار (وانك) يا محمد (لتلقى القرآن) يقول ينزل عليك جبريل بالقرآن (من لدن) من عند (حكيم) فى أمره وقضائه (عليم) بخلقه (اذ قال موسى لاهله) حيث تحير فى الطريق (انى آنست نارا) رأيت نارا عن يسار الطريق امكثوا ههنا (سآتيكم) حتى آتيكم (منها) من عند النار (بخبر) عن الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس) بشعلة مقتبسة

(طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) أى وآيات كتاب مبين وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اللوح وآيا
انه قد خط فيه كل ماهو كائن فهو يبين للناظرين فيه آياته أو القرآن وآياته انه يبين ماأودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عط
على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى نحو هذا فعل السخى والجواد ونكر الكتاب ليكون أفخم له وقيل انما أنك
الكتاب هنا وعرفه فى الحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثمه لان القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد عليه الصلا
والسلام ووصفان له لانه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف (هدى وبشرى
فى محل النصب على الحال من آيات أى هداية وبشارة فالعامل فيهما فى تلك من معنى الاشارة أو الجر على انه بدل من كتاب أو صفة
أو الرفع على هى هدى وبشرى أو على البدل من آيات أو على ان يكون خبرا بعد خبر لتلك أى تلك آيات وهادية م
الضلالة ومبشرة بالجنة وقيل هدى لجميع الخلق وبشرى (للمؤمنين) خاصة (الذي
يقيمون الصلوة) يديمون على فرائضها وسننها (ويؤتون الزكوة) يؤدون زكاة أموالهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تم الصلة عنده وهو استئناف كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ويدل عليه انه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذى هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) بخلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنا كما قال أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (واللذات)

﴿ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ الاشارة الى آى السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ماهو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه فى الحجر باعتبار الوجود أو القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام أو لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ﴿ هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها أو خبران آخران أو خبران لمحذوف ﴿ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ﴾ الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة ﴿ وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ من تمة الصلة والواو للحال أو للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه أو جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ﴿ ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم ﴾ زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس أو الاعمال الحسنة

---

* قوله عز وجل ﴿ طس تلك آيات القرآن ﴾ أى هذه آيات القرآن ﴿ وكتاب مبين ﴾ أى وآيات كتاب مبين ﴿ هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ أى هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة ﴿ الذين يقيمون الصلوة ﴾ أى الخمس بشرائطها ﴿ ويؤتون الزكوة ﴾ اذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم ﴿ وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ يعنى ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة ﴿ ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم ﴾ أى القبيحة حتى رأوها حسنة وقيل ان التزيين هو ان يخلق الله العلم فى القلب بما فيه المنافع

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (طس) يقول طوله وسين سناؤه ويقال قسم أقسم به (تلك آيات القرآن وكتاب مبين)
ان هذه السورة آيات القرآن وكتاب مبين بالحلال والحرام (هدى) من الضلالة (وبشرى) بالجنة (للمؤمنين) المصدقين
فى ايمانهم ثم بين نعتهم فقال (الذين يقيمون الصلوة) يتمون الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها ومايجب فيها فى
مواقيتها (ويؤتون الزكوة) يعطون زكاة أموالهم (وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت والجنة والنار (هم يوقنون) يصدقون
(ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت أبا جهل وأصحابه (زينا لهم أعمالهم) فى الكفر

وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ﴾ استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان صلى الله عليه وسلم يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب ابن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل ﴿ وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ﴾ تهديد شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى أى منقلب ينقلبون اى بعد الموت من الابهام والتهويل وقد قال ابو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وقرئ باى منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات * وعن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم اجمعين

سورة النمل مكية وهى ثلاث أو اربع وتسعون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

أمن آل نعمى أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

فأنشده القصيدة الى آخرها وهى قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة * قوله تعالى ﴿ وذكروا الله كثيرا ﴾ أى لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ﴿ وانتصروا من بعد ما ظلموا ﴾ أى انتصروا من المشركين لانهم بدؤا بالهجاء ثم أوعد شعراء المشركين فقال تعالى ﴿ وسيعلم الذين ظلموا ﴾ أى أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وهو الطاهر المطهر من الهجاء ﴿ أى منقلب ينقلبون ﴾ أى أى مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم وبئس المصير والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة النمل وهى مائتان وثلاثون وست آيات

وألف وثلاثمائة وسبع عشرة كلمة وأربعة آلاف

وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

بعد ما ظلموا) هجوا اى ردوا هجاء من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وأحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك وختم السورة بما يقطع أكباد المتدبرين وهو قوله (وسيعلم) وما فيه من الوعيد البليغ وقوله (الذين ظلموا) واطلاقه وقوله (أى منقلب ينقلبون) وابهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضى الله تعالى عنه حين عهد اليه وكان السلف يتواعظون بها قال ابن عطاء سيعلم المعرض عنا ما الذى فاته منا وأى منصوب بينقلبون على المصدر لا بيعلم لان أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها أى ينقلبون اى الانقلاب

﴿ سورة النمل مكية وهى ثلاث وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(وذكروا الله كثيرا) فى الشعر

(وذكروا الله كثيرا) أى كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والادب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الامة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب وقال ابو يزيد الذكر الكثير ليس بالعدد والغفلة لكنه بالحضور (وانتصروا) وهجوا (من

(وانتصروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالرد على الكفار (من بعد ما ظلموا) هجوا هجاهم الكفار (وسيعلم الذين ظلموا) هجوا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (أى منقلب ينقلبون) أى مرجع يرجعون فى الآخرة وهى النار يعنى ان لم يؤمنوا بطس القرآن الحكيم والله تعالى أعلم باسرار كتابه ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها النمل وهى كلها مكية آياتها أربع وتسعون آية كلماتها ألف ومائة وتسع وأربعون وحروفها أربعة آلاف وسبعمائة وسبع وستون ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

قال قد آن لكم أن ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحر
فقال والذى بعثك بالحق لأفرينهم بلسانى فرى الاديم فقال النبي صلى الله عليه و
لاتعجل فان أبابكر أعلم قريش بأنسابها وان لى فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فا
حسان ثم رجع فقال يارسول الله قد لخص لى نسبك والذى بعثك بالحق نبيا لاسلن
منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقو
لحسان ان روح القدس لايزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسو
الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى فقال حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه ٭ وعند الله فى ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا تقيا ٭ رسول الله شيمته الوفاء
فان أبي ووالدتى وعرضى ٭ لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتى ان لم تروها ٭ تثير النقع من طرفى كداء
يبارين الاعنة مصعدات ٭ على أكتافها الاسل الظلماء
تظل جيادنا متمطرات ٭ تلطمهن بالخمر النساء
فان أعرضتم عنا اعتمرنا ٭ وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لضراب يوم ٭ يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبدا ٭ يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا ٭ هم الانصار عرضتها اللقاء
لنا فى كل يوم من معد ٭ سباب أوقتال أوهجاء
فمن يهجو رسول الله منكم ٭ ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا ٭ وروح القدس ليس له كفاء

فصل فى مدح الشعر

(خ) عن أبى بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة
٭ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل
يتكلم بكلام فقال ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما أخرجه أبو داود (م)
عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت وراء النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل
معك من شعر أمية بن أبى الصلت شئ قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم
أنشدته بيتا قال هيه حتى أنشدته مائة بيت زاد فى رواية لقد كاد يسلم فى شعره ٭ عن
جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه
يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم
اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح
فخذ منه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبى كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول
الشعر وكان على أشعر منهما وروى عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر ويستنشده
فى المسجد فيروى أنه دعا عمر بن ربيعة المخزومى فستنشده القصيدة التى قالها فقال

بقوله ﴿ وانهم يقولون مالايفعلون ﴾ وكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا فى المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفى اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم فى القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول عليه السلام لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد ﴿ الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات

على وجهه لامقصد له وقال ابن عباس فى كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل و قيل انهم يمدحون الشئ ثم يذمونه لايطلبون الحق والصدق فالوادى مثل لفنون الكلام والغوض فى المعانى والقوافى ﴿ وأنهم يقولون مالايفعلون ﴾ أى انهم يكذبون فى شعرهم و قيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم لايفعلونه ويذمون البخل وهم يصرون عليه ويهجون الناس بادنى شئ صدر منهم (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الكفار ويهجون وينافحون عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى ﴿ الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ روى ان كعب بن مالك قال للنبى صلى الله عليه و سلم ان الله أنزل فى الشعر ما أنزل فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم ان المؤمن يجاهد بسيفه و لسانه والذى نفسى بيده لكأن ماترمونهم به نضح النبل * عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله ٭ اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ٭ ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه ياعمر فلهى أسرع فيهم من نضح النبل أخرجه الترمذى والنسائى وقال الترمذى و قد روى فى غير هذا الحديث ان النبى صلى الله عليه و سلم دخل مكة فى عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لان عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤتة سنة ثمان والله اعلم (ق) عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك (خ) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس مانافح أوفاخر عن رسول الله (م) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه أشد عليها من رشق النبل فأرسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فارسل الى كعب بن مالك ثم أرسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان

(وانهم يقولون مالايفعلون) حيث وصفهم بالكذب والخلف فى الوعد * ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله (الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات) كعبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك رضى الله عنهم

ويمدحون (وانهم يقولون) فى شعرهم (مالايفعلون) أناوأنا وليس كذلك ويقال مالا يقدرون أن يفعلوا وكلاهما غاويان الشاعر والراوى (الاالذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن حسان بن ثابت وأصحابه (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم

اليهم لانهم يسمعونهم مالم يسمعوا و قيل يلقون الى أوليائهم السمع أى المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون ا
الى الشياطين ويتلقون وحيهم اليهم أو يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وأكثر الافاكين كاذبون يفترون على الش
مالم يوحوا اليهم والافاك الذى يكثر الافك ولايدل ذلك على انهم لاينطقون الابالافك فأراد ان هؤلاء الافاكين
من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفتر عليه وعن الحسن وكلهم وانما فرق بين وانه لتنزيل رب العالمين
تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين وهن أخوات لانه اذا فرق بينهن بآيات ليست منهن ثم رجع اليهن
بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما اذا حدثت حديثا وفى صدرك اهتمام

فتعيد ذكره ولاتنفك عن الرجوع اليه ونزل فيمن كان يقول الشعر و يقول نحن نقول كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم واتبعهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم (والشعراء) مبتدأ خبره (يتبعهم الغاوون) اى لايتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب ومدح من لايستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاوون اى السفهاء أوالراوون أوالشياطين أوالمشركون قال الزجاج اذا مدح أوهجا شاعر بمالايكون وأحب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون يتبعهم نافع (ألم ترأنهم فى كل واد) من الكلام (يهيمون) خبر أن أى فى كل فن من الكذب يتحدثون أو فى كل لغو وباطل يخوضون والهائم الذاهب على وجهه لامقصدله وهو تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا أجبن الناس (على
على عنترة و أبخلهم على حاتم عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبى مصرعات • وبت أفض أغلاق الختام

فقال وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عنى الحد بقوله

أى الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمو
اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لايطابق اكثرها كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجـ
فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد عليه الصلاة والسلام فا
اخبر عن مغيبات كثيرة لاتحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك اثـ
والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى عـ
الجنى وقيل الضمائر للشياطين اى يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون مـ
بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم أو يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهـ
كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لاعلى نحو ماتكلمت به الملائكة لشرارتهـ
أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو افهامهم ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ واتباع محمـ
صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقو
﴿ألم تر انهم فى كل واد يهيمون﴾ لان اكثر مقدماتهم خيالات لاحقيقة لها واغلـ
كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح فى الانسا
والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لايستحقه والاطراء فيه واليه اشـا

﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ قال أهل التفسير أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجو
النبى صلى الله عليه وسلم منهم عبدالله بن الزبعرى السهمى و هبيرة بن ابى وهـ
المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عمرو بن عبدالله الجمحى وأمية بن أبى الصلـ
الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل مايقول محمد و قالوا الشـ
واجتمع اليهم غواة قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون محمدا صلى الله عليه و سـ
وأصحابه وكانوا يروون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم الغاوون فهم الرواة الذيـ
يروون هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين و قيل هم السفهاء الضالون وفـ
رواية ان رجلين احدهما من الانصار تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسـ
ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية ﴿ألم تر أنهم فى كل واد﴾
من اودية الكلام ﴿يهيمون﴾ يعنى حائرين وعن طريق الحق حائدين والهائم الذاهـ

واحدا ويجعلونه مائة ثم يخبرون بذلك الكهنة (والشعراء) عبدالله بن الزبعرى وأصحابه يقولون الشعر (يتبعهم الغاوو
الراوون يروون عنهم (ألم تر) ألم تخبر يا محمد (انهم) يعنى الشعراء (فى كل واد) فى كل فن ووجه (يهيمون) يذهبون ويأخذون يذ

قلبك)اى ويرى تقلبك (فى الساجدين) فى المصلين اتبع كونه رحيما على رسوله ماهو من أسباب الرحمة وهو ذكر
ان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث
عرون وليعلم انهم كيف يعبدون الله ويعملون لآخرتهم وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه
ساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا أمهم وعن مقاتل انه سأل أباحنيفة هل تجد الصلاة بالجماعة
قرآن فقال لايحضرني فتلاله هذه الآية (انه هو السميع) لما تقوله (العليم)
بما تنويه وتعمله هون
عليه معاناة مشاق العبادات
حيث أخبر برؤيته له اذ
لامشقة على من يعلم أنه
يعمل بمرأى مولاه وهو
كقوله بعينى مايتحمل
المتحملون من أجلى ونزل
جوابا لقول المشركين
ان الشياطين تلقى السمع
على محمد صلى الله عليه وسلم
(هل أنبئكم) أى هل
أخبركم أيها المشركون
(على من تنزل الشياطين)
ثم نبأ فقال (تنزل
على كل أفاك أثيم)
مرتكب للآثام وهم الكهنة
والمتنبئة كسطيح وطليحة
ومسيلمة ومحمد صلى الله
عليه وسلم يشتم الافاكين
ويذمهم فكيف تنزل
الشياطين عليه (يلقون
السمع) هم الشياطين كانوا
قبل أن يحجبوا بالرجم
يستمعون الى الملأ الاعلى
فيحفظون بعض مايتكلمون
اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به (قا و خا ٦٣ بع) الى أوليائهم ويلقون حال اى تنزل ملقين السمع أو صفة لكل
لانه فى معنى الجمع فيكون فى محل الجزاء أو استئناف فلا يكون له محل كانه قيل لم تنزل على الافاكين فقيل
ن كيت وكيت (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به

﴿ وتقلبك فى الساجدين ﴾ وترددك فى تصفح احوال المتهجدين كما روى انه صلى الله تعالى
عليه وسلم لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر مايصنعون حرصا
لى كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن
وتصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أممتهم وانما وصفه الله تعالى
له بحاله التى بها يستأهل ولايته بعدان وصفه بان من شأنه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا
توكل وتطمينا لقلبه عليه ﴿ انه هو السميع ﴾ بما تقوله ﴿ العليم ﴾ بما تنويه ﴿ هل أنبئكم
لى من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم ﴾ لما بين ان القرآن لايصح ان يكون مما تنزلت
به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لايصلح لان تنزلوا عليه من
جهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات
بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيهما قوله
﴿ يلقون السمع واكثرهم كاذبون ﴾

صلاتك وقيل يراك أينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك ﴿ وتقلبك فى الساجدين ﴾
ال ابن عباس ويرى تقلبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك
وقيل مع المصلين فى الجماعة يقول يراك اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى
تقلب بصرك فى المصلين فانه كان صلى الله عليه وسلم يبصر من خلفه كما يبصر من قدامه
ن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتى ههنا فوالله مايخفى على
خشوعكم ولاركوعكم انى لاراكم من وراء ظهرى وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك
ومجيئك فى أصحابك المؤمنين وقيل تصرفك فى أحوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال
بن عباس أراد وتقلبك فى اصلاب الانبياء من نبى الى نبى حتى أخرجك فى هذه الامة
﴿ انه هو السميع ﴾ أى لقولك ودعائك ﴿ العليم ﴾ أى بنيتك وعملك قل
محمد ﴿ هل أنبئكم ﴾ أى أخبركم ﴿ على من تنزل الشياطين ﴾ هذا جواب لقولهم
تنزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى ﴿ تنزل على كل أفاك ﴾
ى كذاب ﴿ أثيم ﴾ أى فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع
م يلقون ذلك الى أوليائهم من الانس وهو قوله تعالى ﴿ يلقون السمع ﴾ اى مايسمعون
ن الملائكة فيلقونه الى الكهنة ﴿ وأكثرهم كاذبون ﴾ لانهم يخلطون به كذبا كثيرا

قلبك فى الساجدين) مع أهل الصلاة فى الركوع والسجود والقيام ويقال فى أصلاب آبائك الاولين (انه هو السميع) لمقالتهم
يم) بهم وبأعمالهم (هل أنبئكم) أخبركم (على من تنزل الشياطين) بالكهانة (تنزل على كل أفاك أثيم) فاجر كاهن وهو مسيلمة
ذاب وطليحة (يلقون السمع) يستمعون الى كلام الملائكة يعنى الشياطين (وأكثرهم كاذبون) يستمعون

ان يسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين أو غيره أو للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان أو المصدقون باللسان ﴿ فان عصوك ﴾ ولم يتبعوك ﴿ فقل انى برئ مما تعملون ﴾ مما تعملونه أو من اعمالكم ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم ﴾ الذى يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم، وقرأ نافع وابن عامر فتوكل بالفاء على الابدال من جواب الشرط ﴿ الذى يراك حين تقوم ﴾ الى التهجد

أمرك أن تسمع لعلى وتطيعه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين صعد النبى صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يابنى فهر يابنى عدى لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الذى لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ماهو فجاء أبولهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقى قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبولهب تبالك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبى لهب وتب ماأغنى عنه ماله وما كسب وفى رواية قدتب وفى رواية للبخارى لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر نحوه (ق) عن أبى هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين قال يامعشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لاأغنى عنكم من الله شيأ يابنى عبد المطلب لاأغنى عنكم من الله شيأ ياعباس بن عبد المطلب لاأغنى عنك من الله شيأ وياصفية عمة رسول الله لاأغنى عنك من الله شيأ ويا فاطمة بنت رسول الله سلينى ماشئت من مالى لاأغنى عنك من الله شيأ (م) عن قبيصة بنت مخارق وزهير ابن عمرو قالا لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رضمة جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى يابنى عبد مناف انى نذير لكم انما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشى أن يسبقوه فجعل يهتف ياصباحاه ومعنى الآية ان الانسان اذا بدأ بنفسه أولا وبالاقرب فالاقرب من أهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله أنفع وكلامه أنجع ﴿ واخفض ﴾ أى ألن ﴿ جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ فان قلت مامعنى التبعيض فى قوله من المؤمنين، قلت معناه لمن اتبعك من المؤمنين المصدقين بقلوبهم وألسنتهم دون المؤمنين بالسنتهم وهم المنافقون ﴿ فان عصوك ﴾ أى فيما تأمرهم به ﴿ فقل انى برئ مما تعملون ﴾ أى من الكفر والمخالفة ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم ﴾ التوكل عبارة عن تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز الذى يقهر أعداءك بعزته الرحيم الذى ينصرك عليهم برحمته ﴿ الذى يراك حين تقوم ﴾ الى

للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا فى التواضع ولين الجانب (لمن اتبعك من المؤمنين) من عشيرتك وغيرهم (فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون) يعنى أنذر قومك فان اتبعوك وأطاعوك فاخفض جناحك لهم وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل على العزيز الرحيم) على الذى يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من اذا دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله وقال الجنيد رضى الله عنه التوكل ان تقبل بالكلية عما دونه فان حاجتك اليه فى الدارين فتوكل مدنى وشامى عطف على فقل او فلا تدع (الذى يراك حين تقوم) متهجدا

(واخفض جناحك لمن اتبعك المؤمنين) الين جانبك للمؤمنين (فان عصوك) قريش (فقل انى برئ مما تعملون) وتقولون فى كفركم (وتوكل على العزيز) بالنقمة من أعدائه (الرحيم) بك وبالمؤمنين (الذى يراك حين تقوم) الى الصلاة (صلاتك

لهم ان يتنزلوا به ﴿ وما يستطيعون ﴾ وما يقدرون ﴿ انهم عن السمع ﴾ لكلام الملائكة ﴿ لمعزولون ﴾ لانه مشروط بمشاركة فى صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لاتقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لايمكن تلقيها الا من الملائكة ﴿ فلاتدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين ﴾ تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روى انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لواخبرتكم

﴿ ومايستطيعون ﴾ أى ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال ﴿ انهم عن السمع لمعزولون ﴾ أى محجوبون بالرمى بالشهب فلايصلون الى استراق السمع ﴿ فلاتدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق على ولو اتخذت الها غيرى لعذبتك * قوله ﴿ وأنذر عشيرتك الاقربين ﴾ روى محمد بن اسحق بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياعلى أن الله أمرنى ان أنذر عشيرتى الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت انى متى اباديهم بهذا الامر أرى منهم ماأكره فصمت عليها حتى جاءنى جبريل فقال يامحمد ان لاتفعل ماتؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لى بنى عبد المطلب حتى أبلغهم ماامرت به ففعلت ماأمرنى به ثم دعوتهم له وكانوا يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعانى بالطعام الذى صنعت فجئت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى مالهم بشئ من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد ليأكل مثل ماقدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد ياعلى فان هذا الرجل قد سبقنى الى ماسمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فاعدد لنا من الطعام مثل ماصنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يابنى عبد المطلب انى قد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله عز وجل ان أدعوكم اليه فايكم يوازرنى على امرى هذا ويكون أخى ووصيي وخليفتى فيكم فاحجم القوم عنها جميعا وأنا أحدثهم سنا فقلت انا يارسول الله أكون وزيرك عليه فاخذ برقبتى ثم قال هذا أخى ووصيي وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابى طالب قد

ومايستطيعون) ومايتسهل لهم ولايقدرون عليه (انهم عن السمع لمعزولون) لممنوعون بالشهب (فلاتدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) مورد النهى لغيره على التعريض والتحريك له على زيادة الاخلاص (وأنذر عشيرتك الاقربين) خصهم لنفى التهمة اذ الانسان يساهل قرابته أو ليعلموا أنه لايغنى عنهم من الله شيأ وان النجاة فى اتباعه دون قربه ولما نزلت صعد الصفا ونادى الاقرب فالاقرب وقال يابنى عبد المطلب يابنى هاشم يابنى عبد مناف ياعباس عم النبى ياصفية عمة رسول الله انى لا أملك لكم من الله شيأ

(ومايستطيعون) وما يقدرون على ذلك (انهم) يعنى الشياطين (عن السمع) عن الاستماع للوحى (لمعزولون) لممنوعون (فلاتدع) فلا تعبد (مع الله الها آخر) من الاوثان (فتكون من المعذبين) فى النار (وانذر عشيرتك الاقربين) فى الرحم

توبيخ لهم وانكار عليهم قولهم فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك قال يحيي بن المعاذ أشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتذ بمراداته وسكن الى مألوفته والله تعالى يقول (أفرأيت ان متعناهم سنين) قيل هي سنو مدة الدنيا (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) به في تلك السنين والمعنى ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وأمن فقال الله تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ماينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم ه وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) رسل ينذرونهم ولم تدخل الواو على الجملة بعد الا كما في وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو اذ الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة لان أنذر واذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة أو حال من الضمير في منذرون أي ينذرونهم ذوي تذكرة أو مفعول له أي ينذرون لاجل التذكرة والموعظة أو مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو تكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعدما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا (وما) مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين ولما قال المشركون ان الشياطين تلقي القرآن على محمد أنزل (وماتنزلت به) أي القرآن (الشياطين وما ينبغي لهم

حجارة من السماء فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة ﴿ أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه ﴿ وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ﴾ انذروا اهلها الزاما للحجة ﴿ ذكرى ﴾ تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لانها في معنى الانذار أو الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذووا أو بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية ﴿ وما كنا ظالمين ﴾ فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار ﴿ وماتنزلت به الشياطين ﴾ كما زعم المشركون انه من قبيل مايلقي الشياطين على الكهنة ﴿ وما ينبغي لهم ﴾ وما يصح

قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فانزل الله أفبعذابنا يستعجلون ﴿ أفرأيت ان متعناهم سنين ﴾ أي كفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم ﴿ ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ﴾ يعني العذاب ﴿ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ أي في تلك السنين الكثيرة والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيأ ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط ﴿ وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ﴾ أي رسل ينذرونهم ﴿ ذكرى ﴾ أي تذكرة ﴿ وما كنا ظالمين ﴾ أي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم ﴿ وماتنزلت به الشياطين ﴾ يعني ان المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك ﴿ وما ينبغي لهم ﴾ أن ينزلوا بالقرآن

عجيبة (أفرأيت) يا محمد (ان متعناهم سنين) في كفرهم (ثم جاءهم) بل جاءهم (ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم) من عذاب الله (ما كانوا يمتعون) يؤجلون (وما أهلكنا من قرية) من أهل قرية (الا لها منذرون) رسل مخوفون (ذكرى) يذكرونهم من عذاب الله (وما كنا ظالمين) بهلاكهم (وما تنزلت به) بالقرآن (الشياطين) على عهد محمد عليه السلام (وما ينبغي لهم) ماهم الشياطين له بأهل

جمع أعجم وهو الذى لايفصح وكذلك الاعجمى الا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لايفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمى شبهوه بمن لايفصح ولايبين والعجمى الذى من جنس العجم أفصح أولم يفصح وقرأ الحسن الاعجميين وقيل الاعجمين تخفيف الاعجميين كما قالوا الاشعرون أى الاشعريون بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع السلامة لان مؤنثه عجماء (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) والمعنى انا أنزلنا القرآن على رجل عربى مبين ففهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز وانضم الى ذلك اتفاق علماء أهل الكتاب قبله على ان البشارة بانزاله وصفته فى كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عندالله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذى لايحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا معجزا لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال (كذلك سلكناه) أى أدخلنا التكذيب أو الكفر وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين (فى قلوب المجرمين) الكافرين الذين علمناهم اختيار الكفر والاصرار عليه يعنى مثل هذا السلك سلكناه فى قلوبهم وقررناه فيها فكيفما فعل بهم وعلى أى وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من كفر به والتكذيب له كما قال ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وهو حجتنا على المعتزلة فى خلق أفعال العباد خيرها وشرها وموقع قوله (لايؤمنون به) بالقرآن من قوله سلكناه فى قلوب المجرمين موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثبات كونه مكذبا مجحودا فى قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لايزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد و يجوز أن يكون حالا أى سلكناه فيها غير مؤمن به (حتى يروا العذاب الاليم) المراد معاينة الموت عندالموت ويكون ذلك ايمان بأس فلا ينفعهم (فيأتيهم بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) باتيانه (فيقولوا) وفيأتيهم معطوفان على يروا (هل نحن منظرون) يسألون النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها (أفبعذابنا يستعجلون)

﴿ فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴾ لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع أعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة ﴿ كذلك سلكناه ﴾ ادخلناه ﴿ فى قلوب المجرمين ﴾ والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اى ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا ﴿ لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ﴾ الملجئ الى الايمان ﴿ فيأتيهم بغتة ﴾ فى الدنيا والآخرة ﴿ وهم لايشعرون ﴾ باتيانه ﴿ فيقولوا هل نحن منظرون ﴾ تحسرا وتأسفا ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾ فيقولون امطر علينا

ولايحسن العربية وان كان عربيا فى النسب ومعنى الآية لو أنزلنا القرآن على رجل ليس بعربى اللسان ﴿ فقرأه عليهم ﴾ يعنى القرآن ﴿ ما كانوا به مؤمنين ﴾ أى لقالوا لانفقه قولك وقيل معناه لما آمنوا به أنفة من اتباع من ليس من العرب ﴿ كذلك سلكناه ﴾ قال ابن عباس يعنى أدخلنا الشرك والتكذيب ﴿ فى قلوب المجرمين لايؤمنون به ﴾ أى القرآن ﴿ حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لايشعرون فيقولوا هل نحن منظرون ﴾ أى لنؤمن ونصدق وتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾

على رجل لايتكلم بالعربية (فقرأه عليهم) على قريش (ما كانوا به) بالقرآن (مؤمنين) لانهم لم يؤمنوا بما كان بلغتهم فكيف يؤمنون بما لم يكن بلغتهم (كذلك) هكذا (سلكناه) تركنا التكذيب (فى قلوب المجرمين) المشركين أبى جهل وأصحابه (لايؤمنون به) لكى لايؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (حتى يروا العذاب الاليم) الوجيع (فيأتيهم) العذاب (بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) بنزول العذاب عليهم (فيقولوا) عند نزول العذاب عليهم (هل نحن منظرون) مؤجلون من العذاب (أفبعذابنا يستعجلون)

سنقرئك فلاتنسى (لتكون من المنذرين بلسان عربى) بلغة قريش وجرهم (مبين) فصيح ومبين عما صحفته العامة
اما ان يتعلق بالمنذرين أى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام أو
أى نزله بلسان عربى لتنذربه لانه لو نزله بلسان أعجمى لتجافوا عنه أصلا و لقالوا مانصنع بما لانفهمه فيتعذر الانـ
وفى هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قـ
ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع أجراس حروف لاتفهم معانيها ولاتعيها وقد
الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التى نشأ عليها لم يكن قلبه ناظرا الا الى معانى الكلام وان كلم بغيرها كان نظره
فى ألفاظها ثم فى معانيها وان كان ماهرا بمعرفتها فهذا تقرير انه نزل على

لنزوله بلسان عربى مبين (وانه) وان القرآن (لفى زبر الاولين) يعنى ذكره مثبت فى سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها و فيه دليل على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة (أولم تكن لهم آية) شامى جعلت آية اسم كان وخبره (ان يعلمه) أى القرآن لوجود ذكره فى التوراة وقيل فى يكن ضمير القصة وآية خبر مقدم والمبتدأ أن يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تامة والفاعل آية وان يعلمه بدل منها أوخبر مبتدأ محذوف أى أولم تحصل لهم آية وغيره
يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وتقديره أولم يكن لهم علم علماء بنى اسرائيل آية (و
(علمؤا بنى اسرائيل) كعبدالله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا
من قبله مسلمين وخط فى المصحف علمؤا بواو قبل الالف (ولو نزلناه على بعض الاعجمين)

والامين ﴿ لتكون من المنذرين ﴾ عما يؤدى الى عذاب من فعل أو ترك ﴿ بلسان عربى
مبين ﴾ واضح المعنى لئلا يقولوا مانصنع بما لانفهم فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق
بالمنذرين اى لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب
ومحمد عليهم الصلاة والسلام ﴿ وانه لفى زبر الاولين ﴾ وان ذكره أو معناه لفى الكتب
المتقدمة ﴿ أو لم يكن لهم آية ﴾ على صحة القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
﴿ ان يعلمه علمؤا بنى اسرائيل ﴾ ان يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم وهو تقرير لكونه
دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل
اوالفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال أو ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة
خبر تكن ﴿ ولو نزلناه على بعض الاعجمين ﴾ كما هو زيادة فى اعجازه أو بلغة العجم

حال سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على
الصحيح من القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف
مشروط بالعقل والفهم ❊ وقوله تعالى ﴿ لتكون من المنذرين ﴾ أى المخوفين ﴿ بلسان
عربى مبين ﴾ قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا مافيه ﴿ وانه ﴾ يعنى القرآن
وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ﴿ لفى زبر الاولين ﴾ أى كتب الاولين
﴿ أولم يكن لهم آية ﴾ يعنى أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله
عليه وسلم ﴿ ان يعلمه ﴾ يعنى يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ علمؤا بنى اسرائيل ﴾ قال
ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم
فقالوا ان هذا لزمانه وانا نجد فى التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله
عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبدالله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد ❊ قوله تعالى
﴿ ولو نزلناه ﴾ يعنى القرآن ﴿ على بعض الاعجمين ﴾ جمع أعجمى وهو الذى لايفصح

على قدر حفظك ويقال حين تلاه عليك (لتكون من المنذرين) من المخوفين بالقرآن (بلسان عربى مبين) بقول القرآن على مجرى
العربية ويقال نبئهم يا محمد بلغتهم (وانه) يعنى نعت القرآن ومحمد عليه السلام (لفى زبر الاولين) مكتوب فى كتب الانبياء
(أولم يكن لهم) لاهل مكة (آية) علامة لنبوة محمد عليه السلام (أن يعلمه) أن يخبرهم (علمؤا بنى اسرائيل) حيث سأ
عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فأخبروهم بذلك (ولو نزلناه) نزلنا جبريل بالقرآن (على بعض الاعجمـ

كم وبما تستحقون عليها من العذاب فان أراد أن يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان أراد عقابا آخر فاليه الحكم
وبيئة (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة) هى سحابة أظلتهم بعدما حبست عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة أيام
وانحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فامطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب
يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد كرر فى هذه السورة فى اول كل قصة وآخرها ما كرر تقريرا لمعانيها فى الصدور ليكون أبلغ فى الوعظ والزجر ولان كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما فى غيرها فكانت جديرة بان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به (وانه) أى القرآن (لتنزيل رب العالمين) منزل منه (نزل به) مخفف والفاعل (الروح الامين) أى جبريل لانه أمين على الوحى الذى فيه الحياة حجازى وأبو عمرو وزيد وحفص وغيرهم بالتشديد ونصب الروح والفاعل هو الله تعالى أى جعل الله الروح نازلا به والباء على القراءتين للتعدية (على قلبك) اى حفظك وفهمك اياه وأثبته فى قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله

بعذابه فينزل عليكم ما اوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له لا محالة ﴿ فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة ﴾ على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم واظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا ﴿ انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية أو كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم ﴿ وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك ﴾ تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعانى الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبرائيل فانه امين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى بتشديد الزاء ونصب الروح

اى من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم باعمالكم وليس العذاب الى وما على الا الدعوة والتبليغ ﴿ فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ﴾ وذلك أنهم أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا ﴿ ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ قد تقدم الكلام على هذه القصص فى سورة الاعراف وهود فاغنى عن الاعادة هنا والله أعلم بمراده * قوله عز وجل ﴿ وانه ﴾ يعنى القرآن ﴿ لتنزيل رب العالمين ﴾ يعنى ان فيه من أخبار الامم الماضية ما يدل على أنه من رب العالمين ﴿ نزل به الروح الامين ﴾ يعنى جبريل عليه السلام سماه روحا لانه خلق من الروح وسماه أمينا لانه مؤتمن على وحيه لانبياء ﴿ على قلبك ﴾ يعنى على قلبك حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه وانما خص القلب لانه هو المخاطب فى الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب أخرجاه فى الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب أو حزن يتغير

وأعلم بكم وبعذابكم فكذبوه
الة (فأخذهم عذاب يوم الظلة) وقف العذاب فوقهم كسحابة فأحرقتهم بحرها (انه كان عذاب يوم عظيم) شديد عليهم
اب (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا
ن (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين (وانه) يعنى القرآن (لتنزيل) لتكليم (رب العالمين نزل به
الروح الامين) نزل الله بالقرآن جبريل الامين على الرسالة الى أنبيائه (على قلبك)

أوفوا الكيل) أتموه (ولاتكونوا من المخسرين) ولاتنقصوا الناس حقوقهم فالكيل واف وهو مأمور به وطف...
وهو منهى عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتركه دليل على أنه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعل فلا شئ عليه (وز...
بالقسطاس المستقيم) وبكسر القاف كوفى غير أبى بكر وهى الميزان أو القبان فان كان من القسط وهو العدل وجـ...
العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعى (ولا تبخسوا الناس) يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه (أشياءهم) دراهم...
ودنانيرهم بقطع أطرافهما (ولاتعثوا فى الارض مفسدين) ولا تبالغوا فيها فى الافساد نحو قطع الطريق والـ...
واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك فنهوا عنه يقال عثا فى الارض اذا أفسد وعثى فى الارض لغة فى عثا (واتقوا الذى...
خلقكم والجبلة) الجبلة عطف على كم أى اتقوا الذى خلقكم وخلق الجبلة (الاولين) الماضين (قالوا انما أنت من المسحرين...
وما أنت الا بشر مثلنا) ادخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف الرسالة عند...
التسحير والبشرية وتركها في قصة ثمود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا امثلهم (وان نظنك لمن الكاذبين) ان مخففة من الثقيلة واللام دخلت للفرق بينها وبين النافية وانما تفرقتا على فعل الظن وثانى مفعوليه لان أصلهما ان يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك ان زيدا لمنطلق فلما كان بابا كان وظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك فى البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا (فأسقط علينا كسفا) كسفا حفص وهما جمعا كسفة وهى القطعة
وكسفه قطعه (من السماء) أى السحاب أو الظلة (ان كنت من الصادقين) أى ان كنت صادقا انك نبى فادع الله أن يسقط (أى...
علينا كسفا من السماء عقوبة (قال ربى) بفتح الياء حجازى وأبو عمرو وبسكونها غيرهم (أعلم بما تعملون) أى ان الله...

اوفوا الكيل ﴿ اتموه ﴿ ولاتكونوا من المخسرين ﴾ حقوق الناس بالتطفيف ﴿ وزنوا...
بالقسطاس المستقيم ﴾ بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط...
ففعلاس بتكرير العين والافعلال وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف ﴿ ولا
تبخسوا الناس اشياءهم ﴾ ولا تنقصوا شيأ من حقوقهم ﴿ ولا تعثوا فى الارض
مفسدين ﴾ بالقتل والغارة وقطع الطريق ﴿ واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين
وذوى الجبلة الاولين يعنى من تقدمهم من الخلائق ﴿ قالوا انما انت من المسحرين
وما انت الا بشر مثلنا ﴾ اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة
مبالغة فى تكذيبه ﴿ وان نظنك لمن الكاذبين ﴾ فى دعواك ﴿ فأسقط علينا كسفا من
السماء ﴾ قطعة منها ولعله جواب لما اشعربه الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص
بفتح السين ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ فى دعواك ﴿ قال ربى اعلم بما تعملون ﴾

دعوة هؤلاء الانبياء فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله
وطاعته والاخلاص فى العبادة والامتناع من أخذ الاجر على تبليغ الرسالة ﴿ أوفوا
الكيل ولاتكونوا من المخسرين ﴾ أى الناقصين لحقوق الناس فى الكيل والوزن
﴿ وزنوا بالقسطاس ﴾ أى بالميزان العدل ﴿ المستقيم ولاتبخسوا الناس اشياءهم
ولاتعثوا فى الارض مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين ﴾ يعنى الخليقة والامم
المتقدمة ﴿ قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط
علينا كسفا ﴾ أى قطعا ﴿ من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون ﴾

أوفوا الكيل) أتموا الكيل والوزن (ولاتكونوا من المخسرين) من ناقصى الكيل والوزن وكانوا مسيئين بالكيل والوزن
(وزنوا بالقسطاس المستقيم) بميزان العدل (ولاتبخسوا الناس أشياءهم) لاتنقصوا حقوق الناس فى الكيل والوزن
(ولاتعثوا فى الارض مفسدين) لاتعملوا بالمعاصى فى الارض والفساد بنقص الكيل والوزن والدعاء الى غير عبادة الله (واتقوا
اخشوا (الذى خلقكم والجبلة الاولين) خلق الاولين قبلكم (قالوا انما أنت من المسحرين) من المجوفين سوقة مثلنا لست بملك...
نبى (وما أنت الا بشر) آدمى (مثلنا) تأكل وتشرب كما نأكل ونشرب (وان نظنك) وقد نظنك (لمن الكاذبين) على ما تقول (فأسقط
علينا كسفا) قطعا (من السماء) من العذاب (ان كنت من الصادقين) بمجئ العذاب (قال) شعيب (ربى أعلم بما تعملون) فى الكيل...

عقوبة عملهم (فنجيناه وأهله أجمعين) يعنى بناته ومن آمن معه (الا عجوزا) هى امرأة لوط وكانت راضية بذلك
اضى بالمعصية فى حكم العاصى واستثناء الكافرة من الاهل وهم مؤمنون للاشتراك فى هذا الاسم وان لم تشاركهم فى الايمان
الغابرين) صفة لها أى فى الباقين فى العذاب فلم تنج منه والغابر فى اللغة الباقى كأنه قيل الا عجوزا غابرة أى
را غبورها اذ الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم (ثم دمرنا الآخرين) والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم (وأمطرنا
م مطرا) عن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم الله وقيل لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا
حجارة (فساء) فاعله (مطر المنذرين) والمخصوص بالذم و هو
مطرهم محذوف ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم بل المراد جنس الكافرين (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الايكة) بالهمزة والجر هى غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة حجازى و شامى وكذا فى ص علم لبلد قيل أصحاب الايكة هم أهل مدين التجؤ الى غيضة اذ ألح عليهم الوهج والاصح انهم غيرهم نزلوا غيضة بعينها بالبادية وأكثر شجرهم المقل بدليل أنه لم يقل هنا أخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب أهل مدين ففى الحديث ان شعيبا أخا مدين رسل اليهم والى أصحاب الايكة (المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون
نى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون (قا و خا ٦٢ بع) وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين

﴿ فنجيناه واهله اجمعين ﴾ اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم ﴿ الا عجوزا ﴾ هى امرأة لوط ﴿ فى الغابرين ﴾ مقدرة فى الباقين فى العذاب اذ اصابها حجر فى الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقيت فى القرية فانها لم تخرج مع لوط ﴿ ثم دمرنا الآخرين ﴾ اهلكناهم ﴿ وامطرنا عليهم مطرا ﴾ قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم ﴿ فساء مطر المنذرين ﴾ اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ﴿ ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين ﴾ الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال ﴿ اذ قال لهم شعيب ألا تتقون ﴾ ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهى اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير الالف اتباعا للفظ ﴿ انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان أجرى الا على رب العالمين

﴿ فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا ﴾ أى امرأته ﴿ فى الغابرين ﴾ أى بقيت فى المهلكين ﴿ ثم دمرنا الآخرين ﴾ أى أهلكناهم ﴿ وأمطرنا عليهم مطرا ﴾ يعنى الكبريت والنار ﴿ فساء مطر المنذرين ان فى ذلك لآية و ما كان أكثرهم مؤمنين و ان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ * قوله عز وجل ﴿ كذب أصحاب الايكة المرسلين ﴾ أى الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد ﴿ اذ قال لهم شعيب ﴾ لم يقل لهم أخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين وأرسل اليهم ﴿ ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين ﴾ انما كانت

فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا) امرأته المنافقة (فى الغابرين) تخلفت مع الباقين بالهلاك (ثم دمرنا الآخرين) أهلكنا الباقين من قومه (وأمطرنا عليهم) على شذاذهم ومسافريهم (مطرا) حجارة (فساء مطر المنذرين) بئس المطر بالحجارة لمن أنذرهم لوط فلم يؤمنوا (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة من الكافرين (الرحيم) بالمؤمنين (كذب أصحاب الايكة المرسلين) قوم شعيب شعيبا وجملة المرسلين (اذ قال لهم شعيب ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم رسول) من الله (أمين) على الرسالة (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم من التوبة والايمان (وأطيعون) اتبعوا أمرى ووصيتى (وما أسئلكم عليه) على التوحيد (من أجر) من جعل (ان أجرى) ما ثوابى (الا على رب العالمين

كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما أسئلكم عليه من اجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) أراد بالعالمين الناس أتطؤن الذكور من الناس مع كثرة الاناث أو أتطؤن أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران أى أنتم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ماينكح من الحيوان (وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم) من تبيين لما خلق أو تبعيض والمراد بما خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل تحريم ادبار الزوجات والمملوكات ومن أجازه فقد اخطأ خطأ عظيما (بل أنتم قوم عادون) العادى المتعدى فى ظلمه المتجاوز فيه الحد أى بل أنتم قوم أحق بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن انكارك علينا وتقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال (قال انى لعملكم من القالين) هو أبلغ من أن يقول قال فقولك فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد بانه مساهم لهم فى العلم والقلى البغض يقلى الفؤاد والكبد وفيه دليل على عظم المعصية لان قلاه من حيث الدين (رب نجنى وأهلى مما يعملون)

عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين ﴾ اى اتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لايشارككم فيه غيركم أو اتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كأنهن قد اعوزتكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثانى الناس ﴿ وتذرون ماخلق لكم ربكم ﴾ لاجل استمتاعكم ﴿ من ازواجكم ﴾ لبيان ماخلق ان اريد به جنس الاناث أو للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا ﴿ بل انتم قوم عادون ﴾ متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات أو مفرطون فى المعاصى وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة ﴿ قالوا لئن لم تنته يالوط ﴾ عما تدعيه أو عن نهينا او تقبيح امرنا ﴿ لتكونن من المخرجين ﴾ من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال ﴿ قال انى لعملكم من القالين ﴾ من المبغضين غاية البغض لااقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال لدلالته على انه معدود فى زمرتهم مشهور بانه من جملتهم ﴿ رب نجنى واهلى مما يعملون ﴾ أى من شؤمه وعذابه

❁ قوله عز وجل ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان اجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين ﴾ يعنى نكاح الرجال من بنى آدم ﴿ وتذرون ماخلق لكم ربكم من ازواجكم ﴾ يعنى أتتركون العضو المباح من النساء وتميلون الى ادبار الرجال ﴿ بل أنتم قوم عادون ﴾ أى معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام ﴿ قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين ﴾ أى من قريتنا ﴿ قال انى لعملكم من القالين ﴾ أى من التاركين المبغضين ﴿ رب نجنى واهلى مما يعملون ﴾ أى من العمل الخبيث قال الله تعالى

(كذبت قوم لوط المرسلين) لوطا وجملة المرسلين الذين أخبرهم لوط (اذ قال لهم أخوهم) نبيهم (لوط ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم رسول) من الله (أمين) على الرسالة (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم به من التوبة والايمان (وأطيعون) تبعوا أمرى ودينى (وما أسئلكم عليه) على التوحيد (من أجر) من جعل (ان أجرى) ماثوابى (الا على رب العالمين أتأتون الذكران) أدبار الرجال (من العالمين) من بين العالمين (وتذرون ماخلق لكم ربكم) ماأحل لكم ربكم (من أزواجكم) من فروج نسائكم (بل أنتم قوم عادون) تعتدون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن مقالتك (لتكونن من المخرجين) من أرضنا سدوم (قال) لوط (انى لعملكم) الخبيث (من القالين) المبغضين (رب نجنى وأهلى مما يعملون (فنجيناه

لظلم والكفر (ولا يصلحون) بالايمان والعدل والمعنى ان فسادهم مصمت ليس معه شئ من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح (قالوا انما أنت من المسحرين) المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة انه بشر (ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين) فى دعوى الرسالة (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء لا تزاحموها فيه (ولكم شرب يوم معلوم) لا تزاحمكم هى فيه روى انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فجعل صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين واسأل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة ونتجت سقبا مثلها فى العظم وصدرها ستون ذراعا واذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله واذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه الماء وهذا دليل على جواز المهايأة لان قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم

من المهايأة (ولا تمسوها بسوء) بضرب أو عقر أو غير ذلك (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد (فعقروها) عقرها قدار ولكنهم راضون به فأضيف اليهم روى ان عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم (فاصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من نزول العذاب بهم لا ندم توبة أو ندموا حين لا ينفع الندم وذلك عند معاينة العذاب أو على ترك الولد (فاخذهم العذاب) المقدم ذكره (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم)

﴿ولا يصلحون﴾ على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم ﴿قالوا انما انت من المسحرين﴾ الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم أو من ذوى السحر وهى الرئة أى من الاناسى فيكون ﴿ما انت الا بشر مثلنا﴾ تأكيدا له ﴿فأت بآية ان كنت من الصادقين﴾ فى دعواك ﴿قال هذه ناقة﴾ اى بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها ﴿لها شرب﴾ نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم ﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾ فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها فى شربها ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ كضرب وعقر ﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ عظم اليوم لعظم مايحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب ﴿فعقروها﴾ اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جيعا ﴿فاصبحوا نادمين﴾ على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم ﴿فاخذهم العذاب﴾ أى العذاب الموعود ﴿ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ فى نفى الايمان عن اكثرهم فى هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم اوشطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما

أى بالمعاصى ﴿ولا يصلحون﴾ أى لا يطيعون الله فيما امرهم ﴿قالوا انما أنت من المسحرين﴾ أى من المسحورين المخدوعين وقال ابن عباس من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب ﴿ما أنت الا بشر مثلنا﴾ والمعنى أنت بشر مثلنا ولست بملك ﴿فأت بآية﴾ يعنى على صحة ما تقول ﴿ان كنت من الصادقين﴾ يعنى انك رسول الينا ﴿قال هذه ناقة لها شرب﴾ أى حظ من الماء ﴿ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء﴾ أى بعقر ﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين﴾ أى على عقرها لما رأوا العذاب ﴿فاخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾

الكفر والشرك والدعاء الى غير عبادة الله (ولا يصلحون) لا يأمرون بالصلاح (قالوا انما أنت من المسحرين) المجوفين سوقة لست بملك ولا نبى (ما أنت الا بشر) آدمى (مثلنا) تأكل وتشرب كما نأكل ونشرب (فأت بآية) بعلامة على ما تقول (ان كنت من الصادقين) بمجئ العذاب وانك رسول الينا (قال) لهم صالح (هذه ناقة) علامة لكم لنبوتى (لها شرب) يوم من الماء (ولكم شرب يوم) من الماء (معلوم) بالنوبة يوم لها ويوم لكم (ولا تمسوها بسوء) بعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) كبير (فعقروها) فقتلوها (فأصبحوا) صاروا (نادمين) على قتلها (فأخذهم العذاب) بعد ثلاثة ايام (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك) يا محمد (لهو العزيز) بالنقمة من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين

بريح صرصر عاتية (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العز[ة] أتتركون) انكار لان يتركوا خالدين فى نعيمهم لا يزالون عنه (فيما ههنا) فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم (آمنين) من العذ[اب] والزوال والموت ثم فسره بقوله (فى جنات وعيون) وهذا أيضا اجمال ثم تفصيل (وزروع ونخل) وعطف نخل على جن[ات] مع ان الجنة تتناول النخل أول شئ تفضيلا للنخل على سائر الشجر (طلعها) هو ما يخرج من النخل كنصل السيف (هضيم) لين نض[يج] كانه قال ونخل قد ارطب ثمره (وتنحتون) تنقبون (من الجبال بيوتا فارهـ[ين])

التكذيب بريح صرصر ﴿ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين﴾ انكار لان يتركوا كذلك أو تذكير بالنعمة فى تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله ﴿فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم﴾ لطيف لين للطف الثمر أو لان النخل انثى وطلع اناث النخل هو الطف مايطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو أو متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات أو لان المراد بها غيرها من الاشجار ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين﴾ بطرين أو حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلبه وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فرهين وهو ابلغ ﴿فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين﴾ استعير الطاعة التى هى انقياد الآمر لامتثال الامر اونسب حكم الامر الى امره مجازا ﴿الذين يفسدون فى الارض﴾ وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف

ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ ﴿ قوله تعالى ﴿كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين﴾ أى فى الدنيا من العذاب ﴿فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها﴾ أى ثمرها الذى يطلع منها ﴿هضيم﴾ قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل متهشم يتفتت اذا مس وقيل الهضيم هو الذى دخل بعضه فى بعض من النضج أو النعومة وقيل هو المدرك ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين﴾ وقرئ فارهين قيل الفاره الحاذق بنحتها والفره قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرهين معجبين بصنعكم ﴿فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ قال ابن عباس أى المشركين وقيل يعنى التسعة الذين عقروا الناقة ﴿الذين يفسدون فى الارض﴾

شامى وكوفى حاذقين حال وغيرهم فرهين أشرين والفراهة الكيس والنشاط (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) الكافرين أو التسعة الذين عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمى والمراد الآمر وهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه فى العقل لضرب من التأول كقولهم أنبت الربيع البقل (الذين يفسدون فى الارض)

(ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين اذ نجاهم من العذاب بالريح (كذبت ثمود المرسلين) قوم صالح صالحا وجملة المرسلين الذين أخبرهم صالح (اذ قال لهم أخوهم) نبيهم (صالح ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم رسول) من الله (أمين) على الرسالة (أى (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم من التوبة والايمان (وأطيعون) اتبعوا أمرى ودينى (وما أسئلكم عليه) على التوحيد (أجر) من جعل ورزق (ان أجرى) ما ثوابى (الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا) فى هذه النعم (آمنين) من الموت والزو[ال] والعذاب (فى جنات) فى بساتين (وعيون) ماء طاهر (وزروع) حروث (ونخل طلعها) ثمرها (هضيم) لين لطيف نضيج (وتنحت[ون] من الجبال) الجبال (بيوتا فارهين) حاذقين ويقال معجبين بضيعكم متكبرين ان قرأت بغير الالف (فاتقوا الله) فاخش[وا] الله فيما أمركم (وأطيعون) اتبعوا أمرى ووصيتى (ولا تطيعوا أمر المسرفين) قول المشركين (الذين يفسدون فى الارض

الخلود فى الدنيا (واذا بطشتم) أخذتم أخذ العقوبة (بطشتم جبارين) قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب (فاتقوا الله) فى البطش (واطيعون) فيما أدعوكم اليه (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) من النعم ثم عددها عليهم فقال (أمدكم بانعام وبنين) قرن البنين بالانعام لانهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها (وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان عصيتمونه

(قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أى لا نقبل كلامك ودعوتك وعظت أم سكت ولم يقل أم لم تعظ لرؤس الآى (ان هذا الا خلق الاولين) ماهذا الذى نحن عليه من الحياة والموت واتخاذ الابنية الا عادة الاولين أو ما نحن عليه دين الاولين الاخلق الاولين مكى وبصرى ويزيد وعلى أى ما جئت به اختلاق الاولين وكذب المتنبئين قبلك كقولهم أساطير الاولين أو خلقنا كخلق الاولين نموت ونحيا كما حيوا (وما نحن بمعذبين) فى الدنيا ولا بعث ولا حساب (فكذبوه) أى هودا (فاهلكناهم

لا تخلدون (واذا بطشتم بطشتم جبارين) واذا أخذتم بالعقوبة أخذتم بعقوبة الجبارين تضربون وتقتلون على الغضب (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم من التوبة والايمان (وأطيعون) اتبعوا أمرى (واتقوا الذى) اخشوا الذى (أمدكم) عطاكم (بما تعلمون) ثم بين ما اعطاهم فقال (أمدكم بانعام وبنين) أعطاكم أنعاما وبنين (وجنات) بساتين (وعيون) ماء طاهر (انى أخاف عليكم) اعلم أن يكون عليكم (عذاب يوم عظيم) فى النار ان لم تتوبوا من الكفر والشرك وعبادة الاوثان (قالوا سواء علينا أوعظت) أنهيتنا (أم لم تكن من الواعظين) من الناهين لنا (ان هذا) ماهذا الذى نحن عليه (الا خلق الاولين) دين الاولين دين آبائنا الاولين ويقال ان هذا الذى تقول الا خلق الاولين الا اختلاق الاولين (وما نحن بمعذبين) كما تقول على هذا الدين (فكذبوه) بالرسالة وبما قال لهم (فاهلكناهم) بالريح

﴿ واذا بطشتم ﴾ بسوط أو سيف ﴿ بطشتم جبارين ﴾ متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر فى العاقبة ﴿ فاتقوا الله ﴾ بترك هذه الاشياء ﴿ واطيعون ﴾ فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم ﴿ واتقوا الذى امدكم بما تعلمون ﴾ كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار فى ألا تتقون مبالغة فى الايقاظ والحث على التقوى فقال ﴿ امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ﴾ ثم اوعدهم فقال ﴿ انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ فى الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام ﴿ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴾ فانا لا نرعوى عما نحن عليه وتغيير شق النفى عما تقتضيه المقابلة للمبالغة فى قلة اعتدادهم بوعظه ﴿ ان هذا الا خلق الاولين ﴾ ماهذا الذى جئتنا به الا كذب الاولين اوما خلقنا هذا الا خلقهم نحيي ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اى ماهذا الذى جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله اوما هذا الذى نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أوما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ على ما نحن عليه ﴿ فكذبوه فاهلكناهم ﴾ بسبب

﴿ واذا بطشتم ﴾ أى واذا أخذتم وسطوتم ﴿ بطشتم جبارين ﴾ أى قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذى يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم فى وصف البشر (فاتقوا الله وأطيعون) ﴾ فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر ﴿ واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون ﴾ أى اعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال ﴿ أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ﴾ فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم ﴿ انى أخاف عليكم ﴾ قال ابن عباس ان عصيتمونى ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ فكان جوابهم أن ﴿ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴾ أى انهم أظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما أورده من المواعظ والواعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد ﴿ ان هذا الا خلق الاولين ﴾ قرئ بفتح الخاء أى اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ خلق بضم الخاء واللام أى عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ أى انهم أظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد ﴿ فكذبوه فاهلكناهم

ومن معى)معى حفص (من المؤمنين)من عذاب عملهم (فأنجيناه ومن معه فى الفلك) الفلك السفينة وجمعه فلك فالواحد بوزن
والجمع بوزن أسد (المشحون)المملوء ومنه شحنة البلد أى الذى يملؤه كفاية (ثم أغرقنا بعد) أى بعد انجاء نوح ومن
(الباقين) من قومه (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز) المنتقم باهانة من
واصر (الرحيم) المنعم باعانة من وحد وأقر (كذبت عاد المرسلين) هى قبيلة وفى الاصل اسم رجل هو أبو القبيلة (اذ ق
أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله) فى تكذيب الرسول

(واطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع) مكان مرتفع (آية) لبرج حمام اوبناء يكون لارتفاعه كالعلامة للمارين (تعبثون) تلعبون بمن مربهم (وتتخذون مصانع)مآخذ الماء اوقصورا مشيدة أوحصونا (لعلكم تخلدون) ترجون

ومن معى من المؤمنين ﴾ من قصدهم أو شؤم عملهم ﴿ فانجيناه ومن معه فى الفلـ
المشحون ﴾ المملوء ﴿ ثم اغرقنا بعد ﴾ بعد انجائه ﴿ الباقين ﴾ من قومه ﴿ ا
فى ذلك لآية ﴾ شاعت وتواترت ﴿ وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العز
الرحيم كذبت عاد المرسلين ﴾ انثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل اسم ابيهم ﴿ اذ ق
لهم اخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عل
من اجر ان اجرى الا على رب العالمين ﴾ تصدير القصص بها دلالة على ان البعـ
مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده ع
عقابه وان الانبياء متفقون على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرؤن عن المطام
الدنية والاغراض الدنيوية ﴿ أتبنون بكل ريع ﴾ بكل مكان مرتفع ومنه ر
الارض لارتفاعها ﴿ آية ﴾ علما للمارة ﴿ تعبثون ﴾ ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجو
فى اسفارهم فلا يحتاجون اليها أو بروج الحمام أو بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن ي
عليهم أو قصورا يفتخرون بها ﴿ وتتخذون مصانع ﴾ مآخذ الماء وقيل قصو
مشيدة وحصونا ﴿ لعلكم تخلدون ﴾ فتحكمون بنيانها

ومن معى من المؤمنين) من عذابهم (فانجيناه ومن معه) من المؤمنين (فى الفلك المشحون)فى السفينة المجهزة الموقرة المملوءة التى لم يبق الا رفيها(ثم أغرقنا بعد) بعد ماركب نوح فى السفينة (الباقين)من قومه (ان فى ذلك)فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة منهم اذ أغرقهم بالطوفان (الرحيم) بالمؤمنين اذ نجاهم من الغرق (كذبت عاد المرسلين) قوم هود وهود ا

ومن معى من المؤمنين ﴿ فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ﴾ أى الموقر المملو
من الناس والطير والحيوان ﴿ ثم أغرقنا بعد الباقين ﴾ أى بعد انجاء نوح ومن مع
﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ ﴿ قو
تعالى ﴿ كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين
أى أمين على الرسالة فكيف تتهموننى اليوم ﴿فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه
أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع ﴾ قال ابن عباس أى بكل شرف
وفى رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع ﴿ آية ﴾ أ
علامة وهى الميل ﴿ تعبثون ﴾ أى بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواض
المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم وقيل انهم بنوا برو
الحمام فأنكر عليهم هو باتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام ﴿ وتتخذون مصانع
قال ابن عباس أبنية وقيل قصورا مشيدة وحصونا مانعة وقيل مآخذ الماء يعنى الحياض
﴿ لعلكم تخلدون ﴾ أى كأنكم تبقون فيها خالدين لا تموتون

وجلة المرسلين الذين ذكرهم هود (اذ قال لهم أخوهم) نبيهم (هود ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم رسول) من ﴿ وا
الله (أمين) على الرسالة (فاتقوا الله) أطيعوا الله فيما أمركم من التوبة والايمان (وأطيعون) فيما أمرتكم (وما أسئلكم
على التوحيد (من أجر) من جعل (ان أجرى) ماثوابى (الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية) بكل طريق علامة (تعب
تضربون وتأخذون ثياب من مر بكم من الغرباء وهم العشارون على الطرق وله وجه آخر يقول أتبنون بكل ريع بكل سو
علامة تعبثون تسخرون بمن مر بكم (وتتخذون مصانع) المنازل والقصور والحياض (لعلكم) كانكم (تخلدون) فى الدنيا

تقوا الله (قالوا أنؤمن لك واتبعك) الواو للحال وقد مضمرة بعدها دليله قراءة يعقوب وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد وتبع كبطل وابطال (الارذلون) السفلة والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنيئة والصناعة لاتزرى بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس واوضعهم نسبا وما زالت اتباع الانبياء كذلك (قال وماعلمى) وأى شئ أعلم (بما كانوا يعملون) من الصناعات انما أطلب منهم الايمان وقيل انهم طعنوا مع استرذالهم فى ايمانهم وقالوا ان الذين آمنوا بك ليس فى قلوبهم مايظهرونه فقال ماعلى الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر (ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون) ان الله تعالى يحاسبهم على مافى قلوبهم (وما أنا بطارد المؤمنين) أى ليس من شأنى ان أتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا فى ايمانكم (ان أنا الا نذير مبين) ما على الا أن انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم (قالوا لئن لم تنته يانوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المقتولين بالحجارة (قال رب ان قومى كذبون) ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد انهم كذبونى فى وحيك ورسالتك (فافتح بينى وبينهم فتحا) أى فاحكم بينى وبينهم حكما والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمى فيصلا لانه يفصل بين الخصومات (ونجنى

اذا اجتمعا ﴿ قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون ﴾ الاقلون جاها ومالا جمع ارذل على الصحة وقرأ يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعه فلذلك ﴿ قال وما علمى بما كانوا يعملون ﴾ انهم عملوه اخلاصا أو طمعا فى طعمه وما على الا اعتبار الظاهر ﴿ ان حسابهم الا على ربى ﴾ ماحسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها ﴿ لو تشعرون ﴾ لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون مالا تعلمون ﴿ وما انا بطارد المؤمنين ﴾ جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ﴿ ان انا الا نذير مبين ﴾ كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء أو ما على الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا على ان اطردهم لاسترضائكم ﴿ قالوا لئن لم تنته يانوح ﴾ عما تقول ﴿ لتكونن من المرجومين ﴾ من المشتومين أو المضروبين بالحجارة ﴿ قال رب ان قومى كذبون ﴾ اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا لتخويفهم له واستخفافهم عليه ﴿ فافتح بينى وبينهم فتحا ﴾ فاحكم بينى وبينهم من الفتاحة ﴿ ونجنى

ويقرره فى نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول ألا تتقون الله فى مخالفتى وأنا رسول الله ومعنى الثانى ألا تتقون الله فى مخالفتى وانى لست آخذ منكم أجرا ﴿ قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون ﴾ أى السفلة قال ابن عباس يعنى القافة وقيل هم الحاكة والاساكفة ﴿ قال ﴾ يعنى نوحا ﴿ وماعلمى بما كانوا يعملون ﴾ أى وما أعلم أعمالهم وصنائعهم وليس على من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شئ انما كلفت ان أدعوهم الى الله تعالى ومالى الا ظواهر أمرهم وقال الزجاج الصناعات لاتضر فى الديانات وقيل معناه انى لم أعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم ﴿ ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون ﴾ أى لو تعلمون ذلك ماعيرتموهم بصنائعهم ﴿ وما أنا بطارد المؤمنين ﴾ أى عنى وقد آمنوا ﴿ ان أنا الا نذير مبين ﴾ معناه أخوف من كذبنى فمن آمن فهو القريب منى ومن لم يؤمن فهو البعيد عنى ﴿ قالوا لئن لم تنته يانوح ﴾ أى عما تقول ﴿ لتكونن من المرجومين ﴾ أى من المقتولين بالحجارة وهو أسوأ القتل وقيل من المشتومين ﴿ قال رب ان قومى كذبون فافتح ﴾ أى احكم ﴿ بينى وبينهم فتحا ﴾ أى حكما ﴿ ونجنى

اوصيتى (قالوا أنؤمن لك) أنصدقك يانوح (واتبعك الارذلون) سفلتنا وضعفاؤنا أطردهم حتى نؤمن بك (قال) نوح
(ماعلمى بما كانوا يعملون) ماعلمت انهم يوفقون أو أنتم (ان حسابهم) ماثوابهم ومؤنتهم (الا على ربى لو تشعرون) لو تعلمون ذلك
(وما أنا بطارد المؤمنين) عن عبادة الله (ان أنا الا نذير مبين) ما أنا الا رسول مخوف بلغة تعلمونها (قالوا لئن لم تنته يانوح) عن مقالتك
(لتكونن من المرجومين) من المقتولين كما قتلنا من آمن بك من الغرباء (قال) نوح (رب ان قومى كذبون) فى الرسالة وقتلوا
من آمن بى من الغرباء (فافتح بينى وبينهم فتحا) فاقض بينى وبينهم قضاء بالعدل (ونجنى

أى لعبرة لمن اعتبر (وما كان اكثرهم مؤمنين) فيه ان فريقا منهم آمنوا (وان ربك لهو العزيز) المنتقم ممن كذب ابر
بنار الجحيم (الرحيم) المسلم كل ذى قلب سليم الى جنة النعيم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم يذكر ويؤنث
ولد نوح فى زمن آدم عليه السلام ونظير قوله المرسلين والمراد به نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب و يل
البرود وماله الا دابة أو برد أو كانوا ينكرون بعث الرسل اصلا فلذا جمع اولان من كذب واحدا منهم فقد كذب ال
لان كل رسول يدعو الناس الى الايمان بجميع الرسل وكذا جميع ما فى هذه السورة (اذ قال لهم اخوهم) نسبا لا
(نوح ألا تتقون) خالق الانام فتتركوا عبادة الاصنام (انى لكم رسول امين) كان مشهورا بالامانة فيهم كمحمد عليه الص
والسلام فى قريش (فاتقوا الله واطيعون) فيما آمركم به وادعوكم اليه من ا

(وما اسئلكم عليه) على هذا الامر (من اجر) جزاء (ان اجرى) بالفتح مدنى وشامى وابو عمرو وحفص (الا على رب العالمين) فلذلك اريده (فاتقوا الله واطيعون) كرره ليقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة فعلة الاول كونه أمينا فيما بينهم وعلة الثانى حسم طمعه منهم كانه قال اذا عرفتم رسالتى وأمانتى فاتقوا ثم اذا عرفتم احترازى من الاجر

الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول ﴿ وما كان اكثرهم ﴾ اكثر قومه ﴿ مؤمنين ﴾ به ﴿ وان ربك لهو العزيز ﴾ القادر على تعجيل الانتقام ﴿ الرحيم ﴾ بالامهال لكى يؤمنوهم أو واحد من ذريتهم ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ القوم مؤنث ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام فى تكذيبهم المرسلين ﴿ اذ قال لهم اخوهم نوح ﴾ لانه كان منهم ﴿ ألا تتقون ﴾ الله فتتركوا عبادة غيره ﴿ انى لكم رسول امين ﴾ مشهور بالامانة فيكم ﴿ فاتقوا الله واطيعون ﴾ فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله ﴿ وما اسئلكم عليه ﴾ على ما انا عليه من الدعاء والنصح ﴿ من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون ﴾ كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف

وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ أى مع هذه الدلائل والآيات ﴿وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ أى المنتقم الذى لا يغالب وهو فى وصف عزته رحيم * قوله عز وجل ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ أى كذبت جماعة قوم نوح قيل القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة • فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقى القصص • قلت لان دين الرسل واحد وان الآخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحدا من الانبياء فقد كذب جميعهم ﴿اذ قال لهم أخوهم نوح ﴾ أى أخوهم فى النسب لا فى الدين ﴿ألا تتقون﴾ أى ألا تخافون فتتركوا الكفر والمعاصى ﴿انى لكم رسول أمين﴾ أى على الوحى وكان معروفا عندهم بالامانة ﴿فاتقوا الله ﴾ أى بطاعته وعبادته ﴿وأطيعون﴾ أى فيما أمرتكم به من الايمان والتوحيد ﴿وما اسئلكم عليه من اجر ﴾ اى من جعل وجزاء ﴿ان اجرى ﴾ أى ثوابى ﴿ الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون ﴾ قيل كرره ليؤكده عليهم

لعلامة وعبرة (وما كان أكثرهم مؤمنين) لو رجعوا الى الدنيا ويقال لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة منهم (الرحيم) بالمؤمنين (كذبت قوم نوح المرسلين)
نوحا وجلة المرسلين الذين ذكرهم نوح (اذ قال لهم أخوهم) نبيهم (نوح) ولم يكن أخاهم فى الدين ولكن { ويقرره }
كان من قرابتهم (ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم)من الله (رسول أمين) على الرسالة ويقال قد كنت فيكم أمينا قبل هذا فكيف
تتهمونى اليوم (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم من التوبة والايمان (وأطيعون) اتبعوا أمرى ودينى (وما أسئلكم علي
على التوحيد (من أجر) من رزق (ان أجرى) ما رزقى (الا على رب العالمين فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم من التوبة والايم
(وأطيعون)

الله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم) نعدلكم أيها الاصنام (برب العالمين) فى العبادة (وما أضلنا الا المجرمون) أى رؤساؤهم
ن أضلوهم أو ابليس وجنوده ومن سن الشرك (فما لنا من شافعين) كما للمؤمنين من الانبياء والاولياء والملائكة (ولا
يق حميم) كما نرى لهم أصدقاء اذ لا تصادق فى الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لانهم كانوا يعتقدون فى أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام الذى يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وأما الصديق وهو الصادق فى ودادك الذى يهمه ما أهمك فقليل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لا معنى له وجاز ان يراد بالصديق الجمع (فلو ان لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت أو لو فى مثل هذا بمعنى التمنى كانه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقى (ان فى ذلك) فيما ذكر من الانباء (لآية)

تالله ان كنا لفى ضلال مبين ﴾ على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب فى قوله ﴿ اذ نسويكم برب العالمين ﴾ اى فى استحقاق العبادة ويجوز ان تكون الضمائر للعبدة كما فى قالوا والخطاب للمبالغة فى التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم فى مبدأ ضلالهم معترفون بانهما كهم فى الضلالة متحسرون عليها ﴿ وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء ﴿ ولا صديق حميم ﴾ اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا فى مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء أو لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه فى الاصل مصدر كالحنين والصهيل ﴿ فلو ان لنا كرة ﴾ تمن للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما فى معنى التقدير أو شرط حذف جوابه ﴿ فنكون من المؤمنين ﴾ جواب التمنى أو عطف على كرة أى لو ان لنا ان نكر فنكون ﴿ ان فى ذلك ﴾ اى فيما ذكر من قصة ابراهيم ﴿ لآية ﴾ لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالفته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير

والمعبودين ﴿ تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم ﴾ أى نعدلكم ﴿ برب العالمين ﴾ فنعبدكم ﴿ وما أضلنا ﴾ يعنى دعانا الى الضلال ﴿ الا المجرمون ﴾ يعنى من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعنى ابليس وابن آدم الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل وأنواع المعاصى ﴿ فما لنا من شافعين ﴾ يعنى من يشفع لنا يعنى كما ان للمؤمنين شافعين من الملائكة والانبياء ﴿ ولا صديق حميم ﴾ أى قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق وهو الصادق فى المودة مع موافقة الدين ﴿ عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول فى الجنة ما فعل بصديقى فلان وصديقه فى الجحيم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوى باسناد الثعلبى وقال الحسن استكثروا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة ﴿ فلو أن لنا كرة ﴾ أى رجعة الى الدنيا ﴿ فنكون من المؤمنين ﴾ أى انهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم ﴿ ان فى ذلك لآية

له) والله (ان كنا) قد كنا (لفى ضلال مبين) (قا و خا ٦١ بع) فى خطأ بين فى الدنيا (اذ نسويكم) نعدلكم (برب العالمين)
عبادة (وما أضلنا) ما صرفنا عن الايمان والطاعة (الا المجرمون) المشركون قبلنا الذين اقتدينا بهم (فما لنا) فليس
حد (من شافعين) من الملائكة والنبيين والصالحين يشفع لنا (ولا صديق حميم) لاذى قرابة يهمه أمرنا (فلو أن لنا
) رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) مع المؤمنين بالايمان (ان فى ذلك) فيما ذكرت من حالهم (لآية)

امرها بانها لاتضر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فاخرجه من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم صو
المسئلة فى نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله تعالى فعظم شانه وعدد نعمته من حين انشائه الى وقت وفاته مع ما يرج
فى الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعا بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الادب ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب ا
وعقابه ومايدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيع
(وأزلفت الجنة للمتقين) أى قربت عطف جملة أى تزلف من موقف السعداء فينظرون اليها (وبرزت الجحيم) أ
أظهرت حتى يكاد يأخذهم لهبها (للغاوين) للكافرين (وقيل لهم أينما كنتم تعبدو
من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) يوبخون على اشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار (فكبكبوا) أنكسوا وطرح بعضهم على بعض (فيها) فى الجحيم (هم) أى الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برزت لهم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كأنه اذا ألقى فى جهنم ينكب مرة اثر مرة حتى يستقر فى قعرها نعوذ بالله منها (وجنود ابليس أجمعون) شياطينه أو متبعوه من عصاة الانس والجن (قالوا وهم فيها يختصمون) يجوز أن ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجرى ذلك بين العصاة والشياطين

عن الكفر والميل الى المعاصى وسائر آفاته او لا ينفعان الا مال من هذا شأنه وبنوه حيث انفق ماله فى سبيل البر وأرشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اى لا ينفع غنى الاغناء وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه ﴿وازلفت الجنة للمتقين﴾ بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم محشورون اليها ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفى اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد ﴿وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله﴾ اين الهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم ﴿هل ينصرونكم﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿او ينتصرون﴾ بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال ﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون﴾ اى الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من القى فى النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر فى قعرها ﴿وجنود ابليس﴾ متبعوه من عصاة الثقلين اوشياطينه ﴿اجمعون﴾ تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده والا للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه فى قوله ﴿قالوا وهم فيها يختصمون﴾

من الشك والشرك فاما الذنوب فلا يسلم منها أحد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالى من البدعة المطمئن الى السنة ﴿وأزلفت الجنة﴾ أى قربت ﴿للمتقين وبرزت الجحيم﴾ أى أظهرت ﴿للغاوين﴾ أى للكافرين ﴿وقيل لهم﴾ يعنى يوم القيامة ﴿أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم﴾ أى يمنعونكم من عذاب الله ﴿أو ينتصرون﴾ لانفسهم ﴿فكبكبوا﴾ قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على بعض وقيل ألقوا على رؤسهم ﴿فيها﴾ أى فى جهنم ﴿هم والغاوون﴾ يعنى الآلهة والعابدين وقيل الجن والكافرين ﴿وجنود ابليس أجمعون﴾ يعنى اتباعه ومن أطاعه من الانس والجن وقيل ذريته ﴿قالوا وهم فيها يختصمون﴾ يعنى العابدين (والمعبودين)

الله عليه وسلم (وأزلفت الجنة) قربت الجنة (للمتقين) الكفر والشرك والفواحش فصارت لهم منزلا (وبرزت الجحيم) أظهر
ويقال لاحت الجحيم (للغاوين) للكافرين فصارت لهم منزلا (وقيل لهم) لعبدة الاوثان (أينما كنتم تعبدون من دون الله) فى الد
من الاصنام (هل ينصرونكم) هل يمنعونكم من عذاب الله (أو ينتصرون) يمتنعون بأنفسهم من العذاب (فكبكبوا فيها) فطرح
فيها وجمعوا فى النار (هم) كفار مكة وسائر كفار الانس (والغاوون) كفار الجن وآلهتهم (وجنود ابليس) ذرية ابليس
(أجمعون) وهم الشياطين (قالوا) يعنى الكفار (وهم فيها) فى النار (يختصمون) مع آلهتهم ورؤسائهم وذرية ابليس

نبوة لان النبي عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله (وألحقني بالصالحين) أي الانبياء ولقد أجابه حيث قال انه في الآخرة لمن الصالحين (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسنا وذكرا جميلا في الامم التي تجئ بعدي عطى ذلك فكل أهل دين يتولونه ويثنون عليه ووضع اللسان موضع القول لان القول يكون به (واجعلني من) يتعلق محذوف أي وارثا من (ورثة جنة النعيم) أي من الباقين فيها (واغفر لابي) اجعله أهلا للمغفرة باعطاء الاسلام وكان وعده الاسلام م فارقه (انه كان من الضالين) الكافرين (ولا تخزني) الاخزاء من الخزي وهو الهوان أو من الخزاية وهو الحياء وهذا والاستغفار كما بينا (يوم يبعثون) الضمير فيه للعباد لانه معلوم أو للضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه أي ولا تخزني يوم يبعث الضالون وأبي فيهم (يوم لا ينفع مال) هو بدل من يوم الاول (ولا بنون) أحدا (الا من أتى الله بقلب سليم) ن الكفر والنفاق فقلب الكافر

والمنافق مريض

لقوله تعالى في قلوبهم مرض

﴿والحقني بالصالحين﴾ ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك مامن امة الا وهم محبون له مثنون عليه اوصادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها ﴿واغفر لابي﴾ بالهداية والتوفيق للايمان ﴿انه كان من الضالين﴾ عن طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به اولانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ﴿ولا تخزني﴾ بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان اومن الخزاية بمعنى الحياء ﴿يوم يبعثون﴾ الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم﴾ اى لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب

﴿والحقني بالصالحين﴾ أي بمن سلف قبلي من الانبياء في المنزلة والدرجة العالية ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ أي ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما في الامم التي تجئ بعدي فاعطاه الله ذلك وجعل كل أهل الاديان يتولونه ويثنون عليه ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ أي ممن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى ﴿واغفر لابي انه كان من الضالين﴾ قيل دعا لابيه على رجاء أن يسلم فيغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴿ولا تخزني﴾ أي ولا تفضحني ﴿يوم يبعثون﴾ وهو يوم القيامة ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم﴾ أي خالص

أي ان المال اذا صرف في وجوه البر وبنوه صالحون فانه ينتفع به و بهم سليم القلب أو جعل المال والبنون في المعنى الغنى كانه قيل يوم ينفع غنى الاغنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه وقد جعل من مفعولا لينفع أي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع و يجوز على هذا الامن أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين وقد صوب الجليل استثناء الخليل اكراما له ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وما أحسن ما رتب عليه السلام ن كلامه مع المشركين حيث سألهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم اقبل على آلهتهم فابطل

علما (وألحقني بالصالحين) بآبائي المرسلين في الجنة (واجعل لي لسان صدق) ثناء حسنا (في الآخرين) في الباقين بعدي واجعلني من ورثة جنة النعيم) من نازلي جنة النعيم (واغفر لابي) اهد أبي (انه كان من الضالين) انه كان ضالا كافرا (ولا تخزني) لا تعذبني (يوم يبعثون) من القبور (يوم لا ينفع مال) كثرة المال (ولا بنون) كثرة البنين (الا من أتى الله بقلب سليم) خالص ن الذنب وحب الدنيا ويقال سليم من بعض أصحاب النبي صلى

والاتم الاكمل أو الذى خلقنى لاسباب خدمته فهو يهدينى الى آداب خلته (والذى هو يطعمنى) أضاف الاطعام الى ولى الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام (ويسقين) قال ابن عطاء هو الذى يحيينى بطعامه ويروينى بشرابه (واذا مرضت) وانما لم يقل أمرضنى لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف اليه ما يقتضى الضر قال ابن عطاء اذا مرضت برؤية الخلق (فهو يشفين) بمشاهدة الحق

اذا مرضت برؤية الاغيار فهو يشفين بكشف منة الافضال (والذى يميتنى ثم يحيين) ولم يقل اذا مت لان الخروج من حبس البلاء ودار الفناء الى روض البقاء لوعد اللقاء وأدخل ثم فى الاحياء لتراخيه عن الافناء وأدخل الفاء فى الهداية والشفاء لانهما يعقبان الخلق والمرض لا معا (والذى أطمع) طمع العبيد فى الموالى بالافضال لا على الاستحقاق بالسؤال (ان يغفرلى خطيئتى) قيل هو قوله انى سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربى للمنازغ هى أختى لسارة وما هى الا معاريض جائزة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار واستغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم وتعليم للامم فى طلب المغفرة (يوم الدين) يوم الجزاء (رب هب لى حكما) حكمة أو حكما بين الناس بالحق الحق والهدى (والذى هو

الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذه والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله ﴿والذى هو يطعمنى ويسقين﴾ على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم ﴿واذا مرضت فهو يشفين﴾ عطف على يطعمنى ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه انما الضرر فى مقدماته وهى المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التى تستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض فى غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافى والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم ﴿والذى يميتنى ثم يحيين﴾ فى الآخرة ﴿والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى يوم الدين﴾ ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث انى سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هى اختى ضعيف لانها معاريض وليست خطايا ﴿رب هب لى حكما﴾ كمالا فى العلم والعمل استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق

طريق النجاة ﴿والذى هو يطعمنى ويسقين﴾ أى يرزقنى ويغذينى بالطعام والشراب ﴿واذا مرضت﴾ أصابنى مرض أضاف المرض الى نفسه استعمالا للادب وان كان المرض والشفاء من الله ﴿فهو يشفين﴾ أى يبرئنى ويعافينى من المرض ﴿والذى يميتنى ثم يحيين﴾ أى يميتنى فى الدنيا ثم يحيينى فى الآخرة ﴿والذى أطمع﴾ أى أرجو ﴿أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين﴾ أى يوم الجزاء والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين أكان ذلك نافعاله قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه أنه لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال ﴿رب هب لى حكما﴾ قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم

يطعمنى) يرزقنى ويشبعنى اذا جعت (ويسقين) يروينى اذا عطشت (واذا مرضت فهو يشفين) من المرض اذا مرضت (والذى يميتنى) فى الدنيا (ثم يحيين) يوم القيامة (والذى أطمع) أرجو (أن يغفرلى خطيئتى) ذنبى (يوم الدين) يوم الحساب وكانت خطيئته قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لامرأته هذه أختى (رب هب لى حكما) فهما

بار وانما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل أو معناه الدوام (قال) أى ابراهيم (هل يسمعونكم) هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف لدلالة (اذتدعون) عليه (أو ينفعونكم) ان عبدتموها (أو يضرون) أى ان تركتم عبادتها (قالوا بل) اضراب أى لاتسمع ولاتنفع ولاتضر ولانعبدها لشئ من ذلك ولكن (وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) فقلدناهم (قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) الاولون (فانهم) أى الاصنام (عدولى) العدو والصديق يجيآن فى معنى الوحدة والجماعة يعنى لوعبدتهم لكانوا أعداء لى فى يوم القيامة كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب أى فانى عدوهم وفى قوله عدولى دون لكم زيادة نصح ليكون أدعى لهم الى القبول ولو قال فانهم عدولكم لم يكن بتلك المثابة (الارب العالمين) استثناء منقطع لانه لم يدخل تحت الاعداء كانه قال لكن رب العالمين (الذى خلقنى) بالتكوين فى القرار المكين (فهو يهدين) لمناهج الدنيا ولمصالح الدين والاستقبال فى يهدينى مع سبق العناية بالهداية لانه يحتمل يهدينى للاهم الافضل

فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل ﴿ قال هل يسمعونكم ﴾ يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة ﴿ اذتدعون ﴾ عليه وقرئ يسمعونكم اى يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها ﴿ او ينفعونكم ﴾ على عبادتكم لها ﴿ او يضرون ﴾ من اعرض عنها ﴿ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضرر او نفع والتجأوا الى التقليد ﴿ قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون ﴾ فان التقدم لايدل على الصحة ولاينقلب به الباطل حقا ﴿ فانهم عدولى ﴾ يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغرى بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر فى نفسه تعريضا لهم فانه انفع فى النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه فى الاصل مصدر او بمعنى النسب ﴿ الارب العالمين ﴾ استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال * والذى قدر فهدى * هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية

﴿ قال هل يسمعونكم ﴾ أى يسمعون دعاءكم ﴿ اذتدعون أو ينفعونكم ﴾ يعنى بالرزق ﴿ أو يضرون ﴾ أى ان تركتم عبادتهم واذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة فلما لزمتهم الحجة القاطعة ﴿ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ المعنى انها لاتسمع قولا ولاتجلب نفعا ولاتدفع ضرا ولكن اقتدينا بآبائنا فى ذلك وفى الآية دليل على ابطال التقليد فى الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال ﴿ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون ﴾ أى الاولون ﴿ فانهم عدولى ﴾ أى أعداء لى وانما وحده على ارادة الجنس * فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهى جمادات لاتعقل * قلت معناه فانهم عدولى يوم القيامة لو عبدتهم فى الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الاحياء العقلاء أطلق ابراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب أراد فانى عدولهم لان من عاديته فقد عاداك ﴿ الارب العالمين ﴾ أى ولكن رب العالمين فانه ربى وولي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله تعالى فقال ابراهيم كل ما تعبدون أعداء لى الارب العالمين ثم وصف معبوده الذى يستحق العبادة فقال ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ الى

عابدين مقيمين على عبادتها (قال) لهم ابراهيم (هل يسمعونكم اذتدعون) يقول هل يجيبكم الآلهة اذا دعوتموهم (أو ينفعونكم) فى معايشكم اذا أطعتموهم (أو يضرون) فى معايشكم اذا عصيتموهم (قالوا) لا (بل وجدنا) ولكن وجدنا (آباءنا كذلك يفعلون) يعبدونها فنحن نعبدها نقتدى بهم (قال) ابراهيم (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) وما كان يعبد آباؤكم الاولون (فانهم عدولى) تبرأ منهم (الارب العالمين) الا من كان منهم يعبد رب العالمين (الذى خلقنى) من النطفة (فهو يهدين) يحفظنى على الدين ويرشدنى الى

فرعون أى قربناهم من بنى اسرائيل أومن البحر (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) من الغرق (ثم أغرقنا الآ
فرعون وقومه وفيه ابطال القول بتأثير الكوكب فى الآجال وغيرها من الحوادث فانهم اجتمعوا فى الهلاك مع ا
طوالعهم روى ان جبريل عليه السلام كان بين بنى اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى اسرائيل ليلحق
باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم باولكم فلما انتهى موسى الى البحر قال يوشع لموسى أين أمرت
البحر امامك وغشيك آل فرعون قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان مو
الصلاة والسلام قال عند ذلك يامن كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن
شى (ان فى ذلك) أى فى فعلنا
بموسى وفرعون (لآية) لعبرة عجيبة لاتوصف (وما كان أكثرهم) أى المغرقين (مؤمنين) قالوا لم يؤمن منهم الاآسية وخرقيل مؤمن آل فرعون ومريم التى دلت موسى على قبر يوسف (وان ربك لهو العزيز) بالانتقام من أعدائه (الرحيم) بالانعام على أوليائه (واتل عليهم) على مشركى قريش (نبأ ابراهيم) خبره (اذ قال لابيه وقومه) قوم ابراهيم أوقوم الاب (ماتعبدون) أى أى شئ تعبدون وابراهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنه سألهم ليريهم ان مايعبدونه ليس بمستحق للعبادة (قالوا نعبد أصناما) وجواب ماتعبدون أصناما كيسئلونك
ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق لانه سؤال عن المعبود لاعن العبادة وانما زادوا نعبد
فى الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها ولذا عطفوا على نعبد (فنظل لها عاكفين) فنقيم على عبادتها طول (قال)

مداخلهم ﴿وانجينا موسى ومن معه اجمعين﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبر
﴿ثم اغرقنا الآخرين﴾ باطباقه عليهم ﴿ان فى ذلك لآية﴾ واية آية ﴿وما كا
اكثرهم مؤمنين﴾ وماتنبه عليها اكثرهم اذلم يؤمن بها احد ممن بقى فى مصر من الق
وبنواسرائيل بعدمانجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك ح
نرى الله جهرة ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ المنتقم من اعدائه ﴿الرحيم﴾ باولي
﴿واتل عليهم﴾ على مشركى العرب ﴿نبأ ابراهيم اذقال لابيه وقومه ماتعبدون
سألهم ليريهم ان مايعبدونه لايستحق العبادة ﴿قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين

أى قربنا فرعون وجنوده الى البحر وقدمناهم الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين
اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبنى اسرائيل ليلحق آخركم أولكم ويقول للقب
ر رويدا ليلحق آخركم أولكم فكان بنواسرائيل يقولون مارأينا أحسن سي
من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون مارأينا أحسن دعة من هذا الرج
﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم اغرقنا الآخرين﴾ يعنى انه تعالى جعل ال
يبسا حتى خرج موسى وقومه منه وأغرق فرعون وقومه وذلك انهم لما تكاملوا فى ال
انطبق عليهم فاغرقهم ﴿ان فى ذلك لآية﴾ يعنى ماحدث فى البحر من انفلاقه آ
من الآيات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام ﴿وما كان أكثر
مؤمنين﴾ يعنى أهل مصر قيل لم يؤمن منهم الاآسية امرأة فرعون وخرقيل مؤ
آل فرعون ومريم ابنة ماموريا التى دلت على قبر يوسف حين أخرجه موسى من ال
﴿وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ قوله تعالى ﴿واتل عليهم نبأ ابراهيم اذقال لا
وقومه ماتعبدون﴾ أى أى شئ تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم ع
للاصنام ليريهم أن مايعبدونه ليس من استحقاق العبادة فى شئ ﴿قالوا نعبد أصناما فنظ
لها عاكفين﴾ أى نقيم على عبادتها وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الل

يقول حبسنا فرعون وقومه فى الضبابة ويقال فى البحر وكلهم كانوا كافرين (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) من ا
ثم أغرقنا الآخرين) فرعون وقومه فى اليم (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة (وما كان أكثرهم مؤمنين)
لم يكونوا مؤمنين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين اذ أنجاهم من الغرق (واتل) اقرأ (عليهم) ع
قومك قريش (نبأ ابراهيم) خبر ابراهيم فى القرآن (اذ قال لابيه) آزر (وقومه) عبدة الاوثان (ماتعبدون قالوا نعبد أصنام)
آلهة (فنظل لها عاكفين) فنصير لها

(كذلك) يحتمل النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك (وأورثناها بني اسرائيل) عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا وأخذوا ديارهم وأموالهم (فاتبعوهم) فلحقوهم يزيد (مشرقين) حال أي

داخلين في وقت

شروق الشمس وهو طلوعها أي ادرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس (فلما تراءى الجمعان) أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنو اسرائيل والقبط (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أي قرب أن يلحقنا عدونا وامامنا البحر (قال) موسى عليه السلام ثقة بوعد الله اياه (كلا) ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم (ان معي) حفص (ربي سيهدين) أي سيهديني طريق النجاة واضرارهم سيهديني بالياء يعقوب (فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) أي القلزم أو النيل (فانفلق) أي فضرب فانفلق وانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط (فكان كل فرق) أي جزء تفرق منه (كالطود العظيم) كالجبل المطاد في السماء (وأزلفنا ثم) حيث انفلق البحر (الآخرين) قوم

(كذلك) أفعل عن عصاني

كذلك ﴾ مثل ذلك الاخراج اخرجناهم فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذي كان لهم انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف ﴿ واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم ﴾ رى فاتبعوهم ﴿ مشرقين ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس ﴿ فلما تراأى الجمعان ﴾ ربا بحيث رأى كل منهما الآخر * وقرئ تراءت الفئتان ﴿ قال اصحاب موسى انا ركون ﴾ لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في لاك على ايديهم ﴿ قال كلا ﴾ لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ﴿ ان معي ن ﴾ بالحفظ والنصرة ﴿ سيهدين ﴾ طريق النجاة منهم روى ان مؤمن آل فرعون ن بين يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال مرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع ﴿ فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر ﴾ القلزم النيل ﴿ فانفلق ﴾ اي فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك ﴿ فكان كل ق كالطود العظيم ﴾ كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط شعب ﴿ وازلفنا ﴾ وقربنا ﴿ ثم الآخرين ﴾ فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم

ذهب والمعنى أنا أخرجناهم من بساتينهم التي فيها العيون وأموالهم ومجالسهم الحسنة كذلك ﴾ أي كما وصفنا ﴿ وأورثناها بني اسرائيل ﴾ وذلك ان الله عز وجل رد بني اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاماكن الحسنة ﴿ فأتبعوهم مشرقين ﴾ أي لحق فرعون وقومه موسى أصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها ﴿ فلما تراءى الجمعان ﴾ أي تقابلا بحيث رأى كل فريق صاحبه ﴿ قال أصحاب موسى انا لمدركون ﴾ أي سيدركنا فرعون قومه ولا طاقة لنا بهم ﴿ قال ﴾ يعني موسى لثقته بوعد الله تعالى اياه ﴿ كلا ﴾ أي لن يدركونا ﴿ ان معي ربي سيهدين ﴾ أي يدلني على طريق النجاة ﴿ فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق ﴾ أي فضربه فانشق ﴿ فكان كل فرق ﴾ أي قطعة من الماء ﴿ كالطود ﴾ أي الجبل ﴿ العظيم ﴾ قيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرمي بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء لا يواري حافر دابته وقال الذي يكتم ايمانه يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه فصكه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده ﴿ وأزلفنا ثم الآخرين ﴾

(وأورثناها) يعني بمصر (بني اسرائيل) بعد هلاكهم (فاتبعوهم مشرقين) عند طلوع الشمس (فلما تراءى) ظهر (الجمعان) جمع موسى وجمع فرعون (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أي ادركونا يا موسى (قال) موسى (كلا) حقا لا يدركونا (ان معي ربي سيهدين) سينجيني منهم ويهديني الى الطريق (فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) فضرب (فانفلق) فانشق فصار فيه اثنا عشر طريقا (فكان كل فرق) كل طريق (كالطود العظيم) كالجبل العظيم (وأزلفنا ثم الآخرين)

أى جامعين للناس بعنف فلما اجتمعوا قال (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) والشرذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالا
الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذى هو للقلة
أراد بالقلة الذلة لا قلة العدد أى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا تتوقع غلبتهم وانما استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين
الفا لكثرة من معه فعن الضحاك كانوا سبعة آلاف ألف (وانهم لنا لغائظو
أى انهم يفعلون أفعالا
تغيظنا وتضيق صدورنا
وهى خروجهم من مصرنا
وحملهم حلينا وقتلهم
أبكارنا (وانا لجميع حاذرون)
شامى وكوفى وغيرهم
حذرون فالحذر المتيقظ
والحاذر الذى يجدد حذره
وقيل المؤدى فى السلاح
وانما يفعل ذلك حذرا
واحتياطا لنفسه يعنى
ونحن قوم من عادتنا التيقظ
والحذر واستعمال الحزم
فى الامور فاذا خرج علينا
خارج سارعنا الى حسم
فساده وهذه معاذير
اعتذر بها الى أهل المدائن
لئلا يظن به العجز والفتور
(فاخرجناهم من جنات)
بساتين (وعيون)وأنهار
جارية (وكنوز)وأموال
ظاهرة من الذهب والفضة
وسماها كنوزا لانهم
لا ينفقون منها فى طاعة الله
تعالى (ومقام) ومنزل
(كريم) بهى بهج وعن
ابن عباس رضى الله عنهما

العساكر ليتبعوهم ﴿ ان هؤلاء لشرذمة قليلون ﴾ على ارادة القول وانه
استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روى انه خرج
وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم
لما بلى وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل ﴿ وانهم لنا
لغائظون ﴾ لفاعلون مايغيظنا ﴿ وانا لجميع حذرون ﴾ وانا لجميع من عادتنا الحذر
واستعمال الحزم فى الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما
يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ فى شأنهم حثا عليه واعتذر بذلك الى
اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه • وقرأ ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاول
للثبات والثانى للتجدد وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما
يفعل حذرا • وقرئ حادرون بالدال اى اقوياء قال

احب الصبى السوء من اجل امه • وابغضه من بغضها وهو حادر

او تاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة فى اجسامهم ﴿ فاخرجناهم ﴾ بان خلقنا
داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه ﴿ من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ﴾
يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية

كل ذلك ألف فلذلك قال ﴿ ان هؤلاء لشرذمة قليلون ﴾ قال أهل التفسير كانت الشرذمة
الذين قللهم فرعون ستمائة ألف مقاتل لم يعدوا دون العشرين وفوق الستين سنة وقال
ابن مسعود كانت ستمائة ألف وسبعين ألفا ولا يحصى عدد أصحاب فرعون ﴿ وانهم
لنا لغائظون ﴾ الغيظ الغضب يعنى انهم أغضبونا بمخالفتهم فينا وقتلهم أبكارنا وذهابهم
باموالنا التى استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير اذن منا ﴿ وانا لجميع حذرون ﴾ أى
خائفون من شرهم وقرئ حاذرون أى ذوو قوة واداة شاكون السلاح وقيل الحاذر
الذى يحذرك الآن بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذى لا تلقاه الا خائفا
﴿ فاخرجناهم من جنات وعيون ﴾ قيل كانت البساتين ممتدة فى حافتى النيل فيها
عيون وأنهار جارية ﴿ وكنوز ﴾ يعنى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها
كنوزا لانه لم يؤد حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وان كان
ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق فى عنق كل فرس
طوق من ذهب قال الله تعالى ﴿ ومقام كريم ﴾ أى مجلس حسن قيل أراد مجالس
الامراء والرؤساء التى كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة
كرسى من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم أقبية الديباج مخوصة

الشرط (ان هؤلاء)
أصحاب موسى (لشرذمة
قليلون) فئة قليلة (وانهم لنا لغائظون) مبغضون أحردونا (وانا لجميع حاذرون) شاكون ممدون بالسلاح (فاخرجناهم) بالذهب
من جنات) بساتين (وعيون) ماء ظاهر (وكنوز) أموال (ومقام كريم) منازل حسنة

أراده بهيب العامة لئلا يتبعوهم فى الايمان (قالوا الاضير) لاضرر وخبر لا محذوف أى فى ذلك أو علينا (انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ... ربنا خطايانا أن كنا) لان كنا (اول المؤمنين) من أهل المشهد أو من رعية فرعون أرادو لاضرر علينا فى ذلك بل لنا اعظم ... ضل لنا فى الصبر عليه لوجه الله من انكفير الخطايا أو لاضير علينا فيما تتوعدنا به انه لابد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب ... بب الموت والقتل أهون أسبابه وارجاها أو ضير علينا فى قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته ... رحمته لما رزقنا من السبق الى ﴿٤٧٣﴾ الايمان (وأحينا الى موسى ﴿سورة الشعراء﴾ ان أسر) وبوصل الهمزة حجازى (بعبادى) بنى اسرائيل سماهم عباده لايمانهم بنبيه أى سربهم ليلا وهذا بعد سنين من ايمان السحرة (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم يعنى انى بنيت تدبير أمركم وأمرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فاهلكهم وروى انه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى أوحى الى موسى أن اجمع بنى اسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت ثم اذبح الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فانى سآمر الملائكة ان لايدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك أمرى (فارسل فرعون فى المدائن حاشرين)

... به ﴿قالوا الاضير﴾ لاضرر علينا فى ذلك ﴿انا الى ربنا منقلبون﴾ بما توعدنا به فان الصبر ... محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب من اسباب الموت وقتلك ... نفعا وارجاها ﴿انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا﴾ لان كنا ﴿اول المؤمنين﴾ من ... فرعون او من اهل المشهد والجملة فى المعنى تعليل ثان لنفى الضير او تعليل للعلة المتقدمة ... ى ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ... ز حسنت اليك فلا تنس حقى ﴿واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى﴾ وذلك بعد ... ين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا ... ادا . وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرى ... ر من السير ﴿انكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اى اسربهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لايدركونكم ... وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم فاغرقهم ﴿فارسل فرعون﴾ حين اخبر بسراهم ﴿فى المدائن حاشرين﴾

قا لاضير انا الى ربنا منقلبون﴾ أى لاضرر علينا فيما ينالنا فى الدنيا لانا ننقلب ونصير ... الى ربنا فى الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قولهم ﴿انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ أى الكفر والسحر ﴿أن﴾ أى لان ﴿كنا أول المؤمنين﴾ أى من أهل زماننا وقيل أول المؤمنين أى من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع * قوله تعالى ﴿وأوحينا الى موسى أن اسر بعبادى انكم متبعون﴾ أى يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج ... قيل أوحى الله الى موسى أن اجمع بنى اسرائيل كل أهل أربعة أبيات فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على أبوابكم فانى سآمر الملائكة فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وسآمرهم ان لايدخلوا بيتا على بابه دم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادى ... تنتهى الى البحر فيأتيك أمرى ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ... ان لنا فى هذه الليلة عيدا فاستعار وامنهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جهة البحر فلما ... سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا ... فارسل فرعون فى المدائن حاشرين﴾ يعنى الشرط يحشرون الجيش قيل كانت ... المدائن ألف مدينة واثنى عشر ألف قرية فارسل فرعون فى أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف وخرج فرعون فى الكرسى العظيم فى مائتى ألف ملك مسورين مم

... طى نهر مصر (قالوا الاضير) لايضرنا (قا و خا ٦٠ بع) فى الآخرة ماتصنع بنا فى الدنيا (انا الى ربنا منقلبون) ... جعون الى الله والى ثوابه (انا نطمع) نرجو (أن يغفر لنا ربنا خطايانا) شركنا (أن كنا) بأن كنا (أول المؤمنين) بموسى ... وأحينا الى موسى أن أسر بعبادى) أن أدلج بعبادى ليلا من آمن بك من بنى اسرائيل (انكم متبعون) يدرككم فرعون وقومه ... فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين)

والجزاء (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) من السحر فسوف ترون عاقبته (فالقوا حبالهم) سبعين ألف حبل
(وعصيهم) سبعين ألف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين ألفا وكذا العصا (وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون)
أقسموا بعزته وقوته وهو من أيمان الجاهلية (فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف) تبتلع (ما يأفكون) ما يقلبونه عن
وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه ويخيلون فى حبالهم وعصيهم أنها حيات
تسعى (فالقى السحرة ساجدين) عبر عن الخرور بالالقاء بطريق المشاكلة لانه ذكر مع الالقاآت ولانهم لسرعة ما سجدوا صاروا كانهم ألقوا (قالوا آمنا برب العالمين) عن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا ان يعزلوه وقيل ان فرعون لما سمع منهم آمنا برب العالمين قال اياى عنيتم قالوا رب موسى وهرون (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم) بذلك (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) وقد تواطأتم على أمر ومكر (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم ثم صرح فقال (لأقطعن ايديكم وأرجلكم من خلاف) من أجل خلاف ظهر منكم (ولأصلبنكم أجمعين) كانه

والدخول على (قال لهم موسى) للسحرة (ألقوا ما أنتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم) اثنين وسبعين حبلا واثنين وسبعين عصا (وقالوا) يعنى السحرة (قالوا) (بعزة) بعظمة (فرعون انا لنحن الغالبون) على موسى (فألقى موسى عصاه فاذاهى تلقف) تلقم (ما يأفكون) ما فوكهم من السحر (فألقى السحرة ساجدين) سجدوا من سرعة سجودهم كانهم ألقوا لما ذهبت حبالهم وعصيهم علموا أنه من الله (قالوا آمنا برب العالمين) قال لهم فرعون اياى تعنون قالوا (رب موسى وهرون قال) فرعون (آمنتم له) صدقتم به (قبل ان آذن لكم) آمركم (انه) يعنى موسى (لكبيركم) عالمكم (الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون) ماذا أفعل بكم (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولأصلبنكم أجمعين) على

ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ﴿ قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون ﴾ أى بعد ما قالوا له اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن فى تقديم ماهم فاعلوه لامحالة توسلا به الى اظهار الحق ﴿ فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون ﴾ اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم فى انفسهم ولاتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر ﴿ فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ﴾ تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف ﴿ ما يأفكون ﴾ ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة ﴿ فألقى السحرة ساجدين ﴾ لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيأ لا حقيقة له وان التبحر فى كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا انفسهم فكانهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق ﴿ قالوا آمنا برب العالمين ﴾ بدل من القى بدل الاشتمال أو حال باضمار قد ﴿ رب موسى وهرون ﴾ ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما ﴿ قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر ﴾ فعلمكم شيأ دون شئ ولذلك غلبكم أو فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر وروح أأمنتم بهمزتين ﴿ فلسوف تعلمون ﴾ وبال ما فعلتم به وقوله ﴿ لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين ﴾

قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون ﴾ أى بعظمة فرعون ﴿ انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون ﴾ أى ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصا موسى صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم أخذها موسى فاذا هى كما كانت أول مرة ﴿ فالقى السحرة ساجدين ﴾ قيل انهم لما رأوا ما جاوز حد السحر علموا انه ليس بسحر ثم لم يتمالكوا ان خروا ساجدين ثم انهم ﴿ قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ﴾ وانما قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا عزله ﴿ قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون ﴾ فيه وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال ﴿ لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين

الهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه خوفا طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم أو جعلهم آمرين ونفسه مأمورا (قالوا أرجه وأخاه) أخر امرهما ولا تبادر قتلهما خوفا من الفتنة (وابعث في المدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قول فرعون ان هذا الساحر عليم بقولهم (يأتوك بكل سحار عليم) فجاؤا بكلمة الاحاطة وبغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) أي يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ماوقت به أي حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) أي اجتمعوا وهو استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم (لعلنا نتبع السحرة) في دينهم (ان كانوا هم الغالبين) اى غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلى ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم) وبكسر العين على وهما لغتان (وانكم اذا لمن المقربين) أى قال فرعون نعم لكم أجر عندى وتكونون مع ذلك من المقربين عندى في المرتبة والجاه فتكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج ولما كان قولهم أئن لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله انكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه دخلت اذا قارة في مكانها الذى تقتضيه من الجواب

حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وأئمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه ﴿قالوا ارجه واخاه﴾ اى اخر امرهما وقيل احبسهما ﴿وابعث في المدائن حاشرين﴾ شرطا يحشرون السحرة ﴿يأتوك بكل سحار عليم﴾ ليفضلوا عليه في هذا الفن وامالها ابن عامر والكسائى وابو عمرو وقرئ بكل ساحر ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة ﴿وقيل للناس هل انتم مجتمعون﴾ فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا

هل انت باعث دينار لحاجتنا * أو عبد رب اخا عون ابن مخراق

اى ابعث احدهما الينا سريعا ﴿لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين﴾ لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجى باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلى ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين﴾ التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على

﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ اى اخره واخاه ﴿وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم﴾ قيل ان فرعون أراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شبهة في أمره ولكن أخره واجمع له سحرة ليقاوموه ولا تثبت له عليك حجة ﴿قوله تعالى﴾ ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ يعنى يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة وهو النيروز ﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون﴾ أى لتنظروا ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة ﴿لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين﴾ لموسى قيل أراد بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين﴾ طلبوا من فرعون الجزاء وهو بذل المال والجاه فبذل لهم ذلك كله وأكده بقوله ﴿قال نعم وانكم اذا لمن المقربين﴾

تشيرون على به (قالوا أرجه) حبسه (وأخاه) ولا تقتلهما (وابعث في المدائن) الى مدائن الساحرين (حاشرين) الشرط (يأتوك بكل سحار) ساحر (عليم) حاذق بسحره فيصنعون مثل ما يصنع موسى (فجمع السحرة) اثنان وسبعون ساحرا (لميقات يوم معلوم) لميعاد يوم معروف وهو يوم سوق ويقال يوم عيدهم ويقال يوم نيروزهم (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة) دين السحرة (ان كانوا هم الغالبين) على موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا) جعلا من المال (ان كنا نحن الغالبين) على موسى (قال) فرعون (نعم) لكم عندى ذلك (وانكم اذا لمن المقربين) في القدر والمنزلة

أشدمن القتل وأشدوقيل لأسجننك لم يؤدهذا المعنى وان كان أخصر (قال أولوجئتك) الواوللحال دخلت عليها همزة الاستفهام أى أتفعل بى ذلك ولوجئتك (بشئ مبين) أى جائيا بالمعجزة (قال فائت به) بالذى يبين صدقك (ان كنت من الصادقين) ان لك بينة وجواب الشرط مقدر أى فأحضره (فألقى عصاه فاذاهى ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لا شئ يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر روى ان العصا ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذى أرسلك لأأخذتها فأخذها فعادت عصا (ونزع يده فاذاهى بيضاء للناظرين) فيه دليل على ان بياضها كان شيئا تجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نوريا روى ان فرعون لما أبصر الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال لفرعون ماهذه قال فرعون يدك فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق (قال) أى فرعون (للملأ حوله) هو منصوب نصبين نصب فى اللفظ والعامل فيه ما يقدر فى الظرف ونصب فى المحل وهو النصب على الحال من الملأ أى كائنين حوله والعامل فيه قال (ان هذا لساحر عليم) بالسحر ثم أغرى قومه على موسى بقوله (يريد أن يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا) منصوب لانه مفعول به من قولك أمرتك الخير (تأمرون) تشيرون فى أمره من حبس أو قتل من المؤامرة وهى المشاورة أومن الامر الذى هو ضد النهى ما تحير فرعون برؤية الآيتين وزل عنه ذكر دعوى (قالوا)

هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لأسجننك ﴿ قال أولو جئتك بشئ مبين ﴾ أى أتفعل ذلك ولو جئتك بشئ بين صدق دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعى نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل ﴿ قال فائت به ان كنت من الصادقين ﴾ فى ان لك بينة او فى دعواك فان مدعى النبوة لابد له من حجة ﴿ فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ﴾ ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ﴿ ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ﴾ روى ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق ﴿ قال للملأ حوله ﴾ مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ﴿ ان هذا لساحر عليم ﴾ فائق فى علم السحر ﴿ يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون ﴾ بهره سلطان المعجزة حتى

فردا لا يسمع ولا يبصر فيه ﴿ قال ﴾ له موسى حين توعده بالسجن ﴿ أولو جئتك بشئ مبين ﴾ أى بآية بينة والمعنى أتفعل ذلك ولو جئتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من أخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ فائت به ﴾ أى انا لن نسجنك حينئذ ﴿ ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ﴾ قيل انها لما صارت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذى أرسلك ألا أخذتها فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها فى جيبه ثم اخرجها فاذاهى بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله ﴿ ونزع يده فاذاهى بيضاء للناظرين ﴾ فعند ذلك ﴿ قال ﴾ فرعون ﴿ للملأ حوله ان هذا ﴾ يعنى موسى ﴿ لساحر عليم ﴾ وكان زمان السحر فلهذا روج فرعون هذا القول على قومه ثم قال ﴿ يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره ﴾ قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى ﴿ فماذا تأمرون ﴾ يعنى ما رأيكم فيه وما الذى أعمله فعند ذلك

شيأ يهوله به (قال) موسى (أولو جئتك) يافرعون (بشئ مبين) بآية بينة على ما أقول (قال) فرعون (فائت به)ياموسى (ان كنت من الصادقين) بانك رسول الى والى قومى (فألق) موسى (عصاه فاذاهى ثعبان) حية صفراء ذكر (مبين) عظيم أعظم مايكون من الحيات قال فرعون هذه آية بينة فهل غيرهذه (ونزع يده) أخرج موسى يده من ابطه (فاذاهى بيضاء للناظرين) لها ضوء كضوء الشمس تعجب الناظرين اليها (قال) فرعون (للملأ حوله ان هذا) الرسول (لساحر عليم) حاذق بالسحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم) مصر (بسحره فماذا تأمرون)

أ هو خالقكم و خالق آبائكم فان لم تستدلوا بغيركم فبأنفسكم و انما قال رب آبائكم لان فرعون كان يدعى الربوبية على أ عصره دون من تقدمهم (قال) أى فرعون (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) حيث يزعم ان فى الوجود الها ى وكان فرعون ينكره الهية غيره (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فتستدلون بما أقول فتعرفون م وهذا غاية الارشاد حيث عمم أولا بخلق السموات والارض و ما بينهما ثم خصص من العام للبيان أنفسهم و آباءهم أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه و من ولد منه وما شاهد من أحواله من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم ـص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها فى الآخر على تقدير مستقيم فى فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان وقيل سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده ان موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته وآثار صنعه فقال متعجبا لهم من جواب موسى أتستمعون فعاد موسى الى مثل قوله الاول فجننه فرعون زاعما انه حائد عن الجواب فعاد ثالثا الى مثل كلامه الاول مبينا ان الفرد الحقيقى انما يعرف بالصفات وان السؤال عن الماهية خال واليه الاشارة فى قوله تعالى ان كنتم تعقلون أى ان كان لكم عقل علمكم انه لا تمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له أن يدفع ظهور آثار صنعه (قال لئن اتخذت الها غيرى) أى غيرى الها (لأجعلنك من المسجونين) أى لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه فى هوة ذاهبة فى الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك

فيه مثله ويشك فى افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل ﴿ قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ﴾ اسأله عن شئ ويجيبنى عن آخر وسماه رسولا على السخرية ﴿ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ﴾ تشاهدون كل يوم انه يأتى بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذى قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ﴿ ان كنتم تعقلون ﴾ ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم وخشانتهم عارضهم بمثل مقاتلهم ﴿ قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ﴾ عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه للالوهية وانكاره للصانع ان تعجبه بقوله ألا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا أو اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام فى المسجونين للعهد أى ممن عرفت حالهم فى سجونى فانه كان يطرحهم فى

يعنى أنه خالقكم وخالق آبائكم الاولين ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ﴾ يعنى المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب بالآثار الخارجة وهذا لا يفيد البتة فهذا الذى يدعى الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن أن يجيب عنه ويتكلم بكلام لا نقبله ولا نعرف صحته وكان عندهم ان من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد فى البيان ﴿ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ﴾ فعدل الى طريق ثالث أوضح من الثانى ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفتم أنه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت ﴿ قال ﴾ فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عنه الجواب تكبرا عن الحق ﴿ لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ﴾ قيل كان سجن فرعون أشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه فى مكان يهوى فيه الى الارض وحده

(قال) فرعون لجلسائه (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) قالوا الى من تدعونا اليه يا موسى ومن ربنا ورب آبائنا الاولين (قال) موسى (رب المشرق) هو رب المشرق (والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) تصدقون ذلك (قال) فرعون لموسى (لئن اتخذت) عبدت (الها غيرى) يا موسى (لأجعلنك من المسجونين) من المحبوسين فى السجن وكان سجنه أشد من القتل وكان اذا سجن أحدا طرحه فى مكان وحده فردا لا يسمع فيه شيأ ولا ينظر فيه

نعمة تمنها علي (قال فرعون ومارب العالمين) أي انت تدعي انك رسول رب العالمين فاصفته لانك اذا أردت

عن صفة زيد تقول مازيد تعني ... بليغه مطيب نص عليه

الكشاف وغيره (قال) موسى مجيباله على وفق سؤاله (رب السموات والارض ومابينهما) أي ومابين الجنسين (ان كنتم موقنين) أي ان كنتم تعرفون الاشياء بالدليل فكفى خلق هذه الاشياء دليلا أوان كان يرجى منكم الايقان الذى يؤدى اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والالم ينفع والايقان العلم الذى يستفاد بالاستدلال ولذا لايقال لله موقن (قال) أي فرعون (لمن حوله) من أشراف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة (ألاتستمعون) متعجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمهما وينكرون حدوثهما وان لهما ربا فاحتاج موسى الى أن يستدل بما شاهدوا حدوثه وفناءه فاستدل حيث (قال ربكم ورب آبائكم الاولين)

قال فرعون) لموسى (ومارب العالمين) من رب العالمين ياموسى ايا تعنى (قال) موسى (رب السموات والارض) يقول رب العالمين هورب السموات والارض

(ومابينهما) من الخلق والعجائب (ان كنتم موقنين) مصدقين بان الله خلقهما (قال) فرعون (لمن حوله) من الجلساء (ألا (ت) تستمعون) الى مايقول موسى وكان حوله مائتان وخمسون رجلا جلوسا عليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب وكانوا خ...

لموسى من رب السموات والارض الذى تدعونا اليه ياموسى (قال) موسى (ربكم) هو ربكم (ورب آبائكم الاولين

منه ومن ملئه ﴿قال فرعون ومارب العالمين﴾ لما سمع جواب ماطعن به فيه و... انه لم يرعو بذلك شرع فى الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المر... ﴿قال رب السموات والارض ومابينهما﴾ عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعر... الافراد الابذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ﴿ان كنتم موقنين﴾ أي... كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها... احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لابد وان يكون مبدأ لسائر الممكنات ما... ان يحس بها ومالا يمكن والالزم تعدد الواجب اواستغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما... ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الابلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبماهو د... فيه لاستحالة التركيب فى ذاته ﴿قال لمن حوله الاتستمعون﴾ جوابه سألته عن حقيقته... يذكر افعاله أو يزعم انه رب السموات وهى واجبة متحركة لذواتها كماهو مذهب الدهر... غير معلوم افتقارها الى مؤثر ﴿قال ربكم ورب آبائكم الاولين﴾ عدولا الى مالا يمكن ان ي...

لم أنس يوم الرحيل وقفتها ٭ وطرفها من دموعها غرق

وقولها والركاب واقفة ٭ تتركني هكذا وتنطلق

أي أتتركني والمعنى أتمن على ان ربيتني وتنسى جناياتك على بني اسرائيل بالاس... والمعاملات القبيحة أو يريد كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن أهين ق... فقد ذل فتعبيد بني اسرائيل قد أحبط حسناتك الي ولو لم تستعبدهم ولم تقتل أولا... لم أرفع اليك حتى تربيني وتكفلني ولكان لي من أهلي من يربيني ولم يلقوني ف... ﴿قال فرعون ومارب العالمين﴾ يقول أي شئ رب العالمين الذى تزعم انك ر... أي يستوصفه الهه الذى ارسله اليه وهو سؤال عن جنس الشئ والله تعالى منزه... الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه وأجابه بذكر افعاله وآثار ق... التى تعجز الخلائق عن الاتيان بمثلها ﴿قال رب السموات والارض ومابينهما... كنتم موقنين﴾ أنه خالقهما فعرفوا انه لايمكن تعريفه الابما ذكرته لكم... أيقنتم بذلك لزمكم ان تقطعوا انه لاجواب لكم عن هذا السؤال الاماذكرته... الجواب وقال أهل المعاني أي كما توقنون هذه الاشياء التى تعاينونها فايقنوا ا... الخلق هو الله تعالى الذى خلقها وأوجدها فلما قال ذلك موسى تحير فرعون ف... جواب موسى ﴿قال لمن حوله﴾ أي من أشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسـ... رجل عليهم الاسورة ﴿ألا تستمعون﴾ وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب ... جواب موسى يعنى انى انما اطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيـ... بافعاله وآثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان آلهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى فى ال... ﴿قال ربكم ورب آبائكم الاولين﴾ يعني ان موسى ذكر ماهو أقرب اليهم فقال...

ـال من احدى التاء ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته أو
لما عاد عليه بالمخالفة أو من الذين كانوا يكفرون فى دينهم ﴿ قال فعلتها اذا وانا
ن الضالين ﴾ من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه
ـ المخطئين لانه لم يتعمد قتله أو الذاهلين عما يؤل اليه الوكز لانه اراد به التأديب
ـاسين من قوله ان تضل احداهما ﴿ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما ﴾
﴿ وجعلنى من المرسلين ﴾ رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا فى نبوته ثم كر على ما عده
ـليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على انه كان
ـالحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال ﴿ وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل ﴾ أى
ـ لتربية نعمة تمنها على بها ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل وقصدهم
ـ ابناءهم فانهم السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة
ـار اى او تلك نعمة تمنها على وهى ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر
ـذف أو بدل نعمة أو الجر باضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى
ـة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها
ـانما وحد الخطاب فى تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار

ـن الجاحدين لنعمتى وحق تربيتى يقول ربيناك فينا فكافأتنا أن قتلت منا نفسا
ـكرت نعمتنا وهى رواية عن ابن عباس قال ان فرعون لم يكن يعلم الكفر
ـتربية ولان الكفر غير جائز على الانبياء لاقبل النبوة ولابعدها وقيل معناه
ـأ من الكافرين بفرعون والهيته ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ فعلتها اذا وأنا من الضالين ﴾
ـن الجاهلين بان ذلك يؤدى الى قتله لان فعل الوكزة على وجه التأديب لا على وجه
ـل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من المخطئين ﴿ ففررت منكم ﴾ أى الى
ـدين ﴿ لما خفتكم فوهب لى ربى حكما ﴾ يعنى النبوة وقيل العلم والفهم ﴿ وجعلنى من
ـرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل ﴾ أى اتخذتهم عبيدا قيل عدها
ـن نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدان بنى اسرائيل ولم يستعبده
ـتعبد بنى اسرائيل فيكون معنى الآية وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل وتركتنى
ـتعبدنى وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الآية أو تلك نعمة على طريق الاستفهام
ـحذفت الالف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة

ـال فعلتها اذا) أى اذ ذاك (وانا من الضالين) الجاهلين بانها تبلغ القتل والضال عن الشئ هو الذاهب عن معرفته
ـ من قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافرين
ـاب وجزاء معا وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون وجزاءله لان قول فرعون وفعلت فعلتك معناه انك جازيت
ـلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت جديرة
بان تجازى نحو ذلك الجزاء
(ففررت منكم) الى مدين
(لما خفتكم) أن تقتلونى
وذلك حين قال له مؤمن
من آل فرعون ان الملأ
يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج
الآية (فوهب لى ربى حكما)
نبوة وعلما فزال عن الجهل
والضلالة (وجعلنى من
المرسلين) من جملة رسله
(وتلك نعمة تمنها على ان
عبدت بنى اسرائيل) كر
على امتنانه عليه بالتربية
فابطله من أصله وابى ان
تسمى نعمة لانها نقمة
حيث بين ان حقيقة انعامه
عليه تعبيد بنى اسرائيل لان
تعبيدهم وقصدهم بذبح
أبنائهم هو السبب فى حصوله
عنده وتربيته ولو تركهم
لرباه أبواه فكان فرعون
امتن على موسى بتعبيد قومه
واخراجه من حجر أبويه
اذا حققت وتعبيدهم
وتذليلهم واتخاذهم عبيدا
ووحد الضمير فى تمنها
وعبدت وجمع فى منكم وخفتكم
لان الخوف والفرار لم يكونا
ـه ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذا التعبيد وتلك
ـل خصلة شنعاء مبهمة لايدرى ما هى الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك أى تعبيدك بنى اسرائيل

ـساعة (قال) موسى (فعلتها اذا وأنا من الضالين) من الجاهلين بنعمتك على (ففررت) فهربت (منكم لما خفتكم) على
ـى قتل (فوهب لى ربى حكما) فهما وعلما ونبوة (وجعلنى من المرسلين) اليك والى قومك (وتلك نعمة) هذه نعمة (تمنها
ـ) فرعون ولا تذكر جفاك على (أن عبدت) بان استعبدت (بنى اسرائيل

منا (أن أرسل) بمعنى أى أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال وفيه معنى القول (معنا بنى اسرائيل) يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما فأتيا بابه فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال أئذن له لعلنا نضحك منه فأديا اليه الرسالة فعرف فرعون موسى فعند ذلك (قال ألم نربك فينا وليدا) وانما حذف فأتيا فرعون فقالا اختصارا والوليد الصبى لقرب عهده من الولادة أى ألم تكن صغيرا فربيناك (ولبثت فينا من عمرك سنين) قيل ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى فعرض اذا كان ملكا (وانت من الكافرين) بنعمتى حيث قتلت خبازى أوكنت على ديننا الذى تسميه كفرا وهذا افتراء منه عليه لانه معصوم من الكفر وكان يعايشهم

والى قومك (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) ولا تعذبهم

افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال

لقد كذب الواشون مافهت عندهم ٭ بسر ولا ارسلتهم برسول

ولذلك ثنى تارة وافرد اخرى أو لاتحادهما للاخوة أو لوحدة المرسل والمرسل به أو لا اراد ان كل واحد منا ﴿ ان ارسل معنا بنى اسرائيل ﴾ أى قولا ارسل لتضمن الرسو معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشأم ﴿ قال ﴾ أ فرعون لموسى بعد ما آتياه فقالاله ذلك ﴿ ألم نربك فينا ﴾ فى منزلنا ﴿ وليدا ﴾ طف سمى به لقربه من الولادة ﴿ ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ قيل لبث فيهم ثلاثين س ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين ثم بقى بعد الغر خمسين ﴿ وفعلت فعلتك التى فعلت ﴾ يعنى قتل القبطى وبخه به معظما اياه بعد ما عد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز ﴿ وانت من الكافرين ﴾ بنعم حتى عمدت الى قتل خواصى أو ممن تكفرهم الآن فان عليه السلام كان يعايشهم بالتق

المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرس فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى انا ذوو رسالة كما قال كث

لقد كذب الواشون مافهت عندهم ٭ بشئ ولا أرسلتهم برسول

أى برسالة وقيل انهما لاتفاقهما فى الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كانهما رسو واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين ﴿ أن ارسل معنا بنى اسرائيل ﴾ أ خلهم وأطلقهم معنا الى أرض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم أربعمائة س وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا فانطلق موسى برسالة ربه الى مص وهارون بها فاخبره بذلك ٭ وفى القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفى يده عصاه والمكتل معلق فى رأس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هارو ان الله قد أرسلنى الى فرعون وأرسل اليك تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت أمهما فصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فاذا ذهبت اليه قتلك فلم يمتنع لقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب فق أنا موسى رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون و قال ان مجنونا بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين فترك حتى اصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا ال فرعون فلم يؤذن لهما سنة فى الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا على فرعو واديا رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لانه نشأ فى بيته ف ﴿ قال ﴾ له ﴿ ألم نرب فينا وليدا ﴾ أى صبيا ﴿ ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ أى ثلاثين سنة ﴿ وفعل فعلتك التى فعلت ﴾ يعنى قتلت القبطى ﴿ وأنت من الكافرين ﴾ قال أكثر المفسر

فنظر فرعون الى موسى (قال ألم نربك فينا وليدا) صغيرا ياموسى (ولبثت) مكثت (فينا من عمرك سنين) ثلاثين ﴿ من سنة (وفعلت فعلتك التى فعلت) قتلت النفس التى قتلت (وأنت من الكافرين)

..ـدير وبالتكذيب وحده بتقدير الرفع (فارسل الى هرون) اى ارسل اليه جبريل واجعله نبيا يعيننى على الرسالة
..ون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشأم ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام توقفا فى الامتثال بل التماس
.. تبليغ الرسالة وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر وكفى بطلب العون
..ـلى التقبل لا على التعلل (ولهم على ذنب) أى تبعة ذنب بقتل القبطى فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا
.. جزاء السيئة سيئة (فاخاف ﴿٤٦٥﴾ أن يقتلون) ﴿سورة الشعراء﴾ أى يقتلونى به قصاصا وليس
هذا تعللا أيضا بل استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل اداء الرسالة ولذا وعده بالكلاءة والدفع بكلمة الردع وجمع له الاستجابتين معا فى قوله (قال كلا فاذهبا) لانه استدفعه بلاءهم فوعده الله الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه رسالة أخيه فاجابه بقوله اذهبا أى جعلته رسولا معك فاذهبا وعطف فاذهبا على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب أنت وهرون (بآياتنا) مع آياتنا وهى اليد والعصا وغير ذلك (انا معكم) أى معكما بالعون والنصرة ومع من ارسلتما اليه بالعلم والقدرة (مستمعون) خبر لان ومعكم لغو أوهما خبران أى سامعون والاستماع فى غير هذا الاصغاء للسماع يقال
.. فلان حديثه أى أصغى اليه (قا و خا ٥٩ بع) ولا يجوز حمله ههنا على ذلك فحمل على السماع (فأتيا
.. فقولا انا رسول رب العالمين) ثم ثنى الرسول كاثنى فى قوله انا رسولا ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى

..ل الى هرون﴾ رتب استدعاءه ضم اخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلاثة
..ف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض الروح الى
.. القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوى
.. وينوب منابه متى يعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا
.. وتوقفا فى تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذر فيه وقرأ يعقوب
..يق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف عنه ﴿ولهم
.. ذنب﴾ أى تبعة ذنب فحذف المضاف أو سمى باسمه والمراد قتل القبطى وانما سماه
.. على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع ﴿فاخاف ان يقتلون﴾ به قبل
.. الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذاك استمداد
.. واستظهار فى امر الدعوة وقوله ﴿قال كلا فاذهبا بآياتنا﴾ اجابة له الى الطلبتين بوعده
..ع بلائهم اللازم بردعه عن الخوف وضم اخيه اليه فى الارسال والخطاب فى فاذهبا على
..ب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع ياموسى
.. تظن فاذهب انت والذى طلبته ﴿انا معكم﴾ يعنى موسى وهارون وفرعون ﴿مستمعون﴾
..معون لما يجرى بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا
.. يجرى بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع
..ى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو
..برثان أوالخبر وحده ومعكم لغو ﴿فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين﴾

..قدة التى كانت على لسانه ﴿فارسل الى هرون﴾ ليوازرنى ويعيننى على تبليغ الرسالة
﴿ولهم على ذنب﴾ أى دعوى ذنب وهو قتله القبطى ﴿فاخاف أن يقتلون﴾ أى به ﴿قال﴾
..ه تعالى ﴿كلا﴾ أى لن يقتلوك ﴿فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون﴾ أى سامعون ما تقولون
.. ما يقال لكم * فان قلت كيف ذكرهم بلفظ الجمع فى قوله معكم وهما اثنان * قلت أجراهما
..رى الجماعة وهو جائز فى لغة العرب ﴿فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين﴾ فان
..ت هلا ثنى الرسول كما فى قوله فأتياه فقولا انا رسولا ربك * قلت الرسول قد يكون بمعنى

..ل الى هرون) فارسل معى هرون يكون عونا لى ويقال فأرسل الى هرون جبريل .. ون معى معينا (ولهم على ذنب) قصاص
.. القبطى (فاخاف أن يقتلون) به (قال) الله (كلا) حقا ياموسى لا اسلطهم عليكما بالقتل (فاذهبا بآياتنا) التسع اليد والعصا
..وفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص من الثمرات والسنين (انا معكم) معينكما (مستمعون) أسمع ما يقول لكما
..يا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) اليك

والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم تدل على ان هذا المحيط متكاثر م
الكثرة وبه نبه على كمال قدرته (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أى ان فى انبات تلك الاصناف لآية
ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجى ايمانهم (وان ربك
العزيز) فى انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن آمن منهم وآية مع الاخبار بكثرتها لان ذلك مشار به الى مصدر أنبت
المراد ان فى كل واحد من تلك الازواج لآية أى آية (واذ) مفعول به أى اذكر اذ (نادى) دعا (ربك موسى
ائت) أن بمعنى اى (القوم الظالمين) أنفسهم بالكفر وبنى اسرائيل بالاستعباد و
الاولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف (قوم فرعون) عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين و ترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد (ألا يتقون) اى ائتهم زاجرا فقد آن لهم ان يتقوا وهى كلمة حث واغراء ويحتمل انه حال من الضمير فى الظالمين اى يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال (قال ربى انى اخاف) الخوف غم يلحق الانسان لامر سيقع (ان يكذبون ويضيق صدرى) بتكذيبهم اياى مستأنف اوعطف على اخاف (ولا ينطق لسانى) بان تغلبنى الحمية على ما ارى من المحال واسمع من الجدال وبنصبهما يعقوب عطفا على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على

لكثرتها ﴿ان فى ذلك﴾ ان فى انبات تلك الاصناف أو فى كل واحد ﴿لآية﴾ على ان منبتها تام القدرة والحكمة وسابغ النعمة والرحمة ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ فى علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة ﴿الرحيم﴾ حيث امهلهم أو العزيز فى انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن ﴿واذ نادى ربك موسى﴾ مقدر باذكر أو ظرف لما بعد ﴿ان ائت﴾ أى ائت أو بان ائت ﴿القوم الظالمين﴾ بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح اولادهم ﴿قوم فرعون﴾ بدل من الاول أو عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك ﴿ألا يتقون﴾ استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا ﴿قال رب انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى

الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم ﴿ان فى ذلك﴾ أى الذى ذكر ﴿لآية﴾ تدل على أنه واحد أى دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل

وفى كل شئ له آية ۞ تدل على انه واحد

﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أى سبق علمى فيهم ان أكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ أى المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ ذو الرحمة لاوليائه ۞ قوله تعالى ﴿واذ نادى﴾ أى واذكر يا محمد اذ نادى ﴿ربك موسى﴾ أى حين رأى الشجرة والنار ﴿أن ائت القوم الظالمين﴾ يعنى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى وظلموا بنى اسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب ﴿قوم فرعون﴾ يعنى القبط ﴿ألا يتقون﴾ أى يصرفون عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به ﴿قال﴾ يعنى موسى ﴿رب﴾ أى يارب ﴿انى أخاف ان يكذبون ويضيق صدرى﴾ أى بتكذيبهم اياى ﴿ولا ينطلق لسانى﴾ أى

حسن فى المنظر (ان فى ذلك) فى اختلاف ألوانه (لآية) لعلامة وعبرة (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين (للعقد
وكلهم كانوا كافرين من هلك يوم بدر (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة منهم (الرحيم) بالمؤمنين (واذ نادى) اذ دعا (ر
موسى) ويقال أمر ربك موسى (ان ائت القوم الظالمين) الكافرين (قوم فرعون) بدل من القوم (ألا يتقون) فقل لهم
تتقون عبادة غير الله (قال) موسى (رب انى أخاف أن يكذبون) فى الرسالة (ويضيق صدرى) بتكذيبهم اياى ويقال يجبن ق
(ولا ينطلق لسانى) لا يستقيم لسانى من مهابته

ُوخبة أن لا يؤمنوا (ان نشأ) ايمانهم (ننزل عليهم من السماء آية) دلالة واضحة (فظلت) أى فتظل لان الجزاء يقع فيه لفظ
الماضى فى معنى المستقبل تقول ان زرتنى أكرمتك أى اكرمك كذا قاله الزجاج (أعناقهم) رؤساؤهم ومقدموهم أو جماعاتهم
تقول جاء ناعنق من الناس لفوج منهم (لها خاضعين) منقادين وعن ابن عباس رضى الله
عنهما نزلت فينا وفى بنى أمية فتكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين) أى وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به (فقد كذبوا) محمدا صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به (فسيأتيهم) فسيعلمون (أنباء) اخبار (ما كانوا به يستهزؤن) وهذا وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة ما الشئ الذى كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التى كانت خافية عليهم (أولم يروا الى الارض كم انبتنا) كم نصب بانبتنا (فيها من كل زوج) صنف من النبات (كريم) محمود كثير المنفعة يأكل منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذى نفعه عام وفائدة الجمع بين كلمتى الكثرة

ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية ﴾ دلالة ملجئة الى الايمان أو بلية قاسرة عليه ﴿ فظلت اعناقهم
لها خاضعين ﴾ منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك
الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او
الجماعات من قولهم جاء نا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف
لكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله اصح ﴿ وما يأتيهم من ذكر ﴾ موعظة أو طائفة من
القرآن ﴿ من الرحمن ﴾ يوحيه الى نبيه ﴿ محدث ﴾ مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع
التقرير ﴿ الا كانوا عنه معرضين ﴾ الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه
﴿ فقد كذبوا ﴾ أى بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا فى تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء
المخبر به عنهم ضمنا فى قوله ﴿ فسيأتيهم ﴾ أى اذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة
﴿ انباء ما كانوا به يستهزؤن ﴾ من انه كان حقا أم باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم
قدره أو يكذب فيستخف امره ﴿ أولم يروا الى الارض ﴾ أولم ينظروا الى عجائبها
﴿ كم انبتنا فيها من كل زوج ﴾ صنف ﴿ كريم ﴾ محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد
ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون منبئة
منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم

فانزل الله عز وجل هذه الآية ﴿ ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها
خاضعين ﴾ أى لو شاء الله لانزل عليهم آية يذلون منها فلا يلوى أحد منهم عنقه الى
معصية الله سبحانه وتعالى وقيل معناه لو شاء الله لاراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم
بعده معصية فان قلت كيف صح مجئ خاضعين خبرا عن الاعناق ٭ قلت أصل الكلام
فظلوا لها خاضعين ٭ فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله
أو لما وصفت بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم
ومقدموهم أى فظلت كبراؤهم لها خاضعين وقيل أراد بالاعناق الجماعات يقال جاء
عنق من الناس أى جماعة ٭ قوله تعالى ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن ﴾ أى وعظ
وتذكير ﴿ محدث ﴾ أى محدث انزاله فهو محدث التنزيل وكلما انزل شئ من القرآن
بعد شئ فهو أحدث من الاول ﴿ الا كانوا عنه معرضين ﴾ أو عن الايمان به ﴿ فقد
كذبوا فسيأتيهم ﴾ أى فسوف يأتيهم ﴿ أنباء ﴾ أى أخبار وعواقب ﴿ ما كانوا به يستهزؤن
ولم يروا الى الارض ﴾ يعنى المشركين ﴿ كم أنبتنا فيها ﴾ أى بعد ان لم يكن فيها نبات ﴿ من كل زوج
كريم ﴾ أى جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأكل الناس والانعام وقال الشعبى

ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) علامة (فظلت) فصارت (أعناقهم لها خاضعين) ذليلين (وما يأتيهم من ذكر) ما يأتى جبريل
النبيهم بقرآن (من الرحمن محدث) بالبيان محدث بعضه على اثر بعض (الا كانوا عنه معرضين) مكذبين بالقرآن (فقد كذبوا)
محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن (فسيأتيهم أنباء) أخبار (ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب ويقال خبر عقوبة استهزائهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولم يروا) كفار مكة (الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج) من كل لون (كريم)

﴿سورة الشعراء مكية وهى مائتان وعشرون وسبع آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طسم)
ويس وحم ممالة كوفى غير الاعشى والبرجمى وحفص ويظهر النون عند الميم

(١) عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفرقان لقى الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لاريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

﴿سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهى مائتان وست أو سبع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿طسم﴾ قرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه فى الاصل منفصل عما بعده ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة أو القرآن على ما مر فى اول البقرة ﴿لعلك باخع نفسك﴾ قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار ذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اى اشفق على نفسك ان تقتلها ﴿ان لايكونوا مؤمنين﴾ لئلا يؤمنوا او خيفة ان لايؤمنوا

قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفى رواية الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الشعراء وهى مكية الا أربع آيات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وهى مائتان وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفا روى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿طسم﴾ قال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفى رواية أخرى عنه انه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه وملكه ﴿تلك آيات﴾ أى هذه الايات آيات ﴿الكتاب المبين﴾ قيل لما كان القرآن فيه دلائل التوحيد والاعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل الاحكام أجمع ثبت بذلك أن آيات القرآن كافية مبينة لجميع الاحكام ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أى قاتل نفسك ﴿أن لايكونوا مؤمنين﴾ أى ان لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم

حمزة وغيرهما يدغمها (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين (لعلك باخع) قاتل ولعل للاشفاق (نفسك) من الحزن يعنى أشفق على نفسك ان تقتلها حسرة وحزنا على مافاتك من اسلام قومك (ألا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا أو لامتناع ايمانهم

العذاب عليكم لزاما

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الشعراء وهى كلها مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة آياتها مائتان وست وعشرون آية وكلماتها ألف ومائتان وسبع وستون وحروفها خمسة آلاف وخمسمائة واثنان واربعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (طسم) يقول الطاء طوله وقدرته والسين سناؤه والميم ملكه ويقال قسم أقسم به (تلك آيات الكتاب المبين) يقول أقسم ان هذه السورة آيات القرآن المبين بالحلال والحرام والامر والنهى (لعلك باخع نفسك) قاتل ﴿ فانزل
نفسك يامحمد بالحزن عليهم (ألا يكونوا مؤمنين) بان لايكونوا مؤمنين يعنى قريشا وكان حريصا على ايمانهم يحب ايما

(١) قال فى العناية والحديث المذكور موضوع

الفة وغيرذلك (ويلقون فيها) ويلقون كوفى غيرحفص (تحيـة) دعاء بالتعمير (وسلاما) ودعاء بالسـلامة يعنى أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أويحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه (خالدين فيها) حال (حسنت) أى الغرفـة (مستقرا ومقاما) موضع قرار واقامة وهى فى مقابلة سـاءت مستقرا ومقـاما (قل مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم) ماتضمنة لمعنى الاستفهام وهى فى محـل النصب ومعناه مايصنع بكم ربى لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام أولولا عبادتكم له أى انه خلقكم لعبـادته كقوله وماخلقت الجن والانس الاليعبدون أى الاعتبار عنـدربكم لعبادتكم أوما يصنع بعذابكم لولادعاؤكم معه آلهة وهو كقوله تعالى مايفعل الله بعـذابكم ان شـكرتم (فقد كـذبتم) رسولى ياأهل مكة (فسوف يكون) العذاب (لزاما) أى ذالزام أو مـلازما وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال الضحاك مايعبأ مايبـالى بمغفرتكم لودعاؤكم معه الها آخر

(ويلقون فيها) فى الجنة (تحية) من الله (وسلاما) يلقونهم بذلك الملائكة بالتحية والسلام من الله اذا دخلوا فى الجنة (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لايموتون ولايخرجون منها (حسنت مستقرا) منزلا (ومقاما) مثوى (قل) يامحمد لاهل مكة (مايعبأ بكم ربى) مايصنع باجسامكم وصوركم ربى (لولا دعاؤكم) ان أمركم بالتوحيد (فقد كذبتم) محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن (فسوف) وهذا وعيد من الله لهم (يكون لزاما) عذاب يوم بدر بالقتل والضرب والسبي يعنى فقد كذبتم بنبيكم فسـوف يكون

ويلقون فيها تحية وسلاما ﴾ دعاء بالتعمير والسلامة أى تحييهم الملائكة ويسلمون عليهم أويحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه أوتبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائى وأبوبكر يلقون من لقى ﴿ خالدين فيها ﴾ لايموتون ولايخرجون ﴿ حسنت مستقرا ومقاما ﴾ مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا ﴿ قل مايعبأ بكم ربى ﴾ مايصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته أولايعتد بكم ﴿ لولا دعاؤكم ﴾ لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والافهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه مايصنع بعذابكم لولادعاؤكم معه آلهة ومان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدرية كأنه قيل اى عبأ يعبؤكم ﴿ فقد كذبتم ﴾ بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اى الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب ﴿ فسوف يكون لزاما ﴾ يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لامحالة اواثره لازما بكم حتى يكبكم فى النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لايكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرى لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت

من الشهوات ﴿ ويلقون فيها تحية ﴾ أى ملكا وقيل بقاء دائما ﴿ وسـلاما ﴾ أى يسلم بعضهم على بعض أويرسل الرب عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما أى سلامة من الآفات ﴿ قوله تعالى ﴿ خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما ﴾ أى موضع قرار واقامة ﴿ قوله تعالى ﴿ قل مايعبأ بكم ربى ﴾ أى مايصنع ومايفعل بكم فوجودكم وعدمكم سـواء وقيل معناه أى وزن ومقدار لكم عنده ﴿ لولادعاؤكم ﴾ اياه قيل معناه لولاعبادتكم اياه وقيل لولا ايمانكم وقيل لولادعاؤه اياكم الى الايمان فاذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه مايعبأ بخلقكم ربى لولاعبادتكم وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى مايعبأ أى مايبالى بمغفرتكم ربى لولادعاؤكم معه آلهة وقيل معناه ماخلقتكم ولى اليكم حاجة الا أن تسألونى فاعطيكم وتستغفرونى فاغفر لكم ﴿ فقد كذبتم ﴾ أيها الكافرون يخاطب أهـل مكة يعنى ان الله دعاكم الى توحيـده وعبادته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تجيبوه الى الايمـان ﴿ فسوف يكون لزاما ﴾ هذا تهديد لهم أى يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عبـاس موتا وقيل هـلاكا وقيل قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلايعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه عذابا دائما وهلاكا لازما لمن كذب مفنيا يلحق بعضكم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون واسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب يعنى انهم قتلوا يوم بدر واتصـل بهم عـذاب الآخرة لازمالهم (ق) عن عبـدالله بن مسعود قال خمس

(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا) من للبيان كانه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أز[واجنا]
(وذرياتنا) ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أى أنت أسد أو للابتداء على معنى [هب]
لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وذريتنا أبو عمرو وكوفى غير حفص لارادة الجنس وغيرهم ذرياتنا (قرة أعين)
نكر لاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وا[نما قال]
أعين على القلة دون عيون لان المراد أعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون [غيرهم]

قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور ويجوز أن يقال فى تنكير أعين انها أعين خاصة وهى أعين المتقين والمعنى انهم سألوا ربهم ان يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله تعالى يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وقيل ليس شئ أقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الولد اذا رآه يكتب الفقه (واجعلنا للمتقين اماما) أى أئمة يقتدون بنا فى الدين فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس او اجعل كل واحد منا اماما قيل فى الآية ما يدل على ان الرياسة فى الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها (أولئك يجزون الغرفة) أى الغرفات وهى العلالى فى الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله وهم فى الغرفات آمنون (بما صبروا) أى بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى ﴿ عن

للمعاصى المدلول عليها باللغو ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهل فى طاعة الله سر بهم قلبه وقرت عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة ومن ابتدائية أو بيا[نية] كقولك رأيت منك اسدا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر ذريتـ[نا] وقرأ ابن عامر والحرميان وحفص ويعقوب ذرياتنا بالالف وتنكير الاعـ[ين] لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهى قليلة بالاضافة ا[لى] عيون غيرهم ﴿ واجعلنا للمتقين اماما ﴾ يقتدون بنا فى امر الدين بافاضة العلم والتوفيـ[ق] للعمل وتوحيده اما للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا اولانه مصد[ر] فى اصله أو لان المراد واجعل كل واحد منها أو لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتـ[هم] واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم ﴿ اولئك يجزون الغرفة ﴾ اعلى مواضع الجنة وهى اسم جنس اريد به الجمع كقوله تعالى وهم [فى] الغرفات آمنون والقراءة بها وقيل هى من اسماء الجنة ﴿ بما صبروا ﴾ بصبرهم ع[لى] المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات

وبأعينهم عمى بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه * قوله عز وجل ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ أى ابرار اتقياء صالحين فيقر أعيننا بذلك قيل ليس شئ أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع أن يحلوا معه فى الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر الى غيره ﴿ واجعلنا للمتقين اماما ﴾ أى أئمة يقتدون فى الخير بنا وقيل معنا[ه] نقتدى بالمتقين ويقتدى بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا أئمة هدى وقيل معناه انهم سألوا الله أن يبلغهم فى الطاعات المبلغ الذى يشار اليهم فيه ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة فى الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم ﴿ اولئك يجزون ﴾ أى يثابون ﴿ الغرفة ﴾ الدرجة العالية الرفيعة فى الجنة وقيل يريد غرف الدر والزبرجد واللؤلؤ والياقوت فى الجنة ﴿ بما صبروا ﴾ أى على طاعة الله تعالى وأوامره وعلى أذى المشركين وقيل بما صبروا

ويبصرون (والذين يقولون ربنا) يا ربنا (هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين) يقول اجعل أزواجنا وذرياتنا صالحين [تقر] أعيننا بهم (واجعلنا للمتقين اماما) اجعلنا صالحين لكى يقتدوا بنا (أولئك) أهل هذه الصفة (يجزون الغرفة) الدر[جة] العلى فى الجنة (بما صبروا) على طاعة الله والفقر والمرازى

محصالثواب (والذين لايشهدون الزور) أى الكذب يعنى ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا
حضروها تنزها عن مخالطة الشر وأهله اذ مشاهدة الباطل شركة فيه وكذلك النظارة الى مالم تسوغه
الشريعة هم شركاء فاعليه فى الآثام

لان حضورهم {سورة الفرقان} ونظرهم دليل الرضا وسبب

وجود الزيادة فيه وفى مواعظ عيسى عليه السلام اياكم ومجالسة الخاطئين أولا يشهدون شهادة الزور على حذف المضاف وعن قتادة المراد مجالس الباطل وعن ابن الحنفية لايشهدون اللهو والغناء (واذامروا باللغو) بالفحش وكل ماينبغى أن يلغى ويطرح والمعنى واذامروا باهل اللغو والمشتغلين به (مروا كراما) معرضين مكرمين أنفسهم عن التلوث به كقوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وعن الباقر رضى الله عنه اذا ذكروا الفروج كنوا عنها (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) أى قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن (لم يخروا عليها صما وعميانا) هذا ليس بنفى الخرور بل هو اثبات له ونفى الصمم والعمى ونحوه لايلقانى زيد مسلما هو نفى للسلام لا للقاء يعنى انهم اذا ذكروا بها خروا سجدا وبكيا سامعين بآذن واعية مبصرين بعيون راعية لما

...ع الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب أو يتوب متابا الى الله الذى يحب التائبين ويصطنع بهم
أنه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص ﴿ والذين
لا يشهدون الزور ﴾ لايقيمون الشهادة الباطلة أو لايحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة
الباطل شركة فيه ﴿ واذا مروا باللغو ﴾ مايجب ان يلغى ويطرح ﴿ مروا كراما ﴾
معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن
الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به ﴿ والذين اذا ذكروا
بآيات ربهم ﴾ بالوعظ أو القراءة ﴿ لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ لم يقيموا عليها غير واعين لها
ولا متبصرين بما فيها كمن لايسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين
بعيون راعية فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقولك لايلقانى زيد مسلما وقيل الهاء

...ه الآية أيضا فى التوبة عن جميع السيآت ومعناه من أراد التوبة وعزم عليها فليتب
لله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر أى تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته
ومصيره الى الله تعالى ❁ قوله عز وجل ﴿ والذين لايشهدون الزور ﴾ يعنى الشرك
وقيل هى شهادة الزور (ق) عن أبى بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان
متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت
وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به فى
الاسواق وقيل لايشهدون الزور يعنى أعياد المشركين وقيل الكذب والنوح وقيل
لايساعد أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب والغناء قال ابن مسعود الغناء
ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع وأصل الزور حقيقة تحسين الشئ ووصفه
بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق ﴿ واذا مروا باللغو ﴾ هو كان مايجب
ان يلغى ويترك ﴿ مروا كراما ﴾ يعنى اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا
وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصى كلها
والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما أى مسرعين معرضين وهو ان ينزه
المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة ﴿ والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا
عليها صما وعميانا ﴾ قيل معناه انه ليس فيه نفى الخرور انما هو اثبات له ونفى الصمم والعمى
والمعنى اذا ذكروا بها اكبوا على استماعها بآذن واعية وأقبلوا على المذكر بها بعيون مبصرة
واعية وقيل معناه لم يخروا أى لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كانهم بآذانهم صمم

...وابه ونهوا عنه لا كالمنافقين وأشباههم دليله قوله تعالى وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا

الله (والذين لايشهدون الزور) لايحضرون مجالس الزور (واذا مروا باللغو) بمجالس الباطل (مروا كراما) أعرضوا حلما
الذين اذا ذكروا) وعظوا (بآيات ربهم لم يخروا عليها) على آيات الله (صما) لايسمعون (وعميانا) لايبصرون ولكن يسمعون

عـذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه (ويخلد) جزمه جازم يضاعف
رافعه لانه معطوف عليه (فيه) في العذاب فهى مكي وحفص بالاشباع وانما خص

الاشبـاع بهـذه الكلمة مبالغة فى الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع ان الاصل فى هاء الكناية الاشبـاع (مهانا) حال أى ذليلا (الامن تاب) عن الشرك وهو استثناء من الجنس فى موضع النصب (وآمن) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعمل عملا صالحا) بعد توبته (فاولئك يبدل الله سـيآتهم حسنـات) أى يوفقهم للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسـنات الايمان والطـاعة ولم يرد به ان السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ماذكرنا يبدل مخففا البرجمى (وكان الله غفورا) يكفر السيآت (رحيما) يبدلها بالحسنات (ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متـابا) أى ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فانه يتوب بذلك الى الله تعالى متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا ٭ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك ﴿ويخلد فيه مهانا﴾ وابن كثير ويعقو
يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف فى يضعف وقرأ ابو عمرو و
على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب ومضاعفته لانضمام المعصية الى الكـ
ويدل عليه قوله ﴿الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات
بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم أو يبدل ملكة المعـ
فى النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ماسلف منه او بان يثبت له بدل كل عقـ
ثوابا ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ فلذلك يعفو عن السيآت ويثيب على الحسنات ﴿و
تاب﴾ عن المعاصى بتركها والندم عليها ﴿وعمل صالحا﴾ يتلافى به مافرط أو خرج
المعاصى ودخل فى الطاعة ﴿فانه يتوب الى الله﴾ يرجع الى الله بذلك ﴿متابا﴾ مر

اذا ارتكب المعاصى مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته ﴿ويخلد فيه مهانا
أى ذليلا ٭ قوله تعالى ﴿الامن تاب﴾ أى عن ذنبه ﴿وآمن﴾ أى بربه ﴿و
عملا صالحا﴾ أى فيما بينه وبين ربه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قرأناها
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لايدعون مع الله الها آخر الآية ثم نز
الامن تاب فما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فرح بشئ قط مثل مافرح بها وفرحه بانا فتحنا لك
مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ٭ وقوله تعالى ﴿فأولئك يبدل الله سيآتهم حسـ
وكان الله غفورا رحيما﴾ قال ابن عباس يبدلهم الله بقبائح أعمالهم فى الشرك محاسن الاعـ
فى الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقيل يبـ
الله سيآتهم التى عملوها فى الاسلام حسنات يوم القيامة (م) عن أبى ذر قال قال رسول
صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النـار خروجا
منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبا
فتعرض عليه صغـارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا و
كذا وكذا فيقول نعم لايستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقا
ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت أشياء لاأراها ههنا قال فلقد رأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل ان الله تعالى يمحو بالـ
جميع السيآت ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة ﴿ومن تاب وعمل صـالحا﴾ قيل
فى التوبة من غير ماسبق ذكره فى الآية الاولى من القتل والزنا ومعنـاه ومن تاب
الشرك وعمل صالحا يعنى أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن ﴿فانه يتوب الى الله﴾
يعود اليه بعد الموت ﴿متابا﴾ أى حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالآية الا
وهى قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء والمكافأة

ويخلد فيه) فى العذاب (مهانا) يهان به ذليلا (الا من تاب) من الكفر (وآمن)
بالله (وعمل عملا صالحا) خالصا بعد الايمان (فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) يحولهم الله من الكفر الى الايمان ومن
المعصية الى الطاعة ومن عبادة الاصنام الى عبادته ومن الشر الى الخير (وكان الله غفورا) لمن تاب (رحيما) لمن مات على
(ومن تاب) من الذنوب (وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه خالصا من قلبه (فانه يتوب الى الله متابا) مناصحة ويقال يجاز

بهما فالقوام العدل بين الشيئين والمنصوبان أى بين ذلك، قواما خبر ان وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير
وبنا امر عليه الصلاة والسلام ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الآية وسأل عبدالملك بن مروان عمر بن عبدالعزيز
ه حين زوجه ابنته فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبدالملك انه أراد ما فى هذه الآية وقيل أولئك أصحاب محمد عليه
والسلام كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر العورة ودفع
لقر وقال عمر رضى الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهى الرجل شيأ الا
أكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) أى لا يشركون (ولا يقتلون النفس التى حرم الله) أى حرمها يعنى حرم قتلها (الا بالحق) بقود أو رجم أو ردة أو شرك أو سعى فى الارض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون (ولا يزنون) ونفى هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم كانه قيل والذين طهرهم الله مما أنتم عليه (ومن يفعل ذلك) أى المذكور (يلق أثاما) جزاء الاثم (يضاعف) بدل من يلق لانهما فى معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هى لقاء الاثام كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا أججاء

فجزم تلمم لانه بمعنى تأتنا اذ الاتيان هو الالمام يضعف مكى ويزيد ويعقوب يضعف شامى يضاعف ابو بكر على
ناف أو على الحال ومعنى يضاعف (قا و خا ٥٨ بع) (له العذاب يوم القيمة) أى يعذب على مرور الايام
خرة عذابا على عذاب وقيل اذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك

به لاستقامة الطرفين كما سمى سوا لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به
اجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان لكان أو حال مؤكدة ويجوز ان يكون
ر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبنى لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف
بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ على نفسه ﴿ والذين لا يدعون مع الله الها
ر ولا يقتلون النفس التى حرم الله ﴾ أى حرمها بمعنى حرم قتلها ﴿ الا بالحق ﴾
لق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون ﴿ ولا يزنون ﴾ نفى عنهم امهات المعاصى بعدما
ت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود
مع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ﴿ ومن يفعل
ن يلق اثاما ﴾ جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام
صعب ﴿ يضاعف له العذاب يوم القيمة ﴾ بدل من يلق لانه فى لانه فى معنا كقوله

ية فى صفة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون الطعام للتنعم واللذة
يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم
عبادة ربهم ومن الثياب ما يسترون به العورة ويقيهم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب
سرفا أن لا يشتهى شيأ الا اشتراه فاكله ﴿ والذين لا يدعون مع الله الها آخر ﴾
(ق) عن ابن عباس ان اناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا
ا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تقول وتدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما
ا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها آخر ﴿ ولا يقتلون النفس التى
م الله الا بالحق ولا يزنون ﴾ ونزل قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
رحمة الله (ق) عن عبدالله بن مسعود قال قال رجل يارسول الله أى الذنب اكبر
الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك
ثم أى قال ان تزانى حليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقا له والذين لا يدعون مع الله الها آخر
يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ﴿ ومن يفعل ذلك يلق أثاما ﴾ اى
ن يفعل شيأ من ذلك يلق أثاما قال ابن عباس انما يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل
ثام واد فى جهنم ويروى فى الحديث ان الغى والأثام بئران فى جهنم يسيل فيهما صديد
ل النار ﴿ يضاعف له العذاب يوم القيمة ﴾ وسبب تضعيف العذاب ان المشرك

لذين لا يدعون مع الله) لا يعبدون مع الله (الها آخر) من الاصنام (ولا يقتلون النفس التى حرم الله) قتلها
لا يحلون قتلها (الا بالحق) بالرجم والقصاص والارتداد (ولا يزنون) ولا يستحلون الزنا (ومن يفعل ذلك)
لا (يلق أثاما) واديا فى النار ويقال جبا (يضاعف له العذاب يوم القيمة)

أولم تنم وقالوا من قرأ شيأ من القرآن فى صلاة وان قل فقد بات ساجدا او قائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد ا...
والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) ...
لازما ومنه الغريم لملازمته وصفهم باحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتـ...
خائفون مبتهلون متضرعون الى الله فى صرف العذاب عنهم (انها ساءت مسـ...
ومقاما) أى ان جهنم وساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها أو بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز ويصح أن يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا الحد فى النفقة أو لم يأكلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلف وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم ينفقوا فى المعاصى فالاسراف مجاوزة القدر وسمع رجل رجلا يقول لاخير فى الاسراف فقال لااسراف فى الخير وقال عليه الصلاة والسلام من منع حقا فقد قتر ومن أعطى فى غير حق فقد أسرف (ولم يقتروا) بضم التاء كوفى وبضم الياء وكسر التاء مدنى وشامى وبفتح الياء وكسر التاء مكى وبصرى والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذى هو نقيض الاسراف (وكان) انفاقهم (بين ذلك) أى الاسراف والاقتار (قواما) أى عدلا

القيام للروى وهو جمع قائم أو مصدر اجرى مجراه ﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ﴾ لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله فى صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم و وثوقهم على استمرار حالهم ﴿ انها ساءت مستقرا ومقاما ﴾ أى بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره التمييز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان أو احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى أو تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله ﴿ والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ﴾ لم يجاوزوا حد الكرم ﴿ ولم يقتروا ﴾ ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق فى المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء وقرأ نافع وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء من اقتر وقرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء والكل واحد ﴿ وكان بين ذلك قواما ﴾ وسطا وعدلا

ليلهم والمعنى يبيتون لربهم فى الليل بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على أقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخيرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا وقائما (م) عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليله * قوله عز وجل ﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ﴾ أى ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب من الكفار قال محمد بن كعب القرظى سأل الله الكفار ثمن نعمته فلم يؤدوه فاغرمهم فبقوا فى النار وقيل كل غريم مفارق غريمه الا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم ﴿ انها ﴾ يعنى جهنم ﴿ ساءت ﴾ بئست ﴿ مستقرا ومقاما ﴾ أى موضع قرار واقامة ﴿ والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾ قيل الاسراف النفقة فى معصية الله وان قلت والاقتار منع حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد فى الانفاق حتى يدخل فى حد التبذير والاقتار التقصير عما لابد منه وهو ان لا يجيع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف ﴿ وكان بين ذلك قواما ﴾ أى قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار وحسنة بين السيئتين قيل هذ...

صلاة الليل (والذين يقولون ربنا) يا ربنا (اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) لازما ملحا (انها ساءت مستقرا منزلا (ومقاما) مثوى * ثم ذكر نفقاتهم فقال (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم ينفقوا فى المعصية (ولم يقتروا) ولم يمنعوا الحق (وكان بين ذلك) بين الاسراف والتقتير (قواما) وسطا عدلا

والذي جعلهما ذوي خلفة يخلف أحدهما الآخر عند مضيه أو يخلفه في قضاء ما فاته من الورد (لمن أراد أن يذكر) يتدبر في
...هما واختلافهما فيعرف مدبرهما يذكر حمزة و خلف أي يذكر الله أو المنسي فيقضي (أو أراد شكورا) أي يشكر
...به عليه فيهما (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره (الذين يمشون) أو أولئك يجزون والذين يمشون وما بعدهما صفة
...فة الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وصف أولياءه بعد ما وصف أعداءه (على الارض هونا) حال أو صفة للمشي أي هينين أو مشيا هينا والهون الرفق واللين أي يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر فلا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولذا كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق (واذا خاطبهم الجاهلون) أي السفهاء بما يكرهون (قالوا سلاما) سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والافك أو تسلما منكم نتارككم ولا نجاهلكم فاقيم السلام مقام التسلم وقيل نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك فالاغضاء عن السفهاء مستحسن شرعا و مروءة هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله (والذين يبيتون لربهم سجدا) جمع ساجد (وقياما) جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت

...لف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه أو بان يعتقبا لقوله تعالى
...ختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة ﴿لمن اراد ان يذكر﴾
...يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم
...العباد ﴿أو أراد شكورا﴾ ان يشكر الله على ما فيه من النعم أو ليكونا وقتين للمتذكرين
...لشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر، وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر
...ى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه ﴿وعباد الرحمن﴾ مبتدأ خبره
...لئك يجزون الغرفة أو ﴿الذين يمشون على الارض﴾ واضافتهم الى الرحمن
...تخصيص والتفضيل أو لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار
...هونا﴾ هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع
...واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ تسليما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا وبينكم ولا
...را وسدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فان
...راد به الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا
قياما﴾ في الصلاة وتخصيصهم البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير

...ن عباس معناه خلفا وعوضا يقوم أحدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في أحدهما
...ضاه في الآخر قال شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب قال فاتتني الصلاة الليلة
...ل ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد
...ن يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا اسود وهذا أبيض
...قيل يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة
...الزيادة والنقصان ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ أي يتذكر و يتعظ ﴿أو أراد شكورا﴾
...ي شكر نعمة ربه عليه فيهما * قوله عز وجل ﴿وعباد الرحمن﴾ قيل هذه
...لاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله ﴿الذين يمشون على الارض
...ونا﴾ يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين بل
...لماء حكماء أصحاب وقار وعفة ﴿واذا خاطبهم الجاهلون﴾ يعني السفهاء بما يكرهونه
﴿قالوا سلاما﴾ أي سدادا من القول يسلمون فيه لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا
ولم يجهلوا و ليس المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قبل ان يؤمروا بالقتال ثم
نسختها آية القتال ويروى عن الحسن البصري انه كان اذا قرأ هذه الآية قال هذا
وصف نهارهم ثم اذا قرأ ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ قال هذا وصف

مختلفة بعضها البعض (لمن
...أن يذكر) أن يتعظ باختلافهما (أو أراد شكورا) عملا صالحا ما ترك بالليل يعمل بالنهار وما ترك بالنهار يعمل بالليل (وعباد
...حمن) خواص الرحمن (الذين يمشون على الارض هونا) تواضعا من مخافة الله (واذا خاطبهم الجاهلون) واذا كلمهم الكفار
ونساق (وقالوا سلاما) ردوا معروفا وقالوا سدادا من القول (والذين يبيتون لربهم) بالصلاة (سجدا وقياما) في

صـلوا لله واخضعوا له (قالوا وما الرحمن) أى لانعرف الرحمن فنسجدله فهذا سؤال عن المسمى به لانهم ما نو
يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما أوعن معناه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم وال
والرحوم (أنسجد لما تأمرنا) للذى تأمرنا بالسجود له أو لامرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به يأمرنا على وحمزة كان بعـ
قال لبعض أنسجد لما يأمرنا محمد أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو فقد عاندوا لان معناه عند أهل اللغة ذو ال
التى لاغاية بعدها فى الرحمة لان فعلان من ابنية المبالغة تقول رجل عطشان اذا كان فى نهاية العطش (وزادهم)
اسجدوا للرحمن (نفورا)

تباعدا عن الايمان

(تبارك الذى جعل فى السماء برو
هى منـازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان يقوى حاله فيهما وللشمس بيت وللقمر بيت فالحمـل والعقرب بيتا المريخ والثور والمـيزان بيتـا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتـا عطارد والسرطـان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقـوس والحوت بيتـا المشـترى والجدى والدلو بيتا زحل وهـذه البروج مقسومة على الطبائع الاربع فيصيب كل واحد منهـا ثلاثة بروج فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجـدى مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثـة هوائيـة والسرطـان والعـقرب والحوت مثلثة مائية سميت المنازل بالبروج التى هى القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها
وانشقاق البروج من التبرج لظهوره وقال الحسن وقتادة ومجاهد البروج هى النجوم الكبار لظهورها (وجعل فيها) (ابن
فى السماء (سراجا) يعنى الشمس لتوقدها سرجا حمزة وعلى اى نجوما (وقمرا منيرا) مضيأ بالليل (وهو الذى جعل ال
والنهـار خلفـة) فعـلة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآ

قالوا وما الرحمن ﴾ لانهم ما كانوا يطلقونه على الله أو لانهم ظنوا انه اراد
غيره ولذلك قالوا ﴿ أنسجد لما تأمرنا ﴾ أى للذى تأمرناه يعنى تأمرنا بسجود
اولامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسا
يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض ﴿ وزادهم ﴾ اى ألامر بالسجود للرح
﴿ نفورا ﴾ عن الايمان ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ﴾ يعنى البروج الاث
عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاق
من التبرج لظهوره ﴿ وجعل فيها سراجا ﴾ يعنى الشمس لقوله وجعل الشمس سراج
وقرأ حمزة والكسائى سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار ﴿ وقمرا منيرا ﴾ مضي
بالليل وقرئ وقمرا أى ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشـ
والرشد والعرب والعرب ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة ﴾ أى ذوى خلف

قالوا وما الرحمن ﴾ أى ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب
كانوا يسمونه رحمان اليمامة ﴿ أنسجد لما تأمرنا ﴾ انت يا محمد ﴿ وزادهم ﴾ أى
قول القائل اسجدوا للرحمن ﴿ نفورا ﴾ أى عن الايمان والسجود

فصل

وهذه السجدة من عزائم السجدات فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند سماعهـ
وقراءتها * قوله تعالى ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ﴾ قيل البروج هى النجوم
الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هى البروج
الاثنا عشر التى هى منازل الكواكب السبعة السيارة وهى الحمل والثور والجوزا
والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت
سميت بالبروج التى هى القصور العالية لانها للكواكب كالمنازل لسكانها ﴿ وجعل
فيها سراجا ﴾ يعنى الشمس ﴿ وقمرا منيرا وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة ﴾ قال

(قالوا وما الرحمن) ما نعرف الرحمن الا مسيلمة الكذاب (أنسجد لما يأمرنا) الكذاب الكاذب (وزادهم) ذكر الرحمن ويقال القر
ويقال دعوة النبى صلى الله عليه وسلم (نفورا) تباعدا عن الايمان (تبارك) ذو بركة (الذى جعل فى السماء بروجا) نجوما ويقال قصو
(وجعل فيها) فى السماء (سراجا) شمسا مضيأ لبنى آدم بالنهار (وقمرا منيرا) مضيأ لبنى آدم بالليل (وهو الذى جعل الليل والنهار خلف

وسبح) من أن يكل الى غيره من توكل عليه (بحمده) بتوفيقه الذي يوجب الحمد أو قل سبحان الله وبحمده ونزهه عن كل العيوب بالثناء عليه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) أي كفى الله خبيرا بذنوب عباده يعني انه خبير بأحوالهم وفي جزاء أعمالهم (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) أي في مدة مقدار هذه المدة لانه لم يكن حينئذ ليل و نهار روى عن مجاهد أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة وانما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت (ثم استوى على العرش الرحمن) أي هو الرحمن فالرحمن خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الضمير في استوى أو الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره (فاسئل) بلا همزة مكي وعلى (به) صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلة في قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه أو صلة (خبيرا) ويكون خبيرا مفعول سل أي فاسأل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فاسأل رجلا خبيرا به وبرحمته أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى تعرف من ينكره ومن ثمه كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمان اليمامة (واذا قيل لهم) أي اذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين (اسجدوا للرحمن)

يتوكلون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم ﴿ وسبح بحمده ﴾ ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه ﴿ وكفى به بذنوب عباده ﴾ ما ظهر منها وما بطن ﴿ خبيرا ﴾ مطلعا فلا عليك ان آمنوا أو كفروا ﴿ الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ﴾ قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج ﴿ الرحمن ﴾ خبر للذين ان جعلته مبتدأ أو لمحذوف ان جعلته صفة للحي أو بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر على انه صفة للحي ﴿ فاسئل به خبيرا ﴾ فاسئل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى أو جبريل أو من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا ﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن

عليه في جميع أموره وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل على حي يموت انقطع توكله عليه بموته وأما الله سبحانه وتعالى فانه حي لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضيع البتة ﴿ وسبح بحمده ﴾ أي صل له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله ﴿ وكفى به بذنوب عباده خبيرا ﴾ يعني انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير عالم قادر على مكافأتهم وفيه وعيد شديد كأنه قال اذا قدمتم على مخالفة أمري كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة * قوله عز وجل ﴿ الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا ﴾ أي فاسئل الخبير بذلك يعني بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وقيل معناه أيها الانسان لا ترجع في طلب العلم بهذا الى غيري وقيل معناه فاسئل عنه خبيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام ﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن

الذين لا حركة لهم (وسبح بحمده) صل بامره (وكفى به) بالله (بذنوب عباده خبيرا) عالما (الذي خلق السموات والارض وما بينهما) من الخلق والعجائب (في ستة أيام) من ايام أول الدنيا طول كل يوم ألف سنة مما تعدون أول يوم منها يوم الاحد وآخر يوم منها يوم الجمعة (ثم استوى) استقر (على العرش) ويقال امتلأ به العرش (الرحمن) مقدم ومؤخر يقول استوى الرحمن على العرش (فاسئل به) بذلك (خبيرا) بالله عالما ويقال فاسأل عن الله أهل العلم يخبروك (واذا قيل لهم) لكفار مكة (اسجدوا للرحمن) اخضعوا للرحمن بالتوحيد

(ولايضرهم) ان تركوه (وكان الكافر على ربه) على معصية ربه (ظهيرا) معينا ومظاهرا وفعيل بمعنى مفاعل
عزيز والظهير والمظاهر كالعوين والمعاون والمظاهرة المعاونة والمعنى ان الكافر بعبادة الصنم يتابع الشي
ويعاونه على معصية الرحمن (ومارسلناك الامبشرا) للمؤمنين (ونذيرا) منذرا للكافرين (قل ماأسئلكم عليه) على
(من أجر) جعل (الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) والمراد الافعل من شاء واستثناؤه من الاجر قول ذى
عليك قدسعى لك فى تحصيل مال ماأطلب منك ثوابا على ماسعيت الان
هذا المال ولاتضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره بصورة الثواب كانه يقول ان حفظت مالك اعتد حفظك بمنزلة الثواب لى ورضائى به كرضا المثاب ولعمرى انه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصدد ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه بالايمان والطاعة أو بالصدقة والنفقة وقيل المراد لكن من شاء أن يتخذ بالانفاق الى ضاربه سبيلا فليفعل وقيل تقديره لاأسألكم على ماأدعوكم اليه أجرا الا اتخاذ المدعو سبيلا الى ربه بطاعته فذلك أجرى لان الله يأجرنى عليه (وتوكل على الحى الذى لايموت) اتخذ من لايموت وكيلا لايكلك الى من يموت ذليلا يعنى ثق به وأسند أمرك اليه فى استكفاء شرورهم ولاتتكل على حى يموت
وقرأها بعض الصالحين فقال لايصح لذى عقل ان يثق بعدها بمخلوق والتوكل الاعتماد عليه فى كل (عليه

ولايضرهم ﴾ يعنى الاصنام أو كل ماعبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر ﴿ و
الكافر على ربه ظهيرا ﴾ يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس أو ابو ج
وقيل هينا مهينا لاوقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقو
ولايكلمهم الله ولاينظر اليهم ﴿ ومارسلناك الامبشرا ونذيرا ﴾ للمؤمنين والكافر
﴿ قل ما اسألكم عليه ﴾ على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه الا مبشرا ونذيرا ﴿ من ا
الامن شاء ﴾ الافعل من شاء ﴿ ان يتخذ الى ربه سبيلا ﴾ ان يتقرب اليه ويط
الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود ف
واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفس
بالتعرض للثواب والتخلص من العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشع
بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن
من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل ﴿ وتوكل على الحى الذى لايموت ﴾ فى استك
شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذ

عبدوه ﴿ ولايضرهم ﴾ أى ان تركوه ﴿ وكان الكافر على ربه ظهيرا ﴾ أى معين
أعان الشيطان على ربه بالمعاصى لان عبادتهم الاصنام معاونة الشيطان وقيل مع
ظهيرا هينا ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت اليه وق
أراد بالكافر أباجهل والاصح انه عام فى كل كافر ✽ وقوله تعالى ﴿ وما أرسلناك ا
مبشرا ﴾ أى بالثواب على الايمان والطاعة ﴿ ونذيرا ﴾ منذرا بالعقاب على الكف
والمعصية ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ ماأسئلكم عليه ﴾ أى على تبليغ الوحى ﴿ من أجر ﴾
فتقولوا انما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا اليه فلانتبعه ﴿ الامن شاء ان يتخذ الى ر
سبيلا ﴾ معناه لكن من شاء ان يتخذ بانفاق ماله سبيلا الى ربه فعلى هذا يكون المع
لاأسألكم لنفسى أجرا ولكن أمنع من انفاق المال الا فى طلب مرضاة الله واتخاذ السبي
الى جنته ✽ قوله عز وجل ﴿ وتوكل على الحى الذى لايموت ﴾ معناه انه سبحا
وتعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن لايطلب منهم أجرا البتة أمره ان يتوك

والآخرة عباته وطاعته (ولايضرهم) فى الدنيا والآخرة معصيته وترك عبادته (وكان الكافر) أبوجهل (على ربه ظهيرا) ظ
ويقال عونا للكافرين على ربه بالكفر (وماأرسلناك) يامحمد لاهل مكة (الامبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (قل)
لاهل مكة (ماأسئلكم عليه) على التوحيد والقرآن (من أجر) من جعل ولارزق (الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) م
بالايمان ويقال الامن شاء ان يوحد ويتخذ بذلك التوحيد الى ربه سبيلا مرجعا فيجد ثوابه (وتوكل) يامحمد (على الحى
لايموت) ولاتتوكل على الاحياء الذى يموتون مثل أبى طالب وخديجة ولا على الاموات

(وهو الذي مرج البحرين) خلاهما متجاورين متلاصقين تقول مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وسمى الماءين
الكبرين الواسعين بحرين (هذا) أي أحدهما (عذب فرات) صفة لعذب أي شديد العذوبة حتى يقرب الى الحلاوة
(وهذا ملح أجاج) صفة للملح أي شديد الملوحة (وجعل بينهما برزخا) حائلا من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما
التمازج فهما في الظاهر مختلطان وفي الحقيقة منفصلان (وحجرا محجورا)
وسترا ممنوعا عن الاعين
كقوله حجابا مستورا
(وهو الذي خلق من الماء)
أي النطفة (بشرا) انسانا
(فجعله نسبا وصهرا) أراد
تقسيم البشر قسمين ذوي
نسب أي ذكورا ينسب
اليهم فيقال فلان بن فلان
وفلانة بنت فلان وذوات
صهر أي اناثا يصاهر بهن
كقوله تعالى فجعل منه
الزوجين الذكر والانثى
(وكان ربك قديرا)
حيث خلق من النطفة
الواحدة بشرا نوعين ذكرا
وأنثى وقيل فجعله نسبا أي
قرابة وصهرا مصاهرة
يعني الوصلة بالنكاح من
باب الانساب لان التواصل
يقع بها وبالمصاهرة لان
التوالد يكون بهما
(ويعبدون من دون الله
مالا ينفعهم) ان عبدوه

القرى ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان
من مرج دابته اذا خلاها ﴿هذا عذب فرات﴾ قامع للعطش من فرط عذوبته
﴿وهذا ملح اجاج﴾ بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد
في بارد ﴿وجعل بينهما برزخا﴾ حاجزا من قدرته ﴿وحجرا محجورا﴾ وتنافرا
بليغا كأن كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ للمتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك
كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر
العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من
الارض فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر
ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية ﴿وهو الذي خلق من الماء بشرا﴾ يعني
الذي خمر به طينة آدم أو جعله جزأ من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال
والهيآت بسهولة أو النطفة ﴿فجعله نسبا وصهرا﴾ أي قسمه قسمين ذوي نسب اي
ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى ﴿وكان ربك قديرا﴾ حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء
مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين
ذكرا وانثى ﴿ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم

شديدا * قوله تعالى ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أي خلطهما وأفاض أحدهما على
الآخر وقيل ارسلهما في مجاريهما ﴿هذا عذب فرات﴾ أي شديد العذوبة يميل الى
الحلاوة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أي شديد الملوحة وقيل مر ﴿وجعل بينهما برزخا﴾
أي حاجزا بقدرته فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب ﴿وحجرا محجورا﴾ أي سترا
ممنوعا فلا يبغي أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب * قوله تعالى ﴿وهو الذي
خلق من الماء﴾ أي من النطفة ﴿بشرا فجعله نسبا وصهرا﴾ أي جعله ذا نسب وصهر
وقيل النسب مالا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة
والصهر مالا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة
وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله بالنسب سبعا وبالسبب سبعا ويجمعها قوله
حرمت عليكم أمهاتكم الآية وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه في تفسير سورة النساء
﴿وكان ربك قديرا﴾ على ما أراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر
والانثى ﴿ويعبدون من دون الله﴾ يعني هؤلاء المشركين ﴿مالا ينفعهم﴾ أي ان

(وهو الذي مرج البحرين)
أرسل البحرين (هذا عذب
فرات) حلو طيب (وهذا
ملح أجاج) مر مالح زعاق
(وجعل بينهما) بين المالح
والطيب (برزخا) حاجزا
(وحجرا محجورا) حراما محرما من أن يغير أحدهما طعم صاحبه (وهو الذي خلق من الماء) من ماء الذكر والانثى (بشرا)
خلقا كثيرا (فجعله نسبا) مالا يحل تزويجه من القرابة (وصهرا) ما يحل التزويج من القرابة وغيرها (وكان ربك) بما خلق من
الحلال والحرام (قديرا ويعبدون) كفار مكة (من دون الله مالا ينفعهم) في الدنيا

الناس الا كفورا) فابى أكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها أو صرفنا المطر في
البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة فابوا الا أن
وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما من عام أقل مطرا
ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية وروى ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره فى كل عام لانه لا
ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من هنا جواب فى تنكير البلدة والانعام والاناسى ومن نسب الامطار
الانواء وجحد ان تكون هى والانواء من خلق الله تعالى كفر وان رأى ان الله تعالى خالقها وقد نصب الانواء امارات
ودلالات عليها لم يكفر (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين

لو شئنا خففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا فى كل قرية نبيا ينذرها ولكن شئنا ان نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة الى كافة العالمين فقصرنا الامر عليك وعظمناك به فتكون وحدك ككلهم ولذا خوطب بالجمع يا أيها الرسل فقابل ذلك بالشكر والصبر والتشديد ولا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم وكما آثرتك على جميع الانبياء فآثر رضائى على جميع الاهواء وأريد بهذا تهييج وتهييج المؤمنين وتحريكهم (وجاهدهم به) أى بالله يعنى بعونه وتوفيقه أو بالقرآن أى جادلهم به

الناس الا كفورا ﴾ الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو جحودها بان يقو
مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى ا
من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى ﴿ ولو شئنا لبعثنا فى كل قر
نذيرا ﴾ نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلا
لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدع
واظهار الحق ﴿ فلا تطع الكافرين ﴾ فيما يريدونك عليه وهو تهييج له عليه الصلاة والسا
وللمؤمنين ﴿ وجاهدهم به ﴾ بالقرآن أو بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهد
فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة باطلهم ﴿ جهادا كبيرا ﴾ لا
مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف أو لان مخالفتهم ومعادات
فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم أو لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كا

الناس الا كفورا ﴾ أى جحودا وكفرهم هو انهم اذا امطروا قالوا مطرنا بنوء ك
(ق) عن زيد بن خالد الجهنى انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الص
بالحديبية فى أثر سماء من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ما
قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطر
بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء ك
وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب * قوله تعالى ﴿ ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا
أى رسولا ينذرهم ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوج
بصبرك ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة ﴿ فلا تطع الكافرين ﴾ فيما يدعون
اليه من موافقتهم ومداهنتهم ﴿ وجاهدهم به ﴾ أى بالقرآن ﴿ جهادا كبيرا ﴾ أ

وقرعهم بالعجز عنه (جهادا كبيرا) عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق ويجوز أن يرجع (الضمير فى به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث فى كل قرية لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة

الناس الا كفورا) لم يقبلوا واستقاموا على الكفر بالله وبنعمته (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية) الى كل أهل قرية (ن
رسولا مخوفا ولكن جعلناك كافة للناس رسولا لكى يكون الثواب والكرامة كلاهما لك (فلا تطع الكافرين) أبا
وأصحابه بما يأمرونك (وجاهدهم به) بالقرآن (جهادا كبيرا) بالسيف

ن زمافلازم (لنحيي به) بالمطر (بلدة ميتا) ذكر ميتا على ارادة البلد أو المكان (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا) أى سقى الماء البهائم والناس ومما خلقنا حال من أنعاما وأناسى أى انعاما وأناسى مما خلقنا وسقى وأسقى لغتات وقرأ المفضل والبرجمى ونسقيه والاناسى جمع انسى على القياس ككرسى وكراسى وانسان وأصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء وأدغمت وقدم احياء الارض على سقى الانعام والاناسى لان حياتها سبب لحياتهما وتخصيص الانعام من الحيوان الشارب لان عامة منافع الاناسى متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقى الانعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام والاناسى ووصفها بالكثرة لان أكثر الناس منيخون بالقرب من الاودية والانهار فيهم غنية عن سقى السماء واعقابهم وبقاياهم وهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمته وتنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان سقى الاناسى من جلة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وبيانا ان من حقهم ان يؤثروا الطهارة فى بواطنهم وظواهرهم لان الطهورية شرط الاحياء (ولقد صرفناه بينهم ليذكروا) ليذكروا حمزة وعلى يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس (ق و خا ٥٧ بع) فى القرآن وفى سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا (فابى أكثر

بواطنهم بذلك اولى ﴿ لنحيي به بلدة ميتا ﴾ بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد ﴿ ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا ﴾ يعنى اهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه بالفتح واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسى بحذف ياء وهو جمع انسى او انسان كظرابى فى ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ﴿ ولقد صرفناه بينهم ﴾ صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وسائر الكتب أو المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعام امطر من عام لكن الله قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الآية أو فى الانهار والمنابع ﴿ ليذكروا ﴾ ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك ويقوموا بشكره أو ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم * وقرأ حمزة والكسائى بسكون الذال وضم الكاف مخففة ﴿ فأبى اكثر

لا ينجسه شئ * وقوله تعالى ﴿ لنحيي به ﴾ أى بالمطر ﴿ بلدة ميتا ﴾ قيل اراد به موضع البلدة ﴿ ونسقيه مما خلقنا ﴾ أى نسق من ذلك الماء ﴿ انعاما وأناسى كثيرا ﴾ أى بشرا كثيرا والاناسى جمع انسى وقيل جمع انسان * قوله عز وجل ﴿ ولقد صرفناه بينهم ﴾ يعنى المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة أخرى وقال ابن عباس ماعام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه فى الارض وقرأ هذه الآية وهذا كما روى مرفوعا ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وروى عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأمطر من سنة أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الارزاق فجعلها فى هذه السماء الدنيا فى هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافى والبحار وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح ﴿ ليذكروا ﴾ أى ليتذكروا ويتفكروا فى قدرة الله تعالى ﴿ فابى أكثر

(لنحيي به بلدة ميتا) مكانا لا انبات فيه (ونسقيه مما خلقنا أنعاما) بهائم (وأناسى كثيرا) خلقا كثيرا من الناس (ولقد صرفناه بينهم) يعنى المطر قسمنا عاما بعد عام (ليذكروا) لكى يتعظوا بذلك (فابى أكثر

﴿ بين يدى رحمته ﴾ يعنى قدام المطر ﴿ وانزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبع احداهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جا للمفعول كالصبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعم فيه وتميم للمنة فيما بعد فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يطهروها

بين يدى رحمته ﴾ يعنى المطر ﴿ وانزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ الطهور هو الطاهر فى نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى واراد المطر والماء المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير مختص بالماء وذهب أصحاب الرأى الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى أن الطهور ماتكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء اذا توضئ به مرة وان وقع فى الماء شئ غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته نظر ان كان الواقع شيأ لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الاشجار فيجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث فى قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيتروح الماء برائحته تجوز الطهارة به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شيأ يمكن صون الماء عنه ومخالطته كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضوء به وان لم يتغير أحد اوصافه نظر ان كان الواقع شيأ طاهرا لا يزيل طهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلا أو كثيرا وان كان الواقع شيأ نجسا نظر فيه فان كان الماء أقل من قلتين نجس الماء وان كان قدر قلتين فاكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادى يدل عليه ماروى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الماء يكون فى الفلاة ترده السباع والدواب فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث أخرجه أبو داود والترمذى وهذا قول الشافعى وأحمد واسحق وجماعة من أهل الحديث ان الماء اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير أحد أوصافه وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعى والزهرى واحتجوا بما روى عن أبى سعيد الخدرى قال قيل يارسول الله انه يستقى لك من بئر بضاعة ويلقى فيه لحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه شئ وفى رواية قالت قلت يارسول الله أتتوضأ من بئر بضاعة وهى بئر تطرح فيه خرق الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الماء طهور

بشر جمع بشور (بين يدى رحمته) أى قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة (وأنزلنا من السماء ماء مطرا (طهورا) بليغا فى طهارته والطهور صفة كقولك ماء طهور أى طاهر واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بطهور أى بطهارة وما حكى عن ثعلب هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره وهو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى ان كان هذا زيادة بيان الطهارة فحسن ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والافليس فعول من التفعيل فى شئ وقياسه على ماهو مشتق من الافعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد لان بناء الفعول للمبالغة فان كان الفعل متعديا فالفعول متعد وان

(بين يدى رحمته) قدام المطر (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) يطهر ولا يطهر

اشيء (ثم جعلنا الشمس عليه) على الظل (دليلا)لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشياء
تعرف باضدادها (ثم قبضناه) أى أخـذنا ذلك الظل الممدود (الينا)الى حيث أردنا (قبضا يسيرا) سهلا غير عسير
أو قليلا أى جزأ فجزأ بالشمس التى تأتى عليه وجاء ثم لتفاضل مابين الامور فكان الثانى أعظم من الاول والثالث
أعظم من الثانى شبه تباعدما بينهما فى الفضل بتباعد مابين الحوادث فى الوقت

حد ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾ فانه لايظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على
بعض الاجرام أولا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها ﴿ثم قبضناه الينا﴾ أى أزلناه
بايقاع الشمس موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه
الذى هو فى معنى الكف ﴿قبضا يسيرا﴾ قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح
الكون ويتحصل به مالا يحصى من منافع الخلق وثم فى الموضعين لتفاصل الامور او لتفاضل مبادى
أوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها
ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا اى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما
يستتبع الدليل المدلول أو دليل طريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها
ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيأ فشيأ الى ان ينتهى غاية نقصانه أو قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض
اسبابه من الاجرام المظلة والمظال عليها ﴿وهو الذى جعل لكم الليل لباسا﴾ شبه ظلامه باللباس
فى ستره ﴿والنوم سباتا﴾ راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع أو موتا كقوله
وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت ﴿وجعل النهار نشورا﴾ ذا نشور
اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم
واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان رضى الله عنه يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت
فتنشر ﴿وهو الذى ارسل الرياح﴾ وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس ﴿نشرا﴾
ناشرات للسحاب جمع نشور * وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به
وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر

﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾ معنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا
النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف بضدها ﴿ثم قبضناه﴾ يعنى الظل ﴿الينا قبضا
يسيرا﴾ أى بالشمس التى تأتى عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس
فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزأ فجزأ قبضا خفيفا ﴿وهو الذى جعل لكم الليل لباسا﴾
أى سترا تستترون به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شئ كاللباس الذى يشتمل على لابسه
﴿والنوم سباتا﴾ أى راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم ﴿وجعل النهار نشورا﴾ أى
يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال ﴿وهو الذى أرسل الرياح بشرا

(وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) جعل الظلام الساتر كاللباس (والنوم سباتا) راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم والسبت القطع والنائم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعضده ذكر النشور فى مقابلته (وجعل النهار نشورا) اذ النشور انبعاث من النوم كنشور الميت أى ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان فى الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفى النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وهو الذى أرسل الرياح) الريح مكى والمراد به الجنس (بشرا) تخفيف

الى لاشمس معه (ثم جعلنا الشمس عليه) على الظل (دليلا) حيثما تكون الشمس يكون الظل قبل ذلك ويقال دليلا تتلوه (ثم
قبضناه) يعنى الظل (الينا قبضا يسيرا) هينا ويقال خفيا (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) ملبسا يلبس كل شئ فيه (والنوم
سباتا)استراحة لابدانكم (وجعل النهار نشورا) مطلبا لمعايشكم (وهو الذى أرسل الرياح بشرا) طيبا

ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا) ام منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المذمة اشد من التى تقدمتها حتى حقت بالاضر
عنها اليها وهى كونهم مسلوبى الاسماع والعقول لانهم لايلقون الى استماع الحق أذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالا
التى هى مثل فى الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستذلال لتركهم الاستدلال ثم هم أرجح ضلالة منها
الانعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ماينفعها وتجت
مايضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لاينقادون لربهم ولا يعرفون احسا
اليهم من اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك ولايهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى وقالوا للملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمى يجمع الكل ابتلاء فان غلبته النفس والهوى فضلته الانعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وانما ذكر الاكثر لان فيهم من لم يصده عن الاسلام الاحب الرياسة وكفى به داء عضالا ولان فيهم من آمن (ألم ترالى ربك) ألم تنظر الى صنع ربك وقدرته (كيف مد الظل) أى بسطه فعم الارض وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس فى قول الجمهور لانه ظل ممدود لاشمس معه ولاظلمة وهو كما قال فى ظل الجنة وظل ممدود اذ لاشمس معه ولا ظلمة (ولوشاء لجعله ساكنا) أى دائما لايزول ولاتذهبه (ثم

كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ﴿ان هم الا كالانعام﴾ فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات ﴿بل هم اضل سبيلا﴾ من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ماينفعها وتجتنب مايضرها وهؤلاء لاينقادون لربهم ولايعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولايطلبون الثواب الذى هو اعظم المنافع ولايتقون العقاب الذى هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لاتضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدى الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولاذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم ﴿ألم تر الى ربك﴾ الم تنظر الى صنعه ﴿كيف مد الظل﴾ كيف بسطه أو ألم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئى فكيف بالمحسوس منه أو ألم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ﴿ولو شاء لجعله ساكنا﴾ ثابتا من السكنى أو غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع

فقال تعالى ﴿ان هم﴾ أى ماهم ﴿الا كالانعام﴾ أى فى عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقداعهم على التدبر والتفكر ثم قال تعالى ﴿بل هم أضل سبيلا﴾ لان البهائم تهتدى لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لايعرفون طريق الحق ولايطيعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لايفعلون ذلك * قوله تعالى ﴿ألم ترالى ربك كيف مد الظل﴾ هو مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل لاشمس معه ﴿ولوشاء لجعله ساكنا﴾ أى دائما ثابتا لايزول ولاتذهبه الشمس

(ان هم) ماهم فى فهم الحق (الا كالانعام) كالبهائم لاتعقل الا الاكل والشرب فهم كذلك فى استماع الحق (بل هم أض
سبيلا) عن الحجة والدين لانه ليس على البهائم السبيل والحجة (ألم ترالى ربك) الم تنظر الى صنع ربك (كيف مد الظ
كيف بسط الظل بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس من المشرق الى المغرب (ولوشاء لجعله ساكنا) لتركه دائما

هزأ في معنى استهزأ به وأصل اتخذه موضع هزؤ أو مهزؤ به (أهذا الذي) محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار واستهزاء أي قائلين أهذا الذي (بعث الله رسولا) والمحذوف حال والعائد الى الذي محذوف أي بعثه (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وعرض المجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) هو وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة

الامهال (من أضل سبيلا) هو كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال اذ لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه (أرأيت من اتخذ الهه هواه) أي من أطاع فيما يأتي ويذر فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول الله تعالى لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى يروى ان الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فاذا مر بحجر أحسن منه ترك الاول وعبد الثاني وعن الحسن هو في كل متبع هواه (أفأنت تكون عليه وكيلا) أي حفيظا تحفظه من متابعة هواه وعبادة ما يهواه أفأنت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه ان اليه التبليغ فقط (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون

ومهزؤا به ﴿ أهذا الذي بعث الله رسولا ﴾ محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذي زعم انه بعث الله رسولا ﴿ ان كاد ﴾ انه كاد ﴿ ليضلنا عن آلهتنا ﴾ ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما نسبق الى الذهن بانها حجج ومعجزات ﴿ لولا ان صبرنا عليها ﴾ ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ ﴿ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ﴾ كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان املهم ﴿ أرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به ﴿ أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾ حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار ﴿ أم تحسب ﴾ بل اتحسب ﴿ ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ﴾ فتجدي لهم الآيات والحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه

أصحابه قال مستهزئا ﴿ أهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا ﴾ أي قد قارب ان يضلنا ﴿ عن ﴾ عبادة ﴿ آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ﴾ أي على عبادتها والمعنى لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها ﴿ وسوف يعلمون حين يرون العذاب ﴾ أي في الآخرة عيانا ﴿ من أضل سبيلا ﴾ أي أخطأ طريقا ﴿ أرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا رأى حجرا أحسن منه رماه وأخذ الاحسن منه وعبده وقال ابن عباس أرأيت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي وقيل الهوى اله يعبد ﴿ أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾ أي حافظا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبي نسختها آية القتال ﴿ أم تحسب ان أكثرهم يسمعون ﴾ أي ما تقول سماع طالب الافهام ﴿ أو يعقلون ﴾ أي ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة أعظم من التي تقدمت لانهم لشدة عنادهم لا يسمعون القول واذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكأنهم لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام

استهزاء وسخرية يقولون (أهذا الذي بعث الله رسولا) الينا (ان كاد) قد كاد (ليضلنا) ليصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادة آلهتنا (لولا ان صبرنا عليها) ثبتنا على عبادتها (وسوف يعلمون) وهذا وعيد من الله لهم (حين يرون العذاب من أضل سبيلا) دينا أو حجة (أرأيت) يا محمد (من اتخذ الهه هواه) من عبد الهه بهوى نفسه يعني النضر وأصحابه (أفأنت) يا محمد (تكون عليه وكيلا) حفيظا من الخروج الى هذا الفساد نسختها آية الجهاد ويقال كفيلا بالعذاب (أم تحسب) يا محمد (ان اكثرهم يسمعون) الحق (أو يعقلون) الحق اذا استمعوا الى كلامك

الاخدود (وقرونا) وأهلكنا أمما (بين ذلك) المذكور (كثيرا) لايعلمها الا الله أرسل اليهم فكذبوهم فاهلكوا
ضربنا له الامثال) بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين (وكلا تبرنا تتبيرا) أى أهلكنا اهلاكا وكلا
منصوب بعادل عليه ضربنا له الامثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثانى بتبرنا لانه

(ولقد أتوا) يعنى أهل مكة (على القرية) سدوم وهى أعظم قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله أربعا مع أهلها و بقيت واحدة (التى أمطرت مطر السوء) أى أمطر الله عليها الحجارة يعنى ان قريشا مروا مرارا كثيرة فى متجرهم الشأم على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من السماء ومطر السوء مفعول ثان والاصل أمطرت القرية مطرا أو مصدر محذوف الزوائد أى امطار السوء (أفلم يكونوا يرونها) أما شاهدوا ذلك بابصارهم عند سفرهم الشأم فيتفكروا فيؤمنوا (بل كانوا لايرجون نشورا) بل كانوا قوما كفرة بالبعث لايخافون بعثا فلا يؤمنون أو لايأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم فى الوصول الى ثواب أعمالهم (واذا رأوك ان يتخذونك) ان نافية (الاهزوا) اتخذوه

البئر المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية عظيمة بفلج اليمامة كان
بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها
حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبى ابتلاهم الله بطير عظيم كان
من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ
وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها ح
فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اى د
فى بئر ﴿ وقرونا ﴾ واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل
وعشرون ﴿ بين ذلك ﴾ اشارة الى ماذكر ﴿ كثيرا ﴾ لايعلمها الا الله ﴿ وكلا ضر
الامثال ﴾ بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اه
كما قال ﴿ وكلا تبرنا تتبيرا ﴾ فتتنا تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا ا
منصوب بعادل عليه ضربنا كانذرنا والثانى بتبرنا لانه فرغ عن الضمير ﴿ ولقد اتو
يعنى قريشا مروا مرارا فى متاجرهم الى الشام ﴿ على القرية التى امطرت مطر الس
يعنى سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة ﴿ أفلم يكونوا يرونها ﴾ فى
مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله ﴿ بل كانوا لايرجون نشور
بل كانوا كفرة لايتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمرو
كما مرت ركابهم اولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا فى الثواب أو لايخافونه
لغة التهامية ﴿ واذا رأوك ان يتخذونك الاهزؤا ﴾ ما يتخذونك الا موضع

وقيل الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان نبى
حنظلة بن صفوان فقتلوه فاهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا
وهم الذين ذكرهم الله فى سورة يس وقيل هم أصحاب الاخدود والرس الاخ
﴿ وقرونا بين ذلك كثيرا ﴾ أى وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد و ثمود وأصح
الرس ﴿ وكلا ضربنا له الامثال ﴾ أى فى الاشباه فى اقامة الحجة عليهم فلم نه
الا بعد الانذار ﴿ وكلا تبرنا تتبيرا ﴾ أى أهلكناهم هلاكا * قوله تعالى ﴿ ولقد
على القرية التى أمطرت مطر السوء ﴾ يعنى الحجارة وهى قريات قوم لوط وهى
قرى أهلك الله منها أربعا ونجت واحدة وهى أصغرها وكان أهلها لايعملون لعمل الخبيث
يكونوا يرونها) يعنى اذا مروا بها فى اسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لان مدائن قوم
كانت على طريقهم فى ممرهم الى الشأم ﴿ بل كانوا لايرجون نشورا ﴾ أى لايخافون
* قوله تعالى ﴿ واذا رأوك ان يتخذونك الاهزؤا ﴾ نزلت فى أبى جهل كان اذا

قوم شعيب (وقرونا بين ذلك كثيرا) لم نسمهم اهلكناهم (وكلا ضربنا له الامثال) بينا
لكل قرن عذاب القرون الذين قبلهم فلم يؤمنوا (وكلا تبرنا تتبيرا) اهلكناهم اهلاكا بعضهم على اثر بعض (ولقد أتوا) مضوا
كفار مكة (على القرية) قريات لوط (التى امطرت مطر السوء) يعنى الحجارة (أفلم يكونوا يرونها) مافعل بها و بأهلها فلا يكذ
تقول لهم (بل كانوا لايرجون نشورا) لايخافون البعث بعد الموت (واذا رأوك) كفار مكة (ان يتخذونك الاهزوا) مايقولو

جدبهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة كما آتيناك القرآن (وجعلنا معه أخاه هرون) بدل او عطف بيان
[وزيرا]) هو فى اللغة من يرجع اليه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لاتنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد
[..] يؤمرون بان يوازر بعضهم بعضها (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) الى فرعون وقومه وتقديره فذهبا
[اليهم فأ]نذرا فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) التدمير الاهلاك بامر عجيب اراد اختصار القصة فذكر اولها وآخرها لانهما
[..] من القصة أعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (وقوم نوح)
أى ودمرنا قوم نوح (لما كذبوا الرسل) يعنى نوحا و ادريس وشيثا أوكان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أوقصتهم (للناس آية) عبرة يعتبرون بها (وأعتدنا) وهيأنا (للظالمين) لقوم نوح وأصله وأعتدنا لهم الا انه أراد تظليمهم فاظهر أوهو عام لكل من ظلم ظلم شرك و يتناولهم بعمومه (عذابا اليما) أى النار (وعادا) دمرنا عادا (وثمود) حمزة وحفص على تأويل القبيلة وغيرهما وثمودا على تأويل الحى أولانه اسم الاب الاكبر (وأصحاب الرس) هم قوم شعيب كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا فبيناهم حول الرس وهى البئر غير مطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا أوهم أصحاب الاخدود والرس

[..]زى للمبالغة ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا﴾ يوازره
[فى ال]دعوة واعلاء الكلمة ولاينافى ذلك مشاركته فى النبوة لان المتشاركين فى الامر
[متو]ازران عليه ﴿فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا﴾ يعنى فرعون وقومه ﴿بآياتنا
[فدم]رناهم تدميرا﴾ اى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتى القصة
[ا]كتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
[وال]تعقيب باعتبار الحكم لاالوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد
[بالنو]ن الثقيلة ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ كذبوا نوحا ومن قبله أو نوحا وحده
[ول]كن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل اوبعثة الرسل مطلقا كالبراهمة
[﴿أ]غرقناهم﴾ بالطوفان ﴿وجعلناهم﴾ وجعلنا اغراقهم أوقصتهم ﴿للناس آية﴾ عبرة
[﴿و]اعتدنا للظالمين عذابا اليما﴾ يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر
[تظل]يما لهم ﴿وعادا وثمود﴾ عطف على هم فى جعلناهم أو على الظالمين لان المعنى
[و]عدنا الظالمين وقرأ حمزة وحفص وثمود على تأويل القبيلة ﴿واصحاب الرس﴾
[..]م كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهى

[..]طأ صريقا ＊ قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون
[وز]يرا﴾ أى معينا وظهيرا ﴿فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ يعنى القبط
[﴿]فدمرناهم﴾ فيه اضمار أى فكذبوهما فدمرناهم ﴿تدميرا﴾ أى اهلكناهم
[اهلا]كا ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ أى رسولهم ومن كذب رسولا واحدا
[فقد] كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع ﴿أغرقناهم وجعلناهم للناس آية﴾
[أى] عبرة لمن بعدهم ﴿وأعتدنا للظالمين﴾ فى الآخرة ﴿عذابا اليما﴾ أى سوى
[ما] حل بهم من عاجل العذاب فى الدنيا ﴿وعادا وثمود﴾ أى أهلكنا عادا وثمود
[﴿]واصحاب الرس﴾ قال وهب بن منبه كان أهل بئر الرس نزولا عليها وكانوا أصحاب مواش
[ويعب]دون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فتمادوا فى طغيانهم وآذوا
[شع]يبا فبيناهم حول البئر فى منازلهم انهارت البئر و خسف بهم وبديارهم ورباعهم

[..]ق والهدى (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة (وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) معينا (فقلنا اذهبا
[الى الق]وم الذين كذبوا بآياتنا) التسع يعنى فرعون وقومه القبط فلم يؤمنوا (فدمرناهم تدميرا) أهلكناهم اهلاكا بالغرق (وقوم
[نوح] اهلكنا (لما كذبوا الرسل) يعنى نوحا وجملة الرسل (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم للناس آية) عبرة لكيلا يقتدوا بهم
[وأعت]دنا للظالمين) للمشركين مشركى مكة (عذابا أليما) وجيعا فى النار (وعادا) أهلكنا قوم هود (وثمود) قوم صالح (وأصحاب الرس)

الذى تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه اى قدرناه اية بعد اية ووقفة بعد وقفة أوامرنا بترتيل
وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أى اقرأه بترسل و تثبت أو بيناه تبيينا والترتيل التبيين فى ترسل
(ولايأتونك بمثل) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل فى البطلان (الا جئناك بالحق) الا أتيناك بالجواب
الذى لامحيد عنه (وأحسن تفسيرا) وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم أى من سؤالهم وانما حذف من مثلهم
فى الكلام دليلا عليه كما لو قلت رأيت زيدا وعمرا وان كان عمرو أحسن وجها فيه دليل على انك تريد من زيد ولما
التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام ووضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل
كذا وكذا أولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا انزل عليك ا
جملة الا أعطيناك من
الاحوال مايحق لك فى
حكمتنا ان تعطاه وماهو
أحسن تكشيفا لما بعثت
عليه ودلالة على صحته
يعنى ان تنزيله مفرقا
وتحديهم بان يأتوا ببعض
تلك التفاريق كلما نزل شئ
منها أدخل فى الاعجاز من
ان ينزل كله جملة (الذين
يحشرون على وجوههم
الى جهنم أولئك شر)
الذين مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان
وشر خبر اولئك واولئك
مع شر خبر الذين أو
التقدير هم الذين أو أعنى
الذين وأولئك مستأنف
(مكانا) أى مكانة ومنزلة
أو مسكنا ومنزلا (وأضل
سبيلا) أى وأخطأ طريقا وهو من الاسناد المجازى والمعنى ان حاملكم على هذه السؤالات انكم (اخص
تضلون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم ل
مكانكم شر من مكانه ومنزلة سبيلكم أضل من سبيله وفى طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله و
عليه الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم و
على وجوههم قيل يارسول الله كيف يمشون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذى أمشاكم على أقدامكم يمشيهم ع

وعشرين واصل الترتيل فى الاسنان وهو تفلجها ﴿ ولايأتونك بمثل ﴾ سؤ
عجيب كأنه مثل فى البطلان يريدون به القدح فى نبوتك ﴿ الا جئناك بالحق ﴾ الداف
فى جوابه ﴿ واحسن تفسيرا ﴾ وبما هو احسن بيانا أو معنى من سؤالهم أولايأتو
بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال مايحق لك فى حك
وماهو احسن كشفا لما بعثت له ﴿ الذين يحشرون على وجوهم الى جهنم ﴾ أى مقلو
أو مسحوبين اليها أو متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها ، وعنه علي
السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف ع
الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره ﴿ اولئك شر م
واضل سبيلا ﴾ والمفضل عليه هو الرسول عليه السلام على طريقة قوله تعالى قل هل أنبئ
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاس
تحقير مكانه وتضليل سبيله ولايعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل
متصل بقوله اصحاب الجنة يؤمئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاس

بيانا والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت وقيل فرقناه تفريقا آية بعد آية ﴿ ولايأتونك ﴾ ي
يامحمد هؤلاء المشركون ﴿ بمثل ﴾ أى يضربونه لك فى أبطال أمرك ﴿ الا جئناك بالحق ﴾ أ
تردبه ماجاؤابه من المثل وتبطله فسمى مايوردون من الشبه مثلا وسمى مايدفع به الش
حقا ﴿ وأحسن تفسيرا ﴾ أى أحسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر مآل هؤلاء المشر
فقال تعالى ﴿ الذين ﴾ أى هم الذين ﴿ يحشرون ﴾ أى يساقون ويجرون ﴿
وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا ﴾ أى منزلا ومصيرا ﴿ وأضل سبيلا ﴾

بالامر والنهى ويقال أنزلنا جبريل به متفرقا آية بعد آية (ولا يأتونك) يامحمد (بمثل) بصفة وحجة وبيان (الا جئناك بالحق)
وبيان وحجة فيها نقض حجتهم (واحسن تفسيرا) تبيانا وحجة من حجتهم (الذين يحشرون) يجرون (على وجوههم) يوم
(الى جهنم) يعنى اباجهل واصحابه (أولئك شر مكانا) منزلا فى الآخرة وعملا فى الدنيا (واضل سبيلا)

وكفى بربك هاديا ونصيرا) أى كذلك كان كل نبى قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بى هاديا الى طريق قهرهم والانتصار
صيرا لك عليهم والعـدو يجوزأن يكون واحدا وجمعا والباء زائدة أى وكفى ربك هاديا وهو تمييز (وقال الذين
كفروا)أى قريش أواليهود (لولانزل عليه القرآن جملة) حال من القرآن أى مجتمعا (واحدة)يعنى هلا أنزل عليه دفعة
واحدة فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفاريق وهو فضول من القول ومماراة بما لاطائل
تحته لان أمر الاعجاز والاحتجاج به ﴿ ٤٤١ ﴾ { سورة الفرقان } لايختلف بنزوله جملة واحـدة أومتفرقا ونزل
هنا بمعنى أنزل والالكان متدافعا بدليل جملة واحدة وهذا اعتراض فاسد لانهم تحدوا بالاتيان بسـورة واحدة من أصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم حتى لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة وبذلوا المهج ومالوا الى الحجج (كذلك) جواب لهم أى كذلك أنزل مفرقا فى عشرين سنة أوفى ثلاث وعشرين وذلك فى كذلك اشارة الى مدلول قوله لولانزل عليه القرآن جملة لان معناه لم أنزل عليك القرآن مفرقا فاعلم أن ذلك (لنثبت به) بتفريقه (فؤادك) حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيأ بعد شئ و جزأ عقيب جزء ولوألقى عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه أولنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر
الوصول وتتابع الرسول لان قلب المحب (قا و خا ٥٦ بع) يسكن بتواصل كتب المحبوب (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل

يحتمل الواحد والجمع ﴿ وكفى بربك هاديا ﴾ الى طريق قهرهم ﴿ ونصيرا ﴾ لك عليهم ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن ﴾ أى انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله ﴿ جملة واحـدة ﴾ دفعة واحـدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لايختلف بنزوله جملة أومتفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله ﴿ كذلك لنثبت به فؤادك ﴾ أى كذلك انزلنـاه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله تخالف حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان عليه الصلاة والسلام اميا وكانوا يكتبون فلو القى اليه جملة تعنى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لايتأتى الا شيأ فشيأ ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص فى المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعـد حال ثبت به فؤاك ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولانزل عليه القرآن جملة واحدة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين تتعلق بمحذوف ﴿ ورتلناه ترتيلا ﴾ وقرأناه عليك شـيأ بعد شئ على تؤدة وتمهـل فى عشرين سـنة أوثلاث

ان الانبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فانى ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى ﴿ وكفى بربك هاديا ونصيرا ﴾ * قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴾ أى كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم أجمعين قال الله تعـالى ﴿ كذلك ﴾ فعلنا ذلك ﴿ لنثبت به فؤادك ﴾ أى أنزلنـاه مفرقا لنقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب المتقـدمة نزلت على أنبيـاء يكتبون ويقرؤن وأنزلنـا القرآن على نبى أمى لايكتب ولايقرأ ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ماهو جواب لمن سأل عن أمور تحدث فى أوقات مختلفة ففرقناه ليكون ادعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأيسر على العامل به ﴿ ورتلناه ترتيلا ﴾ قال ابن عباس و بيناه

مشركى قومه (وكفى بربك هاديا) حافظا(ونصيرا)مانعا ممايرادبك(وقال الذين كفروا)أبو جهل واصحابه(لولا)هلا(نزل عليه القرآن جملة واحدة) كما أنزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود (كذلك) يقول أنزلنا اليك بجبريل بالقرآن متفرقا(لنثبت به فؤادك)لنطيب به نفسـك وتحفظ به قلبك(ورتلناه ترتيلا) بيناه تبيانا

رسول الله عليه الصلاة والسلام فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أبى بن خلف وهو ..
وجهى من وجهك حرام الا ان ترجع فارتد فالمعنى ياليتنى لم اتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وان أريد به الجنس كا
من اتخذ من المضلين خليلا

كان خليله اسم علم لا محالة فجعله كناية
وقيل هو كناية عن الشيطان (لقد أضلنى عن الذكر) أى عن ذكر الله أو القرآن أو الايمان (بعد اذ جاءنى) من الله (وكان الشيطان) أى خليله سماه شيطانا لانه أضله كما يضله الشيطان أو ابليس لانه الذى حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول (للانسان) المطيع له (خذولا) هو مبالغة من الخذلان أى من عادة الشيطان ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم (وقال الرسول) أى محمد عليه الصلاة والسلام فى الدنيا (يارب ان قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا أى تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثان لاتخذوا وفى هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم أقبل عليه مسليا ووعده النصرة عليهم فقال (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين)

عن الاعلام كان هنا كناية عن الاجناس ﴿ لقد اضلنى عن الذكر ﴾ عن ذكر الله اوكتابه اوموعظة الرسول اوكلمة الشهادة ﴿ بعد اذ جاءنى ﴾ وتمكنت منه ﴿ وكا الشيطان ﴾ يعنى الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيط من جن وانس ﴿ للانسان خذولا ﴾ يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينف فعول من الخذلان ﴿ وقال الرسول ﴾ محمد يومئذ اوفى الدنيا بثا الى الله تعالى ﴿ يار ان قومى ﴾ قريشا ﴿ اتخذوا هذا القرآن مهجورا ﴾ بان تركوه وصدوا عنه وعن صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيا متعلقا به ويقول يارب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه او هجروا او لغوا اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجا ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء عليهم الصلا والسلام اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا م المجرمين ﴾ كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعد

﴿ لقد أضلنى عن الذكر ﴾ أى عن الايمان والقرآن ﴿ بعد اذ جاءنى ﴾ يعنى الذكر مع الرسو صلى الله عليه وسلم ﴿ وكان الشيطان ﴾ وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والانس ﴿ للانسان خذولا ﴾ أى كثير الخذلان يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام فى كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله (ق) عن أبى موسى الاشعرى عن النـ صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما أن يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير اما ا يحترق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة ✽ عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل أخرجه أبو داود والترمذ ✽ ولهما عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤم ولا يأكل طعامك الا تقى ✽ قوله عز وجل ﴿ وقال الرسول ﴾ يعنى ويقول الرسو فى ذلك اليوم ﴿ يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا ﴾ أى متروكا واعرضو عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السئ من القو فزعموا انه سحر وشعر والمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى الله عز وجل يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا فعزاه الله تعالى فقا ﴿ وكذلك جعلنا ﴾ أى وكما جعلت لك أعداء من مشركى مكة وهم قومك كذلك جعلنا ﴿ لكل نبى عدوا من المجرمين ﴾ أى المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك

الجمعى (لقد أضلنى عن الذكر) عن التوحيد والطاعة (بعد اذ جاءنى) محمد صلى الله عليه وسلم بالتوحيد (وكان الشيطان للانسان خذولا) (فان) خاذلا يخذله عند ما يحتاج اليه (وقال الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) م متروكا لم يقروا به ولم يعملوا بما فيه (وكذلك) كما جعلنا أبا جهل عدوا لك (جعلنا لكل نبى) قبلك (عدوا من المجرمين)

﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما واراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابى معيط كان يكثر مجالسة النبى عليه الصلاة والسلام فدعاه الى ضيافته فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن ابيا باحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات ﴿يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا﴾ طريقا الى النجاة اوطريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بى طرق الضلالة ﴿ياويلتا﴾ وقرئ بالياء على الاصل ﴿ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا﴾ يعنى من اضله وفلان كناية

وهو دليل على انه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء فى الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا * قوله تعالى ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ أراد بالظالم عقبة بن أبى معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس اليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابى ابن خلف فلما أخبر أبى بن خلف قال له ياعقبة صبأت قال لا والله ماصبأت ولكن دخل على رجل فابى أن يأكل طعامى الا أن أشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا الذى أرضى عنك أبدا الا أن تأتيه فتبزق فى وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه الصلاة والسلام لا أراك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا وأما أبى بن خلف فقتله النبى صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد وقيل لما بزق عقبة فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه فى وجهه فاحترق خداه فكان أثر ذلك فى وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن أبى معيط خليل أمية بن خلف فاسلم عقبة فقال له أمية وجهى من وجهك حرام ان تابعت محمدا فكفر وارتد فانزل الله فيه ويوم يعض الظالم يعنى عقبة بن أبى معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه أى ندما وأسفا على مافرط فى جنب الله وأوبق نفسه بالمعصية والكفر بطاعة خليله الذى صده عن سبيل ربه قال عطاء يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما هكذا كلما نبتت يداه أكلهما على مافعل تحسرا وندامة ﴿يقول ياليتنى اتخذت﴾ أى فى الدنيا ﴿مع الرسول سبيلا﴾ أى ليتنى اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم واتخذت معه طريقا الى الهداية ﴿ياويلتا﴾ دعا على نفسه بالويل ﴿ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا﴾ قيل يعنى أبى بن خلف

حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها فى الدنيا (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من الروعة مالا يجده عند لفظ المكنى عنه واللام فى الظالم للعهد وأريد به عقبة لما بين أو للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفار (يقول ياليتنى اتخذت) فى الدنيا (مع الرسول) محمد عليه الصلاة والسلام (سبيلا) طريقا الى النجاة والجنة وهو الايمان (ياويلتا) وقرئ ياويلتى بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وانما قلبت الياء ألفا كما فى صحارى ومدارى (ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن الاعلام فان أريد بالظالم عقبة لما روى انه اتخذ ضيافة فدعا اليها

الكافرين (ويوم يعض الظالم) الكافر عقبة بن أبى معيط (على يديه) على انامله (يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) استقمت على دين الرسول (ياويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) مصافيا فى الدين أبى بن خلف

النار فقال (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) تمييز والمستقر المكان الذى يكونون فيه فى أكثر أوقاتهم يتجـ ويتحادثون (وأحسن مقيلا) مكانا يأوون اليه للاستراوح الى أزواجهم ولا نوم فى الجنة ولكنه سمى استراحتهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وروى انه يفرغ من الحسا

نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وفى لفظ الاحسن تهكم بهم (ويوم) واذكر يوم (تشقق السماء) والاصل تتشقق فحذف التاء كوفى وأبو عمرو وغيرهم أدغمها فى الشين (بالغمام) لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذى تشق به السماء كما تقول شققت السنام بالشفرة فانشق بها (ونزل الملائكة تنزيلا) و ننزل الملائكة مكي وتنزيلا على هذا مصدر من غير لفظ الفعل والمعنى ان السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها و فى الغمام الملائكة ينزلون وفى أيديهم صحائف أعمال العباد (الملك) مبتدأ (يومئذ) ظرفه (الحق) نعته ومعناه الثابت لان كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى الا ملكه (للرحمن) خبره (وكان) ذلك اليوم (يوما على الكافرين عسيرا) شديد يقال عسر عليه فهو عسير يرى ولا يستطاع أن عس

كونوا قردة خاسئين ﴿اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا﴾ مكانا يستقر فيه فى أ الاوقات للتجالس والتحادث ﴿واحسن مقيلا﴾ مكانا يؤوى اليه للاستروح بالاز والتمتع بهن تجوز اله من مكان القيلولة على التشبيه اولانه لايخلو من ذلك غالبا اذلا فى الجنة وفى احسن رمز الى مايتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحا ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر اوالزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب مات من الامكنة والازمنة والتفضيل امالارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ماللمتر فى الدنيا روى انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل ا فى النار ﴿ويوم تشقق السماء﴾ اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن ع ويعقوب ﴿بالغمام﴾ بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور فى قوله • هـ ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ﴿ ونزل الملائ تنزيلا﴾ فى ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وا ونزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ الثابت له لان كل م يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا ال لانه متأخر اوصفة والخبر يومئذ اوللرحمن ﴿وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾ شد

* قوله تعالى ﴿أصحاب الجنة يومئذ﴾ أى يوم القيامة ﴿خير مستقرا﴾ أى هؤلاء المشركين المستكبرين ﴿وأحسن مقيلا﴾ أى موضع القائلة وذلك ان أ الجنة لا يمر بهم يوم القيامة الا قدر من اول النهار الى وقت القائلة حتى يسك مساكنهم فى الجنة قال ابن مسعود لاينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل ا فى الجنة واهل النار فى النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن معذلك ن لان الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها قال ابن عباس رضى الله عنه الحساب فى ذلك اليوم فى أوله ويروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يك كما بين العصر الى غروب الشمس * قوله تعالى ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم ﴿و ن الملائكة تنزيلا﴾ قال ابن عباس تشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر فى الارض من الانس والجن ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن فى ال الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيد على اهل السماء التى تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش ﴿الملك يومئذ ا للرحمن﴾ أى الملك الذى هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس ير أن يوم القيامة لا ملك يقضى غيره ﴿وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾ أى شد

(أصحاب الجنة) محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (يومئذ) وهو يوم القيامة (خير مستقرا) منزلا (وأحسن مقيلا) ﴿ وفـ ميتا من منزل ابى جهل وأصحابه وميتهم (ويوم تشقق السماء بالغمام) عن الغمام لنزول الرب بلا كيف (ونزل الملائكة الاول فالاول (الملك) القضاء (يومئذ الحق) العدل (للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا عسره وشدد ذلك ال

ا بشرى) تقول لهم الملائكة منصوب بعادل عليه (لا بشرى) اى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى وقوله (يومئذ) مؤكد ليوم يرون
با راذكر اى اذكر يوم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بيرون لان المضاف اليه لا يعمل فى المضاف
بشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنفى بلا لا يعمل فيما قبل لا (للمجرمين) ظاهر فى موضع ضمير أو عام يتناولهم
و.وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لان مطلق الاسماء يتناول أكمل المسميات
(ويقولون) أى الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما عليكم البشرى أى جعل الله ذلك حراما عليكم انما البشرى للمؤمنين والحجر مصدر والكسر والفتح لغتان وقرئ بهما وهو من حجره اذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بافعال متروك اظهارها ومحجورا لتأكيد معنى الحجر كما قالوا موت مائت (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) هو صفة ولا قدوم هنا ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التى عملوها فى كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم الى أشيائه وقصد الى ما تحت يديه فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيها بالغبار والمنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع ثم بين فضل اهل الجنة على اهل

لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴾ فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر
للمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما تعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا
فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفى البشرى
لعامة المجرمين حينئذ نفى البشرى بالعفو والشفاعة فى وقت آخر واما خاص وضع موضع
ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ﴿ ويقولون حجرا
محجورا ﴾ عطف على المدلول اى ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى
ان يمنع لقاءهم وهى مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او تقولها الملائكة
بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى ٭ وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما
اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه
ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت ﴿ وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا ﴾ اى وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة
الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم
بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار
يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم
المحبط فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم
التى كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله تعالى

لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴾ وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون
للكفار لا بشرى لكم وقيل لا بشارة لهم بالجنة كما بشر المؤمن ﴿ ويقولون حجرا محجورا ﴾
قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله محمد رسول الله
وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراما محرما عليكم أن تكون لكم البشرى
وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك ان العرب كانت اذا نزلت بهم شدة ورأوا ما يكرهون قالوا
حجرا محجورا فهم يقولون ذلك اذا عاينوا الملائكة ٭ قوله عز وجل ﴿ وقدمنا الى ما عملوا من
عمل ﴾ يعنى من أعمال البر التى عملوها فى حال الكفر ﴿ فجعلناه هباء منثورا ﴾ أى باطلا لا ثواب له
لانهم لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد
والهباء هو ما يرى فى الكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالايدى ولا يرى
فى الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس رضى الله عنهما هو ما تسفيه الرياح وتذريه
من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار

ى (يومئذ للمجرمين) المشركين بالجنة (ويقولون) يعنى الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما البشرى بالجنة على الكافرين
ويقولون يعنى الكفار عند رؤية الملائكة حجرا محجورا بعدا بعيدا بيننا وبينكم (وقدمنا) عمدنا (الى ما عملوا من عمل) خير
فى الدنيا (فجعلناه) فى الآخرة (هباء منثورا) كتراب من حوافر الدواب ويقال كشئ يجول فى ضوء الشمس اذا دخلت فى كوة

الجزء التاسع عشر

اللهم اسعدنا بلقائك يا اكرم الاكرمين

﴿وقال الذين لا يرجون﴾ لا يأملون ﴿لقاءنا﴾ بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئى والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول ﴿لولا﴾ هلا ﴿انزل علينا الملائكة﴾ فيخبرونا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل فيكونون رسلا الينا ﴿او نرى ربنا﴾ فيأمرنا بتصديقه واتباعه ﴿لقد استكبروا فى انفسهم﴾ اى فى شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله فى اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك ﴿وعتوا﴾ وتجاوزوا الحد فى الظلم ﴿عتوا كبيرا﴾ بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفى الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله

وجارة جساس ابأنا بنابها ٭ كليبا علت ناب كليب بواؤها

﴿يوم يرون الملائكة﴾ الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه

٭ قوله عز وجل ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ اى لا يخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ فتخبرنا ان محمدا صادق ﴿أو نرى ربنا﴾ فيخبرنا بذلك ﴿لقد استكبروا﴾ أى تعظموا ﴿فى أنفسهم﴾ بهذه المقالة ﴿وعتوا عتوا كبيرا﴾ أى طغوا وقيل عتوا فى القول وهو أشد الكفر والفحش وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به ٭ قوله تعالى ﴿يوم يرون الملائكة﴾ أى عند الموت وقيل يوم القيامة

(وقال الذين لا يرجون) لا يأملون (لقاءنا) بالخير لانهم كفرة لا يؤمنون بالبعث أو لا يخافون عقابنا اما لان الراجى قلق فيما يرجوه كالخائف أو لان الرجاء فى لغة تهامة الخوف (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر أو شهودا على نبوته ودعوى رسالته (أو نرى ربنا) جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه (لقد استكبروا فى أنفسهم) أى أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم (عتوا كبيرا) وصف العتو بالكبر فبالغ فى افراطه أى انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا انهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام فى لقد جواب قسم محذوف (يوم يرون الملائكة) اى يوم الموت أو يوم البعث ويوم

(وقال الذين لا يرجون لقاءنا) البعث بعد الموت يعنى أبا جهل وأصحابه (لولا أنزل) هلا أنزل (علينا الملائكة) فيخبرونا بان الله أرسلك الينا (أو نرى ربنا) فنسأله عنك (لقد استكبروا فى أنفسهم) عن الايمان ويقال حيث سألوا رؤية الرب (وعتوا عتوا كبيرا) ابوا عن الايمان اباء كبيرا ويقال اجترؤا اجتراء كبيرا حيث سألوا (لا بشرى) نزول الملائكة عليهم (يوم) وهو يوم القيامة (يرون الملائكة) عند الموت

يه دليل على القضاء والقدر ﴿اتصبرون﴾ علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض
ة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله « ليبلوكم ايكم احسن عملا » اوحث على الصبر على ما
افتتنوا به ﴿وكان ربك بصيرا﴾ بمن يصبراو بالصواب
فيما يبتلى به وغيره

الى لهؤلاء المؤمنين ﴿ أتصبرون ﴾ أى على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى
يل ان الغنى فتنة الفقير يقول مالى لم أكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف
ة الوضيع ﴿وكان ربك بصيرا﴾ أى لمن صبر ولمن جزع (ق) عن أبى هريرة يبلغ به النبى
لى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر الى من
هو دونه فى المال والجسم لفظ البخارى ولمسلم انظروا الى من هو أسفل
منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن
لا تزدروا نعمة الله عليكم

(أتصبرون) على هذه الفتنة فتؤجروا أم لا تصبرون فيزداد غمكم وحكى أن بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج ضجرا فراى خصيا فى مواكب ومراكب فخضر بباله شئ فاذا بمن يقرأ هذه الآية فقال بلى فصبرا ربنا أى وجعلتك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكانت طاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا (وكان ربك بصيرا) عالما بالصواب فيما يبتلى به أو بمن يصبر ويجزع

وأصحابه (أتصبرون) مع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم سلمان وأصحابه حتى تكونوا معهم فى الدين والامر سواء شرعا تجلسون معهم (وكان ربك بصيرا) بانهم لا يصبرون على ذلك ويقال أتصبرون يامعشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم على اذاهم حتى أوفيكم ثواب الصابرين وكان ربك بصيرا بمن يؤمن وبمن لا يؤمن منهم

(فمايستطعون صرفاولانصرا) أى فمايستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أوينصروكم وبالتاء حفص أى فاتستطيعو
ياكفار صرف العذاب عنكم ولانصر أنفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله (ومن يظلم منكم) أى يشر
الظلم وضع الشئ فى غيرموضعه ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقدظلم يؤيده قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (نذقه
كبيرا) فسر بالخلود فى النار وهويليق بالمشرك دون الفاسق الاعلى قول المعتزلة وا

(وماأرسلنا قبلك من المرسلين الاانهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) كسرت ان لاجل اللام فى الخبر والجملة بعد الاصفة لموصوف محذوف والمعنى وماأرسلناقبلك أحدا من المرسلين الاآكلين وما شين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أى من المرسلين ونحوه ومامنا الاله مقام معلوم أى ومامنا أحد قيل هواحتجاج على من قال مالهذا الرسول الله يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وتسلية للنبى عليه الصلاة والسلام (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أى محنة وابتلاء وهذاتصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر ومشيه فى الاسواق يعنى انه جعل الاغنياء فتنة للفقراء فيغنى من يشاء ويفقر من يشاء

ما كان ينبغى لنا ﴿فمايستطيعون﴾ اى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابد
﴿صرفا﴾ دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليصرف أى يحتال ﴿ولانصرا
يعينكم عليه ﴿ومن يظلم منكم﴾ ايها المكلفون ﴿نذقه عذابا كبيرا﴾ هى النار والشر
وان عم كل من كفر أوفسق لكنه فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التو
والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا ﴿ومارسلنا قبلك من المرسلين الاانهم ليأكلو
الطعام ويمشون فى الاسواق﴾ أى الارسالا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين ع
واقيمت الصفة مقامه كقوله ومامنا الاله مقام معلوم ويجوز ان تكون حالا اكتفى ف
بالضمير وهو جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقر
يمشون أى تمشيهم حوائجهم أوالناس ﴿وجعلنا بعضكم﴾ ايها الناس ﴿لبعض فتنة
ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العدو
وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ماقالوه بعد نقضه

﴿فمايستطيعون﴾ أى الآلهة ﴿صرفا﴾ أى صرف العذاب عن أنفسهم ﴿ولانصرا﴾ أ
ولانصر أنفسهم وقيل لاينصرونكم أيها العابدون بدفع العذاب عنكم ﴿ومن يظلم منكم﴾ أ
يشرك ﴿نذقه عذابا كبيرا﴾ قوله عز وجل ﴿وماأرسلنا قبلك﴾ أى يا محمد ﴿من المرسل
الاانهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق﴾ قال ابن عباس لما عير المشركون رسول ا
صلى الله عليه وسلم وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق أنزل ا
تعالى هذه الآية والمعنى أن هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلاوجه له
الطعن وماأنا الارسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلى يأكلون الط
ويمشون فى الاسواق ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ أى بلية قال ابن عباس أى ج
بعضكم بلاء بعض لتصبروا على ماتسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا أنتم الهد
قيل نزلت فى ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا أراد أن يسلم رأى الوض
قدأسلم قبله فأنف وقال أسلم بعده فيكون له السابقة والفضل على فيقيم على كفره وي
من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت فى أبى جهل والوليد بن عق
والعاص بن وائل السهمى والنضر بن الحرث وذلك انهم رأوا أباذر وابن مسعو
وعمار بن ياسر وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وذويهم قدأسلموا قبلهم فقالوا انسلم فنكو
مثل هؤلاء وقيل نزلت فى ابتلاء فقراء المسلمين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولو
انظروا الى هؤلاء الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا وأراذلنا فقال ال

فاتستطيعون) يعنى الكفار (صرفا) صرف الملائكة ويقال صرف الاصنام عن شهاتهم عليهم أوصرف العذاب عن أنفسهم (ولانصرا) منعا (ومن يظلم
منكم) يكفر منكم يامعشر المؤمنين ويقال من يستقم منكم على الكفر يامعشر الكفار (نذقه عذابا كبيرا) فى النار (وماأرسلنا) تعا
قبلك) يا محمد (من المرسلين الاانهم ليأكلون الطعام) كانأ كل جوابا لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام (ويمشون فى الاسو
فى الطرق كما تمشى (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) بلية ابتلينا العربى بالمولى والشريف بالوضيع والغنى بالفقير يقول الله لابى

ـهم (قالواسبحانك)تعجب منهم مما قيل لهم وقصدوابه تنزيهه عن الانداد وان يكون له نبي أوملك أوغيرهما نداثم
(ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء)أي ما كان يصح لنا ولايستقيم ان نتولى أحدادونك فكيف
ـنا ان نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك نتخذ يزيدوانخذ يتعدى الى مفعول واحد نحو اتخذوليا والى مفعولين
ـ تخذ فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من
ـ لواحد وهو من أولياء والاصل ان نتخذ أولياء وزيدت من لتأكيد معنى النفي والقراءة الثانية من المتعدى
ـ ولين فالمفعول الاول مابنى له الفعل والثانى من أولياء ومن للتبعيض أى لانتخذ بعض أولياء لان من لاتزاد
ـ ول الثانى بل فى الاول تقول مااتخذت من أحد وليا ولاتقول مااتخذت أحدا من ولى (ولكن متعتهم وآباءهم)
ـ ل والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب (حتى نسوا الذكر)أى ذكر الله والايمان
به والقرآن والشرائع (وكانوا) عند الله (قوما بورا) أى هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة (فقد كذبوكم) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونظيرها ياأهل الكتاب قدجاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الى قوله فقدجاءكم بشيرونذير وقول القائل

قالوا خراسان أقصى مايراد بنا ۞ ثم القفول فقدجئنا خراسانا

(بما تقولون) بقولكم فيهم انهم آلهة والباء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل
ـ ضمير كأنه قيل فقدكذبوا بماتقولون وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ
ـ نك من أولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم

ـالوا سبحانك﴾ تعجبا مماقيل لهم لانهم امام لائكة أوانبياء معصومون أوجمادات لاتقدر
شئ أواشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده أوتنزيها لله
الانداد﴿ما كان ينبغي لنا﴾ ما كان يصح لنا﴿ان نتخذ من دونك من اولياء﴾ للعصمة أولعدم
ـدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ ان نتخذ على البناء للمفعول
اتخذ الذى له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى
اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفى ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾
ـاع النعم فاستغرقوا فى الشهوات﴿حتى نسوا الذكر﴾ حتى غفلوا عن ذكرك أوالتذكر
لآئك والتدبر فى آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى
ـعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ماذهبنا اليه فلا ينهض حجة علينا للمعتزلة ﴿وكانوا﴾
ـضائك ﴿قوما بورا﴾ هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع
ـجمع بائر كعائذ وعوذ﴿فقد كذبوكم﴾ التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف
ـول والمعنى فقد كذبكم المعبودون ﴿بما تقولون﴾ فى قولكم انهم آلهة أو هؤلاء اضلونا
ـباء بمعنى فى أومع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك

ـالوا﴾ يعنى المعبودين ﴿سبحانك﴾ نزهوا الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة ﴿ما كان
ـنى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ يعنى ما كان ينبغي لنا أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا
ـ دونهم وقيل معناه ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك ﴿ولكن
ـتهم وآباءهم﴾ أى بطول العمر والصحة والنعمة فى الدنيا ﴿حتى نسوا الذكر﴾ معناه
ـكوا المواعظ والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه ﴿وكانوا قوما بورا﴾
ـاه هلكى أى غلب عليهم الشقاء والخذلان ﴿فقد كذبوكم﴾ هذا خطاب مع المشركين
ـ كذبكم المعبودون ﴿بما تقولون﴾ أى انهم آلهة

ـو أنفسهم (قالوا) يعنى الاصنام (سبحانك) نزهوه (ما كان ينبغي لنا) يستحق لنا (أن نتخذ) نعبد (من دونك من اولياء) أربابا
ـ قالوا يعنى الملائكة سبحانك نزهوه ما كان ينبغي لنا لا يجوز لنا أن نتخذ نعبد من دونك من أولياء أربابا فكيف جاز لنا أن نأمرهم
ـن يعبدونا (ولكن متعتهم) أجلتهم فى الكفر (وآباءهم) قبلهم (حتى نسوا الذكر) حتى تركوا التوحيد وطاعتك (وكانوا
ـ بورا) هلكى فاسدة القلوب فيقول الله لعبدة الاصنام (فقد كذبوكم بما تقولون

(خالدين) حال من الضمير فى يشاؤن والضمير فى (كان) لما يشاؤن (على ربك وعدا) اى موعودا (مسئولا) مطلوبا أو ان يسأل أو قد سئله المؤمنون والملائكة فى دعواتهم ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم (ويوم نحشرهم) للبعث

الجمهور بالياء مكي ويزيد ويعقوب وحفص (وما يعبدون من دون الله) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبى يعنى الاصنام ينطقها الله وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لانهم أريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم (فيقول) وبالنون شامى (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) والقياس ضلوا عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه فى هداه الطريق والاصل الى الطريق أو للطريق وضل مطاوع أضله والمعنى أأنتم أوقعتموهم فى الضلال عن طريق الحق بادخال الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وانما لم يقل أأضللتم عبادى هؤلاء أم ضلوا السبيل وزيد انتم وهم لان السؤال ليس عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلابد ذكرهم وايلائه حرف الاستفهام ليعلم أنه المسؤل عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسؤل عنه ان يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فتزيد (قا

على كل المرادات لا تحصل الا فى الجنة ﴿ خالدين ﴾ حال من احد ضمائرهم ﴿ كان على ربك وعدا مسئولا ﴾ الضمير فى كان لما يشاؤن والوعد الموعود أى كان ذلك موعودا حقيقا بان يسئل ويطلب او مسئولا سأله الناس فى دعائهم ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم وما فى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ﴿ ويوم نحشرهم ﴾ للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء ﴿ وما يعبدون من دون الله ﴾ يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف أو لانه اريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم أو لتغليب الاصنام تحقيرا أو اعتبارا لغلبة عبادها أو يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب أو الاصنام ينطقها الله أو تتكلم بلسان الحال كما قيل كلام الايدى والارجل ﴿ فيقول ﴾ اى للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون ﴿ أأنتم اضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾ لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله أأضللتم عباد أم ضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه لا لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضلوا للمبالغة

لا يحصل فى الجنة كان يشتهى الولد ونحوه وليس هو فى الجنة ❊ قلت ان الله يزيل ذلك الخاطر عن أهل الجنة بل كل واحد من أهل الجنة مشتغل بما هو فيه من لذاته الشاغلة عن الالتفات الى غيره ﴿ خالدين ﴾ أى فى نعيم الجنة ومن تمام النعيم أن يكون دائما اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وأنشد فى المعنى

أشد الغم عندى فى سرور ❊ تيقن عنه صاحبه انتقالا

﴿ كان على ربك وعدا مسؤلا ﴾ أى مطلوبا وذلك ان المؤمنين سألوا ربهم فى الدنيا قالوا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقالوا ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك يقول كان اعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه فى الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ❊ قوله تعالى ﴿ ويوم نحشرهم ومايعبدون من دون الله ﴾ يعنى من الملائكة والانس والجن مثل عيسى وعزير وقيل يعنى الاصنام ثم يخاطبهم ﴿ فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾ أى أخطؤا الطريق

(خالدين) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون (كان على ربك وعدا مسؤلا) سئلوه فاعطاهم (ويوم) وهو يوم القيامة (نحشرهم) يعنى عبدة الاوثان (ومايعبدون من دون الله) من الاصنام (فيقول) الله للاصنام ويقال للـ
(أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء) عن طاعتى وأمرتموهم بعبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) تركوا الطريق وعبدوكم

(وا ألقوا منها) من النار (مكانا ضيقا) ضيقا مكى فان الكرب مع الضيق كان الروح مع السعة ولذا وصف الجنة بان
..السموات والارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح (مقرنين) أى وهم مع
..الضيق مسلسلون مقرنون فى السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم فى الاغلال أو يقرن مع كل كافر شيطانه فى سلسلة
..رجليهم الاصفاد (دعوا هنالك) حينئذ (ثبورا) هلاكا أى قالوا
واثبوراه أى تعال يا ثبوراه فهذا حينك فيقال لهم (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) أى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير (قل أذلك خير) أى المذكور من صفة النار خير (أم جنة الخلد التى وعد المتقون) أى وعدها فالراجع الى الموصول محذوف وانما قال أذلك خير ولا خير فى النار توبيخا للكفار (كانت لهم جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا وانما قيل كانت لان ما وعد الله كانه كان لتحققه أو كان ذلك مكتوبا فى اللوح قبل ان خلقهم (لهم فيها مايشاؤن) أى مايشاؤنه

..ف المضاف ﴿ واذا القوا منها مكانا ﴾ فى مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ﴿ ضيقا ﴾
..ادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة
..عرضها السموات والارض * وقرأ ابن كثير بسكون الراء ﴿ مقرنين ﴾ قرنت ايديهم الى
..اقهم بالسلاسل ﴿ دعوا هنالك ﴾ فى ذلك المكان ﴿ ثبورا ﴾ هلاكا أى يتمنون
..لاك وينادونه فيقولون ياثبوراه تعال فهذا حينك ﴿ لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ﴾
..ال لهم ذلك ﴿ وادعوا ثبورا كثيرا ﴾ لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور
..دته أو لانه يتجدد لقوله تعالى * كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
..ذاب أو لانه لاينقطع فهو فى كل وقت ثبور ﴿ قل أذلك خير أم جنة الخلد التى
..عد المتقون ﴾ الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم
..الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح
..الدلالة على خلودها أو التميز عن جنات الدنيا ﴿ كانت لهم ﴾ فى علم الله أو اللوح أو لان
..وعده الله فى تحققه كالواقع ﴿ جزاء ﴾ على اعمالهم بالوعد ﴿ ومصيرا ﴾ ينقلبون
..يه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من
..الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلتهم ﴿ لهم فيها مايشاؤن ﴾ مايشاؤنه من النعيم ولعله تقصر هم
..طائفة على مايليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لايدرك شيأ مما يدركه الكامل بالتشهى وفيه تنبيه

﴿ واذا ألقوا منها مكانا ضيقا ﴾ قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح ﴿ مقرنين ﴾
..ى مصفدين قد قرنت أيديهم الى أعناقهم فى الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين فى
..السلاسل ﴿ دعوا هنالك ثبورا ﴾ قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفى الحديث ان أول من
..كسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه
..وهو يقول ياثبوراه وهم ينادون ياثبورهم حتى يقفوا على النار فينادى ياثبوراه
..وهم ينادون ياثبورهم فيقال لهم ﴿ لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا
كثيرا ﴾ هكذا ذكره البغوى بغير سند وقيل معناه هلاككم أكثر من أن تدعوا
مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة * قوله عز وجل ﴿ قل أذلك خير ﴾ أى الذى
ذكرت من صفة النار وأهلها ﴿ أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم
جزاء ومصيرا ﴾ أى ثوابا ومرجعا لهم قال تعالى ﴿ لهم فيها مايشاؤن ﴾ أى
ان جميع المرادات لاتحصل الا فى الجنة لا فى غيرها * فان قلت قد يشتهى الانسان شيأ وهو

الحمار (واذا ألقوا منها) فى النار القوا (مكانا ضيقا) كضيق الزج فى الرمح (مقرنين) مسلسلين مع الشياطين (دعوا هنالك) عند ذلك التضييق
(ثبورا) ويلا يقولون واويلاه واثبوراه يقول الله لهم (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا) ويلا واحدا (وادعوا ثبورا كثيرا) عما
..بكم (قل) يا محمد لاهل مكة لابى جهل وأصحابه (أذلك) الذى ذكرت من الويل والثبور والسعير (خير أم جنة الخلد)
..دو أصحابه (التى وعد المتقون) الكفر والشرك والفواحش (كانت) صارت (لهم) جنة الخلد (جزاء ومصيرا) فى الآخرة
(لهم فيها) فى الجنة (مايشاؤن) ما يتمنون ويشتهون

أى تكاثر خيرالذى ان شاء وهب لك فى الدنيا خيرا مماقالوا وهو ان يجعل لك مثل ماوعدك فى الآخ
الجنات والقصور وجنات بدل من خيرا ويجعل بالرفع مكى وشامى وأبو

بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لاغائب مالى ولاحرم

ويجوز ان يكون استئنافا بوعد مايكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو ﴿ بل كذبوا بالساعة ﴾ فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هى بالمال فط فيك لفقرك أو فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة أو فكيف يلتفتون الى هذا الج ويصدقونك بما وعدالله لك فى الآخرة أو فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه ﴿ واع لمن كذب بالساعة سعيرا ﴾ نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صـ باعتبار المكان ﴿ اذا رأتهم ﴾ اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسـ لاتـتراأى ناراهما أى لا تتقارب بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على الـ والتأنيث لانه بمعنى النار أو جهنم ﴿ من مكان بعيد ﴾ وهو اقصى مايمكن ان يرى ﴿ سمعوا لها تغيظا وزفيرا ﴾ صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره و صوت يسمع من جوفه وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على

الشرط ذو رفع ماضيه جاز فى جزائه الجزم والرفع (بل كذبوا بالساعة) عطف على ماحكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة أو متصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ماوعدك فى الآخرة وهم لايؤمنون بها (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) وهيأنا للمكذبين بها نارا شديدة فى الاستعار (اذا رأتهم) أى النار أى قابلتهم (من مكان بعيد) أى اذا كانت منهم بمرأى الناظرين فى البعد (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) أى سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر أو اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار

ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك * عن عا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معى جبال مكة ذهبا جاءنى ان حجزته لتسارى الكعبة فقال يامحمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فأشار الى ان ضع نفسك فقلت نبيا ع قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ذكر هذين الحديثين البغوى بسنده * قوله تعالى ﴿ بل كذبوا بالساعة ﴾ أى القيامة ﴿ وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ﴾ أى مسعرة ﴿ اذا رأتهم من مكان بعيد ﴾ قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام قلت كيف تتصور الرؤية من النار وهو قوله اذا رأتهم قلت يجوز أن يخلق الله لها وعقلا ورؤية وقيل معناه رأتهم زبانيتها ﴿ سمعوا لها تغيظا ﴾ أى غليانا كالغضبان غلى صدره من الغضب ﴿ وزفيرا ﴾ أى صوتا فان قلت كيف يسمع التغيظ قلت معنا رأوا وعلموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

أى وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد وقال عبيد بن تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا خر لوجهه

وقد جعل لك قصورا فى الجنة من الذهب والفضة خيرا لك مما قالوا وكان ذلك فى الدنيا ويقال ان شاء الله يجعل لك فى الدنيا ماقالوا من القصور والبساتين يعنى يفتح لك الحصون والمدائن فى الشرق والغرب برغم الكفار (بل كذبوا بالساعة) ولكن كذبوا بقيام الساعة (واعتدنا لمن كذب بالساعة) بقيام الساعة (سعيرا) نارا وقودا (اذا رأتهم) النار (من مكان بعيد) من مسيرة خمسمائة عام (سمعوا لها) للنار (تغيظا) كتغيظ بنى آدم (وزفيرا) صوتا

..ذا (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) أى ان صح انه رسول الله
..أكل الطعام كما نأكل ويتردد فى الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل
..اش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح الى ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا فى الانذار والتخويف ثم نزلوا الى ان يكون
..دا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا الى ان يكون رجلا له بستان يأكل هو منه
..ير أو نأكل نحن كقراءة على وحمزة وحسن عطف المضارع وهو يلقى وتكون على أنزل و هو ماض لدخول
..ع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا بمعنى هلا

حكمه حكم الاستفهام وأراد بالظالمين فى قوله (وقال الظالمون) اياهم بأعيانهم غير انه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) سحر فجن أو ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك (انظر كيف ضربوا) بينوا (لك الامثال) الاشباه أى قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال من المفترى والمملى عليه والمسحور (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) فلا يجدون طريقا اليه (تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا)

..احد ﴿ لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ﴾ لنعلم صدقه بتصديق الملك ﴿ أو يلقى
..ه كنز ﴾ فيستظهر به ويستغنى عن تحصيل المعاش ﴿ أو تكون له جنة يأكل منها ﴾
..ذا على سبيل التنزل أى ان لم يلق اليه كنز فلا اقل من ان يكون له بستان
..للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه * وقرأ حمزة والكسائى بالنون والضمير للكفار
..وقال الظالمون ﴾ وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ﴿ ان تتبعون ﴾
..تبعون ﴿ الا رجلا مسحورا ﴾ سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة أى بشرا
..ملكا ﴿ انظر كيف ضربوا لك الامثال ﴾ أى قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك
..حوال النادرة ﴿ فضلوا ﴾ عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبى والمميز بينه
..بين المتنبى فخبطوا خبط عشواء ﴿ فلا يستطيعون سبيلا ﴾ الى القدح فى نبوتك أو الى
..شد والهدى ﴿ تبارك الذى ان شاء جعل لك ﴾ فى الدنيا ﴿ خيرا من ذلك ﴾ مما قالوه
..لكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى ﴿ جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ بدل من
..يرا ﴿ ويجعل لك قصورا ﴾ عطف على محل الجزاء * وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر

..لولا أنزل اليه ملك ﴾ أى يصدقه ويشهد له ﴿ فيكون معه نذيرا ﴾ أى داعيا ﴿ أو يلقى اليه
..نز ﴾ أى ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج الى التصرف فى طلب المعاش ﴿ أو تكون
..جنة ﴾ أى بستان ﴿ يأكل منها ﴾ أى هو فلا أقل من ذلك ان لم يكن له كنز
..وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾ أى مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق
..انظر ﴾ يا محمد ﴿ كيف ضربوا لك الامثال ﴾ أى الاشباه التى لا فائدة لها فقالوا
..حور محتاج ﴿ فضلوا ﴾ أى عن الحق ﴿ فلا يستطيعون سبيلا ﴾ الى الهدى ومخرجا
..ن الضلالة * قوله تعالى ﴿ تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك ﴾ أى من الذى
..وا وأفضل من البستان الذى ذكروا وقال ابن عباس يعنى خيرا من المشى فى الاسواق
..التماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال ﴿ جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك
..ورا ﴾ أى بيوتا مشيدة * عن أبى امامة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى

..(لولا) هلا (أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) معينا يخبره بما يراد به من سوء (أو يلقى اليه كنز) أو ينزل عليه مال فيستعين به
..كون له جنة) بستان (يأكل منها) فيشبع (وقال الظالمون) المشركون أبو جهل والنضر وأمية وأصحابهم (ان تتبعون)
..لا تتبعون (الا رجلا مسحورا) مغلوب العقل مجنونا (انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الامثال) كيف بينوا وسموا لك الاسماء
..وكاهن وكذاب وشاعر ومجنون ويقال كيف شبهوك بالمسحور (فضلوا) فضلت حيلهم فاخطؤا (فلا يستطيعون سبيلا)
..يا مما قالوا فيك ولا حجة على ما قالوا لك (تبارك) يقول تعالى (الذى ان شاء) قد شاء (جعل لك خيرا من ذلك) مما قالوا (جنات)
..ن فى الآخرة (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (ويجعل لك قصورا)

ردللكفرة فيرجع الضمير الى الكفار وجاء يستعمل فى معنى فعل فيعدى تعديتها وحذف الجار وأوصل الفعل أي
و زوروظلمهم ان جعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور
بنسبة ماهو برئ منه اليه (وقالوا أساطير الاولين) أى هو أحاديث المتقدمين وماسطروه كرستم وغيره جمع اسطار و
كاحدوثة (اكتتبها) كتبها لنفسه (فهى تملى عليه) أى تلقى عليه من كتابه (بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخره
ماتملى عليه ثم يتلوه علينا (قل) يامحمد (أنزله) أى القرآن
يعلم السر فى السموات والارض) أى يعلم كل سر خفى فى السموات والارض يعنى ان القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التى يستحيل عادة ان يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على انه من عند علام الغيوب (انه كان غفورا رحيما) فيمهلهم ولايعاجلهم بالعقوبة وان استوجبوها بمكابرتهم (وقالوا مال هذا الرسول) وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لاتغير وتسميتهم اياه بالرسول سخرية منهم كانهم قالوا أى شئ لهذا الزاعم انه رسول (يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق) حال والعامل

(وقالوا) يعنى النضر وأصحابه (أساطير الاولين) هذا القرآن أحاديث الاولين فى دهرهم وكذبهم (اكتتبها) استقرأها محمد صلى الله عليه
وسلم من جبر ويسار (فهى تملى عليه) تقرأ على محمد صلى الله عليه وسلم (بكرة وأصيلا) غدوة وعشيا (قل) لهم يامحمد (نولا
(أنزله) يعنى أنزل جبريل بالقرآن (الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا) لمن تاب منهم (رحيما) لمن
على التوبة (وقالوا) أبوجهل وأصحابه والنضر وأصحابه وأمية بن خلف وأصحابه (مال هذا الرسول) ماهذا الرسول (
الطعام) كمانأكل (ويمشى فى الاسواق) يتردد ويمشى فى الطريق كمانتردد

﴿ وقالوا اساطير الاولين ﴾ ماسطره المتقدمون ﴿ اكتتبها ﴾ كتبها لنفسه أو استكتبها وقر
على البناء للمفعول لانه امى واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فص
اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه ﴿ فهى تملى عليه بكرة
واصيلا ﴾ ليحفظها فانه امى لايقدر ان يكرر من الكتاب أو ليكتب ﴿ قل انزله الذى
يعلم السر فى السموات والارض ﴾ لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبا
عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لايعلمها الاعالم الاسرار فكيف تجعلونه اسا
الاولين ﴿ انه كان غفورا رحيما ﴾ فلذلك لايعجل فى عقوبتكم على ماتقولون مع
قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا ﴿ وقالوا مال هذا الرسول ﴾ ما
الذى يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم ﴿ يأكل الطعام ﴾ كمانأكل ﴿ ويمشى فى الاسواق
لطلب المعاش كما نمشى والمعنى ان صح دعواه فمابالـه لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمه
وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما
باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم

﴿ وقالوا أساطير الاولين اكتتبها ﴾ يعنى النضر بن الحرث كان يقول ان هذا القرآن لي
من الله وانما هو مماسطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها انتسخها
صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب ان تكتتب له لانه كان لايكتب ﴿ فه
تملى عليه ﴾ أى تقرأ عليه ليحفظها لانه لايكتب ﴿ بكرة وأصيلا ﴾ يعنى غد
وعشية قال الله تعالى ردا عليهم ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ أنزله ﴾ يعنى القرآن ﴿ الذى
السر ﴾ أى الغيب ﴿ فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما ﴾ أى لولا ذ
لعاجلهم بعذابه ﴿ وقالوا مال هذا الرسول ﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ يأ
الطعام ﴾ أى كما نأكل نحن ﴿ ويمشى فى الاسواق ﴾ أى يلتمس المعاش كما نـ
نحن واذا كان كذلك فمن أين له الفضل علينا ولا يجوز ان يمتازعنا بالنبوة وكا
يقولون له لست بملك لانك بشر مثلنا والملك لايأكل ولايملك لان الملك لايتسو
وأنت تتسوق وتبتذل وماقالوه فاسد لان أكله الطعام لكونه آدميا ولم يدع
ملك ومشيه فى الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته فى التوراة ولم يكن سخابا فى الاسو
وليس شئ من ذلك ينافى النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك

وفعال العباد (فقدره تقديرا) فهيأه لما يصلح له بلا خلل فيه كما انه خلق الانسان على هذا الشكل الذى تراه فقدره
ب والمصالح المنوطة به فى الدين والدنيا أو قدره للبقاء الى أمد معلوم (واتخذوا) الضمير للكافرين لاندراجهم
عالمين أولدلالة نذيرا عليهم لانهم المنذرون (من دونه آلهة) أى الاصنام (لايخلقون شيأ وهم يخلقون) أى
روا على عبادة من هو منفرد بالالوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة

نسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة ﴿ فقدره تقديرا ﴾ فقدره وهيأه
رادمنه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير
واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك أو فقدره للبقاء
اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون
ى واوجد كل شئ فقدره فى ايجاده حتى لايكون متفاوتا ﴿ واتخذوا من دونه آلهة ﴾
لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ فى الرد على المخالفين فيهما ﴿ لايخلقون
وهم يخلقون ﴾ لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ﴿ ولا يملكون ﴾ ولا يستطيعون
لانفسهم ضرا ﴾ دفع ضر ﴿ ولا نفعا ﴾ ولا جلب نفع ﴿ ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا
ورا ﴾ ولا يملكون اماتة احد ولا احياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية
لأنه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على
ث والجزاء ﴿ وقال الذين كفروا ان هذا الا افك ﴾ كذب مصروف عن وجهه
افتراه ﴾ اختلقه ﴿ واعانه عليه قوم آخرون ﴾ أى اليهود فانهم يلقون اليه اخبار
م وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق فى قوله انما يعلمه بشر
فقد جاؤا ظلما ﴾ بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا مستفا من اليهود ﴿ وزورا ﴾ بنسبة
و برئ منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته

ره تقديرا ﴾ أى سواه وهيأه لما يصلح له لاخلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل شئ تقديرا من
ل والرزق فجرت المقادير على ما خلق ٭ قوله تعالى ﴿ واتخذوا ﴾ يعنى عبدة الاوثان ﴿ من
آلهة ﴾ يعنى الاصنام ﴿ لايخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ﴾ أى
ضر ولا جر نفع ﴿ ولا يملكون موتا ﴾ أى اماتة ﴿ ولا حيوة ﴾ اى احياء ﴿ ولا نشورا ﴾
بعثا بعد الموت ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ يعنى النضر بن الحرث واصحابه ﴿ ان هذا ﴾
ماهذا القرآن ﴿ الا افك ﴾ أى كذب ﴿ افتراه ﴾ أى اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم
﴿ وأعانه عليه قوم آخرون ﴾ قيل هم اليهود وقيل عبيد بن الخضر الحبشى الكاهن
ل جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمدا
الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى ﴿ فقد جاؤا ﴾ يعنى قائلى هذه المقالة ﴿ ظلما
ورا ﴾ أى بظلم وزور وهو تسميتهم كلام الله تعالى بالافك والافتراء

لايقدرون على خلق شئ وهم يخلقون (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) ولا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها (ولا يملكون موتا) اماتة (ولا حيوة) أى احياء (ولا نشورا) احياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها (وقال الذين كفروا ان هذا) ماهذا القرآن (الا افك) كذب (افتراه) اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه (وأعانه عليه قوم آخرون) أى اليهود وعداس ويسار وأبو فكيهة الرومى قاله النضر ابن الحرث (فقد جاؤا ظلما وزورا) هذا اخبار من الله

(فقدره تقديرا) فقدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم بالتقدير ويقال قدر لكل ذكر أنثى (واتخذوا) كفار مكة أبو جهل وأصحابه (من دونه) من دون الله(آلهة) يعبدونها (لايخلقون شيأ) لايقدرون

واشيأ(وهم يخلقون) (تاو ل ٤٥ بع) وهى مخلوقة منحوتة يعنى الاصنام (ولا يملكون لانفسهم) يعنى الاصنام
دفع الضرر (ولا نفعا) جر النفع الى أنفسهم ولا الى غيرهم (ولا يملكون موتا) لايقدرون أن ينقصوا من الحياة (ولا حيوة)
يزيدوا فى الحياة ويقال ولا يملكون موتا لايقدرون ان يخلقوا نطفة ولا حياة ولا ان يجعلوا فيها الروح (ولا نشورا) بعثا
ت (وقال الذين كفروا) كفار مكة (ان هذا) ماهذا القرآن (الا افك) كذب (افتراه) اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من
سه (وأعانه عليه) على اختلاقه (قوم آخرون) جبر ويسار وأبو فكيهة الرومى (فقد جاؤا ظلما) شركا (وزورا) كذبا

(تبارك) تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر وتزايد عن كل شئ و
عنه في صفاته وأفعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الا لله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب (الذي نزل الفرقان) هو
فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام أو لانه لم ينزل جملة
مفرقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال ألا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلنا
(على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (ليكون) العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والانس وعموم الرسالة من خ
عليه الصلاة والسلام (نذيرا) منذرا أي مخوفا أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار وم

تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذي) رفع على انه خبر مبتدأ محذوف أو على الابدال من الذي نزل وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به أو نصب على المدح (له ملك السموات والارض) على الخلوص (ولم يتخذ ولدا) كما زعم اليهود والنصارى في عزير والمسيح عليهما السلام (ولم يكن له شريك في الملك) كما زعمت الثنوية (وخلق كل شئ) أي أحدث كل شئ وحده لا كما تقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان واهرمن ولا شبهة فيه لمن يقول ان الله شئ ويقول بخلق القرآن لان الفاعل بجميع صفاته لا يكون

﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾ تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تز
على كل شئ وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه
انزاله الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على ا
ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مص
فرق بين الشيئين اذ فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره أو ب
المحق والمبطل باعجازه أو لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده و
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كقوله لقد انزلنا اليكم آيات او الانبياء على ان الفرقان ا
جنس للكتب السماوية ﴿ليكون﴾ العبد او الفرقان ﴿للعالمين﴾ للجن والانس ﴿نذيرا﴾ م
أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجر
المعلوم وجعلت صلة ﴿الذي له ملك السموات والارض﴾ بدل من الاول او مدح مرفو
او منصوب ﴿ولم يتخذ ولدا﴾ كزعم النصارى ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ كقو
الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل ع
فقال ﴿وخلق كل شئ﴾ احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلق

* قوله عز وجل ﴿تبارك﴾ تفاعل من البركة قيل معناه جاء بكل بركة وخير وقي
معناه تعظم ﴿الذي نزل الفرقان﴾ أي القرآن سماه فرقانا لانه فرق به بين الحـ
والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفرقا في أوقات كثيرة ولهذا قال نز
بالتشديد لتكثير التفريق ﴿على عبده﴾ يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ليكو
للعالمين﴾ أي للانس والجن ﴿نذيرا﴾ قيل هو القرآن وقيل النذير هو محمد ص
الله عليه وسلم ﴿الذي له ملك السموات والارض﴾ أي هو المتصرف فيهما كيف
يشاء ﴿ولم يتخذ ولدا﴾ أي هو الفرد في وحدانيته وفيه رد على النصارى ﴿ولم يكن
شريك في الملك﴾ أي هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الثنوية وعباد الاصنام ﴿وخ
كل شئ﴾ مما تطلق عليه صفة المخلوق

مفعولا له على ان لفظ شئ اختص بما يصح ان يخلق بقرينة وخلق وهذا أوضح دليل لنا على المعتزلة في ﴿ فقدر

قوله تعالى (تبارك) يقول ذو بركة ويقال تبارك تعالى وارتفع وتبرأ عن الولد والشريك (الذي نزل الفرقان) نزل به
بالقرآن (على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ليكون) محمد صلى الله عليه وسلم (للعالمين) الجن والانس (نذيرا) رسو
بالقرآن (الذي له ملك) خزائن (السموات) المطر (والارض) النبات (ولم يتخذ ولدا) كما قالت اليهود والنصارى (و
شريك في الملك) كما قال مشركو العرب فيماريه (وخلق كل شئ) عبدوه وغير ما عبدوه

تصيبهم فتنة) محنة فى الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسليط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو اسباغ
ستدراجا (أو يصيبهم عذاب أليم) فى الآخرة والآية تدل على أن الامر للايجاب (ألا ان لله مافى السموات والارض)
يه على ان لايخالفوا أمر من له مافى السموات والارض (قد يعلم ما أنتم عليه) أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه
لمخالفة عن الذين ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد والمعنى ان جميع مافى السموات والارض مختص به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجهدون فى سترها (ويوم يرجعون اليه) وبفتح الياء وكسر الجيم يعقوب أى ويعلم يوم يردون الى جزائه وهو يوم القيامة والخطاب والغيبة فى قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين (فينبئهم) يوم القيامة (بما عملوا) بما أبطنوا من سوء اعمالهم ويجازيهم حق جزائهم (والله بكل شى عليم) فلا يخفى عليه خافية وروى ابن ان عباس رضى الله عنهما قرأ سورة النور على المنبر فى الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لاسلمت والله أعلم

﴿ سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ن خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف
نه والضمير لله تعالى فان الامر له فى الحقيقة أو للرسول فانه المقصود بالذكر ﴿ ان تصيبهم
نة ﴾ محنة فى الدنيا ﴿ أو يصيبهم عذاب اليم ﴾ فى الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب
نه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل
لى حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب ﴿ ألا ان لله مافى السموات
الارض قد يعلم ما انتم عليه ﴾ ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص
انما اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد ﴿ ويوم يرجعون اليه ﴾ يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء
يجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات وقرأ يعقوب بفتح
ياء وكسر الجيم ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه ﴿ والله بكل
ى ء عليم ﴾ لا يخفى عليه خافية * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطى
ن الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

﴿ سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ان تصيبهم فتنه ﴾ أى لئلا تصيبهم فتنة أى بلاء فى الدنيا ﴿ أو يصيبهم عذاب أليم ﴾
ى وجيع فى الآخرة ثم عظم الله نفسه فقال تعالى ﴿ ألا ان لله مافى السموات والارض ﴾
ى ملكا وعبيدا ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ أى من الايمان والنفاق ﴿ ويوم يرجعون اليه ﴾
ى يوم القيامة ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ أى من الخير والشر ﴿ والله بكل شىء عليم ﴾ عن
ئشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتنزلوا النساء الغرف
لاتعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله بن السبع
صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة الفرقان وهى مكية وسبع وسبعون آية وثمانمائة ﴾
﴿ واثنتان وتسعون كلمة وثلاثة الاف وسبمائة وثلاثون حرفا ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

صيبهم فتنة) بلية (أو يصيبهم عذاب أليم) بالضرب (الا ان لله مافى السموات والارض) من الخلق (قد يعلم) أى يعلم الله (ما أنتم
) من الكفر والايمان والتصديق والتكذيب والاخلاص والنفاق والاستقامة والميل وغير ذلك (ويوم يرجعون اليه)
ى وهو يوم القيامة (فينبئهم) يخبرهم الله (بما عملوا) فى الدنيا (والله بكل شىء) من أعمالهم (عليم) ﴿ ومن السورة التى يذكر
رقان وهى كلها مكية آياتها سبع وتسعون آية وكلماتها ثلاثمائة واثنتان وتسعون وحروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث
ون ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى

(واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الافضل ان لا يستأذن قالوا وينبغي أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يتفرقون عنهم الا باذن قيل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون الى منازلهم من غير استئذان (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا وينده باسمه الذي سماه به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض (قد يعلم الله الذين يتسللون) يخرجون قليلا قليلا (منكم لواذا) حال أي ملاوذين اللواذ والملاوذة هو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا أي ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه والضمير في أمره لله سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول يحذر

المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا ﴿ واستغفر لهم الله ﴾ بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ﴿ ان الله غفور ﴾ لفرطات العباد ﴿ رحيم ﴾ بالتيسير عليهم ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته عليه السلام واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت أو لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب أو لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب ﴿ قد يعلم الله الذين يتسللون منكم ﴾ ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل ﴿ لواذا ﴾ ملاوذة بان يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج أو يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كأنه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن امره ﴾ يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين

﴿ واستغفر لهم الله ﴾ أي ان رأيت لهم عذرا في الخروج عن الجماعة ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ قوله عز وجل ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه وقولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع ﴿ قد يعلم الله الذين يتسللون ﴾ أي يخرجون ﴿ منكم لواذا ﴾ أي يستتر بعضهم ببعض ويروغ في خفية فيذهب قيل كانوا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقال ابن عباس لواذا أي يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقوله قد يعلم فيه التهديد بالمجازاة ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ أي يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه

المخلصين (واستغفر لهم الله) فيما ذهبوا (ان الله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) أي لا تدعوا الرسول باسمه يا محمد (كدعاء بعضكم بعضا) باسمه ولكن عظموه ووقروه وشرفوه وقولوا له يا نبي الله ويا رسول الله ويا أبا القاسم (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) يخرجون منكم من المسجد (لواذا) يلوذ بعضكم بعضا وكان المنافقون اذا خرجوا من المسجد خرجوا بغير اذن اذا لم يرهم أحد (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال عن أمر الله

(كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) لكى تعقلوا وتفهموا (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا [معه ع]لى أمر جامع) أى الذى يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير فى الحرب وكل اجتماع فى الله حتى الجمعة والعيدين (لم يذهبوا [حتى] يستأذنوه) أى ويأذن لهم ولما أراد الله عز وجل ان يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله [عليه] وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث عاده على أسلوب آخر وهو قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) وضمنه شيأ آخر وهو انه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا (فاذا استأذنوك) فى الانصراف (لبعض شأنهم) أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام

﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾ كرره ثالثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ اى الحق والخير فى الامور ﴿ انما المؤمنون ﴾ أى الكاملون فى الايمان ﴿ الذين [آم]نوا بالله ورسوله ﴾ من صميم قلوبهم ﴿ واذا كانوا معه على امر جامع ﴾ كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع ﴿ لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴾ يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته المميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس الرسول عليه السلام بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ﴿ ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ﴾ فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لامحالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك ﴿ فاذا استأذنوك لبعض شأنهم ﴾ مايعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر ﴿ فأذن لمن شئت منهم ﴾ تفويض للامر الى رأى الرسول عليه الصلاة والسلام واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رأيه عليه الصلاة السلام ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه فكان

والاجر ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ أى عن الله أمره ونهيه وآدابه * قوله عز وجل ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه ﴾ أى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ على أمر جامع ﴾ أى يجمعهم من حرب أو صلاة حضرت أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور فى امر نزل ﴿ لم يذهبوا ﴾ أى لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له ﴿ حتى يستاذنوه ﴾ قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لايخالفونه ولايرجعون عنه الا بالاذن واذا استأذن الامام ان شاء أذن له وان شاء لم يأذن وهذا اذا لم يكن حدث سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بان يكونوا فى المسجد فتحيض امرأة منهم أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان ﴿ ان الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا أستاذنوك لبعض شأنهم ﴾ أى أمرهم ﴿ فأذن لم شئت منهم ﴾ أى فى الانصراف والمعنى ان شئت فاذن وانت شئت فلا تأذن

(كذلك) هكذا (يبين الله لكم الآيات) الامر والنهى كما بين هذا (لعلكم تعقلون) لكى تعقلوا ماأمرتم به (انما المؤمنون) المصدقون فى ايمانهم (الذين آمنوا بالله ورسوله) فى السر والعلانية (واذا كانوا معه) مع النبى صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) فى يوم الجمعة أو فى غزوة (لم يذهبوا) لم يخرجوا من المسجد ولم [ي]رجعوا من الغزو (حتى يستأذنوه) يعنى حتى يستأذنوا النبى صلى الله عليه وسلم (ان الذين يستأذنونك) يامحمد بالرجوع عن غزوة [ت]بوك وكان ذلك عمر بن الخطاب استأذن النبى صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى المدينة لعلة كانت به (أولئك الذين يؤمنون بالله و]رسوله) فى السر والعلانية (فاذا استأذنوك) يامحمد المخلصون (لبعض شأنهم) حاجتهم (فأذن لمن شئت منهم) من

فلايؤكل الابأذن (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا) مجتمعين (أو أشتاتا) متفرقين جمع شت نزلت فى بنى ليث

وكانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل

من يؤاكله أكل ضرورة أو فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لايأكلون الامع ضيفهم أو تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس فى الاكل وزيادة بعضهم على بعض (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا (فسلموا على أنفسكم) أى فابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة أو بيوتا فارغة أو مسجدا فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية) نصب بسلموا لانها فى معنى تسليما نحو قعدت جلوسا (من عند الله) أى ثابتة بامره مشروعة من لدنه أولان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله (مباركة طيبة) وصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق

وكانا صديقين (ليس عليكم جناح) مأثم (أن تأكلوا جميعا) مجتمعين بالعدل والانصاف (أو أشتاتا) متفرقين ودخل فى هذه

الآية الاعمى والاعرج والمريض وغيرذلك (فاذا دخلتم بيوتا) يعنى بيوتكم أو المساجد وليس فيها أحد (وا...

(فسلموا على أنفسكم) فقولوا السلام علينا من ربنا (تحية من عند الله) كرامة من الله لكم (مباركة) بالثواب (طيبة) بالمغفرة

واسربه وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضى صاحب
باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانهم يعتادون التبسط بينهم او كان ذلك فى اول الا
فنسخ فلااحتجاج للحنفية به على ان لاقطع بسرقة مال المحرم ﴿ ليس عليكم جنـ
تأكلوا جميعا أو اشتاتا ﴾ مجتمعين أو متفرقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة
يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لايأ
الامعه او فى قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع فى القزازة و ا
﴿ فاذا دخلتم بيوتا ﴾ من هذه البيوب ﴿ فسلموا على انفسكم ﴾ على اهلها الذين هم
دينا وقرابة ﴿ تحية من عند الله ﴾ ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان تكون
صلة للتحية فانه طلب الحياة وهى من عنده تعالى وانتصابها على المصدر لانها بمعنى ا
﴿ مباركة ﴾ لانها ترجى بها زيادة الخير والثواب ﴿ طيبة ﴾ يطيب بها نفس المستمع
انس رضى الله عنه انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتى فسلم عليه يطل
واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك فصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الا

طعامك بغير اذنك فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى انه ليس عليكم جناح أن تأ
من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتزودوا وتحملوا ﴿
عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ﴾ نزلت فى بنى ليث بن عمرو وهم حى من
كان الرجل منهم لايأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل و ا
بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلايشرب من ألبانها
يأتى من يشاربه فاذا أمسى ولم يجد احدا أكل وقال ابن عباس كان الغنى يدخل
الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول والله انى لاجنح أى ا
ان آكل معك وانا غنى وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقيل نزلت فى قوم من الا
كانوا لايأكلون اذا نزل بهم ضيف الامع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا كيف
جميعا أى مجتمعين أو أشتاتا أى متفرقين ﴿ فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم ﴾
ليسلم بعضكم على بعض هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن فى بـ
قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا
فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ور
وبركاته حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس اذا لم يكن فى البيت أحد فـ
السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل بـ
ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس فى قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انـ
قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴿ تحية من عند الله مـ
طيبة ﴾ قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب ههنا لما فيه من الـ

(لاعلى أنفسكم) اى حرج (ان تأكلوا من بيوتكم) أى بيوت أولادكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا
الاولاد فى الآية وقد قال عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لابيك أو بيوت أزواجكم لان الزوجين صارا كنفس
د صار بيت المرأة كبيت الزوج (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت
أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم او بيوت خالاتكم) لان الاذن من

هؤلاء ثابت دلالة (أوما ملكتم مفاتحه) جمع مفتح وهو مايفتح به الغلق قال ابن عباس رضى الله عنهما هو وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته له أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وأريد بملك المفاتح كونها فى يده وحفظه وقيل أريد به بيت عبده لان العبد ومافى يده لمولاه (أوصديقكم) يعنى أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وهو من يصدقك فى مودته وتصدقه فى مودتك وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ماشاء فاذا حضر مولاها فاخبرته أعتقها سرورا بذلك فاما الآن فقد غلب الشح على الناس

المريض حرج مأثم (ولاعلى أنفسكم) حرج مأثم (ان تأكلوا من بيوتكم) من بيوت أبنائكم بغير اذن بالعدل

رجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل ة ان لا يكون ذلك من طيب قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم ن صاحب البيت بأذن اوقرينة اوكان فى اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لاتدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفى للحرج عنهم فى القعود عن الجهاد وهو م ماقبله ولا مابعده ﴿ ولاعلى انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم ﴾ من البيوت التى فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله عليه السلام ان اطيب مايأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ﴿ أو بيوت آبائكم أو بيوت امهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت اعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت اخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتم مفاتحه ﴾ وهو مايكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة أو ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو مايفتح به وئ مفاتحه ﴿ أوصديقكم ﴾ أو بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط فى اموالهم

وله تعالى ﴿ ولاعلى أنفسكم ﴾ كلام مستأنف قيل لما نزلت ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحدنا أن يأكل عند أحد فانزل الله تعالى ولاعلى أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم ﴾ أى لاحرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم قيل أراد من أموال عيالكم وبيوت أزواجكم لان بيت المرأة كبيت الزوج وقيل أراد بيوت أولادكم ونسب بيوت الاولاد الى الآباء لما جاء فى الحديث أنت ومالك لابيك ﴿ أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت اعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتم مفاتحه ﴾ قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل يعنى بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفاتح الخزائن ويجوز أن يكون المفتاح الذى يفتح به واذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن يأكل الشئ اليسير وقيل ماملكتم مفاتحه أى ماخزنتموه عندكم وماملكتموه ﴿ أوصديقكم ﴾ والصديق هوالذى صدقك فى المودة قال ابن عباس نزلت فى الحرث بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت ان آكل من

ف (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم) من كل وجه (أو بيوت أخواتكم) من كل وجه (أو بيوت
) اخوة آبائكم (أو بيوت عماتكم) أخوات آبائكم (أو بيوت أخوالكم) اخوة أمهاتكم (أو بيوت خالاتكم)
ات أمهاتكم (أو ماملكتم مفاتحه) خزائن ماعندكم من المال يعنى العبيد والاماء (أو صديقكم) فى الخلطة نزل أو صديقكم
بن زيد والحرث بن عمار

(فليس عليهن جناح) إثم ودخلت الفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط بسبب الالف واللام (ان يضعن) في أ
(ثيابهن) أي الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار (غير) حال (متبرجات بزينة) أي غير مظهرات
يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك أي لا يقصدن بوضع
ولكن التخفيف وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه (وأن يستعففن) أي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتدأ خبره (خير لهن والله سميع) لما يعلمن (عليم) بما يقصدن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والمريض والاعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم ان يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة

﴿فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن﴾ أي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان ال
في القواعد بمعنى اللاتي اولوصفها به ﴿غير متبرجات بزينة﴾ غير مظهرات زينة مما أ
باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بار
لاغطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه
الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال ﴿ وان يستعففن خير لهن ﴾
الوضع لانه ابعد من التهمة ﴿والله سميع﴾ لمقالتهن للرجال ﴿عليم﴾ بمقصودهن ﴿لي
على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ نفى لما كا

﴿ فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ﴾ أي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلب
والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه ﴿غير متبرج
بزينة﴾ أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج هو أن تظ
المرأة من محاسنها ما يجب عليها أن تستره ﴿ وأن يستعففن ﴾ أي فلا يلقين الجلباب و
الرداء ﴿ خير لهن والله سميع عليم ﴾ * قوله عزوجل ﴿ ليس على الاعمى حرج
اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأك
أموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والعر
وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهانا الله عزوجل عن أكل الاموال بالباطل والاع
لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة ع
الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي من الطعام حقه فانزل الله هذه الآ
فعلى هذا التأويل يكون على بمعنى في أي ليس في الاعمى والمعنى ليس عليكم في مؤاك
الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهو
عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يتقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان الاعمى يقول ربما آ
اكثر من ذلك ويقول الاعرج والاعمى ربما أجلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل نزل
ترخيصا لهؤلاء في الاكل من بيوت من سماهم الله في باقي الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون
الرجل في طلب الطعام فاذا لم يكن عنده شئ ذهب بهم الى بيت أبيه أو بيت أمه أو بعض
من سمى الله تعالى فكان أهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير ب
فانزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى ويقولو
لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخ
وأصحابها غيب فانزل الله هذه الآية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف
عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله ﴿ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج﴾

(فليس عليهن) على العجائز (جناح) حرج (أن يضعن ثيابهن) من ثيابهن الرداء عند الغريب (غير متبرجات بزينة) من غير أن يتزين أن يظهرن ما عليهن من الزينة عند الغريب (وأن يستعففن) بالرداء عند الغريب (خير لهن من) أن
يضعنه (والله سميع) لمقالتهن (عليم) بأعمالهن ثم نزل حين تحرجوا من المؤاكلة مع بعضهم بعضا مخافة الظلم لما (وقول
أنزل قوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل بالظلم وخافوا من ذلك فرخص لهم المؤاكلة مع بعضهم بعض
(ليس على الاعمى حرج) يقول ليس على من أكل مع الاعمى حرج مأثم (ولا على الاعرج حرج) ليس على من أك
الاعرج حرج مأثم (ولا على المريض حرج) وليس على من أكل مع

إذا بلغ الاطفال منكم) أى الاحرار دون المماليك (الحلم) أى الاحتلام أى اذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم
يستأذنوا) فى جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا
فى قوله ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا الآية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم فى الدخول
إلا فى العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن
وجب ان يفطموا عن تلك
العادة ويحملوا على ان يستأذنوا
فى جميع الاوقات كالرجال
الكبار الذين لم يعتادوا الدخول
عليكم الا باذن والناس عن
هذا غافلون وعن ابن عباس
رضى الله عنهما ثلاث آيات
جحدهن الناس الاذن كله
وقوله ان أكرمكم عند الله
أتقاكم واذا حضر القسمة
وعن سعيد بن جبير يقولون
هى منسوخة والله ماهى
بمنسوخة وقوله (كذلك
يبين الله لكم آياته والله عليم)
فيما يبين من الاحكام (حكيم)
بمصالح الانام (والقواعد)
جمع قاعد لانها من الصفات
المختصة بالنساء كالطالق
والحائض أى اللاتى
قعدن عن الحيض
والولد لكبرهن (من النساء)
حال (اللاتى لايرجون
نكاحا) يطعن فيه وهى
فى محل الرفع صفة للمبتدأ
وهى القواعد والخبر

﴿ اذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين قبلهم ﴾ من الذين بلغوا من قبلهم
فى الاوقات كلها واستدل به من أوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد
بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم ﴿ كذلك يبين الله لكم
آياته والله عليم حكيم ﴾ كرره تأكيدا ومبالغة فى الامر بالاستئذان ﴿ والقواعد من النساء ﴾
العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل ﴿ اللاتى لايرجون نكاحا ﴾ لايطمعن فيه لكبرهن

فقيل انها منسوخة حكى ذلك عن سعيد بن المسيب روى عكرمة أن نفرا من أهل العراق
قالوا يا ابن العباس كيف ترى فى هذه الآية التى أمرنا بها ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس ان الله حليم
رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم
أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله فامرهم الله تعالى بالاستئذان فى تلك العورات
فجاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد أخرجه أبو داود وفى رواية عنه
... وزاد فرأى ان ذلك أغنى عن الاستئذان فى تلك العورات وذهب قوم الى انها
غير منسوخة روى سفيان عن موسى ابن أبى عائشة قال سألت الشعبى عن هذه الآية ليستأذنكم
الذين ملكت أيمانكم أمنسوخة هى قال لا والله قلت ان الناس لايعملون بها قال الله تعالى
المستعان وقال سعيد بن جبير فى هذه الآية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها
مما يتهاون به الناس قيل ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية وقوله ان أكرمكم
عند الله أتقاكم والناس يقولون أعظمكم بيتا واذا حضر القسمة أولو القربى الآية وقوله
عز وجل ﴿ واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ﴾ أى الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا
﴿ فليستأذنوا ﴾ أى يستأذنوا فى جميع الاوقات فى الدخول عليكم ﴿ كما استأذن الذين
من قبلهم ﴾ أى الاحرار الكبار ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته ﴾ أى دلالته وقيل أحكامه
﴿ والله عليم ﴾ أى بأمور خلقه ﴿ حكيم ﴾ بما دبر وشرع قال سعيد بن المسيب يستأذن
الرجل على أمه فانما أنزلت هذه الآية فى ذلك وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والدته
قال نعم ان لم تفعل رأيت منها ما تكره * قوله ﴿ والقواعد من النساء ﴾ يعنى اللاتى
قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن ﴿ اللاتى لايرجون نكاحا ﴾ أى
لايردن الازواج لكبرهن وقيل هن العجائز اللواتى اذا رآهن الرجال استقذروهن فاما
من كانت فيها بقية جمال وهى محل الشهوة فلا تدخل فى حكم هذه الآية

عليكم بالاستئذان للصبيان
الصغار فى العورات الثلاث
ثم ذكر الكبار دون الصغار

(واذا بلغ الاطفال منكم) من أحراركم (قاو خا ٥٣ بع) وعبيدكم (الحلم) الاحتلام (فليستأذنوا) عليكم فى كل حين
(كما استأذن الذين من قبلهم) من اخوانهم المذكورين (كذلك) هكذا (يبين الله لكم آياته) أمره ونهيه كما بين هذا (والله عليم)
بأحكم (حكيم) حكم على الكبار بالاستئذان فى كل حين (والقواعد من النساء) العجائز (اللاتى) يئسن من المحيض اللاتى
(لايرجون نكاحا) لايتزوجهن ولا يحتجن الى الزوج

(وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) وهي نصف النهار في القيظ لانها وقت وضع الثياب للقيلولة (ومن بعد صلوة العشاء)
وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم (ثلاث عورات لكم) أي هي أوقات ثلاث عورات فحذف ا
والمضاف وبالنصب كوفي غير حفص بدلا من ثلاث مرات أي أوقات ثلاث عورات وسمى كل واحد من هذه الاحـ
عورة لان الانسان [illegible] تستر [illegible] عورة الخلل ومنها الاعور المختل العين دخل غلام من الانصار يقال له مدلج بن عمرو على
رضي الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه وددت أن الله نهى عن الد
في هذه الساعات الا بالاذن فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية ثم عذرهم في ترك الاستئذان
هذه المرات بقوله (ليس {الجزء الثامن عشر} عليكم ولا عليهم جناح ﴿٤١٦﴾ بعدهن) أي لا اثم عليكم ولا على الذ
في الدخول بغير استئذان بعدهن ثم بين العلة في ترك الاستئذان في هذه الاوقات بقوله (طوافون عليكم) أي هم طوافون بحوائج البيت (بعضكم) مبتدأ خبره (على بعض) تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف لدلالة طوافون عليه ويجوز أن تكون الجملة بدلا من التي قبلها وأن تكون مبينة مؤكدة يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان في كل وقت لافضى الى الحرج وهو مدفوع في الشرع بالنص (كذلك يبين الله لكم الآيات) ى كما بين حكم الاستئذان يبين لكم غيره من الآيات التي احتجتم الى بيانها (والله عليم) بمصالح عباده (حكيم) في بيان

خبرا محذوف أي هي من قبل صلاة الفجر ﴿ وحين تضعون ثيابكم ﴾ لليقظ
للقيلولة ﴿ من الظهيرة ﴾ بيان للحين ﴿ ومن بعد صلوة العشاء ﴾ لانه وقت
التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ﴿ ثلاث عورات لكم ﴾ أي هي ثلاث
اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنه
اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرات
﴿ ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ﴾ بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان وليس فيه
ما ينافي آية الاستئذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار
البالغين ﴿ طوافون عليكم ﴾ أي هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص في ترك
الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين
الاوقات الثلاث وغيرها بانها عورات ﴿ بعضكم على بعض ﴾ بعضكم طائف على بعض
أو يطوف بعضكم على بعض ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك التبيين ﴿ يبين الله لكم الآيات ﴾ أي
الاحكام ﴿ والله عليم ﴾ باحوالكم ﴿ حكيم ﴾ فيما يشرع لكم

وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ﴾ أي وقت المقيل ﴿ ومن بعد صلوة العشاء ﴾
وانما خص هذه الثلاثة الاوقات لانها ساعات الخلوات ووضع الثياب فربما يبدو من الانسا
ما لا يجوز أن يراه أحد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستئذان في هذه الاوقات و
العبيد والصبيان يستأذن في جميع الاوقات ﴿ ثلاث عورات لكم ﴾ سميت هذه الاوقا
عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته ﴿ ليس عليكم ولا عليهم ﴾ يعني
العبيد والخدم والصبيان ﴿ جناح ﴾ أي حرج في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿ بعدهن
أي بعد هذه الاوقات الثلاثة ﴿ طوافون عليكم ﴾ أي العبيد والخدم يترددون ويدخلو
ويخرجون في أشغالكم بغير اذن ﴿ بعضكم على بعض ﴾ أي يطوف بعضكم على بعض
﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ﴾ اختلف العلماء في حكم هذه الآ

(وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) عند القيلولة الى ان تصلى صلاة الظهر (ومن بعد صلوة العشاء) الاخيرة (فقيل
الى حين طلوع الفجر (ثلاث عورات) ثلاث خلوات (لكم) ثم رخصهم بعد ذلك في الدخول عليهم بغير
فقال (ليس عليكم) على أرباب البيوت (ولا عليهم) على الابناء والخدام الصغار دون الكبار (جناح)
(بعدهن) بعد هذه الثلاث العورات (طوافون عليكم) للخدمة (بعضكم على بعض) يدخل بعضكم على بعض بغير اذن وأما
من العبيد والابناء فينبغي لهم أن يستأذنوا بالدخول على آبائهم ومماليكهم في كل حين (كذلك) هكذا (يبين
لكم الآيات) الامر والنهي كما بين الله هذا (والله عليم) أعلم بصلاحكم (حكيم) حكم

ن فائتين الله بأن لا يقدر عليهم فيها فالتاء خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا
معجزين وبالياء شامي وحمزة والفاعل النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره والمفعولان
الذين كفروا و معجزين
(ومأواهم النار) معطوف
على لا تحسبن الذين كفروا
معجزين كأنه قيل الذين
كفروا لا يفوتون الله
ومأواهم النار (ولبئس
المصير) أي المرجع النار
(ياايها الذين آمنوا ليستأذنكم
الذين ملكت أيمانكم)
أمر بأن يستأذن العبيد
والاماء (والذين لم يبلغوا
الحلم منكم) أي الاطفال
الذين لم يحتلموا من الاحرار
وقرئ بسكون اللام تخفيفا
(ثلاث مرات) في اليوم
والليلة وهي (من قبل
صلوة الفجر) لانه وقت
القيام من المضاجع وطرح
ما ينام فيه من الثياب ولبس
ثياب اليقظة

(ومأواهم) مصيرهم (النار)
في الآخرة (ولبئس المصير)
صاروا اليه مع الشياطين
نزلت هذه الآية في أبي جهل
وأصحابه ثم نزل حين قال عمر
رضي الله عنه وددت أن الله
نهى ابناءنا وخدمنا أن لا
يدخلوا علينا في العورات
الثلاث الا باذن فقال (ياأيها
الذين آمنوا) بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن (ليستأذنكم)
في الدخول عليكم (الذين
ملكت أيمانكم) العبيد الصغار
(والذين لم يبلغوا الحلم)
الاحلام (منكم) من أحراركم
(ثلاث مرات) في ثلاث ساعات (من قبل صلوة الفجر) من حين ينفجر الصبح الى حين تصلي صلاة الفجر

يعجز الله فيكون معجزين في الارض مفعوليه أو لا يحسبوهم معجزين فحذف المفعول
الاول لان الفاعل والمفعولين لشيء واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث ﴿ومأواهم النار﴾
عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأواهم النار لان المقصود
من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ﴿ولبئس المصير﴾ المأوى الذي يصيرون اليه
﴿ياايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم﴾ رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ
عن الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد
على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء
بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعوا عمر فدخل وهو نائم وقد
انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان
لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد
نزلت عليه هذه الآية ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ والصبيان الذين لم يبلغوا
من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ﴿ثلاث مرات﴾ في اليوم
والليلة مرة ﴿من قبل صلوة الفجر﴾ لانه وقت القيام من المضاجع وطرح
ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات أو الرفع

ومأواهم النار ولبئس المصير﴾ قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين
ملكت أيمانكم﴾ قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما
من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه
فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في
اسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فانزل الله
تعالى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم واللام لام الامر وفيه
قولان أحدهما انه على الندب والاستحباب والثاني انه على الوجوب وهو
الاولى الذين ملكت أيمانكم يعني العبيد والاماء ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾
من الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النساء بل المراد
الذين عرفوا أمر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيرهما
اتفق العلماء على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم فقال أبو حنيفة
لا يكون بالغا حتى يبلغ ثماني عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعي
وأبو يوسف ومحمد واحمد في الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكلفا وتجري عليه
الاحكام وان لم يحتلم ﴿ثلاث مرات﴾ أي ليستأذنوا في ثلاثة أوقات ﴿من قبل صلوة الفجر

(ومن كفر بعدذلك) أى بعد الوعد والمراد كفران النعمة كقوله

غير مشركين ﴿ومن كفر﴾ ومن ارتد أو كفر هذه النعمة ﴿بعدذلك﴾ بعد الوعد أوحصول الخلافة ﴿فاولئك هم الفاسقون﴾ الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات أوكفروا تلك النعمة العظيمة ﴿واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول﴾ فى سائر ماامرتم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكريرا الامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بها أوبالمندرجة هى فيه بقوله ﴿لعلكم ترحمون﴾ كما علق به النهى ﴿لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض﴾ لاتحسبن يامحمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفى الارض صلة معجزين وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على ان الضمير فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى كماهو فى القراءة بالتاء اوالذين كفروا فاعل والمعنى ولاتحسبن الكفار فى الارض احدا

عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا الخ وفى الآية دليل على صحة خلافة أبى بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان فى ايامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين ❊ عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة ابى بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة وعلى ست قال على قلت لحماد القائل لسعيد امسك سفينة قال نعم أخرجه أبو داود والترمذى بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله ان خلافة أبى بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة كما ذكر فى الحديث وخلافة على أربع سنين وتسعة أشهر وبهذا جاء فى بعض روايات الحديث وعلى كذا لم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الائمة الاربعة تسعة وعشرين سنة وستة أشهر وكملت ثلاثين سنة بخلافة الحسن كانت ستة اشهر ثم نزل عنها والله أعلم ❊ وقوله تعالى ﴿ومن كفر بعدذلك﴾ أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ أى العاصون قال أهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله مابهم وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا ❊ عن ابن أخى عبدالله بن سلام قال لما أريد قتل عثمان جاء عبدالله بن سلام فقال عثمان ماجاء بك قال جئت فى نصرك قال اخرج الى الناس فاطردهم عنى فانك خارجا خير لى منك داخلا فخرج عبدالله الى الناس فقال أيها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملائكة قد جاورتكم فى بلدكم هذا الذى نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله فى هذا الرجل ان تقتلوا فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودى واقتلوا عثمان أخرجه الترمذى زاد فى رواية غير الترمذى فما قتل نبى قط الاقتل به سبعون ألفا ولاخليفة الاقتل به خمسة وثلاثون ألفا ❊ قوله تعالى ﴿وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ أى افعلوا هذه الاشياء على رجاء الرحمة ﴿لاتحسبن الذين كفروا معجزين﴾ أى فائتين عنا ﴿فى الارض﴾

تعالى فكفرت بانعم الله (فاولئك هم الفاسقون) هم الكاملون فى فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها قالوا أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضى الله عنه فاقتتلوا بعدما كانوا اخوانا وزال عنهم الخوف والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلوة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولايضر الفصل وان طال (وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول) فيما يدعوكم اليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها (لعلكم ترحمون) أى لكى ترحموا فانها من مستجلبات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال (لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض)

(ومن كفر بعد ذلك) التمكين والتبديل (فأولئك هم الفاسقون) العاصون (وأقيموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وآتوا الزكوة) أعطوا زكاة أموالكم (وأطيعوا الرسول) فى الحكم (لعلكم ترحمون) لكى ترحموا فلاتعذبوا (لاتحسبن) يامحمد (الذين كفروا) كفار مكة (معجزين فى الارض) فائتين فى الارض من عذاب الله ﴿ و ﴾

دينهم الذى ارتضى لهم و ليبدلنهم)وليبدلنهم بالتخفيف مكى وأبو بكر (من بعد خوفهم أمنا) وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض و يجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببنى اسرائيل حين أورثهم مصر والشأم بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن دين المرتضى و هو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتعضيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل مايأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لاتغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة و ملكوا خزائنهم و استولوا على الدنيا والقسم المتلقى باللام والنون فى ليستخلفنهم محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله فى تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه أقسم الله ليستخلفنهم (يعبدوننى) ان جعلته استئنافا فلا محل له كانه قيل مالهم يستخلفون و يؤمنون فقال يعبدوننى موحدين ويجوز ان يكون حالا بدلا من الحال الاولى وان جعلته حالا عن وعدهم أى وعدهم الله ذلك فى حال عبادتهم فمحله النصب (لايشركون بى شيأ) حال من فاعل يعبدون أى يعبدوننى موحدين ويجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الاولى

دينهم الذى ارتضى لهم ﴾ وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت ﴿ وليبدلنهم من بعد خوفهم ﴾ من الاعداء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف ﴿ امنا ﴾ منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة بالاخبار عن الغيب على ماهو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذلم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة ﴿ يعبدوننى ﴾ حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن ﴿ لايشركون بى شيأ ﴾ حال من الواو أى يعبدوننى

دينهم الذى ارتضى ﴾ أى اختاره ﴿ لهم ﴾ قال ابن عباس يوسع لهم فى البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان ﴿ وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى ﴾ آمنين ﴿ لايشركون بى شيأ ﴾ فانجز الله وعده واظهر دينه ونصر أولياءه وأبدلهم بعد الخوف أمنا وبسطا فى الارض (خ) عن عدى بن حاتم قال بينا أنا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال ياعدى هل رأيت الحيرة قلت لم أرها ولقد أنبئت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف أحدا الا الله قلت فيما بينى و بين نفسى فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يارب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلايرى الا جهنم وينظر عن شماله فلايرى الا جهنم قال عدى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدى فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ماقال أبو القاسم صلى الله

(دينهم الذى ارتضى لهم) رضى واختار لهم (وليبدلنهم) بمكة (من بعد خوفهم) من العدو (أمنا) بعد هلاك عدوهم (يعبدوننى) لكى يعبدوننى بمكة (لايشركون بى شيأ)من الاوثان

مافى ضمائركم ولايخفى عليه شئ من سرائركم وانه فاضحكم لامحالة ومجازيكم على نفاقكم (قل أطيعوا الله وأطيعوا
صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريق الالتفات هو أبلغ فى تبكيتهم (فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم
... فى ... فما ضررتموه وانما ضررتم أنفسكم فان الرسول ليس عليه الاما حمله الله تعالى وكلفه من أداء
أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقى بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عر
لسخط الله وعذابه (وان تطيعوه تهتدوا) أى وان اطعتموه فيما يأمركم وينهاكم فقد أحرزتم نصيبكم
فالضرر فى توليكم والنفع

عائدان اليكم

(وماعلى الرسول الا البلا
وماعلى الرسول الا أن يبلغ ماله نفع فى قلوبكم ولاعليه ضرر فى توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات ثم ذكر المخلصين فقال (وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام ولمن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون ومن للتبعيض (ليستخلفنهم فى الارض) أى أرض الكفار وقيل أرض المدينة والصحيح انه عام لقوله عليه الصلاة والسلام ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل (كما استخلف) استخلف ابوبكر (الذين من قبلهم ليمكنن لهم

﴿قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول﴾ امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة فى
﴿فان تولوا فانما عليه﴾ أى على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ما حمل﴾ من التبليغ ﴿وعليكم
من الامتثال ﴿وان تطيعوه﴾ فى حكمه ﴿تهتدوا﴾ الى الحق ﴿ وماعلى الرسول ا
المبين﴾ التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما بقى ما حملتم فان اديتم فلكم وان تول
﴿وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
أوله ولمن معه ومن للبيان ﴿ ليستخلفنهم فى الارض﴾ ليجعلنهم خلفاء متصرفين فى
تصرف الملوك فى ممالكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليس
أو الوعد فى تحققه منزل منزلة القسم ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ يعنى بنى ا
استخلفهم فى مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ ابوبكر بضم التاء وكسر اللام واذا ا
الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدؤا كسروا الالف ﴿ وليمكنن لهم

﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ يعنى بقلوبكم وصدق نياتكم ﴿فان تولوا﴾ أى أ
عن طاعة الله ورسوله ﴿فانما عليه﴾ أى على الرسول ﴿ما حمل﴾ أى ما كلف وأمر به
الرسالة ﴿ وعليكم ما حملتم﴾ أى ما كلفتم من الاجابة والطاعة ﴿ وان تطيعوه ت
أى تصيبوا الحق والرشد فى طاعته ﴿ وماعلى الرسول الا البلاغ المبين﴾ أى التبليغ
البين ﴿ قوله عز وجل ﴿ وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخ
الارض﴾ قيل مكث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحى عشر سنين مع أصحابه و
بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهج
المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لايفارق أحد منهم سلاحه فقال ر
أما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الآية ومعنى ليستخلف
ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها ﴿ كم
الذين من قبلهم﴾ أى كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبياء وكم
بنى اسرائيل واهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم ﴿ وليمك

(قل) يامحمد لقوم عثمان (اطيعوا الله) فى الفرائض (وأطيعوا الرسول) فى السنن والحكم (فان تولوا) أعرضوا عن طاعتهما (فانما عليه ما حمل) ما أمر من التبليغ (وعليكم
ماحملتم) ما أمرتم من الاجابة (وان تطيعوه) تطيعوا الله فيما أمر (تهتدوا) من الضلالة (وماعلى الرسول الا البلاغ المبين
(وعدالله الذين آمنوا منكم) يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (ليستخلفنهم فى
بعضهم على اثر بعض (كما استخلف الذين من قبلهم) من بنى اسرائيل يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ويقال انزلهم
كما أنزلنا الذين من قبلهم من بنى اسرائيل أرضهم بعد هلاك عدوهم (وليمكنن لهم) ليظهرن لهم

) الفائزون (ومن يطع الله) فى فرائضه (ورسوله) فى سننه (ويخش الله) على مامضى من ذنوبه (ويتقه) (فاولئك هم الفائزون) وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وهى جامعة لاسباب تقه بسكون الهاء أبو عمرو وأبو بكر بنية الوقف وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلسة حفص وبكسر القاف والهاء (أقسموا بالله جهد ايمانهم) أى حلف المنافقون بالله جهد اليمين لأنهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستعار من اذا بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين ﴿ ٤١١ ﴾ أقسم يجهد اليمين جهدا {سورة النور} فحذف الفعل وقدم المصدر

ون ﴾ على عادته تعالى فى اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ماينبغى بعد انكاره وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى الحكم ﴿ ومن يطع الله ورسوله ﴾ فيما يأمرانه أو فى الفرائض والسنن ش الله ﴾ على ماصدر عنه من الذنوب ﴿ ويتقه ﴾ فيما بقى من عمره وقرأ يعقوب وقالون بالياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف ﴿ فاولئك هم الفائزون ﴾ بالنعيم المقيم ﴿ واقسموا بالله جهد ايمانهم ﴾ انكار عن حكمه ﴿ لئن امرتهم ﴾ بالخروج عن ديارهم واموالهم ﴿ ليخرجن ﴾ اقسموا على الحكاية ﴿ قل لا تقسموا ﴾ على الكذب ﴿ طاعة معروفة ﴾ اى المطلوب عة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة أو طاعة معروفة امثل منها أو لتكن قرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ﴿ ان الله خبير بما تعملون ﴾ فلا يخفى عليه سرائركم

هذه صفته ﴿ هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ﴾ قال ابن عباس فيما ساءه وسره ش الله ﴾ أى ماعمل من الذنوب ﴿ ويتقه ﴾ أى فيما بعد ﴿ فاولئك هم ن ﴾ أى الناجون ✽ قوله تعالى ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ قيل جهد أن يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيأ ﴿ لئن أمرتهم ليخرجن ﴾ وذلك ان المنافقين يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ت أقمنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله ى صلى الله عليه وسلم والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا لا نرضى بحكمك فقال الله تعالى ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ لا تقسموا ﴾ أى لا تحلفوا وتم ثم ابتدأ فقال ﴿ طاعة معروفة ﴾ أى هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد وهى معروفة أى امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون مالا تفعلون وقيل عة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل ﴿ ان الله بما تعملون ﴾ أى من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل

فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم (لئن أمرتهم ليخرجن) أى لئن أمرنا محمد بالخروج الى الغزو لغزونا أو بالخروج من ديارنا لخرجنا (قل لا تقسموا) لا تحلفوا كاذبين لانه معصية (طاعة معروفة) أمثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف أى الذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها (ان الله خبير بما تعملون) يعلم

هم المفلحون) الناجون من العذاب يعنى عثمان بن عفان ونزل فى عثمان أيضا لقوله والله لئن شئت يارسول الله لاخرجن من مالى كله (ومن يطع الله ورسوله) فى الحكم (ويخش الله) فيما مضى (ويتقه) فيما بقى (فأولئك هم الفائزون) بالجنة ونجوا من النار (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) حلف بالله عثمان جهد يمينه (لئن أمرتهم ليخرجن) من ماله كله يا محمد (لا تقسموا) لا تحلفوا (طاعة معروفة) هى طاعة معروفة حسنة ان فعلتم ولكن اطيعوا طاعة معروفة فى أوجبت عليكم (ان الله خبير بما تعملون) من الخير والشر

اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ من فريق منهم الاعراض نزلت فى بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصما
فجعل اليهودى يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا
(وان يكن لهم الحق) أى اذا كان الحق لهم على غيرهم (يأتوا اليه) الى الرسول (مذعنين) حال أى مسرعين
طلبا لحقهم لا رضا بحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا
والعدل البحت يمتنعون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم
لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ماوجب لهم فى ذمة الخصم (
مرض أم ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) قسم الامر فى صدودهم عن حكومته اذ
عليهم بان يكونوا مرضى أومرتابين فى أمر
خائفين الحيف فى قضائه
ثم أبطل خوفهم حيفة بقوله
(بل اولئك هم الظالمون)
أى لايخافون أن يحيف
عليهم لمعرفتهم بحاله وانما
هم ظالمون يريدون أن يظلموا
من له الحق عليهم وذلك شئ
لايستطيعونه فى مجلس
رسول الله عليه الصلاة
والسلام فمن ثم يأبون المحاكمة
اليه (انما كان قول المؤمنين)
وعن الحسن قول بالرفع
والنصب أقوى لان أولى
الاسمين ... كان
... فى ... و
ان يقولوا أوغل بخلاف قول
المؤمنين (اذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم) النبى عليه
الصلاة والسلام ليحكم
أى ليفعل الحكم (بينهم) بحكم الله الذى أنزل عليه (ان يقولوا سمعنا) قوله (وأطعنا) أمره (وأولئك

حكم الله تعالى ﴿اذا فريق منهم معرضون﴾ فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق
عليهم بانك لاتحكم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه ﴿وان يكن لهم الحق﴾ أى
لا عليهم ﴿يأتوا اليه مذعنين﴾ منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا أو
وتقديمه للاختصاص ﴿أفى قلوبهم مرض﴾ كفر أوميل الى الظلم ﴿أم ارتابوا﴾
رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك ﴿أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله﴾
فى الحكومة ﴿بل اولئك هم الظالمون﴾ اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم
ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم أو فى الحاكم والثانى اما ان يكون محققا عندهم أو
وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته صلى الله عليه وسلم تمنعه فتعين الاول و
بهم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى
﴿انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا

﴿اذا فريق منهم معرضون﴾ يعنى عن الحكم وقيل عن الاجابة ﴿وان يكن لهم الحق يأتوا
مذعنين﴾ أى مطيعين منقادين لحكمه أى اذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا الى حكمه
انه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا ﴿أفى قلوبهم مرض﴾ أى كفر ونفاق ﴿أم ارتابوا﴾
أى شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم
ورسوله﴾ أى يظلم ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ أى لانفسهم باعراضهم عن
﴿قوله عزوجل ﴿انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله﴾ أى الى كتاب
﴿ورسوله ليحكم بينهم﴾ هذا تعليم أدب الشرع على معنى ان المؤمنين كذا ينبغى
يكونوا وهو ﴿ان يقولوا سمعنا﴾ أى الدعاء ﴿وأطعنا﴾ أى بالاجابة ﴿وأولئك

الله بحكم الله (اذا فريق) طائفة (منهم معرضون) عن كتاب الله وحكم الرسول (وان يكن لهم) لقوم عثمان (الحق
(يأتوا اليه) الى النبى صلى الله عليه وسلم (مذعنين) مسرعين طائعين (أفى قلوبهم مرض) شك ونفاق (أم ارتابوا
شكوا بالله وبرسوله (أم يخافون) أيخافون (أن يحيف الله) يجور الله (عليهم ورسوله) فى الحكم (بل أولئك هم الظالمون)
الضارون لانفسهم وكانوا منافقين فى ايمانهم ثم ذكر قول المخلصين فقال (انما كان قول المؤمنين) المخلصين كقول
قال لعلى بل أجىء معك لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقضى بيننا رضيت به فمدحالله بذلك وقال انما كان قول
المخلصين (اذا دعوا الى الله) الى كتاب الله (ورسوله) وسنة رسوله (ليحكم) الرسول (بينهم) بكتاب الله بحكم الله
يقولوا سمعنا) أجبنا (وأطعنا) ما أمرنا (وأولئك

ان الله على كل شئ قدير) لا يتعذر عليه شئ (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء) بلطفه ومشيئته
صراط مستقيم) الى دين الاسلام الذى يوصل الى جنته والآيات لالزام حجته لما ذكر انزال الآيات ذكر بعدها
ق الناس الى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون
فرقة كذبت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون على هذا الترتيب وبدأ بالمنافقين فقال (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) بالسنتهم (وأطعنا)
الرسول (ثم يتولى) يعرض ﴿سورة النور﴾ ٢٠٩ عن الانقياد لحكم الله ورسوله (فريق منهم من بعد ذلك)

أى من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا (وما أولئك بالمؤمنين) أى المخلصين وهو اشارة الى القائلين آمنا واطعنا لا الى الفريق المتولى وحده وفيه اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لاعتقادهم ما يعتقد هؤلاء والاعراض وان كان من بعضهم فالرضا بالاعراض من كلهم (واذا دعوا الى الله ورسوله) أى الى رسول الله كقولك أعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد (ليحكم) الرسول (بينهم

والاعضاء والهيآت والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ فيفعل مايشاء ﴿لقد انزلنا آيات مبينات﴾ للحقائق بانواع الدلائل ﴿والله يهدى من يشاء﴾ بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها ﴿الى صراط مستقيم﴾ هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول﴾ نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبى عليه الصلاة والسلام وقيل فى مغيرة بن وائل خاصم عليا رضى الله عنه فى ارض فابى ان يحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿واطعنا﴾ أى واطعناهما ﴿ثم يتولى﴾ بالامتناع عن قبول حكمه ﴿فريق منهم من بعد ذلك﴾ بعد قولهم هذا ﴿وما اولئك بالمؤمنين﴾ اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى بان جميعهم آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم أو الى الفريق المتولى منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون فى الايمان أو الثابتون عليه ﴿واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ أى ليحكم النبى صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا أو المدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة

﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ أى هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل يخلق مايشاء كيف يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ يعنى القرآن هو المبين للهدى والاحكام والحلال والحرام ﴿والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم﴾ يعنى الى دين الاسلام الذى هو دين الله وطريقه الى رضاه وجنته ﴿قوله تعالى ﴿ويقولون﴾ يعنى المنافقين ﴿آمنا بالله وبالرسول وأطعنا﴾ أى يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ أى يعرض عن طاعة الله ورسوله ﴿من بعد ذلك﴾ أى من بعد قولهم آمنا ويدعوا الى غير حكم الله قال الله تعالى ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ نزلت هذه الآية فى بشر المنافق كان بينه وبين يهودى خصومة فى أرض فقال اليهودى نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف فانزل الله هذه الآية ﴿واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ أى الرسول بحكم بحكم الله بينهم

(ان الله على كل شئ قدير) من الخلق وغيره (لقد أنزلنا آيات مبينات) يقول أنزلنا جبريل بآيات مبينات بالامر والنهى (والله يهدى) يرشد الى دينه (من يشاء) ويكرم من كان أهلا لذلك (الى صراط مستقيم) دين قائم يرضاه وهو الاسلام ثم نزل فى شأن قوم عثمان بن عفان قالوا لعثمان لا تذهب مع على للقضاء (قا و خا ٥٢ بع) عند النبى صلى الله عليه وسلم فى خصومة فى قطعة أرض بينهما لانه يميل اليه فذمهم الله بذلك وقال (ويقولون) قوم عثمان بن عفان (آمنا بالله وبالرسول) صدقنا بالله وبالرسول (وأطعنا) ما أمرنا به (ثم يتولى فريق) طائفة (منهم) من قوم عثمان (من بعد ذلك) بعد ما قالوا هذه الكلمة عن حكم الله (وما أولئك بالمؤمنين) بالمصدقين فى ايمانهم (واذا دعوا الى الله) الى كتاب الله (ورسوله ليحكم) الرسول (بينهم) بكتاب

والارض ومايطير بينهما ودعاءهم له وتسخير السحاب الى آخر ماذكر فهي براهين لائحة على وجوده ودلائل واضحة على ...
لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا آخر فقال تعالى (والله خلق كل) خالق كل حمزة وعلي (دابة) كل حيوان يدب على وجه الا...
(من ماء) اى من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أومن ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة ...
هوام ومنها بهائم ومنها الناس وهو كقوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وهذا دليل على ا...
خالقا ومدبرا والا لم تختلف لاتفاق الاصل وانما عرف الماء في وجعلنا من الماء كل شئ حي لان المقصود ثمة ان أجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وانه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا ان أول ماخلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين فخلق من النار الجن ومن الريح الملائكة ومن الطين آدم ودواب الارض ولما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غلب المميز فاعطى ماوراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثمة قيل (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحية والحوت وسمى الزحف على البطن مشيا استعارة كما يقال في الامر المستمر قد مشى هذا الامر أو على طرائق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانسان والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالبهائم وقدم ماهو أعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أوغيرها ﴿ ان
ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع (يخلق الله مايشاء) كيف

وتنزهه عن الحاجة ومايفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة ﴿والله خلق كل دابة﴾ حيوان يدب على الارض ٭وقرأ حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة ﴿من ماء﴾ هو جزء مادته اوماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات مالايتولد عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة خلق ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحية وانما سمى الزحف مشيا على الاستعارة أوالمشاكلة ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالانس والطير ﴿ومنهم من يمشي على اربع﴾ كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذامشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ماهو اعرف في القدرة ﴿ يخلق الله مايشاء ﴾ مماذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور

والبصائر على قدرة الله وتوحيده ٭ قوله عز وجل ﴿ والله خلق كل دابة من ماء﴾ أى من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولاتدخل فيه الملائكة والجن لانا لانشاهدهم وقيل ان أصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم ﴿ فمنهم من يمشي على بطنه﴾ أى كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك ﴿ ومنهم من يمشي على رجلين ﴾ يعنى مثل بنى آدم والطير ﴿ ومنهم من يمشي على أربع ﴾ يعنى كالبهائم والسباع ٭فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة ٭قلت ذلك الخلق من غير نطفة لابد ان يكون من شئ وذلك الشئ أصله من الماء فكان من الماء ٭فان قلت فمنهم من يمشي ضمير العقلاء فلم استعمل في غير العقلاء ٭قلت ذكر الله تعالى مالايعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللائق بمن يعقل لان جعل الشريف أصلا والخسيس تبعا أولى ٭فان قلت لم قدم مايمشي على بطنه على غيره من المخلوقات ٭قلت قدم الاعجب والاعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشي وهى الارجل والقوائم ثم ذكر مايمشي على رجلين ثم مايمشي على أربع ٭فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع وفي الحيوانات مايمشي على أكثر من أربع كالعناكب والعقارب والرتيلاء ومالها أربع وأربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمادها على أربع في المشي ٭والباقي تبع لها ﴿ يخلق الله مايشاء ﴾ أى مما لايعقل ولا يعلم

في العين (والله خلق كل دابة) على وجه الارض (من ماء) من ماء الذكر والانثى (فمنهم من يمشي على بطنه) ا...
وأشباهها (ومنهم من يمشي على رجلين) الانسان وأشباهه (ومنهم من يمشي على أربع) الدواب (يخلق الله مايشاء) كما يشاء

نزله الله بعض تلك الجبال التى (فيها) فى السماء (من برد) للبيان أو الاوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل
د من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال أى بعض جبال فيها و معنى
من جبال فيها من برد أن يخلق الله فى السماء جبال برد كما خلق فى الارض جبال حجر أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان علك جبالا من ذهب (فيصيب به) بالبرد (من يشاء) ى يصيب الانسان وزرعه (و يصرفه عمن يشاء) فلا يصيبه أو يعذب من يشاء ويصرفه عمن يشاء فلا يعذبه (يكادسنا برقه) ضوئه (يذهب بالابصار) يخطفها يذهب يزيد على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) يصرفهما فى الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب (ان فى ذلك) فى ازجاء السحاب وانزال الودق والبرد وتقليب الليل والنهار (لعبرة لاولى الابصار) لذوى العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من فى السموات

فيها ﴾من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها أو جمودها ﴿من برد﴾ بيان للجبال والمفعول محذوف اى ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك لابد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله ﴿فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء﴾ والضمير للبرد ﴿يكاد سنا برقه﴾ ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال فى السين وبرقه بضم الباء وفتح الراء وهو جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع ﴿يذهب بالابصار﴾ بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال قدرته من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ بالمعاقبة بينهما أو بنقص احدهما وزيادة الآخر أو بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور أو بما يعم ذلك ﴿ان فى ذلك﴾ فيما تقدم ذكره ﴿لعبرة لاولى الابصار﴾ لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته

فيها من برد ﴾ قيل معناه وينزل من السماء من جبال من السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس أخبر الله ان فى السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال فى الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التى فى السماء والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد ﴿فيصيب به﴾ أى البرد ﴿من يشاء﴾ فيهلكه وأمواله ﴿و يصرفه عمن يشاء﴾ أى فلا يضره ﴿يكاد سنا برقه﴾ أى ضوء برق السحاب ﴿يذهب بالابصار﴾ أى من شدة ضوئه وبريقه ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ أى يصرفهما فى اختلافهما وتعاقبهما فيأتى بالليل ويذهب بالنهار ويأتى بالنهار ويذهب بالليل (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدائد أصابنا الدهر ويذمونه فى أشعارهم فقيل لهم لاتسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصرف تقع فيه التأثيرات كما تقع بكم * وقوله تعالى ﴿ان فى ذلك﴾ أى الذى ذكر من هذه الاشياء ﴿لعبرة لاولى الابصار﴾ أى دلالة لاهل العقول

فيها من برد) يقول ينزل من جبال فى السماء بردا (فيصيب به) فيعذب الله بالبرد (من يشاء) من كان أهلا لذلك (ويصرفه) يصرف عذابه (عمن يشاء يكادسنا برقه) ضوء برق
حاب (يذهب بالابصار) من شدة نوره (يقلب الله الليل والنهار) يذهب بالليل ويجئ بالنهار و يذهب بالنهار ويجئ بالليل فهذا
هما (ان فى ذلك) فيما ذكرت من تقليب الليل والنهار وغير ذلك (لعبرة) لعلامة (لاولى الابصار) فى الدنيا ويقال

يسبح له من في السموات والارض والطير)عطف على من(صافات)حال من الطير اى يصففن اجنحتهن في الهواء(كل قد
صلوته وتسبيحه الضمير في علم لكل أولله وكذا في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولم يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا
كما ألهمها اسرار العلوم الدقيقة ... يهتدون اليها (والله عليم بما يفعلون)

يسبح له من في السموات والارض ﴾ ينزه ذاته عن كل نقص و آفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء أوالملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال أودلالة حال ﴿ والطير ﴾ على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله ﴿ صافات ﴾ فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على وقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره ﴿ كل ﴾ كل واحد مما ذكر أومن الطير ﴿ قد علم صلوته وتسبيحه ﴾ أى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا أوطبعا لقوله تعالى ﴿ والله عليم بما يفعلون ﴾ أوعلم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله تعالى الطير دعاء وتسبيحا كما ألهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا تكاد تهتدى اليها العقلاء ﴿ ولله ملك السموات والارض ﴾ فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب ﴿ والى الله المصير ﴾ واليه مرجع الجميع ﴿ ألم تر ان الله يزجى سحابا ﴾ يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ﴿ ثم يؤلف بينه ﴾ بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز ﴿ ثم يجعله ركاما ﴾ متراكما بعضه فوق بعض ﴿ فترى الودق ﴾ المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله ﴿ وينزل من السماء ﴾ من الغمام وكل ما علاك فهو سماء ﴿ من جبال

يسبح له من في السموات والارض والطير صافات ﴾ أى باسطات اجنحتهن في الهواء قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والارض ﴿ كل قد علم صلاته وتسبيحه ﴾ قيل الصلوة لبنى آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل ان ضرب اجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه ﴿ والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض ﴾ أى ان جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعنه نشئت ومنه بدأت فهو واجد الوجود وقيل معناه ان خزائن المطر والرزق بيده ولا يملكها احد سواه ﴿ والى الله المصير ﴾ اى والى الله مرجع العباد بعد الموت قوله تعالى ﴿ ألم تر ان الله يزجى ﴾ أى يسوق ﴿ سحابا ﴾ بامره الى حيث يشاء من ارضه وبلاده ﴿ ثم يؤلف بينه ﴾ اى يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض ﴿ ثم يجعله ركاما ﴾ أى متراكما بعضه فوق بعض ﴿ فترى الودق ﴾ أى المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ أى من وسطه وهو مخارج القطر ﴿ وينزل من السماء من جبال

لا يعزب ... (والله ... السموات والارض) ... فيه ... (والى الله المصير) ... (ألم تر ان الله يزجى) يسوق الى حيث يريد (سحابا) جمع سحابة دليله (ثم يؤلف بينه) وتذكيره للفظ أى يضم بعضه الى بعض (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل (وينزل) وينزل مكى ومدنى وبصرى (من السماء) لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء (من جبال) من للتبعيض لان

يسبح له) يصلى لله (من في السموات) من الملائكة (والارض) من المؤمنين (والطير) ويسبح الطير (صافات) مفتوحات الاجنحة (كل) كل واحد منهم (قد علم صلوته) من يصلى له (وتسبيحه) من يسبح ويقال قد علم الله صلاة من يصلى وتسبيح من يسبح (و ... بما يفعلون) من الخير والشر

(ولله ملك) خزائن (السموات) المطر (والارض) النبات (والى الله المصير) المرجع بعد الموت (ألم تر) ألم تخبر ... في القرآن يا محمد (أن الله يزجى) يسوق (سحابا ثم يؤلف بينه) يضم بين السحاب (ثم يجعله ركاما) بعضه على بعض يقول يجعله ركاما ثم يؤلفه مقدم ومؤخر (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) ينزل من خلال السحاب (وينزل من السماء من جبال

(في بحر)أو هنا كاو في أو كصيب (لجي) عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر (يغشاه) يغشى البحر او من فيه أي يعلوه
وغطيه (موج) هو ما ارتفع من الماء (من فوقه موج) اى من فوق الموج موج آخر (من فوقه سحاب) من فوق الموج الاعلى سحاب
(ظلمات) أي هذه ظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (بعضها فوق بعض) ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج
الموج وظلمة السحاب على الموج (اذا أخرج يده) أي الواقع فيه (لم يكد يراها) مبالغة في لم يرها

وان كانت قبيحة فكالظلمات أو للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الآخرة ﴿في بحر لجي﴾ ذي لج أي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء ﴿يغشاه﴾ يغشى البحر ﴿موج من فوقه موج﴾ أي امواج مترادفة متراكمة ﴿من فوقه﴾ من فوق الموج الثاني ﴿سحاب﴾ غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ﴿ظلمات﴾ أي هذه ظلمات ﴿بعضها فوق بعض﴾ وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى أو باضافة السحاب اليها في رواية البزي ﴿اذا اخرج يده﴾ وهي أقرب ما يرى اليه ﴿لم يكد يراها﴾ لم يقرب ان يراها فضلا ان يرها كقوله ذي الرمة

اذا غير النأي المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ﴿ومن لم يجعل الله له نورا﴾ ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها ﴿فماله من نور﴾ بخلاف الموفق الذي له نور على نور ﴿ألم تر﴾ ألم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي أو الاستدلال ﴿ان الله

كظلمات وقيل معناه ان مثل اعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها كظلمات ﴿في بحر لجي﴾ أي عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه ﴿يغشاه﴾ أي يعلوه ﴿موج من فوقه موج﴾ أي متراكم ﴿من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض﴾ معناه ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الماء فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى ﴿اذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ أي لم يقرب ان يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها الا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد من أقرب شئ يراه الانسان قال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يتغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال ابي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة في النار ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور﴾ قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له قيل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح فلما جاء الاسلام كفر وعاند والاصح ان الآية عامة في حق جميع الكفار * قوله عز وجل ﴿ألم تر ان الله

أي لم يقرب ان يراها فضلا عن أن يراها شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيأ ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجد شيأ كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) من لم يهده الله لم يهتد عن الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان في الايقان (أن الله

في بحر لجي) يقال مثل النكرة في قلب الكافر كظلمة في بحر لجي في غمر عميق (يغشاه) يعلوه يعني البحر (موج من فوقه موج) آخر (من فوقه) من فوق الموج الثاني (سحاب)

كان قلب الكافر مثل النكرة في قلبه كظلمة البحر ومثل قلبه كالبحر اللجي ومثل صدره كالموج الهائل ومثل أعماله كسحاب لا ينتفع به بل الله ختم الله طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فهذه (ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها) من شدة الظلمة فكذلك الكافر لا يبصر الحق والهدى من شدة ظلمة قلبه (ومن لم يجعل الله له نورا) معرفة في الدنيا (فماله من نور) معرفة في الآخرة ويقال ومن لم يكرمه الله بالايمان في الدنيا فماله من ايمان في الآخرة (ألم تر) ألم تخبر في القرآن يا محمد (ان الله

فى قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) هو مايرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الارض
ماء يجرى (بقيعة) بقاع أوجمع قاع وهو المنبسط المستوى من الارض كجيرة فى جار (يحسبه الظمآن) يظنه العطشان (
اذا جاءه) اى جاء الى ماتوهم انه ماء (لم يجده شيأ) كما ظنه (ووجد الله) أى جزاء الله كقوله يجد الله غفورا رحيما أى يجد مغفرته
(عنده) عند الكافر (فوفاه حسابه) أى أعطاه جزاء عمله وافيا كاملا وحد بعد تق
حملا على كل واحد من الكفار (والله سريع الحساب) لانه لايحتاج الى عد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب أو قريب حسابه لان ماهو آت قريب شبه مايعمله من لايعتقد الايمان ولايتبع الحق من الاعمال الصالحة التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب فى العاقبة أمله ويلقى خلاف ماقدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد مارجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية كان يترهب ملتمسا للدين فى الجاهلية فلما جاء الاسلام كفر (أو كظلمات

المشيئة وسعة الاحسان ﴿ والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة ﴾ والذين كف
حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية م
فى العاقبة كالسراب وهو مايرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة في
انه ماء يسرب اى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمع كج
وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة ﴿ يحسبه الظمأن ماء ﴾ أى العطشان وتخصي
لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند مسيس الحاجة ﴿ حتى اذا جاءه ﴾ جاء ماتوهمه
أو موضعه ﴿ لم يجده شيأ ﴾ مما ظنه ﴿ ووجد الله عنده ﴾ عقابه أو زبانيته أو وج
محاسبا اياه ﴿ فوفاه حسابه ﴾ استعراضا أو مجازاة ﴿ والله سريع الحساب ﴾ لايش
حساب عن حساب روى انها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية تعبد فى الجاهلية والتم
الدين فلما جاء الاسلام كفر ﴿ أو كظلمات ﴾ عطف على كسراب وأو للتخيير فان اعما
لكونها لاغية لامنفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المترا
من لجج البحر والامواج والسحاب أو للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسرا

﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ لما ضرب مثلا لحال المؤمن وانه فى الد
والآخرة فى نور وانه فائز بالنعيم المقيم اتبعه بضرب مثل لاعمال الكفار وشبهه بالسراب و
شبه ماء يرى نصف النهار عند شدة الحر فى البرارى يظنه من رآه ماء فاذا قرب م
لم ير شيأ والقيعة القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب ﴿ يحسبه ﴾ أ
يتوهمه ﴿ الظمآن ﴾ أى العطشان ﴿ ماء حتى اذا جاءه ﴾ أى جاء ماقدر انه ماء وق
جاء الى موضع السراب ﴿ لم يجده شيأ ﴾ أى لم يجده على ماقدر وظنه ووجه التش
ان الذى يأتى به الكافر من أعمال البر يعتقد ان له ثوابا عند الله وليس كذلك
فاذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذى كان يظنه بل وجد العقا
العظيم والعذاب الاليم فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمآن الذ
اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب فى البر تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجده ش
فكذلك حال الكافر يحسب ان عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده أغنى عنه شيأ ولا نف
﴿ ووجد الله عنده ﴾ أى وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله ﴿ فوفاه حسابه ﴾ اى جز
عمله ﴿ والله سريع الحساب ﴾ معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة وا
عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا آخر فقال تعالى ﴿ أو كظلمات ﴾ أعلم الله سبح
وتعالى ان أعمال الكفار ان كانت حسنة فهى كسراب بقيعة وان كانت قبيحة فه

هنداز ولامنة (والذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أعمالهم) مثل أعمالهم فى الآخرة
(كسراب بقيعة) فى بقاع من الارض (يحسبه الظمآن ماء) العطشان ماء من البعد (حتى اذا جاءه لم يجده شيأ) (كظلمات)
من الشراب فكذلك لايجد الكافر من ثواب عمله شيأ يوم القيامة (ووجد الله عنده) ووجد عند الله عقوبة ذنوبه ويقال وجد الله
مستعدا لعذابه (فوفاه حسابه) فوفره عذابه (والله سريع الحساب) شديد العذاب ويقال اذا حاسب فحسابه سريع (أو كظ

و الصلوة) أي وعن اقامة الصلاة التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والأصل اقوام فلما قلبت الواو
تتع الفان فحذفت احداهما لالتقاء الساكنين فادخلت التاء عوضا عن المحذوف فلما أضيفت أقيمت الاضافة
.. فاسقطت (وايتاء الزكوة) ﴿٢٠٣ ع﴾ أي وعن ايتاء {سورة النور} الزكاة والمعنى لاتجارة لهم
حتى تلهيهم كاولياء العزلة أو يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك واذا حضرت الصلاة قاموا اليها غير متثاقلين كاولياء العشرة (يخافون يوما) أي يوم القيامة ويخافون حال من الضمير في تلهيهم أو صفة أخرى لرجال (تتقلب فيه القلوب) بلوغها الى الحناجر (والابصار) بالشخوص والزرقة أو تتقلب القلوب الى الايمان بعد الكفران والابصار الى العيان بعد انكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله) أي يسبحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم أي ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلا (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أي يثيب من يشاء ثوابا لا يدخل في حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فاما الذين ضلوا عنه فالمذكور

به وفيه ايماء بانهم تجار ﴿واقام الصلوة﴾ عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله

واخلفوك عد الامر الذى وعدوا

﴿وايتاء الزكوة﴾ مايجب اخراجه من المال للمستحقين ﴿يخافون يوما﴾ مع ماهم عليه من الذكر والطاعة ﴿تتقلب فيه القلوب والابصار﴾ تضطرب وتتغير من الهول أو تتقلب احوالها فتفقه القلوب مالم تكن تفقه وتبصر الابصار مالم تكن تبصر أو تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من أي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ﴿ليجزيهم الله﴾ متعلق بيسبح أو لاتلهيهم أو يخافون ﴿احسن ماعملوا﴾ احسن جزاء ماعملوا الموعود لهم من الجنة ﴿ويزيدهم من فضله﴾ اشياء لم يعدهم بها على اعمالهم ولم تخطر ببالهم ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ

يحضرون المساجد لاقامة الصلوات ﴿وأقام الصلوة﴾ يعني اقامة الصلاة في وقتها لان من أخر الصلاة عن وقتها لايكون من مقيمي الصلاة روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة ﴿وايتاء الزكوة﴾ يعني المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت أداء الزكاة لايحبسونها ﴿يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار﴾ يعني ان هؤلاء الرجال وان بالغوا في ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بانهم ماعبدوا الله حق عبادته قيل ان القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك الى اليقين وترفع عن الابصار الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء فتخشى الهلاك وتطمع في النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من أي ناحية يؤخذ بهم أمن ذات اليمين أم من ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال وقيل تتقلب القلب في الجوف فيرتفع الى الحنجرة فلا ينزل ولا يخرج وتتقلب البصر فيشخص من هول الامر وشدته ﴿ليجزيهم الله أحسن ماعملوا﴾ يعني انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ماعملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لايجازيهم على مساوى أعمالهم بل يغفرها لهم وقيل انه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة الى سبعمائة ضعف ﴿ويزيدهم من فضله﴾ يعني انه سبحانه وتعالى يجزيهم بأحسن أعمالهم ولايقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه وفضله ﴿قوله تعالى

(واقام الصلوة) اتمام الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها ومايجب فيها في مواقيتها (وايتاء الزكوة) أي أداء زكاة أموالهم (يخافو
ن) عذاب يوم وهو يوم القيامة (تتقلب فيه القلوب والابصار) حالا بعد حال يعرفون حينا ولايعرفون حينا (ليجزيهم الله أحسن
ما) باحسان ماعملوا في الدنيا (ويزيدهم من فضله) من كرامته بواحده تسعة (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بلا تقرير ولان

لصلاة المؤمنين أو ابدانهم بالمساجد ولاينافى جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المر
ماله هذا الوصف بالاعتبار وحدة ولا كثرة أو بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤ
يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله أو بمحذوف مثل سبحوا فى بيوت والمرا
المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم ﴿اذن الله ان تر
بالبناء او التعظيم ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة فى افعاله والمب
فى احكامه ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال﴾ ينزهونه اى يصلون له فيها بالغدوات
والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وق
والاتصال وهو الدخول فى الاصيل وقرأ ابن عامر وابو بكر وعاصم يسبح بالفتح على اسن
الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا التأنيث
ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو ﴿لاتلهيهم تجارة﴾ لاتشغلهم معاملة ر
﴿ولابيع عن ذكر الله﴾ مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة أو با
ماهو الاهم من قسمى التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء وقيل المراد بالت
الشراء فانه اصلها ومبدأها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذ

المساجد بيوت الله فى الارض تضئ لاهل السماء كما تضئ النجوم لاهل الارض وقيل ا
بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها الانبى الكعبة بناها ابراهيم واسمعيل فجعلاها قبلة وبيت المقد
بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء أسس
التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا ﴿أذن الله أن ترفع﴾ أى تبنى وقيل ت
فلا يذكر فيها الخنى من القول وتطهر عن الانجاس والاقذار ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ قال ابن ع
يتلى فيها كتابه ﴿يسبح له فيها﴾ أى يصلى له فيها ﴿بالغدو والآصال﴾ أى بالغداة والعشى قال
التفسير اراد به الصلاة المفروضة فالتى تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتى تؤدى بالآ
صلاة الظهر والعصر والعشاءين لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل ار
الصبح والعصر ۞ عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى البرد
دخل الجنة أراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغ
صلاة الضحى والآصال صلاة العصر ۞ عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى
عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المح
ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لايعنيه الا ذاك كان أجره كأجر المعتمر وص
على أثر صلاة لالغو بينهما كتاب فى عليين أخرجه أبو داود ﴿رجال﴾ قيل خص
الرجال بالذكر فى هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد جمعة
جماعة ﴿لاتلهيهم﴾ أى لا تشغلهم ﴿تجارة﴾ وقيل خص التجارة بالذكر لانها أع
مايشتغل الانسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وان كان
التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الج
والبيع ماباعه الرجل على يده ﴿ولابيع﴾ أى ولايشغلهم بيع ﴿عن ذكر الله﴾

ابراهيم القواعد من الرفعة أو تعظم وعن الحسن ما أمر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها اسمه) يتلى فيها كتابه أو هو عام فى كل ذكر (يسبح له فيها بالغدو والآصال) أى يصلى له فيها بالغداة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين وانما وحد الغدو لان صلاته واحدة وفى الآصال صلوات والآصال جمع أصل جمع أصيل وهو العشى (رجال) فاعل يسبح يسبح شامى وأبو بكر ويسند الى أحد الظروف الثلاثة أعنى له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح أى يسبح له (لاتلهيهم) لاتشغلهم (تجارة) فى السفر (ولابيع) فى الحضر وقيل التجارة الشراء اطلاقا لاسم الجنس على النوع أو خص البيع بعدما عم لانه أوغل فى الالهاء من الشراء لان الربح فى البيعة الرابحة متيقن وفى الشراء مظنون (عن ذكر الله) باللسان والقلب

ويقال بيوت (أذن الله) أمر الله (ان ترفع) أن تبنى وهى المساجد (ويذكر فيها) فى المساجد (اسمه) توحيده
(يسبح له) يصلى لله (فيها) فى المساجد (بالغدو) غدوة صلاة الفجر (والآصال) عشية صلاة الظهر والعصر والمغرب
والعشاء (رجال لاتلهيهم) لاتشغلهم (تجارة) فى الجلب (ولابيع) يدا بيد (عن ذكر الله) عن طاعة الله ويقال عن الاوقات

اقدام عمرو في سماحة حاتم * وحلم أحنف في ذكاء اياس

قاله ان الخليفة فوق من مثلته بهم فقال مرتجلا

لا تنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس

فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

يهدي الله لنوره) أي هذا النور الثابت (من يشاء) من عباده أي يوفق لاصابة الحق من يشاء من عباده بالهام من الله أو بنظره في الدليل (ويضرب الله الامثال للناس) تقريبا الى افهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (والله بكل شئ عليم) فيبين كل شئ بما يمكن ان يعلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما مثل نوره أي نور الله الذي هدى به المؤمن وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة وقرأ أبي مثل نور المؤمن (في بيوت) يتعلق بمشكاة أي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت أو بتوقد أي توقد في بيوت أو بيسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير فيه توكيد نحو زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف أي سبحوا في بيوت

يهدي الله لنوره) يكرم الله بنوره يعني المعرفة ويقال يكرم الله بدينه (من يشاء) من كان أهلا لذلك ويقال مثل نوره نور محمد صلى الله عليه وسلم في اصلاب ﴿٤٠١﴾ آبائه على هذا الوصف الى قوله {سورة النور} توقد من شجرة مباركة يقول كان نور محمد في ابراهيم حنيفا مسلما زيتونة دين حنيفية لا شرقية ولا غربية لم يكن ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا يكاد زيتها يقول تكاد أعمال ابراهيم تضئ في أصلاب آبائه على هذا الوصف الى قوله توقد من شجرة مباركة يقول كانه نور محمد صلى الله عليه وسلم ولو لم تمسسه نار أي لو لم يكن ابراهيم نبيا لكان له هذا النور أيضا ويقال لو لم تمسسه نار لو لم يكرم الله ابراهيم لم يكن له هذا النور ويقال لو لم يكرم الله عبده المؤمن بهذا النور لم يكن له (قا و خا ٥١ بع) هذا النور (ويضرب الله الامثال للناس) هكذا يبين الله صفة المعرفة للناس (والله بكل شئ) من كرامته لعباده (عليم) وهذا مثل ضربه الله للمعرفة وبين منفعتها ومدحتها لكي يشكروا يقول كما ان السراج نور يهتدى به كذلك المعرفة نور يهتدى بها وكما ان القنديل نور ينتفع به كذلك المعرفة نور يهتدى بها وكما ان الكواكب الدرية يهتدى بها في ظلمات البر والبحر كذلك المعرفة يهتدى بها في ظلمات الكفر والشرك وكما ان دهن القنديل من زيتونة مباركة كذلك المعرفة من الله تعالى لعبده وكما ان الزيتونة لا شرقية ولا غربية كذلك دين المؤمن الحنيفي لا يهودي ولا نصراني وكما ان زيت الشجرة نور مضئ وان لم تصبه النار فكذلك شرائع ايمان المؤمنين ممدوح وان لم يكن معها غيرها من الفضائل وكما ان السراج والقنديل والمشكاة نور على نور كذلك المعرفة نور وقلب المؤمن نور وصدره نور ومدخله نور ومخرجه نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء يكرم الله بهذا النور من كان أهلا لذلك فهذا وصف الله للمعرفة (في بيوت) يقول هذه القناديل معلقة في بيوت

مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضئ لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا اتصلت بها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور ﴿يهدي الله لنوره﴾ لهذا النور الثاقب ﴿من يشاء﴾ فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ﴿ويضرب الله الامثال للناس﴾ ادناه للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا ﴿والله بكل شئ عليم﴾ معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن يكترث بها ﴿في بيوت﴾ متعلق بما قبله أي كمشكاة في بيوت أو توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبير أو مبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا

القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور وقوله تعالى ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة ﴿ويضرب الله الامثال للناس﴾ أي يبين الله الاشياء للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك ﴿والله بكل شئ عليم﴾ * قوله عز وجل ﴿في بيوت﴾ أي ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس

مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي …
بها المعاش والمعاد وهى الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية …
تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تد…
الحقائق الكلية والمفكرة وهى التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم مالم تعلم وا…
القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء الم…
بقوله تعالى ٭ ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ٭ بالاشياء الخمسة المذكو…
في الآية وهى المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمش…
لان محلها الكوى ووجهها الى الظاهر لاتدرك ماوراءها واضاءتها بالمعقولات لابالذ…
والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار الع…
وانارتها بما تشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الك…
والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديها الى ثمرات لانهاية لها والزيت…
المثمرة للزيت الذى هو مادة المصابيح التي لاتكون شرقية ولاغربية لتجردها عن اللوا…
الجسمية اولوقوعها بين الصور والمعانى متصرفة في القبيلين منتفعة من الجان…
والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيئ بالمعارف من …
تفكر ولاتعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن الع…

يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل …
يوحى اليه نور على نور نبى من نسل نبى نور محمد على نور ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل ل…
قلب المؤمن قال أبي بن كعب هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما ج…
الله فيه من الايمان والقرآن توقد من شجرة مباركة هى شجرة الاخلاص لله وحده …
مثل شجرة التف بها الشجر فهى خضراء ناعمة نضرة لاتصيبها الشمس اذا طلعت …
اذا غربت وكذلك المؤمن قد احترس أن يصيبه شئ من الفتن فهو بين أربع خلال ان أع…
شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء أى يكاد قلب المؤ…
يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته اياه نور على نور قال أبي أى فهو يتقلب في خ…
أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة و…
ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافى يضيء قبل أ…
تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يع…
بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور و…
الكلبى نور على نور يعنى ايمان المؤمن وعمله وقيل نور الايمان ونور القرآن وقيل هذا…
القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة …
المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء أى …
المعرفة تشرق في قلب المؤمن ولو لم تمسسه النار وقيل تكاد حجة القرآن تتضح وان لم …
نور على نور يعنى القرآن نور من الله لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول…

لا نابتة فى شرق المعمورة وغربها بل فى وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون اولا
ضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او فى مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفى الحديث
خير فى شجرة ولا نبات فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى ﴿ يكاد زيتها يضئ ولو لم
سسه نار ﴾ اى يكاد يضئ بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيضه ﴿ نور على نور ﴾ نور
ضاعف فان نور المصباح زاد فى انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة
شعته وقد ذكر فى معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذى دل عليه الآيات
بينات فى جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى
حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولى الكاف
ـكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به
ـ المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابى

ـس ولا فى مضحاة لا يصيبها الظل فهى لا تضرها شمس ولا ظل وقيل معناه انها معتدلة
ـات فى شرق يضرها الحر ولا فى غرب يضرها البرد وقيل معناه هى شامية لان الشأم
وسط الارض لا شرقى ولا غربى وقيل ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا لانها لو كانت
ـ الدنيا لكانت شرقية أو غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره ﴿ يكاد زيتها يضئ ﴾ أى من
ـائه ﴿ ولو لم تمسسه نار ﴾ أى قبل أن تمسه النار ﴿ نور على نور ﴾ أى نور المصباح
ـ نور الزجاجة

﴿ فصل فى بيان التمثيل المذكور فى الآية ﴾

ـلف أهل العلم فى معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد
ـان فى الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التى فيها زجاجة
ـية وفى تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية فى الصفاء والرقة والبياض فاذا
ـا كذلك كان كاملا فى صفائه وصلح ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل
ـ محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار أخبرنى عن قوله تعالى مثل
ـوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة
ـلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هى شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله
ـليه وسلم وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم به أنه نبى كما يكاد ذلك الزيت يضئ ولو لم تمسسه نار
ـوى عن ابن عمر فى هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه
ـوالمصباح النور الذى جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودى ولا نصرانى توقد من شجرة
ـباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال
ـمحمد بن كعب القرظى المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم
ـعليهم أجمعين سمى الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم عليه
ـالسلام لان أكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعنى ابراهيم لم يكن يهوديا ولا
ـنصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلى الى الغرب والنصارى تصلى الى الشرق

فى وقت شروقها أو غروبها
فقط بل تصيبها بالغداة والعشى
جميعا فهى شرقية
وغربية (يكاد زيتها) دهنها
(يضئ ولو لم تمسسه نار)
وصف الزيت بالصفاء
والوميض وانه لتلألؤه يكاد
يضيء من غير نار (نور على
نور) أى هذا النور الذى شبه
به الحق نور متضاعف قد
تناصر فيه المشكاة والزجاجة
والمصباح والزيت حتى لم تبق
بقية مما يقوى النور وهذا لان
المصباح اذا كان فى مكان
متضائق كالمشكاة كان أجمع
لنوره بخلاف المكان الواسع
فان الضوء ينتشر فيه والقنديل
أعون شئ على زيادة الانارة
وكذلك الزيت وصفاؤه
وضرب المثل يكون بدنئ
محسوس معهود لا بعلى
غير معاين ولا مشهود
فابو تمام لما قال فى المأمون

ولا حين غربت (يكاد زيتها)
زيت الشجرة (يضئ) من
وراء قشرها (ولو لم تمسسه)
وان لم تمسسه (نار نور على
نور) فهو النور على النور
المصباح نور والقنديل نور
والزيت نور

ضخم ثاقب (المصباح في زجاجة) في قنديل من زجاج شامي بكسر الزاء (الزجاجة كأنها كوكب درى) مضيء بضم الد
وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه وبالكسر والهمزة عمرو وعلي كأنه يدرأ الظلام ضوءه وبالضم والهمز
أبو بكر وحمزة شبه في زهرته باحد الكواكب الدرارى كالمشترى والز

ونحوهما (توقد) بالتخفيف حمزة وعلي وأبو بكر الزجاجة ويوقد بالتخفيف شامي ونافع وحفص ويوقد بالتشديد مكي وبصري أي هذا المصباح (من شجرة) أي ابتداء ثقوبه من زيت شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أو لأنها نبتت في الارض التي بورك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام (زيتونة) بدل من شجرة نعتها (لا شرقية ولا غربية) أي منبتها الشأم يعني ليست من المشرق ولا من المغرب بل في الوسط منهما وهو الشأم وأجود الزيتون زيتون الشأم وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس

الفتيلة المشتعلة ﴿المصباح في زجاجة﴾ في قنديل من الزجاج ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا ﴿توقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة منها تفخيم لشأنها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرأ ابن كثير وابو عمرو توقد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى

﴿المصباح في زجاجة﴾ يعني القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ من درأ الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره في تلك الحال وفي ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم اذا طلع وارتفع وقيل دري أي شديد الانارة نسب الى الدر في صفائه وحسنه وان كان الكوكب أضوأ من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدري أحد الكواكب الخمسة السيارة التي هي زحل والمريخ والمشترى والزهرة وعطارد وقيل شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب ﴿توقد﴾ أي اتقد المصباح ﴿من شجرة مباركة زيتونة﴾ أي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو أصفى الادهان وأضوؤها وقيل انها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل أراد به زيتون الشأم لانها هي الارض المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها عن أسيد بن ثابت أو أبي أسيد الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة أخرجه الترمذي * قوله ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أي ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها أضوأ وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست في مقنأة لا تصيبها

ومؤخر يقول كمشكاة كمصباح وهو السراج (المصباح) السراج (في زجاجة) في قنديل من جوهر (الزجاجة) القنديل في مشكاة وهي كوة غير نافذة بلغة الحبشة (كأنها) يعني الزجاجة (كوكب درى) نجم مضيء من هذه (الشمس
الانجم الخمسة عطارد والمشترى والزهرة وبهرام وزحل هذه الانجم كلها درية (يوقد من شجرة) أخذ دهن القنديل
من دهن شجرة (مباركة زيتونة) وهي شجرة الزيتون (لا شرقية ولا غربية) بفلاة على تلعة لا يصيبها ظل الشرق
ولا ظل الغرب ويقال بمكان لا تصيبها الشمس حين طلعت

متقين﴾ يعني ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد لآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته ﴿الله نور السموات والارض﴾ النور في الاصل ية تدركها الباصرة اولا وبوساطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام كثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد رم بمعنى ذو كرم اوعلى تجوز اما بمعنى منور السموات والارض * وقد قرئ به فانه تعالى رهما بالكواكب وما يفيض عنهما من الانوار او بالملائكة والانبياء او مدبرهما من قولهم رئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدهما فان النور اهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله بحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به يدرك او يدرك اهلهما من حيث ه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة نها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات المعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذا من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه ابتداء او بتوسط ن الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس رضي الله عنهما معناه ادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما لى الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول بما ﴿مثل نوره﴾ صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على ن اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره ﴿كمشكاة﴾ كصفة مشكاة وهي الكوة غير النافذة ﴿فيها مصباح﴾ سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح

متقين ﴾ أي المؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر * قوله عز وجل ﴿الله نور السموات والارض﴾ قال ابن عباس معناه الله هادي السموات والارض فهم وره الى الحق يهتدون وبهدايته من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السموات الارض نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقيل معناه مزين السموات والارض ين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال زين لارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق لمدح كما قال الشاعر

اذا سار عبد الله عن مرو ليلة * فقد سار عنها نورها وجمالها

﴿مثل نوره﴾ أي مثل نور الله عز وجل في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدى به وقال ن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة الى المؤمن أي مثل نور قلب لمؤمن وقيل أراد بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمى طاعة الله نورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا ﴿كمشكوة﴾ هي الكوة التي لا منفذ لها وقيل هي بلغة الحبشة ﴿فيها مصباح﴾ أي سراج وأصله من الضوء

أي هم المنتفعون بها وان كانت موعظة للكل نظير قوله (الله نور السموات والارض) مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أي من الباطل الى الحق وأضاف النور اليهما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض وجاز ان المراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به (مثل نوره) أي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة (كمشكوة) كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أي سراج

نهيا (للمتقين) عن الزنا والفواحش ثم ذكر كرامته للمؤمنين ومنته عليهم فقال (الله نور السموات والارض) هادي أهل السموات والارض والهدى من الله على وجهين التبيان والتعريف ويقال الله مزين السموات بالنجوم والارض بالنبات والمياه ويقال الله منور قلوب أهل السموات وأهل الارض

المؤمنين (مثل نوره) نور المؤمنين ويقال مثل نور الله في قلب المؤمن (كمشكاة) ككوة (فيها مصباح) مقدم

وفيه توبيخ للموالى اى اذا رغبن فى التحصن فانتم أحق بذلك (لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا) أى لتبتغوا باكراههن على الزنا اجورهن أولادهن (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم

أى لهن وفى مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لهن والله لهن والله ولعل الاكراه كان دون مااعتبرته الشريعة وهو الذى يخاف منه التلف فكانت آثمة أولهم اذا تابوا (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) بفتح الياء حجازى وبصرى وأبو بكر وحماد والمراد الآيات التى بينت فى هذه السورة وأوضحت فى معانى الاحكام والحدود وجاز أن يكون الاصل مبينا فيها فاتسع فى الظرف أى أجرى مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه وبكسرها غيرهم أى بينت هى الاحكام والحدود وجعل الفعل لها مجازا أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل * قد بين الصبح لذى عينين * (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) ومثلا من أمثال من قبلكم أى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعنى قصة عائشة رضى الله عنها (وموعظة) ماوعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى ولا تأخذكم بهما

ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر ﴿ لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ﴾ اى لهن اوله ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود رضى الله تعالى عنه من بعد كراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذا حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ﴿ ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ﴾ يعنى الآيات التى بينت فى هذه السوة واوضحت فيها الاحكام والحدود * وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص فى هذا وفى الطلاق بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود ﴿ ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ﴾ اى ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة رضى الله تعالى عنها فانها كقصة يوسف ومريم ﴿ وموعظة

الى قوله غفور رحيم وقال المفسرون انزلت فى عبدالله بن أبى بن سلول المنافق كانت له جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا الضريبة يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية يؤجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذى نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن لنا أن ندعه فانزل الله هذه الآية وروى ان احدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لانفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فانزل الله هذه الآية واختلف العلماء فى معنى قوله ان أردن تحصنا على أقوال أحدها ان الكلام ورد على سبب وهو الذى ذكر فى سبب نزول الآية فخرج النهى على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه الثانى انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد المرأة التحصن فانها تبغى بالطبع طوعا الثالث أن ان بمعنى اذا أى اذا أردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن تحصنا كقوله وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أى اذا كنتم مؤمنين القول الرابع ان فى هذه الآية تقديما وتأخيرا تقديره وانكحوا الايامى منكم ان أردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴿ لتبتغوا ﴾ أى لتطلبوا ﴿ عرض الحيوة الدنيا ﴾ أى من أموال الدنيا يريد كسبهن وبيع اولادهن ﴿ ومن يكرههن ﴾ يعنى على الزنا ﴿ فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ﴾ يعنى بالمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن والله * قوله تعالى ﴿ ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ﴾ أى من الحلال والحرام ﴿ ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ﴾ أى شبها من حالكم بحالهم أيها المكذبون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين ﴿ وموعظة

عن الزنا (لتبتغوا) لتطلبوا بذلك (عرض الحيوة الدنيا) من كسبهن وأولادهن (ومن يكرههن) يجبرهن يعنى الولائد على الزنا (فان الله من بعد اكراههن) وتوبتهن (غفور) ﴿ للمتقين ﴾ متجاوز (رحيم) بعد الموت (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) يقول أنزلنا جبريل الى نبيكم بآيات مبينات بالحلال والحرام والامر والنهى عن الزنا والفواحش (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) صفة الذين مضوا من قبلكم من المؤمنين والكافرين (وموعظة)

الله باطنا ثم وصلهم فيما انهم عليه الله ظاهرا وماهو منهم بالعيش فيهم ° ولكن معدن الذهب الرغام يأكل مايأكلون ويشرب مايشربون ومايدريهم انه ضيف الله يرى السموات والارض قائمات بامره وكانه قيل فيه

فان اتفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

فحال ولى العزلة أصفى وأحلى وحال ولى العشرة أوفى وأعلى ونزل الاول من الثانى فى حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان أما النبى عليه الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن الشذرين ومجمع الحالين ومنبع الزلالين فباطن أحواله مهتدى ولى العزلة وظاهر أعماله مقتدى ولى العشرة والثالث المجاهد المحاسب العامل الطالب بالضرائب كنجوم المكاتب عليه فى اليوم والليلة خمس وفى المائتين درهما خمسة وفى السنة شهر وفى العمر زورة فكانه يرى نفسه من ربه بهذه النجوم ﴿٣٩٥﴾ المرتبة فيسعى فى فكاك رقبته {سورة النور} خوفا من البقاء فى ربقة العبودية وطمعا فى فتح باب الحرية ليسرح فى رياض الجنة فيتمتع بمناه ويفعل مايشاؤه ويهواه والرابع الاباق فما أكثرهم فمنهم القاضى الجائر والعالم غير العامل والعامل المرائى والواعظ الذى لايفعل مايقول ويكون أكثر أقواله الفضول وعلى كل مالاينفعه يصول فضلا عن السارق والزانى والغاصب فعنهم أخبر النبى عليه الصلاة والسلام ان الله لينصر هذا الدين بقوم لاخلاق لهم فى الآخرة (ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء) كان لابن ابى ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن الضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة والبغاء الزنا للنساء خاصة وهو مصدر بغت (ان أردن تحصنا) تعففا عن الزنا وانما قيده بهذا الشرط لان الاكراه لايكون الامع ارادة التحصن فآمر المطيعة للبغاء لايسمى مكرها ولا أمره اكراها ولانها نزلت على سبب فوقع النهى على تلك الصفة

من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى اقل مايتمول وعن على رضى الله تعالى عنه يحط الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لايأخذه صدقة كالدائن والمشترى ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ﴿ولاتكرهوا فتياتكم﴾ اماءكم ﴿على البغاء﴾ على الزنى كانت لعبدالله بن ابى ست جوار يكرههن على الزنى وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿ان اردن تحصنا﴾ تعففا شرط للاكراه فانه لايوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز

مؤنتهم واختلف العلماء فيما اذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا ويرتفع الكتابة سواء ترك مالا أولم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبدالعزيز والزهرى وقتادة واليه ذهب الشافعى وأحمد وقال قوم ان ترك وفاء مابقى عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعى والحسن وبه قال مالك والثورى وأصحاب الرأى ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد وتتبعه أولاده وأكسابه كما فى الكتابة الصحيحة لان الكتابة الصحيحة لايملك المولى فسخها مالم يعجز المكاتب عن أداء النجوم * وقوله تعالى ﴿ولاتكرهوا فتياتكم﴾ أى اماءكم ﴿على البغاء﴾ أى الزنا ﴿ان أردن تحصنا﴾ الآية (م) عن جابر قال كان عبدالله بن أبى بن سلول يقول لجارية اذهبى فابغينا شيأ قال فانزل الله ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وفى رواية أخرى ان جارية لعبدالله بن أبى يقال لها مسيكة وأخرى يقال له أميمة كان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء

يجبرونهن على الزنا لقبل كسبهن وأولادهن فنهاهم الله عن ذلك وحرم عليهم فقال (ولا تكرهوا) ولا تجبروا فتيانكم) ولائدكم (على البغاء) على الزنا والفجور (ان أردن) بعدما أردن (تحصنا) تعففا

بإطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لم يوجد عند المحل ﴿ان علمتم فيهم خيرا﴾ امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز ﴿وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾ امر للموالى كما قبله بان يبذلوا لهم شيأ من اموالهم وفي معناه حط شئ

المكاتب عبد ما بقى عليه درهم أخرجه ابو داود وذهب بعض أهل العلم الى أن قوله تعالى فكاتبوهم أمر ايجاب يجب على السيد ان يكاتب عبده الذى علم فيه خيرا اذا سأل العبد ذلك على قيمته أو على أكثر من قيمته وان سأل على أقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روى ان سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس بن مالك ان يكاتبه وكان كثير المال فابى فانطلق سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فابى فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم ﴿ان علمتم فيهم خيرا﴾ فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم الى انه أمر ندب واستحباب ولا يجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعى لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق أن يكون ذلك المال عليه الى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوز أبو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا في معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثورى وقيل مالا روى ان عبدا لسلمان الفارسى قال له كاتبنى قال ألك مال قال لا قال تريد أن تطعمنى أوساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو أراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وأمانة وقال الشافعى أظهر معانى الخير في العبد الاكتساب مع الامانة فاحب ان لا يمتنع من المكاتبة اذا كان هكذا وعن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذى يريد الاداء والناكح الذى يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله أخرجه الترمذى والنسائى وقيل معنى الخير أن يكون العبد عاقلا بالغا فاما الصبى والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغاء منهما لا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبى المراهق ☼ وقوله تعالى ﴿وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾ قيل هو خطاب للموالى فيجب على السيد ان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيأ وهو قول عثمان وعلى والزبير وجماعة وبه قال الشافعى ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول على ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعى قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين الف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيأ من اول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع اليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب اظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم من مال الله أى سهمهم الذى جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وقيل هو حث جميع الناس على

للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطاءهم سهمهم من الزكاة لقوله تعالى وفي الرقاب وعند الشافعى رحمه الله معناه حطوا من بدل الكتابة ربعا وهذا عندنا على وجه الندب والاول الوجه لان الايتاء هو التمليك فلا يقع على الحط سأل صبيح مولاه حويطبا أن يكاتبه فابى فنزلت واعلم ان العبيد أربعة قن مقتنى للخدمة ومأذون في التجارة ومكاتب وآبق فمثال الاول ولى العزلة الذى حصل العزلة بايثار الخلوة وترك العشرة والثانى ولى العشيرة فهو نجى الحضرة يخالط الناس للخبرة وينظر اليهم بالعبرة ويأمرهم بالعبرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطى في الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله فالدنيا سوق تجارته والعقل رأس بضاعته والعدل في الغضب والرضا ميزانه والقصد في الفقر والغنى عنوانه والعلم مقزعه ومنجاه والقرآن كتاب الاذن من مولاه هو كائن في الناس بظواهره بائن منهم بسرائره فقد هجرهم فيما لله عليهم

ان علمتم فيهم خيرا) صلاحا ووفاء (وآتوهم) أعطوهم بعض لجملة الناس (من مال الله الذى آتاكم) اعطاكم حتى يؤدوا مكاتبتهم ويقال حث المولى على ترك الثلث عن مكاتبه ثم نزل في شأن عبد الله بن أبى وأصحابه كان لهم ولائد (مؤتهم)

فتم الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح اووعد من الله بالاغناء لقوله عليه السلام * اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكن مشروط بالمشيئة لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ﴿ والله واسع ﴾ ذو سعة لاتنفد نعمته اذلاتنتهى قدرته ﴿ عليم ﴾ يبسط الرزق ويقدر على ماتقتضيه حكمته ﴿ وليستعفف ﴾ وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة ﴿ الذين لايجدون نكاحا ﴾ اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ماينكح به وبالوجدان التمكن منه ﴿ حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ فيجدوا مايتزوجون به ﴿ والذين يبتغون الكتاب ﴾ المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال اولانه ممايكتب لتأجيله اومن الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض ﴿ مماملكت ايمانكم ﴾ عبدا كان اوامة والموصول بصلته مبتدأ خبره ﴿ فكاتبوهم ﴾ اومفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلاتجب كغيرها واحتجاج الحنفية

الله من فضله وقال بعضهم ان الله وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن الله كلامن سعته ﴿ والله واسع ﴾ أى أنه ذو الافضال والجود ﴿ عليم ﴾ أى بما يصلح خلقه من الرزق * قوله تعالى ﴿ وليستعفف الذين لايجدون نكاحا ﴾ أى ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لايجدون ماينكحون به من الصداق والنفقة ﴿ حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ أى يوسع عليهم من رزقه ﴿ والذين يبتغون الكتاب ﴾ أى يطلبون المكاتبة ﴿ مماملكت أيمانكم فكاتبوهم ﴾ سبب نزول هذه الآية ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فابى عليه فانزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فاداها وقتل يوم حنين فى الحرب

﴿ بيان حكم الآية وكيفية المكاتبة ﴾

وذلك أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدى ذلك فى نجمين أو فى نجوم معلومة فى كل نجم كذا فاذا أديت ذلك فانت حر ويقبل العبد ذلك فاذا أدى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة واذا عتق باداء المال فما فضل فى يده من المال فهو له وتبعه أولاده الذين حصلوا فى الكتابة فى العتق واذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده الى الرق ومافى يده من المال فهو لسيده لماروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

والله واسع) غنى ذوسعة لايرزؤه اغناء الخلائق (عليم) يبسط الرزق لمن يشاء وقيل فى الآية دليل على ان تزويج النساء والايامى الى الاولياء كما ان تزويج العبيد والاماء الى الموالى قلنا الرجل لاولى على الرجل الايم الاباذنه فكذا الاولى فى المرأة الاباذنها لان الايم ينتظمهما (وليستعفف الذين) وليجتهدوا فى العفة كأن المستعف طالب من نفسه العفاف (لايجدون نكاحا) استطاعة تزوج من المهر والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) حتى يقدرهم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسلام يامعشر الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الاوامر فامر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المغنى عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان تقدر عليه (والذين يبتغون الكتاب مماملكت أيمانكم) أى المماليك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء ومنصوب بفعل يفسره (فكاتبوهم) وهو للندب ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسى ان تعتق منى اذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تفى بذلك اوكتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق (قا و خا ٥٠ بع) ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لاطلاقه الامر

(والله واسع) برزقه للحر والعبد (عليم) بارزاقهما (وليستعفف) عن الزنا (الذين لايجدون نكاحا) سعة للتزويج (حتى يغنيهم الله من فضله) من رزقه نزلت فى حويطب بن عبد العزى فى شأن غلام له سأل كتابته فلم يكاتب (والذين يبتغون الكتاب) يطلبون منكم المكاتبة (مماملكت أيمانكم) يعنى عبيدكم (فكاتبوهم

لمانهى عماعسى ان يفضى الى السفاح المخل بالنسب المقتضى للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بالامر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لايستبدان به اذلو استبدا لما وجب على الولى والمولى وايامى مقلوب ايائم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان أوانثى بكرا كان أوثيبا قال

فان تنكحى انكح وان تتأيمى ، وان كنت افتى منكم اتأيم

وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه ﴿ ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ رد لما عسى ان يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن

ندب واستحباب لاجماع السلف عليه فيستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد اهبته ان يتزوج وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع ايضا والوجاء بكسر الواو رض الانثيين وهو نوع من الخصاء شبه الصوم فى قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذى يقطع النسل * عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة اخرجه ابو داود والنسائى (م) عن عبدالله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة اما من لاتتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلى للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعى وعند أصحاب الرأى النكاح أفضل قال الشافعى قدذكر الله عبدا أكرمه فقال وسيدا وحصورا وهو الذى لايأتى النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن الى النكاح وفى الآية دليل على ان تزويج الايامى الى الاولياء لان الله خاطبهم به كمان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روى ذلك عن عمر وعلى وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وأبى هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعى وعمر ابن عبدالعزيز واليه ذهب الثورى والاوزاعى وعبدالله بن المبارك والشافعى واحمد واسحق وجوز أصحاب الرأى للمرأة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة دنيئة يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولى شرط فى النكاح ماروى عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكاح الا بولى أخرجه أبو داود والترمذى ولهما عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان تشاجروا فالسلطان ولى من لاولى له * وقوله تعالى ﴿ ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ قيل الغنى هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغى الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنهم

مندوب اليه (ان يكونوا فقراء) من المال (يغنهم الله من فضله) بالكفاية والقناعة او باجتماع الرزقين وفى الحديث التمسوا الرزق بالنكاح وعن عمر رضى الله عنه روى مثله

ان يكونوا) يعنى الاحرار (فقراء يغنهم الله من فضله) من رزقه

لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشئ اذا اطلع عليه اولم يبلغوا اوان القدرة على الوطء من ظهر على فلان اذا قوى عليه (لا يضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) كانت المرأة تضرب الارض برجليها اذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فنهين عن ذلك اذ سماع صوت الزينة كاظهارها ومنه سمى صوت الحلى وسواسا

لعدم تميزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ﴿ ولا يضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن ﴾ ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهى عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت ﴿ وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون ﴾ اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما فى الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ بسعادة الدارين وقرأ ابن عامر أيه المؤمنون وفى الزخرف يايه الساحر وفى الرحمن ايه الثقلان بضم الهاء فى الوصل فى الثلاثة وبفتحها ووقف ابو عمرو والكسائى عليهن بالالف ووقف الباقون بغير الالف ﴿ وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ﴾

الجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطيقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفولية اسم للصبى مالم يحتلم ﴿ ولا يضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن ﴾ قيل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل تغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال ويصير ذلك داعية له زائدة فى مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم مايخفين من زينتهن فنبه به على ان الذى لاجله نهى عنه أن يعلم به ماعليهن من الحلى وغيره ﴿ وتوبوا الى الله جميعا ﴾ أى من التقصير الواقع فى أمره ونهيه وراجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة فى هذه السورة قيل أن اوامر الله ونواهيه فى كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار و وعد بالفلاح اذا تابوا واستغفروا فذلك قوله تعالى ﴿ أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ (م) عن الاغر المزنية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله انى لاتوب الى ربى تبارك وتعالى مائة مرة فى اليوم عن ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس يقول رب اغفرلى وتب على انك انت تواب الرحيم مائة مرة اخرجه عبد الرحمن بن حميد الكشى (ق) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه * قوله عز وجل ﴿ وأنكحوا الايامى منكم ﴾ جمع الايم يطلق على الذكر والانثى وهو من لازوج له من رجالكم ونسائكم ﴿ والصالحين من عبادكم ﴾ اى من عبيدكم ﴿ وامائكم ﴾ بيان حكم الآية الامر المذكور فى الآية امر

(وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون) ايه شامى اتباعا للضمة قبلها بعد حذف الالف لالتقاء الساكنين وغيره على فتح الهاء ولان بعدها الفا فى التقدير (لعلكم تفلحون) العبد لا يخلو عن سهو وتقصير فى اوامره ونواهيه وان اجتهد فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة وبتأميل الفلاح اذا تابوا وقيل احوج الناس الى التوبة من توهم انه ليس له حاجة الى التوبة وظاهر الآية يدل على ان العصيان لا ينافى الايمان (وأنكحوا الايامى منكم) الايامى جمع ايم وهو من لازوج له رجلا كان اوامرأة بكرا كان اوثيبا واصله ايائم فقلبت (والصالحين) اى الخيرين اوالمؤمنين والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح (من عبادكم وامائكم) اى من غلمانكم وجواريكم والامر للندب اذ النكاح

هؤلاء بغير ريبة (ولا يضربن بأرجلهن) احداهما بالاخرى لتقرع الخلخال بالخلخال (ليعلم) لكى يعلم ويظهر (مايخفين من زينتهن) مايوارين من زينتهن يعنى الخلاخل عند الغريب (وتوبوا الى الله جميعا) من جميع الذنوب الصغائر والكبائر (أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) لكى تنجوا من السخط والعذاب ثم دلهم على تزويج البنين والبنات والاخوة والاخوات ممن ليس لهم ازواج فقال (وأنكحوا) زوجوا (الايامى منكم) بناتكم وأخواتكم ويقال بنيكم واخوانكم ممن ليس لهم أزواج (والصالحين من عبادكم) وزوجوا الصالحين من عبيدكم (وامائكم

الحرائر لان مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر (او ماملكت أيمانهن) ا

النساء كلهن وللعلماء فى ذلك خلاف ﴿ أوماملكت ايمانهن ﴾ يعم الاماء والعبيد لما روى انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبى منها ﴿ أو التابعين غير اولى الاربة من الرجال ﴾ أى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيأ من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال ﴿ أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾

يجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة الا مابين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الذمية أو الكافرة لان الله تعالى قال أو نسائهن والذمية أو الكافرة ليست من نسائنا ولانها أجنبية فى الدين فكانت أبعد من الرجل الاجنبى كتب عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لانها من جملة النساء ﴿ أوماملكت أيمانهن ﴾ قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى مولاته الا مابين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القرآن يروى ذلك عن عائشة وأم سلمة وروى أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى الى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وقيل هو كالاجنبى معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبيد ﴿ أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال ﴾ قرئ غير بنصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدين زينتهن للتابعين الا ذا الاربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا اربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولى الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم فى النساء وقال ابن عباس هو الاحمق العنين وقيل هو الذى لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب والخصى وقيل هو الشيخ الهرم الذى ذهبت شهوته وقيل هو المخنث (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان يدخل على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال اذا أقبلت أقبلت باربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا أرى هذا يعرف ماههنا لا يدخل عليكن فحجبوه زاد أبو داود فى رواية وأخرجوه الى البيداء يدخل كل جمعة فيستطعم قوله أقبلت باربع أى ان لها فى بطنها أربع عكن فهى تقبل اذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن ﴿ أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾ أى لم يكشفوا عن عورات النساء

اماءهن ولا يحل لعبدها ان ينظر الى هذه المواضع منها خصيا كان او عنينا او فحلا وقال سعيد بن المسيب لاتغرنكم سورة النور فانها فى الاماء دون الذكور وعن عائشة رضى الله عنها انها اباحت النظر اليها لعبدها (او التابعين غير) بالنصب شامى ويزيد وابو بكر على الاستثناء او الحال وغيرهم بالجر على البدل او على الوصفية (اولى الاربة) الحاجة الى النساء قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيأ من امرهن او شيوخ صلحاء او العنين او الخصى او المخنث وفى الاثر انه المجبوب والاول الوجه (من الرجال) حال (او الطفل الذين) هو جنس فصلح ان يراد به الجمع (لم يظهروا على عورات النساء)

اهل دينهن المسلمات لانه لا يحل لها أن تراها متجردة يهودية أو نصرانية أو مجوسية (أوماملكت ايمانهن) من الاماء دون العبيد (أو التابعين) لازواجهن (غير أولى الاربة) الشهوة (من الرجال) والنساء يعنى الخصى والشيخ الكبير الفانى (أو الطفل) يعنى الصغير (لذين لم يظهروا) على عورات النساء) لم يطيقوا الجامعة مع النساء ولا للنساء

معهم من الصغر ولا يعلمون من أمر الرجال والنساء شيأ فلا بأس بان يرى زينتهن (للجماع

(الا ماظهر منها) الا ماجرت العادة والجبلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان ففي سترها حرج بين فان المرأة لاتجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وليضعن من قولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه (بخمرهن) جمع خمار (على جيوبهن) بضم الجيم مدني وبصري وعاصم كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وماحواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن ان يسدلنها من قدامهن حتى تغطيهن (ولايبدين زينتهن) أي مواضع الزينة الباطنة كالصدور الساق والرأس ونحوها (الا لبعولتهن) لازواجهن جمع بعل (أو آبائهن) ويدخل فيهم الاجداد (او آباء بعولتهن) فقد صاروا محارم (أو أبنائهن) ويدخل فيهم النوافل (او ابناء بعولتهن) فقد صاروا محارم ايضا (او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن) ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة (او نسائهن) اى

(الا ماظهر منها) من ثيابها (وليضربن بخمرهن) رخين قناعهن (على جيوبهن) على صدورهن ونحورهن وشددن ذلك ثم ذكر الزينة أيضا فقال (ولايبدين زينتهن) الدملوج والوشاح وغير ذلك (الا لبعولتهن) أزواجهن (أو آبائهن) في النسب أو اللبن (أو آباء بعولتهن) أو آباء ازواجهن (أو ابنائهن) في النسب أو اللبن (أو أبناء بعولتهن) ابناء أزواجهن من غيرهن (أو اخوانهن) في النسب أو اللبن (أو بني اخوانهن) في النسب أو اللبن (أو بني اخواتهن) في النسب أو اللبن (أو نسائهن) نساء

مواضعها لمن لايحل ان تبدى له ﴿الا ماظهر منها﴾ عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والزينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلاة لافي النظر فان كل بدن الحرة عورة لايحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ سترا لاعناقهن وقرأ نافع وعاصم وابو عمرو وهشام بضم الجيم ﴿ولايبدين زينتهن﴾ كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لايحل له ﴿الا لبعولتهن﴾ فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره ﴿أو آبائهن أو آباء بعولتهن او ابنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن او بني اخواتهن﴾ لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن مايبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان اولان الاحوط ان تستترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم ﴿او نسائهن﴾ يعني المؤمنات فان الكافرات لايتحرجن عن وصفهن للرجال او

الى مواضعها من البدن ﴿الا ماظهر منها﴾ أي من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبي النظر اليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيأ من ذلك غض البصر وانما رخص في هذا القدر للمرأة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة ﴿وليضربن بخمرهن﴾ أي ليلقين بمقانعهن ﴿على جيوبهن﴾ أي موضع الجيب وهو النحر والصدر أي ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن (خ) عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كساء من صوف أو خز أو كتان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع ﴿ولايبدين زينتهن﴾ يعني الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهي ماعدا الوجه والكفين ﴿الا لبعولتهن﴾ قال ابن عباس لايضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن ﴿أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بني أخوانهن أو بني أخواتهن﴾ فيجوز لهؤلاء أن ينظروا الى الزينة الباطنة ولاينظرون الى مابين السرة والركبة ويجوز للزوج أن ينظر الى جميع بدن زوجته غير أنه يكره له النظر الى فرجها ﴿أو نسائهن﴾ أي المؤمنات من أهل دينهن أراد به أنه

مايحل (ويحفظوا فروجهم) عن الزنا ولم يدخل من هنا لأن الزنا لا رخصة فيه بوجه ويجوز النظر الى وجه الاجنـ
وكفها وقدمها في رواية والى رأس المحارم والصدر والساقين والعضدين (ذلك) أي غض البصر وحفظ الفر
(أزكى لهم) أي أطهر من دنس الاثم (ان الله خبير بما يصنعون) فيه ترغيب وترهيب

انه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فعليهم اذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أمرن بغض الابصار فلا يحل للمرأة أن تنظر من الاجنبي الى ماتحت سرته الى ركبتيه وان اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر الى المرأة الا الى مثل ذلك وغض بصرها من الاجانب أصلا أولى بها وانما قدم غض الابصار على حفظ الفروج لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور فبذر الهوى طموح العين (ولا يبدين زينتهن) الزينة ماتزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب والمعنى لايظهرن مواضع الزينة وهي الحلي ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها لاظهارها ومواضعها لا لاظهار أعيانها ومواضعها الرأس والاذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهي للاكليل والقرط والقلادة والوشاح والدملج والسوار والخلخال (الى)

﴿ويحفظوا فروجهم﴾ الا على ازواجهم أو ماملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ﴿ذلك ازكى لهم﴾ انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة ﴿ان الله خبير بما يصنعون﴾ لايخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم ومايقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن﴾ فلا ينظرن الى مالايحل لهن النظر اليه من الرجال ﴿ويحفظن فروجهن﴾ بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن

عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضى الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضى المرأة الى المرأة في ثوب واحد * وقوله تعالى ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ أي عما لايحل قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا في هذا الموضع فانه أراد به الاستتار حتى لايقع بصر الغير عليه * فان قلت كيف أدخل من على غض البصر دون حفظ الفرج * قلت فيه دلالة على ان أمر النظر أوسع الا ترى ان المحارم لابأس بالنظر الى شعورهن وثديهن وأعضادهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات في البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك وأما أمر الفروج فضيق وكفاك ان أبيح النظر الا ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما استثنى منه * فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج * قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه ﴿ذلك أزكى لهم﴾ أي غض البصر وحفظ الفرج ﴿ان الله خبير بما يصنعون﴾ أي انه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم * قوله عز وجل ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ اى عما لايحل لهن روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحرث اذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يارسول الله أليس أعمى لايبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه أخرجه الترمذي وأبو داود * قوله تعالى ﴿ولا يبدين﴾ أي يظهرن ﴿زينتهن﴾ أي لغير محرم وأراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الاذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة النظر

(ويحفظوا فروجهم) عن الحرام (ذلك) حفظ العين والفرج (ازكى) اصلح (لهم) وخير لهم (ان الله خبير بما يصنعون) ا
الخير والشر (وقل) يا محمد (للمؤمنات يغضضن) يكففن (من ابصارهن) عن الحرام ورؤية الرجال ومن ص
في الكلام (ويحفظن فروجهن) عن الحرام (ولا يبدين) ولا يظهرن (زينتهن) الدملوج والوشاح

ليب وأطهر لمافيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة أو أنفع وأنمى خيرا (والله بما تعملون عليم) وعيد للمخاطبين بانه عالم بما
نون وما يذرون مماخوطبوابه فوف جزاءه عليه (ليس عليكم جناح ان تدخلوا)
فى أن تدخلوا (بيوتا غير مسكونة) استثنى من البيوت التى يجب الاستئذان على داخلها ماليس بمسكون منها كالخانات والربط وحوانيت التجار (فيها متاع لكم) أى منفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز (والله يعلم ماتبدون وما تكتمون) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على

اطهر لكم ممالايخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروؤة او انفع لدينكم ودنياكم ﴿والله بما تعملون عليم﴾ فيعلم ماتأتون وماتذرون مماخوطبتم به فيجازيكم عليه ﴿ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة﴾ كالربط والخانات والحوانيت ﴿فيها متاع﴾ استمتاع ﴿لكم﴾ كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها ﴿والله يعلم ماتبدون وماتكتمون﴾ وعيد لمن دخل مدخلا لفسادأ وتطلع على عورات ﴿قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم﴾ اى مايكون نحو محرم

وحاجات يكرهون الدخول عليهم فى تلك الاحوال واذا حضر الى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس يأتى دور الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستأذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج ورآه قال ياابن عم رسول الله لو أخبرتنى بمكانك فيقول هكذا أمرنا ان نطلب العلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه اذا كان الباب مردودا (ق) عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من حجر فى باب النبى صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يرجل وفى رواية يحك به رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أنك تنظر لطعنت به فى عينك انما جعل الاذن من أجل البصر (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع فى بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤا عينه وفى رواية للنسائى قال لو ان امرأ اطلع عليك بغير اذن فحذفته ففقأت عينه ما كان عليك حرج وقال مرة أخرى جناح ﴿والله بما تعملون عليم﴾ أى من الدخول بالاذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التى بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى ﴿ليس عليكم جناح﴾ أى اثم ﴿ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة﴾ أى بغير استئذان ﴿فيها متاع لكم﴾ أى منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هى الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا اليها ويؤووا أمتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة النزول بها واتقاء الحر والبرد وايواء الامتعة بها وقيل بيوت التجار وحوانيتهم فى الاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استئذان وقيل هى جميع البيوت التى لاساكن فيها لان الاستئذان انما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك جازله الدخول بغير استئذان ﴿والله يعلم ماتبدون وما تكتمون﴾ ❊ قوله تعالى ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ أى عما لايحل النظر اليه قيل معناه يغضوا أبصارهم وقيل من هنا للتبعيض لانه لايجب الغض عما يحل اليه النظر وانما أمروا ان يغضوا عما لايحل النظر اليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة قال اصرف بصرك ❊ عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ياعلى لاتتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذى (م) عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاينظر الرجل الى

اصلح لكم من ان تقوموا على ابواب الناس (والله بما تعملون) من الاستئذان وغيره (عليم) ثم رخص لهم فى الدخول فى بيوت غير بيوتهم بغير اذن وهى الخانات على الطرق فقال (ليس عليكم جناح) حرج (أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) ليس فيها ساكن معلوم مثل الخانات وغير ذلك (فيها متاع لكم)
فعة لكم من الحر والبرد فى الشتاء والصيف (والله يعلم ماتبدون) من الاستئذان والتسليم (وماتكتمون) من الجواب والاذن
أمرهم بحفظ العين والفرج فقال (قل للمؤمنين) يامحمد (يغضوا من أبصارهم) يكفوا أبصارهم عن الحرام ومن صلة فى الكلام

(ذلكم) أي الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن فكان الرجل م
أهل الجاهلية اذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخ

فان اذن له دخل والا رجع ﴿ذلكم خير لكم﴾ اى الاستئذان أو التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة أو من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا أو حييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروى ان رجلا قال للنبي عليه السلام أأستأذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن ﴿لعلكم تذكرون﴾ متعلق بمحذوف اى انزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم ﴿فان لم تجدوا فيها احدا﴾ يأذن لكم ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق أو كان فيه منكر ونحوها ﴿وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾ ولا تلحوا ﴿هو ازكى لكم﴾ الرجوع

ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت قال ما منعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال والله لتقيمن عليه بينة أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم قال ابي بن كعب فوالله لا يقوم معك الا أصغر القوم فكنت اصغر القوم فقمت معه فاخبرت عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الاول اعلام والثاني مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع ﴿ عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن أو الايسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور أخرجه أبو داود ﴿ وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعي أحدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن أخرجه ابو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم الاستئذان ثم يسلم وقال ابو موسى الاشعري وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روي عن عطاء بن يسار أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أستأذن على امي قال نعم فقال الرجل اني معها في البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل اني خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها أخرجه مالك في الموطأ مرسلا ﴿ وقوله تعالى ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ أي فعل الاستئذان خير لكم وأولى بكم من التهجم بغير اذن ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أي هذه الآدب فتعملوا بها ﴿ قوله عز وجل ﴿ فان لم تجدوا فيها ﴾ أي في البيوت ﴿ أحدا ﴾ أي يأذن لكم في دخولها ﴿ فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ﴾ أي في الدخول ﴿ وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ﴾ يعني اذا كان في البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما ﴿ هو أزكى لكم ﴾ أي الرجوع هو أطهر وأصلح لكم فان للناس أحوالا

فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد (لعلكم تذكرون) أي قيل لكم هذا لكي تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستئذان (فان لم تجدوا فيها) في البيوت (أحدا) من الآذنين (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى تجدوا من يأذن لكم أو فان لم تجدوا فيها أحدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن أهلها لان التصرف في ملك الغير لابد من أن يكون برضاه (وان قيل لكم ارجعوا) أي اذا كان فيها قوم فقالوا ارجعوا (فارجعوا) ولا تلحوا في اطلاق الاذن وتلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب لان هذا مما يجلب الكراهة فاذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدى اليها من قرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك وعن أبي عبيد ماقرعت بابا على عالم قط (هو أزكى لكم) أي الرجوع

ادخل مقدم ومؤخر (ذلكم) التسليم والاستئذان (خير لكم) واصلح (لعلكم تذكرون)
لكي تتعظوا فلا يدخل بعضكم على بعض بغير اذن (فان لم تجدوا فيها) في البيوت (أحدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها) بغير اذن {وحاجات
(حتى يؤذن لكم) بالدخول (وان قيل لكم ارجعوا) ان ردوكم (فارجعوا) ولا تقوموا على أبواب الناس (هو) الرجوع (ازكى لكم

بار بعة بر أيوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى عليه الصلاة والسلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآيات الكريمة مع هذه المبالغات وماذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم ﴾ التى تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لايدخلان الا باذن ﴿ حتى تستأنسوا ﴾ تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله اولا يؤذن له او من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استأنس اوتعرفوا هل ثمه انسان من الانس ﴿ وتسلموا على اهلها ﴾ بان تقولوا السلام عليكم أأدخل * وعنه صلى الله عليه وسلم التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات

ان عائشة كانت تفتخر باشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها منها ان جبريل عليه السلام أتى بصورتها فى سرقة حرير وقال هذه زوجتك وروى انه أتى بصورتها فى راحته ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرها وفى يومها ودفن فى بيتها وكان ينزل عليه الوحى وهى معه فى اللحاف ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء * قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا ﴾ أى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب وفى هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس فى اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو ان ينظر هل فى البيت انسان فيؤذنه انى داخل وقيل هو من آنست أى أبصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة أو يتنحنح حتى يعرف أهل البيت ﴿ وتسلموا على اهلها ﴾ بيان حكم الآية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد الاستئذان والسلام واختلفوا فى أيهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول أدخل سلام عليكم كما فى الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل وتقدير الآية حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا وكذا هو فى مصحف ابن مسعود وروى عن كندة بن حنبل قال دخلت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل أخرجه أبو داود والترمذى وعن ربعى بن حراش قال جاء رجل من بنى عامر فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى البيت فقال ألج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه أخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم أأدخل فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود (ق) عن ابى سعيد وابى بن كعب عن ابى موسى قال أبو سعيد كنت فى مجلس من مجالس الانصار اذجاء أبو موسى كانه مذعور فقال استأذنت على عمر

والقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما وقال حسان معتذرا فى حقها * حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح ـئى من الحوم الغوافل * حليلة خير الناس دينا ومنصبا * نبي الهدى والمكرمات الفواضل * عقيلة حى من لؤى بن غالب * كرام المساعى مجدها غير زائل * مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل شين وباطل * (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم) أى بيوتا لستم تملكونها ولا تسكنونها (حتى تستأنسوا) أى تستأذنوا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد قرأ به والاستئناس فى الاصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشئ اذا أبصره ظاهرا مكشوفا أى حتى تستعلموا أيطلق لكم الدخول أم لا وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتنحنح (وتسلموا على أهلها) والتسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له والا رجع وقيل ان تلاقيا يقدم التسليم والا فالاستئذان

وكانا أهلا لذلك صدق به عليهما ويقول من سمعه هما كذلك واذا أثنى على الرجل والمرأة الخبيثين ثناء سيأ وكانا اهلا له صدق به عليهما ويقول من سمعه هما كذلك ثم نهاهم عن دخول بعضهم على بعض بغير اذن فقال (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم) ليس لكم (قا و خا ٤٩ بع) ان تدخلوا بيوتا (حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها) ثم تستأنسوا فيقول

ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم رضي الله عنها بانطاق ولدها وعائشة رضي الله عنها بهذه الآي العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك وما ذلك الا لاظهار علو منزلة رسوله والتنبيه على اناقة محله صلى الله عليه وسلم وعلى آله (الخبيثات) من القول تقال (للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول وكذلك (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون) أي وأولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز أن يكون اشارة الى أهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء الخبائث يتزوجن الخباث والخباث تتزوج الخبائث وكذا أهل الطيب (لهم مغفرة) مستأنف أو خبر بعد خبر (ورزق كريم) في الجنة ودخل ابن عباس رضي الله عنهما على عائشة رضي الله عنها في مرضها وهي خائفة من القدوم على الله تعالى فقال لا تخافي لأنك لا تقدمين الا على مغفرة ورزق كريم وتلا الآية فغشي عليها فرحا بما تلا وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام ان يتزوجني وتزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري وتوفي عليه الصلاة والسلام ورأسه في حجري وقبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان كان لينزل عليه الوحي وأنا في لحافه وأنا ابنة خليفته وصديقه ونزل عذري من

عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾ أي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله ﴿اولئك﴾ يعني اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم او الرسول وعائشة وصفوان رضي الله عنهم ﴿مبرؤن مما يقولون﴾ اذ لو صدق لم تكن زوجته عليه السلام ولم يقرر عليها وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرأون مما يقولون فيهم أو للخبيثين والخبيثات اي مبرأون من ان يقولوا مثل قولهم ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة

﴿الخبيثات للخبيثين﴾ قال أكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول للخبيثين من الناس ومثله ﴿والخبيثون﴾ اي من الناس ﴿للخبيثات﴾ من القول ﴿والطيبات﴾ أي من القول ومعنى الآية ان الخبيث من القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول لا يليق الا بالطيب من الناس وعائشة لا يليق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيب القول من الثناء والمدح وما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم بالخبيث الا الخبيث من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ولا يتكلم بالطيب من القول الا الطيب من الرجال والنساء وهذا مدح للذين برؤها بالطاهر والمدح لها وقيل معنى الآية الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبي المنافق والشاكين في الدين والطيبات من النساء ﴿للطيبين والطيبون للطيبات﴾ يريد عائشة طيبها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿أولئك مبرؤن﴾ يعني عائشة وصفوان ذكرهما الله بلفظ الجمع منزهون ﴿مما يقولون﴾ يعني أصحاب الافك ﴿لهم مغفرة﴾ أي عفو لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ يعني الجنة روي

أيضا (الخبيثات) من القول والفعل (للخبيثين) من الرجال والنساء ويقال بهم تليق (والخبيثون) من الرجال والنساء (للخبيثات) من القول والفعل يتبعون ويقال بهم تليق ويقال الخبيثات من النساء حمنة بنت جحش الاسدية التي خاضت في أمر عائشة للخبيثين من الرجال عبد الله بن أبي وأصحابه وحسان بن ثابت تشبه والخبيثون من الرجال عبد الله بن أبي وأصحابه للخبيثات من النساء اللاتي خضن في أمر عائشة تشبه (والطيبات) من القول والفعل (للطيبين) من الرجال والنساء ويقال بهم تليق (والطيبون) من الرجال والنساء (للطيبات) من القول والفعل يتبعون ويقال بهم تليق ويقال والطيبات من النساء يعني عائشة للطيبين من الرجال يعني النبي صلى الله عليه وسلم تشبه والطيبون من الرجال يعني النبي صلى الله عليه وسلم للطيبات يعني عائشة تشبه (أولئك) عائشة وصفوان (مبرؤن مما يقولون) عليهم من الفرية (لهم مغفرة) لذنوبهم في الدنيا (ورزق كريم) في الجنة يقول اذا أثنى على الرجل والمرأة ثناء حسنا

(الغافلات) السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتى ليس فيهن دهاء ولامكر لانهن لم يجربن الامور (المؤمنات) بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضى الله عنهما هن أزواجه عليه الصلاة والسلام وقيل هن جميع المؤمنات اذالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل أريدت عائشة رضى الله عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من نساء النبى عليه الصلاة والسلام فكانه قذفهن (لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) جعل القذفة ملعونين فى الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة ان

لم يتوبوا والعامل فى ﴿سورة النور﴾ (يوم تشهد عليهم) يعذبون وبالياء حمزة وعلى (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أى بما أفكوا أو بهتوا والعامل فى (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذى هم أهله وقرأ مجاهد بالرفع صفة كقراءة أبى يوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفا لله بان ينتصب على المدح (ويعلمون) عندذلك (ان الله هو الحق المبين) لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضرورى ولم يغلظ الله تعالى فى القرآن فى شئ من المعاصى تغليظه فى افك عائشة رضى الله عنها فاوجز فى ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وماذاك الا ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض فى أمر عائشة وهذا منه تعظيم ومبالغة فى أمر الافك

﴿الغافلات﴾ عما قذفن به ﴿المؤمنات﴾ بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا فى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كابن ابى ﴿لعنوا فى الدنيا والآخرة﴾ لما طعنوا فيهن ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف مالم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل فى افك عائشة رضى الله عنها ﴿يوم تشهد عليهم﴾ ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف * وقرأ حمزة والكسائى بالياء للتقدم والفصل ﴿ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون﴾ يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفى ذلك مزيد تهويل للعذاب ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ جزاءهم المستحق ﴿ويعلمون﴾ لمعاينتهم الامر ﴿ان الله هو الحق المبين﴾ الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه فى ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه اوذو الحق البين اى العادل الظاهر

﴿الغافلات﴾ أى عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة هى التى لا يقع فى قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضى الله عنها ﴿المؤمنات﴾ وصفها بالمؤمنات لعلو شأنها ﴿لعنوا﴾ أى عذبوا ﴿فى الدنيا﴾ بالحد ﴿والآخرة﴾ أى وفى الآخرة بالنار ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ وهذا فى حق عبدالله بن أبى بن سلول المنافق وروى عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله فى الدنيا والآخرة قال ذاك لعائشة وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس فى ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات الى قوله تابوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لاولئك توبة وقيل بل لهم توبة أيضا للآية ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾ هذا قبل ان يختم على أفواههم ﴿وأيديهم وأرجلهم﴾ يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدى والارجل بما عملت فى الدنيا وهو قوله ﴿بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ أى جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل ﴿ويعلمون ان الله هو الحق المبين﴾ أى الموجود الظاهر الذى بقدرته وجود كل شئ وقيل معناه يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم فى الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبدالله بن أبى بن سلول كان يشك فى الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين * قوله عز وجل

(الغافلات) عن الزنا العفائف (المؤمنات) المصدقات بتوحيد الله يعنى عائشة (لعنوا) عذبوا (فى الدنيا) بالجلد (والآخرة) بالنار يعنى عبدالله بن أبى (ولهم عذاب عظيم) شديد أشد مما يكون فى الدنيا يعنى عبدالله بن أبى وأصحابه (يوم) وهو يوم القيامة (تشهد عليهم) على عبدالله بن أبى وأصحابه (ألسنتهم) بما قالوا (وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) فى الدنيا (يومئذ) يوم القيامة (يوفيهم الله دينهم الحق) يوفرهم الله جزاء أعمالهم بالعدل (ويعلمون أن الله) يعنى أن ما قال الله فى الدنيا (هو الحق المبين) ونزل فيهم

التائبين بقبول توبتهم اذا أحسنوها (والله سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم واخلاصهم (ولا يأتل) ولا يحلف من ا...
اذا حلف افتعال من الالية أولا يقصر من الالو (أولوا الفضل منكم) فى الدين (والسعة) فى الدنيا (ان يؤتوا) ...
لا يؤتوا ان كان من الالية (أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) أى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين
للاحسان أولا يقصروا فى أن يحسنوا اليهم وان كانت بينهم و بينهم شحناء لجناية اقترفوها (وليعفوا وليصفحوا) العفو الستر والصفح الاعراض أى وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة (ألا تحبون ان يغفر الله لكم) فليفعلوا بهم ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم (والله غفور رحيم) فتأدبوا بادب الله واغفروا وارحموا نزلت فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه فى عائشة رضى الله عنها وكان مسكينا بدريا مهاجرا ولما قرأها النبى صلى الله عليه وسلم على أبى بكر قال بلى أحب ان يغفر الله لى ورد الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) الغفائف

يحمله على التوبة وقبولها ﴿والله سميع﴾ لمقالتهم ﴿عليم﴾ بنياتهم ﴿ ولا يأتل ﴾ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل فى ابى بكر رضى الله عنه وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ﴿ اولوا الفضل منكم ﴾ فى الدين ﴿والسعة﴾ فى المال وفيه دليل على فضل ابى بكر وشرفه رضى الله عنه ﴿ان يؤتوا ﴾ على ان لا يؤتوا اوفى ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات ﴿ اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ﴾ صفات لموصوف واحد اى ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك أو لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ فى تعليل المقصود ﴿ وليعفوا ﴾ ما فرط منهم ﴿وليصفحوا ﴾ بالاغماض عنه ﴿ألا تحبون ان يغفر الله لكم ﴾ على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم ﴿والله غفور رحيم ﴾ مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روى انه عليه الصلاة والسلام قرأها على ابى بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ﴿ ان الذين يرمون المحصنات ﴾ العفائف

﴿والله سميع ﴾ أى لاقوالكم ﴿عليم ﴾ أى بما فى قلوبكم * قوله عز وجل ﴿ ولا يأتل ﴾ أى ولا يحلف من الالية وهى القسم ﴿ أولوا الفضل منكم والسعة ﴾ يعنى الغنى يعنى أبا بكر الصديق ﴿ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ﴾ يعنى مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة أبى بكر الصديق حلف أبو بكر ان لا ينفق عليه فانزل الله هذه الآية ﴿ وليعفوا وليصفحوا ﴾ أى عن خوض مسطح فى أمر عائشة ﴿ألا تحبون ﴾ يخاطب أبا بكر ﴿ أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بكر قال بلى انا أحب ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح بنفقته التى كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها عنه أبدا وفى الآية أدلة على فضل أبى بكر الصديق لان الفضل المذكور فى الآية ذكره تعالى فى معرض المدح وذكره بلفظ الجمع فى قوله أولوا الفضل وقوله ألا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شأنه ومرتبته ومنها انه احتمل الاذى من ذوى القربى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من أشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال فى حق أبى بكر وليعفوا وليصفحوا فدل ان أبا بكر كان ثانى اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع الاخلاق وفى الآية دليل على ان من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير ويكفر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه * قوله تعالى ﴿ ان الذين يرمون المحصنات ﴾ أى العفائف

(والله سميع) لمقالتكم (عليم) بكم باعمالكم ثم نزل فى شأن أبى بكر حين حلف انه لا ينفق على ذوى قرابته لقبل ما خاضوا فى أمر عائشة يعنى مسطحا وأصحابه فقال (ولا يأتل) لا ينبغى أن يحلف (أولوا الفضل منكم) بالبذل (والسعة) بالمال (أن يؤتوا أولى القربى) ان لا يؤتوا (الغافلات)
أى لا يعطوا أو لا ينفقوا على ذوى القرابة وكان مسطح ابن خالته (والمساكين) وكان مسكينا (والمهاجرين فى سبيل الله) ...
طاعة الله وكان مهاجريا (وليعفوا) يتركوا (وليصفحوا) يتجاوزوا (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) الا تحب يا أبا بكر أن يغفر الله لـ...
(والله غفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب فقال أبو بكر بلى أحب يارب فألطف بقرابته وأحسن اليهم بعدما نزلت هذه الآية ثم نـ...
فى شأن عبد الله بن أبى وأصحابه الذين خاضوا فى أمر عائشة وصفوان فقال (ان الذين يرمون) بالزنا (المحصنات) الحرائـ...

(لهم عذاب أليم فى الدنيا) بالحد ولقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى وحسانا ومسطحا الحد (والآخرة) بال... وعدها ان لم يتوبوا (والله يعلم) بواطن الامور وسرائر الصدور (وأنتم لاتعلمون) أى انه قد علم محبة من أحب [الاش]اعة وهو معاقبه عليها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لعجل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف [الجو]اب مبالغة فى المنة عليهم والتوبيخ لهم (وان الله رؤف) حيث أظهر براءة المقذوف وأثاب (رحيم) بغفرانه جناية القاذف اذا تاب (ياأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) أى آثاره ووساوسه بالاصغاء الى الافك والقول فيه (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه) فان الشيطان (يأمر بالفحشاء) ما أفرط قبحه (والمنكر) ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبدا) ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس اثم الافك (ولكن الله يزكى من يشاء) يطهر

﴿لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة﴾ بالحد والسعير الى غير ذلك ﴿والله يعلم﴾ ما فى الضمائر ﴿وانتم لاتعلمون﴾ فعاقبوا فى الدنيا على مادل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما فى القلوب من حب الاشاعة ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله ﴿وان الله رؤف رحيم﴾ على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتبعو خطوات الشيطان﴾ باشاعة الفاحشة ه وقرأ نافع والبزى وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها وقرئ بفتح الطاء ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ﴿ماز كا﴾ ماطهر من دنسها ﴿منكم من احد أبدا﴾ آخر الدهر ﴿ولكن الله يزكى من يشاء﴾

قيل الآية مخصوصة بمن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم فكل من أحب ان تشيع الفاحشة أو تظهر على أحد فهو داخل فى حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين ﴿لهم عذاب أليم فى الدنيا﴾ يعنى الحد والذم على فعله ﴿والآخرة﴾ أى وفى الآخرة لهم النار ﴿والله يعلم﴾ أى كذبهم وبراءة عائشة وماخاضوا فيه من سخط الله ﴿وأنتم لاتعلمون﴾ وقيل معناه يعلم ما فى قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وأنتم لاتعلمون ذلك ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أى لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة ﴿وان الله رؤف رحيم﴾ * قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان﴾ أى آثاره ومسالكه ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ أى بالقبائح من الاقوال والافعال وكل مايكرهه الله عز وجل والآية عامة فى حق كل أحد لان كل مكلف ممنوع من ذلك ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبدا﴾ أى ماطهر ولا صلح والآية عند بعض المفسرين على العموم قالوا اخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد وقيل الخطاب للذين خاضوا فى الافك ومعناه ماطهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذى فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ماقبل توبة أحد منكم أبدا ﴿ولكن الله يزكى﴾ أى يطهر ﴿من يشاء﴾ من الذنب بالرحمة والمغفرة

عائشة وصفوان (لهم عذاب أليم) بالضرب (فى الدنيا والآخرة) بالنار لعبد الله ابن أبى خاصة (والله يعلم) ان عائشة وصفوان لم يزنيا (وأنتم لاتعلمون) ذلك (ولولا فضل الله) من الله (عليكم ورحمته) على من لم قذف عائشة وصفوان (وان الله رؤف رحيم) بالمؤمنين ثم نهاهم عن متابعة الشيطان فقال (ياأيها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لاتتبعوا خطوات الشيطان) تزيين الشيطان ووسوسته (ومن يتبع خطوات الشيطان) تزيين الشيطان ووسوسته (فانه يأمر بالفحشاء) بالقبيح من العمل والقول (والمنكر) مالا يعرف فى شريعة ولا فى سنة (ولولا فضل الله) من الله (عليكم ورحمته) بالعصمة والتوفيق (مازكى) ماوحد وصلح (منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى) يوفق ويصلح (من يشاء) من كان اهلا لذلك

بعضهم عندالموت فقيل له فى ذلك فقال أخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهوعندالله عظيم (ولولا) وهلا (اذ سمعتم
قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا) فصل بين لولا وقلتم بالظرف لان للظروف شأنا وهوتنزلها من الاشياء منزلة أنفس
لوقوعها فيها وانها لاتنفك عنها فلذا يتسع فيها مالايتسع فى غيرها وفائدة تقديم الظرف انه كان الواجب
ان يتفادوا أول ماسمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم قدم والمعنى هلا قلتم اذ سمعتم الافك مايصح
أن نتكلم بهذا (سبحانك) للتعجب من عظم الامر ومعنى التعجب فى كلمة التسبيح ان الاصل ان يسبح الله عند ر
التعجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه أولتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة وانما جاز
تكون امرأة النبى كافرة كامرأتى نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة لان

مبعوث الى الكفار ليدعوهم فيجب أن لايكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات (هذا بهتان) زور يبهت من يسمع (عظيم) وذكر فيما تقدم هذا افك مبين ويجوز أن يكونوا أمروا بهما مبالغة فى التبرى (يعظكم الله أن تعودوا) فى ان تعودوا (لمثله) لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه (أبدا) مادمتم احياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهوالايمان الصاد عن كل قبيح (ويبين الله لكم الآيات) الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والآداب الجميلة (والله عليم) بكم وباعمالكم (حكيم)
يجزى على وفق أعمالكم أوعلم صدق نزاهتها وحكم ببراءتها (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين (قيل)
آمنوا) أى ماقبح جدا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الاشاعة ومحبة

مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقى الافك بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهوعندالله عظيم ﴿ ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا ﴾ ماينبغى ومايصح لنا ﴿ ان نتكلم بهذا ﴾ يجوز ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان تكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ سبحانك ﴾ تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب اوتنزيه لله تعالى من ان تكون حرم نبيه فاجرة فان فجورها ينفرعنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لماقبله وتمهيدا لقوله ﴿ هذا بهتان عظيم ﴾ لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ﴿ يعظكم الله ان تعودوا لمثله ﴾ كراهة ان تعودوا لمثله أوفى ان تعودوا ﴿ ابدا ﴾ مادمتم احياء مكلفين ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ﴿ ويبين الله لكم الآيات ﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كى تتعظوا وتتأدبوا ﴿ والله عليم ﴾ بالاحوال كلها ﴿ حكيم ﴾ فى تدابيره ولايجوز الكشخنة على نبيه ولايقرره عليها ﴿ ان الذين يحبون ﴾ يريدون ﴿ ان تشيع ﴾ ان تنتشر ﴿ الفاحشة فى الذين آمنوا

﴿ ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك ﴾ قيل هو للتعجب وقيل هو للتنزيه ﴿ هذا بهتان عظيم ﴾ أى كذب عظيم يبهت ويحير من عظمه روى ان أم أيوب الانصارى قالت لابى أيوب الانصارى مابلغك مايقول الناس فى عائشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله ﴿ يعظكم الله ﴾ قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله ﴿ ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات ﴾ أى فى الامر والنهى ﴿ والله عليم ﴾ أى بامر عائشة وصفوان ﴿ حكيم ﴾ أى حكم ببراءتهما ❁ قوله عز وجل ﴿ ان الذى يحبون ان تشيع الفاحشة ﴾ أى يظهر الزنا ويذيع ﴿ فى الذين آمنوا ﴾

فى العقوبة (ولولا) هلا (اذ سمعتموه) قذف عائشة وصفوان (قلتم مايكون لنا) مايجوز لنا (أن نتكلم بهذا) الكذب (سبحانك هذا
بهتان عظيم) كذب عظيم (يعظكم الله) يخوفكم الله وينهاكم (أن تعودوا لمثله) أن لاتعودوا الى مثله (ابدا ان كنتم) اذ كنتم
(مؤمنين) مصدقين (ويبين الله لكم الآيات) بالامر والنهى (والله عليم) بمقالتكم (حكيم) فيما حكم عليكم من الحد (ان الذين
يحبون) يعنى عبدالله بن أبى وأصحابه (ان تشيع) ان تظهر (الفاحشة فى الذين آمنوا)

لابعة (فاولئك عندالله) أى فى حكمه وشريعته (هم الكاذبون) أى القاذفون لان الله تعالى جعل الفصلة بين الرمى
ادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاؤها والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم يكن لهم بينة
علواهم فكانوا كاذبين (ولولافضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) لولا هذه لامتناع
ال لوجود غيره بخلاف ماتقدم أى ولولا أنى قضيت ان أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم
التى من جملتها الامهال للتوبة وان أترحم عليكم فى الآخرة فى العفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ماخضتم فيه من حديث الافك يقال أفاض فى الحديث وخاض واندفع (اذ) ظرف لمسكم أو لافضتم (تلقونه) يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه (بألسنتكم) أى ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه (وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم) انما قيد بالافواه مع ان القول لايكون الا بالفم لان الشئ المعلوم يكون علمه فى القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم (وتحسبونه) أى خوضكم فى عائشة رضى الله عنها (هينا) صغيرة (وهو عندالله عظيم) كبيرة جزع

لئك عندالله هم الكاذبون ﴾ من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان مالاحجة عليه كذب عندالله
ى فى حكمه ولذلك رتب الحد عليه ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة ﴾
لاهذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا بانواع النعم التى من جملتها
الامهال للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو والمغفرة المقدرين لكم ﴿ لمسكم ﴾ عاجلا ﴿ فيما افضتم
فيه ﴾ خضتم فيه ﴿ عذاب عظيم ﴾ يستحقر دونه اللوم والجلد ﴿ اذ ﴾ ظرف لمسكم أو افضتم
﴿ تلقونه بألسنتكم ﴾ يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه
وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة
وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب
وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اى تتبعونه ﴿ وتقولون بافواهكم ماليس
لكم به علم ﴾ اى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلامساعدة من القلوب لانه ليس
تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم ﴿ وتحسبونه هينا ﴾
سهلا لاتبعة له ﴿ وهو عندالله عظيم ﴾ فى الوزر واستجراء العذاب فهذه ثلاثة آثام

فاولئك عندالله ﴾ أى فى حكم الله ﴿ هم الكاذبون ﴾ وهذا من باب الزواجر * فان قلت
كيف يصيرون عندالله كاذبين اذا لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عندالله كاذب سواء
أتى بالشهداء أو لم يأت . قلت قيل هذا فى حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فاولئك
هم الكاذبون فى غيبى وعلمى وقيل معناه فاولئك عندالله فى حكم الكاذبين فان الكاذب
يجب زجره عن الكذب والقاذف اذا لم يأت بالشهود يجب زجره * قوله تعالى
﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ﴾
معناه لولا انى قضيت ان أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال
للتوبة وان أترحم عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ماخضتم به
من حديث الافك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تأخير العذاب وقبول التوبة
ممن تاب ﴿ اذ تلقونه بألسنتكم ﴾ أى يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان الرجل منهم يلقى
الرجل فيقول بلغنى كذا وكذا فيتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض ﴿ وتقولون
بافواهكم ماليس لكم به علم ﴾ أى من غير ان تعلموا انه حق ﴿ وتحسبونه هينا ﴾ أى
وتظنون انه سهل لا اثم فيه ﴿ وهو عندالله عظيم ﴾ أى فى الوزر

فأولئك عندالله هم الكاذبون) ثم نزل فى شأن الذين لم يقذفوا عائشة وصفوان بن المعطل ولكن خاضوا فيه (ولولا
فضل الله) من الله (عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم) لاصابكم (فيما أفضتم فيه) خضتم فى شأن عائشة وصفوان
(عذاب عظيم) شديد فى الدنيا والآخرة (اذ تلقونه بألسنتكم) اذ يرويه بعضكم عن بعض (وتقولون بافواهكم) بالسنتكم
(ماليس لكم به علم) حجة وبيان (وتحسبونه) يعنى قذف عائشة وصفوان (هينا) ذنبا هينا (وهو عندالله عظيم)

عبـدالله بن أبى (منهم) أى من العصبة (له عذاب عظـيم) أى جهنم يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو فى
من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله مانجت منه ولانجا منها ثم وبخ الخائضين فقال (لولا) هـلا (اذ سمعتمو
أى الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) بالذين منهـم فالمؤمنون كنفس واحدة وهـو كقوله ولا تلمزوا أنف
(خـيرا) عفافا وصلاحا ذلك نحو ماروى ان عمر رضى الله عنه قال لرسـول الله عليه الصلاة والسـلام انا قاطع بكذ
المنـافقين لان الله عصمك من وقوع الذباب عـلى جلدك لانه يقع على النجاسـات فيتلطخ بهـا فلما عصمك الله من
القدر من القذر فكيف لايعصمك عن صحبة من تكون متلطخة بمثل هذه الفاحشة وقال عثمـان ان الله ما أوقع ظ
عـلى الارض لئـلا يضع انسـان قـدمه على ذلك الظـل فلما لم
أحدا من وضع القدم على
ظلك كيف تمكن أحدا من
تلويث عرض زوجتك
وكذا قال على رضى الله عنه
ان جبريل أخبرك ان على
نعليك قذرا وأمرك باخراج
النعل عن رجلك بسبب
ما التصق به من القذر فكيف
لا يأمرك باخراجها بتقدير
ان تكون متلطخة بشئ
من الفواحش وروى ان
أبا أيوب الانصارى قال
لامرأته ألا ترين مايقال
فقالت لو كنت بدل صفوان
أكنت تظن بحرم رسول
الله سوأ فقال لا قالت ولو
كنت أنا بدل عائشة ماخنت
رسـول الله فعائشة خير
منى وصفـوان خير منك
وانما عدل عن الخطاب الى
الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ليبالغ فى التوبيخ بطريق الالتفات وليدل (فاؤلئك)
التصريح بلفـظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضى ان لايصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن
وهذا من الادب الحسن الذى قل القائم به والحافظ له وليتـك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ماسمعه باخوانه (وقالوا هذا افك
مبين) كذب ظاهر لايليق بهما (لولا جاؤا عليه باربعة شهداء) هلا جاؤا على القذف لو كانوا صادقين باربعة شهداء (فاذلم يأتوا بالشهداء

﴿ منهم ﴾ من الخائضين وهو ابن ابى فانه بدأ به واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين ﴿ له عذاب عظيم ﴾ فى الآخرة أو فى الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابى مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى واشـل اليدين ومسطح مكفوف البصر ﴿ لولا ﴾ هـلا ﴿ اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خـيرا ﴾ بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى ظن الخـير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لاينفـك عنـه ولذلك يتسع فيـه مالايتسع فى غـيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض عـلى ان لايخلوا باوله ﴿ وقالوا هذا افك مبين ﴾ كما يقول المتيقن المطلع على الحال ﴿ لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء

فيه وأقام باشـاعته وهو عبدالله بن أبى بن سـلول ﴿ منهم ﴾ من العصبة ﴿ له عذاب عظيم ﴾ يعنى عذاب النار فى الآخرة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين * قوله عز وجل ﴿ لولا اذ سمعتموه ﴾ أى الحديث الكذب وهو قول أهل الافك ﴿ ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم ﴾ باخوانهم وأهل دينهم ﴿ خيرا ﴾ والمعنى كان الواجب على المؤمنين اذ سمعوا قول أهل الافك ان يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا فى التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة للمؤمنين ﴿ وقالوا هذا افك مبين ﴾ أى كذب بين لا حقيقة له ﴿ لولا ﴾ أى هلا ﴿ جاؤا عليه ﴾ أى على مازعموا ﴿ بأربعة شهداء ﴾ أى يشهدون بذلك ﴿ فاذ لم يأتوا بالشهداء

فيه وهو عبدالله بن أبى (منهم له عذاب عظيم) فى الدنيا بالحد وفى الآخرة بالنار (لولا) هلا (اذ سمعتموه) قذف عائشة وصفوان (ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) بامهاتهم (خيرا) يقول هلا ظننتم بعائشة أم المؤمنين كما تظنون بامهاتكم (وقالوا) هلا قلتم (هذا) القذف (افك مبين) كذب بين (لولا جاؤا عليه) هلا جاؤا على ماقالوا (باربعة شـهداء) عـدول فيصدقونه بذلك (فاذلم يأتوا بالشهداء) باربعة شهداء

لاتحسبوه شرالكم ﴾ مستأنف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعائشة وصفوان رضى الله عنهم والهاء للافك ﴿ بل هو خير لكم ﴾ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا ﴿ لكل امرئ منهم مااكتسب من الاثم ﴾ لكل جزاء مااكتسب بقدر ماخاض فيه مختصا به ﴿ والذى تولى كبره ﴾ معظمه * وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه

الشاة التى تألف البيت وتقيم به * قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرنى أى من يقوم بعذرى ان أنا كافأته على سوء صنيعه ان عاتبت أو عاقبت فلاتلومونى على ذلك * قولها وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه أى من قبيلته * قولها ولكن احتملته الحمية أى حمله الغضب والانفة والتعصب الجهل للقرابة * قولها فتثاور الحيان أى ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة * قولها فلم يزل يخفضهم أى يهون عليهم ويسكن * قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت ألممت قيل هو من اللمم وهو صغائر الذنوب وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل * قولها قلص دمعى أى انقطع جريانه * قولها مارام أى مابرح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانة الدرة وجمعها جمان فسرى عنه أى كشف عنه وقول زينب أحمى سمعى وبصرى أى أمنعهما من أن أخبر عالم أسمع ولم أبصر * قولها وهى التى كانت تساميني من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله أى منعها من الوقوع فى الشر بالورع * وقول الرجل ما كشفت من كنف أى من ستر أنثى * قوله ويستوشيه أى يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه * وقول حسان فى عائشة حصان بفتح الحاء يقال امرأة حصان أى متعففة رزان أى ثابتة ماتزن أى ترمى ولاتتهم بريبة أى بامر يريب الناس حيية وتصبح غرثى أى جائعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لاتغتاب أحدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل * وقول عائشة فى حسان انه كان ينافح أى يناضل ويخاصم عن الله ورسوله ❊ وأما التفسير فقوله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك أى بالكذب والافك أسوأ الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالافك عصبة أى جماعة منكم أى عبدالله بن أبى ابن سلول ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيدالله فان قلت عبدالله بن أبى بن سلول كان رأس المنافقين فكيف قال منكم * قلت كان ينسب الى الايمان فى الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الاغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة كانوا من المؤمنين المخلصين ﴿ لاتحسبوه شرالكم ﴾ يعنى الافك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولابويها وللنبى صلى الله عليه وسلم ولصفوان ﴿ بل هو خير لكم ﴾ يعنى ان الله أجركم على ذلك وأظهر براءتكم وشهد بكذب العصبة وأوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم ﴿ لكل امرئ منهم ﴾ أى من العصبة الكاذبة ﴿ مااكتسب من الاثم ﴾ جزاء مااجترح من الذنب على قدر ماخاض فيه ﴿ والذى تولى كبره ﴾ أى تحمل معظمه وبدأ بالخوض

(لاتحسبوه) أى الافك (شرالكم) عندالله (بل هو خيرلكم) لان الله أثابكم عليه وأنزل فى البراءة منه ثمانى عشرة آية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين (لكل امرئ منهم مااكتسب من الاثم) أى على كل امرئ من العصبة جزاء اثمه على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت (والذى تولى كبره) أى عظمه

(لاتحسبوه) يعنى القذف لعائشة وصفوان (شرالكم) فى الآخرة (بل هو خيرلكم) فى الثواب (لكل امرئ منهم) ممن خاض فى أمر عائشة وصفوان بن المعطل (ما اكتسب من الاثم) على قدر ماخاض فيه (والذى تولى كبره) اشاع وأعظم المقالة

وبصرى والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عائشة وهى التى كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذى بلغنى من حديث هؤلاء الرهط زاد فى رواية قالت عائشة والله ان الرجل الذى قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد فى سبيل الله شهيدا هذا حديث متفق على صحته أخرجاه فى الصحيحين زاد البخارى فى رواية عن عروة عن عائشة والذى تولى كبره منهم عبدالله بن أبى ابن سلول وقال عروة أخبرت انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويشيعه ويستوشيه قال عروة لم يسم لى من أهل الافك الا حسان بن ثابت ومسطح ابن اثاثة وحمنة بنت جحش فى ناس آخرين لا علم لى بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالدتى وعرضى ٭ لعرض محمد منكم وقاء

أخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان ينشدها شعرا يبت من أبياته فقال

حصان رزان ما تزن بريبة ٭ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها اتأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأى عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح اويهاجى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ حل غريب الفاظ هذا الحديث ﴾

٭قوله وكلهم حدثنى طائفة اى قطعة من حديثها ٭قوله كان اوعى اى احفظ له ٭قولها آذن اى اعلم بالرحيل ٭قولها فاذا عقدلى من جزع اظفار هو نوع من الخرز وهو الحجر اليمانى المعروف ٭قولها لم يهبلن اى يكثر لحمهن من السمن فيثقلن ٭قولها انما يأكلن العلقة من الطعام هو بضم العين اى البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمق ٭قولها وليس بها منهم داع ولا مجيب اى ليس بها احد لا من يدعو ولا من يرد جوابا ٭قولها فتيممت اى قصدت ٭قولها قد عرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر فى آخر الليل للراحة والادلاج بالتشديد سير آخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله ٭قولها باسترجاعه هو قوله انا لله وانا اليه راجعون ٭قولها فخمرت اى غطيت وجهى بجلبابى اى ازارى ٭قولها موغرين فى نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذا نحر الظهيرة اى اولها ٭قولها والناس يفيضون اى يخوضون ويتحدثون ٭قولها وهو يريبنى يقال رابنى الشئ يريبنى أى شككت فيه ٭قولها ولا أرى من النبى صلى الله عليه وسلم اللطف أى الرفق بها واللطف فى الافعال الرفق وفى الاقوال لين الكلام ٭قولها حتى نقهت أى أفقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غائط وبول وأصله المكان الواسع الخالى والمرط كساء من صوف أو خز ٭قولها تعس مسطح أى عثر وهو من الدعاء على الانسان أى سقط لوجهه ٭قولها ياهنتاه أى بلهاء كأنها نسبها الى البله وقلة المعرفة ٭قولها لا يرقألى دمع أى لا ينقطع وقول بريرة ان رأيت عليها أى ما رأيت منها أمرا أغمصه بالصاد المهملة أى أعيبه والداجن

﴿ الشاة ﴾

الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي ذلك لايرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لايرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فاصبح عندي أبواي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن ان البكاء فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي اذا استأذنت علي امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ماقيل قبلها وقد مكث شهرا لايوحى اليه في شأني بشيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد ياعائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة وقلت لابي أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ماأدري ما أقول لرسول الله فقلت لامي أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ماأدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لاأقرأ كثيرا من القرآن اني والله لقد علمت انكم سمعتم ماتحدث به الناس حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لاتصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني فوالله ماأجد لي ولكم مثلا الا أبا يوسف اذ قال فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم اني بريئة وان الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله في شأني وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بامر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله مارام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولاخرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه قال فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها أن قال لي ياعائشة احمدي الله وفي رواية قال أبشري ياعائشة اما الله فقد برأك فقالت لي أمي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لاوالله لاأقوم اليه ولاأحمد الا الله هو الذي أنزل براءتي قالت فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات فانزل الله عز وجل هذه الآيات في براءتي قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيأ أبدا بعد الذي قال لعائشة فانزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله اني لاحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لاانزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال يازينب ماعلمت أو مارأيت فقالت يارسول الله أحمي سمعي

الاربعين وكذلك العصابة يريد عبدالله بن ابي وزيد بن رفعة وحسان بن ثابت ومسطح ابن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبران وقوله

وهي متبرزنا وكنا لانخرج الاليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا نمشي فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ماقلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت ياهنتاه أولم تسمعي ماقال قلت وماقال فأخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم قلت له أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأنا حينئذ أريد ان أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أبوي فقلت لامي يا أمتاه ماذا يتحدث الناس به فقالت يابنية هوني على نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لايرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت فاما أسامة فاشار عليه بما يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال أسامة هم أهلك يارسول الله ولا نعلم والله الاخيرا وأما علي بن أبي طالب فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة قالت له بريرة لاوالذي بعثك بالحق ان رأيت منها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتي الداجن فيأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبدالله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي وفي رواية في أهل بيتي فوالله ماعلمت على أهلي الاخيرا ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه الاخيرا وما كان يدخل على أهلي الا معي قالت فقام سعد بن معاذ أحد بني عبد الاشهل فقال أنا أعذرك منه يارسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لاتقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى

الرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقدها من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به ﴿ عصبة منكم ﴾ جماعة منكم وهي من العشرة الى

عصبة منكم ﴾ الآيات سبب نزولها ماروى عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ماقالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيها خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة أقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما نزل الحجاب فكنت أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني أقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين في نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبدالله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الافك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي اني لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريبني منه ولا أشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع

بعدما نزلوا فهلك في من هلك فاعتللت شهرا وكان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت ولا أرى منه لطفا كنت أراه حتى عثرت خالة أبي أم مسطح فقالت تعس مسطح فانكرت عليها فاخبرتني بالافك فلما سمعت ازددت مرضا وبت عند أبوي لا يرقأ لي دمع وما اكتحل بنوم وهما يظنان ان الدمع فالق كبدي حتى قال عليه الصلاة والسلام ابشري ياحميراء فقد أنزل الله براءتك فقلت بحمد الله لا بحمدك (عصبة) جماعة من العشرة الى الاربعين واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبدالله بن أبي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم (منكم) من جماعة المسلمين وهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين

(عصبة) جماعة (منكم) نزلت في عبدالله بن أبي ابن سلول المنافق وحسان بن ثابت الانصاري ومسطح ابن اثاثة ابن خالة أبي بكر الصديق وعباد بن عبد المطلب وحمنة بنت جحش الاسدية فيما قالوا على عائشة وصفوان بن المعطل من الفرية

فى ذلك ورفع الخامسة بالابتداء ومابعدها الخبر أو بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان لعنة الله و ان غضب الله بتخفيف النون فيهما ورفع التاء وكسر الضاد وفتح الباء من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون بتشديد النون ونصب التاء وفتح الضاد وجر الهاء ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ﴾ متروك الجواب للتعظيم اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ﴿ان الذين جاؤا بالافك ﴾ بابلغ مايكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ماافك به على عائشة رضى الله عنها وذلك انه عليه الصلاة والسلام استصحبها فى بعض الغزوات فاذن ليلة فى القفول

اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رمانى به وتقول فى الخامسة على غضب الله ان كان زوجى من الصادقين فيما رمانى به ولا يتعلق بلعانها الا هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو أقام الزوج بينة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند أصحاب الرأى لاحد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الآخرين اللعان حجة صدقه والقاذف اذا قعد عن اقامة البينة على صدقه لايحبس بل يحد كقاذف الاجنبى اذا قعد عن اقامة البينة وعند أبى حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفى النسب وهما لايحصلان الا بلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضى وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعى وتلك الفرقة متأبدة حتى لو أكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لافيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لايرتفع تأبيد التحريم وعند أبى حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا أكذب نفسه جاز له أن ينكحها واذا أتى ببعض كلمات اللعان لايتعلق به الحكم وعند أبى حنيفة اذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح لعانه حرا كان او عبدا مسلما كان أو ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثورى والشافعى وأكثر أهل العلم وقال الزهرى والاوزاعى وأصحاب الرأى لايجرى اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين فان كان أحد الزوجين رقيقا أو ذميا أو محدودا فى قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قال يجرى اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره ولايصح اللعان الا عند الحاكم أو نائبه ويغلظ اللعان باربعة اشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وان يكون بمحشر جماعة من الناس أما تعدد الالفاظ فيجب ولايجوز الاخلال بشئ منها وأما المكان فهو ان يلاعن فى أشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبى صلى الله عليه وسلم وفى سائر البلاد فى الجامع عند المنبر وأما الزمان فهو أن يكون بعد العصر وأما الجمع فأقله أربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وفى التغليظ بالزمان والمكان قولان * قوله تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ أى لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان ﴿وان الله تواب﴾ أى يعود على من يرجع عن المعاصى بالرحمة ﴿حكيم﴾ أى فيما فرضه من الحدود * قوله عز وجل ﴿ان الذين جاؤا بالافك

حدالقذف فى حقه ومقام حدالزنا فى حقها لأن الله تعالى سماه شهادة و قذف الزوج زوجته بالزنا وهما من أهل الشهادة صح اللعان بينهما واذا التعنا كاذبين فى النهر لاتقع الفرقة حتى يفرق القاضى بينهما وعند زفر رحمه الله تعالى تقع بتلاعنهما والفرقة تطليقة بائنة وعند أبى يوسف وزفر والشافعى تحريم مؤبد و نزلت آية اللعان فى هلال ابن امية او عويمر حيث قال وجدت على بطن امرأتى خولة شريك بن سحماء فكذبته فلاعن النبى صلى الله عليه وسلم بينهما (ولولا فضل الله) تفضله (عليكم ورحمته) نعمته (وان الله تواب حكيم) جواب لولا محذوف أى لفضحكم أولعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) هو أبلغ مايكون من الكذب والافتراء وأصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ماأفك به على عائشة رضى الله عنها قالت عائشة فقدت عقدا فى غزوة بنى المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلو

(ولولا فضل الله) من الله (عليكم ورحمته) لبين الكاذب منكم (وأن الله تواب) متجاوز لمن تاب (حكيم) حكم اللعان بين المرأة والرجل بالقرية نزلت هذه الآية فى عاصم بن عدى الانصارى ابتلى بهذا (ان الذين جاؤا بالافك) تكلموا بالكذب (عصبة)

حد الزنا على المرأة لقوله ﴿ ويدرأ عنها العذاب ﴾ أى الحد ﴿ ان تشهد اربع شهادات الله انه لمن الكاذبين ﴾ فيما رماها به ﴿ والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ﴾

غلاما كأنه جمل أورق على الشبه المكروه وكان أميرا بمصر لايدرى من أبوه الاورق هو الابيض وروى ابن عباس ان عويمرا لما لاعن زوجته خولة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودى الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال أشهد بالله ان خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثانية أشهد بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثالثة أشهد بالله انها لحبلى من غيرى وانى لمن الصادقين ثم قال فى الرابعة أشهد بالله انى ماقربتها منذ أربعة أشهر وانى لمن الصادقين ثم قال فى الخامسة لعنة الله على عويمر يعنى نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالقعود فقعد ثم قال لخولة قومى فقامت فقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت فى الثانية أشهد بالله انه مارأى شريكا على بطنى وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الثالثة اشهد بالله انى حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الرابعة اشهد بالله انه مارآنى قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الخامسة غضب الله على خولة تعنى نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لى فى أمرهما رأى ثم قال تحينوا الولادة فان جاءت به أصيهب أثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحماء وان جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذى رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق بشريك ❊ بيان حكم الآية ان الرجل اذا قذف امرأته فوجبه موجب قذف الاجنبية وجوب الحد عليه ان كانت محصنة أو التعزير ان كانت غير محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف أجنبيا أو اجنبية يقام عليه الحد الا أن يأتى باربعة يشهدون بالزنا أو يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفى الزوجة اذا وجد أحد هذين أو لاعن سقط عنه الحد فاللعان فى قذف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلا ربما لا يمكنه اقامة البينة ولا يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا أقام الزوج بينة على زناها أو اعترفت هى بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله أن يلاعن لنفيه واذا أراد الامام أن يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل أشهد بالله انى لمن الصادقين فيما رميت به زوجتى فلانة من الزنا وان كان قدرماها برجل بعينه سماه فى اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولد أو حمل يريد نفيه يقول وان هذا الولد أو هذا الحمل لمن الزنا ماهو منى ويقول فى الخامسة على لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا أتى بكلمة من كلمات من غير تلقين الامام لاتحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التأبيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المرأة حد الزنا فهذه خمسة أحكام تتعلق بلعان الزوج ❊ قوله عز وجل ﴿ ويدرأ ﴾ أى يدفع ﴿ عنها العذاب ﴾ أى الحد ﴿ ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ﴾ حكم الآية ان الزوج اذا لاعن وجب على المرأة حد الزنا فان أرادت

شهادات بالله انه) ان الزوج (لمن الكاذبين) فيما رمانى به من الزنا (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان) أى الزوج (من الصادقين) فيما رمانى به من الزنا ونصب حفص الخامسة عطفا على أربع شهادات وغيره رفعها بالابتداء وان غضب الله خبره وخفف نافع ان لعنت الله وان غضب الله بكسر الضاد وهما فى حكم المثقلة وان غضب الله سهل ويعقوب وحفص وجعل الغضب فى جانبها لان النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث فربما يجترئن على الاقدام لكثرة جرى اللعن على ألسنتهن وسقوط وقوعه عن قلوبهن فذكر الغضب فى جانبهن ليكون رادعا لهن والاصل ان اللعان عندنا شهادات مؤكدات بالايمان مقرونة باللعن قائمة مقام

(ويدرأ) يعنى يدفع الحاكم (عنها العذاب) عن المرأة العذاب بالرجم (أن تشهد أربع شهادات بالله) اذا حلفت المرأة أربع مرات بالله الذى لا اله الا هو (انه) يعنى زوجها (لمن الكاذبين) فيما قال عليها (والخامسة أن غضب الله عليها) على المرأة (ان كان) زوجها (من الصادقين) فيما يقول عليها

﴿والخامسة﴾ والشهادة الخامسة ﴿ان لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين﴾ في الرمي وقرأ نافع
ويعقوب بالتخفيف في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه
وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان
ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت

يامعشر الانصار ألا تسمعون مايقول سيدكم قالوا لاتلمه فانه رجل غيور ماتزوج امرأة
قط الابكرا ولاطلق امرأة له واجترأ رجل منا أن يتزوجها فقال سعد يارسول الله بأبي
أنت وأمي والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرالله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يأبى الاذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا
يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزني
بها فامسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه
فقال يارسول الله اني جئت الى أهل عشاء فوجدت مع امرأتي رجلا رأيت بعيني وسمعت
باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال
هلال والله يارسول الله اني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيتك به والله يعلم اني لصادق وما
قلت الاحقا واني لأرجو أن يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه
قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته فبيناهم
كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه اذ نزل عليه الوحي فامسك
أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون
أزواجهم الى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر ياهلال فان الله
تعالى قد جعل لك فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال يارسول الله
قد صدقت وماقلت الاحقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال
اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة ياهلال اتق الله
فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس وان
هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لايعذبني الله عليها
كما لم يحدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد ﴿والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان
من الكاذبين﴾ ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقي الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله أشد من عذاب
الناس فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لاأفضح قومي فشهدت الخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما
وقضى ان الولد لها ولايدعى لاب ولايرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت به

(والخامسة) لاخلاف في رفع الخامسة هنا في المشهور والتقدير والشهادة الخامسة (ان لعنت الله عليه) فهي مبتدأ وخبر (ان كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا

(والخامسة ان لعنت الله عليه) وفي المرة الخامسة يقول لعنة الله على الرجل (ان كان من الكاذبين) فيما قال عليها

رأيت لو ان رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل لى عن ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما رجع عاصم الى أهله جاءه عويمر فقال ياعاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عاصم لعويمر لم تأتنى بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة التى سألت
عنها فقال عويمر والله لا أنتهى حتى أسأله عنها فجاء عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وسط الناس فقال يارسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم
كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفى صاحبتك قرآنا
فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يارسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يأمره
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين اخرجاه
فى الصحيحين زاد فى رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا ان جاءت به أسحم
أدعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا الا قد صدق عليها وان
جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا احسب عويمرا الا قد كذب عليها فجاءت به على النعت
الذى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى امه * قوله
اسحم اى اسود والادعج الشديد سواد العين مع سعتها * وقوله خدلج الساقين اى ممتلئ
الساقين غليظهما * وقوله كأنه وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة كالعظاءة تلصق بالارض
واراد بها فى الحديث المبالغة فى قصره ﴿خ﴾ عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امرأته
عند النبى صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبى صلى الله عليه وسلم البينة او حد
فى ظهرك فقال يارسول الله اذا رأى أحد على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبى صلى الله
عليه وسلم يقول البينة والا حد فى ظهرك فقال هلال بن أمية والذى بعثك بالحق انى لصادق
ولينزلن الله ما يبرئ ظهرى من الحد فنزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون
ازواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجاآ
فقام هلال بن أمية فشهد والنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل
منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال انها موجبة قال ابن عباس
فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفضح قومى سائر اليوم فمضت فقال
النبى صلى الله عليه وسلم انظروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين
فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من
كتاب الله لكان لى ولها شأن وفى رواية غير البخارى عن ابن عباس قال لما نزلت والذين
يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لى
ان أهيجه حتى آتى بأربعة شهداء فوالله ما كنت لآتى باربعة شهداء حتى يفرغ حاجته
ويذهب وان قلت ما رأيت ان فى ظهرى لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من بعد ذلك) اى القذف (وأصلحوا) أحوالهم استثناء من الفاسقين ويدل عليه (فان الله غفور رحيم) اى يغفر ذنوبهم وير[...]
وحق الاستثناء أن يكون منصوبا عندنا لانه عن موجب وعند من جعل الاستثناء [...]
بالجملة الثانية أن يكون مجرورا بدلا من هم فى لهم ولما ذكر حكم قذف الاجنبيات بين حكم قذف الزوجات فقال (والذين يرمون أزواجهم) اى يقذفون زوجاتهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) اى لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به (الا أنفسهم) يرتفع على البدل من شهداء (فشهادة أحدهم أربع) بالرفع كوفى غير أبى بكر على انه خبر والمبتدأ فشهادة أحدهم وغيرهم بالنصب لانه فى حكم المصدر بالاضافة الى المصدر والعامل فيه المصدر الذى هو فشهادة أحدهم وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع (شهادات بالله انه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا

من بعد ذلك ﴾ عن القذف ﴿ واصلحوا ﴾ اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد اوالاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذا الامر ولا يلزم سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له أوالاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهى ومحله الجر على البدل من هم فى لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ علة للاستثناء ﴿ والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم ﴾ نزلت فى هلال بن امية رأى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء أو صفة لهم على ان الا بمعنى غير ﴿ فشهادة احدهم اربع شهادات ﴾ فالواجب شهادة احدهم أو فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائى وحفص على انه خبر شهادة ﴿ بالله ﴾ متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها ﴿ انه لمن الصادقين ﴾ أى فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا

من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ﴾ اختلف العلماء فى قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفى حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه أو قبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق واذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان ابن يسار والشعبى وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهرى وبه قال مالك والشافعى وذهب قوم الى أن شهادة المحدود فى القذف لا تقبل أبدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله وأولئك هم الفاسقون وهو قول النخعى وشريح وأصحاب الرأى قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعى هو قبل أن يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف تردونها فى أحسن حاليه وتقبلونها فى شر حاليه وذهب الشافعى الى أن حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه لا يسقط الحد بالتوبة الا ان يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا تسقط بالتوبة فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله أبدا قلت معنى أبدا ما دام مصرا على القذف لان أبد كل انسان مدته على ما يليق به كما يقال شهادة الكافر لا تقبل أبدا يراد بذلك ما دام على كفره فاذا أسلم قبلت شهادته ﴿ قوله عز وجل ﴿ والذين يرمون ﴾ أى يقذفون ﴿ أزواجهم ولم يكن لهم شهداء ﴾ أى يشهدون على صحة ما قالوا ﴿ الا أنفسهم ﴾ اى غير انفسهم ﴿ فشهادة أحدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ﴾ سبب نزول هذه الآية ما روى عن سهل بن سعد الساعدى ان عويمرا العجلانى جاء الى عاصم بن عدى فقال ان عاصم

من بعد ذلك) من بعد الفرية (وأصلحوا) فيما بينهم وبين ربهم (فان الله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة نزلت هذه الآية من أولها الى ههنا فى شأن عبد الله بن أبى وأصحابه (والذين يرمون أزواجهم) نساءهم بالفرية (ولم يكن لهم شهداء) على ماقالوا (الا أنفسهم فشهادة أحدهم اربع شهادات بالله) فيحلف ﴿ ارأيت الرجل أربع مرات بالله الذى لا اله الا هو (انه لمن الصادقين) فى قوله على المرأة

انى والشعاب (والذين يرمون المحصنات) وبكسر الصاد على اى يقذفون بالزنا الحرائر والعفائف المسلمات المكلفات والقذف

بالزنا وبغيره والمراد هنا قذفهن بالزنا بان يقول يا زانية لذكر المحصنات عقيب الزواني ولاشتراط

من الزنا الا بزانية والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاسد ﴿ والذين يرمون المحصنات ﴾
يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء
بقوله ﴿ ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ والقذف بغيره مثل يا فاسق
ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ
والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات
لخصوص الواقعة أو لان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند
الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابى حنيفة ولكن ضربه اخف من ضرب
الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ﴿ ولا تقبلوا لهم شهادة ﴾ اى شهادة
كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم فى القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى
حنيفة فان الامر بالجلد والنهى عن القبول سيان فى وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب
بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوأ مما بعده ﴿ ابدا ﴾ مالم يتب وعند
ابى حنيفة الى آخر عمره ﴿ واولئك هم الفاسقون ﴾ المحكوم بفسقهم ﴿ الا الذين تابوا

فاجرة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب فى نكاح الصلحاء من الرجال
انما ترغب فى نكاح فاسق خبيث مثلها أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين أى صرف
الرغبة بالكلية الى نكاح الزوانى وترك الرغبة فى الصالحات العفائف محرم على المؤمنين
ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية * قوله تعالى ﴿ والذين يرمون ﴾ أى
يقذفون بالزنا ﴿ المحصنات ﴾ يعنى المسلمات الحرائر العفائف ﴿ ثم لم يأتوا باربعة
شهداء ﴾ أى يشهدون على الزنا ﴿ فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ بيان حكم الآية ان
من قذف محصنا أو محصنة بالزنا فقال له يا زانى أو يا زانية أو زنيت فيجب عليه جلد ثمانين
ان كان القاذف حرا وان كان عبدا يجلد أربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف
التعزير وشرائط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى
لو زنى فى عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان أقر
المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان
الحد انما وجب عليه لاجل الفرية وقد ثبت صدقه وأما الكنايات مثل أن يقول يا فاسق أو يا فاجر
أو يا خبيث أو يا مؤاجر أو قال امرأتى لا ترد يد لامس فهذا ونحوه لا يكون قذفا الا أن يريد
به وأما التعريض مثل أن يقول أما أنا فما زنيت أو ليست امرأتى زانية فليس بقذف
عند الشافعى وأبى حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال أحمد هو قذف فى حال الغضب دون
حال الرضا * وقوله تعالى ﴿ ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ﴾ فيه دليل على ان
القذف من الكبائر لان اسم الفاسق لا يقع الا على صاحب كبيرة ﴿ الا الذين تابوا

اربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) أى ثم لم يأتوا باربعة شهود يشهدون على الزنا لان القذف بغير الزنا بان يقول يا فاسق يا آكل الربا يكفى فيه شاهدان وعليه التعزير وشروط احصان القذف الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والعفة عن الزنا والمحصن كالمحصنة فى وجوب حد القذف (فاجلدوهم ثمانين جلدة) ان كان القاذف حرا ونصب ثمانين نصب المصادر كما نصب مائة جلدة وجلدة نصب على التمييز (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) نكر شهادة فى موضع النفى فتعم كل شهادة ورد الشهادة من الحد عندنا ويتعلق باستيفاء الحد أو بعضه على ما عرف وعند الشافعى رحمه الله تعالى يتعلق رد شهادته بنفس القذف فعندنا جزاء الشرط الذى هو الرمى الجلد ورد الشهادة على التأبيد وهو مدة حياتهم (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف غير داخل فى حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية وقوله (الا الذين تابوا

ين يرمون المحصنات) يقذفون الحرائر المسلمات العفائف بالفرية (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) أحرار عدول مسلمين
اجلدوهم) بالفرية (ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) العاصون بالفرية (الا الذين تابوا

من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه تناول المسافحات ويؤيده انه عليه الصلاة والسلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لايحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني

المدينة وفيهم فقراء لامال لهم ولاعشائر وفي المدينة نساء بغايا هن أخصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفهن بها منهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مأكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فانزل الله عزوجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما اتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله أنكح عناقا فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيأ فنزلت الزاني لاينكح الا زانية اومشركة والزانية لاينكحها الا زان أومشرك فدعاني فقرأها علي وقال لا تنكحها أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود بالفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزاني لايزني الا بزانية أومشركة والزانية لاتزني الا بزان أومشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روي عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان امرأتي لاتمنع يد لامس فقال طلقها قال اني أحبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره فامسكها اذا وروى هذا الحديث أبو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه أحد الرواة الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروى ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأة في زنا وحرص على ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل في معنى الآية ان الفاجر الخبيث لايرغب في نكاح الصالحة من النساء وانما يرغب في نكاح

وتعطلوا الحد (وليشهد عذابهما) وليحضر موضع حدهما وتسميته عذابا دليل على انه عقوبة (طائفة) فرقة يمكن أن تكون حلقة ليعتبروا وينزجر هو وأقلها ثلاثة أو أربعة وهى صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول شئ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أربعة إلى اربعين رجلا (من المؤمنين) من المصدقين بالله (الزانى لاينكح الا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها الا زان أو مشرك) أى الخبيث الذى من شأنه الزنا لايرغب فى نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب فى خبيثة من شكله أو فى مشركة والخبيثة المسافحة كذلك لايرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين فالآية تزهيد فى نكاح البغايا اذ الزنا عديل الشرك فى القبح والايمان قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرما فى أول الاسلام ثم نسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لان غير الزانى يستقذر الزانية ولايشتهيها وهو صحيح لكنه يقتضى اذا قولك الزانى لايزنى الا بزانية والزانية لايزنى بها الا زان وسئل صلى الله عليه وسلم عمن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال اوله سفاح وآخره نكاح ومعنى الجملة الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وقدمت الزانية على الزانى أولا ثم قدم عليها ثانيا لان تلك الآية سيقت لعقوبتهما على ماجنيا والمرأة هى المادة التى منها نشأت تلك الجناية لانها لولم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا فى ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لانه الخاطب ومنه بدء الطلب وقرئ لاينكح بالجزم على النهى وفى المرفوع أيضا معنى النهى ولكن أبلغ وآكد ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهما جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لايدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها (وحرم ذلك على المؤمنين) أى الزنا أو نكاح البغايا لقصد التكسب بالزنا أو لمافيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة

وهو من باب التهييج ﴿ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ زيادة فى التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مماينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شئ من الطوف واقلها ثلاثة وقيل واحد أو اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير ﴿ الزانى لاينكح الا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها الا زان أو مشرك ﴾ اذ الغالب ان المائل الى الزنا لايرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لايرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق فكان حق المقابلة ان يقال والزانية لاتنكح الا من زان أو مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال فى الرغبة فيهن لان الآية نزلت فى ضعفة المهاجرين لماهموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزانى ﴿ وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن فى النسب وغير ذلك

﴿ وليشهد ﴾ أى وليحضر ﴿ عذابهما ﴾ أى حدهما اذا أقيم عليهما ﴿ طائفة ﴾ أى نفر ﴿ من المؤمنين ﴾ قيل أقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل أربعة بعدد شهود الزنا ﴿ قوله عز وجل ﴿ الزانى لاينكح الا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ اختلف العلماء فى معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون

الموت (وليشهد عذابهما) وليحضر عند اقامة الحد عليهما (طائفة من المؤمنين) رجلا أو رجلان فصاعدا لكى يحفظوا الحد (الزانى) من أهل الكتاب المعلن به (لاينكح) لايتزوج (الا زانية) من ولائد أهل الكتاب (أو مشركة) من ولائد مشركى العرب (والزانية) من ولائد أهل الكتاب أو من ولائد المشركين (لاينكحها) لايتزوجها (الا زان) من أهل الكتاب (أو مشرك) من مشركى العرب (وحرم ذلك) التزويج يعنى تزويج ولائد أهل الكتاب وولائد احرار المشركين (على المؤمنين) نزلت هذه الآية فى قوم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أرادوا أن يتزوجوا ولائد أهل الكتاب وولائد أحرار المشركين كن بالمدينة معلنات بالزنا راغبة فى كسبهن فلما نزلت هذه الآية تركوا ذلك ويقال الزانى من أهل القبلة أو من أهل الكتاب لايزنى الا بزانية مثله أو من أهل الكتاب أو مشركة من مشركى العرب والزانية من أهل القبلة او من أهل الكتاب او من مشركى العرب لاينكحها لايزنى بها الا زان من أهل القبلة او من أهل الكتاب أو مشرك من مشركى العرب وحرم ذلك الزنا على المؤمنين

(فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الجلد ضرب الجلد وفيه اشارة الى انه لايبالغ ليصل الالم الى لحم واخذ

اوالزنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر ﴿ فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذى وقرئتا بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بلاياء وانما قدم الزانية لان الزنا فى الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعى عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس فى الآية مايدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا أو مردود وله فى العبد ثلاثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة فى نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه السلام يهوديين ولايعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد بالمحصن الذى يقتص له من المسلم ﴿ ولاتأخذكم بهما رأفة ﴾ رحمة ﴿ فى دين الله ﴾ فى طاعته واقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه ولذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ فان الايمان يقتضى الجد فى طاعة الله والاجتهاد فى اقامة احكامه وحدوده

فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ الزنا هو من الكبائر وموجب للحد وهو ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط المعتبرة فى وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان فى الرجم ويجب على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لايتنصف وقوله فاجلدوا أى فاضربوا يقال جلده اذا ضرب جلده ولايضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما أى الزانية والزانى مائة جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام وبه قال الشافعى وقال ابو حنيفة التغريب الى رأى الامام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويغرب وتجلد المرأة ولاتغرب وان كان الزانى محصنا فعليه الرجم ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة ﴾ أى رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولاتقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى وقيل معنى الرأفة ان تخففوا الضرب بل أوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهرى يجتهد فى حد الزنا والفرية أى القذف ويخفف فى حد الشرب وقيل يجتهد فى حد الزنا ويخفف دون ذلك فى حد الفرية ويخفف دون ذلك فى حد الشرب ﴿ فى دين الله ﴾ أى فى حكم الله روى ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله فقال يابنى ان الله لم يأمرنى بقتلها وقد ضربت فأوجعت ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ معناه ان المؤمن لاتأخذه الرأفة اذا جاء امر الله وقيل هو من باب التهييج والتهاب التغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تؤمنون فلاتتركوا اقامة الحدود

[illegible] الرجم [illegible] ليس [illegible] المحصن [illegible] الرجم الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والتزوج بنكاح صحيح والدخول وهذا دال على أن التغريب غير مشروع لان الفاء انما يدخل على الجزاء وهو [illegible] الكافى والتغريب [illegible] [illegible] [illegible] فى البيوت وقوله فآذوهما [illegible] (ولاتأخذكم بهما رأفة) أى رحمة [illegible] مكى [illegible] فى دفع المكروه والرحمة فى ايصال المحبوب والمعنى ان الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا فى دين الله ولايأخذهم اللين فى استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود أو يخففوا الضرب (فى دين الله) أى فى طاعة [illegible] (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) [illegible] الشرط مضمر أى فاجلدوا

(فاجلدوا كل واحد منهما) بالزنا (مائة جلدة) سوط (ولاتأخذكم بهما) باقامة الحد عليهما (رأفة) رقة (فى دين الله) فى تنفيذ حكمه الله عليهم (ان كنتم) اذ كنتم (تؤمنون بالله واليوم الآخر) بالبعث ﴿ وليشهد

(فانما حسابه) أى جزاؤه وهذا جزاء الشرط (عند ربه) أى فهو يجازيه لامحالة (انه لايفلح الكافرون) جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وخاتمتها انه لايفلح الكافرون فشتان مابين الفاتحة والخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله (وقل رب اغفر وارحم) ثم قال (وانت خير الراحمين) لان رحمته اذا أدركت أحدا اغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لاتغنيه عن رحمته

﴿سورة النور مدنية وهى ستون وأربع آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (سورة) خبر مبتدأ محذوف أى هذه السورة (أنزلناها) صفة لها وقرأ طلحة سورة على زيدا ضربته أو على أتل سورة والسورة الجامعة جمل آيات بفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة (وفرضناها) أى فرضنا ﴿٣٦٢﴾ أحكامها التى فيها واصل الفرض {سورة النور} القطع أى جعلناها مقطوعا بها وبالتشديد مكى وابو عمرو للمبالغة فى الايجاب وتوكيده أولان فيها فرائض شتى أولكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (وأنزلنا فيها آيات بينات) أى دلائل واضحات (لعلكم تذكرون) لكى تتعظوا وبتخفيف الذال حمزة وعلى وخلف وحفص ثم فصل أحكامها فقال (الزانية والزانى) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف أى فيما فرض عليكم الزانية والزانى أى جلدهما أو الخبر فاجلدوا أودخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذى وتضمينه معنى الشرط وتقديره التى زنت والذى زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرأ عيسى ابن عمر بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لاجل الامر

﴿فانما حسابه عند ربه﴾ فهو مجازله مقدار مايستحقه ﴿انه لايفلح الكافرون﴾ ان الشأن وقرئ بالفتح على التعليل أو الخبر اى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفى الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال ﴿وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين﴾ * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وماتقربه عينه عند نزول ملك الموت * وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال لقد انزلت على عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر * وروى ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح والله اعلم

﴿سورة النور مدنية وهى ثنتان اواربع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سورة﴾ أى هذه سورة اوفيما اوحينا اليك سورة ﴿انزلناها﴾ صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل أودونك أو نحوه ﴿وفرضناها﴾ وفرضنا مافيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها أو المفروض عليهم أو للمبالغة فى ايجابها ﴿وانزلنا فيها آيات بينات﴾ واضحات الدلالة ﴿لعلكم تذكرون﴾ فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال ﴿الزانية والزانى﴾ اى فيما فرضنا

سوى الشرك ﴿فانما حسابه﴾ أى جزاؤه ﴿عند ربه﴾ أى هو يجازيه بعمله ﴿انه لايفلح الكافرون﴾ أى لايسعد من جحد وكذب ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾

﴿تفسير سورة النور وهى مدنية وهى اثنتان وقيل اربع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾ أى أوجبنا مافيها من الاحكام وألزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا مافيها من الحدود وقيل أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ أى واضحات ﴿لعلكم تذكرون﴾ أى تتعظون * قوله تعالى ﴿الزانية والزانى﴾

من دون الله (فانما حسابه) عذابه (عند ربه) فى الآخرة (انه لايفلح) لايأمن ولاينجو (الكافرون) من عذاب الله (وقل) يامحمد (رب اغفر) تجاوز عن أمتى (وارحم) أمتى فلا تعذبهم (وأنت خير الراحمين) أرحم الراحمين ﴿ومن السورة التى يذكر فيها النور وهى كلها مدنية آياتها أربع وستون آية وكلماتها ألف وثلاثمائة وستة عشر وحروفها خمسة آلاف وتسعمائة وثمانون﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (سورة أنزلناها) تقول أنزلنا جبريل بها بردها (وفرضناها) بينا فيها الحلال والحرام (وأنزلنا فيها) بينا فيها (آيات بينات) بالامر والنهى والفرائض والحدود (لعلكم تذكرون) لكى تتعظوا بالامر والنهى فلا تعطلوا الحدود (الزانية والزانى) وهما بكران زنيا

الحساب أو الملائكة الذين يعدون أعمار العباد وأعمالهم فسل بلا همز مكي وعلي (قال ان لبثتم الا قليلا) أي ما لبثتم الا زمنا قليلا أو لبثا قليلا (لو انكم كنتم تعلمون) صدقهم الله تعالى في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها قل ان حمزة وعلي (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) حال أي عابثين أو مفعول له أي للعبث (وانكم الينا لا ترجعون) وبفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي ويعقوب وهو معطوف على انما خلقناكم أو على عبثا أي للعبث ولنترككم غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف ثم للرجوع من دار

التكليف الى

دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء (فتعالى الله) عن ان يخلق عبثا (الملك الحق) الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه (لا اله الا هو رب العرش الكريم) وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه أو لنسبته الى أكرم الاكرمين وقرئ شاذا برفع الكريم صفة للرب تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان) أي لا حجة (له به) اعتراض بين الشرط والجزاء كقوله من أحسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فان الله مثيبه أو صفة لازمة جيء بها للتوكيد كقوله يطير بجناحيه لا ان يكون في الآلهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان

ويقال ملك الموت وأعوانه (قال) الله لهم (ان لبثتم) ما مكثتم في القبور (الا قليلا) [illegible] في النار (لو أنكم كنتم تعلمون) ذلك يقول ان كنتم [illegible] يقول الله لهم لو انكم ان كنتم في الدنيا تعلمون تصدقون أنبيائي اذ علمتم ان لبثتم ما مكثتم في القبور الا قليلا (دعوى مقدم ومؤخر (أفحسبتم) أفظننتم يا أهل مكة (أنما خلقناكم عبثا) هملا بلا أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب (وأنكم الينا لا ترجعون) بعد الموت (فتعالى الله) ارتفع وتبرأ عن الولد والشريك (الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) السرير الحسن (ومن يدع) يعبد (مع الله الها آخر) من الاوثان (لا برهان له به) لا حجة له مما

فانهم ايضا يستقصرون ﴿ قال ﴾ وفي قراءة الكوفيين قل ﴿ ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون ﴾ تصديق لهم في مقالهم ﴿ أفحسبتم انما خلقناكم عبثا ﴾ توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي الم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث ﴿ وانكم الينا لا ترجعون ﴾ معطوف على انما خلقناكم أو عبثا وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال ﴿ لا اله الا هو ﴾ فان ما عداه عبيد ﴿ رب العرش الكريم ﴾ الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى أكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة لرب ﴿ ومن يدع مع الله الها آخر ﴾ يعبده افرادا أو اشراكا ﴿ لا برهان له به ﴾ صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك

عليهم ﴿ قال ان لبثتم ﴾ أي ما لبثتم في الدنيا ﴿ الا قليلا ﴾ سماه قليلا لان المرء وان طال لبثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة ﴿ لو انكم كنتم تعلمون ﴾ أي قدر لبثكم في الدنيا ＊ قوله عز وجل ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ﴾ أي لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة أوامر الله عز وجل ﴿ وأنكم الينا لا ترجعون ﴾ أي في دار الآخرة للجزاء روى البغوي بسنده عن الحسن ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في أذنه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت في اذنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عز وجل ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ أي هو التام الملك الجامع لاصناف المملوكات ﴿ لا اله الا هو رب العرش الكريم ﴾ أي الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه أعظم المخلوقات ﴿ ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ﴾ أي لا حجة ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولا حجة في

ب وغيره بالاياء (انه) ان الامر والشأن (كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين
ذتموهم سخريا) مفعول ثان وبالضم مدنى وحمزة وعلى وكلاهما مصدر سخر كالسخر الا أن فى ياء النسبه مبالغة قيل
الصحابة رضى الله عنهم وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى انسوكم)
اغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فتركتموه أى كان التشاغل بهم سببا لنسيانكم ذكرى (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم
(جزيتهم اليوم بما صبروا) بصبرهم (انهم) أى لانهم (هم الفائزون) ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا أى جزيتهم اليوم فوزهم لان جزى يتعدى الى اثنين وجزاهم بما صبروا جنة انهم حمزة وعلى على الاستئناف أى انهم هم الفائزون لا أنتم (قال) أى الله او المأمور بسؤالهم من الملائكة قل مكى وحمزة وعلى أمر للملك ان يسألهم (كم لبثتم فى الارض) فى الدنيا (عدد سنين) أى كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم وعدد تمييز (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة (فاسئل العادين) أى

لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء ﴿انه﴾ ان الشأن وقرئ بالفتح اى لانه ﴿كان فريق من عبادى﴾ يعنى المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة ﴿يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا﴾ هزؤا وقرأ نافع وحمزة والكسائى هنا وفى ص بالضم وهما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية ﴿حتى انسوكم ذكرى﴾ من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافونى فى اوليائى ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ استهزاء بهم ﴿انى جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ على اذاكم ﴿انهم هم الفائزون﴾ فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثانى مفعولى جزيتهم وقرأ حمزة والكسائى بالكسر استئنافا ﴿قال﴾ اى الله او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى على الامر للملك أو لبعض رؤساء اهل النار ﴿كم لبثتم فى الارض﴾ أحياء او امواتا فى القبور ﴿عدد سنين﴾ تمييز لكم ﴿قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ استقصار لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار أو لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار أو لانها منقضية والمنقضى فى حكم المعدوم ﴿فاسئل العادين﴾ الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها أو الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين أى القدماء المعمرين

﴿انه كان فريق من عبادى﴾ يعنى المؤمنين ﴿يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا﴾ أى تسخرون منهم وتستهزؤن بهم ﴿حتى انسوكم ذكرى﴾ أى انساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكرى ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ نزل فى كفار قريش كانو يستهزؤن بالفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله ﴿انى جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ أى على اذاكم واستهزائكم فى الدنيا ﴿انهم هم الفائزون﴾ أى جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة ﴿قال﴾ يعنى ان الله قال للكفار يوم البعث ﴿كم لبثتم فى الارض﴾ أى فى الدنيا وفى القبور ﴿عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ معناه انهم نسوا مدة لبثهم فى الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب ﴿فاسئل العادين﴾ يعنى الملائكة الذين يحفظون أعمال بنى آدم ويحصونها

من النار (انه كان فريق) طائفة (من عبادى) المؤمنين (يقولون ربنا) يا ربنا (آمنا) بك وبكتابك ورسولك (فاغفر لنا) ذنوبنا (وارحمنا) فلا تعذبنا (قا و نا ٤٦ بع) (وأنت خير الراحمين) أنت أرحم علينا من الوالدين (فاتخذتموهم سخريا) استهزاء (حتى أنسوكم ذكرى) حتى شغلكم ذلك عن توحيدى وطاعتى (وكنتم منهم تضحكون) عليهم تستهزؤن (انى جزيتهم اليوم) الجنة (بما صبروا) على طاعتى وعلى أذاكم (انهم هم الفائزون) فازوا بالجنة ونجوا من النار نزلت هذه الآية فى أبى جهل وأصحابه لاستهزائهم على سلمان واصحابه (قال) الله لهم (كم لبثتم) مكثتم (فى الارض) فى القبور (عدد سنين) الشهور والايام (قالوا لبثنا يوما) ثم شكوا فى ذلك فقالوا (أو بعض يوم) ثم قالوا لا ندرى ذلك (فاسئل العادين) الحفظة

وهم فيها كالحون) عابسون فيقال لهم (ألم تكن آياتي) أي القرآن (تتلى عليكم) في الدنيا (فكنتم بها تكذبون) تزعمون ليست من الله تعالى (قالوا ربنا غلبت علينا) ملكتنا (شقوتنا) شقاوتنا حمزة وعلي وكلاهما مصدر أي شقينا بأعمالنا السـ التي عملناها وقول أهل التأويل غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح لانه انما يكتب مايفعل العبد وما يعلم انه يختاره ولا يكتب غير الذي علم انه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل وهذا لانهم انما يقولون ذلك القول اعتذار المكان منهم من التفريط في أمره فلا يحمل أن يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان منهم (وكنا قوما ضالين) عن الحق والصواب (ربنا أخرجنا منها) أي من النار (فان عدنا) الى الكفر والتكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قال اخسؤا فيها) سكتوا سكوت ذلة وهوان (ولا تكلمون) في رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثمه ولا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير أن يحضرون ارجعون ولا تكلمون بالياء في الوصل والوقف

﴿ وهم فيها كالحون ﴾ من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون ﴿ ألم تكن آياتي تتلى عليكم ﴾ على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن ﴿ فكنتم بها تكذبون ﴾ تأنيث وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ﴾ ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة ﴿ وكنا قوما ضالين ﴾ عن الحق ﴿ ربنا اخرجنا منها ﴾ من النار ﴿ فان عدنا ﴾ الى التكذيب ﴿ فانا ظالمون ﴾ لانفسنا ﴿ قال اخسؤا فيها ﴾ اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ ﴿ ولا تكلمون ﴾ في رفع العذاب او لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرنا الى اجل قريب فيجابون أولم تكونوا اقسمتم من قبل فيقولون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسأوا فيها ثم

﴿ وهم فيها كالحون ﴾ أي عابسون وقد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشوي على النار * عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب * قوله تعالى ﴿ ألم تكن آياتي تتلى عليكم ﴾ يعني قوارع القرآن وزواجره تخوفون بها ﴿ فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ﴾ أي التي كتبت علينا فلم نهتد ﴿ وكنا قوما ضالين ﴾ أي عن الهدى ﴿ ربنا اخرجنا منها ﴾ أي من النار ﴿ فان عدنا ﴾ أي لما نكره ﴿ فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ﴾ أي ابعدوا فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسأ ﴿ ولا تكلمون ﴾ أي في رفع العذاب فاني لا أرفعه عنكم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ماهو الا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروي عن عبد الله بن عمرو ان أهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم اربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير والشهيق ذكره البغوي بغير سند وأخرجه الترمذي بمعناه عن أبي الدرداء وقوله فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة أي سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل اذا قال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم

وجوههم وتحرق عظامهم وتأكل لحومهم النار (وهم فيها) في النار (كالحون) وتحتهم سواد وجوههم وزرقة أعينهم (ألم تكن) يقول الله لهم ألم تكن (آياتي) القرآن (تتلى عليكم) في الدنيا (فكنتم بها) بالآيات (تكذبون) تجحدون (قالوا) الكفار وهم في النار (ربنا) يا ربنا (غلبت علينا شقوتنا) التي (انه) كتبت علينا في اللوح المحفوظ فلا نؤمن (وكنا قوما ضالين) كافرين (ربنا) يا ربنا (أخرجنا منها) من النار (فان عدنا) الى الكفر (فانا ظالمون) على أنفسنا (قال) الله لهم (اخسؤا فيها) اصغروا في النار (ولا تكلمون) لا تسألوني الخروج

القيامة وهو اقناط كلى عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لارجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون فى الآخرة ﴿فاذا نفخ فى الصور﴾ لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد يؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة ﴿فلا انساب بينهم﴾ تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه أو يفتخرون بها ﴿يومئذ﴾ كما يفعلون اليوم ﴿ولا يتساءلون﴾ ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لايناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة ودخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ موزونات عقائده واعماله اى ومن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر ﴿فاولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالنجاة والدرجات ﴿ومن خفت موازينه﴾ اى ومن لم يكن له مايكون له وزن وهم الكفار لقوله فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴿فاولئك الذين خسروا انفسهم﴾ غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها ﴿فى جهنم خالدون﴾ بدل من الصلة أو خبر ثان لاولئك ﴿تلفح وجوههم النار﴾ تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا

معناه ان بينهم وبين الرجعة حجابا ومانعا عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لما علم انه لارجعة يوم البعث الا الى الآخرة ✽ قوله تعالى ﴿فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم﴾ قال ابن عباس انها النفخة الاولى نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض فلا أنساب بينهم ﴿يومئذ ولا يتساءلون﴾ ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفى رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا أنساب بينهم أى لا يتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون فى الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا من أنت ومن أى قبيلة أنت ولم يرد أن الانساب تنقطع ✽ فان قلت قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال فى موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ✽ قلت قال ابن عباس ان للقيامة أحوالا ومواطن ففى موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفى موطن يفيقون افاقة فيتساءلون ✽ قوله عز وجل ﴿فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا﴾ اى غبنوا ﴿أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح﴾ أى تسفع وقيل تحرق ﴿وجوههم النار﴾

يردهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لما علم أن لارجوع بعد البعث الا الى الآخرة (فاذا نفخ فى الصور) قيل انها النفخة الثانية (فلا انساب بينهم يومئذ) وبالادغام أبو عمرو لاجتماع المثلين وان كانا من كلمتين يعنى يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون مثابين ومعاقبين ولايكون التواصل بينهم بالانساب اذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وانما يكون بالاعمال (ولا يتساءلون) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا لان كلا مشغول عن سؤال صاحبه بحاله ولا تناقض بين هذا وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فللقيامة مواطن ففى موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون وفى موطن يفيقون فيتساءلون (فمن ثقلت موازينه) جمع موزون وهى الموزونات من الاعمال الصالحة التى لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه) بالسيئات والمراد الكفار (فاولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها (فى جهنم خالدون) بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لاولئك أو خبر مبتدأ محذوف (تلفح) أى تحرق (وجوههم النار)

(فاذا نفخ فى الصور) نفخة ... الث (فلا انساب بينهم) فلا نفع بينهم بالنسب (يومئذ) يوم القيامة (ولا يتساءلون) عن ذلك (فمن ثقلت موازينه) ميزانه من ... الحسنات (فأولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب (ومن خفت موازينه) ميزانه من الحسنات (فأولئك الذين ... خسروا) غبنوا (أنفسهم فى جهنم خالدون) مقيمون دائمون لايموتون ولايخرجون منها (تلفح وجوههم النار) تضرب

النزع (حتى اذا جاء أحدهم الموت) حتى يتعلق بيصفون أى لايزالون يشركون الى وقت مجئ الموت ولايزالون سوء الذكر الى هذا الوقت ومابينهما مذكور على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم (قال رب ارجعون) أى ردونى الى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك (لعلى أعمل صالحا فيما تركت) فى الموضع الذى تركت وهو الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبى قال قتادة ماتمنى أن يرجع الى أهل ولا الى عشيرة ولكن ليتدارك مافرط لعلى ساكنة الياء كوفى وسهل ويعقوب (كلا) ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد (انها كلمة) المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت (هو قائلها) لامحالة لايخليها ولايسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه (ومن ورائهم) أى امامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا (الى يوم يبعثون)

الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه ﴿ حتى اذا جاء احدهم الموت ﴾ متعلق بيصفون ومابينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون ﴿ قال ﴾ تحسرا على مافرط منه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر ﴿ رب ارجعون ﴾ ردونى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل فى قفا واطرقا ﴿ لعلى اعمل صالحا فيما تركت ﴾ فى الايمان الذى تركته أى لعلى آتى بالايمان واعمل فيه وقيل فى المال او فى الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون ﴿ كلا ﴾ ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها ﴿ انها كلمة ﴾ يعنى قوله رب ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض ﴿ هو قائلها ﴾ لامحالة لتسلط الحسرة عليه ﴿ ومن ورائهم ﴾ امامهم والضمير للجماعة ﴿ برزخ ﴾ حائل بينهم وبين الرجعة ﴿ الى يوم يبعثون ﴾ يوم

أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال عمرو لاأدرى أى صلاة هى قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقد جاء تفسير هذه الالفاظ فى متن الحديث ونزيده ايضاحا فقوله نفثه الشعر أى لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق * وقوله ونفخه الكبر وذلك ان المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج الى ان ينفخ * وقوله وهمزه الموتة الموتة الجنون لان المجنون ينخسه الشيطان ثم أخبر الله عز وجل ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى ﴿ حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ﴾ قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله أولا ثم رجع الى مسئلة الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم فكأنه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون ﴿ لعلى أعمل صالحا فيما تركت ﴾ أى ضيعت وقيل تركت أى منعت وقيل خلفت من التركة أو المعنى أقول لااله الاالله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية قال قتادة ماتمنى ان يرجع الى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تمنى ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما تمناه الكافر اذا رأى العذاب ﴿ كلا ﴾ كلمة ردع وزجر أى لايرجع اليها ﴿ انها ﴾ يعنى مسألته الرجعة ﴿ كلمة هو قائلها ﴾ أى لاينالها ﴿ ومن ورائهم برزخ ﴾ أى من أمامهم ومن بين أيديهم حاجز ﴿ الى يوم يبعثون ﴾

وعند الموت (حتى اذا جاء أحدهم) يعنى كفار مكة (الموت) يعنى ملك الموت وأعوانه لقبض روحهم (قال رب ارجعون) الى الدنيا (لعلى أعمل صالحا) واومن بك (فيما تركت) فى الذى تركت فى الدنيا وكذبت به (كلا) حقا لا يرد الى الدنيا (انها) يعنى الرجعة (كلمة هو قائلها) يتكلم بها صاحبها ولا { معناه } تنفعه (ومن ورائهم) قدامهم (برزخ) يعنى القبر (الى يوم يبعثون) من القبور

والنون مؤكدان أى ان كان لابد من ان ترينى ماتعدهم من العذاب فى الدنيا أو فى الآخرة (رب فلاتجعلنى فى القوم الظالمين) فلاتجعلنى قرينالهم ولاتعذبنى بعذابهم عن الحسن رضى الله عنه أخبره الله ان له فى أمته نقمة ولم يخبره متى وقتها فامر أن يدعو هذا الدعاء ويجوز أن يسأل النبى المعصوم صلى الله عليه وسلم ربه ماعلم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لايفعله اظهارا للعبودية واضعا لربه واستغفاره عليه الصلاة والسلام اذقام من مجلسه سبعين مرة لذلك والفاء فى فلا لجواب الشرط ورب اعتراض بينهما للتأكيد (وانا على أن نريك مانعدهم لقادرون) كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ماوعد ان تأملتم فاوجه هذا الانكار (ادفع بالتى) بالخصلة التى (هى أحسن السيئة) هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لمافيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى اصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى شهادة أن لااله الاالله والسيئة الشرك أو الفحش بالسلام او المنكر بالموعظة وقيل وهى منسوخة بآية السيف وقيل محكمة اذ المداراة محثوث عليها مالم تؤد الى ثلم دين (نحن أعلم بمايصفون) من الشرك أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم فنجازيهم عليه (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) من وساوسهم ونخساتهم والهمزة النخس والهمزات جمع الهمزة ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصى كما تهمز الراضة الدواب حثالها على المشى (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه بالتعوذ من أن يحضروه أصلا أو عند تلاوة القرآن أو عند

﴿ رب فلاتجعلنى فى القوم الظالمين ﴾ قرينالهم فى العذاب وهو اما لهضم النفس أو لان شؤم الظلمة قد يحيق بما وراءهم كقوله واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له فى امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار ﴿ وانا على ان نريك مانعدهم لقادرون ﴾ لكنا نؤخره علما بان بعضهم أو بعض اعقابهم يؤمنون أو لانا لانعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ﴿ ادفع بالتى هى احسن السيئة ﴾ وهو الصفح عنها والاحسان فى مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن فى الدين وقيل هى كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل ﴿ نحن اعلم بما يصفون ﴾ أى بما يصفونك به أو بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم ﴿ وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين ﴾ وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصى بهمز الراضة الدواب على المشى والجمع للمرات او لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف اليه ﴿ واعوذ بك رب ان يحضرون ﴾ ويحوموا حولى فى شىء من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القران وحلول

﴿ رب ﴾ أى يارب ﴿ فلاتجعلنى فى القوم الظالمين ﴾ أى لاتهلكنى بهلاكهم ﴿ وانا على أن نريك مانعدهم ﴾ أى من العذاب ﴿ لقادرون ادفع بالتى هى أحسن ﴾ أى بالخلة التى هى أحسن وهى الصفح والاعراض والصبر ﴿ السيئة ﴾ يعنى أذاهم أمر بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف ﴿ نحن أعلم بمايصفون ﴾ أى يكذبون ويقولون من الشرك ٭ قوله عز وجل ﴿ وقل رب أعوذ بك ﴾ أى امتنع واعتصم بك ﴿ من همزات الشياطين ﴾ قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغواء الى المعاصى ﴿ وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ أى فى شىء من أمورى وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له ٭ عن جبير بن مطعم

عذاب (رب) يارب (فلاتجعلنى فى القوم الظالمين) مع القوم الكافرين يوم بدر (وانا على أن نريك) يامحمد (مانعدهم) من العذاب يوم بدر (لقادرون ادفع بالتى هى أحسن السيئة) يقول ادفع بلا اله الا الله كلمة الشرك عن أبى جهل وأصحابه ويقال بالسلام كلمة القبيح عن نفسك (نحن أعلم بمايصفون) من الكذب (وقل رب أعوذ بك) اعتصم بك (من همزات)نزغات (الشياطين) التى تصرع بها الرجل (وأعوذ بك رب أن يحضرون) من ان يحضرونى يعنى الشياطين فى الصلاة وعند القراءة

السؤال من وكذا الثاني والثالث عند غير أهل البصرة على المعنى لانك اذا قلت من رب هذا فمعناه لمن هذا فيجاب لفلان كقول الشا

اذا قيل من رب المزالف والقرى ه ورب الجياد الجرد قيل لخالد

أي لمن المزالف ومن قرأ بحذفه فعلى الظاهر لانك اذا قلت من رب هذا فجوابه فلان (بل أتيناهم بالحق) بان نسبة الولد اليه ع

والشرك باطل (وانهم لكاذبون) في قولهم اتخذ الله ولدا ودعائهم الشريك ثم أكد كذبهم بقوله (ما اتخذ الله من ولد) لانه منزه عن الن

والجنس وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من اله) وليس معه شريك في الالوهية (اذا لذهب كل اله بما خلق) لانفرد كل وا

من الآلهة بالذي خلقه فاستبد به ولتميز ملك كل واحد منهم عن الآخر (ولعلى بعض

على بعض) ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثر التمايز للممالك وللتغالب فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شيء ولا يقال اذا لاتدخل الا على كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة لدلالة وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن حاجه من المشركين (سبحان الله عما يصفون) من الانداد والاولاد (عالم) بالجر صفة لله وبالرفع مدني وكوفي غير حفص خبر مبتدأ محذوف (الغيب والشهادة) السر والعلانية (فتعالى عما يشركون) من الاصنام وغيرها (قل رب اماتريني مايوعدون)

تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة ﴿ بل اتيناهم بالحق ﴾ من التوحيد والوعد بالنشور ﴿ وانهم لكاذبون ﴾ حيث انكروا ذلك ﴿ مااتخذ الله من ولد ﴾ لتقدسه عن مماثلة احد ﴿ وما كان معه من اله ﴾ يساهمه في الالوهية ﴿ اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض ﴾ جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ماقبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب وظهر التغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه ﴿ فتعالى عما يشركون ﴾ بالفاء ﴿ قل رب اماتريني ﴾ ان كان لابد من ان تريني لان ماوالنون للتأكيد ﴿ مايوعدون ﴾ من العذاب في الدنيا والآخرة

الحق باطلا ﴿ بل أتيناهم بالحق ﴾ أي بالصدق ﴿ وانهم لكاذبون ﴾ أي فيما يدعون من الشريك والولد ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ﴾ أي من شريك ﴿ اذا لذهب كل اله بما خلق ﴾ أي لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الآخر عن الاستيلاء على ماخلقه هو ﴿ ولعلى بعضهم على بعض ﴾ أي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شيء ويقدر على كل شيء ثم نزه نفسه تعالى فقال ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ أي من اثبات الولد والشريك ﴿ عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾ أي تعظم من أن يوصف بما لا يليق به * قوله عز وجل ﴿ قل رب ﴾ أي يارب ﴿ ماتريني مايوعدون ﴾ أي ماوعدتهم من العذاب

(بل اتيناهم بالحق) أرسلنا جبريل الى نبيهم بالقرآن فيه أن ليس له ولد ولا شريك (وانهم لكاذبون) في قولهم (رب

ان الملائكة بنات الله (ما اتخذ الله من ولد) من بني آدم ولا بنات من الملائكة (وما كان معه من اله) من شريك (اذا) لو كان كما يقو

(لذهب كل اله بما خلق) الى نفسه فاستولى كل اله على ما خلق (ولعلى بعضهم على بعض) لغلب بعضهم على بعض (سبحان الله

نزه نفسه ويقال ارتفع وتبرأ (عما يصفون) يقولون من الكذب (عالم الغيب) ماغاب عن العباد ويقال مايكون (والشهادة) ما

العباد ويقال ما كان (فتعالى) فتبرأ (عما يشركون) به من الاوثان (قل) يامحمد (رب) يارب (اماتريني مايوعدون) من

طار جمع سطر وهى ما كتبه الاولون مما لاحقيقة له وجمع أسطور أوفق ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام باقامة الحجة
المشركين بقوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) فانهم (سيقولون لله) لانهم مقرون بانه الخالق فاذا قالوا (قل
لا تذكرون) فتعلموا أن من فطر الارض ومن فيها كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لايشرك به بعض خلقه فى الربوبية
تذكرون بالتخفيف حمزة وعلى وحفص وبالتشديد غيرهم (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل
لا تتقون) أفلا تخافونه فلا تشركوا به أو أفلا تتقون فى جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الاشياء
قل من بيده ملكوت كل شئ) الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة

فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر ﴿ قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ﴾ ان كنتم من اهل العلم أو من العالمين بذلك فيكون استهانة لهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلى الواضح والزاما بما لايمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال ﴿ سيقولون لله ﴾ لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها ﴿ قل ﴾ أى بعد ماقالوا ﴿ أفلا تذكرون ﴾ فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قادر على ايجادها ثانيا فان بدأ الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴾ فانها اعظم من ذلك ﴿ سيقولون لله ﴾ وقرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على مايقتضيه لفظ السؤال ﴿ قل أفلا تتقون ﴾ عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته ﴿ قل من بيده ملكوت كل شئ ﴾ ملكه غاية مايمكن وقيل خزائنه ﴿ وهو يجير ﴾ يغيث من يشاء ويحرسه ﴿ ولايجار عليه ﴾ ولايغاث احد ولايمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ﴿ ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ فمن اين

﴿ قل ﴾ أى يا محمد لاهل مكة ﴿ لمن الارض ومن فيها ﴾ من الخلق ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ أى خالقها ومالكها ﴿ سيقولون لله ﴾ أى لابد لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة لله ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يا محمد اذا أقروا بذلك ﴿ أفلا تذكرون ﴾ أى فتعلموا ان من قدر على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون ﴾ أى عبادة غيره وقيل معناه أفلا تحذرون عقابه ﴿ قل من بيده ملكوت كل شئ ﴾ أى ملك كل شئ ﴿ وهو يجير ﴾ أى يؤمن من يشاء ﴿ ولايجار عليه ﴾ أى لايؤمن من أخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من السوء ولايمتنع منه من أراده بسوء ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ أى فاجيبوا ﴿ سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ أى فأنى تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته وكيف يخيل لكم

فتنبئ عن عظم الملك (وهو يجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون) أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحدمنه احدا (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) تخدعون عن الحق أو عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى الاول لله بالاجماع اذا

فى دهرهم وكذبهم (قل) لكفار مكة يا محمد (لمن الارض ومن فيها) من الخلق أجيبوا (ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل) لهم يا محمد (أفلا تذكرون) أفلا تتعظون فتطيعون الله (قل) لهم أيضا يا محمد (من رب) خالق (السموات السبع ورب العرش العظيم) السرير الكريم (سيقولون لله) الله

خلقها (قل) لهم يا محمد (أفلا تتقون) عبادة غير الله (قل) لهم أيضا يا محمد (من بيده ملكوت كل شئ) خزائن كل شئ (وهو
يجير) يقضى (ولايجار عليه) لايقضى عليه ويقال هو يجير الخلق من عذابه ولايجار عليه لايجير احد أحدا من عذابه أجيبوا
(ان كنتم تعلمون سيقولون لله) بيد الله بقدرة الله ذلك كله (قل) لهم يا محمد (فانى تسحرون) من أين تكذبون على الله ويقال انظر
محمد كيف يصرفون بالكذب ان قرأت بضم التاء

ابن مقاد وهم كذلك حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون فقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون (وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة) خصها بالذكر لانها يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية مالا يتعلق بغيرها (قليلا ماتشكرون أى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا والمعنى انكم لم تعرفوا عظم هذه النعم ووضعتموها غير مواضعها فلم تعملوا أبصاركم وأسماعكم فى آيات الله وأفعاله ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولم تشكروا له شيأ (وهو الذى ذرأكم) خلقكم وبثكم بالتناسل (فى الارض واليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهو الذى يحيي ويميت) أى يحيي النسم بالانشاء ويميتها بالافناء (وله اختلاف الليل والنهار) أى بجيء أحدهما عقيب الآخر واختلافهما فى الظلمة والنور أوفى الزيادة والنقصان وهو مختص به ولا يقدر على تصريفهما غيره (أفلا تعقلون) فتعرفوا قدرتنا على البعث أو فتستدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا (بل قالوا) أى أهل مكة (مثل ماقال الاولون) أى الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) متنا نافع وحمزة وعلى وحفص (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أى البعث (من قبل) مجيء محمد (ان هذا الا اساطير الاولين) جمع

(وهو الذى أنشأ لكم) خلق لكم يا أهل مكة (السمع) تسمعون به (والابصار) تبصرون بها (والافئدة) يعنى القلوب تعقلون بها (قليلا ماتشكرون) فشكركم فيما صنع اليكم قليل يا أهل مكة (وهو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الارض واليه تحشرون) بعد الموت فيجزيكم باعمالكم (وهو الذى يحيي) للبعث (ويميت) فى الدنيا (وله (قل) اختلاف الليل والنهار)تقليب الليل والنهار وذهابهما ومجيئهما وزيادتهما ونقصانهما وظلمة الليل وضوء النهار كل هذا آية لكم بان الله يحيي الموتى (أفلا تعقلون) أفلا تصدقون بالبعث بعد الموت (بل قالوا) كذبوا بالبعث بعد الموت يعنى كفار مكة (مثل ماقال الاولون) مثل ما كذب الاولون بالبعث بعد الموت (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا) صرنا ترابا رميما (وعظاما) بالية (أئنا لمبعوثون)لمحيون بعد الموت (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) الذى تعدنا يا محمد (من قبل)من قبل ماوعدتنا (ان هذا) ماهذا الذى تقول يا محمد (الا أساطير الاولين) أحاديث الاولين

جاءك اعتاهم يستعطفك ﴿وهو الذى انشألكم السمع والابصار﴾ لتحسوابها مانصب من الآيات ﴿ والافئدة ﴾ لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية ﴿ قليلا ماتشكرون﴾ تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة فى شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة للتأكيد ﴿ وهو الذى ذرأكم فى الارض ﴾ خلقكم وبثكم فيها بالتناسل ﴿واليه تحشرون﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم ﴿وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ ويختص به تعاقبهما لايقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس حقيقة أومجازا أولامره وقضائه تعاقبهما أوانتقاص احدهما وازدياد الآخر ﴿أفلا تعقلون﴾ بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين ﴿بل قالوا﴾ أى كفار مكة ﴿مثل ماقال الاولون﴾ آباؤهم ومن دان بدينهم ﴿قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا ﴿ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين﴾ الا اكاذيبهم التى كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل

﴿ قوله عزوجل ﴿ وهو الذى أنشألكم السمع والابصار والافئدة ﴾ أى لتسمعوا بها وتبصروا وتعقلوا ﴿ قليلا ماتشكرون ﴾ أى لم تشكروا هذه النعم ﴿ وهو الذى ذرأكم فى الارض ﴾ أى خلقكم ﴿ واليه تحشرون ﴾ أى تبعثون ﴿ وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ﴾ أى تدبير الليل والنهار فى الزيادة والنقصان وقيل جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان فى السواد والبياض ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أى ماترون من صنعه فتعتبروا ﴿ بل قالوا مثل ماقال الاولون ﴾ أى كذبوا كما كذب الاولون وقيل معناه أنكروا البعث مثل ماأنكر الاولون مع وضوح الادلة ﴿ قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ﴾ أى لمحشورون قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب ﴿ لقد وعدنا نحن ﴾ أى هذا الوعد ﴿ وآباؤنا هذا من قبل ﴾ أى وعد آباءنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم نره حقيقة ﴿ ان هذا الا أساطير الاولين ﴾ أى أكاذيب الاولين ﴿ قوله تعالى

أيستجيبوا لك (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) لما أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت الآية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذي أصابهم برحمته لهم ووجدوا الخصب (للجوا) أي لتمادوا (في طغيانهم يعمهون) يترددون يعني لعادوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا التملق بين يديه (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) استشهد على ذلك بانا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت بعد ذلك منهم استكانة أي خضوع ولا تضرع وقوله وما يتضرعون عبارة عن دوام حالهم أي وهم على ذلك بعد ولذا لم يقل وما تضرعوا ووزن استكان استفعل من الكون أي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال (حتى اذا فتحنا) فتحنا يزيد (عليهم بابا ذا عذاب شديد) أي باب الجوع الذي هو أشد من الاسر والقتل (اذا هم فيه مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد (قا و خا ٤٥ بع) ليستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم

يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلة في هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ماعدا كراهة الحق وقلة الفطنة ﴿وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط﴾ عن الصراط السوي ﴿لناكبون﴾ لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ يعني القحط ﴿للجوا﴾ لثبتوا واللجاج التمادي في الشيء ﴿في طغيانهم﴾ افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين ﴿يعمهون﴾ عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ﴿ولقد اخذناهم بالعذاب﴾ يعني القتل يوم بدر ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله ﴿حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد﴾ يعني الجوع فانه اشد من الاسر والقتل ﴿اذا هم فيه مبلسون﴾ متحيرون آيسون من كل خير حتى

﴿وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط﴾ أي عن دين الحق ﴿لناكبون﴾ أي لعادلون عنه ومائلون ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ أي قحط وجدوبة ﴿للجوا﴾ أي لتمادوا ﴿في طغيانهم يعمهون﴾ اي لم ينزعوا عنه ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل الله عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم القحط فجاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال أنهم قد أكلوا القد والعظام وشكا اليه الضر فادع الله ان يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية ﴿فما استكانوا لربهم﴾ أي ما خضعوا وما ذلوا لربهم ﴿وما يتضرعون﴾ أي لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم ﴿حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد﴾ قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة ﴿اذا هم فيه مبلسون﴾ أي آيسون من كل خير

رضاه وهو الاسلام (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (عن الصراط) عن دين الله (لناكبون) مائلون (ولو رحمناهم) يعني أهل مكة (وكشفنا) رفعنا (ما بهم من ضر) من جوع (للجوا) لتمادوا (في طغيانهم) في كفرهم وضلالتهم (يعمهون) يمضون عمهة لا يبصرون الحق والهدى (ولقد أخذناهم بالعذاب) بالجوع والقحط (فما استكانوا لربهم) فما خضعوا لربهم بالتوحيد (وما يتضرعون) لا يؤمنون (حتى) أجلهم يا محمد (اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) يعني الجوع (اذا هم فيه مبلسون) آيسون من كل خير

والصراط مستقيم وعما خالف شهواتهم وأهواءهم وهو التوحيد والاسلام ولم يجدوا له مردا ولا عدفعا فلذلك نسبوه الى جنون (وأكثرهم للحق كارهون) وفيه دليل على ان أقلهم ما كان كارها للحق بل كان تاركا للايمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك دين آبائه كابي طالب (ولو اتبع الحق) أي الله (أهواءهم) فيما يعتقدون من الآلهة (لفسدت السموات والارض) كما قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (ومن فيهن) خص العقلاء بالذكر لان غيرهم تبع (بل أتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو شرفهم لان الرسول منهم والقرآن بلغتهم أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين الآية (فهم عن ذكرهم معرضون) بسوء اختيارهم (أم تسئلهم خرجا فخراج ربك خير) حجازي وبصري وعاصم خرجا فخرج على وحمزة شامي خراجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة أرضك والى كل عامل من أجرته وجعله والخرج أخص من الخراج تقول خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الاولى يعني أم تسئلهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من الخالق خير (وهو خير الرازقين) أفضل المعطين (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام فحقيق

﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه اولقلة فطنته وعدم فكرته لا لكراهته للحق ﴿ولو اتبع الحق اهواءهم﴾ بان كان في الواقع آلهة شتى ﴿لفسدت السموات والارض ومن فيهن﴾ كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى اولو اتبع الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه اولو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي خرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة ﴿بل آتيناهم بذكرهم﴾ بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم اوصيتهم أوالذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم ﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾ لا يلتفتون اليه ﴿أم تسألهم﴾ قيل انه قسيم قوله أم به جنة ﴿خرجا﴾ اجرا على اداء الرسالة ﴿فخراج ربك﴾ رزقه في الدنيا أوثوابه في العقبى ﴿خير﴾ لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة ﴿وهو خير الرازقين﴾ تقرير لخيرية خراجه ﴿وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم﴾ تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه

﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ قوله عز وجل ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو سمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون وما يعتقدون ﴿لفسدت السموات والارض ومن فيهن﴾ أي لفسد العالم ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن ﴿فهم عن ذكرهم﴾ أي شرفهم ﴿معرضون أم تسئلهم﴾ أي على ما جئتهم به ﴿خرجا﴾ أي أجرا وجعلا ﴿فخراج ربك خير﴾ أي ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير ﴿وهو خير الرازقين﴾ تقدم تفسيره ﴿وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم﴾ أي الى دين الاسلام

عليه وسلم بالقرآن والتوحيد والرسالة (وأكثرهم للحق) للقرآن (كارهون) جاحدون (ولو اتبع الحق أهواءهم) لو كان الاله بهواهم في السماء (و) الله وفي الارض لـ(فسدت السموات والارض ومن فيهن) من الخلق (بل أتيناهم بذكرهم) أنزلنا جبريل اليهم بالقرآن فيه عزهم وشرفهم (فهم عن ذكرهم) عن شرفهم وعزهم (معرضون) مكذبون (أم تسألهم) يا محمد أهل مكة (خرجا) جعلا فلذلك لا يجيبونك (فخراج ربك) فثواب ربك في الجنة (خير) أفضل مما لهم في الدنيا (وهو خير الرازقين) أفضل المعطين في الدنيا والآخرة (وانك) يا محمد (لتدعوهم الى صراط مستقيم) دين قائم

أ بالحرم لانهم يقولون لايظهر علينا أحد لانا أهل الحرم والذى سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت أو بآياتى لا فى معنى كتابى ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته أو يتعلق الباء بقوله (سامرا) تسمرون بذكر القرآن

وبالطعن فيه

وكانوا يجتمعون حول

للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنت عن سبق ذكره أو لآياتى فانها بمعنى كتابى والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين أو لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله ﴿ سامرا ﴾ أى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر وسمارا ﴿ تهجرون ﴾ من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة أو الهذيان أى تعرضون عن القرآن أو تهذون فى شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثانى قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة ﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ أى القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ﴿ أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ﴾ من الرسول والكتاب أو من الامن من عذاب الله تعالى فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله وطاعوه ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم ﴾ بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ فهم له منكرون ﴾ دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا أو ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع أو الشخص أو بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ﴿ أم يقولون به جنة ﴾ فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه صلى الله عليه وسلم ارجحهم عقلا واثقبهم نظرا ﴿ بل جاءهم بالحق

قال ابن عباس أى بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور أى مستعظمين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدا فيأمنون فيه وسائر الناس فى الخوف وقيل مستكبرين به أى بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الاول أظهر ﴿ سامرا ﴾ يعنى انهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول فيه وفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله ﴿ تهجرون ﴾ من الاهجار وهو الافحاش فى القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح أى تهذون وتقولون مالا تعلمون ﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ يعنى أفلم يتدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبروا بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ﴾ يعنى فانكروا يريد انا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ﴾ قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والامانة ﴿ أم يقولون به جنة ﴾ أى جنون وليس هو كذلك ﴿ بل جاءهم بالحق ﴾ أى بالصدق والقول الذى لا تخفى صحته وحسنه على عاقل

البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعرا وسحرا والسامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقرئ سمارا أو بقوله (تهجرون) وهو من الهجر الهذيان تهجرون نافع من أهجر فى منطقه اذا أفحش (أفلم يدبروا القول) أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به ويتمن جاء به (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) بل أجاءهم مالم يأت آباءهم الاولين فلذلك أنكروه واستبدعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) محمدا بالصدق والامانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الاخلاق أى عرفوه بهذه الصفات (فهم له منكرون) بغيا وحسدا (أم يقولون به جنة) جنون وليس كذلك لانهم يعلمون انه أوجههم عقلا وأثقبهم ذهنا (بل جاءهم بالحق) الابلج

نحن أهله (سامرا) تقولون السمر حوله (تهجرون) تسبون محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقرآن (أفلم يدبروا القول) أفلم يتفكروا فى القرآن وما فيه من الوعيد (أم جاءهم) من الامن والبراءة يعنى أهل مكة (مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم) نسب رسولهم (فهم له منكرون) جاحدون (أم يقولون) بل يقولون (به جنة) جنون (بل جاءهم بالحق) جاءهم محمد صلى الله

لايقرؤن منه يوم القيامة الا ماهو صدق وعدل لازيادة فيه ولانقصان ولايظلم منهم أحد بزيادة عقاب أونقصان ثواب
أو بتكليف مالا وسع له به (بل قلوبهم فى غمرة من هذا) بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين
(ولهم أعمال من دون ذلك) أى ولهم اعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك أى لما وصف به المؤمنون (هم لها عاملون)
وعليها مقيمون لايفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب (حتى اذا أخذنا مترفيهم) متنعميهم (بالعذاب) عذاب الآخرة
وهو القحط سبع سنين حين دعا عليهم النبى عليه الصلاة والسلام أو قتلهم يوم بدر وفى

هى التى يبتدأ بعدها الكلام
والكلام الجملة الشرطية
(اذاهم يجأرون) يصرخون
استغاثة والجؤار الصراخ
باستغاثة فيقال لهم (لاتجأروا
اليوم) فان الجؤار غير نافع
لكم (انكم منالاتنصرون)
أى من جهتنا لايلحقكم
نصر ومعونة (قدكانت
آياتى تتلى عليكم) أى القرآن
(فكنتم على أعقابكم
تنكصون) ترجعون القهقرى
والنكوص ان يرجع القهقرى
وهو أقبح مشية لانه لايرى
ماوراءه (مستكبرين)
متكبرين على المسلمين حال
من تنكصون (به) بالبيت

بزيادة عقاب أونقصان ثواب ﴿بل قلوبهم﴾ قلوب الكفرة ﴿فى غمرة﴾ فى غفلة غامرة لها ﴿من هذا﴾ من الذى وصف به هؤلاء أومن كتاب الحفظة ﴿ولهم اعمال﴾ خبيثة ﴿من دون ذلك﴾ متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك ﴿هم لها عاملون﴾ معتادون فعلها ﴿حتى اذا اخذنا مترفيهم﴾ متنعميهم ﴿بالعذاب﴾ يعنى القتل يوم بدر أوالجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام لمحرقة ﴿اذاهم يجأرون﴾ فاجؤا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب ﴿لاتجأروا اليوم﴾ فانه مقدر بالقول أى قيل لهم لاتجأروا اليوم ﴿انكم منالاتنصرون﴾ تعليل للنهى أى لاتجأروا فانه لاينفعكم اذلاتمنعون منا أولايلحقكم نصرة ومعونة من جهتنا ﴿قدكانت آياتى تتلى عليكم﴾ يعنى القرآن ﴿فكنتم على اعقابكم تنكصون﴾ تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى ﴿مستكبرين به﴾ الضمير

ولايزاد على سيآتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى ﴿بل قلوبهم فى غمرة﴾ أى غفلة وجهالة ﴿من هذا﴾ أى القرآن ﴿ولهم أعمال﴾ أى للكفار أعمال خبيثة من المعاصى والخطايا محكومة عليهم ﴿من دون ذلك﴾ يعنى من دون أعمال المؤمنين التى ذكرها الله فى قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴿هم﴾ يعنى الكفار ﴿لها﴾ أى لتلك الاعمال الخبيثة ﴿عاملون﴾ أى لابد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم فى الازل من الشقاوة ﴿حتى اذا أخذنا مترفيهم﴾ أى رؤساءهم وأغنياءهم ﴿بالعذاب﴾ قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف ﴿اذاهم يجأرون﴾ أى يصيحون ويستغيثون ويجزعون ﴿لاتجأروا اليوم﴾ أى لاتجزعوا ولاتضجوا اليوم ﴿انكم منا لاتنصرون﴾ أى لاتمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم ﴿قدكانت آياتى تتلى عليكم﴾ يعنى القرآن ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أى ترجعون القهقرى وتتأخرون عن الايمان ﴿مستكبرين به﴾

ولايزاد على سيآتهم (بل
قلوبهم) قلوب أهل مكة يعنى
أباجهل واصحابه (فى غمرة)
فى جهلة وغفلة (من هذا)
الكتاب ويقال من هذا القرآن
(ولهم أعمال) مقدور مكتوب
عليهم (من دون ذلك) من
دون ماتأمرهم سوى الخير (هم لها عاملون) فى الدنيا حتى أجلهم يامحمد (حتى اذا أخذنا مترفيهم) جبابرتهم (قال)
ورؤساءهم يعنى أباجهل بن هشام والوليد بن المغيرة المخزومى وعاص بن وائل السهمى وعتبة وشيبة وأصحابهم (بالعذاب)
بالجوع سبع سنين (اذاهم يجأرون) يتضرعون قل لهم يامحمد (لاتجأروا) لاتتضرعوا (اليوم) من عذابنا (انكم منا)
عذابنا (لاتنصرون) لاتمنعون (قدكانت آياتى) القرآن (تتلى) تقرأ وتعرض (عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) الى دينكم
الاول تميلون وترجعون (مستكبرين به) متعظمين بالبيت تقولون

أ خائفون (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أى بكتب الله كلها لايفرقون بين كتبه كالذين تقطعوا أمرهم بينهم وهم أ الكتاب (والذين هم بربهم لايشركون) كمشركى العرب (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ماأعطوا من الزكاة والصدقات وقرئ يأتون ماأتوا بالقصر أى يفعلون مافعلوا (وقلوبهم وجلة) خائفة ان لاتقبل منهم لتقصيرهم (انهم الى ربهم راجعون) الجمهور على ان التقدير لانهم وخبران الذى (اولئك يسارعون في الخيرات) يرغبون فى الطاعات فيبادرونها (وهم لها سابقون) أى لاجل الخيرات سابقون الى الجنات أو لاجلها سبقوا الناس (ولانكلف نفسا الا وسعها) أى طاقتها يعنى ان الذى وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وهو رد على من جوز تكليف مالا يطلق (ولدينا كتاب) أى اللوح أو صحيفة الاعمال (ينطق بالحق وهم لايظلمون)

﴿والذين هم بآيات ربهم ﴾ المنصوبة والمنزلة ﴿يؤمنون ﴾ بتصديق مدلولها ﴿والذين هم بربهم لايشركون ﴾ شركا جليا ولا خفيا ﴿والذين يؤتون ما آتوا ﴾ يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ماأتوا أى يفعلون مافعلوه من الطاعات ﴿ وقلوبهم وجلة ﴾ أى خائفة ان لايقبل منهم وان لايقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به ﴿ انهم الى ربهم راجعون ﴾ لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم مايخفى عليهم ﴿اولئك يسارعون فى الخيرات ﴾ يرغبون فى الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها أو يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم مانفى عن اضدادهم ﴿ وهم لها سابقون ﴾ لاجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس الى الطاعة أو الثواب أو الجنة أو سابقونها اى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا كقوله تعالى هم لها عاملون ﴿ ولانكلف نفسا الا وسعها ﴾ قدر طاقتها يريد به التحريض على ماوصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ﴿ ولدينا كتاب ﴾ يريد اللوح أو صحيفة الاعمال ﴿ ينطق بالحق ﴾ بالصدق لايوجد فيه مايخالف الواقع ﴿ وهم لايظلمون ﴾

خائفون من عقابه قال الحسن البصرى المؤمن جمع احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة وأمنا ﴿ والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ﴾ أى يصدقون ﴿ والذين هم بربهم لايشركون والذين يؤتون ما آتوا ﴾ أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ماعملوا من أعمال البر ﴿ وقلوبهم وجلة ﴾ أى خائفة ان ذلك لاينجيهم من عذاب الله وان أعمالهم لاتقبل منهم ﴿ أنهم الى ربهم راجعون ﴾ أى انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم ✽ عن عائشة قالت قلت يارسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لايابنت الصديق ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون فى الخيرات أخرجه الترمذى ✽ وقوله ﴿ أولئك يسارعون فى الخيرات ﴾ أى يبادرون الاعمال الصالحة ﴿ وهم لها سابقون ﴾ أى اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات ✽ قوله عز وجل ﴿ ولا نكلف نفسا الا وسعها ﴾ أى طاقتها من الاعمال فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض ﴿ ولدينا كتاب ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿ ينطق بالحق ﴾ أى يبين الصدق والمعنى قد أثبتنا عمل كل عامل فى اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتاب أعمال العباد التى تكتبها الحفظة ﴿ وهم لايظلمون ﴾ أى لاينقص من حسناتهم

خائفون لهم منا مسارعة فى الخيرات (والذين هم بآيات ربهم) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرأن (يؤمنون) يصدقون لهم منا مسارعة فى الخيرات (والذين هم بربهم لايشركون) الاوثان لهم منا مسارعة فى الخيرات (والذين يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوا من الصدقة وينفقون ما أنفقوا من المال فى سبيل الله ويقال يعملون ماعملوا من الخيرات (وقلوبهم وجلة) خائفة (انهم الى ربهم راجعون) فى الآخرة فلا يقبل منهم (أولئك) أهل هذه الصفة (يسارعون فى الخيرات) يبادرون فى الاعمال الصالحة (وهم لها سابقون) وهم سابقون بالخيرات (ولانكلف نفسا) من العمل (الا وسعها) طاقتها (ولدينا) عندنا (كتاب ينطق) هو ديوان الحفظة مكتوب فيه حسناتهم وسيآتهم ينطق (بالحق) يشهد عليهم بالصدق والعدل (وهم لايظلمون) لاينقص من حسناتهم

(فتقطعوا امرهم بينهم) تقطع بمعنى قطع أى قطعوا امر دينهم (زبرا) جمع زبور اى كتبا مختلفة يعنى جعلوا [illegible] ادیانا وقیل تفرقوا فی دینهم فرقا کل فرقة تنتحل کتابا وعن الحسن قطعوا کتاب الله قطعا وحرفوه وقرئ زبرا جمع زبرة ای قطعا (کل حزب) کل فرقة من فرق هؤلاء المختلفین المقطعین دینهم (بما لدیهم) من الکتاب او الدین [illegible] الهوى والرأى (فرحون) مسرورون معتقدون انهم على الحق (فذرهم [في] غمرتهم) جهالهم وغفلتهم ([illegible]) [illegible] نمدهم به من مال وبنين) ما بمعنى الذى وخبران (نسارع لهم فى الخيرات) والعائد من خبران الى اسمها محذوف أى نسارع لهم به والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصى وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات ومعاجلة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم وهذه الآية حجة على المعتزلة فى مسئلة الاصلح لانهم يقولون ان الله لا يفعل بأحد من الخلق الا ما هو أصلح له فى الدين وقد أخبران ذلك ليس بخير لهم فى الدين ولا اصلح (بل لا يشعرون) بل استدراك لقوله أيحسبون أى انهم اشباه البهائم لاشعور لهم حتى يتأملوا فى ذلك انه استدراج أو مسارعة فى الخير ثم بين ذكر أوليائه فقال (ان الذين هم من خش[ية] [illegible])

﴿ فتقطعوا امرهم بينهم ﴾ فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة أو فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض أو التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها ﴿ زبرا ﴾ قطعا جمع زبور الذى بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم أو من الواو أو مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا أو حال من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل ﴿ كل حزب ﴾ من المتحزبين ﴿ بما لديهم ﴾ من الدين ﴿ فرحون ﴾ معجبون معتقدون انهم على الحق ﴿ فذرهم فى غمرتهم ﴾ فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها أو لاعبون بها وقرئ فى غمراتهم ﴿ حتى حين ﴾ الى ان يقتلوا أو يموتوا ﴿ أيحسبون انما نمدهم به ﴾ ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم ﴿ من مال وبنين ﴾ بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره ﴿ نسارع لهم فى الخيرات ﴾ والراجع محذوف والمعنى أيحسبون ان الذى نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم ﴿ بل لا يشعرون ﴾ بل هم كالبهائم لافطنة لهم ولاشعور ليتأملوا فيه فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة فى الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ﴿ ان الذين هم من خشية ربهم ﴾ من خوف عذابه ﴿ مشفقون ﴾ حذرون

فاتقون ﴿ فتقطعوا ﴾ أى تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا وغير ذلك من الاديان المختلفة ﴿ أمرهم ﴾ أى دينهم ﴿ بينهم زبرا ﴾ أى فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا أى كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ أى مسرورون معجبون بما عندهم من الدين ﴿ فذرهم ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿ فى غمرتهم ﴾ قال ابن عباس فى كفرهم وضلالتهم وقيل فى عمايتهم وغفلتهم ﴿ حتى حين ﴾ أى الى أن يموتوا ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين ﴾ أى ما نعطيهم ونجعله لهم مددا من المال والبنين فى الدنيا ﴿ نسارع لهم فى الخيرات ﴾ أى نعجل لهم ذلك فى الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم لمرضاتنا عنهم ﴿ بل لا يشعرون ﴾ أى ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين فى الخيرات فقال تعالى ﴿ ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ أى خائفون والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله

(فتقطعوا امرهم بينهم) [illegible] دينهم (زبرا) فرقا فرقا يهود والنصارى والمشركين والمجوس (كل حزب) (خائفون) كل اهل دين وفرقة (بما لديهم فرحون) معجبون (فذرهم) اتركهم يا محمد (فى غمرتهم) فى جهلهم (حتى حين) الى حين العذاب [يوم] بدر (أيحسبون) أيظن أهل الفرق (أنما نمدهم به) أنما نعطيهم فى الدنيا (من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات) مسارعة لهم فى الخيرات فى الدنيا ويقال فى الآخرة (بل لا يشعرون) أنا ماكرون لهم فى الدنيا ومهينون لهم فى الآخرة ثم بين لمن المسار[عة] فى الخيرات فى الدنيا فقال (ان الذين هم من خشية ربهم) من عذاب ربهم (مشفقون)

وجه الأرض أوانه مفعول أى مدرك بالعين بظهوره من عانه اذا أدركه بعينه أوفعيل لانه نفاع بظهوره وجريه الماعون وهو المنفعة (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات) هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لانهم أرسلوا متفرقين فى ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع ان امرا نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق بأن يؤخذ به ويعمل عليه اوهو خطاب

لمحمد عليه الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل فى زمانه وكان يأكل من الغنائم اولعيسى عليه السلام لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل امه وهو اطيب الطيبات والمراد بالطيبات ماحل والامر للتكليف اومايستطاب ويستلذ والامر للترفيه والاباحة (واعملوا صالحا) موافقا للشريعة (انى بما تعملون عليم) فاجازيكم على اعمالكم (وان هذه) كوفى على الاستئناف وان حجازى وبصرى بمعنى ولان اى فاتقون لان هذه اومعطوف على ماقبله اى بما تعملون عليم وبان هذه اوتقديره واعلموا ان هذه (امتكم) أى ملتكم وشريعتكم التى انتم عليها (امة واحدة) ملة واحدة وهى شريعة الاسلام وانتصاب امة على الحال والمعنى وان الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام (وانا ربكم) وحدى (فاتقون) فخافوا عقابى فى مخالفتكم امرى

واصله الابعاد فى الشئ أومن الماعون وهو المنفعة لانه نفاع أومفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف مأواها ذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان ﴿ ياايها الرسل كلوا من الطيبات ﴾ نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا اويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية فى رفض الطيبات أوحكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول مارزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات مايستلذ به من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال مالا يعصى الله فيه والصافى مالا ينسى الله فيه والقوام مايمسك النفس ويحفظ العقل ﴿ واعملوا صالحا ﴾ فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم ﴿ انى بما تعملون عليم ﴾ فاجازيكم عليه ﴿ وان هذه ﴾ اى ولان هذه والمعلل به فاتقون اوواعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ماتعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف ﴿ امتكم امة واحدة ﴾ ملتكم ملة واحدة اى متحدة فى العقائد واصول الشرائع اوجماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ونصب امة على الحال ﴿ وانا ربكم فاتقون ﴾ فى شق العصا ومخالفة الكلمة

هو الماء الجارى الذى تراه العيون * قوله تعالى ﴿ يأيها الرسل كلوا من الطيبات ﴾ قيل أراد بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد جميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال ﴿ واعملوا صالحا ﴾ أى استقيموا على مايوجبه الشرع ﴿ انى بما تعملون عليم ﴾ فيه تحذير من مخالفة ماأمرهم به واذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك فلان يكون تحذيرا لغيرهم أولى لما روى عن أبى هريرة ان رسول صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى طيب لايقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يأيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك أخرجه مسلم * قوله عز وجل ﴿ وان هذه أمتكم ﴾ أى ملتكم وشريعتكم التى أنتم عليها ﴿ أمة واحدة ﴾ أى ملة واحدة وهى الاسلام ﴿ وأنا ربكم فاتقون ﴾ أى فاحذرون وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين قبلكم فامركم واحد وأنا ربكم

(يأيها الرسل) يعنى محمدا (كلوا من الطيبات) كلوا من الحلال (واعملوا صالحا) اعمل صالحا فيما بينك وبين ربك (انى بما تعملون) بما تعمل يامحمد ويعملون من الخير (عليم) بثوابه (وان هذه أمتكم أمة واحدة) ملتكم ملة واحدة ودينكم دينا واحدا مختارا (وانا ربكم) رب واحد أكرمتكم بذلك (فاتقون) فأطيعون

قبول الايمان ترفعا وتكبرا (وكانوا قوما عالين) متكبرين مترفعين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) البشر يكون واحدا و...
و مثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث (وقومهما) أى بنو اسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون و...
من دان لملك فهو عابد له (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالغ...

(ولقد آتينا موسى) أى قوم موسى (الكتاب) التوراة (لعلهم يهتدون) يعملون بشرائعها ومواعظها (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) تدل على قدرتنا على ما نشاء لانه خلق من غير نطفة واحد لان الاعجوبة فيهما واحدة أو المراد و جعلنا ابن مريم آية وأمه آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما) جعلنا مأواهما أى منزلهما (الى ربوة) شامي وعاصم ربوة غيرهما أى أرض مترفعة وهى بيت المقدس أو دمشق او الرملة أو مصر (ذات قرار) مستقر من أرض مستوية منبسطة او ذات ثمار وماء يعنى انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها (ومعين) وماء ظاهر جار

عن الايمان والمتابعة ﴿وكانوا قوما عالين﴾ متكبرين ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت فى اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى فى جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون فى طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر فى اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدركه غيرهم ويعلمون ما لا ينتهى اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ﴿وقومهما﴾ يعنى بنى اسرائيل ﴿لنا عابدون﴾ خادمون منقادون كالعباد ﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ بالغرق فى بحر قلزم ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿لعلهم﴾ لعل بنى اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم ﴿يهتدون﴾ الى المعارف والاحكام ﴿وجعلنا ابن مريم وامه آية﴾ بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما أو جعلنا ابن مريم آية بان تكلم فى المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها ﴿وآويناهما الى ربوة﴾ ارض بيت المقدس فانها مرتفعة أو دمشق أو رملة فلسطين أو مصر فان قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ﴿ذات قرار﴾ مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ﴿ومعين﴾ وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى

﴿وكانوا قوما عالين﴾ أى متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم ﴿فقالوا﴾ يعنى فرعون وقومه ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ يعنون موسى وهرون ﴿وقومهما لنا عابدون﴾ أى مطيعون متذللون ﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ أى بالغرق ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعنى التوراة ﴿لعلهم يهتدون﴾ أى لكى يهتدى به قومه * قوله عز وجل ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ أى دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير ذكر وأنطقه فى المهد فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين قلت معناه جعلنا شأنهما آية لان عيسى ولد من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا فى هذه الآية فكانت آية واحدة ﴿وآويناهما الى ربوة﴾ أى مكان مرتفع قيل هى دمشق وقيل هى الرملة وقيل أرض فلسطين وقال ابن عباس هى بيت المقدس قال كعب بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هى مصر وسبب الايواء انها فرت بابنها اليها وقوله ﴿ذات قرار﴾ أى منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها ﴿ومعين﴾

بموسى والآيات (وكانوا قوما عالين) مخالفين موسى مستكبرين عن الايمان (فقالوا أنؤمن لبشرين) لآدميين يعنون موسى وهرون (مثلنا وقومهما لنا عابدون) مطيعون (فكذبوهما) بالرسالة (فكانوا من المهلكين) فصاروا من المغرقين فى اليم (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة (لعلهم يهتدون) لكى يهتدوا بها من الضلالة (وجعلنا ابن مريم) يعنى عيسى (وأمه آية) علامة وعبرة ولدا بلا أب وولادة بلا مس (وآويناهما) (هو)
رجعناهما (الى ربوة) الى مكان مرتفع (ذات قرار) مستو ذات نعيم (ومعين) ماء ظاهر جار وهو دمشق

(ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ماتسبق من أمة) من صلة أى ماتسبق أمة (أجلها) المكتوب لها والوقت الذى حد لهلاكها وكتب (ومايستأخرون) لا يتأخرون عنه (ثم أرسلنا رسلنا تترى) فعلى والالف للتأنيث كذكرى لان الرسل جماعة ولذا لاينون لانه غير منصرف تترى بالتنوين مكى وأبو عمرو ويزيد على أن الالف للالحاق كأرطى وهو نصب على الحال في القراءتين أى متتابعين واحدا بعد واحد وتاؤها فيهما بدل من الواو والاصل وترى من الوتر وهو الفرد فقلبت الواو تاء كتراث (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون بالملابسة فتصح اضافته اليهما (فأتبعنا) الامم والقرون (بعضهم بعضا) في الاهلاك (وجعلناهم احاديث) أخبارا يسمع بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبى عليه الصلاة والسلام وتكون جمعا للاحدوثة وهو مايتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا (فبعدا لقوم لايؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون) بدل أخاه (بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وملئه فاستكبروا) امتنعوا عن

مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التى تنصب بافعال لايستعمل اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ﴿ ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين ﴾ يعنى قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ﴿ ماتسبق من امة اجلها ﴾ الوقت الذى حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق ﴿ ومايستأخرون ﴾ الاجل ﴿ ثم ارسلنا رسلنا تترى ﴾ متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا ﴿ كلما جاء امة رسولها كذبوه ﴾ اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجئ الى المرسل اليهم لان الارسال الذى هو مبدأ الامر منه والمجئ الذى هو منتهاه اليهم ﴿ فاتبعنا بعضهم بعضا ﴾ في الاهلاك ﴿ وجعلناهم احاديث ﴾ لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث أو جمع احدوثة وهى مايتحدث به تلهيا ﴿ فبعدا لقوم لايؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا ﴾ بالآيات التسع ﴿ وسلطان مبين ﴾ وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ماافكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان ... المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ماتدعيه النبى ﴿ الى فرعون وملئه فاستكبروا ﴾ ...

﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ﴾ أى أقواما آخرين ﴿ ماتسبق من أمة أجلها ﴾ أى وقت هلاكها ﴿ ومايستأخرون ﴾ أى عن وقت هلاكهم ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترى ﴾ أى مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمنا طويلا ﴿ كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا ﴾ أى بالهلاك فاهلكنا بعضهم في أثر بعض ﴿ وجعلناهم أحاديث ﴾ أى سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بامرهم وشأنهم ﴿ فبعدا لقوم لايؤمنون ﴾ قوله تعالى ﴿ ثم ارسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين ﴾ أى ... كالعصا واليد وغيرهما ﴿ الى فرعون وملئه فاستكبروا ﴾ أى تعظموا عن الايمان

(ثم أنشأنا) خلقنا (من بعدهم) من بعد هلاكهم (قرونا آخرين) قرنا بعد قرن من قرن الى قرن (قال خا ٤٤ بع) ثمان عشرة سنة والقرن ثمانون سنة (ماتسبق من أمة) ماتهلك من أمة (أجلها) قبل أجلها (ومايستأخرون) عن الاجل (ثم أرسلنا رسلنا تترى) متتابعا بعضها على اثر بعض (كلما جاء أمة رسولها) الى أمة رسول (كذبوه) كذبوا ذلك الرسول (فاتبعنا بعضهم بعضا) بالهلاك (وجعلناهم أحاديث) في دهرهم يحدث بهم (فبعدا) فسحقا من رحمة الله (لقوم لايؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) حجة بينة (الى فرعون وملئه) قومه (فاستكبروا) عن الايمان

من البعث (ان هى) هذا ضمير لايعلم مايعنى به الا بمايتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الاحياتنا الدنيا) ثم وضع هى مو
الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها والمعنى لاحياة الا هذه الحياة التى نحن فيها ودنت مناوهذا لان ان النافية دخلت على
التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التى لنفى الجنس (نموت ونحيا) أى يموت بعض ويولد بعض ينقر
قرن فيأتى قرن آخر أوفيه تقديم وتأخير أى نحيا ونموت وهو قراءة أبى وابن مسعود رضى الله عنهما (وما
بمبعوثين) بعد الموت (ان

هو الارجل افترى على الله كذبا) أى ماهو الامفتر

الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث (ومانحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرنى بما كذبون) فاجاب الله دعاء الرسول بقوله (قال عما قليل) قليل صفة للزمان كقديم وحديث فى قولك مارأيته قديما ولا حديثا وفى معناه عن قريب و مازائدة او بمعنا شئ أوزمن وقيل بدل منها وجواب القسم المحذوف (ليصبحن نادمين) اذاعاينوا مايحل بهم (فأخذتهم الصيحة) أى صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالعدل من الله يقال فلان يقضى بالحق أى بالعدل (فجعلناهم غثاء) شبههم فى دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلى واسود من الورق والعيدان (فبعدا) فهلاكا يقال بعد بعدا وأبعد أى هلك وهو من المصادر المنصوبة بافعال لايستعمل اظهارها (للقوم الظالمين) بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو هيت لك

وبابدال التاء هاء ﴿ان هى الاحياتنا الدنيا﴾ اصله ان الحياة الاحياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله

هى النفس ماحملتها تتحمل(٢)

ومعناه لاحياة الا هذه الحياة الدنيا لان ان نافية دخلت على هى التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التى تنفى مابعدها نفى الجنس ﴿نموت ونحيا﴾ يموت بعضنا ويولد بعضنا ﴿ومانحن بمبعوثين﴾ بعد الموت ﴿ان هو﴾ ماهو ﴿الارجل افترى على الله كذبا﴾ فيما يدعيه من ارساله له أوفيما يعدنا من البعث ﴿ومانحن له بمؤمنين﴾ بمصدقين ﴿قال رب انصرنى﴾ عليهم وانتقم لى منهم ﴿بما كذبون﴾ بسبب تكذيبهم اياى ﴿قال عما قليل﴾ عن زمان قليل وماصلة لتأكيد معنى القلة أونكرة موصوفة ﴿ليصبحن نادمين﴾ على التكذيب اذا عاينوا العذاب ﴿فاخذتهم الصيحة﴾ صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح ﴿بالحق﴾ بالوجه الثابت الذى لادافع له أوبالعدل من الله كقولك فلان يقضى بالحق أوبالوعد الصدق ﴿فجعلناهم غثاء﴾ شبههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادى لمن هلك ﴿فبعدا للقوم الظالمين﴾ يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا

لايكون أبدا ﴿ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ قيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم ﴿ومانحن بمبعوثين﴾ أى بعد الموت ﴿ان هو﴾ يعنون رسولهم ﴿الارجل افترى على الله كذبا ومانحن له بمؤمنين﴾ أى بمصدقين بالبعث بعد الموت ﴿قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن﴾ أى ليصيرن ﴿نادمين﴾ على كفرهم وتكذيبهم ﴿فاخذتهم الصيحة بالحق﴾ يعنى صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل أراد بالصيحة الهلاك ﴿فجعلناهم غثاء﴾ هو مايحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الارض ﴿فبعدا﴾ أى الزمنا بعدا من الرحمة ﴿للقوم الظالمين﴾ قوله عز وجل

(ثم)

(ان هى) ماهى (الاحياتنا الدنيا) فى الدنيا (نموت ونحيا) تموت الآباء ويحيا الابناء (ومانحن بمبعوثين) للبعث بعد المو
(ان هو) ماهو يعنون الرسول (الارجل افترى) اختلق (على الله كذبا) بما يقول (ومانحن له بمؤمنين) بمصدقين له بما يق
(قال) الرسول (رب انصرنى) أعنى بالعذاب (بما كذبون) بالرسالة (قال) الله (عما قليل) عن قليل (ليصبحن) ليصي
(نادمين) بالتكذيب عند العقوبة (فاخذتهم الصيحة بالحق) يعنى صوت جبريل بالعذاب (فجعلناهم) بعد الهلاك (غ
يابسا (فبعدا) فسحقا وخيبة من رحمة الله (للقوم الظالمين) الكافرين

(٢) تمامه * وللدهر ايام تجود وتعدل

كن بالفاء وجيء بالفاء في قصة نوح لانه جواب لقوله وقع عقيبه (الذين كفروا) صفة للملأ أو لقومه (وكذبوا بلقاء الآخرة)
ى بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك (وأترفناهم) ونعمناهم (في الحيوة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد
ما هذا) أي النبي (الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) أي منه فحذف لدلالة ما قبله عليه أي
ن أين يدعى رسالة الله من بينكم وهو مثلكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) أي فيما يأمركم به وينهاكم عنه (انكم اذا) واقع
جزاء الشرط وجواب للذين ﴿ ٣٤٣ ﴾ قاولوهم من قومهم { سورة المؤمنين } (لخاسرون) بالانقياد لمثلكم ومن

حقهم انهم أبوا اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم (أيعدكم انكم اذا متم) بالكسر نافع وحمزة وعلي وحفص وغيرهم بالضم (وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون) مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثنى انكم للتأكيد وحسن ذلك للفصل بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول والتقدير أيعدكم أنكم مخرجون اذا متم وكنتم ترابا وعظاما (هيهات هيهات) وبكسر التاء يزيد وروى عنه بالكسر والتنوين فيهما والكسائي يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع بعد فاعلها مضمر أي بعد التصديق أو الوقوع (لما توعدون) من العذاب أو فاعلها ما توعدون واللام زائدة أي بعد ما توعدون

الذين كفروا ﴾ لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال ﴿ وكذبوا بلقاء الآخرة ﴾ بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب أو بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث ﴿ واترفناهم ﴾ ونعمناهم ﴿ في الحيوة الدنيا ﴾ بكثرة الاموال والاولاد ﴿ ما هذا الا بشر مثلكم ﴾ في الصفة والحالة ﴿ يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ تقرير للمماثلة وماخبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف أو مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ﴿ ولئن اطعتم بشرا مثلكم ﴾ فيما يأمركم به ﴿ انكم اذا لخاسرون ﴾ حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه ﴿ أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما ﴾ مجردة عن اللحوم والاعصاب ﴿ انكم مخرجون ﴾ من الاجداث أو من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول أكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره أو انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم أو فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم أو انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة ﴿ هيهات هيهات ﴾ بعد التصديق أو الصحة ﴿ لما توعدون ﴾ أو بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف

الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ﴾ أي بالمصير اليها ﴿ وأترفناهم ﴾ أي نعمناهم ووسعنا عليهم ﴿ في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ أي من مشربكم ﴿ ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ﴾ أي لمغبونون ﴿ أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ﴾ أي من قبوركم أحياء ﴿ هيهات هيهات ﴾ قال ابن عباس أي بعيد بعيد ﴿ لما توعدون ﴾ استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفالا منهم للتفكر في بدء أمرهم وقدرة الله على ايجادهم وأرادوا بهذا الاستبعاد انه

الرسول (الذين كفروا
كذبوا بلقاء الآخرة) بالبعث بعد الموت (وأترفناهم) أنعمناهم بالمال والولد (في الحيوة الدنيا ما هذا) يعنون الرسول (الا بشر)
دمي (مثلكم تأكل مما تأكلون منه) كما تأكلون منه (ويشرب مما تشربون) كما تشربون (ولئن أطعتم بشرا) آدميا (مثلكم انكم
اذا لخاسرون) جاهلون مغبونون (أيعدكم) هذا الرسول (أنكم اذا متم وكنتم) صرتم (ترابا) بعد الموت (وعظاما) بالية (انكم
رجون) محيون بعد الموت (هيهات هيهات) بعيدا بعيدا (لما توعدون) لا يكون هذا

(وقل) حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها (رب أنزلنى منزلا) أى انزالا أو موضع انزال منزلا أبو بكر أى مكا
(مباركا وأنت خير المنزلين) والبركة فى السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات (ان فى ذلك
فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) لعبر أو مواعظ (وان) هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة بين النافية وبين
والمعنى وان الشأن والقصة (كنا لمبتلين) مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات
عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مذكر (ثم أنشأنا) خلقنا (من بعدهم) من بعد قوم
نوح (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود ويشهد له قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفا
من بعد قوم نوح ومجىء قصة هود على أثر قصة نوح فى الاعراف وهود والشعراء (فارسلنا فيهم) الارسال يعدى بالى ولم يعد بفى هنا وفى قوله كذلك أرسلناك فى أمة وما أرسلنا فى قرية ولكن الامة والقرية جعلت موضعا للارسال كقول رؤبة * أرسلت فيها مصعبا ذا اقحام * (رسولا) هو هود (منهم) من قومهم (أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) ان مفسرة لارسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (وقال الملأ من قومه) ذكر مقالة قوم هود فى جوابه فى الاعراف وهود بغير واو لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا
كيت كيت وههنا مع الواو لانه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه انه اجتمع فى الحصول هذا (الذين)
الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبى صلى الله عليه وسلم متصل بكلامه ولم

ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴿ وقل رب انزلنى ﴾ فى السفينة أو فى الارض ﴿ منزلا مباركا ﴾ يتسبب لمزيد الخير فى الدارين وقرأ غير أبى بكر منزلا بمعنى انزالا أو موضع انزال ﴿ وانت خير المنزلين ﴾ ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان فى دعائه مندوحة عن دعائهم فانه محيط بهم ﴿ ان فى ذلك ﴾ فيما فعل بنوح وقومه ﴿ لآيات ﴾ يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار ﴿ وان كنا لمبتلين ﴾ لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هى المخففة واللام هى الفارقة ﴿ ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين ﴾ هم عاد او ثمود ﴿ فارسلنا فيهم رسولا منهم ﴾ هود أو صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحى اليه وهو بين اظهرهم ﴿ ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ تفسير لارسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله ﴿ أفلا تتقون ﴾ عذاب الله ﴿ وقال الملأ من قومه

﴿ وقل رب أنزلنى منزلا مباركا ﴾ قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة وأراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء ﴿ وأنت خير المنزلين ﴾ معناه انه قد يكون الانزال من غير الله كما يكون من الله فحسن ان يقول وأنت خير المنزلين لانه يحفظ من أنزله ويكلؤه فى سائر أحواله ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فانه لا يقدر على ذلك ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الذى ذكر من أمر نوح والسفينة واهلاك أعداء الله ﴿ لآيات ﴾ أى دلالات على قدرتنا ﴿ وان كنا ﴾ أى وما كنا ﴿ لمبتلين ﴾ أى الا مختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكره لننظر ماهم عاملون قبل نزول العذاب بهم * قوله تعالى ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم ﴾ أى من بعد اهلاكهم ﴿ قرنا آخرين ﴾ يعنى عادا ﴿ فأرسلنا فيهم رسولا منهم ﴾ يعنى هودا قاله أكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والاول أصح ﴿ أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون ﴾ أى هذه الطريقة التى انتم عليها مخافة العذاب ﴿ وقال الملأ من قومه

(وقل) حين تنزل من السفينة (رب أنزلنى منزلا مباركا) بالماء والشجر (وأنت خير المنزلين) فى الدنيا والآخرة (ان فى ذلك) فيما
فعلنا بهم (لآيات) لعلامات وعبرات لاهل مكة لكى يقتدوا بهم (وان كنا) وقد كنا (لمبتلين) بالبلايا ويقال مختبرين بالعقوبة (ثم أنشأنا
من بعدهم) خلقنا من بعد هلاك قوم نوح (قرنا آخرين) قوما آخرين (فارسلنا فيهم) اليهم (رسولا منهم) من نسبهم (أن اعبدوا الله)
وحدوا الله (مالكم من اله غيره) غير الذى آمركم أن تؤمنوا به (أفلا تتقون) عبادة غير الله (وقال الملأ) الرؤساء (من قومه) من قوم

ووحينا) أمرنا وتعليمنا اياك صنعتها روى انه أوحى اليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر (فاذاجاء أمرنا) أى عذابنا بأمرنا (وفار التنور) أى فار الماء من تنور الخبز أى أخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون أبلغ فى الانذار والاعتبار روى انه قيل لنوح اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار الى نوح وكان من حجارة واختلف فى مكانه فقيل فى مسجد الكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند (فاسلك فيها) فادخل فى السفينة (من كل زوجين) من كل أمة زوجين وهما أمة الذكر وأمة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك (اثنين) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روى انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض من كل حفص والمفضل أى من كل أمة زوجين اثنين واثنين تأكيد وزيادة بيان (واهلك) ونساءك وأولادك (الا من سبق عليه القول) من الله باهلاكه وهو ابنه واحدى زوجتيه فجئ بعلى مع سبق الضار كما جئ باللام مع سبق النافع فى قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) ولا تسألنى نجاة الذين كفروا فانى أغرقهم (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) فاذا تمكنتم عليها راكبين (فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا وان كان فاذا استويت انت ومن معك فى معنى اذا استويتم لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مامع فيه من الاشعار بفضل النبوة

﴿ووحينا﴾ وامرنا وتعليمنا كيف تصنع ﴿فاذا جاء امرنا﴾ بالركوب أو نزول العذاب ﴿وفار التنور﴾ روى انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها فى هود ﴿فاسلك فيها﴾ فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ماسلككم فى سقر ﴿من كل زوجين اثنين﴾ من كل امتى الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين أى من كل نوع زوجين واثنين تأكيد ﴿واهلك﴾ واهل بيتك أو ومن آمن معك ﴿الا من سبق عليه القول منهم﴾ أى القول من الله باهلاكه لكفره وانما جئ بعلى لان السابق ضار كما جئ باللام حيث كان نافعا فى قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴿ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا﴾ بالدعاء لهم بالانجاء ﴿انهم مغرقون﴾ لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله ﴿فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين﴾ كقوله فقطع دابر القوم الذين

عمله ﴿ووحيا﴾ قيل ان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها ﴿فاذا جاء أمرنا﴾ أى عذابنا ﴿وفار التنور﴾ قيل هو التنور الذى يخبز فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رأيت الماء يفور من التنور ﴿فاسلك فيها﴾ أى فأدخل فى السفينة ﴿من كل زوجين اثنين﴾ أى من كل حيوان ذكر وأنثى ﴿وأهلك﴾ أى وسائر من آمن بك ﴿الا من سبق عليه القول﴾ أى وجب عليه العذاب ﴿منهم﴾ يعنى الكفار وقيل أراد باهله أهل بيته خاصة والذى سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان ﴿ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون﴾ * قوله عز وجل ﴿فاذا استويت﴾ أى اعتدلت ﴿أنت ومن معك على الفلك﴾ أى فى السفينة ﴿فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين﴾ أى الكافرين

(ووحينا) بوحينا اليك (فاذا جاء أمرنا) وقت عذابنا (وفار التنور) نبع الماء من التنور ويقال طلع الفجر (فاسلك فيها) فاحمل فى السفينة (من كل زوجين اثنين) صنفين اثنين ذكر وأنثى (وأهلك) واحمل أهلك يعنى من آمن بك (الا من سبق) وجب (عليه القول) بالعذاب (منهم ولا تخاطبنى) ولا تراجعنى بالدعاء (فى الذين ظلموا) فى نجاة الذين كفروا من قومك (انهم مغرقون) بالطوفان (فاذا استويت أنت) اذا ركبت أنت (ومن معك) من المؤمنين (على الفلك) على السفينة (فقل الحمد لله) الشكر لله (الذى نجانا من القوم الظالمين) الكافرين

(ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله)وحدوه(مالكم من اله) معبود(غيره) بالرفع على المحل وبالج
اللفظ والجملة استئناف تجرى مجرى التعليل للامر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون عقوبة الله الذى هو ربكم و
اذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة فى شئ (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) أى أشرافهم لعوامهم (
الابشر مثلكم)يأكل ويشرب (يريد أن يتفضل عليكم) أى يطلب الفضل عليكم ويترأس (ولو شاء الله) ارسال رسول(
ملائكة) لارسل ملائكة(ماسمعنا بهذا)أى بارسال بشر رسولا أو بما يأمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والعجب منه
رضوا بالالوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة للبشر (فى آبائنا الاولين ان هو الا ر

جنة)جنون (فتربصوا به
حتى حين) فانتظروا
واصبروا عليه الى زمان
حتى ينجلى أمره فان أفاق
من جنونه والاقتلتموه
(قال رب انصرنى بما
كذبون) فلما أيس من
ايمانهم دعا الله بالانتقام منهم
والمعنى أهلكهم بسبب
تكذيبهم اياى اذ فى نصرتى
اهلاكهم أو انصرنى بدل
ما كذبون كقولك هذا
بذاك أى بدل ذاك والمعنى
أبدلنى من غم تكذيبهم سلوة
النصرة عليهم (فأوحينا
اليه)أى أجبنا دعاءه فاوحينا
اليه(أن اصنع الفلك باعيننا)
أى تصنعه وأنت واثق
بحفظ الله لك ورؤيته اياك
أو بحفظنا وكلاءتنا كان معك
من الله حفاظا يكلؤنك بعيونهم
لئلا يتعرض لك ولا يفسد
عليك مفسد عملك ومنه قولهم
عليه من الله عين كالئة

فى البر والبحر ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ﴾ الى آخ
القصص مسوق لبيان كفران الناس ماعدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاقهم من زوا
﴿ مالكم من اله غيره ﴾ استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائى غيره بالجر على اللف
﴿ أفلا تتقون ﴾ أفلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته ا
عبادة غيره وكفرانكم نعمه التى لا تحصونها ﴿ فقال الملأ ﴾ الاشراف ﴿ الذين كفر
من قومه ﴾ لعوامهم ﴿ ماهذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ﴾ اى يطلب الفض
عليكم ويسودكم ﴿ ولو شاء الله ﴾ ان يرسل رسولا ﴿ لانزل ملائكة ﴾ رسلا ﴿ ماسم
بهذا فى آبائنا الاولين ﴾ يعنون نوحا اى ماسمعنا به انه نبى أو ما كلمهم به من الحث على عبا
الله ونفى اله غيره أو من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم أو لانهم كانوا فى فتر
متطاولة ﴿ ان هو الا رجل به جنة ﴾ اى جنون ولاجله يقول ذلك
﴿ فتربصوا به ﴾ فاحتملوه وانتظروا ﴿ حتى حين ﴾ لعله يفيق من جنونه ﴿ قال
بعدما ايس من ايمانهم ﴿ رب انصرنى ﴾ باهلاكهم اوبانجاز ما وعدتهم من العذا
﴿ بما كذبون ﴾ بدل تكذيبهم اياى أو بسببه ﴿ فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا
بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه أو يفسده عليك مفسد

﴿ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ أى مالَ
معبود سواه ﴿ أفلا تتقون ﴾ أى أفلا تخافون عقابه اذا عبدتم غيره ﴿ فقال الملأ الذين كفر
من قومه ماهذا الا بشر مثلكم ﴾ أى آدمى مثلكم مشارك لكم فى جميع الامور ﴿ يريد أ
يتفضل عليكم ﴾ أى انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وأنتم له تبع ﴿ ولو شاء الله لانز
ملائكة ﴾ يعنى بابلاغ الوحى ﴿ ماسمعنا بهذا ﴾ أى الذى يدعونا اليه نوح ﴿ فى آبائنا الاولين ا
هو الا رجل به جنة ﴾ أى جنون ﴿ فتربصوا به حتى حين ﴾ أى الى الموت فتستريحوا م
﴿ قال رب انصرنى بما كذبون ﴾ أى اعنى باهلاكهم بتكذيبهم اياى ﴿ فاوحينا اليه أن اصنع الف
باعيننا ﴾ أى بمرأى منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لئلا يتعرض له أحد ولا يفسد عل

(ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال)لقومه (ياقوم اعبدوا الله) وحدوا الله (مالكم من اله غيره) غير الذى أمركم أن (عمله
تؤمنوا به (أفلا تتقون) عبادة غير الله (فقال الملأ) الرؤساء (الذين كفروا من قومه ماهذا) يعنون نوحا (الا بشر)
(مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) بالرسالة والنبوة (ولو شاء الله) أن يرسل الينا رسولا (لانزل ملائكة) أى ملكا من الم
(ماسمعنا بهذا) الذى يقول نوح (فى) زمن (آبائنا الاولين ان هو) ماهو يعنون نوحا (الا رجل به جنة) جنون (فتربص
فانتظروا (به حتى حين) الى حين يموت (قال) نوح (رب انصرنى) أعنى بالعذاب (بما كذبون) بالرسالة (فاوحينا
أرسلنا اليه جبريل(أن اصنع الفلك) أن خذ فى علاج السفينة(بأعيننا) بمنظر منا

(ن بالدهن) قال الزجاج الباء للحال أي تنبت ومعها الدهن تنبت مكي وأبو عمرو واما الان أنبت بمعنى نبت كقوله حتى اذا
أنبت البقل أولان مفعوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الدهن (وصبغ للآكلين) أي ادام لهم قال مقاتل جعل الله تعالى
هذا اداما ودهنا فالادام الزيتون والدهن الزيت وقيل هـ وأول شجرة تنبت بعد

الطوفان وخص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجرة وأفضلها وأجمعها للمنافع (وان لكم في الانعام) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم (لعبرة نسقيكم) وبفتح النون شامي ونافع وأبو بكر وسهل ويعقوب (مما في بطونها) أي تخرج لكم من بطونها لبنا سائغا (ولكم فيها منافع كثيرة) سوى الالبان وهي منافع الاصواف والاوبار والاشعار (ومنها تأكلون) أي لحومها (وعليها) وعلى الانعام في البر (وعلى الفلك) في البحر (تحملون) في أسفاركم وهذا يشير الى ان المراد بالانعام الابل لانها هي المحمول عليها في العادة فلذا قرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة * سفينة بر تحت خدي زمامها * يريد ناقته

دوهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف
تأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء
صحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر ﴿ تنبت بالدهن ﴾ أي
ت ملتبسة بالدهن ومصطحبة له ويجوز ان يكون الباء صلة متعدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهي اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير

رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا انبت البقل

على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن * وقرئ * على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر
دهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان ﴿ وصبغ للآكلين ﴾ معطوف على الدهن جار
على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا
يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز أي يغمس فيه للائتدام * وقرئ وصباغ
كدباغ في دبغ ﴿ وان لكم في الانعام لعبرة ﴾ تعتبرون بحالها وتستدلون بها ﴿ نسقيكم مما
في بطونها ﴾ من الالبان أو من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض أو للابتداء * وقرأ نافع
وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بفتح النون ﴿ ولكم فيها منافع كثيرة ﴾ في ظهورها
واصوافها وشعورها ﴿ ومنها تأكلون ﴾ فتنتفعون باعيانها ﴿ وعليها ﴾ وعلى الانعام
فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم
والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة

سفينة بر تحت خدي زمامها

فيكون الضمير فيها كالضمير في وبعولتهن احق بردهن ﴿ وعلى الفلك تحملون ﴾

منه نودي موسى بين مصر وايلة وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها
أضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل ﴿ تنبت
بالدهن ﴾ أي تنبت وفيها الدهن وقيل تنبت بثمر الدهن وهو الزيت ﴿ وصبغ للآكلين ﴾
الصبغ الادام الذي يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله تعالى في هذه الشجرة المباركة أدما
وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشأ وقيل ان أول
شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل انها تبقى في الارض نحو ثلاثة آلاف سنة * قوله
عز وجل ﴿ وان لكم في الانعام لعبرة ﴾ أي آية تعتبرون بها ﴿ نسقيكم مما في بطونها ﴾ أي
ألبانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليس
فيه منهما شيء فتستحيل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غذاء وتقدم
بسط الكلام بما فيه كفاية في سورة النحل ﴿ ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ﴾
أي كما تنتفعون بها وهي حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل ﴿ وعليها ﴾ أي وعلى
الابل ﴿ وعلى الفلك تحملون ﴾ أي على الابل في البر وعلى السفن في البحر * قوله تعالى

المشجر بلسان الحبشة (تنبت بالدهن) تخرج الدهن (وصبغ للآكلين) ومايصطبغ به الآكل (وان لكم في الانعام) في الابل (لعبرة) لعلامة
(نسقيكم مما في بطونها) من ألبانها تخرج من بين فرث ودم لبنا خالصا (ولكم فيها) في ركوبها وحملها (منافع كثيرة ومنها) من
لحومها وألبانها وأولادها (تأكلون وعليها) على الابل يعني في البر (وعلى الفلك) على السفن في البحر (تحملون) تسافرون

لقادرون) أي كما قدرنا على انزاله نقدر على اذهابه فقيدوا هذه النعمة بالشكر (فانشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل و
لكم فيها) فى الجنات (فواكه كثيرة) النخيل والاعناب (ومنها) و
أى من الجنات أى من ثمارها ويجوز ان هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يغتلها أى انها طعمته وجهته التى منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وهى شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) طور سيناء وطور سينين لايخلو اما ان يضاف الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازى وأبى عمرو للتعريف والعجمة أو مفتوحها كقراءة غيرهم لان الالف للتأنيث كصحراء

بحيث يتعذر استنباطه ﴿ لقادرون ﴾ كما كنا قادرين على انزاله وفى تنكير ذهاب ا
الى كثرة طرقه ومبالغة فى الابعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارأ
ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ﴿ فانشأنا لكم به ﴾ بالماء ﴿ جنا
من نخيل واعناب لكم فيها ﴾ فى الجنات ﴿ فواكه كثيرة ﴾ تتفكهون به
﴿ ومنها ﴾ ومن الجنات ثمارها وزروعها ﴿ تأكلون ﴾ تغذيا أو ترتزقو
وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضمير ا
للنخيل والاعناب اى لكم فى ثمرتهما انواع من الفواكه الرطب والعنـ
والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه ﴿ وشجرة ﴾ عطف ع
جنات وقرئت بالرفع على الابتداء أى ومما انشأ لكم به شجرة ﴿ تخرج من طور سيناء) جبـ
موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولايخلو م
ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنـ
صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا الالف لانه فيعال كديماس من السنـ

لقادرون ﴾ وصح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليـ
وسلم قال سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم وعن ابن عباس
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلـ
والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجـ
من درجاتها على جناحى جبريل استودعها الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيـ
منافع للناس فذلك قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض فاذا كان عنـ
خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعـ
كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار
الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت
هذه الاشياء كلها من الارض فقد أهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث البغوى
فى تفسيره وقال روى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان بن عثمان بن سعيد بالاجازة
عن سعيد بن ساق الاسكندرانى عن مسلمة بن على عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن
عباس * ثم ذكر ما أنبت بالماء فقال تعالى ﴿ فانشأنا لكم به ﴾ أى بالماء ﴿ جنات ﴾ أى
بساتين ﴿ من نخيل وأعناب ﴾ انما أفردهما بالذكر لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقا
الطعام والادام والفواكه رطبا ويابسا ﴿ لكم فيها ﴾ أى فى الجنات ﴿ فواكه كثيرة
ومنها تأكلون ﴾ أى شتاء وصيفا ﴿ وشجرة ﴾ أى وأنشأنا لكم شجرة وهى الزيتون
﴿ تخرج من طور سيناء ﴾ أى من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطيـ
وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيـ
أشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذى

فى الارض (لقادرون فانشأنا لكم) خلقنا لكم ويقال أنبتنا لكم (به) بالماء (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب) كروم (لكم فيها) فى البساتين (فواكه كثيرة) ألوان فواكه كثيرة (ومنها) من ألوان الثمار (تأكلون وشجرة) تنبت بالمطر شجرة وهى شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) من جبل مشجر والطور هو الجبل بلسان النبط والسيناء هو الجبل (منه

[ا]لمقدرين أى أحسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه وقيل ان عبدالله بن سعد بن أبى سرح كان [يكت]ب للنبي عليه السلام فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبدالله [ا]ن محمد نبيا يوحى اليه فأنا نبي يوحى الى فارتد ولحق بمكة ثم أسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لان ارتداده كان [با]لمدينة وهذه السورة مكية وقيل القائل عمر أو معاذ رضى الله عنهما (ثم انكم بعد ذلك) بعدما ذكرنا من أمركم (لميتون) عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيمة تبعثون) تحيون للجزاء (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) جمع طريقة وهى السموات لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم (وما كنا عن الخلق غافلين) أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها أو أراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم (وأنزلنا من السماء ماء) مطرا (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة أو بمقدار ماعلمنا من حاجاتهم (فأسكناه فى الارض) كقوله فسلكه ينابيع فى الارض وقيل جعلناه ثابتا فى الارض فماء الارض كله من السماء ثم استأدى شكرهم بقوله (وانا على ذهاب به

عليه ﴿ثم انكم بعد ذلك لميتون﴾ لسائرون الى الموت لامحالة ولذلك ذكر النعت الذى للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ﴿ثم انكم يوم القيمة تبعثون﴾ للمحاسبة والمجازاة ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل مافوقه مثله فهو طريقة أو لانها طرق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها ﴿وما كنا عن الخلق﴾ عن ذلك المخلوق الذى هو السموات أو جميع المخلوقات ﴿غافلين﴾ مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ماقدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ﴿وانزلنا من السماء ماء بقدر﴾ بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره أو بمقدار ماعلمنا من صلاحهم ﴿فاسكناه﴾ فجعلناه ثابتا مستقرا ﴿فى الارض وانا على ذهاب به﴾ على ازالته بالافساد أو التصعيد أو التعميق

وبين قوله تعالى الله خالق كل شئ وقوله هل من خالق غير الله • قلت الخلق له معان منها الايجاد والابداع ولاموجد ولامبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر

ولانت تفرى ماخلقت وبعـ • ـض القوم يخلق ثم لايفرى

معناه أنت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لايفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله أحسن المقدرين وجواب آخر وهو ان عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير قال فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿ثم انكم بعد ذلك﴾ أى بعد ماذكر من تمام الخلق ﴿لميتون﴾ أى عند انقضاء آجالكم ﴿ثم انكم يوم القيمة تبعثون﴾ أى للحساب والجزاء * قوله عزوجل ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ أى سبع سموات طرائق لان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق الملائكة فى الصعود والهبوط ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ أى بل كنا لهم حافظين من ان تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ماتركناهم سدى بغير امر ونهى وقيل معناه انما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الارزاق والبركات منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين أى عن اعمالهم واقوالهم وضمائرهم لاتخفى علينا خافية ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ أى يعلمه الله من حاجتهم اليه وقيل بقدر مايكفيهم لمعايشهم فى الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة ﴿فاسكناه فى الارض﴾ يعنى مابقى فى الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس فى الصيف عند انقطاع المطر وقيل أسكناه فى الارض ثم أخرجناه منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ماء فى الارض من السماء ﴿وانا على ذهاب به

أحكم المحولين (ثم انكم بعد [ذ]لك لميتون) تموتون (ثم انكم يوم القيمة (قاوخا ٤٣ بع) تبعثون) تحيون (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) سبع سموات بعضها [فو]ق بعض مثل القبة (وما كنا عن الخلق غافلين) تاركين لهم بلا امر ولا نهى (وأنزلنا من السماء ماء) مطرا (بقدر) من المعيشة وقيل [ب]مقدار مايكفيكم (فأسكناه) فادخلناه (فى الارض) فجعلناه منه الركى والعيون والانهار والغدران (وانا على ذهاب به) على غور الماء

(ثم جعلناه) أى نسله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لان آدم عليه السلام لم يصر نطفة وهو كقوله وبدأ
الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقيل الانسان بنو آدم والسلالة النطفة والعرب تسمي النطفة
سلالة أى ولقد خلقنا الانسان من سلالة يعني من نطفة مسلولة من طين أى من مخلوق من طين وهو آدم عليه
السلام (نطفة) ماء قليلا مستقر يعني الرحم (مكين) حصين

خلقنا النطفة) أى صيرناها
بدلالة تعديه الى مفعولين
والخلق يتعدى الى مفعول
واحد (علقة) قطعة دم
والمعنى أحلنا النطفة البيضاء
علقة حمراء (فخلقنا العلقة
مضغة) لحما قدر ما يمضغ
(فخلقنا المضغة عظاما)
فصيرناها عظاما (فكسونا
العظام لحما) فأنبتنا عليها
اللحم فصار لها كاللباس عظما
العظم شامى وأبو بكر عظما
المضغة زيد عن يعقوب
عظاما العظم عن أبى زيد
وضع الواحد موضع الجمع
لعدم اللبس اذ الانسان
ذو عظام كثيرة (ثم أنشأناه)
الضمير يعود الى الانسان
أو الى المذكور (خلقا آخر)
أى خلقا مباينا للخلق الاول
حيث جعله حيوانا وكان
جمادا وناطقا وسميعا وبصيرا
وكان بضد هذه الصفات
ولهذا قلنا اذا غصب بيضة
فافرخت عنده يضمن
البيضة ولا يرد الفرخ لانه
خلق آخر سوى البيضة
(فتبارك الله) فتعالى أمره
فى قدرته وحكمته (أحسن)

للسلالة أو من بيانية أو بمعنى سلالة لانها فى معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان
آدم خلق من صفوة سلت من الطين أو الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا
بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته ﴿ثم جعلناه﴾ ثم جعل
نسله فحذف المضاف ﴿نطفة﴾ بان خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير
على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء ﴿فى قرار مكين﴾ مستقر حصين يعنى الرحم وهو
فى الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾
بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ فصيرناها قطعة لحم ﴿فخلقنا
المضغة عظاما﴾ بان صلبناها ﴿فكسونا العظام لحما﴾ مما بقى من المضغة أو مما انبتنا عليها
مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها فى الهيئة والصلابة
وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد
احدهما وجمع الآخر ﴿ثم انشأناه خلقا آخر﴾ هو صورة البدن أو الروح أو القوى
بنفخه فيه أو المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب
بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر ﴿فتبارك الله﴾ فتعالى
شانه فى قدرته وحكمته ﴿احسن الخالقين﴾ المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين

آدم وقوله من سلالة أى سل من كل تربة ﴿ثم جعلناه نطفة﴾ يعني الذى هو
الانسان جعلناه نطفة ﴿فى قرار مكين﴾ أى حريز وهو الرحم وسمى مكينا لاستقرار
النطفة فيه الى وقت الولادة ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ أى صيرنا النطفة قطعة دم جامد
﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ أى جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة ﴿فخلقنا المضغة عظاما
فكسونا العظام لحما﴾ وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له قيل ان بين كل
خلق وخلق أربعين يوما ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ أى مباينا للخلق الاول قال ابن
عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعد ما كان جمادا وناطقا بعد ما كان أبكم
وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وغرائب
فطره وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع
الى القعود والقيام الى المشى الى الفطام الى أن يأكل ويشرب الى أن يبلغ الحلم ويتقلب
فى البلاد الى ما بعدها ﴿فتبارك الله﴾ أى استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال
﴿أحسن الخالقين﴾ أى المصورين والمقدرين فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية

بدل أو خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان أضيف لان المضاف اليه عوض من من (الخالقين) ﴿ وبين

(ثم جعلناه) يعني ماء السلالة (نطفة فى قرار مكين) فى مكان حريز رحم أمه فيكون نطفة أربعين يوما (ثم خلقنا) ثم حولنا
(النطفة علقة) دما عبيطا فتكون علقة أربعين يوما (فخلقنا) فحولنا (العلقة مضغة) لحما أربعين يوما (فخلقنا) فحولنا (المضغة
عظاما) بلا لحم (فكسونا العظام لحما) أوصالا وعروقا وغير ذلك (ثم أنشأناه خلقا آخر) جعلنا فيه الروح (فتبارك الله احسن الخالقين)

افظون والراعي القائم على الشئ بحفظ واصلاح كراعي الغنم (والذين هم على صلواتهم) صلاتهم كوفي غير أبي بكر (يحافظون) امون في أوقاتها واعادة ذكر الصلاة لانها أهم ولان الخشوع فيها غير المحافظة عليها أو لانها وحدت أولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أية صلاة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على أنواعها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل (أولئك) الجامعون لهذه الاوصاف (هم الوارثون) الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون) من الكفار في الحديث مامنكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله (الفردوس) هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وقال قطرب هو أعلى الجنان (هم فيها خالدون) أنث الفردوس بتأويل الجنة (ولقد خلقنا الانسان) أي آدم (من سلالة) من للابتداء والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وقيل انما سمي التراب الذي خلق آدم منه سلالة لانه سل من كل تربة (من طين) من للبيان كقوله من الاوثان

لامانتهم على الافراد لأمن الالباس أو لانها في الاصل مصدر ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به أولا فان الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلاة تعظيم لشأنها ﴿أولئك﴾ الجامعون لهذه الصفات ﴿هم الوارثون﴾ الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار ﴿هم فيها خالدون﴾ انث الضمير لانه اسم للجنة أو لطبقتها العليا ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة﴾ من خلاصة سلت من بين الكدر ﴿من طين﴾ متعلق بمحذوف لانه صفة

أي حافظون يحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تختلف فمنها مايكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التي أوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها مايكون بين العباد كالودائع والصنائع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به أيضا ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ أي يداومون ويراعون أوقاتها واتمام أركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها * فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا * قلت هما ذكران مختلفان فليس تكرارا وصفهم أولا بالخشوع في الصلاة وآخرا بالمحافظة عليها * قوله عزوجل ﴿أولئك﴾ يعني أهل هذه الصفة ﴿هم الوارثون﴾ يعني يرثون منازل أهل النار من الجنة * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فمن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى أولئك هم الوارثون ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى الوراثة هو أن يؤل أمرهم الى الجنة وينالوها كما يؤل أمر الميراث الى الوارث ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ هو أعلى الجنة * عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة مابين كل درجة ودرجة كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس اخرجه الترمذي ﴿هم فيها خالدون﴾ أي لايخرجون منها ولايموتون * قوله عزوجل ﴿ولقد خلقنا الانسان﴾ يعني ولد آدم لان الانسان اسم جنس ﴿من سلالة من طين﴾ قال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل هي المني لان النطفة تسل من الظهر من طين يعني طين آدم لان السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد من الانسان هو

حافظون له بالوفاء (والذين هم على صلواتهم) لاوقات صلواتهم (يحافظون) له بالوفاء (أولئك) أهل هذه الصفة (هم الوارثون) لنازلون (الذين يرثون) ينزلون (الفردوس) مقصورة الرحمن والفردوس هو البستان بلسان الرومية (هم فيها خالدون) في الجنة مقيمون لايموتون ولايخرجون منها (ولقد خلقنا الانسان) ولد آدم (من سلالة) سلة (من طين) والطين هو آدم

النصاب الى الفقير وعلى المعنى وهو فعل المزكى الذى هو التزكية وهو المراد هنا فجعل المزكين فاعلين له لان لفظ الفـ
يدجى الافعال كالضرب والقتل ونحوهما تقول للضارب والقاتل والمزكى فعل الضرب والقتل والتزكية ويجو
أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء ودخل اللام لتقدم المفعول وضعف اسم الفاعل فى العمل فانك تقو
هذا ضارب لزيد ولا تقول ضرب لزيد (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج يشمل سوءة الرجل والمرأة (الا
أزواجهم) فى موضع الحال أى الاوالين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان زياد على البصرة أى واليا ع
والمعنى انهم لفروجهم حافظون فى جميع الاحوال الا فى حال تزوجهم أو تسر

أو تعلق على محذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون الا على أزواجهم أى يلامون على كل مباشرة الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين عليه وقال الفراء الا من أزواجهم أى زوجاتهم (أو ما ملكت أيمانهم) أى امائهم ولم يقل من لان المملوك جرى مجرى غير العقلاء ولهذا يباع كما تباع البهائم (فانهم غير ملومين) أى لا لوم عليهم ان لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم وامائهم (فمن ابتغى وراء ذلك) طلب قضاء شهوة من غير هذين (فاولئك هم العادون) الكاملون فى العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لارادة الشهوة (والذين هم لأماناتهم وعهدهم) لاماناتهم مكى وسهل سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد
عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وانما تؤدى العيون لا المعانى (أى)
والمراد به العموم فى كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق (راعون)

انهم بلغوا الغاية فى القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل يفعل الحدث لا المحل الذى هو موقعه أو الثانى على تقدير مضاف ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ لا يبذلونها ﴿ الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم ﴾ زوجاتهم أو سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسى أو حال أى حفظوها فى كافة الاحوال الا فى حال التزوج أو التسرى أو لفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهى الى النفس واعظمها خطرا ﴿ فانهم غير ملومين ﴾ الضمير لحافظون أو لمن دل عليه الاستثناء اى فان بذلوها لازواجهم أو امائهم فانهم غير ملومين على ذلك ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك ﴾ المستثنى ﴿ فاولئك هم العادون ﴾ الكاملون فى العدوان ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم ﴾ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق ﴿ راعون ﴾ قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفى المعارج

هى العمل الصالح والاول أولى ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ الفرج اسم لسوأة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام ﴿ الا على أزواجهم ﴾ على بمعنى من ﴿ أو ما ملكت أيمانهم ﴾ يعنى الاماء والجوارى والآية فى الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها ﴿ فانهم غير ملومين ﴾ يعنى بعدم حفظ فرجه من امرأته وأمته فانه لا يلام على ذلك وانما لا يلام فيما اذا كان على وجه اذن فيه الشرع دون الاتيان فى غير المأتى وفى حال الحيض والنفاس فانه محظور فلا يجوز ومن فعله فانه ملوم ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك ﴾ أى التمس وطلب سوى الازواج والولائد وهن الجوارى المملوكة ﴿ فاولئك هم العادون ﴾ أى الظالمون المجاوزون الحد من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول أكثر العلماء سئل عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وأيديهم حبالى فأظن انهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم ﴿ قوله عز وجل ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾

زكاة أموالهم (والذين هم لفروجهم حافظون) يعفون فروجهم عن الحرام (الا على أزواجهم) أربع نسوة (أو ما ملكت أيمانهم) من الولائد بغير عدد (فانهم غير ملومين) بالحلال (فمن ابتغى وراء ذلك) فمن طلب سوى الحلال (فاولئك هم العادون) المعتدون الحلال الى الحرام (والذين هم لأماناتهم) لما ائتمنوا عليه مثل الصوم والوضوء والاغتسال من الجنابة والوديعة وأشباه ذلك (وعهدهم) فيما بينهم وبين الله أو بينهم وبين الناس (راعون)

للفعول ﴿ الذين هم في صلوتهم خاشعون ﴾ خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم * روى انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ﴿ والذين هم عن اللغو ﴾ عما لا يعنيهم من قول وفعل ﴿ معرضون ﴾ لما بهم من الجد ما يشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله ﴿ والذين هم للزكوة فاعلون ﴾ وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة ليدل على

البقاء والنجاة ﴿ الذين هم في صلوتهم خاشعون ﴾ قال ابن عباس مخبتون أذلاء خاضعون وقيل خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لابد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الاولى فالخاشع في صلاته لابد وأن يحصل له الخشوع في جميع الجوارح فاما ما يتعلق بالقلب من الافعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى شئ سوى ذلك التعظيم وأما ما يتعلق بالجوارح فهو ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده وقيل الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (ق) عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس هو الاختطاف * عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته مالم يلتفت فاذا التفت انصرف عنه وفي رواية أعرض عنه أخرجه أبو داود والنسائي وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره الى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم الى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلوتهم خاشعون رمقوا بأبصارهم الى موضع السجود وقيل الخشوع هو ان لا يعبث بشئ من جسده في الصلاة لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند * عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع في الصلوة هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر * قوله تعالى ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي وقيل هو كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب ﴿ والذين هم للزكوة فاعلون ﴾ أي الزكاة الواجبة مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لانها فعل وقيل الزكاة هنا

(الذين هم في صلوتهم خاشعون) خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح وقيل الخشوع في الصلاة جمع الهمة لها والاعراض عما سواها وأن لا يجاوز بصره مصلاه وأن لا يلتفت ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرقع أصابعه ولا يقلب الحصى ونحو ذلك وعن أبي الدرداء هو اخلاص المقال واعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام واضيفت الصلاة الى المصلين لا الى المصلى له لانتفاع المصلي بها وحده وهي عدته وذخيرته وأما المصلى له فغني عنها (والذين هم عن اللغو معرضون) اللغو كل كلام ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتم والهزل يعني ان لهم من الجد ما شغلهم عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف (والذين هم للزكوة فاعلون) مؤدون ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف مؤدون وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرجه المزكي من

(الذين هم في صلوتهم خاشعون) مخبتون متواضعون لا يلتفتون يمينا ولا شمالا ولا يرفعون أيديهم في الصلاة (والذين هم عن اللغو معرضون) عن الباطل والحلف تاركون له (والذين هم للزكوة فاعلون) مؤدون

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريين
وثمان عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون ۞ قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت على الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون المتوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء

تفسير سورة المؤمنين وهي مكية وهي مائة وثمان عشرة آية وألف
وثمانمائة واربعون كلمة واربعة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فانزل الله عليه يوما فمكث ساعة ثم سري عنه فقرأ قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات من أولها وقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا وارض عنا أخرجه الترمذي ۞ قوله عز وجل ۞ قد أفلح المؤمنون ۞ قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح

يتوقعون مثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر

والايمان في اللغة التصديق والمؤمن المصدق

لسانه فهو مؤمن قال عليه السلام خلق الله الجنة فقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا انا حرام على كل بخيل مراء لانه بالرياء أبطل العبادات البدنية وليس له عبادة مالية

(وسماكم المسلمين) أى الله بدليل قراءة أبى الله سماكم (من قبـل) فى الكتب المتقدمة (وفى هذا) أى فى القرآن أى فضلكم
على سـائر الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم (ليكون الرسـول شـهيدا عليكم)

أنه قد بلغكم رسـالة ربكم (وتكونوا شـهداء على النـاس) بتبليغ الرسـل رسـالات الله اليهم وانمـا خصكم بهذه الكرامة والاثرة (فاقيموا الصلوة) بواجباتها (وآتوا الزكوة) بشرائطها (واعتصموا بالله) وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصـلاة والزكاة (هو مولاكم) أى مالككم وناصركم ومتولى أموركم (فنعم المولى) حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم (ونعم النصير) أى الناصر هو حيث أعانكم على طاعتكم وقد أفلح من هو مولاه وناصره والله الموفق للصواب

فغلبوا على غيرهم ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ القرآن فى الكتب المتقدمة ﴿وفى هذا﴾ وفى القرآن والضمير لله تعالى ويدل عليه انه قرئ الله سماكم أو لابراهيم وتسميتهم بمسلمين فى القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ﴿ليكون الرسول﴾ يوم القيامة متعلق بسماكم ﴿شهيدا عليكم﴾ بانه قد بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته أو بطاعة من اطاع وعصيان من عصى ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بتبليغ الرسل اليهم ﴿فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بانواع الفضل والشرف ﴿واعتصموا بالله﴾ وثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومتولى اموركم ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ هو اذ لا مثل له سبحانه فى الولاية والنصرة بل لا مولى ولا ناصر سواه فى الحقيقة * عن النبى عليه السلام

من قرأ سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها

بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

ابراهيم * قلت ان كان الخطاب للعرب فهو أبو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فهو ابو المسلمين والمعنى ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله وأزواجه أمهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم مثل الوالد * وقوله ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ قولان أحدهما ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعنى ان الله سماكم المسلمين فى الكتب القديمة من قبل نزول القرآن القول الثانى ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعنى ان ابراهيم سماكم المسلمين فى أيامه من قبل هـذا الوقت وهـو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءه فينا ﴿وفى هذا﴾ أى وفى القرآن سماكم المسلمين ﴿ليكون الرسول شهيدا عليكم﴾ يعنى يوم القيامة ان قد بلغكم ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ يعنى تشهدون يوم القيامة على الامم ان رسلهم

قد بلغتهم ﴿فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله﴾ أى ثقوا به وتوكلوا

عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم أن يعصمكم من كل

ما يكره وقيل معناه ادعوا ربكم ان يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام

هو التمسك بالكتاب والسنة ﴿هو مولاكم﴾

أى وليكم وناصركم وحافظكم ﴿فنعم

المولى ونعم النصير﴾ أى الناصر

لكم والله تعالى أعلم

هو سماكم) الله سماكم (المسلمين من قبـل) من قبـل هذا القرآن فى كتب الانبياء (وفى هذا) القرآن (ليكون الرسـول) محمد صلى الله عليه وسلم (شهيدا عليكم) مزكيا مصدقا لكم (وتكونوا شهداء على الناس) للنبيين (فاقيموا الصلوة) فاتموا الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها من مواقيتها (وآتوا الزكوة) أعطوا زكاة أموالكم

(واعتصموا بالله) تمسكوا بدين الله (فاوخا ٢ ٤ بع) وكتابه (هو مولاكم) حافظكم (فنعم المولى) الحافظ (ونعم النصير) المانع لكم

مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا [illegible] به من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله ﴿ هو اجتباكم ﴾ اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله ﴿ وماجعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ اى ضيق بتكليف مايشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لامانع لهم عنه ولاعذر لهم فى تركه أو الى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشئ فأتوا منه مااستطعتم وقد ارخى ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضائق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد ﴿ ملة ابيكم ابراهيم ﴾ منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ماقبلها بحذف المضاف اى وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة أو لان اكثر العرب كانوا من ذريته

وعند أنه قال لاتخافوا فى الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون فى سبيل الله ولاتخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله مااستطعتم وقال اكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هى العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى موسى الاشعرى وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد الاكبر روى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره البغوى بغير سند قيل أراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس ﴿ هو اجتباكم ﴾ أى اختاركم لدينه ولاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فاى رتبة أعلى من هذا وأى سعادة فوق هذا ﴿ وماجعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ أى ضيق وشدة وهوان المؤمن لايبتلى بشئ من الذنوب الاجعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس فى دين الاسلام مالايجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق فى أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والفطر فى السفر والتيمم عند عدم الماء وأكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التى رخص الله لعباده قيل أعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهما أحدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وماجعل عليهم فى الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ماكان على بنى اسرائيل من الآصار التى كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة ﴿ ملة أبيكم ابراهيم ﴾ لانها داخلة فى ملة محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يكن ابراهيم أبا للامة كلها فكيف سماه أبا فى قوله ملة أبيكم

(هو اجتباكم) اختا[illegible] ونصرته (وماجعل [illegible] فى الدين من حرج) ضيق [illegible] لكم فى [illegible] [illegible] وبالايماء وبالقصر والافطار لعذر السفر والمرض وعدم الزاد والراحلة (ملة أبيكم [illegible] أى أتبعوا [illegible] [illegible] أولاده قال عليه السلام [illegible]

لارحام ومكارم الاخلاق ﴿لعلكم تفلحون﴾ أى افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود لقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأهما ﴿وجاهدوا فى الله﴾ أى لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ﴿حق جهاده﴾ أى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد

عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذى هو عبارة عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر ﴿لعلكم تفلحون﴾ أى لكى تسعدوا وتفوزوا بالجنة

فصل فى حكم سجود التلاوة هنا

اختلف العلماء فى السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا فى السجدة الثانية فروى عن عمر وعلى وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبى الدرداء وأبى موسى انهم قالوا فى الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعى وأحمد واسحق يدل عليه ماروى عن عقبة ابن عامر قال قلت يارسول الله أفى الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما أخرجه الترمذى وأبو داود وعن عمر بن الخطاب انه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال ان هذه السورة فضلت بسجدتين أخرجه مالك فى الموطأ وذهب قوم الى ان فى الحج سجدة واحدة وهى الاولى وليست هذه سجدة وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثورى وأبى حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء فى عدة سجود التلاوة فذهب الشافعى وأحمد وأكثر أهل العلم الى أنها أربع عشرة سجدة لكن الشافعى قال فى الحج سجدتان وأسقط سجدة ص وقال أبو حنيفة فى الحج سجدة وأثبت سجدة ص وبه قال أحمد فى احدى الروايتين عنه فعنده ان السجدات خمس عشرة سجدة وذهب قوم الى ان المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن أبى بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن احدى عشرة سجدة يدل عليه ماروى عن أبى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى القرآن احدى عشرة سجدة أخرجه أبو داود وقال اسناده واه ودليل من قال فى القرآن خمس عشرة سجدة ماروى عن عمرو بن العاص قال أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن خمس عشرة سجدة منها ثلاث فى المفصل وفى سورة الحج سجدتان أخرجه أبو داود وصح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ واذا السماء انشقت أخرجه مسلم سجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعى وقال أبو حنيفة هو واجب ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده﴾ أى جاهدوا فى سبيل الله أعداء الله ومعنى حق جهاده استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس

دعا المؤمنين أولا الى الصلاة التى هى ذكر خالص لقوله تعالى وأقم الصلوة لذكرى ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج وغيرهما ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل أريد به صلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) أى كى تفوزوا وافعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم (وجاهدوا) أمر بالغزو أو بجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر أو هو كلمة حق عند أمير جائر (فى الله) أى فى ذات الله ومن أجله (حق جهاده) وهو ان لايخاف فى الله لومة لائم يقال هو حق عالم وجد عالم اى عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه لكن الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن أجله صحت اضافته اليه ويجوز أن يتسع فى الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا

(لعلكم تفلحون) لكى تنجوا من السخط والعذاب (وجاهدوا فى الله حق جهاده) واعملوا لله حق عمله

(ان الله لقوى عزيز) أى ان الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به أو لقوى بنصر أوليائه عزيز ينتقم

أعدائه (الله يصطفى) يختار (من الملائكة رسلا) كجبريل وميكائيل واسرافيل وغيرهم (ومن الناس) رسلا ك...

وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ...

ملك وبشر وقيل نزلت حين قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا (ان الله سميع) لقولهم (بصير) بمن يختاره لرسالته

سميع لاقوال الرسل فيما { الجزء السابع عشر } تقبله العقول بصير ٣٢٦ باحوال الامم في الرد والقبول

ما بين أيديهم) ما مضى أو ما

خلفهم) ما لم يأت او ما

عملوا وما سيعملوه او امر

الآخرة (والى الله ترجع

الامور) اى اليه مرجع

الامور كلها والذى هو بهذه

الصفات لا يسئل عما يفعل

وليس لاحد ان يعترض عليه

فى حكمه وتدابيره واختيار

رسله ترجع شامى وحمزة

وعلى (يا أيها الذين آمنوا

اركعوا واسجدوا) فى صلاتكم

وكان أول ما أسلموا يصلون

بلا ركوع وسجود فامروا

أن تكون صلاتهم بركوع

وسجود وفيه دليل على

أن الاعمال ليست من الايمان

وان هذه السجدة للصلاة

لا للتلاوة (واعبدوا ربكم)

واقصدوا بركوعكم وسجودكم

وجه الله لا الصنم (وافعلوا

الخير) قيل لما كان للذكر

مزية على غيره من الطاعات

مناسبة ﴿ان الله لقوى﴾ على خلق الممكنات باسرها ﴿عزيز﴾ لا يغلبه شئ وآلهتهم التى يدعونها عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا﴾ يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحى ﴿ومن الناس﴾ يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كأنه لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه غيره فى صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتها والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن سواه من الموجودات تقرير النبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك ﴿ان الله سميع بصير﴾ مدرك للاشياء كلها ﴿يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم﴾ عالم بواقعها ومترقبها ﴿والى الله ترجع الامور﴾ واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسئل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ فى صلاتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام أو صلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما اعظم اركانها أو اخضعوا لله وخروا له سجدا ﴿واعبدوا ربكم﴾ بسائر ما تعبدكم به ﴿وافعلوا الخير﴾ وتحروا ما هو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة

ولا ينتصف منه ﴿ان الله لقوى عزيز﴾ أى غالب لا يقهر * قوله عز وجل ﴿الله يصطفى من الملائكة﴾ أى يختار من الملائكة ﴿رسلا﴾ جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وغيرهم ﴿ومن الناس﴾ أى ويختار الله من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الانبياء والرسل صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين نزلت حين قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه يختار من يشاء من عباده لرسالته ﴿ان الله سميع﴾ أى لاقوالهم ﴿بصير﴾ أى لافعالهم لا تخفى عليه خافية قوله تعالى ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ قال ابن عباس ما قدموا ﴿وما خلفهم﴾ أى ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدى ملائكته ورسله قبل أن يخلقهم ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم ﴿والى الله ترجع الامور﴾ أى فى الآخرة * قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ أى صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود ﴿واعبدوا ربكم﴾ أى وحدوه وقيل أخلصوا له العبادة ﴿وافعلوا الخير﴾ قال ابن

(ان الله لقوى) على أعدائه (عزيز) بالنقمة من اليهود (الله يصطفى) يختار (من الملائكة رسلا) بالرسالة يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل وعباس ... وملك الموت (ومن الناس) محمد عليه السلام وسائر النبيين (ان الله سميع) بمقالتهم حين قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق (بصير) بعقوبتهم (يعلم ما بين أيديهم) من أمر الآخرة (وما خلفهم) من أمر الدنيا يعنى الملائكة (والى الله ترجع الامور) عواقب الامور فى الآخرة (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) فى الصلاة (واعبدوا) أطيعوا (ربكم) وافعلوا الخير) لعمل الصالح

ن يخلقوا ذبابا) لن لتأكيد نفى المستقبل وتأكيده هنا للدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل كانه قال محال ان يخلقوا وتخصيص
ب لمهانته وضعفه واستقذاره وسمى ذبابا لانه كلما ذب لاستقذاره عاب لاستكباره (ولو اجتمعوا له) لخلق الذباب ومحله النصب
حال كانه قيل مستحيل منهم ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل فى
هيل قريش حيث وصفوا بالالهية التى تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل
خيل منها ان تقدر على اقل ماخلقه الله تعالى وأذله ولواجتمعوا
لذلك (وان يسلبهم الذباب شيأ) شيأ ثانى مفعولى يسلبهم (لايستنقذوه منه) أى هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيأ فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل فاذا سلبه الذباب عجز الاصنام عن أخذه (ضعف الطالب) أى الصنم يطلب ماسلب منه (والمطلوب) الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب فى الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب (ماقدروا الله حق قدره) ماعرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكا له

اليه وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين ﴿ لن يخلقوا ذبابا ﴾ لايقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفى دالة على منافاة ما بين النفى والمنفى عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ﴿ ولو اجتمعوا له ﴾ اى للخلق وهو بجوابه المقدر فى موضع حال جئ به للمبالغة أى لايقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين ﴿ وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه ﴾ جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هى اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لاتقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لاتقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ مايختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ عابد الصنم ومعبوده أو الذباب يطلب مايسلب من الصنم من الطيب والصنم يطلب منه الذباب السلب أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ماسلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ﴿ ماقدروا الله حق قدره ﴾ ماعرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ماهو ابعد الاشياء عنه

يعنى الاصنام ﴿ ان يخلقوا ذبابا ﴾ أى واحدا فى صغره وضعفه وقلته لانها لاتقدر على ذلك ﴿ ولو اجتمعوا له ﴾ أى لخلقه والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا له ﴿ وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه ﴾ قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء الذباب فاستلبه منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين أيدى الاصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب مايسلب من الطيب الذى على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب أى لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم ﴿ ماقدروا الله حق قدره ﴾ أى ماعظموه حق عظمته وماعرفوه حق معرفته ولاوصفوه حق صفته حيث أشركوا به مالايمتنع من الذباب

(ان يخلقوا ذبابا) لن يقدروا
[ان ي]خلقوا ذبابا (ولو اجتمعوا له) وان اجتمع العابد والمعبود ماقدروا أن يخلقوا ذبابا (وان يسلبهم) أخذ (الذباب) من الآلهة (شيأ)
[لط]خوا عليها من العسل (لايستنقذوه منه) لايستجيروه ولايخلصوه من الذباب يعنى الآلهة (ضعف الطالب) يعنى الصنم
[و]المطلوب) الذباب ويقال ضعف الطالب العابد والمطلوب المعبود (ماقدروا الله حق قدره) ماعظموا الله حق عظمته
[ذ]لك نزلت فى اليهود لقولهم عزير ابن الله ولقولهم ان الله فقير ونحن أغنياء ولقولهم يد الله مغلولة ولقولهم ان الله استراح بعد
[فرا]غه من خلق السموات والارض فرد الله عليهم ذلك وقال ماقدروا الله حق قدره

(وما ليس لهم به علم) أى لم يتمسكوا فى عبادتهم بحجة ... من جهة الوحى ولا حجة ... دليل عقلى (وما
من نصير) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
القرآن (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) الانكار بالعبوس والكراهة والمنكر مصدر (يكادون يسطون
يبطشون والسطو الوثب والبطش (بالذين يتلون عليهم آياتنا) ...

على جواز عبادته ﴿ وما ليس لهم به علم ﴾ حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلال
﴿ وما للظالمين ﴾ وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم ﴿ من نصير ﴾ يقرر مذهبهم أو يدفع
العذاب عنهم ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ من القرآن ﴿ بينات ﴾ واضحات الدلالة على العقائد
الحقة والاحكام الالهية ﴿ تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر ﴾ الانكار لفرط نكيرهم
للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين
كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر ﴿ يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم
آياتنا ﴾ يثبون ويبطشون بهم ﴿ قل أفأنبئكم بشر من ذلكم ﴾ من غيظكم على التالين وسطوتكم
عليهم أو مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم ﴿ النار ﴾ اى هو النار كأنه جواب
سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره ﴿ وعدها الله الذين كفروا ﴾ وقرئ
بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا وقعت خبرا أو حالا
منها ﴿ وبئس المصير ﴾ النار ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل ﴾ بين لكم حال مستغربة أو قصة
رائعة ولذلك سماها مثلا أو جعل لله مثل اى مثل فى استحقاق العبادة ﴿ فاستمعوا له ﴾ لمثل
أو لبيانه استماع تدبر وتفكر ﴿ ان الذين تدعون من دون الله ﴾ يعنى الاصنام وقرأ يعقوب

﴿ وما ليس لهم به علم ﴾ أى انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلى ﴿ وما
للظالمين ﴾ أى المشركين ﴿ من نصير ﴾ أى مانع يمنعهم من العذاب ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات ﴾ يعنى القرآن وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام ﴿ تعرف
فى وجوه الذين كفروا المنكر ﴾ أى الانكار والكراهة يتبين ذلك فى وجوههم ﴿ يكادون
يسطون ﴾ أى يقعون ويبسطون اليكم أيديهم بالسوء وقيل يبطشون ﴿ بالذين يتلون
عليهم آياتنا ﴾ أى محمد وأصحابه من شدة الغيظ ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿ أفأنبئكم
بشر من ذلكم ﴾ أى بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذى تستمعون ﴿ النار ﴾ أى
هى النار ﴿ وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ﴾ قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس
ضرب مثل ﴾ فان قلت الذى جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت لما كان المثل فى الاكثر
نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل كلام كان كذلك مثلا وقال فى الكشاف قد سميت
الصفة والقصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال
المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة ﴿ فاستمعوا له ﴾ أى تدبروه حق تدبره فان
الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع والمعنى جعل لى شبيه وشبه بى الاوثان أى جعل المشركون
الاصنام شركائى يعبدونها ثم بين حالها وصفتها فقال تعالى ﴿ ان الذين تدعون من دون الله ﴾

على ... وأخذ ... (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلى عليكم (النار) خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل النار أى هو النار (وعدها الله الذين كفروا) استئناف كلام (وبئس المصير) النار ولما كانت دعواهم بأن لله تعالى شريكا جارية فى الغرابة والشهرة مجرى الامثال المسيرة قال الله تعالى (يا أيها الناس ضرب) بين (مثل فاستمعوا له) لضرب هذا المثل (ان الذين تدعون) يدعون بالياء سهل ويعقوب (من دون الله) آلهة باطلة

عذرا (وما ليس لهم به علم) حجة ولا بيان (وما للظالمين) المشركين (من نصير) من مانع من عذاب الله (واذا تتلى) تقرأ (عليهم آياتنا) القرآن (بينات) مبينات بالامر والنهى (تعرف) يا محمد (فى وجوه الذين كفروا) بالقرآن (المنكر) الكراهية من القرآن

(يكادون يسطون) يهمون ان يضربوا ويقعوا (بالذين يتلون) يقرؤن (عليهم آياتنا) القرآن (قل) يا محمد لاهل مكة (أفأنبئكم) أخبركم (بشر من ذلكم) مما قلتم للمسلمين فى الدنيا وقولهم ما رأينا اهل دين اقل حظا منكم فقال الله قل يا محمد ...
(النار وعدها الله الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وأنتم كافرون بمحمد والقرآن (وبئس المصير) صاروا اليه (يا أيها
الناس) يعنى أهل مكة (ضرب مثل) بين مثل آلهتكم (فاستمعوا له) وأجيبوا له (ان الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) من ...

ة (وادع) الناس (الى ربك) الى عبادة ربك (انك لعلى هدى مستقيم) طريق قويم ولم يذكر الواو فى لكل أمة بخلاف
ما تقدم لان تلك وقعت مع ما يناسبها من الآى الواردة فى أمر النسائك فعطفت على أخواتها وهذه وقعت مع أباعد عن معناها
فجد معطفا (وان جادلوك) مراء وتعنتا كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال (فقل
الله أعلم بما تعملون) أى فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول والمعنى ان الله أعلم بأعمالكم وما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم
به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين وتأديب يجاب به كل متعنت (الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون) هذا
خطاب من الله للمؤمنين والكافرين

أى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم مما كان يلقى منهم
(ألم تعلم أن الله يعلم ما فى
السماء والارض) أى كيف
يخفى عليه ما تعملون
ومعلوم عند العلماء بالله انه
يعلم كل ما يحدث فى
السموات والارض (ان
ذلك) الموجود فيهما (فى
كتاب) فى اللوح المحفوظ
(ان ذلك على الله يسير) أى
علمه بجميع ذلك عليه يسير
ثم أشار الى جهالة الكفار
لعبادتهم غير المستحق لها بقوله
(ويعبدون من دون الله ما لم
ينزل به) بانزاله وبصرى
(سلطانا) حجة وبرهانا

(وادع الى ربك) الى توحيد
ربك (انك لعلى هدى مستقيم)
على دين قائم برضاه وهو
الاسلام (وان جادلوك)
خاصموك فى أمر الذبيحة
والتوحيد لقولهم ان ما ذبح
الله حل مما تذبحون أنتم بسكاكينكم (فقل الله أعلم بما تعملون) فى دينكم من الذبيحة وغيرها (الله يحكم) يقضى (بينكم يوم القيمة
فيما كنتم فيه) فى أمر الذبيحة والتوحيد (تختلفون) تخالفون (ألم تعلم) يا محمد (أن الله يعلم ما فى السماء) ما يكون فى اهل السماء
من الخيرات (والارض) ما يكون من اهل الارض من الخير والشر (ان ذلك فى كتاب) مكتوب فى اللوح المحفوظ (ان ذلك)
حفظ ذلك بغير الكتاب (على الله يسير) هين (ويعبدون) يعنى كفار مكة (من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) كتابا ولا

الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء
اهل مراء أو عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز فى افعال
المغالبة للتلازم وقيل نزلت فى كفار خزاعة قالوا للمسلمين مالكم تأكلون
ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة فى تثبيته على
دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته ﴿وادع الى ربك﴾ الى توحيده وعبادته ﴿انك
لعلى هدى مستقيم﴾ طريق الى الحق سوى ﴿وان جادلوك﴾ وقد ظهر الحق ولزمت
الحجة ﴿فقل الله اعلم بما تعملون﴾ من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد
فيه رفق ﴿الله يحكم بينكم﴾ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب
﴿يوم القيمة﴾ كما يفصل فى الدنيا بالحجج والآيات ﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من امر
الدين ﴿ألم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض﴾ فلا يخفى عليه شئ ﴿ان ذلك فى كتاب﴾
هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم بعد علمنا به وحفظنا له ﴿ان ذلك﴾
ان الاحاطة به وثباته فى اللوح المحفوظ أو الحكم بينكم ﴿على الله يسير﴾ لان علمه مقتضى ذاته
المتعلق بكل المعلومات على سواء ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا﴾ حجة تدل

الله وقيل معناه لا تنازعهم أنت ❊ قوله تعالى ﴿وادع الى ربك﴾ أى الى الايمان به
والى دينه ﴿انك لعلى هدى مستقيم﴾ أى على دين واضح قويم ﴿وان جادلوك﴾
أى خاصموك فى أمر الذبح وغيره ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ أى من التكذيب ﴿الله
يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ أى فتعلمون حينئذ الحق من الباطل
وقيل حكم يوم القيمة يتردد بين جنة وثواب لمن قبل وبين نار وعقاب لمن رد وأبى
❊ قوله عز وجل ﴿ألم تعلم﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الامة ﴿ان الله يعلم
ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب﴾ أى فى اللوح المحفوظ ﴿ان ذلك﴾ أى علمه
بجميعه ﴿على الله يسير﴾ أى هين وقيل ان كتب الحوادث مع انها من الغيب على الله
يسير ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا﴾ أى حجة ظاهرة من دليل سمعى

قبل شاء من فى السموات ومن فى الارض (ألم ترأن الله سخر لكم ما فى الارض) من البهائم مذللة للركوب فى البر (وا...
تجرى فى البحر بأمره) اى ومن المراكب جارية فى البحر ونصب الفلك عطفا على ما وتجرى حال ... أى وسخر
الفلك فى حال جريها (ويمسك السماء أن تقع على الارض) أى يحفظها من أن تقع (الا باذنه) بامره أو بمشيئته (...
بالناس لرؤف بتسخير ما فى الارض (رحيم) بامساك السماء لئلا تقع على الارض عدد آلاءه مقرونة باسمائه ليشكروه على
ويذكروه باسمائه وعن ابى حنيفة رحمه الله ان اسم الله الاعظم فى الآ...
الثمانية يستجاب لقارئها
البتة (وهو الذى أحياكم)
فى أرحام أمهاتكم (ثم
يميتكم) ... انقضاء آجالكم
(ثم يحييكم) لايصال
جزائكم (ان الانسان
لكفور) لجحود لما أفاض
عليه من ضروب النعم
ودفع عنه من صنوف النقم
أو لا يعرف نعمة الانشاء
المبدى للوجود ولا الافناء
المقرب الى الموعود ولا
الاحياء الموصل الى المقصود
(لكل أمة) أهل دين
(جعلنا منسكا) شريعة
وهو رد لقول من يقول ان
الذبح ليس بشريعة الله اذ هو
شريعة كل أمة (هم ناسكوه)
عاملون به (فلا ينازعنك)
فلا يجادلنك والمعنى فلا
تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم
من ... ك (فى الامر)
أ... أو الدين نزلت
حين قال المشركون للمسلمين
مالكم تأكلون ما قتلتم ولا
تأكلون ما قتله الله يعنى

وافد له ﴿ ألم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض ﴾ جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم ﴿ والفلك ﴾
عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿ تجرى فى البحر بامره ﴾ حا...
منها أو خبر ﴿ ويمسك السماء ان تقع على الارض ﴾ من ان تقع أو كراهة ان تقع بان خلقها
على صورة متداعية الى الاستمساك ﴿ الا باذنه ﴾ الا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه ر...
لاستمساكها لذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط
قبول غيرها ﴿ ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴾ حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال و...
عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار ﴿ وهو الذى احياكم ﴾ بعد ان كـ...
جمادا عناصر ونطفا ﴿ ثم يميتكم ﴾ اذا جاء اجلكم ﴿ ثم يحييكم ﴾ فى الآخرة ﴿ ان الانسا...
لكفور ﴾ لجحود لنعم الله مع ظهورها ﴿ لكل امة ﴾ اهل دين ﴿ جعلنا منسكا ﴾ متعبدا
أو شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا ﴿ هم ناسكوه ﴾ ينسكونه ﴿ فلا ينازعنك ﴾ سائر ارباب
الملل ﴿ فى الامر ﴾ فى امر الدين أو النسائك لانهم بين جهال واهل عناد أو لان امر
دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات

﴿ ألم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض ﴾ أى الدواب التى تركب فى البر ﴿ والفلك ﴾ أى
وسخر لكم السفن ﴿ تجرى فى البحر بأمره ﴾ يعنى سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك ما جرت
﴿ ويمسك السماء ان تقع ﴾ أى لكيلا تسقط ﴿ على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف
رحيم ﴾ يعنى انه أنعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية فى الانعام
والاحسان فهو اذا رؤف رحيم بكم ﴿ وهو الذى أحياكم ﴾ أى أنشأكم و...
تكونوا شيأ ﴿ ثم يميتكم ﴾ أى عند انقضاء آجالكم ﴿ ثم يحييكم ﴾ أى يوم البعث
للثواب والعقاب ﴿ ان الانسان لكفور ﴾ أى لجحود لنعم الله عز وجل ﴿ قوله تعالى
﴿ لكل أمة جعلنا منسكا ﴾ قال ابن عباس شريعة ﴿ هم ناسكوه ﴾ هم عاملون بها وعنه
قال عيدا وقيل ... قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة ﴿ فلا ينازعنك فى الامر ﴾
أى فى أمر الذبائح نزلت فى بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا
لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مالكم تأكلون مما تقتلون بايديكم ولا تأكلون مما قتله

وحده (ألم تر) ألم تخبر فى القرآن يا محمد (ان الله سخر) ذلل (لكم ما فى الارض) من الشجر والدواب (والفلك) (أى
وسخر الفلك يعنى السفن (تجرى فى البحر بأمره) باذنه (ويمسك السماء) يمنع السماء (ان تقع) لكى لا تقع (على الارض الا ...
بامره الى يوم القيامة (ان الله بالناس) بالمؤمنين (رؤف رحيم وهو الذى أحياكم) فى ارحام أمهاتكم صغارا (ثم ...
صغارا أو كبارا (ثم يحييكم) للبعث بعد الموت (ان الانسان) يعنى لكافر بديل بن ورقاء الخزاعى (لكفور) كافر بالله و...
بعد الموت وبذبيحة المسلمين (لكل أمة) لكل اهل دين (جعلنا منسكا) مذبحا ويقال معبدا (هم ناسكوه) ذابحوه ...
(فلا ينازعنك) فلا يخالفنك ولا يصرفنك (فى الامر) فى أمر الذبيحة والتوحيد

في الليل أي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا أو بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما لا يخفى عليه ما يجرى فيهما
على عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وان اختلفت في النهار الاصوات
بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه شئ بشئ في الليالي وان توالت الظلمات (ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون)
عن غير أبي بكر (من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير) أى ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار واحاطته بما يجرى
فيهما وادراكه قولهم وفعلهم بسبب ان الله الحق الثابت الهيته وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شئ أعلى منه
شأنا وأكبر سلطانا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح الارض مخضرة) بالنبات بعدما كانت مسودة يابسة وانما
صرف الى لفظ المضارع ولم يقل فاصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول
أنعم على فلان فاروح وأغدو
شاكرا له ولو قلت فرحت
وغدوت لم يقع ذلك الموقع
وانما رفع فتصبح ولم ينصب
جوابا للاستفهام لانه
لو نصب لبطل الغرض
وهذا لان معناه اثبات
الاخضرار فينقلب بالنصب
الى نفي الاخضرار كما تقول
لصاحبك ألم ترانى أنعمت
عليك فتشكر ان نصبته
نفيت شكره وشكوت من
تفريطه فيه وان رفعته أثبت
شكره (ان الله لطيف)
واصل عمله أو فضله الى
كل شئ (خبير) بمصالح
الخلق ومنافعهم أو اللطيف
المختص بدقيق التدبير
الخبير المحيط بكل قليل وكثير
(له ما في السموات وما
في الارض) ملكا وملكا
(وان الله لهو الغنى) المستغنى بكمال قدرته (قا و خا ٤١ بع) بعد ... في السموات وما في الارض (الحميد)
المحمود بنعمته

﴿ ذلك ﴾ الوصف بكمال القدرة والعلم ﴿ بان الله هو الحق ﴾ الثابت في نفسه
الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل
ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه أو الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما
﴿ وان ما يدعون من دونه ﴾ الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على
مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فتكون الواو لما فانه في معنى الآلهة
﴿ هو الباطل ﴾ المعدوم في حد ذاته أو باطل الالوهية ﴿ وان الله هو العلى ﴾ على
الاشياء ﴿ الكبير ﴾ عن ان يكون له شريك لا شئ اعلى منه شانا واكبر منه
سلطانا ﴿ ألم تر ان الله انزل من السماء ماء ﴾ استفهام تقرير ولذلك رفع ﴿ فتصبح
الارض مخضرة ﴾ عطف على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك
ألم تر انى جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء
اثر المطر زمانا بعد زمان ﴿ ان الله لطيف ﴾ يصل علمه أو لطفه الى كل ما جل ودق
﴿ خبير ﴾ بالتدابير الظاهرة والباطنة ﴿ له ما في السموات وما في الارض ﴾ خلقا وملكا
﴿ وان الله لهو الغنى ﴾ في ذاته عن كل شئ ﴿ الحميد ﴾ المستوجب للحمد بصفاته

﴿ ذلك بان الله هو الحق ﴾ أى ذو الحق في قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق ﴿ وان
ما يدعون ﴾ يعني المشركين ﴿ من دونه هو الباطل ﴾ يعني الاصنام التي ليس عندها ضر
ولا نفع ﴿ وان الله هو العلى ﴾ أى العالى على كل شئ ﴿ الكبير ﴾ اى العظيم في قدرته
وسلطانه ... عز وجل ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ﴾
بالنبات ﴿ ان الله لطيف ﴾ أى باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان
﴿ خبير ﴾ أى بما في قلوب العباد اذا تأخر المطر عنهم ﴿ له ما في السموات وما في الارض ﴾
عبيدا وملكا ﴿ وان الله لهو الغنى الحميد ﴾ يعني الغنى عن عباده الحميد في أفعاله

(...) القدرة لتقروا وتعلموا (بأن الله هو الحق) بان عبادة الله هي الحق وأن الله هو القوى (وأن ما تدعون) تعبدون (من دونه)
من دون الله (هو الباطل) الضعيف (وأن الله هو العلى) على كل شئ (الكبير) أكبر كل شئ (ألم تر) ألم تخبر يا محمد في القرآن (أن الله
أنزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح الارض) فتصير الارض (مخضرة) بالنبات (ان الله لطيف) باستخراج النبات (خبير)
بمكانه (له ما في السموات وما في الارض) من الخلق (وان الله لهو الغنى) عن خلقه (الحميد) المحمود في فعاله ويقال الحميد لمن

الأعين (وان الله لعليم) بأحوال من قضى نحبه مجاهدا وآمال من مات وهو ينتظر معاهدا (حليم) بامهال من
معاند اروى ان طوائف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يانبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من
ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فمالنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الآيتين (ذلك) أى الامر ذلك و
مستانفا ومن عاقب بمثل ماعوقب) سمى الابتداء بالجزاء عقوبة الابتداء من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه (ثم بغى
لينصرنه الله) أى من جازى بمثل مافعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق ع
ان ينصره (ان الله لعفو) يمحو آثار الذنوب (غفور) يستر أنواع العيوب وتقريب الوصفين بسياق الآية ان المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فمن عفا وأصلح فاجره على الله وأن تعفو أقرب للتقوى فحيث لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك للافضل وهو ضامن لنصره في الكرة الثانية اذا ترك العفو وانتقم من الباغي وعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين أودل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة اذلا يوصف بالعفو الا القادر على ضده كما قيل العفو عند القدرة (ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير) أى ذلك النصر للمظلوم بسبب انه قادر على مايشاء ومن آيات قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج

﴿وان الله لعليم﴾ باحوالهم واحوال معادهم ﴿حليم﴾ لايعاجل في العقوبة ﴿ذلك﴾ الا
ذلك ﴿ومن عاقب بمثل ماعوقب به﴾ ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي
هو الجزاء للازدواج أو لانه سببه ﴿ثم بغى عليه﴾ بالمعاودة الى العقوبة ﴿لينصرنه الله﴾ لا
﴿ان الله لعفو غفور﴾ للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله ال
بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة
فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه تعالى
قادر على العقوبة اذلا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ﴿ذلك﴾ اى ذلك النصر
﴿بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ بسبب ان الله قادر على تغليب
بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد
الملوين في الآخر بان يزيد فيه ماينقص منه أو بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار
بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها ﴿وان الله سميع﴾ يسمع قول المعاقب والمعاقب
﴿بصير﴾ يرى افعالهما فلايهملهما

﴿وان الله لعليم﴾ بنياتهم ﴿حليم﴾ بالعفو عنهم * قوله عز وجل ﴿ذلك﴾ أى الامر
ذلك الذى قصصنا عليك ﴿ومن عاقب بمثل ماعوقب به﴾ أى جازى الظالم بمثل ظلمه
وقيل يعنى قاتل المشركين كما قاتلوه ﴿ثم بغى عليه﴾ أى ظلم باخراجه من منزله يعنى ما أتى
المشركون من البغى على المسلمين حتى أحوجوهم الى مفارقة أوطانهم نزلت في قوم من
المشركين أتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا في المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن
يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم
وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى ﴿لينصرنه الله ان الله لعفو﴾ أى
عن مساوى المؤمنين ﴿غفور﴾ يعنى لذنوبهم ﴿ذلك﴾ أى ذلك النصر ﴿بان الله
القادر على مايشاء فمن قدرته انه ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ في معنى
هذا الايلاج قولان أحدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة الشمس
ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس القول الثانى هو مايزيد في أحدهما
وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى ﴿وان الله سميع بصير﴾

الجنة (وان الله لعليم) بثوابهم وكرامتهم (حليم) بتأخير عقوبة من قتلهم (ذلك) هذا قضاء الله فيما بين المؤمنين (ذلك)
والكافرين في الآخرة (ومن عاقب) قاتل وليه (بمثل ماعوقب به) و... (ثم بغى عليه) ثم تطاول عليه بعد (لينصرنه الله) يعنى الله
على الظالم فيقتله ولا يأخذ منه الدية وهو رجل قتل وليه فأخذ من قاتل وليه الدية ثم بغى عليه فقتله أيضا فيقتل ولا يؤخذ
الدية (ان الله لعفو) متجاوز لمن تاب (غفور) لمن مات على التوبة (ذلك) عقوبة من بغى على أخيه (بان الله يولج الليل في ا
يزيد الليل على النهار فيكون النهار أطول من الليل (ويولج النهار في الليل) يزيد النهار على الليل فيكون الليل أطول من
(وان الله سميع) لمقالة خلقه (بصير) باعمالهم

وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته (الملك يومئذ) أى يوم القيامة والتنوين عوض عن الجملة
يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم (لله) فلا منازع له فيه (يحكم بينهم) أى يقضى ثم بين حكمه فيهم بقوله (فالذين
آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين) ثم خص قوما من الفريق
الفاضلة فقال (والذين هاجروا فى سبيل الله) خرجوا من أوطانهم مجاهدين
(ثم قتلوا) فى الجهاد قتلوا شاى (أوماتوا) حتف أنفهم (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) قيل الرزق الحسن الذى لا ينقطع أبدا (وان الله لهو خير الرازقين) لانه المخترع للخلق بلا امثال المتكفل للرزق بلا املال (ليدخلنهم مدخلا) بفتح الميم مدنى والمراد الجنة (يرضونه) لان فيها ماتشتهى الانفس وتلذ

حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمى به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم أو لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقما فوصف اليوم بوصفها اتساعا ولانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه أو يوم القيامة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل ﴿ الملك يومئذ لله ﴾ التنوين فيه ينوب عن الجملة التى دلت عليها الغاية اى يوم تزول مريتهم ﴿ يحكم بينهم ﴾ بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ﴾ وادخال الفاء فى خبر الثانى دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكافرين مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم فى عذاب ﴿ والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا ﴾ فى الجهاد ﴿ أوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا ﴾ الجنة ونعيمها انما سوى بين من قتل فى الجهاد ومن مات حتف انفه فى الوعد لاستوائهما فى القصد واصل العمل روى ان بعض الصحابة رضى الله عنهم قالوا يا نبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فمالنا ان متنا معك فانزلت ﴿ وان الله لهو خير الرازقين ﴾ فانه يرزق بغير حساب ﴿ ليدخلنهم مدخلا يرضونه ﴾ هو الجنة فيها ما يحبونه

م لا ليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمى عقيما لانه لم يكن فى ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم لاتأتى بخير وقيل لانه لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة فيه ﴿ الملك يومئذ ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ لله ﴾ وحده من غير منازع ولا مشارك فيه ﴿ يحكم ﴾ أى يفصل ﴿ بينهم ﴾ ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين ﴾ قوله تعالى ﴿ والذين هاجروا فى سبيل الله ﴾ أى فارقوا أوطانهم وعشائرهم فى طاعة الله وطلب رضاه ﴿ ثم قتلوا أوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا ﴾ أى لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة لان فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ﴿ وان الله لهو خير الرازقين ﴾ فان قلت الرازق فى الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقوله رزق السلطان الجند أى أعطاهم أرزاقهم لكن الرازق فى الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطى من الرزق ما لا يقدر عليه غيره ﴿ ليدخلنهم مدخلا يرضونه ﴾ يعنى [illegible] به ولا ينالهم فيه مكروه

وهو يوم بدر (الملك) القضاء (يومئذ) يوم القيامة (لله يحكم بينهم) يقضى بين المؤمنين والكافرين (فالذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (فى جنات النعيم) يكرمون بالتحف (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا (فأولئك لهم عذاب مهين) يهانون به ويقال شديد (والذين هاجروا فى سبيل الله) فى طاعة الله من مكة الى المدينة (ثم قتلوا) قتلهم العدو
[illegible] (أوماتوا) فى سفر أو حضر (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) ثوابا حسنا فى الجنة لا مواتهم وغنائم حلالا
لاحيائهم (وان الله لهو خير الرازقين) أفضل المطعمين فى الدنيا والآخرة (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) لانفسهم
[illegible] يعنى

قومابقوله (ليجعل مايلقى الشيطان فتنة) محنة وابتلاء (للذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) هم المشركون
المكذبون فيزدادوا به شكا وظلمة (وان الظالمين) أى المنافقين والمشركين وأصله وانهم فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء
عليهم بالظلم (لفى شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق (وليعلم الذين أوتوا العلم) بالله وبدينه وبالآيات (انه) أى القرآن
(الحق من ربك فيؤمنوا به) بالقرآن (فتخبت) فتطمئن (له قلوبهم وان الله لهادى
الذين آمنوا الى صراط
مستقيم) فيتأولون ما
تشابه فى الدين بالتأويلات
الصحيحة ويطلبون لما أشكل
منه المحمل الذى تقتضيه
الاصول المحكمة حتى
لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم
شبهة (ولا يزال الذين
كفروا فى مرية) شك
(منه) من القرآن أو من
الصراط المستقيم (حتى
تأتيهم الساعة بغتة) فجأة
(أو يأتيهم عذاب يوم عقيم)
يعنى يوم بدر فهو عقيم
عن أن يكون للكافرين فيه
فرج أو راحة كالريح العقيم
لا تأتى بخير أو شديد
لا رحمة فيه أو لا مثل له
فى عظم أمره لقتال الملائكة

لذلك غزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء تميز به الثابت على الايمان
من المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله

تمنى كتاب الله اول ليلة ❊ تمنى داود الزبور على رسل

فامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون
انه من قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا
يندفع بقوله فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على
جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ﴿ليجعل مايلقى الشيطان﴾ علة لتمكين
الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل ﴿فتنة للذين فى قلوبهم
مرض﴾ شك ونفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ المشركين ﴿وان الظالمين﴾ يعنى الفريقين
فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم ﴿لفى شقاق بعيد﴾ عن الحق أو عن الرسول
والمؤمنين ﴿وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك﴾ ان القرآن هو الحق النازل من
عند الله أو تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته فى جنس
الانس من لدن آدم ﴿فيؤمنوا به﴾ بالقرآن أو بالله ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ بالانقياد والخشية
﴿وان الله لهادى الذين آمنوا﴾ فيما اشكل عليهم ﴿الى صراط مستقيم﴾ هو نظر صحيح
يوصلهم الى ماهو الحق فيه ﴿ولا يزال الذين كفروا فى مرية﴾ فى شك ﴿منه﴾ من القرآن
أو الرسول أو مما القى الشيطان فى امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه ﴿حتى تأتيهم
الساعة﴾ القيامة او الموت أو اشراطها ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ يوم

﴿ليجعل مايلقى الشيطان فتنة﴾ أى محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء ﴿للذين فى قلوبهم
مرض﴾ أى شك ونفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ أى الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم
المشركون ﴿وان الظالمين لفى شقاق بعيد﴾ أى فى خلاف شديد ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾
أى التوحيد والقرآن والتصديق بنسخ الله مايشاء ﴿انه الحق من ربك﴾ أى الذى أحكم
الله من آيات القرآن هو الحق من ربك ﴿فيؤمنوا به﴾ أى يعتقدوا انه من الله عز وجل
﴿فتخبت له قلوبهم﴾ أى تسكن اليه ﴿وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم﴾
أى الى طريق قويم وهو الاسلام ❊ قوله عز وجل ﴿ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه﴾
أى فى شك من القرآن وقيل من الدين الذى هو صراط مستقيم ﴿حتى تأتيهم الساعة
بغتة﴾ أى فجأة وقيل أراد بالساعة الموت ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ أى عذاب

بنسخه (ليجعل مايلقى الشيطان)
على لسان نبيه (فتنة) بلية
(للذين فى قلوبهم مرض)
شك وخلاف لكى يعملوا به
(والقاسية قلوبهم) عن ذكر
الله (وان الظالمين) المشركين
الوليد بن المغيرة وأصحابه
(لفى شقاق) خلاف ومعاداة (بعيد) عن الحق والهدى (وليعلم) لكى يعلم تبيان الله (الذين أوتوا العلم) أعطوا (يوم)
العلم بالقرآن والتوراة عبد الله بن سلام وأصحابه (انه) يعنى تبيان الحق هو (الحق من ربك فيؤمنوا به) فيصدقوا بتبيان الله (فتخبت له
فتخلص له وتقبله يعنى تبيان الله (قلوبهم وان الله لهادى) حافظ (الذين آمنوا) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (الى صراط
مستقيم) الى دين [illegible] الاسلام (ولا يزال الذين كفروا) [illegible] السلام والقرآن الوليد بن المغيرة وأصحابه (فى
مرية منه) فى شك [illegible] القرآن [illegible] (حتى [illegible]) [illegible] (بغتة) [illegible] (أو [illegible] عذاب يوم عقيم) لا فرج فيه

﴿فينسخ الله ما يلقى الشيطان﴾ فيبطله ويذهب به بعصمته من الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق فى امر الآخرة ﴿والله عليم﴾ باحوال الناس ﴿حكيم﴾ فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان فى ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد فى آخرها بحيث لم يبق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم

من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخارى فهذا الذى جاء فى الصحيح لم يذكر فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها والذى ذكره المفسرون عن ابن عباس فى هذه القصة فقد رواه عنه الكلبى وهو ضعيف جدا فهذا توهين هذه القصة * الجواب الثانى وهو من حيث المعنى هو أن الحجة قد قامت بالدليل الصحيح واجماع الامة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه أن ينزل عليه مدح آلهة غير الله أو ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عن ذلك فهذا كله ممتنع فى حقه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الآية * الجواب الثالث فى تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآى تفصيلا كما صح عنه فى قراءته فيحتمل ان الشيطان ترصد لتلك السكتات فدس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا لصوت النبى صلى الله عليه وسلم فسمعه من دنا منه من الكفار فظنوها من قول النبى صلى الله عليه وسلم فسجدوا معه لسجوده فأما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبى صلى الله عليه وسلم ذم الاوثان وعيبها وانهم كانوا يحفظون السورة كما أنزلها الله عز وجل * الجواب الرابع فى تحقيق تفسير الآية وقد تقدم ان التمنى يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الاول يكون معنى قوله الا اذا تمنى أى خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه اذا قوى التمنى اشتغل الخاطر فحصل فى السهو فى الافعال الظاهرة وعلى الثانى وهو تفسير التمنى بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا تمنى أى تلا وهو ما يقع للنبى صلى الله عليه وسلم من السهو فى اسقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح فى الحديث لقد أذكرنى كذا كذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الآية ان الانبياء والرسل وان عصمهم الله عن الخطأ فى العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم فى ذلك كحال سائر البشر والله تعالى أعلم * قوله عز وجل ﴿فينسخ الله ما يلقى الشيطان﴾ أى يبطله ويذهبه ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ أى يثبتها ﴿والله عليم حكيم﴾ * قوله عز وجل

(فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يذهب به ويبطله ويخبرانه من الشيطان (ثم يحكم الله آياته) أى يثبتها ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان (والله عليم) بما أوحى الى نبيه وبقصد الشيطان (حكيم) لا يدعه حتى يكشفه ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله تعالى به

(فينسخ الله) يبين الله (ما يلقى الشيطان) على لسان نبيه لكى لا يعمل به (ثم يحكم الله) يبين (آياته) لنبيه لكى يعمل بها (والله عليم) بما يلقى الشيطان على لسان نبيه (حكيم) حكم

ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت و
ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله
الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس مالم آتك به
تعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله تعالى خوف
فانزل الله تعالى هذه الآية يعزيه وكان به رحيما وسمع بذلك من كان بارض الحبشة
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد أسلمت قريش وأهل
فرجع أكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم أحب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذي
حدثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد منهم الا بجوار أو مستخفيا فلما
هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ماذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الح
اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا في فم كل م
فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم وقوله وما أرسلنا من قبلك من ر
الرسول هو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانا ولا نبي النبي هو الذي تكون نبوته
أو مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا الا اذا تمنى أي أحب شيأ واشتهاه وحد
نفسه بما لم يؤمر به ألقى الشيطان في أمنيته أي في مراده وقال ابن عباس اذا حدث
الشيطان في حديثه ووجد اليه سبيلا والمعنى مامن نبي الا تمنى أن يؤمن قومه ولم يتمن
الا ألقى الشيطان عليه مايرضى قومه فينسخ الله مايلقى الشيطان وقال أكثر المفسرين
تمنى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان في أمنيته أي في تلاوته قال حسان في عثمان حين

تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخرها لاقى حمام المقادر

فان قلت قد قامت الدلائل على صدقه وأجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ
معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ماهو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا
ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا يأتيه الباطل من
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله
وسلم في التلاوة وهو معصوم منه قلت ذكر العلماء عن هذا الاشكال أجوبة * أحدهما
اصل هذه القصة وذلك انه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا اسندها ثقة بسند صحيح
سليم متصل وانما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من ال
كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع
واختلاف ألفاظها فقائل يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة وآخر يقول
وهو في نادي قومه وآخر يقول قرأها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه
فجرى ذلك على لسانه وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وان
صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ماهكذا أقرأتك الى غير ذلك من اختلاف
ألفاظها والذي جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه
قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش أخذ كفا من حصى
...فرفعه الى جبهته ... فلقد رأيته بعد قتل كافرا أخرجه البخاري ومسلم

هم للاسلام يتم لهم (اولئك أصحاب الجحيم) أى النار الموقدة ...
أنه لتأكيد النفى (ولا نبى) هذا دليل بين على ثبوت التغاير ... لاف ما يقال ... احد
النبى صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا فقيل فكم الرسل منهم فقال ثلاثمائة
وثلاثة عشر والفرق بينهما ان الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبى من لم ينزل عليه كتاب وانما أمر ان يدعو
الى شريعة من قبله وقيل الرسول واضع شرع والنبى حافظ شرع غيره (الا اذا ...) قرأ قال

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

(ألقى الشيطان فى أمنيته) تلاوته قالوا انه عليه السلام كان فى نادى قومه يقرأ والنجم فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى جرى على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام فأخبره ان ذلك كان من الشيطان وهذا القول غير مرضى لانه لا يخلو اما ان يتكلم النبى عليه السلام بها عمدا وانه لا يجوز لانه كفر لانه بعث طاعنا للاصنام لا مادحا لها أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبى عليه السلام جبرا بحيث لا ... لا يقدر على ذلك فى حق غيره لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ففى ... أو جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة وهو مردود أيضا لانه لا يجوز

... عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر ...
وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انها حال مقدرة ﴿ اولئك اصحاب الجحيم ﴾ النار الموقدة
... اسم دركة ﴿ وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ﴾ الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة
يدعو الناس اليها والنبى يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين
موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبى عليه السلام علماء امته بهم فالنبى اعم من الرسول ويدل
عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل
منهم فقال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبى غير
الرسول وهو من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحى والنبى يقال له ولمن يوحى اليه
فى المنام ﴿ الا اذا تمنى ﴾ اذا زور فى نفسه ما يهواه ﴿ القى الشيطان فى امنيته ﴾ فى تشهيه ما يوجب
اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة

... معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا ويفوتوننا فلا نقدر عليهم بزعمهم ان لا بعث
ولا نشور ولا جنة ولا نار ﴿ أولئك أصحاب الجحيم ﴾ * قوله تعالى ﴿ وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ﴾ قال ابن عباس وغيره من
المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من
مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى فى نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه
لحرصه على ايمانهم فكان يوما فى مجلس لقريش فانزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى ...
... فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراءته
فقرأ السورة كلها وسجد فى آخرها وسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من فى المسجد
من المشركين فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد غير الوليد بن المغيرة أو أحيحة
سعيد بن العاص فانهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتيهما وسجدا عليها لانهما
كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم

... الغفلة عليه فى حال تبليغ الوحى ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ولانه تعالى قال فى صفة المنزل عليه لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق الا وجه واحد وهو ... عليه السلام
... عند قوله ومناة الثالثة الاخرى فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبى صلى الله عليه وسلم فوقع عند بعضهم انه
عليه السلام هو الذى تكلم بها فيكون هذا القاء فى قراءة النبى عليه السلام وكان الشيطان ... عليه السلام ويسمع
... فقد روى انه نادى يوم أحد الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم

... (أولئك أصحاب الجحيم) أهل النار (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد (من رسول) مرسل (ولا نبى) محدث ليس بمرسل
(الا اذا تمنى) قرأ الرسول أو حدث النبى (ألقى الشيطان فى أمنيته) فى قراءة الرسول وحديث النبى

ن ...) أى وكم ... ظالمين قد أنظرتهم حينا (ثم أخذتها
بالعذاب ... المرجع الى فلا يفوتنى شئ ... الاولى أى فكأين معطوفة بالفاء وهذه أى
بالواو ... وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو
وان يخلف الله ... وان

يعدون بالياء ﴿وكأين من قرية﴾ من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لامحالة وان تأخيره لعادته تعالى ﴿املیت لها﴾ امهلتكم ﴿وهى ظالمة﴾ مثلكم ﴿ثم اخذتها﴾ بالعذاب ﴿والى المصير﴾ والى حكمى مرجع الجميع ﴿قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين﴾ اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار ... الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين و ... غيضهم ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ ... ﴿ورزق كريم﴾ هى الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ بالرد والابطال ﴿معاجزين﴾ مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق

مقدار خمسمائة سنة أخرجه أبو داود بزيادة فيه وأخرج الترمذى نحوه ومعنى الآية ... بالعذاب وان يوما من أيام عذابهم في الآخرة كالف سنة وقيل ان يوما من أيام العذاب في الثقل والاستطالة كالف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه ان يوما عنده وألف سنة في الامهال سواء لانه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شئ بالتأخير فيستوى في قدرته وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس ﴿وكأين من قرية أمليت لها﴾ أى أمهلتها ﴿وهى ظالمة﴾ أى مع استمرار أهلها على الظلم ﴿ثم أخذتها﴾ أى أنزلت بهم العذاب ﴿والى المصير﴾ يعنى مصيرهم الى في الآخرة ففيه وعيد وتهديد ❊ قوله عز وجل ﴿قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين﴾ أمر الله رسوله أن يديم لهم التخويف والانذار وأن يقول لهم انما بعثت لكم منذرا ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم﴾ لما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بان ... مبين أردف ذلك بان أمره بوعد من آمن ووعيد من عصى فقال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة أى ستر لصغائر ذنوبهم وقيل للكبائر أيضا مع التوبة ورزق كريم أى لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ أى عملوا في ابطال آياتنا ﴿معجزين﴾ أى ... الناس عن الايمان وقرئ معاجزين أى معاندين مشاقين

﴿وقيل﴾

واعلم ... بحير ... حديث ... المشركين ويا أيها النا[س] نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا ووصفوا ... أو تقدير نذير مبين و ... فيه أو لاقتصار ... آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) أى حسن ثم أنذر فقال (والذين سعوا) ... أى بالابطال ... بسعيه (في آياتنا) أى القرآن (معاجزين) حال معجزين حيث ... مكى وأبو عمرو عاجز ... كأن كل واحد ... يطلب عجز الآخر عن اللحوق به فاذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى ... فيها بالفساد ... وأساطير مسابقين ... ونقدر عم طامعين ان

سنى الدنيا (... قرية) وكم من أهل قرية (أمليت لها) أمهلتها الى أجل (وهى ظالمة) مشركة كافرة أهلها (ثم أخذتها) عاقبتها في الدنيا (... المصير) المرجع في الآخرة (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (انما أنا لكم) من الله (نذير) رسول مخوف (مبين) بلغة تعلمونها (فالذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الخيرات فيما بينهم وبين ربهم (لهم مغفرة) لذنوبهم في الدنيا (ورزق كريم) ثواب حسن في الجنة (والذين سعوا في آياتنا) كذبوا بآياتنا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (معاجزين) ليسوا بفائتين

(يسيروا في الارض) هذا حث على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا (فتكون
لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) أى يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه
من الوحى (فانها لاتعمى الابصار [illegible] [illegible] التى فى الصدور) الضمير

فى فانها ضمير القصة أو ضمير مبهم يفسره الابصار أى فما عميت أبصارهم عن الابصار بل قلوبهم عن الاعتبار ولكل انسان أربع أعين عينان فى رأسه وعينان فى قلبه فاذا أبصر ما فى القلب وعمى ما فى الرأس لم يضره وان أبصر ما فى الرأس وعمى ما فى القلب لم ينفعه وذكر الصدور لبيان ان محل العلم القلب ولئلا يقال ان القلب يعنى به غير هذا العضو كما يقال القلب لب كل شئ (ويستعجلونك بالعذاب) الآجل استهزاء (ولن يخلف الله وعده) كأنه قال ولم يستعجلونك به كأنهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده وما وعد ليصيبنهم ولو بعد حين (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) يعدون

بضم الميم وتشديد الياء (أفلم يسيروا فى الارض) أفلم يسافر أهل مكة فى تجاراتهم (فتكون) فتصير (لهم قلوب يعقلون بها) التخويف وما صنع بغيرهم اذا نظروا وتفكروا فيها

(وآذان يسمعون بها) الحق والتخويف (قاو خا ٥٠ ٤ بع) (فانها) يعنى النظرة بغير عبرة ويقال كلمة الشرك (لاتعمى الابصار) عن النظر (ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) من الحق والهدى (ويستعجلونك) يا محمد (بالعذاب) استعجله نضر بن الحرث قبل أجله (ولن يخلف الله وعده) بالعذاب (وان يوما) من الذى وعد فيه عذابهم (عند ربك كألف سنة مما تعدون) من

وعطلهما ﴿أفلم يسيروا فى الارض﴾ حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ ما يجب ان يسمع من الوحى والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم ﴿فانها﴾ الضمير للقصة أو مبهم يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليها والظاهر اقيم مقامه ﴿لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ عن الاعتبار أى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفى التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان فى هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا فى الدنيا اعمى أفأكون فى الآخرة اعمى فنزلت فانها لاتعمى الابصار ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ المتوعد به ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ لامتناع الخلف فى خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة ﴿وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ بيان لتناهى صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال أو لتمادى عذابه وطول ايامه حقيقة أو من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى

بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب أتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمى المكان حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا منهم فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكفروا فارسل الله تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه فى السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم ❊ قوله تعالى ﴿أفلم يسيروا فى الارض﴾ يعنى كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ أى يعلمون بها ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ يعنى ما يذكر لهم من اخبار القرون الماضية فيعتبرون بها ﴿فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ المعنى ان عمى القلب هو الضار فى أمر الدين لا عمى البصر لان البصر الظاهر بلغة ومتعة وبصر القلوب هو البصر النافع ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ نزلت فى النضر بن الحرث ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ أى انه أنجز ذلك يوم بدر ﴿وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ قال ابن عباس يعنى يوما من الايام الستة التى خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما من ايام الآخرة يدل عليه ما روى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك

بغيره (فامليت للكافرين) أمهلتهم وأخرت عقوبتهم (ثم أخذتهم) عاقبتهم على كفرهم (فكيف كان نكير) انكارى وتغ
حيث أبدلتهم بالنعم نقما وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا نكيرى بالياء فى الوصل والوقف يعقوب (فكأين من قرية أهلك
أهلكتها بصرى (وهى ظالمة) حال أى وأهلها مشركون (فهى خاوية) ساقطة من خوى النجم اذا سقط (على عرو
يتعلق بخاوية والمعنى انها ساقطة على سقوفها أى خرت سقوفها على الا
ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ولا محل لفهى خاوية من الاعراب لانها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وهذا اذا جعلنا كأين منصوب المحل على تقدير كثيرا من القرى أهلكناها (وبئر معطلة) أى متروكة لفقد دلوها ورشائها وفقد تفقدها أو هى عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا أنها عطلت أى تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها (وقصر مشيد) مجصص من الشيد الجص أو مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه والمعنى كم قرية أهلكناها وكم بئر عطلناها عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه أى أهلكنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن أربابها والآبار عن ورادها والاظهر ان البئر والقصر على العموم

كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع ﴿ فامليت للكافرين ﴾ فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ﴿ ثم اخذتهم فكيف كان نكير ﴾ أى انكارى عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا ﴿ فكأين من قرية اهلكناها ﴾ باهلاك اهلها وقرأ البصريان اهلكها بغير لفظ التعظيم ﴿ وهى ظالمة ﴾ اى اهلها ﴿ فهى خاوية على عروشها ﴾ ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف اوخالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر أى هى خالية وهى على عروشها اى مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهى ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كأى بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع ﴿ وبئر معطلة ﴾ عطف على قرية اى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله ﴿ وقصر مشيد ﴾ مرفوع أو مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوى ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر فى سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله

فيه وجهان أحدهما ان موسى لم يكذبه قومه وهم بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثانى كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره ﴿ فامليت للكافرين ﴾ أى أمهلتهم واخرت العقوبة عنهم ﴿ ثم أخذتهم ﴾ أى عاقبتهم ﴿ فكيف كان نكير ﴾ أى انكارى عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه ✽ قوله عز وجل ﴿ فكأين من قرية أهلكتها ﴾ وقرئ أهلكناها على التعظيم ﴿ وهى ظالمة ﴾ أى وأهلها ظالمون ﴿ فهى خاوية ﴾ أى ساقطة ﴿ على عروشها ﴾ أى على سقوفها ﴿ وبئر معطلة ﴾ أى وكم من بئر معطلة أى متروكة مخلاة عن أهلها ﴿ وقصر مشيد ﴾ أى رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن أما القصر فعلى قلة جبل والبئر فى سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا فى نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقى البئر والقصر خاليين وقيل ان هذه البئر كانت بحضرموت فى بلدة يقال لها حاضوراء وذلك ان أربعة آلاف نفر ممن آمن

القبط (فامليت للكافرين) فامليت للكافرين فى كفرهم الى الاجل (ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان نكير) انظر يا محمد كيف كان تغييرى عليهم بالعقوبة (فكأين من قرية) كم من أهل قرية { بصالح
(أهلكناها) بالعذاب (وهى ظالمة) مشركة كافرة أهلها (فهى خاوية) ساقطة (على عروشها) على سقوفها (وبئر معطلة) و
بئر معطلة عطلها أربابها ليس عليها أحد (وقصر مشيد) حصين طويل ليس فيه ساكن ان قرئت بنصب الميم ويقال مجصص ان ق

ولينصرن الله من ينصره) اى ينصر دينه و اولياءه (ان الله لقوى) على نصر اوليائه (عزيز) على انتقام اعدائه (الذين) محله نصب بدل من من ينصره أو جر تابع للذين أخرجوا (ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هو اخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين ان مكنهم فى الارض و بسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لان الله عز و جل أعطاهم التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ولله عاقبة الامور) أى مرجعها الى حكمه وتقديره و فيه تأكيد لما وعده من اظهار أوليائه واعلاء كلمتهم (وان يكذبوك) هذه تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل مكة اياه أى لست بأوحدى فى التكذيب (فقد كذبت قبلهم) قبل قومك (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وثمود) صالحا (وقوم ابراهيم) ابراهيم (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب مدين) شعيبا (وكذب موسى) كذبه فرعون والقبط ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه أو كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وظهور معجزاته فما ظنك

أو لمساجد خصت بها تفضيلا ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ﴿ان الله لقوى﴾ على نصرهم ﴿عزيز﴾ لا يمانعه شئ ﴿الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ﴿ولله عاقبة الامور﴾ فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده ﴿وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين﴾ تسلية له عليه الصلاة والسلام بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدى فى التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه ﴿وكذب موسى﴾ غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما

ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم فى شريعة كل نبى مكان صلواتهم فهدم فى زمن موسى الكنائس وفى زمن عيسى البيع والصوامع وفى زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أى ينصر دينه ونبيه ﴿ان الله لقوى﴾ أى على نصر من ينصر دينه ﴿عزيز﴾ أى لا يضام ولا يمتنع مما يريده * قوله عز وجل ﴿الذين ان مكناهم فى الارض﴾ أى نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد ﴿اقاموا الصلوة وأتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ هذا وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرون وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين أخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون ﴿ولله عاقبة الامور﴾ أى آخر أمور الخلق مصيرها اليه وذلك انه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع * قوله تعالى ﴿وان يكذبوك﴾ فيه تسلية وتعزية للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبك قومك ﴿فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى﴾ * فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى * قلت

(ولينصرن الله) على عدوه (من ينصره) من ينصر نبيه بالجهاد (ان الله لقوى) بنصرة نبيه ونصرة من ينصر نبيه (عزيز) بنقمة من أعداء نبيه (الذين ان مكناهم فى الارض) أنزلناهم فى أرض مكة (أقاموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وآتوا الزكوة) اعطوا زكاة أموالهم (وأمروا بالمعروف) بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم (ونهوا عن المنكر) عن الكفر والشرك ومخالفة الرسول (ولله عاقبة الامور) والى الله ترجع عواقب الامور فى الآخرة (وان يكذبوك) يا محمد قريش (فقد كذبت قبلهم) قبل قومك (قوم نوح) نوحا (وعاد) قوم هود هودا (وثمود) قوم صالح صالحا (وقوم ابراهيم) ابراهيم (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب مدين) قوم شعيب شعيبا (وكذب موسى) كذبه قومه

وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم او
بالقتال حتى هاجر فنزلت هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد مانهى عنه فى نيف وسبعين آية (وان ا
على نصرهم) على نصر المؤمنين (لقدير) قادر وهو بشارة للمؤمنين بالنصر وهو مثل قوله ان الله يدافع عن الذين آمنوا
(الذين) فى محل جر بدل من للذين أو نصب باعنى أو رفع باضمارهم (أخرجوا من ديارهم) بمكة (بغير حق الا ا
يقولوا ربنا الله) أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب التمكين لا موجب الاخراج ومثله هل تنقمو
منا الا أن آمنا بالله ومحل ان يقولوا جر بدلا من حق والمعنى ما أخرجوا من ديارهم ا

بسبب قولهم (ولولا دفع الله) دفاع مدنى ويعقوب (الناس بعضهم ببعض لهدمت) وبالتخفيف حجازى (صوامع وبيع وصلوات ومساجد) أى لولا اظهاره وتسليط المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة فى أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات أى كنائس وسميت الكنيسة صلاة لانها يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجودا أو لقربها من التهديم (يذكر فيها اسم الله كثيرا) فى المساجد أو فى جمع ما تقدم

المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهى اول آية نزلت فى القتال بعدما نهى عنه فى نيف وسبعين آية ﴿ وان الله على نصرهم لقدير ﴾ وعدلهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم ﴿ الذين اخرجوا من ديارهم ﴾ يعنى مكة ﴿ بغير حق ﴾ بغير موجب استحقوابه ﴿ الا ان يقولوا ربنا الله ﴾ على طريقة قول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقيل منقطع ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين ﴿ لهدمت ﴾ لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرأ نافع دفاع وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف ﴿ صوامع ﴾ صوامع الرهابنة ﴿ وبيع ﴾ وبيع النصارى ﴿ وصلوات ﴾ وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها « صلوثا » بالعبرانية فعربت ﴿ ومساجد ﴾ ومساجد المسلمين ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ صفة للاربع

ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وهى أول آية أذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الآية فى قوم باعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فاذن الله لهم فى قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بانهم ظلموا أى بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء ﴿ وان الله على نصرهم لقدير ﴾ فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ﴾ يعنى انهم اخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الاخراج ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ أى بالجهاد واقامة الحدود ﴿ لهدمت صوامع ﴾ هى معابد الرهبان المتخذة فى الصحراء ﴿ وبيع ﴾ هى معابد النصارى فى البلد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى ﴿ وصلوات ﴾ هى كنائس اليهود ويسمونها « بالعبرانية صلوثا » ﴿ ومساجد ﴾ يعنى مساجد المسلمين ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ يعنى فى المساجد

(وان الله على نصرهم) على نصر المؤمنين على عدوهم (لقدير الذين أخرجوا من ديارهم) أخرجهم كفار ﴿ و ﴾
مكة من منازلهم (بغير حق) بلا حق ولا جرم (الا أن يقولوا ربنا الله) لا لقولهم لا اله الا الله محمد رسول الله (ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض) فيدفع بالنبيين عن المؤمنين وبالمؤمنين عن الكافرين وبالمجاهدين عن القاعدين بغير عذر ولولا ذلك
(لهدمت صوامع) صوامع الرهبان (وبيع) كنائس اليهود (وصلوات) بيت نار المجوس لان كل هؤلاء فى مأمن
المسلمين (ومساجد) المسلمين (يذكر فيها) فى المسجد (اسم الله) بالتكبير والتهليل (كثيرا

ولكن يناله التقوى منكم) أي لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى أو لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان أهل الجاهلية اذا نحروا الابل نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا امثل ذلك فنزلت سخرها لكم) أي البدن (لتكبروا الله) لتسموا الله عند الذبح أو لتعظموا الله (على ما هداكم) على ما أرشدكم اليه (وبشر المحسنين) الممتثلين أوامره بالثواب (ان الله يدفع) مكي و بصري و غيرهما يدافع أي يبالغ في الدفع عنهم (عن الذين آمنوا) أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه انا لننصر رسلنا والذين آمنوا ثم علل ذلك بقوله (ان الله لا يحب كل خوان) في أمانة الله (كفور) لنعمة الله أي لانه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها (اذن) مدني و بصري وعاصم (للذين يقاتلون) بفتح التاء مدني وشامي وحفص والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه (بانهم ظلموا) بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا

انها لحوم ودماء ﴿ ولكن يناله التقوى منكم ﴾ ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امره تعالى والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله تعالى فهم به المسلمون فنزلت ﴿ كذلك سخرها لكم ﴾ كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله ﴿ لتكبروا الله ﴾ اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال أو الذبح ﴿ على ما هداكم ﴾ ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما تحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر ﴿ وبشر المحسنين ﴾ المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ﴿ ان الله يدفع عن الذين آمنوا ﴾ غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اى يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ﴿ ان الله لا يحب كل خوان ﴾ في امانة الله ﴿ كفور ﴾ لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم ﴿ اذن ﴾ رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله ﴿ للذين يقاتلون ﴾ المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اى للذين يقاتلهم المشركون ﴿ بأنهم ظلموا ﴾ بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فانزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها أي لن ترفع الى الله لحومها ولا دماؤها ﴿ ولكن يناله التقوى منكم ﴾ أي ولكن ترفع اليه الاعمال الصالحة والاخلاص وهو ما أريد به وجه الله ﴿ كذلك سخرها لكم ﴾ يعني البدن ﴿ لتكبروا الله على ما هداكم ﴾ وأرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا ﴿ وبشر المحسنين ﴾ قال ابن عباس الموحدين * قوله تعالى ﴿ ان الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم ﴿ ان الله لا يحب كل خوان كفور ﴾ أي خوان في أمانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحته وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور * قوله عز وجل ﴿ أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ﴾ أي أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيؤن من بين مضروب

لحم الاضاحي على حائط البيت ويلطخون بدمها فنهاهم الله عن ذلك ويقال لا يقبل الله لحومها ولا دماءها (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يقبل الاعمال الزاكية الطاهرة منكم (كذلك) هكذا (سخرها) ذللها (لكم لتكبروا الله) لتعظموا الله (على ما هداكم) كما هداكم لدينه وسنته (وبشر المحسنين) بالقول والفعل بالجنة ويقال المحسنين بالذبائح (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن كفار مكة (ان الله لا يحب كل خوان) خائن (كفور) كافر بالله (أذن للذين يقاتلون) أذن المؤمنين بالقتال مع كفار مكة (بانهم ظلموا) ظلمهم كفار مكة

كقوله والقمر قدرناه (جعلناها لكم من شعائر الله) أى من اعلام الشريعة التى شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها ومن
ثانى مفعولى (جعلنا لكم فيها خير) النفع فى الدنيا والاجر فى العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) عند نحرها (صواف
من الهاء أى قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن (فاذا وجبت جنوبها) وجوب الجنوب وقوعها على الارض م
الحائط وجبة اذا سقط أى اذا سقطت جنوبها على الارض بعد نحرها وسكنت
(فكلوا منها) ان شئتم
(وأطعموا القانع) السائل
من قنعت اليه اذا خضعت له
وسألته قنوعا (والمعتر)
الذى يريك نفسه ويتعرض
ولا يسأل وقيل القانع
الراضى بما عنده وبما يعطى
من غير سؤال من قنعت قنعا
وقناعة والمعتر المتعرض
للسؤال (كذلك سخرناها
لكم) أى كما أمرناكم
بنحرها سخرناها لكم أو هو
كقوله ذلك ومن يعظم ثم
استأنف فقال سخرناها لكم
أى ذللناها لكم مع قوتها
وعظم اجرامها لتتمكنوا
من نحرها (لعلكم تشكرون)
لكى تشكروا انعام الله عليكم
(لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها

﴿جعلناها لكم﴾ ومن رفعه جعله مبتدأ ﴿من شعائر الله﴾ من اعلام دينه التى شرع
﴿لكم فيها خير﴾ منافع دينية ودنيوية ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ بان تقولوا عند ذبح
اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك ﴿صواف﴾ قائمات قد صففن ا
وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف حافر ا
لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافيا بابدال التنوين من
الاطلاق عند الوقف وصوافى اى خوالص لوجه الله وصوافى بسكون الياء على لغة من
الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها ﴿فاذا وجبت جنوبها﴾ سقطت على الارض
كناية عن الموت ﴿فكلوا منها واطعموا القانع﴾ الراضى بما عنده وبما يعطى من
مسئلة ويؤيده قراءة القنع أو السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له فى الس
﴿والمعتر﴾ والمعترض بالسؤال وقرئ والمعترى يقال عره وعراه واعتره و
﴿كذلك﴾ مثل ماوصفنا من نحرها قياما ﴿سخرناها لكم﴾ مع عظمها وقوتها
تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون فى لباتها ﴿
تشكرون﴾ انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص ﴿لن ينال الله﴾ لن يصيب رضاه و
منه موقع القبول ﴿لحومها﴾ المتصدق بها ﴿ولا دماؤها﴾ المهراقة بالنحر من

يريد الابل الصحاح الاجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها ﴿جعلناها لكم من شعائر
اى من أعلام دينه قيل لانها تشعر وهو ان تطعن بحديدة فى سنامها فيعلم بذلك انها هدى ﴿
خير﴾ أى نفع فى الدنيا وثواب فى العقبى ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أى عند نحرها ﴿ص
أى قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى والاخرى معقولة فينحرها
(ق) عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال ا
قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فاذا وجبت جنوبها﴾ أى سقطت بعد
ووقع جنبها على الارض ﴿فكلوا منها﴾ أمر اباحة ﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾
القانع الجالس فى بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذى يسأل و
عباس القانع هو الذى لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذى يسأل والمعتر هو
يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذى ليس بمسكين ولا ت
ذبيحة يجئ الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم ﴿كذلك﴾ أى مثل ماوصفنا من
قياما ﴿سخرناها لكم﴾ أى لتتمكنوا من نحرها ﴿لعلكم تشكرون﴾ أى انعام الله
﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا

يعنى البقر والابل (جعلناها
لكم) سخرناها لكم (من شعائر
الله) من مناسك الحج لكى
تذبحوا (لكم فيها) فى الاضاحى
(خير) ثواب (فاذكروا
اسم الله عليها) على ذبحها
(صواف) خوالص من
العيوب ويقال معقولة يدها
اليسرى قائمة على ثلاث
قوائم وقرئت برفع النون (فاذا وجبت جنوبها) فاذا خرت جنبها بعد الذبح (فكلوا منها) من الاضاحى (وأطعموا) أ
أعطوا (القانع) السائل الذى يقنع باليسير (والمعتر) الذى يعترضك ولا يسألك (كذلك) الذى ذكرت لكم (سخرناها) ذلا
لعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمته ورخصته (لن ينال الله) لن يصل الى الله (لحومها ولا دماؤها) وكانوا فى الجاهلية

(ولكل أمة)جماعة مؤمنة قبلكم (جعلنا منسكا) حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع على وحمزة أى موضع قربان وغيرهما
على المصدر أى اراقة الدماء وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله)دون غيره (على مارزقهم من بهيمة الانعام) أى عند
وذبحها (فالهكم اله واحد) أى اذكروا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد وفيه دليل على ان ذكر اسم
رط الذبح يعنى أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أى يذبحوا له على وجه التقرب وجعل العلة فى ذلك أن يذكر اسمه
ت أسماؤه على النسائك وقوله (فله أسلموا) أى اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما

يارة ﴿ ولكل امة ﴾ ولكل اهل دين ﴿ جعلنا منسكا ﴾ متعبدا أو قربانا يتقربون به
الله وقرأ حمزة والكسائى بالكسر اى موضع نسك ﴿ ليذكروا اسم الله ﴾
ن غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك
كر المعبود ﴿ على مارزقهم من بهيمة الانعام ﴾ عند ذبحها وفيه تنبيه على
القربان يجب ان يكون نعما ﴿ فالهكم اله واحد فله اسلموا ﴾ اخلصوا التقرب أو الذكر
تشوبوه بالاشراك ﴿ وبشر المخبتين ﴾ المتواضعين المخلصين فان الاخبات صفتهم
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها ﴿ والصابرين على
اصابهم ﴾ من الكلف والمصائب ﴿ والمقيمى الصلوة ﴾ فى اوقاتها وقرئ والمقيمين الصلوة
الاصل ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ فى وجوه الخير ﴿ والبدن ﴾ جمع بدنة كخشب وخشبة
صله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم
مشاركة البقرة لها فى اجزائها عن سبعة بقوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة
بقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره

فون به طواف الزيارة * قوله تعالى ﴿ ولكل أمة ﴾ أى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم
جعلنا منسكا ﴾ قرئ بكسر السين أى مذبحا وهو موضع القربان وقرئ منسكا
السين وهو اراقة الدم وذبح القرابين ﴿ ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة
انعام ﴾ أى عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيد بالانعام لان ما سواها
وز ذبحه فى القرابين وان جاز أكله * قوله عز وجل ﴿ فالهكم اله واحد ﴾ أى
ا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد ﴿ فله أسلموا ﴾ أى أخلصوا وانقادوا
طيعوا ﴿ وبشر المخبتين ﴾ قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل
شعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذى لا يظلمون واذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال
﴿ الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ أى خافت من عقاب الله فيظهر عليها
شوع والتواضع لله تعالى ﴿ والصابرين على ما أصابهم ﴾ أى من البلاء والمرض
صائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن يصبر عليه وله أن
صر لنفسه ﴿ والمقيمى الصلوة ﴾ أى فى أوقاتها محافظة عليها ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾
يتصدقون * قوله تعالى ﴿ والبدن ﴾ جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها

أى خالصا لا تشوبوه باشراك
(وبشر المخبتين) المطمئنين
بذكر الله أو المتواضعين
الخاشعين من الخبت وهو
المطمئن من الارض وعن
ابن عباس رضى الله عنهما
الذين لا يظلمون واذا ظلموا
لم ينتصروا وقيل تفسيره
ما بعده أى (الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم)خافت منه
هيبة (والصابرين على ما
أصابهم)من المحن والمصائب
(والمقيمى الصلوة) فى
أوقاتها (ومما رزقناهم
ينفقون)يتصدقون (والبدن)
جمع بدنة سميت لعظم بدنها
وفى الشريعة يتناول الابل
والبقر وقرئ برفعها وهو

كانت للحج فالى منى (ولكل
أمة) من المؤمنين (جعلنا
منسكا) مذبحا لهم لحجهم
وعمرتهم (ليذكروا اسم الله
على مارزقهم من بهيمة الانعام)
على ذبيحة الانعام (فالهكم اله
واحد) بلا ولد ولا شريك

سلموا) اخلصوا بالعبادة والتوحيد (وبشر المخبتين) المجتهدين المخلصين بالجنة (الذين اذا ذكر الله) أمروا بامر من
(وجلت قلوبهم) خافت قلوبهم (والصابرين)وبشر الصابرين أيضا بالجنة (على ما أصابهم) من المرازى
ب (والمقيمى الصلوة) وبشر المقيمين للصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها من مواقيتها بالجنة أيضا
قناهم) من الاموال (ينفقون)يتصدقون ويؤدون زكاتها (والبدن)

(ذلك)أى الامر ذلك (ومن يعظم شعائر الله)تعظيم الشعائر وهى ا
لانهـا من معـالم الحج أن
يختارها عظـام الاحرام
حسـانا سمانا غالية الاثمان
(فانها من تقوى القلوب)
أى فان تعظيمها من أفعال
ذوى تقوى القلوب فحذفت
هذه المضافات وانما ذكرت
القلوب لانها مراكز التقوى
(لكم فيهـا منـافع) من
الركوب عنـد الحـاجة
وشرب ألبانها عند الضرورة
(الى أجل مسمى) الى أن
تنحر (ثم محلها)أى وقت
وجـوب نحرهـا منتهية
(الى البيت العتيق)والمراد
نحرها فى الحرم الذى هو
فى حـكم البيت اذالحرم
حريم البيت ومثـله فى
فى الاتساع قولك بلغت البلد و
انمـا اتصل مسيرك بحدوده
وقيل الشعائر المناسك
كلها وتعظيمها اتمامهـا
ومحلهـا الى البيت العتيق

المعنى ومن شرك بالله فقدهلكت نفسـه هلاكا يشبه احـد الهلاكين ﴿ ذلك ومن يع
شعائر الله ﴾ دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه أو الهدايا لانها من معالم الحج و
اوفق لظاهر مابعده وتعظيمها ان تختار حسانا سمانا غالية الاثمان • روى انه عليه الص
والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر رضى الله
اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار ﴿ فانها من تقوى القلوب ﴾فان تعظيمها من اف
ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منش
التقوى والفجور والآمرة بهما ﴿ لكم فيها منـافع الى اجـل مسمى ثم محلها الى البي
العتيق ﴾ اى لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحرتم وقت نحر
منتهية الى البيت أى مايليه من الحرم وثم تحتمـل التراخى فى الوقت لا التراخى فى الرتب
أى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاو
اما متصل بحديث الانعـام والضمير فيه لها أو المراد على الاول لكم فيهـا منافـع د
تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذى ترفع ال
الاعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجار
فى الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطوا

☼ قوله عز وجل ﴿ ذلك ﴾ يعنى الذى ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور ﴿ و
يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ﴾ أى تعظيم شـعائر الله من تقوى القلوب قال ا
عباس شعائر الله البدن والهدى وأصلها من الاشعار وهو العلامة التى يعرف بها انها هد
وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلو
﴿ لكم فيها ﴾ أى فى البدن ﴿ منافع ﴾ قيل هى درها ونسلها وصوفها ووبرها وركو
ظهرها ﴿ الى أجل مسمى ﴾ أى الى أن يسميها ويوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له ش
من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عبـاس وقيل معناه لكم
الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا بان تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة ا
أجل مسمى يعنى الى أن تنحروها وهو قول عطاء واختلف العلماء فى ركوب الهدى فق
مالك والشافعى وأحمد واسحق يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها لما روى ع
أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقـ
يارسول الله انها بدنة فقال اركبها ويلك فى الثانية أو الثالثة أخرجاه فى الصحيحين وكذل
يجوز له أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن رى ولدها وقال أصحاب الرأى لا يركبه
الا أن يضطر اليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيهـا منافع أى بالتجا
والاسواق الى أجل مسمى أى الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منـافع أى بالاج
والثواب فى قضاء المناسك الى انقضاء أيام الحج ﴿ ثم محلها الى البيت العتيق ﴾ أى منحر
عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم روى عن جابر فى حديث حجة الوداع أ
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا فى رحالكم ومن قا
الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها أى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق

بعيد (ذلك) التباعد لمن أشرك
بالله (ومن يعظم شعائر الله)
مناسك الحج فيذبح أسمنها
وأعظمها (فانها) يعنى ذبيحة
أسمنها وأعظمها (من تقوى
القلوب) من صفات القلوب
واخلاص الرجل (لكم فيها)
فى الانعام (منافع) فى ركوبها
وألبانها (الى أجل مسمى)
الى حين تقلد وتسمى هديا
(ثم محلها) منحرها (الى البيت العتيق) ان كانت للعمرة وان

{ يطوفون }

ذ.. بك من أعظم الحرمات وأسبقها حظرا ومن الاوثان بيان للرجس لان الرجس مبهم يتناول غير شئ كانه قيل ..بو الرجس الذى هو الاوثان وسمى الاوثان رجسا على طريقة التشبيه يعنى انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تن.. اعنها وجمع بين الشرك وقول الزور أى الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف لان الشرك من باب الزور اذ المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة (حنفاء لله) مسلمين (غير مشركين به) حال كحنفاء (ومن يشرك بالله فكأنما خر) سقط (من السماء) الى الارض (فتخطفه الطير) أى تسلبه بسرعة فتخطفه اى تخطفه مدنى (أو تهوى به الريح) أى تسقطه والهوى السقوط (فى مكان سحيق) بعيد يجوز أن يكون هذا تشبيها مركبا ويجوز أن يكون مفرقا فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان فى علوه بالسماء والذى أشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المردية بالطير المختطفة والشيطان الذى هو يوقعه فى الضلال بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة

ميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات بعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عليه الصلاة والسلام ل عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو لانحراف كما ان الافك من الأفك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن واقع ﴿ حنفاء لله ﴾ مخلصين له ﴿ غير مشركين به ﴾ وهما حالان من الواو ﴿ ومن يشرك لله فكأنما خر من السماء ﴾ لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر ﴿ فتخطفه لطير ﴾ فان الاهواء الرديئة توزع افكاره وقرأ نافع بفتح الخاء وتشديد الطاء ﴿ أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ بعيد فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة وأو للتخيير كما فى قوله أو كصيب من السماء أو للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون

وسلم قام خطيبا فقال ايها الناس عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور أخرجه الترمذى وقال قد اختلفوا فى روايته ولا نعرف لايمن سماعا من النبى صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين فى تلبيتهم لبيك لاشريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك * قوله تعالى ﴿ حنفاء لله ﴾ أى مخلصين له ﴿ غير مشركين به ﴾ فدل ذلك على ان المكلف ينوى بما يأتيه من العبادة الاخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا فى الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا حنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به أى حجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لايكون حنيفا ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر ﴾ أى سقط ﴿ من السماء ﴾ الى الارض ﴿ فتخطفه الطير ﴾ أى تسلبه وتذهب به ﴿ أو تهوى به الريح ﴾ أى تميل وتذهب به ﴿ فى مكان سحيق ﴾ أى بعيد ومعنى الآية ان من أشرك بالله بعيد من الحق والايمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه فى المكان السحيق وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه اهلاك بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير ففرقت اجزاءه فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة وقيل شبه الايمان بالسماء فى علوه والذى ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التى توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التى تطرحه فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة

..هم كانوا يقولون فى تلبيتهم فى الجاهلية (قا و خا ٣٩ بع) لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك الا شريك هو لك تملكه ..وما ملك فنهاهم الله عن ذلك (حنفاء لله) كونوا مسلمين مخلصين لله بالتلبية والحج (غير مشركين به) بالله فى التلبية والحج (ومن ..يشرك بالله فكأنما خر) وقع (من السماء فتخطفه) فتأخذه (الطير) وتذهب به حيث يشاء (أو تهوى) تذهب (به الريح فى مكان سحيق)

وشواهد الاحوال (ذلك) خبر مبتدأ محذوف أى الامر ذلك أو تقديره ليفعلوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) ا...
ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما فى جميع تكاليفه و...
أن يكون خاصا بما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر ا...
والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فهو) أى التعظيم (خير له عند ربه) ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعات والحفظ والقيام بمراعاتها (وأحلت لكم الانعام) أى كلها (الا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى ان الله تعالى أحل لكم الانعام كلها الا ما بين فى كتابه فحافظوا على حدوده ولا تحرموا شيأ مما أحل كتحريم البعض البحيرة ونحوها ولا تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغيرهما ولما حث على تعظيم حرماته أتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور بقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور)

طاف حوله فقد عتق (ذلك) الذى ذكرت من المناسك عليهم أن يوفوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) مناسك الحج (فهو خير له عند ربه) بالثواب (وأحلت لكم) رخصت لكم (الانعام) ذبيحة الانعام وأكل لحومها (الا ما يتلى) الا ماحرم (وسـ... (عليكم) فى سورة المائدة مثل الميتة والدم ولحم الخنزير (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) فاتركوا شرب الخمر وعب... الاوثان (واجتنبوا قول الزور) اتركوا قول الباطل والكذب

تعالى واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ﴿ذلك﴾ خبر محذوف أى الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ احكامه وسائر ما لا يحل هتكه أو الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم ﴿فهو خير له﴾ فالتعظيم خير له ﴿عند ربه﴾ ثوابا ﴿وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم﴾ الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة ﴿فاجتنبوا الرجس من الاوثان﴾ فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها ﴿واجتنبوا قول الزور﴾

الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة الى مسافة القصر فى أن يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم الا المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت الا أنه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل فى طواف الافاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمى عتيقا لان الله أعتقه من أيدى الجبابرة أن يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه أول بيت وضع للناس وقيل لان الله أعتقه من الغرق فانه رفع أيام الطوفان وقيل لانه لم يملك ❁ قوله عز وجل ﴿ذلك﴾ أى الامر ذلك يعنى ما ذكر من أعمال الحج ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ أى ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بانه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها ﴿فهو خير له عند ربه﴾ أى ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله فى الآخرة ﴿وأحلت لكم الانعام﴾ أى ان تأكلوها بعد الذبح وهى الابل والبقر والغنم ﴿الا ما يتلى عليكم﴾ أى تحريمه وهو قوله فى سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية ﴿فاجتنبوا الرجس من الاوثان﴾ أى اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمى الاوثان رجسا لان عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ أى الكذب والبهتان وقال ابن عباس هى شهادة الزور وروى عن أيمن بن خريم قال ان النبى صلى الله عليه

م ليقضوا تفثهم) ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نفطويه قيل قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط
لاستحداد والتفث الوسخ والمراد قضاء ازالة التفث وقال ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم قضاء التفث مناسك الحج كلها
ليوفوا نذورهم) مواجب حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه وفى بنذره وان لم ينذر أو ما ينذرونه من
ل البر فى حجهم وليوفوا بسكون اللام والتشديد أبو بكر (وليطوفوا) لواف الزيادة الذى هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل اللامات
لاث ساكنة عند غير ابن عياش العتيق) القديم لانه أول بيت

﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ ما ينذرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء ﴿ وليطوفوا ﴾ طواف الركن الذى به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع ﴿ بالبيت العتيق ﴾ القديم لانه اول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله

﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ أى ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط وقلم الاظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج اشعث أغبر اذا لم يزل هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ أراد نذر الحج والهدى وما ينذر الانسان من شئ يكون فى الحج أى ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل أراد به الخروج عما وجب عليه نذره أو لم ينذره ﴿ وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ أراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمى والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى أن ينتهى اليه ويمشى أربعا وهذا الطواف سنة لاشئ على من تركه (ق) عن عائشة ان أول شئ بدأ به حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاول خب ثلاثا ومشى أربعا زاد فى رواية ثم يصلى ركعتين يعنى بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف فى الحج أو العمرة أول ما يقدم فانه يسعى ثلاثة أشواط ويمشى أربعا ثم يصلى سجدتين والطواف الثانى هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمى والحلق (ق) عن عائشة قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما أرانى الا حابستكم قال النبى صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى اطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفرى قوله عقرى حلقى معناها عقرها الله أى أصابها بالعقر وبوجع فى حلقها وقيل معناه مشؤمة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وانما هو شئ يجرى على ألسنة العرب كقولهم لا أم لك وتربت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له أن ينفر

وضع للناس بناه آدم ثم جدده ابراهيم أو الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق لخروجه من ذل العبودية الى كرم الحرية أو لانه أعتق من الغرق لانه رفع ومن الطوفان أو من أيدى الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله أو من أيدى الملاك فلم يملك قط وهو مطاف أهل الغبراء كما ان العرش مطاف أهل السماء فان الطالب اذا هاجته هيمة الطرب وجذبته جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الارض مراحل ويتخذ مسالك المهالك منازل فاذا عاين البيت لم يزده التسلى به الا اشتياقا ولم يفده التشفى باستلام الحجر الا احتراقا فيرده الاسف لهفان ويردده اللهف حوله فى الدوران وطواف الزيادة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الاحرام وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة

سلام حتى لا يرتفض بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه كالاز عقد الاسلام لا ينحل بازدحام الآثام
رتفع ألف حوبة بتوبة وثانيها الوقوف بعرفات لعمة الابتهال فى صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن دفع الاتكال على [illegible] الاعمال

ثم ليقضوا تفثهم) ليتموا مناسك حجهم حلق الرأس ورمى الجمار وتقليم الاظفار وغير ذلك (وليوفوا نذورهم) وليتموا
أوجبوا على أنفسهم (وليطوفوا) الطواف الواجب (بالبيت العتيق) أعتق من كل جبار دخل فيه ويقال من غرق الطوفان
من نوح ويقال هو أول بيت بنى ويقال من

وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته الا ... في معاشه لماده ولا يؤنس وحشته الا ما كان يانس به من ورائه وغسل
بحرم وتأهب ... ه غير المخيط وتطيبه مرآة لما سيأتي عليه من وضعه على سرير الغسل و تجهيزه ... المنزل
في كفن غير مخيط ثم المحرم يكون أشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحجيج ... عرفات ...
رهبا ... خوفا وصعاوهم من بين مقبول ومخذول ... عرصات ... الا باذنه فمنهم شقي وسعيد
والافاضة الى المزدلفة بالمساء
هو السوق لفصل القضاء
و منى هو موقف المنى
للمذنبين الى شفاعة الشافعين
و ... الرأس والتنظيف
كالخروج من السيئات
بالرحمة والتخفيف والبيت
الحرام الذي من دخله كان
آمنا من الايذاء والقتال
أنموذج لدار السلام التي
هي من نزلها بقي سالما
من الفناء والزوال غيران
الجنة حفت بمكاره النفس
العادية كما ان الكعبة حفت
بمتالف البادية فرحبا عن
جاوز مهالك البوادي شوقا
الى اللقاء يوم التنادي
(ويذكروا اسم الله) عند
الذبح (في أيام معلومات)
هي عشر ذي الحجة عند أبي
حنيفة رحمه الله و آخرها
يوم النحر وهو قول ابن
عباس رضي الله عنهما
وأكثر المفسرين رحمهم الله
و عند صاحبيه هي ايام
النحر وهو قول ابن عمر رضي
الله عنهما (على مارزقهم
من بهيمة الانعام) أي على ذبحه وهو يؤيد قولهما والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي (...
الابل والبقر والضأن والمعز (فكلوا منها) من لحومها والامر للاباحة ويجوز الاكل من هدي التطوع والمتعة والقران لانه ...
نسك فاشبه الاضحية ولا يجوز الاكل من بقية الهدايا (وأطعموا البائس) الذي أصابه بؤس أي شدة (الفقير) الذي أضعفه الاعسار

ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ﴿ويذكروا اسم الله﴾ عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله ﴿في ايام معلومات﴾ في عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر ﴿على ما رزقهم من بهيمة الانعام﴾ علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر ﴿فكلوا منها﴾ من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب ﴿واطعموا البائس﴾ الذي اصابه بؤس أي شدة ﴿الفقير﴾ المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول

﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص عليها من أجل وقت الحج في آخرها وعن ابن عباس انها أيام عرفة والنحر وأيام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة أيام بعده ﴿على ما رزقهم من بهيمة الانعام﴾ يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم وفيه دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام ﴿فكلوا منها﴾ أمر اباحة ليس بواجب وذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيأ فأمر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدي اذا كان تطوعا يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روي عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم علي ببدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر علي ما غبر وأشركه في بدنه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقها أخرجه مسلم قوله ما غبر أي ما بقي قوله ببضعة أي بقطعة واختلف العلماء في الهدي الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي ان يأكل منه شيأ قال الشافعي لا يأكل منه شيأ وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال احمد واسحق وقال مالك يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والمنذور وعند أصحاب الرأي انه يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما وقوله تعالى ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ يعني الزمن الذي لا شيء له ﴿قوله تعالى

بالربح والتجارة (ويذكروا اسم الله) ليذكروا اسم الله (في أيام معلومات) معروفات أيام التشريق (على ما رزقهم من بهيمة الانعام)
على ذبيحة الانعام (فكلوا منها) من الاضاحي (وأطعموا) أعطوا (البائس الفقير) الضرير الزمن المحتاج

في لناس بالحج) ناد فيهم والحج هو القصد البليغ الى مقصد منيع وروى انه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا
بيت ربكم فاجاب من قدر له أن يحج من الاصلاب والارحام بلبيك اللهم لبيك وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع و الاول أظهر وجواب الامر (يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم
وقيام (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على رجال كانه قال رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول وقدم الرجال على
الركبان اظهارا لفضيلة المشاة كما ورد في الحديث (يأتين) صفة لكل ضامر لانه في معنى
الجمع وقرأ عبد الله يأتون صفة
للرجال والركبان (من كل
فج) طريق (عميق) بعيد قال
محمد بن ياسين قال لي شيخ في
الطواف من أين أنت فقلت
من خراسان قال كم بينكم
وبين البيت قلت مسيرة
شهرين أو ثلاثة قال فانتم
جيران البيت فقلت أنت من
أين جئت قال من مسيرة
خمس سنوات وخرجت
وأنا شاب فاكتهلت قلت
والله هذه الطاعة الجميلة
والمحبة الصادقة فقال زر من
هويت وان شطت بك الدار
وحال من دونه حجب
وأستار لا يمنعك بعد عن
زيارته ان المحب لمن يهواه
زوار واللام في (ليشهدوا)
ليحضروا متعلق باذن أو
بيأتوك (منافع لهم) نكرها
لانه أراد منافع مختصة بهذه
العبادة دينية ودنيوية لا
توجد في غيرها من العبادة
هذا لان العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الأثقال وركوب
الاهوال وخلع الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجر البلاد والاوطان وفرقة الاولاد والخلان والتنبيه على ما يستمر عليه اذا انتقل
من دار الفناء الى دار البقاء فالحاج اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على عتاده ولا يأكل الا من زاده فكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحياة

في الناس ﴿ ناد فيهم وقرئ وآذن ﴿ بالحج ﴾ بدعوة الحج والامر به روى انه
عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من في
اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج
وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع ﴿ يأتوك رجالا ﴾
مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى
﴿ وعلى كل ضامر ﴾ اى وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله
﴿ يأتين ﴾ صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان
او استئناف فيكون الضمير للناس ﴿ من كل فج ﴾ طريق ﴿ عميق ﴾ بعيد وقرئ
معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى ﴿ ليشهدوا ﴾ ليحضروا ﴿ منافع لهم ﴾ دينية

أعلم وناد والاذان في اللغة الاعلام ﴿ في الناس ﴾ قال ابن عباس أراد بالناس أهل
القبلة ﴿ بالحج ﴾ فقال ابراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله عليك الاذان
وعلينا الابلاغ فقام ابراهيم على المقام حتى صار كاطول الجبال وأدخل أصبعيه في
أذنيه وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس ألا ان ربكم قد بنى
بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج من أصلاب الآباء
وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فالاول من اجابه أهل اليمن
فهم أكثر الناس حجا وروى ان ابراهيم صعد أبا قبيس ونادى وزعم الحسن ان المأمور
بالتأذين هو محمد صلى الله عليه وسلم أمر ان يفعل ذلك في حجة الوداع (م) عن أبي
هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج
فحجوا ﴿ يأتوك رجالا ﴾ أي مشاة على أرجلهم جمع راجل ﴿ وعلى كل ضامر ﴾ أي
ركبانا على الابل المهزولة من كثرة السير وبدأ بذكر المشاة تشريفا لهم ﴿ يأتين ﴾ أي
جماعة الابل ﴿ من كل فج عميق ﴾ أي من كل طريق بعيد فمن أتى مكة حاجا فكانه قد أتى
ابراهيم لانه مجيب نداءه ﴿ قوله تعالى ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ قيل العفو والمغفرة وقيل
التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضى به الله من أمر الدنيا والآخرة

في الناس) ناد ذريتك (بالحج يأتوك) حتى يجيئوا اليك (رجالا) مشاة على أرجلهم (وعلى كل ضامر) ركبانا على كل ابل
ضمر وغيره (يأتين) يجئن (من كل فج عميق) طريق وأرض بعيدة (ليشهدوا منافع لهم) منافع الدنيا والآخرة منافع
الآخرة بالدعاء والعبادة ومنافع الدنيا

المسجد الحرام (بالحاد بظلم) حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما فالالحاد العدول عن القصد (نذقه من عذاب أليم) فى الآخرة وخبران محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك (واذبوأنا لابراهيم مكان البيت) واذكر يا محمد حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة أى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وقد رفع البيت الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابراهيم مكانه بريح أرسلها فكنست مكان البيت فبناه على أسه القديم (أن) هى المفسرة للقول المقدر أى قائلين له (لاتشرك بى شيأ وطهر بيتى) من الاصنام والاقذار وبفتح الياء مدنى وحفص (للطائفين) لمن يطوف به (والقائمين) والمقيمين بمكة (والركع السجود) المصلين جمع راكع وساجد (وأذن

بالحاد بظلم) على أحد (نذقه من عذاب أليم) وجميع نضربه ضربا شديدا لكى لايعود الى ظلم احد ويقال نزلت فى شأن عبدالله بن أنس [illegible] [illegible] وارتد عن الاسلام والتجأ الى مكة فنزل فيه ومن يرد فيه من لجأ اليه بالحاد تقتل بظلم بشرك نذقه من عذاب أليم وجيع لايطعم ولا يسقى ولا يؤوى حتى يخرج من الحرم ثم يقام عليه الحد (واذبوأنا لابراهيم) بينا لابراهيم (مكان البيت) أعلم الحرام بسحابة وقفت على حياله فبنى ابراهيم البيت على حيال السحابة وأوحينا اليه (أن لاتشرك بى شيأ) من الاصنام (وطهر بيتى مسجدى من الاوثان (للطائفين) حوله (والقائمين) المقيمين فيه (والركع السجود) لاهل الصلوات من جملة البلدان من كل وجه (و

وقرئ بالفتح من الورود ﴿ بالحاد ﴾ عدول عن القصد ﴿ بظلم ﴾ بغير حق وهما حالان مترادفان أو الثانى بدل من الاول باعادة الجار أو صلة له أى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام ﴿ نذقه من عذاب أليم ﴾ جواب لمن ﴿ واذبوأنا لابراهيم مكان البيت ﴾ اى واذكر اذعيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اى واذ أنزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم ﴿ ان لاتشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة أو مصدرية موصولة بالنهى اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتى وتطهر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعله عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء وقرأ نافع وحفص وهشام بيتى بفتح الياء ﴿ واذن

أى فى المسجد الحرام ﴿ بالحاد بظلم ﴾ أى يميل الى الظلم قيل الالحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شئ كان منهيا عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام أو ارتكاب شئ من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو ان تقتل فيه من لايقتلك أو تظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السيآت بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتكار الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن أمية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام فى الحرم الحاد فيه أخرجه ابو داود وقال عبدالله بن مسعود فى قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم ﴿ نذقه من عذاب أليم ﴾ قال لو ان رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه مالم يعملها ولو ان رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو ببلد آخر أذاقه الله من عذاب اليم قال السدى الا ان يتوب وروى عن عبدالله بن عمرو انه كان له فسطاطان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله وبلى والله قوله تعالى ﴿ وأذبوأنا لابراهيم مكان البيت ﴾ قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا وقيل بينا وانما ذكر مكان البيت لان الكعبة رفعت الى السماء زمن الطوفان فلما أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر أى جهة يبنى فبعث الله تعالى ريحا خجوجا فكنست له ما حول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا ابراهيم ابن على قدرى فبنى عليه ﴿ أن لاتشرك بى شيأ ﴾ أى عهدنا الى ابراهيم وقلنا له لاتشرك بى شيأ ﴿ وطهر بيتى ﴾ أى من الشرك والأوثان والاقذار ﴿ للطائفين ﴾ أى الذين يطوفون بالبيت ﴿ والقائمين ﴾ أى المقيمين فيه ﴿ والركع السجود ﴾ أى المصلين قوله عز وجل ﴿ وأذن ﴾ أى

ـلام ﴿ ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ﴾ لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما
دبه استمرارا لصدود منهم كقولهم فلان يعطى ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضى وقيل
حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر الآية أى معذبون ﴿ والمسجد
رام ﴾ عطف على اسم الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله ﴿ الذى جعلناه
س سواء العاكف فيه والباد ﴾ أى المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها
جارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشراء عمر دار
بجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون للناس حالا من الهاء
لا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول أو الحال والعاكف مرتفع به وقرئ
اكف بالجر على انه بدل من الناس ﴿ ومن يرد فيه ﴾ مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول

أفعاله ❊ قوله عز وجل ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى بما جاء به محمد صلى الله عليه
سلم ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ أى بالمنع من الهجرة والجهاد والاسلام ﴿ والمسجد
رام ﴾ أى ويصدون عن المسجد الحرام ﴿ الذى جعلناه للناس ﴾ أى قبلة لصلاتهم
منسكا ومتعبدا ﴿ سواء العاكف ﴾ أى المقيم ﴿ فيه ﴾ قال بعضهم ويدخل فيه
غريب اذا جاور وأقام به ولزم التعبد فيه ﴿ والباد ﴾ أى الطارئ المنتاب
به من غيره واختلفوا فى معنى الآية فقيل سواء العاكف فيه والبادى فى تعظيم
رمته وقضاء النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد منه
س المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية فى تعظيم الكعبة وفى فضل الصلاة فيه
الطواف به وعن جبير بن مطعم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يابنى عبد مناف لا تمنعوا
حدا طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه الترمذى وأبو داود
النسائى وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية ان المقيم والبادى سواء فى النزول به
س أحدهما أحق بالمنزل من الآخر غير انه لا يزعج أحد أحدا اذا كان قد سبق الى
زل وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء فى البيوت
المنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة
حق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا أبوابهم فى الموسم فعلى هذا
قول لا يجوز بيع دور مكة واجارتها قالوا ان أرض مكة لا تملك لانها لو ملكت لم يستو
العاكف فيها والبادى فلما استوى ثبت ان سبيلها سبيل المساجد والى مذهب أبو حنيفة
الوا والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول الاقرب الى الصواب انه
جوز بيع دور مكة واجارتها وهو قول طاوس وعمرو بن دينار واليه ذهب الشافعى
حتج الشافعى فى ذلك بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق أضاف الديار الى
مالكيها وقال النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار
بى سفيان فهو آمن فنسب الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن
أربعة آلاف درهم فدلت هذه النصوص على جواز بيعها ❊ وقوله تعالى ﴿ ومن يرد فيه ﴾

ل{ ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) أى يمنعون عن الدخول فى
الاسلام و يصدون حال
من فاعل كفروا أى وهم
يصدون أى الصدود منهم
مستمر دائم كما يقال فلان
يحسن الى الفقراء فانه
يراد به استمرار وجود
الاحسان منه فى الحال
والاستقبال (والمسجد
الحرام) أى ويصدون
عن المسجد الحرام والدخول
فيه (الذى جعلناه للناس)
مطلقا من غير فرق بين حاضر
وباد فان اريد بالمسجد الحرام
مكة ففيه دليل على انه
لا تباع دور مكة وان أريد
به البيت فالمعنى انه قبلة
لجميع الناس (سواء) بالنصب
حفص مفعول ثان لجعلناه
أى جعلناه مستويا (العاكف
فيه والباد) وغير المقيم بالياء
مكى وافقه أبو عمرو فى
الوصل وغيره بالرفع على
انه خبر والمبتدأ مؤخر
أى العاكف فيه والباد سواء
والجملة مفعول ثان والناس
حال (ومن يرد فيه) فى

خصومتهم (ان الذين كفروا)
بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن أبو سفيان وأصحابه
وانما سماه كافرا لانه لم يكن
مؤمنا يومئذ (ويصدون عن
سبيل الله) يصرفون الناس
عن دين الله وطاعته (والمسجد
الحرام) يصرفون محمدا عليه
السلام وأصحابه عام الحديبية
عن المسجد الحرام للعمرة

(الذى جعلناه) حرما وقبلة (للناس سواء العاكف فيه والباد) يعنى المقيم والغريب سواء شرع (ومن يرد) عمل (فيه

(وذوقوا) أي وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) هو الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ذكر جزاء الخصم [illegible]
فقال (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور) جمع أسورة جمع
سوار (من ذهب ولؤلؤا) بالنصب مدني وعاصم وعلي و
لؤلؤا وبالجر غيرهم عطفا
على من ذهب وبترك الهمزة
الاولى في كل القرآن أبو بكر
وحماد (ولباسهم فيها حرير)
ابريسم (وهدوا الى الطيب
من القول وهدوا الى صراط
الحميد) أي أرشد هؤلاء
في الدنيا الى كلمة التوحيد
والى صراط الحميد أي
الاسلام أو هداهم الله في
الآخرة وألهمهم ان يقولوا
الحمد لله الذي صدقنا وعده
وهداهم الى طريق الجنة
والحميد الله المحمود بكل

فيضربون بالمقامع فيهوون فيها ﴿وذوقوا﴾ أي وقيل لهم ذوقوا ﴿عذاب الحريق﴾ أي النار البالغة في الاحراق ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار﴾ غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بان احماد المؤمنين وتعظيما لشأنهم ﴿يحلون فيها﴾ من حليت المرأة اذا ألبستها الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد ﴿من اساور﴾ صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار ﴿من ذهب﴾ بيان له ﴿ولؤلؤا﴾ عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد [illegible] به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها أو اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك ابو بكر والسوسى عن ابى عمرو الهمزة الاولى وقرئ لؤلوا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء ولليا بقلبهما ياءين ولول كادل ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة أو للمحافظة على هيئة الفواصل ﴿وهدوا الى الطيب من القول﴾ وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده أو كلمة التوحيد ﴿وهدوا الى صراط الحميد﴾ المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة أو الحق أو المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه

وذوقوا عذاب الحريق﴾ أي تقول لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق فهذا وصف حال أحد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى في وصف الخصم الآخر وهم المؤمنون ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير﴾ وهو الابريسم الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا ✲ عن معاوية بن حيدة جد بهز بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (ق) عن أبي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ✲ عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ✲ قوله تعالى ﴿وهدوا﴾ من الهداية أي أرشدوا ﴿الى الطيب من القول﴾ قال ابن عباس هو شهادة أن لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل [illegible] صدقنا وعده ﴿وهدوا الى صراط الحميد﴾ [illegible] وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود

(وذوقوا) فيقال لهم ذوقوا
(عذاب الحريق) الشديد
(ان الله يدخل الذين آمنوا)
بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن (وعملوا الصالحات)
الطاعات فيما بينهم وبين ربهم
(جنات) بساتين (تجرى
من تحتها) من تحت شجرها
ومساكنها (الانهار) أنهار
الخمر والماء والعسل واللبن
(يحلون فيها) يلبسون في
الجنة (من أساور من ذهب)
أسورة من ذهب (ولؤلؤا
ولباسهم فيها) في الجنة
(حرير) لا يوصف فضله (وهدوا الى الطيب من القول) أرشدوا في الدنيا الى القول الطيب لا اله الا الله (وهدوا الى صراط الحميد) [illegible] فهذا قضاء الله فيما بين اليهود والنصارى
والمؤمنين في

(ـذين كفروا) وهو فصل الخصومة المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم ثياب من نار) كان الله يقدر لهم
نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة واختير لفظ الماضى لانه كائن لامحالة فهو كالثابت المتحقق
(يصب من فوق رؤسهم) بكسر الهاء والميم بصرى وبضمهما حمزة وعلى وخلف وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم (الحميم)
الماء الحار عن ابن عباس رضى الله عنهما لوسقطت منه نقطة على جبال الدنيا
لاذابتها (يصهر)يذاب
(به) بالحميم(مافى بطونهم
والجلود)أى يذيب امعاءهم
واحشاءهم كما يذيب جلودهم
فيؤثر فى الظاهر والباطن
(ولهم مقامع) سياط
مختصة بهم (من حديد)
يضربون بها (كلما أرادوا
أن يخرجوا منها)من النار
(من غم)بدل الاشتمال من منها
باعادة الجار أو الاولى لابتداء
الغاية والثانية بمعنى من أجل
يعنى كلما أرادوا الخروج من
النار من أجل غم يلحقهم
فخرجوا (أعيدوافيها)
بالمقامع ومعنى الخروج عند
الحسن ان النار تضربهم
بلهبها فتلقيهم الى اعلاها
فضربوا بالمقامع فهو
وافيها سبعين خريفا
والمراد اعادتهم الى معظم
النار لانهم ينفصلون عنها
بالكلية ثم يعودون اليها

﴿ فالذين كفروا ﴾ فصل خصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة
﴿ قطعت لهم ﴾ قدرت لهم على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ﴿ ثياب من نار ﴾ نيران
تحيط بهم احاطة الثياب ﴿ يصب من فوق رؤسهم الحميم ﴾ حال من الضمير فى لهم
وخبر ثان والحميم الماء الحار ﴿ يصهر به مافى بطونهم والجلود ﴾ أى يؤثر من فرط حرارته
فى باطنهم تأثيره فى ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم
أو من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ سياط منه يجلدون بها
جمع مقمعة وحقيقتها مايقمع به أى يكف بعنف ﴿ كلما ارادوا ان يخرجوا منها ﴾ من النار
﴿ من غم ﴾ من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار ﴿ اعيدوا فيها ﴾ أى فخرجوا اعيدوا
لان الاعادة لاتكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهب النار فيرفعهم الى اعلاها

بعضها الى بعض ولا يظلم ربك من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله تبارك وتعالى ينشئ لها خلقا
للبخارى اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعيف والاقوال الاولى أولى بالصحة
لان حمل الكلام على ظاهره أولى وقوله هذان كالاشارة الى سبب تقدم
ذكره وهو أهل الاديان الستة وأيضا فانه ذكر صنفين أهل طاعته وأهل معصيته وذكر
مآل الخصمين فقال تعالى ﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ﴾ قال سعيد بن
جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شئ اذا حمى أشد حرا منه وسمى باسم
الثياب لانها تحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل يلبس أهل النار مقطعات من نار ﴿ يصب
من فوق رؤسهم الحميم ﴾ أى الماء الحار الذى انتهت حرارته ﴿ يصهر به ﴾ أى يذاب
بالحميم الذى يصب من فوق رؤسهم ﴿ مافى بطونهم ﴾ من الشحوم والاحشاء ﴿ والجلود ﴾
عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ
حتى يخلص الى جوف أحدهم فيسلت مافى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر
ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ﴿ ولهم مقامع من
حديد ﴾ أى سياط من حديد وهى الجرز من الحديد وفى الخبر لو وقع مقمع من حديد
فى الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الارض ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم ﴾
أى كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذى يأخذ بأنفاسهم ﴿ أعيدوا
فيها ﴾ أى ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم الى أعلاها فيريدون الخروج
منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا

(فالذين كفروا) بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن
يعنى اليهود والنصارى
(قطعت لهم ثياب من نار :
قمص وجباب من نار (يصب
من فوق رؤسهم) على رؤسهم (الحميم) (قا و خا ٣٨ بع) الماء الحار (يصهر به) يذاب بالحميم (مافى بطونهم) من الشحوم
وغيرها (والجلود) ويذاب به الجلود وغيرها (ولهم مقامع من حديد) حار يضرب على رؤسهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها)
من النار (من غمها) من غم العذاب (أعيدوا فيها) فى النار بضرب المقامع

﴿اختصموا﴾ حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون ﴿في ربهم﴾ في دينه أو في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت

اختصموا في ربهم ﴾ أي جادلوا في دينه وأمره واختلفوا في هذين الخصمين فروى عن قيس ابن عبادة قال سمعت أبا ذر يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أخرجاه في الصحيحين (خ) عن علي بن أبي طالب قال أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة قال قيس بن عبادة فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فئة من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحرث وأمهما عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا اكفاء كرام ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن أبي طالب فلما دنوا منهم قالوا من أنتم فذكروا انفسهم قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد بن عتبة فاما حمزة فلم يمهل ان قتل شيبة وعلي الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة وعلي باسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الى أصحابه وقد قطعت رجله ومخه يسيل فلما أتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألست شهيدا يا رسول الله قال بلى فقال عبيدة لو كان أبو طالب حيا لعلم انا أحق بما قال منه حيث يقول

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذه خصومتهم في ربهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من أي ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار (ق) عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فمالي لا يدخلني الا الضعفاء الناس وسقطهم زاد في رواية وغرتهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى

أي فريقان مختصمان فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله (اختصموا) للمعنى وهذان للفظ والمراد المؤمنون والكافرون وقال ابن عباس رضي الله عنهما رجع الى أهل الاديان المذكورة فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم (في ربهم) في دينه وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله

واليهود والنصارى (اختصموا في ربهم) في دين ربهم فقال كل واحد منهم أنا أولى بالله وبدينه فحكم الله بينهم فقال

الكل يسجدله ولكنا لانقف عليه كما لانقف على تسبيحها قال الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم وقيل سمي مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من أفعاله وتسخيره له سجوداله تشبيهالمطاوعته بسجود المكلف الذى كل خضوع دونه (وكثير من الناس) أى ويسجدله كثير من الناس سجود طاعة وعبادة أوهو مرفوع على الابتداء ومن الناس صفةله والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه قوله (وكثير حق عليه العذاب) أى وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وابائه السجود (ومن يهن الله) بالشقاوة (فماله من مكرم) بالسعادة (ان الله يفعل مايشاء) من الاكرام والاهانة وغير ذلك وظاهر هذه الآية والتى قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل مايشاء (هذان خصمان)

لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها * وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف والجمع بين الساكنين ﴿ وكثير من الناس ﴾ عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد فى كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب أو فاعل فعل مضمر أى ويسجدله كثير من الناس سجود طاعة ﴿ وكثير حق عليه العذاب ﴾ بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده * وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ﴿ ومن يهن الله ﴾ بالشقاوة ﴿ فماله من مكرم ﴾ يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ﴿ ان الله يفعل مايشاء ﴾ من الاكرام والاهانة ﴿ هذان خصمان ﴾ أى فوجان مختصمان ولذلك قال

قيل سجود هذه الاشياء تحول ظلالها وقيل مافى السماء نجم ولاشمس ولاقمر الايقع ساجدا حين يغيب ثم لاينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه وقيل معنى سجودها الطاعة فانه مامن جماد الا وهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب أهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التى خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت بمطاوعتها أفعال المكلف وهو السجود الذى كل خضوع دونه فان قلت هذا التأويل يبطله قوله ﴿ وكثير من الناس ﴾ فان السجود بالمعنى الذى ذكر عام فى الناس كلهم فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فائدة قلت المعنى الذى ذكرته وان كان عاما فى حق الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود فى الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظاهره وأما المؤمن فانه ساجد بذاته وبظاهره أيضا فلاجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الآية ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثانى بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت قوله من فى السموات ومن فى الارض لفظ عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس قلت لو اقتصر على ماتقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون فبين ان كثيرا من الناس يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم ﴿ وكثير حق عليه العذاب ﴾ وهم الكفار أى حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود يسجد ظلالهم لله عز وجل ﴿ ومن يهن الله فماله من مكرم ﴾ أى من يذله الله فلا يكرمه أحد ﴿ ان الله يفعل مايشاء ﴾ أى يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذى يصح منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب

فصل

هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوتها أو سماع تلاوتها * قوله عز وجل ﴿ هذان خصمان

هؤلاء يسجدون لله (وكثير من الناس) وجبت لهم الجنة وهم المؤمنون (وكثير حق عليه العذاب) وجب عليهم عذاب النار وهم الكافرون (من يهن الله) بالشقاوة (فماله من مكرم) بالسعادة ويقال ومن يهن الله بالنكرة فماله من مكرم بالمعرفة (ان الله يفعل مايشاء) بخلقه من الشقاوة والسعادة والمعرفة والنكرة (هذان خصمان) أهل دينين من المسلمين

يذهب لما يغيظ (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزل القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وان الله يهدى من يريد)
أى ولان الله يهدى به الذين يعلم انهم مؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) قيل الاديان خمسة
للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) فى الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم فى موطن واحد وخبر ان الذين آمنوا ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيدا ان أباه قائم (ان الله على كل شئ شهيد) عالم به حافظ له فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو أبلغ وعيد (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان (أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الاوض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل
فى رزقه (وكذلك) هكذا (أنزلناه آيات) أنزلنا جبريل بآيات (بينات) بالحلال والحرام (وان الله يهدى) يرشد الى دينه (من يريد) من كان أهلا لذلك (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (والذين هادوا) يهود أهل المدينة (والصابئين) السائحين وهم شعبة من النصارى (والنصارى) يعنى نصارى
أهل نجران السيد والعاقب (والمجوس) عبدة الشمس والنيران (والذين أشركوا) مشركى العرب (ان الله) قيل
يفصل) يقضى (بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ) من اختلافهم وأعمالهم (شهيد) عالم (ألم تر) ألم تخبر يا محمد فى القرآن (ان الله
يسجد له من فى السموات) من الخلق (ومن فى الارض) من المؤمنين (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب)

﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك الانزال ﴿انزلناه﴾ انزلنا القرآن كله ﴿آيات بينات﴾ واضحات ﴿وان الله يهدى﴾ ولان الله يهدى به أو يثبت على الهدى ﴿من يريد﴾ هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ﴿ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة﴾ بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازى كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفى الجملة لمزيد التأكيد ﴿ان الله على كل شئ شهيد﴾ عالم به مراقب لاحواله ﴿ألم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض﴾ يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره أو يدل بذله على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله ﴿والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ افراد

أى فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسماء السماء المعروفة والمعنى من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد فى أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فان أصله فى السماء فليطلب سببا يصل به الى السماء ثم ليقطع عن النبى صلى الله عليه وسلم الوحى الذى يأتيه فلينظر هل يتهيأ له الوصول الى السماء بحيلة وهو يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة وفى الآية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه روى ان الآية نزلت فى قوم من أسد وغطفان دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود مخالفة فقالوا لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فتنقطع المخالفة بيننا وبين اليهود فلا يميرونا ولا يؤونا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الآية من كان يظن ان لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يجعله مرزوقا تقول العرب من ينصرنى نصره الله أى من يعطنى أعطاه الله ﴿وكذلك أنزلناه﴾ يعنى القرآن ﴿آيات بينات وان الله يهدى من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا﴾ يعنى عبدة الاوثان قيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشياطين وهو ما عدا الاسلام ﴿ان الله يفصل بينهم﴾ أى يحكم بينهم ﴿يوم القيامة﴾ وقيل يفصل بينهم فى الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم فى موطن واحد ﴿ان الله على كل شئ شهيد﴾ أى انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجرى فى ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الآية فى تفسير سورة البقرة * قوله عزوجل ﴿ألم تر﴾ أى ألم تعلم وقيل ألم تر بقلبك ﴿أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾

نفعه (لبئس المولى) أى الناصر الصاحب (ولبئس العشير) المصاحب وكرر يدعو كانه قال يدعو يدعو من دون الله مالا يضره
ولا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى
من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبد الله على حرف (من كان يظن أن لن
ينصره الله فى الدنيا والآخرة) المعنى ان الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن ظن من أعاديه غير ذلك (فليمدد بسبب)
بحبل (الى السماء) الى سماء بيته (ثم ليقطع) ثم ليختنق به وسمى الاختناق قطعا لان المختنق
ينقطع نفسه بحبس مجاريه
وبكسر اللام بصرى وشامى
(فلينظر هل يذهبن كيده
ما يغيظ) أى الذى يغيظه
أو ما مصدرية أى غيظه
والمعنى فليصور فى نفسه انه
ان فعل ذلك هل يذهب نصر
الله الذى يغيظه وسمى
فعله كيدا على سبيل
الاستهزاء لانه لم يكد به
محسوده انما كاد به نفسه
والمراد ليس فى يده الا ماليس

للاول ومن مبتدأ وخبره ﴿لبئس المولى﴾ الناصر ﴿ولبئس العشير﴾ الصاحب ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد﴾ من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع ﴿من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة﴾ كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن ﴿فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع﴾ فليستقص فى ازالة غيظه أو جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضبا أو المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه أو فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد فى دفع نصره أو تحصيل رزقه وقرأ ورش وابو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام ﴿فلينظر﴾ فليتصور فى نفسه ﴿هل يذهبن كيده﴾ فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ﴿ما يغيظ﴾ غيظه أو الذى يغيظه من نصر الله وقيل نزلت فى قوم من المسلمين استبطأوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين

أى ضر عبادته وقيل أنها لا تضر ولا تنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفى فى اضافة الضرر اليها وقيل ان الله تعالى سفه الكافر حيث عبد جادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه ينتفع به حين يستشفع وقيل الآية فى الرؤسا وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا وينفعوا ووجه هذا القول ان الله تعالى بين فى الآية الاولى ان الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الآية تقتضى كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور فى هذه الاوثان لزم التناقض فثبت انهم الرؤساء بدليل قوله ﴿لبئس المولى ولبئس العشير﴾ أى الناصر والمصاحب المعاشر ✽ قوله عز وجل ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد﴾ أى بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة وباهل معصيته من الهوان ✽ قوله تعالى ﴿من كان يظن ان لن ينصره الله﴾ يعنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿فى الدنيا﴾ أى باعلاء كلمته واظهار دينه ﴿والآخرة﴾ أى وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه ﴿فليمدد بسبب﴾ أى بحبل ﴿الى السماء﴾ أى سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشدد حبلا فى سقف بيته فليختنق به حتى يموت ﴿ثم ليقطع﴾ اى الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾ أى صنيعه وحيلته ﴿ما يغيظ﴾

قريب ونفعه بعيد (لبئس
المولى) الرب (ولبئس العشير)
الخليل والصاحب يقول
من كانت عبادته مضرة على
عابده لبئس المعبود هو (ان
الله يدخل الذين آمنوا)
بمحمد عليه السلام والقرآن
(وعملوا الصالحات) الطاعات
فيما بينهم وبين ربهم (جنات)
بساتين (تجرى من تحتها)
من تحت اشجارها ومساكنها
الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (ان الله يفعل ما يريد) من الشقاوة والسعادة ونزل فيهم أيضا حين قالوا نخاف ان لا ينصر
محمد فى الدنيا فيذهب ما كان بيننا وبين اليهود من المودة (من كان يظن) يحسب (أن لن ينصره الله) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم
بالغلبة (فى الدنيا والآخرة) بالعذر والحجة (فليمدد) فليربط (بسبب) بحبل (الى السماء) الى سماء بيته (ثم ليقطع) ليختنق
(فلينظر) فليتفكر فى نفسه (هل يذهبن كيده) اختناقه (ما يغيظ) غيظه فى محمد صلى الله عليه وسلم ويقال فيه وجه آخر من كان يظن
ان لن ينصره الله فى الدنيا بالرزق والآخرة بالثواب فليمدد بسبب الى السماء فليربط حبلا الى سقف بيته ثم ليقطع فلينظر
فى نفسه هل يذهبن كيده اختناقه ما يغيظ غيظه

حال أى مضطربا (فان أصابه خير) صحة فى جسمه وسعة فى معيشته (اطمأن) سكن واستقر (به) بالخير الذى أصابه أو بـ...
فعبد الله (وان أصابته فتنة) شر وبلاء فى جسده وضيق فى معيشته (انقلب على وجهه) جهته أى ارتد ورجع الى الـ...
كالذى يكون على طرف من العسكر فان أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت فى أعـ...
قدموا المدينة مهاجرين وكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشـ...
قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى واطمأن وان كان الامر بخلافه...

فان احس بظفر قر والا فر ﴿فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ روى انها نزلت فى اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت فى دينى هذا الاخيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابى سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشأم بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اقلنى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه وعلى انه خبر محذوف ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ اذ لا خسران مثله ﴿يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه﴾ يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد فى التيه ضالا ﴿يدعوا لمن ضره﴾ بكونه معبودا لانه يوجب القتل فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ﴿اقرب من نفعه﴾ الذى يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد أو داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراءله مجرى يقول اى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به أو مستأنفة على ان يدعو تكرير

بلسانه دون قلبه ﴿فان أصابه خير﴾ أى صحة فى جسمه وسعة فى معيشته ﴿اطمأن به﴾ أى رضى به وسكن اليه ﴿وان أصابته فتنة﴾ أى بلاء فى جسده وضيق فى معيشته ﴿انقلب على وجهه﴾ أى ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذى كان عليه من الكفر ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ أى خسر فى الدنيا العز والكرامة ولا يبقى دمه وماله مصونا وقيل خسر فى الدنيا ما كان يؤمل والآخرة بذهاب الدين والخلود فى النار ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ أى الظاهر ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره﴾ ان عصاه ولم يعبده ﴿وما لا ينفعه﴾ أى ان أطاعه وعبده ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ أى عن الحق والرشد ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ فان قلت قد قال الله تعالى فى الآية الاولى يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال فى هذه الآية يدعو لمن ضره أقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال فى الآية الاولى ما لا يضره أى لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره

ما أصبت الا شرا وانقلب عن دينه (خسر الدنيا والآخرة) حال وقد مقدرة دليله قراءة روح وزيد خاسر الدنيا والآخرة والخسران فى الدنيا بالقتل فيها وفى الآخرة بالخلود فى النار (ذلك) أى خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر الذى لا يخفى على أحد (يدعو من دون الله) يعنى الصنم فانه بعد الردة يفعل كذلك (ما لا يضره) ان لم يعبده (وما لا ينفعه) ان عبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) والاشكال انه تعالى نفى الضر والنفع عن الاصنام قبل هذه الآية وأثبتهما هنا والجواب ان المعنى اذا فهم ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه انه ينفعه ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى اثر الشفاعة لمن ضره اقرب

(فان أصابه خير) نعمة (اطمأن به) رضى بدين محمد صلى الله عليه وسلم بلسانه (وان أصابته فتنة) شدة (انقلب على وجهه) (أى ...
رجع الى دينه الاول الشرك بالله (خسر الدنيا) غبن الدنيا بذهابها (والآخرة) بذهاب الجنة (ذلك) الغبن (هو الخسران المبـ...
الغبن البين بذهاب الدنيا والآخرة (يدعو) يعبد بنو الحلاف (من دون الله ما لا يضره) ان لم يعبده (وما لا ينفعه) ان عـ...
(ذلك هو الضلال) الخطأ (البعيد) عن الحق والهدى (يدعو) يعبد بنو الحلاف (لمن ضره اقرب من نفعه) يقول من ضره

لاهدى) أى استدلال لانه يهدى الى المعرفة (ولا كتاب منير) اى وحى والعلم للانسان من احد هذه الوجوه الثلاثة
ثانى عطفه) حال أى لاويا عنقه عن طاعة الله كبرا وخيلاء وعن الحسن ثانى عطفه بفتح العين أى مانع تعطفه الى غيره
ليضل) تعليل للمجادلة ليضل مكى وأبو عمرو (عن سبيل الله) دينه (له فى الدنيا خزى) أى القتل يوم بدر (ونذيقه يوم
يامة عذاب الحريق) اى جمع له (ذلك بما قدمت يداك) أى
السبب فى عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكنى عنها باليد لان اليد آلة الكسب (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يأخذ أحدا بغير ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف على بما أى وبان الله وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ولان قليل الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لا فى وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكون وطمانينه وهو

ولما نيط به من الدلالة بقوله ﴿ ولاهدى ولا كتاب منير ﴾ على انه لا سند له من استدلال أو وحى أو الاول فى المقلدين وهذا فى المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطرى ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ﴿ ثانى عطفه ﴾ متكبرا وثنى العطف كناية عن التكبر كلى الجيد أو معرضها عن الحق استخفافا به • وقرئ بفتح العين أى مانع تعطفه ﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾ علة للجدال • وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث انه مؤداه كالغرض له ﴿ له فى الدنيا خزى ﴾ وهو ما اصابه يوم بدر ﴿ ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ﴾ المحرق وهو النار ﴿ ذلك بما قدمت يداك ﴾ على الالتفات او ارادة القول اى يقال له يوم القيامة ذلك الخزى والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى ﴿ وان الله ليس بظلام للعبيد ﴾ وانما هو مجاز لهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾ على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى يكون على طرف الجيش

﴿ ولاهدى ﴾ أى ليس معه من الله بيان ولا رشاد ﴿ ولا كتاب منير ﴾ أى ولا كتاب من الله له نور ﴿ ثانى عطفه ﴾ أى لاوى جنبه وعنقه متبخترا لتكبره معرضا عما يدعى اليه من الحق تكبرا ﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾ أى عن دين الله ﴿ له فى الدنيا خزى ﴾ أى عذاب وهوان وهو أنه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن أبى معيط ﴿ ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك ﴾ أى يقال له ذلك ﴿ بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ أى فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على أى وجه أراد تصرف فى عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم * قوله عز وجل ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾ الآية نزلت فى قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن له وان أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت فى هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أى على شك وأصله من حرف الشئ وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذى هو غير مستقر فقيل للشاك فى الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكينة وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله

(ولاهدى) بلا حجة (ولا كتاب منير) مبين بما يقول (ثانى عطفه) لاويا عنقه معرضا عن الآيات مكذبا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ليضل عن سبيل الله عن دين الله وطاعته (له فى الدنيا خزى) عذاب قتل يوم بدر صبرا (ونذيقه يوم
يامة عذاب الحريق)عذاب النار ويقال العذاب الشديد (ذلك) القتل يوم بدر صبرا (بما قدمت يداك) بما عملت يداك فى الشرك
ل من قوله ومن الناس من يجادل فى الله الى ههنا فى شأن النضر بن الحرث (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أن يأخذهم بلا جرم (ومن
ناس من يعبد الله على حرف)على وجه تجربة وشك وانتظار نعمة نزلت هذه الآية فى شأن بنى الخلاف منافقى بنى أسد وغطفان

يعني الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) أي لكيلا يعلم شيأ من بعد ما كان يعلمه أو لكيلا يستفيد علما وينسى ما كان عـ[ـلمه] بـ[ـه]
ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (ور[بت])
وانتفخت وربأت حيث كان يزيد ارتفعت (وأنبتت من كل زوج) صنف (بهيج) حسن سار للناظرين اليه (ذلك) مبتدأ [خبره]
(بأن الله هو الحق) أي ذكرنا من خلق بني آدم وا[حياء]
الارض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا وهو ان الله هو الحق أي الثابت الوجود (وانه يحي الموتى) كما أحياء الارض (وانه على كل شئ قدير) قادر (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي انه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلابد أن يفي بما وعد (ومن الناس من يجادل في الله) في صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت في أبي جهل (بغير علم) ضروري

﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيأ ﴾ ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره ﴿ وترى الارض هامدة ﴾ ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا ﴿ فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت ﴾ تحركت بالنبات ﴿ وربت ﴾ وانتفخت وقرئ ربأت اى ارتفعت ﴿ وانبتت من كل زوج ﴾ من كل صنف ﴿ بهيج ﴾ حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره ﴿ بان الله هو الحق ﴾ اى بسبب انه الثابت في نفسه الذي به يتحقق الاشياء ﴿ وانه يحي الموتى ﴾ وانه يقدر على احيائها والا لما احيي النطفة والارض الميتة ﴿ وانه على كل شئ قدير ﴾ لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها ﴿ وان الساعة آتية لا ريب فيها ﴾ فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه ﴿ وان الله يبعث من في القبور ﴾ بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴾ تكرير للتأكيد

﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيأ ﴾ أي يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيأ فيصير كما كان في أول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم * ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال تعالى ﴿ وترى الارض هامدة ﴾ أي يابسة لا نبات فيها ﴿ فاذا أنزلنا عليها الماء ﴾ يعني المطر ﴿ اهتزت ﴾ أي تحركت بالنبات ﴿ وربت ﴾ أي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات ﴿ وأنبتت ﴾ هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت وأضيف الى الارض توسعا ﴿ من كل زوج بهيج ﴾ أي من كل صنف حسن نضير والبهيج هو المبهج وهو الشئ المشرق الجميل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى ﴿ ذلك ﴾ أي ذكرنا ذلك لتعلموا ﴿ بأن الله هو الحق ﴾ وان هذه الاشياء دالة على وجود الصانع ﴿ وأنه يحي الموتى ﴾ أي انه اذا لم يستبعد منه ايجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الاموات ﴿ وانه على كل شئ قدير ﴾ أي من كان كذلك كان قادرا على جميع الممكنات ﴿ وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴾ أي ما ذكر من الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لا شك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق * قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴾ يعني النضر بن الحرث

الهرم (لكي لا يعلم) حتى لا يعقل (من بعد علم) من بعد علمه الاول (شيأ وترى الارض هامدة) منكسرة ميتة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) بالنبات ويقال تحركت واستبشرت بالماء (وربت) انتفخت للنبات (وأنبتت) أخرجت بالماء (من كل زوج بهيج) من كل لون حسن (ذلك) القدرة في تحويلكم وغير ذلك
لتقروا وتعلموا (بان الله هو الحق) بان عبادة الله هي الحق (وانه يحي الموتى) للنشور (وأنه على كل شئ) من الحياة (ولا هدى)
والموت (قدير وأن الساعة آتية) كائنة (لا ريب فيها) لا شك في كينونتها (وأن الله يبعث من في القبور) للجزاء والعقاب (و[من])
الناس من يجادل في الله) يخاصم في دين الله وكتابه (بغير علم) بلا علم

. ومن علقة الى خلقة (لنبين لكم) بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا وان

لانقص فيها ولاعيب وغير مسواة أو تامة وساقطة أومصورة وغير مصورة ﴿لنبين لكم﴾ بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ماقبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته مالايحيط به العقل ﴿ونقر في الارحام مانشاء﴾ ان نقره ﴿الى اجل مسمى﴾ هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين *وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ﴿ثم نخرجكم طفلا﴾ عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف *وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تأويل كل واحد أو الدلالة على الجنس أو لانه في الاصل مصدر ﴿ثم لتبلغوا اشدكم﴾ كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كأنها شدة في الامور ﴿ومنكم من يتوفى﴾ عند بلوغ الاشد اوقبله *وقرئ يتوفى أي يتوفاه الله ﴿ومنكم من يرد الى ارذل العمر﴾ وهو الهرم والخرف *وقرئ بسكون الميم

الاحوال كلها وروى عن علقمة عن ابن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أوغير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها في الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك أي رب أذكر أم أنثى أشق أم سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق بأي أرض يموت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته والذي أخرجاه في الصحيحين عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها * وقوله تعالى ﴿لنبين لكم﴾ أي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ماتأتون وماتذرون وماتحتاجون اليه في العبادة وقيل لنبين لكم أن تغير المضغة الى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار فان القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن الاعادة ﴿ونقر في الارحام مانشاء﴾ أي لاتسقطه ولاتمجه ﴿الى أجل مسمى﴾ أي وقت خروجه من الرحم تام الخلق ﴿ثم نخرجكم﴾ أي وقت الولادة من بطون أمهاتكم ﴿طفلا﴾ أي صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ أي كمال القوة والعقل والتمييز ﴿ومنكم من يتوفى﴾ أي قبل بلوغ الكبر ﴿ومنكم من يرد الى أرذل العمر﴾ أي الهرم والخرف

من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم نطفة ثانيا ولامناسبة بين التراب والماء وقدر أن يجعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة مابدأه (ونقر) بالرفع عند غير المفضل مستأنف بعد وقف أي نحن نثبت (في الارحام مانشاء) ثبوته (الى أجل مسمى) أي وقت الولادة ومالم نشأ ثبوته أسقطته الارحام (ثم نخرجكم) من الرحم (طفلا) حال وأريد به الجنس فلذا لم يجمع أو أريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلا (ثم لتبلغوا) ثم نربيكم لتبلغوا (أشدكم) كمال عقلكم وقوتكم وهو من الفاظ الجموع التي لا يستعمل لها واحد (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الاشد أو قبله أو بعده (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أخسه

السقط (لنبين لكم) في القرآن بدء خلقكم (ونقر في الارحام) من ان يسقط ويقال نترك في الارحام (مانشاء) من الولد (الى أجل مسمى) الى وقت معلوم من الشهور (ثم نخرجكم) من الارحام (طفلا) صغارا (ثم) نترككم (لتبلغوا أشدكم) من ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة (ومنكم من يتوفى) تقبض روحه قبل (قا و خا ٣٧ بع) البلوغ (ومنكم من يرد) يرجع (الى أرذل العمر) الى حاله الاول بعد

بالهوى (ويتبع) فى ذلك (كل شيطان مريد) عات مستمر فى الشر ولا قف على مريد لان ما بعده صفته (كتب عليه) قضى على الشيطان (أنه) ان الامر والشان وهو فاعل كتب (من تولاه) تبعه أى تبع الشيطان (فانه) فان الشيطان (يضله) عن سواء السبيل (ويهديه الى عذاب السعير) النار قال الزجاج الفاء فى فانه للعطف وان مكررة للتأكيد ورد عليه أبو على وقال ان من ان كان للشرط فالفاء دخل لجزاء الشرط وان كان بمعنى الذى فالفاء دخل على خبر المبتدأ والتقدير فلامر أنه يضله قال والعطف والتأكيد يكون بعد تمام الاول والمعنى كتب على الشيطان اضلال من تولاه وهدايته الى النار ثم الزم الحجة على منكر البعث فقال (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث) يعنى ان ارتبتم فى البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا فى بدء خلقكم وقد كنتم فى الابتداء ترابا وماء وليس سبب انكاركم البعث الا هذا وهو صيرورة الخلق ترابا وماء (فانا خلقناكم) أى أباكم (من تراب ثم) خلقتم (من نطفة ثم من علقة) أى قطعة دم جامدة (ثم من مضغة) أى لحمة صغيرة قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) المخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب كان الله عز وجل يخلق المضغ متفاوتة منها ماهو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ماهو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت وتفاوت الناس فى خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى

وهى تعمه وتشمله ﴿ ويتبع ﴾ فى المجادلة أو فى عامة احواله ﴿ كل شيطان مريد ﴾ متجرد للفساد واصله العرى ﴿ كتب عليه ﴾ على الشيطان ﴿ أنه من تولاه ﴾ تبعه والضمير للشان ﴿ فانه يضله ﴾ خبر لمن أو جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من يتولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشانه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر فى الموضعين على حكاية المكتوب أو اضمار القول أو تضمين الكتب معناه ﴿ ويهديه الى عذاب السعير ﴾ بالحمل على ما يؤدى اليه ﴿ يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث ﴾ من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب ﴿ فانا خلقناكم ﴾ أى فانظروا فى بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم ﴿ من تراب ﴾ اذ خلق آدم منه والاغذية التى يتكون منها المنى ﴿ ثم من نطفة ﴾ منى من النطف وهو الصب ﴿ ثم من علقة ﴾ قطعة من الدم جامدة ﴿ ثم من مضغة ﴾ قطعة من اللحم وهى فى الاصل قدر ما يمضغ ﴿ مخلقة وغير مخلقة ﴾ مسواة

يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين وكان ينكر البعث واحياء من صار ترابا ﴿ ويتبع ﴾ أى فى جداله فى الله بغير علم ﴿ كل شيطان مريد ﴾ أى المتمرد المستمر فى الشر وفيه وجهان أحدهما انهم شياطين الانس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم الى الكفر والثانى أنه ابليس وجنوده ﴿ كتب عليه ﴾ أى قضى على الشيطان ﴿ أنه من تولاه ﴾ أى اتبعه ﴿ فانه ﴾ يعنى الشيطان ﴿ يضله ﴾ أى يضل من تولاه عن طريق الجنة ﴿ ويهديه الى عذاب السعير ﴾ وفى الآية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه أنه من يقبل منه فهو فى ضلال ثم الزم الحجة منكرى البعث فقال ﴿ يا أيها الناس ان كنتم فى ريب ﴾ أى شك ﴿ من البعث ﴾ أى بعد الموت ﴿ فانا خلقناكم من تراب ﴾ يعنى اباكم آدم الذى هو أصل النسل ﴿ ثم من نطفة ﴾ يعنى ذريته من المنى وأصلها الماء القليل ﴿ ثم من علقة ﴾ أى من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دما غليظا ﴿ ثم من مضغة ﴾ وهى لحمة قليلة قدر ما يمضغ ﴿ مخلقة وغير مخلقة ﴾ قال ابن عباس أى تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذى تأتى به المرأة لوقته وغير المخلقة السقط فكانه سبحانه وتعالى قسم المضغة الى قسمين أحدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم الثانى هو الناقص عن هذه

ولا حجة ولا بيان (ويتبع) يطيع (كل شيطان مريد) متمرد شديد العين (كتب عليه) قضى عليه على الشيطان (أنه من) الاحوال تولاه) أطاعه (فانه يضله) عن الهدى (ويهديه) يدعوه (الى عذاب السعير) الى ما يجب به عذاب الوقود (يا أيها الناس) أهل مكة (ان كنتم فى ريب) فى شك (من البعث) بعد الموت فتفكروا فى بدء خلقكم فان احياءكم ليس باشد على من (فانا خلقناكم من تراب) من آدم وآدم من تراب (ثم) خلقناكم بعد ذلك (من نطفة ثم من علقة) من دم عبيط بعد النطفة (ثم من مضغة) من لحم طرى بعد العلقة (مخلقة) خلق تام (وغير مخلقة) وهى

مفهابه (وتضع كل ذات حمل) أي حبلى (حملها) ولدها قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام
وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام (وترى الناس) أيها الناظر (سكارى) على

أو مصدرية ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ جنينها ﴿وترى الناس سكارى﴾ كأنهم سكارى ﴿وما هم بسكارى﴾ على الحقيقة ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم * وقرئ ترى من اريتك قائما أو رأيتك بنصب الناس ورفعه على انه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل واحد على غيره * وقرأ حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت

﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ أي تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل ومن قال تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتهويله لا على حقيقته كما تقول أصابنا أمر يشيب فيه الوليد تريد به شدته ﴿وترى الناس سكارى﴾ على التشبيه ﴿وما هم بسكارى﴾ على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وأزال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادي بصوت ان الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا لفظ البخاري * وفي حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعث النار وذكر نحو حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمتي سبعون ألفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا * قوله عز وجل ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ نزلت في النضر بن الحرث كان كثير الجدل وكان

التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبي نفسي نفسي (وما هم بسكارى) على التحقيق (ولكن عذاب الله شديد) فخوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب سكرى فيهما بالامالة حمزة وعلي وهو كعطشى في عطشان روي أنه نزلت الآيتان ليلا في غزوة بني المصطلق فقرأهما النبي عليه السلام فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة (ومن الناس من يجادل في الله) في دين الله (بغير علم) حال نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلى أو هي عامة في كل من خاصم في الدين

عن ولدها (وتضع كل ذات حمل حملها) وتضع الحوامل ما في بطونها من الاولاد (وترى الناس) قياما (سكارى) نشاوى (وما هم بسكارى) نشاوى من الشراب (ولكن عذاب الله شديد)

فذلك تحيروا كأنهم سكارى (ومن الناس) وهو النضر بن الحرث (من يجادل في الله) يخاصم في دين الله وكتابه (بغير علم) بلا علم

﴿ سورة الحج مكية وهي ثمان وسبعون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ياايها الناس اتقوا ربكم) أمر بني آدم
بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة بقوله (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) لينظروا الى تلك الشدة
ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردي بلباس
التقوى الذي يؤمنهم من تلك الافزاع والزلزلة شدة التحريك والازعاج واضافة الزلزلة الى الساعة اضافة المصدر الى فاعله
كأنها هي التي تزلزل الارض على المجاز الحكمي أو الى الظرف لانها تكون فيها كقوله
بل ومكر الليل والنهار
ووقتها يكون يوم القيامة أو
عند طلوع الشمس من مغربها
ولا حجة فيها للمعتزلة في تسمية
المعدوم شيأ فان هذا اسم لها
حال وجودها وانتصب (يوم
ترونها) أي الزلزلة أو
الساعة بقوله (تذهل)
تغفل والذهول الغفلة (كل
مرضعة عما أرضعت) عن
ارضاعها أو عن الذي
أرضعته وهو الطفل
وقيل مرضعة ليدل على
ان ذلك الهول اذا حدث
وقد ألقمت الرضيع ثديها
نزعته عن فيه لما يلحقها من
الدهشة اذ المرضعة هي
التي في حال الارضاع ملقمة
ثديها الصبي والمرضع التي
شأنها أن ترضع وان لم
تباشر الارضاع في حال

﴿ ومن السورة التي
يذكر فيها الحج وهي كلها
مكية الا خمس آيات ومن الناس
من يعبد الله على حرف
الى آخر الآيتين وقوله أذن
للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى آخر الآيتين والسجدة الاخيرة فهؤلاء الآيات مدنيات وكل شيء في القرآن ياأيها الذين (و)
آمنوا فهو مدني وكل شيء في القرآن ياأيها الناس فهو مكي ومدني ولا نجد ياأيها الذين آمنوا مكية ٭ آياتها خمس وسبعون آية وكلماتها
ألف ومائتان واحدى وتسعون وحروفها خمسة آلاف ومائة وخمسة وثلاثون ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده
عن ابن عباس في قوله تعالى (ياأيها الناس) خاص وعام وههنا عام (اتقوا ربكم) اخشوا ربكم وأطيعوه (ان زلزلة الساعة) قيام
الساعة (شيء عظيم)هوله (يوم ترونها) حين ترونها عند النفخة الاولى (تذهل) تشتغل (كل مرضعة)والدة (عما أرضعت

﴿ سوره الحج مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط
الحميد وهي ثمان وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ياايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة ﴾ تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في أو اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها ﴿ شيء عظيم ﴾ هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويقوها بملازمة التقوى ﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت ﴾ تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعلوما اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه وما موصولة

﴿ تفسير سورة الحج وهي مكية غير ست آيات من قوله عز وجل
هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهي
ثمان وسبعون آية والف ومائتان واحدى وتسعون
كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله عز وجل ﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم ﴾ أي احذروا عقابه واعملوا بطاعته ﴿ ان زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولا شيء أعظم مما عظمه الله تعالى قيل هي من أشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها ﴿ يوم ترونها ﴾ أي الساعة وقيل الزلزلة ﴿ تذهل ﴾ قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى ﴿ كل مرضعة عما أرضعت ﴾ أي كل امرأة معها ولد ترضعه

ـكم وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية (وان أدرى أقريب أم بعيد ماتوعدون) اى لاأدرى متى يكون يوم القيامة لان الله تعالى ـطلعنى عليه ولكنى أعلم بأنه كائن لامحالة أولاأدرى متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ـكتمون) اى انه عالم بكل شئ يعلم ماتجاهرونى به من الطعن فى الاسلام وماتكتمونه فى صدوركم من الاحقاد للمسلمين وهو ـازيكم عليه (وان أدرى لعله فتنة لكم) وماأدرى لعل تأخير العذاب عنكم فى الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وتمتيع لكم الى الموت ليكون ذلك حجة عليكم (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال واشدد وطأتك على مضر قال رب حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب احكم يزيد ربى احكم زيد عن يعقوب (وربنا الرحمن) العاطف على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ماتصفون) وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ماجرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم اى الكفار وهو المستعان على مايصفون بغير سر (وان أدرى) ما

اناوانتم فى العلم بما اعلمتكم به أو فى المعاداة أو ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم انى على سواء أى عدل واستقامة رأى بالبرهان النير ﴿وان ادرى﴾ ومادرى ﴿أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ من غلبة المسلمين أو الحشر لكنه كائن لامحالة ﴿انه يعلم الجهر من القول﴾ ماتجاهرون به من الطعن فى الاسلام ﴿ويعلم ماتكتمون﴾ من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه ﴿وان ادرى لعله فتنة لكم﴾ ومادرى لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم أو امتحان لينظر كيف تعملون ﴿ومتاع الى حين﴾ وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته ﴿قل رب احكم بالحق﴾ اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المتقضى لاستعجال العذاب أو التشديد عليهم * وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربى احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام ﴿وربنا الرحمن﴾ كثير الرحمة على خلقه ﴿المستعان﴾ المطلوب منه المعونة ﴿على ماتصفون﴾ من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم * وقرئ بالياء * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن والله تعالى اعلم

انذارا بينا نستوى فى علمه لاأستبد أنا به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم والمعنى آذنتكم على وجه يستوى نحن وأنتم فى العلم به وقيل معناه لتستووا فى الايمان به وأعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره ﴿وان أدرى﴾ أى وماأعلم ﴿أقريب أم بعيد ماتوعدون﴾ يعنى يوم القيامة لايعلمه الا الله ﴿انه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون﴾ أى لايغيب عن علمه شئ منكم فى علانيتكم وسركم ﴿وان أدرى لعله فتنة لكم﴾ أى لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم بكم ﴿ومتاع الى حين﴾ أى تتمتعون الى انقضاء آجالكم ﴿قل رب احكم﴾ اى افصل بينى وبين من كذبنى ﴿بالحق﴾ أى بالعذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو أن تنصرنى عليهم والله يحكم بالحق طلب أو لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب ﴿وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون﴾ أى من الشرك والكفر والكذب والاباطيل كأنه سبحانه وتعالى قال قل داعيا الى رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

ـرى (أقريب أم بعيد ماتوعدون) من العذاب (انه يعلم الجهر من القول) والفعل (ويعلم ماتكتمون) ماتسرون من القول والفعل ـلم بعذابكم متى يكون (وان أدرى) ماأدرى (لعله) يعنى تأخير العذاب (فتنة) بلية (لكم ومتاع) أجل (الى حين) حين العذاب ـل) يامحمد (رب احكم بالحق) اقض بينى وبين أهل مكة بالحق بالعدل (وربنا الرحمن المستعان) نستعين به (على ـصفون) تقولون من الكذب

على الأنبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعنى به اللوح لان الكل أوخذوا منه دليله قراءة حمزة وخلف بضم
على جمع الزبر بمعنى المزبور والارض أرض الجنة (ان فى هذا) أى القرآن أوفى المذكور فى هذه السورة من الا
والوعدوالوعيدوالمواعظ (لبلاغا) لكفاية واصله مايبلغ به البغية (لقوم عابدين) موحدين وهم أمة محمد عليه
(وماأرسلناك الارحمة) وقال عليه السلام انما أنا رحمة مهداة (للعـ
لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن لم يتبع فانما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هو رحمة للمؤمنين فى الدارين وللكافرين فى الدنيا بتأخير العقوبة فيها وقيل هو رحمة للمؤمنين والكافرين فى الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ والخسف ... له أوحال ... ذا رحمة (قل انما) انما لقصر الحكم على شئ أولقصر الشئ على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وفاعل (يوحى الى انما الهكم اله واحد) والتقدير يوحى الى وحدانية الهى ويجوز أن يكون المعنى ان الذى يوحى الى فتكون ما موصولة (فهل أنتم مسلمون) استفهام بمعنى الامر أى أسلموا (فان تولوا) عن الاسلام (فقل آذنتكم) أعلمكم ماأمرت به (على سواء) حال أى مستوين فى الاعلام به ولم أخصص

أوامة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ان فى هذا﴾ فيما ذكرنا من الاخبار والمواعظ والمواعيد ﴿لبلاغا﴾ لكفاية أولسبب بلوغ الى البغية ﴿لقوم عابدين﴾ همهم العبادة دون العادة ﴿وماارسلناك الارحمة للعالمين﴾ لان مابعث به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال ﴿قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد﴾ أى مايوحى الى الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلى من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشئ والثانية على العكس ﴿فهل انتم مسلمون﴾ مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحى المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح ... ﴿فان تولوا﴾ عن التوحيد ﴿فقل آذنتكم﴾ اعلمتكم ماامرت به أوحربى لكم ﴿على سواء﴾ مستوين فى الاعلام به أومستو

يعنى أرض الجنة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب فى اللوح المحفوظ فى كتب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس أراد ان اراضى الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها ﴿ان فى هذا﴾ أى فى القرآن ﴿لبلاغا﴾ أى وصولا الى البغية يعنى من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى مايرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية أى فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى ﴿لقوم عابدين﴾ أى مؤمنين لايعبدون أحدا دون الله تعالى وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان ... وقال ابن عباس عالمين وقال ... العاملون ... قوله عز وجل ﴿وماارسلناك الارحمة للعالمين﴾ قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا فى حيرة من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف فى كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى وماارسلناك الارحمة للعالمين قيل يعنى المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام فى حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له فى الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة ﴿قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون﴾ أى منقادون لما يوحى الى من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر أى أسلموا ﴿فان تولوا﴾ أعرضوا ولم يسلموا ﴿فقل آذنتكم﴾ أى أعلمتكم بالحرب وأن لاصلح بيننا ﴿على سواء﴾ أى

الزمان (ان فى هذا) القرآن (لبلاغا) بكفاية ويقال عظة بالامر والنهى (لقوم عابدين) موحدين (وماأرسلناك) يامحمد (الارحمة) من العذاب (الا انذارا) (للعالمين) من الجن والانس من آمن بك ويقال نعمة (قل) يامحمد (انما يوحى الى) فى هذه القرآن (انما الهكم اله واحد) بلا ولد ولا شريك (فهل أنتم) يأهل مكة (مسلمون) مقرون مخلصون بالعبادة والتوحيد (فان تولوا) عن الايمان والاخلاص (فقل) لهم يامحمد (آذنتكم) أعلمتكم فصرت أنا وأنتم (على سواء) على بيان علانية

لكتب) حزة وعلى حفص أى للمكتوبات أى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وغيرهم للكتاب اى كما يطوى الطومار للكتابة
أى لما يكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه
او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا أسم الصحيفة المكتوب فيها والطى مضاف الى الفاعل وعلى الاول الى
المفعول (كما بدأنا اول خلق نعيده) انتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيد وما موصولة
اى نعيده مثل الذى بدأناه
نعيده واول خلق ظرف لبدأنا
اى اول ما خلق او حال
من ضمير الموصول الساقط
من اللفظ الثابت فى المعنى
واول الخلق ايجاده اى
فكما اوجده اولا يعيده ثانيا
تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول
القدرة لهما على السواء
والتنكير فى خلق مثله فى قولك
هو اول رجل جاءنى تريد
أول الرجال ولكنك وحدته
ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا
رجلا فكذلك معنى اول خلق
أول الخلق بمعنى اول الخلائق
لان الخلق مصدر لا يجمع
(وعدا) مصدر مؤكد لان
قوله نعيده عدة للاعادة
(علينا) أى وعدا كائنا
لامحالة (انا كنا فاعلين)
ذلك أى محققين هذا الوعد
فاستعدوا له وقدموا صالح
الاعمال للخلاص من هذه
الاهوال (ولقد كتبنا
فى الزبور) كتب داود عليه
السلام (من بعد الذكر) التوراة
(ان الارض) أى الشأم (يرثها
عبادى) ساكنة الياء حمزة غيره بفتح الياء (الصالحون) أى أمة محمد عليه السلام أو الزبور بمعنى المزبور اى المكتوب يعنى ما أنزل

للكتاب ﴾ طيا كطى الطومار لاجل الكتابة أو لما يكتب أو كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص على الجمع أى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوى كتب الأعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه ﴿ كما بدأنا اول خلق نعيده ﴾ أى نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه فى كونهما ايجادا عن العدم او جمعا بين الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتى المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة أو مصدرية واول مفعول لبدأنا أو لفعل يفسره ما بعده أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل الذى بدأنا واول خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف ﴿ وعدا ﴾ مقدر بفعله تأكيدا لنعيده أو منتصب به لانه عدة بالاعادة ﴿ علينا ﴾ اى علينا انجازه ﴿ انا كنا فاعلين ﴾ ذلك لا محالة ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور ﴾ كتاب داود ﴿ من بعد الذكر ﴾ أى التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ﴿ ان الارض ﴾ أى ارض الجنة أو الارض المقدسة ﴿ يرثها عبادى الصالحون ﴾ يعنى عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها

للكتاب ﴾ قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطى الصحيفة على مكتوبها والطى هو الدرج الذى هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى نطوى السماء كما يطوى السجل الطومار الذى يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الاكبر فى ذلك اليوم ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ أى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده قوله غرلا أى قلفا ﴿ وقوله تعالى ﴿ وعدا علينا انا كنا فاعلين ﴾ يعنى الاعادة والبعث بعد الموت ٭ قوله تعالى ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ﴾ قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر هو أم الكتاب الذى عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر أى بعدما كتب فى اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعد هنا بمعنى قبل ﴿ أن الارض يرثها عبادى الصالحون ﴾

الكاتب (للكتب) الصحيفة (كما بدأنا أول خلق) أول خلقهم من النطفة (نعيده) نبعثه من التراب (وعدا علينا) واجبا علينا (أنا كنا فاعلين) نحييهم بعد الموت (ولقد كتبنا فى الزبور) فى زبور داود (من بعد الذكر) من بعد التوراة ويقال ولقد كتبنا فى الزبور كتب الانبياء من بعد الذكر اللوح المحفوظ (أن الارض) أرض الجنة (يرثها عبادى الصالحون) الموحدون ويقال الارض المقدسة يرثها ينزلها عبادى الصالحون من بنى اسرائيل ويقال الصالحون فى آخر

منا الحسنى جميع المؤمنين لما روى ان عليا رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة و ...
وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنيد رحمه الله سبقت لهم منا العناية فى البداية فظهرت لهم الولاية فى النهاية (لايسمعون
حسيسها) صوتها الذى يحس وحركة تلهبها وهذه مبالغة فى الابعاد عنها
لايقربونها حتى لايسمعوا صوتها وصوت من فيها (وهم فيما اشتهت انفسهم) من النعيم (خالدون) مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة (لايحزنهم الفزع الاكبر) النفخة الاخيرة (وتتلقاهم الملائكة) أى تستقبلهم الملائكة مهنئين على أبواب الجنة يقولون (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) أى هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم فى الدنيا العامل فى (يوم نطوى السماء) لايحزنهم أو تتلقاهم تطوى السماء يزيد وطيها تكوير نجومها ومحو رسومها أو هو ضد النشر بجمعها ونطويها (كطى السجل) أى الصحيفة

(لايسمعون حسيسها) صوتها (وهم فيما اشتهت) تمنت ا انفسهم خالدون) مقيمون فى الجنة (لايحزنهم الفزع الاكبر) اذا اطبقت النار وذبح الموت بين الجنة والنار (وتتلقاهم الملائكة) ... بالبشرى (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) ...

و زبير و سعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلاة وقام يجر رداءه ويقول ﴿ لايسمعون حسيسها ﴾ وهو بدل من مبعدون أو حال من ضمير سيق للمبالغة فى ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به ﴿ وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ﴾ دائمون فى غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به ﴿لايحزنهم الفزع الاكبر ﴾ النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض أو الانصراف الى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت ﴿ وتتلقاهم الملائكة ﴾ تستقبلهم مهنئين ﴿ هذا يومكم ﴾ يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول ﴿ الذى كنتم توعدون ﴾ فى الدنيا ﴿ يوم نطوى السماء ﴾ مقدر باذكر أو ظرف لايحزنهم أو تتلقاهم اوحال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطى ضد النشر أو المحو من قولك اطو عنى هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبنى آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول ﴿ كطى السجل

عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاثة ثم قام فاقبل عبد الله ابن الزبعرى السهمى فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبعرى انت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال اليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذى سبقت لهم منا الحسنى يعنى عزيرا والمسيح والملائكة أولئك عنها مبعدون وأنزل فى ابن الزبعرى ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال انكم وما تعبدون من دون الله ولو أراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل ﴿ لايسمعون حسيسها ﴾ يعنى صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم فى الجنة ﴿ وهم فيما اشتهت أنفسهم ﴾ أى من النعيم والكرامة ﴿ خالدون ﴾ أى مقيمون ﴿ قوله تعالى ﴿ لايحزنهم الفزع الاكبر ﴾ قال ابن عباس يعنى النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادى ياأهل النار خلود بلا موت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه ﴿ وتتلقاهم الملائكة ﴾ أى تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنؤنهم ويقولون ﴿ هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴾ أى فى الدنيا ﴿ قوله عز وجل ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل

من قوله انكم وما تعبدون من دون الله الى ههنا فى شأن عبد الله بن الزبعرى السهمى الشاعر وخصومته مع النبى صلى الله عليه وسلم لقبل الاصنام (يوم) وهو يوم القيامة (نطوى السماء) باليمين (كطى السجل) كطى { للكتب }

فى موضعها (انكم وماتعبدون من دون الله) يعنى الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم له واتباعهم خطواتهم فى حكم
عبادتهم (حصب) حطب وقرئ حطب (جهنم أنتم لها واردون) فيها داخلون (لوكان هؤلاء آلهة) كما زعمتم (ماوردوها) مادخلوا
ها (وكل)أى العابد والمعبود (فيها) فى النار (خالدون لهم) للكفار (فيها زفير) أنين
وبكاء وعويل (وهم فيها لا يسمعون) شيأ ما لانهم صاروا صما وفى السماع نوع انس فلم يعطوه (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الخصلة المفضلة فى الحسن تأنيث الاحسن وهى السعادة او البشرى بالثواب أو التوفيق للطاعة نزلت جوابا لقول ابن الزبعرى عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش انكم وماتعبدون من دون الله الى قوله خالدون أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة على ان قوله وماتعبدون لا يتناولهم لان ما لمن لا يعقل الا انهم أهل عناد فزيد فى البيان (أولئك) يعنى عزيرا والمسيح والملائكة (عنها) عن جهنم (مبعدون) لانهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله ان الذين سبقت لهم

(انكم) يااهل مكة (وما تعبدون من دون الله) من الاصنام (حصب جهنم) حطب جهنم بلغة الحبشة ان(تم) يااهل مكة وماتعبدون من الاصنام (لها واردون)
داخلون يعنى جهنم (لوكان هؤلاء) الاصنام (قا و خا ٣٦ بع) (آلهة ماوردوها) مادخلوا النار (وكل) العابد والمعبود
(فيها) فى النار داخلون (خالدون) مقيمون دائمون (لهم فيها) فى جهنم (زفير) صوت كصوت الحمار (وهم فيها) فى جهنم
(لا يسمعون) صوت الرحمة والشفاعة وصوت الخروج والرخاء ولا يبصرون (ان الذين سبقت) وجبت (لهم منا الحسنى)
السعادة يعنى عيسى وعزيرا (أولئك عنها) عن النار (مبعدون) منجون

﴿انكم وماتعبدون من دون الله﴾ يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم فى حكم عبدتهم لماروى انه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مأولا بمن أو بما يعمه ويدل عليه ماروى ان ابن الزبعرى قال هذا شئ لآلهتنا خاصة ولكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز أو التخصيص تأخر عن الخطاب ﴿حصب جهنم﴾ مايرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر ﴿انتم لها واردون﴾ استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها ﴿لوكان هؤلاء آلهة ماوردوها﴾ لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها ﴿وكل فيها خالدون﴾ لا خلاص لهم عنها ﴿لهم فيها زفير﴾ أنين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون مايسرهم ﴿ان الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ الخصلة الحسنى وهى السعادة أو التوفيق بالطاعة أو البشرى بالجنة ﴿اولئك عنها مبعدون﴾ لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة

عز وجل ﴿انكم﴾ الخطاب للمشركين ﴿وماتعبدون من دون الله﴾ يعنى اصنامهم ﴿حصب جهنم﴾ أى حطبها ووقودها وقيل يرمى بهم فى النار كما يرمى بالحصباء وأصل الحصب الرمى ﴿أنتم لها واردون﴾ أى فيها داخلون ﴿لوكان هؤلاء﴾ يعنى الاصنام ﴿آلهة﴾ أى على الحقيقة ﴿ماوردوها﴾ أى مادخل الاصنام النار وعابدوها ﴿وكل فيها خالدون﴾ يعنى العابدين والمعبودين ﴿لهم فيها زفير﴾ قيل الزفير هو ان يملأ الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ما ينالهم من العذاب ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ قال ابن مسعود فى هذه الآية اذا بقى فى النار من يخلد فيها جعلوا فى توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت فى توابيت أخر ثم تلك التوابيت فى توابيت أخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيأ ولا يرى أحدهم ان فى النار أحدا يعذب غيره ﴿قوله تعالى ﴿ان الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ قال العلماء ان هنا بمعنى الا أى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعنى السعادة والعدة الجميلة بالجنة ﴿أولئك عنها﴾ أى عن النار ﴿مبعدون﴾ قيل الآية عامة فى كل من سبقت له من الله السعادة وقال أكثر المفسرين

﴿ واقترب الوعد الحق ﴾ وهو القيامة ﴿ فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا ﴾ جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة أو مبهم يفسره الابصار ﴿ ياويلنا ﴾ مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول ﴿ قد كنا فى غفلة من هذا ﴾ لم نعلم انه حق ﴿ بل كنا ظالمين ﴾ لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر

قوله حتى ظننا فى طائفة النخل أى ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشئ * وقوله فخفض فيه ورفع اى خفض صوته ورفعه من شدة ماتكلم به فى أمره وقيل انه خفض من أمره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من أمره * قوله انه شاب قطط أى جعد الشعر * وقوله طافئة أى خارجة عن حدها * قوله انه خارج خلة أى انه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين والتخلل الدخول فى الشئ * قوله فعاث أى افسد * قوله اقدروا له قدره أى قدروا قدر يوم من أيامكم المعهودة وصلوا فيه بقدر أوقاته * وقوله فتروح عليهم سارحتهم أى مواشيهم * وقوله فيصبحون ممحلين أى مقحطين قد أجدبت أرضهم وغلت أسعارهم * قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها * وقوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض أى قطعتين والغرض الهدف الذى يرمى بالنشاب * قوله بين مهرودتين رويت بالدال المهملة وبالمعجمة أى شقتين وقيل حلتين وقيل الهرد الصبغ الاصفر بالورس والزعفران * قوله لايدان لاحد بقتالهم أى لاقدرة ولاقوة لاحد بقتالهم والنغف دود يكون فى أنوف الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل * قوله زهمهم اى ريحهم المنتنة * قوله كالزلفة أى كالمرآة وجمعها زلف ويروى بالقاف وأراد به استواءها ونظافتها * قوله تأكل العصابة أى الجماعة قيل يبلغون أربعين وتحت الرمانة فى الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن (م) والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة * وقوله يتهارجون أى يختلفون والتهارج الاختلاف وأصله القتل * ((الوجه الثانى)) * فى تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ماتذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم * قوله عز وجل ﴿ واقترب الوعد الحق ﴾ أى القيامة قال حذيفة لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلو المهر ﴿ فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ﴾ قيل معنى الآية ان القيامة اذا قامت شخصت أبصار الذين كفروا من شدة الاهوال ولاتكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون ﴿ ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا ﴾ يعنى فى الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كائن ﴿ بل كنا ظالمين ﴾ أى فى وضعنا العبادة فى غير موضعها * قوله

(واقترب الوعد الحق) أى القيامة وجواب اذا (فاذا هى) وهى اذا المفاجأة وهى تقع فى المجازاة مسد الفاء كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل فهى شاخصة أو اذا هى شاخصة كان سديدا وهى ضمير مبهم يوضحه الابصار ويفسره (شاخصة أبصار الذين كفروا) أى مرتفعة الاجفان لاتكاد تطرف من هول ماهم فيه (ياويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون ياويلنا ويقولون حال من الذين كفروا (قد كنا فى غفلة من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) بوضعنا العبادة

(واقترب الوعد الحق) دنا قيام الساعة عند خروجهم من السد (فاذا هى شاخصة) ذليلة لاتكاد تطرف (ابصار الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يقولون (ياويلنا) ياحسرتنا (قد كنا فى غفلة) فى جهلة (من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) كافرين بمحمد عليه السلام والقرآن

﴿ عز وجل ﴾

لدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك
ينا فقال ما شأنكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه
ى طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفنى عليكم ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وان يخرج
لست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافئة
انى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج
خلة بين الشأم والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله وما لبثه
ى الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا
رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا
رسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم
يؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم
طول ما كانت دراوأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله
ينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شئ من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى
كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه
جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله
لمسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعا
كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل
لكافر يجد ريح نفسه الامات ونفسه ينتهى الى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب
لد فيقتله ثم يأتى عيسى عليه السلام الى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم
بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى عليه السلام انى قد أخرجت
عبادا لى لايدان لاحد ان يقاتلهم فحرز عبادى الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج
وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم
فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم
خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله عليهم
النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه الى
الارض فلا يجدون فى الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبى الله عيسى
وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل
الله مطرا لايكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض
أنبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك
فى الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفى الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة
من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة
فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون
فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة أخرجه مسلم

شرح غريب ألفاظ الحديث

راجعون) فنجازيهم على أعمالهم (فمن يعمل من الصالحات) شيأ (وهو مؤمن) بما يجب الايمان به (فلا كفران لسعيه)
أي فان سعيه مشكور مقبول والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه وقد نفي نفي الجنس ليكون
أبلغ (وانا له) للسعي أي لحفظة بامرنا (كاتبون) في صحيفة عمله فنثيبه به (وحرام وحرم كوفي غير حفص وهما
لغتان كحل وحلال وزنا وضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده (على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون)
والمعنى وممتنع على مهالك غير ممكن ان لا يرجع الى الله بالبعث أو وحرام
قرية أهلكناها أي قدرنا اهلاكهم أو حكمنا باهلاكهم ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور انهم لا يرجعون من الكفر الى الاسلام (حتى) هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء أعني (اذا) وما في حيزها (فتحت يأجوج ومأجوج) أي فتح سدهما فحذف المضاف كما حذف المضاف الى قرية فتحت شامي وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج (وهم) راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد (من كل حدب) نشز من الارض أي ارتفاع (ينسلون) يسرعون

راجعون ﴿ فنجازيهم ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ﴾ بالله ورسله ﴿ فلا كفران لسعيه ﴾ فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة ﴿ وانا له ﴾ سعيه ﴿ كاتبون ﴾ مثبتون في صحيفة عمله لا نضيع بوجه ما ﴿ وحرام على قرية ﴾ وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ ابو بكر وحمزة والكسائي وحرم بكسر الحاء واسكان الراء وقرئ وحرم ﴿ اهلكناها ﴾ حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة ﴿ انهم لا يرجعون ﴾ رجوعهم الى التوبة أو الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره أو دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم أو عدم بعثهم أو لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف أي وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون ﴿ حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ متعلق بحرام أو بمحذوف دل الكلام عليه أو بلا يرجعون اى يستمر الامتناع أو الهلاك أو عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وحتى هى التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هى الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد ﴿ وهم ﴾ يعني يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم ﴿ من كل حدب ﴾ نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ﴿ ينسلون ﴾ يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين

راجعون ﴾ فنجزيهم بأعمالهم ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ﴾ أي لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه ﴿ وانا له كاتبون ﴾ أي لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة والكفران ترك المجازاة ﴿ قوله عز وجل ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ قال ابن عباس معناه وحرام على أهل قرية أهلكناهم أن يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه وحرام على أهل قرية حكمنا بهلاكهم أن تقبل أعمالهم لانهم لا يتوبون ﴿ قوله عز وجل ﴿ حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه أخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة أعشار بني آدم ﴿ وهم من كل حدب ينسلون ﴾ أي يسرعون النزول من الآكام والتلال وفي هذه الكناية وجهان أحدهما ان المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الاصح بدليل ما روي عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

راجعون (فمن يعمل من الصالحات) الطاعات فيما بينه وبين ربه (وهو مؤمن) مصدق في ايمانه (فلا كفران لسعيه) لا ينسى ثواب عمله بل يثاب عليه (وانا له كاتبون) مجازون ومثيبون ويقال حافظون (وحرام) التوفيق (على قرية) على أهل مكة أبي جهل وأصحابه (أهلكناها) خذلناها بالكفر (انهم لا يرجعون) عن كفرهم الى الايمان ويقال وحرام الرجوع على قرية على أهل مكة أهلكناها يوم بدر لقتل انهم لا يرجعون الى الدنيا (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) فحينئذ يخرجون (وهم) يعني يأجوج ومأجوج (من كل حدب) من كل اكمة ومكان مرتفع (ينسلون) يخرجون

با وخوفا كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران في موضع الحال أو المفعول له أي للرغبة فينا والرهبة منا
(كانوا لنا خاشعين) متواضعين خائفين (والتي) أي واذكر التي (أحصنت فرجها) حفظته من الحلال والحرام (فنفخنا فيها
من روحنا) أجرينا فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فأحدثنا بذلك النفخ عيسى في بطنها، اضافة الروح اليه
لتشريف عيسى عليه السلام (وجعلناها وابنها آية) مفعول ثان (للعالمين) وانما لم يقل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار
آيتين لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من

غير فحل أو التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك فآية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرأ آيتين (ان هذه أمتكم أمة واحدة) لا أمة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام وهي ملة جميع الأنبياء وأمة واحدة حال أي متوحدة غير متفرقة والعامل ما دل عليه اسم الاشارة أي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا ربكم فاعبدون) أي ربيتكم اختيارا فاعبدوني شكرا وافتخارا والخطاب للناس كافة (وتقطعوا أمرهم بينهم) أصل الكلام وتقطعتم الا أنه صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا وصاروا فرقا وأحزابا ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة (كل الينا

هكذا وهكذا ويقال يدعوننا رغبا الى الجنة ورهبا من

ذوي رغب أو راغبين في الثواب راجين الاجابة أو في الطاعة وخائفين من العقاب أو المعصية ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾ مخبتين أو دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال ﴿ والتي احصنت فرجها ﴾ من الحلال والحرام يعني مريم ﴿ فنفخنا فيها ﴾ أي في عيسى عليه الصلاة والسلام فيها أي احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها ﴿ من روحنا ﴾ من الروح الذي هو بأمرنا وحده أو من جهة روحنا يعني جبرائيل عليه الصلاة والسلام ﴿ وجعلناها وابنها ﴾ اى قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله ﴿ آية للعالمين ﴾ فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ﴿ ان هذه امتكم ﴾ اى ان ملة التوحيد أو الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا عليها ﴿ امة واحدة ﴾ غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل من هذه وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران ﴿ وانا ربكم ﴾ لا اله لكم غيري ﴿ فاعبدون ﴾ لا غير ﴿ وتقطعوا امرهم بينهم ﴾ صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة تقبيح فعالهم الى غيرهم ﴿ كل ﴾ من الفرق المتحزبة ﴿ الينا

لمكان الرغبة في ثوابه والرهبة من عقابه والثاني الخشوع وهو قوله تعالى ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾ الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط في الامور خوفا من الوقوع في الاثم * قوله تعالى ﴿ والتي أحصنت فرجها ﴾ أي احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسسني بشر ولم أك بغيا ودو مريم بنت عمران ﴿ فنفخنا فيها من روحنا ﴾ أمرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وأضاف الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله ﴿ وجعلناها وابنها آية ﴾ أي دلالة ﴿ للعالمين ﴾ على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب * فان قلت هما آيتان فكيف قال آية * قلت معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية واحدة أي ولادتها اياه من غير أب آية * قوله تعالى ﴿ ان هذه أمتكم ﴾ أي ملتكم ودينكم ﴿ أمة واحدة ﴾ أي دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ما سوى الاسلام من الاديان والامة الجماعة التي هي على مقصد واحد وجعلت الشريعة أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ﴿ وأنا ربكم فاعبدون ﴾ أي لا دين سوى ديني ولا رب لكم غيري فاعبدوني أي وحدوني ﴿ وتقطعوا أمرهم بينهم ﴾ أي اختلفوا في الدين فصاروا وافترقوا أحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض ﴿ كل ...

النار (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين مطيعين (والتي) واذكر التي (أحصنت فرجها) حفظت جيب درعها (فنفخنا فيها من روحنا)
فنفخ جبريل في جيب درعها بأمرنا (وجعلناها وابنها آية) علامة وعبرة (للعالمين) لبني اسرائيل ولدا بلا أب وولادة بلا مس
(ان هذه أمتكم أمة واحدة) دينكم دين واحد مرضي (وأنا ربكم) رب واحد (فاعبدون) أطيعون (وتقطعوا أمرهم بينهم)
تفرقوا فيما بينهم في دينهم يعني اليهود والنصارى والمجوس (كل) كل فرقة (الينا

ونصب المؤمنين بالنجاء لكن فيه اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول لايجوز وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات وقيل أصله ننجي من التنجية فحذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت احدى التاءين فى تنزل الملائكة (وزكريا اذ نادى ربه رب لاتذرنى فردا) سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولايدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره الى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) أى فان لم ترزقنى من يرثنى [illegible] أى باق (فاستجبنا له ووهبنا له يحيي) ولدا (وأصلحنا له زوجه) جعلناها صالحة للولادة بعد العقار أى بعد عقرها أو حسنة وكانت سيئة الخلق (انهم) أى الانبياء المذكورين (كانوا يسارعون فى الخيرات) أى انهم انما استحقوا الاجابة الى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم فى تحصيلها (ويدعوننا رغبا ورهبا) أى

وقرأ ابن عامر وابوبكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجى فحذفت النون [illegible] التاء الثانية فى تظاهرون وهى وان كانت فاء فحذفها اوقع من حروف المضارعة [illegible] ولايقدح فيه اختلاف حركتى النونين فان الداعى الى الحذف اجتماع المثلين [illegible] الادغام وامتناع الحذف فى تجافى خوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى [illegible] المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لايسند الى المصدر والمفعول مذكور و[illegible] لايسكن آخر ﴿ وزكريا اذ نادى ربه رب لاتذرنى فردا ﴾ وحيدا بلا و[illegible] ﴿ وانت خير الوارثين ﴾ فان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى به ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له [illegible] واصلحنا له زوجه ﴾ اى اصلحناها للولادة بعد عقرها أو لزكريا بتحسين خلقها وكا[illegible] حردة ﴿ انهم ﴾ يعنى المتوالدين أو المذكورين من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ كا[illegible] يسارعون [illegible] ﴾ يبادرون الى ابواب الخيرات ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا

[illegible] فان قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة من أجاز وقوع الذنب من الانبياء منها [illegible] اذهب مغاضبا ومنها فظن أن لن نقدر عليه ومنها قوله انى كنت من الظالمين [illegible] الجواب الكلى فقد اختلفوا فى هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة أم لا فقال [illegible] [illegible] رسالته بعد ان أخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى فى الصافات [illegible] خروجه وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فثبت بهذا أن هذه الواقعة كانت قبل [illegible] وقد أجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح [illegible] التفصيلى قوله اذهب مغاضبا فحمله على انه لقومه أو للملك أولى بحال الانبياء [illegible] فظن أن لن نقدر عليه [illegible] أن لن نضيق عليه [illegible] ذلك أن يونس ظن انه مخير شاء أقام وان شاء خرج وان الله تعالى لا يضيق عليه فى اختياره وقيل هو من القدر لا من [illegible] وأما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ فى غير موضعه وهذا اعتراف [illegible] بذنبه فاما أن يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه أو لضعفه عما حمله [illegible] على قومه وفى هذه الاشياء ترك الافضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كا[illegible] رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون [illegible] [illegible] تقدم من التفصيل [illegible] قوله عز وجل ﴿ وزكريا اذ نادى ربه ﴾ أى دعا ربه فقال ﴿ رب لاتذرنى فردا ﴾ أى وحيدا لا ولد لى يسعدنى وارزقنى وارثا ﴿ وأنت خير الوارثين ﴾ هو ثناء على الله بانه الباقى بعد فناء الخلق و[illegible] الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وأنت خير الرازقين ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ﴾ أى ولدا ﴿ وأصلحنا له زوجه ﴾ أى جعلناها ولودا بعدما كانت عقيما [illegible] فأصلحها الله تعالى له بأن رزقها حسن الخلق ﴿ انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ﴾ [illegible] ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ يعنى انهم ضموا الى فعل الطاعة أمرين أحدهما [illegible]

(وزكريا) واذكر يا محمد زكريا (اذ نادى) دعا (ربه رب لاتذرنى) لاتتركنى (فردا) وحيدا بلا معين (وأنت خير الوارثين) المعينين (فاستجبنا له) الدعاء (ووهبنا له يحيي) ولدا صالحا (وأصلحنا له زوجه) بالولد (انهم) يعنى الانبياء ويقال زكريا ويحيي (كانوا يسارعون فى الخيرات) يبادرون الى الطاعات (ويدعوننا رغبا ورهبا) (لمكان

بطن الحوت (فظن أن لن نقدر) نضيق (عليه) وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه دخل يوما على معاوية فقال لقد
نى أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسى خلاصا الا بك قال وماهى
[يا معا]وية فقرأ الآية فقال
أويظن نبى الله أن لايقدر
عليه قال هذا من القدر
لامن القدرة (فنادى فى
الظلمات) أى فى الظلمة
الشديدة المتكاثفة فى بطن
الحوت كقوله ذهب الله
بنورهم وتركهم فى ظلمات
أو ظلمة الليل والبحر وبطن
الحوت (أن) أى بأنه
(لا اله الا أنت) أو بمعنى
أى (سبحانك انى كنت من
الظالمين) لنفسى فى خروجى
من قومى قبل أن تأذن لى
فى الحديث مامن مكروب
يدعو بهذا الدعاء الا
استجيب له وعن الحسن
مانجاه والله الا اقراره على
نفسه بالظلم (فاستجبناله
ونجيناه من الغم) غم الزلة
والوحشة والوحدة
(وكذلك نجى المؤمنين)
اذا دعونا واستغاثوا بنا نجى
شامى وأبو بكر بادغام
النون فى الجيم عند
البعض لان النون لاتدغم
فى الجيم وقيل تقديره نجى
النجاء المؤمنين فسكن الياء
تخفيفا وأسند الفعل الى المصدر.

[ي]وق العذاب عندها وقرئ مغضبا ﴿ فظن ان لن نقدر عليه ﴾ لن نضيق عليه
[أو] لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا
[و]قيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار
[لأ]مرنا أو خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمى ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب
[ع]لى البناء للمفعول وقرئ به مثقلا ﴿ فنادى فى الظلمات ﴾ فى الظلمة الشديدة المتكاثفة
[أو] ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ﴿ ان لا اله الا انت ﴾ بانه لا اله الا انت ﴿ سبحانك ﴾
[م]ن ان يعجزك شئ ﴿ انى كنت من الظالمين ﴾ لنفسى بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبى
[ص]لى الله عليه وسلم مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ﴿ فاستجبناله ونجيناه
[م]ن الغم ﴾ بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فى بطنه وقيل ثلاثة ايام
[و]الغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة ﴿ وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ من غموم دعوا الله فيها
[با]لاخلاص وفى الامام نجى فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم

[...]ت الحمل الثقيل فقذفها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من أولى العزم
[م]ن الرسل وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل
[و]قال ولاتكن كصاحب الحوت وقوله ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ أى ان لن نقضى
[عل]يه العقوبة قاله ابن عباس فى رواية عنه وقيل معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس
[وق]يل معناه فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستزله
[ال]شيطان حتى ظن ان لن يقدر عليه وكان له سلف وعبادة أبى الله أن يدعه للشيطان
[فق]ذفه فى بطن الحوت فمكث فيه أربعين مابين يوم وليلة وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثة
[وق]يل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه وراجع نفسه
[فى] بطن الحوت ﴿ فنادى فى الظلمات ﴾ أى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت
﴿ أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ﴾ أى حيث عصيتك وماصنعت
[من] شئ فلم أعبد غيرك فاخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى أبو هريرة مرفوعا
[قا]ل أوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولاتخدش له لحما ولاتكسر له عظما فأخذه
[ثم] اهوى به الى مسكنه فى البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال
[فى] نفسه ماهذا فاوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو فى بطن الحوت
[فسم]عت الملائكة تسبيحه فقالوا ياربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفى رواية صوتا
[معر]وفا من مكان مجهول فقال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فقالوا
[الع]بد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له
[عند] ذلك فامر الحوت فقذفه فى الساحل فذلك قوله تعالى ﴿ فاستجبناله ونجيناه من الغم ﴾
[أى] من تلك الظلمات ﴿ وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ أى من الكروب اذا دعونا واستغاثوا

(فظن) يعنى فحسب (أن لن
نقدر عليه) بالعقوبة (فنادى
فى الظلمات) فى ظلمة البحر
[و]امعاء السمك وظلمة بطنها (أن لا اله الا أنت سبحانك) تبت اليك (انى كنت من الظالمين) على نفسى حيث غضبت
[على قو]مك (فاستجبناله) الدعاء (ونجيناه من الغم) من غم الظلمات (وكذلك) هكذا (ننجى المؤمنين) عند الدعاء

التكاليف وشدائد النوائب ﴿ وادخلناهم في رحمتنا ﴾ يعني النبوة أو نعمة الآخرة ﴿ انهم من الصالحين ﴾ الكاملين في الصلاح وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد ﴿ وذا النون ﴾ وصاحب الحوت يونس بن متى ﴿ اذ ذهب مغاضبا ﴾ لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوف

واذاقت جحدوني قال فانطلق فاذا جلست فأتني وفاته القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لاتدعن احدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة نام فجاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يافلان ألم آمرك قال أما من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال أتنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعييتني وفعلت مافعلت لاغضبك فعصمك الله فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا ﴿ وأدخلناهم في رحمتنا ﴾ يعني ماأنعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه في الجنة من الثواب ﴿ انهم من الصالحين ﴾

﴿ قوله عزوجل ﴿ وذا النون ﴾ اى واذكر صاحب الحوت أضيف الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى ﴿ اذ ذهب مغاضبا ﴾ قال ابن عباس في رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي منهم سبطان ونصف فاوحى الله الى شعياء النبي أن سر الى حزقيل الملك وقل له يوجه نبيا قويا فانى ألقي في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء قال يونس انه قوي أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال يونس هل الله أمرك باخراجي قال لا قال فهل سماني الله لك قال لا قال فههنا غيري أنبياء أقوياء فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك وقومه وأتى بحر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه لما كشف عنهم العذاب بعدما وعدهم وكره أن يكون بين اظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه انهم يقتلون من جربوا عليه الكذب [illegible] أن يقتلوه مالم يأتهم العذاب للميعاد فذهب مغاضبا وقال ابن عباس أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى فأنذرهم فقال التمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع

([illegible]) نبوتنا او النعمة في الآخرة (انهم من الصالحين) أي ممن لايشوب صلاحهم كدر الفساد (وذا النون) أي اذكر صاحب الحوت والنون الحوت فاضيف اليه (اذ ذهب مغاضبا) حال أي مراغما لقومه ومعنى مغاضبته لقومه انه أغضبهم [illegible] حلول العقاب عليهم عندها روى انه برم بقومه لطول ماذكرهم فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله الاغضبا لله وبغضا للكفر وأهله وكان عليه ان يصابر و ينتظر الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم

الله والمرازي (وأدخلناهم) ندخلهم في الآخرة (في رحمتنا) اي جنتنا (انهم من الصالحين) من المرسلين غير ذي الكفل لانه كان رجلا صالحا ولم يكن نبيا (وذا النون) واذكر صاحب الحوت يعني يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) مصارما من الملك

(تحت)

رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ رحمة لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا
صبر فيثابوا كما أثيب أو لرحمتنا للعابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم ﴿ واسمعيل
وادريس وذا الكفل ﴾ يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمى به لانه كان ذا حظ
من الله تعالى أو تكفل منه أو له ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب
والكفالة والضعف ﴿ كل ﴾ كل هؤلاء ﴿ من الصابرين ﴾ على مشاق

من بركاة ربي ولا أشبع من بركاته (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثي في
ثوبه فناداه ربه يا أيوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يارب ولكني لاغنى لي عن
بركتك وقيل آتى الله أيوب مثل أهله الذين هلكوا قال عكرمة قيل لايوب ان أهلك
في الآخرة فان شئت عجلناهم لك في الدنيا وان شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم
في الدنيا فقال بل يكونون لي في الآخرة وأوتي مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى
الآية وآتيناه اهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالاهل الاولاد ﴿ رحمة
من عندنا ﴾ أي نعمة ﴿ وذكرى للعابدين ﴾ أي عظة وعبرة لهم ❊ قوله عز وجل
﴿ واسمعيل ﴾ هو ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم ﴿ وادريس ﴾ هو اخنوخ ﴿ وذا الكفل
كل من الصابرين ﴾ لما ذكر الله أمر أيوب وصبره على البلاء أتبعه بذكر هؤلاء
الانبياء لانهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضا أما اسمعيل صلى الله عليه وسلم
فانه صبر على الانقياد الى الذبح وأما ادريس فقد تقدمت قصته وأما ذو الكفل فاختلفوا فيه
فقيل ان نبيا من بني اسرائيل وكان ملكا أوحى الله اليه انى اريد قبض روحك فاعرض ملكك
على بني اسرائيل فمن تكفل انه يصلي الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي بين
الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا
فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال اني أستخلف
رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي انظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من
يتقبل مني ثلاثا أستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضي ولا يغضب فقام رجل
تزدريه العين فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الآخر فسكت الناس
وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ
مضجعه للقائلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا
فقال شيخ كبير مظلوم فقال ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني
وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى ذهبت القائلة فقال اذا رحت فائتني حتى
آخذ حقك فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه
فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وقال
وأخذ مضجعه دق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال له ألم أقل
اذا قعدت فأتني قال انهم أخبث قوم اذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك

معهم (رحمة من عندنا) هو مفعول له (وذكرى للعابدين) يعني رحمة لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه (واسمعيل) بن ابراهيم (وادريس) بن شيث بن آدم (وذا الكفل) أي اذكرهم وهو الياس أو زكريا أو يوشع بن نون وسمي به لانه ذو الحظ من الله والكفل الحظ (كل من الصابرين) أي هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر

(رحمة) نعمة (من عندنا وذكرى للعابدين) عظة للمؤمنين (واسمعيل وادريس) واذكر اسمعيل وادريس (وذا الكفل كل من الصابرين) على أمر

بلائي مدة رخائي ﴿ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر ﴾ بالشفاء من مرضه ﴿ وآتيناه اه
ومثلهم معهم ﴾ بان ولد له ضعف ما كان أو احيي ولده وولد له منهم نوافل

الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدي لي سجدة واحدة حتى ارد علي
المال والولد واعافي زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراها قال لقد ا
عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذ
مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياها واياي الى الكفر ثم ان الله ت
رحم رحمة امرأة ايوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها واراد ان يبر يمين ايو
فامره ان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما ق
مسني الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يفتر عن الذكر والفكر وقيل
يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة اشياء احدها ما قيل في حقه لو كان لك عند الله م
ما اصابك هذا والثاني ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها فأتته بطع
والثالث قول ابليس اني أداويه على أن يقول أنت شفيتني وقيل مسني الضر أي
شماتة الاعداء حتى روى انه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك قال شما
الاعداء • فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله مسني الض
وقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب • قلت ليس هذا شكاية وانما هو دعاء بدلي
قوله تعالى فاستجبنا له والشكوى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقو
انما أشكو بثي وحزني الى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى الى النا
وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روى ان جبريل عليه السلام دخ
على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال أجدني مغموما وأجد
مكروبا وقال لعائشة حين قالت وارأساه بل أنا وارأساه * قوله تعالى ﴿ فاستجبنا له
أي اجبنا دعاءه ﴿ فكشفنا ما به من ضر ﴾ وذلك انه قال له اركض برجلك فركض
برجله فنبعت عين ماء فامره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره
مشى أربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض مرة أخرى ففعل فنبعت عين م
بارد فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كا
﴿ وآتيناه أهله ومثلهم معهم ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين رد ا
اليه اهله واولاده باعيانهم احياهم الله واعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ا
عباس رواية أخرى ان الله رد الى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقي
كان له سبع بنين وسبع بنات وعن انس يرفعه انه كان له أندران أندر للقمح واند
للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الاخر
على أندر الشعير الورق حتى فاضا وروى ان الله تعالى بعث اليه ملكا وقال له ان ربك يقر
السلام بصبرك فاخرج الى اندرك فخرج اليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فذهب
واحدة فاتبعها وردها الى أندره فقال له الملك ما يكفيك ما في أندرك فقال هذه بر

(فاستجبنا له) أجبنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر) فكشفنا ضره انعاما عليه (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روى ان أيوب عليه السلام كان روميا من ولد اسحق بن ابراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله عز وجل فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده باعيانهم ورزقه مثلهم

فاستجبنا له) الدعاء (فكشفنا) فرفعنا (ما به من ضر) من شدة (وآتيناه) أعطيناه (أهله) في الجنة الذين هلكوا في الدنيا (ومثلهم معهم) ولدا في الدنيا مثل ماهلكوا في الدنيا

ن مسنى الضر ﴾ بانى مسنى الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر
الفتح شائع فى كل ضرر وبالضم خاص بما فى النفس كمرض وهزال ﴿ وانت ارحم
لراحمين ﴾ وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض
لمطلوب لطفا فى السؤال وكان روميا من اولاد عيص بن اسحق واستنبأه الله واكثر اهله
وماله فابتلاه ربه بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض فى بدنه ثمانى
عشرة سنة اوثلاث عشرة سنة اوسبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روى ان امرأته
ماخير بنت ميشا بن يوسف اورحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لودعوت الله
فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة

(اجلدنك مائة جلدة امرتنى ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك الذى تأتينى به على حرام
ان اذوق منه شيأ اعزبى دعينى فلا اراك فطردها فذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده طعام
ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب ﴿ انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾
فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء
فاغتسل منها فلم يبق عليه من درنه ودائه شئ ظاهر الاسقط وعاد شبابه وجماله احسن
ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الاخرج فقام
صحيحا وكسى حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان عليه وما كان له من اهل ومال الاوقد
ضعفه الله له وذكر لنا ان الماء الذى اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل
يضمه بيده فأوحى الله اليه ياايوب ألم اغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال
فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان طردنى الى من
اكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتأكله السباع لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة
رأت ولا تلك الحالة التى كانت تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت
تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وذلك بعينى
ايوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأله عن أيوب فدعاها وقال ماتريدين ياأمة الله
فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على الكناسة لاأدرى أضاع أم ما فعل به
قال أيوب ما كان منك فبكت وقالت بعلى فقال هل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى
على أحد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهى تهابه ثم قالت أما انه أشبه خلق الله بك اذ كان
صحيحا قال فانى انا ايوب الذى امرتنى أن اذبح سخلة لابليس وانى اطعت الله وعصيت
الشيطان ودعوت الله فرد على ماترين وقال وهب لبث ايوب فى البلاء ثلاث سنين فلما
غلب ايوب ابليس ولم يستطع منه شيأ اعترض امرأته فى هيئة ليست كهيئة بنى آدم
فى العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء فقال لها انت
صاحبة ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفينى قالت لا قال انا اله الارض وانا الذى
صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركنى فاغضبنى ولو سجد لى سجدة واحدة
رددت عليك وعليه كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندى ثم اراها اياه ببطن الوادى

انى) اى دعا بانى (مسنى الضر) الضر بالفتح الضرر فى كل شئ وبالضم الضرر فى النفس من مرض او هزال (وانت ارحم الراحمين) الطف فى السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الراحة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكأنه قال انت اهل ان ترحم وأيوب اهل ان يرحم فارحمه واكشف عنه الضر الذى مسه عن انس رضى الله عنه اخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض الى الصلاة ولم يشتك وكيف يشكو من قيل له انا وجدناه صابرا نعم العبد وقيل انما شكا اليه تلذذا بالنجوى لامنه تضررا بالشكوى والشكاية اليه غاية القرب كما ان الشكاية منه غاية البعد

(أنى مسنى الضر) انى أصابتنى الشدة فى جسدى فارحمنى ونجنى (وأنت أرحم الراحمين

والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته
كلام كثير يدل على آثار قدرته ذكرها ايوب فقال ايوب صغر شأني وكل لساني وعقلي ورأ
وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي يعرض على الهي قد علمت ان كل الذي قد ذكرت ص
يديك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شئ ولا تخ
عليك خافية الهي أوثقني البلاء فتكلمت ولم أملك نفسي فكان البلاء هو الذي انطق
ليت الارض انشقت بي فذهبت فيها ولم اتكلم بشئ يسخطك ربي وليتني مت بغمي
أشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت بعذري وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت م
فلن أعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي أعوذ بك
اليوم منك واستجير بك من جهد البلاء فاجرني واستغيث بك من عقابك فاغث
واستعينك على أمري فاعني وأتوكل عليك فاكفني وأعتصم بك فاعصمني واستغفر
فاغفر لي فلن أعود لشئ تكرهه مني قال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رح
غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آ
وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب
فيه تناول وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك روى عن أنس
يرفعه أن أيوب لبث ببلائه ثماني عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقا
كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين
وأشهرا يختلف فيه الدود لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بالطعا
وتحمد الله معه اذا حمد وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ
ابليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما أحزنك قا
أعياني هذا العبد الذي لم أدع له مالا ولا ولدا ولم يزدد الا صبرا ثم سلطت على جسد
فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا تقربه الا امرأته فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا ل
فأين مكرك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فاشيروا علي قالوا من أين
أتيت آدم حين أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته
فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس يقربه أحد غيرها قال أصبتم فانطلق ابليس حتى أتى
رحمة امرأة أيوب وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل وقال لها أين بعلك يا أمة الله
قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الديدان في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع
فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو
فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا فصرخت فعلم انها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال
ليذبح لي هذه ايوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك ربك اين المال اين الولد اين
الصديق اين لونك الحسن أين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب اتاك
عدو الله فنفخ فيك ويلك ارأيت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه قالت
الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا قالت مذ سبع سنين وأشهر قال ويلك
ما انصفت ربك ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني

﴿ لاجلد ﴾

أيوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب الصغير والكبير فاذا نبتت
القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا طول التجربة
ذا جعل الله العبد حكيما فى الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه
الى عليه نور الكرامة ثم أقبل أيوب على الثلاثة وقال أتيتمونى غضابا رهبتم قبل ان
ترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بى لو قلت تصدقوا عنى باموالكم لعل الله ان
لصنى أو قربوا عنى قربانا لعل الله ان يقبله ويرضى عنى وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم
كم قد عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم
وبا قد سترها الله تعالى بالعافية التى ألبسكم وقد كنتم فيما خلا توقروننى
نا مسموع كلامى معروف حقى منتصف من خصمى فاصبحت اليوم وليس لى رأى ولا
م معكم فأنتم كنتم أشد على من مصيبتى ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه
متغيثا به متضرعا اليه فقال يارب لاى شئ خلقتنى ليتنى اذ كرهتنى لم تخلقنى ياليتنى
رفت الذنب الذى أذنبت والعمل الذى عملت فصرفت وجهك الكريم عنى لو كنت
تنى فالحقتنى بآبائى فالموت كان أجمل بى ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم
ليا وللارملة قيما الهى أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمن لك وان أسأت فبيدك عقوبتى
علتنى للبلاء غرضا وللفتنة نصيبا وقد وقع على من البلاء مالو سلطته على جبل لضعف عن
له فكيف يحمله ضعفى وان قضاءك هو الذى أذانى وان سلطانك هو الذى أسقمنى وانحل
سمى ولو ان ربى نزع الهيبة التى فى صدرى وأطلق لسانى حتى أتكلم بملء فى فادلى بعذرى
تكلم ببراءتى وأخاصم عن نفسى لرجوت أن يعافينى عند ذلك مما بى ولكنه ألقانى وتعالى عنى
و يرانى ولا أراه ويسمعنى ولا أسمعه فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى
ن أصحابه انه عذاب ثم نودى يا أيوب ان الله يقول ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك
يبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد ازارك وقم مقام جبار
اصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغى ان يخاصمنى الا جبار مثلى لقد منتك نفسك يا أيوب
راما يبلغ لمثله مثلك أين أنت منى يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معى
باطرافها هل علمت باى مقدار قدرتها أم على أى شئ وضعت اكنافها أبطاعتك حمل
ء الارض أم بحكمتك كانت الارض للماء غطاء اين كنت منى يوم رفعت السماء سقفا فى
هواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك ان تجرى نورها
تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها أين كنت منى يوم انبعت الانهار وسكبت
بحار أبسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك فتحت الارحام حين
بلغت مدتها أين كنت منى يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل تدرى على
ى شئ أرسيتها أم باى مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها أم هل تدرى من أين
اء الذى أنزلت من السماء أم هل تدرى من أى شئ انشأت السحاب أم هل تدرى أين
خزانة الثلج أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل وأين خزانة
ريح وباى لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول فى أجواف الرجال وشق الاسماع

وأبصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله وهو أعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهى انما هون على أيوب المال والولد انه يرى انك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطى على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله أعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به فى الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه فنفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وتقطع وتغير وأنتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهى رحمة بنت افرثيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما رأى الثلاثة من أصحابه ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليه أصحابه فبكتوه ولاموه وقالوا تب الى الله من الذنب الذى عوقبت به قال وحضر معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم الفتى انكم تكلمتم أيها الكهول وأنتم أحق بالكلام منى لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو أحسن من الذى قلتم ومن الرأى أصوب من الذى رأيتم ومن الامر أجمل من الذى أتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والزمام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم واتهمتم ألم تعلموا ان أيوب نبى الله وصفوته وخيرته من أهل الارض الى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه سخط شيأ من أمره منذ آتاه الله ما آتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيأ من الكرامة التى أكرمه الله بها ولا ان أيوب قال على الله غير الحق فى طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى أزرى به عندكم ووضعه فى أنفسكم فقد علمتم ان الله يبتلى المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاولئك دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة الا انه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم ان يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكى ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول وقد كان فى عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان لله عبادا أسكتتهم الخشية من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الالباء العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لامر الله واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون أنفسهم من الظالمين والخاطئين وانهم لانزاه برآء ومع المقصرين المفرطين وانهم لاكياس أقوياء

(قال)

حرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس فى صورة قيم ممن كانوا
لها على قعود الى أيوب فوجده قائما يصلى فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت ابلك
أحرقتها ومن فيها غيرى فقال أيوب بعد ان فرغ من الصلاة الحمد لله هو أعطانيها
هو أخذها وانها مال الله أعارنيها وهو أولى بها اذا شاء نزعها قال فتركت الناس مبهوتين
مجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول
كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذى فعل ما فعل
شمت به عدوه ويفجع صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطانى وحين نزع منى عريانا
خرجت من بطن أمى وعريانا أعود الى التراب وعريانا أحشر الى الله عز وجل ليس
ينبغى لك أن تفرح حين أعارك وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو
علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك
شرا فأخرك فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال ما عندكم من القوة فانى لم أكلم قلبه
قال عفريت من الجن عندى من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت
روحه قال ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطتها ثم صاح صيحة فتجثمت
أمواتا من عند آخرها ومات رعاتها فجاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى أيوب فوجده
يصلى فقال له مثل القول الاول فرد عليه أيوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى أصحابه
فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت عندى من القوة ما اذا
شئت تحولت ريحا عاصفة تنسف كل شئ تأتى عليه قال فأت الفدادين فى الحرث والزرع
فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادون فى الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح
عاصفة فنسفت كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمانهم الى أيوب
وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل ابليس
يصيب ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى الى هلاك مال من أمواله حمد الله
وأحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر والبلاء حتى لم يبق له مال فلما
رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم تنجح منه بشئ صعد سريعا حتى وقف فى الموقف الذى
يقف فيه وقال الهى ان أيوب يرى انك ما متعته بولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلطى
على ولده فانها المصيبة التى لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك
على ولده فانقض عدو الله حتى أتى بنى أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى
تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا يرميهم بالخشب والحجارة فلما
مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه عليهم وصاروا منكسين وانطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم
الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فاخبره وقال لو رأيت بنيك
كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم ولو رأيت
كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق
أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال ياليت أمى لم تلدنى فاغتنم
ابليس ذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب ان فاء

﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ ان يزيغوا عن امره أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلة
﴿ وايوب اذ نادى ربه

الآية ويتجاوزون في ذلك الى أعمال المدن والقصور والصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك ﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ أي حتى لا يخرجوا عن أمره وقيل حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا في النهار وفرغ قبل الليل أفسدوه خربوه قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع أنسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه * قوله تعالى ﴿ وأيوب اذ نادى ربه ﴾ أي دعا ربه

﴿ ذكر قصة أيوب عليه السلام ﴾

قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط له الدنيا وكانت له البثنية من أرض البلقاء من أعمال خوارزم مع أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل له آلة كل فدان أتان لكل أتان من الولد اثنان أو ثلاثة أو أربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من أمر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له النغر وقيل نغير ورجلان من أهل بلده يقال لاحدهما تلدد والآخر صافر وكان لهؤلاء مال وكان ابليس لا يحجب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استراق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فادرك ابليس الحسد والبغي فصعد سريعا حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال الهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شئ آتي عليه قال ابليس اذهب فأتى الابل ورعاتها فأتى الابل حين وضعت رؤسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار

(وكنا لهم حافظين) ان يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه (وأيوب أي واذكر أيوب (اذ نادى ربه

(وكنا لهم) للشياطين (حافظين) من أن يهيجوا أحد على أحد في زمانه (وأيوب) واذكر أيوب (اذ نادى ربه) دعا ربه

﴿وكنا بكل شئ عالمين﴾ فنجريه على ماتقتضيه الحكمة ﴿ومن الشياطين من يغوصون له﴾ في البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح أو مبتدأ خبره ماقبله وهى نكرة موصوفة ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل

وأصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام ﴿وكنا بكل شئ عالمين﴾ أى بصحة التدبير فيه وعلمنا ان مايعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه خلقت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرأ غزاء قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الارض بملك الا أتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه مايريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهرا فى روحته وشهرا فى غدوته الى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فاتحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذى طائرا قال وهب ذكر لى ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان امامن الانس اومن الجن نحن نزلناه ومابنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فنازلون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لاتقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبى الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا ومنها أسرع الريح تجرى بامره كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه ببابل وروى ان سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجاوزها وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفى ذلك يقول النابغة

الا سليمان اذ قال المليك له ٭ قم فى البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجن انى قد أذنت لهم ٭ يبنون تدمر بالصفاح والعمد

٭ قوله عز وجل ﴿ومن الشياطين﴾ أى وسخرنا له من الشياطين ﴿من يغوصون له﴾ أى يدخلون تحت الماء فيخرجون من قعر البحر الجواهر ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ أى دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل

(وكنا بكل شئ عالمين) وقد أحاط علمنا بكل شئ فنجرى الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا (ومن الشياطين) أى وسخرنا منهم (من يغوصون له) فى البحار بامر لاستخراج الدر ومايكون فيها (ويعملون عملا دون ذلك) أى دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان

(وكنا بكل شئ) سخرناله (عالمين ومن الشياطين) سخرنا من الشياطين (من يغوصون له) لسليمان البحر فيخرجون من البحر الجواهر (ويعملون عملا) من البنيان (دون ذلك) دون الغواصة

الحكم (وسخرنا) وذللنا (مع داود الجبال يسبحن) وهو حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلا قال كيف سخر
فقال يسبحن (والطير) معطوف على الجبال أو مفعول معه وقدمت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها أعـ
وأغرب وأدخل فى الاعجاز لانها جماد روى أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهى تجا
وقيل كانت تسير معه حيث سار (وكنا فاعلين) بالانبياء مثل ذلك وان كان عجبا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أى عمل اللبوس والدروع واللبوس اللباس والمراد الدرع (لتحصنكم) شامى وحفص أى الصنعة وبالنون أبو بكر وحماد أى الله عز وجل وبالياء غيرهم أى اللبوس أو الله عز وجل (من بأسكم) من حرب عدوكم (فهل أنتم شاكرون) استفهام بمعنى الامر أى فاشكروا الله على ذلك (ولسليمان الريح) أى وسخرنا له الريح (عاصفة) حال أى شديدة الهبوب ووصفت فى موضع آخر بالرخاء لانها تجرى باختياره فكانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفة لهبوبها على حكم ارادته (تجرى بامره) بامر سليمان (الى الارض التى باركنا فيها) بكثرة الانهار والاشجار والثمار والمراد الشام وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحى الارض اليها

(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) مع داود اذا سبح (والطير) أيضا (وكنا فاعلين) أنا فعلنا ذلك بهم (وعلمناه صنعة لبوس) يعنى الدروع (لكم لتحصنكم) تمنعكم وأصحابه (من بأسكم) من سلاح عدوكم (فهل أنتم شاكرون) نعمته بالدروع (ولسليمان) وسخرنا لسليمان (الريح عاصفة) قاصفة شديدة تجرى بامره) بامر الله ويقال بامر سليمان من اصطخر (الى الارض التى باركنا فيها) بالماء والشجر وهى الارض المقدسة والاردن وفلسط

عليه فى صغره ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن﴾ يقدسن الله معه اما بلسان الحال أو بصوت يتمثل له أو بخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال أو استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا أو يسبحن ﴿والطير﴾ عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف ﴿وكنا فاعلين﴾ لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم ﴿وعلمناه صنعة لبوس﴾ عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس قال

البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسها

قيل كانت صفائح فحلقها وسردها ﴿لكم﴾ متعلق بعلم أو صفة للبوس ﴿ليحصنكم من بأسكم﴾ بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود عليه السلام أو للبوس وفى قرءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع وفى قراءة ابى بكر ورويس بالنون لله عز وجل ﴿فهل انتم شاكرون﴾ ذلك امر اخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ﴿ولسليمان﴾ وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفى الاول امر يظهر فى الجبال والطير مع داود بالاضافة اليه ﴿الريح عاصفة﴾ شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه فى مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته ﴿تجرى بامره﴾ بمشيئته حال ثانية أو بدل من الاولى أو حال من ضميرها ﴿الى الارض التى باركنا فيها﴾ الى الشام رواحا بعد ما سار به منه بكرة

أخرجاه فى الصحيحين * قوله تعالى ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ أى يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط فى التسبيح ويشتاق اليه ﴿وكنا فاعلين﴾ يعنى ما ذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾ أى صنعة الدروع التى تلبس فى الحرب قيل أول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله ألان الحديد لداود بان يعمل منه بغير نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى ﴿لتحصنكم﴾ أى تمنعكم ﴿من بأسكم﴾ أى حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله به ﴿فهل انتم شاكرون﴾ أى يقول ذلك لداود وأهل بيته * قوله عز وجل ﴿ولسليمان الريح﴾ أى وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف ممتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه ﴿عاصفة﴾ أى شديدة الهبوب * فان قلت قد وصفها الله بالرخاء وهى الريح اللينة * قلت كانت الريح تحت أمره ان أراد أن تشد اشتدت وان أراد أن تلين لانت ﴿تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها﴾ يعنى الشام وذلك لانها كانت تجرى بسليمان

قومون عليه حتى يعودالى ما كان ثم يترادان ولعلهما قالااجتهادا والاول نظير قول
بى حنيفة فى العبدالجانى والثانى مثل قول الشافعى بغرم الحيلولة فى العبدالمغصوب اذا ابق
حكمه فى شرعنا عندالشافعى وجوب ضمان المتلف بالليل اذالمعتاد ضبط الدواب ليلا
كذلك قضى النبى صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقةالبراء حائطا وافسدته فقال على اهل
لاموال حفظهابالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابى حنيفة لاضمان الاان
كون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار ﴿ وكلا آتينا حكما وعلما ﴾
ليل على ان خطأ المجتهد لايقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو يخالف مفهوم
وله ففهمناها ولولاالنقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ماتفضل

لقضية ﴿ وكلا ﴾ يعنى داود وسليمان ﴿ آتيناحكماوعلما ﴾ أى بوجوه الاجتهادوطرق
لاحكام قال الحسن لولاهذه الآية لرأيت الحكام قدهلكوا ولكن الله حمدهذابصوابه
أثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء فى أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص وكذلك
حكم سليمان فقال بعضهم حكمابالاجتهاد قال ويجوز الاجتهادللانبياء ليدركواصواب
لمجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد فى الحوادث اذالم يجدوافيهانص كتاب أوسنة واذا أخطؤا
فلاائم عليهم (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذاحكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله أجران واذاحكم فاجتهدفاخطأ فله أجر وقال قوم
ن داود وسليمان حكمابالوحى فكان حكم سليمان ناسخالحكم داود ومن قال بهذا يقول
لايجوز للانبياء الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عنه بالوحى واحتج من ذهب الى أن كل
مجتهدمصيب بظاهر هذه الآية وبالحديث حيث وعدالثواب للمجتهدين على الخطأ
هوقول أصحاب الرأى وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبابل اذااختلف اجتهاد
لمجتهدين فى حادثة كان الحق مع واحد لابعينه ولوكان كل واحد مصيبالم يكن للتقسيم
معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذااجتهد فاخطأ فله أجر لم يرد به انه يؤجر على الخطأ بل
أجر على اجتهاده فى طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم فى الخطأ عنه موضوع اذالم
أل جهدا ووجه الاجتهاد فى هذا الحكم ان داود قوم قدر الضر فى الحرث فكان مساويا
قيمة الغنم وكان عنده الواجب فى ذلك الضرر فى الحرث قيمة المثل فلاجرم سلم الغنم
لى المجنى عليه وأماسليمان فان اجتهاده أدى الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد
الزوائد فامامقابلة الاصول بالزوائدفغير جائزة ولعل منافع الغنم فى تلك السنة كانت موازية
نافع الحرث فحكم به ☼ ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ماروى عن أبى هريرة
ضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت أمرأتان معهما ابناهما
جاء الذئب فذهب بابن احديهما فقالت لصاحبتها انماذهب بابنك وقالت الاخرى انما
هب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال
تونى بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لاتفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى

والصلح خير (وكلا) من داود
وسليمان (آتينا حكما)
نبوة (وعلما) معرفة بموجب

والحكم (وكلا) داود وسليمان
(آتينا) أعطينا (حكما)
فهما (وعلما) نبوة

كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين) صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم (وداود وسليمان) أي واذكرهما (اذ) بدل
(يحكمان في الحرث) في الزرع أو الكرم (اذ) ظرف ليحكمان (نفشت) دخلت (فيه غنم القوم) ليلا فأكلته وأفسدته وا
انتشار الغنم ليلا بلا راع (وكنا لحكمهم) أرادهما والمتحاكمين اليهما (شاهدين) أي

ذلك بعلمنا ومرأى منا (ففهمناها) أي الحكومة أو الفتوى (سليمان) وفيه دليل على ان الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه وقصته ان الغنم رعت الحرث وأفسدته بلا راع ليلا فتحاكما الى داود فحكم بالغنم لاهل الحرث وقد استوت قيمتاهما أي قيمة الغنم كانت على قدر النقصان من الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها وأولادها وأصوافها والحرث الى رب الغنم حتى يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ماقضيت وأمضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان في شريعتهم فامافي شريعتنا فلا ضمان عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم بالليل أو بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق أو قائد وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان بالليل وقال الجصاص انما ضمنوا لانهم أرسلوها أو نسخ الضمان بقوله عليه السلام العجماء جبار وقال مجاهد كان هذا صلحا وما فعله داود كان حكما ﴿ القضية

كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين ﴾ لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر فانهم لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله تعالى ﴿ وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث ﴾ في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده ﴿ اذ نفشت فيه غنم القوم ﴾ رعته ليلا ﴿ وكنا لحكمهم شاهدين ﴾ لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما عالمين ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ الضمير للحكومة أو للفتوى وقرئ فافهمناها روى ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم

كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين ﴾ قوله عز وجل ﴿ وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث ﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو أشبه بالعرف ﴿ اذ نفشت فيه غنم القوم ﴾ أي رعته ليلا فافسدته وكانت بلا راع ﴿ وكنا لحكمهم شاهدين ﴾ أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بان أقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت فيه فافسدته فلم تبق منه شيأ فاعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروى انه قال غير هذا أرفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضي ويروى انه قال له بحق النبوة والابوة الا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ماقضيت وحكم بذلك فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك من العمر احدى عشرة سنة وحكم الاسلام في هذه المسئلة ان ما أفسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما أفسدته بالليل ضمنه ربها لان في عرف الناس ان أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه المسئلة ماروى حرام بن سعيد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا لرجل من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية وان على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود مرسلا وذهب أصحاب الرأي أن المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما أتلفت ليلا كان أو نهارا فذلك قوله تعالى ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ أي علمناه وألهمناه حكم

كانوا قوم سوء) في كفرهم (فاغرقناهم أجمعين) بالطوفان (وداود وسليمان) أيضا أكرمناهما بالنبوة والحكمة (اذ يحكمان في الحرث)
في كرم قوم (اذ نفشت فيه) دخلت فيه ووقعت فيه بالليل (غنم القوم) قوم آخرين (وكنا لحكمهم) لحكم داود وسليمان (شاهدين)
عالمين (ففهمناها سليمان) الرفق في القضاء

د (واقام الصلوة وايتاء الزكوة) والاصل واقامة الصلاة الا ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء (وكانوا لنا عابدين)
لاصنام فانتم يامعشر العرب أولاد ابراهيم فتبعوه فى ذلك (ولوطا) انتصب بفعل يفسره (آتيناه حكما) حكمة وهى مايجب
، من العمل أو فصلا بين الخصوم أو نبوة (وعلما) فقها (ونجيناه من القرية) من أهلها وهى سدوم (التى كانت تعمل
بائث) اللواطة والضراط وحذف المارة بالحصى وغيرها (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) خارجين عن طاعة الله
دخلناه فى رحمتنا) فى أهل رحمتنا أو فى الجنة (انه من الصالحين) أى جزاءه

على صلاحه كما أهلكنا قومه عقابا على فسادهم (ونوحا) أى واذكر نوحا (اذ نادى) أى دعا على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجبنا له) أى دعاءه (فنجيناه وأهله) أى المؤمنين من ولده وقومه (من الكرب العظيم) من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) منعناه منهم أى من اذاهم (انهم

الى لا اله الا الله (واقام الصلوة) اتمام الصلوة (وايتاء الزكوة) اعطاء الزكاة (وكانوا لنا عابدين) مطيعين (ولوطا) أيضا (آتيناه حكما) أعطيناه فهما (وعلما) نبوة (ونجيناه من القرية) من أهل قرية سدوم (التى كانت تعمل) أهلها (الخبائث) يعنى اللواطة (انهم كانوا قوم

سوء) سوء فى كفرهم (فاسقين) باللواطة (وأدخلناه) ندخله فى الآخرة (فى رحمتنا) فى جنتنا ويقال أكرمناه
فى الدنيا بالنبوة (انه من الصالحين) فى دينهم المرسلين (ونوحا) أيضا أكرمناه بالنبوة (اذ نادى) دعا ربه على قومه بالهلاك (من
قبل) من قبل لوط (فاستجبنا له) الدعاء (فنجيناه وأهله) ومن آمن به (من الكرب العظيم) يعنى الغرق (ونصرناه من
القوم) على القوم ويقال نجيناه ان قرأت نصرناه بتشديد الصاد من القوم (الذين كذبوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا نوح (انهم

فيهم كالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله ﴿واقام الصلوة وايتاء الزكوة﴾ وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ موحدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدم الصلة ﴿ولوطا آتيناه حكما﴾ حكمة او نبوة أو فصلا بين الخصوم ﴿وعلما﴾ بما ينبغى علمه للانبياء ﴿ونجيناه من القرية﴾ سدوم ﴿التى كانت تعمل الخبائث﴾ يعنى اللواطة وصفها بصفة اهلها أو اسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه ﴿انهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ فانه كالتعليل له ﴿وادخلناه فى رحمتنا﴾ فى اهل رحمتنا أو فى جنتنا ﴿انه من الصالحين﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴿ونوحا اذ نادى﴾ اذ دعا الله على قومه بالهلاك ﴿من قبل﴾ من قبل المذكورين ﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ﴿فنجيناه واهله من الكرب العظيم﴾ من الطوفان أو اذى قومه والكرب الغم الشديد ﴿ونصرناه﴾ مطاوعه انتصر أى جعلناه منتصرا ﴿من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم

﴿واقام الصلوة﴾ أى المحافظة عليها ﴿وايتاء الزكوة﴾ أى الواجبة وخصهما لان الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة أفضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ أى موحدين ❊ قوله عز وجل ﴿ولوطا آتيناه حكما﴾ أى الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة ﴿وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث﴾ يعنى قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث اتيان الذكور فى أدبارهم وكانوا يتضارطون فى مجالسهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات ﴿انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه فى رحمتنا﴾ قيل أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بها الثواب ﴿انه من الصالحين﴾ يعنى الانبياء ❊ قوله تعالى ﴿ونوحا اذ نادى من قبل﴾ أى من قبل ابراهيم ولوط ﴿فاستجبنا له﴾ أى أجبنا دعاءه ﴿فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه له وقيل انه كان أطول الانبياء عمرا وأشدهم بلاء والكرب أشد الغم ﴿ونصرناه﴾ أى منعناه ﴿من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ من أن يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على ﴿انهم

أكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الد
والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط ع
السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة﴾ عطية فهي
مصدر أو ولد ولد أو زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقر
﴿وكلا﴾ يعني الاربعة ﴿جعلنا صالحين﴾ بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصار
كاملين ﴿وجعلناهم أئمة﴾ يقتدى بهم ﴿يهدون﴾ الناس الى الحق ﴿بأمرنا﴾
بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين ﴿واوحينا اليهم فعل الخيرات﴾ ليحثوهم ع

بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار وقال أبي بن كعب بارك الله
وسماها مباركة لانه مامن ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقد
وقيل لان أكثر الانبياء منها (ق) عن أبي قتادة ان عمر بن الخطاب رضي الله تع
عنه قال لكعب الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وق
فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله من أر
وبها كنزه من عباده ❁ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله ع
وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الارض ألزمهم مهاجر ابرا
أخرجه أبو داود أراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب في المقام بها ❁ عن ز
بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وماذاك يارس
الله قال لان الملائكة باسطة أجنحتها عليها أخرجه الترمذي ❁ عن بهز بن حكيم
أبيه عن جده قال قلت يارسول الله أين تأمرني قال ههنا ونحا بيده نحو الشام أخر
الترمذي قال محمد بن اسحق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما
الله تعالى به من جعل النار عليه برداوسلاما على خوف من نمرود وملئهم وآمنت
سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم وتبعه لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران وهو أ
ابراهيم وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور فثلاثتهم أولاد تارخ وهو آزر فخرج ابراهيم من كو
من أرض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والا
على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خ
ورجع الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي على مس
يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى أهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجينا
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ❁ قوله تعالى ﴿ووهبنا له اسحق ويعقو
نافلة﴾ أي عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى أعط
ابراهيم اسحق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة و
ولد الولد ﴿وكلا جعلنا صالحين﴾ يعني ابراهيم واسحق ويعقوب ﴿وجعلناهم أئمة
أي قدوة يهتدى بهم في الخير ﴿يهدون بامرنا﴾ أي يدعون الناس الى ديننا بام
﴿وأوحينا اليهم فعل الخيرات﴾ أي العمل بالشرائع

مسيرة يوم وليلة وقال عليه السلام انها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) قيل هو مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق أي وهبناله هبة وقيل هي ولد الولد وقد سأل ولدا فاعطيه وأعطى يعقوب نافلة أي زيادة وفضلا من غير سؤال وهي حال من يعقوب (وكلا) أي ابراهيم واسحق ويعقوب وهو المفعول الاول لقوله (جعلنا) والثاني (صالحين) في الدين والنبوة (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في الدين (يهدون) الناس (بامرنا) بوحينا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) وهي جميع الاعمال الصالحة وأصله أن تفعل الخيرات فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك

(ووهبنا له) لابراهيم (اسحق) ولدا (ويعقوب) ولد الولد (نافلة) فضيلة على الولد (وكلا) يعني ابراهيم واسحق ويعقوب وأولادهم (جعلنا صالحين) في دينهم مرسلين (وجعلناهم أئمة) قادة في الخير (يهدون بامرنا) يدعون الخلق الى أمرنا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) العمل بالطاعات ويقال لدعاء

د مقام ابردى ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله أى
سلمنا سلاما عليه روى انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق
لولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسله ربك قال حسبى
ن سؤالى علمه بحالى فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع
ليه نمروذ من الصرح فقال انى مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن
راهيم عليه الصلاة والسلام وكان اذذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة
س ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذا من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه
الى دفع عنه اذاها كما ترى فى السمندل ويشعر به قوله ﴿على ابراهيم وارادوا به كيدا﴾ مكرا
اضراره ﴿فجعلناهم الاخسرين﴾ اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم
لى الباطل وابراهيم على الحق وموجب المزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ﴿ونجيناه
لوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين﴾ اى من العراق الى الشام وبركاته العامة ان

لى ابراهيم ﴾ قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفى بعض الآثار انه
يبق يومئذ نار فى الارض الا طفئت فلم ينتفع فى ذلك اليوم بنار فى العالم ولو لم يقل على ابراهيم
بت ذات برد ابدا وقيل أخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء
ذب وورد أحمر ونرجس قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم
ذلك الموضع سبعة أيام قاله المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت أياما قط أنعم منى من الايام
لتى كنت فى النار قيل و بعث الله تعالى ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعد الى جنب
براهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة
البسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان
بك يقول أما علمت ان النار لا تضر احبائى ثم نظر نمرود واشرف على ابراهيم من
صرح له فرآه جالسا فى روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم
كبير الهك الذى بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج
نها قال نعم قال هل تخشى ان أقمت ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم
يمشى فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيته معك
مثلك فى صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى فيها
فقال نمرود يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع
لك حين أبيت الا عبادته وتوحيده وانى ذابح له أربعة آلاف بقرة قال ابراهيم لا يقبل
الله منك مادمت على دينك حتى تفارقه وترجع الى دينى فقال لا أستطيع ترك ملكى
ولكن سوف أذبحها له فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه
الله عز وجل منه * قوله عز وجل ﴿وأرادوا به كيدا﴾ أى أرادوا أن يكيدوه
﴿فجعلناهم الاخسرين﴾ قيل معناه انهم خسروا السعى والنفقة ولم يحصل لهم
مرادهم وقيل ان الله تعالى أرسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت
دماءهم ودخلت فى دماغه بعوضة فاهلكته * قوله تعالى ﴿ونجيناه ولوطا﴾ يعنى
من نمرود وقومه ﴿الى الارض التى باركنا فيها للعالمين﴾ يعنى الى ارض الشام

لو لم يقل ذلك لاهلكته
ببردها والمعنى ان الله تعالى
نزع عنها طبعها الذى طبعها
عليه من الحر والاحراق
وأبقاها على الاضاءة والاشراق
كما كانت وهو على كل
شئ قدير (وأرادوا به
كيدا) احراقا (فجعلناهم
الاخسرين) فارسل على
نمرود وقومه البعوض
فاكلت لحومهم وشربت
دماءهم ودخلت بعوضة
فى دماغ نمرود فاهلكته
(ونجيناه) أى ابراهيم
(ولوطا) ابن أخيه هاران
من العراق (الى الارض
التى باركنا فيها للعالمين)
أى أرض الشام وبركتها
ان أكثر الانبياء منها
فانتشرت فى العالمين آثارهم
الدينية وهى أرض خصب
يطيب فيها عيش الغنى
والفقير وقيل ما من ماء
عذب فى الارض الا وينبع
أصله من صخرة بيت المقدس
روى انه نزل بفلسطين

(على ابراهيم) ولو لم يقل
سلاما لاحرقه البرد (وأرادوا
به كيدا) حرقا (فجعلناهم
الاخسرين) الاسفلين
(ونجيناه) من النار (ولوطا)
نجينا لوطا من الخسف
وبلغناهما (الى الارض التى
باركنا فيها) بالماء والشجر (للعالمين) وهى ارض المقدس وفلسطين والاردن

﴿ان كنتم فاعلين﴾ ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هينون خسف به الارض وقيل نمروذ ﴿قلنا يا نار كونى بردا وسلاما﴾ ذات برد وسلام اى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كونى ذات

لا تنصرونها الا بتحريق ابراهيم لانه يعيبها ويطعن فيها ﴿ان كنتم فاعلين﴾ أى ناصرين آلهتكم قال ابن عمر الذى قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح

﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾

فلما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلب لئن أصابته لتحطبن فى نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا فى دينها وكان الرجل يوصى بشراء الحطب من ماله لابراهيم فلما جمعوا ما أرادوا وأشعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عادوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أى ربنا ابراهيم خليلك يلقى فى النار وليس فى أرضك أحد يعبدك غيره فائذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى انه خليلى ليس لى خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيرى فان استغاث باحد منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما أرادوا القاءه فى النار أتاه خازن المياه وقال ان أردت أخمدت النار وأتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم حسبى الله ونعم الوكيل وروى عن أبى بن كعب ان ابراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به فى المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال أما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى (خ) عن ابن عباس فى قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب الاحبار جعل كل شئ يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار (ق) عن أم شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الاوزاغ زاد البخارى وكان ينفخ على ابراهيم ﴿قلنا﴾ أى قال الله عز وجل ﴿يا نار كونى بردا وسلاما

(ان كنتم فاعلين) اى ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهو الاحراق بالنار والا فرطتم فى نصرتها والذى اشار باحراقه نمرود أو رجل من اكراد فارس وقيل انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو من وهجها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها وهو يقول حسبى الله ونعم الوكيل وقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وما احرقت النار الا وثاقه وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبى الله ونعم الوكيل (قلنا يا نار كونى بردا وسلاما) أى ذات برد وسلام فبولغ فى ذلك كان ذاتها برد وسلام

(ان كنتم فاعلين) به شيأ فطرحوه فى النار (قلنا يا نار كونى بردا) باردة من حرك (وسلاما) سليمة من البرد

فرجعوا الى انفسهم) فرجعوا الى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لما اخذ بمخانقهم (فقالوا انكم انتم الظالمون) على الحقيقة بعبادة ما لا ينطق لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فان من لا يدفع عن رأسه الفاس كيف يدفع عن عابديه البأس (ثم نكسوا على رؤسهم) قال اهل التفسير اجرى الله تعالى الحق على لسانهم فى القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة اى ردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم يقال نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه اى استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا فى المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) فكيف تأمرنا بسؤالها والجملة سدت مسد مفعولى علمت والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم (قال) محتجا عليهم (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ) هو فى موضع المصدر أى نفعا (ولا يضركم) ان لم تعبدوه (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) أف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر ضجر مما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به اى لكم ولآلهتكم هذا التأفف أف مدنى وحفص أف مكى وشامى اف غيرهم (أفلا تعقلون) ان من هذا وصفه لا يجوز ان يكون الها فلما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه) بالنار لانها اهول ما يعاقب به [illegible] (و[illegible]صروا آلهتكم) بالانتقام منه

ث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته ﴿ فرجعوا الى انفسهم ﴾ راجعوا عقولهم ﴿فقالوا﴾ فقال بعضهم لبعض ﴿انكم انتم الظالمون﴾ بهذا السؤال بعبادة من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ﴿ثم نكسوا على رؤسهم ﴾ انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا أى نكسوا انفسهم ﴿ لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ﴾ فكيف تأمر بسؤالها وهو على ارادة القول ﴿قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم ﴾ انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافى الالوهية ﴿اف لكم ولما تعبدون من دون الله ﴾ تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له ﴿أفلا تعقلون﴾ قبح صنيعكم ﴿ قالوا﴾ اخذا فى المضارة لما عجزوا عن المحاجة ﴿حرقوه ﴾ فان النار اهول ما يعاقب به ﴿وانصروا آلهتكم ﴾ بالانتقام لها

ى المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب ❊ وقوله ﴿ فرجعوا الى أنفسهم ﴾ أى تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم ﴿فقالوا﴾ ما نراه الا كما قال ﴿انكم أنتم الظالمون﴾ ى بعبادتكم ما لا يتكلم وقيل معناه أنتم الظالمون لهذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها ﴿ثم نكسوا على رؤسهم ﴾ قال أهل التفسير أجرى الله الحق على ألسنتهم فى القول الاول وهو اقرارهم على أنفسهم بالظلم ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاولى وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم أى ردوا الى الكفر وقالوا ﴿ لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ﴾ أى فكيف نسألهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليه ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ﴾ أى ان عبدتموه ﴿ولا يضركم ﴾ أى ان تركتم عبادته ﴿ أف لكم ﴾ أى تبا لكم ﴿ ولما تعبدون من دون الله ﴾ والمعنى انه حقر معبودهم ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أى أليس لكم عقل تعقلون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ﴾ يعنى انكم

ر جعوا الى أنفسهم) بالملامة (قا و خا ٣٣ بع) (فقالوا) فقال لهم ملكهم نمروذ (انكم أنتم الظالمون) لابراهيم (ثم نكسوا على رؤسهم) رجعوا الى قولهم الاول وقال نمروذ (لقد علمت) يا ابراهيم (ماهؤلاء ينطقون) يعنى الاصنام لك كسرتهم (قال) ابراهيم (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ) ان عبدتموه (ولا يضركم) ان تركتموه (أف لكم) لكم ويقال تبا لكم (ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) أفليس لكم ذهن الانسانية انه لا ينبغى أن يعبد ما لا يضر ولا ينفع (قالوا) قال لهم ملكهم نمروذ (حرقوه) بالنار (وانصروا آلهتكم) انتقموا لآلهتكم

قال) ابراهيم (بل فعله) عن الكسائى انه يقف عليه أى فعله من فعله وفيه حذف الفاعل وانه لايجوز وجاز أن يكون الفاعل مسندا الى الفتى المذكور فى قوله سمعنا فتى يذكرهم أو الى ابراهيم فى قوله ياابرهيم ثم قال (كبيرهم هذا) وهو مبتدأ وخبر والاكثر انه لاوقف والفاعل كبيرهم وهذا وصف أو بدل ونسب الفعل الى كبيرهم وقصده تقريره لنفسه واثباته على أسلوب تعريضى تبكيتا للحجة عليهم لانهم اذا نظروا النظر الصحيح عجز كبيرهم وانه لايصلح الها وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق أنيق أنت كتبت هذا وصاحبك أمى فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لانفيه عنك واثباته للامى لان اثباته للعاجز منكما والامر كائن بينكما استهزاء به واثبات للقادر ويمكن ان يقال غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها اشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل اليه لان الفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ماتنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا ويحكى انه قال غضب ان تعبد هذه الصغار معه وهو اكبرمنها فكسرهن او هو متعلق بشرط لايكون وهو نطق الاصنام فيكون نفيا للمخبر عنه اى بل فعله كبيرهم ان ﴿ على كانوا ينطقون وقوله فاسئلوهم اعتراض وقيل عرض بالكبير لنفسه وانما اضاف نفسه اليهم لاشتراكهم فى الحضور (فاسئلوهم) عن حالهم (ان كانوا ينطقون) وانتم تعلمون عجزهم عنه

احضروه ﴿ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون ﴾ اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقرير النفيه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضى كما لو قال لك من لايحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق أأنت كتبت هذا فقلت بل كتبته انت اوحكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون ومابينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله ومازوى انه عليه الصلاة والسلام قال لابراهيم

قال ﴿ يعنى ابراهيم ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ غضب اذ تعبدون معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن وأراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك قوله ﴿ فاسئلوهم ان كانوا ينطقون ﴾ أى حتى يخبروا عن فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفى ضمنه أنا فعلت ذلك (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختى لفظ الترمذى قيل فى قوله انى سقيم أى سأسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه أختى أى فى الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فكل هذه الالفاظ صدق فى نفسها ليس فيها كذب فان قلت قد سماها النبى صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام منها بمؤاخذته بها قال البغوى وهذه التأويلات لنفى الكذب عن ابرهيم والاولى هو الاول للحديث ويجوز أن يكون الله أذن له فى ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما أذن ليوسف حين أمر مناديه فقال أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين الرازى وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذب لمصلحة ويأذن الله فيه فلنجوز هذا الاحتمال فى كل ما أخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق التهمة الى كلها والحديث محمول

قال) ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) الذى الفأس على عنقه (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) يتكلمون حتى يخبروكم من كسر

(فجعلهم جذاذا) قطعا من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج جذاذا بالكسر على جمع جذيذ أى مجذوذ وخفاف (الا كبيرا لهم) للاصنام أو للكفار أى فكسرها كلها بفأس فى يده الا كبيرها فعلق الفأس فى عنقه (لعلهم الكبير (يرجعون) فيسألونه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه أو الى ابراهيم يخبر عليهم أى الى الله لما رأوا عجز آلهتهم الكفار حين رجعوا من عيدهم ورأوا ذلك (من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين) أى ان من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجراءته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) الجملتان صفتان لفتى الأن الاول وهو يذكرهم أى يعيبهم لابد منه للسمع لانك لاتقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع بخلاف الثانى وارتفاع ابراهيم بانه فاعل يقال فالمراد الاسم لا المسمى اى الذى يقال له هذا الاسم (قالوا) اى نمرود واشراف قومه (فاتوا به) احضروا ابراهيم (على اعين الناس) فى محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اى بمرأى منهم ومنظر (لعلهم يشهدون) عليه بما سمع منه او بما فعله كانهم كرهوا عقابه بلا بينة اويحضروه عقوبتنا له فلما احضروه (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم

﴿فجعلهم جذاذا﴾ قطعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة ﴿الا كبيرا لهم﴾ للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه ﴿لعلهم اليه يرجعون﴾ لانه غلب على ظنه انهم لايرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم اولانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن المعبود ان يرجع اليه فى حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم ﴿قالوا﴾ حين رجعوا ﴿من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين﴾ بجراءته على الآلهة الحقيقة بالاعظام اوبافراطه فى حطمها او بتوريط نفسه للهلاك ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾ يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثانى مفعولى سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ فى نسبة الذكر اليه ﴿يقال له ابراهيم﴾ خبر ابراهيم ويجوز ان يرفع بالفعل لان المراد به الاسم ﴿قالوا فأتوا به على اعين الناس﴾ بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته فى اعينهم تمكن الراكب على المركوب ﴿لعلهم يشهدون﴾ بفعله اوقوله او يحضرون عقوبتنا له ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم﴾ حين

...ابراهيم علق الفأس فى عنقه وقيل فى يده ثم خرج فذلك قوله تعالى ﴿فجعلهم جذاذا﴾ كسرا وقطعا ﴿الا كبيرا لهم﴾ أى تركه ولم يكسره ووضع الفأس فى عنقه ثم خرج وقيل ربطه على يده وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها حديد وبعضها من نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر فى عينيه ياقوتتان تتقدان ﴿وقوله لعلهم اليه يرجعون﴾ قيل معناه يرجعون الى ابراهيم والى دينه وما يدعوهم اليه اذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم فيسألونه ما لهؤلاء تكسروا وأنت صحيح والفأس فى عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم رأوا أصنامهم مكسرة ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين﴾ أى فى تكسيرها واجترائه عليها ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾ أى يسبهم ويعيبهم ﴿يقال له ابراهيم﴾ أى هو الذى نظن أنه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس﴾ أى جيئوا به ظاهرا بمرأى من الناس كما قاله نمرود ﴿لعلهم يشهدون﴾ أى عليه بانه الذى فعل ذلك كرهوا أن يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما أتوا به ﴿قالوا﴾ له ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم﴾

بيت وثنهم (فجعلهم جذاذا) كسرا (الا كبيرا لهم) لم يكسره (لعلهم اليه يرجعون) من عيدهم فيقتل به فلما رجعوا ...ت وثنهم ودخلوا بيت وثنهم (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) على آلهتنا (قالوا سمعنا) قال رجل منهم سمعت ...ذكرهم) بالكسر ويعيبهم (يقال له ابراهيم قالوا) قال لهم نمرود (فأتوا به على أعين الناس) بمنظر الناس (لعلهم يشهدون) ...له ويقال على قوله ويقال على عقوبته (قالوا) قال له نمرود (أأنت فعلت هذا) الكسر (بآلهتنا يا ابراهيم

على صورة السباع والطيور والانسان وفيه تجاهل لهم ليحتقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها (التي أنتم لها عاكفون) أي لاجلها
مقيمون فلما عجزوا عن الاتيان بالدليل على ذلك (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم (قال) ابراهيم (لقد كنتم أنتم و...
ضلال مبين) أراد المقلدين والمقلدين منخرطون في سلك ضلال ...

التي انتم لها عاكفون ﴾ تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لاروح فيها لا ... ولاتنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة ﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها ﴿ قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾ منخرطون في سلك ضلال لايخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد وان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق ﴿ قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين ﴾ كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ماقاله على وجه الملاعبة فقالوا أبالجد تقوله ام تلعب به ﴿ قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن ﴾ اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم ﴿ وانا على ذلكم ﴾ المذكور من التوحيد ﴿ من الشاهدين ﴾ من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشئ وحققه ﴿ وتالله ﴾ وقرئ بالباء وهي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب ﴿ لاكيدن اصنامكم ﴾ لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل ﴿ بعد ان تولوا ﴾ عنها ﴿ مدبرين ﴾ الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا

يعني الصور والاصنام ﴿ التي أنتم لها عاكفون ﴾ أي مقيمون على عبادتها ﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ فاقتدينا بهم ﴿ قال ﴾ يعني ابراهيم ﴿ لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾ أي في خطأ بين بعبادتكم اياها ﴿ قالوا اجئتنا بالحق ﴾ أي بالصدق ﴿ أم أنت من اللاعبين ﴾ يعنون أجاد أنت فيما تقول أم أنت لاعب ﴿ قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن ﴾ أي خلقهن ﴿ وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴾ أي على انه الاله الذي يستحق العبادة وقيل شاهد على انه خالق السموات والارض ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم ﴾ أي لأمكرن بها ﴿ بعد ان تولوا مدبرين ﴾ أي منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا في نفسه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد من قومه فأفشاه عليه وهو القائل انا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم رجعوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه الى الارض وقال اني سقيم اشتكي رجلي فتركوه ومضوا فنادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس تالله لأكيدن أصنامكم فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة وهن في بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه صنم أصغر منه والاصنام جنبها الى جنب بعض كل صنم الذي يليه أصغر منه وهكذا الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي الآلهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الآلهة عليه أكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تأكلون فلما لم يجيبوه قال ما لكم لاتنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى اذا لم يبق الا الصنم

على عامل وأكد بانتم ليصح العطف لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع (قالوا اجئتنا بالحق) بالجد (أم أنت من اللاعبين) أي أجاد أنت فيما تقول أم لاعب استعظاما منهم انكاره عليهم واستبعادا لان يكون ماهم عليه ضلالا ثم أضرب عنهم مخبرا بانه جاد فيما قال غير لاعب مثبتا لربوبية الملك العلام وحدوث الاصنام بقوله (قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن) أي التماثيل فانى يعبد المخلوق ويترك الخالق (وأنا على ذلكم) المذكور من التوحيد شاهد (من الشاهدين وتالله) أصله والله وفي التاء معنى التعجب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطنة نمرود (لأكيدن أصنامكم) لأكسرنها (بعد ان تولوا مدبرين) بعد ذهابكم عنها الى عيدكم قال ذلك سرا من قومه فسمعه رجل واحد فعرض بقوله اني سقيم أي سأسقم ليتخلف فرجع الى بيت

التصاوير (التي أنتم لها عاكفون) عابدون لها

(قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فنحن نعبدها (قال) لهم ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم) قبلكم (في ضلال مبين) في ... العقل كفر وخطأ بين (قالوا) لابراهيم (أجئتنا بالحق) بجد تقول يا ابراهيم (أم أنت من اللاعبين) من المستهزئين بنا (قال) ابراهيم (بل ربكم) رب السموات والارض الذي فطرهن) خلقهن (وأنا على ذلكم) على ماقلت لكم (من الشاهدين وتالله) والله قال ... (لأكيدن) لأكسرن (أصنامكم بعد ان تولوا) تنطلقوا (مدبرين) ذاهبين الى العيد فلما ذهبوا الى عيدهم وتركوا ابراهيم في مدينتهم

(ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا) قيل هذه الثلاثة هى التوراة فهى فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة وذكر أي شرف أو وعظ وتنبيه أو ذكر ما يحتاج الناس اليه فى مصالح دينهم ودخلت الواو على الصفات كما فى قوله وسيدا وحصورا ونبيا وتقول مررت بزيد الكريم والعالم والصالح ولما كان بذلك المتقون خصهم بقوله (للمتقين) ومحل (الذين) جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (يخشون ربهم) ونه (بالغيب) حال أي يخافونه في الخلاء (وهم من الساعة) القيمة وأهوالها (مشفقون) خائفون (وهذا) القرآن (ذكر مبارك) كثير الخير غزير النفع (أنزلناه) على محمد (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ أي جاحدون انه منزل من عند الله (ولقد آتينا ابراهيم رشده) هداه (من قبل) من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد عليه السلام (وكنا به) بابراهيم أو برشده (عالمين) أي علمنا انه أهل لما آتيناه (اذ) اما أن تتعلق بآتينا أو برشده (قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل) أي الاصنام المصورة

(ولقد آتينا) أعطينا (موسى وهرون الفرقان) المخرج من الشبهات ويقال النصرة والدولة على فرعون (وضياء) بيانا من الضلالة (وذكرا) عظة (للمتقين) الكفر والشرك والفواحش

﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين﴾ اى الكتاب الجامع لكونه فرقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون أو ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان ﴿الذين يخشون ربهم﴾ صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع ﴿بالغيب﴾ حال من الفاعل او المفعول ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ خائفون وفى تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض ﴿وهذا ذكر﴾ يعنى القرآن ﴿مبارك﴾ كثير خيره ﴿انزلناه﴾ على محمد عليه الصلاة والسلام ﴿افأنتم له منكرون﴾ استفهام توبيخ ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده﴾ الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة ﴿من قبل﴾ من قبل موسى وهرون أو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حين قال انى وجهت ﴿وكنا به عالمين﴾ علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات ﴿اذ قال لابيه وقومه﴾ متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده وقت قوله ﴿ماهذه التماثيل﴾

قوله عز وجل ﴿ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان﴾ يعنى الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الاعداء فعلى هذا يكون ﴿وضياء﴾ يعنى التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة فى وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة ضياء ﴿وذكرا للمتقين﴾ يعنى يتذكرون بمواعظها ويعملون بما فيها ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أى يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه فى الخلوات اذا غابوا عن أعين الناس ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ أى خائفون ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ أى كما آتينا موسى التوراة فكذلك أنزلنا القرآن ذكرا مباركا أى هو ذكر لمن آمن به مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير ﴿أفأنتم﴾ يا أهل مكة ﴿له منكرون﴾ أى جاحدون * قوله تعالى ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده﴾ أى صلاحه وهداه ﴿من قبل﴾ أى من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير ﴿وكنا به عالمين﴾ أى انه من أهل الهداية والنبوة ﴿اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل﴾

(الذين يخشون ربهم) يعملون لربهم (بالغيب) وان كان غائبا عنهم (وهم من الساعة) من عذاب الساعة (مشفقون) خائفون (وهذا القرآن) (ذكر مبارك) فيه الرحمة والمغفرة لمن آمن به (أنزلناه) أنزلنا جبريل به (أفأنتم) يا أهل مكة (له منكرون) جاحدون (ولقد آتينا) أعطينا (ابراهيم رشده) يعنى العلم والفهم (من قبل) من قبل بلوغه ويقال أكرمناه بالنبوة من قبل موسى وهرون ويقال من قبل محمد صلى الله عليه وسلم (وكنا به عالمين) بانه أهل لذلك (اذ قال لابيه) آزر (وقومه) نمروذ بن كنعان وأصحابه (ماهذه التماثيل)

لجزاء يوم القيامة اولاهله اوفيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر ﴿فلا تظلم نفس شيئا﴾ من حقها او من الظلم ﴿وان كان مثقال حبة من خردل﴾ اى وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة ﴿أتينا بها﴾ احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ اذ لامزيد على علمنا وعدلنا

والمغرب فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال الهى من الذى يقدران يملأ كفته حسنات قال ياداود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة فعلى هذا فى كيفية وزن الاعمال مع أنها اعراض طريقان أحدهما ان توزن صحائف الاعمال فتوضع صحائف الحسنات فى كفة وصحائف السيآت فى كفة والثانى أن يجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيآت جواهر سود مظلمة فان قلت كيف تصنع بقوله ونضع الموازين القسط مع قوله ولانقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت هذه فى حق الكفار لانهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر * وقوله تعالى ﴿فلا تظلم نفس شيأ﴾ اى لاتبخس مما لها وما عليها من خير وشر شيأ ﴿وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها﴾ معناه أنه لاينقص من احسان محسن ولايزاد فى اساءة مسئ وأراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى أتينا بها أى أحضرناها لنجازى بها عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشرله تسعة وتسعين سجلا كل سجل مدالبصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لايارب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لاظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضروزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لاتظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولايثقل مع اسم الله شئ أخرجه الترمذى السجل الكتاب الكبير وأصله من التسجيل لانه يجمع أحكاما والبطاقة ورقة صغيرة تجعل فى طى الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت فى الحديث دليل على ان صحائف الاعمال هى التى توزن لأن الاعمال تجسد جواهر فتوزن والله أعلم * قوله تعالى ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لان من حسب شيأ فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان فى العلم بحيث لايمكن ان يشتبه عليه شئ وفى القدرة بحيث لايعجز عن شئ فحقيق بالعاقل أن يكون بأشد الخوف منه ويروى عن الشبلى انه رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال

حاسبونا فدققوا * ثم منوا فأعتقوا
هكذا سمة الملوك * بالمماليك يرفقوا

يوم القيامة أى لاجلها (فلا تظلم نفس شيأ) من الظلم (وان كان مثقال حبة) وان كان الشئ مثقال حبة مثقال بالرفع مدنى وكذا فى لقمان على كان التامة (من خردل) صفة لحبة (أتينا بها) أحضرناها وأنث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه (وكفى بنا حاسبين) عالمين حافظين عن ابن عباس رضى الله عنهما لان من حفظ شيأ حسبه وعلمه

الحسنات والسيئات (فلا تظلم نفس شيأ) لاينقص من حسنات أحد ولايزاد على سيئات أحد (وان كان مثقال حبة من خردل) وزن حبة من خردل (أتينا بها) جئنا بها ويقال جزينا بها (وكفى بنا حاسبين) حافظين وعالمين ويقال مجازين

ن أطرافها (أفهم الغالبون) أو كفار مكة يغلبون بعد ان نقصنا من أطراف أرضهم أى ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنصرنا (قل انما أنذركم الوحى) أخوفكم من العذاب بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء) بفتح الياء والميم ورفع الصم ولا تسمع الصم شامى على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم (اذا ما ينذرون) يخوفون واللام فى الصم للعهد وهو اشارة الى هؤلاء المنذرين والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم اذا ما أنذروا (ولئن مستهم نفحة) دفعة يسيرة (من عذاب ربك) صفة لنفحة (ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) أى ولئن مسهم من هذا الذى ينذرون به أدنى شئ لذلوا ودعوا بالويل على أنفسهم وأقروا أنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وقد بلغ حيث ذكر المس والنفحة لان النفح يدل على القلة يقال نفحه بعطية رضخه بها مع ان بناءها للمرة وفى المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح فى معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح لين ونفحه بعطية رضخه والبناء للمرة (ونضع الموازين) جمع ميزان وهو ما يوزن به الشئ فتعرف كميته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وانما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما فى قوله يا أيها الرسل والوزن لصحائف الاعمال فى قول (القسط) وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها فى نفسها قسط أو على حذف المضاف أى ذوات القسط (ليوم القيامة) لاهل

بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدى المسلمين ﴿أفهم الغالبون﴾ رسول الله والمؤمنين ﴿قل انما انذركم بالوحى﴾ بما اوحى الى ﴿ولا يسمع الصم الدعاء﴾ وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون ﴿اذا ما ينذرون﴾ منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام فى الانذار او للمبالغة فى تصامهم وتجاسرهم ﴿ولئن مستهم نفحة﴾ ادنى شئ وفيه مبالغات ذكر المس وما فى النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشئ والبناء الدال على المرة ﴿من عذاب ربك﴾ من الذى ينذرون به ﴿ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين﴾ لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ﴿ونضع الموازين القسط﴾ العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ﴿ليوم القيامة﴾

ومن ارادتنا فيهم ثم قال ﴿أفهم الغالبون﴾ استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون ﴿قل﴾ يا محمد ﴿انما أنذركم بالوحى﴾ أى أخوفكم بالقرآن ﴿ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون﴾ أى يخوفون ﴿ولئن مستهم﴾ أى أصابتهم ﴿نفحة من عذاب ربك﴾ قال ابن عباس طرف وقيل شئ قليل ﴿ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين﴾ دعوا على أنفسهم بالويل بعد ما أقروا على أنفسهم بالظلم والشرك ✲ قوله عز وجل ﴿ونضع الموازين القسط﴾ أى ذوات العدل وصفها بذلك لان بذلك لان الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين أن تلك الموازين تجرى على حد العدل ومعنى وضعها احضارها ﴿ليوم القيمة﴾ اى لاهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم فى الاعمال فمن أحاطت حسناته بسيآته فاز ونجا وبالعكس ذل وخسر والصحيح الذى عليه أئمة السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها أعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثر الاقوال أنه ميزان واحد وانما جمع لاعتبار تعدد الاعمال الموزونة به وروى أن داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه عز وجل أن يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق

أفهم الغالبون) أفهم الآن غالبون على محمد صلى الله عليه وسلم (قل) لهم يا محمد (انما أنذركم بالوحى) بما نزل من القرآن (ولا يسمع الصم الدعاء) من يتصامم عن الدعاء الى الله ويقال لا تقدر ان تسمع الدعاء من يتصامم ان قرأت بضم التاء (اذا ما ينذرون) يخوفون (ولئن مستهم) أصابتهم (نفحة) طرف (من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) على أنفسنا كافرين بالله ونضع الموازين القسط) العدل (ليوم القيامة) فى يوم القيامة ميزان لها كفتان ولسان لا يوزن فيها غير

أونهارا (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أى بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمعنى انه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بقوله (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) لما فى أم من معنى بل فقال ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف بقوله (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) فبين ان ماليس بقادر على

نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) أى ماهم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الامد فقست قلوبهم وظنوا انهم دائمون على ذلك وهو أمل كاذب (أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها) أى ننقص أرض الكفر ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها وردها دار اسلام وذكر نأتى يشير بان الله يجريه على أيدى المسلمين وان عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين تأتيها غالبة عليها ناقصة

غير رحمته [illegible] ﴿ بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴾ لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ﴿ ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا ﴾ بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا ومن عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه من المعرض الغافل عن الشئ بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد ﴿ لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون ﴾ استئناف بابطال ما اعتقدوه فان من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله فكيف ينصر غيره ﴿ بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر ﴾ اضراب عما توهموا ببيان ماهو الداعى الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ماهم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال ﴿ افلا يرون انا نأتى الارض ﴾ ارض الكفرة ﴿ ننقصها من اطرافها ﴾

﴿ بل هم عن ذكر ربهم ﴾ أى عن القرآن ومواعظه ﴿ معرضون ﴾ أى لا يتأملون فى شئ منها ﴿ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا ﴾ معناه الهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال ﴿ لا يستطيعون نصر أنفسهم ﴾ أى لا يقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدهم ﴿ ولا هم منا يصحبون ﴾ قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصحبون من الله بخير ﴿ بل متعنا هؤلاء ﴾ يعنى الكفار ﴿ وآباءهم ﴾ أى فى الدنيا بان أنعمنا عليهم وأمهلناهم ﴿ حتى طال عليهم العمر ﴾ أى امتد بهم الزمان فاغتروا ﴿ أفلا يرون ﴾ يعنى هؤلاء المشركين ﴿ انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها ﴾ يعنى ننقص من أطراف المشركين ونزيد فى أطراف المؤمنين يريد بذلك ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار الشرك أرضا فارضا وقرية فقرية والمعنى أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب آثار قدرتنا فى اتيان الارض من جوانبها باخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وادخالها فى ملك محمد صلى الله عليه وسلم وموت رؤس المشركين المتنعمين بالدنيا أما كان لهم عبرة فى ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع منا

الرحمن ويقال غير الرحمن من عذابه (بل هم عن ذكر ربهم) عن توحيد ربهم وكتاب ربهم (معرضون) (ومن) مكذبون به تاركون له (أم لهم آلهة) ألهم آلهة (تمنعهم من دوننا) من عذابنا (لا يستطيعون نصر أنفسهم) صرف العذاب عن أنفسهم يعنى الالهة فكيف عن غيرهم (ولا هم منا يصحبون) من عذابنا يجارون فكيف يجيرون غيرهم (بل متعنا) أجلنا (هؤلاء) يعنى أهل مكة (وآباءهم) قبلهم (حتى طال عليهم العمر) الاجل (أفلا يرون) اهل مكة (أنا نأتى الارض) نأخذ الارض (ننقصها) نفتحها لمحمد (من أطرافها) من نواحيها

تعالهم (لويعلم الذين كفرواحين لايكفون عن وجوههم النـار ولاعن ظهورهم ولاهم ينصرون) جواب لو محذوف
وين مفعول به ليعلم أى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلونه بقولهم متى هذاالوعدوهووقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام
يقدرون على دفعهـا ومنعهـا من أنفسهم ولايجدون ناصرا ينصرهم لمـاكانوا بتلك الصفة من الكفروالاستهزاء
وستعجال ولكن جهلهم به هوالذى هونه عندهم (بل تأتيهم) الساعة (بغتة) فجاءة (فتبهتهم) فتحيرهم أى لايكفونها بل تفجأهم
هم (فلايستطيعون ردها) فلايقدرون على دفعها (ولاهم ينظرون)

يمهلون (ولقد استهزئ برسـل من قبلك فحاق) فحل ونزل (بالذين سخروا منهم) جزاء (ما كانوابه يستهزؤن) سلى رسول الله صلى الله عليـه وسـلم عن استهزائهم به بان له فى الانبياء اسـوة وان مايفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء مافعلوا (قل من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهـار من الرحمن) أى من عـذابه ان أتاكم ليلا

والسلام واصحابه رضى الله عنهم ﴿ لويعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوهم النـار ولاعن ظهورهم ولاهم ينصرون ﴾ محذوف الجواب وحين مفعول ليعلم اى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النـار من كل جانب بحيث لايقدرون على دفعها ولايجدون ناصرا يمنعها لمااستعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لوكان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ماعليهم حين لايكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك ﴿ بل تأتيهم ﴾ العدة اوالنار اوالساعة ﴿ بغتة ﴾ فجأة مصدر اوحال وقرئ بفتح الغين ﴿ فتبهتهم ﴾ فتغلبهم اوتحـيرهم وقرئ الفعلان باليـاء والضمير للوعـدا والحين وكـذا فى قوله ﴿ فلايستطيعون ردها ﴾ لان الوعد بمعنى النار اوالعدة والحين بمعنى الساعـة ويجوز ان يكون للنـار اوللبغتة ﴿ ولاهم ينظرون ﴾ يمهلون وفيه تذكير بامهالهم فى الدنيـا ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوابه يستهزؤن ﴾ وعدله بان مايفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبيـاء مافعلوا يعنى جزاءه ﴿ قل ﴾ يامحمـد للمستهزئين ﴿ من يكلؤكم ﴾ يحفظكم ﴿ بالليل والنهار من الرحمن ﴾ من بأسه ان ارادبكم وفى لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ

سبيل الاستهزاء فبين تعالى أنهم انما يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما لهؤلاء المستهزئين فقال تعالى ﴿ لويعلم الذين كفروا حين لايكفون ﴾ أى لايدفعون ﴿ عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ﴾ قيل السياط ﴿ ولاهم ينصرون ﴾ أى لايمنعون من العذاب والمعنى لو علموا لما أقاموا على كفرهم ولمـا استعجلوا بالعذاب ولماقالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴿ بل تاتيهم ﴾ يعنى الساعة ﴿ بغتة ﴾ أى فجأة ﴿ فتبهتهم ﴾ أى تحيرهم ﴿ فلايستطيعون ردها ﴾ أى صرفها ودفعهـا عنهم ﴿ ولاهم ينظرون ﴾ أى لايمهلون للتوبة والمعذرة ﴿ ولقداستهزئ برسل من قبلك ﴾ أى يامحمد كما استهزأ بك قومك ﴿ فحاق ﴾ أى نزل وأحاط ﴿ بالذين سخروامنهم ما كانوابه يستهزؤن ﴾ أى عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم أى فكذلك يحيق بهؤلاء وبال استهزائهم ＊ قوله تعـالى ﴿ قل من يكلؤكم ﴾ أى يحفظكم ﴿ بالليل ﴾ اذا نمتم ﴿ والنهـار ﴾ اذا انصرفتم فى معـايشكم ﴿ من الرحمن ﴾ قال ابن عباس معنـاه من يمنعكم من عذاب الرحمن

لويعلم الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن مالهم فى العذاب لم يستعجلوا به (حين لايكفون) يقول حين العذاب لايقدرون ان يمنعوا (عن وجوههم النـار ولاعن ظهورهم) العذاب(ولاهم ينصرون) يمنعون مما يرادبهم من العذاب (بل تأتيهم) الساعة (بغتة) فجأة(فتبهتهم) فتفجؤهم (فلايسـتطيعون ردها)

عن أنفسهم (ولاهم ينظرون) (قا و خا ٣٢ بع) يؤجلون من العذاب (ولقداستهزئ برسـل من قبلك) يقول
أبهم قومهم كما استهزأ بك قومك يامحمد(فحاق)فوجب ودار ونزل(بالذين سخروا منهم)على الانبيـاء(ما كانوابه يستهزؤن)
من عذاب ويقال نزل بهم العذاب باستهزائهم(قل) يامحمد لاهل مكة (من يكلؤكم) من يحفظكم(بالليل والنهار من الرحمن)
من عذاب

الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم (وهم بذكر الرحمن) أي بذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدا[نية]
(هم كافرون) لا يصدقون به أصلا فهم أحق ان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل بذكر الرحمن أي بما أن[زل]
عليك من القرآن هم كافرون جاحدون والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزوا وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وه[و]
الكفر بالله تعالى وكرر هم للتأكيد أو لان الصلة حالت بينه وبين الخبر فأعيد المبتدأ (خلق الانسان من عجل) فسر بالجن[س]
وقيل نزلت حين كان النضر بن الحرث يستعجل بالعذاب والعجل والعجلة مصدر

وهو تقديم الشئ على وقته والظاهر أن المراد الجنس وانه ركب فيه العجلة فكأنه خلق من العجل ولانه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نعه وزجره كأنه قال ليس ببدع منه أن يستعجل فانه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته فقد ركب فيه وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم * النخل ينبت بين الماء والعجل * وانما منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه كما أمره بقمع الشهوة وقد ركبها فيه لانه أعطاه القوة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ومن عجل حال أي عجلا (سأريكم آياتي) نقماتي (فلا تستعجلون) بالاتيان بها وهو بالياء عند يعقوب وافقه سهل وعياش في الوصل (ويقولون متى هذا الوعد) اتيان العذاب أو (سبيل) القيامة (ان كنتم صادقين) قيل هو أحد وجهي

﴿ وهم بذكر الرحمن ﴾ بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم أو بالقرآن ﴿ هم كافرون ﴾ منكرون فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر ﴿ خلق الانسان من عجل ﴾ كأنه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روى انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب ﴿ سأريكم آياتي ﴾ نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار ﴿ فلا تستعجلون ﴾ بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ وقت وعد العذاب او القيامة ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعنون النبي عليه الصلاة

الذي يعيب آلهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة ﴿ وهم بذكر الرحمن هم كافرون ﴾ وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب
* قوله تعالى ﴿ خلق الانسان من عجل ﴾ قيل معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح في رأس آدم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل وأورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل في خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شئ في آخر النهار يوم الجمعة فاسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيي الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة أطوارا طورا بعد طور وقيل معنى خلق الانسان من عجل اي من طين قال الشاعر * والنخل ينبت بين الماء والعجل * أي بين الماء والطين وقيل أراد بالانسان النوع الانساني يدل عليه قوله ﴿ سأريكم آياتي فلا تستعجلون ﴾ وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحرث ومعنى سأريكم آياتي أي مواعيدي فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فاراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى ﴿ ويقولون ﴾ يعني المشركين ﴿ متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على

وهم بذكر الرحمن هم كافرون) جاحدون يقولون ما نعرف الرحمن الا مسيلمة الكذاب (خلق الانسان) يعني آدم (من عج[ل])
مستعجلا ويقال خلق الانسان يعني النضر بن الحرث من عجل مستعجلا بالعذاب (سأريكم آياتي) علامات وحدانيتي [في]
الآفاق ويقال سأريكم آياتي عذابي بالسيف يوم بدر (فلا تستعجلون) بالعذاب قبل الاجل (ويقولون) يعني كفار [مكة]
(متى هذا الوعد) الذي تعدنا يا محمد (ان كنتم صادقين)

ن الشمس والقمر (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد) البقاء الدائم (أفان مت) بكسر الميم مدنى وكوفى غير أبى بكر (فهم الخالدون) والفاء الاول لعطف جملة على جملة والثانى لجزاء الشرط كانوا يقدرون انه سيموت فنفى الله عنه الشماتة بهذا أى قضى الله ان لا يخلد فى الدنيا بشرا فان مت أنت أيبقى هؤلاء (كل نفس

انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع اى جعلوا واو العقلاء لان السباحة فعلهم ﴿ وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون ﴾ نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفى معناه قوله

فقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

والفاء لتعلق الشرط بماقبله والهمزة لانكاره بعدما تقرر ذلك ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ماانكره ﴿ ونبلوكم ﴾ ونعاملكم معاملة المختبر ﴿ بالشر والخير ﴾ بالبلايا والنعم ﴿ فتنة ﴾ ابتلاء مصدر من غير لفظه ﴿ والينا ترجعون ﴾ فنجازيكم حسب مايوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لماسبق ﴿ واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك ﴾ ما يتخذونك ﴿ الا هزوا ﴾ الا مهزوا به ويقولون ﴿ أهذا الذى يذكر الهتكم ﴾ اى بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء

طاحونة كهيئة فلك المغزل يريدان الذى تجرى فيه النجوم مستدير كاستدارة الرحى وقيل الفلك السماء الذى فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجرى فى السماء الذى قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك موج مكفوف دون السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وقال أصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتئام والنمو والذبول والحق انه لا سبيل الى معرفة صفة السموات الا باخبار الصادق فسبحان الخالق المدبر خلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية * قوله عزوجل ﴿ وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ يعنى الدوام والبقاء فى الدنيا ﴿ أفان مت فهم الخالدون ﴾ نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون شمت بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى ان لا يخلد فى الدنيا بشرا لا أنت ولا هم فان مت أنت أفيبقى هؤلاء وفى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ هذا العموم مخصوص بقوله تعالى تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك فان الله تعالى حى يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت والآلام العظيمة قبل حلوله ﴿ ونبلوكم ﴾ أى نختبركم ﴿ بالشر والخير ﴾ أى بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بماتحبون وماتكرهون ﴿ فتنة ﴾ أى ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون ﴿ والينا ترجعون ﴾ أى للحساب والجزاء * قوله عزوجل ﴿ واذا رآك الذين كفروا ان ﴾ أى ما ﴿ يتخذونك الا هزوا ﴾ أى سخريا قيل نزلت فى أبى جهل مر به النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبد مناف ﴿ أهذا الذى يذكر آلهتكم ﴾ أى يقول بعضهم لبعض هذا

ذائقة الموت ونبلوكم) ونختبركم سمى ابتلاء وان كان عالما بماسيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لانه فى صورة الاختبار (بالشر) بالفقر والضر (والخير) الغنى والنفع (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه (والينا ترجعون) فنجازيكم على حسب مايوجد منكم من الصبر والشكر وعن ابن ذكوان ترجعون (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك) مايتخذونك (الا هزوا) مفعول ثان ليتخذونك نزلت فى أبى جهل مر به النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبد مناف (أهذا الذى يذكر) يعيب (آلهتكم) والذكر يكون بخير وبخلافه فان كان

(وماجعلنا) ماخلقنا (لبشر) من الانبياء (من قبلك الخلد) فى الدنيا (أفان مت) يامحمد (فهم الخالدون) فى الدنيا نزلت هذه الآية فى قولهم ننتظر محمدا عليه السلام حتى يموت فنستريح (كل نفس) منفوسة (ذائقة الموت) تذوق الموت (ونبلوكم) نختبركم (بالشر والخير) بالشدة والرخاء (فتنة) كلاهما ابتلاء من الله (والينا ترجعون) بعد الموت فيجزيكم باعمالكم (واذا رآك) يامحمد (الذين كفروا) أبو جهل وأصحابه (ان يتخذونك) يامحمد الا يقولون لك (الا هزوا) سخرية يقول بعضهم لبعض (اهذا الذى يذكر) يعيب (آلهتكم

ثوابت من رسا اذا ثبت (ان تميدبهم) لئلا تضطرب بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذا في لئلا يعلم أهل الكتاب (وجعلنا فيها فجاجا) أى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع ونصب على الحال من (سبلا) متقدمة فان قلت أى فرق بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وبين هذه قلت الاول للاعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثانى لبيان انه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثم (لعلهم يهتدون) ليهتدوا بها الى البلاد المقصودة (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) فى موضعها عن السقوط كما قال ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه أو محفوظا بالشهب عن الشياطين كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم (وهم) أى الكفار (عن آياتها) عن الادلة التى فيها كالشمس والقمر والنجوم (معرضون) غير متفكرين فيها فيؤمنون (وهو الذى خلق الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتصرفوا فيه (والشمس) لتكون سراج النهار (والقمر) ليكون سراج الليل (كل) التنوين فيه عوض عن المضاف اليه أى كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع وجمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة (فى فلك) عن ابن عباس رضى الله عنهما الفلك السماء والجمهور على ان الفلك موج مكفوف تحت السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وكل مبتدأ خبره (يسبحون) يسيرون أى يدورون والجملة فى محل النصب على الحال

ثابتات من رسا الشئ اذا ثبت ﴿ ان تميد بهم ﴾ كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن الالباس ﴿ وجعلنا فيها ﴾ فى الارض اوالرواسى ﴿ فجاجا سبلا ﴾ مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك اوليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع مايكون فيه من التوكيد ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ الى مصالحهم ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ﴾ من الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب ﴿ وهم عن آياتها ﴾ عن احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهى حكمته التى يحس ببعضها ويبحث عن بعضها فى علمى الطبيعة والهيئة ﴿ معرضون ﴾ غير متفكرين ﴿ وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ بيان لبعض تلك الآيات ﴿ كل فى فلك ﴾ اى كل واحد منهما والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة ﴿ يسبحون ﴾ يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز

أى جبالا ثوابت ﴿ أن تميد بهم ﴾ أى لئلا تميد بهم قيل ان الارض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة فى الماء فارساها الله وأثبتها بالجبال ﴿ وجعلنا فيها ﴾ أى فى الرواسى ﴿ فجاجا ﴾ أى طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين ﴿ سبلا ﴾ هو تفسير الفجاج ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ أى الى مقاصدهم ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ﴾ أى من ان يسقط ويقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب ﴿ وهم ﴾ يعنى الكفار ﴿ عن آياتها معرضون ﴾ أى عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها فى افلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لايتفكرون ولايعتبرون بها ﴿ وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون ﴾ أى يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح فى الماء وانما قال يسبحون ولم يقل تسبح على مايقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجرى والفلك مدار النجوم الذى يضمها وهو فى كلام العرب كل شئ مستدير وجمعه أفلاك وقيل الفلك

(طاحونة)

الثوابت أوتادا لها (أن تميد بهم) كى لا تميد بهم الارض (وجعلنا فيها) فى الارض (فجاجا) أودية (سبلا) طرقا واسعة (لعلهم يهتدون) لكى يهتدوا الى الطرق فى الذهاب والمجئ (وجعلنا السماء سقفا) على الارض (محفوظا)من السقوط ويقال محفوظا بالنجوم من الشياطين (وهم) يعنى أهل مكة (عن آياتها) عن شمسها وقمرها ونجومها (معرضون) مكذبون لايتفكرون فيها (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر) سخر الشمس والقمر (كل) كل واحد منهما (فى فلك يسبحون) فى دوران يدورون فى مجراه يذهبون

(أولم ير الذين كفروا) ألم يرمكي (ان السموات والارض كانتا) أي جماعة السموات وجماعة الارض فلذا لم يقل كن (رتقا) بمعنى المفعول أي كانتا مرتوقتين وهو مصدر فلذا صلح ان يقع موقع مرتوقتين (ففتقناهما) فشققناهما والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضد الفتق فان قيل متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا انه وارد في القرآن الذي هو معجزة فقام مقام المرئي المشاهد ولان الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الارض والسماء وتباينهما جائزان في العقل فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لابدله من مخصص وهو القديم جل جلاله ثم قيل ان السماء كانت لاصقة بالارض لافضاء بينهما ففتقناهما أي فصلنا بينهما بالهواء وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين وقيل كانت السماء رتقا لاتمطر والارض رتقا لاتنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شئ حي) أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل (أفلا يؤمنون) يصدقون بما يشاهدون (وجعلنا في الارض رواسي) جبالا

﴿اولم ير الذين كفروا﴾ اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو ﴿ان السموات والارض كانتا رتقا﴾ ذاتي رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اى كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ﴿ففتقناهما﴾ بالتنويع والتمييز اوكانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات اواقاليم وقيل كانتا بحيث لافرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لاتمطر ولاتنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء اوبوسط اواستفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اى مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض ﴿وجعلنا من الماء كل شئ حي﴾ وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه اوصيرنا كل شئ حي بسبب من الماء لايحيي دونه وقرئ حيا على انه صفة كل اومفعول ثان والظرف لغو والشئ مخصوص بالحيوان ﴿افلا يؤمنون﴾ مع ظهور الآيات ﴿وجعلنا في الارض رواسي﴾

﴿أولم ير الذين كفروا﴾ أي ألم يعلم الذين كفروا ﴿ان السموات والارض كانتا رتقا﴾ قال ابن عباس كانتا شيأ واحدا ملتزقتين ﴿ففتقناهما﴾ أي فصلنا بينهما بالهواء قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطهما ففتحهما بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السموات رتقا لاتمطر والارض رتقا لاتنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات ﴿وجعلنا من الماء كل شئ حي﴾ أي وأحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شئ من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب لحياة كل شئ وقال المفسرون معناه ان كل شئ حي فهو مخلوق من الماء وقيل يعني النطفة فان قلت قد خلق الله بعض ماهو حي من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان قلت خرج هذا اللفظ مخرج الاغلب والاكثر يعني ان أكثر ما على وجه الارض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء ﴿أفلا يؤمنون﴾ أي أفلا يصدقون ﴿وجعلنا في الارض رواسي﴾

(أولم ير) يعلم (الذين كفروا) جحدوا بمحمد عليه السلام والقرآن (أن السموات والارض كانتا رتقا) لم تنزل منها قطرة من مطر ولم ينبت على الارض شئ من النبات ملتزقا بعضها على بعض (ففتقناهما) ففرقناهما وأبنا بعضهما عن بعض بالمطر والنبات (وجعلنا من الماء كل شئ حي) خلقنا من ماء الذكر والانثى كل شئ يحتاج الى الماء (أفلا يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعني أهل مكة (وجعلنا في الارض رواسي) الجبال

(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم أخبر
عباد بقوله (بل عباد مكرمون) أي بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا باولاد اذ العبودية تنافي الولادة (لا
بالقول) أي بقولهم فانيبت اللام مناب الاضافة والمعنى انهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله
(وهم بامره يعملون) أي كما ان قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا مبني على أمره لا يعملون عملا لم يؤمروا به (يعلم ما بين
وما خلفهم) أي ما قدموا وأخروا من أعمالهم (ولا يشفعون
لمن الارتضى) أي لمن رضي الله عنه وقال لا اله الا الله (وهم من خشيته مشفقون) خائفون (ومن يقل منهم) من الملائكة (اني اله من دونه) من دون الله اني مدني وأبو عمرو (فذلك) مبتدأ أي فذلك القائل خبره (نجزيه جهنم) وهو جواب الشرط (كذلك نجزي الظالمين) الكافرين الذين وضعوا الالهية في غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقق عصمتهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك قد تحقق الوعيد في ابليس فانه ادعى الالهية لنفسه ودعا الى طاعة نفسه وعبادته

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ تنزيه له عن ذلك ﴿ بل عباد ﴾ بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد ﴿ مكرمون ﴾ مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد ﴿ لا يسبقونه بالقول ﴾ لا يقولون شيأ حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله مالم يقله وانيبت اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه ﴿ وهم بامره يعملون ﴾ لا يعملون قط مالم يأمرهم به ﴿ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ﴾ لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطته بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ﴿ ولا يشفعون الا لمن ارتضى ﴾ ان يشفع له مهابة منه ﴿ وهم من خشيته ﴾ عظمته ومهابته ﴿ مشفقون ﴾ مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ﴿ ومن يقل منهم ﴾ من الملائكة اومن الخلائق ﴿ اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ﴾ يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية ﴿ كذلك نجزي الظالمين ﴾ من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ نزه نفسه عما قالوا ﴿ بل عباد ﴾ أي هم عباد يعني الملائكة ﴿ مكرمون ﴾ أي أكرمهم الله واصطفاهم ﴿ لا يسبقونه ﴾ أي لا يتقدمونه ﴿ بالقول ﴾ أي لا يتكلمون الا بما يأمرهم به ﴿ وهم بامره يعملون ﴾ المعنى انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ أي ما عملوا وما هم عاملون وقيل قوما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ﴿ ولا يشفعون الا لمن ارتضى ﴾ قال ابن عباس الا لمن قال لا اله الا الله وقيل الا لمن رضي الله تعالى عنه ﴿ وهم من خشيته مشفقون ﴾ أي خائفون وجلون لا يأمنون مكره ﴿ ومن يقل منهم اني اله من دونه ﴾ قيل عنى به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان أحدا من الملائكة لم يقل اني اله من دون الله ﴿ فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾ أي الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها ﴿ قوله عز وجل

(وقالوا) يعني أهل مكة (اتخذ الرحمن ولدا) بنات من الملائكة (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (بل عباد مكرمون)
بل هم عبيد أكرمهم الله بالطاعة يعني الملائكة (لا يسبقونه) لا يسبق جبريل عن ميكائيل قبل أن يأمره (أو
(بالقول) ولا بالفعل (وهم) يعني الملائكة (بامره يعملون) ويقولون يعني الملائكة (يعلم ما بين أيديهم) من أمر
(وما خلفهم) من أمر الدنيا (ولا يشفعون)يعني الملائكة يوم القيامة (الا لمن ارتضى) الا لمن رضي الله عنه
التوحيد بتوحيده (وهم) يعني الملائكة (من خشيته) من هيبته (مشفقون) خائفون (ومن يقل منهم) يعني من الملائكة
من الخلق (اني اله من دونه) من دون الله (فذلك نجزيه جهنم) فبذلك نجزيه جهنم (كذلك) هكذا (نجزي الظالمين)

ذوا من دونه آلهة) الاعادة لزيادة الافادة فالاول للانكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل أي وصفتم الله تعالى بان يكون
ث فقيل لمحمد (قل هاتوا برهانكم) حجتكم على ذلك وذا عقلي وهو يأباه كما مر أو نقلي وهو
الوحي وهو أيضا يأباه فانكم لاتجدون كتابا من الكتب السماوية الاوفيه توحيده وتنزيهه عن الانداد (هذا) أي القرآن (ذكر من معي) يعني أمته (وذكر من قبلي) يعني أمم الانبياء من قبلي وهو وارد في توحيد الله ونفي الشركاء عنه معي حفص فلما لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال (بل أكثرهم لايعلمون الحق) أي القرآن وهو نصب بيعلمون وقرئ الحق أي هو الحق (فهم) لاجل ذلك (معرضون) عن النظر فيما يجب عليهم (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه) الا نوحي كوفي غير أبي بكر وحماد (انه لااله الا أنا فاعبدون) وحدوني فهذه الآية مقررة لماسبقها من آي التوحيد

(أم اتخذوا) عبدوا (من دونه) من دون الله (آلهة) اصناما (قل) لهم يا محمد (هاتوا برهانكم) حجتكم بعبادتها (هذا) يعني القرآن (ذكر من معي) خبر من هو معي (وذكر من قبلي) خبر من كان قبلي من المؤمنين والكافرين ليس فيه ان لله ولدا وشريكا (بل أكثرهم
لا يعلمون الحق) ولا يصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فهم معرضون) مكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
سلنا من قبلك) يا محمد (من رسول) مرسل (الا نوحي اليه انه) أي قل لقومك حتى يقولوا (لا اله الا أنا فاعبدون) فوحدون

ستعبدون والضمير للآلهة اوللعباد ﴿ام اتخذوا من دونه آلهة﴾ كرره استعظاما
رهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم اوضما لانكار مايكون لهم سندا
النقل الى انكار مايكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى
وهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية اووجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم
ذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول مايدل على فساده عقلا وعلى الثاني
ل على فساده نقلا ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ على ذلك امامن العقل اومن النقل فانه
ح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا ﴿هذا
ر من معي وذكر من قبلي﴾ من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر
حيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال
تب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم
عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل
دو شبههما وبعدهما ﴿بل اكثرهم لايعلمون الحق﴾ ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ
ق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب ﴿فهم معرضون﴾
التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك ﴿وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى
انه لا اله الا انا فاعبدون﴾ تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه
لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حفص
زة والكسائي نوحي اليه بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء

ن ليس فوقه أحد يقول له لشئ فعله لم فعلته ❊ قوله عز وجل ﴿أم اتخذوا من دونه
آلهة﴾ لما أبطل الله تعالى أن تكون آلهة سواه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
أر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال أم اتخذوا من دونه آلهة وهو استفهام انكار وتوبيخ
ل هاتوا برهانكم﴾ أي حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا ﴿هذا﴾ يعني القرآن
ذكر من معي﴾ أي فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني الى يوم القيمة بما لهم من
اب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿وذكر﴾ أي خبر ﴿من قبلي﴾ أي من
أمم السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وقال ابن عباس ذكر من
القرآن وذكر من قبل التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة
والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا أو كان معه آلهة ﴿بل
أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون﴾ ❊ قوله عز وجل ﴿وما أرسلنا من قبلك
من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون﴾ أي فوحدوني وقيل لما توجهت
الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم
معرضون أي عن التأمل والتفكر وما يجب عليهم من الايمان بانه لا اله الا هو ❊ قوله تعالى

تعاوقت عنه ﴿ فسبحان الله رب العرش ﴾ المحيط بجميع الاجسام الذى هو محل التد
ومنشأ التقادير ﴿ عما يصفون ﴾ من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد ﴿ لايسئل عما يفعل ﴾
لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة لذاته ﴿ وهم يسئلون ﴾ لانهم مملوكون

تحريكه وأراد الآخر تسكينه فاما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع
الضدين أولايقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد
مراد الآخر فلايمتنع مراد هذا الاعند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا
لوجدا معا وذلك محال أويقع مراد أحدهما دون الثانى وذلك أيضا محال لوجهين
أحدهما انه لوكان كل واحد منهما قادرا على مالا نهاية له امتنع كون أحدهما أ
من الآخر بل لابدوأن يستويا فى القدرة واذا استويا فى القدرة استحال أن يصير
أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثانى والالزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما
انه اذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فلذى وقع مراده يكون قادرا والذى
لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الاله محال ولوفرضنا الهين لكان كل
واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضى الى وقوع مقدور من قادرين مستقلين
من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل الى الفاعل انما كان لامكانه فاذا كان كل واحد
مستقلا بالايجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا
حاصلا منهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة
مسئلة التوحيد فنقول القول بوجود الهين يفضى الى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما
واذا كان كذلك وجب أن لايقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا أونقول لوقدرنا الهين
فاما أن يتفقا أويختلفا فان اتفقا على الشئ الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما ف
وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما أن يقع المرادان أولايقع واحد منهما أويقع أحدهما
دون الثانى والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات واعلم انك اذا وقفت
حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع مافى العالم العلوى والسفلى من المحدثات والمخلوقات
فهو دليل على وحدانية الله تعالى وأما الدلائل السمعية على الوحدانية فكثيرة فى القر
واعلم ان كل من طعن فى دلالة التمانع ففسر الآية بان المراد لوكان فى السماء والارض
آلهة يقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لاتقدر على تدبير العالم
فلزم افساد العالم قالوا وهذا أولى لانه تعالى حكى عنهم فى قوله أم اتخذوا آلهة من الارض
هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن تختص الدليل به * وأما قوله
﴿ فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾ ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون
من الشريك والولد ﴿ لايسئل عما يفعل ﴾ أى لايسئل الله عما يفعله ويقضيه فى خلقه ﴿ وهم
يسئلون ﴾ أى والناس يسئلون عن أعمالهم والمعنى انه لايسئل عما يحكم فى عباده من اعزاز
واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق يسئلون سؤال
توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم و

ثم نزه ذاته فقال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) من الولد والشريك (لايسئل عما يفعل) لانه المالك على الحقيقة ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقى لاستقبح ذلك وعد سفها فمن هو مالك الملوك ورب الارباب وفعله صواب كله أولى بان لايعترض عليه (وهم يسئلون) لانهم مملوكون خطاؤن فما أخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم فى كل شئ فعلوه وقيل وهم يسئلون يرجع الى المسيح والملائكة أى هم يسئلون فكيف يكونون آلهة والالوهية تنافى الجنسيه والمسؤلية

(فسبحان الله رب العرش) السرير (عما يصفون) يقولون على الله من الولد والشريك (لايسئل عما يفعل) لايسئل الله عما يقول ويأمر ويفعل (وهم يسئلون) والعباد يسئلون عما يقولون ويعملون

(يستحسرون) ولا يعيون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) حال من فاعل يسبحون أى تسبيحهم متصل دائم فى جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفراغ أو بشغل آخر فتسبيحهم جار مجرى التنفس منا ثم أضرب عن المشركين منكرا عليهم وموبخا فجاء بأم التى بمعنى بل والهمزة فقال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) يحيون الموتى ومن الارض صفة لآلهة لان آلهتهم كانت متخذة من جواهر الارض كالذهب والفضة والحجر وتعبد فى الارض فنسبت اليها كقولك فلان من المدينة أى مدنى او متعلق باتخذوا ويكون فيه بيان غاية الاتخاذ وفى قوله هم ينشرون زيادة توبيخ وان لم يدعوا ان أصنامهم تحيي الموتى وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات لانه يلزم من دعوى الالوهية لها دعوى الانشار لان العاجز عنه لا يصح ان يكون الها اذ لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وقرأ الحسن ينشرون بفتح الياء وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها أى أحياها (لوكان فيهما آلهة الا الله) اى غير الله وصفت آلهة بالا كما وصفت بغير لو قيل آلهة غير الله ولا يجوز رفعه على البدل لان لو بمنزلة ان فى أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا فى الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك ولا يجوز نصبه استثناء لان الجمع اذا كان منكرا لا يجوز أن يستثنى منه عند المحققين لانه (قا و خا ٣١ بع) لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء والمعنى لوكان يدبر السموات والارض آلهة شتى غير الواحد الذى هو فاطرهما (لفسدتا) لخربتا لوجود التمانع وقد قررناه فى أصول الكلام

ولا يستحسرون ﴾ ولا يعيون فيها وايثاره على ما هو الاصل فى صيغة نفى المبالغة بالاستحسار الذى هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون ﴿ يسبحون الليل والنهار ﴾ ينزهونه ويعظمونه دائما ﴿ لا يفترون ﴾ حال من الواو فى يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير قبله ﴿ ام اتخذوا آلهة ﴾ بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم ﴿ من الارض ﴾ صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص ﴿ هم ينشرون ﴾ الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم ﴿ لوكان فيهما آلهة الا الله ﴾ غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثنى بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون فى كلام غير موجب ﴿ لفسدتا ﴾ لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت فى المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه

ولا يستحسرون ﴾ اى لا يعيون ولا يتعبون وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله فى قوله ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ اى لا يضعفون ولا يسأمون وذلك ان تسبيحهم متصل دائم لا يفتر فى جميع اوقاتهم لا تتخلله فترة بفراغ او شغل آخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبنى آدم ﴿ ام اتخذوا آلهة من الارض ﴾ يعنى الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهى من الارض ﴿ هم ينشرون ﴾ اى يحيون الاموات اذا لا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحياء والايجاد من العدم والانعام بابلغ وجوه النعم وهو الله عز وجل ﴿ لوكان فيهما ﴾ أى فى السماء والارض ﴿ آلهة الا الله ﴾ أى غير الله ﴿ لفسدتا ﴾ أى لخربتا وهلك من فيهما لوجود التمانع من الآلهة لان كل أمر صدر عن الاثنين فاكثر لم يجر على النظام وقال الامام فخر الدين الرازى قال المتكلمون القول بوجود الهين يفضى الى المحال فوجب أن يكون القول بوجود الهين محالا وانما قلنا انه يفضى الى المحال لانا لو فرضنا وجود الهين فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا ان أحدهما أراد

والاقرار بعبوديته (ولا يستحسرون) لا يعيون من عبادة الله (يسبحون الليل والنهار) يصلون لله بالليل والنهار (لا يفترون) لا يسأمون من عبادة الله والاقرار بالله (أم اتخذوا) أم عبدوا يعنى أهل مكة (آلهة من الارض) فى الارض (هم ينشرون) يحيون ويخلقون (لو كان فيهما آلهة) يعنى فى السماء والارض اله (الا الله) غير الله (لفسدتا) لفسد أهلوهما

كأنه رد على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبته (لاتخذناه من لدنا) من الولدان أو الحور (ان كنا فاعلين) اى ان
ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله لاستحالته فى حقنا وقيل هو نفى كقوله وان أدرى اى ما كنا فاعلين (بل نقذف) بل اضرب
عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحانا ان نتخذ اللهو بل من سنتنا

﴿لاتخذناه من لدنا﴾ من جهة قدرتنا أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لامن الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الرد على النصارى ﴿ان كنا فاعلين﴾ ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة الشرطية ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾ اضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب أى بل من شأننا ان نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من عداده اللهو ﴿فيدمغه﴾ فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله

سأترك منزلى لبنى تميم ٭ والحق بالحجاز فأستريحا

ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق ﴿فاذا هو زاهق﴾ هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ مما تصفونه به مما لايجوز عليه وهو فى موضع الحال وما مصدرية أو موصولة أو موصوفة ﴿وله من فى السموات والارض﴾ خلقا وملكا ﴿ومن عنده﴾ يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من فى السموات وافراده للتعظيم أو لانه اعم منه من وجه أو المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء فى السماء والارض أو مبتدأ خبره ﴿لايستكبرون عن عبادته﴾ لايتعظمون عنها

قال ابن عباس اللهو المرأة وعنه انه الولد ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ أى من عندنا من الحور العين لامن عندكم من اهل الارض وقيل معناه لوكان ذلك جائزا فى حقنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم بل نستر ذلك حتى لاتطلعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا فى المسيح وأمه ماقالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لاعند غيره ﴿ان كنا فاعلين﴾ أى ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لانه لايليق بالربوبية ﴿بل﴾ أى دع ذلك الذى قالوه فانه كذب وباطل ﴿نقذف﴾ أى نرمى ونسلط ﴿بالحق﴾ أى بالايمان ﴿على الباطل﴾ أى على الكفر وقيل الحق قول الله انه لاولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا ﴿فيدمغه﴾ فيهلكه ﴿فاذا هو زاهق﴾ اى ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم أوعدهم على كذبهم فقال تعالى ﴿ولكم الويل﴾ يامعشر الكفار ﴿مما تصفون﴾ الله بما لايليق به من الصاحبة والولد ﴿وله من فى السموات والارض﴾ أى عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم ﴿ومن عنده﴾ يعنى الملائكة وانما خص الملائكة وان كانوا داخلين فى جملة من فى السموات لكرامتهم وشرفهم [illegible] ﴿لايستكبرون عن عبادته﴾ اى لايتكبرون ولايتعظمون عنها

نقذف اى نرمى ونسلط (بالحق) بالقرآن (على الباطل) الشيطان او بالاسلام على الشرك او بالجد على اللعب (فيدمغه) فيكسره ويدحض الحق الباطل وهذه استعارة لطيفة لان اصل استعمال القذف والدمغ فى الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل فالمستعار حسى والمستعار له عقلى فكأنه قيل بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوى على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله ابطال الجسم القوى الضعيف (فاذا هو) أى الباطل (زاهق) هالك ذاهب (ولكم الويل مما تصفون) الله من الولد ونحوه (وله من فى السموات والارض) خلقا وملكا فانى يكون شئ منه ولدا له وبينهما تناف ويوقف على الارض لان (ومن عنده) منزلة ومكانة لامنزلا ولا محلا يعنى الملائكة مبتدأ خبره (لايستكبرون) لا يتعظمون (عن عبادته

زوجة ويقال ولدا (لاتخذناه من لدنا) من [illegible] الحور العين (ان [illegible] كنا فاعلين) ذلك (بل نقذف بالحق) نرمى الحق (على الباطل) ويقال نبين الحق والباطل (فيدمغه) فيهلكه (فاذا هو زاهق) هالك يعنى (ولا الباطل (ولكم) يامعشر الكفار (الويل) الشدة من العذاب (مما تصفون) مما تقولون الملائكة بنات الله (وله) عبيد (من فى السموات والارض) من خلق (ومن عنده) من الملائكة (لايستكبرون) لايتعاظمون (عن عبادته) عن طاعته

يكم ويقولوالكم بم تأمرون وكيف نأتى ونذر كعادة المنعمين المخدمين أويسألكم الناس فى أنديتكم المعاونة فى نوازل
لوب أويسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم أوقال بعضهم لبعض لاتركضوا وارجعوا الى منازلكم
والكم لعلكم تسئلون مالا وخراجا فلاتقتلون فنودى من السماء يالثارات الانبياء وأخذتهم السيوف فثم (قالوا ياويلنا
كنا ظالمين) اعترافهم بذلك حين لاينفعهم الاعتراف (فمازالت تلك) هى اشارة الى ياويلنا (دعواهم) دعاءهم
ن مرفوع على انه اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز العكس (حتى
جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد أى الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع المقدر (خامدين) ميتين خمود النار وحصيدا خامدين مفعول ثان لجعل أى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصد والخمود كقولك جعلته حلوا حامضا أى جعلته جامعا للطعمين (وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين) اللعب فعل يروق أوله ولاثبات له ولاعبين حال من فاعل خلقنا والمعنى وماسوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع ومابينهما من أصناف الخلق للهو واللعب وانما سويناها ليستدل بها على قدرة مدبرها ولنجازى المحسن والمسئ على ماتقتضيه حكمتنا ثم نزه ذاته عن سمات الحدث بقوله (لوأردنا أن نتخذ لهوا) اى ولدا او امرأة

للسؤال والتشاور فى المهام والنوازل ﴿ قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين ﴾ لمارأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبى فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يالثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك ﴿ فمازالت تلك دعواهم ﴾ فمازالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كأنه يدعو الويل ويقول ياويل تعال فهذا أوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية ﴿ حتى جعلناهم حصيدا ﴾ مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع ﴿ خامدين ﴾ ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو صفة له أو حال من ضميره ﴿ وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين ﴾ وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوى الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد فى المعاش والمعاد فينبغى ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولايغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال ﴿ لواردنا ان نتخذ لهوا ﴾ ماتيلهى به ويلعب

قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه الآية فى أهل حضور قرية باليمن وكان أهلها عربا فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لاتركضوا أى لاتهربوا وارجعوا الى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسئلون شيأ من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فانكم أهل ثروة ونعمة فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء بالثارات الانبياء فلما رأوا ذلك اقروا بالذنوب حين لم ينفعهم ﴿ قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين ﴾ أى لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم ﴿ فمازالت تلك دعواهم ﴾ أى تلك الكلمة وهى قولهم ياويلنا ﴿ حتى جعلناهم حصيدا ﴾ أى بالسيوف كما يحصد الزرع ﴿ خامدين ﴾ أى ميتين * قوله عز وجل ﴿ وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين ﴾ معناه ماسوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع ومابينهما من العجائب للعب واللهو وانما سويناهما لفوائد منها التفكر فى خلقهما ومافيهما من العجائب والمنافع التى لاتعد ولاتحصى ﴿ لوأردنا أن نتخذ لهوا ﴾

النبى عليه السلام (قالوا)
القتل والعذاب (ياويلنا انا كنا ظالمين) بقتل نبينا (فمازالت تلك) الويل (دعواهم) قولهم (حتى جعلناهم حصيدا)
بيد السيف (خامدين) ميتين لايتحركون هذه قصة أهل قرية نحو اليمن يقال لها حضور بعث الله اليهم نبيا فقتلوا ذلك النبى
السلام فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم ولم ترك فيهم عينا تطرف (وماخلقنا السماء والارض ومابينهما) من الخلق (لاعبين)
عين بلا أمر ولا نهى ثم نزل فى قولهم الملائكة بنات الله (لوأردنا أن نتخذ لهوا) بنات ويقال

اى من قومه (فانجيناهم) ثماحل بقومهم (ومن نشاء) هم المؤمنون (وأهلكنا المسرفين) المجاوزين الحد بالكفر ودل الا
باهلاك المسرفين على أن من نشاء غيرهم (لقد أنزلنا اليكم) يامعشر قريش (كتابا فيه ذكركم) شرفكم ان عملتم به أ
بلسانكم أو فيه موعظتكم أو فيه ذكر دينكم ودنياكم والجملة أى فيه ذكركم صفة لكتابا (أفلاتعقلون) مافضلتكم به على غيركم فتؤ
(وكم) نصب بقوله (قصمنا) أى أهلكنا (من قرية) أى أهلها بدليل قوله (كانت ظالمة) كافرة وهى واردة عن غضب
وسخط عظيم لان القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذى يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم فانه كسر بلا
(وأنشأنا) خلقنا (بعدها قوما آخرين) فسكنوا مساكنهم (فلما أحسوا) أى المهـ
(بأسنا) عذابنا أى علموا علم
حس ومشاهدة (اذاهم منها)
من القرية واذا للمفاجأة وهم
مبتدأ والخبر (يركضون)
يهربون مسرعين والركض
ضرب الدابة بالرجل فيجوز
أن يركبوا دوابهم يركضونها
هاربين من قريتهم لما أدركتهم
مقدمة العذاب أو شبهوا
فى سرعة عدوهم على
أرجلهم بالراكبين الراكضين
لدوابهم فقيل لهم (لاتركضوا)
والقائل بعض الملائكة
(وارجعوا الى ما أترفتم فيه)
انعمتم فيه من الدنيا ولين
العيش قال الخليل المترف
الموسع عليه عيشه القليل
فيه همه (ومساكنكم لعلكم
تسئلون) أى يقال لهم استهزاءبهم
ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم
لعلكم تسئلون غدا عما جرى
عليكم ونزل باموالكم فتجيبوا
السائل عن علم ومشاهدة
أو ارجعوا واجلسوا كما
كنتم فى مجالسكم حتى يسألكم
عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم

﴿ فانجيناهم ومن نشاء ﴾ يعنى المؤمنين بهم ومن فى ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو أو احد
من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال ﴿ واهلكنا المسرفين ﴾ فى الكفر
والمعاصى ﴿ لقد انزلنا اليكم ﴾ ياقريش ﴿ كتابا ﴾ يعنى القرآن ﴿ فيه ذكركم ﴾ صيتكم
كقوله وانه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو ماتطلبون به حسن الذكر من مكارم
الاخلاق ﴿ افلاتعقلون ﴾ فتؤمنون ﴿ وكم قصمنا من قرية ﴾ واردة من غضب عظيم
لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم ﴿ كانت ظالمة ﴾ صفة لاهلها وصفت
بها لما اقيمت مقامه ﴿ وانشأنا بعدها ﴾ بعد اهلاك اهلها ﴿ قوما آخرين ﴾ مكانهم ﴿ فلما
احسوا بأسنا ﴾ فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل
المحذوف ﴿ اذاهم منها يركضون ﴾ يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم
من فرط اسراعهم ﴿ لاتركضوا ﴾ على ارادة القول أى قيل لهم استهزاء لاتركضوا
امابلسان الحال اوالمقال والقائل ملك أو من ثمه من المؤمنين ﴿ وارجعوا الى ما اترفتم فيه ﴾
من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ﴿ ومساكنكم ﴾ التى كانت لكم ﴿ لعلكم
تسئلون ﴾ غدا من اعمالكم أو تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب أو تقصدون

وعدناهم باهلاك أعدائهم ﴿ فانجيناهم ومن نشاء ﴾ أى من المؤمنين الذين صدقوهم ﴿ وأهلكنا
المسرفين ﴾ أى المشركين لان المشرك مسرف على نفسه * قوله عز وجل ﴿ لقد أنزلنا
اليكم ﴾ أى يامعشر قريش ﴿ كتابا فيه ذكركم ﴾ أى شرفكم وفخركم وهو شرف لمن
آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ماتحتاجون اليه من أمر دينكم وقيل فيه تذكرة
لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد ﴿ أفلاتعقلون ﴾ فيه بعث على التدبر
لان الخوف من لوازم العقل * قوله تعالى ﴿ وكم قصمنا ﴾ أى أهلكنا ﴿ من قرية كانت
ظالمة ﴾ أى كافرة والمراد أهل القرية ﴿ وأنشأنا بعدها ﴾ أى أحدثنا بعد هلاك أهلها
﴿ قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا ﴾ أى عذابنا بحاسة البصر ﴿ اذاهم منها يركضون ﴾
أى يسرعون هاربين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب ﴿ لاتركضوا ﴾ أى قيل لهم لاتهربوا
﴿ وارجعوا الى ما أترفتم فيه ﴾ أى نعمتم فيه من العيش ﴿ ومساكنكم لعلكم تسئلون

بالنجاة (فانجيناهم) يعنى الانبياء (ومن نشاء) من آمن بالرسل (وأهلكنا المسرفين) المشركين (لقد أنزلنا اليكم) (قد
الى نبيكم (كتابا) جبريل بكتاب (فيه ذكركم) شرفكم وعزكم ان آمنتم به (أفلاتعقلون) أفلا تصدقون بشرفكم
(وكم قصمنا) أهلكنا (من قرية) أهل قرية (كانت ظالمة) كافرة مشركة أهلها (وأنشأنا) خلقنا (بعدها) بعد هلاكهم
آخرين) فسكنوا) ديارهم (فلما أحسوا بأسنا) رأوا عذابنا بهلاكهم (اذا هم منها) من بأسنا (يركضون) يهزؤن و
يهربون ايضا قالت لهم الملائكة (لاتركضوا) لاتهزؤا ولاتهربوا (وارجعوا الى ما أترفتم) أنعمتم (فيه ومساكنكم
منازلكم (لعلكم [illegible] تسئلوا عن الايمان وتقال عن قتل

(ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) صفة لقرية عند مجئ الآيات المقترحة لانهم طلبوها تعنتا (أفهم يؤمنون) أى أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أعتى منهم والمعنى ان أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو أعطيناهؤلاء ما يقترحون لنكثوا أيضا (وما أرسلنا قبلك الا رجالا) هذا جواب قولهم هل هذا الا بشر مثلكم (يوحى اليهم) نوحى حفص (فاسئلوا أهل الذكر) العلماء بالكتابين فانهم يعرفون أن الرسل الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم (ان كنتم لاتعلمون) ذلك ثم بين انه كمن تقدمه من الانبياء بقوله (وما جعلناهم جسدا) وحد الجسد لارادة الجنس (لا يأكلون الطعام) صفة لجسدا يعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوى جسد غير طاعمين (وما كانوا خالدين) كانهم قالوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين بقاءهم الممتد وحياتهم المتطاولة خلودا (ثم صدقناهم الوعد) بانجائهم والاصل فى الوعد مثل واختار موسى قومه

﴿ ما آمنت قبلهم من قرية ﴾ من اهل قرية ﴿ اهلكناها ﴾ باقتراح الآيات لما جاءتهم ﴿ أفهم يؤمنون ﴾ لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم ﴿ وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ﴾ جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم فى امر النبى عليه الصلاة والسلام ويثقون بقولهم أو لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحى بالنون ﴿ وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ﴾ نفى لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا أبشارا امثالهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدى الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر فى الاصل أو على حذف المضاف أو تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشئ واشتداده ﴿ ثم صدقناهم الوعد ﴾ اى فى الوعد

﴿ ما آمنت قبلهم ﴾ أى قبل مشركى مكة ﴿ من قرية ﴾ أى من أهل قرية أتتهم الآيات ﴿ أهلكناها ﴾ أى بالتكذيب ﴿ أفهم يؤمنون ﴾ أى ان جاءتهم آية والمعنى ان أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم أفيؤمن هؤلاء ❊ قوله تعالى ﴿ وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم ﴾ هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم والمعنى انا لم نرسل الملائكة الى الاولين انما ارسلنا رجالا نوحى اليهم مثلك ﴿ فاسئلوا أهل الذكر ﴾ يعنى أهل التوراة والانجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أمر الله المشركين بسؤال اهل الكتاب لان المشركين أقرب الى تصديقهم من تصديق من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالذكر القرآن أى فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن ﴿ ان كنتم لاتعلمون ﴾ ❊ قوله عز وجل ﴿ وما جعلناهم ﴾ أى الرسل ﴿ جسدا لا يأكلون الطعام ﴾ هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام ﴿ وما كانوا خالدين ﴾ أى فى الدنيا بل يموتون كغيرهم ﴿ ثم صدقناهم الوعد ﴾ أى الذى

فيقول الله (ما آمنت قبلهم) قبل قومك يا محمد بالآيات (من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) عند التكذيب بالآيات (أفهم يؤمنون) أقومك يؤمنون بالآيات لا يؤمنون (وما أرسلنا قبلك) من الرسل (الا رجالا) من البشر مثلك (نوحى اليهم) نرسل اليهم الملائكة كما ارسلنا اليك فاسئلوا اهل الذكر) أهل التوراة والانجيل (ان كنتم لاتعلمون) أن الله لم يرسل الرسول الا من البشر (وما جعلناهم جسدا) الانبياء (لا يأكلون الطعام) ولا يشربون الشراب (وما كانوا خالدين) فى الدنيا ولكن كانوا يأكلون الطعام ويشربون الشراب يموتون نزلت فيهم حين قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق (ثم صدقناهم الوعد) نجزنا وعد الانبياء

كذا في حل المذهب ... من النجوى أي واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا سحرا ومعنى انهم عتقد
الرسول لايكون الاملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على
الانكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون انه سحر (قال ربي) حمزة وعلى وحفص أي قال
 النجوى (يعلم القول في السماء والار

لقول مقدر كأنهم استد... بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسو
لايكون الاملكا واستلزموا منه ان ماجاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضور
وانما اسروا به تشاورا في استنباط مايهدم امره ويظهر فساده للناس عامة ﴿قل ربي يع
القول في السماء والارض﴾ جهرا كان أو سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انز
الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير هنا وليطابق قوله واسروا النجوى
في المبالغة وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وهو
السميع العليم﴾ فلا يخفى عليه ماتسرون ولا ماتضمرون ﴿بل قالوا أضغاث احلام بل افتر
بل هو شاعر﴾ اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلا
افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى ... لحكاية والابتداء باخرى أو للاضراب
عن تحاورهم في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وماظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في
امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى
كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني
لاحقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان
كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه مايناسب
قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى
لايكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين
سنة وماسمعوا منه كذبا قط وهو ابعد من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق
﴿فليأتنا بآية كما ارسل الاولون﴾ أي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء
الا... واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية

﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿ربي يعلم القول في السماء والارض﴾ أي لايخفى عليه شئ ﴿وهو السميع﴾
لاقوالهم ﴿العليم﴾ بافعالهم ... عز وجل ﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ يعني أباطيل
وأهاويل رآها في النوم ﴿بل افتراه﴾ أي اختلقه ﴿بل هو شاعر﴾ وذلك ان المشركين
اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال
بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وماجاءكم به شعر ﴿فليأتنا﴾ يعني النبي
صلى الله عليه وسلم ﴿بآية﴾ أي بحجة ان كان صادقا ﴿كما أرسل الاولون﴾ أي من
... [illegible]

ضمائرهم (بل قالوا أضغاث
أحلام بل افتراه بل هو
شاعر) اضربوا عن قولهم
هو سحر الى انه تخاليط احلام
رآها في نومه فتوهمها
وحيا من الله اليه ثم الى انه
كلام مفترى من
عنده ثم الى انه قول شاعر
وهكذا الباطل لجلج والمبطل
رجاع غير ثابت على قول
واحد ...
في دعواه وليس الامر كما
يظن (فليأتنا بآية) بمعجزة
(كما أرسل الاولون) كما
أرسل من قبله باليد البيضاء
والعصا وابراء الاكمه
واحياء الموتى وصحة التشبيه
...

... وكذب (قل) لهم يا محمد (ربي يعلم القول في السماء والارض) أي يعلم السر من القول والفعل (من
من أهل السماء والارض (وهو السميع) لمقالة أبي جهل وأصحابه (العليم) بهم وبعقوبتهم (بل قالوا) قال بعضهم (أضغاث أحلام
أباطيل ... ما أتانا به محمد صلى الله عليه وسلم (بل افتراه) وقال بعضهم بل اختلق محمد عليه السلام القرآن من تلقاء نفسه
(بل هو شاعر) وقال بعضهم بل هو شاعر بروايته (فليأتنا بآية) بعلامة (كما أرسل الاولون) من الرسل بالآيات الى قومهم ...

(ما يأتيهم من ذكر) شئ من القرآن (من ربهم محدث) فى التنزيل اتيانه مبتدأة تلاوته قريب عهده باستماعهم والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف فى حدوثها (الا استمعوه) من النبى عليه السلام أو غيره ممن يتلوه (وهم يلعبون) يستهزؤن به (لاهية) حال من ضمير يلعبون أو وهم يلعبون ولاهية حالان من الضمير فى استمعوه ومن قرأ لاهية بالرفع يكون خبرا بعد خبر لقوله وهم وارتفعت (قلوبهم) بلاهية وهى من لها عنه اذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها ومنها قال أبو بكر الوراق القلب اللاهى المشغول

بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها (وأسروا) وبالغوا فى اخفاء (النجوى) وهى اسم من التناجى ثم أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسروا ايذانا بانهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال اكلونى البراغيث أو هو مجرور المحل لكونه صفة أو بدلا من الناس أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى فقدم عليه أى والذين ظلموا أسروا النجوى (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام

عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن فى معرضون ﴿ ما يأتيهم من ذكر ﴾ ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة ﴿ من ربهم ﴾ صفة لذكر أو صلة ليأتيهم ﴿ محدث ﴾ تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كى يتعظوا * وقرئ بالرفع حملا على المحل ﴿ الا استمعوه وهم يلعبون ﴾ يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفكر فى العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك ﴿ لاهية قلوبهم ﴾ أى استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهى والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير ﴿ وأسروا النجوى ﴾ بالغوا فى اخفائها أو جعلوها بحيث خفى تناجيهم بها ﴿ الذين ظلموا ﴾ بدل من واو وأسروا للايماء بانهم ظلموا فيما اسروا به أو فاعل له والواو لعلامة الجمع أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم أو منصوب على الذم ﴿ هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ﴾ باسره فى موضع النصب بدلا من النجوى أو مفعولا

لا يتفكرون فى عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لابد من جزاء المحسن والمسئ ثم اذا نبهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا عنه ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ يعنى ما يحدث الله من تنزيل شئ من القرآن يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة فى وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الامور والوقائع وقيل الذكر المحدث ما قال النبى صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما فى القرآن وأضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ﴿ الا استمعوه وهم يلعبون ﴾ أى لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون ﴿ لاهية قلوبهم ﴾ أى ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴾ أى بالغوا فى اخفاء التناجى وهم الذين أشركوا ثم بين سرهم الذين تناجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم ﴿ هل هذا الا بشر مثلكم ﴾ يعنى انهم أنكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة والاولى ارسال البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من أشكاله أقرب ﴿ أفتأتون السحر ﴾ أى أتحضرون السحر وتقبلونه ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ أى تعلمون أنه سحر

تباركون له (ما يأتيهم) ما يأتى الى نبيهم جبريل (من ذكر) بذكر يعنى القرآن (من ربهم محدث) بآية بعد آية وسورة بعد سورة لكان اتيان جبريل وقراءة محمد صلى الله عليه وسلم واستماعهم محدثا لا القرآن (الا استمعوه) الا استمع أهل مكة الى قراءة محمد عليه السلام والقرآن (وهم يلعبون) يهزؤن بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لاهية قلوبهم) غافلة قلوبهم عن أمر الآخرة (وأسروا النجوى) اخفوا التكذيب بمحمد عليه السلام والقرآن فيما بينهم (الذين ظلموا) هم الذين ظلموا أشركوا أبو جهل وأصحابه يقول بعضهم لبعض (هل هذا) ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (الا بشر) آدمى (مثلكم أفتأتون السحر) أفتصدقون بالسحر والكذب (وأنتم تبصرون) وأنتم

سورة الأنبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ بالاضافة الى ما مضى أو عند الله لقوله تعالى ﴿ انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ﴾ وقوله ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ أو لأن كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب أو تأكيد للاضافة وأصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله ﴿ وهم فى غفلة ﴾ أى فى غفلة عن الحساب ﴿ معرضون ﴾

تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهى مكية

وعدد آياتها مائة واثنتا عشرة آية وألف ومائة وثمان وستون

كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قوله عز وجل ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ أى وقت محاسبة الله اياهم على أعمالهم يوم القيامة نزلت فى منكرى البعث وانما ذكر بلفظ الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون أقرب الى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه ﴿ وهم فى غفلة معرضون ﴾ أى عن التأهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون

سورة الأنبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية كوفى واحدى عشرة مدنى وبصرى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (اقترب) دنا (للناس) اللام ... عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بالناس المشركون لأن ما يتلوه من صفات المشركين (حسابهم) وقت محاسبة الله اياهم ومجازاته على أعمالهم يعنى يوم القيامة وانما وصفه بالاقتراب لقلة ما بقى بالاضافة الى ما مضى ... (وهم فى غفلة) ... وعما يفعل بهم ثم (معرضون) عن التأهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة والاعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين فرب غافل عن حسابه لاستغراقه فى دنياه واعراضه عن مولاه ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه فى مولاه واعراضه عن دنياه فهو لا يفيق الا برؤية المولى والاول انما يفيق فى عسكر الموتى فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب وتتنبه للعرض قبل ان تندم وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين

ومن السورة التى يذكر فيها الانبياء وهى كلها مكية آياتها مائة واحدى عشرة وكلماتها ألف ومائة وثمان وثلاثون وحروفها اربعة آلاف وثمان ومائة وستون حرفا ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اقترب للناس حسابهم) يقول دنا لأهل مكة ما وعدلهم فى الكتاب من العذاب (وهم فى غفلة) عن ذلك (معرضون) مكذبون

بالياء وقرئ الصحب بالتخفيف ﴿ولو أنا اهلكناهم بعذاب من قبله﴾ من قبل محمد عليه الصلا
والسلام أو البينة والتذكير لانها في معنى البرهان أو المراد بها القرآن ﴿لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل﴾ بالقتل والسبي في الدنيا ﴿ونخزى﴾ بدخول
النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما ﴿قل كل﴾ اى كل واحد منا ومنكم
﴿متربص﴾ منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم ﴿فتربصوا﴾ وقرئ فتمتعوا ﴿فستعلمون
من اصحاب الصراط السوى﴾ المستقيم وقرئ السواء أي الوسط الجيد والسوأى
والسوء أي الشر والسوى وهو تصغيره ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة ومن في الموضعين
للاستفهام ومحلهما الرفع بالابتداء ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم
العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على
ان العلم بمعنى المعرفة أو على اصحاب أو على الصراط
على ان المراد به النبي عليه الصلاة والسلام
وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ طه
اعطى يوم القيمة ثواب المهاجرين
والانصار رضوان الله
عليهم اجمعين

﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ أي من قبل ارسال الرسل وانزال القرآن ﴿لقالوا
ربنا لولا أرسلت الينا رسولا﴾ أي لقالوا يوم القيامة لولا أرسلت الينا رسولا يدعونا ﴿فنتبع
آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ بالعذاب والهوان والافتضاح ﴿قل كل متربص﴾ أي
منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون
وحوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى ﴿فتربصوا﴾
أي فانتظروا ﴿فستعلمون﴾ أي اذا جاء أمر الله وقامت
القيامة ﴿من أصحاب الصراط السوى﴾ أي المستقيم
﴿ومن اهتدى﴾ أي من الضلالة نحن أم أنتم
والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

ربنا لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع) بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء (آياتك من قبل أن نذل) بنزول العذاب (ونخزى) في العقبى (قل كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر للعاقبة ولما يؤول اليه أمرنا وأمركم (فتربصوا) أنتم (فستعلمون) اذا جاءت القيامة (من أصحاب) مبتدأ وخبر ومحلهما نصب (الصراط السوى) المستقيم (ومن اهتدى) الى النعيم المقيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ أهل الجنة الا سورة طه ويس والله أعلم بالصواب

عليه وسلم ونعته (ولو أنا أهلكناهم) يعني أهل مكة (بعذاب من قبله) من قبل مجيء محمد عليه السلام اليهم بالقرآن (لقالوا) يوم القيامة (ربنا) يا ربنا (لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك) فنطيع رسولك ونؤمن بكتابك (من قبل أن نذل) نقتل يوم بدر (ونخزى) نعذب بعذاب يوم القيامة (قل) لهم يا محمد (كل) كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر لهلاك صاحبه (فتربصوا) فانتظروا (فستعلمون) عند نزول العذاب
يوم القيامة (من أصحاب الصراط السوى) العدل (ومن اهتدى) الى الايمان منا أو منكم

(وأمر أهلك) أمتك أو أهل بيتك (بالصلوة واصطبر)أنت داوم (عليها لانسئلك رزقا)أى لانسألك ان ترزق نفسك ولأهلك(نحن نرزقك) واياهم فلاتهتم لامر الرزق وفرغ بالك لامر الآخرة لان من كان فى عمل الله كان الله فى عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ماعند السلاطين قرأ ولاتمدن عينيك الآية ثم ينادى الصلاة الصلاة رحمكم الله وكان بكر بن عبد الله المزنى اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله وعن مالك بن دينار مثله وفى بعض المسانيد انه عليه السلام كان اذا أصاب أهله ضرأمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (والعاقبة للتقوى) أى واحسن العاقبة لاهل التقوى بحذف المضافين (وقالوا) أى الكافرون (لولا يأتينا بآية من ربه) هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته (أولم يأتهم) أولم تأتهم مدنى وحفص وبصرى (بينة مافى الصحف الاولى)أى الكتب المتقدمة يعنى انهم اقترحوا على عادتهم فى التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هى أم الآيات وأعظمها فى باب الاعجاز يعنى القرآن من قبل ان القرآن برهان مافى سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهى مفتقرة الى شهادته على

فانه لاينقطع ﴿ وأمر اهلك بالصلوة ﴾ امره بان يأمر اهل بيته أو التابعين له من امته بالصلاة بعدما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولايهتموا بامر المعيشة ولايلتفتوا لفت ارباب الثروة ﴿ واصطبر عليها ﴾ ودوام عليها ﴿ لانسئلك رزقا ﴾ أى ان ترزق نفسك ولا اهلك ﴿ نحن نرزقك ﴾ واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة ﴿ والعاقبة ﴾ المحمودة ﴿ للتقوى ﴾ لذوى التقوى روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اصاب اهله ضرامرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ﴾ بآية تدل على صدقه فى ادعاء النبوة أو بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات أو للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذى هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من العلم والعمل على وجه خارق للعادة ولاشك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ماكان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال ﴿ أولم يأتهم بينة مافى الصحف الاولى ﴾ من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة مافيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتى به امى لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هى مفتقرة الى ماشهد على صحتها قرأ نافع وابو عمرو وحفص عن عاصم اولم تأتهم بالتاء والباقون

---

* قوله تعالى ﴿ وأمر أهلك ﴾ أى قومك وقيل من كان على دينك ﴿ بالصلوة ﴾ أى بالمحافظة عليها ﴿ واصطبر عليها ﴾ أى اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول ﴿ لانسئلك رزقا ﴾ أى لانكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل نكلفك عملا ﴿ نحن نرزقك ﴾ أى بل نحن نرزق ونرزقك أهلك ﴿ والعاقبة للتقوى ﴾ أى الخصلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بك وفى بعض المسانيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهله ضرأمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية * قوله تعالى ﴿ وقالوا ﴾ يعنى المشركين ﴿ لولا يأتينا بآية من ربه ﴾ أى بالآية المقترحة فانه كان قد أتاهم بآيات كثيرة ﴿ أولم تأتهم بينة مافى الصحف الاولى ﴾ أى بيان مافيها وهو القرآن لانه أقوى دلالة وأوضح آية وقيل معنى مافى الصحف مافى التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم انهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم لم يؤمنوا بها فجعلنا لهم العذاب والهلاك فمايؤمنهم ان أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك وقيل بينة مافى الصحف الاولى هى البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته

[...]هم فى الدنيا (وأمر أهلك بالصلوة)عند الشدة (واصطبر عليها) اصبر عليها (لانسئلك رزقا) أن ترزق نفسك ولا أهلك (نحن [نر]زقك والعاقبة للتقوى) الجنة لمتقى الكفر والشرك والفواحش (وقالوا) يعنى أهل مكة (لولا يأتينا)هلا يأتينا محمد (بآية [علا]مة (من ربه أولم تأتهم بينة) بيان (مافى الصحف الاولى)فى التوراة والانجيل أن فيهما صفة محمد صلى الله

تنال عند الله مابه ترضى نفسك ويسر قلبك وترضى على وأبو بكر أى يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أى نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لايكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك أ[ن] يبادر الشئ بالنظر ثم ولقد شدد المتقون فى وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة فى ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا الى دقدقة هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لأنهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها (الى مامتعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال الى الذى متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (زهرة الحيوة الدنيا) زينتها وبهجتها وانتصب على الذم أو على ابداله من محل به أو على ابداله من أزواجا على تقدير ذوى زهرة (لنفتنهم فيه) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم فى الآخرة بسببه (ورزق ربك) ثوابه وهو الجنة أو الحلال الكافى (خير وأبقى) مما رزقوا

نفسك ، وقرأ الكسائى وابو بكر بالبناء للمفعول اى يرضيك ربك ﴿ ولا تمدن عينيك ﴾ أى نظر عينيك ﴿ الى مامتعنا به ﴾ استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ﴿ ازواجا منهم ﴾ اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى به والمفعول منهم أى الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم أو ناسا منهم ﴿ زهرة الحيوة الدنيا ﴾ منصوب بمحذوف دل عليه متعنا أو به على تضمينه معنى اعطينا أو بالبدل من محل به أو من ازواجا بتقدير مضاف ودونه أو بالذم وهى الزينة والبهجة ، وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة فى الجهرة أو جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ماعليه المؤمنون الزهاد ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ لنبلوهم ونختبرهم فيه أو لنعذبهم فى الآخرة بسببه ﴿ ورزق ربك ﴾ وما ادخر لك فى الآخرة أو مارزقك من الهدى والنبوة ﴿ خير ﴾ مما منحهم فى الدنيا ﴿ وابقى ﴾

ربك (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، قوله لاتضامون بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لايظلم بعضكم بعضا فى رؤيته و روى بتشديد الميم من الانضمام والازدحام أى لايزدحم ولاينضم بعضكم الى بعض فى رؤيته والكاف فى قوله كما ترون هذا القمر كاف التشبيه للرؤية لاللمرئى وهى فعل الرائى ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر لاترتابون فيه ولاتشكون ۞ قوله عز وجل ﴿ ولا تمدن عينيك ﴾ قال أبو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودى فقال قل له [ا]ن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعنى كذا وكذا من الدقيق أو أسلفنى الى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لئن باعنى أو أسلفنى لقضيته وانى لامين فى السماء وأمين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك أى لاتنظر نظرا تكاد ترده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا له ﴿ الى مامتعنا به ﴾ أى اعطينا ﴿ ازواجا ﴾ أى أصنافا ﴿ منهم زهرة الحيوة الدنيا ﴾ أى زينتها وبهجتها ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ أى لنجعل ذلك فتنة لهم بأن نزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ﴿ ورزق ربك ﴾ أى فى المعاد فى الجنة ﴿ خير وأبقى ﴾ أى أدوم وقال أبى بن كعب من لم يعتز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن أتبع بصره مافى أيدى الناس بطل حزنه ومن ظن أن نعمة الله عليه فى مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه

حتى ترضى (ولا تمدن عينيك) ولاتنظرن رغبة (الى مامتعنا به) الى ما أعطينا من المال (أزواجا) رجالا (قوله
(منهم) من بنى قريظة والنضير (زهرة الحيوة الدنيا) زينة الدنيا (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيما أعطيناهم من الزينة (ورز[ق]
ربك) الجنة (خير) أفضل (وأبقى) أدوم

اذا تفكروا واعلموا ان استئصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم (لكان لزاما) لازما فاللزام مصدر لزم فوصف به (وأجل مسمى) القيامة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما يقولون) فيك (وسبح) وصل (بحمد ربك) في موضع الحال وأنت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح وأعانك عليه (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها (ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار) أي وتعهد آناء الليل أي ساعاته وأطراف النهار مختصا لها بصلاتك وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله والصلاة الوسطى عند البعض وانما جمع وأطراف النهار وهما طرفان لأمن الالباس وهو عطف على قبل (لعلك ترضى) امل للمخاطب أي اذكر الله في هذه الاوقات رجاء أن

العقول الناهية عن التغافل والتعامي ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة ﴿لكان لزاما﴾ لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به أو اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم ﴿واجل مسمى﴾ عطف على كلمة اى ولولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان أي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك﴾ وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه أو نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولى النعم كلها ﴿قبل طلوع الشمس﴾ يعني الفجر ﴿وقبل غروبها﴾ يعني الظهر والعصر لانهما من آخر النهار أو العصر وحده ﴿ومن آناء الليل﴾ ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر أو اناء بالفتح والمد ﴿فسبح﴾ يعني المغرب والعشاء وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا ﴿واطراف النهار﴾ تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس

كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين

أو امر بصلاة الظهر فانها نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين أو لان النهار جنس أو بالتطوع في اجزاء النهار ﴿لعلك ترضى﴾ متعلق بسبح اى سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم ﴿لكان لزاما وأجل مسمى﴾ تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ نسختها آية السيف ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أي صل بامر ربك ﴿قبل طلوع الشمس﴾ يعني صلاة الفجر ﴿وقبل غروبها﴾ أي صلاة العصر ﴿ومن آناء الليل﴾ أي ومن ساعاته ﴿فسبح﴾ يعني فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل ﴿وأطراف النهار﴾ يعني صلاة الظهر سمي وقت الظهر أطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء ﴿لعلك ترضى﴾ أي ترضى ثوابه في المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء أي تعطى ثوابه وقيل يرضاك

الناس (ولولا كلمة سبقت) وجبت (من ربك) بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما) عذابا لهلاكهم (وأجل مسمى) وقت معلوم لهذه الامة (فاصبر على ما يقولون) يا محمد عما يقولون من الشتم والتكذيب نسختها آية القتال (وسبح بحمد ربك) صل بامر ربك يا محمد (قبل طلوع الشمس) صلاة الغداة (وقبل غروبها) صلاة الظهر والعصر (ومن آناء الليل) بعد دخول الليل (فسبح) فصل صلاة المغرب والعشاء (وأطراف النهار) صلاة الظهر والعصر (لعلك ترضى) لكي تعطى الشفاعة

لايعرض أحدكم عن ذكر ربه الأأظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه (ونحشره يوم القيامة أعمى) عن الحجة عن ابن
أعمى البصر وهو كقوله و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهو الوجه (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد
بصيرا) فى الدنيا (قال كذلك) أى مثل ذلك فعلت انت ثم فسر
(أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) أى أتتك آياتنا واضحة فلم تنظر اليها بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك (وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وابقى) لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك فى الدنيا وحشره أعمى فى العقبى ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أى للحشر على العمى الذى لايزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضى (افلم يهدلهم) أى الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون) حال من الضمير المجرور فى لهم (فى مساكنهم) يريد ان قريشا يمشون فى مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) لذوى العقول

عذاب القبر ﴿ونحشره﴾ قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط ﴿يوم القيمة اعمى﴾ اعمى البصر أو القلب ويؤ[illegible] الاول ﴿قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا﴾ وقد امالهما حمزة والكسا[ئى] لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول رأس الآية ومحل الوقف ف[هو] جدير بالتغيير ﴿قال كذلك﴾ أى مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال ﴿اتتك آياتنا﴾ واضحة نيرة ﴿فنسيتها﴾ فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها ﴿وكذلك﴾ ومث[ل] تركك اياها ﴿اليوم تنسى﴾ تترك فى العمى والعذاب ﴿وكذلك نجزى من اسرف﴾ بالانهماك فى الشهوات والاعراض عن الآيات ﴿ولم يؤمن بآيات ربه﴾ بل كذ[بها] وخالفها ﴿ولعذاب الآخرة﴾ وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار أى والن[ار] بعد ذلك ﴿اشد وابقى﴾ من ضنك العيش أو منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار ز[ال] عماه ليرى محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها ﴿أفلم يهد لهم﴾ مسندالى ا[لله] أو الرسول أو ما دل عليه ﴿كم اهلكنا قبلهم من القرون﴾ أى اهلاكنا اياهم أو الج[ملة ب]مضمونها والفعل على الاولين معلق يجرى مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون ﴿يمشو[ن] فى مساكنهم﴾ ويشاهدون آثار اهلاكهم ﴿ان فى ذلك لآيات لاولى النهى﴾ لذو[ى]

وهو الضنك فى المعيشة وان قوما أعرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا مكثر[ين] منها فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليه[م] معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لايشبع ﴿ونحشره يوم القيـ[مة] أعمى﴾ قال ابن عباس أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجة ﴿قال رب لم حشرتنى أعمى و[قد] كنت بصيرا﴾ أى بصير العين أو بصيرا بالحجة ﴿قال كذلك﴾ أى كما ﴿أتتك آياتنا فنسيتها﴾ أى فتركتها وأعرضت عنها ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ أى تترك فى النار وقيل نسوا من الخ[ير] والرحمة ولم ينسوا من العذاب ﴿وكذلك نجزى من أسرف﴾ أى كما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك نجزى من أسرف أى أشرك ﴿ولم يؤمن بآيات ربه ولعذا[ب] الآخرة أشد﴾ أى مما يعذبهم الله به فى الدنيا والقبر ﴿وأبقى﴾ أى وأدوم ﴿ قو[له] تعالى ﴿أفلم يهد لهم﴾ أى فلم يبين القرآن لكفار مكة ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرو[ن] يمشون فى مساكنهم﴾ يعنى فى ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كا[نوا] يسافرون الى الشأم فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط ﴿[ان] فى ذلك لآيات لاولى النهى﴾ أى لذوى العقول

(ونحشره يوم القيمة أعمى قال) يقول (رب) يارب
(لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) فى الدنيا (قال كذلك) هكذا لانك (أتتك آياتنا) كتابنا ورسولنا (فنسيتها) (ولم ...)
فتركت العمل والاقرار بها (وكذلك اليوم تنسى) تترك فى النار (وكذلك) هكذا (نجزى من أسرف) من أشرك (ولم يؤمن بآيات
ربه) يعنى الكتاب والرسول (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أدوم من عذاب الدنيا (أفلم يهد لهم) يبين لاهل مكة (كم أهلكنا [قبلهم]
من القرون) الماضية (يمشون فى مساكنهم) فى منازلهم (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآيات) لعلامات (لاولى النهى) لذوى العقو[ل]

(ثم اجتباه ربه) قربه اليه واصطفاه وقرئ به وأصل الكلمة الجمع يقال جبى الى كذا فاجتبيته (فتاب عليه) قبل توبته (وهدى) وهداه الى الاعتذار والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) يعنى آدم وحواء (بعضكم) ياذرية آدم (لبعض عدو) بالتحاسد فى الدنيا والاختلاف فى الدين (فاما يأتينكم منى هدى) كتاب وشريعة (فمن اتبع هداى فلايضل) فى الدنيا (ولايشقى) فى العقبى قال ابن عباس رضى الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لايضل فى الدنيا ولايشقى فى الآخرة يعنى ان الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه (ومن أعرض عن ذكرى) عن القرآن (فان له معيشة ضنكا) ضيقا وهو مصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث عن ابن جبير يسلبه القناعة حتى لايشبع فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة ومع الاعراض الحرص والشح فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة

لاولاده عنها ﴿ثم اجتباه ربه﴾ اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبى الى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل معنى الكلمة الجمع ﴿فتاب عليه﴾ فقبل توبته لما تاب ﴿وهدى﴾ الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة ﴿قال اهبطا منها جميعا﴾ الخطاب لآدم وحواء اوله ولابليس ولما كانا اصلى الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب أولاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله ﴿فاما يأتينكم منى هدى﴾ كتاب ورسول ﴿فمن اتبع هداى فلايضل﴾ فى الدنيا ﴿ولايشقى﴾ فى الآخرة ﴿ومن اعرض عن ذكرى﴾ عن الهدى الذاكرلى والداعى الى عبادتى ﴿فان له معيشة ضنكا﴾ ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قديضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ولوان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم فى النار وقيل

أحوالهم كالسيآت وسنذكر فى كل موضع مايليق به وماقيل فيه ان شاء الله تعالى ﴿قوله عزوجل ﴿ثم اجتباه ربه﴾ أى اختاره واصطفاه ﴿فتاب عليه﴾ أى عاد عليه بالعفو والمغفرة ﴿وهدى﴾ أى هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار ﴿قال اهبطا منها جميعا﴾ قيل الخطاب لآدم ومعه ذريته ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لآدم وحواء لانهما أصل البشر فجعلا كانهما البشر فخوطبا بلفظ الجمع ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ وقيل فى تقوية هذا الظاهر حقه أن يكون ابليس والشياطين أعداء الناس ويحتمل أن يكون بعض الفريقين لبعض عدوا ﴿فاما يأتينكم منى هدى﴾ أى كتاب ورسول ﴿فمن اتبع هداى﴾ أى الكتاب والرسول ﴿فلا يضل ولايشقى﴾ قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع مافيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لان الله تعالى يقول فمن اتبع هداى فلايضل أى فى الدنيا ولايشقى أى فى الآخرة ﴿ومن أعرض عن ذكرى﴾ يعنى القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه ﴿فان له معيشة ضنكا﴾ روى عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم انهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضغط فى القبر حتى تختلف أضلاعه وفى بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلايزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين فى النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقاء وعنه قال كل ماأعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلاخير فيه

(ثم اجتباه) اصطفاه (ربه) بالتوبة (فتاب عليه) فتجاوز عنه (وهدى) هداه الى التوبة (قال اهبطا منها) من الجنة (جميعا) لآدم وحواء والحية والطاوس (بعضكم لبعض عدو) الحية لبنى آدم وبنو آدم للحية (فاما يأتينكم منى هدى) فحين يأتينكم ياذرية آدم منى هدى كتاب ورسول (فمن اتبع هداى) كتابى ورسولى (فلايضل) باتباعه اياهما فى الدنيا (ولايشقى) فى الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) عن توحيدى ويقال كفر بكتابى ورسولى (فان له معيشة ضنكا) عذابا شديدا فى القبر ويقال فى النار

اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ

الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ٭ الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظه للعموم فيتناول الكل ويدل على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت أن الانبياء كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهي وذلك ينافي صدور الذنب عنهم ٭ السادس قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى في حق موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال وأما المخالف فقد تمسك بآيات مناقصة آدم هذه والجواب عنها أن نقول ان كلامهم انما يتم ان لو بينوا بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز أن يقال ان آدم حال ما صدرت عنه هذه الاشياء ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله تعالى قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضي عياض وأما قصة آدم وقوله وعصى آدم ربه فغوى أي جهل وقيل أخطأ فقد أخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما أي نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف ابليس له اني لكما لمن الناصحين وتوهم ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما أي قصدا للمخالفة وقيل بل أكل من الشجرة متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لانه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم ٭ فان قلت اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكائهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لا شيء عليه قلت ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها وأتوها على وجه التأويل أو السهو وتزيدوا من أمور الدنيا المباحة أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المواخذة بها فهم خائفون وجلون وهي الذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين أي يرونها بالاضافة الى علو

النبي المعصوم حبيب الله زلته بهذه الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر

من الشجرة ما أراده

الشجرة أوعن المأمور به أوعن الرشد حيث اغتر بقول العدو *وقرئ فغوى من غوى الفصيل

وتقدم ارادة واختيار فالحجة انما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها رجاع القول فى هذا انهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لان أحدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه وانما موضع الحجة لآدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا لنزوله الى الارض التى خلق لها وانما أدلى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال أتلومنى على أمر قدره الله على من قبل ان يخلقنى

فصل فى بيان عصمة الانبياء وماقيل فى ذلك

قال الامام فخر الدين الرازى اختلف الناس فى عصمة الانبياء وضبط القول فيها يرجع الى أقسام أربعة *أحدها مايقع فى باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم *الثانى مايتعلق بالتبليغ فقط اجتمعت الامة على كونهم معصومين عن الكذب مواظبين على التبليغ والتحريض والالارتفع الوثوق بالاداء واتفقوا على أن ذلك لايجوز وقوعه منهم عمدا ولاسهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن *الثالث مايتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لايجوز خطؤهم فيها على سبيل العمد وأجازه بعضهم على سبيل السهو *الرابع مايقع فى أفعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة أقوال *أحدها قول من جوز عليهم الكبائر *الثانى قول من منع من الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة *الثالث لايجوزان يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على وجه التأويل وهو قول الجبائى *الرابع انه لايقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطأ *الخامس انه لايقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة واختلف الناس فى وقت العصمة على ثلاثة أقوال *أحدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة *الثانى قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزلة *الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لايجوز منهم بعد النبوة وهو قول أكثر اصحابنا وابى الهذيل وابى على من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب لاصغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة ويدل عليه وجوه *احدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من آحاد الامة وذلك غير جائز لان درجة الانبياء غاية فى الرفعة والشرف *الثانى لو صدر منه وجب ان لا يكون مقبول الشهادة فكان أقل حالا من عدول الامة وذلك غير جائز ايضا لان معنى النبوة والرسالة هو أن يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم وأيضا فانه يوم القيامة شاهد على الكل *الثالث لو صدر من النبى ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال *الرابع ثبت ببديهة العقل أنه لاشئ أقبح عن رفع الله درجته وائتمنه على وحيه وجعله خليفته فى عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لاتفعل كذا فيقدم عليه ونفعله ترجيحا لغرضه واجتمعت الامة على ان الانبياء كانوا يأمرون

لان الغى خلاف الرشد وفى التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله وزل آدم مزجرة بليغة وموعظة كافة للمكلفين كانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على

فلم يصب با كله

فانهى اليه وسوسته ﴿ قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد ﴾ الشجرة التى من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانها سببه بزعمه ﴿ وملك لايبلى ﴾ لايزول ولايضعف ﴿ فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين ﴿ وعصى آدم ربه ﴾ بأكل الشجرة ﴿ فغوى ﴾ فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل

﴿ قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ﴾ أى على الشجرة التى ان أكلت منها بقيت خالدا ﴿ وملك لايبلى ﴾ أى لايبيد ولايفنى رغبة فى دوام الراحة فكان الشئ الذى رغب الله فيه آدم رغبه ابليس فيه الا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها وآدم مع كمال علمه بان الله تعالى هو خالقه وربه ومولاه وناصره وابليس هو عدوه أعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تأمل هذا السر عرف أنه لادافع لقضاء الله ولامانع له منه * وقوله تعالى ﴿ فأكلا منها ﴾ يعنى أكل آدم وحواء من الشجرة ﴿ فبدت لهما سوآتهما ﴾ أى عريا من الثياب التى كانت عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ أى يلزقان بسوآتهما من ورق التين ﴿ وعصى آدم ربه ﴾ أى باكل الشجرة ﴿ فغوى ﴾ أى فعل مالم يكن له فعله وقيل اخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهى عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز ان يقال آدم عاص لانه انما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبا يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرارا ويعتاده (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومنى على أمر قدره الله تعالى على قبل ان يخلقنى باربعين عام فحج آدم موسى * وفى رواية لمسلم قال آدم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان أخلق قال موسى باربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال له نعم قال فهل تلومنى على ان عملت عملا كتب الله على أن أعمله قبل أن يخلقنى باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى

﴿ الكلام على معنى الحديث وشرحه ﴾

* قوله احتج آدم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته أى جادلته فغلبته قال أبو سليمان الخطابى قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر للعبد على ماقضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من أفعال العباد واكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضاء فى هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقى عليهم من وراء ذلك فيهم أفعالهم واكسابهم ومباشرتهم الامور وملابستهم اياها عن قصد وتعمد

الوسوسة كاسر اليه (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) اضاف الشجرة الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه ولا يموت (وملك لايبلى) لايفنى (فاكلا) اى آدم وحواء (منها فبدت لهما سوآتهما) عوراتهما (وطفقا) طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو ككاد فى وقوع الخبر فعلا مضارعا الا انه للشروع فى اول الامر وكاد للدنو منه (يخصفان عليهما من ورق الجنة) اى يلزقان الورق سوآتهما للتستر وهو ورق التين (وعصى آدم ربه فغوى) ضل عن الرأى وعن ابن عيسى خاب والحاصل ان العصيان وقوع الفعل على خلاف الامر والنهى وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد لايكون عمدا فيكون زلة ولما وصف فعله بالعصيان خرج فعله من ان يكون رشدا فكان غيا

(قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) من أكل منها خلد ولا يموت (وملك لا يبلى) بقى فى ملك لايفنى (فاكلا منها) من الشجرة (فبدت لهما سوآتهما) فظهرت لهما عوراتهما (وطفقا) عمدا (يخصفان) يلزقان (عليهما) على عوراتهما (من ورق الجنة) من ورق التين كلما الزق بعضها الى بعض تساقطت (وعصى آدم ربه) بأكله من الشجرة (فغوى) ترك طريق الهدى { وتقدم }

تعظيما له فيه (فسجدوا الا ابليس) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ابليس كان ملكا من جنس المستثنى منهم وقال الحسن الملائكة لباب الخليقة من الارواح ولا يتناسلون وابليس من نار السموم وانما صح استثناؤه منهم لانه كان يصحبهم ويعبد الله معهم (ابى) مستأ جملة نفة كانه جواب لمن قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف

(فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حيث لم يسجد لك ولم ير فضلك (فلا يخرجنكما من الجنة) فلا يكونن سببا لاخراجكما (فتشقى) فتتعب فى طلب القوت ولم يقل فتشقيا مراعاة لرؤس الآى او دخلت تبعا ولان الرجل هو الكافل لنفقة المرأة وروى انه اهبط الى آدم ثورا احمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه (ان لك الا تجوع فيها) فى الجنة (ولا تعرى) عن الملابس لانها معدة ابدا فيها (وانك) بال... [illegible] وجاز ... [illegible] على انك جالس (لا تظمأ فيها) لا تعطش لوجود الاشربة فيها (ولا تضحى) لا يصيبك ... الشمس اذ ليس فيها شمس فاهلها فى ظل ممدود (فوسوس اليه الشيطان) أى انهى اليه

انه نبى ولم يكن من اولى العزيمة والثبات ﴿فسجدوا الا ابليس﴾ قد سبق فيه القول ﴿ابى﴾ جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى اظهر الاباء عن الطاعة ﴿فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما﴾ فلا ... سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما ﴿من الجنة فتشقى﴾ افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما فى الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها أو محافظة على الفواصل أو لان المراد بالشقاء التعب فى طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ﴿ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ فانه بيان وتذكير لماله فى الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التى هى الشبع والرى والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعى فى تحصيل اغراض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة ... عن ... انه ناب من حيث انه عامل لا من حيث ... الى ان امتناع دخول ان عليه وقرأ نافع وابو بكر وانك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها ﴿فوسوس اليه الشيطان﴾

فسجدوا الا ابليس أبى﴾ ان يسجد ﴿فقلنا يا آدم ان هذا﴾ أى ابليس ﴿عدو لك ولزوجك﴾ أى حواء وسبب العداوة انه رأى ... نعمة الله على آدم ... فصار عدوا له ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ أسند الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لانه لما كان بوسوسته وفعل آدم ما يترتب عليه الخروج ... ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب ... يكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل اهبط الى آدم ثورا أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاءه فان قلت لم أسند الشقاء الى آدم دون حواء قلت فيه وجهان احدهما ان فى ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما أن فى سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم الثانى أنه أريد بالشقاء التعب فى طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعى على زوجته ﴿ان لك ألا تجوع فيها﴾ أى فى الجنة ﴿ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها﴾ أى تعطش ﴿ولا تضحى﴾ أى تبرز للشمس فيؤذيك حرها لانه ليس فى الجنة شمس وأهلها فى ظل ممدود والمعنى ان الشبع والرى والكسوة والكن هى الامور التى يدور عليها كفاف الانسان ... الله تعالى حصول هذه الاشياء فى الجنة وانه مكفى لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج اليه أهل الدنيا ﴿فوسوس اليه الشيطان﴾ أى انهى اليه الوسوسة كاسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ماهى فقال

سجدة التحية (فسجدوا الا ابليس) رئيسهم (أبى) تعظم السجود لآدم (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حواء (فلا يخرجنكما من الجنة) بطاعتكما له (فتشقى) فتتعب (ان لك الا تجوع فيها) فى الجنة من الطعام (ولا تعرى) من ... (وأنك لا تظمأ فيها) لا تعطش فيها (ولا تضحى) لا يصيبك حر الشمس ويقال لا تعرق (فوسوس اليه الشيطان) باكل الشجرة

بقراءته (من قبل ان تقضى اليك وحيه) من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ (وقل رب زدنى علما) بالقرآن و ...
ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم (ولقدعهدنا الى آدم) أى أوحينا اليه ان لا يأكل من الشجرة ... فى
الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان وأوصى اليه وعزم عليه و...
اليه فعطف قصة آدم على

من قبل وجوده فخالف الى مانهى عنه كما انهم يخالفون يعنى ان أساس أمر بنى آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه (فنسى) العهد اى النهى والأنبياء عليهم السلام يؤاخذون بالنسيان الذى لو تكلفوا لحفظوه (ولم نجدله عزما) قصدا الى الخلاف لامره اولم يكن آدم من اولى العزم والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما او بمعنى نقيض العدم أى وعدمنا له عزما وله متعلق بنجد (واذقلنا) منصوب باذكر (للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هو السجود اللغوى الذى هو الخضوع والتذلل اوكان آدم كالقبلة لضرب

(من قبل ان تقضى اليك وحيه) من قبل ان يفرغ جبريل من قراءة القرآن عليك وكان اذا نزل عليه جبريل بآية لم يفرغ جبريل من آخرها حتى يتكلم رسول الله باولها مخافة ان ينساها فنهاه الله عن ذلك وقال له (وقل) يا محمد (رب زدنى علما) وحفظا وفهما وحكما بالقرآن ...
(ولقدعهدنا الى آدم) أمرنا آدم ان لا يأكل من هذه الشجرة (من قبل) من قبل أكله من الشجرة ويقال من قبل مجئ ...
... (فنسى) فترك أمرنا ... (ولم نجدله عزما) ... الرجال (واذ قلنا للملائكة) الذين كانوا فى الارض (اسجدوا

قبل ان يقضى اليك وحيه ﴾ نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى من جبريل عليه السلام ومساوقته فى القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهى عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتى بيانه ﴿ وقل رب زدنى علما ﴾ أى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحى اليك تناله لا محالة ﴿ ولقد عهدنا الى آدم ﴾ ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بنى آدم على العصيان وعرقهم راسخ فى النسيان ﴿ من قبل ﴾ من قبل هذا الزمان ﴿ فنسى ﴾ العهد ولم يهتم به حتى غفل عنه او ترك ما وصى به من الاحتراز عن الشجرة ﴿ ولم نجد له عزما ﴾ تصميم رأى وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزم وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان فى بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بنى آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمده ولم نجد ان كان من الوجود الذى بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ مقدر باذكر اى اذكر حاله فى ذلك الوقت ليتبين

النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادره فيقرأه معه قبل ان يفرغ جبريل مما يريده من التلاوة مخافة الانفلات أو النسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال تعالى ولا تعجل بالقرآن أى ولا تعجل بقراءته ﴿ من قبل ان يقضى اليك وحيه ﴾ أى من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معناه ﴿ وقل رب زدنى علما ﴾ فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدنى علما الى ما علمت فان لك فى كل شئ حكمة قيل ما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدنى علما وايمانا ويقينا ۞ قوله عز وجل ﴿ ولقد عهدنا الى آدم ﴾ يعنى أمرناه وأوحينا اليه ان لا يأكل من الشجرة ﴿ من قبل ﴾ من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدى وتركوا الايمان بى وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله تعالى لعلهم يتقون ﴿ فنسى ﴾ أى فترك ما عهدنا اليه من الاحتراز عن أكل الشجرة وأكل منها وقيل أراد النسيان الذى هو ضد الذكر ﴿ ولم نجد له عزما ﴾ أى صبرا عما نهى عنه وحفظا لما أمر به وقيل معناه لم نجد له رأيا معزوما حيث أطاع عدوه ابليس الذى حسده وأبى ان يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية فيكون الى المدح أقرب ۞ قوله عز وجل ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم

(وقد خاب) يئس من رحمة الله (من حمل ظلما) من حمل الى موقف القيامة شركا لان الظلم وضع الشئ في غير موضعه ولا ظلم أشد من جعل المخلوق شريك من خلقه (ومن يعمل من الصالحات) الصالحات الطاعات (وهو مؤمن) مصدق بما جاء به محمد عليه السلام وفيه دليل أنه يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحة وان الايمان شرط قبولها (فلا يخاف) أى فهو لا يخاف فلا يخف على النهى مكى (ظلما) أن يزاد فى سيآته (ولا هضما) ولا ينقص من حسناته وأصل الهضم النقص والكسر (وكذلك) عطف على كذلك نقص أى ومثل ذلك الانزال (أنزلناه قرآنا عربيا) بلسان العرب (وصرفنا) كررنا (فيه من الوعيد لعلهم يتقون) يجتنبون الشرك (أو يحدث لهم) الوعيد أو القرآن (ذكرا) عظة أو شرفا بايمانهم به وقيل أو بمعنى الواو (فتعالى الله) ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الافهام وتنزه عن مضاهاة الانام ومشابهة الاجسام (الملك) الذى يحتاج اليه الملوك (الحق) المحق فى الالوهية ولما ذكر القرآن وانزاله قال استطرادا واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك (ولا تعجل بالقرآن

العناة وهم الاسارى فى يد الملك القهار وظاهرها يقتضى العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده ﴿ وقد خاب من حمل ظلما ﴾ وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ﴿ ومن يعمل من الصالحات ﴾ بعض الطاعات ﴿ وهو مؤمن ﴾ لان الايمان شرط فى صحة الطاعات وقبول الخيرات ﴿ فلا يخاف ظلما ﴾ منع ثواب مستحق بالوعد ﴿ ولا هضما ﴾ ولا كسرا منه بنقصان اوجزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه ه وقرئ فلا يخف على النهى ﴿ وكذلك ﴾ عطف على كذلك نقص اى مثل ذلك الانزال أو مثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد ﴿ انزلناه قرآنا عربيا ﴾ كله على هذه الوتيرة ﴿ وصرفنا فيه من الوعيد ﴾ مكررين فيه آيات الوعيد ﴿ لعلهم يتقون ﴾ المعاصى فتصير التقوى لهم ملكة ﴿ أو يحدث لهم ذكرا ﴾ عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن ﴿ فتعالى الله ﴾ فى ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا تماثل ذاته ذاتهم ﴿ الملك ﴾ النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده ﴿ الحق ﴾ فى ملكوته يستحقه لذاته أو الثابت فى ذاته وصفاته ﴿ ولا تعجل بالقرآن

﴿ وقد خاب من حمل ظلما ﴾ قال ابن عباس خسر من اشرك ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ﴾ قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يزاد على سيآته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤاخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل عنه حسنة عملها ۞ قوله تعالى ﴿ وكذلك أنزلناه ﴾ أى كما بينا فى هذه السورة أو هذه الآيات المتضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله كذلك وقوله ﴿ قرآنا عربيا ﴾ أى بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر ﴿ وصرفنا فيه من الوعيد ﴾ أى كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لان الوعيد بهما يتعلق فتكريره وتصريفه يقتضى بيان الاحكام فلذلك قال تعالى ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أى يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات ﴿ أو يحدث لهم ذكرا ﴾ أى انما أنزلنا القرآن ليصيروا متقين مجتنبين ما لا ينبغى ويحدث لهم القرآن ذكرا يرغبهم فى الطاعات وفعل ما ينبغى وقيل معناه يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الله الامم السالفة ۞ قوله تعالى ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ أى جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره أولى به منه ﴿ ولا تعجل بالقرآن ﴾ أراد

له (وقد خاب) خسر (من حمل ظلما) شركا (ومن يعمل من الصالحات) من الخيرات بينه وبين ربه (وهو مؤمن) مصدق فى ايمانه (فلا يخاف ظلما) ذهاب عمله كله (ولا هضما) ولا نقصان عمله (وكذلك) هكذا (أنزلناه قرآنا عربيا) أنزلنا جبريل بالقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم على مجرى لغة العربية (وصرفنا فيه) بينا فى القرآن (من الوعيد) أى من الوعد والوعيد (لعلهم يتقون) لكى يتقوا الكفر والشرك والفواحش (أو يحدث لهم ذكرا) ثوابا ان آمنوا ويقال شرفا ان وحدوا ويقال عذابا ان لم يؤمنوا (فتعالى الله الملك الحق) تبرأ عن الولد والشريك (ولا تعجل بالقرآن) ولا تستعجل يا محمد بقراءة القرآن

انحراف متبعين لصوته (وخشعت) وسكنت (الاصوات للرحمن) هيبة واجلالا (فلاتسمع الاهمسا) صوتا خفيفا كتحريك ال
وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت أى لاتسمع الاخفق الاقدام ونقلها الى المحشر (يومئذ لاتنفع الشفاع
من أذن له الرحمن) محل من رفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اى لاتنفع الشفاعة الاشفاعة من أذن له الرح
أذن للشافع في الشفاعة (ورضى له قولا) أى رضى قولا لاجله بان يكون المشفو
مسلما أو نصب على المدح لانه
مفعول تنفع (يعلم مابين
أيديهم وما خلفهم) أى
يعلم ماتقدمهم من الاحوال
ومايستقبلونه (ولايحيطون
به علما) أى بما أحاط به
علم الله فيرجع الضمير الى
ما أو يرجع الضمير الى الله
لانه تعالى ليس بمحاط
(وعنت) خضعت وذلت
ومنه قيل للاسير عان
(الوجوه) أى أصحابها
(للحى) الذى لايموت
وكل حياة يتعقبها الموت فهى
كان لم تكن (القيوم) الدائم
القائم على كل نفس بما كسبت
أو القائم بتدبير الخلق

(وخشعت الاصوات)
ذلت الاصوات (للرحمن)
لهيبة الرحمن (فلاتسمع)
يامحمد (الاهمسا) الاوطأ
خفيا كوطء الابل (يومئذ)
وهو يوم القيامة (لاتنفع
الشفاعة) لاتشفع الملائكة
لاحد (الامن أذن له الرحمن)
فى الشفاعة (ورضى له قولا)
قبل منه لا اله الا الله (يعلم)
الله (مابين أيديهم) بين أيدى الملائكة من أمر الآخرة (وماخلفهم) من أمر الدنيا (ولايحيطون به علما) لايعلمون ﴿ وقد
مابين أيديهم وماخلفهم شيأ الاماعلمهم الله يعنى الملائكة (وعنت الوجوه) نصبت الوجوه فى الدنيا بالسجود ويقال خضـ
الوجوه وذلت الوجوه يوم القيامة (للحى) الذى لايموت (القيوم) القائم الذى لابدء

﴿ وخشعت الاصوات للرحمن ﴾ خفضت لمهابته ﴿ فلاتسمع الاهمسا ﴾ صوتا خفـ
ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر
﴿ يومئذ لاتنفع الشفاعة الامن اذن له الرحمن ﴾ الاستثناء من الشفاعة أى الاشفاع
من اذن أو من اعم المفاعيل أى الامن اذن فى ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول
مرفوع بالبدلية وعلى الثانى منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن أ
من الاذن ﴿ ورضى له قولا ﴾ أى ورضى لمكانه عند الله قوله فى الشفاعة أو رضى لاجل
قول الشافع فى شانه أو قوله لاجله وفى شانه ﴿ يعلم مابين ايديهم ﴾ ماتقدمهم من الاحوال
﴿ وماخلفهم ﴾ ومابعدهم مما يستقبلونه ﴿ ولايحيطون به علما ﴾ ولايحيط علمهـ
بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين أو لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميـ
ذلك ولا تفصيل ماعلموا منه ﴿ وعنت الوجوه للحى القيوم ﴾ ذلت وخضعت له خضوع

أى لاعوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا ﴿ وخشعت
الاصوات للرحمن ﴾ أى سكنت وذلت وخضعت وضعفت والمراد به أصحاب الاصوات
وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع ﴿ فلاتسمع الاهمسا ﴾ وهو الصوت الخفى
قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل أراد بالهمس صوت وطء الاقدام
الى المحشر كصوت اخفاف الابل ﴿ يومئذ لاتنفع الشفاعة ﴾ لاحد من الناس ﴿ الا
من أذن له الرحمن ﴾ أى الامن اذن له ان يشفع ﴿ ورضى له قولا ﴾ قال ابن عباس يعنى
قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لايشفع غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع درجة
عظيمة فهى لاتحصل الا لمن يأذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا ﴿ يعلم مابين أيديهم
وماخلفهم ﴾ قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعى أى يعلم الله ماقدموا من الاعمال
وماخلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من أذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى
لاتنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن ان يشفع ثم قال يعلم مابين أيديهم أى أيدى الشافعين
وماخلفهم ﴿ ولايحيطون به علما ﴾ قيل الكناية ترجع الى ما أى هو يعلم مابين أيديهم
وماخلفهم وهم لايعلمونه والمعنى ان العباد لايحيطون بما بين أيديهم وماخلفهم علما وقيل
الكناية راجعة الى الله تعالى أى ولايحيطون بالله علما ﴿ وعنت الوجوه ﴾ أى ذلت
وخضعت فى ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه وأراد به
المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لامن صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر
لان الخضوع بها يتبين وفيها يظهر ﴿ وقوله تعالى ﴿ للحى القيوم ﴾ تقدم تفسيره

قول أمثلهم طريقة) أعدلهم قولا (ان لبثتم الا يوما) وهو كقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين (ويسئلونك عن
الجبال) سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة وقيل لم يسئل وتقديره ان سألوك (فقل) وانما قرن بالفاء بخلاف
سائر السؤالات مثل قوله ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى وقوله ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير يسئلونك عن الخمر
والميسر قل فيهما اثم كبير يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي ويسئلونك عن الروح قل الروح ويسئلونك عن
ذي القرنين قل سأتلو لان تلك سؤالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء (ينسفها ربي نسفا) أي يجعلها كالرمل
يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى الطعام وقال الخليل يقلعها (فيذرها) فيذر مقارها أو يجعل الضمير للارض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها (قاعا صفصفا) مستوية ملساء (لا ترى فيها عوجا) انخفاضا (ولا أمتا) ارتفاعا والعوج بالكسر وان كان في المعاني كما ان المفتوح في الأعيان والارض عين ولكن لما استوت الارض استواء لا يمكن ان يوجد [illegible] دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني (يومئذ) أضاف اليوم الى وقت نسف الجبال اى يوم اذ نسفت وجاز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة (يتبعون الداعي) الى المحشر أى صوت الداعي وهو اسرافيل حين ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب الى صوته لا يعدلون عنه (لا عوج له) أى لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير

مدة لبثهم ﴿ اذ يقول امثلهم طريقة ﴾ اعدلهم رأيا أو عملا ﴿ أن لبثتم الا يوما ﴾ استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ﴿ ويسئلونك عن الجبال ﴾ عن مآل امرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف ﴿ فقل ﴾ لهم ﴿ ينسفها ربي نسفا ﴾ يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها ﴿ فيذرها ﴾ فيذر مقارها أو الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة ﴿ قاعا ﴾ خاليا ﴿ صفصفا ﴾ مستويا كأن اجزاءها على صف واحد ﴿ لا ترى فيها عوجا ولا امتا ﴾ اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالقياس الهندسي وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعاني والامت وهو النتوء اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين ﴿ يومئذ ﴾ أي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ داعي الله الى [illegible] يقبلون من كل اوب [illegible]

فيما بينهم ﴿ اذ يقول أمثلهم طريقة ﴾ أى اوفاهم عقلا وأعدلهم قولا ﴿ ان لبثتم الا يوما ﴾ قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم ﴿ قوله عز وجل ﴿ ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ﴾ قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو القلع أي يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منثورا ﴿ فيذرها ﴾ أى يدع أماكن الجبال من الارض ﴿ قاعا صفصفا ﴾ أي أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها ﴿ لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾ أى لا انخفاضا ولا ارتفاعا أى لا ترى واديا ولا رابية ﴿ يومئذ يتبعون الداعي ﴾ أى صوت الداعي الذى يدعوهم الى موقف يوم القيامة وهو اسرافيل وذلك أنه يضع الصور في فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن ﴿ لا عوج له ﴾

اذ يقول امثلهم طريقة) أفضلهم عقلا وأصوبهم رأيا واصدقهم قولا (ان لبثتم) ما مكثتم في القبور (الا يوما ويسئلونك) يا محمد صلى الله عليه وسلم سألته بنو ثقيف (عن الجبال) عن حال الجبال يوم القيامة (فقل) لهم يا محمد (ينسفها ربي نسفا) يقلعها ربي قلعا (فيذرها) فيترك الارض (قاعا) مستوية (صفصفا) أملس لا نبات فيها (لا ترى فيها عوجا) واديا ولا شقوقا (ولا أمتا) ولا شيأ شاخصا من الارض ولا نباتا (يومئذ) وهو يوم القيامة (يتبعون الداعي) يسرعون ويقصدون الى الداعي (لا عوج له) لا يميلون يمينا ولا شمالا

وهو القرآن ولم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيمة وزرا) عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذى ينقض ظهره ويلقى عليه بهره اولانها جزاء الوزر وهو الاثم (خالدين) حال من ضمير فى يحمل وانما جمع على المعنى ووحد فى فانه حملا على لفظ من (فيه) فى الوزر أى فى جزاء الوزر وهو العذاب (وساء لهم يوم القيمة حملا) ساء فى حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل حملا وزرهم (يوم ننفخ) بدل من يوم القيامة ننفخ

[illegible]

المجرمين يومئذ زرقا) حال أى عميا كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهذا لان حدقة من يذهب نور بصره تزرق (يتخافتون) يتسارون (بينهم) أى يقول بعضهم لبعض سرا لهول ذلك اليوم (ان لبثتم) ما لبثتم فى الدنيا (الاعشرا) أى عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم فى القبور أو فى الدنيا لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم أيام النعمة والسرور [illegible] ون عليها و[illegible] ونها بالقصر لان أيام السرور قصار أو لانها ذهبت عنهم والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء أو لاستطالتهم الآخرة لانها أبدا يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس الى لبثهم فى الآخرة وقد رجح الله قول من يكون أشد تقالا منهم بقوله (نحن أعلم بما يقولون (فيما)

عز الله تعالى ﴿فانه يحمل يوم القيمة وزرا﴾ عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره أوإثما عظيما ﴿خالدين فيه﴾ فى الوزر أوفى حمله والجمع فيه والتوحيد فى اعرض للحمل على المعنى واللفظ ﴿وساء لهم يوم القيمة حملا﴾ أى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف أى ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذى فيه للوزر اشكل أمر لهم ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾ وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له أو للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله أو ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ فى الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ﴿ونحشر المجرمين يومئذ﴾ وقرئ ويحشر المجرمون ﴿زرقا﴾ زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا فى صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين أو عميا فان حدقة الاعمى تزراق ﴿يتخافتون بينهم﴾ يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ﴿ان﴾ ما ﴿لبثتم الاعشرا﴾ أى فى الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها أو لاستطالتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات أو فى القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات ﴿نحن اعلم بما يقولون﴾ وهو

ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فانه يحمل يوم القيمة وزرا﴾ أى حملا ثقيلا من الاثم ﴿خالدين فيه﴾ أى مقيمين فى عذاب الوزر ﴿وساء لهم يوم القيمة حملا﴾ أى بئس ما حملوا أنفسهم من الاثم ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾ قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للمحشر والمراد بهذا نفخ النفخة الثانية لانه أتبعه قوله ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقا﴾ أى نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا ﴿يتخافتون﴾ أى يتشاورون ﴿بينهم﴾ ويتكلمون خفيا ﴿ان لبثتم﴾ أى مكثتم فى الدنيا ﴿الاعشرا﴾ أى عشر ليال وقيل فى القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين نفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا فقال الله تعالى ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أى يتشاورون

من كفر به (فانه يحمل يوم القيمة وزرا) شركا (خالدين فيه) مقيمين فى عقوبة الوزر (وساء لهم يوم القيمة حملا) من الذنوب (يوم ينفخ فى الصور) النفخة الاخرى (ونحشر المجرمين) المشركين (يومئذ زرقا) عميا (يتخافتون بينهم) يتسارون فيما بينهم فى ه[illegible] القول يقول بعضهم لبعض (ان لبثتم) ما مكثتم فى القبور (الاعشرا) عشرة ايام (نحن أعلم بما يقولون) فى البعث

ء موعده الذى وعدك على الشرك والفساد فى الارض يجزءك فى الآخرة بعدما عاقبك بذلك فى الدنيا لن تخلفه مكى
بو عمرو هذا من أخلفت الموعد اذا وجدته خلفا (وانظر الى الهك الذى ظلت عليه)

لن تخلفكه الله ويجزءك فى الآخرة بعدما عاقبك فى الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اى لن تخلف الواعد اياه وسيأتيك لامحالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله ﴿ وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا ﴾ ظلت على عبادته مقيما فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها ﴿ لنحرقنه ﴾ اى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه أو بالمبرد على انه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ﴿ ثم لننسفنه ﴾ ثم لنذرينه رمادا أو مبرودا وقرئ بضم السين ﴿ فى اليم نسفا ﴾ فلا يصادف منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر ﴿ انما الهكم ﴾ المستحق لعبادتكم ﴿ الله الذى لا اله الا هو ﴾ اذ لا احد يماثله او يدانيه فى كمال العلم والقدرة ﴿ وسع كل شئ علما ﴾ وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذى يصاغ ويحرق وان كان حيا فى نفسه كان مثلا فى الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز فى المشهورة لكنه فاعل فى المعنى فلما عدى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الاقتصاص يعنى اقتصاص قصة موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ نقص عليك من انباء ما قد سبق ﴾ من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة فى علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك ﴿ وقد آتيناك من لدنا ذكرا ﴾ كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس ﴿ من اعرض عنه ﴾ عن الذكر الذى هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل

بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة وقرئ بالفتح أى لن تكذبه ولم يخلفكه الله بل يكافئك على فعالك ﴿ وانظر الى الهك ﴾ أى الذى تزعم ﴿ الذى ظلت عليه عاكفا ﴾ أى دمت عليه مقيما تعبده ﴿ لنحرقنه ﴾ بالنار ﴿ ثم لننسفنه ﴾ أى لنذرينه ﴿ فى اليم ﴾ أى فى البحر ﴿ نسفا ﴾ روى ان موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه فى النار ثم ذراه فى البحر وقيل معناه لنحرقنه أى لنبردنه فعلى هذا التأويل لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن أن يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث ان يمكن نسفها فى البحر فلما فرغ موسى من أمر العجل وابطال ماذهب اليه السامرى رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبنى اسرائيل ﴿ انما الهكم الله ﴾ أى المستحق للعبادة والتعظيم هو الله ﴿ الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما ﴾ أى وسع علمه كل شئ وقيل يعلم من يعبده * قوله عز جل ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ﴾ يعنى من أخبار ﴿ ما قد سبق ﴾ يعنى الامم الخالية وقيل ما سبق من الامور ﴿ وقد آتيناك من لدنا ذكرا ﴾ وهو القرآن ﴿ من أعرض عنه ﴾ أى عن القرآن

وأصله ظللت فحذف اللام الاولى تخفيفا (عاكفا) مقيما (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه) لنذرينه (فى اليم نسفا) فحرقه وذراه فى البحر فشرب بعضهم من مائه حبا له فظهرت على شفاههم صفرة الذهب (انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما) تمييز أى وسع علمه كل شئ ومحل الكاف فى (كذلك) نصب أى مثل مااقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من أخبار الامم الماضية تكثيرا لبيناتك وزيادة فى معجزاتك (وقد آتيناك) أى أعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكرا) قرآنا فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن أقبل عليه وهو مشتمل على الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار (من أعرض عنه) عن هذا الذكر

(وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) أقمت عليه عابدا (لنحرقنه) بالنار ويقال لنبردنه بالمبرد (ثم لننسفنه فى اليم نسفا) لنذرينه فى البحر ذروا (انما الهكم الله الذى لا اله الا هو) بلا ولد ولا

يك (وسع كل شئ علما) علم ربنا بكل شئ (قاوخا ٢٨ بع) (كذلك) هكذا (نقص عليك) يا محمد تنزل عليك جبريل (من أنباء
دسبق) باخبار الامم الماضية (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) قد أكرمناك بالقرآن فيه خبر الاولين والآخرين (من أعرض عنه)

حمزة وعلي قال الزجاج بصر علم وابصر نظر أي علمت مالم يعلمه بنواسرائيل قال موسى وماذاك قال رأيت جبريل
فرس الحياة فالقي في نفسي ان أقبض من أثره فما ألقيته على شيء الا صارله روح ولحم ودم (فقبضت قبضة) القبضة
من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرئ فقبصت قبصة فالضاد
الكف والصاد باطراف الاصابع (من أثر الرسول) أي من أثر
الرسول وقرئ بها (فنبذتها)
فطرحتها في جوف العجل
(وكذلك سولت) زينت لي
(نفسي) ان أفعله ففعلته اتباعا
لهواي وهو اعتراف بخطأ
واعتذار (قال) له موسى
(فاذهب) من بيننا طريدا
(فان لك في الحيوة) ما عشت
(ان تقول) لمن أراد مخالطتك
جاهلا بحالك (لامساس)
أي لا يمسني أحد ولا أمسه
فمنع من مخالطة الناس منعا
كليا وحرم عليهم ملاقاته
ومكالمته ومبايعته واذا
اتفق أن يماس أحدا حم
الماس والممسوس وكان
يهيم في البرية يصيح لامساس
ويقال ان ذلك موجود
في أولاده الى الآن وقيل
أراد موسى عليه السلام
ان يقتله فمنعه الله تعالى منه
لسخائه (وان لك موعدا
لن تخلفه) أي لن يخلفك

وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس أثره شيئا الا احياه
أو رأيت ما لم تروه وهو ان جبريل عليه الصلاة والسلام جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه
لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل ﴿فقبضت قبضة
من اثر الرسول﴾ من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق على المقبوض كضرب
الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما
الخضم والقضم والرسول جبريل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف
جبريل أو اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور ﴿فنبذتها﴾
في الحلي المذاب أو في جوف العجل حتى حيي ﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ زينته وحسنته
لي ﴿قال فاذهب فان لك في الحيوة﴾ عقوبة على مافعلت ﴿ان تقول لامساس﴾ خوفا من
ان يمسك احد فتأخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحش
النافر وقرئ لامساس كفجار وهو علم للمسة ﴿وان لك موعدا﴾ في الآخرة ﴿لن تخلفه﴾

فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ أي من تراب حافر فرس جبريل ﴿فنبذتها﴾ أي فقذفتها في
العجل فخار فان قلت كيف عرف السامري جبريل ورآه من بين سائر الناس قلت ذكر
فيه وجهين أحدهما ان أمه ولدته في السنة التي كان يقتل فيها البنون فوضعته في كهف
حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليربيه لما قضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثاني
انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامري من بين سائر الناس
فلما رآه قال ان لهذا لشأنا فقبض القبضة من أصل تربة أثر موطئه فلما سأله موسى
قال قبضت قبضة من أثر الرسول اليك يوم جاء للميعاد وقيل رآه يوم فلق البحر فاخذ
القبضة وجعلها في عمامته لما يريد الله ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله ﴿وكذلك
سولت﴾ أي زينت ﴿لي نفسي﴾ وقيل انه من السؤال والمعنى انه لم يدعني الى فعله
غيري واتبعت فيه هواي ﴿قال﴾ يعني موسى للسامري ﴿فاذهب فان لك في الحيوة﴾
أي مادمت حيا ﴿ان تقول لامساس﴾ أي لا تخالط أحدا ولا يخالطك أحد فعوقب
في الدنيا بعقوبة ولا شيء أوحش منه ولا أعظم وذلك ان موسى أمر بني اسرائيل
ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وقال ابن
عباس رضي الله عنهما لامساس لك ولولدك فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش
والسباع لا يمس أحدا ولا يمسه أحد وقيل كان اذا مس أحدا أو مسه أحد حما جميعا
فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لامساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك
﴿وان لك﴾ أي يا سامري ﴿موعدا﴾ أي بعذابك في الآخرة ﴿لن تخلفه﴾ قرئ

مالم ير بنو اسرائيل قال له
موسى وما رأيت دونهم قال
رأيت ...
بلغني ... وهي ... الحياة

(فقبضت قبضة من أثر الرسول) من تراب حافر فرس جبريل (فنبذتها) فطرحتها في فم العجل ودبره (بكسر...
فخار (وكذلك سولت) زينت (لي نفسي قال) له موسى (فاذهب يا سامري (فان لك في الحياة) ما حييت (أن تقول لا م...
لا تخالط أحد ولا تخالطك (وان لك موعدا) أجلا يوم القيامة (لن تخلفه) ان تجاوزه

...ى أم لا فلما رجع موسى (قال ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (الا تتبعنى) بالياء فى الوصل والوقف ... افقه أبو عمرو ونافع فى الوصل وغيرهم بلاياء أى مادعاك الى ان تتبعنى لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشئ وبين ... الى تركه وقيل لا مزيدة والمعنى أى شئ منعك أن تتبعنى حين لم يقبلوا قولك و تلحق بى وتخبرنى أو ومامنعك ان تتبعنى ... غضب لله وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الامر كما كنت أباشره انا لو كنت شاهدا (أفعصيت أمرى) أى ... أمرتك به من القيام بمصالحهم ثم اخذ بشعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه لان الغيرة فى الله ملكته (قال يابن أم) وبخفض الميم شامى وكوفى غير حفص وكان لابيه وأمه عند الجمهور ولكنه ذكر الام استعطافا وترفيقا (لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى) ثم ذكر عذره فقال (انى خشيت أن تقول) ان قاتلت بعضهم ببعض (فرقت بين بنى اسرائيل) أو خفت أن تقول ان فارقتهم واتبعتك ولحق بى فريق وتبع السامرى فريق فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب) ولم تحفظ (قولى) اخلفنى فى قومى واصلح وفيه دليل على جواز الاجتهاد ثم اقبل موسى على السامرى منكرا عليه حيث (قال فما خطبك) ما أمرك الذى تخاطب عليه (ياسامرى قال بصرت بما لم يبصروا به) و بالتاء

قال ياهرون ﴾ أى قال له موسى لما رجع ﴿ مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ﴾ بعبادة العجل ﴿ ألا تتبعن ﴾ ان تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به أو ان تأتى عقبى وتلحقنى ... لا مزيدة كما فى قوله مامنعك ان لا تسجد ﴿ أفعصيت امرى ﴾ بالصلابة فى الدين والمحاماة ...يه ﴿ قال يابن ام ﴾ خص الام استعطافا وترفيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور ... انهما كانا من اب وام ﴿ لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى ﴾ اى بشعر رأسى قبض عليهما ...ره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه الصلاة والسلام حديدا خشنا صلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ﴿ انى خشيت ان تقول فرقت ... بنى اسرائيل ﴾ لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ﴿ ولم ترقب قولى ﴾ حين قلت ... خلفنى فى قومى واصلح فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم ... دارك الامر برأيك ﴿ قال فما خطبك ياسامرى ﴾ أى ثم اقبل عليه وقال له منكرا خطبك أى ماطلبك له وما الذى حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه ﴿ قال ...صرت بما لم يبصروا به ﴾ وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب اى علمت بما لم تعلموه

...ثم قالوا لن نقبل حجتك ولا نقبل الا قول موسى فاعتزلهم هرون ومعه اثنا عشر ...فا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون ...ول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شعر ...أسه بيمينه ولحيته بشماله و ﴿ قال ﴾ له ﴿ ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ﴾ أى ...ركوا ﴿ ألا تتبعنى ﴾ أى تتبع أمرى ووصيتى وهلا قاتلتهم وقد علمت انى لو كنت ...م اقاتلهم على كفرهم وقيل معناه مامنعك من اللحوق بى واخبارى بضلالتهم ...كون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما أتوه ﴿ أفعصيت أمرى ﴾ أى خالفت أمرى ﴿ قال يابن أم لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى ﴾ أى بشعر رأسى وكان قد أخذ بذؤابتيه ﴿ انى خشيت ان تقول ﴾ أى لو أنكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا ...قول ﴿ فرقت بين بنى اسرائيل ﴾ أى خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا ...حزابا فيتقاتلون فتقول فرقت بين بنى اسرائيل ﴿ ولم ترقب قولى ﴾ أى لم تحفظ ...صيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى وأصلح وارفق بهم ثم أقبل موسى على السامرى ﴿ قال فما خطبك ﴾ أى فما أمرك و شأنك وما الذى حملك على ماصنعت ﴿ يا سامرى ...ل ﴾ يعنى السامرى ﴿ بصرت بما لم يبصروا به

(قال) لهرون (ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا) الطريق (ألا تتبعن) لم لا ...صيتى ولم تناجزهم القتال (أفعصيت) أتركت (أمرى) وصيتى (قال) هرون لموسى (يابن أم) ذكر أمه لكى يرفق ...ويرحم عليه (لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى) ولا بشعر رأسى (انى خشيت) خفت (أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل) بالقتل ...(ولم ترقب قولى) لم تنتظر قدومى فمن ذلك تركت القتال معهم ثم رجع موسى الى السامرى (قال فما خطبك) فما الذى حملك ...على عبادة العجل (ياسامرى قال) السامرى (بصرت بما لم يبصروا به) أى رأيت

واتباعه (هذا الهكم واله موسى) فاجاب عامتهم الاثنى عشر الفا فنسى) أى فنسى موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند ا
أو هو ابتداء كلام من الله تعالى أى نسى السامرى ربه وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر أو نسى السامرى الاستدلال ع
العجل لايكون الها بدليل قوله (أفلا يرون ان لا يرجع) أى انه لا يرجع فان مخف
الثقيلة (اليهم قولا) أى لايجيبهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أى هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف تتخذونه الها وقيل انه ما خار الامرة (ولقد قال لهم) لمن عبدوا العجل (هرون من قبل) من قبل رجوع موسى اليهم (ياقوم انما فتنتم به) ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه (وان ربكم الرحمن) لا العجل (فاتبعونى) كونوا على دينى الذى هو الحق (وأطيعوا أمرى) فى ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح عليه عاكفين) أى لن نزال مقيمين على العجل وعبادته (حتى يرجع الينا موسى) فننظره هل يعبده كما عبدناه وهل صدق

اول ما رآه ﴿ هذا الهكم واله موسى فنسى ﴾ أو فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطو
أو فنسى السامرى أى ترك ما كان عليه من اظهار الايمان ﴿ أفلا يرون ﴾ أفلا يعلمو
﴿ ان لا يرجع اليهم قولا ﴾ انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجـ
بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ﴿ ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا
ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ﴿ ولقد قال لهم هرون من قبل ﴾ من قبل رجوع موسـ
عليه الصلاة والسلام أو قول السامرى كأنه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة تو
ذلك وبادر تحذيرهم ﴿ ياقوم انما فتنتم به ﴾ بالعجل ﴿ وان ربكم الرحمن ﴾ لا غير ﴿ فاتبعو
واطيعوا امرى ﴾ فى الثبات على الدين ﴿ قالوا لن نبرح عليه ﴾ على العجل وعباد
﴿ عاكفين ﴾ مقيمين ﴿ حتى يرجع الينا موسى ﴾ وهذا الجواب يؤيد اوجه الاو

هذا الهكم واله موسى ﴾ يعنى قال ذلك السامرى ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عا
وأحبوه حبا لم يحبوا شيأ قط مثله ﴿ فنسى ﴾ قيل هو اخبار عن قول السامرى أى ان مو
نسى الهه وتركه ههنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخا
فى طريق آخر فأخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى وكأنه أخبر عن السام
انه نسى الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ
ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذى يجب الاستدلال به فقال ﴿ أفلا يرون أن لا يرجع ا
قولا ﴾ أى ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا دعوه ولا يكلمهم ﴿ ولا يملك لهم ض
ولا نفعا ﴾ هذا توبيخ لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضر من ترك عبادته ولا ينفع من عبـ
وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بنى اسرائيل * قوله عز وجل ﴿ ولقد قال
هرون من قبل ﴾ أى من قبل رجوع موسى ﴿ ياقوم انما فتنتم به ﴾ أى ابتليتم بالعج
﴿ وان ربكم الرحمن فاتبعونى ﴾ على دينى فى عبادة الله ﴿ وأطيعوا أمرى ﴾ أى
ترك عبادة العجل * اعلم ان هرون عليه السلام سلك فى هذا الوعظ أحسن الوجوه لا
زجرهم أولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعا الى معرفة الله تعالى بقوله وان ر
الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعونى ثم دعاهم الى الشرائع بقوله وأطيع
أمرى فهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد من اماطة الاذى عن الطريق وهى از
الشبهات ثم معرفة الله فانها هى الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الر
فخص هذا الموضع بهذا الاسم لانه ينبههم على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه
التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود ﴿ قالوا لن نبرح ﴾ أى لن نز
﴿ عليه ﴾ أى على عبادة العجل ﴿ عاكفين ﴾ أى مقيمين ﴿ حتى يرجع الينا موسى

هذا قال لهم السامرى (هذا الهكم واله موسى فنسى) فترك السامرى طاعة الله وأمره ويقال قال السامرى ترك موسى الطريق وأخطأ فقال الله (أفلا يرون) يعنى السامرى وأصحابه (الا يرجع) أن لا يرد (اليهم قولا) جوابا يعنى العجل (ولا يملك لهم) لا يقدر لهم (ضرا) دفع
الضرر (ولا نفعا) ولا جر النفع (ولقد قال لهم هرون من قبل) من قبل مجئ موسى عليه السلام (ياقوم انما
فتنتم به) ابتليتم بالخوار وعبادة العجل ويقال أضللتم أنفسكم بعبادة العجل (وان ربكم الرحمن فاتبعونى) فى دينه (وأطيعوا أ
قولى ووصيتى (قالوا لن نبرح عليه) لن نزال على عبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) فلما رجع موسى

ين عاصم وبضمها حمزة وعلى وبكسرها غيرهم أى ما أخلفنا موعدك بان ملكنا أمرنا أى لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا
ما خلفناك موعدك ولكنا غلبنا من جهة السامرى وكيده (ولكنا حملنا) بالضم والتشديد حجازى وشامى وحفص
بفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم (أوزارا من زينة القوم) أثقالا من حلى القبط أو ارادوا بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم قد
استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلة ان لنا غدا عيدا فقال السامرى انما حبس موسى
لشؤم حرمتها لانهم كانوا
معهم فى حكم المستأمنين
فى دار الحرب وليس للمستأمن
أن يأخذ مال الحربى على
أن الغنائم لم تكن تحل
حينئذ فاحرقوها فخبأ فى
حفرة النار قالب عجل
فانصاغت عجلا مجوفا فخار
بدخول الريح فى مجار منه
أشباه العروق وقيل نفخ
فيه ترابا من موضع قوائم
فرس جبريل عليه السلام
يوم الغرق وهو فرس
حياة فحيي فخار ومالت
طباعهم الى الذهب فعبدوه
(فقذفناها) فى نار السامرى
التى أوقدها فى الحفرة
وأمرنا أن نطرح فيها الحلى
(فكذلك ألقى السامرى)
ما معه من الحلى فى النار
أو ما معه من التراب الذى
أخذه من أثر حافر فرس
جبريل عليه السلام (فأخرج
لهم) السامرى من الحفرة
(عجلا) خلقه الله تعالى من
الحلى التى سبكتها النار
ابتلاء (جسدا) مجسدا
(له خوار) صوت وكان يخور كما تخور العجاجيل (فقالوا) أى السامرى

ار لكنا أمرنا اذ لو خلينا وأمرنا ولم يسول لنا السامرى لما أخلفناه * وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح
حمزة والكسائى بالضم وثلاثتها من الاصل لغات فى مصدر ملكت الشئ ﴿ولكنا حملنا اوزارا من
زينة القوم﴾ حملنا احمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم
العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هى ما القاه
البحر على الساحل بعد اغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل
بعد أولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربى ﴿فقذفناها﴾ أى فى النار
﴿فكذلك القى السامرى﴾ أى ما كان معه منها روى انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت
قال لهم السامرى انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم
فالرأى ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا * وقرأ ابو عمرو
و حمزة والكسائى وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف ﴿فاخرج لهم عجلا جسدا﴾
من تلك الحلى المذابة ﴿له خوار﴾ صوت العجل ﴿فقالوا﴾ يعنى السامرى ومن افتتن به

اختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع فى الفتنة لم يملك نفسه ﴿ولكنا حملنا أوزارا من زينة
القوم﴾ أى حملنا مع أنفسنا ما كنا قد استعرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال
سميت أوزارا لكثرتها وثقلها وقيل الاوزار الآثام أى حملنا آثاما وذلك أن بنى اسرائيل
استعاروا حليا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر
وقيل ان الله لما أغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذها بنو اسرائيل فكانت غنيمة
ولم تكن الغنائم تحل لهم ﴿فقذفناها﴾ أى ألقيناها قيل ان السامرى قال لهم احفروا
حفيرة والقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل ان هرون أمرهم بذلك
ففعلوا ﴿فكذلك ألقى السامرى﴾ أى ما كان معه من الحلى فيها قال ابن عباس أوقد
هرون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل ان هرون مر على السامرى وهو يصوغ
العجل فقال له ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لى فقال هرون اللهم اعطه ما سألك
على ما فى نفسه فألقى السامرى ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل فى فم العجل
وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى ﴿فأخرج لهم عجلا
جسدا له خوار﴾ اختلفوا هل كان الجسد حيا أم لا على قولين أحدهما لا لانه
لا يجوز اظهار خرق العادة على يد ضال بل السامرى صور صورة على شكل العجل
وجعل فيه منافذ ومخارق بحيث اذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل الثانى انه
صار حيا وخار كما يخور العجل ﴿فقالوا﴾

(ولكنا حملنا أوزارا) اجراما (من زينة القوم) من حلى آل فرعون فشؤم ذلك حملنا على عبادة العجل (فقذفناها) فطرحنا
ها فى النار (فكذلك ألقى السامرى) ما ألقينا (فأخرج لهم) فصاغ لهم السامرى من الذهب الذى ألقوا فى النار (عجلا
جسدا) مجسدا صغيرا بلا روح (له خوار) صوت (فقالوا) أى شئ

وهـذا دليل على جواز الاجتهاد (قال فانا قدفتنا قومك) القيناهم فى فتنة (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هرون (وأضلهم السامرى) بدعائه اياهم الى عبادة العجل واجابتهم له وهو منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال

لها السامرة وقيـل كان علجا من كرمان فاتخذ عجلا واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى) من مناجاة ربه (الى قومه غضبان أسـفا) شـديد الغضب أوحزينا (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التى فيها هدى ونور وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسـفارها سبعون جملا ولا وعد أحسن من ذلك (أفطال عليكم العهد) أى مدة مفارقتى اياكم والعهد الزمان يقال طال عهدى بك أى طال زمانى بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أى أردتم أن تفعلوا فعلا يجب به عليكم الغضب من ربكم (فاخلفتم موعدى) وعدوه ان يقيموا على أمره وماتركهم عليه من الآيات فاخلفوا موعده باتخـاذ العجل (قالوا ماأخلفنـا موعدك بملكنا) بفتح الميم

رضى ... (قال) ياموسى (فانا قد فتنا) ابتلينا (قومك) بعبادة العجل (من بعدك) من بعد انطلاقك الى الجبل (واضلهم السامرى) وامرهم بذلك السامرى (فرجع) فلما رجع (موسى الى قومه) مع السبعين سمع صوت الفتنة فصار (غضبان أسفا) حزينا (باختيارنا) (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) صدقا (أفطال عليكم العهد) أفتجاوزت عنكم المدة (أم أردتم أن يحل عليكم) يجب عليكم (غضب سخط وعذاب (من ربكم فاختلفتم موعدى) فخالفتم وعدى (قالوا) ياموسى (ماأخلفنا موعدك) ماخالفنا وعدك (بملكنا) بطاقتنا متعمدين

الى امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك ﴿ قال فانا قد فتنا قومك من بعدك ﴾ ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ومانجا من عبادة العجل منهم الا اثنى عشر الفا ﴿ واضلهم السامرى ﴾ باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اى اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا فان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس فى الآية مايدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشئ ان يكون فى علمه ومقتضى مشيئته والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا ﴿ فرجع موسى الى قومه ﴾ بعدما استوفى الاربعين واخذ التوراة ﴿ غضبان ﴾ عليهم ﴿ اسفا ﴾ حزينا بمافعلوا ﴿ قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ﴾ بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور ﴿ أفطال عليكم العهد ﴾ أى الزمان يعنى زمان مفارقته لهم ﴿ أم اردتم ان يحل عليكم ﴾ يجب عليكم ﴿ غضب من ربكم ﴾ بعبادة ماهو مثل فى الغباوة ﴿ فاخلفتم موعدى ﴾ وعدكم اياى بالثبات على الايمان بالله والقيام على ماامرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين وهو لايناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذى يليه ولا جوابهم له ﴿ قالوا ماأخلفنا موعدك بملكنا ﴾

أى لتزداد رضا ﴿ قال فانا قد فتنا قومك ﴾ أى فانا ابتلينا الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثنى عشر الفا ﴿ من بعدك ﴾ أى من بعد انطلاقك الى الجبل ﴿ وأضلهم السامرى ﴾ أى دعاهم وصرفهم الى الضلال وهو عبادة العجل وانما أضاف الضلال الى السامرى لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المنشآت تضاف الى منشئها فى الظاهر وان كان الموجد لها فى الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هنا وأضلهم السامرى قيل كان السامرى من عظماء بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جارا لموسى وآمن به وقيل كان علجا من علوج كرمان رفع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر ﴿ فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا ﴾ أى حزينا جزعا ﴿ قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ﴾ أى صدقا انه يعطيكم التوراة ﴿ أفطال عليكم العهد ﴾ أى مدة مفارقتى اياكم ﴿ أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم ﴾ أى أردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه ﴿ فاخلفتم موعدى ﴾ يعنى ماوعدوه من الاقامة على دينه الى أن يرجع ﴿ قالوا ماأخلفنا موعدك بملكنا ﴾ أى بملك أمرنا وقيل

أ بكم وواعدتكم ورزقتكم كوفي غير عاصم (ولا تطغوا فيه) ولا تعدوا حدود الله فيه بأن تكفروا النعم وتنفقوها في المعاصي أ لا يظلم بعضكم بعضا (فيحل عليكم غضبي) عقوبتي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) هلك أو سقط سقوطا لا نهوض ه وأصله ان يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه سقط من شرف شرف الايمان الى حفرة من حفر النيران قرأ علي فيحل وقال الباقون بكسرهما فالمكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب أداؤه والمضموم في معنى النزول (واني لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن) وحد الله تعالى وصدقه فيما أنزل (وعمل صالحا) أدى الفرائض (ثم اهتدى) ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح (وما أعجلك) أي وأي شيء عجل بك (عن قومك ياموسى) أي عن السبعين الذين اختارهم وذلك انه مضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أعجلك أي أي شيء أوجب عجلتك استفهام انكار وما مبتدأ وأعجلك الخبر (قال هم أولاء على أثري) أي هم خلفي يلحقون بي وليس بيني وبينهم الا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال (وعجلت اليك رب) أي الى الموعد الذي وعدت (لترضى) لتزداد عني رضا

مارزقتكم على التاء وقرئ أوعدتكم ووعدناكم والأيمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ﴿ ولا تطغوا فيه ﴾ فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق ﴿ فيحل عليكم غضبي ﴾ فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ﴿ ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾ فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا انزل ﴿ واني لغفار لمن تاب ﴾ عن الشرك ﴿ وآمن ﴾ بما يجب الايمان به ﴿ وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ ثم استقام على الهدى المذكور ﴿ وما أعجلك عن قومك ياموسى ﴾ سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ هم اولاء على اثري ﴾ ما تقدمتهم الا بخطا يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا ﴿ وعجلت اليك رب لترضى ﴾ فان المسارعة

﴿ ولا تطغوا فيه ﴾ قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا طاغين وقيل لا تنفقوا بنعمتي على المعاصي وقيل لا تدخروا ﴿ فيحل عليكم غضبي ﴾ أي يجب عليكم غضبي ﴿ ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾ أي هلك وسقط في النار ﴿ واني لغفار لمن تاب ﴾ قال ابن عباس تاب عن الشرك ﴿ وآمن ﴾ أي وحد الله وصدق رسوله ﴿ وعمل صالحا ﴾ أي أدى الفرائض ﴿ ثم اهتدى ﴾ قال ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل أقام على السنة * قوله عز وجل ﴿ وما أعجلك ﴾ أي وما حملك على العجلة ﴿ عن قومك ياموسى ﴾ وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا يذهبون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وأمرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما أعجلك عن قومك ياموسى فاجاب ربه ف﴿ قال هم أولاء على أثري ﴾ أي هم بالقرب مني يأتون على أثري من بعدي * فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال هم أولاء على أثري * قلت كان هم موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه فاعتل بانه لم يوجد منه الا تقدم يسير ثم أعقبه بجواب السؤال فقال ﴿ وعجلت اليك رب لترضى ﴾

من المن والسلوى (ولا تطغوا فيه) لا تكفروا به ويقال لا ترفعوا للغد (فيحل عليكم) فيجب عليكم (غضبي) سخطي وعذابي ويقال ينزل ان قرأت بضم الحاء (ومن يحلل عليه غضبي) يجب عليه غضبي سخطي وعذابي (فقد هوى) فقد هلك (واني لغفار لمن تاب) من الشرك (وآمن) بالله (وعمل صالحا) خالصا (ثم اهتدى) ثم رأى ثواب عمله حقا ويقال ثم اهتدى الى السنة والجماعة ومات على ذلك فلما ذهب موسى عليه السلام مع السبعين الى الميقات تعجل الى الميعاد قبل السبعين قال الله له (وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم اولاء) يجيئون (على اثري وعجلت اليك رب لترضى) لتزداد

فرعون وجنوده ولايلحقونك (ولاتخشى) الغرق وعلى قراءة حمزة ولاتخشى استئناف أى وأنت لاتخشى أويكون الا
للاطلاق كما فى وتظنون بالله الظنونا فخرج بهم موسى من أول الليل وكانوا سبعين ألفا وقد استعاروا حليهم فركب فرعون فى ستم
ألف من القبط فقص أثرهم فذلك قوله (فاتبعهم فرعون بجنوده) وهو حال أى خرج خلفهم ومعه جنوده (فغشيهم من اليم) أص
من البحر (ماغشيهم) هو

أى غشيهم مالايعلم كنهه
الاالله عزوجل (وأضل
فرعون قومه) عن سبيل
الرشاد (وماهدى) وما
أرشدهم الى الحق والسداد
وهذارد لقوله وماأهديكم
الاسبيل الرشاد ثم ذكر
منته على بنى اسرائيل بعد
ماأنجاهم من البحر وأهلك
فرعون وقومه بقوله (يابنى
اسرائيل) اى أوحينا الى
موسى أن أسر بعبادى
وقلنا يابنى اسرائيل
(قدأنجيناكم من عدوكم)
أى فرعون (وواعدناكم)
بايتاء الكتاب (جانب
الطور الايمن) وذلك ان
اللهعزوجل وعد موسى
أن يأتى هذا المكان ويختار
سبعين رجلا يحضرون
معه لنزول التوراة وانما
نسب اليهم المواعدة لانها
كانت لنبيهم ونقبائهم
واليهم رجعت منافعها
التى قام بها شرعهم ودينهم
والايمن نصب لانه صفة
جانب وقرئ بالجر على
الجوار (ونزلنا عليكم المن والسلوى) فى التيه وقلنالكم (كلوا من طيبات) حلالات (مارزقناكم) ﴿ ولا ﴾

آمنامن ان يدرككم العدو أوصفة ثانية والعائد محذوف وقرأحمزة لاتخف على انه جواب الامر ﴿ولاتخشى﴾ استئناف أى وانت لاتخشى أوعطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا أوحال بالواو والمعنى ولاتخشى الغرق ﴿فاتبعهم فرعون بجنوده﴾ وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثانى وقيل فتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم ﴿فغشيهم من اليم ماغشيهم﴾ الضمير لجنوده اوله ولهم وفيه مبالغة ووجازة اى غشيهم ماسمعت قصته ولايعرف كنهه الاالله وقرئ فغشاهم ماغشاهم اى غطاهم ماغطاهم والفاعل هوالله تعالى أوماغشيهم أوفرعون لانه الذى ورطهم للهلاك ﴿واضل فرعون قومه وماهدى﴾ أى اضلهم فى الدين وماهداهم وهوتهكم به فى قوله وماهديكم الاسبيل الرشاد أواضلهم فى البحر ومانجا ﴿يابنى اسرائيل﴾ خطاب لهم بعدانجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا أوللذين منهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم بمافعل بآبائهم ﴿قد انجيناكم من عدوكم﴾ فرعون وقومه ﴿وواعدناكم جانب الطور الايمن﴾ لمناجاة موسى وانزال التوراة عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهى لموسى اوله وللسبعين المختارين للملابسة ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ يعنى فى التيه ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ لذائذه اوحلالاته وقرأحمزة والكسائى انجيتكم وواعدتكم

ولاتخشى ﴾ قيل معناه لاتخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر امامك ﴿ فاتبعهم ﴾ أى فلحقهم ﴿ فرعون بجنوده فغشيهم ﴾ أى أصابهم ﴿ من اليم ماغشيهم ﴾ وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم مالم يعلم كنهه الاالله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه ﴿ وأضل فرعون قومه وماهدى ﴾ أى وما أرشدهم وهو تكذيب لفرعون فى قوله وماأهديكم الاسبيل الرشاد ☼ قوله عزوجل ﴿يابنى اسرائيل قدأنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ ذكرهم الله النعمة فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما وعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الالواح وانما قال وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم وفيها أفاض الله عليهم من سائر نعمه وأرزاقه ﴿ كلوا من طيبات مارزقناكم

فرعون (ولاتخشى) من الغرق (فاتبعهم فرعون) فلحقهم فرعون (بجنوده بجموعه (فغشيهم من اليم)فغشى عليهم البحر
(ماغشيهم وأضل فرعون) أهلك فرعون (قومه) فى البحر (وماهدى) ماأنجاهم من الغرق ويقال أضلهم عن دين الله وماد لهم
الى الصواب (يابنى اسرائيل) ياأولاد يعقوب (قد انجيناكم من عدوكم) من فرعون (وواعدناكم جانب الطور)الجبل
(الايمن) يمين موسى باعطاء الكتاب (ونزلنا عليكم المن والسلوى) فى التيه (كلوا من طيبات) من حلالات (مارزقناكم)

عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (انه) هو ضمير الشأن (من يأت ربه مجرما) كافرا (فان له) للمجرم جهنم لا يموت فيها) فيستريح بالموت (ولا يحيي) حياة ينتفع بها (ومن يأته مؤمنا) مات على الايمان (قد عمل الصالحات) الايمان (فاولئك لهم الدرجات العلى) جمع العليا (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) نين (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من الشرك بقول لا اله الا الله قيل هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) لما أراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه أمر موسى ان يخرج بهم من مصر ليلا و[illegible] يأخذ بهم طريق البحر (فاضرب لهم طريقا فى البحر) اجعل لهم من قولهم [illegible] سهما (يبسا) أى يابسا وهو مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا (لا تخاف) حال من الضمير فى فاضرب اى اضرب لهم طريقا غير خائف لا تخف [illegible] على الجواب (دركا) هو اسم من الادراك أى لا يدركك

جزاء أو خير ثوابا وابقى عقابا ﴿ انه ﴾ اى الامر ﴿ من يأت ربه مجرما ﴾ بان يموت على كفره وعصيانه ﴿ فان له جهنم لا يموت فيها ﴾ فيستريح ﴿ ولا يحيي ﴾ حياة مهناة ﴿ ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات ﴾ فى الدنيا ﴿ فاولئك لهم الدرجات العلى ﴾ المنازل الرفيعة ﴿ جنات عدن ﴾ بدل من الدرجات ﴿ تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ﴾ حال والعامل فيها معنى الاشارة أو الاستقرار ﴿ وذلك جزاء من تزكى ﴾ تطهر من ادناس الكفر والمعاصى والآيات الثلاث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان [illegible]ون ابتداء كلام من الله ﴿ ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى ﴾ أى من مصر ﴿ فاضرب لهم طريقا ﴾ فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما أو فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله ﴿ فى البحر يبسا ﴾ يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتى جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه أو وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله

كأن قتود رحلى حين ضمت * حوالب غرزا ومعى جياعا

أو لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا ﴿ لا تخاف دركا ﴾ حال من المأمور أى

ثوابا وأبقى عقابا وقيل خير منك ان أطيع وابقى عذابا ان عصى وهذا جواب لقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى ﴿ انه من يأت ربه مجرما ﴾ قيل [illegible] [illegible]داء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك ﴿ فان له جهنم لا يموت فيها ﴾ فيستريح ﴿ ولا يحيي ﴾ حياة ينتفع بها ﴿ ومن يأته مؤمنا ﴾ أى من مات على الايمان ﴿ قد عمل الصالحات فاو[illegible]ك لهم الدرجات العلى ﴾ أى الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات بقوله ﴿ جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾ أى تطهر من الذنوب وقيل أعطى زكاة نفسه وقال لا اله الا الله [illegible] عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وانعما أخرجه الترمذى قوله وانعما يقال أحسن فلان الى فلان وانعم أى أفضل وزاد فى الاحسان والمعنى انهما منهم وزاد أو تناهيا الى غايته ﴿ قوله تعالى ﴿ ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى ﴾ أى أسر بهم ليلا من أرض مصر ﴿ فاضرب لهم طريقا ﴾ أى اجعل لهم طريقا ﴿ فى البحر ﴾ بالضرب بالعصا ﴿ يبسا ﴾ أى يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى أيبس لهم الطريق فى البحر ﴿ لا تخاف دركا

والكرامة أفضل وأدوم مما تعطينا من المال (انه من يأت ربه) يوم القيامة (مجرما) مشركا له (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيي) حياة نفعا (ومن يأته) يوم القيامة (مؤمنا) مصدقا فى ايمانه (قد عمل الصالحات) فيما بينه وبين ربه (فاولئك لهم الدرجات العلى) الرفيعة فى الجنان ثم بين أى الجنان لهم (فاوخا ٢٧ [illegible]) فقال (جنات عدن) وهى دار الرحمن التى خلقها بيده وهى فى وسط الجنان والجنان حولها (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون (وذلك) الجنان والخلد (جزاء من تزكى) ثواب من وحد وأصلح (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر) أى سر (بعبادى) أول الليل (فاضرب لهم) بين لهم (طريقا فى البحر يبسا) طريقا يابسا جادا (لا تخاف دركا) ادراك

و خص النخل لطول جذوعها (ولتعلمن اينا اشد عذابا) انا على ايمانكم بي أورب موسى على ترك الايمان به و
يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان فى كتاب الله بغير الله
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (وابقى) أدوم قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ماجاء من البينات) القاطعة الدالة على صدق
موسى (والذى فطرنا) عطف على ماجاءنا أى لن نختارك على الذى جاءنا ولا على الذى خلقنا أو قسم وجوابه لن نؤثرك
مقده على القسم (فاقض ما انت قاض) فاصنع ما أنت صانع من القتل والـ
قال ٭ وعليهما مسرودتان قضاهما ٭ أى صنعهما أى احكم ما أنت حاكم (انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) أى فى هذه الحياة الدنيا فانتصب على الظرف أى انما تحكم فى مدة حياتنا (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه) ما موصلة منصوبة بالعطف على خطايانا (من السحر) حال من ماروى انهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ماهذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فكرهوا معارضته خوف الفضيحة فاكرههم فرعون على الاتيان بالسحر وضر فرعون جهله به ونفعهم عليهم بالسحر فكيف بعلم الشرع (والله خير) ثوابا لمن أطاعه (وأبقى) عقابا (ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى) أدوم أنا أو رب
موسى وهرون (قالوا) يعنى السحرة لفرعون (لن نؤثرك) لن نختار عبادتك وطاعتك (على ماجاءنا من البينات) (ثوابا
من الامر والنهى والكتاب والرسول والعلامات (والذى فطرنا) وعلى عبادة الذى خلقنا (فاقض ما أنت قاض) فاصنع ما أنت
صانع واحكم علينا ما أنت حاكم (انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) تحكم علينا فى الدنيا وليس لك علينا سلطان فى الآخرة (انا آمنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا) شركنا (وما أكرهتنا عليه) ما أجبرتنا عليه (من السحر) من تعلم السحر (والله خير وأبقى) ماعند الله من الثواب

شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب ﴿ ولتعلمن اينا ﴾ يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان فى كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزؤ به فانه لم يكن من التعذيب فى شئ وقيل رب موسى الذى آمنوا به ﴿ اشد عذابا وابقى ﴾ وادوم عذابا ﴿ قالوا لن نؤثرك ﴾ لن نختارك ﴿ على ماجاءنا ﴾ موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما ﴿ من البينات ﴾ المعجزات الواضحات ﴿ والذى فطرنا ﴾ عطف على ماجاءنا أو قسم ﴿ فاقض ما انت قاض ﴾ ما انت قاضيه اى صانعه او حاكم به ﴿ انما تقضى هذه الحيوة الدنيا ﴾ انما تصنع ماتهواه أو تحكم بما تراه فى هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة ﴿ انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ﴾ من الكفر والمعاصى ﴿ وما اكرهتنا عليه من السحر ﴾ فى معارضة المعجزة روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ماهذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ﴿ والله خير وابقى ﴾

﴿ ولتعلمن أينا أشد عذابا ﴾ أى على ايمانكم به أنا أورب موسى على ترك الايمان به ﴿ وأبقى ﴾ أى أدوم ﴿ قالوا ﴾ يعنى السحرة ﴿ لن نؤثرك ﴾ أى لن نختارك ﴿ على ماجاءنا من البينات ﴾ يعنى الدلالات الواضحات قيل هى اليد البيضاء والعصا وقيل كان استدلهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاين حبالنا وعصينا وقيل انهم لما سجدوا رأوا الجنة والنار ورأوا منازلهم فى الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات ﴿ والذى فطرنا ﴾ قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثرك على الله الذى فطرنا ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾ أى فاصنع ما أنت صانع ﴿ انما تقضى هذه الحيوة الدنيا ﴾ أى انما أمرك وسلطانك فى الدنيا وسيزول عن قريب ﴿ انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ﴾ فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤا مختارين غير مكرهين قلت كان فرعون أكرههم فى الابتداء على تعلمهم السحر لكى لا يذهب أصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بنى اسرائيل وكان فرعون اكره الذين هم من بنى اسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون أرنا موسى اذا هو نام فاراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فابى عليهم فاكرههم على ان يعملوا فذلك قولهم وما أكرهتنا عليه من السحر ﴿ والله خير وأبقى ﴾ أى خير منك

..ى الى قوله (ولايفلح الساحر) اى هذا الجنس (حيث أتى) أينما كان فالقى موسى عصاه فتلقفت ماصنعوا فاعظم مارأوا ومن
..لة وقعوا الى السجود فلذلك قوله (فالقى السحرة سجدا) قال الاخفش من سرعة ماسجدوا كأنهم ألقوا فما أعجب
..أمرهم قد ألقوا حبالهم و عصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين
..ى انهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها فى السجود فرفعوا رؤسهم ثم (قالوا آمنا برب هرون وموسى) وانما قدم هرون
..أخر فى الشعراء محافظة للفاصلة ولان الواو لاتوجب ترتيبا (قال آمنتم) بغير مد
حفص و بهمزة ممدودة بصرى وشامى وحجازى وبهمزتين غيرهم (له قبل أن آذن لكم) أى لموسى يقال آمن له وآمن به (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) لعظيمكم أو لمعلمكم تقول أهل مكة للمعلم أمرنى كبيرى (فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) القطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين يخالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو ومحل الجار والمجرور النصب على الحال يعنى لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب فى الجذع تمكن المظروف فى الظرف فلهذا قال (ولاصلبنكم فى جذوع النخل)

الكسائى سحر بمعنى ذى سحر أو بتسمية الساحر سحرا على المبالغة أو باضافة الكيد الى
سحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال
﴿ ولايفلح الساحر ﴾ أى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج

يوم ترى النفوس ماأعدت * فى سعى دنيا طالما قدمدت

..نه قيل انما صنعوا كيد سحرى ﴿ حيث اتى ﴾ حيث كان واين اقبل ﴿ فالقى السحرة
سجدا ﴾ أى فالقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو آية من
..يات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا
اعتابا وتعظيما لما رأوا ﴿ قالوا آمنا برب هرون وموسى ﴾ قدم هرون لكبر
..سنه أو لروى الآية أو لان فرعون ربى موسى فى صغره فلو اقتصر على موسى أو قدم
..كره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى انهم رأوا فى سجودهم
..الجنة ومنازلهم فيها ﴿ قال آمنتم له ﴾ أى لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع * وقرأ
..بل وحفص آمنتم له على الخبر والباقون على الاستفهام ﴿ قبل ان آذن لكم ﴾ فى الايمان له
﴿ انه لكبيركم ﴾ لعظيمكم فى فنكم واعلمكم به أو لاستاذكم ﴿ الذى علمكم السحر ﴾ وانتم تواطأتم
..لى مافعلتم ﴿ فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن
..ابتدائية كان القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو وهى مع المجرور بها فى حيز النصب على الحال
..ى لاقطعنها مختلفات * وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ﴿ ولاصلبنكم فى جذوع النخل ﴾

..ولايفلح الساحر حيث أتى ﴾ أى من الارض وقال ابن عباس لايسعد حيث كان ﴿ فالقى السحرة
سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى ﴾ قال صاحب الكشاف سبحان الله ماأعجب أمرهم
..ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم
..الفرق بين الالقاءين وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وقيل انهم لما سجدوا
..اراهم الله تعالى فى سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون
﴿ آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم ﴾ أى لرئيسكم وعظيمكم يعنى انه أسحركم وأعلاكم
..صناعة السحر ومعلمكم ﴿ الذى علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴾
..ى أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ ولاصلبنكم فى جذوع النخل ﴾ أى على جذوع النخل

..(ولايفلح)لايأمن ولاينجو من عذاب الله ولايفوز (الساحر حيث أتى)أينما كان (فالقى السحرة سجدا)فسجدوا من سرعة
..هم كانهم ألقوا (قالوا) يعنى السحرة (آمنا برب هرون وموسى قال) لهم فرعون (آمنتم له قبل أن آذن لكم) قبل أن آمركم
..(انه) يعنى موسى (لكبيركم) عالمكم (الذى علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) [illegible] والرجل اليسرى
(ولاصلبنكم فى جذوع النخل) على جذوع النخل

في بعض المواضع بان يكون ناصبا فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لاغير والتقدير ففاجأموسى ا...
...يل سعي حبالهم وعصيهم والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي (يخيل) وبالتاء ابن ذكوان (...
لى موسى (من سحرهم انها تسعى) رفع بدل اشتمال من الضمير في يخيل أي يخيل الملقى روى انهم لطخوها بالزئبق فلما ضر...
عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أضمر في نفسه خوفا ظنا منه ...
تقصده للجبلة البشرية أوخاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لا...

انك انت الاعلى) الغالب القاهر وفي ذكران وأنت وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة (والق مافي عينك تلقف) بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص وتلقف ابن ذكوا الباقون تلقف (ماصنعوا) زورا وافتعلوا أي اطرح عصاك تبتلع عصيهم وحبالهم ولم يقل عصاك تعظيما لها لاتحتفل بماصنعوا فان مافي عينك أعظم منها أوتحقيرا أي لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الذي في عينك فانه بقدرته يتلقفها على وحدته وكثرتها (انما صنعوا كيد ساحر) كوفي غير عاصم سحر بمعنى ذي سحر أوذوي سحر اوهم لتوغلهم في السحر كانهم السحر وكيد بالرفع على القراءتين وما موصولة أومصدرية وانما وحد ساحر ولم يجمع

يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ﴾ أي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق انها ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل بالياء على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل ﴿ فاوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ فاضمر فيها خوفا من مفاجأته على ماهو مقتضى الجبلة البشرية أومن ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه ﴿ قلنا لاتخف ﴾ ماتوهمت ﴿ انك انت الاعلى ﴾ تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل ﴿ والق مافي يمينك ﴾ ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها أي لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك أو تعظيما لها أي لاتحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ماهو اعظم منها أثرا فالقه ﴿ تلقف ماصنعوا ﴾ تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال وعلى الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته والبزي بتشديد التاء ﴿ ان ماصنعوا ﴾ الذي زوروا وافتعلوا ﴿ كيد ساحر ﴾ وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة

يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ قيل انهم لما ألقوا الحبال والعصي أخذوا أعين الناس فرأى موسى كان الارض امتلأت حيات وكانت قد أخذت ميلا في ميل من كل جانب ورآها كانها تسعى ﴿ فاوجس ﴾ أضمر وقيل وجد ﴿ في نفسه خيفة موسى ﴾ قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا في أمره فلا يتبعوه ﴿ قلنا لاتخف ﴾ أي قال الله تعالى لموسى لاتخف ﴿ انك أنت الاعلى ﴾ أي الغالب عليهم ولك الغلبة عليهم والظفر ﴿ وألق مافي يمينك ﴾ اي عصاك والمعنى لايخيفنك كثرة حبالهم وعصيهم فان في يمينك شيأ أعظم منها كلها ﴿ تلقف ﴾ أي تلتقم وتبتلع ﴿ ماصنعوا ان ماصنعوا كيد ساحر ﴾ أي حيلة ساحر

لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد (ولايفلح)

يخيل اليه) أي موسى (من سحرهم انها تسعى) تمضي (فاوجس في نفسه خيفة موسى) يقول أضمر موسى في قلبه الخوف خاف أن لايظفر بهم فيقتلون من آمن به (قلنا) لموسى (لاتخف انك أنت الاعلى) الغالب عليهم (وألق) على الارض ((مافي يمينك) ياموسى (تلقف) تلقم (ماصنعوا) ماطرحوا من العصي والحبال (انما صنعوا) طرحوا (كيد ساحر) عمل

أ على (يريدان ان يخرجاكم من ارضكم) مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم) بدينكم وشريعتكم (المثلى) الفضلى تأنيث الامثل
و الافضل (فاجمعوا) فاحكموا أي اجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا فاجمعوا أبو عمرو و يعضده فجمع كيده (كيدكم)
د عا يكاد به (ثم ائتوا صفا) مصطفين حال أمروا بان يأتوا صفا لانه أهيب

واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هى المخففة واللام هى الفارقة أو النافية واللام بمعنى الا ﴿ يريدان ان يخرجاكم من ارضكم ﴾ بالاستيلاء عليها ﴿ بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ﴾ بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله انى اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم ﴿ فاجمعوا كيدكم ﴾ فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم ٭ وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير فى قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ﴿ ثم ائتوا صفا ﴾ مصطفين لانه اهيب فى صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة ﴿ وقد افلح اليوم من استعلى ﴾ فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض ﴿ قالوا ياموسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى ﴾ أى بعدما اتوا مراعاة للادب وان بما بعدها منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية محذوف أى اختر القاءك اولا او القاءنا اوالامر القاؤك أو القاؤنا ﴿ قال بل القوا ﴾ مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول فى شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه ﴿ فاذا حبالهم وعصيهم

﴿ يريدان أن يخرجاكم من أرضكم ﴾ يعنى من مصر ﴿ بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ﴾ قال ابن عباس يعنى بسراة قومكم واشرافكم وقيل معناه يصرفان وجوه الناس عنكم وقيل أراد أهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل يعنى يريدان أن يذهبا بهم لانفسهما وقيل معناه يذهبا بسنتكم وبدينكم الذى أنتم عليه ﴿ فاجمعوا كيدكم ﴾ أى لا تدعوا شيأ من كيدكم الا جئتم به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل أمركم ﴿ ثم ائتوا صفا ﴾ أى مصطفين ليكون أشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المكان الموعود به ﴿ وقد أفلح اليوم من استعلى ﴾ أى فاز من غلب ﴿ قالوا ﴾ يعنى السحرة ﴿ ياموسى اما أن تلقى ﴾ أى عصاك ﴿ واما أن نكون أول من ألقى ﴾ أى عصينا ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ بل ألقوا ﴾ يعنى أنتم أولا ﴿ فاذا حبالهم ﴾ فيه اضمار أى فالقوا فاذا حبالهم ﴿ وعصيهم

في صدور الرائين (وقد افلح اليوم من استعلى) وقد فاز من غلب وهو اعتراض (قالوا) أي السحرة (ياموسى اما أن تلقى) عصاك أولا (واما أن نكون أول من ألقى) ما معنا وموضع أن مع ما بعده فيهما النصب بفعل مضمر أو رفع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر أحد الامرين أو الامر القاؤك أو القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وكانه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت اليهم بركته وعلم موسى اختيار القائهم أولا حتى (قال بل ألقوا) أنتم اولا ليبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فتمحقه فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين فالقوا (فاذا حبالهم وعصيهم) يقال في اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها وخصت

هرون لساحران (يريدان أن يخرجاكم) يعنى موسى وهرون (من ارضكم) مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم) بدينكم ورجالكم (المثلى) الامثل فالامثل أهل الرأى والشرف (فأجمعوا كيدكم) مكركم وسحرتكم وعلمكم (ثم ائتوا صفا) جميعا (وقد افلح) فاز (اليوم من استعلى قالوا) يعنى السحرة لموسى (ياموسى اما أن تلقى) عصاك الى الارض أو (اما أن نكون أول من ألقى قال) لهم موسى (بل ألقوا) أنتم أولا فالقوا اثنين وسبعين عصا واثنين وسبعين حبلا (فاذا حبالهم وعصيهم

والمدر (فتولى فرعون) أدبر عن موسى معرضا (فجمع كيده) مكره وسحرته وكانوا اثنين وسبعين أو أربعمائة أو [illegible] ألف (ثم أتى) الموعد (قال لهم موسى) أى للسحرة (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا) لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا (فيسحتكم) كوفى غير أبى بكر يهلككم وبفتح الياء والحاء غيرهم والسحت والاسحات بمعنى الاعدام وانتصب على جواب النهى (بعذاب عظيم (وقد خاب من افترى) من كذب على الله (فتنازعوا) اختلفوا أى السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة أى لا تفتروا على الله كذبا الآية ([illegible] النجوى) أى تشاوروا فى السر وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر والنجوى يكون مصدرا واسما ثم لفقوا هذا الكلام يعنى (قالوا ان هذان لساحران) يعنى موسى وهرون قرأ [illegible] أبو عمرو ان هذين لساحران و ظاهر ولكنه مخالف للامام وابن كثير وحفص والخليل وهو أعرف بالنحو واللغة ان هذان لساحران بتخفيف ان [illegible] ان زيد لمنطلق [illegible] النافية والمخففة من الثقيلة وقيل هى بمعنى ما واللام بمعنى الا أى ما هذان الا ساحران دليله قراءة أبى ان ذان الا ساحران وغيرهم ان هذان لساحران قيل هى [illegible] الحارث بن كعب وخثعم ومراد وكنانة فالتثنية فى لغتهم بالالف أبدا فلا يقلبونها ياء فى الجر والنصب كعصا وسعدى قال ان أباها وأبا أباها [illegible] بلغا فى المجد غايتاها وقال الزجاج ان بمعنى نعم قال الشاعر ويقلن شيب قد علاك [illegible] كبرت فقلت انه أى نعم والهاء للوقف وهذان مبتدأ وساحران خبر (يريدان) مبتدأ محذوف واللام داخلة على المبتدأ المحذوف تقديره هذان لهما ساحران فيكون دخولها فى موضعها الموضوع لها وهو الابتداء وقد يدخل اللام فى الخبر كما يدخل فى المبتدأ قال خالى لانت ومن جرير خاله قال فعرضته على المبرد فرضيه و[illegible]

أو ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه ﴿فتولى فرعون فجمع كيده﴾ ما يكاد به يعنى السحرة وآلاتهم ﴿ثم أتى﴾ بالموعد ﴿قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا﴾ بان تدعوا آياته سحرا ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ فيهلككم ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز ﴿وقد خاب من افترى﴾ كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه ﴿فتنازعوا امرهم بينهم﴾ أى تنازعت السحرة فى امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة ﴿واسروا النجوى﴾ بان موسى ان غلبنا اتبعناه أو تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السر وقيل الضمير لفرعون وقومه قوله ﴿قالوا ان هذان لساحران﴾ تفسير لاسروا النجوى كأنهم تشاوروا فى تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية

﴿فتولى فرعون فجمع﴾ يعنى فرعون ﴿كيده﴾ يعنى مكره وسحره وحيله ﴿ثم أتى﴾ يوم الميعاد ﴿قال لهم موسى﴾ يعنى للسحرة التى جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصا وقيل كانوا اربعمائة وقيل كانوا اثنى عشر الفا ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب﴾ أى فيهلككم ويستأصلكم (وقد خاب من افترى)) أى خسر من ادعى مع الله الها آخر وقيل معناه خسر من كذب على الله تعالى ﴿قوله تعالى فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ أى تناظروا وتشاوروا يعنى السحرة فى [illegible] موسى سرا من فرعون وقالوا ان [illegible] اتبعناه وقيل معناه لما قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر ﴿واسروا النجوى﴾ أى المناجاة ﴿قالوا﴾ قال بعضهم لبعض سرا ﴿ان هذان لساحران﴾ يعنى موسى وهرون

(فتولى فرعون) فرجع فرعون الى اهله (فجمع كيده) حيلته وسحرته اثنين وسبعين ساحرا (ثم اتى) الموعد (قال لهم موسى) للسحرة (ويلكم) ضيق الله عليكم الدنيا (لا تفتروا) لا تختلقوا (على الله كذبا فيسحتكم) فيهلككم (بعذاب) من عنده (وقد خاب) خسر (من افترى) [illegible] اختلق على الله الكذب (فتنازعوا أمرهم بينهم) فتشاوروا فيما بينهم ان غلب علينا موسى آمنا به (وأسروا) هذا (النجوى) من فرعون ثم (قالوا) بالعلانية (ان هذان لساحران) بلغة بنى الحرث بن كعب وانما قال ان هذان على لغة لا على الاعراب يقال قال لهم فرعون ان هذان موسى

(كذب) الآيات (وأبى) قبول الحق (قال) فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك ياموسى) فيه دليل
ء انه خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحرك تعلل والا فأى ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه (فلنأتينك بسحر
م) فلنعارضنك بسحر مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف أى مكان
ـد والضمير فى (لانخلفه) للموعد قرأ يزيد بالجزم على جواب الامر وغيره بالرفع على الوصف للموعد (نحن ولا أنت مكانا)
ه بدل من المكان المحذوف ويجوز أن لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا
وبينك وعدا لانخلفه
وانتصب مكانا بالمصدر
أو بفعل يدل عليه المصدر
(سوى) بالكسر حجازى
وأبو عمرو وعلى وغيرهم
بالضم وهو نعت لمكانا أى
منصفا بيننا وبينك وهو
من الاستواء لان المسافة
من الوسط الى الطرفين
مستوية (قال موعدكم يوم
الزينة) مبتدأ وخبر وهو
يوم عيد كان لهم أو يوم
النيروز أو يوم عاشوراء
وانما استقام الجواب
بالزمان وان كان السؤال
عن المكان على تأويل الاول
لأن اجتماعهم يوم الزينة
يكون فى مكان لامحالة فبذكر
الزمان علم المكان وعلى
الثانى تقديره وعدكم وعد
يوم الزينة (وان يحشر
الناس) أى تجمع فى موضع
رفع أو جر عطفا على يوم
أو الزينة (ضحى) أى وقت
الضحوة لتكون ابعد من الريبة وأبين لكشف الحق وليشيع فى جميع اهل الوبر

بآياتنا آيات معهودة وهى الآيات التسع المختصة بموسى أو انه عليه السلام اراه آياته
وعدد عليه ما اوتى غيره من المعجزات ﴿فكذب﴾ موسى من فرط عناده ﴿وابى﴾
الايمان والطاعة لعتوه ﴿قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا﴾ ارض مصر ﴿بسحرك ياموسى﴾
هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر
لايقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾ مثل سحرك ﴿فاجعل
بيننا وبينك موعدا﴾ وعدا لقوله ﴿لانخلفه نحن ولا انت﴾ فان الاخلاف لايلائم الزمان
المكان وانتصاب ﴿مكانا سوى﴾ بفعل دل عليه المصدر لابه لانه موصوف أو بانه بدل
من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب فى قوله
﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع
الناس فيه فى ذلك اليوم أو باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول
أو وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر فى ان المراد بهما المصدر ومعنى
سوى منتصفا يستوى مسافته الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ
وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء أو يوم
النيروز أو يوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس
الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار ﴿وان يحشر الناس ضحى﴾ عطف على اليوم أو على
الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم

يعنى الآيات التسع التى أعطاها الله تعالى موسى ﴿فكذب وأبى﴾ يعنى فرعون وزعم انها سحر
وأبى ان يسلم ﴿قال﴾ يعنى فرعون ﴿أجئتنا لتخرجنا من أرضنا﴾ يعنى مصر ﴿بسحرك
ياموسى﴾ تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها ﴿فلنأتينك بسحر
مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا﴾ أى اضرب أجلا وميقاتا ﴿لانخلفه﴾ لانجاوزه
﴿نحن ولا أنت مكانا سوى﴾ أى مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا تستوى مسافة الفريقين
اليه وقيل معناه سوى هذا المكان ﴿قال﴾ يعنى موسى ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ قيل كان يوم
عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون فى كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء
﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾ أى وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون أبعد من الريبة

ات (فكذب) بالآيات وقال ليس هذا من الله (وأبى) أن يسلم ولم يقبل الآيات (قال) لموسى (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا)
ر (بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله) مثل ماجئتنا به (فاجعل بيننا وبينك) ياموسى (موعدا) أجلا (لانخلفه)
لانجاوزه (نحن ولا انت مكانا سوى) غير هذه ويقال سوى أى عدلا ونصفا بيننا وبينك ان قرئت بضم السين (قال) موسى
(موعدكم) أجلكم (يوم الزينة) وهو يوم السوق ويقال يوم العيد ويقال يوم النيروز (وان تحشر) يجمع (الناس) من المدائن
(ضحى) ضحوة

عن نفسه بقوله فاخرجنا به وقيل تم كلام موسى اى فاخرجنا نحن باخراجه او العرض (ازواجا) اصنافا (من نبات)
هو مصدر سمي به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع (شتى) صفة للازواج أو للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى أي
مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم ومن نعمة الله تعالى ان أرزاقنا تحصل بعمل الانعام
جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتنا مما لا نقدر على أكله قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من الضمير في فاخرجنا والمعنى أخر
أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها (ان في ذلك) في الذي ذكرت (لآيات) لدلالا
(لاولى النهى) لذوي العقول واحدها نهية لانها تنهى عن المحظور أو ينتهى اليها في الامور (منها) من الارض (خلقناكم) اي اباكم
عليه السلام وقيل يعجن كل نطفة بشئ من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة
أو لان النطفة من الاغذية وهي من الارض (وفيها نعيدكم) اذا متم فدفنتم (ومنها نخرجكم) عند البعث (تارة اخرى) مرة اخرى والمراد باخراجهم [illegible] اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب وردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا وهي كفاتهم اذا ماتوا (ولقد اريناه) اي فرعون (آياتنا كلها) وهي تسع آيات العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضادع والدم ونتق الجبل

القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها أمن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ﴿ ازواجا ﴾ اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض ﴿ من نبات ﴾ بيان وصفة لازواجا وكذلك ﴿ شتى ﴾ ويحتمل ان يكون صفة لنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى أي متفرقات في الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال ﴿ كلوا وارعوا انعامكم ﴾ وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اى فاخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى ماهو معديها الا لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ﴿ ان في ذلك لآيات لاولى النهى ﴾ لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية ﴿ منها خلقناكم ﴾ فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم ﴿ وفيها نعيدكم ﴾ بالموت وتفكيك الاجزاء ﴿ ومنها نخرجكم تارة اخرى ﴾ بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الارواح اليها ﴿ ولقد أريناه آياتنا ﴾ بصرناه اياها أو عرفناه صحتها ﴿ كلها ﴾ تأكيد لشمول الانواع أو لشمول الافراد على ان المراد

﴿ أزواجا ﴾ أي أصنافا ﴿ من نبات شتى ﴾ أي مختلف الالوان والطعوم والمنافع فمنها ماهو للناس ومنها ماهو للدواب ﴿ كلوا وارعوا أنعامكم ﴾ أي أخرجنا أصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعي ﴿ ان في ذلك ﴾ أي الذي ذكر ﴿ لآيات لاولى النهى ﴾ أي لذوى العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم ﴿ منها خلقناكم ﴾ أي من الارض خلقنا آدم وقيل ان الملك ينطلق فيأخذ من التراب الذي يدفن فيه فيذره في النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة ﴿ وفيها نعيدكم ﴾ أي عند الموت والدفن ﴿ ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ أي يوم القيامة للبعث والحساب ﴿ قوله تعالى ﴿ ولقد أريناه ﴾ يعني فرعون ﴿ آياتنا كلها ﴾

(يعنى)

(أزواجا) اصنافا (من نبات شتى) مختلفة ألوانه (كلوا) يعني ماتأكلون (وارعوا) ماترعون (أنعامكم) من عشبها (ان في ذلك) في اختلافها وألوانها (لآيات) لعلامات (لاولى النهى) لذوي العقول من الناس (منها) من الارض (خلقناكم) يقول خلقناكم من آدم وآدم من تراب والتراب من الارض (وفيها) وفي الارض (نعيدكم) يقول نقبركم (ومنها) من الارض (نخرجكم) يقول من القبور نخرجكم (تارة أخرى) مرة أخرى بعد الموت للبعث (ولقد أريناه) يعني فرعون (آياتنا كلها) اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من

اعقبى (قال فابال القرون الاولى) فما حال الامم الخالية والرمم البالية سأله عن حال من تقدم من القرون وعن [illegible] من شقى

وسعادة من سعد (قال) [illegible]

الغيب وقد [illegible]

كفرو [illegible] عن [illegible] ﴿ فما بال القرون الاولى ﴾ فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة ﴿ قال علمها عند ربى ﴾ أى انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرنى به ﴿ فى كتاب ﴾ مثبت فى اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه فى علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده ﴿ لا يضل ربى ولا ينسى ﴾ والضلال ان تخطئ الشئ فى مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادى مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى ﴿ الذى جعل لكم الارض مهادا ﴾ مرفوع صفة لربى أو خبر لمحذوف أو منصوب على المدح * وقرأ الكوفيون مهدا أى كالمهد تمهدونها وهو مصدر سمى به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش أو جمع مهد ﴿ وسلك لكم فيها سبلا ﴾ وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها ﴿ وانزل من السماء ماء ﴾ مطرا ﴿ فاخرجنا به ﴾ عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية بكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال

والمنكح وقيل يعنى جعل زوجة الرجل المرأة والبعير الناقة والفرس الرمكة وهى الحجرة والحمار الاتان ثم هدى البهم كيف يأتى الذكر الانثى ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ فما بال القرون الاولى ﴾ أى فما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم الخالية فحينئذ قال فرعون فما بال القرون الاولى ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ علمها عند ربى ﴾ أى اعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه ﴿ فى كتاب ﴾ يعنى اللوح المحفوظ ﴿ لا يضل ربى ﴾ اى لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شئ ﴿ ولا ينسى ﴾ اى فيتذكر وقيل لا ينسى ما كان من اعمالهم حتى يجازيهم بها ﴿ الذى جعل لكم الارض مهادا ﴾ أى فراشا وقيل مهدها لكم ﴿ وسلك لكم سبلا ﴾ أى ادخل فى الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها ﴿ وأنزل من السماء ماء ﴾ يعنى المطر تم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى ﴿ فاخرجنا به ﴾ أى بذلك الماء

[illegible] ما أخبرنى به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ (لا يضل ربى) أى لا يخطئ شيأ يقال ضللت الشئ اذا أخطأته فى مكانه فلم تهتده أى لا يخطئ فى سعادة الناس وشقاوتهم (ولا ينسى) ثوابهم وعقابهم وقيل لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة ان معمول الخلق يوافق معلومه (الذى) مرفوع صفة لربى او خبر مبتدأ محذوف او منصوب على المدح (جعل لكم الارض مهدا) كوفى وغيرهم مهادا وهما لغتان لما يبسط ويفرش (وسلك) اى جعل (لكم فيها سبلا) طرقا (وانزل من السماء ماء) اى مطرا (فاخرجنا به) بالماء نقل الكلام من الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع للافتنان وقيل تم كلام موسى ثم اخبر الله تعالى

والشرب والجماع (قال) فرعون لموسى (فما بال القرون الاولى) فما خبر القرون

الماضية عندك كيف هلكوا (قال) موسى (قا و خا ٦ يع) (علمها) علم هلاكها (عند ربى) مكتوب (فى كتاب) [illegible] اللوح المحفوظ (لا يضل ربى) لا يخطئ ولا يذهب عليه أمرهم (ولا ينسى) أمرهم ولا يترك عقوبتهم (الذى جعل لكم الارض مهدا) فراشا (وسلك) جعل (لكم فيها) فى الارض (سبلا) طرقا تذهبون وتجيئون فيها (وأنزل من السماء ماء) مطرا (فاخرجنا به) فأنبتنا بالمطر

المشاق (قد جئناك بآية من ربك) بحجة على صدق ما ادعيناه وهذه الجملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفصيل لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها وهي المجيء بالآي فقال فرعون وماهي فاخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس (والسلام على من اتبع الهدى) اي سلم من العذاب من اسلم وليس بتحية وقيل وسلام

ان يكون للتدريج في الدعوة ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فائت بآية قال أولو جئتك بشيء مبين ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم ﴿انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى﴾ ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع وبالواقع اليق ﴿قال فمن ربكما ياموسى﴾ أي بعدما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى عليه الصلاة والسلام بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه أو لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله أم انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴿قال ربنا الذي اعطى كل شيء﴾ من الانواع ﴿خلقه﴾ صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له أو اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه ﴿ثم هدى﴾ ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا أو طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ماعداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي

الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ قال فرعون وماهي فأخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بمعجزة وبرهان يدل على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ ليس المراد منه سلام التحية بل انما معناه سلم من العذاب من أسلم ﴿انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾ أي انما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه ﴿قال﴾ يعني فرعون ﴿فمن ربكما ياموسى﴾ أي فمن الهكما الذي ارسلكما ﴿قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ أي كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل اعطى كل شيء صلاحه وهداه وقيل اعطى كل شيء صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هداه الى منافعه من المطعم والمشرب

الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين (انا قد اوحي الينا أن العذاب) في الدنيا والعقبى (على من كذب) بالرسل (وتولى) اعرض عن الايمان وهي أرجى آي القرآن لانه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شيء فاتياه وأديا الرسالة وقالا له ما أمرا به (قال فمن ربكما ياموسى) خاطبهما ثم نادى أحدهما لان موسى هو الاصل في النبوة وهرون تابعه (قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه) خلقه أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذا الانف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها وقرأ نصير خلقه صفة للمضاف أو للمضاف اليه أي أعطى كل شيء مخلوق عطاءه (ثم هدى) عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة في الدنيا والسعادة (والمنكح)

النساء لانهم احرار (قد جئناك بآية) بعلامة (من ربك) يعني باليد وهو أول آية أراها الله فرعون (والسلام على من اتبع الهدى) التوحيد (انا قد أوحي الينا أن العذاب) الدائم (على من كذب) بالتوحيد (وتولى) عن الايمان (قال) فرعون (فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه) شكله للانسان انسانا وللبعير ناقة وللحمار اتانا وللشاة النعجة (ثم هدى) ثم ألهم الاكل

ن الامر كما تصغان فيجره انكاره الى الهلكة وانما قال لعله يتذكر مع علمه انه لايتذكر لان الترجي لهما أي ابا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يطمع أن يثمر عمله وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن ام الحجة وقطع المعذرة وقيل معناه لعله يتذكر متذكر أو يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس وقيل لعل من الله تعالى واجب وقد تذكر ولكن حين لم ينفعه التذكر وقيل تذكر فرعون وخشى وأراد اتباع موسى فمنعه هامان وكان لايقطع أمرا دونه وتليت عند يحي بن معاذ فبكي وقال هذا رفقك بمن يقول أنا اله فكيف بمن قال انت الاله وهذا رفقك بمن قال أنا ربكم الاعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الاعلى (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) يعجل علينا بالعقوبة ومنه الفارط يقال فرط عليه اي عجل (أو أن يطغى) يجاوز الحد في الاساءة الينا (قال لاتخافا انني معكما) اى حافظكما وناصركما (اسمع) اقوالكم (وارى) افعالكم قال ابن عباس رضى الله عنهما اسمع دعاءكما فاجيبه وارى مايراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلاتهتما (فأتياه) اى فرعون (فقولا انا رسولا ربك) اليك (فارسل معنا بني اسرائيل) اى طلقهم عن الاستعباد والاسترقاق (ولاتعذبهم) بتكليف

فان الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لايؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ماحدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول أي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلااقل من ان يتوهم فيخشى ﴿ قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ﴾ ان يعجل علينا بالعقوبة ولايصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة أي نخاف ان يحمله حامل من استكبار اوخوف على الملك اوشيطان انسى اوجنى على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية ﴿ أوان يطغى ﴾ ان يزداد طغيانا فيتجرأ الى ان يقول فيك مالاينبغي لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب ﴿ قال لاتخافا انني معكما ﴾ بالحفظ والنصر ﴿ اسمع وارى ﴾ مايجرى بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال مايصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لايقدر شئ على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ ﴿ فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ﴾ اطلقهم ﴿ ولاتعذبهم ﴾ بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في ايدى القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز

وقد سبق في علمه انه لايتذكر ولايسلم قلت معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وقيل هو ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكرا ويخشى خاش اذا رأى بري والطافي بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين ألجمه الغرق وقرأ رجل عند يحي بن معاذ الرازي فقولا قولا لينا الآية فبكي يحي وقال الهي هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله ﴿ قالا ﴾ يعني موسى وهرون ﴿ ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا ﴾ قال ابن عباس يعجل علينا بالقتل والعقوبة ﴿ أوان يطغى ﴾ أي يجاوز الحد في الاساءة الينا ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ لاتخافا انني معكما اسمع وارى ﴾ قال ابن عباس اسمع دعاءكما فأجيبه وأرى مايراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلاتهتما ﴿ فأتياه فقولا انا رسولا ربك ﴾ أي ارسلنا اليك ربك ﴿ فأرسل معنا بني اسرائيل ﴾ أي خل عنهم وأطلقهم من أعمالك ﴿ ولا تعذبهم ﴾ أي لاتتعبهم في العمل وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء وقطع

(قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط) أن يعجل (علينا) بالضرب (أوان يطغى) بالقتل (قال) الله لهما (لاتخافا) من الضرب والقتل (انني معكما) معينكما (أسمع) مايرد عليكما (وأرى) صنعه بكما (فأتياه) يعني فرعون (فقولا انا رسولا ربك) اليك (فارسل معنا بني اسرائيل) نذهب بهم الى أرضهم (ولاتعذبهم) لاتتعبهم بالعمل وذبح الابناء واستخدام

ياموسى) أى موعد ومقدار للرسالة وهو أربعون سنة (واصطنعتك لنفسى) اخترتك واصطفيتك لوحيى ورسالتى لتتصرف على ارادتى ومحبتى قال اخترتك لامرى وجعلتك القائم بحجتى والخاطب بينى وبين خلقى كأنى أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتى) بمعجزاتى (ولاتنيا) تفترا من الونى وهو الفتور والتقصير (فى ذكرى) أى اتخاذ ذكرى جناحا تطيران به أو أريد بالذكر تبليغ الرسالة فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها (اذهبا الى فرعون) كرر لان الاول مطلق والثانى مقيد (انه طغى) جاوز الحد بادعائه الربوبية (فقولا له قولا لينا) الطفا له فى القول لماله من حق تربية موسى أو كنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة او عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع عنه الا بالموت او هو قوله هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فظاهره الاستفهام والمشورة (لعله يتذكر) أى يتعظ ويتأمل فيذعن للحق (أويخشى) أى يخاف ان

وقته المعين ولا مستأخر أو على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء ﴿ياموسى﴾ كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك ﴿واصطنعتك لنفسى﴾ واصطفيتك لمحبتى مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه ﴿اذهب انت واخوك بآياتى﴾ بمعجزاتى ﴿ولا تنيا﴾ ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء ﴿فى ذكرى﴾ لا تنسيانى حيثما تقلبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء الى ﴿اذهبا الى فرعون انه طغى﴾ امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله ﴿فقولا له قولا لينا﴾ مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما أو احتراما لماله من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ متعلق باذهبا أو قولا أى باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما

ياموسى ﴾ أى جئت على القدر الذى قدرت أن تجيء فيه قيل على رأس أربعين سنة وهو القدر الذى يوحى الى الانبياء فيه ﴿ واصطنعتك لنفسى ﴾ أى اخترتك واصطفيتك لوحيى ورسالتى لتتصرف على ارادتى ومحبتى وذلك ان قيامه بأداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك لامرى وجعلتك القائم بحجتى والمخاطب بينى وبين خلقى كأنى الذى أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتى ﴾ أى بدلائلى قال ابن عباس يعنى الآيات التسع التى بعث بها موسى عليه السلام ﴿ولاتنيا﴾ أى لا تضعفا وقيل لا تفترا ولا تقصرا ﴿فى ذكرى﴾ أى لا تقصرا فى ذكرى بالاحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكر النعمة شكرها ﴿ اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا ﴾ أى دارياه وارفقا به قال ابن عباس لا تعنفا فى قولكما وقيل كنياه فقولا له يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل أراد بالقول اللين قوله هل لك الى ان تزكى الآية وقيل انما أمرهما بالملاطفة لماله من حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك أعجبه وكان لا يقطع أمرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد تريد ان تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فغلبه على رأيه وكان هرون بمصر فأمر الله موسى أن يأتى هرون وأوحى الله الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة وأخبره بما أوحى اليه * وقوله تعالى ﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾ أى يتعظ ويخاف فيسلم فان قلت كيف قال لعله يتذكر

الى فرعون (ياموسى واصطنعتك لنفسى) اصطفيتك لنفسى بالرسالة (اذهب أنت وأخوك) هرون (بآياتى) باليد والعصا (ولاتنيا فى ذكرى) لاتضعفا ولا تعجزا ولاتفترا فى تبليغ رسالتى الى فرعون (اذهبا (وقد) الى فرعون انه طغى) علا وتكبر وكفر (فقولا له قولا لينا) لطيفا لا اله الا الله ويقال كنياه (لعله يتذكر) يتعظ (أو يخشى) أو يسلم

زيد على انه امر منه (اذ تمشى) بدل من اذ اوحينا لان مشى اخته كان منة عليه (اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله) روى ان اخته مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدى امرأة فقالت هل أدلكم على من يضمه الى نفسه فيربيه وأرادت بذلك المرضعة الام وتذكير الفعل للفظ من فقالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك)فرددناك (الى أمك) كما وعدناها بقولنا انا رادوه اليك (كى تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) على فراقك (وقتلت نفسا) قبطيا كافرا (فنجيناك من الغم) من القود قيل الغم القتل بلغة قريش وقيل اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى ونجاه من فرعون بان ذهب به من مصر الى مدين (وفتناك فتونا) ابتليناك ابتلاء بايقاعك فى المحن وتخليصك منها والفتون مصدر كالقعود أو جمع فتنة أى فتناك ضروبا من الفتن والفتنة المحنة وكل ما يبتلى الله به عباده فتنة ونبلوكم بالشر والخير فتنة (فلبثت سنين فى أهل مدين) هى بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر قال وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر لصفوراء وأقام عنده ثمان عشرة سنة بعدها حتى ولدله أولاد(ثم جئت على قدر

﴿ اذ تمشى اختك ﴾ ظرف لالقيت أو لتصنع أو بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع ﴿ فتقول هل ادلكم على من يكفله ﴾ وذلك لانه كان لا يقبل ثدى المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها ﴿ فرجعناك الى امك ﴾ وفاء بقولنا انا رادوه اليك ﴿ كى تقر عينها ﴾ بلقائك ﴿ ولا تحزن ﴾ هى بفراقك أو انت بفراقها وفقد اشفاقها ﴿ وقتلت نفسا ﴾ نفس القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى ﴿ فنجيناك من الغم ﴾ غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين ﴿ وفتناك فتونا ﴾ وابتليناك ابتلاء أو انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور فى حجرة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشى راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك أوله ولما سبق ذكره ﴿ فلبثت سنين فى اهل مدين ﴾ لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثمانى مراحل من مصر ﴿ ثم جئت على قدر ﴾ قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم

ونظر اليه ﴿ اذ تمشى أختك ﴾ واسمها مريم متعرفة خبره ﴿ فتقول هل أدلكم على من يكفله ﴾ أى على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدى امرأة فلما قالت لهم اخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى ﴿ فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ﴾ أى بلقائك ورؤيتك ﴿ ولا تحزن ﴾ أى وليذهب عنها الحزن ﴿ وقتلت نفسا ﴾ قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذ ذاك اثنتى عشرة سنة ﴿ فنجيناك من الغم ﴾ أى من غم القتل وكربه ﴿ وفتناك فتونا ﴾ قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه فى محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها أولها ان أمه حملته فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه فى البحر فى التابوت ثم منعه من الرضاع الا من ثدى أمه ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطى وخروجه الى مدين خائفا ﴿ فلبثت ﴾ أى مكثت ﴿ سنين فى اهل مدين ﴾ هى بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى قال وهب لبس موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها يرعى الغنم مهر زوجته صفوراء ابنة شعيب وثمان عشرة سنة أقام عنده بعد ذلك حتى ولدله وخرج من مصر ابن اثنتى عشرة سنة هاربا ﴿ ثم جئت على قدر

فى منظرى (اذ تمشى أختك) فدخلت قصر فرعون (فتقول هل أدلكم على من يكفله) يرضعه (فرجعناك) فرددناك (الى أمك كى تقر عينها) تطيب نفسها (ولا تحزن) على ابنها بالهلاك (وقتلت نفسا) قبطيا (فنجيناك من الغم) من غم القود (وفتناك فتونا) ابتليناك ببلاء مرة بعد مرة (فلبثت) مكثت (سنين) عشر سنين (فى أهل مدين ثم جئت على قدر) على مقدورى بالكلام والرسالة

(فى التابوت) وان مفسرة لان الوحى بمعنى القول (فاقذفيه فى اليم) النيل (فليلقه اليم بالساحل) الجانب وسمى ساحلا لان الماء يسحله أى يقشره والصيغة أمر ليناسب ماتقدم ومعناه الاخبار أى يلقيه اليم بالساحل (يأخذه عدولى وعدوله)

التابوت يفضى الى تنافر النظم والمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان هو التابوت لكن موسى فى جوف التابوت روى انها جعلت فى التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وقيرته ثم ألقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا بصبى أصبح الناس وجها فاحبه فرعون حبا شديدا فذلك قوله (وألقيت عليك محبة منى) يتعلق منى بالقيت يعنى انى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب فما رآه أحد الا أحبه قال قتادة كان فى عينى موسى ملاحة مارآه احد الا أحبه (ولتصنع) معطوف على محذوف تقديره والقيت عليك محبة لتحب ولتصنع (على عينى) أى لتربى على رأى منى وأصله من صنع الفرس اى احسن القيام عليه يعنى انا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ولتصنع بسكون اللام والجزم

فى التابوت ﴿بان اقذفيه أو أى اقذفيه لان الوحى بمعنى القول ﴿ فاقذفيه فى اليم ﴾ والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله

غلام رماه الله بالحسن يافعا

﴿ فليلقه اليم بالساحل ﴾ لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض ﴿ يأخذه عدولى وعدوله ﴾ جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة أو لان الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبى اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال ﴿ والقيت عليك محبة منى ﴾ أى محبة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لايكاد يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق منى بالقيت أى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لايبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك أو على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وبسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء أى وليكون عملك على عين منى لئلا تخالف به عن امرى

فى التابوت ﴾ أى ألهمناها أن اجعليه فى التابوت ﴿ فاقذفيه فى اليم ﴾ يعنى نهر النيل ﴿ فليلقه اليم بالساحل ﴾ يعنى شاطئ البحر ﴿ يأخذه عدولى وعدوله ﴾ يعنى فرعون فاخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وشقوقه ثم ألقته فى النيل وكان يشرع منه نهر كبير فى دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية اذا هو بتابوت يجئ به الماء فامر الغلمان والجوارى باخراجه فاخرجوه وفتحوا رأسه فاذا بصبى من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك نفسه وعنده فذلك قوله تعالى ﴿ وألقيت عليك محبة منى ﴾ قال ابن عباس أحبه وحببه الى خلقه قيل مارآه أحد الا أحبه لملاحة كانت فى عينى موسى ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به

فى التابوت) ان اطرحى الصبى فى التابوت البردى (فاقذفيه فى اليم) فاطرحى التابوت فى البحر (فليلقه اليم) البحر (ونظر) (بالساحل) على الشط (يأخذه) يرفعه (عدولى) بالدين يعنى فرعون (وعدوله) بالقتل (وألقيت عليك محبة منى) ياموسى من رآك أحبك (ولتصنع على عينى) وما صنع بك كان

(وجعل لي وزيرا) ظهيرا اعتمد عليه من الوزر الثقل لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنته أو من الوزر الملجأ لان الملك يعتصم برأيه
ويلجأ اليه في أموره او معينا من الموازرة وهي المعاونة فوزيرا مفعول اول لاجعل والثاني (من اهلي) أولي وزيرا مفعولاه
(هرون) عطف بيان لوزيرا وقوله (أخي) بدل أو عطف بيان آخر ووزيرا وهرون مفعولاه وقدم ثانيهما على أولهما
عناية بامر الوزارة (أشدد به أزري) قوبه ظهري وقيل الازر القوة (وأشركه
في أمري) اجعله شريكي
في النبوة والرسالة واشدد
واشركه على حكاية النفس
شامي على الجواب والباقون
على الدعاء والسؤال (كي
نسبحك) نصلي لك وننزهك
تسبيحا (كثيرا ونذكرك
كثيرا) في الصلوات وخارجها
(انك كنت بنا بصيرا) عالما
باحوالنا فاجابه الله تعالى
حيث (قال قد أوتيت
سؤلك ياموسى) أعطيت
مسؤلك فالسؤال الطلبة
فعل بمعنى مفعول كخبز
بمعنى مخبوز سولك بلاهمز
أبو عمرو (ولقد مننا)
أنعمنا (عليك مرة) كرة
(أخرى) قبل هذه ثم
فسرها فقال (اذ أوحينا
الى أمك مايوحى) الهاما
أو مناما حين ولدت وكان
فرعون يقتل أمثالك واذ
ظرف لمننا ثم فسر مايوحى
بقوله (ان اقذفيه) القيه

يفقهوا كلامي (واجعل لي
وزيرا) معينا (من أهلي
هرون أخي اشدد به أزري)
وظهري (وأشركه) يارب (في أمري) في تبليغ رسالتي الى فرعون (كي نسبحك) نصل لك (كثيرا ونذكرك) بالقلب
واللسان (كثيرا انك كنت بنا بصيرا) عالما (قال) الله له (قد أوتيت) أعطيت (سؤلك) ماسألت (ياموسى) فشرح الله له صدره
ويسر أمره وبسط لسانه وجعل هرون له معينا (ولقد مننا عليك مرة أخرى) غير هذه (اذ أوحينا الى أمك) ألهمنا أمك (مايوحى)
الذي يلهم (أن اقذفيه

ول العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ياموسى ومن لم يقل احتج
وله هو افصح مني لسانا وقوله ولايكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة
لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن
لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل ﴿ واجعل لي وزيرا من اهلي
هرون اخي ﴾ يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير امامن الوزر لانه يحمل الثقل
عن اميره أو من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلجأ اليه في اموره ومنه
الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس
قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به
ولي صلة أو حال أو لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير أو وزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله
ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هرون أو مبتدأ خبره ﴿ اشدد به
أزري واشركه في امري ﴾ على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما
جواب الامر ﴿ كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا ﴾ فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي
الى تكاثر الخير وتزايده ﴿ انك كنت بنا بصيرا ﴾ عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا
وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به ﴿ قال قد اوتيت سؤلك ياموسى ﴾ أي مسؤلك
فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول ﴿ ولقد مننا عليك مرة
أخرى ﴾ أي انعمنا عليك في وقت آخر ﴿ اذ اوحينا الى امك ﴾ بالهام أو في منام أو
على لسان نبي في وقتها أو ملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم ﴿ مايوحى ﴾ مالا
يعلم الا بالوحي أو مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به ﴿ ان اقذفيه

﴿ واجعل لي وزيرا من أهلي ﴾ أي معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويحتمل عنك بعض
ثقل عملك ثم بين من هو فقال ﴿ هرون أخي ﴾ وكان هرون أكبر من موسى وأفصح لسانا وأجمل
وأوسم وكان أبيض اللون وكان موسى آدم أقنى جعدا ﴿ أشدد به أزري ﴾ أي قوبه ظهري
﴿ وأشركه في أمري ﴾ أي في امر النبوة وتبليغ الرسالة ﴿ كي نسبحك كثيرا ﴾ أي نصلي لك
كثيرا ﴿ ونذكرك كثيرا ﴾ أي نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من جميل نعمك ﴿ انك كنت بنا
بصيرا ﴾ أي خبيرا عليما ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ قد أوتيت سؤلك ياموسى ﴾ أي أعطيت جميع
ما سألته ﴿ ولقد مننا عليك مرة أخرى ﴾ أي قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله تعالى
اذ أوحينا الى أمك مايوحى ﴾ أي مايلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال ﴿ أن اقذفيه

انه كلف امراعظيمايحتاج الى صدر فسيح (قال رب اشرح لى صدرى) وسعه يحتمل الوحى والمشاق وردى الاخلاق

عصى وتكبر ﴿ قال رب اشرح لى صدرى ويسرلى امرى ﴾ لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقى لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لى ابهام المشروح والميسر أولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تأكيدا ومبالغة ﴿ واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى ﴾ فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان فى لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبى لايفرق بين الجمرة والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها فى فيه ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اى رب تدعونى قال الى الذى ابرأ يدى وقد عجزت عنه واختلف فى

لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الاولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى وانك بعينى وسمعى وان معك يدى وبصرى وانى ألبسك حلة من سلطانى تستكمل بها القوة فى أمرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وانى أقسم بعزتى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عينى فبلغه رسالاتى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقل له قولا لينا لايغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يتنفس الا بعلمى قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له أجب ربك ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ رب اشرح لى صدرى ﴾ أى وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لاأخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان أحدا لايقدر على مضرته الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده ﴿ ويسرلى أمرى ﴾ سهل على ما أمرتنى به من تبليغ الرسالة الى فرعون ﴿ واحلل عقدة من لسانى ﴾ وذلك ان موسى كان فى حجر فرعون ذات يوم فى صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لامرأته آسية ان هذا عدوى وأراد أن يقتله فقالت له آسية انه صبى لايعقل وقيل ان أم موسى لما فطمته ردته الى فرعون فنشأ فى حجره وحجر امرأته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدى فرعون وبيده قضيب اذ رفعه فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت آسية أيها الملك انه صبى لايعقل جربه ان شئت فجاءت بطشتين فى أحدهما جمر وفى الآخر جوهر فوضعتهما بين يدى موسى فاراد أن يأخذ الجوهر فاخذ جبريل يد موسى فوضعها على الجمر فاخذ جمرة فوضعها فى فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة ﴿ يفقهوا قولى ﴾ أى احلل العقدة كى يفهموا قولى

فرعون واشرح لى صدرى آكد من اشرح صدرى لانه تكرير للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل لانه يقول اشرح لى ويسرلى علم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم رفع الابهام بذكر الصدر والامر (واحلل) افتح (عقدة من لسانى) وكان فى لسانه رتة للجمرة التى وضعها على لسانه فى صباه وذلك ان موسى اخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة فى صغره فاراد قتله فقالت آسية ايها الملك انه صغير لايعقل فجعلت فى طشت نارا وفى طشت يواقيت ووضعتهما لدى موسى فقصد اليواقيت فامال الملك يده الى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكنة منها وروى أن يده احترقت واجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى أى رب تدعونى قال الى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنها ومن لسانى صفة لعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى وهذا يشعر بانه لم تزل العقدة بكمالها واكثرهم على ذهاب جميعها (يفقهوا قولى) عند تبليغ الرسالة

وتكبر وكفر (قال رب اشرح لى صدرى) لين لى قلبى لكى لاأخافه (ويسرلى أمرى) هون على تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لسانى) أبسط رتة من لسانى (يفقهوا قولى) لكى (و)

عن ماب خوفه ان أدخل يده فى فيها وأخذ بلحييها (سنعيدها) سنردها (سيرتها الاولى) تأنيث الاول والسيرة الحالة التى يكون عليها الانسان غريزية كانت أو مكتسبة وهى فى الاصل فعلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة وانتصبت على الظرف أى سنعيدها فى طريقتها الاولى أى فى حال ما كانت عصا والمعنى نردها عصا كما كانت وارى ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها اذا انقلبت حية عند فرعون ثم نبه على آية أخرى فقال (واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما اى يميلهما عند الطيران والمعنى ادخلهما تحت عضدك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر (من غير سوء) برص (آية أخرى) لنبوتك بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء صلة بيضاء كقولك ابيضت من غير سوء وجاز ان ينتصب آية بفعل محذوف يتعلق به الامر (لنريك من آياتنا الكبرى) أى خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى العظمى أو نريك بهما الكبرى من آياتنا أو المعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى (اذهب الى فرعون انه طغى) جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية ولما امره بالذهاب الى فرعون الطاغى وعرف

﴿ سنعيدها سيرتها الاولى ﴾ هيئتها وحالتها المتقدمة وهى فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض أو على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه وعلى الظرف أى سنعيدها فى طريقتها أو على تقدير فعلها أى ستعيد العصا بعد ذهابها سير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفعه قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده فى فمها واخذ بلحييها ﴿ واضمم يدك الى جناحك ﴾ الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر استعارة من جناحى الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران ﴿ تخرج بيضاء ﴾ كانها مشعة ﴿ من غير سوء ﴾ من غير عابة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه ﴿ آية اخرى ﴾ معجزة ثانية وهى حال من ضمير تخرج كبيضاء أو من ضميرها أو مفعول باضمار خذ أو دونك ﴿ لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ متعلق بهذا المضمر أو بما دل عليه الآية أو القصة أى دللنا بها أو فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا أو مفعول نريك ومن آياتنا حال منها ﴿ اذهب الى فرعون ﴾ بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة ﴿ انه طغى ﴾

قيل كان خوفه لما عرف ما لقى آدم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمأنينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان أدخل يده فى فمها وأخذ بلحييها ﴿ سنعيدها سيرتها الاولى ﴾ أى الى هيئتها فنردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف قد خللها بعود فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة على يده فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أمر الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغنى عنك شيأ قال لا ولكنى ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها فى فم الحية فاذا هى عصا كما كانت ويده فى شعبتها فى الموضع الذى كان يضعها اذا توكأ قال المفسرون أراد الله تعالى أن يرى موسى ما أعطاه من الآية التى لا يقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها اذا ألقاها عند فرعون ﴿ قوله تعالى ﴿ واضمم يدك الى جناحك ﴾ أى الى ابطك وقيل تحت عضدك ﴿ تخرج بيضاء ﴾ أى نيرة مشرقة ﴿ من غير سوء ﴾ أى من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضئ بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر ﴿ آية أخرى ﴾ أى دلالة أخرى على صدقك سوى العصا ﴿ لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته ﴿ قوله عز وجل ﴿ اذهب الى فرعون انه طغى ﴾ أى جاوز الحد فى العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع أن موسى كان مبعوثا الى الكل

نعيدها) سنجعلها (سيرتها الاولى) (قا و غا ٢٥ بع) عصا كما كانت (واضمم يدك الى جناحك) أدخل يدك فى أبطك تخرج بيضاء) لها شعاع (من غير سوء) من غير برص (آية أخرى) علامة أخرى مع العصا (لنريك من آياتنا) من علاماتنا الكبرى) العظمى (اذهب الى فرعون انه طغى) علا

شكرا أجل الباقي حياء من التطويل أو ليسأل عنها الملك العلام فيزيده في الاكرام والمآرب الاخر انها كانت تماشيه وتحدثه وتحارب العدو والسباع وتصير وشاء فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده ويركزها [illegible] ثمرة يشتهيها ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام

وكأنه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يتذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان يشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيرا دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذ ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصى تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه ﴿قال القها ياموسى فالقاها فاذا هي حية تسعى﴾ قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى باعتبار اسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان ﴿قال خذها ولا تخف﴾ فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها

عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر واذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿ألقها ياموسى﴾ أي انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى أنه يقول ارفضها ﴿فالقاها﴾ أي فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة ﴿فاذا هي حية﴾ صفراء من أعظم ما يكون من الحيات ﴿تسعى﴾ أي تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر كانها جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع آخر كانها ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد ابن اسحق نظر موسى فاذا العصا حية من أعظم ما يكون من الحيات وصارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا يهتز كالنيازك وعيناها يتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع لانيابها صريفا عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي ياموسى أقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف ﴿قال خذها﴾ أي بيمينك ﴿ولا تخف﴾

و[illegible] زيادة على الجواب لتعداد النعم شكرا أو لانها جواب سؤال آخر لانه لما قال هي عصاي قيل له ما تصنع بها فاخذ يعدد منافعها (قال ألقها ياموسى) اطرح عصاك لتفزع مما تتكئ عليه فلا تسكن الا بنا وترى فيها كنه ما فيها من المآرب فتعتمد علينا في المطالب (فالقاها) فطرحها (فاذا هي حية تسعى) تمشي سريعا قيل انقلبت ثعبانا يبتلع الصخر والشجرة فلما رآها تبتلع كل شيء خاف وانما وصف بالحية هنا وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق في غيرها لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وجاز أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا [illegible] بالجان [illegible] حالها وبالثعبان [illegible] أولاها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا ولما (قال) له ربه (خذها ولا تخف) بلغ

(قال ألقها) من يدك (ياموسى فالقاها) من يده (فاذا هي حية تسعى) تشتد رافعة رأسها فولى موسى هاربا ﴿قيل﴾ منها (قال) الله له (خذها) ياموسى (ولا تخف

تقوم كانوا على وجل منها فى كل وقت لما أخبرت به (لتجزى) متعلق بآتية (كل نفس بما تسعى) بسعيها من خير أو شر (فلا يصدنك عنها) فلا يصرفنك عن العمل للساعة

أو عن اقامة الصلاة أو عن الايمان بالقيامة فالخطاب لموسى والمراد به أمته (من لا يؤمن بها) لا يصدق بها (واتبع هواه) فى مخالفة أمره (فتردى) فتهلك (وما تلك بيمينك ياموسى) ما مبتدأ وتلك خبره وهى بمعنى هذه وبيمينك حال عمل فيها معنى الاشارة أى قارة أو مأخوذة بيمينك أو تلك موصول صلته بيمينك والسؤال للتنبيه لتقع المعجزة بها بعد التثبت أو للتوطين لئلا يهول انقلابها حية أو للايناس ورفع الهيبة للمكالمة (قال هى عصاى أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة (واهش بها على غنمى) اخبط ورق الشجر على غنمى لتأكل (ولى فيها) حفص (مآرب) جمع مأربة بالحركات الثلاث وهى الحاجة (أخرى) والقياس أخر وانما قال أخرى ردا الى الجماعة أو لنسق الآى وكذا الكبرى ولما ذكر بعضها

ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ متعلق بآتية أو باخفيها على المعنى الاخير ﴿ فلا يصدنك عنها ﴾ عن تصديق الساعة أو عن الصلاة ﴿ من لا يؤمن بها ﴾ نهى الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا أرينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغى ان يكون راسخا فى دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه ﴿ واتبع هواه ﴾ ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فتقصر نظره عن غيرها ﴿ فتردى ﴾ فتهلك بالانصداد بصده ﴿ وما تلك ﴾ استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب ﴿ بيمينك ﴾ حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك ﴿ ياموسى ﴾ تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه ﴿ قال هى عصاى ﴾ وقرئ عصى على لغة هذيل ﴿ اتوكأ عليها ﴾ اعتمد عليها اذا عييت أو وقفت على رأس القطيع ﴿ واهش بها على غنمى ﴾ واخبط الورق بها على رؤس غنمى وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اى انحى عليها زاجرا لها ﴿ ولى فيها مآرب اخرى ﴾ حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها اداوته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها

تعالى لا يخفى عليه شئ والمعنى فى اخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى فى اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصى الى أن تقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصى بتعريف وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصى أو يتوب منها فى كل وقت مخافة معاجلة الاجل ﴿ قوله تعالى ﴾ ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ أى بما تعمل من خير وشر ﴿ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها ﴾ أى فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة وبحيثها من لا يؤمن بها ﴿ واتبع هواه ﴾ أى مراده وخالف أمر الله ﴿ فتردى ﴾ أى فتهلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وما تلك بيمينك ياموسى ﴾ سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيه وتوقيفه على انها عصى حتى اذا قلبها حية عرف انها معجزة عظيمة ﴿ قال هى عصاى ﴾ قيل كان لها شعبتان وفى أسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة ﴿ أتوكأ عليها ﴾ أى أعتمد عليها اذا مشيت واذا عييت وعند الوثبة ﴿ وأهش بها على غنمى ﴾ أى أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم ﴿ ولى فيها مآرب أخرى ﴾ أى حاجة ومنافع أخرى وأراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا فى السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقى بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعدا وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل

(لتجزى كل نفس) برة أو فاجرة (بما تسعى) بما تعمل من الخير والشر (فلا يصدنك عنها) فلا يصرفنك عن الاقرار (من لا يؤمن بها واتبع هواه) بالانكار وعبادة الاصنام (فتردى) فتهلك (وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها) اعتمد عليها اذا عييت (وأهش بها على غنمى) أخبط بها الشجرة لغنمى (ولى فيها مآرب أخرى) حوائج شتى

الوادى (انك بالواد المقدس) المطهر أو المبارك (طوى) حيث نون شامى وكوفى لانه اسم علم للوادى وهو بدل من
وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بالاتنوين (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وأ
اخترناك حمزة (فاستمع لما يوحى اليك) للذى يوحى أو للوحى واللام يتعلق
باستمع أو باخترتك (اننى
أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى)
وحدنى وأطعنى (وأقم
الصلوة لذكرى) لتذكرنى
فيها لاشتمال الصلاة على
الاذكار أو لانى ذكرتها
فى الكتب وأمرت بها أو
لان أذكرك بالمدح والثناء
أو لذكرى خاصة لا تشوبه
بذكر غيرى أو لتكون
لى ذاكرا غير ناس أو
لاوقات ذكرى وهى مواقيت
الصلاة لقوله ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا وقد حمل على ذكر
الصلاة بعد نسيانها وذا يصح
بتقدير حذف المضاف أى
لذكر صلاتى وهذا دليل
على انه لا فريضة بعد التوحيد
أعظم منها (ان الساعة آتية)
لا محالة (أكاد) اريد عن
الاخفش وقيل صلة (أخفيها)
قيل هو من الاضداد أى
أظهرها أو أسترها عن العباد
فلا أقول هى آتية لارادتى
اخفاءها ولولا ما فى الاخبار
باتيانها مع تعمية وقتها من
الحكمة وهو انهم اذا لم يعلموا

جلد حمار ميت (انك بالواد
المقدس) المطهر (طوى)
اسم الوادى ويقال قد طوته
الانبياء قبلك ويقال طوى بالرقد صوت بالصخر فى ذلك الوادى الذى كانت فيه الشجرة (وأنا اخترتك) (تعالى)
بالرسالة الى فرعون (فاستمع لما يوحى) فاعمل بما تؤمر (اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى) فأطعنى (وأقم الصلوة لذكرى) لو نسيت
صلاة فصلها حين ذكرتها (ان الساعة آتية) كائنة (أكاد أخفيها) اظهرها ويقال اسرها عن نفسى فكيف اظهرها لغيرى

الاهل والمال ﴿ انك بالواد المقدس ﴾ تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين ﴿طوى﴾ عطف بيان للوادى ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطى مصدر لنودى أو المقدس أى نودى نداءين أو قدس مرتين ﴿وانا اخترتك ﴾ اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك ﴿فاستمع لما يوحى ﴾ الذى يوحى اليك أو للوحى واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين ﴿ اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى ﴾ بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة التى هى كمال العمل ﴿ واقم الصلوة لذكرى ﴾ خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التى اناط بها اقامتها وهى تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها أولان اذكرك بالثناء اولذكرى خاصة لا ترائى بها ولا تشوبها بذكر غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهو مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتى لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكرى ﴿ ان الساعة آتية ﴾ كائنة لا محالة ﴿ اكاد اخفيها ﴾ اريد اخفاء وقتها او اقرب أن اخفيه فلا اقول انها آتية ولولا ما فى اخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به أو اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه

بخلعهما صيانة للوادى المقدس وقيل أمر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة لتناله بركتها فانها قدست مرتين فخلعهما موسى فالقاهما من وراء الوادى ﴿ انك بالواد المقدس ﴾ أى المطهر ﴿طوى﴾ اسم للوادى الذى حصل فيه وقيل طوى واد مستدير عميق مثل المطوى فى استدارته ﴿ وأنا اخترتك ﴾ اصطفيتك برسالاتى وبكلامى ﴿فاستمع لما يوحى ﴾ فيه نهاية الهيبة والجلال له كأنه قال له لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له ﴿ اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى ﴾ ولا تعبد غيرى ﴿ وأقم الصلوة لذكرى ﴾ أى لتذكرنى فيها وقيل لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى وقيل لاخلاص ذكرى وطلب وجهى ولا ترائى فيها ولا تقصد بها غرضا آخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها (ق) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلا قتادة وأقم الصلوة لذكرى وفى رواية اذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول وأقم الصلوة لذكرى ﴿ ان الساعة آتية أكاد أخفيها ﴾ قال أكثر المفسرين معناه أكاد أخفيها من نفسى فكيف يعلمها مخلوق وكيف أظهرها لكم ذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا فى الكتمان للشئ يقولون كتمت سرك فى نفسى أى أخفيته غاية الاخفاء والله

أتيلة (أوأجد على النار هدى) ذوى هدى أوقوما يهدوننى الطريق ومعنى الاستعلاء فى على النار ان أهل النار يستعلون اكان القريب منها (فلما أتاها) أى النار وجد نارا بيضاء تتوقد فى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها وكانت شجرة العناب أوالعوسج ولم يجد عندها أحدا وروى انه كلما طلبها بعدت عنه فاذا تركها قربت منه فثمه (نودى) موسى (ياموسى انى) بكسر الهمزة أى نودى فقيل ياموسى انى أولان النداء ضرب من القول فعومل معاملته وبالفتح مكى وأبوعمرو أى نودى بانى (أنا ربك) أنا مبتدأ أو تأكيد أوفصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى انه لما نودى ياموسى قال من المتكلم فقال الله عزوجل أنا ربك فعرف انه كلام الله عز وجل بانه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع اعضائه (فاخلع نعليك) انزعهما لتصيب قدميك بركة الوادى المقدس أولانها كانت من جلد حمار ميت غيرمدبوغ أولان الحفوة تواضع لله ومن ثمه طاف السلف بالكعبة حافين والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعهما وألقاهما من وراء

﴿أواجد على النار هدى﴾ هاديا يدلنى على الطريق أويهدينى ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها فى كل مايعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهلها مشرفون عليها أومستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه ﴿فلما اتاها﴾ اى النار وجد نارا بيضاء تتقد فى شجرة خضراء ﴿نودى ياموسى انى انا ربك﴾ فتحه ابن كثير وابو عمرو أى بانى وكسره الباقون باضمار القول أواجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودى قال من المتكلم قال انى انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه فانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة ﴿فاخلع نعليك﴾ امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من

﴿أوأجد على النار هدى﴾ أى أجد عند النار من يدلنى على الطريق ﴿فلما أتاها﴾ أى أتى النار رأى شجرة خضراء من أعلاها الى أسفلها اطافت بها نار بيضاء تتقد كاضوأ ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت الشجرة ثمرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روى ذلك عن ابن عباس وقال أهل التفسير لم يكن الذى رآه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه الصلاة والسلام حسبه نارا قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هى النار بعينها وهى احدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ماروى عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لوكشفها لاهلكت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه أخرجه مسلم قيل ان موسى أخذ شيأ من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت عنه واذا نأى دنت منه فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة فعند ذلك ﴿نودى ياموسى انى أنا ربك﴾ قال وهب نودى من الشجرة فقيل ياموسى فاجاب سريعا ومايدرى من دعاه فقال انى اسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فعلم ان ذلك لاينبغى الالله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل أجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا ۞ وقوله ﴿فاخلع نعليك﴾ كان السبب فيه ماروى عن ابن مسعود مرفوعا فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ وانما أمر

شديد من الشتاء (أوأجد على النار) عند النار (هدى) من يدلنى على الطريق (فلما أتاها) فاذا هى شجرة خضراء تتوقد منها نار بيضاء (نودى ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك) وكانت نعلاه من

[illegible] (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) أي هو واحد بذاته وان افترقت عبارات صفاته رد لقولهم انك تدعو آلهة حين سمع اسماءه تعالى والحسنى تأنيث الاحسن (وهل) اى وقد (اتاك حديث موسى) خبره قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به في تحمل اعباء النبوة بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كما نالها موسى (اذ رأى) ظرف لمضمر أي حين رأى (نارا) كان كيت وكيت أو مفعول به لاذكر روى ان موسى عليه السلام استأذن شعيبا في الخروج الى أمه وخرج باهله فولد له ابن في الطريق في ليلة مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولاماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى عند ذلك نارا في زعمه وكان نورا (فقال لاهله امكثوا) أقيموا في مكانكم (اني آنست) أبصرت (نارا) والايناس رؤية شئ يؤنس به (لعلي آتيكم منها) بني الامر على الرجاء لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به (بقبس) نار مقتبس في رأس عود

فقال ﴿ الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ﴾ ومن في ممن خلق الارض صلة لتنزيلا أو صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى الضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه • وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذلك ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها ﴿ وهل اتاك حديث موسى ﴾ قفى تمهيد نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل مانزل ﴿ اذ رأى نارا ﴾ ظرف للحديث لانه حدث أو مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا عليهما الصلاة والسلام في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا ﴿ فقال لاهله امكثوا ﴾ اقيموا مكانكم • وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفي القصص بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها فيه ﴿ اني آنست نارا ﴾ ابصرتها ابصارا لاشبهة فيه وقيل الايناس ابصار مايؤنس به ﴿ لعلي آتيكم منها بقبس ﴾ بشعلة من النار وقيل جمرة

ثواب أو عقاب فالسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الامور التي عزم عليها والاخفاء هو الذي لم يبلغ حد العزيمة ❊ ثم وحد نفسه فقال تعالى ﴿ الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ﴾ تأنيث الاحسن والذي فضلت به أسماؤه في الحسن دون سائر الاسماء دلالتها على معنى التقديس والتحميد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن ❊ قوله عز وجل ﴿ وهل أتاك حديث موسى ﴾ أي وقد أتاك لما تقدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأسى به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود ﴿ اذ رأى نارا ﴾ وذلك ان موسى استأذن شعيبا في الرجوع من مدين الى مصر ليزور والدته وأخاه فاذن له فخرج باهله وماله وكانت أيام الشتاء فاخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل في شهرها لايدري أليلا تضع أم نهارا فسار في البرية غير عارف بطرقها فالجأه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما أراد الله من كرامته فاخذ امرأته الطلق فاخذ زنده فجعل يقدح فلا يوري فابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور ﴿ فقال لاهله امكثوا ﴾ أي أقيموا ﴿ اني آنست نارا ﴾ أي أبصرت نارا ﴿ لعلي آتيكم منها بقبس ﴾ أي شعلة من نار في طرف عود

(الله لا اله الا هو) وحده لاشريك له (له الاسماء الحسنى) الصفـ[illegible] فادعوه بها (وهل أتاك) يا محمد ثم أتاك (حديث موسى) خبر موسى (اذ رأى نارا) عن يساره (فقال لاهله امكثوا) انزلوا مكانكم (اني آنست نارا) اني رأيت نارا (لعلي آتيكم) (او) منها) من النار (بقبس) بشعلة مقتبسة وكان في برد

خبها (الرحمن) رفع على المدح أى هو الرحمن (على العرش) خبر مبتدأ محذوف (استوى) استولى عن الزجاج ونبه بذكر
العرش وهو أعظم المخلوقات على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك
فقالوا استوى فلان على العرش أى ملك وان لم يقعد على السرير البتة وهذا كقولك يد فلان
مبسوطة أى جواد وان لم يكن
له يد رأسا والمذهب قول
على رضى الله عنه الاستواء
غير مجهول والتكييف غير
معقول والايمان به واجب
والسؤال عنه بدعة لانه
تعالى كان ولا مكان فهو على
ما كان قبل خلق المكان لم
يتغير عما كان (له ما فى
السموات وما فى الارض)
خبر ومبتدأ ومعطوف
(وما بينهما) اى ذلك كله
ملكه (وما تحت الثرى)
ما تحت سبع الارضين او
هو الصخرة التى تحت
الارض السابعة (وان
تجهر بالقول) ترفع صوتك
(فانه يعلم السر) ما اسررته
الى غيرك (واخفى) منه
وهو ما اخطرته ببالك او
ما استرته فى نفسك وما

تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذى هو عند العقل فبدأ بخلق الارض
والسموات التى هى اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من
السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير
امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب
ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال ﴿الرحمن على العرش استوى له
ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته
ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهى لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات
الامور وخفياتها على سواء فقال ﴿وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى﴾ أى وان
تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غنى عن جهرك فانه سبحانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير
النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير
النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار
ثم انه لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المنفرد بها والمتوحد بمقتضاها

لا يقدر على خلقها فى عظمها وعلوها الا الله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ تقدم
الكلام عليه فى سورة الاعراف مستوفى ﴿له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما﴾
يعنى الهواء ﴿وما تحت الثرى﴾ أى أنه مالك لجميع ما فى الاربعة الاقسام والثرى هو التراب
الندى وقيل معناه ما وراء الثرى من شئ وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر الثور
والثور على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة
السماء منها وهى الصخرة التى ذكرها الله تعالى فى قصة لقمان والصخرة على قرن ثور
والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت ذلك الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله
البحار بحرا واحدا سالت فى جوف ذلك الثور فاذا وقعت فى جوفه يبست ﴿قوله تعالى
﴿وان تجهر بالقول﴾ أى تعلن به ﴿فانه يعلم السر وأخفى﴾ قال ابن عباس السر ما تسر
فى نفسك وأخفى من السر ما يلقيه الله فى قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك
لا تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما أسررت به اليوم وما تسر به غدا وعنه ان
السر ما أسر به ابن آدم فى نفسه وأخفى ما هو فاعله قبل أن يعلمه وقيل السر ما أسره الرجل
الى غيره وأخفى من ذلك ما أسره فى نفسه وقيل السر هو العمل الذى يسر من الناس
وأخفى هو الوسوسة وقيل السر أن يعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من عباده
فلا يعلم أحد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب
فى الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة فعلى هذا الوجه ينبغى أن يحمل السر والاخفاء على ما فيه

فوق بعض (الرحمن على
العرش استوى) استقر ويقال
امتلأ به ويقال هو من
المكتوم الذى لا يفسر (له
ما فى السموات وما فى الارض
وما بينها) من الخلق والعجائب
(وما تحت الثرى) الذى
تحت الارضين السابعة
السفلى لان الارضين على الماء والماء على الحوت والحوت على الصخرة والصخرة على قرنى الثور والثور على الثرى والثرى هو التراب
الندى يعلم الله ما تحته (وان تجهر بالقول) تعلن بالقول والفعل (فانه يعلم السر) من القول والفعل (وأخفى) من السر ما هو كائن
مما لم يك بعد أو يكون يعلم الله ذلك كله

الهلاء أبو عمرو وأمالهما حمزة وعلى وخلف وأبو بكر وفخمهما على الاصل غيرهم وماروى عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم ان معناه يارجل فان صح فظاهر والا فالحق ماهو المذكور فى سورة البقرة (ماأنزلنا عليك القرآن) ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون خبرا عنها وهى فى موضع المبتدأ والقرآن ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قرآن وأن يكون جوابا لها وهى قسم (لتشقى) لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا أو بقيام الليل وانه روى انه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا أى ماانزلناه لتنهك نفسك للعبادة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة (الا تذكرة) استثناء منقطع أى لكن أنزلناه تذكرة أو حال (لمن يخشى) لمن خاف الله أو لمن يؤل أمره الى الخشية (تنزيلا) بدل من تذكرة اذا جعل حالا ويجوز أن ينتصب بنزل مضمرا أو على المدح أو يخشى مفعولا به أى انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله (ممن خلق الارض والسموات) من يتعلق بتنزيلا صلة له (العلى) جمع العليا تأنيث الاعلى ووصف السموات بالعلى دليل ظاهر على عظم قدرة

(ماانزلنا عليك القرآن لتشقى) لتتعب بالقرآن نزلت هذه الآية والنبى صلى الله عليه وسلم كان قبل ذلك يجتهد بصلاة الليل حتى تورمت قدماه فخفف الله عليه بهذه الآية فقال طه يارجل هذه بلسان مكة أى يا محمد [illegible] عليك القرآن جبريل بالقرآن (الا تذكرة) عظة (لمن يخشى) لمن يسلم و[illegible] نفسه [illegible] يقول القرآن تكليما (ممن خلق الارض والسموات العلى) رفع بعضها

صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت من يطأ الفا كقوله لا «هناك المرتع» ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طأها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل أو اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ﴿ماانزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مأول بالسورة أو القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجوابه ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء و استئناف ان كانت جملة فعلية أو اسمية باضمار مبتدأ أو طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذما عليك الا ان تبلغ أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن انزل عليك لتشقى به ﴿الا تذكرة﴾ لكن تذكيرا وانتصابهما على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر فى موقع الحال من الكاف او القرآن او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن أى ماانزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة ﴿لمن يخشى﴾ لمن فى قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار أو لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به ﴿تنزيلا﴾ نصب باضمار فعله أو بيخشى أو على المدح أو البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا أو معنى فلا لان الشئ لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ﴿ممن خلق الارض والسموات العلى﴾ مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بعرض

صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات فى هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طأ الارض بقدميك يريد به فى التهجد وذلك لما نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد فى العبادة حتى كان يراوح بين قدميه فى الصلاة لطول قيامه وكان يصلى الليل كله فانزل الله تعالى هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وقيل لما رأى المشركون اجتهاده فى العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد الا لشقائك فنزلت ﴿ما انزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ أى لتعنى وتتعب ﴿الا تذكرة لمن يخشى﴾ أى لكن انزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم هم المنتفعون به ﴿تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى﴾ أى من الله الذى خلق الارض والسموات العلية الرفيعة التى

وين (وتنذر به قوما لدا) شدادا ﴿ ١٨٥ ﴾ في الخصومة بالباطل { سورة طه } أي الذين يأخذون في كل

لديد أي شق من المراء والجدال جمع ألد يريد به أهل مكة (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) تخويف لهم وانذار (هل تحس منهم من أحد) أي هل تجد أو ترى أو تعلم والاحساس الادراك بالحاسة (أو تسمع لهم ركزا) صوتا خفيا ومنه الركاز أي لما أتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم فكذا هؤلاء ان أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك أمرهم والله أعلم

﴿ سورة طه صلى الله عليه وسلم مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية كوفي ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم طه ﴾ فخم الطاء لاستعلائها وأمال

والفواحش (وتنذر) تخوف (به) بالقرآن (قوما لدا) جدلا بالباطل (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قومك يا محمد (من قرن) من القرون الماضية (هل تحس منهم من أحد) هل ترى منهم أحدا بعد الهلاك (أو تسمع لهم ركزا) صوتا بعد ما هلكوا ودرسوا

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها طه وهي كلها مكية آياتها مائة واثنان وثلاثون وكلماتها ألف وثلاثمائة وواحد وحروفها خمسة آلاف وماتان واثنان وأربعون حرفا ﴾ (قا و خا ٢٤ بع) ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (طه

التقوى ﴿ وتنذر به قوما لدا ﴾ اشداء الخصومة آخذين في كل لديد أي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر ﴿ وكم اهلكنا قبلهم من قرن ﴾ تخويف للكفرة وتجسير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على انذارهم ﴿ هل تحس منهم من احد ﴾ هل تشعر باحد منهم وتراه ﴿ أو تسمع لهم ركزا ﴾ وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيي ومريم وعيسى وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع

﴿ سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ طه ﴾ فخمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش عن نافع لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يارجل على لغة عك فان صح فلعل اصله ياهذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله

ان السفاهة طاها في خلائقكم * لاقدس الله اخلاق الملاعين

ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لاينصرون * وقرئ طه على انه امر للرسول

﴿ وتنذر به ﴾ أي بالقرآن ﴿ قوما لدا ﴾ أي شدادا في الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الالد الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعى الباطل ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ﴾ ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا وأيقنوا انه لابد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي أقرب ثم أكد ذلك فقال تعالى ﴿ هل تحس منهم ﴾ أي هل ترى وقيل هل تجد منهم أي من القرون ﴿ من احد أو تسمع لهم ركزا ﴾ أي صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة طه وهي مكية وهي مائة وأربعة وقيل خمس ﴾
﴿ وثلاثون آية وألف وستمائة واحدى واربعون كلمة ﴾
﴿ وخمسة آلاف ومائتان واثنان واربعون حرفا ﴾

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التي فيها البقرة من الذكر الاول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة النافلة الزيادة وفقنا الله لفهم ذلك

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ طه ﴾ قيل هو قسم أقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو من أسماء الله الطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادي وقيل معناه يارجل والمراد به النبي

مستقبل أى يأتيه (عبدا) حال أى خاضعا ذليلا منقادا والمعنى ما كل من فى السموات والارض من الملائكة والناس الا
يأتى الله يوم القيامة مقرا بالعبودية والعبودية والنبوة تتنافيان حتى لو ملك الاب ابنه يعتق عليه ونسبة الجميع الي
نسبة العبد الى المولى فكيف يكون البعض ولدا والبعض عبدا وقرأ ابن مسعود آ
الرحمن على أصله قبل الاضافة (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أى حصرهم بعلمه واحاط بهم (وكلهم آتيه يوم القيمة فردا) أى كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا بلا مال ولا ولد أو بلا معين ولا ناصر (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) مودة فى قلوب العباد قال الربيع يحبهم ويحببهم الى الناس وفى الحديث يعطى المؤمن مقة فى قلوب الابرار ومهابة فى قلوب الفجار وعن قتادة وهرم ما أقبل العبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب ما يستقر لعبد ثناء فى الارض حتى يستقر له فى السماء (فانما يسرناه) سهلنا القرآن (بلسانك) بلغتك حال (لتبشر به المتقين)

عبدا ﴾ الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبوديه والانقياده وقرئ آت الرحمن على الاصل ﴿ لقد احصاهم ﴾ حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته ﴿ وعدهم عدا ﴾ عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شئ عنده بمقدار ﴿ وكلهم آتيه يوم القيمة فردا ﴾ من الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبى عليه الصلاة والسلام اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادى فى اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم توضع له المحبة فى الارض والسين امالان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعده ذلك اذا دجا الاسلام أو لان الموعود فى القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع مافى صدورهم من الغل ﴿ فانما يسرناه بلسانك ﴾ بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرناه معنى انزلناه أى انزلناه بلغتك ﴿ لتبشر به المتقين ﴾ الصائرين

عبدا ﴾ أى آتيه يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى ان الخلائق كلهم عبيده ﴿ لقد أحصاهم وعدهم عدا ﴾ أى عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شئ من أمورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته ﴿ وكلهم آتيه يوم القيمة فردا ﴾ أى وحيدا ليس معه من أحوال الدنيا شئ ﴿ قوله عز وجل ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ أى محبة قيل يحبهم الله تعالى ويحببهم الى عباده المؤمنين (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحب الله سبحانه وتعالى عبدا دعا جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادى جبريل فى أهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض وفى رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال انى أحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض واذا أبغض الله عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول انى أبغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه ثم يوضع له البغضاء فى الارض قال هرم بن حيان ما أقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب فى التوراة لا محبة لاحد فى الارض حتى يكون ابتداؤها من الله عز وجل ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك فى القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا ﴿ قوله تعالى ﴿ فانما يسرناه ﴾ أى سهلنا القرآن ﴿ بلسانك ﴾ يا محمد ﴿ لتبشر به المتقين ﴾ يعنى المؤمنين

عبدا) الا مقرا للرحمن بالعبودية مطيعا له غير الكافر (لقد أحصاهم) حفظهم (وعدهم عدا) عالم بعددهم (وكلهم آتيه) يجئ الى الله (يوم القيمة فردا) وحيدا بلا مال ولا ولد (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (سيجعل لهم الرحمن ودا) يحبهم ويحببهم الى المؤمنين (فانما يسرناه بلسانك) هونا عليك قراءة القرآن (لتبشر) بالقرآن (المتقين) الكفر والشرك

و باء نافع وعلى (يتفطرن) وبالنون بصرى وشامى وحمزة وخلف وأبو بكر الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه
(..) من عظم هذا القول (وتنشق الارض) تخسف وتنفصل أجزاؤها (وتخر الجبال) تسقط (هدا) كسرا أو قطعا أو هدما
و بدة صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر أي تهد هدا من سماع قولهم أو مفعول له

أو حال أى مهدودة (أن دعوا) لان سموا ومحله جر بدل من الهاء فى منه أونصب مفعول له علل الخرور بالهدوالهد بدعاء الولد للرحمن أورفع فاعل هدا أى هدها دعاؤهم (للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذولدا) انبغى مطاوع بغى اذا طلب أى مايتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لوطلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو منزه عنهما وفى اختصاص الرحمن وتكريره كرات بيان انه الرحمن وحده لايستحق هذا الاسم غيره لان أصول النعم وفروعها منه فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ماعندك عطاؤه فمن أضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن (ان كل من) نكرة موصوفة صفتها (فى السموات والارض) وخبر كل (الا آت الرحمن) ووحد آتى وآتيه حملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من أتى وهو

الكسائى بالياء ﴿ يتفطرن منه ﴾ يتشققن مرة بعد اخرى *وقرأ ابوعمرو وابن عامر وحمزة وابوبكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف ﴿ وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ﴾ تهد هدا ومهدودة اولانها تهد أى تكسر وهو تقرير لكونه اداوالمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لوتصور بصورة محسوسة لم تحملها هذه الاجرام العظام وتفتت من شدتها أوان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ﴿ ان دعوا للرحمن ولدا ﴾ يحتمل النصب على العلة لتكاد أولهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام أو بالابدال من الهاء فى منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا أوفاعل هدا أى هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكل ما دعى له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه ﴿ وماينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ﴾ ولايليق به اتخاذ الولد ولاينطلب له لوطلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ماعداه نعمة ومنعم عليه فلايجانس من هو مبتدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به فى قوله ﴿ ان كل من فى السموات والارض ﴾ أى مامنهم ﴿ الا آتى الرحمن

يتفطرن منه ﴾ من الانفطار وهو الشق ﴿ وتنشق الارض ﴾ أى تخسف بهم ﴿ وتخر الجبال هدا ﴾ أى تسقط وتنطبق عليهم ﴿ أن دعوا ﴾ أى من اجل ان جعلوا ﴿ للرحمن ولدا ﴾ *فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة فى هذه الجمادات *قلت فيه وجهان أحدهما ان الله تعالى يقول كدت ان أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى وانى لاأعجل بالعقوبة الثانى ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده *قال ابن عباس فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذالله ولدا ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى ﴿ وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ﴾ أى مايليق به اتخاذ الولد ولايوصف به لان الولد لابد ان يكون شبيها بالوالد ولاشبيه لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لاتصح فى الله تعالى من سرور به واستعانة وذكر جميل بعده وكل ذلك لايليق بالله تعالى ﴿ ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن

(يتفطرن) يتشققن (منه) من قولهم (وتنشق) الارض تتصدع الارض (وتخر الجبال) تسير الجبال (هدا) كسرا (أن دعوا) بان دعوا (للرحمن ولدا) عزيرا ابنا (وماينبغى للرحمن أن يتخذولدا) عزيرا ابنا (ان كل من فى السموات والارض) يقول من أحد فى السموات والارض (الا آت الرحمن

يساقون الى النار كأنهم نعم عطاش يساقون الى الماء استخفافا بهم (لا يملكون الشفاعة) حال والواو ان جعل ضميرا ف
للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغ
والفاعل من اتخذ لانه فى معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل من واو يملكون أو على الفاعلية أو نصب على تق
حذف المضاف أى الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) بان آمن فى الحديث من قال لا
الا الله كان له عند الله عهد وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه و

قال لاصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك بانى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة أو يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به أى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أى النصارى واليهود ومن

﴿ لا يملكون الشفاعة ﴾ الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم ﴿ الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله تعالى او الا من اتخذ من الله اذنا فيها كقوله تعالى لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف أى الا شفاعة من اتخذ أو على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم ﴿ لقد جئتم شيأ ادا ﴾ على الالتفات للمبالغة فى الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادنى الامر وآدنى اثقلنى وعظم على ﴿ تكاد السموات ﴾ وقرأ نافع

والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر معهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث امسوا قوله تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة ﴿ وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذى ﴿ قوله عز وجل ﴿ لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ يعنى لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا للمؤمنين وقيل لا يشفع الا لمن قال لا اله الا الله أى لا يشفع الا للمؤمن ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ يعنى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب ﴿ لقد جئتم شيأ ادا ﴾ قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما ﴿ تكاد السموات

زعم أن الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيأ ادا) خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات أو أمر نبيه عليه (يتفطرون)
السلام بانه يقول لهم ذلك والاد العجب أو العظيم المنكر والادة الشدة وأدنى الامر أثقلنى وعظم على اد (تكاد السموات) تقرب

(لا يملكون الشفاعة) لا تشفع الملائكة لاحد (الا من اتخذ) من اعتقد (عند الرحمن عهدا) بلا اله الا الله (وقالوا) يعنى اليهو
(اتخذ الرحمن ولدا) عزير ابنا (لقد جئتم شيأ ادا) قلتم قولا منكرا عظيما (تكاد السموات

..م لاالهم عزاوان رجع الضمير فى سيكفرون ويكونون الى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم أى أعداؤهم ضدا أى كفرة بعد ان كانوا يعبدونها ثم عجب نبيه عليه السلام بقوله (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى خليناهم واياهم من ارسلت البعير أطلقته أو سلطناهم عليهم بالاغواء (تؤزهم ازا) تغريهم على المعاصى اغراء والازوالهز اخوان ومعناهما التهييج وشدة الازعاج (فلا تعجل عليهم) بالعذاب (انما نعدلهم عدا) أى اعمالهم للجزاء وأنفاسهم للفناء وقرأها ابن السماك عند المأمون فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ماتنفد (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت (ونسوق المجرمين) الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا أضل من الانعام (الى جهنم وردا) عطاشا لان من يرد الماء لايرده الا العطش وحقيقة الورود المسير الى الماء فيسمى به الواردون فالوفد جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارد ونصب يوم بمضمر أى يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين مالايوصف أى اذكر يوم نحشر ذكر المتقون بانهم يجمعون الى ربهم الذى غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا لهم والكافرون بانهم عونا بالعذاب (ألم تر) ألم

ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذى به مضادتهم فانهم بذلك كالشىء الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله

اقلى اللوم عاذل والعتابن

اوعلى معنى كل هذا الرأى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره مابعده اى سيجحدون بكلا سيكفرون بعبادتهم ﴿ ألم ترانا ارسلنا الشياطين على الكافرين ﴾ بان سلطناهم عليهم أو قيضنا لهم قرناء ﴿ تؤزهم ازا ﴾ تهزهم وتغريهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم فى الغى وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على مانطقت به الآيات المتقدمة ﴿ فلا تعجل عليهم ﴾ بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم ﴿ انما نعدلهم ﴾ ايام آجالهم ﴿ عدا ﴾ والمعنى لاتعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة ﴿ يوم نحشر المتقين ﴾ نجمعهم ﴿ الى الرحمن ﴾ الى ربهم الذى غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها ﴿ وفدا ﴾ وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ﴿ ونسوق المجرمين ﴾ كما يساق البهائم ﴿ الى جهنم وردا ﴾ عطاشا فان من يرد الماء لايرده الا العطش اوكالدواب التى ترد الماء

أولياءهم فى الدنيا ۞ قوله عز وجل ﴿ ألم ترأنا ارسلنا الشياطين على الكافرين ﴾ أى سلطناهم عليهم ﴿ تؤزهم أزا ﴾ أى تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والمعنى تحثهم وتحرضهم على المعاصى تحريضا شديدا وفى الآية دليل على ان الله تعالى مدبر لجميع الكائنات ﴿ فلا تعجل عليهم ﴾ أى لاتعجل بطلب عقوبتهم ﴿ انما نعد لهم عدا ﴾ يعنى الليالى والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التى يتنفسونها فى الدنيا الى الاجل الذى أجل لعذابهم ۞ قوله تعالى ﴿ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ﴾ أى اذكر لهم يامحمد اليوم الذى يجتمع فيه من اتقى الله فى الدنيا بطاعته الى جنته وفدا أى جماعات قال ابن عباس ركبانا قال ابو هريرة على الابل وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه مايحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها من الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت ﴿ ونسوق المجرمين ﴾ أى الكافرين ﴿ الى جهنم وردا ﴾ أى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش

تخبر يامحمد (انا أرسلنا الشياطين) سلطنا الشياطين (على الكافرين تؤزهم أزا) تزعجهم الى معصية الله ازعاجا وتغريهم اغراء (فلا تعجل) فلا تستعجل (عليهم) بالعذاب (انما نعدلهم عدا) يعنى النفس بعد النفس (يوم)وهو يوم القيامة (نحشر المتقين) .. الكفر والشرك والفواحش (الى الرحمن)الى جنة الرحمن (وفدا) ركبانا على النوق (ونسوق المجرمين)المشركين (الى جهنم وردا) عطاشا

وتنبيه على الخطأ وهومخطئ فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه (سنكتب مايقال) أي قوله والمراد سنظهرله ونه
انا كتبنا قوله لانه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهو كقوله ا
ماانتسبنا لم تلدني لئيمةاي علم وتبين بالانتساب أني لست بابن لئيمة (ونمدله من العذاب) نزيده من العذاب كما يزيد في الافتر
والاجتراء من المدد يقال مده وأمده بمعنى (مدا) أكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى (ونرثه مايقول) أي نزوي عنه مازعم انه ينا
 والولد (ويأتينا فردا) حال اى بلا

﴿ سنكتب مايقول ﴾ سنظهرله انا كتبنا قوله على طريقة قوله
اذاما انتسبنا لم تلدني لئيمة
أي تبين اني لم تلدني لئيمة أوسننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه
فان نفس الكتبة لاتتأخر عن القول لقوله تعالى مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
﴿ ونمد له من العذاب مدا ﴾ ونطول له من العذاب مايستأهله أو نزيد عذابه ونضاعف له
لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه
﴿ ونرثه ﴾ بموته ﴿ مايقول ﴾ يعني المال والولد ﴿ ويأتينا ﴾ يوم القيامة ﴿ فردا ﴾
لايصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثمه زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول
منفردا عنه ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ﴾ ليتعززوا بهم حيث يكونون
لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده ﴿ كلا ﴾ ردع وانكار لتعززهم بها ﴿ سيكفرون
بعبادتهم ﴾ ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ماعبدتمونا لقوله اذتبرأ الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا أوسينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا والله ربنا ماكنا مشركين ﴿ ويكونون عليهم ضدا ﴾ يؤيد الاول الا
اذا فسر الضد بضد العز أي ويكونون عليهم ذلا أو بضدهم على معنى انها تكون معونة في
عذابهم بان توقد بها نيرانهم أوجعل الواو للكفرة أي يكونون كافرين بهم بعد

﴿ سنكتب مايقول ﴾ أي سنحفظ عليه مايقول فنجازيه به في الآخرة وقيل يأمر
الملائكة حتى يكتبوا مايقول ﴿ ونمد له من العذاب مدا ﴾ أي نزيده عذابا فوق العذاب
وقيل نطيل مدة عذابه ﴿ ونرثه مايقول ﴾ معناه أي ماعنده من المال والولد باهلاكنا اياه
وابطال ملكه وقيل نزول عنه ماعنده من مال وولد فيعود الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك
بقي فرد فذلك قوله ﴿ ويأتينا ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ فردا ﴾ بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يبعث
في الآخرة بمال ولا ولد ﴿ قوله تعالى ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾ يعني مشركي
قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها ﴿ ليكونوا لهم عزا ﴾ أي منعة يعني يكونوا
شفعاء يمنعونهم من العذاب ﴿ كلا ﴾ أي ليس الامر كما زعموا ﴿ سيكفرون بعبادتهم ﴾
يعني تجحد الاصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن منهم
﴿ ويكونون عليهم ضدا ﴾ أي اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل أعداءلهم وكانوا

مال ولا ولد كقوله ولقد
جئتمونا فرادى فما يجدي
عنه تمنيه وتأنيه (واتخذوا
من دون الله آلهة) اى اتخذ
هؤلاء المشركون أصناما
يعبدونها (ليكونوا لهم عزا)
أي ليعتزوا بآلهتهم ويكونوا
لهم شفعاء وأنصارا
ينقذونهم من العذاب (كلا)
ردع لهم عما ظنوا (سيكفرون
بعبادتهم) الضمير للآلهة
أي سيجحدون عبادتهم
وينكرونها ويقولون والله
ماعبدتمونا وأنتم كاذبون
أوللمشركين أي ينكرون
ان يكونوا قد عبدوها
كقوله والله ربنا ماكنا
مشركين (ويكونون) أي
المعبودون (عليهم) على
المشركين (ضدا) خصما
لان الله تعالى ينطقهم فتقول
يارب عذب هؤلاء الذين
عبدونا من دونك والضد
يقع على الواحد والجمع
وهو في مقابلة لهم عز
والمراد ضد العز وهو الذل
والهوان أي يكونون عليهم
ضدا لماقصدوه أي يكونون

(سنكتب) سنحفظ (مايقول) من الكذب (ونمدله) نزيدله (من العذاب مدا) زيادة (ونرثه مايقول) (أولياءهم)
في الجنة ونعطى غيره من المؤمنين (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) وحيدا خاليا من المال والولد والخير نزلت هذه الآية في خباب
ابن الارت وصاحبه في خصومة كانت بينهم (واتخذوا) عبدوا أهل مكة (من دون الله آلهة) يعني الاصنام (ليكونوا لهم) يعني
الاصنام (عزا) منعة من عذاب الله (كلا) رد عليهم لايكون لهم منعة من عذاب الله (سيكفرون بعبادتهم) سيتبرؤن يعني
الاصنام من عبادة الكفار (ويكونون) يعني الاصنام (عليهم) على الكفار (ضدا)

صيرة بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر
خير عند ربك ثوابا) مما يفتخر به الكفار (وخير مردا) أى مرجعا وعاقبة تهكم بالكفار لانهم قالوا للمؤمنين أى
الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) ثم وبضم الواو وسكون اللام فى أربعة مواضع
هنا وفى الزخرف ونوح حمزة وعلى جمع ولد كأسد فى أسد أو بمعنى الولد كالعرب
فى العرب ولما كانت رؤية
الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة
الخبر عنها استعملوا أرأيت
فى معنى أخبر والفاء أفادت
التعقيب كانه قال أخبر أيضا
بقصة هذا الكافر واذكر
حديثه عقيب حديث أولئك
وقوله لأوتين جواب قسم
مضمر (اطلع الغيب) من
قولهم أطلع الجبل اذا ارتقى
الى أعلاه الهمزة للاستفهام
وهمزة الوصل محذوفة أى
انظر فى اللوح المحفوظ
فرأى منيته (أم اتخذ عند
الرحمن عهدا) موثقا ان
يؤتيه ذلك أو العهد كلمة
الشهادة وعن الحسن نزلت
فى الوليد بن المغيرة والمشهور
انها فى العاص بن وائل فقد
روى ان خباب بن الارت
صاغ للعاص بن وائل حليا
فاقتضاه الاجر فقال انكم
تزعمون انكم تبعثون وان
فى الجنة ذهبا وفضة فانا
أقضيك ثمه فانى اوتى مالا
وولدا حينئذ (كلا) ردع
بالمنسوخ (والباقيات
الصالحات) الصلوات الخمس (خير عند ربك ثوابا) خير ما يثيب الله به العباد الصلوات (وخير مردا) أفضل مرجعا
فى الآخرة (أفرأيت الذى كفر بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعنى العاص بن وائل السهمى (وقال لأوتين مالا
وولدا) لئن كان ما يقول محمد فى الآخرة حقا لاعطين مالا وولدا فى الآخرة فرد الله عليه وقال (أطلع الغيب) أنظر فى اللوح المحفوظ
ان له ما يقول (أم اتخذ) اعتقد (عند الرحمن عهدا) بلا اله الا الله فيكون له ما يقول (كلا) رد عليه لا يكون له ما يقول

﴿والباقيات الصالحات﴾ الطاعات التى تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ﴿خير عند ربك ثوابا﴾ عائدة مما تمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله ﴿وخير مردا﴾ والخير ههنا اما لمجرد الزيادة أو على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى حره منه فى برده ﴿أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ نزلت فى العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتنى فيكون لى ثمه مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها فى التعقيب والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك * وقرأ حمزة والكسائى ولدا وهو جمع ولد كاسد فى اسد أو لغة فيه كالعرب والعرب ﴿اطلع الغيب﴾ اقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وتألى عليه ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ أو اتخذ من علام الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه ﴿كلا﴾ ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه

على يقينهم ﴿والباقيات الصالحات﴾ أى الاذكار والاعمال الصالحة التى تبقى لاصحابها ﴿خير عند ربك ثوابا وخير مردا﴾ أى عاقبة ومرجعا * قوله تعالى ﴿أفرأيت الذى كفر بآياتنا﴾ الآية (ق) عن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وائل السهمى دين فاتيته أتقاضاه وفى رواية فعملت للعاص بن وائل السهمى سيفا فجئته أتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال وانى لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت أفرأيت الذى كفر بآياتنا ﴿وقال لأوتين مالا وولدا﴾ الى قوله فردا القين الحداد فرد الله عليه بقوله ﴿أطلع الغيب﴾ قال ابن عباس معناه أنظر فى اللوح المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم أهو فى الجنة أم لا ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ يعنى قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل يعنى عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة ﴿كلا﴾ رد عليه يعنى لم يفعل ذلك

(قل من كان فى الضلالة)الكفر (فليمدد له الرحمن مدا) جواب من لانها شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر أى من كفر مدله الرحمن يعنى أمهله وأملى له فى العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وانما أخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لامحالة كالمأمور به الممتثل ليقطع معاذير الضلال (حتى اذا رأوا مايوعدون) هى متصلة بقوله خير مقاما وأحسن نديا وما بينهما اعتراض أى لايزالون يقولون هذا القول الى ان يشاهدوا الموعود رأى عين (اما العذاب فى الدنيا وهو تعذيب المسلمين اياهم بالقتل والاسر (واما الساعة) اى القيامة وماينالهم من الخزى والنكال فهما بدلان مما يوعدون (فسيعلمون من هو شر مكانا) منزلا (وأضعف جندا)أعوانا وانصارا أى فحينئذ يعلمون ان الامر على عكس ماقدروه وانهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم وجاز ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين فى الضلالة ممدود لهم فى ضلالتهم لاينفكون عن ضلالتهم الى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة وحتى هى التى يحكى بعدها الجمل الاترى ان الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله اذا رأوا مايوعدون فسيعلمون (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) معطوف على موضع فليمدد لوقوعه موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مداو يمد له الرحمن ويزيد أى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين أى المؤمنين هدى ثباتا على الاهتداء أو يقينا

مارث منه والرأى المنظر فعل من الرؤية لمايرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها أو على انه من الرى الذى هو النعمة وقرأ ابو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزى وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص مايكون فى الآخرة بقوله ﴿ قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ﴾ فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مماينبغى ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وكقوله أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر ﴿حتى اذا رأوا مايوعدون ﴾ غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير حتى اذا رأوا مايوعدون ﴿ أما العذاب وأما الساعة ﴾ تفصيل للموعود فانه اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة ومايناله فيه من الخزى والنكال ﴿ فسيعلمون من هو شر مكانا ﴾ من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ماقدروه وعاد ماتمتعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى ﴿ واضعف جندا ﴾ أى فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادى باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لمابين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عزوجل اراد به ماهو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر كأنه قيل من كان فى الضلالة يزيد الله فى ضلاله ويزيد المقابل له هداية

من الرؤية ﴿ قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ﴾ هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه فى طغيانه ويمهله فى كفره ﴿ حتى اذا رأوا مايوعدن اما العذاب ﴾ أى الاسر والقتل فى الدنيا ﴿ واما الساعة ﴾ يعنى القيامة فيدخلون النار ﴿ فسيعلمون ﴾ أى عند ذلك ﴿ من هو شر مكانا ﴾ أى منزلا ﴿ وأضعف جندا ﴾ أى اقل ناصرا والمعنى فسيعلمون أهم خير وهم فى النار أم المؤمنون وهم فى الجنة وهذا رد عليهم فى قولهم أى الفريقين خير مقاما واحسن نديا ﴾ قوله عزوجل ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ أى ايمانا وايقانا

منظرا (قل) لهم يا محمد (من كان فى الضلالة) فى الكفر والشرك (فليمدد) فليزدد (له الرحمن مدا) زيادة فى المال والولد فانظرهم يا محمد (حتى اذا رأوا مايوعدون) من العذاب (اما العذاب) يوم بدر بالسيف (واما الساعة)واما عذاب يوم القيامة بالنار (فسيعلمون) وهذا وعيد لهم (من هو شر مكانا) منزلا فى الآخرة وضيقا فى الدنيا (وأضعف جندا) أهون ناصرا (ويزيد الله الذين اهتدوا) بالايمان (هدى) بالشرائع ويقال ويزيد الله الذين اهتدوا بالناسخ هدى

واذا تتلى عليهم آياتنا) اى القرآن (بينات) ظاهرات الاعجاز أو حججا او براهين حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا اذ آيات الله
تكون الا واضحة وحججا (قال الذين كفروا) أى مشركو قريش وقد رجلوا شعورهم وتكلفوا فى زيهم (للذين آمنوا) للفقراء
وؤسهم شعثة وثيابهم خشنة (أى الفريقين) نحن أم أنتم (خير مقاما) بالفتح وهو موضع

على هيآتهم ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ مرتلات الالفاظ مبينات المعانى بنفسها أو ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم أو واضحات الاعجاز ﴿ قال الذين كفروا للذين آمنوا ﴾ لاجلهم أو معهم ﴿ أى الفريقين ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿ خير مقاما ﴾ موضع قيام أو مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اى موضع اقامة ومنزل ﴿ واحسن نديا ﴾ مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا فى الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله ﴿ وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا ﴾ وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمى اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعده وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جدمنه والخرثى

آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو ان لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أتسخر بى وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة * قوله حتى بدت نواجذه أى اضراسه وأنيابه وقيل هى آخر الاسنان * عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من أهل التوحيد فى النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة من الماء فينبتون كما تنبت الحبة فى حمالة السيل أخرجه الترمذى الحمم الفحم والحمالة كل ما جاء به السيل فدلت الآية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والاحاديث ان الله تعالى أخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون * قوله تعالى ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ أى دلائل واضحات ﴿ قال الذين كفروا ﴾ يعنى النضر بن الحرث ومن دونه من كفار قريش ﴿ للذين آمنوا ﴾ يعنى فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفى عيشهم خشونة وفى ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون أفخر ثيابهم ﴿ أى الفريقين خير مقاما ﴾ أى منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة ﴿ وأحسن نديا ﴾ أى مجلسا فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ﴾ أى متاعا وأموالا وقيل أحسن ثيابا ولباسا ﴿ ورئيا ﴾ أى منظرا

القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم مكى وهو موضع الاقامة والمنزل (وأحسن نديا) مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الآية ان الله تعالى يقول اذا أنزلنا آية فيها دلائل وبراهين أعرضوا عن التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) فكم مفعول أهلكنا ومن تبيين لابهامها أى كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم (هم أحسن) فى محل النصب صفة لكم ألا ترى انك لو تركت هم كان أحسن نصبا على الوصفية (أثاثا) هو متاع البيت أو ما جد من الفرش (ورئيا) منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريا بغير همز مشددا نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الادغام أو من الرى الذى هو النعمة

(واذا تتلى عليهم) تقرأ عليهم على النضر وأصحابه (آياتنا بينات) بالامر والنهى (قال الذين كفروا) لمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والبعث يعنى النضر (قا و خا ٢٣ بع) وأصحابه (للذين آمنوا) محمد والقرآن يعنى أبا بكر وأصحابه (أى الفريقين) أهل ديننا ومنكم (خير مقاما) منزلا (وأحسن نديا) مجلسا (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قريش (من قرن) من أمم خالية (هم أحسن أثاثا) أكثر أموالا وأولادا (ورئيا) أحسن

وان المؤمنين يفارقون القنطرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى القنطرة فيها تنهارة بهم

بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أعضاء السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يارب اصرف وجهى عن النار فقد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها فيقول هل عسيت ان أفعل ذلك بك ان تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطى الله ماشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل به على الجنة أى نكهتها وبهجتها سكت ماشاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يارب قدمنى عند باب الجنة فيقول الله أليس قد أعطيت المواثيق والعهود أن لا تسأل غير الذى كنت سألت فيقول يارب لا أكون أشقى خلقك فيقول فاعسيت ان أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطى ربه ماشاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها رأى زهرتها ومافيها من النضرة والسرور فيسكت ماشاء الله أن يسكت فيقول يارب أدخلنى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذى أعطيت فيقول يارب لا تجعلنى أشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يؤذن له فى دخول الجنة فيقول له تمن فيتمنى حتى اذا انقطعت أمنيته قال الله تمن كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الامانى قال الله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد الخدرى لابى هريرة وعشرة أمثاله قال أبو هريرة لم احفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد رضى الله عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة أمثاله وفى رواية للبخارى قال فيأتيهم الله فى غير الصورة التى يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا أتانا عرفناه فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ٭ قلت أما ما يتعلق بمعانى الحديث والكلام على الرؤية فسيأتى فى تفسير سورة ن والقيامة ونتكلم ههنا على شرح غريب ألفاظه ٭ قوله مثل شوك السعدان هو نبت ذو شوك معقف وهو من أجود مراعى الابل ٭ وقوله فمنهم من يوبق بعمله يقال أوبقته الذنوب أى أهلكته والمخردل المرمى المصروع وقيل هو المقطع والمعنى انه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع فى النار ٭ قوله وقد امتحشوا أى احترقوا وقيل هو ان تذهب النار الجلد وتبدى العظم ٭ قوله كما تنبت الحبة فى حميل السيل الحبة بكسر الحاء وهى البزورات جميعا وحميل السيل هو ان زبده يلقيه الماء على شاطئه ٭ قوله قشبنى ريحها أى آذانى والقشب السم فكأنه قال قد سمنى ريحها ٭ قوله وأحرقنى ذكاؤها أى اشتعالها ولهبها ٭ قوله رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعلم

الصراط فانه ممدود عليها ﴿ كان على ربك حتما مقضيا ﴾ كان ورودهم واجبا اوجبه الله
على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ﴿ ثم ننجى الذين اتقوا ﴾
فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائى ويعقوب ننجى بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء أى هناك
﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها

أطفأ نورك لهبى وروى عن مجاهد فى قوله تعالى وان منكم الا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفى الخبر الحمى كير من جهنم وهى حظ المؤمن من النار (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء قوله فيح جهنم أى وهجها وحرها ❊ وقوله تعالى ﴿ كان على ربك حتما مقضيا ﴾ أى كان ورود جهنم قضاء لازما قضاء الله تعالى عليكم وأوجبه ﴿ ثم ننجى الذين اتقوا ﴾ أى الشرك ﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ أى جميعا وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة فى الآية دليل على صحة مذهبهم فى ان صاحب الكبيرة والفاسق يخلد فى النار بدليل أن الله بين ان الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا فبقى فى النار أبدا وأجيب عنه بان المتقى هو الذى يتقى الشرك بقوله لا اله الا الله ويشهد لصحة ذلك أن من آمن بالله ورسوله صح ان يقال انه متق من الشرك ومن صدق عليه انه متق من الشرك صح انه متق لان المتقى جزء من المتقى من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت أن صاحب الكبيرة متق واذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا فصارت الآية التى توهموها دليلا لهم من أقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت أحاديث تدل على اخراج المؤمن الموحد من النار (خ) عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير وفى رواية من ايمان (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الناس قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يارسول الله قال هل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يارسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيأ فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فاكون أول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانهم مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق

(كان على ربك حتما مقضيا) اى كان ورودهم واجبا كائنا محتوما والحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمى به الموجب كقولهم ضرب الامير (ثم ننجى) وعلى بالتخفيف (الذين اتقوا) عن الشرك وهم المؤمنون (ونذر الظالمين فيها جثيا) فيه دليل على دخول الكل لانه قال ونذر ولم يقل وندخل والمذهب ان صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لا محالة وقالت المرجئة الخبيثة لا يعاقب لان المعصية لا تضر مع الاسلام عندهم وقالت المعتزلة يخلد

(كان على ربك حتما مقضيا) قضاء كائنا واجبا أن يكون (ثم ننجى الذين اتقوا) الكفر والشرك والفواحش (ونذر) نترك (الظالمين) المشركين (فيها) فى جهنم (جثيا) جميعا دائما

المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه الصلاة والسلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على

ما روى ان نافع بن الازرق سأل ابن عباس في الورود فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورود الدخول فقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون دون الله حصب جهنم انتم لها واردون أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع والله انا وانت سنردها وانا ارجوان يخرجني الله منها وما ارى الله ان يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لان الله تعالى أخبر عنهم انهم لا يحزنهم الفزع الاكبر ﴿ فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار عذابها ﴿ قلت يحتمل ان الله تعالى يخمد النار فتعبرها المؤمنون ويحتمل ان الله تعالى يجعل الاجزاء الملاصقة لابدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان المؤمنين تكون على المؤمنين برداوسلاما كما كانت في حق ابراهيم عليه السلام وكما ان الملائكة الموكلين بها لا يجدون ألمها ﴿ فان قلت اذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار ﴿ قلت فيه وجوه أحدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن أبدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين أراد به الحضور وقال عكرمة الآية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود أنه قال وان منكم الا واردها يعني القيامة والكناية راجعة اليها والقول الاول أصح وعليه أهل السنة فانهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها أهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة انما تكون مما دخلت فيه يدل عليه ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفي رواية فيلج النار الا تحلة القسم أخرجاه في الصحيحين أراد بالقسم قوله تعالى وان منكم الا واردها (م) عن أم مبشر الانصارية أنها سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا ان نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد

ولقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ولقوله ثم ننجي الذين اتقوا اذ النجاة انما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي وقيل الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله اولئك عنها مبعدون واجيب عنه بان المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لان الصراط ممدود عليها فيسلم اهل الجنة ويتقاذف اهل النار وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى حظ كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لآخر أيقنت بالورود قال نعم قال وايقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم التثاقل

{ أطفأ }

ثم لننزعن من كل شيعة)طائفة شاعت أى تبعت غاويا من الغواة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) جرأة أو فجورا أى لنخرجن
من كل طائفة من طوائف الغي اعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم فى النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فاولاهم وقيل
اراد باشدهم عتيا الرؤساء لتضاعف جرمهم

لكونهم ضلالا ومضلين قال سيبويه
ايهم مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التى هى صلته وهو هو من هو اشد حتى لو جئ به لاعرب بالنصب وقيل ايهم هو اشد وهذا لان الصلة توضح الموصول وتبينه كما ان المضاف اليه يوضح المضاف ويخصصه فكما ان حذف المضاف اليه فى من قبل يوجب بناء المضاف وجب ان يكون حذف الصلة او شئ منها موجبا للبناء وموضعها نصب بننزع وقال الخليل هى معربة وهى مبتدأ واشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد على الرحمن عتيا ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اى لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وعلى يتعلق بافعل أى عتوهم أشد على الرحمن (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها) أحق بالنار (صليا) تمييز اى دخولا والباء تتعلق باولى (وان منكم)احد (الا واردها)
داخلها والمراد النار والورود الدخول عند على وابن عباس رضى الله عنهم وعليه جمهور اهل السنة لقوله تعالى فاوردهم النار

جثيا بالكسر ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة ﴾ من كل امة شايعت دينا ﴿ ايهم اشد على الرحمن عتيا ﴾ من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفى ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن كثير من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم فى النار على الترتيب أو يدخل كلا طبقتها التى تليق بهم وايهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزع ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامى وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد أو معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة وعلى اما ان يتعلق بمحذوف يفسره مابعده واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان أو متعلق بافعل وكذا الباء فى قوله ﴿ ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ﴾ أى لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلى أو صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بايهم رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص صليا بكسر الصاد ﴿ وان منكم ﴾ ومامنكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم ﴿ الا واردها ﴾ الا واصلها وحاضر دونها يمر بها

فيجثون على ركبهم جثوا ﴿ ثم لننزعن ﴾ أى لنخرجن ﴿ من كل شيعة ﴾ أى من كل أمة وأهل دين من الكفار ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾ قال ابن عباس يعنى جرأة وقيل فجورا وتمردا وقيل قائدهم ورئيسهم فى الشرك والمعنى أنه يقدم فى ادخال النار الاعتى فالاعتى ممن هو أكبر جرما وأشد كفرا وفى بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فمن كان أشد منهم تمردا فى كفره خص بعذاب أعظم وأشد لان عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره فى الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال فى جميعهم ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴾ ولا يقال أولى الا مع اشتراك القوم فى العذاب وقيل معنى الآية انهم أحق بدخول النار * قوله عز وجل ﴿ وان منكم الا واردها ﴾ أى ومامنكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمر أى والله مامنكم من احد الا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا فى معنى الورود ههنا وفيما تنصرف اليه الكناية فى قوله واردها فقال ابن عباس والاكثرون معنى الورود هنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجى الله الذين اتقوا منها يدل عليه

(ثم لننزعن)لنخرجن (من كل شيعة)من كل أهل دين (أيهم أشد على الرحمن عتيا) جرأة بالقرآن (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها)احق بها (صليا) دخولا (وان منكم) ومامنكم من أحد (الا واردها) داخلها يعنى النار غير النبيين والمرسلين

انكارهم (أولا يذكر الانسان) خفيف شامى ونافع وعاصم من الذكر والسائر بتشديد الذال والكاف وا
يتذكر كقراءة أبى فادغمت التاء فى الذال أى أولا يتدبر والواو عطفت لايذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف
عليه وحرف العطف يعنى أيقول ذلك ولايتذكر حال النشأة الاولى حتى لاينكر النشأة الاخرى فان تلك
على قدرة الخالق حيث أخرج الجوهر والاعراض من العدم الى الوجو

الثانية فليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق (انا خلقناه من قبل) من قبل الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه (ولم يك شيأ) هو دليل على ما بينا وعلى أن المعدوم ليس بشئ خلافا للمعتزلة (فوربك لنحشرنهم) أى الكفار المنكرين للبعث (والشياطين) الواو للعطف وبمعنى مع أوقع أى يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان فى سلسلة وفى اقسام الله باسمه مضافا الى رسوله تفخيم لشان رسوله (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) حال جمع جاث أى [illegible] على الركب ووزنه فعول لان أصله جثو كسجود وساجد أى يقبلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التى كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم

﴿أولا يذكر الانسان﴾ عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف
ان الاصل ان تتقدمهم للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ
فانه لو تذكر وتأمل ﴿انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ﴾ بل كان عدما صرفا لم يقل ذ
فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع
وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذى يراد به التفكر وقرئ
يتذكر على الاصل ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ قسم باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما
لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿والشياطين﴾ عطف أو مفعول معه لما روى
ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم كل مع شيطانه فى سلسلة
وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة
مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم﴾ ليرى السعداء
ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا
غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم ﴿جثيا﴾ على ركبهم
لما يدهمهم من هول المطلع أو لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب
والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد فى مواقف
التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ
جهنم اهانة بهم أو لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة وقرأ حمزة والكسائى وحفص

استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى ﴿أولا يذكر الانسان﴾ أى يتذكر ويتفكر
منكر البعث ﴿انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ﴾ والمعنى أولا يتفكر هذا الجاحد فى
خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة فى البعث
على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لاشك ان الاعادة ثانيا أهون من الايجاد أولا
اقسم بنفسه فقال تعالى ﴿فوربك﴾ وفيه تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿لنحشرنهم﴾
أى لنجمعنهم فى المعاد يعنى المشركين المنكرين للبعث ﴿والشياطين﴾ أى
الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان فى سلسلة ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾
قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل ان البارك على ركبتيه
صورته كصورة الذليل فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى
أمة جاثية قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة فى مواقف المقالات والمناقلات
لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الامور التى لا يطيقون معها القيام على أرجلهم

(أولا يذكر الانسان) أولا يتعظ أبى بن خلف الجمحى (انا خلقناه من قبل) من قبل هذا من نطفة منتنة (ولم يك شيأ) فانى قادر على ان أحييه (فوربك) أقسم بنفسه (لنحشرنهم) يوم القيامة يعنى أبيا وأصحابه (والشياطين ثم لنحضرنهم) لنجمعنهم (حول جهنم) وسط جهنم (جثيا) جميعا

لنافيه(رب السموات والارض ومابينهما) بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السموات والارض ثم قال
لما عرفت انه متصف بهذه الصفات(فاعبده)فاثبت على عبادته(واصطبر لعبادته) أي اصبر على مكافأة الحسود لعبادة
واصبر على المشاق لاجل عبادة الخلاق أي لتتمكن من الاتيان بها (هل تعلم له سميا)شبيها ومثلا أو هل يسمى أحد
غيره لانه مخصوص بالمعبود بالحق أي اذا صح أن لا معبود توجه اليه العباد

ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الآية
حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه
ومالك امور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله
له وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما كان ربك ناسيا لاعمال العاملين
وعدلهم من الثواب عليها وقوله ﴿ رب السموات والارض وما بينهما ﴾ بيان
لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف أو بدل من ربك ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته ﴾
خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه أي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له
ان ينساك أو اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء
الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق
كقولك للمحارب اصطبر لقرنك ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ مثلا يستحق ان يسمى الهاء وأحدا
يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته
وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر أي اذا صح
ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته
والاصطبار على مشاقها ﴿ ويقول الانسان ﴾ المراد به الجنس باسره فان القول مقول
فيهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم اوبعضهم
المعهودهم الكفرة اوابي بن خلف لانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث
بعد موت ﴿ أئذا مامت لسوف اخرج حيا ﴾ من الارض أو من حال الموت وتقديم
الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه
بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد
مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف
الاستقبال وروى عن ابن ذكوان اذا مامت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر

﴿ رب السموات والارض وما بينهما ﴾ أي من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لانه لا بد
له من ... احوالها كلها وفيه دليل على أن فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض
قوله تعالى ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته ﴾ أي اصبر على أمره ونهيه ﴿ هل تعلم له سميا ﴾
قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم أحدا يسمى الله غير الله ﴿ قوله تعالى ﴿ ويقول
الانسان ﴾ أي جنس الانسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث وقيل هو
أبي بن خلف الجمحي وكان منكرا للبعث ﴿ أئذا مامت لسوف أخرج حيا ﴾ قاله

العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها فت أبي بن خلف عظما وقال أنبعث بعد ما صرنا كذا فنزل(ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا) والعامل في اذا مادل عليه الكلام وهو ابعث أي اذا مامت ابعث وانتصابه باخرج ممتنع لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول اليوم لزيد قائم ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما في اذا ما للتوكيد أيضا فكانه قال أحقا انا سنخرج من القبور أحياء حين تمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء

أو جليلك(رب)خالق(السموات والارض ومابينهما)من الخلق والعجائب هو الله (فاعبده) فأطعه(واصطبر لعبادته)
على عبادته(هل تعلم له سميا)أحدا يسمى الله(ويقول الانسان)أبي بن خلف الجمحي بانكار البعث (أئذا مامت لسوف
أخرج من القبر بعد الموت هذا ما لا يكون

(تلك الجنة التى نورث من عبادنا) أى نجعلها ميراث أعمالهم يعنى ثمرتها وعاقبتهما وقيل يرثون المساكين التى كانت لاهل
لو آمنوا الان الكفر موت حكما (من كان تقيا) عن الشرك * عن ابن عباس رضى الله

[illegible] تزورنا
أكثر مما تزورنا فنزل (وما
نتنزل الا بامر ربك) والتنزيل
على معنيين معنى النزول على
مهل ومعنى النزول على
الاطلاق والاول أليق هنا
يعنى ان نزولنا فى الاحايين
وقتا غب وقت ليس الا بامر الله
(له ما بين أيدينا وما خلفنا
وما بين ذلك وما كان ربك
نسيا) أى له ما قدامنا وما
خلفنا من الاماكن وما نحن
فيها فلا نتمالك ان ننتقل من
مكان الى مكان الا بامر الملك
ومشيئته وهو الحافظ العالم
بكل حركة وسكون وما
يحدث من الاحوال لا تجوز
عليه الغفلة والنسيان فانى
لنا أن نتقلب فى ملكوته الا

والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره ﴿ تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا ﴾ نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل فى التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة فى كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد ﴿ وما نتنزل الا بامر ربك ﴾ حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحى ﴿ له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك ﴾ وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان أو لا ننزل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيئته ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ تاركا لك أى ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك

لا تعرف أفضل من الرزق الذى يؤتى به بالبكرة والعشى فوصف الله تعالى الجنة بذلك * وقوله تعالى ﴿ تلك الجنة التى نورث من عبادنا ﴾ أى نعطى وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التى كانت لاهل النار لو آمنوا ﴿ من كان تقيا ﴾ أى المتقين من عباده * قوله عز وجل ﴿ وما نتنزل الا بأمر ربك ﴾ (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبى صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود عن أمر الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبى صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت على حتى ساءظنى واشتقت اليك فقال له جبريل وانى كنت أشوق اليك ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وأنزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى * وقوله ﴿ له ما بين أيدينا وما خلفنا ﴾ أى له علم ما بين أيدينا وما خلفنا وقيل أكد ذلك بقوله له ما بين أيدينا وما خلفنا أى هو المدبر لنا فى كل الاوقات الماضى والمستقبل وقيل معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا أى ما مضى من الدنيا ﴿ وما بين ذلك ﴾ أى من هذا الوقت الى أن تقوم الساعة وقيل ما بين ذلك أى ما بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وقيل ما بين أيدينا ما بقى من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك أى مدة حياتنا ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ أى ناسيا أى ما نسيك ربك وما تركك

وعشية فى الدنيا (تلك الجنة) هذه الجنة (التى نورث) ننزل (من عبادنا من كان تقيا) من الكفر والشرك ويقال مطيع لربه (وما نتنزل) من السماء (الا بامر ربك) يا محمد قال له جبريل ذلك حين حبس الله عنه الوحى فيما سأله [illegible] عن الروح وذى [illegible] الكهف (له ما بين أيدينا) من أمر الآخرة (وما خلفنا) من أمر الدنيا (وما بين ذلك) ما بين النفختين (وما كان) (رب) ربك نسيا) لم ينسك ربك

بم الياء وفتح الخاء مكي وبصري وأبو بكر (ولا يظلمون شيأ) أي لا ينقصون شيأ من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه
بل يضاعف لهم أو لا يظلمون شيأ من الظلم (جنات) بدل من الجنة لان الجنة تشتمل على جنات عدن لانها جنس أو نصب على المدح
(عدن) معرفة لانها علم لمعنى العدن وهو الاقامة أو علم لارض الجنة لكونها مقام اقامة (التي وعد الرحمن عباده) أي عباده التائبين
المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولانه أضافهم اليه وهو للاختصاص وهؤلاء أهل الاختصاص
(بالغيب) أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أوهم غائبون عنها لا يشاهدونها
(انه) ضمير الشأن أو ضمير الرحمن (كان وعده) أي موعوده وهو الجنة (مأتيا) أي هم يأتونها (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) فحشا أو كذبا أو ما لا طائل تحته من الكلام وهو المطروح منه وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التي لا تكليف فيها (الا سلاما) أي لكن يسمعون سلاما من الملائكة أو من بعضهم على بعض أو لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا اذ لا ليل ولا نهار ثمة
لانهم في النور أبدا وانما يعرفون مقدار النهار (قا و خا ٢٢ بع) برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها والرزق بالبكرة
والعشي أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك وقيل اراد دوام الرزق كما تقول انا عند فلان بكرة وعشيا تريد الدوام

﴿ ولا يظلمون شيأ ﴾ ولا ينقصون شيأ من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيأ
على المصدر وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم ﴿ جنات
عدن ﴾ بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها أو منصوب على المدح وقرئ بالرفع
على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم أو علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة
ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله ﴿ التي وعد الرحمن عباده بالغيب ﴾ أي وعدها
اياهم وهي غائبة عنهم أو وهم غائبون عنها أو وعدهم بايمانهم بالغيب ﴿ انه ﴾ ان الله
﴿ كان وعده ﴾ الذي هو الجنة ﴿ مأتيا ﴾ يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو
من اتى اليه احسانا أي مفعولا منجزا ﴿ لا يسمعون فيها لغوا ﴾ فضول كلام ﴿ الا سلاما ﴾ ولكن
يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة أو الا تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم
على بعض على الاستثناء المنقطع أو على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أو على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته
الاكرام ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾ على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة

ولا يظلمون شيأ ﴾ أي لا ينقصون شيأ ثم وصف الجنة فقال تعالى ﴿ جنات عدن ﴾ بساتين
اقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم ﴿ التي وعد الرحمن عباده بالغيب ﴾
أي انهم لا يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها ﴿ انه كان وعده مأتيا ﴾ أي آتيا وقيل معنى
وعده موعوده وهو الجنة مأتيا أي يأتيه أولياء الله وأهل طاعته ﴿ لا يسمعون فيها لغوا ﴾ أي باطلا
وفحشا وهو فضول الكلام ﴿ الا سلاما ﴾ يعني بل يسمعون فيها سلاما السلام اسم جامع للخير
لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم انما يسمعون تسليمهم
وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم ﴿ ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾ قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة
والعشي بل هم في نور أبدا ولكنهم يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم
في الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل
المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير وقيل كانت العرب

ولا يظلمون شيأ) لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيآتهم ثم بين أي الجنة لهم فقال (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده
بالغيب) بالغائب عنهم (انه كان وعده مأتيا) كائنا (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) حلفا باطلا (الا سلاما) لكن يسلم بعضهم
على بعض للاكرام (ولهم رزقهم فيها) طعامهم في الجنة (بكرة وعشيا) على مقدار بكرة

وابكوا وان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المرى قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ف
لى ياصالح هذه القراءة فاين البكاء ويقول فى سجود التلاوة سبحان ربى ا

ثلاثا (فخلف من بعدهم) فجاء من بعد هؤلاء المفضلين (خلف) أولاد سوء وبفتح اللام العقب الخير عن ابن عباس هم اليهود (أضاعوا الصلوة) تركوا الصلاة المفروضة (واتبعوا الشهوات) ملاذ النفوس وعن على رضى الله عنه من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة رضى الله عنه هو فى هذه الامة (فسوف يلقون غيا) جزاء غى وكل شر عند العرب غى وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود هو واد فى جهنم أعد للمصرين على الزنا وشارب الخمر وآكل الربا والعاق وشاهد الزور (الامن تاب) رجع عن كفره (وآمن) بشرطه (وعمل صالحا) بعد إيمانه (فاولئك يدخلون الجنة)

الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم مع مالهم من علو الطبقة فى شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عزوجل وع
النبى عليه السلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكى جمع باك كالسجود ج
ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقى وقرأ حمزة والكسائى بكيا بكسر الب
﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفت
وخلف سوء بالسكون ﴿ اضاعوا الصلوة ﴾ تركوها أواخروها عن وقتها ﴿ واتبعوا
الشهوات ﴾ كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك فى المعاصى
وعن على رضى الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى المشيد وركب المنظور ولبس
المشهور ﴿ فسوف يلقون غيا ﴾ شرا كقوله

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لايعدم على الغى لائما

اوجزاء غى كقوله يلق اثاما اوغيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها ﴿ الامن تاب وآمن وعمل صالحا ﴾ يدل على ان الآية فى الكفرة ﴿ فاولئك يدخلون الجنة ﴾ وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل

هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك السجدة فان
قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك والخاشعين لك وان قرأ سجدة مريم
قال اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وان سجد
سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك
ان أكون من المستكبرين عن أمرك * قوله تعالى ﴿ فخلف من بعدهم ﴾ أى من بعد
النبيين المذكورين ﴿ خلف ﴾ أى قوم سوء أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل
هم فى هذه الامة ﴿ أضاعوا الصلوة ﴾ أى تركوا الصلاة المفروضة وقيل أخروها
عن وقتها وهو ان لايصلى الظهر حتى يأتى العصر ولا العصر حتى تأتى المغرب ﴿ واتبعوا
الشهوات ﴾ أى آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصى وشرب
الخمور وقيل هؤلاء قوم يظهرون فى آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض فى الاسواق
والازقة ﴿ فسوف يلقون غيا ﴾ قال ابن عباس الغى واد فى جهنم وان أودية جهنم لتستعيذ
من حره أعد للزانى المصر عليه ولشارب الخمر المدمن له ولآكل الربا الذى لاينزع عنه
ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل
قيحا ودما وقيل هو واد فى جهنم أبعدها قعرا وأشدها حرا فيه بئر تسمى الهيم كلما خبت
جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا وعذابا وليس
معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية * قوله تعالى ﴿ الامن
تاب وآمن وعمل صالحا ﴾ يعنى الامن تاب من التقصير فى الصلوات والمعاصى وآمن من
الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى ﴿ فاولئك يدخلون الجنة

الله (فخلف) فبقى (من بعدهم) من بعد الانبياء والصالحين (خلف) سوء (أضاعوا الصلوة) تركوا الصلاة وكفروا بالله (واتبعوا الشهوات) اشتغلوا باللذات فى الدنيا وتزوج الاخوات من الاب وهم اليهود (فسوف يلقون غيا) واديا فى جهنم (الامن تاب)
من اليهود (وآمن) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (فاولئك يدخلون الجنة ﴾ ولا

(لئـك) اشـارة الى المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين) من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم (من ذرية آدم) من للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد أبى نوح (وممن حملنا مع نوح) ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) اسمعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أى ومن ذرية اسرائيل أى يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيي وعيسى لان مريم من ذريته (وممن) يحتمل العطف على من الاولى والثانية (هدينا) لمحاسن الاسلام (واجتبينا) من الانام أو لشرح الشريعة وكشف الحقيقة (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن) أى اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف ان جعلت الذين خبر الاولئك وان جعلته صفة له كان خبرا يتلى بالياء قتيبة لوجود الفاصل مع ان التأنيث غير حقيقى (خروا سجدا) سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة (وبكيا) باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود فى جمع ساجد وقاعد فى الحديث اتلوا القرآن

(أولئك الذين) ذكرتهم ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وموسى وهرون وعيسى وادريس وسائر الانبياء (أنعم الله عليهم من النبيين) أكرمهم الله بالنبوة والرسالة والاسلام (من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح) من ذرية نوح أولاده (ومن ذرية ابراهيم) اسمعيل واسحق (واسرائيل) ومن ذرية يعقوب يوسف واخوته (وممن هدينا) أكرمنا بالايمان (واجتبينا) اصطفينا بالاسلام ومتابعة النبى صلى الله عليه وسلم يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه (اذا تتلى عليهم) اذا تقرأ عليهم (آيات الرحمن) بالامر والنهى (خروا سجدا وبكيا) يسجدون ويبكون من مخافة

والرابعة ﴿ اولئك ﴾ اشارة الى المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس ﴿ الذين انعم الله عليهم ﴾ بانواع النعم الدينية والدنيوية ﴿ من النبيين ﴾ بيان للموصول ﴿ من ذرية آدم ﴾ بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية ﴿ وممن حملنا مع نوح ﴾ أى ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ﴿ ومن ذرية ابراهيم ﴾ الباقون ﴿ واسرائيل ﴾ عطف على ابراهيم أى ومن ذرية اسرائيل كان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيي وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية ﴿ وممن هدينا ﴾ ومن جملة من هديناه الى الحق ﴿ واجتبينا ﴾ للنبوة والكرامة ﴿ اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ﴾ خبر لاولئك ان جعلت

لها بمخرجين فلست أخرج فاوحى الله تعالى الى ملك الموت باذنى دخل الجنة وبامرى لايخرج فهو حى هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا واختلفوا فى انه حى فى السماء أم ميت فقال قوم هو ميت واستدل بالاول وقال قوم هو حى واستدل بهذا وقالوا أربعة من الانبياء أحياء اثنان فى الارض وهما الخضر والياس واثنان فى السماء وهما ادريس وعيسى * قوله عز وجل ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين ﴾ أولئك اشارة الى المذكورين فى هذه السورة انعم الله عليهم بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه ﴿ من ذرية آدم ﴾ يعنى ادريس ونوحا ﴿ وممن حملنا مع نوح ﴾ أى ومن ذرية من حملنا مع نوح فى السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح ﴿ ومن ذرية ابراهيم ﴾ يعنى اسحق واسمعيل ويعقوب ﴿ واسرائيل ﴾ اى ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيي وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى ﴿ وممن هدينا واجتبينا ﴾ أى هؤلاء ممن أرشدنا واصطفينا وقيل ممن هدينا الى الاسلام واجتبينا على الانام ﴿ اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا ﴾ جمع ساجد ﴿ وبكيا ﴾ جمع باك أخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا اذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن

فصل

فى سجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوة

ورفعناه مكانا عليا ﴾ يعنى شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة

تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة ﴿ ورفعناه مكانا عليا ﴾ قيل هى الرفعة بعلو المرتبة فى الدنيا وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ماروى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رأى ادريس فى السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه ﴿ وكان سبب رفع ادريس الى السماء الرابعة على ماقاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم فى حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يارب انى مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالايعرف فقال يارب خلقتنى لحر الشمس فما الذى قضيت فيه قال ان عبدى ادريس سألنى ان أخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يارب فاجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فاذن له حتى أتى ادريس فكان ادريس يسأله فكان مما سأله ان قال انى أخبرت انك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لى اليه ليؤخر أجلى لعلى أزداد شكرا وعبادة فقال الملك لايؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها وأنا مكلمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة صديق لى من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال ملك الموت ليس لى ذلك ولكن ان أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فقال انك كلمتنى فى انسان ماأراه يموت ابدا قال وكيف ذلك فقال لا أجده يموت الا عند مطلع الشمس قال انى أتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا أراك تجده الا وقد مات فوالله مابقى من عمر ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا وقال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل مايرفع لجميع أهل الارض فى زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه فى زيارته فاذن له فاتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى الطعام فابى ان يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له فى الليلة الثالثة انى أريد ان أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربى ان أصحبك فقال لى اليك حاجة قال وماهى قال تقبض روحى فاوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فاكون أشد استعدادا له ثم قال له ادريس لى اليك حاجة أخرى قال وماهى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فاذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وماهى قال أريد ان أسأل مالكا ان يرفع أبوابها فاردها ففعل قال فكما أريتنى النار فارنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله اليه ملكا حكما بينهما قال له الملك مالك لاتخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته ثم قال وان منكم الا واردها فقد وردتها وقال وماهم

عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل معناه رفعته الملائكة الى السماء الرابعة وقد رآه النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيها وعن الحسن الى الجنة لاشئ أعلى من الجنة وذلك انه حبب لكثرة عبادته الى الملائكة فقال لملك الموت اذقنى الموت يهن على ففعل ذلك باذن الله فحيي وقال أدخلنى النار أزدد رهبة ففعل ثم قال ادخلنى الجنة أزدد رغبة ثم قال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة فقال الله عز وجل باذنى فعل وباذنى دخل فدعه

الله (ورفعناه مكانا عليا) فى الجنة

(واذكر في الكتاب اسمعيل) هو ابن ابراهيم في الاصح (انه كان صادق الوعد) وافيه وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يعود اليه فانتظره سنة في مكانه حتى عاد وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى وقيل لم يعد ربه موعدا الا أنجزه وانما خصه بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له وكأنه المشهور من خصاله (وكان رسولا) الى جرهم (نبيا) مخبرا منذرا (وكان يأمر أهله) أمته لان النبي أبو أمته وأهل بيته وفيه دليل على انه لم يداهن غيره (بالصلوة والزكوة) يحتمل انه انما خصت هاتان العبادتان لانهما اما العبادات البدنية والمالية (وكان عند ربه مرضيا) قرئ مرضوا على الاصل (واذكر في الكتاب ادربس) هو اخنوخ أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة فقاتل بني قابيل وقولهم سمي به لكثرة دراسته كتب الله لايصح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة (انه كان صديقا نبيا) أنزل الله

حال منه ﴿واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد﴾ ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى ﴿وكان رسولا نبيا﴾ يدل على ان الرسول لايلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته ﴿وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة﴾ اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم ﴿وكان عند ربه مرضيا﴾ لاستقامة اقواله وافعاله ﴿واذكر في الكتاب ادريس﴾ وهو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس عليهما السلام من الدرس يرده منع صرفه نعم لايبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روى انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب ﴿انه كان صديقا نبيا

وكان هرون أكبر من موسى * قوله عز وجل ﴿واذكر في الكتاب اسمعيل﴾ هو اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم ﴿انه كان صادق الوعد﴾ قيل انه لم يعد شيأ الا وفى به وقيل انه وعد رجلا ان يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف اسمعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف سئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى أي وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده في وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة أخرى ﴿وكان رسولا﴾ الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر أم اسمعيل بوادي مكة حين خلفهم ابراهيم وجرهم هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان أبو قبائل اليمن ﴿نبيا﴾ أي مخبرا عن الله تعالى ﴿وكان يأمر أهله﴾ أي قومه وجميع امته ﴿بالصلوة والزكوة﴾ قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهي الحنيفية التي افترضت علينا وقيل كان يبدأ باهله في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم ﴿وكان عند ربه مرضيا﴾ أي قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لان المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعة باعلى الدرجات * قوله عز وجل ﴿واذكر في الكتاب ادريس﴾ هو جد أبي نوح واسمه اخنوخ سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر في علم الحساب ﴿انه كان صديقا نبيا﴾ وذلك ان الله

(واذكر في الكتاب اسمعيل) خبر اسمعيل (انه كان صادق الوعد) اذا وعد أنجز (وكان رسولا) مرسلا الى قومه (نبيا) يخبر عن الله (وكان يأمر أهله) قومه (بالصلوة) باتمام الصلاة (والزكوة) باعطاء الزكاة الصدقة (وكان عند ربه مرضيا) صالحا (واذكر في الكتاب ادريس) خبر ادريس (انه كان صديقا) مصدقا بايمانه (نبيا) يخبر عن

(وجعلنا لهم لسان صدق) ثناء حسنا وهو الصلاة على ابراهيم وآل ابراهيم في الصلوات وعبر باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية (عليا) رفيعا مشهورا (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) كوفي غير المفضل أي أخلصه واصطفاه ومخلصا بالكسر غيرهم أي أخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص بما له من السعادة باصل الفطرة ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة (وكان رسولا نبيا) الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع (وناديناه) دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة (من جانب الطور) هو جبل بين مصر ومدين (الايمن) من اليمين أي من ناحية اليمين والجمهور على أن المراد أيمن موسى عليه السلام لان الجبل لا يمين له والمعنى انه حين أقبل من مدين يريد مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام (وقربناه) تقريب منزلة ومكانة لا منزل ومكان (نجيا) حال أي مناجيا كنديم بمعنى منادم (ووهبنا له من رحمتنا) من أجل رحمتنا له وترؤفنا عليه (أخاه) مفعول (هرون) بدل منه (نبيا) حال أي وهبنا له نبوة أخيه والا فهرون كان أكبر سنا منه

﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل ﴿واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا﴾ موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء أو اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه ﴿وكان رسولا نبيا﴾ ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى ﴿وناديناه من جانب الطور الايمن﴾ من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى أو من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة ﴿وقربناه﴾ تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته ﴿نجيا﴾ مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روى انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ من اجل رحمتنا أو بعض رحمتنا ﴿أخاه﴾ معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول أو بدل على تقدير ان تكون من للتبعيض ﴿هرون﴾ عطف بيان له ﴿نبيا﴾

أي مع ما وهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك أنه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ يعني ثناء حسنا رفيعا في أهل كل دين حتى ادعاهم أهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم ❊ قوله عز وجل ﴿واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا﴾ قرئ بكسر اللام أي أخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يراء وقرئ بالفتح أي مختارا اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه ﴿وكان رسولا نبيا﴾ فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا عكس ﴿وناديناه من جانب الطور الايمن﴾ أي من ناحية يمين موسى والطور جبل معروف بين مصر ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودي ياموسى اني أنا الله رب العالمين ﴿وقربناه﴾ قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته أي وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى ﴿نجيا﴾ أي مناجيا ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا﴾ وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لي وزيرا من أهل هرون أخي فاجاب الله دعوته وارسل الى هرون ولذلك سماه هبة له

حالا (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) أكرمناهم بالثناء الحسن (واذكر في الكتاب موسى) خبر موسى (انه كان مخلصا) (وكان) معصوما من الكفر والشرك والفواحش ويقال مخلصا بالعبادة والتوحيد ان قرأت بكسر اللام (وكان رسولا) الى بني اسرائيل (نبيا) يخبر عن الله تعالى (وناديناه من جانب الطور) الجبل (الايمن) عن يمين موسى (وقربناه نجيا) أي قربناه حتى سمع صرير القلم ويقال كلمناه من قريب (ووهبنا له من رحمتنا) من نعمتنا (أخاه هرون نبيا) وزيرا معينا

يعنى الشتم والذم أوبالحجارة حتى تموت أوتبعد عنى ﴿ واهجرنى ﴾ عطف على مادل عليه لارجمنك أى فاحذرنى واهجرنى ﴿ مليا ﴾ زمانا طويلا من الملاوة أومليا بالذهاب عنى ﴿ قال سلام عليك ﴾ توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اى لااصيبك بمكروه ولااقول لك بعدمايؤذيك ولكن ﴿ سأستغفر لك ربى ﴾ لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقدمر تقريره فى سورة التوبة ﴿ انه كان بى حفيا ﴾ بليغا فى البر والالطاف ﴿ واعتزلكم وماتدعون من دون الله ﴾ بالمهاجرة بدينى ﴿ وادعوا ربى ﴾ واعبده وحده ﴿ عسى ان لا اكون بدعاء ربى شقيا ﴾ خائبا ضائع السعى مثلكم فى دعاء آلهتكم وفى تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجبتين وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب ﴿ فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله ﴾ بالهجرة الى الشام ﴿ وهبنا له اسحق ويعقوب ﴾ بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء أولانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد ﴿ وكلا جعلنا نبيا ﴾ وكلا منهما أومنهم ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾ النبوة والاموال والاولاد

عباس معناه لاضربنك وقيل ولاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك وقيل لابعدنك عنى بالقول القبيح والقول الاول هو الصحيح ﴿ واهجرنى ﴾ اى اجتنبنى قال ابن عباس اعتزلنى سالما لايصيبنك منى معرة ﴿ مليا ﴾ اى دهرا طويلا ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ سلام عليك ﴾ اى سلمت منى لااصيبك بمكروه وذلك لانه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه ﴿ سأستغفر لك ربى ﴾ قيل انه لما أعياه أمره وعده ان يراجع الله فيه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له وقيل معناه سأسأل لك ربى توبة تنال بها المغفرة ﴿ انه كان بى حفيا ﴾ أى برا لطيفا والمراد انه يستجيب لى اذا دعوته لانه عودنى الاجابة لدعائى ﴿ وأعتزلكم وماتدعون من دون الله ﴾ أى أفارقكم وأفارق ماتعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر الى الارض المقدسة ﴿ وأدعوا ربى ﴾ أى أعبد ربى الذى خلقنى وأنعم على ﴿ عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا ﴾ أى أرجو ان لا أشقى بدعاء ربى وعبادته كما تشقون أنتم بعبادة الاصنام فيه التواضع له مع التعريض بشقاوتهم * قوله عز وجل ﴿ فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله ﴾ أى ذهب مهاجرا ﴿ وهبنا له ﴾ أى بعد الهجرة ﴿ اسحق ويعقوب ﴾ أى آنسنا وحشته من فراقهم باولاد أكرم على الله من أبيه ﴿ وكلا جعلنا نبيا ﴾ أى انعمنا عليهما بالنبوة ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾

واهجرنى) عطف على محذوف يدل عليه لارجمنك تقديره فاحذرنى واهجرنى (مليا) ظرف أى زمانا طويلا من الملاوة قال سلام عليك) سلام توديع ومتاركة أو تقريب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار بقوله (سأستغفر لك ربى) سأسأل ان يجعلك من أهل المغفرة بان يهديك (انه كان بى حفيا) ملطفا بعموم النعم أورحيما أو مكرما والحفاوة الرأفة والرحمة والكرامة (واعتزلكم) اراد بالاعتزال المهاجرة من ارض بابل الى الشام (وماتدعون من دون الله) أى ماتعبدون من أصنامكم (وأدعوا) واعبد (ربى) ثم قال تواضعا وهضما للنفس ومعرضا بشقاوتهم بدعاء آلهتهم (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) أى كما شقيتم أنتم بعبادة الاصنام (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله)فلما اعتزل الكفار ومعبودهم (وهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) نافلة ليستأنس بهما (وكلا) كل واحد منهما (جعلنا نبيا) أى لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه أولادا مؤمنين أنبياء (ووهبنا لهم من رحمتنا)هى المال والولد

(واهجرنى مليا) واعتزلنى مادمت حيا و يقال اتركنى ولاتكلمنى طويلا ويقال دهرا (قال) ابراهيم (سلام عليك سأستغفر لك ربى) أدعو لك ربى (انه كان بى حفيا) عالما ان أراد أن يستجيب دعوتى (وأعتزلكم) أتركم وماتدعون) تعبدون (من دون الله) من الاوثان (وأدعوا ربى) أعبد ربى (عسى) وعسى من الله واجب (ألا أكون بدعاء ربى) بعبادة ربى (شقيا) خائبا (فلما اعتزلهم) تركهم (ومايعبدون من دون الله) من الاوثان (وهبنا له اسحق) الضاحك (ويعقوب) ولد ولده (وكلا) ابراهيم واسحق ويعقوب (جعلنا نبيا) أكرمناهم بالنبوة والاسلام (ووهبنا لهم من رحمتنا) من نعمتنا ولدا صالحا ومالا

(ياأبت انى أخاف) أى أعلم (ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا فى النار تليه ويليك فانظر فى نصيحته كيف راعى

المجاملة والرفق والخلق الحسن كما امر فى الحديث أوحى الى ابراهيم انك خليلى حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار

فطلب منه أولا العلة فى خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان من يعبد أشرف الخلق منزلة وهم الانبياء كان

محكوما عليه بالغى المبين فكيف بمن يعبد حجرا أو شجرا لا يسمع ذكر عابده ولا يرى هيآت عبادته ولا يرفع عنه بلاء ولا يقضى له حاجة

ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معى شيأ من العلم ليس

معك وذاك علم الدلالة على

الطريق السوى فهب انى واياك فى مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعنى أنجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بنهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذى عصى الرحمن الذى جميع النعم منه أوقعك فى عبادة الصنم وزينها لك فانت عابده فى الحقيقة ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ماهو فيه من التبعة والوبال مع مراعاة الادب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به وان العذاب لاصق به بل قال أخاف أن يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كانه قال انى أخاف أن يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب كما ان رضوان الله أكبر من الثواب فى نفسه وصدر كل نصيحة [illegible] اليه واستعطافا واشعارا بوجوب احترام الاب وان كان كافرا ثم (قال) آزر توبيخا (أراغب أنت عن آلهتى ياابراهيم) أى أترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل ياأبت ببابنى وقدم الخبر على المبتدأ لانه كان أهم عنده (لئن لم تنته) عن شتم الاصنام (لأرجمنك) لاقتلنك بالرجام أو لاضربنك بها حتى تتباعد أو لاشتمنك

ومعلوم ان المطاوع للعاصى عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر اليه فقال ﴿ ياابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ﴾ قرينا فى اللعن أو العذاب تليه ويليك أو ثابتا فى موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة أو لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته فى الربانية أو لانه ملاكها أو لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها ﴿ قال اراغب انت عن آلهتى ياابراهيم ﴾ قابل استعطافه ولطفه فى الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل ياابت ببابنى واخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لايرغب عنها عاقل ثم هدده فقال ﴿ لئن لم تنته ﴾ عن مقالك فيها أو الرغبة عنها ﴿ لأرجمنك ﴾ بلسانى

﴿ ياأبت انى أخاف ﴾ أى أعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن أن يؤمن فيكون من أهل الجنة أو يصر على الكفر فيكون من أهل النار فحمل الخوف على ظاهره أولى ٭ واعلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام فى غاية الحسن مقرونا بالتلطف والرفق فان قوله فى مقدمة كلامه ياأبت دليل على شدة الحب والرغبة فى صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه أولا على مايدل على المنع من عبادة الاصنام ثم أمره باتباعه فى الايمان ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة فى العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على مالاينبغى بقوله انى أخاف ﴿ أن يمسك ﴾ أى يصيبك ﴿ عذاب من الرحمن ﴾ أى ان أقمت على الكفر ﴿ فتكون للشيطان وليا ﴾ أى قرينا فى النار وقيل صديقا له فى النار وانما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع أبيه لامور أحدها لشدة تعلق قلبه بصلاحية أبيه وأداء حق الابوة والرفق به وثانيها أن النبى الهادى الى الحق لابد أن يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل أحد فالاب أولى ﴿ قال ﴾ يعنى أباه مجيباله ﴿ أراغب انت عن آلهتى ياابراهيم ﴾ أى أتاركها انت وتارك عبادتها ﴿ لئن لم تنته ﴾ اى ترجع وتسكت عن عيبك آلهتنا وشتمك اياها ﴿ لأرجمنك ﴾ قال ابن عباس

(ياأبت انى أخاف) أعلم (أن يمسك) يصيبك (عذاب من الرحمن) ان لم تؤمن به (فتكون للشيطان وليا) قرينا فى النار (قال) آزر (أراغب أنت عن آلهتى) عن عبادة آلهتى (ياابراهيم لئن لم تنته) عن مقالتك (لأرجمنك) لاسبنك ويقال لاقتلنك

[الج]ملة وقعت اعتراضا بين ابراهيم وبين ماهو بدل منه وهو (اذ قال) وجاز ان يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أى كان جامعا [لخص]ائص الصديقين والانبياء حين خاطب أباه بتلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته فى الكتاب أن يتلو [ذلك] على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده فى تنزيله (لابيه ياأبت) بكسر [التا]ء وفتحها ابن عامر والتاء عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا أبتى لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه (لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر) المفعول فيهما منسى غير منوى ويجوز ان يقدر أى لا يسمع شيأ ولا يبصر شيأ (ولا يغنى عنك شيأ) يحتمل أن يكون شيأ فى موضع المصدر أى شيأ من الاغناء وان يكون مفعولا به من قولك أغن عنى وجهك أى بعد (يا أبت انى قد جاءنى من العلم) الوحى أو معرفة الرب (مالم يأتك) ما فى مالا يسمع ومالم يأتك يجوز ان تكون موصولة أو موصوفة (فاتبعنى أهدك) أرشدك (صراطا سويا) مستقيما (يا أبت لا تعبد الشيطان) لا تطعه فيما سول من عبادة الصنم (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) عاصيا

استنبأه الله تعالى ﴿ اذ قال ﴾ بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض أو متعلق بكان أو بصديقا نبيا ﴿ لابيه يا أبت ﴾ التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا أبتى ويقال يا أبتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها ﴿ لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ﴾ فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ﴿ ولا يغنى عنك شيأ ﴾ فى جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى و بين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التى تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التى هى غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغى ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشئ لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهى مستقلا بالنظر السوى فقال ﴿ يا ابت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا ﴾ ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له فى مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه فى الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال ﴿ يا ابت لا تعبد الشيطان ﴾ واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله ﴿ ان الشيطان كان للرحمن عصيا ﴾

فى كونه صديقا وقيل الصديق الكثير التصديق قيل من صدق الله فى وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبى انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبى العالى فى الرتبة بارسال الله اياه وأى رتبة أعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده ﴿ اذ قال لابيه ﴾ يعنى آزر وهو يعبد الاصنام ﴿ يا أبت لم تعبد مالا يسمع ﴾ يعنى صوتا ﴿ ولا يبصر ﴾ ولا ينظر شيأ ﴿ ولا يغنى عنك ﴾ أى يكفيك ﴿ شيأ ﴾ وصف الاصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها قادح فى الالهية وذلك أن العبادة هى غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها الا من له ولاية الانعام وله أوصاف الكمال وهو الله فلا يستحق العبادة الا هو ﴿ يا أبت انى قد جاءنى من العلم ﴾ يعنى بالله والمعرفة ﴿ مالم يأتك فاتبعنى ﴾ أى على دينى ﴿ أهدك صراطا سويا ﴾ أى مستقيما ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان ﴾ أى لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك ﴿ ان الشيطان كان للرحمن عصيا ﴾ أى عاصيا

(اذ قال لابيه) آزر (يا أبت لم تعبد) من دون الله (مالا يسمع) ان دعوته (ولا يبصر) ان عبدته (ولا يغنى عنك شيأ) من عذاب الله (يا أبت انى قد جاءنى) من الله (من العلم) البيان (مالم يأتك) مالم يجئ اليك أن من عبد غير الله يعذبه الله تعالى بالنار (فاتبعنى) (ق و خا ٢١ بع) فى دين الله (أهدك صراطا سويا) أدلك الى طريق عدل قائم برضاه وهو الاسلام (يا أبت لا تعبد الشيطان) لا تطع الشيطان فى عبادة الاصنام (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) كافرا

(اذ) بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة وهو مصدر (قضى الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة و[النار]
(وهم في غفلة) هنا عن الاهتمام لذلك المقام (وهم لا يؤمنون) لا يصدقون به وهم وهم حالان اى وانذرهم على هذه الحال غافلين
مؤمنين (انا نحن نرث الارض) (ومن عليها) اى نتفرد بالملك والبقاء عند تعميم الـ[ـهلاك]
والفناء وذكر من لتغليب العقلاء (والينا يرجعون) بضم الياء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب أى يردون فيجازون جزاء وفاقا (واذكر) لقومك (في الكتاب) القرآن (ابراهيم) قصته مع أبيه (انه كان صديقا نبيا) بغير همز وهمزه نافع قيل الصادق المستقيم في الافعال والصديق المستقيم في الاحوال فالصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والمراد فرط صدقه وكثرة ماصدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله اى كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه وهذه

احسانه ﴿اذ قضى الامر﴾ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة ﴿وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ حال متعلقة بقوله في ضلال مبين ومابينهما اعتراض او بانذرهم اى انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل ﴿انا نحن نرث الارض ومن عليها﴾ لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه ﴿والينا يرجعون﴾ يردون للجزاء ﴿واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا﴾ ملازما للصدق او كثير التصديق لكثرة ماصدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله ﴿نبيا﴾

أكثر المفسرين يعني يوم الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد ياأهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قدرآه ثم ينادي مناد آخر ياأهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قدرآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول ياأهل الجنة خلود بلا موت وياأهل النار خلود بلا موت ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده الى الدنيا زاد الترمذي فيه فلو أن أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة ولو ان أحدا مات حزنا لمات أهل النار قوله كهيئة كبش أملح الاملح المختلط بالبياض والسواد قوله فيشرفون يقال أشرف الى الشئ اذا تطلع ينظر اليه ومال نحوه بنفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم أن الموت عرض ليس بجسم في صورة كبش أو غيره فعلى هذا يتأول الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يبقى يرجى له حياة ولا وجود وكذلك حال أهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لهما ولا انتقال (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادي مناد ياأهل الجنة لا موت وياأهل النار فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة أحد الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار أحد الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة أخرجه البخاري ✽ وقوله تعالى ﴿اذ قضى الامر﴾ أي فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت ﴿وهم في غفلة﴾ أي عما يراد بهم في الآخرة ﴿وهم لا يؤمنون﴾ أي لا يصدقون ﴿انا نحن نرث الارض ومن عليها﴾ أي نميت سكان الارض جميعا ويبقى الله سبحانه وتعالى وحده فيرثهم ﴿والينا يرجعون﴾ فنجزيهم باعمالهم ✽ قوله عز وجل ﴿واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا﴾ أي كثير الصدق وهو مبالغة

الندامة (اذ قضى الامر) فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت (وهم في غفلة) في جهالة وعمى عن ذلك (وهم لا يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والبعث بعد الموت (انا نحن نرث الارض) نملك الارض (ومن عليها) نملك من عليها ويقال نميت من فيها ونرث من عليها نميتهم ونحييهم (والينا يرجعون) يوم القيامة فاجزيهم بأعمالهم الحسنة بالحسنة والسيئة بالسيئة (واذكر في الكتاب) (في) ابراهيم) خبر ابراهيم (انه كان صديقا) مصدقا بايمانه (نبيا) مرسلا يخبر عن الله

ختلفوا في عيسى حين رفع ثم اتفقوا على ان يرجعوا الى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكان
ال يعقوب هوالله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وقال نسطور كان ابن الله أظهره ماشاء ثم رفعه اليه وقال الثالث كذبوا
ن عبدالله مخلوق ونبيه فتبع كل واحد منهم قوم (فويل للذين كفروا) من الاحزاب اذ تواحد منهم على الحق (من مشهد يوم
يم) هو يوم القيامة او من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم
ئكة والانبياء وجوارهم بالكفر او من مكان الشهادة او وقتها أو المراد يوم
اجتماعهم للتشاور فيه وجعله
عظيما لفظاعة ماشهدوا به
في عيسى (اسمع بهم وأبصر
يوم يأتوننا) الجمهور على
ان لفظه أمر معناه التعجب
والله تعالى لايوصف بالتعجب
ولكن المراد ان اسماعهم
وابصارهم جدير بان يتعجب
منهما بعدما كانوا صما وعميا
في الدنيا قال قتادة ان عموا
وصموا عن الحق في الدنيا
فما أسمعهم وما أبصرهم
بالهدى يوم لاينفعهم وبهم
مرفوع المحل على الفاعلية
كاكرم بزيد فمعناه كرم زيد
جدا (لكن الظالمون اليوم)
أقيم الظاهر مقام المضمر أي
لكنهم اليوم في الدنيا ظلموا
أنفسهم حيث تركوا الاستماع
والنظر حين يجدي عليهم
ووضعوا العبادة في غير موضعها
(في ضلال) عن الحق
(مبين) ظاهر وهو اعتقادهم
عيسى الها معبودا مع ظهور
آثار الحدث فيه اشعارا بأن
لاظلم أشد من ظلمهم
انذرهم) خوفهم (يوم الحسرة) يوم القيامة لانه يقع فيه الندم على مافات وفي الحديث اذا رأوا منازلهم في الجنة ان لو آمنوا

اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هوالله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبدالله ونبيه ﴿ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيامة او من وقت الشهود او من مكانه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وآرابهم وارجلهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ماشهدوا به في عيسى وامه ﴿ اسمع بهم وابصر ﴾ تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم ﴿ يوم يأتوننا ﴾ اى يوم القيامة جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميا في الدنيا والتهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب ﴿ لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴾ اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال مبين ﴿ وانذرهم يوم الحسرة ﴾ يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة

فرق في أمر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية ﴿ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ يعني يوم القيامة حين ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾ أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لاينفعهم السمع والبصر أخبر انهم يسمعون ويبصرون في الآخرة مالم يسمعوا ويبصروا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم ﴿ يوم يأتوننا ﴾ أي يوم القيامة ﴿ لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴾ قيل أراد باليوم الدنيا يعني انهم في الدنيا في خطأ بين وفي الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون في الآخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين * قوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ يعني خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمي بذلك لان المسيء يتحسر هلا أحسن العمل والمحسن هلا ازداد في الاحسان يدل عليه ماروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن أحد يموت الاندم قالوا ماندمه يارسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لايكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لايكون نزع أخرجه الترمذي قوله أن لايكون نزع النزع عن الشيء الكف عنه وقال

ويل) الويل واد في جهنم من قيح ودم ويقال جب في النار ويقال فويل فشدة العذاب (للذين كفروا) تحزبوا في عيسى (من مشهد يوم عظيم) من عذاب يوم القيامة (أسمع بهم وأبصر) ما أسمعهم وما أبصرهم (يوم يأتوننا) وهو يوم القيامة أن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه (لكن الظالمون) المشركون (اليوم) في الدنيا (في ضلال مبين) في كفر بين بقولهم ان عيسى هو الله وولده أو شريكه (وانذرهم) يا محمد خوفهم (يوم الحسرة)

عيسى ابن مريم لا كما قالت النصارى انه اله أو ابن الله (قول الحق) كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله وقيل له كلمة الله لا ولد بقوله كن بلا واسطة اب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف او بدل من عيسى ونصبه شامى و... على المدح او على المصدر اى اقول قول الحق هو ابن مريم وليس باله كما يدعونه (الذى فيه يمترون) يشكون من ... الشك او يختلفون من المراء فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة (ما كان لله) ما ينبغى له (أن يتخذ من ولد) جئ بمن لتاكيد النفى (سبحانه) نزه ذاته عن اتخاذ الولد (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) بالنصب شامى اى كما قال لعيسى كن فكان من غير أب ومن كان متـ بهذا كان منزها ان يشبه الحيوان الوالد (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) بالكسر شامى وكوفى على الابتداء وهو من كلام عيسى يعنى كما أنا عبده فانتم عبيده على وعليكم ان نعبده ومن فتح عطف على بالصلاة اى واوصانى بالصلاة وبالزكاة وبان الله ربى وربكم او علقه بما بعده اى ولأن الله ربى وربكم فاعبدوه (هذا) الذى ذكرت (صراط مستقيم) فاعبدوه ولا تشركوا به شيأ (فاختلف الاحزاب) الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها وهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية (من بينهم) من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس وذلك ان النصارى

الذى تقدم نعته هو عيسى ابن مريم لا ماتصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى حيث جعله الموصوف باضداد مايصفونه ثم عكس الحكم ﴿ قول الحق ﴾ خبر محذوف اى هو قول الحق الذى لاريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول ﴿ الذى فيه يمترون ﴾ فى امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ﴿ ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه ﴾ تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه ﴿ اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ﴾ تبكيت لهم بان من اذا اراد شيأ اوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق والحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب ﴿ وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان وان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلاة ﴿ فاختلف الاحزاب من بينهم ﴾

بن مريم ﴿ قول الحق ﴾ أى هذا الكلام هو القول الحق أضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعنى بذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله ﴿ الذى فيه يمترون ﴾ أى يشكون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد ﴾ أى ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغى له ذلك ﴿ سبحانه اذا قضى أمرا ﴾ أى اذا أراد أن يحدث أمرا ﴿ فانما يقول له كن فيكون ﴾ أى لا يتعذر عليه اتخاذه على الوجه الذى أراده ﴿ وان الله ربى وربكم فاعبدوه ﴾ هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعنى ولان الله ربى وربكم لا رب للمخلوقات سواه ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ أى هذا الذى أخبرتكم به ان الله أمرنى به هو الصراط المستقيم الذى يؤدى الى الجنة ﴿ فاختلف الاحزاب من بينهم ﴾ يعنى النصارى تحزبوا أحزابا لانهم تحزبوا ثلاث

خبر عيسى بن مريم (قول الحق) خبر الحق (الذى فيه) فى عيسى (يمترون) يشكون يعنى النصارى وقال بعضهم هو الله وقال بعضهم هو (فرق) ابن الله وقال بعضهم هو شريكه (ما كان لله) ما ينبغى لله (أن يتخذ من ولد سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (اذا قضى أمرا) اذا أراد ان يخلق ولدا بلا أب (فانما يقول له كن فيكون) ولدا بلا أب مثل عيسى فلما جاء عيسى بالرسالة الى قومه قال انى عبد الله ومسيحه (وان الله) هو (ربى) خالقى ورازقى (وربكم) خالقكم ورازقكم (فاعبدوه) فوحدوه (هذا) التوحيد الذى آمركم به (صراط مستقيم) دين قائم يرضاه وهو الاسلام (فاختلف الاحزاب) الكفار (من بينهم) فيما بينهم فقال بعضهم هو الله وقال بعضهم هو ابن الله وقال بعضهم هو شريكه

لحسن انه كان فى المهد نبيا وكلامه معجزته وقيل معناه ان ذلك سبق فى قضائه أو جعل الآتى لامحالة كأنه وجد وجعلنى مباركا أينما كنت) نفاعا حيث كنت أو معلما للخير (وأوصانى) وأمرنى (بالصلوة والزكوة) ان كنت مالا وقيل صدقة الفطر أو تطهير البدن ويحتمل وأوصانى بأن آمركم بالصلاة والزكاة (مادمت حيا) نصب على الظرف أى مدة حياتى (وبرابوالدتى) عطفا على مباركا أى بارابها أكرمها وأعظما (ولم يجعلنى جبارا) متكبرا (شقيا) عاقا (والسلام على يوم ولدت) يوم ظرف والعامل فيه الخبر وهو على (ويوم أموت ويوم ابعث حيا) أى ذلك السلام الموجه الى يحيي فى المواطن الثلاثة موجه الى ان كان حرف التعريف للعهد وان كان للجنس فالمعنى وجنس السلام على وفيه تعريض باللعنة على أعداء مريم وابنها لانه اذا قال وجنس السلام على فقد عرض بان ضده عليكم اذ المقام مقام مناكرة وعناد فكان مئنة لمثل هذا التعرض (ذلك) مبتدأ (عيسى) خبره (ابن مريم) نعته أو خبر ثان أى ذلك الذى قال انى كذا وكذا

وجعلنى مباركا ﴾ نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضى اما باعتبار ما سبق فى قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا ﴿ اينما كنت ﴾ حيث كنت ﴿ واوصانى ﴾ وامرنى ﴿ بالصلوة والزكوة ﴾ زكاة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ﴿ مادمت حيا وبرابوالدتى ﴾ وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصانى اى وكلفنى برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة ﴿ ولم يجعلنى جبارا شقيا ﴾ عندالله من فرط تكبره ﴿ والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ﴾ كما هو على يحيي والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى * والسلام على من اتبع الهدى * فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ﴿ ذلك عيسى ابن مريم ﴾ اى

الكتاب وهو الانجيل وهذا اخبار عما كتب له فى اللوح المحفوظ كما قيل للنبى صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون انه أوتى الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه ألهم التوراة وهو فى بطن أمه ﴿ وجعلنى مباركا أينما كنت ﴾ معناه انى نفاع اينما توجهت وقيل معلما للخير أدعو الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من يتبعنى ﴿ وأوصانى بالصلوة والزكوة ﴾ أى أمرنى بهما وكلفنى فعلهما فان قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة فى حال طفوليته وقد قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الصبى حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة لايدل على أنه تعالى أوصاه بادائهما فى الحال بل المراد أوصاه بادائهما فى الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن أمه بالغا عاقلا وهذا القول أظهر فى سياق قوله ﴿ مادمت حيا ﴾ فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه فى زمان جميع حياته حين كان فى الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل الارض بعد رفعه ﴿ وبرابوالدتى ﴾ أى وجعلنى برا بوالدتى ﴿ ولم يجعلنى جبارا شقيا ﴾ أى عاصيا لربى متكبرا على الخلق بل أنا خاضع متواضع وروى انه قال قلبى لين وأنا صغير فى نفسى قال بعض العلماء لاتجد العاق الا جبارا شقيا وتلا هذه الآية وقيل الشقى الذى يذنب ولا يتوب ﴿ والسلام على يوم ولدت ﴾ أى السلامة عند الولادة من طعن الشيطان ﴿ ويوم أموت ﴾ أى عند الموت من الشرك ﴿ ويوم أبعث حيا ﴾ أى من أهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكت عيسى بعد فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الاطفال ﴿ ذلك عيسى ابن مريم ﴾ أى ذلك الذى قال انى عبدالله هو عيسى

من بطن أمى (وجعلنى مباركا) معلما للخير (أينما كنت) حيثما كنت وأقمت (وأوصانى بالصلوة) باتمام الصلاة (والزكوة) الصدقة (مادمت حيا) ماحييت (وبرابوالدتى) لطيفا بوالدتى (ولم يجعلنى جبارا) فى دينى قتالا فى الغضب (شقيا) عاصيا لربى (والسلام على يوم ولدت) السلامة على حين ولدت من لمزة الشيطان (ويوم أموت) حين أموت من ضغطة القبر (ويوم أبعث حيا) حين أبعث من القبر حيا (ذلك عيسى ابن مريم)

أخاها من أبيها ومن فضل بنى اسرائيل أو هو أخو موسى عليه السلام وكانت من اعقابه وبينهما ألف سنة و
كما يقال ياأخا همدان أى يا واحدا منهم أو رجل صالح أو طالح فى زمانها شبهوها به فى الصلاح أو شتموها به (ما كان أ...
عمران (امرأ سوء) زانيا (وما كانت أمك) حنة بغيا) زانية (ف...
اليه) الى عيسى أن يجيبهم وذلك ان عيسى عليه السلام قال لها لا تحزنى واحيلى بالجواب على وقيل أمرها جبريل بذلك ولما أشارت اليه غضبوا وتعجبوا و (قالوا كيف نكلم من كان) حدث ووجد (فى المهد) المعهود (صبيا) حال (قال انى عبدالله) ولما أسكتت بامر الله لسانها الناطق أنطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن اربعين ليلة أو ابن يوم روى انه أشار بسبابته وقال بصوت رفيع انى عبدالله وفيه رد لقول النصارى (آتانى الكتاب) الانجيل (وجعلنى نبيا) روى عن

يا شبيهة هرون فى العبادة وكان هرون رجلا صالحا من أمثل الناس ويقال كان هرون رجل سوء فضربوها به ويقال كان هرون أخاها من أبيها (ما كان أبوك امرأ سوء) رجلا زانيا (وما كانت أمك بغيا) فاجرة (فأشارت اليه) الى عيسى عليه السلام ان كلموه (قالوا) لها (كيف نكلم من كان فى المهد) فى الحجر ويقال فى السرير (صبيا) صغيرا ابن أربعين يوما فتكلم عيسى عليه السلام (قال انى عبدالله آتانى الكتاب) علمنى التوراة والانجيل فى بطن أمى (وجعلنى نبيا) بعد الخروج

هرون النبى عليه الصلاة والسلام وكانت من اعقاب من كان معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان فى زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به ﴿ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا﴾ تقرير لان ماجاءت به فرى وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش ﴿فاشارت اليه﴾ الى عيسى ان كلموه ليجيبكم ﴿قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا﴾ ولم نعهد صبيا فى المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار ﴿قال انى عبدالله﴾ انطقه الله تعالى به اولا لانه اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته ﴿آتانى الكتاب﴾ الانجيل ﴿وجعلنى نبيا﴾

فى عفتها وصلاحها وليس المراد الاخوة فى النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت خراسان سألونى فقالوا الى انكم تقرؤن ياأخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون باسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان هرون أخا مريم لابيها وقيل كان من أمثل رجل فى بنى اسرائيل وقيل انما عنوا هرون أخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمى ياأخا تميم وقيل كان هرون فى بنى اسرائيل فاسقا أعظم الفسق فشبهوها به ﴿ما كان أبوك﴾ يعنى عمران ﴿امرأ سوء﴾ قال ابن عباس زانيا ﴿وما كانت أمك﴾ يعنى حنة ﴿بغيا﴾ أى زانية فمن أين لك هذا الولد ﴿فاشارت اليه﴾ أى اشارت مريم الى عيسى ان كلموه قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا مع مافعلت تسخرين بنا ﴿قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا﴾ قيل أراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه و ﴿قال انى عبدالله﴾ قال وهب أتاها زكريا عندمناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن أربعين يوما وقيل بل يوم ولد انى عبدالله أقر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ماتكلم لئلا يتخذ الها فان قلت ان الذى اشتدت اليه الحاجة فى ذلك الوقت نفى التهمة عن أمه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبوديته لله تعالى قلت كأنه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى أولى من ازالة التهمة عن أمه فلهذا أول ماتكلم انما تكلم باعترافه على نفسه بالعبودية لتحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يختص بهذه المرتبة العظيمة من ولد فى زنا والتكلم بازالة التهمة عن أمه لا يفيد ازالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك أولى ﴿آتانى الكتاب وجعلنى نبيا﴾ قيل معناه سيجعلنى نبيا ويؤتينى

(كلى) من الجنى (واشربى) من السرى (وقرى عينا) بالولد الرضى وعينا تمييز أى طيبى نفسا بعيسى وارفضى عنك ما عزنك (فاما) أصله ان ما فضمت ان الشرطية الى ما وأدغمت فيها (ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما) ان رأيت آدميا يسألك عن حالك فقولى انى نذرت للرحمن صمتا وامساكا عن الكلام وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الأكل والشرب وقيل صياما حقيقة وكان صيامهم فيه الصمت فكان التزامه التزامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخا فينا وانما امرت ان تنذر السكوت لان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء وفيه دليل على ان السكوت عن السفيه واجب وما قدع سفيه بمثل الاعراض ولا اطلق عنانه بمثل العراض وانما اخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالاشارة وقد تسمى الاشارة كلاما وقولا ألا ترى الى قول الشاعر فى وصف القبور وتكلمت عن اوجه تبلى وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام او سوغ لها هذا القدر بالنطق (فلن أكلم اليوم انسيا) آدميا (فأتت به) بعيسى (قومها) بعدما طهرت من نفاسها (تحمله) حال منها أى أقبلت نحوهم حاملة اياه فلما رأوه معها (قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا) بديعا عجيبا والفرى القطع كانه يقطع العادة (يا أخت هرون) وكان

﴿ فكلى واشربى ﴾ أى من الرطب وماء السرى او من الرطب وعصيره ﴿ وقرى عينا ﴾ طيبى نفسك وارفضى عنها ما احزنك وقرئ وقرى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار ان العين اذا رأت مايسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه ﴿ فاما ترين من البشر احدا ﴾ فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين ﴿ فقولى انى نذرت للرحمن صوما ﴾ صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون فى صيامهم ﴿ فلن اكلم اليوم انسيا ﴾ بعد ان اخبرتكم بنذرى وانما اكلم الملائكة واناجى ربى وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه قاطع فى قطع الطاعن ﴿ فأتت به ﴾ اى مع ولدها ﴿ قومها ﴾ راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس ﴿ تحمله ﴾ حاملة اياه ﴿ قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا ﴾ بديعا منكرا من فرى الجلد ﴿ يا اخت هرون ﴾ يعنون

الرطب ولا للمريض خير من العسل ﴿ فكلى واشربى ﴾ أى يا مريم كلى من الرطب واشربى من النهر ﴿ وقرى عينا ﴾ أى طيبى نفسا وقيل قرى عينك بولدك عيسى يقال أقر الله عينك أى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك عن النظر الى غيره ﴿ فاما ترين من البشر أحدا ﴾ معناه يسألك عن ولدك ﴿ فقولى انى نذرت للرحمن صوما ﴾ أى صمتا قيل كان فى بنى اسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وقيل ان الله أمرها أن تقول هذا اشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القول نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام لامرين أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها لتكون أقوى لحجتها فى ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على أن تفويض الكلام الى الافضل أولى الثانى كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ﴿ فلن أكلم اليوم انسيا ﴾ يقال انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس ﴾ قوله تعالى ﴿ فأتت به قومها تحمله ﴾ قيل انها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته فى الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فمكثت فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين ﴿ قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا ﴾ أى عظيما منكرا وقيل معناه جئت بامر عجيب بديع ﴿ يا أخت هرون ﴾ أى يا شبيهة هرون قيل كان رجلا صالحا فى بنى اسرائيل شبهت به

(كلى) من الرطب (واشربى) من النهر (وقرى عينا) طيبى نفسا بولادة عيسى عليه السلام (فاما ترين من البشر) من الآدميين (احدا) بعد هذا اليوم (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) صمتا (فلن أكلم اليوم انسيا) آدميا ثم اسكتى بعد ذلك حتى يتكلم بعذرك ... ى (فأتت به) بعيسى (قومها) الى قومها (تحمله) وهو ابن أربعين يوما (قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا) منكرا عظيما (يا أخت هرون)

لحقارته (فناداها من تحتها) اى الذى تحتها فمن فاعل وهو جبريل عليه السلام لانه كان بمكان منخفض عنها او عيسى عليه السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها من تحتها مدنى وكوفى سوى أبى بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام او جبريل و في تحتها النخلة و لشدة ماقيت سليت بقوله (ان لاتحزنى) لاتهتمى بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس ...) بقربك او تحت امرك ان امرته ان يجرى جرى وان امرته ان يقف وقف (سريا) نهرا صغيرا عند الجمهور وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن السرى فقال هو الجدول وعن الحسن سيدا كريما يعنى عيسى عليه السلام وروى ان خالد بن صفوان قال له ان العرب تسمى الجدول سريا فقال الحسن صدقت ورجع الى قوله وقال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب عيسى او جبريل عليهما السلام بعقبه الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى النهر اليابس فاخضرت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها فقيل لها (وهزى) حركى (اليك) الى نفسك (بجذع النخلة) قال ابو على الباء زائدة اى هزى جذع النخلة (تساقط عليك) بادغام التاء الاولى فى الثانية مكى ومدنى وشامى وابو عمرو وعلى وابو بكر والاصل تتساقط باظهار التاءين وتساقط بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حمزة ويساقط بفتح الياء والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وحماد ونصير وتساقط حفص من المفاعلة وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع فهذه تسع قرآت (رطبا) تمييز او مفعول به (الرطب) على حسب القراءة (جنيا) طريا وقالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وقيل ماللنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل

على الاتباع ﴿فناداها من تحتها﴾ عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان فى نادى ضميرا احدهما وقيل الضمير فى تحتها للنخلة ﴿ان لاتحزنى﴾ اى لاتحزنى اوبان لاتحزنى ﴿قد جعل ربك تحتك سريا﴾ جدولا هكذا روى مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى عليه السلام ﴿وهزى اليك بجذع النخلة﴾ و اميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد او افعلى الهز والامالة به او هزى الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع ﴿تساقط عليك﴾ تتساقط فادغمت التاء الثانية فى السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط ويسقط وتسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع ﴿رطبا جنيا﴾ تمييز أو مفعول روى انها كانت نخلة يابسة لارأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لايتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة فى الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شانها مع مافيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال

انها لم تخلق ﴿فناداها من تحتها﴾ قيل ان مريم كانت على أكمة و جبريل وراء الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى و ذلك انه لما خرج من بطن أمه ناداها ﴿أن لاتحزنى قد جعل ربك تحتك سريا﴾ أى نهرا قال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله فى الارض فظهرت عين ماء عذبة وجرت وقيل كان هناك نهر يابس فجرى فيه الماء بقدرة الله سبحانه وتعالى وحيت النخلة اليابسة فاورقت وأثمرت وأرطبت وقيل معنى تحتك أى تحت أمرك ان أمرته أن يجرى جرى وان أمرته بالامساك أمسك وقيل معنى سريا أى عيسى وكان عبدا سريا رفيعا ﴿وهزى اليك﴾ أى حركى اليك ﴿بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾ قيل الجنى الذى بلغ الغاية وجاء أوان اجتنائه قال الربيع بن خثيم ماللنفساء عندى خير من

(فناداها من تحتها) من أسفلها يعنى جبريل (أن لاتحزنى) يامريم على ولادة عيسى (قد جعل ربك تحتك سريا) نبيا ويقال فناداها من تحتها ان قرأت بنصب الميم يعنى عيسى أن لاتحزنى قد جعل ربك تحتك سريا نهرا صغيرا (وهزى اليك) خذى اليك (بجذع النخلة) باصل النخلة فحركيه (تساقط عليك رطبا جنيا) غضا طريا

فاجاءها المخاض ﴾ فالجأها المخاض وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه خص فى الاستعمال كآتى فى اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج ﴿ الى جذع النخلة ﴾ لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها لا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها كانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها يطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها ﴿ قالت ياليتنى مت قبل هذا ﴾ استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابو عمرو وابن كثير وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت ﴿ وكنت نسيا ﴾ ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمى به وقرى به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته ﴿ منسيا ﴾ منسى الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم

وهى بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صيهون وكانا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من أهل زمانهما أحد أشد عبادة واجتهادا منهما وأول من علم بحمل مريم يوسف فبقى متحيرا فى أمرها كلما أراد أن يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها لم تغب عنه واذا أراد ان يبرئها رأى ما ظهر منها من الحمل فأول ما تكلم به ان قال انه وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت ان أتكلم به أشفى صدرى فقالت قل قولا جميلا قال أخبرينى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ألم تر ان الله أنبت الشجر بالقدرة من غير غيث أو تقول ان الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله تعالى يقدر على كل شئ يقول له كن فيكون قالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زال ما عنده من التهمة وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنت ولادتها أوحى الله اليها أن اخرجى من أرض قومك فذلك قوله تعالى فانتبذت به مكانا قصيا ❊ قوله عز وجل ﴿ فاجاءها المخاض ﴾ أى ألجأها وجاءبها والمخاض وجع الولادة ﴿ الى جذع النخلة ﴾ وكانت نخلة يبست فى الصحراء فى شدة البرد ولم يكن لها سعف وقيل التجأت اليها لتستند اليها وتستمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة ﴿ قالت ياليتنى مت قبل هذا ﴾ تمنت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة ﴿ وكنت نسيا منسيا ﴾ يعنى شيئا حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف [illegible] وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه انها تمنت

اللائقة (فاجاءها) جاءبها وقيل الجأها وهو منقول من جاء الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد (المخاض) وجع الولادة (الى جذع النخلة) أصلها وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتعريفها مشعر بانها كانت نخلة معروفة وجاز أن يكون التعريف للجنس أى جذع هذه الشجرة كانه تعالى أرشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب لانه خرسة النفساء أى طعامها ثم (قالت) جزعا مما أصابها (ياليتنى مت قبل هذا) اليوم مدنى وكوفى غير أبى بكر وغيرهم بالضم يقال مات يموت ومات يمات (وكنت نسيا منسيا) شيأ متروكا لا يعرف ولا يذكر بفتح النون حمزة وحفص وبالكسر غيرهما ومعناهما واحد وهو الشئ الذى حقه ان يطرح و ينسى

بعيدا من الناس (فاجاءها المخاض) فالجأها الطلق (الى جذع النخلة) الى أصل نخلة يابسة (قالت ياليتنى مت قبل هذا) الولد ويقال قبل هذا اليوم (وكنت نسيا منسيا) شيأ متروكا لم يذكر ويقال حيضة ملقاة ويقال سقطة

(ولم أك بغيا) فاجرة تبغي الرجال أى تطلب الشهوة من أى رجل كان ولا يكون الولد عادة الا من أحد هذين والبغي [illegible]
عند المبرد بغوى فقلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الغين اتباعا ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق في امرأة صبور وشكور
و عند غيره هى فعيل ولم تلحقها الهاء لانها بمعنى مفعولة وان كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبه به مثل ان رحمة الله قريب (قال)
جبريل (كذلك) أى الامر كما قلت لم يمسسك رجل نكاح [illegible]
(قال ربك هو على هين) أى اعطاء الولد بلا أب على سهل (ولنجعله آية للناس) تعليل معلله محذوف أى ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أى لنبين به قدرتنا ولنجعله آية للناس أى عبرة وبرهانا على قدرتنا (ورحمة منا) لمن آمن به (وكان) خلق عيسى (أمرا مقضيا) مقدرا مسطورا في اللوح فلما اطمأنت الى قوله دنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها (فحملته) أى الموهوب [illegible] ثلاث عشرة سنة او عشرا أو عشرين (فانتبذت به) اعتزلت وهو في بطنها والجار والمجرور في موضع الحال عن ابن عباس رضى الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل ستة أشهر وقيل سبعة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل حملته في ساعة ووضعته في ساعة (مكانا قصيا) بعيدا من اهلها وراء الجبل وذلك لانها لما أحست بالحمل هربت من قومها مخافة

(وهى)

وفجور ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ﴿ ولم اك بغيا ﴾ عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين [illegible] ذلك لم تلحقه التاء أو فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة أو النسبة كطالق ﴿ قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله ﴾ اى ونفعل ذلك لنجعله آية أو لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لاهب على طريقة الالتفات ﴿ آية للناس ﴾ علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ﴿ ورحمة منا ﴾ على العباد يهتدون بارشاده ﴿ وكان امرا مقضيا ﴾ اى تعلق به قضاء الله في الازل او قدر وسطر في اللوح أو كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة ﴿ فحملته ﴾ بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين ﴿ فانتبذت به ﴾ فاعتزلت وهو في بطنها كقوله
[illegible] بالجماجم والتربا
والجار والمجرور في موضع الحال ﴿ مكانا قصيا ﴾ بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار

﴿ ولم أك بغيا ﴾ أى فاجرة تريد ان الولد انما يكون من نكاح أو سفاح ولم يكن ههنا واحد منهما ﴿ قال ﴾ جبريل ﴿ كذلك قال ربك ﴾ أى هكذا قال ربك ﴿ هو على هين ﴾ أى خلق ولدك بلا أب ﴿ ولنجعله آية للناس ﴾ أى علامة لهم ودلالة على قدرتنا ﴿ ورحمة منا ﴾ أى ونعمة لمن تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وكان أمرا مقضيا ﴾ أى محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل ✽ قوله عز وجل ﴿ فحملته ﴾ قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ في جيبها وقيل نفخ في كمها وقيل في ذيلها وقيل في فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى عليه السلام في الحال ﴿ فانتبذت به ﴾ أى فلما حملته تنحت بالحمل وانفردت ﴿ مكانا قصيا ﴾ أى بعيدا من اهلها قال ابن عباس أقصى الوادى وهو بيت لحم فرارا من أهلها وقومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية اشهر وذلك آية اخرى له لانه لا يعيش من ولد لثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة أشهر

(ولم أك بغيا) فاجرة (قال) لها جبريل (كذلك) هكذا كما قلت لك (قال ربك هو على هين) خلقه على هين بلا أب (ولنجعله) الى نجعله (آية) علامة وعبرة (للناس) لبنى اسرائيل ولدا بلا أب (ورحمة منا) لمن آمن به (وكان أمرا مقضيا) قضاء كائنا أن يكون ولدا بلا أب (فحملته) مريم وكان حمله تسعة أشهر ويقال يوما واحدا (فانتبذت) فانفردت (به) بولادتها اياه (مكانا قصيا)

ين اهلها حجابا يسترها لتغتسل وراءه (فارسلنا اليها روحنا) جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف وانما سمى روحا
لان الدين يحيا به وبوحيه (فتمثل لها بشرا) أى فتمثل لها جبريل في صورة آدمى شاب أمرد وضئ الوجه جعد الشعر
(سويا) مستوى الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولاتنفر
عنه ولو بدالها في صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه (قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أى ان كان يرجى منك ان تتقي الله فانى عائذة به منك (قال) جبريل عليه السلام (انما انا رسول ربك) أمنها لما خافت وأخبر أنه ليس بآدمى بل هو رسول من استعاذت به (لأهب لك) باذن الله تعالى او لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع ليهب لك أى الله أبو عمرو ونافع (غلاما زكيا) طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخير والبركة (قالت أنى) كيف (يكون لى غلام) ابن (ولم يمسسنى بشر) زوج بالنكاح

﴿ فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ﴾ قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشئ يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هى في مغتسلها اتاها جبرائيل عليه السلام متمثلا بصورة شاب امرد سوى الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهيج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها ﴿ قالت انى اعوذ بالرحمن منك ﴾ من غاية عفافها ﴿ ان كنت تقيا ﴾ تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله أى فانى عائذة منك أو فتتعظ بتعويذى أو فلا تتعرض لى ويجوز ان يكون للمبالغة أى ان كنت تقيا متورعا فانى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك ﴿ قال انما انا رسول ربك ﴾ الذى استعذت به ﴿ لأهب لك غلاما ﴾ أى لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقوله سبحانه وتعالى ويؤيده قراءة ابى عمرو وابن كثير عن نافع ويعقوب بالياء ﴿ زكيا ﴾ طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخير أى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح ﴿ قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ﴾ ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها

قال ابن عباس أى سترا وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون في المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمرد وضئ الوجه سوى الخلق فذلك قوله تعالى ﴿ فارسلنا اليها روحنا ﴾ يعنى جبريل ﴿ فتمثل لها بشرا سويا ﴾ أى سوى الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيأ وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولاتنفر عنه ولو بدالها في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جاء في صورة بشر فحملت به والقول الاول أصح فلما رأت مريم جبرائيل عليه السلام يقصد نحوها بادرته من بعيد ﴿ قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ﴾ أى مؤمنا مطيعا لله تعالى دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها فان قلت انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمنى أى ينبغى أن يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك ههنا معناه ينبغى أن تكون تقواك مانعة لك من الفجور ﴿ قال ﴾ لها جبريل عليه السلام ﴿ انما أنا رسول ربك لأهب ﴾ أسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه أرسل به ﴿ لك غلاما زكيا ﴾ قال ابن عباس ولدا صالحا طاهرا من الذنوب ﴿ قالت ﴾ مريم ﴿ أنى يكون لى ﴾ أى من أين يكون لى ﴿ غلام ولم يمسسنى بشر ﴾ أى ولم يقربنى زوج

تغتسل فيه من الحيض (فارسلنا اليها) بعد ما فرغت (روحنا) رسولنا جبريل (فتمثل لها) فتشبه لها (بشرا سويا) في صورة شاب لم ينقص (قالت) مريم (انى أعوذ) امتنع (بالرحمن منك ان كنت تقيا) مطيعا للرحمن
يقال التقى كان اسم رجل سوء فظنت انه هو ذلك الرجل فمن ذلك تعوذت منه (قال) لها جبريل (انما انا رسول ربك ليهب لك) لكى يهب الله لك (غلاما زكيا) ولدا صالحا (قالت) مريم لجبريل عليه السلام (أنى يكون لى غلام) من أين يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) لم يقربنى زوج

من عندنا (وزكوة) أى طهارة وصلاحا فلم يعمل بذنب (وكان تقيا) مسلما مطيعا (وبرا بوالديه) وبارا بهما لا يعصيهما (ولم يكن جبارا) متكبرا (عصيا) عاصيا لربه (وسلام عليه) أمان من الله له (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتاني القبر (ويوم يبعث حيا) من الفزع الاكبر قال ابن عيينة [illegible] اوحش المواطن (واذكر) يا محمد (فى الكتاب) القرآن (مريم) أى اقرأ عليهم فى القرآن قصة مريم ليقفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها (اذ) بدل من مريم بدل اشتمال اذ الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه (انتبذت من أهلها) أى اعتزلت (مكانا) ظرف (شرقيا) أى تخلت للعبادة فى مكان مما يلى شرق بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت فى مشرقه للاغتسال من الحيض (فاتخذت من دونهم حجابا) جعلت بينها

﴿وزكوة﴾ وطهارة من الذنوب أو صدقة أى تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس ﴿وكان تقيا﴾ مطيعا متجنبا عن المعاصى ﴿وبرا بوالديه﴾ وبارا بهما ﴿ولم يكن جبارا عصيا﴾ عاقا أو عاصى ربه ﴿وسلام عليه﴾ من الله ﴿يوم ولد﴾ من ان يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم ﴿ويوم يموت﴾ من عذاب القبر ﴿ويوم يبعث حيا﴾ من عذاب النار وهول القيامة ﴿واذكر فى الكتاب﴾ فى القرآن ﴿مريم﴾ يعنى قصتها ﴿اذ انتبذت﴾ اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها أو بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد أو ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمك اذ لم تكرمنى فتكون بدلا لا محالة ﴿من اهلها مكانا شرقيا﴾ شرقى بيت المقدس أو شرقى دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف أو مفعول لان انتبذت متضمن معنى اتت ﴿فاتخذت من دونهم حجابا﴾ سترا

تحنن على هداك المليك ۞ فان لكل مقام مقالا

أى ترحم على ﴿وزكوة﴾ قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هى العمل الصالح ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم وعملا صالحا فى اخلاصه ﴿وكان تقيا﴾ أى مسلما مخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط ﴿وبرا بوالديه﴾ أى بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى اعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الآية ﴿ولم يكن جبارا﴾ الجبار المتكبر وقيل الذى يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذى لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه يرى أن لا يلزمه قضاء لاحد ﴿عصيا﴾ قيل هو أبلغ من العاصى والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾ معناه وأمان له من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بنى آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب يوم القيامة وقيل أوحش ما يكون الخلق فى ثلاثة مواطن يوم يولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث لانه يرى مشهدا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى فى هذه المواطن كلها فخصه بالسلامة فيها ۞ قوله عز وجل ﴿واذكر فى الكتاب﴾ أى فى القرآن ﴿مريم اذ انتبذت﴾ أى تنحت واعتزلت ﴿من أهلها﴾ أى من قومها ﴿مكانا شرقيا﴾ أى مكانا فى الدار مما يلى المشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديد البرد فجلست فى مشرقه تفلى رأسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت تغتسل قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة ﴿فاتخذت﴾ أى فضربت ﴿من دونهم حجابا﴾

لابويه (وزكاة) صدقة لهما ويقال صلاحا فى دينه (وكان تقيا) مطيعا لربه (وبرا بوالديه) لطيفا بوالديه (ولم يكن جبارا) فى دينه قتالا فى الغضب (عصيا) عاصيا لربه (وسلام عليه) سلامة ومغفرة وسعادة منا على يحيى (يوم ولد) حين ولد (ويوم يموت) حين يموت (ويوم يبعث) حين يبعث من القبر (حيا واذكر) يا محمد (فى الكتاب) فى القرآن (مريم) خبر مريم (اذا) (قال) انتبذت) انفردت وتنحت (من أهلها مكانا شرقيا) مشرقة دارها. (فاتخذت من دونهم) فارخت من دون أهلها (حجابا) سترا لكى

بل امرأتى (قال آيتك أن لاتكلم النـاس ثلاث ليال سويا) حال من ضمير تكلم أى حال كونك سوى الاعضاء واللسان
ى علامتـك ان تمنع الكلام فلا تطيقـه وأنت سـليم الجوارح مابك خرس ولا بكم ودل ذكر الليالى هنا والايام فى آل
عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن اذ ذكر الايام يتناول مابازائها من الليالى وكذا ذكر الليالى يتناول مابازائها
من الايام عرفا (فخرج على قومه من المحراب) موضع صـلاته وكانوا
ينتظرونه ولم يقـدر أن
يتكلم (فاوحى اليهم) اشار
باصبعه (أن سبحوا) صلوا
وان هى المفسرة (بكرة
وعشيا) صلاة الفجر والعصر
(يايحيي) أى وهبناله يحيي
وقلناله بعد ولادته وأوان
الخطاب يا يحيي (خـذ
الكتاب) التوراة (بقوة)
حال أى بجد و استظهار
بالتوفيق والتأييد (وآتيناه
الحكم) الحكمة وهو فهم
التوراة والفقه فى الدين
(صبيا) حال قيل دعاه الصبيان
الى اللعب وهو صبى فقال
ما للعب خلقنا (وحنانا)
شفقة ورحمة لابويه وغيرهما
عطفا على الحكم (من لدنا)

اعلمها وقوع مابشرتنى به ﴿ قال آيتك ان لاتكلم النـاس ثلاث ليال سويا ﴾ سوى الخلق مابك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالى ههنا والأيام فى آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ من المصلى أو من الغرفة ﴿ فاوحى اليهم ﴾ فاومأ اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ﴿ ان سبحوا ﴾ صلوا أو نزهوا ربكم ﴿ بكرة وعشيا ﴾ طرفى النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة ﴿ يايحيي ﴾ على تقدير القول ﴿ خذ الكتاب ﴾ التوراة ﴿ بقوة ﴾ بجد واستظهار بالتوفيق ﴿ وآتيناه الحكم صبيا ﴾ يعنى الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوة احكم الله عقله فى صباه واستنبأه ﴿ وحنانا من لدنا ﴾ ورحمة مناعليه أو رحمة وتعطفا فى قلبه على ابويه وغيرهما عطفا على الحكم

﴿ قال آيتك ﴾ أى علامتك ﴿ أن لاتكلم الناس ثلاث ليال سويا ﴾ أى صحيحا سليما من غير ما بأس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول أصح قيل انه لم تقدر فيها أن يتكلم مع الناس فاذا أراد ذكر الله انطلق لسانه * قوله عز وجل ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ أى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج اليهم زكريا متغيرا لونه فانكروا ذلك عليه وقالوا له مالك ﴿ فاوحى ﴾ أى فاومأ وأشار ﴿ اليهم ﴾ وقيل كتب لهم فى الارض ﴿ ان سبحوا ﴾ أى صلوا لله ﴿ بكرة وعشيا ﴾ المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج اليهم فامرهم بالصلاة اشارة * قوله عز وجل ﴿ يايحيي ﴾ فيه اضمار ومعناه وهبنا له يحيي وقلنا له يايحيي ﴿ خذ الكتاب ﴾ أى التوراة ﴿ بقوة ﴾ أى بجد واجتهاد ﴿ وآتيناه الحكم ﴾ قال ابن عباس يعنى النبوة ﴿ صبيا ﴾ وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى أحكم عقله وأوحى اليه * فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا * قلت لان أصل النبوة مبنى على خرق العادات اذا ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبى نبيا وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتى الحكم صبيا ﴿ وحنانا من لدنا ﴾ أى رحمة من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

اذا حبلت امرأتى (قال آيتك)
علامتك (أن لاتكلم الناس)
لاتقدر أن تكلم النـاس
(ثلاث ليال سويا) صحيحا
بلا خرس ولا مرض
(فخرج على قومه من المحراب)
من المسجد (فاوحى اليهم)
فاشار اليهم ويقال كتب لهم
على الارض (أن سبحوا بكرة
وعشيا) صلواله غدوة وعشية (يايحيي) قال الله ليحيي بعد مابلغ وأدرك (خذ الكتاب) اعمل بما فى الكتاب التوراة (بقوة)
بجد ومواظبة النفس (وآتيناه) أعطيناه يعنى يحيي (الحكم) الفهم والعلم (صبيا) فى صغره (وحنانا من لدنا) أعطيناه رحمة
من عندنا

أوراضيا عنك وبحكمك فاجاب الله تعالى دعاءه وقال (يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيي) تولى الله تسميته تشريفا
نبشرك بالتخفيف حمزة (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم أحد بيحيي قبله وهذا دليل على ان الاسم الغريب جدير بالاثرة و
مثلا وشبيها ولم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان حصورا فلما
الملائكة به (قال رب أنى) كيف (يكون لى غلام) وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف انه باى طريق يكون أيوهب له وهو وام
بتلك الحال أم يحولان شابين (وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أى بلغت عتيا وهو اليبس واجساوة فى المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن فى السن العالية عتيا وصليا وجثيا وبكيا بكسر الاوائل حمزة وعلى وحفص الاقى بكيا (قال كذلك) الكاف رفع أى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ (قال ربك) أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره (هو على هين) أى خلق يحيي من كبيرين سهل (وقد خلقتك من قبل) أوجدتك من قبل يحيي خلقناك حمزة وعلى (ولم تك شيأ) لان المعدوم ليس بشئ (قال رب اجعل لى آية) علامة أعرف بها

﴿ يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيي ﴾ جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له ﴿ لم نجعل له من قبل سميا ﴾ لم يسم احد بيحيي قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامى الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان فى الاسم والاظهر انه اعجمى وان كان عربيا فمنقول من فعل كيعيش ويعمر وقيل سمى به لانه حيي به رحم امه أو لان دين الله حيي بدعوته ﴿ قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ﴾ جساوة وقحولا فى المفاصل واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالى الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت * وقرأ حمزة والكسائى وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته فان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك ﴿ قال ﴾ اى الله تعالى أو الملك المبلغ للبشارة تصديقا له ﴿ كذلك ﴾ الامر كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال فى ﴿ قال ربك ﴾ وذلك اشارة الى مبهم يفسره ﴿ هو على هين ﴾ ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو على هين أى الامر كما قلت أو كما وعدت وهو على ذلك يهون على او كما وعدت وهو على هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثانى محذوف ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ ﴾ بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشئ * وقرأ حمزة والكسائى وقد خلقناك ﴿ قال رب اجعل لى آية ﴾ علامة

﴿ يازكريا ﴾ المعنى فاستجاب الله له دعاءه فقال يازكريا ﴿ انا نبشرك بغلام ﴾ أى بولد ذكر ﴿ اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا ﴾ أى لم يسم أحد قبله بيحيي وقيل معناه لم نجعل له شبها ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قيل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كلها ليحيي وانما أراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه ﴿ قال رب أنى يكون لى ﴾ أى من أين يكون لى ﴿ غلام وكانت امرأتى عاقرا ﴾ أى وامرأتى عاقر ﴿ وقد بلغت من الكبر عتيا ﴾ أى يأسا يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد ﴿ قال كذلك قال ربك هو على هين ﴾ أى يسير ﴿ وقد خلقتك من قبل ﴾ أى من قبل يحيي ﴿ ولم تك شيأ قال رب اجعل لى آية ﴾ أى دلالة على حمل امرأتى

جبريل فقال (يازكريا انا نبشرك بغلام) ولد (اسمه يحيي) يسمى يحيي باحيائه رحم امه (لم نجعل له من قبل سميا) اى لم نجعل لزكريا من قبل يحيي سميا ولدا يسمى يحيي ويقال لم يكن قبل يحيي احد يسمى يحيي (قال) زكريا (قال لجبريل (رب) يارب وسيدى (انى يكون لى غلام) من اين يكون لى ولد (وكانت امرأتى) صارت امرأتى (عاقرا) عقيما من
(وقد بلغت من الكبر عتيا) يبوسا ويقال سنى اثنان وسبعون سنة ان قرأت بكسر العين (قال) له جبريل (كذلك) هكذا كما قلت
(قال ربك هو على هين) اى خلقه هو على هين (وقد خلقتك) وقد جعلتك يازكريا (من قبل) من قبل يحيي (ولم تك شيأ قال ر
يارب (اجعل لى آية) علامة

(ب شقيا) أى كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير شقى فيه يقال سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقى اذا خاب
و[illegible] ينلها وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال أنا الذى أحسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقت حاجته وقضى
حاجته (وانى خفت الموالى) هم عصبته اخوته وبنو عمه وكانوا شرار بنى اسرائيل فخافهم ان يغيروا الدين وان لايحسنوا الخلافة
على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به فى احياء الدين (من ورائى) بعد
موتى وبالقصر وفتح الياء
كهداى مكى وهذا الظرف
لايتعلق بخفت لان وجود
خوفه بعد موته لايتصور
ولكن بمحذوف أو بمعنى
الولاية فى الموالى أى خفت
فعل الموالى وهو تبديلهم
وسوء خلافتهم من ورائى
أو خفت الذين يلون الامر
من ورائى (وكانت امرأتى
عاقرا) عقيما لاتلد (فهب لى
من لدنك) اختراعا منك
بلا سبب لان امرأتى لاتصلح
للولادة (وليا) ابنا يلى
أمرك بعدى (يرثنى ويرث)
برفعهما صفة لوليا أى هب
لى ولدا وارثا منى العلم ومن
آل يعقوب النبوة ومعنى
وراثة النبوة انه يصلح لان
يوحى اليه ولم يرد ان نفس
النبوة تورث وبجزمهما
أبو عمرو وعلى على انه جواب
للدعاء يقال ورثته وورثت
منه (من آل يعقوب) يعقوب
ابن اسحق (واجعله رب
رضيا) مرضيا ترضاه

رب شقيا ﴾ بل كلما دعوتك استجبت لى وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على
ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق
الكريم ان لايخيب من اطمعه ﴿ وانى خفت الموالى ﴾ يعنى بنى عمه وكانوا اشرار بنى اسرائيل
فخاف ان لايحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم ﴿ من ورائى ﴾ بعد موتى وعن
ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف أو بمعنى الموالى أى خفت
فعل الموالى من ورائى أو الذين يلون الامر من ورائى ٭ وقرئ خفت الموالى من ورائى
أى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدى أو خفوا ودرجوا قدامى فعلى هذا كان الظرف
متعلقا بخفت ﴿ وكانت امرأتى عاقرا ﴾ لاتلد ﴿ فهب لى من لدنك ﴾ فان مثله لايرجى
الا من فضلك وكمال قدرتك فانى وامرأتى لاتصلح للولادة ﴿ وليا ﴾ من صلبى ﴿ يرثنى
ويرث من آل يعقوب ﴾ صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائى على انهما جواب الدعاء
والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لايورثون المال وقيل يرثنى الحبورة فانه كان
حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام وقيل
يعقوب كان اخا زكريا أو كان اخا عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام ٭ وقرئ
يرثنى وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير لصغره ووارث
من آل يعقوب على انه فاعل يرثنى وهذا يسمى التجريد فى علم البيان لانه جرد عن المذكور
اولا مع انه المراد ﴿ واجعله رب رضيا ﴾ ترضاه قولا وعملا

رب شقيا ﴾ أى عودتنى الاجابة فيما مضى ولم تخيبنى وقيل معناه لما دعوتنى الى الايمان آمنت
ولم أشق بترك الايمان ﴿ وانى خفت الموالى من ورائى ﴾ أى من بعد موتى والموالى
هم بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة ﴿ وكانت امرأتى عاقرا ﴾ أى لاتلد
﴿ فهب لى من لدنك وليا ﴾ أى أعطنى من عندك ولدا مرضيا ﴿ يرثنى ويرث من آل يعقوب ﴾
أى وليا ذا رشاد وقيل أراد به يرث مالى ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة وقيل
أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد به الحبورة لان زكريا كان رأس الاحبار
والاولى أن يحمل على ميراث غير المال لان الانبياء لم يورثوا المال وانما يورثون
العلم ويبعد من زكريا وهو نبى من الانبياء ان يشفق على ماله ان يرثه بنو عمه وانما
خاف ان يضيع بنو عمه دين الله ويغيروا أحكامه وذلك لما ان شاهد من بنى اسرائيل
تبديل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه
لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس ﴿ واجعله رب رضيا ﴾ أى برا تقيا مرضيا ٭ قوله تعالى

رب شقيا) يقول لم أكن
عندك بدعائى يارب خائبا
(وانى خفت الموالى) يعنى
الورثة (من ورائى) أن لايكون
بعدى وارث يرث حبورتى ومكانى ويقال قلت ورثتى ان قرأت بنصب الخاء وكسر الفاء (وكانت امرأتى) صارت امرأتى
اخت ام مريم بنت عمران بن ماثان (عاقرا) عقيما من الولد (فهب لى من لدنك) من عندك (وليا) ولدا (يرثنى) يرث حبورتى
[illegible] (ويرث من آل يعقوب) ان كان لهم حبورة ومالك وكان آل يعقوب اخوال يحيى (واجعله رب رضيا) مرضيا صالحا فاداه

(زكريا) بالقصر حمزة وعلي وحفص بدل من عبده (اذ) ظرف للرحمة (نادى ربه نداء خفيا) دعاء دعاء كما هو المأمور به وهو أبعد عن الرياء وأقرب الى الصفاء أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في أوان الكبر لانه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة (قال رب) هذا تفسير الدعاء وأصله يا ربي فحذف حرف النداء والمضاف اليه اختصارا (اني وهن العظم مني) ضعف وخص العظم لانه عمود البدن وبه قوامه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه أشد ما فيه وأصلب فاذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن (واشتعل الرأس شيبا) تمييز أي فشا في رأسي الشيب واشتعلت النار اذا تفرقت في التهابها وصارت شعلا فشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وأخذه منه كل مأخذ كاشتعال النار ولا ترى كلاما أفصح من هذا الا ترى ان أصل الكلام يا رب قد شخت اذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما وأقوى منه ضعف بدني وشاب رأسي ففيه مزيد التقرير للتفصيل وأقوى منه وهنت عظام بدني ففيه عدول عن التصريح الى الكناية فهي أبلغ منه وأقوى منه أنا وهنت عظام بدني وأقوى منه اني وهنت عظام بدني وأقوى منه اني وهنت العظام من بدني ففيه سلوك طريق الاجمال والتفصيل وأقوى منه اني وهنت العظام مني ففيه ترك توسيط البدن وأقوى منه اني وهن العظم مني لشمول الوهن العظام فردا فردا باعتبار ترك جمع العظم الى الافراد (رب) لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد ولهذا تركت الحقيقة في شاب رأسي الى أبلغ وهي الاستعارة فحصل اشتعل شيب رأسي وأبلغ منه اشتعل رأسي شيبا لاسناد الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لافادة شمول الاشتعال الرأس اذ وزان اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيبا وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا والفرق نير ولان فيه الاجمال والتفصيل كما عرف في طريق التمييز وأبلغ منه واشتعل الرأس مني شيبا لما مر وابلغ منه واشتعل الرأس شيبا ففيه اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا بقرينة العطف على وهن العظم (ولم أكن بدعائك) مصدر مضاف الى المفعول أي بدعائي ايـ

مفعول الرحمة أو الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد ﴿زكريا﴾ بدل منه أو عطف بيان له ﴿اذ نادى ربه نداء خفيا﴾ لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا أو لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم اولان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وقيل تسع وتسعون ﴿قال رب اني وهن العظم مني﴾ تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾ شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ﴿ولم اكن بدعائك

زكريا﴾ قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته ﴿اذ نادى﴾ أي دعا ﴿ربه﴾ في المحراب ﴿نداء خفيا﴾ أي دعاء سرا من قومه في جوف الليل وقيل راعى سنة الله في اخفاء دعائه لان الجهر والاسرار عند الله تعالى سيان لكن الاخفاء أولى لانه أبعد عن الرياء وأدخل في الاخلاص وقيل أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله تعالى ﴿قال رب اني وهن﴾ أي رق وضعف ﴿العظم مني﴾ أي من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس ﴿واشتعل الرأس﴾ أي ابيض الشعر ﴿شيبا﴾ أي شمط ﴿ولم اكن بدعائك

زكريا) رحمته بولد مقدم ومؤخر (اذ نادى ربه) دعا زكريا ربه في المحراب (نداء خفيا) أسره وأخفاه من قومه (قال رب) يا رب (اني وهن العظم مني) ضعف بدني (واشعل الرأس شيبا) أخذ الرأس شمطا (ولم أكن بدعائك

واتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون فان يخرج الدجال فى تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى آخرها عند مضجعه كان له نور يتلألأ ﴿١٤٥﴾ من مضجعه الى مكة ﴿سورة الكهف﴾ حشو ذلك النور ملائكة يصلون

توحيد والاخلاص فى الطاعة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ خاتمة الكهف عند مضجعه كان له نور فى مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿سورة مريم مكية الا آية السجدة وهى ثمان أو تسع وتسعون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كهيعص﴾ امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجى يا آت وابن عامر وحمزة الياء والكسائى وابوبكر كليهما ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها ﴿ذكر رحمت ربك﴾ خبر ماقبله ان اول بالسورة او بالقرآن فانه مشتمل عليه أو خبر محذوف أى هذا المتلو ذكر رحمة ربك أو مبتدأ حذف خبره اى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضى وذكر على الامر ﴿عبده﴾

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الناس ليوم لاريب فيه نادى مناد من كان يشرك فى عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه منه فان الله أغنى الشركاء عن الشرك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء (م) عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفى رواية من آخرها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة مريم عليها السلام هى مكية وهى ثمان وتسعون آية وثمانون وسبعمائة كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة حرف﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل ﴿كهيعص﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل اسم القرآن وقيل للسورة وقيل هو قسم أقسم الله تعالى به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق فى وعده ﴿ذكر﴾ أى هذا الذى نتلو عليك ذكر ﴿رحمت ربك عبده﴾

عليه حتى يقوم من مضجعه وان كان مضجعه بمكة فتلألأ كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ

﴿سورة مريم عليها السلام مكية وهى ثمان أو تسع وتسعون آية مدنى وشامى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كهيعص) قال السدى هو اسم الله الاعظم وقيل هو اسم للسورة قرأ على ويحيى بكسر الهاء والياء ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وأبو عمرو وبكسر الهاء وفتح الياء وحمزة بعكسه وغيرهم بفتحهما (ذكر رحمت ربك) خبر مبتدأ أى هذا ذكر (عبده) مفعول الرحمة

ويقال بطاعة ربه أحدا نزلت هذه الآية فى جندب بن زهير العامرى

﴿ومن السورة التى يذكر فيها مريم وهى كلها مكية آياتها ثمان وتسعون وكلماتها تسعمائة واثنان وستون وحروفها ثلاثة آلاف وثلثمائة وحرفان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

اسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (كهيعص) (قا و خا ١٩ بع) قال هو ثناء أثنى به على نفسه يقول كاف هاد عالم صادق ويقال كاف كاف لخلقه هاد هادى لخلقه يد الله على خلقه وعين عالم بامرهم صاد صادق بوعده ويقال الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حليم والعين من عليم والصاد من صادق ويقال من صدوق ويقال هو قسم اقسم به (ذكر رحمت ربك) يقول هذا ذكر ربك (عبده

﴿ لنفد البحر ﴾ لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه ﴿ قبل ان تنفد كلمات ربي ﴾ فانها غير متناهية لاتنفد كعلمه ﴿ ولو جئنا بمثله ﴾ بمثل البحر الموجود ﴿ مددا ﴾ زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع مايدخل في الوجود من الاجسام لايكون الامتناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لامحالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهو مايستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا ﴿ قل انما انا بشر مثلكم ﴾ لاادعي الاحاطة على كلماته ﴿ يوحى الي انما الهكم اله واحد ﴾ وانما تميزت عنكم بذلك ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ يأمل حسن لقائه ﴿ فليعمل عملا صالحا ﴾ يرتضيه الله ﴿ ولايشرك بعبادة ربه احدا ﴾ بان يرائيه أو يطلب منه اجرا روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لايقبل ماشورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما

أوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شيء فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي أي مايستمده الكاتب ويكتب به وأصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب قيل والخلائق يكتبون ﴿ لنفد البحر ﴾ أي لنفد ماؤه ﴿ قبل أن تنفد كلمات ربي ﴾ أي علمه وحكمه ﴿ ولو جئنا بمثله مددا ﴾ والمعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفني ماء البحر ولم تفن كلمات ربي ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثرته مددا وزيادة * قوله تعالى ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم ﴾ قال ابن عباس أعلم الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فامره ان يقر فيقول أنا آدمي مثلكم الا أني خصصت بالوحي وأكرمني الله به وهو قوله تعالى ﴿ يوحى الي انما الهكم اله واحد ﴾ لاشريك له في ملكه ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ أي يخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤية ربه ﴿ فليعمل عملا صالحا ﴾ أي من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه في العمل الصالح ﴿ ولايشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ أي لايرائي بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيدان أحدهما ان يراد به سبحانه وتعالى والثاني أن يكون مبرأ من جهات الشرك جميعها (ق) عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به * قوله من سمع سمع الله به أي من عمل عملا مراآة للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل سمع الله به أي أسمعه المكروه (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه ولغير مسلم فانا منه بريء هو والذي عمله * عن سعيد بن أبي فضالة رضي الله عنه قال سمعت

والكلمات غير نافدة ومددا تمييز نحو لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو مايمد به ينفد حمزة وعلي وقيل قال حيي بن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه) فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول أو فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد بالقاء القدوم عليه وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا يجري على حقيقته (فليعمل عملا صالحا) خالصا لايريد به الا وجه ربه ولايخلط به غيره وعن يحيي بن معاذ هو مالايستحى منه (ولايشرك بعبادة ربه أحدا) هو نهي عن الشرك أو عن الرياء قال صلى الله عليه

(لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) ويقال تدبير ربي (ولو جئنا بمثله مددا) زيادة (قل) يامحمد (انما أنا بشر مثلكم) آدمي مثلكم (يوحى الي) جبريل (أنما الهكم اله واحد) بلاولد ولاشريك (فمن كان يرجو لقاء ربه) يخاف البعث بعد الموت (فليعمل عملا صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (ولايشرك بعبادة ربه أحدا) لايرائي ولايخالط بعبادة ربه أحدا ﴿ رسول

ن ومقدار (ذلك جزاؤهم جهنم) هى عطف بيان لجزاؤهم (بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) أى
ؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله (ان الذين آمنوا وعملوا

نزدرى بهم ولانجعل لهم مقدارا واعتبارا أولانضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ﴿ ذلك ﴾ أى الامر ذلك وقوله ﴿ جزاؤهم جهنم ﴾ جملة مبينة له ويجوز ن يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أى جزاؤهم به أوجزاؤهم بدله جهنم خبره أوجزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر ﴿ بما كفروا واتخذوا ياتى ورسلى هزوا ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ﴾ فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات لجنة واصله البستان الذى يجمع الكرم والنخل ﴿ خالدين فيها ﴾ حال مقدرة ﴿ لايبغون نها حولا ﴾ تحولا اذلايجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوزان يراد به كيد الخلود ﴿ قل لوكان البحر مدادا ﴾ مايكتب به وهو اسم مايمد به الشى كالحبر دواة والسليط للسراج ﴿ لكلمات ربى ﴾ لكلمات علمه وحكمته

نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما وضع لاهل الحسنات والسيآت من الموحدين ليتميز ندار الطاعات ومقدار السيآت قال أبوسعيد الخدرى يأتى أناس باعمال يوم القيامة ى عندهم من العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ فذلك قوله تعالى فلانقيم لهم م القيامة وزنا وقيل معناه نزدرى بهم فليس لهم عندنا حظ ولاقدر ولاوزن (ق) ن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليأتى الرجل العظيم السمين م القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلانقيم لهم يوم القيامة زنا ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما ذكر من حبوط أعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدأ فقال الى ﴿ جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا ﴾ يعنى سخرية واستهزاء ﴿ له تعالى ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ﴾ ن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط لجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال كعب ليس فى الجنان نة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة ردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقيل الفردوس هو البستان الذى الاعناب وقيل هى الجنة الملتفة بالاشجار التى تنبت ضروبا من النبات وقيل الفردوس ستان بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول الى العربية نزلا هو مايهيأ للنازل على معنى ت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل فى معنى كانت لهم أى فى علم الله تعالى ان يخلقوا ﴿ خالدين فيها لايبغون ﴾ أى لا يطلبون ﴿ عنها حولا ﴾ أى تحولا غيرها قال ابن عباس لايريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه دار أخرى ٭ قوله تعالى ﴿ قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى ﴾ قال ابن عباس ت اليهود يامحمد تزعم انا قد أوتينا الحكمة وفى كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا ثرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل وما

الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها) حال (لايبغون عنها حولا) تحولا الى غيرها رضا بما أعطوا يقال حال من مكانه حولا أى لامزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم الى أجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان فى الدنيا فى أى نعيم كان فهو طامح مائل الطرف الى أرفع منه والمراد نفى التحول وتأكيد الخلود (قل لوكان البحر) أى ماء البحر (مدادا لكلمات ربى) قال أبوعبيدة المداد مايكتب به أى لوكتب كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس

لايوزن يوم القيامة من أعمالهم قدر ذرة (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (واتخذوا آياتى) كتابى (ورسلى) محمد عليه السلام وغيره (هزوا) سخرية واستهزاء (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (كانت لهم جنات الفردوس) أعلاها درجة (نزلا) منزلا

(خالدين فيها) مقيمين فيها (لايبغون) لايطلبون (عنها حولا) تحويلا (قل) يامحمد لليهود (لوكان البحر مدادا لكلمات ربى) لعلم ربى

اذا الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (أفحسب الذين كفروا ان يتخذ عبادي من دوني أولياء) أي أفظن الكفار اتخاذهم عبادي يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام أولياء نافعهم بئس ماظنوا وقد ان بصلتها سد مسد مفعولي أحسب وعبادي أولياء مفعولا ان يتخذوا وهذا أوجه يعني انهم لايكونون لهم أولياء (انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) هو ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا) أعمالا تمييز وانما جمع والقياس أن يكون مفردا لتنوع الاهواء وهم أهل الكتاب والرهبان (الذين ضل سعيهم) ضاع وبطل وهو في محل الرفع أي هم الذين (في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فلا يكون لهم عندنا

صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصمت مسامعهم بالكلية ﴿أفحسب الذين كفروا﴾ افظنوا والاستفهام للانكار ﴿ان يتخذوا عبادي﴾ اتخاذهم الملائكة والمسيح ﴿من دوني اولياء﴾ معبودين نافعهم أولا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة أو سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل أو خبر له ﴿انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾ ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقر دونه ﴿قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا﴾ نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين أو لتنوع اعمالهم ﴿الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا﴾ ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم واخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال أو الجر على البدل أو النصب على الذم ﴿وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا﴾ لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق ﴿اولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ بالقرآن أو بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ﴿ولقائه﴾ بالبعث على ماهو عليه أو لقاء عذابه ﴿فحبطت اعمالهم﴾ بكفرهم فلا يثابون عليها ﴿فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا﴾

عليهم وقيل معناه لايستطيعون أن يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له ❊ قوله تعالى ﴿أفحسب﴾ أي أفظن ﴿الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ يعني أربابا يريد عيسى والملائكة بل هم لهم أعداء يتبرؤن منهم وقال ابن عباس يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله والمعنى أفظن الذين كفروا ان يتخذوا غيري أولياء واني لا أغضب لنفسي فلا أعاقبهم وقيل معناه أفظنوا انه ينفعهم ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء ﴿انا أعتدنا﴾ أي هيأنا ﴿جهنم للكافرين نزلا﴾ أي منزلا قال ابن عباس رضي الله عنهما هي مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالمنزل للضيف ❊ قوله تعالى ﴿قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا﴾ يعني الذين اتعبوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع وقال علي بن أبي طالب هم أهل حروراء يعني الخوارج ﴿الذين ضل سعيهم﴾ أي بطل عملهم واجتهادهم ﴿في الحيوة الدنيا وهم يحسبون﴾ أي يظنون ﴿انهم يحسنون صنعا﴾ أي عملا ثم وصفهم فقال تعالى ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه﴾ يعني أنهم جحدوا دلائل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء ﴿فحبطت أعمالهم﴾ أي بطلت ﴿فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا﴾ قيل

(أفحسب) أفيظن (الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (أن يتخذوا عبادي) أن يعبدوا عبادي (من دوني أولياء) اربابا أن ينفعوهم في الدنيا والآخرة ويقال أفحسب أفيكفي ان قرأت بضم الباء وجزم السين الذين كفروا أن يتخذوا عبادي أن يعبدوا عبادي من دوني من دون طاعتي أولياء أربابا (انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) منزلا (قل) يا محمد (هل ننبئكم) نخبركم (بالاخسرين أعمالا) في الآخرة (الذين ضل سعيهم) بطل عملهم (في الحيوة الدنيا) وهم الخوارج ويقال أصحاب الصوامع (وهم يحسبون) يظنون (انهم يحسنون صنعا) يعملون عملا صالحا (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) بمحمد عليه السلام والقرآن (ولقائه) البعث بعد الموت (فحبطت أعمالهم) حسناتهم (فلا نقيم لهم) لاعمالهم (يوم القيامة وزنا) ميزانا ويقال

(كان وعد ربي حقا) آخر قول ذي القرنين (وتركنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يومئذ يموج) يختلط (في بعض) أي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في أقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون (ونفخ في الصور) لقيام الساعة (فجمعناهم) أي جمع الخلائق للثواب والعقاب (جمعا) تأكيدا (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري) عن آياتي التي ينظر اليها أو عن القرآن فاذكره بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه (وكانوا لايستطيعون سمعا) أي وكانوا صما عنه الا انه أبلغ

﴿وكان وعد ربي حقا﴾ كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد أو يموج بعض الخلائق في بعض ويضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده قوله ﴿ونفخ في الصور﴾ لقيام الساعة ﴿فجمعناهم جمعا﴾ للحساب والجزاء ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين﴾ وابرزناها واظهرناها لهم ﴿عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري﴾ عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم ﴿وكانوا لايستطيعون سمعا﴾ استماعا لذكري وكلامي لافراط

أي أرضا ملساء وقيل مدكوكا مستويا مع الارض ﴿وكان وعد ربي حقا﴾ (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله وعقد بيده تسعين هو من موضوعات الحساب وهو ان تجعل رأس أصبعك السبابة في وسط الابهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين لها الاخلل يسير ﴿ وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال بعضهم ارجعوا فستحفرونه غدا قال فيعيده الله كأشد ما كان حتى اذا بلغوا مدتهم وأراد الله تعالى ان يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه وتفر منهم الناس وفي رواية تحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهام الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الارض وعلونا من في السماء فيزدادون قسوة وعتوا فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيهلكون فوالذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر الله من لحومهم شكرا أخرجه الترمذي قوله قسوة وعتوا أي غلظة وفظاظة وتكبرا والنغف دود يكون في أنوف الابل والغنم قوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكرا اذا امتلأ ضرعها لبنا والمعنى انها تمتلئ أجسادها لحما وتسمن (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج ﴿ قوله عز وجل ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج أي يدخل بعضهم في بعض كموج الماء ويختلط بعضهم في بعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض لكثرتهم ويختلط انسهم بجنهم حيارى ﴿ونفخ في الصور﴾ فيه دليل على ان خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة ﴿فجمعناهم جمعا﴾ أي في صعيد واحد ﴿وعرضنا﴾ أي أبرزنا ﴿جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾ ليشاهدوها عيانا ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء﴾ أي غشاء وستر ﴿عن ذكري﴾ أي عن الايمان والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها ﴿وكانوا لايستطيعون سمعا﴾ أي سمع قبول للايمان والقرآن لغلبة الشقاء

(وكان وعد ربي) بخروجهم (حقا) صدقا كائنا (وتركنا بعضهم يومئذ) يوم الخروج ويقال يوم الرجوع من الروم حيث لم يقدروا على الخروج منه (يموج) يجول (في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا) جميعا (وعرضنا جهنم) كشفنا جهنم (يومئذ) يوم القيامة (للكافرين) قبل دخولهم (عرضا) كشفا (الذين كانت أعينهم في غطاء) في عمى (عن ذكري) عن توحيدي وكتابي (وكانوا لايستطيعون سمعا) الاستماع الى قراءة القرآن من بغض محمد صلى الله عليه وسلم

فرسخ (حتى اذا ساوى بين الصـدفين) بفتحتين جانبي الجبلين لانهما تصادفان أي تتقابلان الصدفين مكي وبصري وشا
الصدفين أبو بكر (قال انفخوا) أي قال ذو القرنين للعملة انفخوا في الحديد (حتى اذا جعل

دون الخراج على العمل ﴿ حتى اذا ساوى بين الصدفين ﴾ بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل ﴿ قال انفخوا ﴾ أي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد ﴿ حتى اذا جعله ﴾ جعل المنفوخ فيه ﴿ نارا ﴾ كالنار بالاحماء ﴿ قال آتوني افرغ عليه قطرا ﴾ أي آتوني قطرا أي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة الالف ﴿ فما اسطاعوا ﴾ بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ﴿ ان يظهروه ﴾ ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه ﴿ وما استطاعوا له نقبا ﴾ لثخنه وصلابته قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها ﴿ قال هذا ﴾ هذا السد أو الاقدار على تسويته ﴿ رحمة من ربي ﴾ على عباده ﴿ فاذا جاء وعد ربي ﴾ وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج أو بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة ﴿ جعله دكا ﴾ مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى المفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا مستوية

والحديد على الحطب ﴿ حتى اذا ساوى بين الصدفين ﴾ أي بين طرفي الجبلين ﴿ قال انفخوا ﴾ يعني في النار ﴿ حتى اذا جعله نارا ﴾ أي صار نارا ﴿ قال آتوني أفرغ عليه ﴾ أي أصب عليه ﴿ قطرا ﴾ أي نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس قيل ان السد كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ واعلم ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه ﴿ فما اسطاعوا ان يظهروه ﴾ أي يعلوا عليه لعلوه وملاسته ﴿ وما استطاعوا له نقبا ﴾ أي من أسفله لشدته وصلابته ﴿ قال ﴾ يعني ذو القرنين ﴿ هذا ﴾ أي السد ﴿ رحمة من ربي ﴾ أي نعمة من ربي ﴿ فاذا جاء وعد ربي ﴾ قيل يعني يوم القيامة وقيل وقت خروجهم ﴿ جعله دكاء ﴾

أي المنفوخ فيه وهو الحديد (نارا) كالنار (قال آتوني) أعطوني (أفرغ) أصب (عليه قطرا) نحاسا مذابا لانه يقطر وهو منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قال ائتوني بوصل الالف حمزة واذا ابتدأ كسر الالف أي جيئوني (فما اسطاعوا) بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء (أن يظهروه) أن يعلوا السد (وما استطاعوا له نقبا) أي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته (قال هذا رحمة من ربي) أي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الاقدار والتمكين من تسويته (فاذا جاء وعد ربي) فاذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي (جعله) أي السد (دكا) أي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك دكاء كوفي أي أرضا مستوية

(حتى اذا ساوى بين الصدفين) طرفي الجبل (قال) لهم (انفخوا) فنفخوا فيه النار (حتى اذا جعله نارا) يقول صار الحديد كنار فذهب بعضه في بعض (قال آتوني) أعطوني (افرغ عليه)
أصب على الحائط (قطرا) صفرا (فما اسطاعوا) فلم يقدروا (ان يظهروه) من أعلاه (وما استطاعوا له (اي)
نقبا) من أسفله (قال هذا) الحائط (رحمة) نعمة (من ربي) عليكم (فاذا جاء وعد ربي) بخروج يأجوج ومأجوج (جعله دكا) كسر

(فسدون في الارض) قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيأ أخضر الا أكلوه ويابسا الا احتملوه ولا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال طو الطول وقصار مفرطو القصر (فهل نجعل لك خرجا) خراجا حمزة وعلى أي جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما ل والنوال (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال مامكني) بالادغام وبفكه مكي (فيه

واصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث ﴿ مفسدون في الارض ﴾ أي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس ﴿ فهل نجعل لك خرجا ﴾ جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر ﴿ على ان تجعل بيننا وبينهم سدا ﴾ يحجزون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي ﴿ قال مامكني فيه ربي خير ﴾ ماجعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني على الاصل ﴿ فاعينوني بقوة ﴾ أي بقوة فعلة أو بما اتقوى به من الآلات ﴿ اجعل بينكم وبينهم ردما ﴾ حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان فيه رقاع فوق رقاع ﴿ آتوني زبر الحديد ﴾ قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة

ربي خير) أي ماجعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي اليه (فاعينوني بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات (أجعل بينكم وبينهم ردما) جدارا وحاجزا حصينا موثقا والردم أكبر من السد (آتوني زبر الحديد) قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جلدا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة

أجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش احداهما ويلتحف بالاخرى يصيف في واحدة ويشتي في واحدة يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذوالقرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر له الاساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج ﴿ مفسدون في الارض ﴾ قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وأدخلوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون عند خروجهم ﴿ فهل نجعل لك خرجا ﴾ أي جعلا وأجرا من الاموال ﴿ على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ﴾ أي حاجزا فلا يصلون الينا ﴿ قال ﴾ لهم ذوالقرنين ﴿ مامكني فيه ربي خير ﴾ أي ماقواني به ربي خير من جعلكم ﴿ فاعينوني بقوة ﴾ يعني لا أريد منكم المال بل أعينوني بابدانكم وقوتكم ﴿ أجعل بينكم وبينهم ردما ﴾ أي سدا قالوا وماتلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والآلة قالوا وماتلك الآلة قال ﴿ آتوني ﴾ أي اعطوني وقيل جيئوني ﴿ زبر الحديد ﴾ أي قطع الحديد فأتوه بها وبالحطب فجعل الحطب على الحديد

مفسدون في الارض) يفسدون أرضنا يأكلون رطبنا ويحملون يابسنا ويقتلون أولادنا ويقال

سدون في الارض أي يأكلون الناس ويأجوج كان رجلا ومأجوج كان رجلا وكانا من بني يافث ويقال سمي يأجوج ومأجوج لكثرتهم (فهل نجعل لك خرجا) جعلا ويقال أجرا ان قرأت بغير الالف (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) حاجزا (قال مامكني به) ماملكني عليه (ربي) وأعطاني (خير) مما تعرضون علي من الجعل (فاعينوني بقوة) قالوا أي القوة تريد منا قال آلة الحدادين أجعل بينكم وبينهم ردما) سدا (آتوني) أعطوني (زبر الحديد) فلق الحديد

من الجبل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع

آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الارز شجر بالشأم طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك ان آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج مأجوج فهم متصلون بنا من جهة الاب دون الام وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله سبحانه وتعالى له انى باعثك الى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الارض احداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الارض احداهما في القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل وأمم في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج مأوجوج فقال ذو القرنين بأى قوة أكابدهم وبأى جمع أكاثرهم وبأى لسان أناطقهم فقال الله سبحانه وتعالى انى سأقويك وأبسط لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك شئ وألبسك الهيبة فلا يروعك شئ وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك فالنور يهديك من أمامك والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيهم الا الله تعالى فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله تعالى وعبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى أتى منسك ففعل فيهم كفعله في الامتين وجند منهم جندا عظيما ثم أخذ ناحية اليسرى فأتى تاويل ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التى في وسط الارض فلما كان فيما يلى منقطع الترك مما يلى المشرق قالت له أمة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيات والعقارب وكل ذى روح خلق في الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا شك أنهم يتملكون الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير وقال أعدوا الى الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منالهم مخالب وأضراس كالسباع ولهم هلب شعر يوارى

امره (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود والآلات وأسباب الملك (خبرا) نصب على المصدر لان فى أحطنا معنى
...رنا أو بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أى كما بلغ مغربها أو تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى انهم كفرة مثلهم
...كمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم

والحكم ﴿ وقد احطنا بما لديه ﴾ من الجنود والآلات والعدد والاسباب ﴿ خبرا ﴾ علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ﴿ ثم اتبع سببا ﴾ يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال ﴿ حتى اذا بلغ بين السدين ﴾ بين الجبلين المبنى بينهما سده وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل جبلان منيفان فى آخر الشمال فى منقطع ارض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمى به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة ﴿ وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ﴾ لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائى لا يفقهون أى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه ﴿ قالوا ياذا القرنين ﴾ أى قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ﴿ ان يأجوج ومأجوج ﴾ قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج

﴿ وقد احطنا بما لديه خبرا ﴾ أى علما بما عنده ومن معه من الجند والعدة وآلات الحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية بذلك الملك والاستقلال به والقيام بأمره * قوله عز وجل ﴿ ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين ﴾ هما هنا جبلان فى ناحية الشمال فى منقطع أرض الترك حكى ان الواثق بعث بعض من يثق به من أتباعه اليه ليعاينوه فخرجوا من باب من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل ﴿ وجد من دونهما قوما ﴾ أى امام السدين قيل هم الترك ﴿ لا يكادون يفقهون قولا ﴾ قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم ﴿ قالوا ياذا القرنين ﴾ فان قلت كيف أثبت لهم القول وهم لا يفهمون * قلت تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفقهون قولا الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم الخرس ﴿ ان يأجوج ومأجوج ﴾ أصلهما من أجيج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم من أولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل ان طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لذلك لانهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا ان يأجوج أمة ومأجوج امة وكل أمة اربعة

(ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما السدين وسدا مكى وأبو عمرو وحفص السدين وسدا حمزة وعلى بضمهما غيرهم قيل ما كان مسدودا خلقة فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح وانتصب بين على انه مفعول به لبلغ كما انجر بالاضافة فى هذا فراق بينى وبينك وكما ارتفع فى لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التى تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان فى منقطع أرض الترك مما يلى المشرق (وجد من دونهما) من ورائهما (قوما) هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) أى لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها يفقهون حمزة وعلى أى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة (قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج) هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وهمزهما عاصم فقط وهما من ولد يافث أو يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم

بلغ الى المشرق (وقد أحطنا بما لديه خبرا) (قا و خا ١٨ بع) قد علمنا بما كان عنده من الخبر والبيان (ثم أتبع سببا) أخذ طريقا الى المشرق نحو الروم (حتى اذا بلغ بين السدين) بين الجبلين (وجد من دونهما) من دون الجبلين (قوما لا يكادون يفقهون قولا) قول غيرهم (قالوا) للترجمان (ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج

(ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) في القيامة يعنى اما من دعوته الى الاسلام فابى الا البقاء على الظلم العظيم وهو الشر[illegible]
فذاك هو المعذب في الدارين (وأما من آمن وعمل صالحا) أي عمل ما يقتضيه الا[illegible]

﴿ ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ﴾ اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره أو استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه أنا ومن معى في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله ﴿ واما من آمن وعمل صالحا ﴾ وهو ما يقتضيه الايمان ﴿ فله ﴾ في الدارين ﴿ جزاء الحسنى ﴾ فعلته الحسنى، وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال أى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها أو على المصدر لفعله المقدر حالا أي يجزى بها جزاء أو التمييز، وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير أى ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثانى لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحى وان كان غيره فبالهام أو على لسان نبي ﴿ وسنقول له من امرنا ﴾ مما نأمر به ﴿ يسرا ﴾ سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ﴿ ثم اتبع سببا ﴾ ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق ﴿ حتى اذا بلغ مطلع الشمس ﴾ يعنى الموضع الذى تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض، وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف أى مكان مطلع الشمس فانه مصدر ﴿ وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ﴾ من اللباس أو البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية أو انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية ﴿ كذلك ﴾ اى امر ذى القرنين كما وصفناه في رفعة المكانة وبسطة الملك أو امره فيهم كأمره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد أو نجعل أو صفة قوم أى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس في الكفر

﴿ ثم يرد الى ربه ﴾ أى في الآخرة ﴿ فيعذبه عذابا نكرا ﴾ أى منكرا يعنى بالنار لانها أنكر من القتل ﴿ وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى ﴾ أى جزاء أعماله الصالحة ﴿ وسنقول له من أمرنا يسرا ﴾ أى نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا ﴿ ثم اتبع سببا ﴾ أى سلك طريقا ومنازل ﴿ حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ﴾ قيل انهم كانوا في مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فاذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل انهم كانوا اذا طلعت الشمس نزلوا في الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقيل هم قوم عراة يفترش أحدهم احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى وقيل انهم قوم من نسل مؤمنى قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية «[illegible] قيسيا» وهم مجاورن يأجوج ومأجوج ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ كذلك ﴾ أى كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه أنه حكم في القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم في القوم الذين عند مغرب [illegible]

(فله جزاء الحسنى) فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة جزاء الحسنى كوفى غير أبى بكر أى فله الفعلة الحسنى جزاء (وسنقول له من امرنا يسرا) أى ذا يسر أى لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك (ثم أتبع [illegible] حتى [illegible] مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم) هم الزنج (لم نجعل لهم من دونها) من دون الشمس (سترا) أى أبنية عن كعب أرضهم لا تمسك الابنية وبها أسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم أو الستر اللباس عن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض (كذلك) أى أمر ذو القرنين [illegible] كما وصفناه تعظيما

(ثم يرد الى ربه) في الآخرة (فيعذبه) بالنار (عذابا نكرا) شديدا (وأما من آمن) بالله (وعمل صالحا) خالصا (فله جزاء الحسنى) الجنة في الآخرة (وسنقول له من أمرنا يسرا) معروفا (ثم

اتبع سببا) أخذ طريقا نحو المشرق (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها) (وقد)
بينهم وبين الشمس (سترا) جبلا ولا شجرا ولا ثوبا قوم عماة عراة عن الحق يقال لهم تارج وتاويل ومنسك (كذلك) كما بلغ الى المغرب

حتى اذا بلغ مغرب الشمس) أى منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع قال صلى الله عليه وسلم بدءأمره انه وجد فى الكتب ان أحد
لا دسام يشرب من عين الحياة فيخلد فجعل يسير فى طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين (وجدها
ب فى عين حمئة) ذات حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة حامية شامى وكوفى غير حفص بمعنى حارة وعن أبى ذر كنت رديف
سول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أندرى يا أباذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تغرب
عين حمئة وكان ابن عباس رضى الله عنهما عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال
ابن عباس حمئة فقال
معاوية لعبد الله بن عمر
كيف تقرأها فقال كما يقرأ
أمير المؤمنين ثم وجه الى
كعب الاحبار كيف تجد
الشمس تغرب قال فى ماء
وطين كذلك نجده
فى التوراة فوافق قول ابن
عباس رضى الله عنهما ولا
تنافى فجاز أن تكون العين
جامعة للوصفين جميعا
(ووجد عندها) عند تلك
العين (قوما) عراة من
الثياب لباسهم جلود الصيد
وطعامهم مالفظ البحر
وكانوا كفارا (قلنا ياذا
القرنين اما ان تعذب واما
ان تتخذ فيهم حسنا) ان
كان نبيا فقد أوحى الله اليه
بهذا والا فقد أوحى الى نبى
فامره النبى به أو كان الهاما
خير بين ان يعذبهم بالقتل
ان أصروا على أمرهم
وبين ان يتخذ فيهم حسنا
باكرامهم وتعليم الشرائع
ان آمنوا أو التعذيب القتل
واتخاذ الحسن الاسر لانه بالنظر الى القتل احسان (قال) ذو القرنين (امامن ظلم فسوف نعذبه) بالقتل

أى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه * وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء ﴿ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ﴾ ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة * وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابوبكر حامية اى حارة ولا تنافى بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين أو حمئة على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ماقبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن فى مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التوراة ﴿ ووجد عندها ﴾ عند تلك العين ﴿ قوما ﴾ قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم مالفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم أو يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله ﴿ قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب ﴾ أى بالقتل على كفرهم ﴿ واما ان تتخذ فيهم حسنا ﴾ بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره الله بين القتل والاسر وسماه احسانا فى مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله ﴿ قال اما من ظلم فسوف نعذبه

﴿ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ﴾ أى ذات حمأة وهى الطينة السوداء وقرئ حامية أى حارة وسأل معاوية كعبا كيف تجد فى التوراة تغرب الشمس وأين تغرب قال نجد فى التوراة أنها تغرب فى ماء وطين وقيل يجوز أن يكون معنى فى عين حمئة أى عندها عين حمئة أو فى رأى العين وذلك انه بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من العمران فوجد الشمس كأنها تغرب فى وهدة مظلمة كما ان راكب البحر يرى ان الشمس كأنها تغيب فى البحر ﴿ ووجد عندها قوما ﴾ أى عند العين أمة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب يقال انها الجاسوس واسمها بالسريانية « حرجسا » سكنها قوم من نسل ثمود الذين آمنوا بصالح لولا ضجيج أهلها لسمع الناس وجبة الشمس حين تجب أى تغيب ﴿ قلنا ياذا القرنين ﴾ يستدل بهذا من يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الهام وقيل يحتمل ان يكون الخطاب على لسان غيره ﴿ اما ان تعذب ﴾ يعنى تقتل من لم يدخل فى الاسلام ﴿ واما ان تتخذ فيهم حسنا ﴾ يعنى تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله سبحانه وتعالى بين الامرين ﴿ قال أما من ظلم ﴾ أى كفر ﴿ فسوف نعذبه ﴾ أى نقتله

يقا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) حيث تغرب (وجدها تغرب فى عين حمئة) حارة ويقال طينة سوداء منتنة ان قرأت بغير الالف
وجد عندها قوما) كفارا (قلنا ياذا القرنين) ألهمناه (اما أن تعذب) تقتل حتى يقولوا لا اله الا الله (وإما أن تتخذ فيهم حسنا)
وفا تعفو عنهم وتتركهم (قال اما من ظلم) كفر بالله (فسوف نعذبه) فى الدنيا بالقتل

ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود وقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبي وقيل ملكا من الملائكة وعن على رضى الله عنه انه قال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن فى طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله

[illegible] عنه كيقن الكبش [illegible] قرنه واختلف فى نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا أو مشركوا مكة ﴿قل سأتلوا عليكم منه ذكرا﴾ خطاب للسائلين والهاء لذى القرنين وقيل لله ﴿انا مكناله فى الارض﴾ أى مكناله امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول ﴿وآتيناه من كل شئ﴾ اراده وتوجه اليه ﴿سببا﴾ وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة ﴿فاتبع سببا﴾

حسنتان وقيل كان له قرنان توار يهما العمامة وروى عن على أنه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فاحياه الله ثم بعثه الله فامرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فاحياه الله واختلفوا فى نبوته فقيل كان نبيا ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا ياذا القرنين وخطاب الله لايكون الامع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال أبو الطفيل سئل على عن ذى القرنين أكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا أحب الله فاحبه الله وناصح الله فناصحه الله وروى ان عمر سمع رجلا يقول لآخر ياذا القرنين فقال تسميتم باسماء الانبياء فلم ترضوا حتى تسميتم باسماء الملائكة والاصح الذى عليه الاكثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ اقصى المشرق والمغرب والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد ان دان له طوائف ثم مضى الى ملوك العرب وقهرهم ومضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشأم وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية وبوب الابواب وبنى السدود ودانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها وحمل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان ألفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذى هو على خلاف العادات وجب أن يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ويسئلونك عن ذى القرنين ﴿قل سأتلوا عليكم منه ذكرا﴾ أى خبرا يتضمن حاله ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿انا مكناله فى الارض﴾ أى وطأناله والتمكين تمهيد الاسباب قال على سخر الله له السحاب فحمل عليه ومدله فى الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير فى الارض وذلل له طريقها ﴿وآتيناه من كل شئ﴾ مما يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء ﴿سببا﴾ أى علما يتسبب به الى كل ما يريد ويسير به فى أقطار الارض وقيل بلاغا الى حيث أراد وقيل قربناله أقطار الارض ﴿فاتبع سببا﴾ أى سلك طريقا

[illegible] قيل كان يدعوهم الى توحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وقال عليه السلام سمى ذا القرنين لانه طاف قرنى الدنيا يعنى جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أى ضفيرتان أوانقرض فى وقته قرنان من الناس أولانه ملك الروم وفارس أو الترك والروم أوكان لتاجه قرنان أوعلى رأسه مايشبه القرنين أوكان كريم الطرفين أبا وأما وكان من الروم (قل سأتلوا عليكم منه) من ذى القرنين (ذكرا انا مكناله فى الارض) جعلناله فيها مكانة واعتلاء (وآتيناه من كل شئ) أراده من اغراضه ومقاصده فى ملكه (سببا) طريقا موصلا اليه (فاتبع سببا) والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فاتبع سببا وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا فاتبع ثم أتبع كوفى وشامى الباقون بوصل الالف وتشديد التاء عن الاصمعى اتبع لحق واتبع اقتفى وان لم يلحق (حتى)

(قل) يا محمد لهم (سأتلوا عليكم) سأقرأ عليكم (منه) من خبره (ذكرا) بيانا (انا مكناله) مكناه (فى الارض وآتيناه) أعطيناه (من كل شئ سببا) معرفة الطريق والمنازل (فاتبع سببا) فاخذ

مختلفة ﴿ ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ﴾ أى مالم تستطع فحذف التاء تخفيفا من فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار مالم يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعى الادب فى المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ﴿ ويسئلونك عن ذى القرنين ﴾ يعنى اسكندر الرومى ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمى ذا القرنين أو لانه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض فى ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان أى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب

ان تظهر رحمة الله لانها بأسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى ﴿ ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ﴾ أى لم تطق ان تصبر عليه روى ان موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق الخضر قال أوصنى قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلب العلم لتعمل به ﴿ واختلف العلماء فى ان الخضر أحى أم ميت فقيل انه حى وهو قول الاكثرين من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة والحكايات فى رؤيته والاجتماع به ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من ان تحصر قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاواه هو حى عند جماهير العلماء فى الصالحين والعامة هذا آخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب فى حياة الخضر فيما حكى أنه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى شكرا لله تعالى وأخطأ ذو القرنين الطريق فرجع وذهب آخرون الى انه ميت لقوله سبحانه وتعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة أرأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده ﴿ وقوله عز وجل ﴿ ويسئلونك عن ذى القرنين ﴾ قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلفوس كذا صح الرومى وكان ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل الامام فخر الدين فى تفسيره عن أبى الريحان السرورى المنجم فى كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية انه من حمير واسمه أبو كرب سمى بن عير بن افريقيس الحميرى وهو الذى افتخر به أحد شعراء حمير حيث يقول

قد كان ذو القرنين جدى مسلما ... ملكا علا فى الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغى ... أسباب ملك من كريم مرشد
فرأى مآب الشمس عند غروبها ... فى عين ذى خلب وثأط حرمد

قوله فرأى مآب الشمس أى ذهاب الشمس وقوله فى عين ذى خلب أى حمأة والثأطة الحمأة أيضا والجمع ثأط والحرمد الطين الاسود وقيل سمى ذا القرنين لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه رأى فى المنام كان أخذ بقرنى الشمس وقيل لانه كان له ذؤابتان

تخفيفا وقد زل اقدام اقوام من الضلال فى تفضيل الولى على النبى وهو كفر جلى حيث قالوا أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولى والجواب ان الخضر نبى وان لم يكن كما زعم البعض فهذا ابتلاء فى حق موسى عليه السلام على ان أهل الكتاب يقولون ان موسى هذا ليس موسى بن عمران انما هو موسى بن ماثان ومن المحال أن يكون الولى وليا بايمانه بالنبى ثم يكون النبى دون الولى ولا غضاضة فى طلب موسى العلم لان الزيادة فى العلم مطلوبة وانما ذكر أولا فاردت لانه افساد فى الظاهر وهو فعله وثالثا فاراد ربك لانه انعام محض وغير مقدور البشر وثانيا فاردنا لانه افساد من حيث الفعل انعام من حيث التبديل وقال الزجاج معنى فاردنا فاراد الله عز وجل ومثله فى القرآن كثير (ويسئلونك) أى اليهود على جهة الامتحان أو أبو جهل وأشياعه (عن ذى القرنين) هو الاسكندر الذى ملك الدنيا قيل

تنسى (ذلك تأويل) تفسير (مالم تسطع عليه صبرا) مالم تصبر عليه (ويسئلونك) يا محمد اهل مكة (عن ذى القرنين) عن خبر ذى القرنين

يتعب وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله ﴿ وكان ابوهما صالحا ﴾ تنبيه على ان سعيه ذلك كان لصلاحه وقيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح ﴿ فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ﴾ أي الحلم وكمال الرأى ﴿ ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ﴾ مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة أو مصدر الاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت مافعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لامدخل له في بلوغ الغلامين أولان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج اولاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط ﴿ ومافعلته ﴾ ومافعلت مارأيته ﴿ عن امرى ﴾ عن رأيي وانما فعلته بامر الله عزوجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله

لاشريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه والويل كل الويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه وقيل الكنز اذا أطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما ﴿ وكان أبوهما صالحا ﴾ قيل كان اسمه كاشح وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر ان الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله مادام فيهم وقال سعيد بن المسيب انى لاصلى فاذكر ولدي فازيد في صلاتي ﴿ فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ﴾ أي يدركا ويعقلا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثماني عشرة سنة فان قلت كيف قال في الاولى فاردت وفي الثانية فاردنا وفي الثالثة فاراد ربك وما وجه كل واحد من هذه الالفاظ قلت انه لما ذكر العيب أضافه الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فاردت ان اعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من علماء العظماء في علم الباطن وعلوم الحكمة وانه لم يقدم على مثل هذا القتل الا لحكمة عالية ولما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لاجل صلاح أبيهما أضافه الى الله سبحانه وتعالى لان حفظ الابناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس الا الله سبحانه وتعالى فلاجل ذلك أضافه الى الله تعالى ﴿ ويستخرجا كنزهما ﴾ يعني اذا بلغا وعقلا وقويا ﴿ رحمة من ربك ﴾ أي نعمة من ربك ﴿ ومافعلته عن أمري ﴾ أي باختياري ورأيي بل فعلته بامر الله والهامه اياي لان تنقيص أموال الناس واراقة دمائهم وتغيير احوالهم لايكون الا بالنص وامر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى ومافعلته عن امري على ان الخضر كان نبيا لان هذا يدل على الوحي وذلك للانبياء والصحيح انه ولي الله وليس بنبي واجيب عن قوله سبحانه تعالى ومافعلته عن امري انه الهام من الله سبحانه وتعالى له بذلك وهذه درجة الاولياء وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض

واحلت لنا (وكان ابوهما) قيل جدهما السابع (صالحا) ممن يتحجى وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى [illegible]

قال بصلاح ابيهم قال فابي وجدي خير منه (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما) اي الحلم (ويستخرجا كنزهما رحمة) مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما (من ربك ومافعلته) ومافعلت مارأيت (عن امرى) عن اجتهادي وانما فعلته بامر الله والهاء يعود الى الكل

رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكان ابوهما صالحا) ذوامانة يقال له كاشح (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما) ان يحتلما (ويستخرجا كنزهما) يعني اللوح (رحمة من ربك) نعمة لهما من ربك ويقال وحيا من ربك فعلته (وما فعلته عن امري) من قبل

...وء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء اويعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وهو من كلام الخضر وانما خشى الخضر
...ذلك لانه تعالى اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وان كان من قول الله تعالى فمعنى فخشينا فعلمنا أن عاش ان يصير سببا لكفر
...والديه (فاردنا ان يبدلهما ربهما) يبدلهما ربهما مدنى وابو عمرو (خيرا منه زكوة) طهارة ونقاء من الذنوب (واقرب رحما)
- وعطفا وزكاة ورحما تمييز روى انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا او
سبعين نبيا أو ابدلهما ابنا
مؤمنا مثلهما رحما شامى
وهما لغتان (واما الجدار
فكان لغلامين) اصرم
وصريم (يتيمين فى المدينة)
هى القرية المذكورة
(وكان تحته كنز لهما)
اى لوح من ذهب مكتوب
فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر
كيف يحزن وعجبت لمن
يؤمن بالرزق كيف يتعب
وعجبت لمن يؤمن بالموت
كيف يفرح وعجبت لمن
يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا
وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول
الله او مال مدفون من ذهب
وفضة او صحف فيها علم والاول
اظهر وعن قتادة احل
الكنز لمن قبلنا وحرم علينا
وحرمت الغنيمة عليهم

بالحلف الكاذب فقتلته
(فاردنا ان يبدلهما ربهما)
ولدا (خيرا منه زكوة) صالحا
(واقرب رحما) وصل رحما
فرزق الله لهما جارية فتزوج
بها نبي من الانبياء فولدت
نبيا من الانبياء فهدى الله
على يديه امة من الناس وكان
الغلام رجلا كافرا لصا قتالا
...لك قتله الخضر وكان اسمه جيسور (واما الجدار) الذى سوته (فكان لغلامين يتيمين) وكان اسمهما اصرم وصريم (فى المدينة)
...مدينة انطاكية (وكان تحته كنز لهما) لوح من الذهب فيه علم وحكمة مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالموت كيف
...يفرح وعجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد

...ضلاله أو عما لأنه على طغيانه وكفره حبا له وانما خشى ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما ان نجدة الحرورى كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان كنت علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى
فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك أى فكره كراهة من خاف سوء عاقبة ويجوز ان يكون قوله
فخشينا حكاية قول الله عز وجل ﴿ فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ﴾ أن يرزقهما بدله ولدا
خيرا منه ﴿ زكوة ﴾ طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة ﴿ واقرب رحما ﴾ رحمة
وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبى فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم
قرأ نافع وأبو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على
التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة ﴿ واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة ﴾
قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ من ذهب
وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما فى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة
لمن لا يؤدى زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من
ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف

﴿ فاردنا أن يبدلهما ربهما ﴾ الابدال رفع الشئ ووضع آخر مكانه ﴿ خيرا منه زكوة ﴾
أى صلاحا وتقوى وقيل هو فى مقابلة قوله تعالى أقتلت نفسا زاكية فقال الخضر أردنا أن
يرزقهما الله خيرا منه زكاة ﴿ واقرب رحما ﴾ أى ويكون المبدل منه أقرب عطفا ورحمة بابويه بان
يبرهما ويشفق عليهما قيل أبدلهما جارية فتزوجها نبى من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على
يديه أمة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما بغلام مسلم وقيل انه الغلام الذى قتل فرح
به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله
تعالى وان قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب ﴿ قوله سبحانه وتعالى
﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة ﴾ قيل كان اسمهما أصرم وصريم ﴿ وكان
تحته كنز لهما ﴾ روى أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان الكنز ذهبا وفضة
أخرجه الترمذى وقيل كان الكنز صحفا فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه
عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالقدر كيف يغضب عجبا لمن ايقن بالرزق كيف
يتعب عجبا لمن أيقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف
يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفى الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدى

فراق بيني وبينك وقد قرئ به فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم ز

الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني أو الى الاعتراض الثالث أو الوقت أي هذا الاعتراض سبب فراقنا أو هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل ﴿ سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا ﴾ بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾ لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيأ اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك أو لزمانتهم فانها كانت لعشر اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر ﴿ فاردت ان اعيبها ﴾ ان أجعلها ذات عيب ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ قدامهم أو خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندى الازدى ﴿ يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ من أصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب وانما قدم للعناية أو لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وأدعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها ﴿ واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ﴾ ان يغشاهما ﴿ طغيانا وكفرا ﴾ لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا أو يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بعلته فيرتدا

على ترك أخذ الاجر هو المفرق بيننا ﴿ سأنبئك ﴾ أي سوف أخبرك ﴿ بتأويل مالم تستطع عليه صبرا ﴾ وقيل ان موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني فقال الخضر ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾ قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر أي يؤجرونها ويكتسبون بها وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيأ لايزول عنه اسم المسكنة اذا لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال الفقير في الضر والحاجة أشد من حال المسكين لان الله سبحانه وتعالى سماهم مساكين مع انهم يملكون تلك السفينة ﴿ فاردت أن أعيبها ﴾ أي أجعلها ذات عيب ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ أي أمامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والاول أصح ﴿ يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ أي كل سفينة صالحة فخرقتها وعبتها حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندى الازدى وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وروى ان الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت اذا هي مرت به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزوا أصلحوها وانتفعوا بها ﴿ قوله عز وجل ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا ﴾ أي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا ﴿ ان يرهقهما ﴾ أي يغشيهما وقيل يكلفهما ﴿ طغيانا وكفرا ﴾ قيل معناه فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه على دينه

وخمسة يعملون في البحر (فاردت ان اعيبها) اجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) امامهم أو خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى (يأخذ كل سفينة غصبا) اي يأخذ كل سفينة صالحة لاعيب فيها غصبا وان كانت معيبة تركها وهو مصدر أو مفعول له فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتأخر عن السبب قلت المراد به التأخير وانما قدم للعناية (واما الغلام) وكان اسمه الحسين (فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا) فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه

(سأنبئك) اخبرك (بتأويل) بتفسير (مالم تستطع عليه صبرا) مالم تصبر عليه (اما السفينة) التي ثقبتها (فكانت لمساكين يعملون في البحر) فيعبرون بالناس (فاردت ان اعيبها) اشينها (وكان وراءهم) قدامهم (ملك) يقال له جلندى (يأخذ كل سفينة غصبا) فلذلك ثقبتها (واما الغلام) الذي قتلته ﴿ فاردنا (فكان ابواه مؤمنين) من عظماء تلك القرية (فخشينا ان يرهقهما) فعلم ربك ان يكلفهما (طغيانا وكفرا) بطغيانه وكفره ومعص

(فانطلقا حتى اذا أتيا اهل قرية) هى انطاكية او الابلة وهى ابعد ارض الله من السماء (استطعما اهلها) استضافا (فابوا ان يضيفوهما) ضيفه انزله وجعله ضيفه قال عليه السلام كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التى تبخل بالقرى (فوجدا فيها) قرية (جدارا) طوله مائة ذراع (يريد ان ينقض) يكاد يسقط استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك (فاقامه) بيده او مسحه بيده فقام واستوى او نقضه وبناء كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزمتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان (قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا) اى [illegible] تستدفع به الضرورة لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وادغام الذال بصرى وباظهارها مكى وبتشديد التاء وفتح الخاء واظهار الذال حفص وبتشديد التاء وفتح الخاء وادغام الذال فى التاء غيرهم والتاء فى تخذ اصل كما فى تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ فى شئ (قال هذا فراق بينى وبينك) هذا اشارة الى السؤال الثالث اى هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا

(فانطلقا) فمضيا (حتى اذا أتيا اهل قرية) يقال انها انطاكية (استطعما اهلها) [illegible] من اهلها الخبز (فابوا ان يضيفوهما) يعطوهما الطعام (تا و خا ١٧ بع) (فوجدا فيها جدارا) حائطا مائلا (يريد ان ينقض) ان يسقط (فاقامه) فسواه الخضر (قال) موسى (لو شئت) ياخضر (لاتخذت عليه اجرا) جعلا خبزا نأكله (قال) الخضر (هذا فراق بينى وبينك) ياموسى

﴿فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية﴾ قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية ﴿استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما﴾ وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه أنزله وأصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال ﴿فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض﴾ يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال

يريد الرمح صدر ابى براء ۞ ويعدل عن دماء بنى عقيل

وقال آخر

ان دهرا يلم شملى بجمل ۞ لزمان يهم بالاحسان

وينقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من النقض وقرئ أن ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا ﴿فاقامه﴾ بعمارته أو بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه ﴿قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ تحريضا على أخذ الجعل لينتعشا به أو تعريضا بانه فضول لما فى لو من النفى كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت أى لاتخذت وأظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون ﴿قال هذا فراق بينى وبينك﴾ الاشارة

بقال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله ذمامة هو بذال معجمة أى حياء واشفاق من الذم واللوم يقال ذممته ذمامة يعنى لمته ملامة ويشهد له قول الخضر هذا فراق بينى وبينك ۞ قوله سبحانه وتعالى ﴿فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية﴾ قال ابن عباس يعنى انطاكية وقيل الابلة وهى أبعد الارض من السماء وقيل هى بلدة بالاندلس ﴿استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما﴾ قال ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم أتيا أهل قرية لئاما فطافا فى المجالس فاستطعما فابوا أن يضيفوهما وروى أنهما طافا فى القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما عن أبى هريرة قال أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا لنسائهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التى لا تضيف الضيف ﴿فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض﴾ أى يسقط وهذا من [illegible] الكلام لان الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول دارى تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الارادة ﴿فاقامه﴾ أى سواه وفى حديث أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده هكذا فاقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه ﴿قال﴾ يعنى موسى ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ يعنى على اصلاح الجدار جعلا والمعنى انك قد علمت أنا جياع وان أهل القرية لم يطعمونا فلو اتخذت على عملك أجرا ﴿قال﴾ يعنى الخضر ﴿هذا فراق بينى وبينك﴾ يعنى هذا وقت فراق بينى وبينك وقيل هذا الانكا

اللهم آتنا من لدنك رحمة وعلما

﴿ قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا ﴾ زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسمابقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد فى الاستنكار ثانى مرة ﴿ قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى ﴾ وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبنى أى فلا تجعلنى صاحبك ﴿ قد بلغت من لدنى عذرا ﴾ قد وجدت عذرا من قبلى لما خالفتك ثلاث مرات * وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخى موسى استحيي فقال ذلك لولبث مع صاحبه لابصر أعجب الاعاجيب * وقرأ نافع من لدنى بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله

قدنى من نصر الخبيبين قدى .

وأبو بكر لدنى بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد

﴿ قال ﴾ يعنى الخضر ﴿ ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا ﴾ قيل زاد فى هذه الآية قوله لك لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة توكيد للتوبيخ فعند هذا ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى ﴾ قيل ان يوشع كان يقول لموسى يانبى الله اذكر العهد الذى أنت عليه قال موسى ان سألتك عن شئ بعد هذه المرة فلا تصاحبنى أى فارقنى ولا تصاحبنى ﴿ قد بلغت من لدنى عذرا ﴾ قال ابن عباس أى قد أعذرت فيما بينى وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر فى مفارقتى والمعنى أنه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين أولا وثانيا مع قرب المدة (ق) عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحدا من الانبياء بدأ بنفسه ولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة

(قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) زاد لك هنا لان النكر فيه اكثر (قال ان سألتك عن شئ بعدها) بعد هذه الكرة اوالمسئلة (فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) اعذرت فيما بينى وبينك فى الفراق ولدنى بتخفيف النون مدنى وابوبكر

(قال) الخضر (ألم اقل لك) ياموسى (انك لن تستطيع معى صبرا) انك ترى منى شيأ لا تصبر على ذلك (قال) موسى (ان سألتك) ياخضر (عن شئ بعدها) بعد قتل هذه النفس (فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) قد اعذرت منى بترك الصحبة

(فقال)

ولا ترهقني من امري عسرا) رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اى ولا تغشني عسرا من امري و هو اتباعه اياه اى ولا تعسر متابعتك ويسرها على بالاغضاء وترك المناقشة (فانطلقا حتى اذا القيا غلاما فقتله) قيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه ثم ذبحه بالسكين وانما قال فقتله بالفاء وقال خرقها بغير فاء لان خرقها جعل جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء (قال أقتلت نفسا) وانما خولف بينهما لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (زكية) زاكية حجازي و ابو عمرو وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت اولانها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) اى لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (لقد جئت شيأ نكرا) وبضم الكاف حيث كان مدني وأبو بكر وهو المنكر وقيل المنكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق أهل السفينة أو معناه جئت شيأ أنكر من الاول لان الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل

﴿ ولا ترهقني من امري عسرا ﴾ ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر على متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين ﴿ فانطلقا ﴾ أي بعدما خرجا من السفينة ﴿ حتى اذا لقيا غلاما فقتله ﴾ قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال ولذلك ﴿ قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس ﴾ أي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم أو انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها أو قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا أو قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه السلام مستأنفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله ﴿ لقد جئت شيأ نكرا ﴾ أي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر بضمتين

والثانية شرطا والثالثة عمدا ﴿ ولا ترهقني ﴾ أي لا تغشني ﴿ من أمري عسرا ﴾ والمعنى لا تعسر على متابعتك ويسرها بالاغضاء وترك المناقشة وقيل لا تكلفني مشقة ولا تضيق على أمري ﴿ فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله ﴾ في القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فاخذ الخضر غلاما ظريفا وضيء الوجه كأن وجهه يتوقد حسنا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه أخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه وأشار باصابعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وروى انه رضخ رأسه بحجر وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول أقتلت نفسا زاكية الا وهو صبي لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه جيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ الى أبويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق أبويه طغيانا وكفرا لفظ مسلم ﴿ قال ﴾ يعني موسى ﴿ أقتلت نفسا زاكية ﴾ أي لم تذنب قط وقرئ زكية وهي التي أذنبت ثم تابت ﴿ بغير نفس ﴾ أي لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل ﴿ لقد جئت شيأ نكرا ﴾ أي منكرا عظيما وقيل النكر أعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر أعظم لان فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيأ أنكر من الاول لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه

(ولا ترهقني من أمري عسرا) يعني لا تكلفني من أمري شدة (فانطلقا) فمضيا (حتى اذا لقيا غلاما) بين قريتين (فقتله) الخضر (قال) موسى (أقتلت) يا خضر (نفسا زكية) بريئة (بغير نفس) بغير قتل نفس (لقد جئت شيأ نكرا) فعلت فعلا منكرا عظيما

(قال فان اتبعتنى فلاتسألنى) بفتح اللام و مديد النون مدنى وشامى و بسكون اللام وبتخفيف النون غيرهما والياء
فيهما اجماعا (عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا) أى فمن شرط اتباعك لى انك اذا رأيت منى شيأ وقد علمت انه
الا انه خفى عليك وجه صحته فانكرت فى نفسك ان لاتفاتحنى بالسؤال ولاتراجعنى فيه حتى اكون انا الفاتح عليك
من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع (فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خر

فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال اهلها هما من اللصوص وقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلى الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ثم (قال اخرقتها لتغرق اهلها) ليغرق حمزة وعلى من غرق (لقد جئت شيأ امرا) اتيت شيأ عظيما من امر الامر اذا عظم (قال) اى الخضر (ألم اقل انك لن تستطيع معى صبرا) فلما رأى موسى ان الخرق لايدخله الماء ولم يغر من السفينة (قال لاتؤاخذنى بما نسيت) بالذى نسيته اوبشئ نسيته اوبنسيانى اراد انه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسى اواراد بالنسيان الترك اى لاتؤاخذنى بما تركت من وصيتك اول مرة

﴿ قال فان تبعتنى فلاتسألنى عن شئ ﴾ فلاتفاتحنى بالسؤال عن شئ انكرته منى ولم
وجه صحته ﴿ حتى احدث لك منه ذكرا ﴾ حتى ابتدئك ببيانه ، وقرأ نافع وابن عا
فلاتسألنى بالنون الثقيلة ﴿ فانطلقا ﴾ على الساحل يطلبان السفينة ﴿ حتى اذا ركبا فى السف
خرقها ﴾ اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها ﴿ قال اخرقتها لتغر
اهلها ﴾ فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضى الى غرق اهلها ، وقرئ لتغرق بالتشد
للتكثير ، وقرأ حمزة والكسائى ليغرق اهلها على اسناده الى اهل ﴿ لقد جئت شيأ امرا ﴾
اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم ﴿ قال ألم اقل انك لن تستطيع معى صبرا ﴾
تذكير لما ذكره قبل ﴿ قال لاتؤاخذنى بما نسيت ﴾ بالذى نسيته أو بشئ نسيته يع
وصيته بان لايعترض عليه أو بنسيانى اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه فى معرض النه
عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك أى لاتؤاخذنى بما ترك
من وصيتك أول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شئ آخر نسيه

لا أخالفك فيما تأمرنى به ﴿ قال فان اتبعتنى ﴾ أى فان صحبتنى ولم يقل اتبعنى ولكن جع
الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال ﴿ فلاتسألنى عن شئ ﴾ أى مما أعمله مما تنكره ولا تعترض
عليه ﴿ حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ معناه حتى أبتدئ بذكره فابين لك شانه ﴿ قو
سبحانه وتعالى ﴿ فانطلقا ﴾ أى يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجد
سفينة فركباها فقال أهل السفينة هؤلاء لصوص وأمروهما بالخروج فقال صاح
السفينة ماهم بلصوص ولكن أرى وجوه الانبياء وروينا عن أبى بن كعب عن الن
صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغ
نول أى بغير عوض ولاعطاء فلما لججوا فى البحر أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا م
أنواح السفينة فذلك قوله تعالى ﴿ حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال ﴾ يعن
موسى له ﴿ أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا ﴾ أى اتيت شيأ عظيما منك
روى ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى ان موسى لما رأى ذلك أخ
ثوبه فحشا به الخرق ﴿ قال ﴾ العالم وهو الخضر ﴿ ألم أقل انك لن تستطيع معى صب
قال ﴾ يعنى موسى ﴿ لاتؤاخذنى بما نسيت ﴾ قال ابن عباس لم ينس ولكنه م
معاريض الكلام فكأنه نسى شيأ آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسي
الترك وقال أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسي

قال) الخضر (فان اتبعتنى) صحبتنى ياموسى (فلاتسألنى عن شئ) فعلته (حتى أحدث لك) حتى أبين لك (منه ذكرا) بيانا (فانطلقا) (والثاني
فمضيا موسى والخضر عليهما السلام (حتى اذا ركبا فى السفينة) عند العبر (خرقها) ثقبها الخضر (قال) له موسى (أخرقتها لتغرق
لكى يغرق (أهلها) ان قرأت بنصب الياء ويقال لتغرق انها ان قرأت بضم التاء (لقد جئت شيأ امرا) لقد فعلت شيأ منكرا
على القوم (قال) له الخضر (ألم أقل) ياموسى (انك لن تستطيع معى صبرا قال) موسى (لاتؤاخذنى بما نسيت) تركت من و

﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ هي الوحي والنبوة ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ مما تختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب ﴿قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن﴾ على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف ﴿مما علمت رشدا﴾ علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك أو مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره مالم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه ﴿قال انك لن تستطيع معي صبرا﴾ نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله ﴿وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا﴾ أي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز أو مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره ﴿قال ستجدني ان شاء الله صابرا﴾ معك غير منكر عليك ﴿ولا اعصى لك أمرا﴾ عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص أو على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن أو لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديدة فلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى

﴿آتيناه رحمة﴾ أي نعمة ﴿من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾ أي علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم • فان قلت ظاهر هذه الآيات يدل على ان الخضر كان أعلى شأنا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتأدب معه • قلت لانه لو اما أن يكون الخضر من بني اسرائيل أو من غيرهم فان كان من بني اسرائيل فهو من أمة موسى ولا جائز أن يكون أحد الامة أفضل من نبيها أو أعلى شأنا منه وان كان من غير بني اسرائيل فقد قال الله تعالى لبني اسرائيل وأني فضلتكم على العالمين أي على عالمي زمانكم ﴿قال له موسى هل أتبعك﴾ معناه جئت لاصحبك و أتبعك ﴿على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ أي صوابا وقيل علما ترشدني به وفي بعض الاخبار قال الخضر أما يكفي بالتوراة علما وبني اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله أمرني بهذا فحينئذ ﴿قال﴾ الخضر لموسى ﴿انك لن تستطيع معي صبرا﴾ وانما قال ذلك لانه علم انه يرى أمورا منكرة ولا يجوز للانبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال ﴿وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا﴾ أي علما ﴿قال﴾ موسى ﴿ستجدني ان شاء الله صابرا﴾ انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر ﴿ولا أعصى لك أمرا﴾ أي

علمت رشدا) أي علما ذا رشد ارشـد به في ديني رشـدا أبو عمرو وهما لغتان كالبخل والبخل وفيه دليل على انه لا ينبغي لاحد أن يترك طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه (قال انك لن تستطيع معي) و بفتح الياء حفص وكذا ما بعده في هذه السورة (صبرا) أي عن الانكار والسؤال (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) تمييز نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد وعلل ذلك بانه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا يتمالك أن لا يخرج اذ رأى ذلك فكيف اذا كان نبيا (قال ستجدني ان شاء الله صابرا) من الصابرين عن الانكار والاعتراض (ولا اعصى لك امرا) في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاصٍ وهو عطف على ستجدني ولا محل له

يعني الخضر (آتيناه رحمة من عندنا) يقول اكرمناه بالنبوة (وعلمناه من لدنا علما) علم الكوائن (قال له موسى هل أتبعك) أصحبك يا خضر (على أن تعلمن مما علمت رشدا) صوابا وهدى (قال) يا موسى

لن تستطيع معي صبرا) ان ترى مني شيأ لا تصبر عليه قال موسى أصبر قال الخضر (وكيف تصبر) يا موسى (على مالم تحط به) لم تعلم به (خبرا) بيانا (قال ستجدني) يا خضر (ان شاء الله صابرا) على ما أرى منك (ولا أعصى لك أمرا) لا أترك أمرك

فقال (وما أنسانيه) وبضم الهاء حفص (الا الشيطان) بالقاء الخواطر بالقلب (أن أذكره) بدل من الهاء في أنسانيه أي وما أنساني ذكره الا الشيطان (واتخذ سبيله في البحر عجبا) وهو ان أثره بقي الى حيث سار (قال ذلك ما كنا نبغ) نطلب و بالياء مكي وافقه أبو عمرو وعلي ومدني في الوصل و بغير ياء فيهما غيرهما اتباعا لخط المصحف وذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لان ذهاب الحوت كان علما على لقاء الخضر عليه السلام (فارتدا على آثارهما) فرجعا في الطريق الذي جاآ فيه (قصصا) يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج القصص اتباع الاثر (فوجدا عبدا من عبادنا) أي الخضر راقدا تحت ثوب أو جالسا

ذكره عما رأيت منه ﴿ وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ﴾ أي وما انساني ذكره الا الشيطان لان أن أذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكره وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه أو لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان صاحبها ﴿ واتخذ سبيله في البحر عجبا ﴾ سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب أو اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه اوموسى في جواب تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى أي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا ﴿ قال ذلك ﴾ أي امر الحوت ﴿ ما كنا نبغ ﴾ نطلب لانه امارة المطلوب ﴿ فارتدا على آثارهما ﴾ فرجعا في الطريق الذي جاآ فيه ﴿ قصصا ﴾ يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا أو مقتصين حتى اتيا الصخرة ﴿ فوجدا عبدا من عبادنا ﴾ والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس

(وما انسانيه) وما شغلنيه (الا الشيطان ان اذكره) لك (واتخذ سبيله) طريقه (في البحر عجبا) يابسا (قال) موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلب دلالة لنا من الله على الخضر (فارتدا) رجعا (على آثارهما) خلفهما (قصصا) يقصان اثرهما (فوجدا) هناك عند الصخرة (عبدا من عبادنا)

موسى فيخبره فنسي أن يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد * ثم قال ﴿ وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره ﴾ أي وما أنساني أن أذكر لك أمر الحوت الا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الفكر لان ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالى ﴿ واتخذ سبيله في البحر عجبا ﴾ قيل هذا من قول يوشع بن نون يعني وقع الحوت في البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكا وروى في الخبر كان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا وقيل أي شئ أعجب من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعدما أكل بعضه * قوله عز وجل ﴿ قال ﴾ يعني موسى ﴿ ذلك ما كنا نبغ ﴾ نطلب ﴿ فارتدا على آثارهما قصصا ﴾ أي رجعا يقصان الذي جاآ منه ويتبعانه ﴿ فوجدا عبدا من عبادنا ﴾ قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه سلم وجاء في التواريخ انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته أبو العباس قيل كان من بني اسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمي به لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ماحوله وروينا ان موسى رأى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر وأنى بأرضك السلام قال أنا موسى أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا ومعنى ومسجى بثوب أي مغطى بثوبه وقوله واني بارضك السلام معناه من أين بارضك التي أنت فيها الآن السلام وروى انه لقيه على طنفسة خضراء على جانب البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى فوجدا عبدا من عبادنا

(آتيناه)

...فأي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هنالك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان ﴿ فلما بلغا مجمع بينهما ﴾ أي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع أو بمعنى الوصل ﴿ نسيا حوتهما ﴾ نسي موسى عليه السلام ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر روي ان موسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى أو الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب ﴿ فاتخذ سبيله في البحر سربا ﴾ فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه أو من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ ﴿ فلما جاوزا ﴾ مجمع البحرين ﴿ قال لفتاه آتنا غداءنا ﴾ ما نتغدى به ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر ألقي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة ﴿ قال أرأيت اذ أوينا ﴾ أرأيت ما دهاني اذ أوينا ﴿ الى الصخرة ﴾ يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت ﴿ فاني نسيت الحوت ﴾ فقدته أو نسيت

السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وهاجت ودخلت في البحر ﴿ فلما بلغا ﴾ يعني موسى وفتاه ﴿ مجمع بينهما ﴾ أي بين البحرين ﴿ نسيا ﴾ أي تركا ﴿ حوتهما ﴾ وانما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذي نسيه وانما أضاف النسيان اليهما لانهما تزوداه لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما أي نسيا كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول للمطلوب ﴿ فاتخذ ﴾ أي الحوت ﴿ سبيله في البحر سربا ﴾ أي مسلكا وروى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقد روينا انهما لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كانا من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ فلما جاوزا ﴾ يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين ﴿ قال ﴾ يعني موسى ﴿ لفتاه آتنا غداءنا ﴾ أي طعامنا ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ أي تعبا وشدة وذلك انه ألقي على موسى الجوع بعدما جاوزا الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع في طلبه ﴿ قال ﴾ يعني يوشع ﴿ أرأيت اذ أوينا الى الصخرة ﴾ وهي صخرة كانت بالموضع الموعود ﴿ فاني نسيت الحوت ﴾ أي تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليدرك

(فلما بلغا مجمع بينهما) مجمع البحرين (نسيا حوتهما) أي نسي أحدهما وهو يوشع لانه كان صاحب الزاد دليله فاني نسيت الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وانما ينساه متعهد الزاد قيل كان الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلة على شاطئ عين الحياة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء (فاتخذ سبيله في البحر) أي اتخذ طريقا له من البر الى البحر (سربا) نصب على المصدر أي سرب فيه سربا يعني دخل فيه واستتر به (فلما جاوزا) مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ما شاء الله (قال) موسى (لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك (قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) هي موضع الموعد (فاني نسيت الحوت) ثم اعتذر

(فلما بلغا مجمع بينهما) بين البحرين (نسيا حوتهما) خبر حوتهما (فاتخذ سبيله) طريقه (في البحر سربا) يابسا (فلما جاوزا) من الصخرة (قال لفتاه) لشاجرده (آتنا غداءنا) أعطنا غداءنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا ومشقة (قال) يوشع (أرأيت) ياموسى (اذ أوينا) انتهينا (الى الصخرة فاني نسيت الحوت) خبر الحوت

(لاأبرح) لاأزال وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه أما الاولى فلانها كانت حال سفر وأما الثانى فلان
(حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعى ماهى غاية له فلابد أن يكون المعنى لاأبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المـ
الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحر فارس والروم و
خضر الا انه أنما يصل بخضر ماحوله (أو أمضى حقبا) أو أسير زمانا طويلا قيل ثمانون سنة روى انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط سأل ربه أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك من هو أعلم منى فدلنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه فى البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال ياموسى أنا على علم علمنيه الله لاتعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لاأعلمه أنا (السمكة)

سماه فتاه وقيل لعبده ﴿ لاأبرح ﴾ أى لاازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله ﴿ حتى ابلغ مجمع البحرين ﴾ من حيث انها تستدعى ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لايبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لاابرح بمعنى لاازول عما انا عليه من السير والطلب ولاافارقه فلايستدعى الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم ممايلى المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع ﴿ أو امضى حقبا ﴾ أو اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع أو مضى الحقب أو حتى ابلغ الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنه وقيل سبعون روى ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى ايام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه أى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولاينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى

وبينك سانبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددت انه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال سعد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين وفى رواية عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى عليه السلام ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فادركه رجل فقال أى رسول الله هل فى الارض أحد أعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذلم يرد العلم الى الله تعالى فقال بلى قال أى رب وأين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفى رواية تزود حوتا مالحا فانه حيث يفقد الحوت زاد فى رواية وفى أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لايصيب من مائها شئ الاحيى فاصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر ورجعنا الى التفسير ✻ قوله سبحانه وتعالى ﴿ لاأبرح ﴾ أى لاأزال أسير ﴿ حتى أبلغ مجمع البحرين ﴾ قيل أراد بحر فارس والروم ممايلى المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ﴿ أو أمضى حقبا ﴾ يعنى أو أسير دهرا طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة فى المكتل وهو الزنبيل الذى يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى الصخرة التى عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى عين الحياة لاتصيب شيأ الاحيى فلما أصاب

(لاأبرح) لاأزال أمضى (حتى أبلغ مجمع البحرين) العذب والمالح بحر فارس والروم (أو أمضى حقبا) سنين ويقال دهرا

يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك

صاحب الخضر ليس هو موسى بنى اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبى ابن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل أى الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لى به قال فخذ معك حوتا فاجعله فى مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمه فاخذ حوتا فجعله فى مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى صاحبه ان يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كانا من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمره الله به فقال له فتاه أرأيت اذ اوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا قال رجعا فقصا آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب أبيض فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام فقال أنا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا ياموسى انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه فقال موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا فقال له الخضر فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة لم يفجأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ أمرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمى وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال وهذه أشد من الاولى قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض أى مائلا فقال الخضر بيده هكذا فاقامه فقال موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بينى

التكليف كلها (وربك الغفور) لبليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب أي ومن رحمته ترك مؤاخذته أهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا من دونه موئلا) منجا ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه (وتلك) مبتدأ (القرى) صفة لأن أسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس والخبر (أهلكناهم) أو تلك القرى نصب باضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود (لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك لاهلاك ووقته وبفتح الميم وكسر اللام حفص وبفتحهما أبو بكر أي لوقت هلاكهم أو لهلاكهم والموعد وقت أو مصدر (واذ) واذكر اذ (قال موسى لفتاه) هو يوشع ابن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم

تحقيقة ولا تقليدا الا انهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله مالى لا ادعوهم فان حرصه صلى الله عليه وسلم على اسلام يدل عليه ﴿ وربك الغفور ﴾ البليغ المغفرة ﴿ ذو الرحمة ﴾ الموصوف بالرحمة ﴿ لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ﴾ استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم في عدواة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ بل لهم موعد ﴾ وهو يوم بدر أو يوم القيامة ﴿ لن يجدوا من دونه موئلا ﴾ منجا يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه ﴿ وتلك القرى ﴾ يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره ﴿ اهلكناهم ﴾ او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولابد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر ﴿ لما ظلموا ﴾ كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي ﴿ وجعلنا لمهلكهم موعدا ﴾ لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام أي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض ﴿ واذ قال موسى ﴾ مقدر باذكر ﴿ لفتاه ﴾

وهذا في أقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون ﴿ وربك الغفور ﴾ أي البليغ المغفرة ﴿ ذو الرحمة ﴾ أي الموصوف بالرحمة ﴿ لو يؤاخذهم ﴾ أي يعاقب الكفار ﴿ بما كسبوا ﴾ من الذنوب ﴿ لعجل لهم العذاب ﴾ أي في الدنيا ﴿ بل لهم موعد ﴾ يعني البعث والحساب ﴿ لن يجدوا من دونه موئلا ﴾ أي ملجأ ﴿ وتلك القرى ﴾ يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ﴿ أهلكناهم لما ظلموا ﴾ أي كفروا ﴿ وجعلنا لمهلكهم موعدا ﴾ أي أجلا لاهلاكهم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذ قال موسى لفتاه ﴾ الآيات أكثر العلماء على ان موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوى بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميشا من أولاد يوسف بن يعقوب وكان قد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول الاول أصح بدليل ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر في كتابه العزيز موسى الا أراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو أراد شخصا آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يعره بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة وأما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون ابن افرائم بن يوسف وهو صاحب موسى وولي عهده بعد وفاته وقيل انه أخو يوشع وقيل انه فتاه يعني عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي (ق) عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفل البكالي يزعم ان موسى

(وربك الغفور) المتجاوز (ذو الرحمة) بتأخير العذاب (لو يؤاخذهم بما كسبوا) بشركهم (لعجل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعد) أجل لهلاكهم (لن يجدوا من دونه) من عذاب الله (موئلا) ملجأ (وتلك القرى) أهل القرى الماضية (أهلكناهم لما ظلموا) حين كفروا (وجعلنا لمهلكهم) لهلاكهم (موعدا) أجلا ثم ذكر قصة موسى (صاحب) مع الخضر وكان موسى وقع في قلبه ان ليس في الارض أحد أعلم مني فقال الله يا موسى ان لي في الارض عبدا أعبد لي منك وأعلم وهو الخضر فقال موسى يارب دلني عليه فقال الله له خذ سمكا مالحا وامض على شاطئ البحر حتى تلقى صخرة عندها عين الحياة فنضح على السمكة منها حتى تحيي السمكة فثمه تلقى الخضر فقال الله (واذ قال موسى لفتاه) لشاجرده يوشع بن نون وكان من أشراف بني اسرائيل وانما سمى فتاه لانه كان يتبعه ويخدمه

نا(ومانرسل المرسلين الامبشرين ومنذرين) يوقف عليه ويستأنف بقوله (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو
لهم للرسل ماأنتم الابشرمثلنا ولوشاءالله لانزل ملائكة ونحوذلك (ليدحضوا به الحق) ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة
اتخذوا آياتي) القرآن (وماأنذروا) ماموصولة والراجع من الصلة محذوف أى وماأنذروه من العقاب أومصدرية
وانذارهم (هزوا) موضع استهزاء بسكون الزاء والهمزة حمزة وبابدال الهمزة واوا حفص وبضم الزاء والهمزة
هما (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع الضمير اليها مذكرا فى قوله ان يفقهوه (فاعرض عنها) فلم يتذكر حين
كروولم يتدبر (ونسى ماقدمت يداه) عاقبة ماقدمت يداه من الكفر والمعاصى
غير متفكر فيها ولا ناظرفى
ان المسىء والمحسن لابدلهما
من جزاء ثم عال اعراضهم
ونسيانهم بانهم مطبوع
على قلوبهم بقوله (انا
جعلنا على قلوبهم أكنة)
أغطية جمع كنان وهو
الغطاء (ان يفقهوه وفى
آذانهم وقرا) ثقلا عن
استماع الحق وجمع بعد
الافراد حملا على لفظ من
ومعناه (وان تدعهم) يامحمد
(الى الهدى) الى الايمان
(فلن يهتدوا) فلايكون
منهم اهتداء البتة (اذا)
جزاء وجواب فدل على انتفاء
اهتدائهم لدعوة الرسول
بمعنى انهم جعلوا مايجب أن
يكون سبب وجود الاهتداء
سببا فى انتفائه وعلى انه
جواب للرسول على تقدير
قوله مالى لاأدعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا (أبدا) مدة

أوجمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا
وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب ﴿ وما نرسل المرسلين الامبشرين ومنذرين ﴾
للمؤمنين والكافرين ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور
المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ﴿ ليدحضوا به ﴾ ليزيلوا
بالجدال ﴿ الحق ﴾ عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم
للرسل ماانتم الابشر مثلنا ولوشاءالله لانزل ملائكة ونحو ذلك ﴿ واتخذوا آياتى ﴾
يعنى القرآن ﴿ وماانذروا ﴾ وانذارهم أووالذى انذروا به من العقاب ﴿ هزؤا ﴾ استهزاء
وقرئ هزأ بالسكون وهو مايستهزأ به على التقديرين ﴿ ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ﴾
بالقرآن ﴿ فاعرض عنها ﴾ فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ﴿ ونسى ماقدمت يداه ﴾ من الكفر
والمعاصى ولم يتفكر فى عاقبتهما ﴿ انا جعلنا على قلوبهم اكنة ﴾ تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم
مطبوع على قلوبهم ﴿ ان يفقهوه ﴾ كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى ﴿ وفى
آذانهم وقرا ﴾ يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه ﴿ وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا ﴾

قال ابن عباس أى عيانا من المقابلة وقيل فجأة ✻ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومانرسل المرسلين
الامبشرين ﴾ أى بالثواب على الطاعة ﴿ ومنذرين ﴾ بالعقاب لمن عصى ﴿ ويجادل
الذين كفروا بالباطل ﴾ هو قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسل ماأنتم الابشر
مثلنا وشبه ذلك ﴿ ليدحضوا ﴾ اى ليبطلوا ﴿ به الحق ﴾ ويزيلوه ﴿ واتخذوا آياتى
وماأنذروا هزوا ﴾ فيه اضمار يعنى اتخذوا ماأنذروا به وهو القرآن استهزاء ✻ قوله
عزوجل ﴿ ومن أظلم ممن ذكر ﴾ أى وعظ ﴿ بآيات ربه فأعرض عنها ﴾ أى تولى
عنها وتركها ولم يؤمن بها ﴿ ونسى ماقدمت يداه ﴾ أى ماعمل من المعاصى من قبل ﴿ انا جعلنا
على قلوبهم أكنة ﴾ أى أغطية ﴿ ان يفقهوه ﴾ يريد لئلا يفهموه ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾
أى ثقلا وصمما ﴿ وان تدعهم ﴾ يامحمد ﴿ الى الهدى ﴾ أى الدين ﴿ فلن يهتدوا اذا أبدا ﴾

ومانرسل المرسلين الامبشرين) بالجنة للمؤمنين (ومنذرين) عن النار للكافرين (ويجادل) يخاصم (الذين كفروا) بالكتب
الرسل (بالباطل) بالشرك (ليدحضوا) ليبطلوا (به) بالباطل (الحق) والهدى (واتخذوا آياتى) كتابى ورسلى (وماأنذروا)
خوفوا من العذاب (هزوا) سخرية واستهزاء (ومن أظلم) ليس احد أظلم (ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه فاعرض عنها) فصرف عنها
باحدابها (ونسى ماقدمت يداه) ترك ذكر ماعملت يداه من الذنوب (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) اغطية (ان يفقهوه) لكى لايفقهوا
لحق والهدى (وفى آذانهم وقرا) صمما لكى لايسمعوا الحق والهدى (وان تدعهم) يامحمد (الى الهدى) الى التوحيد
فلن يهتدوا) فلن يؤمنوا (اذا أبدا

وبق يبق وبوقا اذا هلك أو مصدرا كالموعد أي وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشد
مشتركا يهلكون فيه جميعا أو الملائكة وعزيرا وعيسى والموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا لانهم في قعر جهنم و
في أعلى الجنان (ورأى المجرمون النار فظنوا) أيقنوا (أنهم مواقعوها) أي واقعوها الى خ الحوها واقعون فيها (ولم يجدوا عنها) عن النار (مصر
معدلا (ولقد صرفنا في هذ القرآن للناس من كل مثل) يحتاجون اليه (وكان الانس
أ كثر شيء جدلا) تمييز أي
اكثر الاشياء التي يتأتى منها
الجدل ان فصلتها واحدا بعد
واحد خصومة ومماراة بالباطل
يعني ان جدل الانسان أكثر
من جدل كل شيء (ومامنع
الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى) أي سببه وهو
الكتاب والرسول (ويستغفروا
ربهم الا أن تأتيهم سنة
الاولين أو يأتيهم العذاب)
ان الاولى نصب والثانية
رفع وقبلها مضاف محذوف
تقديره ومامنع الناس الايمان
والاستغفار الا انتظار أن
تأتيهم سنة الاولين وهي
الاهلاك أو انتظار ان يأتيهم
العذاب أي عذاب الآخرة
(قبلا) كوفي أي أنواعا
جمع قبيل الباقون قبلا أي

شدتها هلاكا كقول عمر رضي الله عنه لايكون حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان أو مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا﴾ فايقنوا ﴿انهم مواقعوها﴾ مخالطوها واقعون فيها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ انصرافا أو مكانا ينصرفون اليه ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ من كل جنس يحتاجون اليه ﴿وكان الانسان اكثر شيء﴾ يتأتى منه الجدل ﴿جدلا﴾ خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز ﴿ومامنع الناس ان يؤمنوا﴾ من الايمان ﴿اذ جاءهم الهدى﴾ وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ﴿ويستغفروا ربهم﴾ من الاستغفار من الذنوب ﴿الا ان تأتيهم سنة الاولين﴾ الا طلب أو انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿أو يأتيهم العذاب﴾ عذاب الآخرة ﴿قبلا﴾ عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه

نهر تسيل منه نار وعلى حافتيه حيات مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلاك ﴿ورأى المجرمون﴾ أي المشركون ﴿النار فظنوا﴾ أي أيقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ أي داخلوها وواقعون فيها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ أي معدلا لانها أحاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملائكة تسوقهم اليها ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ولقد صرفنا﴾ أي بينا ﴿في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ أي ليتذكروا ويتعظوا ﴿وكان الانسان أكثر شيء جدلا﴾ أي خصومة في الباطل قال ابن عباس أراد به النضر بن الحرث وجداله في القرآن وقيل أراد به أبي بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الاصح (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الي شيأ ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فخذه بيده وكان الانسان أكثر شيء جدلا ❊ قوله عز وجل ﴿ومامنع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى﴾ يعني القرآن وأحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ويستغفروا ربهم﴾ والمعنى انه لامانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلم يقدموا على الايمان والاستغفار ﴿الا ان تأتيهم سنة الاولين﴾ يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال ﴿أو يأتيهم العذاب قبلا﴾

واديا في النار وجعلنا ما بينهم
من الوصل والود في الدنيا
موبقا مهلكا في الآخرة
(ورأى المجرمون) المشركون
(النار فظنوا) فعلموا وأيقنوا
(أنهم مواقعوها) داخلوها
يعني النار (ولم يجدوا عنها
مصرفا) مهربا (ولقد صرفنا)
بينا (في هذا القرآن للناس)
لاهل مكة (من كل مثل) من كل وجه من الوعد والوعيد لكي يتعظوا فيؤمنوا (وكان الانسان) أبي بن (قال
خلف الجمحي (أكثر شيء جدلا) في الباطل ويقال ليس شيء أجدل من الانسان (ومامنع الناس) أهل مكة المطعمين يوم ب
(ان يؤمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (اذ جاءهم الهدى) محمد عليه السلام بالقرآن (ويستغفروا ربهم) يتوبوا من الك
الى الايمان (الا أن تأتيهم سنة الاولين) عذاب الاولين بهلاكهم (أو يأتيهم العذاب) بالسيف (قبلا) معاينة يوم بدر

(بئس للظالمين بدلا) بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعة الله (ما أشهدتم) أى ابليس وذريته (خلق السموات
والارض) يعنى انكم اتخذتموهم شركاء لى فى العبادة وانما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء فى الالاهية فنفى مشاركتهم فى الالاهية
بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم فى خلقها أو أشاوره فيه أى تفردت بخلق الاشياء فافردونى فى العبادة
(ولا خلق أنفسهم) أى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم

(وما كنت متخذ المضلين) أى وما كنت متخذهم (عضدا) أى أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لى فى الخلق فمالكم تتخذونهم شركاء لى فى العبادة (ويوم يقول) الله للكفار وبالنون حمزة (نادوا) ادعوا بصوت عال (شركائى الذين زعمتم) انهم فيكم شركائى ليمنعوكم من عذابى وأراد الجن وأضاف الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا) مهلكا من

بئس للظالمين بدلا ﴾ من الله تعالى ابليس وذريته ﴿ ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم ﴾ نفى احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفى الاعتضاد بهم فى ذلك كما صرح به بقوله ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ اى اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له فى العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لا ينبغى لى ان اعتضد بالمضلين لدينى و يعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ﴿ ويوم يقول ﴾ أى الله تعالى للكافرين وقرأ حمزة بالنون ﴿ نادوا شركائى الذين زعمتم ﴾ انهم شركائى أو شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته ﴿ فدعوهم ﴾ فنادوهم للاعانة ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ فلم يعينوهم ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ بين الكفار وآلهتهم ﴿ موبقا ﴾ مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هى

فى ذلك فاذهبه الله عنى (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجئ أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيأ ثم يجئ أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلتزمه ✲ وقوله ﴿ بئس للظالمين بدلا ﴾ يعنى بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته ✲ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ما أشهدتهم ﴾ أى ما أحضرتهم يعنى ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة ﴿ خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم ﴾ والمعنى ما أشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها ﴿ وما كنت متخذ المضلين ﴾ يعنى الشياطين الذين يضلون الناس ﴿ عضدا ﴾ يعنى أنصارا وأعوانا ✲ قوله عز وجل ﴿ ويوم يقول نادوا ﴾ يعنى يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا ﴿ شركائى ﴾ يعنى الاصنام ﴿ الذين زعمتم ﴾ يعنى انهم شركائى ﴿ فدعوهم ﴾ أى فاستغاثوا بهم ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ أى فلم يجيبوهم ولم ينصروهم ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ يعنى بين الاصنام وعبدتها وقيل بين أهل الهدى وبين أهل الضلال ﴿ موبقا ﴾ يعنى مهلكا قال ابن عباس هو واد فى النار وقيل

(بئس للظالمين) المشركين منى (بدلا) فى الطاعة ويقال بئس ما استبدلوا عبادة الله بعبادة الشيطان ويقال ولاية الله بولاية الشيطان (ما أشهدتهم) يعنى الملائكة والشياطين (خلق السموات والارض) حين خلقتهما (ولا خلق أنفسهم) حين خلقتهم ويقال ما استعنت من الملائكة والشياطين فى خلق السموات والارض ولا فى خلق أنفسهم (وما كنت متخذ المضلين) الكافرين اليهود والنصارى وعبدة الاوثان (عضدا) عونا (ويوم) ويوم القيامة (يقول) لعبدة الاوثان (نادوا شركائى الذين) يعنى آلهتكم (زعمتم) عبدتم وقلتم انهم شركائى حتى يمنعوكم من عذابى (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) لم يجيبوا لهم (وجعلنا بينهم) بين العابد والمعبود (موبقا)

حال باضمار قد أو استئناف للتعليل كأنه قيل ماله لم يسجد فقيل كان من الجن ﴿ ففسق عن امر ربه ﴾ فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا فى اصله والكلام المستقصى فيه فى سورة البقرة ﴿ أفتتخذونه ﴾ أعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب ﴿ وذريته ﴾ اولاده أو اتباعه وسماهم ذرية مجازا ﴿ اولياء من دونى ﴾ وتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى ﴿ وهم لكم عدو

ان قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل على ان الملك يسمى جنا ويعضده اللغة لان الجن مأخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة ان الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد اخراج مالولاه لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن و الجن جنس مخالف للملائكة وقوله أفتتخذونه وذريته فأثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم وأجيب عن الاستثناء انه استثناء منقطع وهو مشهور فى كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما قيل انه كان من الملائكة فلما خالف الامر مسخ وغير وطرد ولعن * وقوله تعالى ﴿ ففسق عن أمر ربه ﴾ أى خرج عن طاعة ربه ﴿ أفتتخذونه ﴾ يعنى يابنى آدم أفتتخذون ابليس ﴿ وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ﴾ يعنى أعداء روى مجاهد عن الشعبى قال انى لقاعد يوما اذ أقبل رجل فقال اخبرنى هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى فعلمت انه لا تكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم قيل يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى احاليل الرجل وعجيزة المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها فى أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع مالم يرفع أو يحسن موضعه واذا أكل ولم يسم اكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم أسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم أذكر فأقول داسم داسم أعوذ بالله منه * روى أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء أخرجه الترمذى (م) عن عثمان بن أبى العاص قال قلت يارسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يلبسها على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت

فقيل كان من الجن (ففسق عن أمره ربه) خرج عما أمره ربه به من السجود وهو دليل على انه كان مأمورا بالسجود مع الملائكة (أفتتخذونه وذريته) الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل أعقيب ماوجد منه تتخذونه وذريته (أولياء من دونى) وتستبدلونهم بى ومن ذريته لاقيس موسوس الصلاة والاعور صاحب الزنا وبتر صاحب المصائب ومطوس صاحب الاراجيف وداسم يدخل ويأكل مع من لم يسم الله تعالى (وهم لكم عدو) أعداء

من قبيلة الجن (ففسق عن أمر ربه) فتعظم وتمرد عن طاعة ربه وأبى عن السجود لآدم (أفتتخذونه) تعبدونه (وذريته أولياء) أربابا (من دونى) من دون الله (وهم لكم عدو) ظاهر العداوة

(ذلك)

والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ﴿ ووضع الكتاب ﴾ صحائف الاعمال فى الايمان والشمائل أو فى الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب ﴿ فترى المجرمين مشفقين ﴾ خائفين ﴿ مما فيه ﴾ من الذنوب ﴿ ويقولون ياويلتنا ﴾ ينادون هلكتهم التى هلكوا بها من بين الهلكات ﴿ مال هذا الكتاب ﴾ تعجبا من شأنه ﴿ لايغادر صغيرة ﴾ هنة صغيرة ﴿ ولا كبيرة الا احصاها ﴾ الا عدها واحاط بها ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرا ﴾ مكتوبا فى الصحف ﴿ ولايظلم ربك احدا ﴾ فيكتب عليه مالم يفعل أو يزيد فى عقابه الملائم لعمله ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ﴾ كرره فى مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها فى تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس أو لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا فى زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير فى القرآن ﴿ كان من الجن ﴾

﴿ قوله عز وجل ﴿ ووضع الكتاب ﴾ يعنى صحائف أعمال العباد توضع فى أيدى الناس فى ايمانهم وشمائلهم وقيل توضع بين يدى الله تعالى ﴿ فترى المجرمين مشفقين ﴾ أى خائفين ﴿ مما فيه ﴾ يعنى من الاعمال السيئة ﴿ ويقولون ﴾ يعنى اذا رأوها ﴿ ياويلتنا ﴾ أى ياهلاكنا وكل من وقع فى هلكة دعا بالويل ﴿ مال هذا الكتاب لايغادر ﴾ أى لايترك ﴿ صغيرة ولا كبيرة ﴾ أى من ذنوبنا ﴿ الا أحصاها ﴾ أى عدها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغير اللمم والمس والقبلة والكبير الزنا ﴿ عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا فى بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لموبقات الحقير الشئ الصغير التافه وقوله لموبقات أى مهلكات ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرا ﴾ أى مكتوبا مثبتا فى كتابهم ﴿ ولايظلم ربك أحدا ﴾ أى لاينقص ثواب أحد عمل خيرا ولا يؤاخذ أحدا بجرم لم يعمله ﴿ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذى وقال لايصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من أبى هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبى موسى ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذ قلنا ﴾ أى واذكر يامحمد اذ قلنا ﴿ للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ﴾ قال ابن عباس كان من حى من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس وكونه من الملائكة لاينافى كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك

من الذنوب (ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة) أى لايترك شيأ من المعاصى (الا أحصاها) حصرها وضبطها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) فى الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه مالم يعمل أو يزيد فى عقابه أو يعذبه بغير جرم (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية أو سجود انقياد (فسجدوا الا ابليس كان من الجن) وهو مستأنف كأن قائلا قال ماله لم يسجد

أحلا للبعث (ووضع الكتاب) فى الايمان والشمائل تطايرت الكتب الى أيدى الخلق مثل الثلج (فترى المجرمين) المشركين والمنافقين (مشفقين) خائفين (مما فيه) فى الكتاب (ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة) من أعمالنا (ولا كبيرة) ويقال الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة (الا أحصاها) حفظها وكتبها (ووجدوا ما عملوا) من خير وشر (حاضرا) مكتوبا (ولايظلم ربك أحدا) لاينقص من حسنات احد ولا يزاد على سيآت أحد ويقال لاينقص من حسنة مؤمن ولايترك من سيئة كافر (واذ قلنا للملائكة) الذين كانوا فى الارض (اسجدوا لآدم) (قا و خا ١٥ بع) سجدة التحية (فسجدوا الا ابليس) رئيسهم (كان من الجن)

وشامى وأبو عمرو أى تسير فى الجو أو يذهب بها بأن نجعل هباء منثورا منبثا (وترى الارض بارزة) ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والاشجار (وحشرناهم) أى الموتى (فلم نغادر منهم أحدا) أى فلم نترك غادرة أى تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل (وعرضوا على ربك صفا) مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب أحد أحدا شبهت حالهم بحال الجند المعرضين على السلطان (لقد جئتمونا) أى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز أن يكون عامل النصب فى يوم نسير (كما خلقناكم أول مرة) أى لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة أو جئتمونا عراة لا شئ معكم كما خلقناكم أولا وانما قال وحشرناهم ماضيا بعد تسير وترى للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) وقتا لانجاز ما وعدتم على ألسنة الانبياء من البعث والنشور أو مكان وعد للمحاسبة

عن وجه الارض (وترى الارض بارزة) خارجة من تحت الجبال ويقال ظاهرة (وحشرناهم) للبعث (فلم نغادر منهم أحدا) فلا نترك منهم أحدا (وعرضوا على ربك) سيقوا الى ربك (قوله) (صفا) جميعا فيقول الله لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) بلا مال ولا ولد (بل زعمتم) قلتم فى الدنيا (ان لن نجعل لكم موعد

بها فيجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك أى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت ﴿ وترى الارض بارزة ﴾ بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على بناء المفعول ﴿ وحشرناهم ﴾ وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر أو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد ﴿ فلم نغادر ﴾ فلم نترك ﴿ منهم احدا ﴾ يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادر السيل وقرئ بالياء ﴿ وعرضوا على ربك ﴾ تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم ﴿ صفا ﴾ مصطفين لا يحجب احد احدا ﴿ لقد جئتمونا ﴾ على اضمار القول على وجه يكون حالا أو عاملا فى يوم نسير ﴿ كما خلقناكم اول مرة ﴾ عراة لا شئ معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى أو احياء كخلقتكم الاولى لقوله ﴿ بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ﴾ وقتا لانجاز الوعد بالبعث

أن تجعل هباء منثورا كما يسير السحاب ﴿ وترى الارض بارزة ﴾ أى ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز ما فى بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرها ﴿ وحشرناهم ﴾ يعنى جميعا الى موقف الحساب ﴿ فلم نغادر منهم أحدا ﴾ أى لم نترك منهم احدا ﴿ وعرضوا على ربك صفا ﴾ أى صفا صفا وفوجا فوجا لا انهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل أمة وزمرة صف ثم يقال لهم ﴿ لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ يعنى أحياء وقيل حفاة عراة غرلا ﴿ بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ﴾ يعنى القيامة يقول ذلك لمنكرى البعث (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ألا ان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام ألا وانه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول يارب أصحابى فيقول انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لى انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم زاد فى رواية فاقول سحقا سحقا * قوله غرلا أى قلفا والغرلة القلفة التى تقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان * وقوله سحقا أى بعدا قال بعض العلماء ان المراد بهؤلاء أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من ان يهمهم ذلك زاد النسائى فى روايته لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه

السماء) أى هو كماء انزلناه (فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا أو أثر فى النبات الماء
فاختلط به حتى روى (فاصبح هشيما) يابسا متكسرا ... هشيمة (تذروه الرياح) تنسفه وتطيره الريح حمزة وعلى
(ان الله على كل شئ) من الانشاء والافناء مقتدرا) قادرا شبه حال الدنيا فى
نضرتها وبهجتها وما يتعقبها
من الهلاك والافناء بحال
النبات يكون أخضر ثم يهيج
فتطيره الريح كأن لم يكن
(المال والبنون زينة
الحيوة الدنيا) لا زاد القبر
وعدة العقبى (والباقيات
الصالحات) أعمال الخير
التى تبقى ثمرتها للانسان أو
الصلوت الخمس أو سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله أكبر (خير عند ربك
ثوابا) جزاء (وخير أملا)
لانه وعد صادق وأكثر
الآمال كاذبة يعنى ان
صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب
الله ونصيبه فى الآخرة
(ويوم) واذكر يوم (نسير
الجبال) تسير الجبال مكى

من السماء فاختلط به نبات الارض ﴾ فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا
من كثرته وتكاثفه أو نجع فى النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط
بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة
فى كثرته ﴿ فاصبح هشيما ﴾ مهشوما مكسورا ﴿ تذروه الرياح ﴾ تفرقه وقرئ
تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهى حال
النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن ﴿ وكان
الله على كل شئ ﴾ من الانشاء والافناء ﴿ مقتدرا ﴾ قادرا ﴿ المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا ﴾ يتزين بها الانسان فى دنياه وتفنى عنه عما قريب ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ واعمال
الخيرات تبقى له ثمرتها ابد الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام
رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب ﴿ خير عند ربك ﴾
من المال والبنين ﴿ ثوابا ﴾ عائدة ﴿ وخير املا ﴾ لان صاحبها ينال به فى الآخرة ما كان
يأمل بها فى الدنيا ﴿ ويوم نسير الجبال ﴾ واذكروا يوم نقلعها ونسيرها فى الجو أو نذهب

من السماء ﴾ يعنى المطر ﴿ فاختلط به نبات الارض ﴾ أى خرج منه كل لون وزهرة ﴿ فاصبح ﴾
أى عن قريب ﴿ هشيما ﴾ قال ابن عباس يابسا ﴿ تذروه الرياح ﴾ قال ابن عباس تذريه
وقيل تفرقه وتنسفه ﴿ وكان الله كل شئ مقتدرا ﴾ أى قادرا ❊ قوله سبحانه وتعالى
﴿ المال والبنون ﴾ يعنى التى يفتخر بها عيينة وأصحابه الاغنياء ﴿ زينة الحيوة الدنيا ﴾
يعنى ليست من زاد الآخرة قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه المال والبنون
حرث الدنيا والاعمال الصالحة حرث الآخرة وقد يجمعهما الاقوام ﴿ والباقيات
الصالحات ﴾ قال ابن عباس هى قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر
(م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس عن أبى سعيد الخدرى رضى
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا من قول الباقيات الصالحات قيل
وماهن يارسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله
❊ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم
برياض الجنة فارتعوا قلت يارسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر
أخرجه الترمذى وقال حديث غريب ❊ عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات هى
قول العبد الله أكبر وسبحان الله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله أخرجه مالك
فى الموطأ موقوفا عليه وعن ابن عباس ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس
وعنه أنها الاعمال الصالحات ﴿ خير عند ربك ثوابا ﴾ أى جزاء ﴿ وخير أملا ﴾ أى
ما يؤمله الانسان ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويوم نسير الجبال ﴾ أى نذهب بها وذلك

من السماء فاختلط به
نبات الارض) فاختلط الماء
بنبات الارض (فاصبح هشيما)
فصار يابسا (تذروه الرياح)
ذرته الريح ولم يبق منه شئ
كذلك الدنيا تذهب ولا يبقى
منها شئ كما لا يبقى من الهشيم
شئ (وكان الله على كل شئ)
من فناء الدنيا وبقاء الآخرة
(مقتدرا) قادرا ثم ذكر
ما من الزهرة فقال (المال
والبنون زينة الحيوة الدنيا)
زينة الحياة الدنيا لا تبقى كما لا يبقى الهشيم (والباقيات الصالحات) الصلوات الخمس ويقال الباقيات ما يبقى ثوابه والصالحات سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) جزاء (وخير أملا) خير ما يرجوه العباد من أعمالهم الصالحة (ويوم نسير الجبال

أي من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمني ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان (ولم تكن له فئة ينصرونه) يقدرون على نصرته (من دون الله) أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره الا انه لم ينصره لحكمة (وما كان منتصرا) وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله (هنالك الولاية لله الحق) يكن بالياء والولاية بكسر الواو حمزة وعلي فهي بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له

أو هنالك السلطان والملك لله يغلب أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله ياليتني لم أشرك بربي أحدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها وهنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويؤيد قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) أي لأوليائه أو هنالك اشارة الى الآخرة اى في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم الحق بالرفع أبو عمرو وعلي صفة للولاية او خبر مبتدأ محذوف أي هي الحق أو هو الحق غيرهما بالجر صفة لله عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وبضمها غيرهما وفي الشواذ عقبي على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه (من)

انه اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ﴿ ولم تكن له فئة ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ﴿ ينصرونه ﴾ يقدرون على نصره بدفع الاهلاك اورد المهلك أو الاتيان بمثله ﴿ من دون الله ﴾ فانه القادر على ذلك وحده ﴿ وما كان منتصرا ﴾ وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه ﴿ هنالك ﴾ في ذلك المقام وتلك الحال ﴿ الولاية لله الحق ﴾ النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه أو ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله ﴿ هو خير ثوابا وخير عقبا ﴾ أي لأوليائه وقرأ حمزة والكسائي الولاية بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه أو لا يعبد غيره كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله ياليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة ﴿ واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا ﴾ اذكر لهم ما تشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة ﴿ كماء ﴾ هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صيره ﴿ انزلناه

أي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا ﴿ ولم تكن له فئة ﴾ أي جماعة ﴿ ينصرونه من دون الله ﴾ أي يمنعونه من عذاب الله ﴿ وما كان منتصرا ﴾ أي ممتنعا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه * قوله سبحانه وتعالى ﴿ هنالك الولاية ﴾ قرئ بكسر الواو يعني السلطان في القيامة ﴿ لله الحق ﴾ وقرئ بفتحها من الموالاة والنصرة يعني انهم يتولونه يومئذ ويتبرؤن مما كانوا يعبدون من دونه في الدنيا ﴿ هو خير ثوابا ﴾ أي أفضل جزاء لأهل طاعته لو كان غيره يثيب ﴿ وخير عقبا ﴾ يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير اثابة وعاقبة * قوله عز وجل ﴿ واضرب لهم ﴾ أي اضرب يا محمد لقومك ﴿ مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه

الاوثان (ولم تكن له فئة) منعة (ينصرونه من دون الله) من عذاب الله (وما كان منتصرا) ممتنعا بنفسه من عذاب الله (هنالك الولاية لله) أي يوم القيامة الملك والسلطان لله (الحق) العدل (هو خير ثوابا) خير من أثاب (وخير عقبا) من أعقب (واضرب لهم) لأهل مكة (مثل الحيوة الدنيا) في بقائها وفنائها (كماء) كمطر (انزلناه

فسر النفر بالاولاد فى قوله واعز نفرا (فعسى ربى أن يؤتينى خيرا من جنتك) فى الدنيا أو فى العقبى (ويرسل عليها حسبانا) عذابا (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) أرضا بيضاء يزلق عليها لملاستها (أو يصبح ماؤها غورا) غائرا أى ذاهبا فى الارض (فلن تستطيع له طلبا) فلا يتأتى منك طلبه فضلا عن الوجود والمعنى ان ترن أفقر منك فانا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى فيرزقنى لايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بساتينك (وأحيط بثمره) هو عبارة عن اهلاكه وأصله من أحاط به العدو لانه اذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل فى كل اهلاك (فاصبح) أى الكافر (يقلب كفيه) يضرب احداهما على الاخرى ندما وتحسرا وانما صار تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط فى اليد و لانه فى معنى الندم عدى تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم (على ما أنفق فيها) أى فى عمارتها (وهى خاوية على عروشها) يعنى ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم (ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) تذكر موعظة أخيه فعلم انه

وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثانى لترن وفى قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد ﴿ فعسى ربى ان يؤتينى خيرا من جنتك ﴾ فى الدنيا أو فى الآخرة لايمانى وهو جواب الشرط ﴿ ويرسل عليها ﴾ على جنتك لكفرك ﴿ حسبانا من السماء ﴾ مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها أو عذاب حساب الاعمال السيئة ﴿ فتصبح صعيدا زلقا ﴾ ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها ﴿ أو يصبح ماؤها غورا ﴾ أى غائرا فى الارض مصدر وصف به كالزلق ﴿ فلن تستطيع له طلبا ﴾ للماء الغائر ترددا فى رده ﴿ واحيط بثمره ﴾ واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم ﴿ فاصبح يقلب كفيه ﴾ ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا ﴿ على ما انفق فيها ﴾ فى عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فاصبح يندم أو حال أى متحسرا على ما انفق فيها ﴿ وهى خاوية ﴾ ساقطة ﴿ على عروشها ﴾ بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها عليها ﴿ ويقول ﴾ عطف على يقلب أو حال من ضميره ﴿ ياليتنى لم اشرك بربى احدا ﴾ كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم

ذلك تكبرت على وتعظمت ﴿ فعسى ربى ﴾ أى فلعل ربى ﴿ أن يؤتينى ﴾ أى يعطينى ﴿ خيرا من جنتك ﴾ يعنى فى الآخرة ﴿ ويرسل عليها ﴾ أى على جنتك ﴿ حسبانا ﴾ قال ابن عباس نارا وقيل مرامى ﴿ من السماء ﴾ وهى الصواعق فتهلكها ﴿ فتصبح صعيدا زلقا ﴾ أى أرضا جرداء ملساء لانبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقيل رملا هائلا ﴿ أو يصبح ماؤها غورا ﴾ غائرا ذاهبا لاتناله الايدى ولا الدلاء ﴿ فلن تستطيع له طلبا ﴾ يعنى ان طلبته لم تجده ﴿ وأحيط بثمره ﴾ يعنى أحاط العذاب بثمر جنته وذلك ان الله تعالى أرسل عليها من السماء نارا فاهلكتها وغار ماؤها ﴿ فاصبح ﴾ يعنى صاحبها الكافر ﴿ يقلب كفيه ﴾ يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهرا لبطن تأسفا وتلهفا ﴿ على ما أنفق فيها ﴾ المعنى فاصبح يندم على ما أنفق فى عمارتها ﴿ وهى خاوية على عروشها ﴾ أى ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض ﴿ ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ﴾ يعنى أنه تذكر موعظة أخيه المؤمن فعلم أنه

خدما فى الدنيا (فعسى ربى) وعسى من الله واجب (ان يؤتينى) ان يعطينى فى الآخرة (خيرا من جنتك) من بستانك فى الدنيا (ويرسل عليها) على جنتك (حسبانا) نارا (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) تصير ترابا أملس (أو يصبح) أو يصير (ماؤها غورا) غائرا لاتناله الدلاء (فلن تستطيع له طلبا) حيلة (وأحيط بثمره) أهلكت ثمرته ان قرأت بالنصب و ينال أهلك ماله ان قرأت بالضم (فاصبح يقلب كفيه) يضرب يديه بعضها على بعض ندامة (على ما أنفق فيها) فى الجنة ويقال على ما كان فيهما من غلتهما (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) على سقوفها (ويقول) يوم القيامة (ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) من

أكفرت بالذي خلقك من تراب) أى خلق أصلك لان خلق أصله سبب فى خلقه فكان خلقه خلقا له (ثم من نطفة) أى خلقك نطفة (ثم سواك رجلا) عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله لشكه فى البعث (لكنا) بالالف فى الوصل شامى لباقون بغير ألف وبالالف فى الوقف اتفق وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقى النونان فادغمت الاولى فى الثانية بعد أن سكنت (هو الله ربى) هو ضمير الشأن والشأن ربى والجملة خبرانا والراجع منها اليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله أكفرت قال لاخيه أنت كافر بالله لكنى مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر وفيه حذف أى أقول هو الله بدليل عطف (ولا أشرك بربى أحدا ولولا) وهلا (اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله) ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعنى أى شئ شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل ما فيها انما حصل بمشيئة الله وان أمرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها (لاقوة الابالله) اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونته [illegible] أقل فقد جعل أنا فصلا ومن رفع وهو الكسائى جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترنى وفى قوله (وولدا) نصرة (ذلك)

أكفرت بالذى خلقك من تراب ﴾ لانه اصل مادتك أو مادة اصلك ﴿ ثم من نطفة ﴾ فانها مادتك القريبة ﴿ ثم سواك رجلا ﴾ ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك فى كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر على ان يعيده منه ﴿ لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا ﴾ اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت بنقل الحركة أو دونه فتلاقت النونان وكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب فى رواية بالالف فى الوصل لتعويضها من الهمزة أو لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبراله خبرانا أو ضميرا لله والله بدله وربى خبره والجملة خبرانا والاستدراك من اكفرت كأنه قال انت كافر بالله لكنى مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربى ولكن انا لا اله الا هو ربى ﴿ ولولا اذ دخلت جنتك قلت ﴾ وهلا قلت عند دخولها ﴿ ما شاء الله ﴾ الامر ما شاء الله أو ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او أى شئ شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها ﴿ لاقوة الا بالله ﴾ وقلت لاقوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رأى شيأ فأعجبه فقال ما شاء الله لاقوة الا بالله لم يضره ﴿ ان ترن انا اقل منك مالا وولدا ﴾ يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تأكيدا للمفعول الاول

أكفرت بالذى خلقك من تراب ﴾ أى خلق أصلك من تراب لان خلق أصله سبب فى خلقه فكان خلقه له ﴿ ثم من نطفة ثم سواك رجلا ﴾ أى عدلك بشرا سويا وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال ﴿ لكنا هو الله ربى ﴾ مجاز لكن أنا هو الله ربى ﴿ ولا أشرك بربى أحدا ولولا ﴾ أى هلا ﴿ اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ﴾ والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان أمرها بيده وانه ان شاء تركها عامرة وان شاء تركها خرابا ﴿ لاقوة الا بالله ﴾ أى وقلت لاقوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونة الله وتأييده ولا أقدر على حفظ مالى ودفع شئ عنه الا بالله روى عن عروة بن الزبير أنه كان اذا رأى من ماله شيأ يعجبه أو دخل حائطا من حيطانه قال ما شاء الله لاقوة الا بالله الحائط البستان ﴿ ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا ﴾ أى لاجل

(أكفرت بالذى خلقك من تراب) من آدم وآدم من تراب (ثم من نطفة) من نطفة أبيك (ثم سواك رجلا) معتدل القامة (لكنا) لكن أنا أقول (هو الله ربى) خالقى ورازقى (ولا أشرك بربى أحدا) من الاوثان (ولولا اذ دخلت) فهلا دخلت (جنتك) بستانك (قلت ما شاء الله) هذا من الله ليس منى (لاقوة الا بالله) هذا بقوة الله لا بقوتى (ان ترن أنا اقل منك مالا وولدا)

...(ولم تظلم منه) ولم تنقص من اكلها (شيأ وفجرنا خلالهما نهرا) نعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو أصل
...رومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو النهر الجارى فيها (وكان له) لصاحب الجنتين (ثمر) أنواع من
...من ثمر ماله اذا كثر أى كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما له ثمر وأحيط بثمره بفتح
والثاء عاصم وبضم الثاء وسكون الميم أبو عمرو ﴿١٠٧﴾ وبضمهما غيرهما ﴿سورة الكهف﴾ (فقال لصاحبه وهو
يحاوره) يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع يعنى قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به فى الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أنصارا وحشما وأولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث (ودخل جنته) احدى جنتيه أو سماهما جنة لاتحاد الحائط وجنتين للنهر الجارى بينهما (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بالكفر (قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) أى أن ... جنته لطول أمله وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة وترى أكثر الاغنياء من المسلمين تنطق ألسنة أحوالهم بذلك (وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا) اقسام منه على أنه ان رد الى ربه على سبيل الفرض كما زعم صاحبه ليجدن فى ...

﴿ ولم تظلم منه ﴾ ولم تنقص من اكلها ﴿ شيأ ﴾ يعهد فى سائر البساتين فان الثمار تتم فى عام وتنقص فى عام غالبا ﴿ وفجرنا خلالهما نهرا ﴾ ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف ﴿ وكان له ثمر ﴾ انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك احيط بثمره ﴿ فقال لصاحبه وهو يحاوره ﴾ وهو يراجعه فى الكلام من حار اذا رجع ﴿ انا اكثر منك مالا واعز نفرا ﴾ حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ﴿ ودخل جنته ﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهى ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له فى الجنة التى وعد المتقون أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون فى واحدة واحدة ﴿ وهو ظالم لنفسه ﴾ ضار لها بعجبه وكفره ﴿ قال ما اظن ان تبيد ﴾ أن تفنى ﴿ هذه ﴾ الجنة ﴿ ابدا ﴾ لطول امله وتمادى غفلته واغتراره بمهلته ﴿ وما اظن الساعة قائمة ﴾ كائنة ﴿ ولئن رددت الى ربى ﴾ بالبعث كما زعمت ﴿ لأجدن خيرا منها ﴾ من جنته وقرأ الحجازيان والشامى منهما اى من الجنتين ﴿ منقلبا ﴾ مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده ان الله تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه انما يلقاه ﴿ قال له صاحبه وهو يحاوره ﴾

تماما ﴿ ولم تظلم منه شيأ ﴾ أى ولم تنقص منه شيأ ﴿ وفجرنا خلالهما ﴾ شققنا وسطهما ﴿ نهرا وكان له ﴾ أى لصاحب البستان ﴿ ثمر ﴾ قرئ بالفتح جمع ثمرة وقرئ بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة من كل نصف من الذهب والفضة وغيرهما ﴿ فقال ﴾ يعنى صاحب البستان ﴿ لصاحبه ﴾ يعنى المؤمن ﴿ وهو يحاوره ﴾ أى يخاطبه ﴿ أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ أى عشيرة ورهطا وقيل خدما وحشما ﴿ ودخل جنته ﴾ يعنى الكافر آخذا بيد أخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه اياها ﴿ وهو ظالم لنفسه ﴾ أى بكفره ﴿ قال ما أظن أن تبيد ﴾ أى تهلك ﴿ هذه ﴾ يعنى جنته ﴿ أبدا ﴾ وذلك انه راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تفنى أبدا وأنكر البعث فقال ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ أى كائنة ﴿ ولئن رددت الى ربى ﴾ فان قلت كيف قال ولئن رددت الى ربى وهو منكر للبعث قلت معناه ولئن رددت الى ربى على ما تزعم من أن الساعة آتية ﴿ لأجدن خيرا منها منقلبا ﴾ أى يعطينى هنالك خيرا منها لانه لم يعطنى الجنة فى الدنيا الا ليعطينى فى الآخرة أفضل منها ﴿ قال له صاحبه ﴾ يعنى المؤمن ﴿ وهو يحاوره ﴾

...الآخرة خيرا من جنته فى الدنيا ادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده منقلبا تمييز أى مرجعا وعاقبة (قال له صاحبه وهو يحاوره

(ولم تظلم) تنقص (منه شيأ وفجرنا خلالهما) وسطهما (نهرا وكان له ثمر) يعنى ثمرة البستان ان قرأت بالنصب ويقال مال ان قرأت بالضم (فقال لصاحبه) المؤمن يهوذا (وهو يحاوره) يفاخره بالمال (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أكثر خدما (ودخل جنته) بستانه (وهو ظالم لنفسه) بالكفر (قال ما أظن أن تبيد) أن تهلك (هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت) رجعت (الى ربى) كما تقول (لاجدن خيرا منها) من هذه الجنة (منقلبا) مرجعا (قال له صاحبه) المؤمن (وهو يحاوره) يراجعه عن كفره

او موجودين هما اخوان من بنى اسرائيل كافر اسمه فطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن فى وجوه الخير وآل امرهما الى ماحكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بنى مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ جعلنا لأحدهما جنتين ﴾ بستانين ﴿ من اعناب ﴾ من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل أو صفة للرجلين ﴿ وحففناهما بنخل ﴾ وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به ﴿ وجعلنا بينهما ﴾ وسطهما ﴿ زرعا ﴾ ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق ﴿ كلتا الجنتين آتت اكلها ﴾ ثمره وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله

ابن عبد الاسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن حصن وأصحابه وسلمان وأصحابه وشبههما برجلين من بنى اسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا فى قول ابن عباس وقيل تمليخا والآخر كافر واسمه قطروس وهما اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى فى سورة والصفات ﴿ وكانت قصتهما على ماذكره عطاء الخراسانى قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى أحدهما أرضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى أرضا بالف دينار وانى قد اشتريت منك أرضا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار فقال اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار وانى اشتريت منك دارا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امرأة فانفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم انى أخطب اليك امرأة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم انى اشترى منك خدما متاعا بالف دينار فى الجنة فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبى لعلى ينالنى منه معروف فجلس على طريقه حتى مربه فى خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ماشأنك قال أصابتنى حاجة بعدك فاتيتك لتعيننى بخير قال فما فعلت بمالك وقد قاسمتك مالا وأخذت شطره فقص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيأ فطرده فقضى لهما فتوفيا فنزل فيهما قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين وروى انه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أمواله فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلين ﴿ جعلنا لأحدهما جنتين ﴾ أى بستانين ﴿ من أعناب وحففناهما ﴾ أى أطفناهما من جوانبهما ﴿ بنخل وجعلنا بينهما زرعا ﴾ أى وجعلنا بين النخل والاعناب الزرع وقيل بينهما أى بين الجنتين يعنى لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع ﴿ كلتا الجنتين آتت ﴾ اى أعطت كل واحدة من الجنتين ﴿ أكلها ﴾ أى ثمرها

اللهم انى [illegible] اللهم انى [illegible] ألفا صداق للحور [illegible] خدما [illegible] دينار [illegible] اللهم انى اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق [illegible] اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله (جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب) بساتين من كروم (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين فى كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم أى جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا (وجعلنا بينهما زرعا) جعلناها أرضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها مايقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق (كلتا الجنتين آتت) اعطت حمل على اللفظ لان لفظ كلتا مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز (أكلها)

أحدهما مؤمن وهو يهوذا والآخر كافر وهو أبو فطروس (جعلنا لاحدهما) للكافرين (جنتين) بستانين (من أعناب) من كروم (وحففناهما بنخل) أطفناهما بنخل (وجعلنا بينهما) بين البستانين (زرعا) مزرعا (كلتا الجنتين) البستانين (آتت أكلها) أخرجت ثمرها كل عام (تماما)

ئك لهم جنات عدن) كلام مستأنف لبيان الاجر المبهم ولك أن تجعل انا لانضيع وأولئك خبرين معا والمراد من أحسن
ن عملا كقولك السمن منوان بدرهم ولان من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فأقام
من احسن مقام الضمير (تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور) من للابتداء وتنكير أساور وهى جمع اسورة التى
هى جمع سوار لابهام أمرها فى الحسن (من ذهب) من للتبيين (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) مارق من الديباج
(واستبرق) ماغلظ منه أى يجمعون بين النوعين (متكئين فيها على الارائك) خص الاتكاء
لانه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم (نعم الثواب) الجنة (وحسنت) الجنة والارائك (مرتفقا) متكأ (واضرب لهم مثلا رجلين) مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين فى بنى أسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران فى والصافات فى قوله قال قائل منهم انى كان لى قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فجعلاها شطرين فاشترى الكافر أرضا بالف دينار فقال المؤمن اللهم ان أخى اشترى أرضا بالف دينار وأنا أشترى منك أرضا فى الجنة بالف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بالف فقال

خبر ان الاولى هى الثانية بما فى حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم أومستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هومستغنى عنه فى قولك نعم الرجل زيد أوواقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لايحسن اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اوخبرها ﴿ اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار ﴾ ومابينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر وخبر ثان ﴿ يحلون فيها من اساور من ذهب ﴾ من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لأساور وتنكيرها لتعظيم حسنها عن الاحاطة به وهو جمع اسورة أواسوار فى جمع سوار ﴿ ويلبسون ثيابا خضرا ﴾ لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة ﴿ من سندس واستبرق ﴾ هومارق من الديباج وماغلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ﴿ متكئين فيها على الارائك ﴾ على السرر كما هو هيئة المتنعمين ﴿ نعم الثواب ﴾ الجنة ونعيمها ﴿ وحسنت ﴾ الارائك ﴿ مرتفقا ﴾ متكأ ﴿ واضرب لهم مثلا ﴾ للكافر والمؤمن ﴿ رجلين ﴾ حال رجلين مقدرين

يجازيهم باعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا لانضيع أجر من أحسن عملا كلام معترض تقديره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ أولئك لهم جنات عدن ﴾ أى دار اقامة سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ وذلك لان أفضل المساكين ما كان يجرى فيه الماء ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ﴾ قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة اساور سوار من ذهب لهذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴿ ويلبسون ثيابا خضرا من سندس ﴾ هو الديباج الرقيق ﴿ واستبرق ﴾ هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب ﴿ متكئين ﴾ خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك ﴿ فيها ﴾ أى فى الجنة ﴿ على الارائك ﴾ جمع أريكة وهى السرر فى الحجال ❊ ولما وصف الله سبحانه وتعالى هذه الاشياء قال ﴿ نعم الثواب ﴾ أى نعم الجزاء ﴿ وحسنت ﴾ أى الجنات ﴿ مرتفقا ﴾ أى مقرا ومجلسا والمراد بقوله وحسنت مرتفقا مقابلة ماتقدم ذكره من قوله سبحانه وتعالى وساءت مرتفقا ❊ قوله عز وجل ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين ﴾ قيل نزلت فى أخوين من أهل مكة من بنى مخزوم وهما أبو سلمة عبدالله بن عبد الاسد بن عبد ياليل وكان مؤمنا وأخوه الاسود

أخلص عملا (أولئك لهم جنات عدن) مقصورة الرحمن (تجرى من تحتهم) أى من تحت شجرهم ومساكنهم (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (يحلون فيها)
يحلون فى الجنة (من أساور من ذهب) (فاوخا ١٤ بع) اقلبة ذهب (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) مالطف من
الديباج (واستبرق) ماثخن من الديباج (متكئين فيها) جالسين فى الجنة (على الارائك) فى الحجال (نعم الثواب) الجزاء
الجنة (وحسنت مرتفقا) منزلا تقول حسنت الدار دار رفقائهم الانبياء والصالحون (واضرب لهم مثلا) بين لاهل مكة صفة
(رجلين) اخوين فى بنى اسرائيل

أي جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ماشئتم من الاخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك وجيء بلفظ الا...
والتخيير لانه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ماشاء من النجدين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر ف...
(انا أعتدنا) هيأنا (للظالمين) للكافر من فقيد بالسياق كأنه حقيقة الامر...

لا ابالي بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئة ﴿ انا اعتدنا ﴾ هيأنا ﴿ للظالمين نارا احاط بهم سرادقها ﴾ فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار ﴿ وان يستغيثوا ﴾ من العطش ﴿ يغاثوا بماء كالمهل ﴾ كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله «فاعتبوا بالصيلم» ﴿ يشوي الوجوه ﴾ اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية او حال من المهل أو من الضمير في الكاف ﴿ بئس الشراب ﴾ المهل ﴿ وساءت ﴾ النار ﴿ مرتفقا ﴾ متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ﴾

بالسياق وهو قوله انا أعتدنا للظالمين (نارا أحاط بهم سرادقها) شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهي الحجرة التي تكون حول الفسطاط أو هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار أو هو حائط من نار يطيف بهم (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) هو دردي الزيت أو ما أذيب من جواهر الارض وفيه تهكم بهم (يشوي الوجوه) اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار مرتفقا) متكأ من الرفق وهذا المشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار وبين جزاء من اختار الايمان فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا

التهديد والوعيد كقوله اعملوا ماشئتم وقيل معنى الآية وقل الحق من ربكم أي لست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد أعد لكم ربكم نارا وان آمنتم فلكم ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس في معنى الآية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر ﴿ انا أعتدنا ﴾ أي هيأنا من العتاد وهو العدة ﴿ للظالمين ﴾ أي الكافرين ﴿ نارا أحاط بهم سرادقها ﴾ السرادق الحجرة التي تطيف بالفسطاط عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار أربعون سنة اخرجه الترمذي قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار ﴿ وان يستغيثوا ﴾ أي من شدة العطش ﴿ يغاثوا بماء كالمهل ﴾ قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردي الزيت ﴿ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله سبحانه وتعالى بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه منه اخرجه الترمذي وقال رشدين أحد رواة حديث قد تكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب ﴿ يشوي الوجوه ﴾ أي ينضج الوجوه من حره ﴿ بئس الشراب ﴾ أي ذلك الذي يغاثون به ﴿ وساءت ﴾ أي النار ﴿ مرتفقا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما منزلا وقيل مجتمعا وأصل المرتفق المتكأ وانما جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا متكأ ﴿ قوله عز وجل ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾ أي لا نترك أعمالهم تذهب ضياعا بل

هذا وعيد من الله ويقال فمن شاء فليؤمن يقول من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء فليكفر من شاء الله له الكفر كفر (انا أعتدنا للظالمين) لعيينة وأصحابه (نارا أحاط بهم سرادقها) سرادق النار يحيط بهم (وان يستغيثوا) من ... للغصة بالماء (يغاثوا بماء كالمهل) كدردي الزيت ويقال كالفضة المذابة (يشوي الوجوه) ينضج الوجوه (بئس الشراب وساءت مرتفقا) منزلا يقول بئس الدار دار رفقائهم الشياطين والكفار (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (انا لا نضيع) لا نبطل (اجر من أحسن عملا) ثواب من

غداة والعشى ﴾ فى مجامع اوقاتهم أو فى طرفى النهار * وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة فى الاكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير ﴿ يريدون وجهه ﴾ رضى الله وطاعته ﴿ ولاتعد عيناك عنهم ﴾ ولاتجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمنه معنى نبا يقال نبت وعلت عينه اقتحمته ولم تعلق به والغرض فى هذا اعطاء معنيين أى لاتقتحمهم عيناك متجاوزتين الى غيرهم * وقرئ ولاتعد عينيك ولاتعد من اعداه وعداه والمراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم ان يزدرى بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زى الاغنياء ﴿ تريد زينة الحيوة الدنيا ﴾ حال من الكاف فى القراءة المشهورة ومن المستكن فى الفعل فى غيرها ﴿ ولاتطع من اغفلنا قلبه ﴾ من جعلنا قلبه غافلا ﴿ عن ذكرنا ﴾ كأمية بن خلف فى دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعى له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه فى المحسوسات حتى خفى عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله فى الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك أو نسبته اليه أو من اغفل ابله اذا تركها غير سمة أو لم يسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكر اولا بقوله ﴿ واتبع هواه ﴾ وجوابه مامر غير مرة * وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة ﴿ وكان أمره فرطا ﴾ أى مقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط أى متقدم للخيل ومنه الفرط ﴿ وقل الحق من ربكم ﴾ الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾

بالغداة والعشى ﴾ يعنى طرفى النهار ﴿ يريدون وجهه ﴾ أى يريدون وجه الله لا يريدون عرض الدنيا وقيل نزلت فى أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم ﴿ ولاتعد ﴾ تصرف ولاتجاوز ﴿ عيناك عنهم ﴾ الى غيرهم ﴿ تريد زينة الحيوة الدنيا ﴾ أى تطلب مجالسة الاغنياء والاشراف وصحبة أهل الدنيا ﴿ ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ اى جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعنى عيينة بن حصن وقيل أمية بن خلف ﴿ واتبع هواه ﴾ أى فى طلب الشهوات ﴿ وكان أمره فرطا ﴾ ضياعا ضيع أمره وعطل أيامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق ﴿ وقل الحق من ربكم ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس الى من ذلك شئ ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ هذا على طريق

بالغداة والعشى) دائبين على الدعاء فى كل وقت أو بالغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشى لطلب عفو التقصير أو صلاة الفجر والعصر بالغدوة شامى ﴿١٠٣﴾ (سورة الكهف) (يريدون وجهه) رضا الله (ولاتعد عيناك عنهم) ولاتجاوز عداه اذا جاوزه وعدى بعن لتضمن عدا معنى نبا فى قولك نبت منه عينه وفائدة التضمين اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ (تريد زينة الحيوة الدنيا) فى موضع الحال (ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر وهو دليل لنا على انه تعالى خالق أفعال العباد (واتبع هواه وكان أمره فرطا) مجاوزا عن الحق (وقل الحق من ربكم) أى الاسلام أو القرآن والحق خبر مبتدأ محذوف أى هو (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

(بالغداة والعشى) غدوة وعشية يعنى سلمان وأصحابه (يريدون وجهه) يريدون بذلك وجه الله ورضاه (ولاتعد عيناك عنهم) لاتجاوز عيناك عنهم (تريد زينة الحيوة الدنيا) يريدون الزينة (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) عن توحيدنا (واتبع هواه) فى عبادة الاصنام (وكان أمره) قوله (فرطا) ضائعا نزلت هذه الآية فى عيينة بن حصن الفزارى (وقل) لعيينة (الحق) لا اله الا الله (من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

ذكر اختصاصه بعلم ما غاب فى السموات والارض وخفى فيهما من أحوال أهلها (أبصر به وأسمع) أى واسمع به والمعنى ما أبصره بكل موجود وما أسمعه لكل مسموع (مالهم) لاهل السموات والارض (من دونه من ولى) من متول لامورهم (ولايشرك فى حكمه) فى قضائه (أحدا) منهم ولاتشرك على النهى شامى كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك) أى من القرآن ولاتسمع لما يهزؤك به من طلب التبديل فانه (لامبدل لكلماته) أى لايقدر أحد على تبديلها أو تغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده (وان تجد من دونه ملتحدا) ملجأ تعدل اليه ان هممت بذلك ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالى وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) واحبسها معهم وثبتها

عليه علما ﴿ أبصر به واسمع ﴾ ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره فى الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لايحجبه شئ ولايتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفى وجلى والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله أبصر أى صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة له أو لزيادة الباء كما فى قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ﴿ مالهم ﴾ الضمير لاهل السموات والارض ﴿ من دونه من ولى ﴾ من يتولى امورهم ﴿ ولايشرك فى حكمه ﴾ فى قضائه ﴿ احدا ﴾ منهم ولايجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهى كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على انه وحى معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال ﴿ واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك ﴾ من القرآن ولاتسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله ﴿ لامبدل لكلماته ﴾ لااحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ﴿ وان تجد من دونه ملتحدا ﴾ ملتجأ تعدل اليه ان هممت به ﴿ واصبر نفسك ﴾ احبسها وثبتها ﴿ مع الذين يدعون ربهم

فانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال أصحاب الكهف ﴿ أبصر به وأسمع ﴾ معناه ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه بكل مسموع لايغيب عن سمعه وبصره شئ يدرك البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لاتخفى عليه خافية ﴿ مالهم ﴾ أى ما لاهل السموات والارض ﴿ من دونه ﴾ أى من دون الله ﴿ من ولى ﴾ أى ناصر ﴿ ولا يشرك فى حكمه أحدا ﴾ قيل معناه لايشرك الله فى علم غيبه أحدا وقيل فى قضائه * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واتل ﴾ أى واقرأ يا محمد ﴿ ما أوحى اليك من كتاب ربك ﴾ يعنى القرآن واتبع ما فيه واعمل به ﴿ لامبدل لكلماته ﴾ أى لامغير للقرآن ولايقدر أحد على التطرق اليه بتغيير أو تبديل * فان قلت موجب هذا ان لايتطرق النسخ اليه * قلت النسخ فى الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت فى وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لامغير لما أوعد الله بكلماته أهل معاصيه ﴿ ولن تجد من دونه ﴾ أى من دون الله ان لم تتبع القرآن ﴿ ملتحدا ﴾ أى ملجأ وحرزا تعدل اليه * قوله عز وجل ﴿ واصبر نفسك ﴾ الآية نزلت فى عيينة بن حصن الفزارى أتى النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبى صلى الله عليه وسلم اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها ان أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك أى احبس يا محمد نفسك ﴿ مع الذين يدعون ربهم

(أبصر به وأسمع) ما أبصره واعلمه بهم وشأنهم (مالهم من دونه) من دون الله (من ولى) يحفظهم ويقال مالهم لاهل مكة من دونه من عذاب الله من ولى قريب ينفعهم (ولايشرك فى حكمه) فى حكم الغيب (أحدا وتل ما أوحى اليك من كتاب ربك) يقول اقرأ عليهم القرآن ولاتزد فيه ولاتنقص منه (لامبدل لكلماته) لامغير لكلماته (وان تجد من دونه) من دون الله (ملتحدا) ملجأ (واصبر نفسك) احبس نفسك (مع الذين يدعون ربهم) يعبدون ربهم (بالغداة)

لى انى نبى من نبأ أصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه
مهم والأخبار بالغيوب والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة
ولاقرب رشدا أوادنى خيرا من المنسى ﴿ ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا
تسعا ﴾ يعنى لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية
كلام أهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم ثلاثمائة
سنين وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين ٭ وقرأ حمزة والكسائى ثلاثمائة سنين بالاضافة على
وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان
الاصل فى العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث ﴿ قل الله أعلم بما
لبثوا له غيب السموات والارض ﴾ له ماغاب فيها وخفى من احوال اهلها فلا خلق يخفى

ى يثبتنى على طريق هو أقرب اليه وأرشد وقيل ان الله سبحانه وتعالى أمره أن
يذكره اذا نسى شيأ ويسأله أن يذكره أو يهديه لما هو خير له من أن يذكر مانسى
وقيل ان القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله سبحانه
وتعالى أن يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ماهو
أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم
ماهو أوضح وأقرب الى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقيل هذا شئ أمره الله
أن يقوله مع قوله ان شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسى الانسان قوله ان
شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول مع قوله ان شاء الله عسى أن يهدين ربى لاقرب من هذا
رشدا ٭ قوله عز وجل ﴿ ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ﴾ قيل هذا
خبر عن قول أهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله أعلم
بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا ﴾ والاصح أنه اخبار
من الله تعالى عن قدر لبثهم فى الكهف ويكون معنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا يعنى ان نازعوك
فى مدة لبثهم فى الكهف فقل أنت الله أعلم بما لبثوا أى هو أعلم منكم وقد أخبر بمدة لبثهم
وقيل ان أهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو اجتماعهم
بالنبى صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله أعلم بما لبثوا
يعنى بعد قبض أرواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله ٭ فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة
قلت قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة فقالوا أياما أو شهورا أو سنين
فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف
سنين عددا وازدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران أما الثلاثمائة فقد عرفناها وأما
التسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله أعلم بما لبثوا وقيل ان عند أهل الكتاب لبثوا ثلاثمائة سنة
شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلاثمائة سنة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية
والشمسية فى كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع سنين قمرية
﴿ له غيب السموات والارض ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ من أحوال أهلها

أقرب منه رشدا أو أدنى
خيرا ومنفعة ان يهدين ان
ترنى أن يؤتين ان تعلمن مكى
فى الحالين ووافقه أبو عمرو
ومدنى فى الوصل (ولبثوا
فى كهفهم ثلثمائة سنين)
يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا
على آذانهم هذه المدة
وهو بيان لما أجمل فى قوله
فضربنا على آذانهم فى الكهف
سنين عددا وسنين عطف
بيان لثلاثمائة ثلاثمائة سنين
بالاضافة حمزة وعلى على
وضع الجمع موضع الواحد
فى التمييز كقوله بالاخسرين
أعمالا (وازدادوا تسعا)
أى تسع سنين لدلالة ماقبله
عليه وتسعا مفعول به لان
زاد تقتضى مفعولين
فازداد تقتضى مفعولا واحدا
(قل الله أعلم بما لبثوا)
أى هو أعلم من الذين
اختلفوا فيهم بمدة لبثهم
والحق ما أخبرك به أو حكاية
لكلام أهل الكتاب وقل
الله أعلم رد عليهم والجمهور
على ان هذا اخبار من الله
سبحانه وتعالى انهم لبثوا
فى كهفهم كذا مدة (له
غيب السموات والارض)

صوابا ويقينا نزلت هذه الآية
فى شأن النبى صلى الله عليه
وسلم اذ قال لمشركى أهل مكة

أقول لكم فلم يقل ان شاء الله فيما سألوه عن خبر الروح (ولبثوا) مكثوا (فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) تسع سنين
اقبل ان أيقظهم الله (قل) يا محمد (الله أعلم بما لبثوا) بما مكثوا بعد ذلك (له غيب السموات والارض) ماغاب عن العباد

(ولاتقولن لشئ) لاجل شئ تعزم عليه (انى فاعل ذلك) الشئ (غدا) أى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة (الاأن شاء الله) أن تقوله بان يأذن لك فيه أو ولاتقولنه الا بان يشاء الله أى الا بمشيئته وهو فى موضع الحال أى ... مشيئة الله قائلا ان شاء الله وقال الزجاج معناه ولاتقولن انى أفعل ذلك الا بمشيئة ... لان قول القائل أنا أفعل ... ذلك ان شاء الله معناه ... لاأفعله الا بمشيئته ... أديب من ا... حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا أخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحى حتى شق عليه (واذكر ربك) أى مشيئة ربك وقل ان شاء الله (اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر عن الحسن مادام فى مجلس الذكر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء فاما الاستثناء المغير حكما فلايصح الامتصلا وحكى أنه بلغ المنصور ان أباحنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضى الله عنهما فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبوحنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان أفترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه وأمر الطاعن فيه باخراجه من عنده أو معناه واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا (اى) فى البعث على الاهتمام بها أو صل صلاة نسيتها اذا ذكرتها ... اذا نسيت شيأ فاذكره ليذكرك المنسى (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا) يعنى اذا نسيت

عنده وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق ﴿ ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ﴾ نهى تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا فاخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحى بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهى أى ولا تقولن لاجل شئ تعزم عليه انى فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله أى الا متلبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله أو الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لايناسب النهى ﴿ واذكر ربك ﴾ مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روى انه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله ﴿ اذا نسيت ﴾ اذا فرط منك نسيان ذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة مالم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس فى الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه أو اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك على التدارك أو اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى ﴿ وقل عسى أن يهدين ربى ﴾ يدلنى ﴿ لأقرب من هذا رشدا ﴾ لاقرب رشدا وأظهر دلالة

وتعالى ﴿ ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ﴾ يعنى اذا عزمت على فعل شئ غدا فقل ان شاء الله ولا تقله بغير استثناء وذلك ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى أياما ثم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة فى سورة بنى اسرائيل ﴿ واذكر ربك اذا نسيت ﴾ قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وان كان بعد سنة وجوزه الحسن مادام فى المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء وقيل فى معنى الآية واذكر ربك اذا غضبت قال وهب مكتوب فى التوراة والانجيل ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وقيل الآية فى الصلاة يدل عليه ماروى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها قال تعالى أقم الصلوة لذكرى متفق عليه زاد مسلم أو نام عنها فكفارتها أن يصليها اذا ذكرها ﴿ وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا ﴾

(ولاتقولن) يامحمد (لشئ انى فاعل ذلك غدا) أو قائل (الا أن يشاء الله) الا أن تقول ان شاء الله (واذكر ربك) بالاستثناء (اذانسيت) و بعد حين (وقل عسى أن يهدين ربى) يدلنى ويرشدنى (لأقرب)لاصوب (من هذا رشدا)

باب أى يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لانهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق
دهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة الثالثة هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة
لا عن المعرفة فى قولك جاءنى رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفى يده سيف وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة
ان اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هى التى اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجموا بالظن كما
تم غيرهم دليله ان الله تعالى أتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول
الثالث قوله (قل ربى أعلم بعدتهم) أى قل ربى أعلم بعدتهم وقد أخبركم بقول سبعة وثامنهم كلبهم (ما يعلمهم الاقليل) قال ابن عباس رضى الله عنهما انا من ذلك القليل وقيل الاقليل من أهل الكتاب والضمير فى سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة أى سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا فى قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف (الامراء ظاهرا) لا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم أو تعنيف بهم من الناس ليظهر صدقك (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم
سؤال متعنت له حتى يقول شيأ فترده عليه وتزيف ما عنده ولا سؤال مسترشد لان الله تعالى قد أرشدك بان أوحى اليك قصتهم

تعالى اليه بان اتبعه قوله ﴿ قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ﴾ واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر اقوال الطوائف فى الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن على كرم الله وجهه هم سبعة وثامنهم كلبهم واسماؤهم يمليخا ومكشليناو مشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش أصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعى الذى وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم أفسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم ﴿ فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا ﴾ فلا تجادل فى شأن الفتية الاجدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما فى القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ﴿ ولا تستفت فيهم منهم أحدا ﴾ ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما أوحى اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤل

رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعد ما حكى قول النصارى أولا ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجما بالغيب أى ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل ذلك فى السبعة وتخصيص الشئ بالوصف يدل على ان الحال فى الباقى بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وان يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى فى كونه رجما بالغيب وظنا ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى ﴿ قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ﴾ هذا هو الحق لان العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه فى الماضى والمستقبل لا يكون الا لله تعالى أو من أخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما انا من أولئك القليل كانوا سبعة وهم مكسلمينا ويمليخا ومرطونس وبينونس وسارينونس وذونوانس وكشفيططنونس وهو الراعى واسم كلبهم قطمير ﴿ فلا تمار فيهم ﴾ أى لا تجادل ولا تقل فى عددهم وشأنهم ﴿ الامراء ظاهرا ﴾ أى الا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه ﴿ ولا تستفت فيهم ﴾ أى فى أصحاب الكهف ﴿ منهم ﴾ أى من أهل الكتاب ﴿ أحدا ﴾ أى لا ترجع الى قول أحد منهم بعد ان أخبرناك قصتهم ﴿ قوله سبحانه

ال) لهم يا محمد (ربى أعلم بعدتهم) بعددهم (ما يعلمهم الا قليل) من المؤمنين قال ابن عباس رضى الله عنهما أنا من ذلك القليل هم
تية سوى الكلب (فلا تمار فيهم) فلا تجادل معهم فى عددهم (الامراء ظاهرا) الا أن تقرأ القرآن عليهم ظاهرا (ولا تستفت
م منهم احدا) لا تسأل أحدا منهم من عددهم يكفيك ما بين الله لك

وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم فى المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) الضمير فى سيقولون لمن خاض فى قصتهم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين وأهل الكتاب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخر الجواب الى أن يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجرى بينهم من اختلافهم فى عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم ويروى ان السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما ذكرنا من قبل وعن على رضى الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم تمليخا ومكشلينا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة فى أمره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير وسين الاستقبال وان دخل فى الاول دون الآخرين فهما داخلان فى حكم السين كقولك قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع فى الفعلين جميعا أو أريد بيفعل معنى الاستقبال الذى هو صالح له ثلاثة خبر مبتدأ محذوف أى هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم رجما بالغيب رميا بالخبر الخفى واتيانا به كقوله ويقذفون

المتنازعين للرد الى الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حتى ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثمه مسجدا ﴿ سيقولون ﴾ اى الخائضون فى قصتهم فى عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين ﴿ ثلاثة رابعهم كلبهم ﴾ أى هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ﴿ ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ﴾ قاله النصارى أو العاقب منهم وكان نسطوريا ﴿ رجما بالغيب ﴾ يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لا مطلع لهم عليه واتيانا به أو ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ﴿ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم عن جبرائيل عليه السلام وايماء الله

---

* قوله سبحانه وتعالى ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ﴾ روى ان السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ﴿ ويقولون ﴾ أى وقال العاقب وكان نسطوريا ﴿ خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون ﴾ وقال المسلمون ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار

(رسول)

اختلافهم فى هذا (سيقولون) نصارى أهل نجران السيد وأصحابه وهم النسطورية (ثلاثة) هم ثلاثة (رابعهم كلبهم) قطمير (ويقولون) العاقب وأصحابه وهم المار يعقوبية (خمسة) هم خمسة (سادسهم كلبهم رجما بالغيب) ظنا بالغيب بغير علم (ويقولون) أصحاب الملك وهم الملكانية (سبعة) هم سبعة (وثامنهم كلبهم) قطمير

(عثروا) أى الذين أطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) وهو البعث (حق) كائن لان حالهم فى نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث (وان الساعة لاريب فيها) فانهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث (اذ يتنازعون) متعلق باعثرنا أى أعثرناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان (بينهم أمرهم) أمر دينهم ويختلفون فى حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفى الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أى على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (ربهم أعلم بهم) من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم ﴿ ٩٧ ﴾ وتناقلوا الكلام { سورة الكهف } فى أنسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين فى حديثهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم (لنتخذن عليهم) على باب الكهف (مسجدا) يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم روى ان أهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد فى ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ماتريدون منى انى احب أحباء (قاو خا ١٣ بع) الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم وقيل ان بيدروس ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته فى البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله فى نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة

وكما أنمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ﴿ ليعلموا ﴾ ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ﴿ ان وعد الله ﴾ بالبعث أو الموعود الذى هو البعث ﴿ حق ﴾ لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث ﴿ وان الساعة لاريب فيها ﴾ وان القيامة لاريب فى امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها ﴿ اذ يتنازعون ﴾ ظرف لاعثرنا أى اعثرنا عليهم حين يتنازعون ﴿ بينهم امرهم ﴾ امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا أو امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة أو قال طائفة نبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى ﴿ فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا ﴾ وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله رد على الخائضين فى امرهم من [illegible] المتنازعين فى زمانهم أو من [illegible]

الناس عليهم ﴿ ليعلموا ان وعد الله حق ﴾ يعنى قوم بيدروس الذين انكروا البعث ﴿ وان الساعة لاريب فيها ﴾ أى لاشك فيها انها آتية ﴿ اذ يتنازعون بينهم أمرهم ﴾ قال ابن عباس فى البنيان فقال المسلمون نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون نبنى بنيانا لانهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم فى البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث الارواح فاراهم الله آية وان البعث للارواح والاجساد وقيل تنازعوا فى مدة لبثهم وقيل فى عددهم ﴿ فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم ﴾ يعنى بيدروس وأصحابه ﴿ لنتخذن عليهم مسجدا ﴾

(ليعلموا) يعنى [illegible] منين والكافرين (أن وعد الله) البعث بعد الموت (حق) كائن (وان الساعة لاريب فيها) [illegible] يتنازعون بينهم أمرهم) اذ يختلفون فى قولهم فيهم (فقالوا) يعنى الكافرين (ابنوا عليهم بنيانا) كنيسة لانهم على ديننا (ربهم أعلم [illegible] الذين غلبوا على أمرهم) على قولهم وهم المؤمنون (لنتخذن عليهم مسجدا) لانهم على ديننا وكان

فصاروا سبعة (فابعثوا أحدكم) كانهم قالوا ربكم أعلم بذلك لاطريق لكم الى علمه فخذوا فى شىء آخر مما يهمكم فابعثوا أحد
أى تمليخا (بورقكم) هى الفضة مضروبة كانت أوغير مضروبة وبسكون الراء أبو عمرو وحمزة وأبو بكر (هذه ا
المدينة) هى طرسوس وحملهم الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأى المتوكلين على ا
دون المتكلين على الانفاقات وعلى مافى أوعية القوم من النفقات وعن بعض العلماء انه كان شديد الحنين الى بيت الله ويقو
ما لهذا السفر الاشيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن (فلينظر أيها) أى أهلها فحذف كما فى واسئل القرية
وأى مبتدأ وخبره (أزكى) أحل وأطيب أوأكثر وأرخص (طعاما) تمييز
(فليأتكم برزق منه وليتلطف) وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لايغبن أوفى أمر التخفى حتى لايعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) ولا يفعلن ما يؤدى الى الشعور بنا من غير قصد منه فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير فى (انهم) راجع الى الاهل المقدر فى أيها (ان يظهروا عليكم) يطلعوا عليكم (يرجموكم) يقتلوكم أخبث القتلة (أو يعيدوكم فى ملتهم) بالاكراه والعود بمعنى الصيرورة كثير فى كلامهم (ولن تفلحوا اذا أبدا) اذا يدل على الشرط أى ولن تفلحوا ان دخلتم فى دينهم أبدا (وكذلك اعثرنا عليهم) وكما أنمناهم وبعثناهم لما فى ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم

بعده قالوا ذلك ثم انظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لاطريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا ﴿ فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة ﴾ والورق الفضة مضروبة كانت أوغيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأى المتوكلين والمدينة طرسوس ﴿ فلينظر أيها ﴾ أى اهلها ﴿ ازكى طعاما ﴾ احل واطيب واكثر وارخص ﴿ فليأتكم برزق منه وليتلطف ﴾ وليتكلف اللطف فى المعاملة حتى لايغبن أوفى التخفى حتى لايعرف ﴿ ولا يشعرن بكم احدا ﴾ ولا يفعلن مايؤدى الى الشعور ﴿ انهم ان يظهروا عليكم ﴾ ان يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر فى ايها ﴿ يرجموكم ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿ أو يعيدوكم فى ملتهم ﴾ أو يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ﴿ ولن تفلحوا اذا ابدا ﴾ ان دخلتم فى ملتهم ﴿ وكذلك اعثرنا عليهم ﴾

مكسلمينا الماسمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم ﴿ فابعثوا أحدكم ﴾ يعنى تمليخا ﴿ بورقكم ﴾ هى الفضة مضروبة كانت أوغير مضروبة ﴿ هذه الى المدينة ﴾ قيل هى طرسوس وكان اسمها فى الزمن الاول قبل الاسلام أفسوس ﴿ فلينظر أيها أزكى طعاما ﴾ أى أحل طعاما وقيل أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل أطيب طعاما وأجوده وقيل أكثر طعاما وأرخصه ﴿ فليأتكم برزق منه ﴾ أى قوت وطعام تأكلونه ﴿ وليتلطف ﴾ أى وليترفق فى الطريق وفى المدينة ولكن فى ستر وكتمان ﴿ ولا يشعرن ﴾ أى ولا يعلمن ﴿ بكم أحدا ﴾ أى من الناس ﴿ انهم ان يظهروا عليكم ﴾ أى يعلموا بمكانكم ﴿ يرجموكم ﴾ قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يعذبوكم ﴿ أو يعيدوكم فى ملتهم ﴾ أى الكفر ﴿ ولن تفلحوا اذا أبدا ﴾ اى ان عدتم اليه ﴿ قوله عز وجل ﴿ وكذلك اعثرنا عليهم ﴾ أى اطلعنا

(فابعثوا احدكم) تمليخا (بورقكم هذه) بدراهمكم هذه (الى المدينة) مدينة افسوس (فلينظر ايها ازكى طعاما) اكثر طعاما ويقال اطيب (الناس) خبزا واحل ذبيحة (فليأتكم برزق منه) بطعام منه (وليتلطف) برفق فى الشراء (ولا يشعرن بكم) لايعلمن بكم (أحدا) من المجوس (انهم ان يظهروا) يطلعوا (عليكم) المجوس (يرجموكم) يقتلوكم (أو يعيدوكم) يرجعوكم (فى ملتهم) فى دينهم المجوسية (ولن تفلحوا) لن تنجوا من عذاب الله (اذا أبدا) اذا رجعتم الى دينهم (وكذلك) هكذا (اعثرنا) أطلعنا (عليهم) أهل مدينة أفسوس المؤمنين والكافرين وكان ملكهم يومئذ مسلما يسمى يستفادوس مات ملكهم المجوسى دقيانوس قبل ذلك

بهم فررت منهم (ولملئت منهم) وبتشديد اللام حجازي للمبالغة (رعبا) تمييز وبضم العين شامي وعلي وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لطول أظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال أريد أن أدخل فقال ابن عباس رضي الله عنهما لقد قيل لمن خير منك لوليت منهم فرارا فدخلت جماعة بأمره فأحرقتهم ريح (وكذلك بعثناهم) وكما أنمناهم تلك النومة كذلك أيقظناهم اظهارا للقدرة على الانامة والبعث جميعا (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) رئيسهم (كم لبثتم) كم مدة لبثكم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) بمدة لبثكم انكار عليهم من بعضهم كأنهم قد علموا بالادلة أو بالهام ان المدة متطاولة وان مقدارها لا يعلمه الا الله وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا الى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما على ان الصحيح ان عددهم سبعة لانه قد قال في الآية قال قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد وقالوا في جوابه لبثنا يوما أو بعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثة وهذا قول جمع آخرين

والحال ﴿ ولملئت منهم رعبا ﴾ خوفا يملأ صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية رضي الله عنه انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك وقد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل ﴿ وكذلك بعثناهم ﴾ وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ﴿ ليتساءلوا بينهم ﴾ ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم الله به عليهم ﴿ قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ﴾ بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصى مدة لبثه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى ﴿ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ﴾ ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم أو اليوم الذي

الكتاب أجله فيوقظهم الله من رقدتهم ﴿ ولملئت منهم رعبا ﴾ أي خوفا من وحشة المكان وقيل لان أعينهم مفتحة كالمتيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم ۞ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وكذلك بعثناهم ﴾ يعني كما أنمناهم في الكهف وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت ﴿ ليتساءلوا بينهم ﴾ أي ليسأل بعضهم بعضا ﴿ قال قائل منهم ﴾ وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا ﴿ كم لبثتم ﴾ أي في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم وقيل انهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك ﴿ قالوا لبثنا يوما ﴾ ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا ﴿ أو بعض يوم ﴾ فلما نظروا الى طول شعورهم وأظفارهم علموا انهم لبثوا أكثر من يوم ﴿ قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ﴾ وقيل ان

ثم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم

ولملئت منهم رعبا) لاخذت منهم خوفا (وكذلك) هكذا (بعثناهم) أيقظناهم بعد ما مضى ثلاثمائة سنة وتسع سنين (ليتساءلوا بينهم) ليتحدثوا فيما بينهم (قال قائل منهم) سيدهم وكبيرهم وهو مكسلمينا (كم لبثتم) مكثتم في هذا الغار بعد النوم (قالوا لبثنا يوما) فلما خرجوا فنظروا الى الشمس وقد بقي منها شيء قالوا (أو بعض يوم قالوا) يعني مكسلمينا (ربكم أعلم بما لبثتم) بعد النوم

كذلك أو اخبارك قصتهم أو ازورار الشمس عنهم وقرضها طالعة وغاربة من آيات الله ﴿ من يهد الله ﴾ بالتوفيق ﴿ فهو المهتد ﴾ الذى اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم أو التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها ﴿ ومن يضلل ﴾ ومن يخذله ﴿ فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ من يليه ويرشده ﴿ وتحسبهم ايقاظا ﴾ لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم ﴿ وهم رقود ﴾ نيام ﴿ ونقلبهم ﴾ فى رقدتهم ﴿ ذات اليمين وذات الشمال ﴾ كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم أى وترى تقلبهم ﴿ وكلبهم ﴾ هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم أو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم أى وصاحب كلبهم ﴿ باسط ذراعيه ﴾ حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل ﴿ بالوصيد ﴾ بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة ﴿ لو اطلعت عليهم ﴾ فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو ﴿ لوليت منهم فرارا ﴾ لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة

تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقناة أبدا لا تقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم مضجعا فى متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون معنى قوله ذلك من آيات الله أى ان شأنهم وحديثهم من آيات الله ﴿ من يهد الله فهو المهتد ﴾ يعنى مثل أصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم ﴿ ومن يضلل ﴾ أى ومن يضلله الله ولم يرشده ﴿ فلن تجد له وليا ﴾ أى معينا ﴿ مرشدا ﴾ أى يرشده ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وتحسبهم ﴾ خطابا لكل أحد ﴿ أيقاظا ﴾ أى منتبهين لان أعينهم مفتحة ﴿ وهم رقود ﴾ أى نيام ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ قال ابن عباس كانوا يقلبون فى السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تأكل الارض لحومهم قيل كانوا يقلبون فى يوم عاشوراء وقيل كان لهم فى السنة تقليبتان ﴿ وكلبهم باسط ذراعيه ﴾ قال ابن عباس كان كلبا أغر وعنه أنه كان فوق القلطى ودون الكرزى والقلطى كلب صينى وقيل كان أصفر وقيل كان شديد الصفرة يضرب الى حمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهبان قيل ليس فى الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم ﴿ بالوصيد ﴾ أى فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهما قيل كان يتقلب مع أصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها واذا انقلبوا ذات الشمال كسر اذنه اليسرى ورقد عليها ﴿ لو اطلعت عليهم ﴾ يا محمد ﴿ لوليت منهم فرارا ﴾ وذلك بما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم أحد حتى يبلغ

وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) مثل ماس فى سبحان وهو ثناء عليهم انهم جاهدوا فى الله وأسلموا له وجوههم فارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) اى من أضله فلا هادى له (وتحسبهم) بفتح السين شامى وحمزة وعاصم غير الاعشى وهو خطاب لكل أحد (أيقاظا) جمع يقظ (وهم رقود) نيام قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة فى يوم عاشوراء (وكلبهم باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان فى معنى المضى (بالوصيد) بالفناء او بالعتبة (لو اطلعت عليهم) لو أشرفت عليهم فنظرت اليهم (لوليت منهم) لاعرضت عنهم وهربت منهم (فرارا) منصوب على المصدر لان معنى وليت

(من يهد الله) لدينه (فهو المهتد) لدينه (ومن يضلل) عن دينه (فلن تجد له وليا مرشدا) موفقا يوفقه للهدى (وتحسبهم) يا محمد (أيقاظا) غير نيام (وهم رقود) نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) فى كل عام مرة لكى لا تأكل الارض لحومهم (وكلبهم) { الكتاب } قطمير (باسط ذراعيه بالوصيد) بفناء الباب (لو اطلعت) هجمت (عليهم) فى تلك الحال (لوليت منهم) لادبرت عنهم (فرارا)

بالخالق ويشركون معه غيره كاهل مكة أومنقطع أى واذاعتزلتم الكفار والاصنام التى يعبدونها من دون الله أوهوكلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غيرالله (فأووا الى الكهف) صيروا اليه أو اجعلوا الكهف مأواكم (ينشر لكم ربكم من رحمته) من رزقه (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) مرفقا مدنى وشامى وهو ماير تفق به أى ينتفع وانما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم أوأخبرهم به نبى فى عصرهم (وترى الشمس اذاطلعت تزاور) بتخفيف الزاء كوفى تزور شامى تزاور غيرهم وأصله تتزاور فخفف بادغام التاء فى الزاء أوحذفها والكل من الزور وهو الميل ومنه زاره اذامال اليه والزور الميل عن الصدق (عن كهفهم) أى تميل عنه ولايقع شعاعها عليهم (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (واذاغربت تقرضهم) تقطعهم أى تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم فى فجوة منه) فى متسع من الكهف والمعنى انهم فى ظل نهارهم كله لاتصيبهم الشمس فى طلوعها ولاغروبها مع انهم فى مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل منفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم و لايحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أى ماصنعه الله بهم من ازورار الشمس و قرضها

عطف على الضمير المنصوب أى واذاعتزلتم القوم ومعبوديهم الاالله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون مامصدرية على تقدير واذاعتزلتموهم وعبادتهم الاعبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذوجوابه لتحقيق اعتزالهم ﴿ فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم ﴾ يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم ﴿ من رحمته ﴾ فى الدارين ﴿ ويهيئ لكم من امركم مرفقا ﴾ ماترتفقون به اى تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى • وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم و كسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح ﴿ وترى الشمس ﴾ لورأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولكل احد ﴿ اذاطلعت تزاور عن كهفهم ﴾ تميل عنه ولايقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا أولان الله تعالى زورها عنه واصله تتزاور فادغمت التاء فى الزاء • وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر • وقرئ تزوار كتحمار وكلاهما من الزور بمعنى الميل ﴿ ذات اليمين ﴾ جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين ﴿ واذا غربت تقرضهم ﴾ تقطعهم وتصرم عنهم ﴿ ذات الشمال ﴾ يعنى يمين الكهف وشماله لقوله ﴿ وهم فى فجوة منه ﴾ أى وهم فى متسع من الكهف يعنى فى وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولايؤذيهم كرب الغار ولاحر الشمس وذلك لان باب الكهف فى مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى يلى الغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولايقع عليهم فيؤذى اجسادهم ويبلى ثيابهم ﴿ ذلك من آيات الله ﴾ أى شأنهم أوايواؤهم الى كهف شأنه

الله ويعبدون معه الاصنام والمعنى واذاعتزلتموهم وجميع مايعبدون الاالله فانكم لم تعتزلوا عبادته ﴿ فأووا الى الكهف ﴾ أى الجؤا اليه ﴿ ينشر لكم ﴾ أى يبسط لكم ﴿ ربكم من رحمته ويهيئ ﴾ أى يسهل ﴿ لكم من أمركم مرفقا ﴾ أى مايعود اليه يسركم ورفقكم ۞ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وترى الشمس اذا طلعت تزاور ﴾ أى تميل وتعدل ﴿ عن كهفهم ذات اليمين ﴾ أى جانب اليمين ﴿ واذا غربت تقرضهم ﴾ أى تتركهم وتعدل عنهم ﴿ ذات الشمال وهم فى فجوة منه ﴾ أى متسع من الكهف ﴿ ذلك من آيات الله ﴾ أى من عجائب صنعه ودلالات قدرته وذلك ان ما كان فى ذلك السمت

فأووا الى الكهف) فادخلوا هذا الغار (ينشر لكم) يهب لكم (ربكم من رحمته) من نعمته (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) مايرفق بكم غدا وهذا كله قول الفتية (وترى الشمس اذاطلعت تزاور) تميل (عن كهفهم ذات اليمين) يمين الغار (واذاغربت تقرضهم) تتركهم (ذات الشمال) شمال الغار (وهم فى فجوة منه) فى ناحية من الكهف ويقال فى فضاء منه من الضوء (ذلك) الذى ذكرت من قصتهم (من آيات الله) من عجائب الله

(انهم فتية) جمع فتى والفتوة بذل الندى وكف الاذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم وقيل الفتى مالايدعى قبل الفعل ولايزكى نفسه بعد الفعل (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) يقينا وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف الله في قلوبهم الايمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنان اثنان منا فيظهر كلاهما مايضمر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الايمان (و ربطنا على قلوبهم) وقويناها بالصبر على هجران الاوطان والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام (اذقاموا) بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام (فقالوا ربنا رب السموات والارض) مفتخرين (لن ندعو من دونه الها) ولئن سميناهم آلهة (لقدقلنااذاشططا) قولا ذاشطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط يشط ويشط اذا بعد (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبر وهو اخبار في معنى الانكار (لولايأتون عليهم) هلاياتون على عبادتهم فحذف المضاف (بسلطان بين) بحجة ظاهرة وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (وما يعبدون) نصب عطف على الضمير أى واذاعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم (الاالله) استثناء متصل لانهم كانوا يقرون

﴿انهم فتية﴾ شبان جمع فتى كصبي وصبية ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ بالتثبت ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار ﴿اذقاموا﴾ بين يديه ﴿فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقدقلنا اذاشططا﴾ والله لقدقلنا قولا ذاشطط أى ذابعد عن الحق مفرط في الظلم ﴿هؤلاء﴾ مبتدأ ﴿قومنا﴾ عطف بيان ﴿اتخذوا من دونه آلهة﴾ خبره وهو اخبار في معنى الانكار ﴿لولايأتون﴾ هلايأتون ﴿عليهم﴾ على عبادتهم ﴿بسلطان بين﴾ ببرهان ظاهر فان الدين لايؤخذ الابه وفيه دليل على ان مالا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز ﴿فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بنسبة الشريك اليه ﴿واذ اعتزلتموهم﴾ خطاب بعضهم لبعض ﴿ومايعبدون الاالله﴾

خبر أصحاب الكهف بالحق أى بالصدق ﴿انهم فتية﴾ أى شبان ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ أى ايمانا وبصيرة ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ أى شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف ﴿اذقاموا﴾ يعنى بين يدى دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام ﴿فقالوا﴾ أى الفتية ﴿ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها﴾ انما قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام ﴿لقد قلنا اذا شططا﴾ قال ابن عباس يعنى جورا وقيل كذبا يعنى ان دعونا غير الله ﴿هؤلاء قومنا﴾ يعنى أهل بلدهم ﴿اتخذوا من دونه﴾ أى من دون الله ﴿آلهة﴾ يعنى أصناما يعبدونها ﴿لولا﴾ أى هلا ﴿يأتون عليهم﴾ أى على عبادة الاصنام ﴿بسلطان بين﴾ أى بحجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال ﴿فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ أى وزعم أن له شريكا أوولدا ثم قال بعضهم لبعض ﴿واذاعتزلتموهم﴾ يعنى قومكم ﴿ومايعبدون الاالله﴾ وذلك انهم كانوا يعبدون

بالقرآن (انهم فتية) غلمة (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) بصيرة في أمر دينهم ويقال ثبتناهم في أمر دينهم ويقال ثبتناهم على الايمان (وربطنا على قلوبهم) حفظنا (الله) قلوبهم بالايمان ويقال ألهمناهم الصبر (اذقاموا) اذخرجوا من عند الملك دقيانوس الكافر (فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه) لن نعبد من دون الله (الها) ربا (لقدقلنااذاشططا) كذبا وزورا على الله (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه) عبدوا من دون الله (آلهة) من الاوثان (لولا يأتون عليهم) هلايأتون على عبادتهم (بسلطان بين) بحجة بينة ان الله أمرهم بذلك (فمن أظلم) فليس احد اظلم (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا) بأن له شريكا (واذاعتزلتموهم) تركتموهم وتركتم دينهم (ومايعبدون) من دون الله من الاوثان فلا تعبدوا (الاالله

(فضربنا على آذانهم في الكهف) أي ضربنا عليها حجابا من النوم يعني أنمناهم انامة ثقيلة لاتنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول الذي هو الحجاب (سنين عددا) ذوات عدد فهو صفة لسنين قال الزجاج أي تعد عددا لكثرتها لان القليل يعلم مقداره من غير عدد فاذا كثر عد فامادارهم معدودة فهي على القلة لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير (ثم بعثناهم) أيقظناهم من النوم (لنعلم أي الحزبين) المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم (أحصى لما لبثوا أمدا) غاية وأحصى فعل ماض وأمدا ظرف لاحصى أو مفعول له والفعل الماضي خبر المبتدأ وهو أي والمبتدأ مع خبره سد مسد مفعولي نعلم والمعنى أيهم ضبط أمدا لاوقات لبثهم واحاط علما بامد لبثهم ومن قال أحصى أفعل من الاحصاء وهو العد فقد زل لان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس وانما قال لنعلم مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك لان المراد ماتعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا وليكون لطفا لمؤمني ماتهم وآية بينة لكفار أو المراد لنعلم اختلافهما موجودا كما علمناه قبل وجوده (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق

﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ أي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لاتنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته ﴿ في الكهف سنين ﴾ ظرفان لضربنا ﴿ عددا ﴾ أي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ﴿ ثم بعثناهم ﴾ ايقظناهم ﴿ لنعلم ﴾ ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه أولا تعلقا استقباليا ﴿ أي الحزبين ﴾ المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم ﴿ احصى لما لبثوا أمدا ﴾ ضبط امدا لزمان لبثهم ومافي اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه أو مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وماموصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه احصى كقوله

واضرب منا بالسيوف القوانسا

﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق ﴾ بالصدق

وذكر انه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع ان فتية قد فقدوا في الزمان الاول وأن أسماءهم مكتوبة على لوح في خزانة فدعا باللوح ونظر في أسمائهم فاذا اسمه مكتوب وذكر أسماء الآخرين فقال تمليخا هم أصحابي فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تمليخا دعوني حتى أدخل على أصحابي فابشرهم فانهم أن رأوكم معي أرعبتموهم فدخل تمليخا فبشرهم فقبض الله روحه وأرواحهم وأعمى على الملك وأصحابه أثرهم فلم يهتدوا اليهم فذلك قوله عز وجل اذ أوى الفتية الى الكهف أي صاروا الى الكهف واسمه خيرم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة أي هداية في الدين وهيئ لنا أي يسر لنا من أمرنا رشدا أي ما نلتمس منه رضاك ومافيه رشدنا وقال ابن عباس أي مخرجا من الغار في سلامة ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ أي ألقينا عليهم النوم وقيل منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه ﴿ في الكهف سنين عددا ﴾ أي أنمناهم سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة ﴿ ثم بعثناهم ﴾ أي من نومهم ﴿ لنعلم ﴾ أي علم مشاهدة وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وانما أراد ماتعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ﴿ أي الحزبين ﴾ أي الطائفتين ﴿ أحصى لما لبثوا أمدا ﴾ أي احفظ لما مكثوا في كهفهم نياما وذلك ان أهل المدينة تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف ❊ قوله تعالى ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق ﴾ أي نقرأ عليك

فضربنا على آذانهم) ألقينا عليهم النوم وأنمناهم (في الكهف سنين عددا) ثلاثمائة سنة وتسع سنين (ثم بعثناهم) ايقظناهم اناموا (لنعلم) لكي نرى (أي الحزبين) أي الفريقين المؤمنين والكافرين (أحصى لما لبثوا) أحفظ لما مكثوا في الكهف أمدا) أجلا (نحن نقص عليك) نبين لك (نبأهم) خبرهم (بالحق)

ليؤتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فانه الآن بين يدى الجبار وهو ينتظرنا حتى نأتيه فبينماهم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة اذهم بأريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمن الطويل وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة لاريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا أريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظماء أهل المدينة وأمر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما مكسلمينا ومخشلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونس وبيرونس وديموس وبطيوس وقالوس والكلب اسمه قطمير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر بهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذى أراهم آية تدلهم على البعث ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس وأصحابه سجودا لله وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأخبرهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أريوس وأصحابه بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل لعلك تنظر الى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلاثمائة سنة وأكثر فلما أتى الملك الخبر رجع عقله اليه وذهب همه وقال أحمدك اللهم رب السموات والارض وأعبدك واسبح لك تطولت على ورحمتنى ولم تطفئ النور الذى جعلته لآبائى وللعبد الصالح بيدروس ثم أخبر بذلك أهل مدينته فركب وركبوا معه حتى أتوا مدينة افسوس فتلقاهم أهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذاهم رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم فى تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوا فى منامه فقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ولم يقدر أحد أن يدخل عليهم وامر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر ان يؤتى كل سنة وقيل ان تمليخا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة

﴿ وذكر ﴾

ذا اختطفوه وانطلقوا به الى رئيس المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها وهما
رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر طنطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن
تمليخا انه انما ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكي والناس
يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السماء واله
الارض أفرغ على اليوم صبرا وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يقول
في نفسه فرقوا بيني وبين اخوتي ياليتهم يعلمون ما لقيت وياليتهم يأتونني فنقوم جميعا بين
يدي هذا الجبار فانا قد كنا تواثقنا على الايمان بالله وأن لا نشرك به أحدا أبدا ولا نفترق
في حياة ولا موت فلما انتهى الى الرجلين الصالحين أريوس وطنطيوس ورأى أنه لم يذهب
الى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء وأخذ أريوس وطنطيوس الورق ونظرا
اليها وعجبا منها وقالا أين الكنز الذي وجدت يافتى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن
هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول
لكم فقال له أحدهما ممن أنت فقال تمليخا أما أنا فكنت أرى أني من أهل هذه المدينة
فقيل له ومن أبوك ومن يعرفك بها فأخبرهم باسم أبيه فلم يوجد من يعرفه ولا أباه فقال له
أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا مايقول غير أنه نكس بصره الى
الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق
نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقال له أحدهما ونظر اليه نظرا شديدا أتظن أنا نرسلك
ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذه المدينة وضربها ولهذه الورق أكثر من ثلاثمائة سنة
وأنت غلام شاب أتظن انك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وحولك سراة هذه
المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه المدينة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب
درهم ولا دينار واني لاظنني سآمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعترف بهذا
الكنز الذي وجدته فقال لهم تمليخا أخبروني عما أسألكم عنه فان أنتم فعلتم صدقتكم عما
عندي فقالوا له سل لا نكتمك شيأ فقال فما فعل الملك دقيانوس فقالا ما نعرف على وجه
الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك في الزمان الاول وله دهر طويل وهلك
بعده قرون كثيرة فقال تمليخا اني اذا لحيران وما يصدقني أحد من الناس فيما أقول لقد
كنا فتية على دين واحد وان الملك أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه
عشية أمس فأتينا الى الكهف الذي في جبل ينجلوس فنمنا فيه فلما انتبهنا خرجت لاشتري
لاصحابي طعاما أتجسس الاخبار فاذا أنا معكم كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف أريكم
أصحابي فلما سمع أريوس قول تمليخا قال ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله عز وجل
لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى يرينا أصحابه فانطلق أريوس وطنطيوس
ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما رأى
الفتية اصحاب الكهف تمليخا لقد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان
يأتي فيه ظنوا انه قد أخذ وذهب به الى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه
اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم

بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة فلما أتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذ كان أمر الايمان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب آخر فرأى مثل ذلك فخيل اليه ان المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى أشخاصا كثيرة محدثين لم يكن رآهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه أنه حيران ثم رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ياليت شعري ما هذه أما عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة لعلي نائم حالم ثم يرى أنه ليس بنائم فاخذ كساءه فجعل على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي في أسواقها فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى ابن مريم فزاده ذلك تعجبا ورأى أنه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس كان على الارض من يذكر عيسى ابن مريم الا قتل وأما اليوم فسمع كل انسان يذكر عيسى ابن مريم لا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يافتى فقال اسمها افسوس فقال في نفسه لعل بي مسا أو أمرا أذهب عقلي والله يحق لي ان أسرع الخروج قبل ان يصيبني فيها شر فأهلك فمضى الى الذين يبتاعون الطعام فاخرج لهم الورق التي كانت معه وأعطاها رجلا منهم وقال له بعني بهذه الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فناولها رجلا آخر من أصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل و يتعجبون منها و يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كنزا خبيئا في الارض منذ زمان طويل فلما رآهم تمليخا يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يرعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل الناس يأتونه ويتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم أفضلوا علي قد أخذتم ورقي فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا له يافتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرناه وشاركنا فيه نخفف عليك ماوجدت وانك ان لم تفعل نحملك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت في كل شئ كنت احذر منه فقالوا له يافتى انك والله لاتستطيع ان تكتم ماوجدت وجعل تمليخا مايدري مايقول لهم وخاف حتى لم يحر على لسانه اليهم شئ فلما رأوه لايتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد أخذ رجل معه كنز فاجتمع عليه أهل المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ماهذا الفتى من أهل هذه المدينة ومارأيناه فيها قط وما نعرفه وجعل تمليخا لايدري مايقول لهم وكان متيقنا ان أباه واخوته بالمدينة وانه من عظماء اهلها وانهم سيأتونه اذ سمعوا به فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم

فقدناهم فى شهر كذا فى سنة كذا فى مملكة فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكون لهؤلاء شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقى ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس فى ملكه فكانوا أحزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد وجعل بيدروس الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا وانهم أئمة فى الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يحرجون الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكى ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه ثم ان الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقى الله سبحانه وتعالى فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى فيه ذلك الكهف وكان اسمه اولياس أن يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف ويبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما كان على باب الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلما فتح باب الكهف أذن الله سبحانه وتعالى ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون منها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لا يرى فى وجوههم ولا ألوانهم شئ ينكرونه وانهم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن دقيانوس فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم أنبئنا ما قال الناس فى شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك فى أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا قد التمستم فى المدينة وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذ دعاكم عدو الله ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذى يذكر فينا عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرن بك أحدا وابتغ لنا طعاما فأتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به فقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها وأخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر

من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبيناهم على ذلك اذ ضرب الله عز وجل على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا أن بي غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري ما كنت لاجهل عليهم ان هم تابوا وعبدوا آلهتي فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا أرسل الى آبائهم فاتى بهم فقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا أما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة انهم ذهبوا باموالنا وأهلكوها في أسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى ينجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل مايدري مايصنع بالفتية فالقى الله سبحانه وتعالى في نفسه أن يأمر بسد باب الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كماهم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون مايصنع بهم وقد توفى الله عز وجل أرواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ماغشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر روناس اهتما أن يكتبا شأن هؤلاء الفتية واسماءهم وأنسابهم وأخبارهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقي دقيانوس ما بقي ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد ملوك وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوي ذوائب فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيد لهم وكان أحدهم وزير الملك فقذف الله سبحانه وتعالى الايمان في قلوبهم فآمنوا وأخفى كل واحد ايمانه وقال في نفسه أخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبني عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره وجلس اليه من غير أن يظهر على أمره ثم خرج آخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ماجمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا وينفش كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف في جبل عظيم قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا

(فقدناهم)

وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا
اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبيناهم
على ذلك وقد دخلوا مصلاهم أدركهم الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون
الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن أمر الملك ثم انطلقوا الى الملك فأخبروه
خبر الفتية فبعث اليهم فأتى بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال
لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التى تعبد فى الارض وتجعلوا انفسكم أسوة
أهل مدينتكم اختاروا اما أن تذبحوا لآلهتنا واما أن أقتلكم فقال مكسلمينا وهو أكبرهم
ان لنا الها ملء السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها أبدا له الحمد والتكبير
من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير فاما الطواغيت فلن نعبدها
أبدا اصنع بنا ما بدا لك وقال أصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم أمر بنزع ثيابهم
وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وأنجز لكم ما أوعدتكم من
العقوبة وما يمنعنى أن أعجل ذلك لكم الا أنى أراكم شبانا حديثة أسنانكم فلا أحب
أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه فترجعون الى عقولكم ثم أمر بهم
فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة أخرى قريبة منهم لبعض أموره فلما
رأى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم أن يذكرهم فأتمروا بينهم واتفقوا على
أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا
الى كهف قريب من المدينة فى جبل يقال له ينجلوس فيمكثوا فيه ويعبدوا الله حتى اذا
جاء دقيانوس أتوه فيصنع بهم ما يشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت
ابيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقى معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اتوا
ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا
ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون منى لا تخشوا منى انا احب احباب الله عز وجل
فناموا حتى احرسكم وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع
معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن عباس
فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء لوجه الله عز
وجل وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا
وكان من اجملهم واجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم
يأخذ ورقه فينطلق الى المدينة فيشترى لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكر
هو وأصحابه بشئ ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا بذلك ما شاء الله أن يلبثوا ثم قدم دقيانوس
المدينة وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان
تمليخا بالمدينة يشترى لاصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو يبكى ومعه طعام قليل
فاخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ففزعوا
ووقعوا سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا
يا أخوتاه ارفعوا رؤسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض

فاتت وسلمت الى نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت مالك قالت أخاف الله فقلت لها خفته في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همان وكان لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فأتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق على ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير ﴿ اذ أوى الفتية الى الكهف ﴾ يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا الى الكهف ﴿ فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ﴾ توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو ﴿ وهيئ لنا من امرنا ﴾ من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار ﴿ رشدا ﴾ نصير بسببه راشدين مهتدين أو اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشئ

الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقال كعب الاحبار هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل ﴿ اذ أوى الفتية الى الكهف ﴾ أي صاروا اليه وجعلوه مأواهم والفتية جمع فتى وهو الطرى من الشباب ﴿ فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ﴾ أي رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والنصر والامن من الاعداء ﴿ وهيئ لنا ﴾ اي أصلح لنا ﴿ من أمرنا رشدا ﴾ أي حتى نكون بسببه راشدين مهديين وقيل معناه واجعل أمرنا رشدا كله

﴿ ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه ﴾

قال محمد بن اسحق ومحمد بن يسار مرج أمر أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدا الافتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام أو يقتله فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها افسوس استخفى منه أهل الايمان وهربوا في كل وجه فاتخذ شرطا من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم فجعل أولئك الشرط يتبعون أهل الايمان في أماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ماقطع من أجسادهم على أسوار المدينة وأبوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله عز وجل

ذات عجب (اذ) أي اذكر (أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهيئ لنا من أمرنا) أي الذي نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا أو يسر لنا طريق رضاك

والارض والنجوم والجبال والبحار وأعجب من ذلك (اذ أوى الفتية الى الكهف) دخل علية في غار الكهف (فقالوا) حين دخلوا (ربنا) يا ربنا (آتنا من لدنك رحمة) أي ثبتنا على دينك (وهيئ لنا من أمرنا رشدا) مخرجا

بلوهم أيهم أحسن عملا) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد فى الميل اليها بقوله (وانا الجاعلون ماعليها) من هذه
ينة (صعيدا) أرضا ملساء (جرزا) يابسا لانبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة

ولا هلها ﴿ لنبلوهم ايهم احسن عملا ﴾ فى تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجى به ايامه وصرفه على ما ينبغى وهو تسكين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا ﴾ تزهيد فيه والجرز الارض التى قطع نباتها مأخوذ من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لانبات فيه ﴿ أم حسبت ﴾ بل احسبت ﴿ ان اصحاب الكهف والرقيم ﴾ فى ابقاء حياتهم مدة مديدة ﴿ كانوا من آياتنا عجبا ﴾ وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيآت متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل أو الوادى الذى فيه كهفهم أو اسم قريتهم أو كلبهم قال امية بن ابى الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا ٭ وصيدهم والقوم فى الكهف همد

أو لوح رصاصى أو حجرى رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال احدهم استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثم مر بى بقرة فاشتريت به فصيلا فبلغت ماشاء الله فرجع الى بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لى عندك حقا وذكره لى حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان فى فضل واصابت الناس شدة فجاءتنى امرأة فطلبت منى معروفا فقلت والله ماهو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبى له واغيثى عيالك

﴿ لنبلوهم ﴾ فمن بلو يجب ان لا يدخل فى ذلك ومعنى لنبلوهم نختبرهم ﴿ أيهم أحسن عملا ﴾ أى أصلح عملا وقيل أيهم أترك للدنيا وأزهد فيها ﴿ وانا لجاعلون ماعليها ﴾ أى من الزينة ﴿ صعيدا جرزا ﴾ يعنى مثل أرض لانبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليابس الذى لا ينبت فيه شئ ٭ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أم حسبت ﴾ أى ظننت يا محمد ﴿ أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ أى هم عجب من آياتنا وقيل معناه انهم ليسوا بأعجب آياتنا فان ما خلقنا من السموات والارض ومافيهن من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم

والمعنى نعيدها بعد عمارتها خرابا باماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار وغير ذلك ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التى لا حصر لها وازالة ذلك كله كأن لم يكن قال (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) يعنى ان ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم هو اسم كلبهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب فى شأنهم أو اسم الجبل الذى فيه الكهف (كانوا من آياتنا عجبا) أى كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر أو على

(لنبلوهم) لنختبرهم (أيهم) منهم (أحسن) أخلص (عملا) ويقال انا جعلنا ما على الارض من النبات والشجر والدواب والنعيم زينة لها زهرة للارض لنختبر أيهم أزهد فى الدنيا وأترك لها (وانا لجاعلون) مغيرون (ماعليها) من الزهرة (صعيدا) ترابا (جرزا) املس لانبات فيها (أم حسبت) أظننت يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقيم) والكهف هو الجبل الذى فيه الغار والرقيم هو اللوح من رصاص فيه أسماء الفتية وقصتهم ويقال الرقيم هو الوادى الذى فيه الكهف ويقال الرقيم هو مدينة (كانوا من آياتنا) من عجائبنا (عجبا) الشمس والقمر والسماء

محال (ولالآبائهم) المقلدين (كبرت كلمة) نصب على التميز وفيه معنى التعجب كأنه قيل ماأكبرها كلمة والضمير فى كبرت يرجع ا
قولهم اتخذالله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها (تخرج من أفواههم) صفة لكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النط
بها واخراجها من أفواههم
من المنكرات لا يحتمل الكون
أن يتفوهوا به بل يكظمون
عليه فكيف بتمثل هذا
المنكر (ان يقولون الا كذبا)
مايقولون ذلك الا كذبا
هو صفة لمصدر محذوف
أى قولا كذبا (فلعلك باخع
نفسك) قاتل نفسك (على
آثارهم) أى آثار الكفار
شبهه واياهم حين تولوا
عنه ولم يؤمنوا به وماتداخله
من الاسف على توليهم
برجل فارقه أحبته فهو يتساقط
حسرات على آثارهم ويبخع
نفسه وجدا عليهم وتلهفا
على فراقهم (ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث) بالقرآن
(أسفا) مفعول له أى لفرط
الحزن والاسف المبالغة فى
الحزن والغضب (انا جعلنا
ماعلى الارض زينة لها)
أى ما يصلح ان يكون زينة
لها ولاهلها من زخارف
الدنيا وما يستحسن منها

ولا بآبائهم (ولالآبائهم) كان
علم ذلك (كبرت كلمة) عظمت
كلمة الشرك (تخرج من
أفواههم) تظهر على أفواههم
(ان يقولون) مايقولون
(الا كذبا على الله (فلعلك)
يامحمد (باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) لاجلهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بأن لم يؤمنوا بهذا القرآن ﴿ لنبلوهم ﴾
(أسفا) حزنا (انا جعلنا ماعلى الارض) من الرجال والنساء (زينة لها) زهرة للارض

نسبة الاتخاذ اليه ﴿ ولا لآبائهم ﴾ الذين تقولوه بمعنى التبنى ﴿ كبرت كلمة ﴾ عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التميز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود ﴿ تخرج من افواههم ﴾ صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ﴿ ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك ﴾ قاتلها ﴿ على آثارهم ﴾ اذ ولوا عن الايمان شبهه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ﴿ ان لم يؤمنوا بهذا الحديث ﴾ بهذا القرآن ﴿ اسفا ﴾ للتأسف عليهم أومتأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية ﴿ انا جعلنا ماعلى الارض ﴾ من الحيوان والنبات والمعادن ﴿ زينة لها ﴾

ان قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط * فان قلت اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم * قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون فى نفسه محالا لا يستقيم تعلق العلم به ﴿ ولا لآبائهم ﴾ أى ولا لأسلافهم من قبل ﴿ كبرت ﴾ أى عظمت ﴿ كلمة تخرج من أفواههم ﴾ أى هذا الذى يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطلان فكأنه يجرى على لسانهم على سبيل التقليد ﴿ ان يقولون الا كذبا ﴾ أى مايقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذى لا يطابق المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله سبحانه وتعالى وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا كان كثير الكذب * قوله عز وجل ﴿ فلعلك باخع نفسك ﴾ أى قاتل نفسك ﴿ على آثارهم ﴾ أى من بعدهم ﴿ أن لم يؤمنوا بهذا الحديث ﴾ يعنى القرآن ﴿ أسفا ﴾ أى حزنا وقيل غيظا ﴿ انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها ﴾ أى ما يصلح أن يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعنى النبات والشجر والانهار وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما فى الارض هو زينة لها فان قلت أى زينة فى الحيات والعقارب والشياطين قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما فى الارض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف انواع الحيوان الانسان قيل لاولى أن لا يدخل فى هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى

(ولم يجعل له عوجا) أى شيأ من العوج والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان يقال فى رأيه عوج وفى عصاه عوج والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة (قيما) مستقيما وانتصابه بمضمر وتقدير وجعله قيما لانه اذا نفى العوج فقد أثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفى العوج واثبات الاستقامة وفى أحدهما غنى عن الآخر التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح أو قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها (لينذر) أنذر متعدالى مفعولين كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على أحدهما وأصله لينذر الذين كفروا (بأسا) عذابا (شديدا) وانما اقتصر على أحد مفعولى أنذر لان المنذر به هو المسوق اليه فاقتصر عليه (من لدنه) صادرا من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم) أى بان لهم (أجرا حسنا) أى الجنة ويبشر حمزة وعلى (ماكثين) حال من هم فى لهم (فيه) فى الاجر وهو الجنة (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الاول استغناء لتقدم ذكره (مالهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه يعنى ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم قلت معناه مالهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشئ اما للجهل بالطريق الموصل اليه أو لانه فى نفسه

ينتظم صلاح المعاش والمعاد ﴿ ولم يجعل له عوجا ﴾ شيأ من العوج باختلال فى اللفظ وتناف فى المعنى أو انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو فى المعانى كالعوج فى الاعيان ﴿ قيما ﴾ مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط أو قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما أو على الحال من الضمير فى له أو من الكتاب على ان الواو فى ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ قيما ﴿ لينذر بأسا شديدا ﴾ اى لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه ﴿ من لدنه ﴾ صادرا من عنده وقرأ أبو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ﴾ هو الجنة ﴿ ماكثين فيه ﴾ فى الاجر ﴿ ابدا ﴾ بلا انقطاع ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ﴾ خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ﴿ مالهم به من علم ﴾ أى بالولد أو باتخاذه أو بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذى ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر أو بالله اذ لو علموه لما جوزوا

عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم ﴿ ولم يجعل له عوجا ﴾ أى لم يجعل له شيأ من العوج قط والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روى عن ابن عباس فى قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذى عوج قال غير مخلوق ﴿ قيما ﴾ أى مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرائعها ﴿ لينذر بأسا شديدا ﴾ معناه لينذر الذين كفروا بأسا شديدا وهو قوله سبحانه وتعالى بعذاب بئيس ﴿ من لدنه ﴾ أى من عنده ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا حسنا ﴾ يعنى الجنة ﴿ ماكثين فيه ﴾ أى مقيمين فيه ﴿ أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ﴾ أى بالولد وباتخاذه يعنى

(ولم يجعل له عوجا) لم ينزله مخالفا للتوراة والانجيل وسائر الكتب (تا و خا ١١ بع) بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته نزلت فى شأن اليهود حين قالوا القرآن مخالف لسائر الكتب (قيما) على الكتب ويقال مستقيما (لينذر) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (بأسا) عذابا (شديدا من لدنه) من عنده (ويبشر) محمد بالقرآن (المؤمنين) المخلصين (الذين يعملون الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (أن لهم أجرا حسنا) ثوابا كريما فى الجنة (ماكثين فيه) مقيمين فى الثواب لا يموتون ولا يخرجون (أبدا وينذر) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (الذين قالوا اتخذ الله ولدا) يعنى اليهود والنصارى وبعض المشركين (مالهم به) من مقالتهم (من علم) من حجة

(ولم يكن له ولي من الذل) أي لم يذل فيحتاج الى ناصر أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته (وكبره تكبيرا) وعظمه وصفه بانه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمى النبي عليه السلام الآية آية العز وكان اذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية ﴿ سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية بصري وعشر آيات كوفي ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الحمد لله الذي أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) القرآن لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم

﴿ ولم يكن له ولي من الذل ﴾ ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة أو منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله ﴿ وكبره تكبيرا ﴾ وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك ❊ روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية ❊ وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وهي مائة وواحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ﴾ يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به

مستحقا للحمد والشكر وكذا قوله ﴿ ولم يكن له ولي من الذل ﴾ ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعزز به ﴿ وكبره تكبيرا ﴾ أي وعظمه عن أن يكون له ولد أو شريك أو ولي وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولي كان مستوجبا لجميع أنواع المحامد ❊ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء ❊ عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده ❊ عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان افضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا اله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ❊ عن سمرة ابن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت أخرجه مسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الكهف وهي مكية وآياتها مائة واحدى عشرة آية وكلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وحروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

❊ قوله عز وجل ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾ أثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن كان نعمة

فيعاديه (ولم يكن له ولي) معين (من الذل) من أهل الذل يعني اليهود والنصارى والمشركين وهم اذل الناس ويقال لم يزل حتى يحتاج الى ولي من اليهود والنصارى (وكبره تكبيرا) يعني عظمه تعظيما عن مقالة اليهود والنصارى والمشركين والله أعلم باسرار كتابه

ومن السورة التي يذكر فيها الكهف وهي كلها مكية غير آيتين مدنيتين ذكر فيهما عيينة بن حصن الفزاري آياتها مائة واحدى عشرة وكلماتها الف وخمسمائة وسبع وستون وحروفها ستة آلاف وار بعمائة وستون حرفا ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (الحمد لله) يقول الشكر لله والالهية لله (الذي أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) جبريل بالقرآن (عليه)

رجع الى ذات الله تعالى والفاء لانه جواب الشرط أى أياماتدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت
سماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها أحسن
الاسماء انها مستقلة بمعانى التمجيد والتقديس والتعظيم (ولاتجهر بصلاتك) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لايلبس اذ الجهر والمخافتة تعتقبان على الصوت لاغير والصلاة أفعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولاتجهر حتى لاتسمع المشركين (ولا تخافت بها) حتى لاتسمع من خلفك (وابتغ بين ذلك)بين الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا أو معناه ولاتجهر بصلاتك كلها ولاتخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار او بصلاتك بدعائك (وقل الحمدلله الذى لم يتخذ ولدا) كما زعمت اليهود والنصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) كما زعم المشركون

مثل العلم والقدرة والسمع والبصر فادعوه بها (ولاتجهر بصلوتك)يقول لاتجهر بصوتك بقراءة القرآن فى صلاتك لكى لايؤذيك
مشركون (ولاتخافت بها)ولاتسر بقراءة القرآن فلاتسمع أصحابك(وابتغ)اطلب (بين ذلك)بين الرفع والخفض (سبيلا)طريقا
وسطا(وقل الحمدلله)الشكر والالوهية لله(الذى لم يتخذ ولدا)من الملائكة والآدميين فيرث ملكه(ولم يكن له شريك فى الملك)

اولهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين فى ايا عوض عن المضاف اليه وماصلة لتأكيد مافى ايا من الابهام والضمير فى فله للمسمى لان التسمية له لاللاسم وكان اصل الكلام اياماتدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ماهو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ﴿ولاتجهر بصلوتك﴾ بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ﴿ولاتخافت بها﴾ حتى لاتسمع من خلفك من المؤمنين ﴿وابتغ بين ذلك﴾ بين الجهر والمخافتة ﴿سبيلا﴾ وسطا فان الاقتصاد فى جميع الامور محبوب روى ان ابابكر رضى الله تعالى عنه كان يخفت ويقول اناجى ربى وقد علم حاجتى وعمر رضى الله تعالى عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله تعالى عليه وسلم ابابكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لاتجهر بصلاتك كلها ولاتخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا ﴿وقل الحمدلله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك﴾ فى الالوهية

حسنت أسماؤه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى أنها مشتملة على معانى التقديس والتعظيم والتمجيد ﴿ولاتجهر بصلوتك ولاتخافت بها﴾ (ق) عن ابن عباس فى قوله ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولاتجهر بصلاتك أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولاتخافت بها عن أصحابك فلاتسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد فى رواية وابتغ بين ذلك سبيلا أسمعهم ولاتجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية فى الدعاء وهو قول عائشة والنخعى ومجاهد ومكحول (ق) عن عائشة ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها قالت نزل ذلك فى الدعاء وقيل كان أعراب من بنى تميم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون بذلك فانزل الله عزوجل ولاتجهر بصلاتك أى لاترفع صوتك بقراءتك ودعائك ولاتخافت بها المخافتة خفض الصوت والسكوت ﴿وابتغ﴾ أى اطلب ﴿بين ذلك سبيلا﴾ أى طريقا وسطا بين الجهر والاخفاء عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال انى أسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك فقال انى أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال اخفض قليلا أخرجه الترمذى ﴿وقل الحمدلله الذى لم يتخذ ولدا﴾ أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحمده على وحدانيته وقيل معناه الحمدلله الذى عرفنى انه لم يتخذ ولدا وقيل ان كل من له ولد فهو يمسك جميع النعم لولده واذا لم يكن له ولد أفاض نعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم مقام الوالد بعد انقضائه والله عزوجل يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد ﴿ولم يكن له شريك فى الملك﴾ والسبب فى اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن

(يخرون للاذقان سجدا) حال (ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا أي أعرض عنهم فانهم ان لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فان خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا به وصدقو فاذا تلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور ان بمعنى انه وهي تؤكد الفعل كما أن ان تؤكد الاسم وكما أكدت ان باللام في انهم يحضرون أكدت ان باللام في لمفعولا (ويخرون للاذقان يبكون) ومع الخرور للذقن السقوط على الوجه وانما خص الذقن لان أقرب الاشياء من وجهه الى الارض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى ذقنه وخر لوجهه ولذقنه أما معنى على فظاهر وأما معنى اللام فكانه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به اذ اللام للاختصاص وكرر يخرون للاذقان لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين (ويزيدهم) القرآن (خشوعا) لين قلب ورطوبة عين (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) لما سمعه أبو جهل يقول يا ألله يا رحمن قال انه نهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر فنزلت وقيل ان أهل الكتاب قالوا انك لتقول ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وأو تخيير أي سموا بهذا الاسم أو بهذا أو اذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في (أيا ما تدعوا) عوض من المضاف اليه (حسنت) وما زيدت للتوكيد وأيا نصب بتدعوا وهو مجزوم بأي أي أي هذين الاسمين ذكرتم وسميتم (فله الاسماء الحسنى) والضمير في

﴿ يخرون للاذقان سجدا ﴾ يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله أو شكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ﴿ ويقولون سبحان ربنا ﴾ عن خلف الموعد ﴿ ان كان وعد ربنا لمفعولا ﴾ انه كان وعده كائنا لا محالة ﴿ ويخرون للاذقان يبكون ﴾ كرره لاختلاف الحال أو السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ﴿ ويزيدهم ﴾ سماع القرآن ﴿ خشوعا ﴾ كما يزيدهم علما ويقينا بالله ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر أو قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين فانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود المطلق وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو جواب لقوله ﴿ ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ﴾ والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف

﴿ يخرون للاذقان ﴾ قال ابن عباس أراد بها الوجوه ﴿ سجدا ﴾ أي يقعون على الوجوه سجدا ﴿ ويقولون سبحان ربنا ﴾ أي تعظيما لربنا لانجازه ما وعد في الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ان كان وعد ربنا لمفعولا ﴾ أي كائنا واقعا ﴿ ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ أي خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن ۞ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا اجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذي والنسائي وزاد النسائي في منخري مسلم أبدا * الولوج الدخول والمنخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذي ۞ قوله عز وجل ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو الهين فأنزل الله هذه الآية ومعناه انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم أو بهذا الاسم ﴿ أيا ما تدعوا ﴾ ما صلة ومعناه أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم أو من جميع أسمائه ﴿ فله الاسماء الحسنى ﴾ يعني اذا

يقرأ (يخرون للاذقان) على الوجوه (سجدا) يسجدون لله (ويقولون سبحان ربنا) نزهوا الله عن الولد والشريك (ان كان) قد (وعد ربنا) في مبعث محمد صلى الله عليه وسلم (لمفعولا) كائنا صدقا (ويخرون للاذقان) للسجود (يبكون) في السجود (ويزيدهم خشو[عا]) تواضعا نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه (قل) لهم يا محمد (ادعوا الله أو دعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) الصفات ال[علا]

بالحق نزل) وماأنزلنا القرآن الابالحكمة وما نزل الاملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير أوما نزلناه من السماء الابالحق محظوظا بالرصد من الملائكة ومانزل على الرسول الامحفوظا بهم من تخليط الشياطين قال راوى اشتكى محمد بن السماك فاخذنا ماءه وذهبنا به الى طبيب نصرانى فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقى ثوب فقال لناالى أين فقلنا له الى فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولى الله بعدو الله اضربوه على الارض وارجعوا الى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا الى ابن السماك فاخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ماقال الرجل وعوفى فى الوقت وقال كان ذلك الخضر عليه السلام (وما أرسلناك الامبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) أى فصلناه أوفرقنافيه الحق من الباطل (لتقرأه على الناس على مكث) على تؤدة وتثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوابه أولاتؤمنوا) أى اختاروا لانفسكم النعيم المقيم أوالعذاب الاليم ثم علل بقوله (ان الذين أوتوا العلم من قبله) أى التوراة من قبل القرآن (اذا يتلى عليهم) القرآن

وبالحق نزل ﴾ أى ومانزلنا القرآن الاملتبسا بالحق المقتضى لانزاله ومانزل الاملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الامحفوظا بالرصد من الملائكة ومانزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفى اعتراء البطلان له اول الامر وآخره ﴿ و ما ارسلناك الا مبشرا ﴾ للمطيع بالثواب ﴿ ونذيرا ﴾ للعاصى بالعقاب فلا عليك الاالتبشير والانذار ﴿ وقرآنا فرقناه ﴾ نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما فى قوله ويوما شهدناه ٭ وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف عشرين سنة ﴿ لتقرأه على الناس على مكث ﴾ على مهل و تؤدة فانه ايسر للحفظ واعون فى الفهم ٭ وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿ ونزلناه تنزيلا ﴾ على حسب الحوادث ﴿ قل آمنوابه أولاتؤمنوا ﴾ فان ايمانكم بالقرآن لايزيده كمالا وامتناعكم عنه لايورثه نقصا وقوله ﴿ ان الذين اوتوا العلم من قبله ﴾ تعليل له أى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة و عرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل اورأوا نعتك وصفة ماانزل اليك فى تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولاتكترث بايمانهم واعراضهم ﴿ اذا يتلى عليهم ﴾ القرآن

وبالحق نزل ﴾ يعنى ان ماأردنا بانزال القرآن الاتقريره للحق فلما أردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وماأنزلنا القرآن الابالحق المقتضى لانزاله ومانزل الاملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية الى كل خير ﴿ وماأرسلناك الامبشرا ﴾ يعنى بالجنة للمطيعين ﴿ ونذيرا ﴾ أى مخوفا بالنار للعاصين ٭ قوله عزوجل ﴿ وقرآنا فرقناه ﴾ أى فصلناه وبيناه وقيل فرقنابه بين الحق والباطل وقيل معناه أنزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى ﴿ لتقرأه على الناس على مكث ﴾ أى على تؤدة وترسل فى ثلاث وعشرين سنة ﴿ ونزلناه تنزيلا ﴾ أى على حسب الحوادث ﴿ قل آمنوابه أولاتؤمنوا ﴾ فيه وعيد وتهديد ﴿ ان الذين أوتوا العلم من قبله ﴾ قيل هم مؤمنو أهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسى وأبى ذر وغيرهم ﴿ اذا يتلى عليهم ﴾ يعنى القرآن

أنزلنا جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم (وبالحق نزل) بالقرآن نزل (وما أرسلناك) يامحمد (الامبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (وقرآنا) أنزلنا جبريل بالقرآن (فرقناه) بيناه بالحلال والحرام والامر والنهى (لتقرأه على الناس على مكث) مهل وهينة ورسل (ونزلناه تنزيلا) بيناه تبيانا ويقال نزلنا جبريل بالقرآن تنزيلا متفرقا آية وآيتين وثلاثا وكذا وكذا (قل) لهم يامحمد (آمنوابه) بالقرآن (أولاتؤمنوا) وهذا وعيد لهم (ان الذين أوتوا العلم) أعطوا العلم بالتوراة بصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (من قبله) من قبل القرآن (اذا يتلى) يقرأ (عليهم) القرآن

(قال) أي موسى (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (الا رب السموات والارض) خالقهما (بصائر) حال أي بينات مكشوفات لانك معاند ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا علمت علي أني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه بقوله (واني لاظنك يا فرعون مثبورا) كأنه قال ان ظننتني مسحورا فأنا أظنك مثبورا وظني أصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد

وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة أمري اني لاظنك مسحورا قول كذب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك (فأراد) فرعون (ان يستفزهم) يخرجهم أي موسى وقومه (من الارض) أي أرض مصر أو ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال (فأغرقناه ومن معه جميعا) فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه (وقلنا من بعده) من بعد فرعون (لبني اسرائيل اسكنوا الارض) التي أراد فرعون ان يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) أي القيامة (جئنا بكم لفيفا) جميعا مختلطين اياكم واياه ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم وأشقياءكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه)

سحرت فتخبط عقلك ﴿قال لقد علمت﴾ يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ﴿ما أنزل هؤلاء﴾ يعني الآيات ﴿الا رب السموات والارض بصائر﴾ بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال ﴿واني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾ مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى عليه السلام يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة ﴿فأراد﴾ فرعون ﴿ان يستفزهم﴾ ان يستخف موسى عليه السلام وقومه وينفيهم ﴿من الارض﴾ ارض مصر أو الارض مطلقا بالقتل والاستئصال ﴿فأغرقناه ومن معه جميعا﴾ فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق ﴿وقلنا من بعده﴾ من بعد فرعون واغراقه ﴿لبني اسرائيل اسكنوا الارض﴾ التي اراد ان يستفزكم منها ﴿فاذا جاء وعد الآخرة﴾ الكرة أو الحياة أو الساعة أو الدار الآخرة يعني قيام القيامة ﴿جئنا بكم لفيفا﴾ مختلفين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى ﴿وبالحق انزلناه﴾

أي مسحورا وقيل معناه ساحرا معطى علم السحر فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك ﴿قال﴾ موسى ﴿لقد علمت﴾ خطابا لفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عانده ﴿ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض﴾ يعني الآيات التسع ﴿بصائر﴾ أي بينات يبصر بها ﴿واني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾ قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير ﴿فأراد ان يستفزهم من الارض﴾ معناه أراد فرعون أن يخرج موسى وبني اسرائيل من أرض مصر ﴿فأغرقناه ومن معه جميعا﴾ أي أغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه ﴿وقلنا من بعده﴾ أي من بعد هلاك فرعون ﴿لبني اسرائيل اسكنوا الارض﴾ يعني أرض مصر والشام ﴿فاذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني القيامة ﴿جئنا بكم لفيفا﴾ أي جميعا الى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل أراد بوعد الآخرة نزول عيسى من السماء ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿وبالحق انزلناه﴾

(قال) له موسى (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل) على موسى (هؤلاء) الآيات (الا رب السموات والارض بصائر) بيانا وعلامة لنبوتي (و) (واني لأظنك) أعلم واستيقن (يا فرعون مثبورا) ملعونا كافرا (فأراد أن يستفزهم) يستزلهم (من الارض) أرض الاردن وفلسطين (فأغرقناه) في البحر (ومن معه جميعا وقلنا من بعده) من بعد هلاكه (لبني اسرائيل اسكنوا) انزلوا (الارض) أرض الاردن وفلسطين (فاذا جاء وعد الآخرة) البعث بعد الموت ويقال نزول عيسى ابن مريم (جئنا بكم لفيفا) جميعا (وبالحق أنزلناه) بالقرآن

والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانقلاب البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنها فقال ان لاتشركوا بالله شيأ ولاتسرفوا ولاتزنوا ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولاتسحروا ولاتأكلوا الربا ولاتمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولاتقذفوا محصنة ولاتفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل شرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها فى الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام ﴿فاسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم﴾ فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك أو سلهم عن ايمانهم وحال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ المضى بغير الهمز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا أو سال على هذه القراءة أو فاسئل يا محمد بنى اسرائيل عما جرى بين موسى عليه السلام وفرعون اذ جاءهم أو عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك أو لتتسلى نفسك أو لتعلم انه تعالى لو أتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم أو ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا أو باضمار يخبروك على انه جواب الامر أو باضمار اذكر على الاستئناف ﴿فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا﴾

قال ابن عباس هى العصا واليد البيضاء والعقدة التى كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع اهله فى الفراش وقد صارا حجرين والمرأة قائمة تخبز وقد صارت حجرا وروى ان عمر بن عبد العزيز سأل محمد ابن كعب القرظى عن الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال ياغلام أخرج ذلك الجراب فاخرجه فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع آيات هى آيات الكتاب وهى الاحكام يدل عليه ماروى عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبى فقال الآخر لاتقل نبى فانه لو سمع صارت له أربعة أعين فاتياه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لاتشركوا بالله شيأ ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولاتأكلوا الربا ولاتسحروا ولاتمشوا بالبرئ الى سلطان ليقتله ولاتسرفوا ولا تقذفوا المحصنات ولاتفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا فى السبت فقبلا يده وقالا نشهد انك نبى قال فما يمنعكم ان تتبعونى قالوا ان داود دعا ربه ان لايزال فى ذريته نبى وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود ﴿فاسئل﴾ يامحمد ﴿بنى اسرائيل﴾ يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم ﴿اذ جاءهم﴾ يعنى جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل ﴿فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا﴾ قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا

رضى الله عنهما هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى نتقه على بنى اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور (فاسئل بنى اسرائيل) فقلنا له سل بنى اسرائيل أى سلهم من فرعون وقل له أرسل معى بنى اسرائيل وقوله (اذ جاءهم) متعلق بقوله المحذوف أى فقلنا له سلهم حين جاءهم (فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا) سحرت فخولط عقلك

اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين وطمس الاموال (فاسئل بنى اسرائيل) عبد الله بن سلام وأصحابه (اذ جاءهم) موسى (فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا) مغلوب العقل

(ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أي ذلك العذاب بسبب أنهم كذبوا بالاعادة بعد الافناء فجعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تأكلها ثم يعيدها لايزالون على ذلك ليزيد في تحسرهم على تكذيبهم البعث (أولم يروا) أولم يعلموا (أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم) من الانس (وجعل لهم أجلا لاريب فيه) وهو الموت أو القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) جحودا مع وضوح الدليل (قل لو أنتم تملكون) تقديره لو تملكون أنتم لان لو تدخل على الافعال دون الاسماء فلابد من فعل بعدها فاضمر تملك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب وأما ما يقتضيه علم البيان فهو ان أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ (خزائن رحمة ربي) رزقه وسائر نعمه على خلقه (اذا لامسكتم خشية الانفاق) أي لبخلتم خشية أن يفنيه الانفاق (وكان الانسان قتورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) عن ابن عباس

ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لايزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ﴿ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم ﴿أولم يروا﴾ أولم يعلموا ﴿ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم﴾ فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء ﴿وجعل لهم اجلا لاريب فيه﴾ هو الموت أو القيامة ﴿فأبى الظالمون﴾ مع وضوح الحق ﴿الا كفورا﴾ الا جحودا ﴿قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم

لو ذات سوار لطمتني

وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص ﴿اذن لأمسكتم خشية الانفاق﴾ لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم ﴿وكان الانسان قتورا﴾ بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ هي العصا واليد والجراد

عليه وزيد في سعير النار تحرقهم ﴿ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا﴾ لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بما كفروا يعني ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم باياتنا ﴿وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ أجابهم الله ورد عليهم بقوله ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض﴾ أي في عظمها وشدتها ﴿قادر على ان يخلق مثلهم﴾ أي في صغرهم وضعفهم ﴿وجعل لهم أجلا﴾ أي وقتا لعذابهم ﴿لاريب فيه﴾ أي لاشك فيه انه يأتيهم قيل الموت وقيل يوم القيامة ﴿فأبى الظالمون الا كفورا﴾ أي جحودا وعنادا ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ أي خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله غير متناهية والمعنى لو أنكم ملكتم من النعم خزائن لانهاية لها ﴿اذا لأمسكتم﴾ أي لبخلتم وحبستم ﴿خشية الانفاق﴾ والفقر والنفاد وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشح ﴿وكان الانسان قتورا﴾ أي ممسكا بخيلا فان قلت قد يوجد في جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل قلت الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاج والمحتاج لابد وأن يحب ما يدفع به عنه ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه الا انه قد يجود لاسباب خارجة مثل أن يحب المدحة أو رجاء ثواب فثبت بهذا ان الاصل في الانسان البخل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ أي دلالات واضحات

وقودا (ذلك) العذاب (جزاؤهم) نصيبهم (بانهم كفروا بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وقالوا) كفار مكة (أئذا كنا) صرنا (عظاما) بالية (ورفاتا) ترابا رميما (أئنا لمبعوثون) لمحيون (خلقا جديدا) يجدد فينا الروح هذا مالا يكون أبدا (أولم يروا) أهل مكة (أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق) يحيي (مثلهم وجعل لهم أجلا) وقتا (لاريب فيه) لاشك فيه عند المؤمنين (فأبى الظالمون) المشركون (الا كفورا) لم يقبلوا واستقاموا على الكفر (قل) (قل) يامحمد لاهل مكة (لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) مفاتيح رزق ربي (اذا لامسكتم) عن النفقة (خشية الانفاق) مخافة الفقر (وكان الانسان) الكافر (قتورا) ممسكا بخيلا مقترا (ولقد آتينا) أعطينا (موسى تسع آيات بينات) مبينات

نه كان بعباده) المنذرين (خبيرا) عالما باحوالهم (بصيرا) بافعالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام
وعيد للكفرة (ومن يهد الله فهو المهتد) وبالياء يعقوب و سهل وافقهما أبو عمرو ومدنى فى الوصل أى من وفقه الله
ول ما كان من الهدى فهو المهتدى عند الله (ومن يضلل) أى ومن يخذله
له يوفقونهم للهدى (ونحشرهم) (قا و خا ١٠ بع) نسحبهم (يوم القيمة على وجوههم) الى النار (عميا) لايبصرون شيأ
وبكما) خرسا لايتكلمون بشئ (وصما) لايسمعون شيأ (مأواهم) مصيرهم (جهنم كلما خبت) سكنت النار وسكن لهبها (زدناهم سعيرا)

نصب على الحال أو التميز ﴿ انه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتهديد للكفار ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ﴾ يهدونهم ﴿ ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم ﴾ يسحبون عليها أو يمشون بها روى انه قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم ﴿ عميا وبكما وصما ﴾ لايبصرون مايقر أعينهم ولايسمعون مايلذ مسامعهم ولاينطقون بما يقبل منهم لانهم فى دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا أن ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفى القوى والحواس ﴿ مأواهم جهنم كلما خبت ﴾ سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ﴿ زدناهم سعيرا ﴾ توقدا بان نبدل جلودهم

﴿ انه كان بعباده ﴾ يعنى المنذرين والمنذرين ﴿ خبيرا بصيرا ﴾ أى عالما باحوالهم فهو مجازيهم وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم و وعيد للكفار ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ﴾ أى يهدونهم وفيه أيضا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك ﴿ ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم ﴾ (ق) عن أنس ان رجلا قال يارسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى امشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا * وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك أخرجه الترمذى * الحدب كل ما ارتفع من الارض ﴿ عميا وبكما وصما ﴾ أى لايبصرون ولاينطقون ولايسمعون * فان قلت كيف وصفهم بانهم عمى وبكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاثبت لهم الرؤية والكلام والسمع * قلت فيه أوجه أحدها قال ابن عباس معناه عميا لايبصرون مايسرهم بكما لاينطقون بحجة صما لايسمعون مايسرهم الوجه الثانى قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فيصيرون باجمعهم عميا وبكما وصما لايرون ولاينطقون ولايسمعون ﴿ مأواهم جهنم كلما خبت ﴾ أى سكن لهيبها وقيل ضعفت وهدأت من غير أن يوجد نقصان فى ايلام الكفار لان الله سبحانه وتعالى قال لايفتر عنهم وقيل معناه ارادت ان تخبو ﴿ زدناهم سعيرا ﴾ أى وقودا وقيل معناه خبت أى نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا الى ما كانوا

ولم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان (فلن تجدلهم أولياء من دونه) أى انصارا (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) أى يسحبون عليها كقوله يوم يسحبون فى النار على وجوههم وقيل لرسول الله عليه السلام كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) كما كانوا فى الدنيا لايستبصرون ولاينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم فى الآخرة كذلك لا يبصرون مايقر أعينهم ولايسمعون مايلذ مسامعهم ولاينطقون بما يقبل منهم (مأواهم جهنم كلما خبت) طفئ لهبها (زدناهم سعيرا) توقدا

(انه كان بعباده) بارسال الرسول الى عباده (خبيرا بصيرا) بمن يؤمن وبمن لايؤمن (ومن يهد الله) لدينه (فهو المهتد) لدينه (ومن يضلل) عن دينه (فلن تجد لهم) لاهل مكة (أولياء من دونه) من دون

(هل كنت الا بشرا رسولا) أى انا رسول كسائر الرسل بشر مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات الى انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها على (وما منع الناس) يعنى أهل مكة ومحل (أن يؤمنوا) نصب بانه مفعول ثان لمنع (اذ جاءهم الهدى) النبى والقرآن (الا أن قالوا) فاعل منع والتقدير وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا قولهم

أى الا شبهة تمكنت فى

﴿ هل كنت الا بشرا ﴾ كسائر الناس ﴿ رسولا ﴾ كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى تتخيرونها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر فى آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا ﴿ وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ﴾ أى وما منعهم الايمان بعد نزول الوحى وظهور الحق ﴿ الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا ﴾ الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا ﴿ قل ﴾ جوابا لشبهتهم ﴿ لو كان فى الارض ملائكة يمشون ﴾ كما يمشى بنو آدم ﴿ مطمئنين ﴾ ساكنين فيها ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ لتمكنهم من الاجتماع به والتلقى منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق ﴿ قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ﴾ على انى رسول الله اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواى أو على انى بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا

بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب ﴿ هل كنت الا بشرا رسولا ﴾ أى كسائر الرسل لا ممهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات اليهم انما هو الى الله تعالى ولو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما اقترحه البشر وما أنا الا بشر وليس ما سألتم فى طوق البشر واعلم ان الله سبحانه وتعالى قد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يغنى عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وما أشبهها من الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هى أعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله تعالى عليهم سؤالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ﴾ أى الوحى والمعنى وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا الشبهة تلجلجت فى صدورهم وهى انكارهم ان يرسل الله البشر وهو قوله تعالى ﴿ الا أن قالوا ﴾ أى جهلا منهم ﴿ أبعث الله بشرا رسولا ﴾ وذلك ان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا ملكا فاجابهم الله بقوله ﴿ قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين ﴾ أى مستوطنين مقيمين فيها ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ أى من جنسهم لان الجنس الى الجنس أميل ﴿ قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ﴾ أى على انى رسوله اليكم وانى قد بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم

صدورهم وهى انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة فى أبعث الله للانكار وما أنكروه فى قضية حكمته منكر ثم رد الله عليهم بقوله (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون) على اقدامهم كما يمشى الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب عليهم (مطمئنين) حال أى ساكنين فى الارض قارين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فانما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم وبشرا وملكا حالان من رسولا (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) على انى بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم شهيدا تمييز أو حال

(هل كنت الا بشرا رسولا) يقول ما أنا الا بشر رسول كسائر الرسل (وما منع الناس) أهل مكة (أن يؤمنوا) بالله (اذ جاءهم الهدى) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (الا أن قالوا) الا قولهم (أبعث الله بشرا رسولا) الينا (قل) يا محمد (انه) لاهل مكة (لو كان فى الارض ملائكة يمشون) فى الارض يمضون (مطمئنين) مقيمين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) انما نرسل الى الملائكة الرسل الا الملائكة والى البشر الا البشر (قل) يا محمد لاهل مكة (كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) بانى رسوله اليكم

أوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر) والتشديد هنا مجمع عليه (الانهار خلالها) وسطها(تفجيرا أوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) بفتح السين مدنى وعاصم أى قطعا يقال اعطنى كسفة من هذا الثواب وبسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدرة وسدر يعنون قوله ان نشأ نخسف بهم الارض أونسقط عليهم كسفا من السماء(أوتأتى بالله والملائكة قبيلا) كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أوتأتى بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدى بريا أومقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أونرى ربنا أوجماعة حالا من الملائكة (أويكون لك بيت من زخرف) ذهب (أوترقى فى السماء) تصعد اليها (ولن نؤمن لرقيك) لاجل رقيك (حتى تنزل علينا) وبالتخفيف ابو عمرو (كتابا) أى من السماء فيه تصديقك (نقرؤه) صفة كتاب (قل) قال مكى وشامى اى قال الرسول (سبحان ربى) تعجب من اقتراحاتهم عليه

﴿ أوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ﴾ أويكون لك بستان يشتمل على ذلك ﴿ أوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ﴾ يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب فى جميع القرآن الا فى الروم وابن عامر الا فى هذه السورة وابو بكر ونافع فى غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر أوفعل بمعنى مفعول كالطحن ﴿ أوتأتى بالله والملائكة قبيلا ﴾ كفيلا بما تدعيه أى شاهدا على صحته ضامنا لدركه أومقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر فى قوله

ومن يك امسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب

اوجماعة فيكون حالا من الملائكة ﴿ اويكون لك بيت من زخرف ﴾ من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة ﴿ أوترقى فى السماء ﴾ فى معارجها ﴿ ولن نؤمن لرقيك ﴾ وحده ﴿ حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ﴾ وكان فيه تصديقك ﴿ قل سبحان ربى ﴾ تعجبا من اقتراحاتهم أوتنزيها لله من ان يأتى أويتحكم عليه أويشاركه احد فى القدرة * وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربى اى قال الرسول

بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فقال ذلك الى الله ان شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبى أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما أومن لك أبدا حتى تتخذ الى السماء مرقى ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها فتأتى بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا لما رأى من مباعدتهم فانزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض يعنى ارض مكة ينبوعا أى عيونا ﴿ أوتكون لك جنة من نخيل وعنب ﴾ أى بستان فيه نخيل وعنب ﴿ فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ﴾ أى تشقيقا ﴿ أوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ﴾ أى قطعا ﴿ أوتأتى بالله والملائكة قبيلا ﴾ قال ابن عباس كفيلا أى يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة أى باصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه نراهم مقابلة عيانا ﴿ أويكون لك بيت من زخرف ﴾ أى من ذهب وأصله الزينة ﴿ أوترقى ﴾ أى تصعد ﴿ فى السماء ولن نؤمن لرقيك ﴾ أى لاجل رقيك ﴿ حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ﴾ أمرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن أبى أمية ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد ﴿ سبحان ربى ﴾ أمره

(أوتكون لك جنة) بستان (من نخيل وعنب) كرم (فتفجر) فتشقق (الانهار خلالها) وسطها (تفجيرا) تشقيقا (أوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) قطعا بالعذاب (أوتأتى بالله والملائكة قبيلا) شهيدا على ما تقول (أويكون لك بيت من زخرف) من ذهب وضة (أوترقى فى السماء)أوتصعد الى السماء فتأتينا بالملائكة يشهدون انك رسول من الله الينا (ولن نؤمن لرقيك) لصعودك الى السماء(حتى تنزل علينا كتابا)من الله الينا(نقرؤه) فيه انك رسول الله الينا(قل) لهم يا محمد(سبحان ربى)أنزه ربى عن الولد والشريك

ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ﴾ تعنتا واقتراحا بعدما الزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه • وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر

﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وقالوا لن نؤمن لك ﴾ أي لن نصدقك ﴿ حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ﴾ لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه معجزات أخر وبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحرث وأبا البختري ابن هشام والاسود بن عبد المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه بدا لهم في أمره بداء وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ومابقي من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي بك رئيا تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد ان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد أضيق بلادا ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها الانهار كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه أصبر لامر الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث ملكا يصدقك واسأله أن يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها على ماتريد فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال ما بعث

المحجوج المتحير (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا) وبالتخفيف كوفي (من الارض) أي مكة (ينبوعا) عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء

على الكفر (وقالوا) يعني عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه (لن نؤمن لك) لن نصدقك (حتى تفجر لنا) تشقق لنا (من الارض) أرض مكة (ينبوعا) عيونا وأنهارا

ان فضله كان عليك كبيرا) أى الا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع أى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه ونزل جوابا لقول النضر لو نشاء لقلنا مثل هذا (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله * يقول لا غائب مالى ولا حرم * لان الشرط وقع ماضيا أى لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى بلاغته وحسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الاتيان بمثله (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (للناس فى هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه (فابى أكثر الناس الا كفورا) جحودا وانما جاز فأبى أكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا لان أبى متأول بالنفى كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت

(ان فضله) بالنبوة والاسلام (كان عليك كبيرا) عظيما

(قل) يا محمد لاهل مكة (لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) بمثل هذا القرآن فيه الامر والنهى والوعد والوعيد والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وخبر ما كان وما يكون (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا (ولقد صرفنا للناس) بينا لاهل مكة (فى هذا القرآن من كل مثل) من كل وجه من الوعد والوعيد (فأبى أكثر الناس الا كفورا) لم يقبلوا وثبتوا

يعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا ببقائه ﴿ ان فضله كان عليك كبيرا ﴾ كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ﴾ فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى ﴿ لا يأتون بمثله ﴾ وفيهم العرب العرباء وارباب البيان وأهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هى لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وان اتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

﴿ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط فى اتيانه ويجوز ان يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ﴿ ولقد صرفنا ﴾ كررنا بوجوه مختلفة زيادة فى التقرير والبيان ﴿ للناس فى هذا القرآن من كل مثل ﴾ من كل معنى هو كالمثل فى غرابته ووقوعه موقعها فى الانفس ﴿ فابى اكثر الناس الا كفورا ﴾ الا جحودا وانما جاز ذلك

غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا * فان قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل * قلت المراد منه محو ما فى المصاحف واذهاب ما فى الصدور قال عبدالله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما فى صدرهم فيصبحون لا يحفظون شيأ ولا يجدون مما فى المصاحف شيأ ثم يفيضون فى الشعر وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الرب مالك فيقول يارب أتلى ولا يعمل بى ﴿ ان فضله كان عليك كبيرا ﴾ أى بسبب بقاء العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد آدم وختم النبيين بك واعطائك المقام المحمود * قوله سبحانه وتعالى ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ﴾ أى لا يقدرون على ذلك ﴿ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ أى عونا نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقرآن معجز فى النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام فى أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله * قوله عز وجل ﴿ ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ﴾ أى رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها ﴿ فابى أكثر الناس الا كفورا ﴾ أى جحودا

... لعلم الأقليل ... قالوا نحن مختصو
بهذا ... معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم الا قليلا وق

... اصلا لهم ...

وسبق قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل فى جنب علم الله فالقلة والكثرة من الامور الاضافية فالحكمة التى أوتيها العبد خير كثير فى نفسها الا انها اذا أضيفت الى علم الله تعالى فهى قليلة ثم نبه على نعمة الوحى وعزاه بالصبر على أذى الجدال فى السؤال بقوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أى ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا (الا رحمة من ربك

(وما أوتيتم) أعطيتم (من العلم) فيما عند الله (الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) بحفظ الذى أوحينا اليك جبريل به (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) كفيلا ويقال مانعا (الا رحمة) نعمة (من ربك) حفظ القرآن فى قلبك { غير }

خلق أعظم من الملك وقيل القرآن ومن أمر ربى معناه من وحيه ﴿وما أوتيتم من العلم الا قليلا﴾ تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركها الحس ولا شيأ من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى فى جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا أنحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التى لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك﴾ اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾ من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا ﴿الا رحمة من ربك﴾ فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا

جسم لطيف يحيا به الانسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء ألا ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج منه ذهب الكل وأقاويل الحكماء والصوفية فى ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها وأولى الاقاويل أن يوكل علمه الى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله قل الروح من أمر ربى أى من علم ربى الذى استأثر به ﴿وما أوتيتم من العلم﴾ أى من علم ربى ﴿الا قليلا﴾ أى فى جنب علم الله عز وجل الخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود فانهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فقيل لهم أن علم التوراة قليل فى جنب علم الله وقيل ان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فوصف الشئ بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار به كان علما لنبوته والقول الاصح هو ان الله عز وجل استأثر بعلم الروح * قوله عز وجل ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك﴾ ومعناه انا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت ما تدرى ما الكتاب ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾ معناه لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته محفوظا مسطورا ﴿الا رحمة من ربك﴾ معناه الا أن يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته

أووجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها أو سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التوراة وقيل الروح جبريل عليه السلام وقيل

فسكت وفى رواية فقالوا حدثنا عن الروح فقام ساعة ينتظر الوحى وعرفت انه يوحى اليه فتأخرت حتى صعد الوحى قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وفى رواية وما أوتوا من العلم الا قليلا قال الاعمش هكذا فى قراءتنا العسيب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أولم يجب عن شئ منها فليس بنبي وان أجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فاسألوه عن فتية فقدوا فى الزمن الاول ما كان شانهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض ومغربها ما خبره وعن الروح قال فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى قال مجاهد اثنى عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون قد وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشئ حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحى وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ونزل فى الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويسئلونك عن ذى القرنين ونزل فى الروح ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى واختلفوا فى الذى وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس انه جبريل وعن على أنه ملك له سبعون الف وجه فى كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورؤس ليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبتلع السموات والارض ومن فيها بلقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه الآدميين يقوم يوم القيامة على يمين العرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين وأقرب الخلق الى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله سماه روحا ولان به حياة القلوب وقيل هو الروح المركب فى الخلق الذى به يحيا الانسان وهو أصح الاقوال وتكلم قوم فى ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم ألا ترى ان الانسان اذا مات لا يفوت منه شئ الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو

عن ادراك ماهيته بعد انفاق الاعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة فى ذلك تعجيز العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على انه عن ادراك خالقه أعجز ولذا رد ماقيل فى حده انه جسم دقيق هوائى فى كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل عليه السلام نزل به الروح الامين على قلبك وعن الحسن القرآن دليله وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ولان به حياة القلوب ومن أمر ربى أى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشرى وروى أن اليهود بعثت الى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبي وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التورية فندموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعنى أهو مخلوق أم لا وقوله من أمر ربى دليل خلق الروح فكان هذا جوابا

فلاشفاه الله (ولا يزيد الظالمين) الكافرين (الاخسارا) ضلالا لتكذيبهم به وكفرهم (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله أو أنعمنا بالقرآن أعرض (ونأى بجانبه) تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ أن يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين نائى بالامالة حمزة وبكسرهما على (واذا مسه الشر) الفقر والمرض أو نازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلال (فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا) أسد مذهبا وطريقة (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) أى من أمر يعلمه ربى الجمهور على انه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبرانه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه وعن أبى هريرة لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقد عجزت الاوائل

كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه مايشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ﴿ ولا يزيد الظالمين الاخسارا ﴾ لتكذيبهم وكفرهم به ﴿ واذا أنعمنا على الانسان ﴾ بالصحة والسعة ﴿ أعرض ﴾ عن ذكر الله ﴿ ونأى بجانبه ﴾ لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفى فصلت وناء على القلب أو على انه بمعنى نهض ﴿ واذا مسه الشر ﴾ من مرض أو فقر ﴿ كان يؤسا ﴾ شديد اليأس من روح الله ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ قل كل احد يعمل على طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة أو جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه ﴿ فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا ﴾ اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ﴿ ويسئلونك عن الروح ﴾ الذى يحيى به بدن الانسان ويدبره ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده

جدير بان يكون رحمة للمؤمنين ﴿ ولا يزيد الظالمين الاخسارا ﴾ لان الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارا للظالمين وقيل لان كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يجالس القرآن أحد الاقام عنه بزيادة أو نقصان قضاه الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الاخسارا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذا أنعمنا على الانسان ﴾ أى بالصحة والسعة ﴿ أعرض ﴾ أى عن ذكرنا ودعائنا ﴿ ونأى بجانبه ﴾ أى تباعد عنا بنفسه وترك التقرب الينا بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم ﴿ واذا مسه الشر ﴾ أى الشدة والضر ﴿ كان يؤسا ﴾ أى آيسا قنوطا وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يئس فلا ينبغى للمؤمن أن يدع الدعاء ولو تأخرت الاجابة * قوله عز وجل ﴿ قل كل ﴾ أى كل أحد ﴿ يعمل على شاكلته ﴾ قال ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة أى على طريقته التى جبل عليها وفيه وجه آخر وهو ان كل انسان يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وأخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه افعال خبيثة فاسدة رديئة ﴿ فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ﴾ أى اوضح طريقا واحسن مذهبا واتباعا للحق * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾ (ق) عن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه يسمعكم ما تكرهون فقاموا اليه وفى رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح

والقرآن (ولا يزيد الظالمين) المشركين بما نزل من القرآن (الاخسارا) غبنا (واذا أنعمنا على الانسان) يعنى الكافر من كثرة ماله ومعيشته (أعرض) عن الدعاء والشكر (ونأى بجانبه) تباعد عن الايمان (واذا مسه الشر) أصابته الشدة والفقر (كان يؤسا) آيسا من رحمة الله نزلت فى عتبة بن ربيعة (قل) يا محمد (كل) كل واحد منكم (يعمل على شاكلته) على نيته وأمره الذى هو عليه ويقال على ناحيته وجبلته (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أصوب دينا (ويسئلونك) يا محمد (عن الروح) سأل أهل مكة أبو جهل وأصحابه (قل الروح من أمر ربى) من عجائب ربى ويقال من علم ربى

واخرجنى فاخرج خروجا ﴿ واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض ﴿ وقل جاء الحق ﴾ الاسلام ﴿ وزهق الباطل ﴾ وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ﴿ ان الباطل كان زهوقا ﴾ مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرته فى عين واحد واحد منها ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا على ارم به فصعد فرمى به فكسره ﴿ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ ماهو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى للمرضى ومن للبيان فان كله

واخرجنى بالصدق ولا تجعلنى ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه فان ذا الوجهين لا يكون آمنا عند الله ﴿ واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ أى حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرنى به على من عادانى وعزا ظاهرا أقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له وأجاب دعاءه فقال له والله يعصمك من الناس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض الآية ✻ قوله تعالى ﴿ وقل جاء الحق ﴾ يعنى الاسلام والقرآن ﴿ وزهق الباطل ﴾ أى الشرك والشيطان ﴿ ان الباطل كان زهوقا ﴾ أى مضمحلا غير ثابت وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصولة فى وقت من الاوقات فهو سريع الذهاب والزوال (ق) عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ✻ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وننزل من القرآن ماهو شفاء ﴾ من فى قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذى هو قرآن ماهو شفاء أى بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف فيه ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء الامراض الباطنة والظاهرة وذلك لانها تنقسم الى نوعين أحدهما الاعتقادات الباطلة والثانى الاخلاق المذمومة أما الاعتقادات الباطلة فاشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة فى الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق فى هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة لا جرم كان القرآن شفاء لما فى القلوب من هذا النوع وأما النوع الثانى وهو الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت أن القرآن شفاء من جميع الامراض الباطنة وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فاتحة الكتاب وما يدريك انها رقية ﴿ ورحمة للمؤمنين ﴾ لما كان القرآن شفاء الامراض الباطنة والظاهرة فهو

(واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق) وذهب وهلك (الباطل) الشرك أو جاء القرآن وهلك الشيطان (ان الباطل كان زهوقا) كان مضمحلا فى كل أوان (وننزل) وبالتخفيف أبو عمرو (من القرآن) من للتبيين (ماهو شفاء) من أمراض القلوب (ورحمة) وتفريج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب (للمؤمنين) وفى الحديث من لم يستشف بالقرآن

(واجعل لى من لدنك) من عندك (سلطانا نصيرا) مانعا بالاذل ولارد قول (وقل جاء الحق) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن ويقال ظهر الاسلام وكثر المسلمون (وزهق الباطل) هلك الشيطان والشرك وأهله (ان الباطل) الشيطان والشرك وأهله (كان زهوقا) هالكا (وننزل من القرآن) نبين فى القرآن (ماهو شفاء) بيان من العمى ويقال بيان من الكفر والشرك والنفاق (ورحمة) من العذاب (للمؤمنين) محمد صلى الله عليه وسلم

﴿ وقل رب ادخلنى ﴾ أى فى القبر ﴿ مدخل صدق ﴾ ادخالا مرضيا ﴿ واخرجنى ﴾ أى منه عند البعث ﴿ مخرج صدق ﴾ اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله فى كل ما يلابسه من مكان اوامر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلنى فادخل دخولا

قال أنا أول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك مقام غيرى * عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينماهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيشفع ليقضى بين الخلائق فيمشى حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده فيه أهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب قال كنت قد شغفنى رأى من رأى الخوارج فخرجنا فى عصابة ذوى عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ماهذا الذى تحدثوننا والله يقول انك من تدخل النار فقد أخزيته وكلما ارادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فما هذا الذى تقولون قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرأ ماقبله انه فى الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذى يبعثه الله فيه قلت نعم قال فان مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذى يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك قال غير انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعنى فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون منه كأنهم القراطيس فرجعنا فقلنا ويحكم أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ماخرج غير رجل واحد أو كما قال والاحاديث فى الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة * وروى أبو وائل عن ابن مسعود أنه قال ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق عليه ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسى * قوله عز وجل ﴿ وقل رب أدخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق ﴾ المراد منهما الادخال والاخراج قال ابن عباس معناه أدخلنى مدخل صدق المدينة وأخرجنى مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقيل معناه أخرجنى من مكة آمنا من المشركين وأدخلنى مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل أدخلنى فى أمرك الذى أرسلتنى به من النبوة مدخل صدق وأخرجنى من الدنيا وقد قمت بما وجب على من حق النبوة مخرج صدق وقيل معناه أدخلنى فى طاعتك مدخل صدق وأخرجنى من المناهى مخرج صدق وقيل معناه أدخلنى حيثما أدخلتنى بالصدق

(وقل رب أدخلنى مدخل صدق) هو مصدر أى أدخلنى القبر ادخالا مرضيا على طهارة من الزلات (وأخرجنى مخرج صدق) أى أخرجنى منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من الملامة دليله ذكره على اثر ذلك البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة أو هو عام فى كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان

(وقل رب) يارب (أدخلنى مدخل صدق) يقول أدخلنى فى المدينة ادخال صدق وكان خارجا من المدينة (وأخرجنى) من المدينة (مخرج صدق) اخراج صدق بعد ما كنت فيها فادخلنى مكة ويقال ادخلنى فى القبر مدخل صدق ادخال صدق وأخرجنى من القبر يوم القيامة مخرج صدق اخراج صدق

الخير مايزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من ايمان مكان خير
وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن أنس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فاقول
يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من ايمان
فاخرجه من النار فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه
فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو
يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم أعود في الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم
أخرله ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول
يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذاك لك أو قال ليس ذاك اليك ولكن وعزتي
وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن منها من قال لا اله الا الله *قوله وهو يومئذ جميع أي
مجتمع الذهن والرأي * عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد
آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر ومامن نبي يومئذ آدم فمن سواه
الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات
فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا اشفع لنا الى ربك فيقول اني أذنبت ذنبا عظيما فاهبطت به
الى الارض ولكن ائتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول اني دعوت على أهل الارض دعوة فاهلكوا
ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مامنها كذبة الا ماحل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول
قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول اني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا
فيأتوني فانطلق معهم قال ابن جدعان قال أنس فكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويقولون مرحبا فاخر
ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل
يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله سبحانه وتعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا قال سفيان ليس عن أنس غير هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها
فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون بي فيقولون مرحبا فاخر ساجدا
فيلهمني الله من الثناء والحمد أخرجه الترمذي *قوله ماحل المماحلة المخاصمة والمجادلة
والمعنى انه عليه الصلاة والسلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التي صدرت
منه *وقوله فاقعقعها أي احركها حركة شديدة والقعقعة حكاية أصوات الترس وغيره
مماله صوت * عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا
اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا
أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر أخرجه الترمذي * زاد في رواية غير الترمذي وأنا
مستشفعهم اذا حبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف على خدم كأنهن بيض
مكنون أو لؤلؤ منثور (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد
ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع زاد الترمذي

كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذى اشفع فيه لامتى ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وماذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اى فيقيمك مقاما أو بتضمين يبعثك معناه أو الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام

لايشرك بالله شيأ ا (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على فمن صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لاتنبغى الالعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقام محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة (ق) عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك ، وفى رواية فيلهمون لذلك فيقولون لواستشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجدلك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله الى أهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليلا فيأتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذى كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفرله ماتقدم من ذنبه وماتأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونى فاستأذن على ربى تعالى فيؤذن لى فاذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم اشفع فيحدلى حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فاقع ساجدا فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقال لى ارفع يامحمد رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم اشفع فيحدلى حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة قال فاقول يارب مابقى فى النار الا من حبسه القرآن أى من وجب عليه الخلود ، وفى رواية للبخارى ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذى وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم ، زاد فى رواية فقال النبى صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لااله الاالله وكان فى قلبه من الخير مايزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لااله الاالله وكان فى قلبه من الخير مايزن برة ثم يخرج من النار من قال لااله الاالله وكان فى قلبه من

على الصلوات المفروضة أوفضيلة لك لاختصاص وجوبه بك ﴿ عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق فى كل مقام يتضمن

ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ أبى داود (ق) عن أبى سلمة بن عبد الرحمن انه سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان قالت ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على أكثر من احدى عشرة ركعة يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا قالت عائشة فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة ان عينى تنامان ولا ينام قلبى (ق) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر احدى عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدتين قدر ما يسجد ويقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم أضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة (خ) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين * عن عوف بن مالك الاشجعى قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لايمر بآية رحمة الاوقف وسئل ولا يمر بآية عذاب الاوقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول فى ركوعه سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال فى سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة النساء أخرجه أبو داود والنسائى * عن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة أخرجه الترمذى (ق) عن الاسود قال سألت عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلى ثم يرجع الى فراشه فاذا أذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضأ وخرج * عن أنس قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الليل مصليا الا رأيناه ولا نشاء أن نراه نائما الا رأيناه أخرجه النسائى * زاد فى رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيأ ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيأ * وقوله عز وجل ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ أجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن أطمع انسانا فى شئ ثم أحرمه كان ذلك عارا عليه والله أكرم من أن يطمع أحدا ثم لا يعطيه ما أطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والآخرون (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى دعوة مستجابة وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى فهى نائلة منكم ان شاء الله من مات

(عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) نصب على الظرف أى عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أوضمن يبعثك معنى يقيمك وهو مقام الشفاعة عند الجمهور ويدل عليه الاخبار أو هو مقام يعطى فيه لواء الحمد

لك (عسى) وعسى من الله واجب (أن يبعثك ربك مقاما محمودا) أن يقيمك ربك مقاما محمودا مقام الشفاعة محمودا يحمدك الاولون والآخرون

الليل وملائكة النهار اوشواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذى هو اخ الموت بالانتباه أوكثير من المصلين أو من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلاة الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن ﴿نافلة لك﴾ فريضة زائدة لك

ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزأ وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام فخر الدين الرازى في تفسيره هذا دليل قاطع قوى على ان التغليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما اذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت الاسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فثبت ان قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة في أول وقتها أفضل ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ أى قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامة في الابتداء لقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة بالصلوات الخمس وبقي قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه وبقي الوجوب ثابتا في حق النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى ﴿نافلة لك﴾ أى زيادة لك يريد فريضة زائدة على سائر الفرائض التي فرضها الله عليك ❊ روى عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن على فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله سبحانه وتعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك ❊ فان قلت ما معنى التخصيص اذا كان زيادة في حق المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم ❊ قلت فائدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت له نافلة وزيادة في رفع الدرجات

﴿ فصل ﴾

في الاحاديث الواردة في قيام الليل (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا (م) عن زيد بن خالد الجهنى قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى

دون النهار أو يشهده الكثير من المصلين في العادة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد) والتهجد ترك الهجود وهو النوم للصلاة (به) بالقرآن (نافلة لك) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيادة لك على الصلوات المفروضة غنيمة لك أو فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم

وملائكة النهار (ومن الليل فتهجد به) بقراءة القرآن والتهجد بعد النوم (نافلة) فضيلة (لك) ويقال خاصة

ير أبى بكر وشامى بمعناه (الا قليلا) زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل أو معناه ولو خرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم بل هاجر بامر ربه وقيل من أرض العرب أو ومن أرض المدينة (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعنى ان كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أى سن الله ذلك سنة (ولا تجد لسنتنا تحويلا) تبديلا (أقم الصلوة لدلوك الشمس) لزوالها وعلى هذا الآية جامعة للصلوات الخمس أو لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر (الى غسق الليل) هو الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو حجة على الاصم حيث زعم ان القراءة ليست بركن أو سميت قرآنا لطول قراءتها وهو عطف على الصلاة (ان قرآن الفجر كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو فى آخر ديوان الليل وأول

لا يبقون بعد خروجك ﴿ الا قليلا ﴾ الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلى بنو النضير بقليل * وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

﴿ سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ﴾ نصب على المصدر أى سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل عليهم السلام لانها لاجلهم ويدل عليه ﴿ ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾ أى تغييرا ﴿ اقم الصلوة لدلوك الشمس ﴾ أى لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام اتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا كل ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها فى لثلاث خلون ﴿ الى غسق الليل ﴾ الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخيرة ﴿ وقرآن الفجر ﴾ وصلاة الصبح سميت قرآنا لانه ركنه كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفى غيرها قياسا ﴿ ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ تشهده ملائكة

الا قليلا ﴾ أى لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ﴾ يعنى ان كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم مادام نبيهم بينهم فاذا خرج من بين أظهرهم عذبهم ﴿ ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾ أى تبديلا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ أقم الصلوة لدلوك الشمس ﴾ روى عن ابن مسعود انه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعى ومقاتل والضحاك والسدى وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان أصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر ﴿ الى غسق الليل ﴾ أى ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء ﴿ وقرآن الفجر ﴾ يعنى صلاة الفجر سمى الصلاة قرآنا لانها لا تجوز الا بقرآن ﴿ ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ أى يشهده

الا قليلا) يسيرا حتى نهلكهم (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أهلكنا قومهم اذا خرج الرسل من بين أظهرهم (ولا تجد لسنتنا) لعذابنا (تحويلا) تغييرا (أقم الصلوة) ثم الصلاة يا محمد (لدلوك الشمس) بعد زوال الشمس صلاة الظهر والعصر (الى غسق الليل) وبعد دخول الليل صلاة المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) صلاة الغداة (ان قرآن الفجر) صلاة الغداة (كان مشهودا) تشهدها ملائكة الليل

وفضل تثبيت (اذا) لو قاربت تركن اليهم أدنى ركنة (لأذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات) لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة الآية وأصل الكلام لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب فى الممات وهو عذاب القبر وعذاب فى حياة الآخرة وهو عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله فآتهم عذابا ضعفا من النار أى مضاعفا فكان أصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفى ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين دليل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ولما نزلت كان عليه السلام يقول اللهم لاتكلنى الى نفسى طرفة عين (ثم لاتجد لك علينا نصيرا) معينا لك يمنع عذابنا عنك (وان كادوا) أى أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الارض) من أرض مكة (ليخرجوك منها واذا لايلبثون) لايبقون (خلفك) بعدك أى بعد اخراجك خلافك كوفى (الاقليلا)

عن ان تركن اليهم وهو صريح فى انه عليه الصلاة والسلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعى اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه ﴿اذا لأذقناك﴾ اى لو قاربت لاذقناك ﴿ضعف الحياة وضعف الممات﴾ أى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا فى الحيوة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ﴿ثم لاتجد لك علينا نصيرا﴾ يدفع العذاب عنك ﴿وان كادوا﴾ وان كاد اهل مكة ﴿ليستفزونك﴾ ليزعجونك بمعاداتهم ﴿من الارض﴾ ارض مكة ﴿ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلفك﴾ ولو خرجت

وسلم معصوما فكيف يجوز ان يقرب مما طلبوه قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لاتكلنى الى نفسى طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله سبحانه وتعالى قال ولولا ان ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن اليهم ﴿اذا لأذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات﴾ أى لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعنى ضاعفنا لك العذاب فى الدنيا والآخرة ﴿ثم لاتجد لك علينا نصيرا﴾ أى ناصرا يمنعك من عذابنا ﴿قوله سبحانه تعالى ﴿وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها﴾ قيل هذه الآية مدنية وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فأتوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بارض الانبياء وان أرض الانبياء الشام وهى الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فأت الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافة الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبى صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفى رواية الى ذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه فيخرج فانزل الله هذه الآية فالارض هنا أرض المدينة وقيل الارض أرض مكة والآية مكية والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لان ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما أملوه والاستفزاز الازعاج ﴿واذا لايلبثون خلفك﴾

طلبوك (اذا) لو أعطيت ما طلبوك (لأذقناك ضعف الحيوة) عذاب الدنيا (وضعف الممات) عذاب الآخرة (ثم لاتجد لك علينا نصيرا) مانعا (وان كادوا) وقد كادوا يعنى اليهود (ليستفزونك) ليستزلونك (من الارض) أرض المدينة (ليخرجوك منها) الى الشأم (واذا) لو أخرجوك من المدينة (لايلبثون خلافك

تعار لمن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى الى طريق النجاة أما فى الدنيا فلفقد النظر وأما فى الآخرة فلانه لا ينفعه
الاهتداء اليه وقد جوزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل بدليل عطف وأضل ومن ثمه قرأ أبو عمرو الاول ممالا والثانى مفخما لان أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه

فى حكم الواقعة فى وسط الكلمة فلا تقبل الامالة وأما الاول فلم يتعلق به شئ فكانت ألفه واقعة فى الطرف فقبلت الامالة وامالهما حمزة وعلى وفخمهما الباقون ولما قالت قريش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك نزل (وان كادوا ليفتنونك) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا أن يفتنوك أى يخدعوك فاتنين (عن الذى أوحينا اليك) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفترى علينا غيره) لتتقول علينا مالم نقل يعنى ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا (واذا لاتخذوك خليلا) أى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتى (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا وعصمتنا (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت أن تميل الى مكرهم (شيأ قليلا) ركونا قليلا وهذا تهييج من الله له

بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة كما فى اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصيرياء فى التثنية وقد امالهما حمزة والكسائى وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما ﴿وان كادوا ليفتنونك﴾ نزلت فى ثقيف قالوا لاندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى وقيل فى قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال ﴿عن الذى اوحينا اليك﴾ من الاحكام ﴿لتفترى علينا غيره﴾ غير ما اوحينا اليك ﴿واذا لاتخذوك خليلا﴾ ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتنانك وليالهم بريئا من ولايتى ﴿ولولا ان ثبتناك﴾ ولولا تثبيتنا اياك ﴿لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا﴾ لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا

طريقا وقيل معناه ومن كان فى الدنيا كافرا ضالا فهو فى الآخرة أعمى لانه فى الدنيا تقبل توبته وفى الآخرة لا تقبل توبته * قوله سبحانه وتعالى ﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك﴾ قيل فى سبب نزولها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدث نفسه ما على أن أفعل ذلك والله يعلم انى لها كاره بعد ان يدعونى أستلم الحجر وقيل طلبوا منه ان يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لا نجبى فى الصلاة أى لا ننحنى ولا نكسر أصنامنا بايدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا خير فى دين لا ركوع فيه ولا سجود واما أن لا تكسروا اصنامكم بايديكم فذاك لكم واما الطاغية يعنى اللات والعزى فانى غير ممتعكم بها قالوا يا رسول الله انا نحب ان تسمع العرب انك اعطيتنا مالم تعط غيرنا فان خشيت ان تقول العرب أعطيتهم مالم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فطمع القوم فى سكوته ان يعطيهم ذلك فانزل الله تعالى وان كادوا اى هموا ليفتنونك أى ليصرفونك عن الذى أوحينا اليك ﴿لتفترى﴾ أى لتختلق وتبتدع ﴿علينا غيره﴾ أى مالم نقله ﴿واذا﴾ أى لو فعلت ما دعوك اليه ﴿لاتخذوك خليلا﴾ أى والوك ووافوك وصافوك ﴿ولولا ان ثبتناك﴾ أى على الحق بعصمتنا اياك ﴿لقد كدت تركن﴾ أى تميل ﴿اليهم شيأ قليلا﴾ أى قربت من الفعل * فان قلت كان النبى صلى الله عليه

(وان كادوا) وقد كادوا (ليفتنونك) ليصرفونك ويستزلونك (عن الذى أوحينا اليك) من كسر آلهتهم (لتفترى) لتتقول (علينا غيره) (قاوخا ٨ بع) غير الذى أمرتك من كسر آلهتهم (واذا لاتخذوك خليلا) صفيا باتباعك اياهم نزلت هذه الآية فى ثقيف (ولولا أن ثبتناك) عصمناك وحفظناك (لقد كدت) هممت (تركن) تميل (اليهم شيأ قليلا) فيما

(يوم ندعوا) منصوب باذكر (كل أناس [illegible] الباء للحال والتقدير مختلطين

بامامهم أى بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب [illegible] يا أتباع فلان [illegible] كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر (فمن اوتى) من هؤلاء المدعوين (كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم) وانما قيل اولئك لان من فى معنى الجمع (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شئ ولم يذكر الكفار وايتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء بقوله (ومن كان فى هذه الدنيا (أعمى فهو فى الآخرة أعمى) كذلك (وأضل سبيلا) من الاعمى أى أضل طريقا والاعمى

﴿ يوم ندعوا ﴾ نصب باضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعوا فى افعى أو على ان الواو علامة الجمع كما فى قوله وأسروا النجوى الذين ظلموا أو ضمير وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهى قد تقدر كما فى يدعى ﴿ كل اناس بامامهم ﴾ بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا أى تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع أم كخف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنى ﴿ فمن اوتى ﴾ من المدعوين ﴿ كتابه بيمينه ﴾ أى كتاب عمله ﴿ فاولئك يقرؤن كتابهم ﴾ ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ﴿ ولا يظلمون فتيلا ﴾ ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتى فى معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ﴿ ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى ﴾ ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الآخرة لا يرى طريق النجاة ﴿ واضل سبيلا ﴾ منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى

أكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده * قوله عز وجل ﴿ يوم ندعوا كل أناس بامامهم ﴾ أى بنبيهم وقيل بكتابهم الذى أنزل عليهم وقيل بكتاب أعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذى دعاهم فى الدنيا اما الى هدى واما الى ضلال وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رئيسهم فى الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل بامامهم جمع أم يعنى بامهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وان لا يفتضح أولاد الزنا ﴿ فمن أوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ﴾ * فان قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع ان أصحاب الشمال يقرؤنه * قلت الفرق ان أصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مشكلات عظيمة فيستولى عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون على اقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة وأصحاب اليمين اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤنه أحسن قراءة وأبينها ﴿ ولا يظلمون فتيلا ﴾ أى ولا ينقصون من ثواب أعمالهم أدنى شئ ﴿ ومن كان فى هذه أعمى ﴾ المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا أعمى أى عن هذه النعم التى قد عددها فى هذه الآيات المتقدمة ﴿ فهو فى الآخرة ﴾ أى التى لم تعاين ولم تر ﴿ أعمى وأضل [illegible] ومن كان فى هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية [illegible] أعمى وأضل سبيلا أى أخطأ

(يوم ندعوا) وهو يوم القيامة (كل أناس بامامهم) بنبيهم ويقال بكتابهم ويقال بداعيهم الى الهدى والى الضلالة (فمن أوتى) أعطى كتابه بيمينه فاولئك [illegible] حسناتهم (ولا يظلمون فتيلا) لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على [illegible] وهو الشئ [illegible] هذه النعم (أعمى) عن الشكر (فهو فى الآخرة) فى نعيم [illegible] طريقا ويقال من كان فى هذه الدنيا أعمى عن الحجة والبيان فهو فى الآخرة أعمى أشد عمى وأضل سبيلا عن الحجة (طريقا)

وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى مايعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ماذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده ﴿ وحملناهم فى البر والبحر ﴾ على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له مايركبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ بالغلبة والاستعلاء أو بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة عليهم الصلاة والسلام أو الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف

تدبيرهم أمر المعاش والمعاد وقيل بان منهم خير أمة أخرجت للناس ﴿ وحملناهم فى البر ﴾ أى على الابل والخيل والبغال والحمير ﴿ والبحر ﴾ أى وحملناهم فى البحر على السفن وهذا من مؤكدات التكريم لان الله سبحانه وتعالى سخر لهم هذه الاشياء لينتفعوا بها ويستعينوا بها على مصالحهم ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ يعنى لذيذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر والحلواء وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى وقيل ان جميع الاغذية اما نباتية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا بالطيب من القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا لغير الانسان ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ واعلم ان الله تعالى قال فى أول الآية ولقد كرمنا بنى آدم وفى آخرها وفضلناهم ولا بد من الفرق بين التكريم والتفضيل والا لزم التكرار والاقرب أن يقال أن الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوان بأمور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثانى هو التفضيل ثم قال سبحانه وتعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الآية يدل على انه فضل بنى آدم على كثير ممن خلق لا على الكل فقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبى فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل واشباههم وقيل فضلوا على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم * فان قلت كيف تصنع بكثير * قلت بوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى يلقون السمع وأكثرهم كاذبون أراد كلهم * وفى الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان وقيل بالتفصيل وهو الاولى والراجح ان خواص بنى آدم وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر من بنى آدم وهذا التفضيل انما هو بين الملائكة والمؤمنين من بنى آدم لان الكفار لا حرمة لهم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال المؤمن

باصابعه (وحملناهم فى البر) على الدواب (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات) بالالذيذات أو بما كسبت أيديهم (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) أى على الكل كقوله وأكثرهم كاذبون قال الحسن أى كلهم وقوله وما يتبع أكثرهم الا ظنا ذكر فى الكشاف ان المراد بالاكثر الجميع وعنه عليه السلام المؤمن أكرم على الله من الملائكة وهذا لانهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفى البهائم شهوة بلا عقل وفى الآدمى كلاهما فمن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم ولانه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه

(وحملناهم فى البر) على الدواب (والبحر) فى البحر على السفن (ورزقناهم من الطيبات) جعلنا أرزاقهم ألين وأطيب من رزق الدواب (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا) من البهائم (تفضيلا) بالصورة والايدى والارجل

سواء اوله في كل جانب براكان أو بحرا سبب من اسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصا به بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر الخسف وهو تغييب تحت التراب والغرق تغييب تحت الماء فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) هي الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء يعني أو ان لم يصبكم بذلك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يصرف ذلك عنكم (أم أمنتم ان يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم)

أي أم أمنتم أن يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم الى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم (قاصفا من الريح) وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد أو هو الكاسر للفلك (فيغرقكم بما كفرتم) بكفرانكم النعمة وهو اعراضكم حين نجاكم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف أي مطالبة والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا يجدوا أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها أن نخسف أو نرسل ان نعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون مكي وأبو عمرو (ولقد كرمنا بني آدم) بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الاشياء وتناول الطعام بالايدي وعن الرشيد انه أحضر طعاما فدعا (تدبيرهم) بالملاعق وعنده ابو يوسف رحمه الله فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فاحضرت الملاعق فردها وأكل

ان يقلبه الله وانتم عليه أو يقلبه بسببه فبكم حال أو صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك ﴿ أو يرسل عليكم حاصبا ﴾ ريحا تحصب أي ترمي بالحصباء ﴿ ثم لا تجدوا لكم وكيلا ﴾ يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ﴿ أم أمنتم ان يعيدكم فيه ﴾ في البحر ﴿ تارة اخرى ﴾ بخلق دواعي تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه ﴿ فيرسل عليكم قاصفا من الريح ﴾ لا تمر بشيء الا قصفته أي كسرته ﴿ فيغرقكم ﴾ وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح ﴿ بما كفرتم ﴾ بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ﴿ ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾ مطالبا يتبعنا بانتصار أو صرف ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات

أو بحرا بل ان كان الغرق في البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه يغيب تحت الثرى كما ان الغرق يغيب تحت الماء ﴿ أو يرسل عليكم حاصبا ﴾ أي نمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطرناها على قوم لوط ﴿ ثم لا تجدوا لكم وكيلا ﴾ أي مانعا وناصرا ﴿ أم أمنتم ان نعيدكم فيه ﴾ أي في البحر ﴿ تارة ﴾ أي مرة ﴿ أخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح ﴾ قال ابن عباس أي عاصفا وهي الريح الشديدة وقيل هي التي تقصف كل شيء من شجر وغيره ﴿ فنغرقكم بما كفرتم ﴾ أي بكفرانكم النعمة واعراضكم حين أنجيناكم ﴿ ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾ التبيع المطالب والمعنى أنا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدون لكم أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا للثار من جهتنا وقيل معناه من يتبعنا بالانكار علينا ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ قال ابن عباس هو انهم يأكلون بالايدي وغير الآدمي يأكل بفيه من الارض وقال أيضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط والفهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على جميع ما في الارض وتسخيره لهم وقيل بحسن

(أو يرسل) ان لا يرسل (عليكم حاصبا) حجارة كما أرسل على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) مانعا (أم أمنتم) يا أهل مكة (أن نعيدكم فيه) في البحر (تارة أخرى) مرة أخرى نخرجكم اليه (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) ريحا شديدا (فيغرقكم) في البحر (بما كفرتم) لله بنعمته (ثم لا تجدوا لكم علينا به) بغرقكم (تبيعا) ثائرا أو طالبا (ولقد كرمنا بني آدم) بالايدي والارجل

(ربكم الذى يزجى) يجرى ويسير (لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) يعنى الربح فى التجارة (انه كان بكم رحيما) واذا مسكم الضر فى البحر) أى خوف الغرق (ضل من تدعون الا اياه) ذهب

يتوكلون عليه فى الاستعاذة منك على الحقيقة ﴿ ربكم الذى يزجى ﴾ هو الذى يجرى ﴿ لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله ﴾ الربح وانواع الامتعة التى لا تكون عندكم ﴿ انه كان بكم رحيما ﴾ حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه ﴿ واذا مسكم الضر فى البحر ﴾ خوف الغرق ﴿ ضل من تدعون ﴾ ذهب عن خواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم ﴿ الا اياه ﴾ وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه فلا تدعون لكشفه الا اياه أو ضل كل من تعبدونه من اغاثتكم الا الله ﴿ فلما نجاكم ﴾ من الغرق ﴿ الى البر اعرضتم ﴾ عن التوحيد وقيل اتسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمة

عطاء فتى تمكن فى المعالى * فاعرض فى المكارم واستطالا

﴿ وكان الانسان كفورا ﴾ كالتعليل للاعراض ﴿ أفأمنتم ﴾ الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم فى البحر بالغرق قادر ان يهلككم فى البر بالخسف وغيره ﴿ ان يخسف بكم جانب البر ﴾

ابليس لما خرج الى الارض قال يارب أخرجتنى من الجنة لاجل آدم فسلطنى عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط قال لا أستطيعه الا بك فزدنى قال استفزز من استطعت منهم الآية فقال آدم يارب سلطت ابليس علىّ وعلى ذريتى وانى لا أستطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه قال رب زدنى قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها قال رب زدنى قال التوبة معروضة مادام الروح فى الجسد قال رب زدنى فقال يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية * وفى الخبر ان ابليس قال يارب بعثت أنبياء وأنزلت كتبا فما قراءتى قال الشعر قال فما كتابتى قال الوشم قال ومن رسلى قال الكهنة قال أى شئ مطعمى قال ما لم يذكر عليه اسمى قال فما شرابى قال كل مسكر قال وأين مسكنى قال الحمامات قال وأين مجلسى قال فى الاسواق قال وما حبائلى قال النساء قال وما أذانى قال المزمار * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ربكم الذى يزجى ﴾ أى يسوق ويجرى ﴿ لكم الفلك ﴾ أى السفن ﴿ فى البحر لتبتغوا من فضله ﴾ أى لتطلبوا من رزقه بالارباح فى التجارة وغيرها ﴿ انه كان بكم رحيما ﴾ أى حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم ﴿ واذا مسكم الضر فى البحر ﴾ أى الشدة وخوف الغرق فى البحر ﴿ ضل من تدعون ﴾ أى ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعون فى حوادثكم من الاصنام وغيرها ﴿ الا اياه ﴾ أى الا الله وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لانه القادر على اغاثتكم ونجاتكم ﴿ فلما نجاكم ﴾ أى أجاب دعاءكم وانجاكم من هول البحر وشدته وأخرجكم ﴿ الى البر أعرضتم ﴾ أى عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى ﴿ وكان الانسان كفورا ﴾ أى جحودا ﴿ أفأمنتم ﴾ أى بعد انجائكم ﴿ أن يخسف بكم جانب البر ﴾ أى نغوره والمعنى ان الجهات كلها له وفى قدرته برا كان

عن أوهامكم كل من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه أو ضل ما تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده الذى ترجونه على الاستثناء المنقطع (فلما نجاكم الى البر أعرضتم) عن الاخلاص بعد الخلاص (وكان الانسان) أى الكافر (كفورا) للنعم (أفأمنتم) الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض (أن يخسف بكم جانب البر) انتصب جانب بيخسف مفعولا به كالارض فى قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أى يقلبه وأنتم عليه والحاصل ان الجوانب كلها فى قدرته

(ربكم الذى يزجى لكم) يسير لكم (الفلك) السفن (فى البحر لتبتغوا من فضله) لكى تطلبوا من رزقه ونوال من عليه (انه كان بكم رحيما) بتأخير العذاب ويقال بمن تاب منكم (واذا مسكم الضر) الشدة والهول (فى البحر ضل من تدعون) [illegible] من تعبدون من الاوثان فلا تسألون منه النجاة (الا اياه) يقول تسألون من الله النجاة (فلما نجاكم الى البر أعرضتم) عن الشكر والتوحيد (وكان الانسان) يعنى الكافر (كفورا) كافرا بنعم الله (أفأمنتم) يا أهل مكة (أن يخسف بكم) أن لا يغور بكم (جانب البر) كما خسف بقارون

على الاديان الزائغة والحرف المذمومة والافعال القبيحة ﴿ وعدهم ﴾ المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل ﴿ ومايعدهم الشيطان الاغرورا ﴾ اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب ﴿ ان عبادى ﴾ يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله الاعبادك منهم المخلصين يخصصهم ﴿ ليس لك عليهم سلطان ﴾ أى على اغوائهم قدرة ﴿ وكفى بربك وكيلا ﴾

فروى عن ابن عباس انها الموءودة وقيل أولاد الزنا وعن ابن عباس أيضا هى تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد الحرث وعبد شمس ونحوه وقيل هو ان يرغبوا أولادهم فى الاديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل فى فرجها كما ينزل الرجل وروى فى بعض بالاخبار ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال ان امرأتى استيقظت وفى فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن ﴿ وعدهم ﴾ أى منهم الجميل فى طاعته وقيل قل لهم لاجنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعا الى المعصية فلابد أن يقرر أولا انه لامضرة فى فعلها البتة وذلك لايمكن الا اذا قال له لامعاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر عند المدعو أنه لامضرة البتة فى هذه المعاصى واذا فرغ من هذا النوع قرر عنده ان هذا الفعل يفيد أنواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان فى الدنيا الابه فهذا طريق الدعوة الى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهوانه يقرر عنده ان لاجنة ولا نار ولا عقاب فلافائدة فيها وقيل معنى عدهم أى شفاعة الاصنام عند الله وايثار العاجل على الآجل فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لايأمر بالفحشاء قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ماشئتم وكقول القائل اجتهد جهدك فسترى ماينزل بك ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ ومايعدهم الشيطان الاغرورا ﴾ أى تزيين الباطل بما يظن أنه حق واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم أردفه بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله ومايعدهم الشيطان الاغرورا والسبب فيه انه انما يدعو الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وتلك الاشياء التى يدعو اليها خيالية لاحقيقة لها ولا تحصل الا بعد متاعب ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء وينغصها الموت والهرم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا ﴿ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ يعنى بعبادى الانبياء وأهل الفضل والصلاح لانه لايقدر على اغوائهم ﴿ وكفى بربك وكيلا ﴾ أى حافظا والمعنى انه سبحانه وتعالى لما أمكن ابليس أن يأتى بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف فى قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا أى فالله سبحانه وتعالى أقدر منه وأرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووساوسه ويعصمهم من اغوائه واضلاله وفى بعض الآثار ان

شمس (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وايثار العاجل على الآجل ونحو ذلك (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) هو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب (ان عبادى) الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) يد بتبديل الايمان ولكن بتسويل العصيان (وكفى بربك وكيلا) لهم يتوكلون به فى الاستعاذة منك أو حافظا لهم عنك والكل تهديد فيعاقب به أو اهانة أى لايخل ذلك بملكى

(وعدهم) أن لاجنة ولانار (ومايعدهم الشيطان الا غرورا) باطلا (ان عبادى) المعصومين منك (ليس لك عليهم سلطان) سبيل وغلبة (وكفى بربك وكيلا) كفيلا بما وعد وتقال حفيظا

كل ألف واحد وانما علم الملعون ذلك بالاعلام أو لانه رأى انه خلق شهوانى (قال اذهب) ليس من الذهاب الذى هو ضد
... وانما معناه امض لشأنك الذى اخترته خذلانا وتخلية ثم عقبه بذكر ما جره سوء اختياره فقال (فمن تبعك منهم فان جهنم
جزاؤكم) والتقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل
جزاؤكم وانتصب (جزاء موفورا) أى موفورا باضمار تجازون (واستفزز) استزل أو استخف استفزه أى استخفه والفز الخفيف (من استطعت منهم بصوتك) بالوسوسة أو بالغناء أو بالمزمار (وأجلب عليهم) اجمع وصح بهم من الجلبة وهو الصياح (بخيلك ورجلك) بكل راكب وماش من أهل العيث فالخيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب ورجلك حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وهذا لان أقصى ما يستطاع فى طلب الامور الخيل والرجل وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال (وشاركهم فى الاموال والاولاد) قال الزجاج كل معصية فى مال وولد فابليس شريكهم فيها كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق فى الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد

الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا مأخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير أو تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب ﴿قال اذهب﴾ امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه ﴿فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم﴾ جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات ﴿جزاء موفورا﴾ مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وفرة وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله أو بما فى جزاؤكم من معنى تجازون أو حال موطئة لقوله موفورا ﴿واستفزز﴾ واستخف ﴿من استطعت منهم﴾ ان تستفزه والفز الخفيف ﴿بصوتك﴾ بدعائك الى الفساد ﴿واجلب عليهم﴾ وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح ﴿بخيلك ورجلك﴾ باعوانك من راجل وراكب والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك ﴿وشاركهم فى الاموال﴾ بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغى ﴿والاولاد﴾ بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل

عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿اذهب﴾ أى امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذى هو ضد المجئ ﴿فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم﴾ أى جزاؤك وجزاء أتباعك ﴿جزاء موفورا﴾ أى مكملا ﴿قوله سبحانه وتعالى ﴿واستفزز﴾ أى استخف واستزل واستجهل وازعج ﴿من استطعت منهم﴾ أى من ذرية آدم ﴿بصوتك﴾ قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل أراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو واللعب ﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ أى اجمع عليهم مكايدك وحبائلك واحثثهم على الاغواء وقيل معناه استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم يقال ان له خيلا ورجالا من الجن والانس فكل من قاتل أو مشى فى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد فى الامر جئتنا بخيلك ورجلك ﴿وشاركهم فى الأموال والأولاد﴾ أما المشاركة فى الاموال فكل مال أصيب من حرام أو أنفق فى حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وأما المشاركة فى الاولاد

... (قال اذهب) قال الله له اعيا (فمن تبعك منهم) فى دينك (فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) نصيبا وافرا (واستفزز)
... (من استطعت منهم بصوتك) بدعوتك ويقال بصوت المزامير والغناء وسائر المناكير (وأجلب عليهم) اجمع عليهم ويقال
... عليهم (بخيلك) بخيل المشركين (ورجلك) رجالة المشركين (وشاركهم فى الاموال) اموال الحرام (والاولاد) أولاد الحرام

ثم قال (ونخوفهم) أي بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) تخويف (الا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حـ
بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الاسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الاسراء
في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وانما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأ
استبعادا منهم كما سمى أشياء باساميها عند الكفرة كقوله فراغ الى آلهتهم أين شركا

الملعونة في القرآن كذلك ﴿ونخوفهم﴾ بانواع التخويف ﴿فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا﴾ الا عتوا متجاوز الحد ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا﴾ لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين أو منه أي أأسجد له واصله طين وفيه على الوجوه الثلاثة ايماء بعلة الانكار ﴿قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأمري بالسجود له لم كرمته علي ﴿لئن اخرتني الى يوم القيمة﴾ كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه ﴿لأحتنكن ذريته الا قليلا﴾ أي لأستأصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم من احتنك

تنبت فيها شجرة وتعلمون ان النار تحرق الشجرة وقيل ان عبدالله بن الزبعرى قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا الزبد والتمر فقال أبو جهل ياجارية تعالى فزقمينا فاتت بزبد وتمر فقال ياقوم تزقموا فان هذا ما يخوفكم به محمد فانزل الله سبحانه وتعالى حين عجبوا ان يكون في النار شجرا الا جعلناها فتنة للظالمين الآيات فان قلت أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن وانما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في أصل جهنم في أبعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه ان الشجرة الملعونة هي الكشوث الذي يلتوي على الشجر والشوك فيجففه ﴿ونخوفهم فما يزيدهم﴾ أي التخويف ﴿الا طغيانا كبيرا﴾ أي تمردا وعتوا عظيما ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا﴾ أي من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الارض من عذبها وملحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقي ﴿قال﴾ يعني ابليس ﴿أرأيتك﴾ الكاف للمخاطب والمعنى أخبرني ﴿هذا الذي كرمت علي﴾ أي فضلته علي ﴿لئن أخرتني﴾ أي أمهلتني ﴿الى يوم القيمة لأحتنكن ذريته﴾ أي لأستأصلنهم بالاضلال وقيل معناه لأقودنهم كيف شئت وقيل لأستولين عليهم بالاغواء ﴿الا قليلا﴾ يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله ان (عبادي)

أوهي رؤياه انه سيدخل مكة والفتنة الصد بالحديبية فان قلت ليس في القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعون آكلها وهم الكفرة لانه قال ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالؤن منها البطون فوصفت بلعن اهلها على المجاز ولان العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون ولان اللعن هو الابعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) هو تمييز أو حال من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين (قال أرأيتك هذا الذي) الكاف لا موضع لها لانها ذكرت للخطاب تأكيدا هذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي (كرمت علي) أي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فحذف ذلك اختصارا لدلالة ما تقدم عليه ثم ابتدأ فقال (لئن أخرتني) وبالياء كوفي وشامي واللام موطئة للقسم المحذوف (الى يوم القيمة لأحتنكن ذريته) لأستأصلنهم باغوائهم (الا قليلا) وهم المخلصون قيل

(ونخوفهم) بشجرة الزقوم (فما يزيدهم) الوعيد (الا طغيانا كبيرا) تماديا في المعصية (واذ قلنا للملائكة) الذين كانوا في الارض (اسجدوا لآدم) سجدة التحية (فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) لطيني (قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي) فضلت علي بالسجود (لئن أخرتن) اجلتني (الى يوم القيمة لأحتنكن) لأستزلن ولأستملكن ولأستولين (ذريته الا قليلا) المعصومين

الفتنة للناس) واذكر اذ أوحينا اليك ان ربك أحاط بقريش علما وقدرة فكلهم فى قبضته فلاتبال بهم وامض لامرك
وما أرسلت به أو بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون
الى جهنم وبئس المهاد فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على سنته فى اخباره وقال الله تعالى أراه مصارعهم فى منامه فقد
كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ
الى الارض ويقول هذا
مصرع فلان فتسامعت
قريش بما اوحى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أمر
بدر وما أرى فى منامه من
مصارعهم فكانوا يضحكون
ويسخرون ويستعجلون به
استهزاء (والشجرة الملعونة
فى القرآن) أى وما جعلنا
الشجرة الملعونة فى القرآن
الافتنة للناس فانهم حين
سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم جعلوها سخرية
وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم
تحرق الحجارة ثم يقول
تنبت فيها الشجرة وما قدروا
الله حق قدره اذ قالوا ذلك
فانه لايمتنع أن يجعل الله
الشجرة من جنس لاتأكله
النار فوبر السمندل وهو
دويبة ببلاد الترك يتخذ منه
مناديل اذا اتسخت طرحت
فى النار فذهب الوسخ وبقى
المنديل سالما لاتعمل فيه النار
وترى النعامة تبتلع الجمر
فلايضرها وخلق فى كل
شجرة نارا فلاتحرقها فجاز
أن يخلق فى النار شجرة لاتحرقها (قا و خا ٧ ع) والمعنى ان الآيات انما ترسل تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا
بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم

منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا
كان المراد بقوله ﴿ الافتنة للناس ﴾ ماحدث فى ايامهم ﴿ والشجرة الملعونة فى القرآن ﴾
عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان
الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمى وبر
السمندل من ان تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر
التى تبتلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة لاتحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعمها وصفت به
على المجاز للمبالغة أو وصفها بانها فى اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة أو بانها
مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابى جهل
والحكم بن ابى العاص * وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أى والشجرة

الافتنة للناس ﴾ الاكثرون من المفسرين على ان المراد منها مارأى النبى صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هى الرؤيا عين اريها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج وهى ليلة أسرى به الى بيت المقدس أخرجه البخارى وهو قول
سعيد بن جبير والحسن و مسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم
والعرب تقول رأيت بعينى رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم
للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخلصون ايمانا وقال
قوم أسرى بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجان معراج
رؤية عين فى اليقظة ومعراج رؤيا منام وقيل أراد بهذه الرؤيا مارأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة هو وأصحابه فعجل المسير الى مكة
قبل الاجل فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه فى ذلك العام بعد
ما أخبر انه يدخلها فتنة لبعضهم ثم دخل مكة فى العام المقبل وأنزل الله عزوجل لقد
صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام ان ولد
الحكم بن أمية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فساءه ذلك فان اعترض معترض على
هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة أجيب بانه لااشكال
فيه فانه لايبعد ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة
﴿ والشجرة الملعونة فى القرآن ﴾ يعنى شجرة الزقوم التى وصفها الله تعالى فى سورة
الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه طعام ملعون والفتنة فيها ان أباجهل قال ان
ابن أبى كبشة يعنى النبى صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه

المعراج (الافتنة للناس) بلية لاهل مكة مقدم ومؤخر (والشجرة الملعونة فى القرآن) ماذكرنا شجرة الزقوم فى القرآن

واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لانستأصلهم لان فيهم من يؤمن أو يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال ﴿ وآتينا ثمود الناقة ﴾ بسؤالهم ﴿ مبصرة ﴾ بينة ذات ابصار أو بصائر أو جاعلتهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح ﴿ فظلموا بها ﴾ فكفروا بها وظلموا انفسهم بسبب عقرها ﴿ ومانرسل بالآيات ﴾ أى بالآيات المقترحة ﴿ الا تخويفا ﴾ من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا انزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة أو فى موقع الحال والمفعول محذوف ﴿ واذ قلنا لك ﴾ واذكر اذ اوحينا اليك ﴿ ان ربك احاط بالناس ﴾ فهم فى قبضة قدرته أو احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهى بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه ﴿ وماجعلنا الرؤيا التى اريناك ﴾ ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى المنام ومن قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية أو عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى انه عليه السلام لما ورد ماءه قال لكأنى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى امية يرقون

ان شئت أن أستأنى بهم فعلت وان شئت أن اوتيهم ماسألوا فعلت فان لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابل تستأنى بهم فانزل الله عز وجل وما منعنا أن نرسل بالآيات أى التى سألها كفار قومك الا أن كذب بها الاولون أى فاهلكناهم فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات أهلكناهم لان من سنتنا فى الامم اذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد اتيانها ان نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه الامة الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا فقال تعالى ﴿ وآتينا ثمود الناقة مبصرة ﴾ أى بينة وذلك لان آثار هلاكهم فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم ﴿ فظلموا بها ﴾ أى جحدوا انها من عند الله وقيل فظلموا أنفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة ﴿ ومانرسل بالآيات ﴾ المقترحة ﴿ الا تخويفا ﴾ أى ومانرسل بالآيات الا تخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه ومانرسل بالآيات يعنى العبر والدلالات الا تخويفا أى انذارا بعذاب الآخرة ان لم يؤمنوا فان الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بماشاء من آياته لعلهم يرجعون * قوله عز وجل ﴿ واذ قلنا لك ﴾ أى واذكر يامحمد اذ قلنا لك ﴿ ان ربك أحاط بالناس ﴾ أى ان قدرته محيطة بهم فهم فى قبضته وقدرته لايقدرون على الخروج من مشيئته واذا كان الامر كذلك فهم لايقدرون على أمر من الامور الا بقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم فلا تهبهم وامض لما أمرك من التبليغ للرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك ﴿ وماجعلنا الرؤيا التى أريناك

(وآتينا ثمود الناقة) باقتراحهم (مبصرة) آية بينة (فظلموا بها) فكفروا بها (ومانرسل بالآيات) ان أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لانرسلها (الا تخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان أراد غيرها فالمعنى ومانرسل مانرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة وهو مفعول له (واذ قلنا لك أن ربك احاط بالناس وماجعلنا الرؤيا التى أريناك

(وآتينا ثمود الناقة) أعطينا قوم صالح ناقة عشراء (مبصرة) مبينة علامة لنبوة صالح (فظلموا بها) جحدوا بها فعقروها (ومانرسل بالآيات) بالعلامات (الا تخويفا) بالعذاب لنهلكهم ان لم يؤمنوا بها (واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) عالم باهل مكة بمن يؤمن وبمن لايؤمن (وما جعلنا الرؤيا) ما أريناك الرؤيا (التى أريناك)

أو معذبوها عذاباً شديداً) قيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة (كان ذلك في الكتاب) في اللوح المحفوظ (مسطوراً) مكتوباً وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فعذابها ضروب وأما بلخ فتصيبهم هدة فيهلك أهلها وأما بدخشان فيخربها أقوام وأما ترمذ فاهلها يموتون بالطاعون وأما صغانيان الى واشجرد فيقتلون بقتل ذريع وأما سمرقند فيغلب عليها بنو قنطوراء فيقتلون أهلها قتلاً ذريعاً وكذا فرغانة والشاش واسبيجاب وخوارزم وأما بخارى فهي أرض الجبابرة فيموتون قحطاً وجوعاً وأما مرو فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد وأما هراة فيمطرون بالحيات فتأكلهم أكلاً وأما نيسابور فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم وأما الري فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم وأما ارمينية واذربيجان فيهلكها سنابك الخيول والجيوش والصواعق والرواجف وأما همذان فالديلم يدخلها ويخربها وأما حلوان فتمر بها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لاهلها ولاهل دمشق وويل لاهل افريقية وويل لاهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس وأما سجستان فيصيبهم ريح عاصف أياماً ثم هدة تأتيهم ويموت فيها العلماء وأما كرمان ﴿٤٧﴾ وأصبهان وفارس {سورة بني اسرائيل} فيأتيهم عدو وصاح وصيحة تخلع القلوب وتموت الابدان (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) استعير المنع لترك ارسال الآيات وان الاولى مع صلتها في موضع النصب لانها مفعول ثان لمنعنا وان الثانية مع صلتها في موضع الرفع لانها فاعل منعنا والتقدير وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا

والاستئصال ﴿أو معذبوها عذاباً شديداً﴾ بالقتل وانواع البلية ﴿كان ذلك في الكتاب﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مسطوراً﴾ مكتوباً ﴿وما منعنا ان نرسل بالآيات﴾ وما صرفناه عن ارسال الآيات التي اقترحها قريش ﴿الا ان كذب بها الاولون﴾ الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك

أي بالموت والخراب ﴿أو معذبوها عذاباً شديداً﴾ أي بالقتل وأنواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك في حق المؤمنين الاماتة وفي حق الكفار العذاب قال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في هلاكها ﴿كان ذلك في الكتاب﴾ أي في اللوح المحفوظ ﴿مسطوراً﴾ أي مكتوباً مثبتاً * عن عبادة ابن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما أكتب قال اكتب القدر وما هو كائن الى يوم القيامة الى الابد أخرجه الترمذي * قوله سبحانه وتعالى ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون﴾ قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وفضة وان ينحي الجبال عنهم ليزرعوا فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم

ومن احياء الموتى وغير ذلك وسنة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى وما منعنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل وقد حكمنا ان نؤخر أمر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح عليه السلام لان آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم فقال

أو معذبوها عذاباً شديداً) بالسيف والامراض (كان ذلك) الهلاك والعذاب (في الكتاب مسطوراً) في اللوح المحفوظ مكتوباً أن يكون (وما منعنا) لم يمنعنا (أن نرسل بالآيات) بالعلامات التي طلبوها (الا أن كذب بها الاولون) الا تكذيب الاولين عند التكذيب أي نهلكهم ان كذبوا بها كما أهلكنا الاولين عند التكذيب

(قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهتكم (من دونه) من دون الله وهم الملائكة أوعيسى وعزير أونفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أى ادعوهم فهم لايستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض أوفقر أوعذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر (أولئك) مبتدأ (الذين يدعون) صفة أى يدعونهم آلهة أويعبدونهم والخبر (يبتغون الى ربهم الوسيلة) يعنى أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة الى الله عز وجل (أيهم) بدل من واو يبتغون وأى موصولة أى يبتغى من هو (أقرب) منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب أوضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم (وان من قرية الانحن مهلكوها قبل يوم القيمة

(قل) يامحمد خزاعة الذين كانوا يعبدون الجن وظنوا انهم الملائكة (ادعوا الذين زعمتم) عبدتم (من دونه) من دون الله عند الشدة (فلا يملكون كشف الضر عنكم) رفع الشدة عنكم (ولا تحويلا) الى غيركم (أولئك) يعنى الملائكة (الذين) هم (يدعون) يعبدون ربهم (يبتغون الى) (أى) ربهم الوسيلة) يطلبون بذلك الى ربهم القربة والفضيلة (أيهم أقرب) الى الله (ويرجون رحمته) جنته (ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) لم يأتهم الامان (وان من قرية) مامن قرية (الانحن مهلكوها) نميت أهلها (قبل يوم القيمة

فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾ انها آلهة ﴿من دونه﴾ كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام ﴿فلا يملكون﴾ فلا يستطيعون ﴿كشف الضر عنكم﴾ كالمرض والفقر والقحط ﴿ولا تحويلا﴾ ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم ﴿اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة﴾ هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ﴿أيهم اقرب﴾ بدل من واو يبتغون أى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله تعالى الوسيلة فكيف بغير الاقرب ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة ﴿ان عذاب ربك كان محذورا﴾ حقيقا بان يحذر كل احد حتى الرسل والملائكة ﴿وان من قرية الانحن مهلكوها قبل يوم القيمة﴾ بالموت

وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد أن يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام ❊ قوله عز وجل ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ وذلك ان الكفار أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليدعولهم فقال الله عز وجل قل ادعو الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم﴾ أى الجوع والقحط ﴿ولا تحويلا﴾ أى الى غيركم أوتحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود الآية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا أهلية ان نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذى عبدوه تمثالا وصورة وقد اشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم ثم قال تعالى ﴿أولئك الذين يدعون﴾ أى الذين يدعونهم المشركون آلهة ﴿يبتغون الى ربهم الوسيلة﴾ أى القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبدالله بن مسعود نزلت هذه فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم أولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الآية وقوله تعالى ﴿أيهم أقرب﴾ معناه ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به وقيل أيهم اقرب يبتغى الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة ﴿ويرجون رحمته﴾ أى جنته ﴿ويخافون عذابه﴾ وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة ﴿ان عذاب ربك كان محذورا﴾ أى حقيقا بان يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿وان من قرية الانحن مهلكوها قبل يوم القيمة﴾

وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله ﴿ وما ارسلناك عليهم وكيلا ﴾ موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم وأمر اصحابك بالاحتمال منهم روى ان المشركين افرطوا فى ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رضى الله عنه رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو ﴿ وربك اعلم بمن فى السموات والارض ﴾ باحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ بالفضائل النفسانية والتبرئ عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقوله ﴿ وآتينا داود زبورا ﴾ تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء عليه السلام وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من ان الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه فى قوله كتبنا فى الزبور لانه فى الاصل فعول للمفعول كالحلوب والمصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس اوالفضل أو لان المراد وآتينا داود بعض الزبر أو بعضا من الزبور

عيتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة أو ان يشأ يعذبكم أى يسلطهم عليكم ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلا ﴾ أى حفيظا وكفيلا قيل نسختها آية القتال ﴿ وربك أعلم بمن فى السموات والارض ﴾ يعنى ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعلومات ومتعلق بجميع ذات الارضين والسموات يعلم حال كل أحد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم وأخلاقهم ومللهم وأديانهم ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فيكان وآتى سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعده وآتى داود زبورا وذلك قوله تعالى ﴿ وآتينا داود زبورا ﴾ وهو كتاب أنزله الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وثناء على الله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام * فان قلت لم خص داود فى هذه الآية بالذكر دون غيره من الانبياء * قلت فيه وجوه أحدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتينا داود زبورا وذلك ان داود أعطى مع النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما آتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور فى هذه الآية المراد به العلم لا الملك والمال * الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى كتب له فى الزبور ان محمدا خاتم الانبياء وان أمته خير الامم فلهذا خصه بالذكر * الوجه الثالث ان اليهود زعمت أن لا نبى بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتينا داود زبورا ومعنى الآية انكم لن تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون تفضيل النبى صلى الله عليه وسلم واعطاءه القرآن وان الله آتى موسى التوراة

التوراة وعيسى الانجيل ومحمدا صلى الله عليه وسلم الفرقان

لاعمالهم وموكولا اليك أمرهم وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) وباحوالهم وبكل ما يستأهل كل واحد منهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فيه اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) دلالة على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء وان أمته خير الامم لان ذلك مكتوب فى زبور داود وقال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وأمته ولم يعرف الزبور هنا وعرفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل وفضل

فيسلطهم عليكم (وما أرسلناك عليهم وكيلا) كفيلا تؤخذ بهم (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) من المؤمنين بصلاحهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالخلة والكلام (وآتينا) أعطينا (داود زبورا) كتابا وموسى

قادرا على أن يردكم الى حال الحياة (فسينغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (ويقولون متى هو) ، البعث استبعادا له ونفيا (قل عسى أن يكون قريبا) أى هو قريب وعسى للوجوب (يوم يدعوكم) الى المحاسبة و يوم القيامة (فتستجيبون بحمده) أى تجيبون حامدين والباء للحال عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) أى لبثا قليلا أو زمانا قليلا فى الدنيا أو القبر (وقل لعبادى) وقل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التى هى أحسن) وألين ولا يخاشنوهم وهى ان يقولوا يهديكم الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاقة والنزغ ايقاع الشر وافساد ذات البين وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة أو فسر التى هى أحسن بقوله (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) بالهداية والتوفيق (أو ان يشأ يعذبكم) بالخذلان أى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر

(فسينغضون) يهزؤن (اليك رؤسهم) تعجبا لقولك (ويقولون متى هو) متى هذا الذى تعدنا (قل عسى) وعسى من الله واجب (ان يكون قريبا) ثم بين لهم فقال (يوم) فى يوم (يدعوكم) يدعوكم اسرافيل فى الصور (فتستجيبون بحمده) فتستجيبون داعى (يميتكم) الله بامره (وتظنون) تحسبون (ان لبثتم) ما مكثتم فى القبور (الا قليلا وقل لعبادى) عمر وأصحابه (يقولوا) للكفار بالكلمة (التى هى أحسن) بالسلام واللطف (ان الشيطان ينزغ بينهم) يفسد بينهم ان جئتم بالجفاء (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة وهذا قبل أن أمروا بالقتال (ربكم أعلم بكم) (ان يشأ يرحمكم) فينجيكم من أهل مكة بصلاحكم (أو ان يشأ يعذبكم)

﴿فسينغضون اليك رؤسهم﴾ فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ﴿ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا﴾ فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر أو الظرف أى يكون فى زمان قريب وان يكون اسم عسى أو خبره والاسم مضمر ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون﴾ أى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء ﴿بحمده﴾ حال منهم أى حامدين لله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك أو منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه ﴿وتظنون ان لبثتم الا قليلا﴾ وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كالذى مر على قرية أو مدة حياتكم لما ترون من الهول ﴿وقل لعبادى﴾ يعنى المؤمنين ﴿يقولوا التى هى احسن﴾ الكلمة التى هى احسن ولا يخاشنوا المشركين ﴿ان الشيطان ينزغ بينهم﴾ يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضى الى العناد وازدياد الفساد ﴿ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا﴾ ظاهر العداوة ﴿ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم﴾ تفسير للتى هى احسن

﴿فسينغضون اليك رؤسهم﴾ أى يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول ﴿ويقولون متى هو﴾ يعنى البعث والقيامة ﴿قل عسى أن يكون قريبا﴾ أى هو قريب ﴿يوم يدعوكم﴾ أى من قبوركم الى موقف القيامة ﴿فتستجيبون بحمده﴾ قال ابن عباس بأمره وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين ﴿وتظنون ان لبثتم﴾ أى فى الدنيا وقيل فى القبور ﴿الا قليلا﴾ وذلك لان الانسان لو مكث فى الدنيا وفى القبر ألوفا من السنين عد ذلك قليلا بنسبة مدة القيامة والخلود فى الآخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا فى جنب القيامة * قوله سبحانه وتعالى ﴿وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن﴾ وذلك ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وقل لعبادى يقولوا يعنى للكفار التى هى أحسن أى لا يكافؤهم على سفههم بل يقولون لهم يهديكم الله وكان هذا قبل الاذن فى القتال والجهاد وقيل نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك أنه شتمه بعض الكفار فامره الله بالعفو وقيل أمر الله المؤمنين ان يقولوا ويفعلوا الخلة التى هى أحسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله ﴿الشيطان ينزغ بينهم﴾ أى يفسد ويلقى العداوة بينهم ﴿ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا﴾ أى ظاهر العداوة * قوله عز وجل ﴿ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم﴾ أى يوفقكم للايمان فتؤمنوا ﴿أو ان يشأ يعذبكم﴾ أى

المون) بدل من اذهم (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) سحر فجن (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) أي فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع (وقالوا) أي منكرو البعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أي مجددو خلقا حال أي مخلوقين (قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم) أي السموات والارض فانها تكبر عندكم عن قبول الحياة (فسيقولون من يعيدنا قل) يعيدكم (الذي فطركم أول مرة) والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة بعدما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم أبعد شئ من الحياة وهو أن تكونوا حجارة أو حديدا لكان

الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾ مقدر باذكر أو بدل من اذهم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم ﴿ انظر كيف ضربوا لك الامثال ﴾ مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون ﴿ فضلوا ﴾ عن الحق في جميع ذلك ﴿ فلا يستطيعون سبيلا ﴾ الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع أو الى الرشاد ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا ﴾ حطاما ﴿ أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا مادل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر أو حال ﴿ قل ﴾ جوابا لهم ﴿ كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم ﴾ أي مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد ﴿ فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة ﴾ وكنتم ترابا وهو ابعد منه من الحياة

الظالمون ﴾ يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه ﴿ ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾ أي مطبوبا وقيل مخدوعا وقيل معناه انه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة ومعناه انه بشر مثلكم يأكل ويشرب قال الشاعر

أرانا موضعين لامر غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب

أي نغذى بهما ﴿ انظر كيف ضربوا لك الامثال ﴾ أي الاشباه فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون ﴿ فضلوا ﴾ أي في جميع ذلك وحاروا ﴿ فلا يستطيعون سبيلا ﴾ أي الى طريق الحق ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاما ﴾ أي بعد الموت ﴿ ورفاتا ﴾ أي ترابا وقيل الرفات الاجزاء المتفتتة من كل شئ تكسر ﴿ أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ فيه انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلى فقال الله سبحانه وتعالى ردا عليهم ﴿ قل ﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿ كونوا حجارة ﴾ أي في شدة ﴿ أو حديدا ﴾ أي في القوة وليس هذا بامر الزام بل هو أمر تعجيز أي استشعروا في قلوبكم انكم حجارة أو حديد في القوة ﴿ أو خلقا مما يكبر في صدوركم ﴾ قيل يعني السماء والارض والجبال لانها أعظم المخلوقات وقيل يعني به الموت لانه لا شئ في نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لأميتنكم ولأبعثنكم ﴿ فسيقولون من يعيدنا ﴾ أي من يبعثنا بعد الموت ﴿ قل الذي فطركم ﴾ أي خلقكم ﴿ أول مرة ﴾ فمن قدر على الانشاء قدر على الاعادة

الظالمون) المشركون بعضهم لبعض (ان تتبعون) محمدا ما تتبعون (الا رجلا مسحورا) مغلوب العقل (انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الامثال) كيف شبهوك بالمسحور (فضلوا) فاخطؤا في المقالة (فلا يستطيعون سبيلا) مخرجا عن مقالتهم ويقال حجة على ما قالوا (وقالوا) يعني النضر وأصحابه (أئذا كنا) صرنا (عظاما) بالية (ورفاتا) ترابا رميما (أئنا لمبعوثون) لمحيون (خلقا جديدا) تجدد بعد الموت والروح (قل) لهم يا محمد (كونوا حجارة) لو كنتم حجارة أو اشد من الحجارة (أو حديدا) أو اقوى من الحديد (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) يعني الموت لبعثتم (فسيقولون من يعيدنا) يحيينا (قل) لهم يا محمد (الذي فطركم) خلقكم (أول مرة) في بطون أمهاتكم

قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) ذاستر أو حجابا بالايرى فهو مستور (وجعلنا
على قلوبهم أكنة) جمع كنان وهو الذى يستر الشئ (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا يمنع عن الاستماع (واذا
ذكرت ربك فى القرآن وحده) يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد
يعدو عدا وعدة فهو مصدر
سد مسد الحال أصله يحد
وحده بمعنى واحدا (ولوا
على ادبارهم) رجعوا على
أعقابهم (نفورا) مصدر
بمعنى التولية أو جمع نافر
كقاعد وقعود أى يحبون
أن تذكر معه آلهتهم لانهم
مشركون فاذا سمعوا
بالتوحيد نفروا (نحن أعلم
بما يستمعون به) أى نحن
أعلم بالحال أو الطريقة التى
يستمعون القرآن بها فالقرآن
هو المستمع وهو محذوف
وبه حال وبيان لما أى
يستمعون القرآن هازئين
لاجادين والواجب عليهم
ان يستمعوه جادين (اذ
يستمعون اليك) نصب بأعلم
أى أعلم وقت استماعهم
بما به يستمعون (واذهم نجوى)
وبما يتناجون به اذهم ذوو
نجوى (اذ يقول

قرأت القرآن) بمكة
(جعلنا بينك وبين الذين
لايؤمنون بالآخرة) بالبعث
بعد الموت يعنى أبا جهل
وأصحابه (حجابا مستورا)
محجوبا (وجعلنا على قلوبهم
أكنة) أغطية (أن يفقهوه)
لكى لايفقهوا الحق (وفى
آذانهم وقرا) صمما (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) بلا اله الا الله (ولوا على أدبارهم) رجعوا الى أصنامهم وعضوا (الظالمون)
الى عبادة آلهتهم (نفورا) تباعدا عن قولك (نحن أعلم بما يستمعون به) الى قراءة القرآن (اذ يستمعون اليك) الى قراءتك يعنى أبا جهل
وأصحابه (واذهم نجوى) فى أمرك يقول بعضهم ساحر ويقول بعضهم كاهن ويقول بعضهم مجنون ويقول بعضهم شاعر (اذ يقول

قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا ﴿ يحجبهم عن فهم
ماتقرؤه عليهم ﴿ مستورا ﴾ ذاستر كقوله تعالى وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم أو مستور
عن الحس أو بحجاب آخر لايفهمون ولايفهمون انهم لايفهمون نفى عنهم ان يفهموا
ما انزل عليهم من الآيات بعد مانفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة فى الانفس والآفاق
تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح بقوله ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾
تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ﴿ ان يفقهوه ﴾ كراهة ان يفقهوه ويجوز
ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أى منعناهم ان يفقهوه
﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾ يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ
والمعنى اثبت لمنكريه مايمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ ﴿ واذا ذكرت ربك فى القرآن
وحده ﴾ واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده
بمعنى واحد أو وحده ﴿ ولوا على ادبارهم نفورا ﴾ هربا من استماع التوحيد ونفرة
أو تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود ﴿ نحن اعلم بما يستمعون به ﴾ بسببه
ولاجله من الهزء بك وبالقرآن ﴿ اذ يستمعون اليك ﴾ ظرف لاعلم وكذا ﴿ واذهم
نجوى ﴾ أى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين
هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجى ﴿ اذ يقول

قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ﴾ أى يحجب
قلوبهم عن فهمه والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن أعين الناس فلا يرونه كما روى عن
سعيد بن جبير أنه قال لما نزلت تبت يدا أبى لهب جاءت امرأة أبى لهب ومعها حجر
والنبى صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر فلم تره فقالت لابى بكر أين صاحبك لقد بلغنى
انه هجانى فقال لها أبو بكر والله ماينطق بالشعر ولايقوله فرجعت وهى تقول قد
كنت جئت بهذا الحجر لارضخ رأسه فقال أبو بكر مارأتك يارسول الله قال لا لم يزل
ملك بينى وبينها ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أى أغطية ﴿ أن يفقهوه ﴾ أى لئلا
يفهموه ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾ أى ثقلا لئلا يسمعوه ﴿ واذا ذكرت ربك فى القرآن
وحده ﴾ يعنى اذا قلت لا اله الا الله وأنت تتلوا القرآن ﴿ ولوا على ادبارهم نفورا ﴾
جمع نافر ﴿ نحن أعلم بما يستمعون به ﴾ أى من الهزء بك وبالقرآن وقيل معناه نحن
أعلم بالوجه الذى يستمعون به وهو التكذيب ﴿ اذ يستمعون اليك ﴾ أى وأنت تقرأ القرآن
﴿ واذهم نجوى ﴾ أى وبما يتناجون به فى أمرك وقيل معناه ذوو نجوى بعضهم يقول
هو مجنون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم يقول ساحر أو شاعر ﴿ اذ يقول

﴿ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ﴾ ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابوبكر يسبح بالياء ﴿ انه كان حليما ﴾ حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم ﴿ غفورا ﴾ لمن تاب منكم ﴿ واذا

* قوله عز وجل ﴿ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ﴾ يعني الملائكة والانس والجن ﴿ وان من شئ الا يسبح بحمده ﴾ قال ابن عباس وان من شئ حي الا يسبح بحمده وقيل جميع الحيوانات والنباتات قيل ان الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح ما لم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح وان الورقة تسبح مادامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الماء يسبح مادام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان الثوب يسبح مادام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وان الوحش والطير لتسبح اذا صاحت فاذا سكتت تركت التسبيح وقيل وان من شئ جماد أوحي الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل كل الاشياء تسبح لله حيوانا كان أو جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده * ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤنا باناء فيه ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه البخاري (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم على ليالي بعثت واني لاعرفه الآن (خ) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فاتاه فمسح بيده الشريفة عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشئ ففي هذه الاحاديث دليل على ان الجماد يتكلم وانه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبيح السموات والارض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الاول أصح لما دلت عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف واعلم ان لله تعالى علما في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي ان نكل علمه اليه * و قوله تعالى ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ أي لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ماعدا من يسبح بلغتكم ولسانكم ﴿ انه كان حليما غفورا ﴾ أي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح * قوله عز وجل ﴿ واذا

(يسبح) وبالتاء عراقي غير أبي بكر (له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده) أي يقول سبحان الله وبحمده عن السدي قال عليه السلام ما اصطيد حوت في البحر ولا طائر يطير الا بما يضيع من تسبيح الله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) لاختلاف اللغات أو لتعسر الادراك أو سبب لتسبيح الناظر اليه والدال على الخير كفاعله والوجه الاول (انه كان حليما) عن جهل العباد (غفورا) لذنوب المؤمنين (واذا

(تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) من الخلق (وان من شئ) ما من شئ من النبات (الا يسبح بحمده) بامره (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) بأي لغة هو (انه كان حليما) بعباده اذ لا يعجلهم بالعقوبة (غفورا) متجاوزا لمن تاب (واذا

أدونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقول لكن العبيد لايؤثرون باجود الاشياء وأصفاها ويكون أردؤ
وأدونها للسادات (انكم لتقولون قولا عظيما) حيث أضفتم اليه الاولاد وهى من خواص الاجسام ثم فضلتم عليه أنفسكم
[illegible] تجعلون له ماتكرهون (ولقد صرفنا فى هذا القرآن) أى التنزيل والمراد ولقد صرفناه أى هذا المعنى فى مواضع من
التنزيل فترك التضمير لانه معلوم (ليذكروا) وبالتخفيف حمزة وعلى أى كرر

ليتعظوا (ومايزيدهم الا
نفورا) عن الحق وكان
الثورى اذا قرأها يقول
زادنى لك خضوعا مازاد
[illegible]
[illegible]
تقولون) وبالياء مكى وحفص
(اذا لابتغوا الى ذى العرش
سبيلا) يعنى طلبوا الى
من له الملك والربوبية سبيلا
بالمغالبة كما يفعل الملوك
بعضهم مع بعض أو لتقربوا
اليه كقوله أولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة واذا دالة على ان
مابعدها وهو لابتغوا جواب
عن مقالة المشركين وجزاء
[illegible] (سبحانه وتعالى عما
يقولون) وبالتاء حمزة وعلى
(علوا) أى [illegible]
البراءة من ذلك والنزاهة
(كبيرا) وصف العلو بالكبر
مبالغة فى معنى البراءة
والبعد مما وصفوه به

[illegible]
[illegible]
ويقال فى الغربة على الله

(ولقد صرفنا) بينا (فى هذا القرآن) الوعد والوعيد (ليذكروا) لكى يتعظوا (ومايزيدهم) وعيد القرآن ﴿ قوله ﴾
(الانفورا) تباعدا عن الايمان (قل لوكان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا) طلبوا (الى ذى العرش سبيلا) قدرا ومنزلة ويقال صعودا
(سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (وتعالى) تبرأ وارتفع (عما يقولون) من الشرك (علوا) على كل شئ (كبيرا) كبير كل شئ

بناتا لنفسه هذا خلاف ماعليه عقولكم وعادتكم ﴿ انكم لتقولون قولا عظيما ﴾ باضافة الاولاد اليه وهى خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل نفسكم عليه حيث تجعلون له ماتكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله أدونهم ﴿ ولقد صرفنا ﴾ كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير ﴿ فى هذا القرآن ﴾ فى مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ﴿ ليذكروا ﴾ ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الفرقان ليذكروا من الذكر الذى هو بمعنى التذكر ﴿ ومايزيدهم الا نفورا ﴾ عن الحق وقلة طمأنينة اليه ﴿ قل لوكان معه آلهة كما تقولون ﴾ ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفى مابعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وأبو عمرو وابو بكر ويعقوب فى الثانية على ان الاولى مما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم ﴿ اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا ﴾ جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة والمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ﴿ سبحانه ﴾ ينزه تنزيها ﴿ وتعالى عما يقولون علوا ﴾ تعاليا ﴿ كبيرا ﴾ متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه فى اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه

بان الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذى لانهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول ﴿ انكم لتقولون قولا عظيما ﴾ خاطب مشركى مكة يعنى باضافتهم اليه الاولاد وهى خاصة بالاجسام ثم انهم فضلوا عليه أنفسهم حيث يجعلون له مايكرهون لانفسهم يعنى البنات ولهم البنين ﴿ وله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد صرفنا فى هذا القرآن ﴾ يعنى العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد فى صرفنا للتكثير والتكرير ﴿ ليذكروا ﴾ أى ليتعظوا ويعتبروا ﴿ ومايزيدهم ﴾ أى تصريفنا وتذكيرنا ﴿ الانفورا ﴾ أى تباعدا عن الحق ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ لوكان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا ﴾ أى لطلبوا يعنى هؤلاء الآلهة ﴿ الى ذى العرش سبيلا ﴾ أى المغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لتقربوا اليه وقيل معناه لتعرفوا اليه فضله فابتغوا مايقربهم اليه والاول اصح ثم نزه نفسه فقال عز وجل ﴿ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ﴾ معنى وصفه بذلك المبالغة فى البراءة والبعد عما يصفونه به

السيئة فى حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة
فى ذلك الخصال المذكورة بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة أى ما كان من المذكور سيئا كان عندالله
وهاهنا وجه قراءة من قرأ سيئة قلت

عما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله لاتجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس باسوته (ولاتجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) مطرودا من الرحمة عن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الثمانى عشرة آية كانت فى ألواح موسى عليه السلام أولها لاتجعل مع الله الها آخر وآخرها مدحورا ولقد جعلت فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك لان التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وان بذفيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله (أفأصفاكم ربكم بالبنين) الهمزة للانكار يعنى أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) واتخذ

مرضى لا مايقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الاحكام المتقدمة ﴿ مما اوحى اليك ربك من الحكمة ﴾ التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ﴿ ولا تجعل مع الله الها آخر ﴾ كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لاقصدله بطل عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ماهو غاية الشرك فى الدنيا وثانيا ماهو نتيجته فى العقبى فقال تعالى ﴿ فتلقى فى جهنم ملوما ﴾ تلوم نفسك ﴿ مدحورا ﴾ مبعدا من رحمة الله تعالى ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين ﴾ خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى أفخصكم ربكم بأفضل الاولاد وهم البنون ﴿ واتخذ من الملائكة اناثا ﴾

قيل سيئة مع قوله مكروها قلت قيل فيه تقديم وتأخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئة عند ربك وقوله مكروها على التكرير لا على الصفة أى كل ذلك كان سيئة وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما تقدم من الاوامر والنواهى فى هذه الآيات ﴿ مما أوحى اليك ربك من الحكمة ﴾ أى ان الاحكام المذكورة فى هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية فى جميع الاديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر بالتوحيد وأنواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة وذلك من الحكمة قيل ان هذه الآيات كانت فى ألواح موسى عليه السلام أولها ولا تجعل مع الله الها آخر قال الله سبحانه وتعالى وكتبناله فى الالواح من كل شئ موعظة واعلم ان الله سبحانه وتعالى افتتح هذه الآيات بالامر بالتوحيد والنهى عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على أن كل قول وعمل يجب أن يكون فيه التوحيد لانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شئ ثم انه سبحانه وتعالى ذكر فى الآية الاولى ان الشرك يجب أن يكون صاحبه مذموما مخذولا وقال فى هذه الآية ﴿ ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا ﴾ والفرق بين المذموم والملوم اما كونه مذموما فمعناه أن يذكر له ان الفعل الذى أقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذى حملك عليه وهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحور ان المخذول هو الضعيف الذى لا ناصر له والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أفأصفاكم ربكم ﴾ يعنى أفخصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ماليس بصفوة ﴿ بالبنين ﴾ يعنى اختصكم بافضل الاولاد وهم البنون ﴿ واتخذ من الملائكة اناثا ﴾ لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم

ربك مقدم ومؤخر (ذلك) الذى أمرتك (مما أوحى

اليك) أمرك (ربك من الحكمة) فى القرآن (ولا تجعل) لاتقل (مع الله الها آخر فتلقى) فتطرح (فى جهنم ملوما) تلومك نفسك
(مدحورا) مقصيا من كل خير (أفأصفاكم) اختاركم (ربكم بالبنين) بالذكور (واتخذ) لنفسه (من الملائكة اناثا) البنات

عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير فى عنه لمصدر لاتقف أو لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسئل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل ومايقوم مقامه لايتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية ❁ وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ﴿ ولاتمش فى الارض مرحا ﴾ أى ذا مرح وهو الاختيال ❁ وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت ﴿ انك لن تخرق الارض ﴾ لن تجعل فيها خرقا لشدة وطئتك ﴿ ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهى بان الاختيال حماقة مجردة لاتعود بجدوى ليس فى التذلل ﴿ كل ذلك ﴾ اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى لاتجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها المكتوبة فى الواح موسى عليه السلام ﴿ كان سيئه ﴾ يعنى المنهى عنه فان المذكورة مأمورات ومنهيات ❁ وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى مانهى عنه خاصة وعلى هذا قوله ﴿ عند ربك مكروها ﴾ بدل من سيئة أو صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا ❁ وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى كان أو فى الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل

وقيل يسئل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الاشارة فى أولئك الى الاعضاء وعلى القول الاول ترجع الى أربابها ❁ عن شكل بن حميد قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يانبى الله علمنى تعويذا أتعوذ به قال فاخذ بيدى ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر فؤادى وشر لسانى وشر قلبى وشر منيي قال فحفظتها أخرجه أبوداود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب ❁ قوله وشر منيي يعنى ماءه وذكره ❁ قوله عزوجل ﴿ ولاتمش فى الارض مرحا ﴾ أى بطرا وكبرا وخيلاء ﴿ انك لن تخرق الارض ﴾ أى لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها ﴿ وان تبلغ الجبال طولا ﴾ أى لاتقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لاينال بكبره وبطره شيأ كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لايحصل على شئ وقيل ان الذى يمشى مختالا يمشى مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا ان مشيت على صدور قدميك ❁ عن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب أخرجه الترمذى فى الشمائل ❁ قوله تكفؤا التكفؤ التمايل فى المشى الى قدام ❁ وقوله كأنما ينحط من صبب هو قريب من التكفؤ أى كأنه ينحدر من موضع عال ❁ عن أبى هريرة قال مارأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه ومارأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث أخرجه الترمذى ❁ قوله لغير مكترث أى شاق والاكتراث الامر الذى يشق على الانسان ﴿ كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ﴾ أى ماذكره من الامور التى نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف

الى غيرها كقوله ...

... بالفاعلية أى كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب فى غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت مالم يحل لك سماعه ولم نظرت الى مالم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على مالم يحل لك العزم عليه كذا فى الكشاف وفيه نظر لبعضهم لان الجار والمجرور انما تقوم مقام الفاعل اذا تأخرا عن الفعل فاما اذا تقدما فلا (ولاتمش فى الارض مرحا) هو حال اى ذا مرح (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئتك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو ... بالمختال أو لن تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل أو المفعول (كل ذلك كان سيئة) كوفى وشامى على اضافة سئ الى ضمير كل سيئة غيرهم (عند ربك مكروها) ذكر مكروها

(ولاتمش فى الارض مرحا) بالتكبر والخيلاء (انك لن تخرق الارض) تجاوز الارض بخيلائك (ولن تبلغ الجبال طولا أو لن تحاذى الجبال (كل ذلك) كل ماذكرته (كان سيئة) سيئا (عند ربك مكروها) عند (قيل)

وامر الله تعالى ونواهيه (ان العهد كان مسؤلا) مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به أو ان صاحب العهد كان مسؤلا (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس) بكسر القاف حمزة وعلى وحفص وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو القرسطون [illegible] القبان (المستقيم) المعتدل (ذلك خير) في الدنيا (وأحسن تأويلا) عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا تتبع ما لم تعلم أي لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت وعن ابن الحنفية لا تشهد بالزور وعن ابن عباس لا ترم أحدا بما تعلم ولا يصح التثبت به لمبطل الاجتهاد لان ذلك نوع من العلم فان علمتموهن مؤمنات وأقام الشارع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كما في الشهادات ولنافي العمل بخبر الواحد لما ذكرنا (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) أولئك اشارة الى السمع

﴿ان العهد كان مسؤلا﴾ مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به أو مسؤلا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه لم نكثت او يسئل العهد تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة بأي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا ﴿وأوفوا الكيل اذا كلتم﴾ ولا تبخسوا فيه ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ﴿ذلك خير واحسن تاويلا﴾ واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ﴿ولا تقف﴾ ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف أثره اذا قفاه ومنه القافة ﴿ما ليس لك به علم﴾ ما لم يتعلق به علمك تقليدا أو رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا أو ظنا واستعماله لهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت

ولا ارمي البرئ بغير ذنب ۞ ولا اقفو الحواصن ان قفينا

﴿ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك﴾ أي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا أو ان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلتين جاء لغيرهم كقوله

والعيش بعد اولئك الايام

﴿كان عنه مسؤلا﴾ في ثلاثتها ضمير كل أي كان كل واحد منها مسؤلا

أي الاتيان بما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه وقيل أراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه ﴿ان العهد كان مسؤلا﴾ أي عنه وقيل مطلوبا وقيل العهد يسئل فيقال فيم نقضت كالموؤدة تسئل فيم قتلت ۞ قوله عز وجل ﴿وأوفوا الكيل اذا كلتم﴾ المراد منه اتمام الكيل ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ قيل هو الميزان صغيرا كان أو كبيرا من ميزان الدراهم الى ما هو أكبر منه وقيل هو القبان قيل هو رومي وقيل سرياني والاصح أنه عربي مأخوذ من القسط وهو العدل أي وزنوا بالعدل المستقيم واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاوضات والبيع والشراء فالشارع بالغ في المنع من التطفيف والنقصان سعيا في ابقاء الاموال على أربابها ﴿ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ أي أحسن عاقبة من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه أمره ۞ قوله سبحانه وتعالى ﴿ولا تقف﴾ أي ولا تتبع ﴿ما ليس لك به علم﴾ أي لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل معناه لا ترم أحدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الامور ويتتبعها ويتعرفها والمراد انه لا يتكلم في أحد بالظن ﴿ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا﴾ معناه يسئل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده

بينكم وبين الناس (ان العهد) ناقض العهد (كان مسؤلا) من نقضه يوم القيامة (وأوفوا) أتموا (الكيل اذا كلتم) الغير (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بميزان العدل (ذلك) الوفاء بالكيل والوزن [illegible] (خير) من النقص والبخس (وأحسن تأويلا) عاقبة (ولا تقف) ولا تقل (ما ليس لك به علم) فتقول علمت ولم تعلم ورأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع (ان السمع) ما تسمعون (والبصر) ما تبصرون (والفؤاد) ما تتمنون (كل أولئك) من كل ذلك (كان عنه مسؤلا) يوم القيامة

مايبيح الدم (ومن قتل مظلوما) غيرمرتكب مايبيح الدم (فقد جعلنا لوليه سلطانا) تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه (فلايسرف فى القتل) الضمير للولى أى فلايقتل غيرالقاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية أوالاسراف المثلة والضمير للقاتل الاول فلاتسرف خطاب الولى أوقاتل المظلوم (انه كان منصورا) الضمير للولى أى حسبه ان الله قد نصره بان أوجب له القصص فلا يستزد على ذلك أوللمظلوم أى الله ... بقتله وينصره فى الآخرة بالثواب أوللذى يقتله لولى بغيرحق ويسرف فى قتله فانه كان منصورا بايجاب القصاص على المسرف وظاهر الآية يدل على ان القصاص يجرى بين الحر والعبد وبين المسلم والذمى لان أنفس أهل الذمة والعبيد داخلة فى الآية لكونها محرمة (ولاتقربوامال اليتيم الابالتى هى أحسن) بالخصلة ...) أوالقود أوالارتداد (ومن قتل مظلوما) بالتعمد (فقد جعلنا لولى المقتول (سلطانا) عذرا وحجة على القاتل إن شاءقتله وان شاء عفا عنه وان شاء أخذ الدية (فلاتسرف فى القتل) ان قتلت قاتل وليك ويقال لاتقتل غيرالقاتل حمية ان قرأت بالجزم ويقال لاتقتل لقتل نفس واحدة عشرة (اى) (انه كان منصورا) يقتل ولايعفى (ولاتقربوامال اليتيم الابالتى هى أحسن) بالارباح والحفظ (حتى يبلغ أشده) خمس عشرة سنة أوثمان عشرة سنة (وأوفوا بالعهد) أتموا العهد بالله فيما

كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ﴿ ومن قتل مظلوما ﴾ غير مستوجب للقتل ﴿ فقد جعلنا لوليه ﴾ للذى يلى امره بعد وفاته وهوالوارث ﴿ سلطانا ﴾ تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه أوبالقصاص على القاتل فان قوله تعالى مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوان فان الخطأ لايسمى ظلما ﴿ فلايسرف ﴾ أى القاتل ﴿ فى القتل ﴾ بان يقتل من لايستحق قتله فان العاقل لايفعل مايعود عليه بالهلاك أوالولى بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابى فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائى فلاتسرف على خطاب احدهما ﴿ انه كان منصورا ﴾ علة النهى على الاستئناف والضمير اماللمقتول فانه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الآخرة بالثواب واماللولى فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واماللذى يقتله الولى اسرافا بايجاب القصاص أوالتعزير والوزر على المسرف ﴿ ولاتقربوا مال اليتيم ﴾ فضلا عن ان تتصرفوا فيه ﴿ الابالتى هى احسن ﴾ الابالطريقة التى هى احسن بان يتميه أويثمره ﴿ حتى يبلغ اشده ﴾ غاية لجواز التصرف الذى دل عليه الاستثناء ﴿ واوفوا بالعهد ﴾ بماعاهدكم الله من تكاليفه أوماعاهدتموه وغيره

مسلم يشهد أن لا اله الاالله وأنى رسول الله الاباحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة أخرجاه فى الصحيحين ﴿ ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ﴾ أى قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو أنه يتخير فان شاء استقاد منه وان شاء أخذ الدية وان شاء عفا ﴿ فلايسرف فى القتل ﴾ أى الولى قال ابن عباس لايقتل غيرالقاتل وذلك انهم كانوا فى الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لايرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه وقيل معناه اذا كان القتيل واحدا فلايقتل به جماعة بل واحد بواحد وكان أهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا فلايرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقيل معناه أنه لايمثل بالقاتل ﴿ انه كان منصورا ﴾ قيل الضمير راجع للمقتول ظلما يعنى أنه منصور فى الدنيا بايجاب القود على قاتله وفى الآخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع الى ولى المقتول معناه انه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه أوالدية وقيل فى قوله فلايسرف فى القتل أراد به القاتل المتعدى بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولى القتيل منصور من قبل عليه باستيفاء القصاص منه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولاتقربوا مال اليتيم الابالتى هى أحسن ﴾ أى بالطريقة التى هى أحسن وهى تنميته وحفظه عليه ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ وهو بلوغ النكاح والمراد ببلوغ الاشد كمال عقله ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله والا لم ينفك عنه الحجر ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾

فلالوم عليك (انه كان بعباده خبيرا) بمصالحهم فيمضيها (بصيرا) بحوائجهم فيقضيها (ولا تقتلوا أولادكم) قتلهم أولادهم وأدهم بناتهم (خشية املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم) نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) اثما عظيما يقال خطئ خطأ كأثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر خطاء بالمد والكسر مكى (ولا تقربوا الزنا) القصر فيه أكثر والمد لغة وقد قرئ به وهو نهى عن دواعى الزنا كالمس والقبلة ونحوهما ولو أريد النهى عن نفس الزنا لقال ولا تزنوا (انه كان فاحشة) معصية مجاوزة حد الشرع والعقل (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) أى بارتكاب

لبالغة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك ﴿ انه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا أو انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ﴾ مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال ﴿ نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ﴾ ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة فيه او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ فى قوله

تخاطأه القناص حتى وجدته * وخرطومه فى منقع الماء راسب

وهو مبنى عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾ بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا عن ان تباشروه ﴿ انه كان فاحشة ﴾ فعلة ظاهرة القبح زائدته ﴿ وساء سبيلا ﴾ وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدى الى قطع الانساب وتهييج الفتن ﴿ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ﴾ الا باحدى ثلاث

﴿ انه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ يعنى أنه سبحانه وتعالى عالم باحوال جميع عباده ومصالحهم فالتفاوت فى أرزاق العباد ليس لاجل البخل بل لاجل رعاية مصالح العباد ✻ قوله عز وجل ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ﴾ أى فاقة وفقر ﴿ نحن نرزقهم واياكم ﴾ وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة أو يخافون عليهم من النهب والغارات أو أن ينكحوهن لغير الاكفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعنى ان الارزاق بيد الله فكما أنه فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتحه على النساء ﴿ ان قتلهم كان خطأ كبيرا ﴾ أى اثما كبيرا ﴿ ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ﴾ أى قبيحة زائدة على حد القبح ﴿ وساء سبيلا ﴾ أى بئس طريقا طريقه وهو ان تغصب امرأة غيرك أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذى شرعه الله تعالى قيل ان الزنا يشتمل على أنواع من المفاسد منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم أحد بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم ✻ قوله عز وجل ﴿ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ﴾ الاصل فى القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التى يحصل فيها حل القتل وهى الاسباب العرضية فقال الا بالحق أى الا باحدى ثلاث كما روى عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ

على من يشاء من عباده وهو نظر منه (انه كان بعباده) بصلاح عباده (خبيرا بصيرا) بالبسط والتقتير (ولا تقتلوا أولادكم) نزلت هذه الآية فى خزاعة كانوا يدفنون بناتهم احياء فنهاهم الله عن ذلك وقال ولا تقتلوا أولادكم لا تدفنوا بناتكم أحياء (خشية املاق) مخافة الذل والفقر (نحن نرزقهم) يعنى بناتكم (واياكم ان قتلهم) دفنهم أحياء (كان خطأ كبيرا) ذنبا عظيما فى العقوبة (ولا تقربوا الزنا) سرا وعلانية (انه كان فاحشة) معصية ذنبا (وساء سبيلا) بئس مسلكا (ولا تقتلوا النفس) المؤمنة (التى حرم الله) قتلها (الا بالحق) بالرجم

وايا كم من فضله على انه دعاء لهم بيسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذاميسور وهو اليسر أي دعاء فيه يسر وابتغاء مفعول له أو مصدر في موضع الحال وترجوها حال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) كل نصب على المصدر لاضافته اليه وهذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول الفقير أعطى فلانا وحرمني ويقول الغني مايحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على مافعلت (محسورا) منقطعا بك لاشئ عندك من حسره السفر اذا أثر فيه أثرا بليغا أو عاريا من حسر رأسه وقد خاطرت مسلمة ضرتها اليهودية في أنه يعني محمدا عليه السلام أجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذي عليه فدفعه وقعد عريانا فأقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان بسط الارزاق وقدرها مفوض الى الله تعالى فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فليس البسط اليك (ويقدر) أي هو يضيق

(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) يقول لا تمسك يدك عن النفقة والعطية بمنزلة المغلولة يده الى عنقه (ولا تبسطها) في العطية والنفقة (كل البسط) في السرف يقول لا تعط جميع ماهو لك لمسكين واحد أو قرابة واحدة وتترك الآخرين (فتقعد) فتبقى (ملوما) يلومك الناس يعني الفقراء والقرابة (محسورا) منقطعا عنك القرابة والمساكين ذاهب الذي لك من المال ويقال نزلت هذه الآية في امرأة استكست قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاها النبي صلى الله عليه وسلم قميصه وجلس عاريا فنهاه الله عن ذلك وقال له ولا تبسطها كل البسط في السرف حتى تنزع ثوبك فتقعد ملوما يلومك الناس محسورا عاريا لا تقدر أن تخرج من العرى (ان ربك) يا محمد (يبسط الرزق) يوسع المال (لمن يشاء) على من يشاء من عباده وهو نظر منه (ويقدر) يقتر

رحمة الله برجتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغنانا الله تعالى ورزقنا الله وايا كم ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم ﴿فتقعد ملوما﴾ فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير ﴿محسورا﴾ نادما أو منقطعا بك لاشئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر رضى الله تعالى عنه بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس أتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل صلى الله تعالى عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ﴿ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة

وقيل هو أن يقول رزقنا الله وايا كم من فضله * قوله سبحانه وتعالى ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك﴾ قال جابر أتى صبي فقال يا رسول الله ان أمي تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد الينا وقتا آخر فعاد الى أمه فقالت قل له ان أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أي لا تمسك يدك عن النفقة في الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها ﴿ولا تبسطها﴾ أي بالعطاء ﴿كل البسط﴾ أي فتعطى جميع ما عندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير ﴿فتقعد ملوما﴾ أي عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وقيل ملوما عند نفسك وأصحابك ايضا يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل يلومك سائلوك على الامساك اذا لم تعطهم ﴿محسورا﴾ أي منقطعا لاشئ عندك تنفقه وقيل محسورا أي نادما على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان بك عليه ولا لبخل منه عليك فقال تعالى ﴿ان ربك يبسط﴾ أي يوسع ﴿الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد

(ولاتبذر تبذيرا) ولا تسرف اسرافا قيل التبذير تفريق المال في غير الحل والمحل فعن مجاهد لو أنفق مدافى باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لاخير في السرف فقال لاسرف في الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لاشر من الشيطان أوهم اخوانهم وأصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما أمروهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغي أن يطاع فانه لايدعو الا الى مثل فعله (واما تعرضن عنهم) وان أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) أي وان أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله

ولاتبذر تبذيرا ﴾ بصرف المال فيما لاينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ماهذا السرف قال أوفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ﴿ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ﴾ امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر أو اصدقاءهم واتباعهم لانهم كانوا يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روى انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات ﴿ وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ مبالغا في الكفر به فينبغي ان لايطاع ﴿ واما تعرضن عنهم ﴾ وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لاينفعهم على سبيل الكناية ﴿ ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ﴾ لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه أو منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله تعالى ﴿ فقل لهم قولا ميسورا ﴾ أي فقل لهم قولا لينا ابتغاء

وقيل انه خطاب للكل وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة أن يؤتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم وهو مذهب أبي حنيفة وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه لاتلزم النفقة الا للوالد على ولده او ولد على والديه فحسب وقيل أراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل ﴿ ولاتبذر تبذيرا ﴾ أي لاتنفق مالك في المعصية وقيل لو أنفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق درهما أو مدا في باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه وقيل هو انفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم أنفق نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لاخير في السرف فقال لاسرف في الخير ﴿ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ﴾ يعني أولياءهم وأصدقاءهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف وقيل امثالهم في الشر وهذا غاية المذمة لانه لاأشر من الشياطين والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو اخوهم ﴿ وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ أي جحودا للنعمة فما ينبغي أن يطاع لانه يدعو الى مثل عمله * قوله عز وجل ﴿ واما تعرضن عنهم ﴾ نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين مايحتاجون اليه ولايجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت هذه الآية والمعنى وان تعرض عن هؤلاء الذين امرت أن تؤتيهم ﴿ ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ﴾ أي انتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك ﴿ فقل لهم قولا ميسورا ﴾ أي لينا جميلا أي عدهم وعدا طيبا تطيب به قلوبهم

(ولاتبذر تبذيرا) لاتنفق مالك في غير حق الله وان كان دانقا ويقال في غير طاعة الله (ان المبذرين) المنفقين أموالهم في غير حق الله وان كان دانقا (كانوا اخوان الشياطين) اعوان الشياطين (وكان الشيطان لربه كفورا) لربه كافرا (قاوخا ٥ بع) (واما تعرضن عنهم) عن [illegible] حياء ورحمة (ابتغاء رحمة) انتظار رحمة (من ربك ترجوها) ان تأتيك ويقال قدوم مال غائب عنك (فقل لهم قولا ميسورا) فعدهم عدة حسنة أي سأعطيكم

تريد موتهما ﴿ ربكم أعلم بما فى نفوسكم ﴾ من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ﴿ ان تكونوا صالحين ﴾ قاصدين للصلاح ﴿ فانه كان للاوابين ﴾ للتوابين ﴿ غفورا ﴾ مافرط منهم عند حرج الصدر من اذية أو تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجانى على ابويه التائب من جنايته اندراجا اوليا لوروده على اثره ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذى القربى اقارب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ والمسكين وابن السبيل

فيشتريه فيعتقه (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه فى الجهاد فقال أحى والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد ✻ وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين أخرجه الترمذى مرفوعا وموقوفا قال وهو أصح ✻ عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فضيع ذلك الباب أو احفظه اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح (م) عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله تعالى ✻ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ربكم أعلم بما فى نفوسكم ﴾ أى من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما ﴿ ان تكونوا صالحين ﴾ أى أبرار مطيعين قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم فى القيام بما لزمكم من حق الوالدين أو غيرهما أو قيل فرط منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر ومالا يخلو منه البشر مما يؤدى الى أذاهما ثم أبتم الى الله واستغفرتم مما فرط منكم ﴿ فانه كان للاوابين ﴾ للتوابين ﴿ غفورا ﴾ قال سعيد بن جبير فى هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى أبويه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ بها وقال سعيد بن المسيب الاواب الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاع الى الخير وقال ابن عباس الاواب الرجاع الى الله فيما يحزنه وينوبه وعنه انهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ماروى عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الأوابين اذا رمضت الفصال أخرجه مسلم قوله اذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وأن تحمى الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة احراقه اخفافها والفصال جمع فصيل وهى أولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذى يصلى بين المغرب والعشاء يدل عليه ماروى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الاوابين ✻ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ﴾ قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أمره الله سبحانه وتعالى أن يؤتى أقاربه حقوقهم

(وقيل)

والكرامة فى خدمتهما (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدى الى أذاهما ثم أبتم الى الله واستغفرتم منها (فانه كان للاوابين غفورا) الاواب الذى اذا أذنب بادر الى التوبة فجاز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجانى على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وآت ذا القربى) منك (حقه) أى النفقة اذا كانوا محارم فقراء (والمسكين وابن السبيل) أى وآت هؤلاء حقهم من الزكاة

عاجلا فى الصغر (ربكم أعلم بما فى نفوسكم) بما فى قلوبكم من البر والكرامة بالوالدين (ان تكونوا صالحين) بارين بالوالدين (فانه كان للاوابين) للراجعين من الذنوب (غفورا) متجاوزا نزلت هذه الآية فى سعد بن أبى وقاص (وآت ذا القربى حقه) أعط ذا القرابة حقه يقول أمر بصلة القرابة (والمسكين) أمر بالاحسان الى المسكين (وابن السبيل) أمر باكرام الضيف النازل به حقه [illegible]

يه فهو مأمور بان يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما اذا أضجره مايستقذر منهما أف فضلا عما يزيد عليه لقد بالغ سبحانه فى التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر فى مراعاتهما حتى لم يرخص أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع الضجر ومع احوال لا يكاد

يصبر الانسان معها (واخفض لهما جناح الذل) أى اخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل كما أضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان أفقر خلق الله اليهما بالامس وقال الزجاج وألن جانبك متذللا لهما من مبالغتك فى الرحمة لهما (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) ولا تكتف برحمتك عليهما التى لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك فى صغرك وتربيتهما لك والمراد بالخطاب غيره عليه السلام والدعاء مختص بالابوين المسلمين وقيل اذا كانا كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية وعن النبى صلى الله عليه وسلم رضا الله فى رضا الوالدين [illegible]

[illegible] او ماشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ماشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وعنه عليه السلام [illegible] عنه يوجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان [illegible]

﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد فى قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة ٭ اذ اصبحت بيد الشمال زمامها

للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضه مبالغة أو اراد جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول ﴿من الرحمة﴾ من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما بالامس ﴿وقل رب ارحمهما﴾ وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما ﴿كما ربيانى صغيرا﴾ رحمة مثل رحمتهما على وتربيتهما وارشادهما لى فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ابوى بلغا من الكبر انى الى منهما ماوليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت

عزوجل ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ أى ألن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع عن شئ أحباه ﴿من الرحمة﴾ أى من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت فى حال الصغر والضعف مفتقرا اليهما ٭ الخامس قوله سبحانه وتعالى ﴿وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾ أى وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية وأراد به اذا كانا مسلمين فاما اذا كانا كافرين فان الدعاء منسوخ فى حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بأن يهديهما الله الى الاسلام فاذا هداهما فقد رحمهما وقيل فى معنى هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى بالغ فى الوصية بهما حيث افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى أدنى كلمة تسوءهما وان يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما

فصل

فى ذكر الاحاديث التى وردت فى بر الوالدين (ق) عن أبى هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى قال أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك فأدناك (م) عنه قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يارسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزى ولد والده الا أن يجده مملوكا

(واخفض لهما جناح الذل) الين جانبك لهما (من الرحمة) كن رحيما عليهما (وقل رب ارحمهما) ان كانا مسلمين (كما ربيانى صغيرا)

أوبان لاتعبدو (وبالوالدين احسانا) وأحسنوابالوالدين احسانا أوبان تحسنوابالوالدين احسانا (اما يبلغن عندك الكبر

زيدت عليها ماتأكيدا انها ولذادخلت النون المؤكد

وبالوالدين احسانا ﴾ وبان تحسنوا أو واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولايجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لاتتقدم عليه ﴿ اما يبلغن عندك الكبراحدهما أوكلاهما ﴾ اماهى ان الشرطية زيدت عليهاما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن أوبدل على قراءة حمزة والكسائى من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا أوبدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا فى كنفه وكفالته ﴿ فلاتقل لهماأف ﴾ فلاتضجر ممايستقذر منهما ولاتستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل هواسم الفعل الذى هو اتضجر وهومبنى على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه فى قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرىء به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغيرمنون والنهى عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لايملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو فى صف المشركين نهى عمايؤذيهما بعدالامر بالاحسان بهما ﴿ ولاتنهرهما ﴾ ولا تزجرهما عمالايعجبك باغلاظ وقيل النهى والنهر والنهم اخوات ﴿ وقل لهما ﴾ بدل التأفيف والنهر ﴿ قولا كريما ﴾ جميلا لاشراسة فيه

وهذا هوالحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لاتليق الا بمن له الانعام والافضال على عباده ولامنعم الاالله فكان هو المستحق للعبادة لاغيره ﴿ وبالوالدين احسانا ﴾ أى وأمر بالوالدين احسانا أى برابهما وعطفا عليهما واحسانا اليهما ﴿ امايبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ﴾ معناه انهما يبلغان الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك فى آخر العمر كما كنت عندهما فى أول العمر ، واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الانسان فى حق الوالدين خمسة أشياء ﴿ الاول قوله تعالى ﴿ فلاتقل لهما أف ﴾ وهى كلمة تضجر وكراهية وقيل ان أصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب أو رماد ونفخت فيه تزيله تقول أف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة الى كل مكروه يصل اليهم ﴿ والثانى قوله ﴿ ولاتنهرهما ﴾ أى تزجرهما عمايتعاطيانه ممالايعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى ، فان قلت المنع من التأفيف أبلغ من المنع من الانتهار فما وجه الجمع ، قلت المراد من قوله ولاتقل لهما أف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولاتنهرهما المنع من اظهار المخالفة فى القول على سبيل الرد عليهما ﴿ الثالث قوله ﴿ وقل لهما قولا كريما ﴾ أى حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما وقيل هو ياأماه ياأبتاه وقيل لايكنيهما وقيل هو أن يقول لهما كقول العبدالذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ ﴿ الرابع قوله

من ألف الضمير الراجع الى الوالدين (أوكلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبدلا (فلاتقل لهماأف) مدنى وحفص أف مكى وشامى أف غيرهم وهو صوت يدل على التضجر فالكسر على أصل التقاء الساكنين والفتح تخفيف والتنوين لارادة التنكير أى أتضجر تضجرا

ولاتزجرهما عمايتعاطيانه ممالايعجبك والنهى والنهر اخوان (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب أوهو أن يقول ياأبتاه ياأماه ولايدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء ولابأس به فى غير وجهه كما قالت عائشة رضى الله عنها نحلنى أبوبكر كذا وفائدة عندك انهما اذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده فى بيته وكنفه وذلك أشق

(وبالوالدين احسانا) برابهما (امايبلغن عندك الكبرأحدهما) أحدالابوين (أوكلاهما) كلاالابوين (عز وجل)
(فلاتقل لهما أف) كلامارديئا ولاتقذرهما (ولاتنهرهما) ولاتغلظ لهمافى الكلام (وقل لهما قولا كريما) ليناحسنا

العطاء اسم للمعطى أى نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لانقطاعه فنرزق المطيع والعاصى جميعا على جه التفضل (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده وان عصوا (انظر) بعين الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى المال والجاه والسعد والكمال (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) روى ان قوما من الاشراف فمن دونهم جمعوا بباب عمر رضى الله عنه فخرج الآذن لبلال وصهيب فشق على أبى سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أتينا من قبل انهم دعوا ودعينا يعنى الى الاسلام فاسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت فى الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم فى الجنة أكثر (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته (فتقعد مذموما مخذولا) فتصير جامعا على نفسك الذم والخذلان وقيل مشتوما بالاهانة محروما عن الاعانة اذ الخذلان ضد النصر والعون دليله قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر (وقضى ربك) وأمر أمرا مقطوعا به (ألا تعبدوا الا اياه) أن مفسرة ولا تعبدوا نهى

﴿ وما كان عطاء ربك محظورا ﴾ ممنوعا لا يمنعه فى الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ﴾ فى الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال ﴿ وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ﴾ اى التفاوت فى الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها ﴿ لا تجعل مع الله الها آخر ﴾ الخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته أو لكل احد ﴿ فتقعد ﴾ فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة أو فتعجز من قولهم قعد عن الشئ اذا عجز عنه ﴿ مذموما مخذولا ﴾ جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا ﴿ وقضى ربك ﴾ وامر امرا مقطوعا به ﴿ ألا تعبدوا ﴾ بان لا تعبدوا ﴿ الا اياه ﴾ لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعى الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية

يعنى يرزقهما جميعا ثم يختلف الحال بهما فى المآل ﴿ وما كان عطاء ربك محظورا ﴾ أى ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء العطاء فى الدنيا اذ لا حظ للكافر فى الآخرة ﴿ انظر ﴾ يا محمد ﴿ كيف فضلنا بعضهم على بعض ﴾ أى فى الرزق والعمل يعنى طالب العاجل وطالب الآخرة ﴿ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ يعنى ان تفاضل الخلق فى درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم فى درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم فان نسبة التفاضل فى درجات الآخرة الى التفاضل فى درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان تشتد رغبته فى طلب الدنيا فلأن تقوى وتشتد رغبته فى طلب الآخرة أولى لانها دار المقامة ✻ قوله تعالى ﴿ لا تجعل مع الله الها آخر ﴾ الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الانسان مع الله الها آخر وهذا أولى ﴿ فتقعد مذموما ﴾ أى من غير حمد ﴿ مخذولا ﴾ أى بغير ناصر ✻ قوله سبحانه ﴿ وقضى ربك ﴾ أى وأمر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأوجب ربك وقيل معناه الحكم والجزم وقيل ووصى ربك وحكى عن الضحاك انه قرأها ووصى ربك وقال انهم ألصقوا الواو بالصاد فصار قافا وهى قرءة على وابن مسعود قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب ان التحريف والتغيير قد تطرق الى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان على القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم فى الدين ﴿ ألا تعبدوا الا اياه ﴾ فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره

رزق ربك (وما كان عطاء ربك) رزق ربك (محظورا) محبوسا عن البر والفاجر (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى الدنيا بالمال والخدم (وللآخرة) وفى الآخرة (أكبر درجات) فضائل للمؤمنين (وأكبر تفضيلا) فضائل للمؤمنين ثوابا فى الدرجات (لا تجعل) لا تقل (مع الله الها آخر فتقعد مذموما) ملوما تلوم نفسك (مخذولا) يخذلك معبودك (وقضى ربك) أمر ربك (ألا تعبدوا الا اياه) أن لا توحدوا الا بالله تعالى

(من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء) لامايشاء (لمن نريد) بدل من له باعادة الجار وهو بدل البعض من الكل اذ الضمير يرجع الى من أي من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة تفضلنا عليه من منافعها مانشاء لمن نريد فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون مايتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار غنى الآخرة فان أوتي حظا من الدنيا فبها والا فربما كان الفقر خيرا له (ثم جعلنا له جهنم) في الآخرة (يصلاها) يدخلها (مذموما)

ممقوتا (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) هو مفعول به أو حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة (وهو مؤمن) مصدق لله في وعده ووعيده (فأولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله مثابا عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا الآية فانه شرط فيها ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة والسعي فيما كلف والايمان الثابت (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين عوض عن المضاف اليه وهو منصوب بقوله (نمد هؤلاء) بدل من كلا أي نمد هؤلاء (وهؤلاء) أي من أراد العاجلة ومن أراد الآخرة (من عطاء ربك) رزقه ومن تتعلق بنمد

عليها وتقديم الخبير لتقدم تعلقه ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ مقصورا عليها همه ﴿ عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ﴾ قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لايجد كل متمن ماتمناه ولا كل واحد جميع مايهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ مايشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله تعالى به ذلك وقيل الآية في المنافقين وكانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ﴿ ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ﴾ مطرودا من رحمة الله تعالى ﴿ ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها ﴾ حقها من السعي وهو الاتيان بما أمر به والانتهاء عما نهي عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص ﴿ وهو مؤمن ﴾ ايمانا صحيحا لاشرك معه ولا تكذيب فانه العمدة ﴿ فأولئك ﴾ الجامعون للشروط الثلاثة ﴿ كان سعيهم مشكورا ﴾ من الله تعالى أي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة ﴿ كلا ﴾ كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه ﴿ نمد ﴾ بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفة مددا السالفة ﴿ هؤلاء وهؤلاء ﴾ بدل من كلا ﴿ من عطاء ربك ﴾ من معطاه متعلق بنمد

من أحوال الخلق * قوله عز وجل ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ أي الدار العاجلة يعني الدنيا ﴿ عجلنا له فيها مانشاء ﴾ أي من البسط والتقتير ﴿ لمن نريد ﴾ ان نفعل به ذلك أو اهلاكه وقيل في معنى الآية عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد أي القدر الذي نشاء نعجله له في الدنيا لا الذي يشاءه هو ولمن نريد أن نعجل له شيأ قدرناه له وهذا ذم من أراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها وبيان ان من أرادها لايدرك منها الا ماقدر له ﴿ ثم جعلنا له ﴾ أي في الآخرة ﴿ جهنم يصلاها ﴾ أي يدخلها ﴿ مذموما مدحورا ﴾ أي مطرودا مباعدا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ﴾ أي عمل لها عملها ﴿ وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ أي مقبولا قيل في الآية ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة عمله بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية * قوله عز وجل ﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء ﴾ أي نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة ﴿ من عطاء ربك ﴾

(من كان يريد العاجلة) يعني الدنيا باداء ماافترض الله عليه (عجلنا له فيها) أعطيناه في الدنيا (مانشاء) أن نعطيه (لمن نريد) أن نهلكه في الآخرة (ثم جعلنا له جهنم) أوجبنا له (يصلاها) (يعني) يدخلها (مذموما مدحورا) مقصيا من ثواب كل خير نزلت هذه الآية في مرثد بن ثمامة (ومن أراد الآخرة) يعني الجنة باداء ماافترض الله عليه (وسعى لها سعيها) عمل للجنة عملها (وهو مؤمن) مع ذلك مؤمن مخلص بايمانه (فأولئك كان سعيهم) عملهم (مشكورا) مقبولا نزلت هذه الآية في بلال المؤذن (كلا نمد) نعطي بالرزق (هؤلاء) أهل الطاعة (وهؤلاء) أهل المعصية يمدون (من عطاء ربك)

متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ماقبله ومابعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد فى العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ﴿ ففسقوا فيها ﴾ كقولك امرته فقرأ فانه لايفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه أو التسبب له بان صب عليهم من النعم ماابطرهم وافضى بهم الى الفسق ويحتمل ان لايكون له مفعول منوى كقولهم امرته فعصانى وقيل معناه كثرنا يقال أمرت الشئ وآمرته فامر اذا كثرته وفى الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امرنا عن ابى عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة أى جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور ﴿ فحق عليها القول ﴾ يعنى كلمة العذاب السابقة بحلوله أو بظهور معاصيهم أو بانهماكهم فى المعاصى ﴿ فدمرناها تدميرا ﴾ اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها ﴿ وكم اهلكنا ﴾ وكثيرا اهلكنا ﴿ من القرون ﴾ بيان لكم وتمييزله ﴿ من بعد نوح ﴾ كعاد وثمود ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ﴾ يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب

فى معنى الآية قولان أحدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الآية يدل على انه تعالى عما اذا أمرهم فقال أكثر المفسرين معناه انه تعالى أمرهم بالاعمال الصالحة وهى الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الامر وفسقوا والقول الثانى أمرنا مترفيها أى كثرنا فساقها يقال أمر القوم اذا كثروا وأمرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة أى كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا قوله تعالى أمرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذى أبطرته النعمة وسعة العيش ﴿ ففسقوا فيها ﴾ أى خرجوا عما أمرهم الله به من الطاعة ﴿ فحق عليها القول ﴾ أى وجب عليها العقاب ﴿ فدمرناها تدميرا ﴾ أى أهلكناها اهلاك استئصال والدمار الهلاك والخراب (ق) عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتى تليها قالت زينب قلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع فى هلكة أو أشرف أن يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث أى الشر * قوله تعالى ﴿ وكم أهلكنا من القرون ﴾ أى المكذبة ﴿ من بعد نوح ﴾ وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف الله بذلك كفار قريش قال عبد الله ابن أبى أوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول قرن ويزيد بن معاوية فى آخره وقيل القرن مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازنى ان النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم مازلنا نعده حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أربعون ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ﴾ يعنى انه عالم بجميع المعلومات راء لجميع المرئيات لايخفى عليه شئ

عمرو والزجاج (ففسقوا فيها) أى خرجوا عن الامر كقولك أمرته فعصى أو أمرنا كثرنا دليله قراءة يعقوب أمرنا ومنه الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أى كثيرة النسل (فحق عليها القول) فوجب عليها الوعيد (فدمرناها تدميرا) فاهلكناها اهلاكا (وكم) مفعول (أهلكنا من القرون) بيان لكم (من بعد نوح) يعنى عادا وثمود وغيرهما (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا) وان أخفوها فى الصدور (بصيرا) وان أرخوا عليها الستور

جبابرتها ورؤساءها بالطاعة ان قرأت بنصب الالف مخففا ويقال كثرنا رؤساءها وجبابرتها وأغنياءها ان قرأت بفتح الالف ممدودا ويقال سلطنا جبابرتها ورؤساءها ان قرأت بفتح الالف وتشديد الميم (ففسقوا فيها) فعملوا فيها بالمعاصى (فحق عليها القول) وجب القول عليها بالعذاب (فدمرناها تدميرا) فأهلكناها اهلاكا (وكم أهلكنا من القرون) الماضية (من بعد نوح) من بعد قوم نوح (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) بهلاكهم وان لم نبين لك ونعلم ذنوبهم وعذابهم

لهزومه قلادة أو غل فى عنق لا ينفك عنه (ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه) هو صفة لكتابا يلقاه شامى (منشورا) حال من يلقاه يعنى غير مطوى ليمكنه قراءته أوهما صفتان للكتاب ونقول له (اقرأ كتابك) أى كتاب أعمالك وكل يبعث قارئا (كفى بنفسك اليوم عليك) الباء زائدة أى كفى نفسك (حسيبا) تمييز وهو بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا أو بمعنى الكافى وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفى المدعى ما أهمه وانما ذكر حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضى والامير اذ الغالب أن يتولى هذه الامور الرجال فكأنه قيل كفى نفسك رجلا حسيبا اوتؤول النفس بالشخص (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) أى فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لاوزر نفس اخرى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وما صح منا أن نعذب قوما عذاب استئصال فى الدنيا الا بعد ان نرسل اليهم رسولا يلزمهم الحجة (واذا أردنا أن نهلك قرية) أى أهل قرية (أمرنا مترفيها) متنعميها وجبارتها بالطاعة عن أبى

لزوم الطوق فى عنقه ﴿ ونخرج له يوم القيمة كتابا ﴾ هى صحيفة عمله اونفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث فى النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول أو حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وغيره ونخرج وقرئ ويخرج أى الله تعالى عز وجل ﴿ يلقاه منشورا ﴾ لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله ٭ وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا ﴿ اقرأ كتابك ﴾ على ارادة القول ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ أى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى ما أهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال أو على تأويل النفس بالشخص ﴿ من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ﴾ لا ينجى اهتداؤه غيره ولا يردى ضلاله سواه ﴿ ولا تزروا زرة وزر اخرى ﴾ ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع ﴿ واذا اردنا ان نهلك قرية ﴾ واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق أو دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة ﴿ امرنا مترفيها ﴾

فى العنق وهو مما يزينه وان كان عمله شرا كان له كالغل فى عنقه وهو مما يشينه ويخرج له بقول تبارك وتعالى ﴿ ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا ﴾ قيل بسطت للانسان صحيفتان ووكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيآته فاذا مات طويت الصحيفتان وجعلتا معه فى عنقه فلا ينشران الى يوم القيامة ﴿ اقرأ كتابك ﴾ أى يقال له اقرأ كتابك قيل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئا ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ أى محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلنى أحاسب نفسى فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ٭ قوله سبحانه وتعالى ﴿ من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ﴾ يعنى ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب بفاعله أيضا لا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أى لا تحمل حاملة ثقل أخرى من الآثام ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد بل كل أحد مختص بذنبه ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ لاقامة الحجة وقطع العذر وفيه دليل على ان ما وجب انما وجب بالسمع لا بالعقل ٭ قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ﴾

وشره له أو عليه ويقال سعادته وشقاوته له أو عليه (ونخرج له) نظهر له (يوم القيمة كتابا يلقاه) يعطاه (منشورا) مفتوحا فيه حسناته وسيآته ويقال له (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) شهيدا بما عملت (من اهتدى) آمن (فانما يهتدى) يؤمن (لنفسه) ثواب ذلك (ومن ضل) كفر (فانما يضل) يجب (عليها) على نفسه عقوبة ذلك (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لا تحمل حاملة ذنب (فى) أخرى بطيبة النفس ولكن تحمل عليها بالقصاص ويقال لا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى ويقال لا تعذب نفس بغير ذنب (وما كنا معذبين) قوما بالهلاك (حتى نبعث) اليهم (رسولا) لاتخاذ الحجة عليهم واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها)

فى أنفسهما فتكون الاضافة فى آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود أى فمحونا الآية التى هى الليل وجعلنا الآية التى هى النهار مبصرة أو وجعلنا نيرى الليل ﴿٢٥﴾ والنهار آيتين يريد {سورة بنى اسرائيل} الشمس والقمر فمحونا آية الليل التى هى القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى الاشياء به رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوئها كل شئ (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار الى التصرف فى معايشكم (ولتعلموا) ولتعلموا باختلاف الجديدين (عدد السنين والحساب) يعنى حساب الآجال ومواسم الاعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراص المكتسبين والتجار (وكل شئ) مما تفتقرون اليه فى دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا (وكل انسان ألزمناه طائره) عمله (فى عنقه) يعنى ان عمله لازم

للناس من ابصره فبصر أو مبصرا أهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين أو جعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور أو نقص نورها شيأ فشيأ الى المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾ لتطلبوا فى بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ﴿ولتعلموا﴾ باختلافهما أو بحركاتهما ﴿عدد السنين والحساب﴾ وجنس الحساب ﴿وكل شئ﴾ تفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا ﴿فصلناه تفصيلا﴾ بيناه بيانا غير ملتبس ﴿وكل انسان ألزمناه طائره﴾ عمله وما قدر له كأنه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد ﴿فى عنقه﴾

رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزأ فجعلها مع نور الشمس وحكى ان الله أمر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور وسأل ابن الكواء عليا عن السواد الذى فى القمر فقال هو أثر المحو ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾ أى لتتصلوا ببياض النهار الى استبانة أعمالكم والتصرف فى معايشكم ﴿ولتعلموا﴾ أى باختلاف الليل والنهار ﴿عدد السنين والحساب﴾ أى ما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حساب الاوقات ولتعطلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة * واعلم ان الحساب يبنى على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار ﴿وكل شئ فصلناه تفصيلا﴾ يعنى وكل شئ تفتقرون اليه من أمر دينكم ودنياكم قد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر أحوال آيتى الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله على أهل الدنيا وكل ذلك تفضل منه فلا جرم قال وكل شئ فصلناه تفصيلا * قوله عز وجل ﴿وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه﴾ قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى أو سعيد وقيل أراد بالطائر ما قضى عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة أو شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعنى ألزمناه ما طار له من عمله لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه والعنق فى قوله فى عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا فى عنقك أى قلدتك هذا العمل وألزمتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق والغل مما يزين أو يشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة أو الحلى

الشمس مبصرة مضيئة (لتبتغوا) لكى تطلبوا (فضلا من ربكم) بطلب الدنيا والآخرة (ولتعلموا) لكى تعلموا بزيادة القمر ونقصانه (عدد السنين والحساب) حساب الايام والشهور (وكل شئ) من الحلال والحرام والامر والنهى (فصلناه تفصيلا) بيناه فى القرآن تبيينا (وكل انسان ألزمناه) (ق و خ ع بع) ألزقناه (طائره) كتابه الذى يكتبه فى القبر منكر ونكير (فى عنقه) ويقال خ

المؤمنين الذين يعملون الصالحات) ويبشر حمزة وعلى (أن لهم) بان لهم (أجرا كبيرا) أى الجنة (وأن الذين) وبأن الذ
(لايؤمنون بالآخرة اعتدنا) أى أعددنا ... (لهم عذابا اليما) يعنى النار والآية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين
حيث ذكر المؤمنين و جزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة

المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا ﴾ وقرأ حمزة والكسائى ويبشر بالتخفيف ﴿ وان الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا اليما ﴾ عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم أو على يبشر باضمار يخبر ﴿ ويدع الانسان بالشر ﴾ ويدعو الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله أو يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر ﴿ دعاءه بالخير ﴾ مثل دعائه بالخير ﴿ وكان الانسان عجولا ﴾ يسارع الى كل مايخطر بباله لاينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة رضى الله عنها فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال عليه السلام اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة الآية فاجيب له فضرب عنقه صبرا يوم بدر ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره ﴿ فمحونا آية الليل ﴾ أى الآية التى هى الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ مضيئة أو مبصرة

﴿ المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ﴾ يعنى الجنة ﴿ وأن الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾ يعنى النار فى الآخرة ﴿ ويدع الانسان ﴾ أى على نفسه وولده وماله ﴿ بالشر ﴾ يعنى قوله عند الغضب اللهم أهلكه اللهم العنه ونحو ذلك ﴿ دعاءه بالخير ﴾ أى كدعائه ربه أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لايستجيب بفضله وكرمه ﴿ وكان الانسان عجولا ﴾ أى بالدعاء على مايكره أن يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجرا لاصبر له على سراء ولا ضراء * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ أى علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفى معنى الآية قولان أحدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدنيا والدين أما فى الدين فلان كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه أقوى دليل على ان لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وأما فى الدنيا فلان مصالح العباد لاتتم الا بهما ففى الليل يحصل السكون والراحة وفى النهار يحصل التصرف فى المعاش والكسب والقول الثانى أن يكون المراد وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر ﴿ فمحونا آية الليل ﴾ أى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا مظلما لايستبان فيه شئ ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ أى تبصر فيه الاشياء

(ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير) أى ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله وولده كما يدعوله بالخير أو يطلب النفع العاجل وان قل بالضرر الآجل وان جل (وكان الانسان عجولا) يتسرع الى طلب مايقع فى قلبه ويخطر بباله لايتأنى فيه تأنى المتبصر أو أريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعنى ان العذاب آتيه لامحالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر ابن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب فضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع فى الخط على موافقة اللفظ (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) أى الليل والنهار آيتان

المؤمنين المخلصين بايمانهم (الذين يعملون الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (أن لهم أجرا كبيرا) ثوابا عظيما وافرا فى الجنة (وأن الذين لايؤمنون بالآخرة) بالبعث

بعد الموت (أعتدنا لهم عذابا أليما) وجيعا فى الآخرة (ويدعو الانسان) يعنى النضر بن الحرث (بالشر) باللعن ﴿ رؤية ﴾ والعذاب على نفسه وأهله (دعاءه بالخير) كدعائه بالعافية والرحمة (وكان الانسان) يعنى النضر (عجولا) مستعجلا بالعذاب (وجعلنا الليل والنهار آيتين) علامتين يعنى الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) ضوء آية الليل يعنى القمر (وجعلنا) تركنا (آية النهار مبصرة) يعنى

﴿ عسى ربكم ان يرحمكم ﴾ بعد المرة الاخرى ﴿ وان عدتم ﴾ نوبة اخرى ﴿ عدنا ﴾ مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم فى الدنيا ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾ محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ﴿ ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ﴾ للحالة أو الطريقة التى هى اقوم الحالات أو الطرق ﴿ ويبشر

ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد أفنى بنى اسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهى الوقعة الاخير التى أنزل الله ببنى اسرائيل فى قوله لتفسدن فى الارض مرتين فكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده والاخرى خردوش وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشأم ونواحيها الى الروم واليونانيين الا أن بقايا بنى اسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا فى نعمة الى ان بدلوا وأحدثوا الاحداث فسلط الله عليهم ططوس ابن اسبيانوس الرومى فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فالبثوا فى أمة الا وعليهم الصغار والجزية وبقى بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره وقيل فى سبب قتل يحيي عليه السلام ان ملك بنى اسرائيل كان يكرمه ويدنى مجلسه وان الملك هوى بنت امرأته وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيي تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيي وعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها الحلى وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه فان هو راودها عن نفسها ابت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا اعطاها ما سألت سألت رأس يحيى بن زكريا وأن يؤتى به فى طست ففعلت فلما راودها قالت لا أفعل حتى تعطى ما أسالك قال فما تسأليني قالت رأس يحيي بن زكريا فى هذا الطست فقال ويحك سلينى غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث فاتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم يقول لا يحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلى فامر بتراب فالقى عليه فرقى الدم يغلى فلا زال يغلى ويلقى عليه التراب وهو يغلى حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك يرقى ويغلى وسلط الله عليهم ملك بابل فخربه بيت المقدس وقتل سبعين ألفا حتى سكن دمه ۞ قوله عز وجل ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم ﴾ يعنى يا بنى اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم ﴿ وان عدتم ﴾ أى الى المعصية ﴿ عدنا ﴾ أى الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾ أى سجنا ومحبسا من الحصر الذى هو مجلس الحبس وقيل فراشا من الحصير الذى يبسط ويفترش ۞ قوله تعالى ﴿ ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ أى الى الطريقة التى هى أصوب وقيل الى الكلمة التى هى أعدل وهى شهادة أن لا اله الا الله ﴿ ويبشر ﴾ يعنى القرآن

(عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الثانية ان تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصى (وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما سلط عليهم المؤمنون الى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا يقال للسجن محصر وحصير (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) للحالة التى هى أقوم الحالات وأسدها وهى توحيد الله والايمان برسله والعمل بطاعته أو للملة أو للطريقة (ويبشر

(عسى ربكم) لعل ربكم (أن يرحمكم) بعد ذلك (وان عدتم) الى الفساد (عدنا) الى العذاب ويقال ان عدتم الى الاحسان عدنا الى الرحمة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) سجنا ومحبسا (ان هذا القرآن يهدى) يدل (للتى هى أقوم) أصوب شهادة أن لا اله الا الله ويقال أبين (ويبشر

فأتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل فرفع بهم التوراة فحبوه حبا لم يحبوه شيأ قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيي وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فزكريا مات وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين أظهرهم وقتلوا يحيي فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشأم فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤساء جنوده يقال له بيورزاذان صاحب القتل فقال له انى قد كنت حلفت بالهى لئن أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى يسيل الدم في وسط عسكرى الا أن لا أجد أحدا أقتله فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم عنه فقال يا بنى اسرائيل ما شأن هذا الدم يغلى أخبرونى خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلى ولقد قربنا القربان من ثمانمائة سنة فتقبل منا الا هذا فقال ما صدقتمونى فقالوا لو كان كاول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحى فلذلك لم يقبل منه فذبح بيورزاذان منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فأمر بسبعة آلاف من شيبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بيورزاذان ان الدم لا يهدأ قال لهم يا بنى اسرائيل ويلكم أصدقونى واصبروا على أمر ربكم فقد طالما ملكتم في الارض تفعلون ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار من ذكر ولا أنثى الا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبى كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا أطعناه كان أرشد لنا وكان يخبرنا عن أمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بيورزاذان ما كان اسمه قالوا يحيي بن زكريا قال الآن صدقتمونى لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما علم بيورزاذان أنهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلا في بنى اسرائيل ثم قال يا يحيي بن زكريا قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك ومن قتل منهم فاهدأ باذن ربك قبل أن لا أبقى من قومك أحدا الا قتلته فهدأ الدم باذن الله تعالى ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وأيقنت انه لا رب غيره وقال لبنى اسرائيل ان خردوش أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لا أستطيع ان أعصيه قالوا له افعل ما أمرت به فأمرهم فحفروا خندقا وأمرهم بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحوا حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشى فلم يظن خردوش الا أن ما في الخندق من دماء بنى اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل الى بيورزاذان أن

{ ارفع }

أولاهما بعثنا عليكم عبادالنا أولي بأس شديد يعني بختنصر وأصحابه ثم ان بختنصر أقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة اذ رأى شيأ أصابه فانساه الذي رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وكانوا من ذرارى الانبياء وسألهم عنها فقالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها فقال ما أذكرها ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لانزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذي سألهم عنه فجاؤه فقالوا رأيت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر اليه وقد أعجبك أرسل الله صخرة من السماء فدقته فهي التي أنستكها قال صدقتم فما تأويلها قالوا تأويلها انك رأيت الملوك بعضهم كان ألين ملكا وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشد ملكا والفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب احسن من الفضة وافضل ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما قبله والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته فنبي يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الامر اليه ثم ان أهل بابل قالوا لبختنصر أرأيت هؤلاء الغلمان من بني اسرائيل الذين سألناك ان تعطيناهم ففعلت فانا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رأينا نساءنا انصرفت وجوههن عنا اليهم فاخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم فقال شأنكم بهم فمن أحب منكم ان يقتل من كان في يده فليفعل فلما قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدهم الله أن يحييهم فقتلوا الا من كان منهم مع بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل ثم لما أراد الله تعالى هلاك بختنصر انبعث فقال لمن في يده من بني اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذي خربت والناس الذي قتلت منكم وما هذا البيت قالوا هو بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلائق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر وظن أنه بجبروته فعل ذلك ببني اسرائيل قال فاخبروني كيف لي أن أطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها وأتخذها الى ملكا فاني قد فرغت من أهل الارض قالوا ما تقدر عليها وما يقدر عليها احد من الخلائق قال لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت أم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليري الله العباد قدرته ونجى الله من بقي من بني اسرائيل في يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى أحيى أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد احترقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج عن الناس فبينما هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال ابكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا الذي لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره قال أفتحب أن يرد اليك قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذي وعده فجلس فيه

وأجعل اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لي وايمانا بي واخلاصا لي يصلون قياما وقعودا وركعا وسجودا ويقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد لي في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف يطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون لي الثياب على الانصاف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله على بني اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشئة بن أموص وبعث لهم ارمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون ابن عمران وذكر ابن اسحق أنه الخضر واسمه ارمياء سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضراء فبعث الله ارمياء الى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم فاوحى الله الى ارمياء ان ائت قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمي وعرفهم باحداثهم فقال ارمياء يارب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني قال الله تعالى أولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيئتي وان القلوب والالسنة بيدي أقلبها كيف شئت اني معك ولن يصل اليك شيء معي فقام ارمياء فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل واني حلفت بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله الى ارمياء اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث من أهل بابل فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم أمرهم ان يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم أربعة غلمان وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق ثلثا أقرهم بالشام وثلثا سباهم وثلثا قتلهم وذهب بآنية بيت المقدس وبالصبيان السبعين ألفا حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التي أنزل الله عز وجل ببني اسرائيل بظلمهم فذلك قوله سبحانه وتعالى فاذا جاء وعد

نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خرابا مواتا لا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار دينى والقصر شريعتى وان النهر كتابى وان القيم نبيى وان الغراس هم وان الخروب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وانى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الى بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا الى بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التى حرمتها وأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملات بدمائها يشيدون لى البيوت مساجد ويطهرون اجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويزوقون لى المساجد ويزينونها ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأى حاجة الى تشييد البيوت ولست اسكنها وأى حاجة الى تزويق المساجد ولست أدخلها انما أمرت برفعها لاذكر وأسبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب فى كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فاسألهم ما الذى يمنعنى أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسون بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربنى ويحادنى وينتهك محارمى أم كيف تزكوا عندى صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم انما آجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وانما هو قولهم بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد وانما أستجيب للداعى اللين وانما استمع قول المستضعف المستكين وان من علامة رضائى رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالتى انها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة وزعموا انهم لو شاؤا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاؤا أن يطلعوا على علم الغيب بما توحى اليهم الشياطين اطلعوا وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء أثبته وحتمته على نفسى وجعلت دونه أجلا مؤجلا لابد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه أو فى أى زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التى بها أمضيت فانى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على ان يؤلفوا ما يشاؤن فيؤلفوا مثل هذه الحكمة التى أدبر بها ذلك القضاء ان كانوا صادقين وانى قد قضيت يوم خلقت السماء والارض ان أجعل النبوة فى الاجراء وان أجعل الملك فى الرعاء والعز فى الاذلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والعلم فى الجهلة والحكمة فى الاميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا ومن أعوان هذا الامر وأنصاره ان كانوا يعلمون وانى باعث لذلك نبيا أميا ليس أعمى من عميان ولا ضالا من ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته

بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنحاريب قد أتاني خبر ربكم ونصره اياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشدا ولم يلقني في الشقوة الا قلة عقلي ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء وان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك عليه ولكنه انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلك ومن معك ولدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلت ثم ان ملك بني اسرائيل أمر أمير حرسه أن يقذف في رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يرزقهم في كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم فقال سنحاريب للملك صديقة القتل خير مما نحن فيه وما يفعل بنا فأمر بهم الى السجن فأوحى الله الى شعياء النبي ان قل لملك بني اسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ ذلك شعياء للملك ففعل وخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدم جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم واوحى الله الى نبيهم فلم تطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان امر سنحاريب تخويفا لبني اسرائيل ثم كفاهم الله تعالى ذلك تذكرة وعبرة ثم ان سنحاريب لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه بختنصر ابن ابنه فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني اسرائيل صديقة فمرج أمر بني اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعياء نبيهم معهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياء قم في قومك حتى أوحي على لسانك فلما قام أطلق الله لسانه بالوحي فقال ياسماء استمعي ويا أرض انصتي فان الله يريد ان يقص شأن بني اسرائيل الذي رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه آخر فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الحين ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه وان الحمار مما يذكر الآري الذي يشبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير واني ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف ترون في أرض كانت خرابا زمانا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فأقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب أرضه وهو قوي أو يقال ضيع وهو حكيم فأحاط جدارا وشيد فيها قصرا وأنبط فيها نهرا وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وألوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه فيما ذا رأي وهمة حفيظا قويا أمينا فلما أطلعت جاء طلعها خروبا فقالوا بئست الارض هذه فنرى أن يهدم جدارها وقصرها ويدفن

الاخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جوذرذ وقيل خردوس قيل دخل
صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا
فقال ماصدقونى فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى ماتركت منكم
احدا فقالوا انه دم يحيي عليه السلام فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيي قد علم
ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقى احدا منهم فهدأ

حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت فى ساقه فجاء شعياء
النبى اليه وقال ياملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده
بستمائة ألف راية وقد هابهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يانبى الله
هل أتاك من الله وحى فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده
فقال شعياء لم يأتنى وحى فى ذلك فبينماهم على ذلك أوحى الله الى شعياء النبى أن ائت
ملك بنى اسرائيل فمره أن يوصى وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته
فأتى شعياء ملك بنى اسرائيل وقال ان ربك قد أوحى الى أن آمرك أن توصى وصيتك
وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة
الملك أقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكى ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص
اللهم رب الارباب واله الآلهة ياقدوس يامتقدس يارحمن يارحيم يارؤف يامن
لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرنى بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى اسرائيل وذلك
كله كان منك وأنت أعلم به من سرى وعلانيتى لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا
فأوحى الله الى شعياء أن يخبر صديقة ان ربه قد استجاب له ورحمه وأخر أجله خمس
عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنجاريب فأتاه شعياء فاخبره فلما قال له ذلك ذهب عنه
الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله وقال الهى واله آبائى لك سجدت وسبحت
وكبرت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء
وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت
ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع
رأسه أوحى الله الى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين
فيجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل ذلك فشفى فقال الملك لشعياء سل ربك
أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعياء قل له انى قد كفيتك عدوك
وأنجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه أحدهم
بختنصر فلما أصبحوا جاء صارخ يصرخ على باب المدينة ياملك بنى اسرائيل ان الله
قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنجاريب
فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فادركه الطلب فى مغارة ومعه خمسة نفر من
كتابه أحدهم بختنصر فجعلهم فى الجوامع ثم أتى بهم الملك فلما رآهم خر ساجدا لله
تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال لسنجاريب كيف رأيت فعل ربنا

اليهم وقيل أعدنا لكم الدولة بقتل طالوت وقيل داود جالوت (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم وهو تمييز
جمع نفر وهو من ينفر مع الرجل من قومه (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها) قيل اللام بمعنى على كقوله وعليها
ماكتسبت والصحيح انها على بابها الان اللام للاختصاص والعامل مختص

بجزاء عمله حسنة كانت أوسيئة يعني ان الاحسان والاساءة تختص بانفسكم لاتتعدى النفع والضرر الى غيركم. عن علي رضي الله عنه ما أحسنت الى أحد ولا أسأت اليه وتلاه. (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد المرة الآخرة بعثناهم (ليسوؤا) أي هؤلاء (وجوهكم) وحذف لدلالة ذكره أولا عليه أي يجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ليسوء شامي وحمزة وأبوبكر والضمير الله عز وجل أوللوعد أوللبعث لنسوء علي (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا) ماعلوا مفعول ليتبروا أي ليهلكوا كل شئ غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم

(وأمددناكم بأموال وبنين) أعطيناكم أموالا وبنين (وجعلناكم أكثر نفيرا) رجالا وعددا (ان أحسنتم) وحدتم الله (أحسنتم) وحدتم (لأنفسكم) ثواب

ذلك الجنة (وان أسأتم) أشركتم بالله (فلها) فعليها عقوبة ذلك فكانوا في النعيم والسرور وكثرة الرجال (حتى) والعدد والغلبة على العدو مائتين وعشرين سنة قبل ان يسلط عليهم تطوس (فاذا جاء وعد الآخرة) آخر الفسادين وآخر العذابين (ليسوؤا) ليقبحوا (وجوهكم) بالقتل والسبي يعني تطوس بن اسبيانوس الرومي (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة) بختنصر وأصحابه (وليتبروا) ليخربوا (ماعلوا) ماظهروا عليه (تتبيرا) تخريبا

﴿ وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾ مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ﴿ ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ﴾ لان ثوابه لها ﴿ وان أسأتم فلها ﴾ فان وبالها عليها واتى ذكر باللام ازدواجا ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ﴾ وعد العقوبة المرة الآخرة ﴿ ليسوؤا وجوهكم ﴾ أي بعثناهم ليسوؤا وجوهكم أي ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره أولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابوبكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد أوللبعث أولله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله ﴿ وليدخلوا المسجد ﴾ متعلق بمحذوف هو بعثناهم ﴿ كما دخلوه اول مرة وليتبروا ﴾ ليهلكوا ﴿ ماعلوا ﴾ ماغلبوه واستولوا عليه أو مدة علوهم ﴿ تتبيرا ﴾ وذلك ان سلط الله عليهم الفرس مرة

على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد ﴿ وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾ يعني أكثر عددا ﴿ ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ﴾ يعني لها ثوابها وجزاء احسانها ﴿ وان أسأتم فلها ﴾ يعني فعليها اساءتها ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ﴾ يعني المرة الآخرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعه اليه وقتلوا زكريا ويحيي عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله تعالى ﴿ ليسوؤا وجوهكم ﴾ يعني ليحزنوكم وقرئ بالنون أي ليسوء الله وجوهكم ﴿ وليدخلوا المسجد ﴾ يعني بيت المقدس ونواحيه ﴿ كما دخلوا أول مرة ﴾ يعني وقت افسادهم الاول ﴿ وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾ يعني وليهلكوا ماغلبوا عليه من بلاد بني اسرائيل اهلاكا

﴿ ذكر القصة في هذه الآيات ﴾

قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان أول مانزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا ليسدده ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا انما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التي فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيي وشعياء هوالذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبشري أورشليم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك يعني صديقة بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعياء فبعث الله سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فلم يزل سائرا

تفسدن فى الارض)وأوحينا اليهم وحيا مقضيا أى مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون فى الارض لا محالة والكتاب التوراة لتفسدن جواب قسم محذوف أوجرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن فى الارض (مرتين)أولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرمياء عليه السلام حين أنذرهم سخط الله والاخرى قتل يحيي بن زكريا عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام (ولتعلن علوا كبيرا) ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله ان فرعون علا فى الارض والمراد به البغى والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين (فاذا جاء وعد أولاهما)

أى وعد عقاب أولاهما (بعثنا عليكم) سلطنا عليكم (عبادا لنا أولى بأس شديد) أشداء فى القتال يعنى سنجاريب وجنوده أو بختنصر اوجالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فجاسوا خلال الديار) ترددوا للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشئ بالاستقصاء (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد العقاب وعد الابدان يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أى الدولة والغلبة (عليهم)على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هى قتل بختنصر واستنقاذ بنى اسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك

﴿ لتفسدن فى الارض ﴾ جواب قسم محذوف أو قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم ﴿ مرتين ﴾ افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيي وقصد قتل عيسى عليهم السلام ﴿ ولتعلن علوا كبيرا ﴾ ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى أو لتظلمن الناس ﴿ فاذا جاء وعد اولاهما ﴾ وعيد عقاب اولاهما ﴿ بعثنا عليكم عبادا لنا ﴾ بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزرى وقيل سنجاريب من أهل نينوى ﴿ اولى بأس شديد ﴾ ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد ﴿ فجاسوا ﴾ ترددوا لطلبكم . وقرئ بالحاء المهملة وهما اخوان ﴿ خلال الديار ﴾ وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع ﴿ وكان وعدا مفعولا ﴾ وان كان وعد عقابهم لابد ان يفعل ﴿ ثم رددنا لكم الكرة ﴾ أى الدولة والغلبة ﴿ عليهم ﴾ على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله تعالى فى قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بختنصر أوبان سلط داود عليه السلام على جالوت فقتله

انهم سيفسدون وهو قوله تعالى ﴿ لتفسدن فى الارض مرتين ﴾ وقال ابن عباس وقضينا عليهم فى الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام فى لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن فى الارض يعنى بالمعاصى والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس ﴿ ولتعلن ﴾ يعنى ولتستكبرن ولتظلمن الناس ﴿ علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما ﴾ يعنى أولى المرتين قيل افسادهم فى المرة الاولى هو ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم فى المرة الاولى قتلهم شعياء فى الشجرة وارتكابهم المعاصى ﴿ بعثنا عليكم عبادا لنا ﴾ يعنى جالوت وجنوده وهو الذى قتله داود وقيل هو سنجاريب وهو من أهل نينوى وقيل هو بختنصر البابلى وهو الاصح ﴿ أولى بأس شديد ﴾ يعنى ذوى بطش وقوة فى الحرب ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ يعنى طافوا بين الديار ووسطها يطلبونكم ليقتلوكم ﴿ وكان وعدا مفعولا ﴾ يعنى قضاء كائنا لازما لاخلف فيه ﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم ﴾ يعنى رددنا لكم الدولة والغلبة

لتفسدن فى الارض) لتعصن فى الارض (مرتين ولتعلن علوا كبيرا) لتعتن تعتوا كبيرا ويقال لتقهرن قهرا شديدا (فاذا جاء وعد أولاهما) أول العذابين ويقال أول الفسادين (بعثنا)سلطنا (عليكم عبادا لنا)بختنصر وأصحاب ملك بابل (أولى بأس شديد)ذوى قتال شديد(فجاسوا خلال الديار) فقتلوكم وسط الديار فى الازقة وكان وعدا مفعولا)مقدورا كائنا لئن فعلتم لافعلن بكم فكانوا تسعين سنة فى العذاب أسرى فى يد بختنصر قبل ان ينصرهم الله بكورش الهمدانى (ثم رددنا لكم الكرة) الدولة (عليهم) بظهور كورش الهمدانى على بختنصر ويقال عطفنا عليكم العطفة بالدولة

(وآتينا موسى الكتاب وجعلناه) أى الكتاب وهو التوراة (هدى لبنى اسرائيل أن لاتتخذوا) أى لاتتخذوا وبالياء أبوعمرو أى لئلا يتخذوا (من دونى وكيلا) ربا تكلون اليه أموركم (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهى اى قلنالهم لاتتخذوا من دونى وكيلا ياذرية من حملنا مع نوح (انه) ان نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) فى السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بالثناء على المنعم وروى أنه كان لايأكل ولايشرب ولايلبس الا قال الحمد لله وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم وآية رشد الابناء صحة الاقتداء بسنة الآباء وقد عرفتم حال الآباء هنالك فكونوا أيها الابناء كذلك (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب

(وآتينا موسى الكتاب) أعطينا موسى التوراة جملة واحدة (وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) من الضلالة (ألا تتخذوا) أن لاتعبدوا (من دونى وكيلا) ربا (ذرية) ياذرية (من حملنا مع نوح) فى السفينة فى أصلاب الرجال وارحام النساء (انه) (انه) يعنى نوحا (كان عبدا شكورا) شاكرا كان اذا أكل أوشرب أو اكتسى قال الحمد لله (وقضينا الى بنى اسرائيل) بينا لبنى اسرائيل (فى الكتاب) فى التوراة

﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ان لا تتخذوا ﴾ على ان لاتتخذوا كقولك كتبت اليك ان افعل كذا وقرأ أبو عمرو بالياء على لان لايتخذوا ﴿ من دونى وكيلا ﴾ ربا تكلون اليه اموركم غيرى ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ نصب على الاختصاص أو النداء ان قرئ أن لاتتخذوا بالتاء على النهى يعنى قلنالهم لاتتخذوا من دونى وكيلا ياذرية من حملنا مع نوح أو على انه احد مفعولى لاتتخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام فى السفينة ﴿ انه ﴾ ان نوحا عليه السلام ﴿ كان عبدا شكورا ﴾ يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ وقضينا الى بنى اسرائيل ﴾ واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا ﴿ فى الكتاب ﴾ فى التوراة

وكيف تصح الصلاة من الانبياء بعد الموت وهم فى الدار الآخرة * قلت أما صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء فى بيت المقدس يحتمل ان الله سبحانه وتعالى جمعهم له ليصلى بهم ويعرفوا بفضله وتقدمه عليهم ثم ان الله سبحانه وتعالى أراه اياهم فى السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم وأما مروره بموسى وهو قائم يصلى فى قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما صلاة الانبياء وهم فى الدار الآخرة فهم فى حكم الشهداء بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء فالانبياء أحياء بعد الموت وأما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعاء وذلك من أعمال الآخرة فان الله تعالى قال دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد فى الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص فى الآخرة كما خصهم فى الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر انه رآهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بالحقائق * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وآتينا موسى الكتاب ﴾ يعنى التوراة ﴿ وجعلناه ﴾ يعنى الكتاب ﴿ هدى لبنى اسرائيل أن لاتتخذوا ﴾ يعنى وقلنالهم لاتتخذوا ﴿ من دونى وكيلا ﴾ يعنى ربا كفيلا ﴿ ذرية ﴾ يعنى ياذرية ﴿ من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ﴾ يعنى ان نوحا كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا أكل طعاما او شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك * قوله عزوجل ﴿ وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب ﴾ يعنى أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب

قال أو يقال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أو تصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء فى ليلة قبل أن يصبح قال نعم انى أصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة فلذلك سمى أبو بكر الصديق قال وكان فى القوم من أتى المسجد الاقصى قالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد قال نعم قال فذهبت أنعت حتى التبس على قال فجئ بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا فهى أهم الينا هل لقيت منها شيأ قال نعم مررت بعير بنى فلان وهى بالروحاء وقد أضلوا بعيرا وهم فى طلبه وفى رحالهم قدح من ماء فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا قالوا هذه آية قال ومررت بعير بنى فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما بذى مر فنفر بعيرهما منى فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا وهذه آية أخرى قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها وأحمالها وهيئتها فقال كنت فى شغل عن ذلك ثم مثلت له بعدتها وأحمالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يتقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيأ وبينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه العير قد طلعت يتقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين ﴿ م ﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لى أنظر اليه ما يسألونى عن شئ الا أنبأتهم به وقد رأيتنى فى جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلى فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة واذا عيسى ابن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى واذ ابراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لى قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأنى بالسلام ﴿ ق ﴾ عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبتنى قريش قمت الى الحجر فجلى الله الى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه زاد البخارى فى رواية له لما كذبنى قريش حين أسرى بى الى بيت المقدس وذكر الحديث ﴿ م ﴾ عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الاحمر فاذا هو قائم يصلى فى قبره ✹ عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل كذا باصبعه فخرق به الحجر وشد به البراق أخرجه الترمذى فان قلت كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلى فى قبره وكيف صلى بالانبياء فى بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم فى السموات وسلموا عليه وترحبوا به

الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب أو يكون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله ممتلئ ايمانا وحكمة فافرغها في صدري فان قلت الحكمة والايمان معان والافراغ صفة الاجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل انه جعل في الطست شيء يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادتهما فسمي ايمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من احسن المجاز وقوله في صفة آدم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة هو جمع سواد وقد فسره في الحديث بانه نسم بنيه يعني أرواح بنيه وقد اعترض على هذا بان ارواح المؤمنين في السماء وأرواح الكفار تحت الارض السفلى فكيف تكون في السماء والجواب عنه أنه يحتمل أن أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبي صلى الله عليه وسلم فخبر بما رأى وقوله فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على اولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على سوء حال الكفار منهم وقوله في ادريس مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قد اتفق المؤرخون على أن ادريس هو أخنون وهو جد نوح عليهما السلام فيكون جد النبي صلى الله عليه وسلم كما أن ابراهيم جده فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال آدم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فالجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين ليس في الحديث ما يمنع كون ادريس أبا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تلطفا وتأدبا وهو أخ وان كان أبا لان الانبياء اخوة والمؤمنين اخوة والله أعلم

فصل

في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق أحاديث تتعلق بالاسراء قال البغوي روي انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به وكان بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة أسري بي الى السماء أصبحت بمكة فضقت بأمري وعرفت أن الناس يكذبوني فروي انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به أبو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ هل استفدت من شيء قال نعم أسري بي الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال أبو جهل ثم اصبحت بين أظهرنا قال نعم فلم ير أبو جهل أن ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث ولكن قال أتحدث قومك بما حدثتني به قال نعم قال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا فانقضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم أسري بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فبقي الناس بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجبا وارتد أناس ممن كان قد آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى أبي بكر فقال له هل لك في صاحبك يزعم انه أسري به الليلة الى بيت المقدس

(قال)

ولمعانه وتلألئه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط فى الامور وتعاطى الاسباب وان ذلك لايقدح فى التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى * وقوله جاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير وقال لى اختر فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعنى فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها أم الخبائث وجالبة لانواع الشر * قوله ثم عرج بى حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استأذن وان يقول أنا فلان ولا يقول أنا فانه مكروه وفيه ان للسماء أبوابا وبوابين وان عليها حرسا وقول بواب السماء وقد أرسل اليه وفى الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاسراء وصعوده السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لايخفى عليه الى هذه المدة هذا هو الصحيح فى معناه وقيل غيره * وقوله فاذا أنا بآدم وذكر جاعة من الانبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن وان كان الزائر افضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان فى وجهه اذا أمن عليه من الاعجاب وغيره من أسباب الفتنة * وقوله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها * وقوله ثم ذهب بى الى السدرة هكذا وقع فى هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفى باقى الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهى اليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونها ينتهى اليها مايهبط من فوقها ومايصعد من تحتها من امر الله عز وجل * وقوله واذا ثمرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهى الجرة الكبيرة التى تسع قربتين أو أكثر * قوله فرجعت الى ربى قال الشيخ محيى الدين النووى معناه رجعت الى الموضع الذى ناجيته فيه أولا فناجيته فيه ثانيا * وقوله فلم ازل أرجع بين موسى وبين ربى معناه وبين موضع مناجاة ربى عز وجل قلت وأما الكلام على معنى الرؤية ومايتعلق بها فانه سيأتى ان شاء الله تعالى فى تفسير سورة والنجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى * قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على أمتى خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها و فى الرواية الاخرى فوضع عنى عشرا وفى الاخرى خمسا ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف وأما رواية العشر فهى رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البنانى وقتادة وهما أثبت من شريك فالمراد حط عنى خمسا الى أخره ثم قال هى خمس وهن خمسون يعنى خمسين فى الاجر والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشئ قبل فعله وفى أول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق ايضا فى صغره وهو عند حليمة التى كانت ترضعه فالمراد بالشق الثانى زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج * وقوله أتيت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال اناء

التى رآها من قبل كما أنه رأى فتح مكة فى المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقا سنة ثمان ونزل قوله سبحانه وتعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيي الدين النووى رحمه الله تعالى فى كتابه شرح مسلم قد جاء من رواية شريك فى هذا الحديث أوهام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله قدم وأخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل أن يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسراء أقل ماقيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشرة شهرا وقال الحربى كانت ليلة الاسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهرى كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل قال الشيخ محيي الدين وأشبه الاقوال قول الزهرى وابن اسحق وأما قوله فى رواية شريك وهو نائم وفى الرواية الاخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك اليه وليس فى الحديث مايدل على كونه نائما فى القصة كلها هذا كلام القاضى عياض وهذا الذى قاله فى رواية شريك وان أهل العلم قد أنكروها قد قاله غيره وقد ذكر البخارى فى رواية شريك هذه عن أنس فى كتاب التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبى نمر عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال والاحاديث التى تقدمت قبل هذا هى المعول عليها

فصل

فى شرح بعض الفاظ حديث المعراج ومايتعلق به كانت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت فى رجب ويقال فى رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر فى الفصل الذى قبل هذا واختلف الناس فى الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك فى المنام والحق الذى عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التى تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة أنه قال كل ذلك كان رؤيا وانه مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أسرى بروحه وحكى هذا القول عن عائشة أيضا وعن معاوية نحوه والصحيح ماعليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله أعلم ❊ قوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق هو اسم للدابة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته أو لشدة صفائه وبياضه

فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس فرحب ودعا لى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله الى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت يارب خفف على امتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت قد حط عنى خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيأ فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه هذه رواية مسلم * وأخرجه الترمذى مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هكذا ما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وأخرجه النسائى مختصرا والمعنى واحد وفى آخره قال فرجعت الى ربى فسألته التخفيف فقال انى يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك فعرفت انها أمر الله جرى بقول حتم فلم أرجع

فصل

قال البغوى قال بعض اهل الحديث ما وجدنا للبخارى ومسلم فى كتابيهما شيأ لا يحتمل مخرجا الا حديث شريك بن أبى نمر عن أنس وأحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحى واتفق أهل العلم على ان المعراج كان بعد الوحى بنحو من اثنى عشرة سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت عائشة ان الذى تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوى وهذا الاعتراض عندى لا يصح لان هذا كان رؤيا فى النوم أراه الله ذلك قبل أن يوحى اليه بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه

رب لم أظن أن يرفع على أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى اليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الى خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار اليه جبريل أن نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يارب خفف عنا فان أمتى لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بنى اسرائيل قومى على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يارب ان أمتى ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك في أم الكتاب قال فكل حسنة بعشر أمثالها فهى خمسون في أم الكتاب وهى خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت فقال خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بنى اسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ارجع الى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياموسى قد والله استحييت من ربى مما اختلفت اليه قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخارى وأدرج مسلم حديث شريك عن أنس الموقوف عليه في حديث ثابت البنانى المسند فذكر من اول حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم وأخر وزاد ونقص وليس في حديث ثابت من هذه الالفاظ الا ما نورده على نصه أخرجه مسلم وحده وهو حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التى يربط بها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه قال ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا فرحبانى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام فاذا هو قد أعطى شطر الحسن قال فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل

مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى ابن مريم
قال ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا ابراهيم
قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم ان ابن عباس وأباحبة الانصاري كانا يقولان قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الاقلام
قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمتي خمسين
صلاة قال فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ماذا فرض ربك على امتك
قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان أمتك لاتطيق ذلك
قال فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فأخبرته قال راجع ربك
فان أمتك لاتطيق ذلك قال فراجعت ربي فقال هي خمس وهن خمسون لايبدل القول
لدي قال فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي
جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لاأدري ماهي قال ثم أدخلت الجنة
فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك (ق) عن شريك بن أبي نمر أنه سمع أنس بن مالك
يقول ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر
قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو
خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى
قلبه وتنام عينه ولاينام قلبه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولاتنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه
فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل مابين نحره الى لبته حتى فرغ
ن صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من
ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج
ه الى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا
من معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا يستبشر به أهل السماء
يعلم أهل السماء مايريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم عليه
لسلام فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه ورد عليه السلام وقال مرحبا وأهلا يابني
م الابن أنت فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ماهذان النهران ياجبريل
ل هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من
لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك أذفر قال ماهذا ياجبريل قال هذا الكوثر الذي
بأ لك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ماقالت له الاولى من
ذ قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا
عرج به الى السماء الثالثة وقالوا له مثل ماقالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة
الوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة
الوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء
سماهم فاوعيت منهم ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة ولم
حفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى

فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لاتستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي * زاد في رواية أخرى وأجزي بالحسنة عشرا * وفي رواية أخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ ايمانا وحكمة وفيه فرفع الى البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا لم يعودوا مرة أخرى (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال هل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فأرسل اليه قال نعم فافتح ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت ياجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ماقال خازن السماء الدنيا ففتح قال أنس بن مالك فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه قد وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا قال هذا ادريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا قال هذا موسى قال ثم

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا ومنهم من قال بين النائم واليقظان اذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصته الى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود أهو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا السلام ثم قالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان

مايحمله والتعجب من ابرازه المعجزات ﴿ الى المسجد الاقصى ﴾ بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء عليهم الصلاة والسلام من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء ﴿ انه هو السميع ﴾ لاقوال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ البصير ﴾ بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك

وهى بنت عمه أخت على رضى الله تعالى عنه فعلى هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم ﴿ الى المسجد الاقصى ﴾ يعنى الى بيت المقدس سمى أقصى لبعده عن المسجد الحرام أولانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ يعنى بالانهار والاشجار والثمار وقيل سماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحى وقبلة الانبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه تحشر الخلق يوم القيامة ، فان قلت ظاهر الآية يدل على ان الاسراء كان الى بيت المقدس والاحاديث الصحيحة تدل على انه عرج به الى السماء فكيف الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الاقصى فقط ، قلت قد كان الاسراء على ظهر البراق الى المسجد الاقصى ومنه كان عروجه الى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الاقصى فقط انه صلى الله عليه وسلم لو أخبر بصعوده الى السماء أولا لاشتد انكارهم لذلك فلما اخبر انه أسرى به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما أخبر به من العلامات التى فيه وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك بعروجه الى السماء فجعل الاسراء الى المسجد الاقصى كالتوطئة لمعراجه الى السماء ﴿ وقوله تعالى ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ يعنى من عجائب قدرتنا فقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة الانبياء وصلى بهم ورأى الآيات العظام ، فان قلت لفظة من فى قوله من آياتنا تقتضى التبعيض وقال فى حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وظاهر هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل به فما وجهه ، قلت ملكوت السموات والارض من بعض آيات الله أيضا ولآيات الله أفضل من ذلك وأكثر والذى اراه محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والارض فظهر بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم صلى الله عليه وسلم ﴿ انه هو السميع ﴾ لاقواله ودعائه ﴿ البصير ﴾ لافعاله الحفظه فى ظلمة الليل وقت اسرائه وقيل انه هو السميع لما قالت له قريش حين أخبرهم بمسراه الى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من التكذيب وقيل انه هو السميع لاقوال جميع خلقه البصير بأفعالهم فيجازى كل عامل بعمله وحمله على العموم أولى

﴿ فصل ﴾

فى ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه (ق) حدثنا قتادة

(الى المسجد الاقصى) هو بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء عليهم السلام ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة (لنريه) أى محمدا عليه السلام (من آياتنا) الدالة على وحدانية الله وصدق نبوته برؤيته السموات وما فيهما من الآيات (انه هو السميع) للاقوال (البصير) بالافعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم انه هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة

(الذى باركنا حوله) بالماء والاشجار والثمار (لنريه) لكى نرى محمدا صلى الله عليه وسلم (من آياتنا) من عجائبنا فكل ما رأى تلك الليلة كان من عجائب الله (انه هو السميع) لمقالة قريش (البصير) بهم وبسير عبده محمد صلى الله عليه وسلم

مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل أى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به ﴿ من المسجد الحرام ﴾ بعينه لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل بالبراق أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد أو لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نائما فى بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لى النبيون عليهم الصلاة والسلام فصليت بهم ثم خرج الى المسجد الحرام واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا أتصدقه على ذلك قال انى لأصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبرهم ثم لم يؤمنوا وقالوا ماهذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف فى انه كان فى المنام أو فى اليقظة بروحه أو بجسده والاكثر على انه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش منه واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان مابين طرفى قرص الشمس ضعف مابين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية وقد برهن فى الكلام ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو فى

النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة واصله فى اللغة التباعد فمعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل مالا ينبغى الذى أسرى يقال سرى به وأسرى به لغتان بعبده أجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف أحد من الامة فى ذلك وقوله بعبده اضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم

لاتدعنى الا بيا عبدها ❊ فانه أشرف أسمائى

قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج أوحى الله عز وجل اليه يا محمد بم شرفتك قال رب حيث نسبتنى الى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ❊ فان قلت الاسراء لايكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل ❊ قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه أسرى به فى بعض ليلة من مكة الى بيت المقدس مسيرة شهر او أكثر فدل تنكير الليل على البعضية ﴿ من المسجد الحرام ﴾ قيل كان الاسراء من نفس مسجد مكة وفى حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر وذكر حديث المعراج وسيأتى بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار أم هانئ بنت أبى طالب

قيده بالليل والاسراء لايكون الا بالليل للتأكيد أو ليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به فى بعض الليل من مكة الى بيت المقدس مسيرة أربعين ليلة (من المسجد الحرام) قيل اسرى به من دار أم هانى بنت أبى طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فقد قال عليه السلام بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل بالبراق وقد عرج بى الى السماء فى تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريشا عن عيرهم وعدد جمالها وأحوالها وأخبرهم أيضا بما رأى فى السماء من العجائب وانه لقى الانبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة وكان فى اليقظة وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت والله مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية مثله وعلى الاول الجمهور اذ لافضيلة للحالم ولا مزية للنائم

(من المسجد الحرام) من الحرم من بيت أم هانئ بنت أبى طالب (الى المسجد الاقصى) ابعد من الارض وأقرب الى السماء يعنى مسجد بيت المقدس

سبحانك فقنا عذاب النار

سورة بنى اسرائيل مكية وقيل الا قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهى مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا﴾ سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع عن الصرف قال

قد قلت لما جاءنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر

وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعده واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل

تفسير سورة الاسراء

﴿فصل فى نزولها﴾ قال ابن الجوزى هى مكية فى قول الجماعة الا أن بعضهم يقول فيها مدنى فروى عن ابن عباس انه قال هى مكية الا ثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدنى وقل رب أدخلنى مدخل صدق الآية وقوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك أحاط بالناس وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك وقوله تعالى ولولا أن ثبتناك والتى تليها وهى مائة وعشر آيات وقيل واحدى عشرة آية وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا﴾ روى ابن الجوزى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شئ هكذا ذكره بغير سند وقال

﴿سورة بنى اسرائيل مكية وهى مائة وعشر آية بصرى واحدى عشرة آية كوفى وشامى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (سبحان) تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ (الذى أسرى بعبده) محمد صلى الله عليه وسلم وسرى وأسرى لغتان (ليلا) نصب على الظرف

﴿ومن السورة التى يذكر فيها بنو اسرائيل وهى كلها مكية غير آيات منها خبر وفد ثقيف وخبر ما قالت له اليهود ليست هذه بأرض الانبياء فنزل وان كادوا ليستفزونك من الارض الى قوله أدخلنى مدخل صدق الى آخر الآية فهؤلاء الآيات مدنيات آياتها مائة وعشر آيات وكلمها ألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون وحروفها ستة آلاف وأربعمائة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (سبحان) يقول تعظم وتبرأ عن الولد والشريك (الذى أسرى بعبده) سير عبده ويقال أدلج عبده محمدا عليه السلام (ليلا) أول الليل

المجلد الرابع من التفسيرين الجليلين

المسبوك عليهما منثور الذهب سبائك اللجين

الاول المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل لشيخ مشايخ الاسلام أعلم العلماء الاعلام الحبر النحرير حاوى فضيلتى البيان والبنان فى التقرير والتحرير كاشف قناع المشكلات وموضح دلائل المعضلات مظهر الكنايات والاشارات منبع العلى أفضل الورى عز الهدى ناصر مذهب أهل السنة وكاشف غمة مذهب الاعتزال عن هذه الامة شيخ ديار العجم والعرب وأمام أهل اللغة والادب فريد دهره ووحيد عصره القاضى ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى الشافعى المتوفى سنة (٦٨٥) وقيل (٦٩٢) قدس الله روحه ونور ضريحه

الثانى المسمى بلباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة والأئمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى الشافعى المعروف بالخازن فرغ من تأليفه سنة (٧٢٥) تغمده الله برحمته آمين

قد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسيرين النيرين * الاول المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبى البركات عبدالله بن احمد بن محمود النسفى الحنفى المتوفى سنة (٧٠١) عليه سحائب الرحمة والرضوان

الثانى تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لابى طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى الشافعى المتوفى سنة (٨١٧)

تنبيه

يقول المتوسل الى الله احمد رفعت بن عثمان حلمى القره حصارى المصحح بدار الطباعة العامرة اعانه الله على مشاق هذه الصناعة وضعت انوار التنزيل فوق الصحيفة ولباب التأويل تحتها مفصولا بينهما بجدول وكذلك وضعت مدارك التنزيل فوق الهامش وتنوير المقباس تحته مفصولا بينهما بجدول

الطبعة الاولى

بالمطبعة العامرة

سنة ١٣١٩ هجرية

معارف نظارت جليله سنك (٢٥٣) و (٦٣٣) نومرولرينى حاوى
رخصتنامه سيله مطبعهٔ عامره ده
طبع اولنمشدر

﴿ فهرست احاديث ﴾

فصل

فهرست المجلد الثالث من التفسيرين الجليلين ❁ الاول المسمى بانوار التنزيل واسرار التأويل ❁ الثانى المسمى بلباب التأويل فى معانى التنزيل

وفى النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ﴿ ان الله مع الذين اتقوا ﴾ المعاصى ﴿ والذين هم محسنون ﴾ فى اعمالهم بالولاية والفضل أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها أو ليلته كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية

مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم قرئ فى ضيق بفتح الضاد وكسرها فقيل هما لغتان وقال أبو عمرو الضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال أبو عبيد الضيق بالكسر فى قلة المعاش وفى المسكن وأما ما كان فى القلب والصدر فانه بالفتح وقال القتيبى الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا يكون صفة كأنه قال سبحانه وتعالى ولاتك فى أمر ضيق من مكرهم قال الامام فخر الدين الرازى هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة فى الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا فى الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق حاصلا فيك الا ان الفائدة فى قوله ولاتك فى ضيق هى ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشئ المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط به فكانت الفائدة فى ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى ﴿ان الله مع الذين اتقوا﴾ أى اتقوا المثلة والزيادة فى القصاص وسائر المناهى ﴿ والذين هم محسنون ﴾ يعنى بالعفو عن الجانى وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعنى ان أردت أيها الانسان ان أكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفى هذا اشارة الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشائخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل أن يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت أوص فقال انما الوصية فى المال ولا مال لى ولكنى أوصيك بخواتم سورة النحل والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

والقول والمعنى ولا يضيقن صدرك من مكرهم فانه لا ينفذ عليك (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أى هو ولى الذين اجتنبوا السيآت وولى العاملين بالطاعات قيل من اتقى فى أفعاله وأحسن فى أعماله كان الله معه فى أحواله ومعيته نصرته فى المأمور وعصمته فى المحظور

(ان الله مع الذين اتقوا) الكفر والشرك والفواحش (والذين هم محسنون) بالقول والفعل موحدون

قال الشهاب الدين الخفاجى والحديث المذكور وقع فى التفاسير مرويا عن ابى بن كعب رضى الله عنه وهو موضوع كما قاله العراقى

﴿ تم بحمد الله تعالى الجلد الثالث ويليه انشاء الله تعالى ﴾

﴿ الجلد الرابع اوله سورة الاسراء ﴾

الحمد لله اولا وآخرا وباطنا وظاهرا وخفيا وجهرا على اتمام طبع « الجلد الثالث » لقد بذلنا جهدنا وطاقتنا على حسب القوى البشرية فى تصحيحه وتهذيبه وتنقيحه مع رفيق المصحح فى دار الطباعة العثمانية اعنى الحاج طاهر افندى القنوى المدرس بجامع سلطان بايزيدولى

فرحم الله امرأ نظر فيه بعين الانصاف فسامح ووقف فى التصحيح على

خطأ فأصلح واعوذ بالله من حاسد اذا حسد وبغى واستغفره

جل اسمه من قلم زل وسهى اوحرف شيأ

عن موضعه وطغى وهو حسبى ونعم الوكيل

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

وانا الفقير المصحح

فى دار الطباعة العامرة

احمد رفعت بن

عثمان حلمى

حمزة وقد مثل به فقال والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم فعاقبوا وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ﴿ولئن صبرتم لهو﴾ أي [illegible] ﴿خير للصابرين﴾ [illegible] عليه وسلم لأنه أولى الناس به لزيادة علمه وثوقه عليه فقال ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ إلا بتوفيقه وتثبيته ﴿ولا تحزن عليهم﴾ على الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا

ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا اربعة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ✽ وأما تفسير الآية فقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل او مثلة ونحوها فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أمر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق يعني ان رغبتم في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الآية دليل على أن الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الاشارة والرمز والتعريض بان الترك أولى فان كان لابد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء القصاص وفيه أجر للصابرين العافين

﴿ فصل ﴾

اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أحدهما انها نزلت قبل براءة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتل ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما أعز الله الاسلام وكثر أهله أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية والقول الثاني انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له ان ينال من ظالمه أكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الآية واردة في تعليم حسن الادب في كيفية استيفاء الحقوق في القصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله أعلم ✽ قوله عز وجل ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر واعلمه ان صبره بتوفيقه ومعونته ﴿ولا تحزن عليهم﴾ يعني على الكافرين واعراضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتلى أحد وما فعل بهم فانهم أفضوا الى رحمة الله ورضوانه ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ يعني ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب

ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) الضمير في لهو يرجع الى مصدر صبرتم والمراد بالصابرين المخاطبون أى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم لأنهم صابرون على الشدائد ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (واصبر أنت فعزم عليه بالصبر (وما صبرك الا بالله) أي بتوفيقه وتثبيته (ولا تحزن عليهم) على الكفار ان لم يؤمنوا وعلى المؤمنين وما فعل بهم الكفار فانهم وصلوا الى مطلوبهم (ولا تك في ضيق [illegible]

[illegible]

(لهو خير للصابرين) في الآخرة (واصبر) يا محمد على أذاهم (وما صبرك الا بالله) [illegible] (ولا تحزن عليهم) [illegible] على المستهزئين بالهلاك (ولا تك في ضيق) أي لا يضيق [illegible]

ن الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك انفع فى تسكين هبهم وتبيين شغبهم ﴿ ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ﴾ أى انما ليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله علم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم ﴿ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ لما امره لدعوة وبين له طرقها اشار اليه والى من شايعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم ن الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح ى دين الاسلام والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى

لحسنة والقسم الثالث هم أصحاب جدال وخصام ومعاندة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتى هى أحسن حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن عنى ادعهم بالقرآن الذى هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة أى ادعهم النبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين فى الدعوة وجادلهم بالتى هى أحسن ى أعرض عن أذاهم ولا تقصر فى تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف ﴿ ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو علم بالمهتدين ﴾ يعنى انما عليك يا محمد تبليغ ما أرسلت به اليهم ودعاؤهم بهذه الطرق الثلاثة وهو أعلم بالفريقين الضال والمهتدى فيجازى كل عامل بعمله ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ نزلت هذه الآية بالمدينة فى سبب شهداء أحد وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم أحد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن أبى عامر الراهب وذلك أن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبى سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لنربين على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب بأحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه وآذانه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تنزل فى بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال أما انها لو أكلتها لم تدخل النار أبدا حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيأ من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شئ لم ينظر الى شئ قط كان أوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمنا ما كنت الا فعالا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرنى أن أدعك حتى تحشر من من أفواج شتى اما والله لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك فأنزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثله ما عوقبتم به الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه عن أبى بن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الانصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ...

(ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيل وهو أعلم بالمهتدين) أى هو أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) سمى الفعل الاول عقوبة والعقوبة هى الثانية لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فالثانية ليست بسيئة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه روى ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فرأى النبى عليه السلام حمزة مبقور البطن فقال أما والذى أحلف به لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده ولا خلاف فى تحريم المثلة لورود الاخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور

(ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) عن دينه (وهو أعلم بالمهتدين) لدينه (وان عاقبتم) مثلتم (فعاقبوا) فمثلوا (بمثل ... (ب) بالاموات

(وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون) روى ان موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا فى الاسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الاشرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا

اختلافهم فى السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فأذن الله لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فاطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازى كل واحد من الفريقين بما هو اهله (ادع الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهى التى لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها أو بالقرآن أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة والحكمة المعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة أن يخلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة (وجادلهم بالتى هى أحسن) بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة أو بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول وهو رد على من يأبى المناظرة فى الدين

ههنا التهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله تعالى ﴿وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ بالمجازاة على الاختلاف أو مجازاة كل فريق بما يستحقه ﴿ادع﴾ من بعثت اليهم ﴿الى سبيل ربك﴾ الى الاسلام ﴿بالحكمة﴾ بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة ﴿والموعظة الحسنة﴾ الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ﴿وجادلهم﴾ وجادل معانديهم ﴿بالتى هى احسن﴾ بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة

ولم يختاروا لانفسهم شيأ وكان ما اختاره الله لهم أفضل مما اختاره غيرهم لانفسهم وقال بعض العلماء بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم الاحد فى شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفضل الايام يوم الجمعة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء وفى معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت أى وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود أحله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسخوا قردة وخنازير فى زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة فى تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطد فيه شيأ وهم الناهون والقول الاول أقرب الى الصحة * وقوله تعالى ﴿وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ يعنى فى أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازى المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب * قوله عز وجل ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ يعنى ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعنى بالمقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعنى وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم ﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ يعنى بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة أقسام القسم الاول هم العلماء الكاملون أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثاقبة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء هم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعنى ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها حتى ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثانى هم أصحاب الفطرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم أوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة أى ادع هؤلاء بالموعظة

(وان ربكم ليحكم بينهم) بين اليهود والنصارى (يوم القيمة فيما كانوا فيه) فى الدين (يختلفون) يخالفون (ادع الى سبيل ربك) (الحسنة) الى دين ربك (بالحكمة) بالقرآن (والموعظة الحسنة) عظهم بمواعظ القرآن (وجادلهم بالتى هى أحسن) بالقرآن ويقال بلا اله الا الله

فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم

القيامة ونحن أول من يدخل الجنة * وفي رواية أخرى له قال أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق * قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم * وقوله بيد أنهم يعني غير أنهم أو الا أنهم * وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال القاضي عياض الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم فيه فاختلف أحبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الامة مبينا ولم يكلهم الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياض وقد جاء ان موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بفضله فناظروه ان السبت أفضل فقيل له دعهم قال القاضي ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محيي الدين النووي ويمكن أن يكونوا أمروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم ابداله فأبدلوه وغلطوا في ابداله * قال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم أي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اتفقوا على ذلك وزاد الواحدي على هذا فقال وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو أعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال الآخرون بل الاحد أفضل لان الله سبحانه وتعالى ابتدأ فيه بخلق الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فريقين في السبت وانما اختار الاحد النصارى بعدهم بزمان طويل * فان قلت ان اليهود انما اختاروا السبت لان أهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدأ بخلق الاشياء في يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا لنا وهذان الوجهان معقولان فما وجه فضل يوم الجمعة حتى جعله أهل الاسلام عيدا * قلت يوم الجمعة افضل الايام لان كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا بهذا الوجه وهو أولى ووجه آخر وهو ان الله عز وجل خلق فيه أشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم

﴿ وآتيناه في الدنيا حسنة ﴾ بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة ﴿ وانه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ لمن أهل الجنة كما سأله بقوله والحقني بالصالحين ﴿ ثم اوحينا اليك ﴾ يا محمد وثم اما للتعظيم والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته أو لتراخي ايامه ﴿ ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ﴾ في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه ﴿ وما كان من المشركين ﴾ بل كان قدوة الموحدين ﴿ انما جعل السبت ﴾ تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة ﴿ على الذين اختلفوا فيه ﴾ اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض

﴿ وآتيناه في الدنيا حسنة ﴾ يعني الرسالة والخلة وقيل هي لسان الصدق والثناء الحسن والقبول العام في جميع الامم فان الله حببه الى جميع خلقه فكل أهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركو العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل انه آتاه أولادا أبرارا على الكبر ﴿ وانه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ يعني في أعلى مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه وانه في الآخرة لمع الصالحين يعني الانبياء في الجنة فتكون من بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى ﴿ ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم ﴾ يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال أهل الاصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة ابراهيم الا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقال أبو جعفر الطبري أمره باتباعه في التبري من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله ﴿ حنيفا ﴾ مسلما ﴿ وما كان من المشركين ﴾ تقدم تفسيره * وقوله تعالى ﴿ انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ﴾ يعني انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيأ من صنعتكم وستة أيام لصنعتكم فابوا عليه وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا بيوم الجمعة فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه وأوتيناه من بعدهم فهذا يوم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فغد لليهود وبعد غد للنصارى * وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الاولون يوم

(القيامة)

(وآتيناه في الدنيا حسنة) نبوة وأموالا وأولادا أو تنويه الله بذكره فكل أهل دين يتولونه أو قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم (وانه في الآخرة لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) في ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام واجلال محله والايذان بان أشرف ما أوتي خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه

وهو الاسلام (وآتيناه) أعطيناه (في الدنيا حسنة) ولدا صالحا ويقال ثناء حسنا ويقال الذكر والثناء الحسن في الناس كلهم (وانه في الآخرة لمن الصالحين) مع آبائه المرسلين في الجنة (ثم أوحينا اليك) أمرناك يا محمد (أن اتبع ملة ابراهيم) أن استقم على دين ابراهيم (حنيفا) مسلما (وما كان من المشركين) مع المشركين على دينهم (انما جعل السبت) حرم السبت (على الذين اختلفوا فيه) في الجمعة

كان وحده أمة من الامم لكماله فى جميع صفات الخير كقوله ٭ ليس على الله بمستنكر ٭ ان يجمع العالم فى واحد ٭ وعن مجاهد كان مؤمنا
وحده والناس كلهم كفارا أو كان أمة بمعنى مأموم يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير (قانتا لله)
هو القائم بما أمره الله وقال
ابن مسعود رضى الله عنه
ان معاذا كان أمة قانتا لله
فقيل له انما هو ابراهيم عليه
السلام فقال الامة الذى
يعلم الخير والقانت المطيع
لله ورسوله وكان معاذ
كذلك وقال عمر رضى الله
عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته
فانى سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول أبو عبيدة
أمين هذه الامة ومعاذ أمة
لله قانت لله ليس بينه وبين
الله يوم القيامة الا المرسلون
(حنيفا) مائلا عن الاديان
الى ملة الاسلام (ولم يك
من المشركين) نفى عنه الشرك
تكذيبا لكفار قريش لزعمهم
انهم على ملة أبيهم ابراهيم
وحذف النون للتشبيه
بحروف اللين (شاكرا
لانعمه) روى انه كان
لا يتغدى الا مع ضيف فلم
يجد ذات يوم ضيفا فاخر
غداءه فاذا هو بفوج من
الملائكة فى صورة البشر
فدعاهم الى الطعام فخيلوا له
أن بهم جذاما فقال الآن
وجبت مؤاكلتكم شكرا لله
على انه عافانى وابتلاكم
(اجتباه) اختصه واصطفاه
للنبوة (وهداه الى صراط
مستقيم) الى ملة الاسلام

يقتدى به (قانتا) مطيعا (لله حنيفا) مسلما مخلصا (ولم يك من المشركين) مع المشركين على دينهم (شاكرا لانعمه) شاكرا
لما أنعم الله عليه (اجتباه) اصطفاه بالنبوة والاسلام (وهداه الى صراط مستقيم) ثبته على طريق قائم يرضاه

لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله

ليس من الله بمستنكر ٭ ان يجمع العالم فى واحد

وهو عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم ما احله أو لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل وهى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده أو اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما ﴿قانتا لله﴾ مطيعا له قائما باوامره ﴿حنيفا﴾ مائلا عن الباطل ﴿ولم يك من المشركين﴾ كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم صلوات الله عليه ﴿شاكرا لانعمه﴾ ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة ﴿اجتباه﴾ للنبوة ﴿وهداه الى صراط مستقيم﴾ فى الدعوة الى الله تعالى

مثل قول العرب فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأنيث قصد التناهى فى المعنى الذى يصفونه به والعرب توقع الاسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تبارك وتعالى فنادته الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمى ابراهيم صلى الله عليه وسلم أمة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع فى أمة ومنه قول الشاعر

ليس على الله بمستنكر ٭ أن يجمع العالم فى واحد

ثم للمفسرين فى معنى هذه اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعنى انه كان معلما للخير يأتم به أهل الدنيا الثانى قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى زيد بن عمرو ابن نفيل يبعثه الله أمة وحده وانما قال فيه هذه المقالة لانه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه وقيل الامة فعلة بمعنى مفعولة وهو الذى يؤتم به وكان ابراهيم عليه السلام اماما يقتدى به دليله قوله سبحانه وتعالى انى جاعلك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو سبب الذى لاجله جعلت أمته ومن تبعه ممتازين عمن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمى ابراهيم عليه السلام أمة لانه قام مقام أمة فى عبادة الله ﴿قانتا لله﴾ يعنى مطيعا لله وقيل هو القائم باوامر الله ﴿حنيفا﴾ مسلما يعنى مقيما على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وهو أول من اختتن وضحى وأقام مناسك الحج ﴿ولم يك من المشركين﴾ يعنى انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى كبره ﴿شاكرا لانعمه﴾ يعنى انه كان شاكرا لله على أنعمه التى أنعم بها عليه ﴿اجتباه﴾ أى اختاره لنبوته واصطفاه لخلته ﴿وهداه الى صراط مستقيم﴾ يعنى هداه الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم

(ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع [illegible] هو خبر مبتدأ محذوف أى منفعتهم فيما هم به من أعمال الجاهلية منفعة قليلة وعذاب عظيم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) فى سورة الانعام فى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) فى موضع الحال أى عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) بتكفير ما كثروا قبل من الجرائم (رحيم) بتوثيق ماوثقوا بعد من العزائم (ان ابراهيم كان أمة) انه

﴿ ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله ﴿ متاع قليل ﴾ أى ما يفترون لاجله أو ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ فى الآخرة ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك ﴾ أى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ﴿ من قبل ﴾ متعلق بحرمنا أو بقصصنا ﴿ وما ظلمناهم ﴾ بالتحريم ﴿ ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ﴿ ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ﴾ بسببها أو ملتبسين بها لتعم الجهل بالله وعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ﴿ ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها ﴾ من بعد التوبة ﴿ لغفور ﴾ لذلك السوء ﴿ رحيم ﴾ يثيب على الانابة ﴿ ان ابراهيم كان امة ﴾

توعد المفترين للكذب فقال سبحانه وتعالى ﴿ ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ يعنى لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى ﴿ متاع قليل ﴾ يعنى متاعهم فى الدنيا متاع قليل فانه لا بقاء له ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ يعنى فى الآخرة ﴿ وعلى الذين هادوا ﴾ يعنى اليهود ﴿ حرمنا ما قصصنا عليك من قبل ﴾ يعنى ما سبق ذكره وبيانه فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية ﴿ وما ظلمناهم ﴾ يعنى بتحريم ذلك عليهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ يعنى انما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيهم وظلمهم أنفسهم ونظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ❊ وقوله تعالى ﴿ ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ﴾ المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصى وكل ما لا ينبغى وكل من عمل السوء فانما يفعله بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعل قبيح من كفر أو معصية فانما يصدر عنه بسبب جهله اما لجهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب أو لجهله بقدر من يعصيه فثبت بهذا ان فعل السوء انما يفعل بجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل سوأ بجهالة ثم تاب وأصلح العمل فى المستقبل أن يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى ﴿ ثم تابوا من بعد ذلك ﴾ يعنى من بعد عمل ذلك السوء ﴿ وأصلحوا ﴾ يعنى أصلحوا العمل فى المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة ﴿ ان ربك من بعدها ﴾ يعنى من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه ﴿ لغفور ﴾ يعنى لمن تاب وآمن ﴿ رحيم ﴾ يعنى بجميع المؤمنين والتائبين ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ان ابراهيم كان أمة ﴾ حكى ابن الجوزى عن ابن الانبارى أنه قال هذا

(ان الذين يفترون) يختلقون (على الله الكذب لا يفلحون) لا ينجون ولا يأمنون من عذاب الله (متاع قليل) عيشهم فى الدنيا قليل (ولهم عذاب أليم) وجيع فى الآخرة (وعلى الذين هادوا) مالوا عن الاسلام يعنى اليهود (حرمنا) عليهم (ما قصصنا عليك) ما سميناك (من قبل) من قبل هذه السورة فى سورة الانعام (وما ظلمناهم) بما حرمنا عليهم من الشحوم واللحوم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يضرون أى بذنوبهم حرم الله عليهم (ثم ان ربك) يا محمد (للذين عملوا السوء بجهالة) تعمدوا وان كان جاهلا بركوبها (ثم تابوا من بعد ذلك) السوء { مثل } (وأصلحوا) العمل فيما بينهم وبين ربهم (ان ربك) يا محمد (من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) متجاوز (رحيم) بهم (ان ابراهيم كان أمة) اماما

وعليهم باهوائهم فقال (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله [غف]ور رحيم) انما للحصر أي المحرم هذا دون البحيرة وأخواتها وباقي الآية تقدم تفسيره (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) [منص]وب بلا تقولوا أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام [خال]صة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحي أو الى القياس المستنبط منه واللام مثلها في قولك لا تقولوا [لما أ]حل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام وهذا لوصف ألسنتكم الكذب أي ولا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواههم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام جعل قولهم كأنه عين الكذب فاذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولك وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر واللام في (لتفتروا على الله الكذب) من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض

صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته ﴿ انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ﴾ لما أمرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ماعداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ﴾ كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه أو متعلق بتصف على ارادة القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام أو مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحلوا بمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل ووصف السنتهم بالكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا مما والكذب جمع كذوب أو كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم أو بمعنى الكلم الكواذب ﴿ لتفتروا على الله الكذب ﴾ تعليل لا يتضمن معنى الغرض

انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ﴾ تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها في سورة البقرة فلم نعده هنا ❊ وقوله تعالى ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴾ يعني ولا تقولوا لاجل وصفكم الكذب ﴿ هذا حلال وهذا حرام ﴾ يعني انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعني البحيرة والسائبة وقال ابن عباس يعني قولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من عند أنفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو قوله تعالى ﴿ لتفتروا على الله الكذب ﴾ يعني لا تقولوا ان الله أمرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم

الله في تحليله (انما حرم عليكم الميتة) التي أمر بذبحها (والدم) دم المسفوح (ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) وما ذبح بغير اسم الله عمدا أو للاصنام (فمن اضطر) أجهد الى ما حرم الله عليه (غير باغ) على المسلمين ويقال غير مستحل لاكل الميتة (ولا عاد) قاطع الطريق ويقال متعمد للاكل بغير الضرورة (فان الله غفور) متجاوز باكل الميتة عند الضرورة (رحيم) اذ رخص له أكل الميتة عند الضرورة (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) لا تقولوا بألسنتكم الكذب (هذا) يعني الحرث والانعام (حلال) على الرجال (وهذا حرام) على النساء (لتفتروا) لتختلقوا (على الله الكذب) بذلك

بما كانوا يصنعون) الاذاقة واللباس استعارتان والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جا
عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذ
شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس
غشى الانسان والتبس به وأما ايقاع الاذاقة على لبا

الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف (ولقد جاءهم رسول منهم) أي محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) أي في حال التباسهم بالظلم قالوا انه القتل بالسيف يوم بدر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الى أهل مكة في سني القحط بطعام ففرق فيهم فقال الله لهم بعد أن أذاقهم الجوع (فكلوا مما رزقكم الله) على يدي محمد صلى الله عليه وسلم (حلالا طيبا) بدلا عما كنتم تأكلونه حراما خبيثا من الاموال المأخوذة بالغارات والغصوب وخبائث الكسوب (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون أو ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم

استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار ﴿ بما كانوا يصنعون ﴾ بصنيعهم ﴿ ولقد جاءهم رسول منهم ﴾ يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعدما ذكر مثلهم ﴿ فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد أو وقعة بدر ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ﴾ امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة ﴿ ان كنتم اياه تعبدون ﴾ تطيعون أو ان

الحال وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء اثر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز أن تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان الوجه الثالث أن يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسة فصار التقدير فأذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى ﴿ بما كانوا يصنعون ﴾ ولم يقل بما صنعت لانه أراد أهل القرية والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل أهل مكة لانهم كانوا في الامن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا في ايذائه وأرادوا قتله فأخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة الى المدينة وسلط على أهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين أظهرهم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد جاءهم ﴾ يعني أهل مكة ﴿ رسول منهم ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها ﴿ فكذبوه فأخذهم العذاب ﴾ يعني الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول أولى لما تقدم في الآية ﴿ وهم ظالمون ﴾ يعني كافرون ﴿ فكلوا مما رزقكم الله ﴾ في المخاطبين بهذا قولان أحدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني انهم هم المشركون من أهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع باهل مكة كلم رؤساؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن يحملوا الطعام اليهم حكاه الواحدي وغيره والقول الاول هو الصحيح قال ابن عباس فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله يريد الغنائم ﴿ حلالا طيبا ﴾ يعني ان الله سبحانه وتعالى أحل الغنائم لهذه الامة وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم ﴿ واشكروا نعمت الله ﴾ يعني التي أنعم بها عليكم ﴿ ان كنتم اياه تعبدون ﴾

(بما كانوا يصنعون) يقولون ويعملون بمحمد صلى الله عليه وسلم من الجفاء (ولقد جاءهم رسول) محمد صلى الله عليه (انا
وسلم (منهم) من نسبهم عربي قرشي مثلهم (فكذبوه) بما جاءهم به (فأخذهم العذاب) عذاب الله بالجوع والقتل والسبي (وهم
ظالمون) كافرون (فكلوا مما رزقكم الله) من الحرث والانعام والنعيم (حلالا طيبا واشكروا) اذكروا (نعمت الله ان كنتم
اياه تعبدون) ان كنتم تريدون عبادة الله بتحريم الحرث والانعام فاحلوا فان عبادة

الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا ٭ غلقت لضحكته رقاب المال

فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله

ينازعنى ردائى عبد عمرو ٭ رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لى الشطر الذى ملكت يمينى ٭ ودونك فاعتجر منه بشطر

بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم العرب الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فاكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به حتى يؤكل حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وقالوا ما هذا هبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فى حمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون والخوف يعنى خوف بعوث النبى صلى الله عليه وسلم وسراياه التى كان يبعثها للاغارة فكانت تطيف بهم وتغير على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم ٭ فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه وهو أن اللباس لا يذاق بل يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع أو يقال فاذاقهم الله طعم الجوع ٭ قلت قال صاحب الكشاف أما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعانى والبيان ما يشهد لصحة ما قال وقال الامام فخر الدين الرازى جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التى حصلت لهم عند الجوع نوعان أحدهما ان المذوق هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقون الجوع والثانى ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فاشبه اللباس والحاصل أنه حصل لهم فى ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثانى ان التقدير ان الله عرفها أثر لباس الجوع والخوف الا أنه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة وأصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف وهو الاختبار تقول ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها ٭ وسيق الينا عذبها وعذابها

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير

جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم النقمة أو لمكة ﴿ كانت آمنة مطمئنة ﴾ لا يزعج اهلها خوف ﴿ يأتيها رزقها ﴾ اقواتها ﴿ رغدا ﴾ واسعا ﴿ من كل مكان ﴾ من نواحيها ﴿ فكفرت بانعم الله ﴾ بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع أو جمع نعم كبؤس وابؤس ﴿ فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ﴾ استعار الذوق لادراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من

هذه الصفة وان تكون فى قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدى ضرب المثل ببيان المشبه والمشبه به وههنا ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية عند عامة المفسرين نازلة فى أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم فتقدير الآية ضرب الله مثلا لقريتكم أى بين الله لها شبها ثم قال قرية فيجوز ان تكون القرية بدلا من مثلا لانها هى الممثل بها ويجوز أن يكون المعنى ضرب الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرين كلهم قالوا أراد بالقرية مكة يعنون انه أراد مكة فى تمثيلها بقرية صفتها ما ذكر وقال ابن الجوزى فى هذه القرية قولان أحدهما انها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثانى انها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن وأقول هذه الآية نزلت بالمدينة فى قول مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لان الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة فى أهل مكة فضربها الله مثلا لاهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلت ان الخوف المذكور فى هذه الآية فى قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يبعثها فى قول جميع المفسرين لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وانما أمر بالقتال لما هاجر الى المدينة فكان يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله أعلم بمراده وأما تفسير قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية يعنى مكة ﴿ كانت آمنة ﴾ يعنى ذات أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم ﴿ مطمئنة ﴾ يعنى قارة بأهلها لا يحتاجون الى الانتقال عنها للانتجاع كما كان يحتاج اليه سائر العرب ﴿ يأتيها رزقها رغدا ﴾ يعنى واسعا ﴿ من كل مكان ﴾ يعنى يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه وتعالى يجبى اليه ثمرات كل شئ وذلك بدعوة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وارزق أهله من الثمرات ﴿ فكفرت ﴾ يعنى هذه القرية والمراد أهلها ﴿ بأنعم الله ﴾ جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التى أنعم الله بها على أهل مكة فلما قابلوا نعم الله التى أنعم بها عليهم بالجحود والكفر لا جرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى ﴿ فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ﴾ وذلك ان الله سبحانه وتعالى ابتلاهم

(كانت آمنة) من القتل والسبى (مطمئنة) لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف (يأتيها رزقها رغدا) واسعا (من كل مكان) من كل بلد (فكفرت) أهلها (بانعم الله) جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف

(كانت آمنة) كان أهلها آمنين من العدو والقتال والجوع والسبى (مطمئنة) مقيم أهلها (يأتيها رزقها) يحمل اليها من الثمرات (رغدا) موسعا (من كل مكان) ناحية وارض يحمل اليها (فكفرت بأنعم الله) فكفر أهلها بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) فعاقب الله أهلها بالجوع سبع سنين والخوف من خوف حرب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه

(بالجوع)

منصوب برحيم أوباذكر ﴿ تجادل عن نفسها ﴾ تجادل عن ذاتها وتسعى فى خلاصها لايهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى ﴿ وتوفى كل نفس ماعملت ﴾ جزاء ماعملت ﴿ وهم لايظلمون ﴾ لاينقصون اجرهم ﴿ وضرب الله مثلا قرية ﴾ أى

تجادل عن نفسها ﴾ يعنى تخاصم وتحتج عن نفسها أى بماأسلفت من خير وشر اشتغلت بالمجادلة لاتتفرغ الى غيرها * فان قلت النفس هى نفس واحدة وليس لها نفس أخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها * قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الاولى هى مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية هى بدنه فهى عينها وذاتها أيضا والمعنى يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لايقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات ﴿ وتوفى كل نفس ماعملت ﴾ يعنى جزاء ماعملت فى الدنيا من خير أو شر ﴿ وهم لايظلمون ﴾ يعنى لاينقصون من جزاء أعمالهم شيأ بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار خوفنا فقال ياأمير المؤمنين والذى نفسى بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك ساعات وأنت لايهمك الانفسك وان جهنم لتزفر زفرة مايبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الاجثا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لاأسألك الانفسى وان تصديق ذلك فيما أنزل الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها * وروى عكرمة عن ابن عباس فى هذه الآية قال ماتزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يارب لم تكن لى يد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها ويقول الجسد يارب أنت خلقتنى كالخشبة ليست لى يد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فبه نطق لسانى وبه أبصرت عيناى وبه مشت رجلاى فضرب الله لهما مثلا أعمى ومقعد دخلا حائطا يعنى بستانا فيه ثمار فالاعمى لايبصر الثمر والمقعد لايناله فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب * قوله عز وجل ﴿ وضرب الله مثلا قرية ﴾ المثل عبارة عن قول فى شئ يشبه قولا فى شئ آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة لغيره فى معنى من المعانى أى معنى كان وهو أعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة قال الامام فخر الدين الرازى المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجودا أولم يكن وقد يضرب بشئ موجود معين فهذه القرية التى ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن تكون شيأ مفروضا ويحتمل أن تكون قرية معينة وعلى التقدير الثانى فتلك القرية يحتمل أن تكون مكة أوغيرها والاكثر من المفسرين على أنها مكة والاقرب انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزمخشرى فى كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية أى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة على

غيره والنفس الجملة كما هى فالنفس الاولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته لايهمه شأن غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا الآية والله ربنا ما كنا مشركين (وتوفى كل نفس ماعملت) تعطى جزاء عملها وافيا (وهم لايظلمون) فى ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون فى قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها

أو فاجرة (تجادل) تخاصم (عن نفسها) لقبل نفسها ويقال مع شيطانها ويقال مع روحها (وتوفى) توفر (كل نفس) برة أو فاجرة (ماعملت) بما عملت من خير أوشر (وهم لايظلمون) لاينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيآتهم (وضرب الله مثلا قرية) بين الله تعالى صفة أهل مكة أبى جهل والوليد وأصحابهما

(وان الله لايهدى القوم الكافرين) ماداموا مختارين للكفر (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فلا يتدبرون ولايصغون الى المواعظ ولايبصرون طريق الرشاد (وأولئك هم الغافلون) أى الكاملون فى الغفلة لان الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنتهاها (لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك) ثم يدل على تباعد حال هؤلاء من حل أولئك (للذين هاجروا) من مكة أى انه لهم لاعليهم يعنى انه وليهم وناصرهم لاعدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لاعليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور (من بعدما فتنوا) بالعذاب والاكراه على الكفر فتنوا شامى أى بعدما عذبوا المؤمنين ثم أسلموا (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة (وصبروا) على الجهاد (ان ربك من بعدها) من بعد هذه الافعال وهى الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية (رحيم) لايعذبهم على ماقالوا فى حالة الاكراه (يوم تأتى) منصوب برحيم أو باذكر (كل نفس

(وأن الله لايهدى) لدينه ولاينجى من عذابه (القوم الكافرين) من لم يكن أهلا لذلك (اولئك الذين طبع الله) ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) عن أمر الآخرة تاركون لها ويقال غافلون عن التوحيد جاحدون به (تجادل) (لاجرم) حقا يا محمد (أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) المغبونون نزلت فى المستهزئين (ثم ان ربك) يا محمد (للذين هاجروا) من مكة الى المدينة (من بعدما فتنوا) عذبوا عذبهم أهل مكة عمار بن ياسر وأصحابه (ثم جاهدوا) العدو فى سبيل الله (وصبروا) مع محمد صلى الله عليه وسلم على المرازى (ان ربك من بعدها) من بعد الهجرة (لغفور) متجاوز (رحيم) بهم (يوم تأتى) وهو يوم القيامة (كل نفس) برة

عنيد ﴿ وان الله لايهدى القوم الكافرين ﴾ أى الكافرين فى علمه الى مايوجب ثبات الايمان ولايعصمهم من الزيغ ﴿ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم ﴾ فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه ﴿ واولئك هم الغافلون ﴾ الكاملون فى الغفلة عما يرادبهم اذاغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب ﴿ لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون ﴾ اذضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ﴿ ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ﴾ أى عذبوا كعمار رضى الله تعالى عنه بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح أى بعدما عذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ﴿ ثم جاهدوا وصبروا ﴾ على الجهاد وما اصابهم من المشاق ﴿ ان ربك من بعدها ﴾ من بعد الهجرة والجهاد والصبر ﴿ لغفور ﴾ لما فعلوا قبل ﴿ رحيم ﴾ ينعم عليهم مجازاة على ماصنعوا بعد ﴿ يوم تأتى كل نفس ﴾

﴿ وأن الله لايهدى القوم الكافرين ﴾ يعنى لايرشدهم الى الايمان ولايوفقهم للعمل به ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴾ تقدم تفسيره ﴿ وأولئك هم الغافلون ﴾ يعنى عما يرادبهم من العذاب فى الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ﴾ يعنى ان الانسان انما يعمل فى الدنيا ليربح فى الآخرة فاذا دخل النار بان خسرانه وظهر غبنه لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر ✲ قوله عز وجل ﴿ ثم ان ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا ﴾ يعنى عذبوا ومنعوا من الدخول فى الاسلام فتنهم المشركون ﴿ ثم جاهدوا وصبروا ﴾ عن الايمان والهجرة والجهاد ﴿ ان ربك من بعدها ﴾ يعنى من بعد الفتنة التى فتنوها ﴿ لغفور رحيم ﴾ نزلت هذه الآية فى عياش بن أبى ربيعة وكان أخا أبى جهل من الرضاعة وقيل كان أخاه لامه وفى أبى جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفى فتنهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ماأرادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الآية فى عبد الله بن ابى سرح كان قد أسلم وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه لامه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنيات فى السور المكيات والله أعلم بحقيقة ذلك ✲ قوله سبحانه وتعالى ﴿ يوم تأتى كل نفس

(ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى طاب به نفسا واعتقده (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وان يكون بدلا من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وان يكون بدلا من المبتدأ الذى هو أولئك أى من كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذى هو الكاذبون أى وأولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه وان ينتصب على الذم روى ان ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا وكان فيهم من أكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وأما أبواه ياسر وسمية فقد قتلا وهما أول قتيلين فى الاسلام فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وما فعل أبو عمار أفضل لان فى الصبر على القتل اعزازا للاسلام (ذلك) اشارة الى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم (بأنهم استحبوا) آثروا (الحيوة الدنيا على الآخرة) أى بسبب ايثارهم الدنيا على الآخرة

دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدرا ﴾ اعتقده وطاب به نفسا ﴿ فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ اذ لا اعظم من جرمه روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة فى قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين فى الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يارسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من فرقه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فيقول مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تقول فى فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تقول فى قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الكفر بعد الايمان أو الوعيد ﴿ بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة ﴾ بسبب انهم آثروها

من الافعال ما يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمن أكره بالسيف أو القتل على أن يشرب الخمر أو يأكل الميتة أو لحم الخنزير أو نحوها جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان أفضل ومن الافعال ما يتصور الاكراه عليه كالزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلماء فى طلاق المكره فقال الشافعى رضى الله تعالى عنه وأكثر العلماء لا يقع طلاق المكره وقال أبو حنيفة يقع حجة الشافعى ومن وافقه قوله سبحانه وتعالى لا اكراه فى الدين ولا يمكن أن يكون المراد نفى ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفى آثاره والمعنى انه لا أثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على أن محل الايمان هو القلب ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدرا ﴾ يعنى فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضى به ﴿ فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ يعنى فى الآخرة ﴿ ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة ﴾ يعنى يكون ذلك الاقدام على الارتداد الى الكفر لاجل أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة

(ولكن من شرح بالكفر صدرا) تكلم بالكفر طائعا (فعليهم غضب من الله) سخط من الله (ولهم عذاب عظيم) شديدا أشد مما يكون فى الدنيا نزلت هذه الآية فى عبدالله بن سعد بن أبى سرح (ذلك) العذاب (بأنهم استحبوا الحيوة الدنيا) اختاروا الدنيا (على الآخرة) والكفر على الايمان

الكفر لتقرير القول والعقد كالايمان ﴿ وقلبه مطمئن بالايمان ﴾ لم تتغير عقيدته وفيه

وقلبه مطمئن بالايمان * نزلت فى عمار بن ياسر وذلك ان المشركين أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم ليرجعوا عن الاسلام فاما سمية أم عمار فهاربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما أول قتيلين قتلا فى الاسلام واما عمار فانه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه فى بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماوراءك قال شر يارسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعدلهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت فى أناس من أهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان هاجروا الينا فانا لانراكم منا حتى تهاجروا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش فى الطريق ففتنوهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف لان الآية مكية وكان هذا فى أول الاسلام قبل أن يؤمروا بالهجرة وقال مقاتل نزلت فى جبر مولى عامر بن الحضرمى أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالايمان ثم أسلم عامر بن الحضرمى مولى جبر وحسن اسلامه وهاجر الى المدينة والاولى أن يقال ان الآية عامة فى كل من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا * فان قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافر فامعنى هذا الاستثناء فى الامن أكره * قلت المكره لما ظهر منه بعد الايمان ما شابه مايظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله أعلم

فصل فى حكم الآية

قال العلماء يجب أن يكون الاكراه الذى يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر ان يعذب بعذاب لاطاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايلامات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه قال العلماء أول من أظهر الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وأبوه ياسر وأمه سمية فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من أذى المشركين بعمه أبى طالب وأما أبو بكر فمنعه قومه وعشيرته وأخذ الآخرون وألبسوا أدراع الحديد وأجلسوا فى حر الشمس بمكة فامابلال فكانوا يعذبونه وهو يقول أحد أحد حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب لقد أوقدوا لى نارا ما أطفأها الاودك ظهرى وأجمعوا على ان من أكره على الكفر لايجوز له أن يتلفظ بكلمة تصريحا بل يأتى بالمعاريض وبما يوهم انه كفر فلو أكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمأنينة القلب على الايمان غير معتقد مايقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان أفضل لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء

(وقلبه مطمئن بالايمان) ساكن به

(وقلبه مطمئن بالايمان) معتقد على الايمان نزلت هذه الآية فى عمار بن ياسر

تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ماتلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمى وهذا عربى والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التى فى القرآن لايمكن تعلمها الاعلازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه فى بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها فطعنهم فى القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ﴿ ان الذين لايؤمنون بآيات الله ﴾ لايصدقون انها من عندالله ﴿ لايهديهم الله ﴾ الى الحق أو الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ فى الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما اماط شبهتهم وردطعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال ﴿ انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله ﴾ لانهم لايخافون عقابا يردعهم عنه ﴿ واولئك ﴾ اشارة الى الذين كفروا أو الى قريش ﴿ هم الكاذبون ﴾ أى الكاذبون على الحقيقة أو الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب أو الذين عادتهم الكذب ولايصرفهم عنه دين ولامروءة أو الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر ﴿ من كفر بالله من بعد ايمانه ﴾ بدل من الذين لايؤمنون ومابينهما اعتراض أو من اولئك أو من الكاذبون أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب دل عليه قوله ﴿ الا من اكره ﴾ على الافتراء أو كلمة الكفر استثناء متصل لان

عليه وسلم جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذى عجزتم أنتم عنه وانتم أهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو أعجمى على مثله وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذى يشيرون اليه فثبت بهذا البرهان ان الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحى أوحاه الله اليه وليس هو من تعليم الذى يشيرون اليه ولا هو أتى به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله عز وجل اليه وروى ان الرجل الذى كانوا يشيرون اليه أسلم وحسن اسلامه ﴿ ان الذين لايؤمنون بآيات الله ﴾ يعنى لايصدقون انها من عندالله ﴿ لايهديهم الله ﴾ يعنى لايرشدهم ولايوفقهم للايمان ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ يعنى فى الآخرة ثم أخبر الله سبحانه وتعالى ان الكفار هم المفترون فقال تعالى ﴿ انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله ﴾ يعنى انما يقدم على فرية الكذب من لايؤمن بآيات الله فهو رد لقول كفار قريش انما انت مفتر ﴿ واولئك هم الكاذبون ﴾ يعنى فى قولهم انما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم * فان قلت قد قال تبارك وتعالى انما يفترى الكذب فما معنى قوله تعالى واولئك هم الكاذبون والثانى هو الاول * قلت قوله سبحانه وتعالى انما يفترى الكذب اخبار عن حال قولهم وقوله واولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أى كذبت فى هذا القول ومن عادتك الكذب وفى الآية دليل على ان الكذب من افحش الذنوب الكبار لان الكاذب المفترى هو الذى لايؤمن بآيات الله ٭ روى البغوى باسناد الثعلبى عن عبدالله بن جراد قال قلت يارسول الله المؤمن يزنى قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله

٭ قوله تعالى ﴿ من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره

(لايهديهم الله) ماداموا مختارين الكفر (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة على كفرهم (انما يفترى الكذب) على الله (الذين لايؤمنون بآيات الله) أى انما يليق افتراء الكذب بمن لايؤمن لانه لايترقب عقابا عليه وهو رد لقولهم انما أنت مفتر (وأولئك) اشارة الى الذين لايؤمنون أى وأولئك (هم الكاذبون) على الحقيقة الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو وأولئك هم الكاذبون فى قولهم انما أنت مفتر جوزوا أن يكون (من كفر بالله من بعد ايمانه) شرطا مبتدأ وحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب (الامن أكره

(ان الذين لايؤمنون بآيات الله) بمحمد عليه السلام والقرآن (لايهديهم الله) لدينه من لم يكن أهلا لدينه ويقال لايهديهم الى الجنة ولاينجيهم من النار (ولهم عذاب أليم) وجيع (انما يفترى) يختلق (الكذب) على الله (الذين لايؤمنون بآيات الله) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وأولئك هم الكاذبون) على الله (من كفر بالله من بعد ايمانه) بالله فعليه غضب من الله (الامن أكره) الامن أجبر على الكفر

﴿ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر﴾ يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي ﴿لسان الذي يلحدون اليه اعجمي﴾ لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير بين ﴿وهذا﴾ وهذا القرآن ﴿لسان عربي مبين﴾ ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما سمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربي

﴿ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر﴾ وذلك ان كفار مكة قالوا انما يتعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فاجابهم الله بقوله ولقد نعلم انهم يقولونه انما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبني المغيرة يقال له يعيش فكان يقرأ الكتب فقالت قريش انما يعلمه يعيش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبيد الله بن مسلم كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لاحدهما يسار ويكنى أبا فكيهة ويقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والانجيل بمكة فربما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آذاه الكفار يقعد اليهما فيتروح بكلامهما فقال المشركون انما يتعلم محمد منهما وقال الفراء قال المشركون انما يتعلم محمد من عائش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى كان نصرانيا وقد أسلم وحسن اسلامه وكان أعجميا وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها لنفسه ويزعم انه وحي من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فاجاب الله عنه وأنزل هذه الآية تكذيبا لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى ﴿لسان الذي يلحدون اليه﴾ يعني يميلون ويشيرون اليه ﴿أعجمي﴾ يعني هو أعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وان كان يسكن البادية ومنه سمي زياد الاعجم لانه كان في لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحا بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الامصار من بلاد العرب وهو منسوب الى العرب ﴿وهذا لسان عربي مبين﴾ يعني بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو ان الذي يشيرون اليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله

والانجيل ... صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن أو سلمان الفارسي (لسان الذي يلحدون اليه) وبفتح الياء والحاء حمزة وعلي (أعجمي وهذا لسان عربي مبين) أي لسان الرجل الذين يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة رد لقولهم وابطال لطعنهم وهذه الجملة أعني لسان الذي يلحدون اليه أعجمي لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم واللسان اللغة ويقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا ألحد فلان في قوله وألحد في دينه ومنه الملحد لانه أمال مذهبه عن الاديان كلها

باجنة (ولقد نعلم) يا محمد (انهم) يعني كفار مكة (يقولون انما يعلمه) يعني القرآن (بشر) جبر ويسار (لسان الذي يلحدون اليه) يميلون ويشيرون وينسبون اليه (أعجمي) عبراني (وهذا لسان عربي) يقول القرآن على مجرى لغة العربية (مبين) بلغة يعلمونها

(واذا بدلنا آية مكان آية) تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها وهو معنى قوله (والله أعلم بما ينزل) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (قالوا انما أنت مفتر) هو جواب اذا وقوله والله أعلم بما ينزل اعتراض كانوا يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بأمر ينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق (بل أكثرهم لايعلمون) الحكمة فى ذلك (قل نزله روح القدس) أى جبريل عليه السلام أضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد والمقدس المطهر من المآثم (من ربك) من عنده وأمره (بالحق) حال أى نزله ملتبسا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة لانه حكيم لايفعل الا ما هو حكمة وصواب حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب (وهدى وبشرى) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة (للمسلمين) وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم

واذا بدلنا آية مكان آية ﴿ بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا أو حكما ﴿ والله اعلم بما ينزل ﴾ من المصالح فلعل مايكون مصلحة فى وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه * وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف ﴿ قالوا ﴾ اى الكفرة ﴿ انما انت مفتر ﴾ متقول على الله تأمر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا ﴿ بل اكثرهم لايعلمون ﴾ حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب ﴿ قل نزله روح القدس ﴾ يعنى جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود * وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفى ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضى التبديل ﴿ من ربك بالحق ﴾ ملتبسا بالحكمة ﴿ ليثبت الذين آمنوا ﴾ ليثبت الله الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه وانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم ﴿ وهدى وبشرى للمسلمين ﴾ المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت أى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم * وقرئ ليثبت بالتخفيف

مشركون بالله * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ﴾ وذلك ان المشركين من أهل مكة قالوا ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ماهو الا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه فانزل الله هذه الآية والمعنى واذا نسخنا حكم آية فابدلنا مكانه حكما آخر والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل فى الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل من الناسخ وبما هو أصلح لخلقه وبما يغير ويبدل من أحكامه أى هو أعلم بجميع ذلك مما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبيخ وتقريع للكفار على قولهم للنبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى ﴿ قالوا انما أنت مفتر ﴾ أى تختلقه من عندك والمعنى اذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمدا الى الافتراء والكذب لاجل التبديل والنسخ وانما فائدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما يقال ان الطبيب يأمر المريض بشرب دواء ثم بعد ذلك ينهاه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة ﴿ بل أكثرهم لايعلمون ﴾ يعنى لايعلمون فائدة الناسخ وتبديل المنسوخ ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿ نزله ﴾ يعنى القرآن ﴿ روح القدس ﴾ يعنى جبريل صلى الله عليه وسلم أضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير والمعنى الروح المقدس المطهر ﴿ من ربك ﴾ يعنى ان جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد ﴿ بالحق ليثبت الذين آمنوا ﴾ يعنى ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا ايمانا ويقينا ﴿ وهدى وبشرى ﴾ يعنى وهو هدى وبشرى ﴿ للمسلمين ﴾ * قوله عزوجل

واذا بدلنا آية) نزلنا جبريل بآية ناسخة (مكان آية) منسوخة (والله أعلم بما ينزل) بصلاح ما يأمر العباد (قالوا) كفار مكة (انما أنت) يا محمد (مفتر) مختلق من تلقاء نفسك (بل أكثرهم لايعلمون) ان الله لا يأمر عباده الا بما يصلح لهم (قل) لهم يا محمد (نزله) يعنى نزل القرآن وانما شدده لكثرة نزوله (روح القدس) جبريل المطهر (من ربك) يا محمد (بالحق) بالناسخ والمنسوخ (ليثبت) ليطيب ويطمئن اليه قلوب (الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وهدى) من الضلالة (وبشرى للمسلمين) (قاو خا ٨١ اث)

المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ﴿ انه ليس له سلطان ﴾ تسلط وولاية ﴿ على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ على اولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا ﴿ انما سلطانه على الذين يتولونه ﴾ يحبونه ويطيعونه ﴿ والذين هم به ﴾ بالله أو بسبب الشيطان ﴿ مشركون ﴾

الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة واليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهري قالوا لان قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوساوس في قلب قارئ هل حصل له ذلك الثواب أم لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب مخلصا فاما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الائمة وفقهاء الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية اذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الخ ومثله من الكلام اذا أردت أن تأكل فقل بسم الله واذا أردت أن تسافر فتأهب وأيضا فان الوسوسة انما تحصل في أثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها ومذهب عطاء انه تجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها واتفق سائر الفقهاء على ان الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها في أول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجاء اليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على ألقاء الوسوسة في قلوب بني آدم باقدار الله اياهم على ذلك ﴿ انه ليس له سلطان على الذين أمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكأن ذلك أوهم ان له قدرة على التصرف في أبدان بني آدم فازال الله سبحانه وتعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تفيد اذا حضر بقلب الانسان كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الا بعصمة الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى ﴿ انما سلطانه على الذين يتولونه ﴾ يعني يطيعونه ويدخلون في ولايته يقال توليته اذا أطعته وتوليت عنه اذا أعرضت عنه ﴿ والذين هم به مشركون ﴾ يعني بالله وقيل الضمير في به راجع الى الشيطان والمعنى هم من أجله

﴿ انه ليس له ﴾ لابليس ﴿ سلطان ﴾ تسلط وولاية ﴿ على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ فالمؤمن المتوكل لا يقبل منه وساوسه ﴿ انما سلطانه على الذين يتولونه ﴾ يتخذونه وليا ويتبعون وساوسه ﴿ والذين هم به مشركون ﴾ الضمير يعود الى ربهم أو الى الشيطان أي بسببه

﴿ انه ليس له سلطان ﴾ سبيل وغلبة ﴿ على الذين آمنوا ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ لا على غيره ويفوضون أمورهم اليه ﴿ انما سلطانه ﴾ سبيله وغلبته ﴿ على الذين يتولونه ﴾ يطيعونه ﴿ والذين هم به ﴾ بالله ﴿ مشركون ﴾

﴿ مشركون ﴾

أى فى الدنيا لقوله (ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانو يعملون) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح

فى الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم فى الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه وقيل فى الآخرة ﴿ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ من الطاعة ﴿فاذا قرأت القرآن﴾ اذا اردت قراءته كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك فى القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان

جبير وعطاء هى الرزق الحلال وقال مقاتل هى العيش فى الطاعة وقيل هى حلاوة الطاعة وقال الحسن هى القناعة وقيل رزق يوم بيوم واعلم ان عيش المؤمن فى الدنيا وان كان فقيرا أطيب من عيش الكافر وان كان غنيا لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب فكان المؤمن راضيا عن الله وراضيا بما قدره الله له ورزقه اياه وعرف ان له مصلحة فى ذلك القدر الذى رزقه اياه فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك وأما الكافر أو الجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون أبدا فى حزن وتعب وعناء وحرص وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر له فظهر بهذا ان العيش المؤمن القنوع أطيب من غيره وقال السدى الحياة الطيبة انما تحصل فى القبر لان المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة فى قوله فلنحيينه حياة طيبة هى الجنة وروى عوف عن الحسن قال لا تطيب لاحد الحياة الا فى الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلاك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا تكون الا فى الجنة ولقوله فى سياق الآية ﴿ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ لان ذلك الجزاء انما يكون فى الجنة ✻ قوله عز وجل ﴿فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لان النبى صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج الى الاستعاذة وقد أمر بها فغيره أولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا فى القاء الوسوسة فى قلوب بنى آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان ✻ عن جبير ابن مطعم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال عمر ولا أدرى أى صلاة هى قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخته ونفثه وهمزه قال نفخته الكبر ونفثه السحر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود ✻ الموتة الجنون والفاء فى قوله فاستعذ بالله للتعقيب فظاهر لفظ الآية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من

موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فمعه مايطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى واما الفاجر فامره بالعكس ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة أو حلاوة الطاعة أو المعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والاعراض عما سوى الله (فاذا قرأت القرآن) فاذا أردت قراءة القرآن (فاستعذ بالله) فعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لانها سبب له والفاء للتعقيب اذ القراءة المصدرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور (من الشيطان) يعنى ابليس (الرجيم) المردود والملعون قال ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لى قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام

(ولنجزينهم أجرهم) ثوابهم فى الآخرة (بأحسن ما كانوا يعملون) باحسانهم فى الدنيا نزلت هذه الآية فى عبدان بن الاشوع وامرئ القيس الكندى فى خصومة كانت بينهما فى أرض (فاذا قرأت القرآن) فاذا أردت يا محمد ان تقرأ القرآن فى اول افتتاح الصلاة أو غير الصلاة (فاستعذ بالله) فقل أعوذ بالله (من الشيطان الرجيم) اللعين المرجوم بالنجم المطرود من رحمة الله

وخروجكم عن الدين أو بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) ببيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضا من الدنيا يسيرا كأن قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعفهم المسلمين ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله (ان ما عند الله) من ثواب الآخرة (هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم) من أعراض الدنيا (ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) لا ينفد (وليجزين) وبالنون مكى وعاصم (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاق الاسلام (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى) من مبهم يتناول النوعين الا ان ظاهره للذكور فبين بقوله من ذكر أو أنثى ليعم الموعد النوعين جميعا (وهو مؤمن) شرط الايمان لان أعمال الكفار غير معتد بها وهو يدل على ان العمل ليس من الايمان (فلنحيينه حياة طيبة)

(ولكم عذاب عظيم) شديد في الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) بالحلف بالله كاذبا عرضا يسيرا من الدنيا (انما عند الله) من الثواب (هو خير لكم) مما عندكم من المال (ان كنتم) اذ كنتم (تعلمون) ثواب الله ويقال ان كنتم تصدقون بثواب الله (ما عندكم) من الاموال (ينفد) يفنى (وما عند الله) من الثواب (باق) يبقى (ولنجزين الذين صبروا) عن الدين وأقروا بالحق (أجرهم) ثوابهم في الآخرة (بأحسن ما كانوا يعملون) باحسانهم في الدنيا (من عمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه وأقر بالحق (من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) ومع ذلك مؤمن مخلص (فلنحيينه حياة طيبة) في الطاعة ويقال في القناعة ويقال في الجنة

البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ﴿ ولكم عذاب عظيم ﴾ في الآخرة ﴿ ولا تشتروا بعهد الله ﴾ ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ﴿ ثمنا قليلا ﴾ عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد ﴿ ان ما عند الله ﴾ من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة ﴿ هو خير لكم ﴾ مما يعدونكم ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ ان كنتم من اهل العلم والتمييز ﴿ ما عندكم ﴾ من اعراض الدنيا ﴿ ينفد ﴾ ينقضي ويفنى ﴿ وما عند الله ﴾ من خزائن رحمته ﴿ باق ﴾ لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم الجنة باق ﴿ وليجزين الذين صبروا اجرهم ﴾ على الفاقة واذى الكفار أو على مشاق التكاليف * وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون ﴿ بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بجزاء احسن من اعمالهم ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى ﴾ بينه بالنوعين دفعا للتخصيص ﴿ وهو مؤمن ﴾ اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾

يعني بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو أقدمه على ذلك ﴿ ولكم عذاب عظيم ﴾ يعني بنقضكم العهد ﴿ ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ﴾ يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بها ﴿ ان ما عند الله ﴾ يعني فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد ﴿ هو خير لكم ﴾ يعني من عاجل الدنيا ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ يعني فضل ما بين العوضين * ثم بين ذلك فقال تبارك وتعالى ﴿ ما عندكم ينفد ﴾ يعني من متاع الدنيا ولذاتها يفنى ويذهب ﴿ وما عند الله باق ﴾ يعني من ثواب الآخرة ونعيم الجنة ﴿ ولنجزين الذين صبروا ﴾ يعني على وفاء بالعهد على السراء والضراء ﴿ أجرهم ﴾ يعني ثواب صبرهم ﴿ بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ عن أبي موسى الاشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ﴾ فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فائدة الذكر والانثى * قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر وأطلق كان الظاهر تناوله للذكر دون الانثى فقيل من ذكر أو أنثى على التبيين ليعم الوعد للنوعين جميعا وجواب آخر وهو ان هذه الآية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للتأكيد وازالة لوهم التخصيص وقوله وهو مؤمن جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾ قال سعيد بن

﴿ جبير ﴾

لوقوعها بين نكرتين (انما يبلوكم الله به) الضمير للمصدر أي انما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم (وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون) اذا جازاكم

على أعمالكم بالثواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة ملة الاسلام (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة (ولكن يضل من يشاء) من علم منه اختيار الضلالة (ويهدى من يشاء) من علم منه اختيار الهداية (ولتسئلن عما كنتم تعملون) يوم القيامة فتجزون به (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) كرر النهى عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظمه (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وانما وحدت القدم ونكرت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان تثبت عليه فكيف باقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) فى الدنيا (بما صددتم) بصدودكم (عن سبيل الله)

والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم أو لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة فى اعادى حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم ﴿ انما يبلوكم الله به ﴾ الضمير لان تكون امة لأنه بمعنى المصدر أى يختبركم بكونكم اربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء ﴿ وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ﴿ ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ﴾ متفقة على الاسلام ﴿ ولكن يضل من يشاء ﴾ بالخذلان ﴿ ويهدى من يشاء ﴾ بالتوفيق ﴿ ولتسئلن عما كنتم تعملون ﴾ سؤال تبكيت ومجازاة ﴿ ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم ﴾ تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة فى قبح المنهى ﴿ فتزل قدم ﴾ أى محجة الاسلام ﴿ بعد ثبوتها ﴾ عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة ﴿ وتذوقوا السوء ﴾ العذاب فى الدنيا ﴿ بما صددتم عن سبيل الله ﴾ بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض

وأمرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا ﴿ انما يبلوكم الله به ﴾ يعنى يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد وهو اعلم بكم ﴿ وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ يعنى فى الدنيا فيثيب الطائع المحق ويعاقب المسئ المخالف ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ يعنى على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الاسلام ﴿ ولكن يضل من يشاء ﴾ يعنى بخذلانه اياه عدلا منه ﴿ ويهدى من يشاء ﴾ بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الالهية لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وهو قوله تعالى ﴿ ولتسئلن عما كنتم تعملون ﴾ يعنى فى الدنيا فيجازى المحسن باحسانه ويعاقب المسئ باساءته أو يغفر له ﴿ قوله عز وجل ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم ﴾ يعنى خديعة وفسادا بينكم فتغروا بها الناس فيسكنوا الى أيمانكم ويأمنوا اليكم ثم تنقضونها وانما كرر هذا المعنى تأكيدا عليهم واظهار العظم أمر نقض العهد قال المفسرون وهذا فى نهى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام نهاهم عن نقض عهده لان الوعيد الذى بعده وهو قوله سبحانه وتعالى فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد غيره انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشريعته ﴿ وقوله ﴿ فتزل قدم بعد ثبوتها ﴾ مثل يذكر لكل من وقع فى بلاء ومحنة بعد عافية ونعمة أو سقط فى ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع فى بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها ﴿ وتذوقوا السوء ﴾ يعنى العذاب ﴿ بما صددتم عن سبيل الله ﴾

من جاءة (انما يبلوكم الله به) يختبركم بالكثرة ويقال بنقض العهد (وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه) فى الدين (تختلفون) تخالفون (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) لجمعكم على ملة واحدة ملة الاسلام (ولكن يضل من يشاء) عن دينه من لم يكن أهلا لدينه (ويهدى من يشاء) لدينه من كان أهلا لذلك (ولتسئلن) يوم القيامة (عما كنتم تعملون) من الخير والشر فى الكفر والايمان ويقال من النقض والوفاء (ولا تتخذوا أيمانكم) عهودكم (دخلا) دغلا ومكرا وخديعة (بينكم فتزل قدم) فتزلوا عن طاعة الله كما تزل قدم الرجل (بعد ثبوتها) قيامها (وتذوقوا السوء) النار (بما صددتم) بما صرفتم الناس (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته

(ولاتنقضوا الايمان) ايمان البيعة (بعد توكيدها) بعد توثيقها باسم الله وأكدو وكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل
منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه (ان الله يعلم
ماتفعلون)من البر والحنث فيجازيكم به (ولاتكونوا) فى نقض الايمان (كالتى
نقضت غزلها من بعد قوة) كالمرأة التى انحت على غزلها بعد ان أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكاثا) جمع نكث وهو ما نكث فتله قيل هى ريطة وكانت حمقاء تغزل هى وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ماغزلن (تتخذون أيمانكم) حال كانكاثا (دخلا)أحد مفعولى تتخذاى ولاتنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا (بينكم) أى مفسدة وخيانة (أن تكون أمة) بسبب أن تكون أمة يعنى جماعة قريش (هى أربى من أمة) هى أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين هى أربى مبتدأ وخبر فى موضع الرفع صفة لامة وأمة فاعل تكون وهى تامة وهى ليست بفصل

النذر وقيل الايمان بالله ﴿ ولاتنقضوا الايمان ﴾ أى ايمان البيعة أو مطلق الايمان ﴿ بعد توكيدها ﴾ بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه أكد بقلب الواو همزة ﴿ وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ﴾ شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ﴿ ان الله يعلم ماتفعلون ﴾ فى نقض الايمان والعهود ﴿ ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها ﴾ ماغزلته مصدر بمعنى المفعول ﴿ من بعد قوة ﴾ متعلق بنقضت غزلها من بعد ابرام واحكام ﴿ انكاثا ﴾ طاقات نكثت فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها أو المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل هى ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك ﴿ تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ﴾ حال من الضمير فى ولاتكونوا أو فى الجار الواقع موقع الخبر أى لاتكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذى ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل مايدخل الشىء ولم يكن منه ﴿ ان تكون امة هى اربى من امة ﴾ لان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة

التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان فى الجاهلية لم يزده الاسلام الاشدة ﴿ ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها ﴾ يعنى تشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على أن المراد بالعهد غير اليمين لانه أعم منها ﴿ وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ﴾ يعنى شهيدا بالوفاء بالعهد ﴿ ان الله يعلم ماتفعلون ﴾ يعنى من وفاء العهد ونقضه ﴿ ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لنقض العهد فقال تعالى ﴿ ولاتكونوا ﴾ يعنى فى نقض العهد ﴿ كالتى نقضت غزلها من بعد قوة ﴾ يعنى من بعد ابرامه واحكامه قال الكلبى ومقاتل هذه امرأة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تيم وكانت خرقاء حمقاء بها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف أو الشعر أو الوبر وتأمر جواريها بالغزل فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ماغزلن فكان هذا دأبها والمعنى ان هذه المرأة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لاتركه ولا حين عاهد وفى به ﴿ أنكاثا ﴾ جمع نكث وهو ماينقض من الغزل أو الحبل بعد الفتل ﴿ تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ﴾ يعنى دغلا وخيانة وخديعة والدخل مايدخل فى الشىء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل ان يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن نقضه ﴿ أن تكون ﴾ يعنى لان تكون ﴿ أمة هى اربى من أمة ﴾ يعنى أكثر وأعلى من أمة قال مجاهد وذلك انهم كانوا يخالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما أكثر من أولئك وأعز نقضوا حلف هؤلاء وخالفوا الاكثر والمعنى انكم طلبتم العز بنقض العهد لان كانت أمة أى جماعة أكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك

(ولاتنقضوا الايمان) يعنى العهود فيما بينكم (بعد توكيدها) تغليظها او تشديدها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) يعنى شهيدا ويقال حفيظا معناه وقد قلتم الله شهيد علينا بالوفاء على كلا الفريقين (ان الله يعلم ماتفعلون) من النقض والوفاء (ولاتكونوا
فى نقض العهد (كالتى نقضت غزلها) يعنى رائطة الحمقاء (من بعد قوة) ابرام واحكام (أنكاثا) انقاضا (تتخذون ﴿ وامرهم ﴾
أيمانكم) عهودكم (دخلا) مكرا وخديعة (بينكم أن تكون أمة) بان تكون جماعة (هى أربى) أكثر (من أمة)

فانها الشيطنة التى هى مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج فى هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه هى اجمع آية فى القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه ولو لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شئ وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه ﴿ يعظكم ﴾ بالامر والنهى والميز بين الخير والشر ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ تتعظون ﴿ واوفوا بعهد الله ﴾ يعنى البيعة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله ﴿ اذا عاهدتم ﴾ وقيل

ان الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة فى الاقوال والافعال وذكر فى مقابلته الفحشاء وهى ماقبح من الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو أن تعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وذكر فى مقابلته المنكر وهو ان تنكر احسان من أحسن اليك وذكر ايتاء ذى القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر فى مقابلته البغى وهو أن يتكبر عليهم أو يظلمهم حقوقهم * ثم قال تعالى ﴿ يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ يعنى انما أمركم بما أمركم به ونهاكم عمانهاكم عنه لكى تتعظوا وتتذكروا فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان أجمع آية فى القرآن لخير وشر هذه الآية وقال أهل المعانى لما قال الله تعالى فى الآية الاولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ بين فى هذه الآية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجمال فما من شئ يحتاج اليه الناس فى أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الآية وروى عكرمة أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة ان الله يأمر بالعدل الى آخر الآية فقال له يا ابن أخى أعد على فاعادها عليه فقال له الوليد والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وماهو بقول البشر * قوله عزوجل ﴿ وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر فى هذه الآية بعض ذلك الاجمال على التفصيل فبدأ بالامر بالوفاء بالعهد لانه آكد الحقوق فقال تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم نزلت فى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فامرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل مايلتزمه الانسان باختياره ويدخل فيه الوعد أيضا لان الوعد من العهد وقيل العهد ههنا اليمين قال القتيبى العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح أما اذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف يمينا ثم رأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه فيكون قوله وأوفوا بعهد الله من العام الذى خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت فى حلف أهل الجاهلية ويشهد لهذا

(بذلكم) حال أو مستأنف (لعلكم تذكرون) تتعظون بمواعظ الله وهذه الآية سبب اسلام عثمان بن مظعون فانه قال ما كنت أسلمت الاحياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض على الاسلام ولم يستقر الايمان فى قلبى حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الايمان فى قلبى فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وماهو بقول البشر وقال أبو جهل ان الهه ليأمر بمكارم الاخلاق وهى أجمع آية فى القرآن للخير والشر ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر فى آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهى (وأفوا بعهد الله اذا عاهدتم) هى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله

(يعظكم) ينهاكم عن الفحشاء والمنكر والبغى (لعلكم تذكرون) لكى تتعظوا بامثال القرآن (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) نزلت هذه الآية فى كندة ومراد ويقال أتموا العهود بالله اذا حلفتم بالله بالوفاء

أو القياس ﴿ وهدى ورحمة ﴾ للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه ﴿ وبشرى للمسلمين ﴾ خاصة ﴿ ان الله يأمر بالعدل ﴾ بالتوسط فى الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير ﴿ والاحسان ﴾ احسان الطاعات وهو امابحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴿ وايتاء ذى القربى ﴾ واعطاء الاقارب مايحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة ﴿ وينهى عن الفحشاء ﴾ عن الافراط فى متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها ﴿ والمنكر ﴾ ماينكر على متعاطيه فى اثارة القوة الغضبية ﴿ والبغى ﴾ والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم

من الاحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجماع الامة فهو أيضا أصل ومفتاح لعلوم الدين ﴿ وهدى ﴾ يعنى من الضلالة ﴿ ورحمة ﴾ يعنى لمن آمن به وصدقه ﴿ وبشرى للمسلمين ﴾ يعنى وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان ﴾ قال ابن عباس العدل شهادة أن لا اله الا الله والاحسان أداء الفرائض وفى رواية عنه قال العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ماتحب لنفسك ان كان مؤمنا تحب أن يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب أن يكون أخاك فى الاسلام وقال فى رواية أخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص وأصل العدل فى اللغة المساواة فى كل شئ من غير زيادة فى شئ ولا غلو ولا نقصان فيه ولا تقصير فالعدل هو المساواة فى المكافأة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان أن تقابل الخير باكثر منه والشر بان تعفو عنه وقيل العدل الانصاف ولا انصاف أعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من أساء اليك وقيل يأمر بالعدل فى الافعال وبالاحسان فى الاقوال فلا يفعل الا ماهو عدل ولا يقول الا ماهو حسن ﴿ وايتاء ذى القربى ﴾ يعنى ويأمر بصلة الرحم وهم القرابة الادنون والابعدون منك فيستحب ان تصلهم من فضل مارزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد ﴿ وينهى عن الفحشاء ﴾ قال ابن عباس يعنى الزنا وقال غيره الفحشاء ماقبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة ﴿ والمنكر ﴾ قال ابن عباس يعنى الشرك والكفر وقال غيره المنكر مالا يعرف فى شريعة ولا سنة ﴿ والبغى ﴾ يعنى الكبر والظلم وقيل البغى هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان أعجل المعاصى البغى ولو أن جبلين بغى أحدهم على الآخر لدك الباغى وقال ابن عيينة فى هذه الآية العدل استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغى أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقال بعضهم

(وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) ودلالة الى حق ورحمة لهم وبشارة لهم بالجنة (ان الله يأمر بالعدل) بالتسوية فى الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل ذى حق الى حقه (والاحسان) الى من أساء اليكم أوهما الفرض والندب لان الفرض لابد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب (وايتاء ذى القربى) واعطاء ذى القرابة وهو صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن الذنوب المفرطة فى القبح (والمنكر) ماتنكره العقول (والبغى) طلب التطاول بالظلم والكبر

(وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (وبشرى للمسلمين) بالجنة (ان الله يأمر بالعدل) بالتوحيد (والاحسان) باداء الفرائض ويقال بالاحسان الى الناس (وايتاء ذى القربى) يعنى صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن المعاصى كلها (والمنكر) مالا يعرف فى شريعة ولا سنة (والبغى) الاستطالة والظلم

يفترون) من أن الله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا) فى أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) وحملوا غيرهم على الكفر (زدناهم عذابا فوق العذاب) أى عذابا بكفرهم وعذابا بصدهم عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس بالصد (ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعنى نبيهم لانه كان يبعث أنبياء الامم فيهم منهم (وجئنابك) يامحمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا) بليغا (لكل شئ) من أمور الدين اما فى الاحكام المنصوصة فظاهر وكذا فيما ثبت بالسنة أو بالاجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس لان مرجع الكل الى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وحثنا على الاجماع فيه بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع أصحابه بقوله أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق الاجتهاد والقياس مع انه أمرنا به بقوله فاعتبروا ياأولى الابصار فكانت السنة والاجماع وقول الصحابى والقياس مستندة الى تبيان الكتاب فتبين أنه كان تبيانا لكل شى

يفترون ﴾ من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر ﴿ زدناهم عذابا ﴾ لصدهم ﴿ فوق العذاب ﴾ المستحق بكفرهم ﴿ بما كانوا يفسدون ﴾ بكونهم مفسدين بصدهم ﴿ ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم ﴾ يعنى نبيهم فان نبى كل امة يبعث منهم ﴿ وجئنابك ﴾ يامحمد ﴿ شهيدا على هؤلاء ﴾ على امتك ﴿ ونزلنا عليك الكتاب ﴾ استئناف أو حال باضمار قد ﴿ تبيانا ﴾ بيانا بليغا ﴿ لكل شئ ﴾ من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة

يفترون ﴾ يعنى ما كانوا يكذبون فى الدنيا فى قولهم ان الاصنام تشفع لهم ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ يعنى ضموا مع كفرهم انهم منعوا الناس عن الدخول فى الايمان بالله ورسوله ﴿ زدناهم عذابا فوق العذاب ﴾ يعنى زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع مايستحقونه من العذاب على كفرهم الاصلى واختلفوا فى هذه الزيادة ماهى فقال عبدالله بن مسعود عقارب لها أنياب كامثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعنى خمسة أنهار من صفر مذاب كالنار تسيل يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفا بسبب كفرهم وضعفا بسبب صدهم الناس عن سبيل الله ﴿ بما كانوا يفسدون ﴾ يعنى ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع مايستحقونه من العذاب على الكفر ﴿ ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم ﴾ قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبى شاهد على أمته وهو أعدل شاهد عليها ﴿ من أنفسهم ﴾ يعنى منهم لان كل نبى انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وايمان وطاعة وعصيان ﴿ وجئنابك ﴾ يعنى يامحمد ﴿ شهيدا على هؤلاء ﴾ يعنى على قومك وأمتك وتم الكلام هنا ثم قال تبارك وتعالى ﴿ ونزلنا عليك الكتاب ﴾ يعنى القرآن ﴿ تبيانا لكل شئ ﴾ تبيانا اسم من البيان قال مجاهد يعنى لما أمر به ومانهى عنه وقال أهل المعانى تبيانا لكل شئ يعنى من أمور الدين اما بالنص عليه أو بالاحالة على مايوجب العلم به من بيان النبى صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم بين مافى القرآن

يفترون) بطل افتراؤهم على الله ويقال اشتغل بانفسهم آلهتهم التى كانوا يعبدون بالكذب (الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قا و خا ٨٠ اث) (وصدوا عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته (زدناهم عذابا) عذاب الحيات والعقارب والجوع والعطش والزمهرير وغير ذلك (فوق العذاب) فوق عذاب النار (بما كانوا يفسدون) يقولون ويعملون من المعاصى والشرك (ويوم نبعث فى كل أمة) نخرج من كل جماعة (شهيدا) نبيا (عليهم) شهيدا بالبلاغ (من أنفسهم) آدميا مثلهم (وجئنابك) يامحمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك ويقال مزكيا لهم (ونزلنا عليك الكتاب) جبريل بالقرآن (تبيانا لكل شئ) من الحلال والحرام والامر والنهى

أن لا حجة لهم و لا عـذر (ولاهم يستعتبون) ولاهم يسترضون أى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم انهم يمنعون أى يبتلون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو أطم وأغلب منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم فى القاء معذرة ولا ادلاء بحجة (واذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب فلا يخفف عنهم) أى العذاب بعد الدخول (ولاهم ينظرون) يمهلون قبله (واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) أوثانهم التى عبدوها (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) أى آلهتنا التى جعلناها شركاء (الذين كنا ندعوا من دونك) أى نعبد (فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون) أى اجابوهم بالتكذيب لانها كانت جادا لا يعرف من عبدها ويحتمل أنهم كذبوهم فى تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله عن الشرك (وألقوا) يعنى الذين ظلموا (الى الله يومئذ السلم) القاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار فى الدنيا (وضل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا

فى الكلام (ولاهم يستعتبون) يرجعون الى الدنيا (واذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب فلا يخفف عنهم) لا يرفع عنهم (ولاهم ينظرون) يؤجلون من عذاب الله (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) آلهتهم (قالوا ربنا) يا ربنا (هؤلاء شركاؤنا) آلهتنا (الذين كنا ندعو) نعبد (من دونك) أمرونا بعبادتهم (فألقوا اليهم القول) ردوا اليهم الجواب يعنى الاصنام (انكم لكاذبون) فى مقالكم (غيرون) ما أمرناكم وما كنا نعلم بعبادتكم (وألقوا الى الله يومئذ السلم) استسلم العابد والمعبود لله تعالى (وضل عنهم ما كانوا

﴿ولاهم يستعتبون﴾ ولاهم يسترضون من العتبى وهى الرضى وانتصاب يوم بمحذوف تقديره أذكر أو خوفهم أو يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله ﴿ واذا رأى الذين ظلموا العذاب ﴾ عذاب جهنم ﴿ فلا يخفف عنهم ﴾ أى العـذاب ﴿ ولاهم ينظرون ﴾ يمهلون ﴿ واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم ﴾ اوثانهم التى دعوها شركاء أو الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه ﴿ قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك ﴾ نعبدهم أو نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين فى ذلك أو التماس بان يشطر عذابهم ﴿ فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ﴾ أى اجابوهم بالتكذيب فى انهم شركاء الله أو انهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ أو فى انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى ﴿ والقوا ﴾ والقى الذين ظلموا ﴿ الى الله يومئذ السلم ﴾ الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا ﴿ وضل عنهم ﴾ وضاع عنهم وبطل ﴿ ما كانوا

لهم فى الكلام أصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع الى دار الدنيا فيعتذروا ويتوبوا وقيل لا يؤذن لهم فى معارضة الشهود بل يشهدون عليهم و يقرونهم عـلى ذلك ﴿ ولاهم يستعتبون ﴾ الاستعتاب طلب العتاب والمعتبة هى الغلظة والموجدة التى يجدها الانسان فى نفسـه على غيره والرجل انما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما فى نفسـه عليه من الموجدة والغضب ويرجع الى الرضا عنه واذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على انه ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية انهم لا يكلفون أن يرضوا ربهم فى ذلك اليوم لان الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا ويرضـوا ربهم فالاستعتاب التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسد على الكفار فى الآخرة ﴿ واذا رأى الذين ظلموا ﴾ يعنى ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى ﴿ العذاب ﴾ يعنى عـذاب جهنم ﴿ فلا يخفف عنهم ﴾ يعنى العذاب ﴿ ولاهم ينظرون ﴾ يعنى لا يؤخرون ولا يمهلون ﴿ واذا رأى الذين أشركوا ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ شركاءهم ﴾ يعنى أصنامهم التى كانوا يعبدونها فى الدنيا ﴿ قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك ﴾ يعنى أربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم آلهة ﴿ فالقوا ﴾ يعنى الاصنام ﴿ اليهم ﴾ يعنى الى عابديها ﴿ القول انكم لكاذبون ﴾ يعنى ان الاصنام قالت للكفار انكم لكاذبون يعنى فى تسميتنا آلهة وما دعوناكم الى عبادتنا ه فان قلت الاصنام جماد لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام ه قلت لا يبعد ان الله سبحانه وتعـالى لما بعثها وأعادها فى الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من اعادتها وبعثها أن تكذب الكفار ويراها الكفار وهم فى غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة ﴿ وألقوا ﴾ يعنى المشركين ﴿ الى الله يومئذ السلم ﴾ يعنى انهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيأ ﴿ وضل عنهم ﴾ يعنى وزال عن المشركين ﴿ ما كانوا

وتنقادون له (فان تولوا) أعرضوا عن الاسلام (فانما عليك البلاغ المبين) أى فلاتبعة عليك فى ذلك لان الذى عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت (يعرفون نعمت الله) التى عددناها باقوالهم فانهم يقولون انها من الله (ثم ينكرونها) بافعالهم حيث عبدوا غير المنعم أوفى الشدة ثم فى الرخاء (وأكثرهم الكافرون) أى الجاحدون غير المعترفين أو نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم وثم يدل على أن أنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لاان ينكر (ويوم) انتصابه باذكر (نبعث) نحشر (من كل أمة شهيدا) نبيا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والايمان والكفر (ثم لايؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار والمعنى لاحجة لهم فدل بترك الاذن على

فتسلمون من العذاب أوتنظرون فيها فتسلمون من شرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع ﴿فان تولوا﴾ اعرضوا ولم يقبلوا منك ﴿فانما عليك البلاغ المبين﴾ فلايضرك فانما عليك البلاغ وقدبلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب ﴿يعرفون نعمت الله﴾ اى يعرف المشركون نعمة الله التى عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ﴿ثم ينكرونها﴾ بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا وباعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة ﴿واكثرهم الكافرون﴾ الجاحدون عنادا وذكر الاكثر امالان بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان العقل أو التفريط فى النظر أولم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما فى قوله بل أكثرهم لايعلمون ﴿ويوم نبعث من كل امة شهيدا﴾ وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ﴿ثم لايؤذن للذين كفروا﴾ فى الاعتذار اذلاعذر لهم وقيل فى الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة مايحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لمافيه من الاقناط الكلى على مايمنون به من شهادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

والطاعة وتعلمون انه لايقدر على هذه الانعامات الاالله تعالى ﴿فان تولوا﴾ يعنى فان أعرضوا عن الايمان بك وتصديقك يامحمد وآثروا ماهم فيه من الكفر واللذات الدنيوية فانما وبال ذلك عليهم لاعليك ﴿فانما عليك البلاغ المبين﴾ يعنى ليس عليك فى ذلك عتب ولاسمة تقصير انما عليك البلاغ وقدفعلت ذلك * ثم ذمهم الله تعالى بقوله ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها﴾ قال السدى نعمة الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هى الاسلام لانه من اعظم النعم التى أنعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة أنكروه وجحدوه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ماعدد عليهم فى هذه السورة من النعم يقرون بانها من الله ثم اذا قيل لهم صدقوا وامتثلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن آبائنا وقال الكلبى انه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله تعالى لكنها بشفاعة آلهتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل انهم يعترفون بان الله أنعم بهذه النعم ولكنهم لايستعملونها فى طلب رضوانه ولايشكرونه عليها ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ انما قال سبحانه وتعالى وأكثرهم الكافرون مع انهم كانوا كلهم كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فعبر بالاكثر عن البالغين وقيل أراد بالاكثر الكافرين الحاضرين المعاندين وقدكان فيهم من ليس بمعاند وان كان كافرا وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجمع * قوله سبحانه وتعالى ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيدا﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وانكارهم لها وذكر ان أكثرهم كافرون اتبعه بذكر الوعيد لهم فى الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يعنى رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد بالشهداء الانبياء يشهدون على اممهم بانكار نعم الله عليهم وبالكفر ﴿ثم لايؤذن للذين كفروا﴾ يعنى فى الاعتذار وقيل لايؤذن

(فان تولوا) عن الايمان (فانما عليك البلاغ المبين) التبليغ عن الله بلغة تعلمونها فلما ذكر لهم النبى صلى الله عليه وسلم هذه النعم قالوا نعم يامحمد هذه كلها من الله ثم أنكروا بعد ذلك وقالوا بشفاعة آلهتنا فقال الله (يعرفون نعمت الله) يقرون ان هذه النعم كلها من الله (ثم ينكرونها) فيقولون بشفاعة آلهتنا (وأكثرهم الكافرون) كلهم كافرون بالله (ويوم نبعث من كل أمة) نخرج من كل قوم (شهيدا) نبيا عليهم شهيدا بالبلاغ (ثم لايؤذن للذين كفروا)

أوالى مماتكم أولى ان تقضوا منداوطاركم ﴿ والله جعل لكم مما خلق ﴾ من الشجر والجبل والابنية وغيرها ﴿ ظلالا ﴾ تتفيؤن به حر الشمس ﴿ وجعل لكم من الجبال اكنانا ﴾ مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن ﴿ وجعل لكم سرابيل ﴾ ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها ﴿ تقيكم الحر ﴾ خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين أولأن وقاية الحركانت اهم عندهم ﴿ وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ يعنى الدروع والجواشن والسربال يعم كل مايلبس ﴿ كذلك ﴾ كاتمام هذه النعم التى تقدمت ﴿ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ أى تنظرون فى نعمه فتؤمنون به أوتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اى تشكرون

ذلك الأثاث وقيل الى حين الموت فان قلت أى فرق بين الأثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق قلت الأثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال والمتاع ماينتفع به فى البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظتين والله أعلم ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالا ﴾ يعنى جعل لكم ماتستظلون به من شدة الحر والبرد وهى ظلال الابنية والجدران والاشجار ﴿ وجعل لكم من الجبال أكنانا ﴾ جمع كن وهو مايستكن فيه من شدة الحر و البرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك لان الانسان اما أن يكون غنيا أو فقيرا فاذا سافر احتاج فى سفره مايقيه من شدة الحر والبرد فأما الغنى فيستصحب معه الخيام فى سفره ليستكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وأما الفقير فيستكن فى ظلال الاشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا ولان بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم الى الظلال ومايدفع شدته وقوته أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعانى فى معرض الامتنان عليهم بها لان النعمة عليهم فيها ظاهرة ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ﴾ يعنى وجعل لكم قمصا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال أهل المعانى والبرد فاكتفى بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه ﴿ وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ يعنى الدروع والجواشن وسائر مايلبس فى الحرب من السلاح والبأس الحرب يعنى تقيكم فى بأسكم السلاح أن يصيبكم قال عطاء الخراسانى انما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال أكنانا وماجعل لهم من السهول أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها وماجعل لهم من القطن والكتان أكثر ولكن كانوا أصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما أنزل من الثلج أكثر ولكنهم كانوا لايعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وماجعل لهم مما يقى من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ كذلك ﴾ يعنى كما انعم عليكم بهذه النعم ﴿ يتم نعمته عليكم ﴾ يعنى نعم الدنيا والدين ﴿ لعلكم تسلمون ﴾ يعنى لعلكم يا أهل مكة تخلصون لله الوحدانية والربوبية والعبادة

أكنانا) جمع كن وهو ماستترك من كهف أوغار (وجعل لكم سرابيل) هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن (تقيكم الحر) وهى تقى البرد أيضا الا انه اكتفى باحد الضدين ولان الوقاية من الحر أهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا (وسرابيل تقيكم بأسكم) ودروعا من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم فى قتالكم والبأس شدة الحرب والسربال عام يقع على ما كان من حديد أوغيره (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) أى تنظرون فى نعمته الفائضة فتؤمنون به

(والله جعل لكم مما خلق) من الاشجار والحيطان والجبال أكنانا (ظلالا) كنا لكم من الحر (وجعل لكم من الجبال) فى الجبال (أكنانا) يعنى الغيران والاسراب (وجعل لكم سرابيل) يعنى القمص (تقيكم الحر) فى الصيف والبرد فى الشتاء (وسرابيل) يعنى الدروع (تقيكم بأسكم) سلاح عدوكم (كذلك) هكذا (يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) لكى تقروا ويقال تسلموا من الجراحة ان قرأت بنصب التاء واللام

من خاصية القوى الطبيعية (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بان الخلق لاغنى به عن الخالق (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) هو فعل بمعنى مفعول أى مايسكن اليه وينقطع اليه ﴿٦٢٩﴾ من بيت أو الف { سورة النحل } (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هى قباب الادم (تستخفونها) ترونها خفيفة المحمل فى الضرب والنقض والنقل (يوم ظعنكم) بسكون العين كوفى وشامى وبفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال (ويوم اقامتكم) قراركم فى منازلكم والمعنى انها خفيفة عليكم فى أوقات السفر والحضر على ان اليوم بمعنى الوقت (ومن أصوافها) أى أصواف الضأن (وأوبارها) وأوبار الابل (وأشعارها) وأشعار المعز (أثاثا) متاع البيت (ومتاعا) وشيأ ينتفع به (الى حين) مدة من الزمان

فان ثقل جسدها يقتضى سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ﴿ ان فى ذلك لآيات ﴾ تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها فى الهواء على خلاف طبعها ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لانهم هم المنتفعون بها ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ﴾ موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول ﴿ وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا ﴾ هى القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها ﴿ تستخفونها ﴾ تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها ﴿ يوم ظعنكم ﴾ وقت ترحالكم ﴿ ويوم اقامتكم ﴾ ووضعها أو ضربها وقت الحضر أو النزول * وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه ﴿ ومن اصوافها واوبارها واشعارها ﴾ الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها ﴿ اثاثا ﴾ مايلبس ويفرش ﴿ ومتاعا ﴾ ماتتجر به ﴿ الى حين ﴾ الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة

وبسطها واصطفافها فى الهواء وفى هذا حث على الاستدلال بها على ان لها مسخرا سخرها ومذللا ذللها وممسكا أمسكها فى حال طيرانها ووقوفها فى الهواء وهو الله تعالى ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ انما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم ﴾ يعنى التى هى من الحجر والمدر ﴿ سكنا ﴾ يعنى مسكنا تسكنونه والسكن ماسكنت اليه وفيه من الف أو بيت ﴿ وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا ﴾ يعنى الخيام والقباب والاخبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع * واعلم المساكن على قسمين أحدهما مالا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما والقسم الثانى مايمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام واليها الاشارة بقوله تعالى ﴿ تستخفونها ﴾ يعنى يخف عليكم حملها ﴿ يوم ظعنكم ﴾ يعنى فى يوم سيركم ورحيلكم فى أسفاركم وظعن البادية هو لطلب ماء أو مرعى ونحو ذلك ﴿ ويوم اقامتكم ﴾ يعنى وتخف عليكم ايضا فى اقامتكم وحضركم والمعنى لاتثقل عليكم فى الحالتين ﴿ ومن أصوافها وأوبارها واشعارها ﴾ الكناية عائدة الى الانعام يعنى ومن أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز ﴿ أثاثا ﴾ يعنى تتخذون أثاثا الأثاث متاع البيت الكبير وأصله من أث اذا كثر وتكاثف وقيل للمال أثاث اذا كثر قال ابن عباس أثاثا يعنى مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبى الأثاث المال اجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الأثاث هو متاع البيت من الفرش والاكسية ونحو ذلك ﴿ ومتاعا ﴾ يعنى وبلاغا وهو ماتتمتعون به ﴿ الى حين ﴾ يعنى الى حين يبلى

بعد الطيران (ان فى ذلك) فى امساكهن من الهواء (لآيات) لعلامات لوحدانية الله (لقوم يؤمنون) يصدقون ان امساكهن من الله * ثم ذكر نعمته لكى يشكروا بذلك ويؤمنوا به فقال (والله جعل لكم من بيوتكم) بيوت المدر (سكنا) مسكنا وقرارا (وجعل لكم من جلود الانعام) من أصوافها وأوبارها واشعارها (بيوتا) يعنى الخيام والفساطيط (تستخفونها) تستخفون حملها (يوم ظعنكم) يوم سفركم (ويوم اقامتكم) يوم نزولكم (ومن أصوافها) أصواف الغنم (وأوبارها) أوبار الابل (وأشعارها) أشعار المعز (أثاثا) مالا (ومتاعا) منفعة (الى حين) الى حين الفناء والابلاء

(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) وبكسر الالف وفتح الميم على اتباعا لكسرة النون وبكسرهما حمزة والهاء مزيدة في أ[مات]
للتوكيد كما زيدت في أراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الو[احد]

﴿ والله اخرجكم من بطون امهاتكم ﴾ وقرأ الكسائى بكسر الهمزة على انه لغة أو اتباع
قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق ﴿ لا تعلمون شيأ ﴾ جها
مستصحبين جهل الجمادية ﴿ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ﴾ اداة تتعلمون
فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم بمشاركات ومباينات
بينها بتكرار الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعا[رف]
الكسبية بالنظر فيها ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ كى تعرفوا ما انعم الله عليكم طورا بعد طو[ر]
فتشكرون ﴿ ألم يروا الى الطير ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب
للعامة ﴿ مسخرات ﴾ مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المؤاتية
﴿ فى جو السماء ﴾ فى الهواء المتباعد من الارض ﴿ ما يمسكهن ﴾ فيه ﴿ الا الله ﴾

سرعة القدرة على الاتيان بها متى شاء لا يعجزه شئ * قوله عز وجل ﴿ والله أخرجكم
من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ ﴾ تم الكلام هنا لان الانسان خلق فى أول الفطرة ومبدء[ه]
خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدى سبيلا ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة ﴾ يعنى ان الله سبحانه وتعالى انما أعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل
الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهى الدلائل السمعية
لتستدلوا بها على ما يصلحكم فى أمر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجائب مصنوعاته
وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا
معانى الاشياء التى جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن عباس فى هذه الآية يريد لتسمعوا
مواعظ الله وتبصروا ما أنعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون أمهاتكم الى
ان صرتم رجالا وتعقلوا عظمة الله وقيل فى معنى الآية والله خلقكم فى بطون أمهاتكم
وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس آلات
لازالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته
والقيام بحقوقه والترقى الى ما يسعدكم به فى الآخرة * فان قلت ظاهر الآية
يدل على أن جعل الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس
للانسان من جملة خلقه وهو فى بطن أمه * قلت ذكر العلماء ان تقديم الاخراج وتأخير ذكر
هذه الحواس لا يدل على أن خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان
العرب تقدم وتؤخر فى بعض كلامها وأقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج
من البطن فكأنما خلقت فى ذلك الوقت الذى ينتفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك
* وقوله تعالى ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ يعنى انما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها فى شكر
من أنعم بها عليكم ﴿ ألم يروا الى الطير مسخرات ﴾ يعنى مذللات ﴿ فى جو السماء ﴾
الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع فى
الجو اثنى عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك ﴿ ما يمسكهن الا الله ﴾ يعنى فى حال قبض أجنحتها

(لا تعلمون شيأ) حال أى
غير عالمين شيأ من حق المنعم
[illegible] فى البطون
(وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة لعلكم تشكرون)
أى وما ركب فيكم هذه الاشياء
الا آلات لازالة الجهل الذى
ولدتم عليه واجتلاب العلم
والعمل به من شكر المنعم
وعبادته والقيام بحقوقه
والافئدة فى فؤاد كالاغربة
فى غراب وهو من جموع القلة
التى جرت مجرى جموع
الكثرة لعدم السماع فى غيرها
(ألم يروا) وبالتاء شامى
وحمزة (الى الطير مسخرات)
مذللات للطيران بما خلق
لها من الاجنحة والاسباب
المواتية لذلك (فى جو السماء)
هو الهواء المتباعد من الارض
فى سمت العلو (ما يمسكهن)
فى قبضهن وبسطهن
ووقوفهن (الا الله) بقدرته
وفيه نفى لما يتصوره الوهم

والله أخرجكم من بطون
أمهاتكم لا تعلمون شيأ)
من الاشياء ويقال كل شئ
(وجعل لكم السمع) تسمعون
بها الخير (والابصار) تبصرون
بها الخير (والافئدة) يعنى
القلوب تعقلون بها الخير
(لعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمته وتؤمنوا به (ألم تروا) ألم تنظروا يا أهل مكة حتى تعلموا قدرة الله { وبسطها }
ووحدانيته (الى الطير مسخرات) مذللات (فى جو السماء) فى وسط السماء أى بين السماء والارض يطرن (ما يمسكهن الا الله)

الشامل بمجامع الفضائل ﴿ وهو على صراط مستقيم ﴾ وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعى وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال مايقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها أو للمؤمن والكافر ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ يختص به علمه لايعلمه غيره وهو ماغاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا لهم ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض ﴿ وما امر الساعة ﴾ وما امر قيام الساعة في سرعته وسهولته ﴿ الا كلمح البصر ﴾ الا كرجع الطرف من اعلا الحدقة الى اسفلها ﴿ أو هو اقرب ﴾ أو امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي يبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة ومايوجد دفعة كان في آن وأو للتخيير أو بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشئ الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو اقرب مبالغة في استقرابه ﴿ ان الله على كل شئ قدير ﴾ فيقدر على ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال

الحواس نفاع ذو كفايات ذو رشد وديانة يأمر الناس بالعدل والخير ﴿ وهو ﴾ في نفسه ﴿ على صراط مستقيم ﴾ يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب أن يكون الآمر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشملهم به من آثار رحمته وألطافه وللاصنام التي هي أموات جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابديها لانها تحتاج الى كلفة الحمل والنقل والخدمة وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذي لا يأمر بخير فعلى هذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذي يامر بالفلا وهو أبكم أبو جهل وقيل الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله تعالى فهو الذي لا يأتي بخير وقيل المراد بالابكم الذي لا يأتي بخير أبي ابن خلف وبالذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ أخبر الله عز وجل في الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا تخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شئ منها وقيل الغيب هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله ﴿ وما أمر الساعة ﴾ يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب ﴿ الا كلمح البصر ﴾ يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحه وهو طرف العين أيضا ﴿ أو هو أقرب ﴾ يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله سبحانه وتعالى اذا أراد شيأ قال له كن فيكون في أسرع من لمح البصر وهو قوله ﴿ ان الله على كل شئ قدير ﴾ فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه سبحانه وتعالى مهما أراد شيأ كان أسرع مايكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف

(وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحمته ونعمته وللاصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع (ولله غيب السموات والارض) أي يختص به علم ماغاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (وما أمر الساعة) في قرب كونها وسرعة قيامها (الا كلمح البصر) كرجع طرف وانما ضرب به المثل لانه لا يعرف زمان أقل منه (أو هو) أي الامر (أقرب) وليس هذا لشك المخاطب ولكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو أقرب (ان الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال

بالتوحيد (وهو على صراط مستقيم) يدعو الى طريق مستقيم وهو الله (ولله غيب السموات والارض) ماغاب عن العباد (وما أمر الساعة) أمر قيام الساعة في السرعة (الا كلمح البصر) كطرف البصر (أو هو أقرب) بل هو أقرب (ان الله على كل شئ) من البعث وغيره (قدير)

موصولة (هل يستوون)

جمع الضمير لارادة الجمع أى لايستوى القبيلان

هل يستوون ﴾ مثل ما شرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذى رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما فى الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بالاصنام التى هى اعجز المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتميز عن المكاتب والمأذون من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لايملك والاظهر ان من نكرة موصوفة لتطابق عبدا وجمع الضمير فى يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد ﴿ الحمد لله ﴾ كل الحمد له لايستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها ﴿ بل اكثرهم لايعلمون ﴾ فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها ﴿ وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ﴾ ولد اخرس لايفهم ولايفهم ﴿ لايقدر على شئ ﴾ من الصنائع والتدابير لنقصان عقله ﴿ وهو كل على مولاه ﴾ عيال وثقل على من يلى امره ﴿ اينما يوجهه ﴾ حيثما يرسله مولاه فى امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله «اينما اوجه القى سعدا» وتوجه بلفظ الماضى ﴿ لايأت بخير ﴾ بنجح وكفاية مهم ﴿ هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل ﴾ ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل

المملوك ليتميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وقوله لايقدر على شئ احترز به عن المملوك المكاتب والمأذون له فى التصرف لانهما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على ان العبد لايملك شيأ ﴿ هل يستوون ﴾ ولم يقل هل يستويان يعنى هل يستوى الاحرار والعبيد والمعنى كما لايستوى هذا الفقير البخيل والغنى السخى كذلك لايستوى الكافر العاصى والمؤمن الطائع وقال عطاء فى قوله عبدا مملوكا هو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو أبو بكر الصديق ❁ ثم قال تعالى ﴿ الحمد لله ﴾ حمد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لا هذه الاصنام التى عبدها هؤلاء فانها لاتستحق الحمد لانها جماد عاجزة لايد لها على أحد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله لا لغيره فيجب على جميع العباد حمد الله لانه أهل الحمد والثناء الحسن ﴿ بل أكثرهم ﴾ يعنى الكفار ﴿ لايعلمون ﴾ يعنى أن الحمد لله لا لهذه الاصنام ﴿ وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ﴾ هو الذى ولد أخرس فكل ابكم أخرس وليس كل أخرس أبكم والابكم الذى لايفهم ولايفهم ﴿ لايقدر على شئ ﴾ هو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل ﴿ وهو كل على مولاه ﴾ أى ثقيل على من يلى أمره ويعوله وقيل أصله من الغلظ وهو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقوله وهو كل على مولاه أى غليظ ثقيل على مولاه ﴿ أينما يوجهه ﴾ أى حيثما يرسله ويصرفه فى طلب حاجة أو كفاية مهم ﴿ لايأت بخير ﴾ يعنى لايأت بنجح لانه أخرس عاجز لايحسن ولايفهم ﴿ هل يستوى ﴾ يعنى من هذه صفته ﴿ هو ﴾ يعنى صاحب هذه الصفات المذمومة ﴿ ومن يأمر بالعدل ﴾ يعنى ومن هو سليم

(الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون) بان الحمد والعبادة لله ثم زاد فى البيان فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لايقدر على شئ) الابكم الذى ولد أخرس فلا يفهم ولايفهم (وهو كل على مولاه) أى ثقل وعيال على من يلى أمره ويعوله (أينما يوجهه لايأت بخير) حيثما يرسله ويصرفه فى مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفعه ولم يأت بنجح (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل) أى ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير

(هل يستوون) فى الثواب والطاعة (الحمد لله) الشكر لله والوحدانية لله (بل اكثرهم) كلهم (لايعلمون) أمثال القرآن ويقال نزلت هذه الآية فى عثمان بن عفان ورجل من العرب يقال له أبو العيص ابن أمية ثم ضرب مثله ومثل الاصنام فقال (وضرب الله مثلا) بين الله صفة (رجلين أحدهما أبكم) أخرس (لايقدر على شئ) من الكلام وهو الصنم (وهو كل) ثقل (على مولاه) على وليه وقرابته عيال على عائله (أينما يوجهه) ويدعوه من شرق أو غرب (لايأت بخير) لايجيب من يدعوه بخير وهذا مثل صنم (هل يستوى) فى النفع ودفع الضر (هو) يعنى الصنم (ومن يأمر بالعدل) { الحواس }

والبيوت (ولا يستطيعون) لما لانه في معنى الآلهة بعدما قال لا يملك على اللفظ والمعنى لا يملكون رزقا ولا يستطيعون ان يملكوه
ولا في ذلك منهم (فلا تضربوا لله الامثال) فلا تجعلوا لله مثلا فانه لا مثل له أى فلا تجعلوا له شركاء (ان الله يعلم) أنه لا مثل له من الخلق
وانتم لا تعلمون) ذلك أو ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وأنتم لا تعلمون ذلك والوجه
الاول ثم ضرب المثل فقال
(ضرب الله مثلا عبدا) هو
بدل من مثلا (مملوكا لا يقدر
على شئ ومن رزقناه منا
رزقا حسنا فهو ينفق منه
سرا وجهرا) مصدران
في موضع الحال أى مثلكم
في اشراككم بالله الاوثان
مثل من سوى بين عبد
مملوك عاجز عن التصرف
وبين حر مالك قد رزقه الله
مالا فهو يتصرف فيه وينفق
منه ماشاء وقيد بالمملوك
ليميزه من الحر لان اسم العبد
يقع عليهما جميعا اذ هما من
عباد الله وبلا يقدر على شئ
ليمتاز من المكاتب والمأذون
فهما يقدران على التصرف
ومن موصوفة أى وحرا
رزقناه ليطابق عبدا أو

ولا يستطيعون الا يقدرون [illegible]
[illegible] (فلا تضربوا لله
الامثال) [illegible]
[illegible]
[illegible] ولا
شريك له (وأنتم تعلمون)
ذلك يامعشر الكفار ثم ضرب
مثل المؤمن والكافر فقال
(ضرب الله مثلا عبدا مملوكا)
[illegible] الله صفة عبد مملوك (لا يقدر على شئ) (قا و خا ٧٩ لث) من النفقة والاحسان وهو مثل الكافر لا يجئ منه
[illegible]ير (ومن رزقناه) أعطيناه (منا رزقا حسنا) مالا كثيرا (فهو ينفق منه سرا) فيما بينه وبين الله (وجهرا) فيما بينه وبين الناس
[illegible] سبيل الله وهذا مثل المؤمن المخلص

[illegible]نصوب به والا فبدل منه ﴿ ولا يستطيعون ﴾ ان تملكوه أو لا استطاعة لهم اصلا وجمع
ضميرفيه وتوحيده في مالا يملك لان مامفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار
أى ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيأ من ذلك فكيف بالجماد ﴿ فلا تضربوا
لله الامثال ﴾ فلا تجعلوا لله مثلا تشركونه به أو تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال
بحال ﴿ ان الله يعلم ﴾ فساد ماتعولون عليه من القياس على ان عبادة عبد الملك ادخل
في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون ﴿ وانتم لا تعلمون ﴾ ذلك ولو علمتموه
لما جرأتم فهو تعليل للنهي أو انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه
ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم
علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ﴿ ضرب الله مثلا عبدا
مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا

﴿ ولا يستطيعون ﴾ يعني ولا يقدرون على شئ ثم ذكر عجز الاصنام عن ايصال نفع أو دفع ضر
﴿ فلا تضربوا لله الامثال ﴾ يعني لا تشبهوا الله بخلقه فانه لا مثل له ولا شبيه ولا شريك من خلقه
لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق أو الرازق بالمرزوق أو القادر
بالعاجز ﴿ ان الله يعلم ﴾ يعني ما أنتم عليه من ضرب الامثال له ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾
خطأ ماتضربون له من الامثال ❊ قوله تعالى ﴿ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ
ومن رزقناه منا رزقا حسنا ﴾ لما نهاهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم ضرب
هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم في اشراككم بالله الاوثان كمثل من سوى بين
عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه
وينفق منه كيف يشاء فصريح العقل يشهد بانه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال
فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوى
بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر على
شئ ألبتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر والمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على
شئ هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز
الذي لا يقدر على شئ وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذي لا يملك
شيأ والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن لانه اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق
في وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله وابتغاء مرضاته
وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ فهو ينفق منه سرا وجهرا ﴾ فاثابه الله الجنة على ذلك ❊ فان قلت
لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على شئ وكل عبد هو مملوك وهو غير قادر على التصرف قلت انما ذكر

(وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافد وهو الذى يحفد أى يسرع فى الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد واختلف فيه فقيل هم الاختان على البنات وقيل أولاد الاولاد والمعنى وجعل لكم حفدة أى خدما يحفدون فى مصالحكم ويعينونكم (ورزقكم من الطيبات) أى بعضها لان كل الطيبات فى الجنة وطيبات الدنيا أنموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) هو مايعتقدونه من منفعة الاصنام وشفاعتها (وبنعمة الله) أى الاسلام (هم يكفرون) أو الباطل الشيطان والنعمة محمد صلى الله عليه وسلم أو الباطل مايسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ) أى الصنم وهو جماد لا يملك أن يرزق شيأ فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيأ أى لا يملك أن يرزق شيأ وان اردت المرزوق كان شيأ بدلا منه أى قليلا ومن السموات والارض صفة للرزق ان كان مصدرا أى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق

(وجعل من ازواجكم) من نسائكم (بنين وحفدة)

مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم ﴿وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة﴾ واولاد اولاد أو بنات فان الحافد هو المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من اللذائذ اوالحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا انموذج منها ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ وهو ان الاصنام تنفعهم أو ان من الطيبات مايحرم عليهم كالبحائر والسوائب ﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾ حيث اضافوا نعمه الى الاصنام أو حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام أو لايهام التخصيص مبالغة أو للمحافظة على الفواصل ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ﴾ من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيأ

فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ الحفدة جمع حافد وهو المسرع فى الخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قوله فى الدعاء واليك نسعى ونحفد أى نسرع الى طاعتك فهذا أصله فى اللغة ثم اختلفت أقوال المفسرين فيه فقال ابن مسعود والنخعى الحفدة أختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أيضا انهم أصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من أعانك فقد حفدك وقال عطاء هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم أهل المهنة الذين يمتهنون ويخدمون من الاولاد وقال مقاتل والكلبى البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفى رواية اخرى عنه انهم بنو امرأة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ يعنى النعم التى أنعم بها عليكم من أنواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ يعنى بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون أن لى شريكا وصاحبة وولدا وهذا استفهام انكارى أى ليس لهم ذلك ﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾ يعنى أنهم يضيفون ما أنعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما احل الله لهم ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض﴾ يعنى الاصنام التى لا تقدر على انزال المطر الذى فى السموات خزائنه ولا يقدرون على اخراج النبات الذى فى الارض معدنه ﴿شيأ﴾ يعنى لا يملك من الرزق شيأ قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون ما لا يرزق شيأ

يعنى ولد الولد وقيل خدما وعبيدا وقيل أختانا (ورزقكم من الطيبات) جعل أرزاقكم ألين وأطيب (ولا يستطيعون) من رزق الذوب (أفبالباطل يؤمنون) أفبالشيطان والاصنام يؤمنون يصدقون (وبنعمة الله) بوحدانية الله ودينه هم (يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك) ما لا يقدر (لهم) يعنى الاصنام (رزقا من السموات) بالمطر (والارض) بالنبات (شيأ

وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولوكان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ ﴿ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ﴾ فنكم غني ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك ﴿ فما الذين فضلوا برادى رزقهم ﴾ بمعطى رزقهم ﴿ على ماملكت ايمانهم ﴾ على مماليكهم فان مايردون عليهم رزقهم لذى جعله الله تعالى في ايديهم ﴿ فهم فيه سواء ﴾ فالموالى والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية أومقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولايرضون ان تشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه ﴿ أفبنعمة الله يجحدون ﴾ حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله أو حيث انكروا امثال هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر ٭ وقرأ ابوبكر تجحدون بالتاء لقوله تعالى خلقكم وفضل بعضكم ﴿ والله جعل لكم من انفسكم ازواجا ﴾ أي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم

يعنى على ما يريد ٭ قوله تعالى ﴿ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ﴾ يعنى ان الله سبحانه وتعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على آخر وكما فضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية ﴿ فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت أيمانهم ﴾ يعنى من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله سبحانه وتعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سواء وقد جعلوا عبيدى شركائى في ملكى وسلطانى يلزم بهذه الحجة المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عزوجل يقول هل منكم أحد يرضى أن يشركه مملوكه في جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل في معنى الآية ان الموالى والمماليك الله رازقهم جميعا ﴿ فهم فيه ﴾ يعنى في رزقه ﴿ سواء ﴾ فلا تحسبن أن الموالى يردون رزقهم على مماليكهم من عند أنفسهم بل ذلك رزق الله أجراه على أيدى الموالى للمماليك والمقصود منه بيان أن الرازق هو الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه وان الموالى والمماليك في الرزق سواء وان المالك لا يرزق المملوك بل الرازق للمماليك والمالك هو الله سبحانه وتعالى ٭ وقوله ﴿ أفبنعمة الله يجحدون ﴾ فيه انكار على المشركين حيث جحدوا نعم الله وعبدوا غيره ٭ قوله عزوجل ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ﴾ يعنى النساء فخلق من آدم حواء زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم أزواجا لانه خطاب عام يعم الكل

الله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أى جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم (فما الذين فضلوا) في الرزق يعنى الملاك (برادى) بمعطى

(رزقهم على ماملكت أيمانهم) فكان ينبغى أن تردوا فضل مارزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم (فهم فيه سواء) جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية في موضع النصب لانه جواب النفى بالفاء وتقديره فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم في الرزق وهو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدى لى شركاء (أفبنعمة الله يجحدون) وبالتاء أبو بكر فجعل ذلك من جملة جحود النعمة (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أى من جنسكم

(والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) نزلت هذه الآية في أهل نجران حين قالوا المسيح ابن الله فنزل قوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق في المال والخدم (فما الذين فضلوا) بالمال والخدم (برادى رزقهم) هل يعطون مالهم (على ماملكت ايمانهم) لعبيدهم وامائهم (فهم) يعنى المالك والمملوك (فيه) في المال (سواء) شرع قالوا لا نفعل ذلك ولا نرضى فقال الله (أفبنعمة الله يجحدون) فترضون لى مالا ترضون لانفسكم وتكفرون بوحدانية الله (والله جعل لكم من انفسكم) آدميا مثلكم (أزواجا) نساء

من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه ﴿ والله خلقكم ثم يتوفاكم ﴾ بآجال مختلفة ﴿ ومنكم من يرد ﴾ يعاد ﴿ الى ارذل العمر ﴾ اخسه يعنى الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة ﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيأ ﴾ ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية فى النسيان وسوء الفهم ﴿ ان الله عليم ﴾ بمقادير اعمارهم ﴿ قدير ﴾ يميت الشاب النشط ويبقى الهرم الفانى وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم

وقدرتنا * قوله عز وجل ﴿ والله خلقكم ﴾ يعنى أوجدكم من العدم وأخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيأ ﴿ ثم يتوفاكم ﴾ يعنى عند انقضاء آجالكم اما صبيانا واما شبانا واما كهولا ﴿ ومنكم من يرد الى أرذل العمر ﴾ يعنى أردأه وأضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب أولها من النشو والنماء وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين الى الستين وهذه المرتبة يشرع الانسان فى النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى آخر العمر وفيها يتبين النقص ويكون الهرم والخرف وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة (ق) عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات * وفى رواية أخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الدعوات اللهم انى أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات * وقوله تعالى ﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيأ ﴾ يعنى ان الانسان يرجع الى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس لكى يصير كالصبى الذى لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيأ لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم الله من قدرته أنه كما قدر على اماتته واحيائه أنه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه ولو قال ليريكم من قدرته أنه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل أنه قادر على احيائه بعد اماتته ليكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت لكان أجود قال ابن عباس ليس هذا فى المسلمين لان المسلم لا يزداد فى طول العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيأ وقال فى قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤا القرآن وقال ابن عباس فى قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المؤمنين فقال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات * وقوله تعالى ﴿ ان الله عليم ﴾ يعنى بما صنع بأوليائه وأعدائه ﴿ قدير ﴾

(والله خلقكم ثم يتوفاكم) بتبديل روحكم من أبدانكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) الى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أو ثمانون أو تسعون (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) لينسى ما يعلم أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه (ان الله عليم) بحكم التحويل الى الارذل من الاكمل أو الى الافناء من الاحياء (قدير) على تبديل ما يشاء كما يشاء من الاشياء

(والله خلقكم ثم يتوفاكم) يقبض أرواحكم عند انقضاء آجالكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أسفل العمر (لكى لا يعلم) حتى لا ينفعه (بعد علم) العلم الاول (شيأ ان الله عليم) بتحويل الخلق (قدير) على تحويلهم من حال الى حال

اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فانفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرئ فكأنما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله من احوال النحل ﴿ ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لابد له

صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ وقد اعترض بعض الملحدين ومن فى قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فنقول فى الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من أنواع كثيرة منها التخم والهيضات وقد أجمع الاطباء فى مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى معين على الاسهال أعينت مادامت القوة باقية فاما حبسها فضر عندهم واستعجال مرض فيحتمل أن يكون اسهال الشخص المذكور فى الحديث أصابه من امتلاء أو هيضة فدواؤه بترك اسهاله على ماهو عليه أو تقويته فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا فزاده عسلا الى ان فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذى كان به يوافقه شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان أمره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجارى على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض بانه لا يحسن صناعة الطب التى اعترض بها والله أعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم بالوحى الالهى أن العسل الذى أمره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه فى الحال عندهم قال صدق الله يعنى فيما وعد به من ان فيه شفاء وكذب بطن أخيك يعنى باستعجالك للشفاء فى أول مرة والله أعلم بمراده واسرار رسوله صلى الله عليه وسلم فان قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين يعطش قلنا فى الجواب عن هذا الاعتراض أيضا ان قوله فيه شفاء للناس مع أنه يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة انه خرج مخرج الاغلب وانه فى الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس لكل داء ولكنه فى الجملة دواء وان نفعه أكثر من مضرته وقل معجون من المعاجين الا وتمامه به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثانى انه شفاء للاوجاع التى شفاؤها فيه وهذا قول السدى وقال مجاهد فى قوله فيه شفاء للناس يعنى القرآن لانه شفاء من أمراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول أصح لان الضمير يجب أن يعود الى أقرب المذكورات وأقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو أولى أن يرجع الضمير اليه لانه أقرب مذكور ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ يعنى فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا

من أضاحيكهم (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فى عجيب أمرها فيعلمون ان الله أودعها علما بذلك وفطنة كما أعطى أولى العقول

(ان فى ذلك) فيما ذكرت (لآية) لعلامة وعبرة (لقوم يتفكرون) فيما خلقت

﴿ فيه شفاء للناس ﴾ اما بنفسه كما في الامراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال

والازهار ويستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام فخر الدين الرازي انه رأى في بعض كتب الطب أن العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار وأوراق الشجر فيجمعه النحل فتأكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتتغذى به فما اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شيء كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وأيضا فانا نشاهد ان النحل تتغذى بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها بان كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج من بطونها يعني من أفواهها وقول أهل الظاهر أولى وأصح لانا نشاهد انه يوجد في طعم العسل طعم تلك الازهار التي تأكلها النحل وكذلك يوجد لونها وريحها وطعمها فيه أيضا ويعضده قول بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي أجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كريه الرائحة فمعنى جرست نحله العرفط أكلت ورعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول أهل الظاهر من المفسرين وانه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه لا ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو ألطف من السكر ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية فبينهما فرق كبير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ البطن اذا أطلق لم يرد به الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله أعلم ❊ وقوله تعالى ﴿ فيه ﴾ يعني في الشراب الذي يخرج من بطون النحل ﴿ شفاء للناس ﴾ وهذا قول ابن عباس وابن مسعود اذ الضمير في قوله فيه شفاء للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض أو على الخصوص لمرض دون مرض على قولين أحدهما ان العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور وفي رواية أخرى عنه عليكم بالشفاءين القرآن والعسل وروى نافع ان ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شيء الا لطخ الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (ق) عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال اني سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أو على ألوان أغذيتها (فيه شفاء للناس) لانه من جملة الادوية النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لان فيه بعض الشفاء لان النكرة في الاثبات تخص وشكا رجل استطلاق بطن أخيه فقال عليه السلام اسقه عسلا فجاء وقال زاده شرا فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فصح وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع الروافض ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم ان رجلا قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة

(فيه) في العسل (شفاء للناس) من الداء وقال فيه في القرآن شفاء من الناس

وقرئ الى النحل بفتحتين ﴿ ان اتخذى ﴾ بان اتخذى ويجوز ان تكون ان مفسرة لان فى الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر ﴿ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبنى فى كل جبل وكل شجر وكل مايعرش من كرم أو سقف ولا فى كل مكان منها وانما سمى ماتبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنيعة وصحة القسمة التى لايقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبه على ذلك * وقرئ بيوتا بكسر الباء للياء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بضم الراء ﴿ ثم كلى من كل الثمرات ﴾ من كل ثمرة تشهيتها مرها وحلوها ﴿ فاسلكى ﴾ ما اكلت ﴿ سبل ربك ﴾ فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك أو فاسلكى الطرق التى الهمك فى عمل العسل أو فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لاتتوعر عليك ولا تلتبس ﴿ ذللا ﴾ جمع ذلول وهى حال من السبل أى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك أو من الضمير فى اسلكى أى وانت ذلل منقادة لما امرت به ﴿ يخرج من بطونها ﴾ عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم ﴿ شراب ﴾ يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل فى بطنها عسلا ثم تقئ ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه ﴿ مختلف ألوانه ﴾ ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل

قال الزجاج يجوز أن يقال سمى هذا الحيوان نحلا لان الله سبحانه وتعالى نحل الناس العسل الذى يخرج من بطونها بمعنى أعطاهم وقال غيره النحل يذكر ويؤنث وهى مؤنثة فى لغة الحجاز وكذا أنثها الله تعالى فقال ﴿ أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ يعنى يبنون ويسقفون وذلك ان النحل منه وحشى وهو الذى يسكن الجبال والشجر ويأوى الى الكهوف ومنه أهلى وهو الذى يأوى الى البيوت ويربيه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوى اليها وقال ابن زيد أراد بالذى يعرشون الكروم ﴿ ثم كلى من كل الثمرات ﴾ يعنى من بعض الثمرات لانها لاتأكل من جميع الثمار فلفظة كل هنا ليست للعموم ﴿ فاسلكى سبل ربك ﴾ يعنى الطرق التى ألهمك الله أن تسلكيها وتدخلى فيها لاجل طلب الثمرات ﴿ ذللا ﴾ قيل انها نعت للسبل يعنى انها مذللة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لايتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل يعنى انها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكانها الى مكان آخر حيث شاؤا وأرادوا لاتستعصى عليهم ﴿ يخرج من بطونها شراب ﴾ يعنى العسل ﴿ مختلف ألوانه ﴾ يعنى مابين أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ماتأكل من الثمار

(ان اتخذى من الجبال بيوتا) هى أن المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول قال الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتأنيث باعتبار هذا ومن فى من الجبال (ومن الشجر ومما يعرشون) يرفعون من سقوف البيت أو مايبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التى تعسل فيها للتبعيض لانها لاتبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل مايعرش والضمير فى يعرشون للناس وبضم الراء شامى وأبو بكر (ثم كلى من كل الثمرات) أى ابنى البيوت ثم كلى كل ثمرة تشتهيها فاذا أكلتها (فاسلكى سبل ربك) فادخلى الطرق التى ألهمك وأفهمك فى عمل العسل أو اذا أكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى الى بيوتك راجعة سبل ربك لاتضلين فيها (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل لان الله تعالى ذللها وسهلها أو من الضمير فى فاسلكى أى وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة (يخرج من بطونها شراب) يريد العسل لانه مما يشرب تلقيه من فيها (مختلف ألوانه) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشيب

(أن اتخذى من الجبال بيوتا) فى الجبال مسكنا (ومن الشجر) وفى الشجر أيضا (ومما يعرشون) يبنون (ثم كلى من كل الثمرات) من ألوان كل الثمرات (فاسلكى سبل ربك) فادخلى طرق ربك (ذللا) مذللا مسخرا لك (يخرج من بطونها) من بطون النحل (شراب مختلف ألوانه) الاحمر والاصفر والابيض

﴿ ان في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات ﴿ واوحى ربك الى النحل ﴾ الهمها وقذف في قلوبها

السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية الاخبار لا الاحلال وأولى الاقاويل ان قوله تتخذون منه سكرا منسوخ سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حل قلت القول بالنسخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا خبر والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة رأى ان هذه الآية نزلت بمكة في وقت اباحة الخمر ثم ان الله تبارك وتعالى حرمها بالمدينة فحكم على هذه الآية بانها منسوخة وقال أبو عبيدة في معنى الآية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك أي طعم لك وقال غيره السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر أي سددته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا شرح قول أبي عبيدة ان السكر الطعم ﴿ ان في ذلك ﴾ يعني الذي ذكر من انعامه على عباده ﴿ لآية ﴾ يعني دلالة وحجة واضحة ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يعني ان من كان عاقلا استدل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة أن لهذه الاشياء خالقا ومدبرا قادرا على ما يريد ✽ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وأوحى ربك الى النحل ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته وعجائب صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر في هذه الآية اخراج العسل الذي جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة وهي النحلة فقال سبحانه وتعالى وأوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها بلطيف حكمته وقدرته وأصل الوحي الاشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الالهية التي يلقيها الله الى أنبيائه وحي والى أوليائه الهام وتسخير الطير لما خلق له ومنه قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل يعني انه سخرها لما خلقها له وألهمها رشدها وقدر في أنفسها هذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتا على شكل مسدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فألهمها الله سبحانه وتعالى أن تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضائعة وألهمها الله تعالى أيضا أن تجعل عليها أميرا كبيرا نافذ الحكم فيها وهي تطيعه وتمتثل أمره ويكون هذا الامير أكبرها جثة وأعظمها خلقة ويسمى يعسوب النحل يعني ملكها كذا حكاه الجوهري وألهمها الله سبحانه وتعالى ايضا ان جعلت على باب كل خلية بوابا لا يمكن غير اهلها من الدخول اليها والهمها الله سبحانه وتعالى ايضا انها تخرج من بيوتها وتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والفطنة دل ذلك على الالهام الالهي فكان ذلك شبيها بالوحي فلذلك قال تبارك وتعالى وأوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر أيضا

(ان في ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك الى النحل) وأنهم

(ان في ذلك) فيما ذكرت لكم (لآية) لعلامة (لقوم يعقلون) يصدقون (وأوحى ربك الى النحل) الهم ربك النحل

وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ﴿ ومن ثمرات النخيل والاعناب ﴾ متعلق بمحذوف أى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أى من عصيرهما وقوله ﴿ تتخذون منه سكرا ﴾ استئناف لبيان الاسقاء أو بتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا أو خبر لمحذوف صفته تتخذون أى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذى هو العصير أو لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمى به الخمر ﴿ ورزقا حسنا ﴾ كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال

جعلت اعراض الكرام سكرا

أى تنقلت باعراضهم وقيل مايسد الجوع من السكر فيكون الرزق مايحصل من اثمانه

حصل فى الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثانى ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فاما الصفراء فتذهب الى المرارة وأما السوداء فتذهب الى الطحال وأما المائية فتذهب الى الكلية ومنها الى المثانة وأما الدم فيذهب فى الاوردة وهى العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددى رخو أبيض فيقلب الله عز وجل ذلك الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددى الرخو الابيض فيصير الدم لبنا فهذا صورة تكون اللبن فى الضرع فاللبن انما يتولد من بعض أجزاء الدم والدم انما يتولد من بعض الاجزاء اللطيفة من الاشياء المأكولة الحاصلة فى الكرش فاللبن تولد أولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله سبحانه وتعالى بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وعند تولد اللبن فى الضرع يخلق الله عز وجل بلطيف حكمته فى حلمة الثدى ثقبا صغارا ومسام ضيقة فيجعلها كالمصفاة للبن فكل ما كان لطيفا من اللبن خرج بالمص أو الحلب وما كان كثيفا احتبس فى البدن وهو المراد بقوله خالصا يعنى من شوائب كدورة الدم والفرث سائغا للشاربين يعنى جاريا فى حلوقهم سهلا لذيذا هنيئا مريئا ۞ قوله عز وجل ﴿ ومن ثمرات النخيل والاعناب ﴾ يعنى ولكم أيضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والاعناب ﴿ تتخذون منه ﴾ الضمير فى منه يرجع الى ما تقديره ولكم من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه ﴿ سكرا ورزقا حسنا ﴾ قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وابن أبى ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا وسكرا والرزق الحسن سائر ما يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك ۞ فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله عز وجل فى معرض الانعام والامتنان ۞ قلت قال العلماء فى الجواب عن هذا ان هذه السورة مكية وتحريم الخمر انما نزل فى سورة المائدة وهى مدنية فكان نزول هذه الآية فى الوقت الذى كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نبه فى هذه الآية على تحريم الخمر أيضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن فى الذكر فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروى العوفى عن ابن عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم

(من ثمرات النخيل والاعناب) أى من عصيرهما وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله (تتخذون منه سكرا) بيان وكشف عن كنه الاسقاء أو تتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد والضمير فى منه يرجع الى المضاف المحذوف الذى هو العصير والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا ثم فيه وجهان أحدهما ان الآية سابقة على تحريم الخمر فتكون منسوخة وثانيهما أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبى حنيفة وأبى يوسف رحمهما الله الى حد السكر ويحتجان بهذه الآية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبالخبار جة (ورزقا حسنا) هو الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك

(ومن ثمرات النخيل والاعناب) يعنى الكروم (تتخذون منه سكرا) مسكرا وهذا منسوخ ويقال طعاما (ورزقا حسنا) حلالا من الخل والدبس والزبيب وغير ذلك

المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين ﴿ من بين فرث ودم لبنا ﴾ فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لايتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على مايليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على مايليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم أو حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة ﴿ خالصا ﴾ صافيا لايستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث أو مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه ﴿ سائغا للشاربين ﴾ سهل المرور في حلقهم

الكسائي انه رده الى ماذكر يعني مما في بطون ماذكرنا وقال غيره الكناية مردودة الى البعض وفيه اضمار كانه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن فاضمر اللبن اذ ليس لكلها لبن ﴿ من بين فرث ﴾ وهو ما في الكرش من السفل فاذا خرج منها لايسمى فرثا ﴿ ودم لبنا خالصا ﴾ يعني من الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس اذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطبخته كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما فالكبد مسلطة عليه تقسمه بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الثفل كما هو ﴿ سائغا للشاربين ﴾ يعني هنيأ سهلا يجري في الحلق بسهولة قيل انه لم يغص أحد باللبن قط هذا قول المفسرين في معنى هذه الآية وحكى الامام فخر الدين الرازي قول الحكماء في ذلك فقال ولقائل أن يقول الدم واللبن لايتولدان في الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا ومارأى أحد في كرشها دما ولا لبنا بل الحق أن الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذي

(من بين فرث ودم لبنا خالصا) أي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ لايبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش ثم ينحدر وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تميز العمل من العيوب كتميز اللبن من بين فرث ودم (سائغا للشاربين) سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط ومن الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية لابتداء الغاية وتعلق

من بين فرث ودم) نخرج (لبنا خالصا سائغا) شهيا (للشاربين

(فهو وليهم اليوم) أى قرينهم فى الدنيا تولى اضلالهم بالغرور أو الضمير لمشركى قريش أى زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولى هؤلاء لانهم منهم أو هو على حذف المضاف أى فهو ولى أمثالهم اليوم (ولهم عذاب أليم) فى القيامة (وما أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (الا لتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) هو البعث لانه كان فيهم من يؤمن به (وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذى أنزل الكتاب ودخلت اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل (لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه لا يسمع (وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه) وبفتح النون نافع وشامى وأبو بكر قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واحد ذكر سيبويه الانعام فى الاسماء المفردة الواردة على أفعال ولذا رجع الضمير اليه مفردا وأما فى بطونها فى سورة المؤمنين فلان معناه الجمع وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم مما فى بطونه

قبائحها وكفروا بالمرسلين ﴿فهو وليهم اليوم﴾ أى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها أو فهو وليهم حين كان يزين لهم أو يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية أو آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش أى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف أى فهو ولى امثالهم والولى القرين أو الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ﴿ولهم عذاب اليم﴾ فى القيامة ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم﴾ للناس ﴿الذى اختلفوا فيه﴾ من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال ﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين ﴿والله أنزل من السماء ماء فاحيي به الارض بعد موتها﴾ انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ﴿ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ سماع تدبر وانصاف ﴿وان لكم فى الانعام لعبرة﴾ دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم ﴿نسقيكم مما فى بطونه﴾ استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها أو لواحده اوله على المعنى فان

الوسوسة فى قلوبهم وليس له قدرة أن يضل أحدا أو يهدى أحدا وانما له الوسوسة فقط فمن أراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته ﴿فهو وليهم﴾ أى ناصرهم ﴿اليوم﴾ ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما سماه وليا لهم لطاعتهم اياه ﴿ولهم عذاب أليم﴾ يعنى فى الآخرة ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه﴾ يعنى فى أمر الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام ﴿وهدى ورحمة﴾ يعنى وما أنزلنا عليك الكتاب الا بيانا وهدى ورحمة ﴿لقوم يؤمنون﴾ لانهم هم المنتفعون به ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿والله أنزل من السماء ماء﴾ يعنى المطر ﴿فاحيا به﴾ يعنى بالماء ﴿الارض﴾ يعنى بالنبات والزروع ﴿بعد موتها﴾ يعنى يبسها وجدوبتها ﴿ان فى ذلك لآية﴾ يعنى دلالة واضحة على كمال قدرتنا ﴿لقوم يسمعون﴾ يعنى سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لا سماع الآذان فمن سمع آيات الله أى القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات ﴿وان لكم فى الانعام لعبرة﴾ يعنى اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك ﴿نسقيكم مما فى بطونه﴾ الضمير عائد الى الانعام وكان حقه أن يقال مما فى بطونها واختلف النحويون فى الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما فى بطونه وقال فى سورة المؤمنين مما فى بطونها وهذا قول أبى عبيدة والاخفش وقال

فلم يؤمنوا (فهو وليهم اليوم) فى الدنيا وقرينهم فى النار (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) وجيع (وما أنزلنا عليك الكتاب) جبريل بالقرآن (الا لتبين لهم الذى اختلفوا) خالفوا (فيه) فى الدين (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لقوم يؤمنون) به (والله أنزل من السماء ماء) مطرا (فاحيا به) بالمطر (الارض بعد موتها) قحطها ويبوستها (ان فى ذلك) فى احياء ما ذكرت (لآية) لعلامة (لقوم يسمعون) يطيعون ويصدقون (وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه

(ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى أجل كل أحد أو وقت تقتضيه الحكمة أو القيامة (فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله مايكرهون) مايكرهونه لانفسهم من البنات ومن شركاء فى رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولاصنامهم أكرمها (وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك أى ويقولون الكذب (أن لهم الحسنى) عندالله وهى الجنة ان كان البعث حقا كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وأن لهم الحسنى بدل من الكذب (لاجرم أن لهم النار وانهم مفرطون) مفرطون نافع مفرطون أبو جعفر فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من أفرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء اذاقدمته أو منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط فى المعاصى والمشدد من التفريط فى الطاعات أى التقصير فيها (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) أى أرسلنا رسلا الى من تقدمك من الامم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والتكذيب بالرسل

الابناء ﴿ ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى ﴾ سماه لاعمارهم أو لعذابهم كى يتوالدوا ﴿ فاذاجاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون ﴾ بل هلكوا أو عذبوا حينئذ لامحالة ولايلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن اكثرهم ﴿ ويجعلون لله مايكرهون ﴾ اى مايكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال ﴿ وتصف ألسنتهم الكذب ﴾ مع ذلك وهو ﴿ ان لهم الحسنى ﴾ أى عندالله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة ﴿ لاجرم ان لهم النار ﴾ رد لكلامهم واثبات لضده ﴿ وانهم مفرطون ﴾ مقدمون الى النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات ﴿ تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم ﴾ فصروا على

أحد ﴿ ولكن يؤخرهم ﴾ يعنى يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه ﴿ الى أجل مسمى ﴾ يعنى الى انتهاء آجالهم وانقضاء أعمارهم ﴿ فاذاجاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون ﴾ يعنى لا يؤخرون ساعة عن الاجل الذى جعله الله لهم ولا ينقصون عنه وقيل أراد بالاجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولكن يؤخرهم الى يوم القيامة فيعذبهم فلايستأخرون عنه ساعة ولايستقدمون ﴿ ويجعلون لله مايكرهون ﴾ يعنى لانفسهم وهى البنات ﴿ وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى ﴾ يعنى ويقولون ان لهم البنين وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم وافتراء على الله وقيل أراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمد صادقا فى البعث بعد الموت فان لنا الجنة لانا على الحق فاكذبهم الله تعالى فقال ﴿ لاجرم ان لهم النار ﴾ يعنى فى الآخرة لا الجنة ﴿ وأنهم مفرطون ﴾ قرئ بكسر الراء مع التخفيف يعنى مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعنى مضيعون لامر الله وقراءة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أى منسيون فى النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل متروكون وقال قتادة معجلون الى النار وقال الفراء مقدمون الى النار والفرط المتقدم الى الماء قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض أى متقدمكم ﴿ تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك ﴾ يعنى كما أرسلناك الى هذه الامة لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فكان شأنهم مع رسلهم التكذيب ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿ فزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ يعنى أعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وانما جعل الشيطان آلة بالقاء

أحدا (ولكن يؤخرهم) يؤجلهم (الى أجل مسمى) الى وقت هلاكهم (فاذا جاء أجلهم) وقت هلاكهم (لايستأخرون ساعة) لايتركون عن الاجل قدر ساعة (ولايستقدمون) لايهلكون قبل الاجل (ويجعلون لله مايكرهون) يقولون لله البنات مالايرضون لانفسهم (وتصف ألسنتهم الكذب) يقولون بألسنتهم الكذب (أن لهم الحسنى) يعنى الذكور ويقال (الوسوسة) أن لهم الحسنى يعنى الجنة ويقال ان لهم الحسنى من ان لهم الجنة (لاجرم) حقا (أن لهم النار وأنهم مفرطون) متروكون ويقال منسيون ويقال مفرطون بالقول والفعل وان قرأت بكسر الراء (تالله) والله (لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم) دينهم

فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما ﴿ الاساء مايحكمون ﴾ حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ماهذا محله عندهم ﴿ للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء ﴾ صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية بالموت واشتهاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق ﴿ ولله المثل الاعلى ﴾ وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ المنفرد بكمال القدرة والحكمة ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿ ماترك عليها ﴾ على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس أو الدابة عليها ﴿ من دابة ﴾ قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن

أبو داود * وقوله تعالى ﴿ ألاساء مايحكمون ﴾ يعنى بئس مايصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذى خلقهم البنات وهم يستنكفون منهن ويجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله سبحانه وتعالى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقيل معناه ألاساء مايحكمون فى وأد البنات ﴿ للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء ﴾ يعنى صفة السوء من احتياجهم الى الولد الذكر وكراهتهم الاناث وقتلهن خوف الفقر ﴿ ولله المثل الاعلى ﴾ أى الصفة العليا المقدسة وهى أن له التوحيد وأنه المنزه عن الولد وأنه لااله الاهو وأن له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التى وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة أن لااله الا الله ﴿ وهو العزيز ﴾ أى الممتنع فى كبريائه وجلاله ﴿ الحكيم ﴾ يعنى فى جميع أفعاله * قوله عز وجل ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ﴾ يعنى بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم * فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى فى آية أخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم فى تلك الآية ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة * قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بتلك الآية الاخرى لان فى جنس الناس الانبياء والصالحين ومن لايطلق عليه اسم الظلم وقيل أراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك لظلم عظيم وقوله ﴿ ماترك عليها ﴾ يعنى على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لاتدب الا على الارض ﴿ من دابة ﴾ يعنى أن الله سبحانه وتعالى لو يؤاخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التى على وجه الارض قال قتادة وقد فعل الله ذلك فى زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على وجه الارض الا من كان فى السفينة مع نوح عليه السلام وروى ان أبا هريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لايضر الا نفسه فقال بئس ماقلت ان الحبارى تموت هزلا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل تعذب فى جحرها بذنب ابن آدم وقيل أراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل فى معنى الآية ولو يؤاخذ الله الآباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الابناء فلم يبق فى الارض

عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف (للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهى الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز) الغالب فى تنفيذ ما أراد (الحكيم) فى امهال العباد (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) على الارض (من دابة) قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين عن أبى هريرة رضى الله عنه ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم وعن ابن عباس رضى الله عنهما من دابة من مشرك يدب

(ألاساء ما يحكمون) بئس مايقضون لانفسهم الذكور ولله البنات (للذين لايؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (مثل السوء) يعنى النار (ولله المثل الاعلى) الصفة العليا الالوهية والربوبية بلاولد ولاشريك (وهو العزيز) بالنقمة لمن لايؤمن به (الحكيم) أمر أن لايعبد غيره (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بشركهم (ماترك عليها) على ظهر الارض (من دابة) من الجن والانس

﴿ ولهم مايشتهون ﴾ يعنى البنين ويجوز فيمايشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد لكنه لا يبعد تجويزه فى المعطوف ﴿ واذا بشر احدهم بالانثى ﴾ اخبر بولادتها ﴿ ظل وجهه ﴾ صار أو دام النهار كله ﴿ مسودا ﴾ من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير ﴿ وهو كظيم ﴾ مملوء غيظا من المرأة ﴿ يتوارى من القوم ﴾ يستخفى منهم ﴿ من سوء ما بشر به ﴾ من سوء المبشر به عرفا ﴿ أيمسكه ﴾ محدثا نفسه متفكرا فى ان يتركه ﴿ على هون ﴾ ذل ﴿ أم يدسه فى التراب ﴾ أم يخفيه

نزه الله نفسه عن الولد والبنات ﴿ ولهم مايشتهون ﴾ يعنى ويجعلون لانفسهم مايشتهون يعنى البنين ﴿ واذ بشر أحدهم بالانثى ﴾ البشارة عبارة عن الخبر السار الذى يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه وهو الكمودة التى تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله واذا بشر أحدهم بالانثى ﴿ ظل وجهه مسودا ﴾ يعنى متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التى حصلت له عند هذه البشارة والمعنى ان هؤلاء المشركين لا يرضى أحدهم بالبنت الانثى ان تنسب اليه فكيف يرضى أن ينسبها الى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وهو كظيم ﴾ يعنى انه ظل ممتلئا غما وحزنا ﴿ يتوارى من القوم من سوء مابشر به ﴾ يعنى انه يختفى من ذلك القول الذى بشر به وذلك ان العرب كانوا فى الجاهلية اذا قربت ولادة زوجة أحدهم توارى من القوم الى ان يعلم ماولد له فان كان ولدا ابتهج وسر بذلك وظهر وان كانت أنثى حزن ولم يظهر أياما حتى يفكر مايصنع بها وهو قوله تعالى ﴿ أيمسكه على هون ﴾ يعنى على هوان وانما ذكر الضمير فى أيمسكه لانه عائد الى مابشر به فى قوله واذا بشر أحدهم ﴿ أم يدسه فى التراب ﴾ يعنى أم يخفى ذلك الذى بشر به فى التراب والدس اخفاء الشئ فى الشئ قال أهل التفسير ان مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات أحياء والسبب فى ذلك اما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة أو الحمية فيخافون عليهن من الاسر ونحوه أو طمع غير الاكفاء فيهن فكان الرجل من العرب فى الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها تركها حتى اذا كبرت ألبسها جبة من صوف أو شعر وجعلها ترعى الابل والغنم فى البادية واذا أراد أن يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينيها حتى أذهب بها الى أحمائها ويكون قد حفر لها حفرة فى الصحراء فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظرى الى هذه البئر فاذا نظرت اليها دفعها من خلفها فى تلك البئر ثم يهيل التراب على رأسها وكان صعصعة عم الفرزدق اذا أحس بشئ من ذلك وجه بابل الى والد البنت حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك

وعمى الذى منع الوائدات ۞ فأحيا الوئيد فلم يوأد

عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة فى النار أخرجه

الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات وسبحانه اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه أى وجعلوا لانفسهم مايشتهون من الذكور (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا) أى صار فظل وأمسى وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة لان أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وهو كظيم) مملوء حنقا على المرأة (يتوارى من القوم من سوء مابشر به) يستخفى منهم من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر (أيمسكه على هون) أيمسك مابشر به على هون وذل (أم يدسه فى التراب) أم يئده

والشريك (ولهم مايشتهون) مايختارون من الذكور (واذا بشر أحدهم بالانثى) بالجارية (ظل وجهه مسودا) صار وجهه مسودا من الغم (وهو كظيم) مكروب يتردد الغم فى جوفه (يتوارى من القوم) يكتم من قومه (من سوء) من كره (مابشر به) بالانثى كراهية الاظهار (أيمسكه) أيحفظه (على هون) على هوان ومشقة (أم يدسه) يدفنه (فى التراب) حيا

نهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة ثم أوعدهم فقال (فتمتعوا فسوف تعلمون) هوعدول الى الخطاب على التهديد (ويجعلون لما لايعلمون نصيبا مما رزقناهم) أى لآلهتهم ومعنى لايعلمون انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عندالله وليس كذلك لانها جماد لاتضر ولاتنفع أو الضمير فى لايعلمون للآلهة أى لاشياء غير موصوفة بالعلم ولاتشعر أجعلوا لها نصيبا فى أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم (تالله لتسئلن) وعيد (عما كنتم تفترون) أنها آلهة وانها أهل للتقرب اليها (ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه

وهم كفاركم ﴿ ليكفروا ﴾ بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان فكأنه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فنهم مقتصد ﴿ بما آتيناهم ﴾ من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة أو انكار كونها من الله تعالى ﴿ فتمتعوا ﴾ امر تهديد ﴿ فسوف تعلمون ﴾ اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ﴿ ويجعلون لما لايعلمون ﴾ أى لآلهتهم التى لاعلم لها لانها جماد فيكون الضمير لما أو التى لايعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف أو لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به ﴿ نصيبا مما رزقناهم ﴾ من الزروع والانعام ﴿ تالله لتسألن عما كنتم تفترون ﴾ من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ﴿ ويجعلون لله البنات ﴾ كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ تنزيه له من قولهم وتعجب منه

الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ قيل ان هذه اللام لام كى ويكون المعنى على هذا انهم انما اشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم فى كشف الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء ﴿ فتمتعوا ﴾ لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعنى فعيشوا فى اللذة التى أنتم فيها الى المدة التى ضربها الله لكم ﴿ فسوف تعلمون ﴾ يعنى عاقبة أمركم الى ماذا تصير وهو نزول العذاب بكم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويجعلون لما لايعلمون نصيبا ﴾ قيل الضمير فى قوله لما لايعلمون عائد الى المشركين يعنى ان المشركين لايعلمون وقيل انه عائد الى الاصنام يعنى ان الاصنام لاتعلم شيأ البتة لانها جماد والجماد لاعلم له ومنهم من رجح القول الاول لان نفى العلم عن الحى حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير الى المشركين أولى ولانه قال لما لايعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثانى قال لانا اذا قلنا انه عائد الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعنى المشركين لما لايعلمون انه اله ولا له حق نصيبا واذا قلنا انه عائد الى الاصنام لم نحتج الى هذا الاضمار لانها لاعلم لها ولافهم * وقوله ﴿ مما رزقناهم ﴾ يعنى ان المشركين جعلوا للاصنام نصيبا من حروثهم وأنعامهم وأموالهم التى رزقهم الله وتقدم تفسيره فى سورة الانعام ﴿ تالله ﴾ أقسم بنفسه على نفسه انه يسألهم يوم القيامة وهو قوله تعالى ﴿ لتسئلن عما كنتم تفترون ﴾ يعنى عما كنتم تكذبون فى الدنيا فى قولكم ان هذه الاصنام آلهة وان لها نصيبا من أموالكم وهذا التفات من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبليغه ﴿ ويجعلون لله البنات ﴾ هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وانما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء أو لدخول لفظ التأنيث فى تسميتهم ﴿ سبحانه ﴾

الاصنام (ليكفروا) حتى يكفروا (بما آتيناهم) أعطيناهم من النعيم فيقولوا بشفاعة آلهتنا هذا (فتمتعوا) فعيشوا فى الكفر والحرام (فسوف تعلمون) ماذا نفعل بكم (ويجعلون) يقولون (لما لايعلمون نصيبا) حظا للرجال دون النساء ويقال لما لايعقلون ولايعلمون يعنى الاصنام (مما رزقناهم) أعطيناهم من الحرث والانعام ويقولون الله أمرنا بهذا (تالله) والله (لتسئلن) يوم القيامة (عما كنتم تفترون) تكذبون على الله (ويجعلون لله البنات) يقولون الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه نفسه عن الولد

بالمقصود فكأنه قال فاذلك الاله الواحد فاياى فارهبون لاغيرى ﴿ وله ما فى السموات والارض ﴾ خلقا وملكا ﴿ وله الدين ﴾ أى الطاعة ﴿ واصبا ﴾ لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب أى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء أى وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر ﴿ أفغير الله تتقون ﴾ ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال تعالى ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ أى وأى شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لا لحصولها منه ﴿ ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ﴾ فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت فى الدعاء والاستغاثة ﴿ ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ﴾

من قوله فاياه فارهبوا فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فاياى فارهبون يفيد الحصر وهو أن لا يرهب الخلق الا منه ولا يرغبون الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه ﴿ وله ما فى السموات والارض ﴾ لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك له فى الالهية وجب أن يكون جميع المخلوقات عبيداً له وفى ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله تعالى وله ما فى السموات والارض يعنى عبيدا وملكا ﴿ وله الدين واصبا ﴾ يعنى وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دائما ثابتا والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك لسبب فى حال الحياة أو بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة أبدا ولانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائمة أبدا ﴿ أفغير الله تتقون ﴾ يعنى انكم عرفتم ان الله واحد لا شريك له فى ملكه وعرفتم ان كل ما سواه محتاج اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار * قوله عز وجل ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ يعنى من نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة الارزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى انما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه ولما بين فى الآية المتقدمة انه يجب على جميع العباد أن لا يخافوا الا الله تعالى بين فى هذه الآية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها ﴿ ثم اذا مسكم الضر ﴾ أى الشدة والامراض والاسقام ﴿ فاليه تجأرون ﴾ يعنى اليه تستغيثون وتصيحون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة وأصل الجؤار هو رفع الصوت الشديد ومنه جؤار البقر والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداء منه فان حصل شدة وضر فى بعض الاوقات فلا يلجأ الا اليه ولا يدعى الا اياه ليكشفها فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى ﴿ ثم اذا كشف الضر عنكم ﴾ يعنى ثم اذا أزال الشدة والبلاء عنكم ﴿ اذا فريق منكم ﴾ يعنى طائفة وجماعة منكم ﴿ بربهم يشركون ﴾ يعنى انهم يضيفون كشف الضر الى العوائد والاسباب ولا يضيفونه الى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذى كانوا عليه وانما قسمهم فريقين لان فريق المؤمنين لا يرون كشف

يعقوب (وله ما فى السموات والارض وله الدين) أى الطاعة (واصبا) واجبا ثابتا لان كل نعمة منه فالطاعة [illegible] نعمة) وأى شئ اتصل بكم من نعمة عافية وغنى وخصب (فمن الله) فهو من الله (ثم اذا مسكم الضر) المرض والفقر والجدب (فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) الخطاب فى وما بكم من نعمة ان كان عاما فالمراد بالفريق الكفرة وان كان الخطاب للمشركين فقوله منكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فى عبادة الاصنام (وله ما فى السموات والارض) من الخلق والعجائب (وله الدين واصبا) دائما وقال خالصا (أفغير الله تتقون) تعبدون (وما بكم من نعمة فمن الله) فمن قبل الله لا من قبل الاصنام (ثم اذا مسكم الضر) أصابتكم الشدة (فاليه) الى الله (تجأرون) تتضرعون وتدعون (ثم اذا كشف الضر) رفع الشدة (عنكم اذا فريق) طائفة (منكم بربهم يشركون) ﴿ الضر ﴾

تناول العقلاء خاصة (وهم لايستكبرون يخافون ربهم) هو حال من الضمير فى لايستكبرون أى لايستكبرون خائفين (من فوقهم) ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه

أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده (ويفعلون مايؤمرون) وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهى وانهم بين الخوف والرجاء (وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد) فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلاحاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به ألاترى أنك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية لا الوحدانية (فاياى فارهبون) نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ فى الترهيب من قوله فاياه فارهبوا فارهبونى

الارض والملائكة تكرير لما فى السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما والمراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء ﴿وهم لايستكبرون﴾ عن عبادته ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير فى لايستكبرون أو بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته ﴿ويفعلون مايؤمرون﴾ من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء ﴿وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين﴾ ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهى اليه أو ايماء بان الاثنينية تنافى الالوهية كما ذكر الواحد فى قوله ﴿انما هو اله واحد﴾ للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية أو للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية ﴿فاياى فارهبون﴾ نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة فى الترهيب وتصريحا

﴿وهم لايستكبرون﴾ يعنى الملائكة ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره ﴿ويفعلون مايؤمرون﴾ عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى مالاترون وأسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع أربع أصابع الاوملك واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وماتلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى قال أبو ذر لوددت انى كنت شجرة تعضد أخرجه الترمذى وقال عن أبى ذر موقوفا

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها وسماعها * قوله سبحانه وتعالى ﴿وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين﴾ لما أخبر الله عز وجل فى الآية المتقدمة ان كل مافى السموات والارض خاضعون لله منقادون لامره عابدون له وانهم فى ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى فى هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين فقال وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين توكيدا لقوله الهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لاتتخذوا اثنين الهين يعنى ان الاثنين لايكون كل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الها واحدا وهو قوله تبارك وتعالى ﴿انما هو اله واحد﴾ لان الالهين لايكونان الامتساويين فى الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنينية منافية للالهية وذلك قوله تعالى انما هو اله واحد يعنى لايجوز أن يكون فى الوجود الهان اثنان انما هو اله واحد ﴿فاياى فارهبون﴾ يعنى فخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى الحضور وهو من طريق الالتفات لانه أبلغ فى الترهيب

(قاو خا ٧٧ لث)

(وهم لايستكبرون) عن السجود لله (يخافون ربهم من فوقهم) الذى فوقهم على العرش (ويفعلون) يعنى ويقولون (مايؤمرون) يعنى الملائكة (وقال الله لاتتخذوا) لاتعبدوا (الهين اثنين) نفسه والاصنام (انما هو اله واحد) بلاولد ولا شريك (فاياى فارهبون) فخافون

وهم داخرون ﴾ وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع أو الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب أو سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ أو واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل أو لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له من الارض فان الظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الارض ﴾ أي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله ﴿ من دابة ﴾ بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كان في ارض أو سماء ﴿ والملائكة ﴾ عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم أو عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة أو بيان لما في

ساجد لله ﴿وهم داخرون﴾ أي صاغرون أذلاء والداخر الصاغر الذي يفعل ما تأمره به شاء أم أبى وذلك ان جميع الاشياء منقادة لامر الله تعالى ٭ فان قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون ٭ قلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء ٭ قوله عز وجل ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة ﴾ قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة يحتمل النوعين لان سجود كل شئ بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع وأتى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الارض للتغليب لان ما لا يعقل اكثر ممن يعقل في العدد والحكم للاغلب كتغليب المذكر على المؤنث ولانه لو أتى بمن التي هي للعقلاء لم يكن فيه دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بلفظة ما ليشمل الكل ولفظة الدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية والدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا أفرد الملائكة في قوله ﴿والملائكة﴾ لانهم أولو أجنحة يطيرون بها أو أفردهم بالذكر وان كانوا من جملة من في السموات لشرفهم وقيل أراد ولله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الارض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم تذليلها وتسخيرها لما خلقت له وسجود ما لا يعقل وسجود الجمادات يدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر

الله من كل شئ له ظل وجمع بالواو والنون لان الدخور من أوصاف العقلاء أو لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى ألم يروا الى ما خلقه الله من الاجرام التي [illegible] وشمائلها أي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها غير ممتنعة (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) من بيان لما في السموات وما في الارض جميعا على أن في السموات خلقا يدبون فيها كما تدب الاناسي في الارض أو بيان لما في الارض وحده والمراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله (والملائكة) ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم قيل المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقيادهم لارادة الله ومعنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فلذا جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد وجيء بما اذ هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جيء بمن [illegible] (وهم داخرون) مطيعون (ولله يسجد ما في السموات

من الشمس والقمر والنجوم (وما في الارض من دابة) من الدواب والطيور (والملائكة) في السماء يسجدون لله (وهم)

﴿ فان ربكم لرؤف رحيم ﴾ حيث لايعاجلكم بالعقوبة ﴿ أولم يروا الى ما خلق الله من شئ ﴾ استفهام انكار أى قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها ﴿ يتفيؤ ظلاله ﴾ أى أولم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائى تروا بالتاء وابو عمرو تتفيأ بالتاء ﴿ عن اليمين والشمائل ﴾ عن ايمانها وعن شمائلها اى عن جانبى كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير فى ظلاله وجمعه فى قوله ﴿ سجدا لله

الضحاك والكلبى هو من الخوف يعنى يهلك طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل انه سبحانه وتعالى خوفهم بخسف يحصل فى الارض أو بعذاب ينزل من السماء أو بآفات تحدث دفعة أو بآفات تحدث قليلا قليلا الى ان يأتى الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله ﴿ فان ربكم لرؤف رحيم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى لايعجل بالعقوبة والعذاب * قوله سبحانه وتعالى ﴿ أولم يروا ﴾ قرئ بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة ﴿ الى ما خلق الله من شئ ﴾ يعنى من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لايكون الا بنفس الرؤية التى يكون معها نظر الى الشئ ليتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به ﴿ يتفيؤ ظلاله ﴾ يعنى تميل وتدور من جانب الى جانب فهى من أول النهار على حال ثم تقلص ثم تعود فى آخر النهار الى حالة أخرى ويقال للظل بالعشى فئ لانه من فاء يفئ اذا رجع من المغرب الى المشرق والفئ الرجوع قال الازهرى تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لايكون الا بالعشى وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما أضاف الظلال وهو جمع الى المفرد وهو قوله من شئ لانه يراد به الكثرة ومعناه اضافة الى ذوى الظلال ﴿ عن اليمين والشمائل ﴾ قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت فى وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك أما اليمين فاول النهار وأما الشمال فآخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع للايجاز والاختصار فى اللفظ وقيل اليمين راجع الى لفظ الشئ وهو واحد والشمائل راجع الى المعنى لان لفظ الشئ يراد به الجمع ﴿ سجدا لله ﴾ فى معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل والمعنى ان جميع الاشياء التى لها ظلال فهى منقادة لله تعالى مستسلمة لامره غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ وغيره وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ لله والقول الثانى فى معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شئ ساجد لله سواء كان ذلك الشئ يسجد لله أولا ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير

لايشعرون (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم يأخذكم مع ما فيكم فانما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم (أولم يروا) وبالتاء حمزة وعلى وأبو بكر (الى ما خلق الله) ما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شئ يتفيؤ ظلاله) أى يرجع من موضع الى موضع وبالتاء بصرى (عن اليمين) أى الايمان (والشمائل) جمع شمال (سجدا لله) حال من الظلال عن مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ

(فان ربكم لرؤف رحيم) لمن تاب ويمهل بتأخير العذاب (أولم يروا) أهل مكة (الى ما خلق الله من شئ) من الشجر والدواب (يتفيؤ ظلاله) يتقلب ظلاله (عن اليمين) غدوة (والشمائل) وعن الشمائل عشية (سجدا لله) يسجدون لله وظلالهم غدوة وعشية أيضا تسجد لله

ودليل العقل ﴿ ولعلهم يتفكرون ﴾ وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق ﴿ أفأمن الذين مكروا السيآت ﴾ أي المكرات السيآت وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء أو الذين مكروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان ﴿ ان يخسف الله بهم الارض ﴾ كما خسف بقارون ﴿ أو يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون ﴾ بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط ﴿ أو يأخذهم في تقلبهم ﴾ أي متقلبين في مسائرهم ومتاجرهم ﴿ فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف ﴾ على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون أو على ان ينتقص شيأ بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روى ان عمر رضي الله تعالى عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته

تخوف الرحل منها تامكا قردا ء كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم بديوانكم لاتضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم

القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب أن يكون مبينا والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما أجمل فيه دون المحكم المبين المفسر ﴿ ولعلهم يتفكرون ﴾ يعني فيما أنزل اليهم فيعملوا به ﴿ أفأمن الذين مكروا السيآت ﴾ فيه حذف تقديره المكرات السيآت وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه وبالغوا في أذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على أنفسهم والصحيح أن المراد بهذا المكر السعي في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيآت نمرود ومن هو مثله والصحيح ان المراد بهم كفار مكة ﴿ أن يخسف الله بهم الارض ﴾ يعني كما خسف بقارون من قبلهم ﴿ أو يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون ﴾ يعني ان العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما أهلك قوم لوط وغيرهم ﴿ أو يأخذهم في تقلبهم ﴾ يعني في تصرفهم في الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم يعني انه تعالى قادر على أن يأخذهم في ليلهم ونهارهم وفي جميع أحوالهم ﴿ فما هم بمعجزين ﴾ يعني بسابقين الله أو يفوتونه بل هو قادر عليهم ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾ قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخون يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا انتقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد به أنه ينتقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من الخوف فيحتمل انه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أولا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال

(ولعلهم يتفكرون) في تنبيهاته فيتنبهوا (أفأمن الذين مكروا السيآت) أي المكرات السيآت وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام (أن يخسف الله بهم الارض) كما فعل بمن تقدمهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون) أي بغتة (أو يأخذهم في تقلبهم) متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم (فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث

(ولعلهم يتفكرون) لكي يتفكروا فيما أمر لهم في القرآن (أفأمن الذين مكروا السيآت) الشرك بالله (أن يخسف الله) أن لا يغور الله (بهم الارض أو يأتيهم) أو لا يأتيهم (العذاب من حيث لايشعرون) بنزوله (أو يأخذهم) أو لا يأخذهم (في تقلبهم) في ذهابهم ومجيئهم في التجارة (فما هم بمعجزين) [illegible]

ذكرت فى سورة الانعام فان شككتم فيه ﴿ فاسألوا أهل الذكر ﴾ اهل الكتاب أو علماء الاحبار ليعلموكم ﴿ ان كنتم لاتعلمون ﴾ وفى الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولاملكا للدعوة العامة واما قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فمعناه رسلا الى الملائكة أو الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام على صورته التى هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم ﴿ بالبينات والزبر ﴾ أى ارسلناهم بالبينات والزبر أى المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا فى الاستثناء مع رجالا أى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ماضربت الا زيدا بالسوط أو صفة لهم أى رجالا ملتبسين بالبينات أو بيوحى على المفعولية أو الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسألوا اعتراض أو بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام ﴿ وانزلنا اليك الذكر ﴾ أى القرآن وانما سمى ذكرا لانه موعظة وتنبيه ﴿ لتبين للناس مانزل اليهم ﴾ فى الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه أو مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود أو يرشد الى مايدل عليه كالقياس

محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث ملكا الينا فاجابهم الله عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا يعنى مثلك نوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من أول مبدأ الخلق أنه لم يبعث الا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة ﴿ فاسئلوا أهل الذكر ﴾ يعنى أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله اليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فاذا سألوهم فلابد وأن يخبروهم بان الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم ﴿ ان كنتم لاتعلمون ﴾ الخطاب لاهل مكة يعنى ان كنتم ياهؤلاء لاتعلمون ذلك ﴿ بالبينات والزبر ﴾ اختلفوا فى المعنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا نوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم فى قوله فاسألوا أهل الذكر يعنى اهل العلم فاسألوا اهل الذكر الذى هو العلم بالبينات والزبر ان كنتم لاتعلمون أنتم ذلك والبينات والزبر اسم جامع لكل مايتكامل به أمر الرسالة لان مدار امر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهى بالبينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهى المراد بالزبر يعنى الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل ﴿ وأنزلنا اليك الذكر ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى وأنزلنا عليك يا محمد الذكر الذى هو القرآن وانما سماه ذكرا لان فيه مواعظ وتنبيها للغافلين ﴿ لتبين للناس مانزل اليهم ﴾ يعنى ما أجمل اليك من أحكام القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان

نوحى حفص (فاسئلوا أهل الذكر) أهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين (ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر) أى بالمعجزات والكتب والباء يتعلق برجالا صفة له أى رجالا ملتبسين بالبينات أو بارسلنا مضمرا كأنه قيل بم أرسل الرسل فقيل بالبينات أو بيوحى أى يوحى اليهم بالبينات أو بلا تعلمون وقوله فاسئلوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وقوله (وأنزلنا اليك الذكر) القرآن (لتبين للناس مانزل اليهم) فى الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا به وأوعدوا

والعلامات (فسئلوا أهل الذكر) أهل التوراة والانجيل (ان كنتم لاتعلمون) ان الله لم يرسل الرسل الا انسيا (بالبينات) بالامر والنهى والعلامات (والزبر) خبر كتب الاولين (وأنزلنا اليك الذكر) جبريل بالقرآن (لتبين للناس مانزل اليهم) ما أمر لهم و[illegible]

(لنبوئنهم في الدنيا حسنة) صفة للمصدر أي تبوئة حسنة أو لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم أهلها
ونصروهم (ولأجر الآخرة أكبر) الوقف لازم عليه لأن جواب (لو كانوا
يعلمون) محذوف والضمير للكفار أي لو علموا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (الذين صبروا) أي هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا وكلاهما مدح أي صبروا على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب [illegible] قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) أي يفوضون الامر الى ربهم ويرضون بما أصابهم في دين الله ولما قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا نزل (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم) على ألسنة الملائكة

ولوجهه ﴿ لنبوئنهم في الدنيا حسنة ﴾ مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ﴿ ولأجر الآخرة أكبر ﴾ مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ الضمير للكفار أي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم أو للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم ﴿ الذين صبروا ﴾ على الشدائد كأذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله ﴿ وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم ﴾ رد لقول قريش الله أعظم من ان يكون رسوله بشرا أي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على ألسنة الملائكة والحكمة في ذلك قد

﴿ لنبوئنهم في الدنيا حسنة ﴾ يعني لنبوئنهم تبوئة حسنة وهو انه تعالى أنزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئنهم في الدنيا دارا حسنة أو بلدة حسنة وهي المدينة روى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل ثم يقول هذه الآية وقيل معناه لنحسنن اليهم في الدنيا بان يفتح لهم مكة ويمكنهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية في الدين ﴿ ولأجر الآخرة أكبر ﴾ يعني أعظم وأفضل وأشرف مما أعطاهم في الدنيا ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين يعلمون ما لهم في الآخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما أعد الله لهم في الآخرة لزادوا في الجد والاجتهاد والصبر على ما أصابهم من أذى المشركين ﴿ الذين صبروا ﴾ [illegible] ما نالهم من الاذى والمكروه فهو صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل الانفس والاموال في سبيل الله ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ يعني في أمورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الآية وهما مبدأ السلوك الى الله تعالى ومنتهاه اما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على أعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الاذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبدأ السلوك الى الله تعالى والثاني هو آخر الطريق ومنتهاه ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم ﴾ نزلت هذه الآية جوابا لمشركي مكة حيث أنكروا نبوة

(لنبوئنهم في الدنيا) لننزلنهم في المدينة (حسنة) أرضا كريمة آمنة ذات غنيمة حلال (ولأجر الآخرة) ثواب الآخرة (أكبر) أعظم من ثواب الدنيا (لو كانوا يعلمون) وقد كانوا يعلمون (الذين صبروا) على أذى الكفار (وعلى ربهم يتوكلون) لا على غيره يعني عمارا وأصحابه (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد الرسل (الا رجالا) آدميا مثلك (نوحي { محمد } اليهم) بالامر والنهى

﴿ انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴾ وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والالزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائى ههنا وفى يس فيكون عطفا على نقول أو جوابا للامر ﴿ والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا ﴾ هم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة أو المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل رضى الله تعالى عنهم وقوله فى الله أى فى حقه

فى قولهم لا بعث بعد الموت ﴿ انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ يعنى ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا أراد أن يحيي الموتى ويبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه فى احيائهم وبعثهم انما يقول لشئ أراده كن فيكون على ما أراد لانه القادر الذى لا يعجزه شئ أراده (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يشتمنى ابن آدم وما ينبغى له ان يشتمنى ويكذبنى وما ينبغى له أن يكذبنى أما شتمه اياى فيقول ان لى ولدا وأما تكذيبه اياى فقوله ليس يعيدنى كما بدأنى وفى رواية كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك أما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته وأما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾ وقوله تعالى ﴿ والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا ﴾ يعنى أوذوا وعذبوا نزلت فى بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وأبى جندل بن سهيل أخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر وهم المستضعفون فاما بلال فكان أصحابه يخرجونه الى بطحاء مكة فى شدة الحر ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشتراه منهم أبو بكر الصديق وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخرين واما صهيب فقال لهم انى رجل كبير ان كنت معكم فلن أنفعكم وان كنت عليكم فلا أضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه فمر به أبو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع وأما باقيهم فاعطوهم بعض ما يريدون فخلوا عنهم وقال قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين فآووهم ونصروهم وواسوهم وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على أن الهجرة اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى آخر ومنه حديث انما الاعمال بالنيات وفيه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه الحديث أخرجاه فى الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب ﴾ وقوله تعالى

وعلى على جواب كن قولنا مبتدأ وأن نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود أى اذا أردنا وجود شئ فليس الا أن نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة عن سرعة الايجاد يبين أن مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثمه والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من بعض المقدورات (والذين هاجروا فى الله) فى حقه ولوجهه (من بعد ما ظلموا) هم رسول الله وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينه فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة

(انما قولنا لشئ) أمرنا القيام الساعة (اذا اردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا فى الله) فى طاعة الله من مكة الى المدينة (من بعد ما ظلموا) من بعد ما عذبهم أهل مكة يعنى عمار بن ياسر وبلالا وصهيبا وأصحابه

الدال كوفى والباقون بضم الياء وفتح الدال والوجه فيه أن من يضل مبتدأ ولا يهدى خبره (وما لهم من ناصرين) يمنعونهم
من جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذى أعد لهم (وأقسموا بالله
جهد أيمانهم) معطوف
على [illegible] أشركوا
(لا يبعث الله [illegible] بلى)
هو اثبات لما بعد النفى أى
بلى يبعثهم (وعدا عليه
حقا) وهو مصدر مؤكد
لما دل عليه بلى لأن يبعث
موعد من الله وبين أن الوفاء
بهذا الوعد حق (ولكن
أكثر الناس لا يعلمون) ان
وعده حق أو انهم يبعثون
(ليبين لهم) متعلق بما دل
عليه بلى أى يبعثهم ليبين
لهم والضمير لمن يموت وهو
يشمل المؤمنين والكافرين
(الذى يختلفون فيه) هو الحق
(وليعلم الذين كفروا انهم
كانوا كاذبين) فى قولهم
لا يبعث الله من يموت

[illegible] وقرأ الكوفيون لا يهدى من يضل على البناء للفاعل
وهو [illegible] ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ من ينصرهم بدفع العذاب عنهم ﴿ وأقسموا بالله
جهد أيمانهم [illegible] ﴾ عطف على وقال الذين أشركوا ايذانا بأنهم كما
انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة فى البت على فساده ولقد رد الله تعالى
عليهم ابلغ رد فقال ﴿ بلى ﴾ يبعثهم ﴿ وعدا ﴾ مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى
فان يبعث موعد من الله تعالى ﴿ عليه ﴾ انجازه لامتناع الخلف فى وعده أو لان البعث
مقتضى حكمته ﴿ حقا ﴾ صفة اخرى للوعد ﴿ ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾
انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التى جرت عادته بمراعاتها واما لقصور
نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ﴿ ليبين لهم ﴾
أى يبعثهم ليبين لهم ﴿ الذى يختلفون فيه ﴾ وهو الحق ﴿ وليعلم الذين كفروا أنهم
كانوا كاذبين ﴾ فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعى الى البعث المقتضى له
من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال

قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعنى لا يهدى الله من أضله وقيل معناه لا يهتدى من أضله الله وقرئ
بضم الياء وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادى له ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ أى مانعين
يمنعونهم من العذاب ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ قال ابن الجوزى سبب نزولها أن رجلا
من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلم والذى
أرجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم انك تبعث بعد الموت واقسم بالله أن لا يبعث الله
من يموت فنزلت هذه الآية قاله أبو العالية وتقرير الشبهة التى حصلت للمشركين
فى انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات
وتفرقت أجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشئ اذا عدم فقد فنى ولم يبق له
ذات ولا حقيقة بعد فنائه وعدمه فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم فى انكار البعث
بعد الموت فذلك قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴿ لا يبعث الله من يموت ﴾
فرد الله عليهم ذلك وكذبهم فى قولهم فقال تعالى ﴿ بلى ﴾ يعنى بلى يبعثهم بعد الموت لان لفظة
بلى اثبات لما بعد النفى والجواب عن شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان
وأوجده من العدم ولم يك شيأ فالذى أوجده بقدرته ثم أعدمه قادر على ايجاده
بعد اعدامه لان النشأة الثانية أهون من الاولى ﴿ وعدا عليه حقا ﴾ يعنى ان الذى
وعد به من البعث بعد الموت وعد حق لا خلف فيه ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾
يعنى لا يفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ ﴿ ليبين
لهم الذى يختلفون فيه ﴾ يعنى من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذى لا خلف فيه
﴿ وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ يعنى

ولا يكون أهلا لدينه
(وما لهم) لكفار مكة
(من ناصرين) من مانعين
من عذاب الله (وأقسموا
بالله جهد أيمانهم) حلفوا
بالله جهد أيمانهم واذا حلف
الرجل بالله فقد حلف جهد
يمينه (لا يبعث الله من يموت)
بعد الموت (بلى وعدا عليه)
على الله (حقا) كائنا واجبا
ان يبعث من يموت (ولكن
أكثر الناس) أهل مكة
(لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون
(ليبين لهم) لاهل مكة (الذى يختلفون فيه) يخالفون فى الدين (وليعلم) لكى يعلم (الذين كفروا) بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن يوم القيامة (أنهم كانوا كاذبين) فى الدنيا بان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب

(فى)

نحوهما (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) إلا أن يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) وحده (واجتنبوا الطاغوت)

الشيطان يعني طاعته (فمنهم من هدى الله) لاختيارهم الهدى (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أي لزمته لاختياره إياها (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) حيث أهلكهم الله وأخلى ديارهم عنهم. ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمانهم وأعلمه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة فقال (إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل) بفتح الياء وكسر

عن الشبهتين ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ فأشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ إلا الإبلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه مؤدي إليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه إنما يجب وقوعه لا مطلقا بل بأسباب قدرها له ثم بين أن البعثة أمر جرت به السنة الإلهية في الأمم كلها سببا لهدى من أراد اهتداءه وزيادة لضلال من أراد ضلاله كالغذاء الصالح فإنه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ يأمر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغوت ﴿فمنهم من هدى الله﴾ وفقهم للإيمان بإرشادهم ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ إذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على أن تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وإرادته من حيث إنه قسيم من هدى الله قد صرح به في الآية الأخرى ﴿فسيروا في الأرض﴾ يا معشر قريش ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ﴿إن تحرص﴾ يا محمد ﴿على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل﴾ من يريد ضلاله وهو

إنا لغير ذلك ولهدانا إلى غيره ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ يعني أن من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن الأمم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فإنكار بعثة الرسل كان قديما في الأمم الخالية ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ يعني ليس إليهم هداية أحد إنما عليهم تبليغ ما أرسلوا به إلى من أرسلوا إليه ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا﴾ يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ يعني أن الرسل كانوا يأمرونهم بأن يعبدوا الله وأن يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو اسم كل معبود من دون الله ﴿فمنهم﴾ يعني فمن الأمم الذين جاءتهم الرسل ﴿من هدى الله﴾ يعني هداه الله إلى الإيمان به وتصديق رسله ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ يعني ومن الأمم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق في الأزل حتى مات على الكفر والضلال وفي هذه الآية أبين دليل على أن الهادي والمضل هو الله تعالى لأنه المتصرف في عباده فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لأحد عليه بما حكم به في سابق علمه ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ يعني فسيروا في الأرض معتبرين متفكرين لتعرفوا مآل من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا أن العذاب نازل بكم إن أصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم

﴿قوله سبحانه وتعالى ﴿إن تحرص على هداهم﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني إن تحرص يا محمد على هدى هؤلاء وإيمانهم وتجتهد كل الاجتهاد ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾

من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ولكن حرم الله وأمرنا بذلك (كذلك) كما فعل وكذب قومك على الله بتحريم الحرث والأنعام (فعل) كذب (الذين من قبلهم) على الله (فهل على الرسل) ما على الرسل (إلا البلاغ) عن الله رسالة الله (المبين) بلغة تعلمونها ظاهرة (ولقد بعثنا في كل أمة) إلى كل أمة (رسولا) كما أرسلناك إلى قومك (أن اعبدوا الله) وحدوا الله (واجتنبوا الطاغوت) اتركوا عبادة الأصنام ويقال الشيطان ويقال الكاهن (فمنهم) من أرسلنا (فا و خا ٧٦ ث) إليهم الرسل (من هدى الله) لدينه فأجابت الرسل إلى الإيمان (ومنهم من حقت) وجبت (عليه الضلالة) فلم يجب الرسل إلى الإيمان (فسيروا) سافروا (في الأرض فانظروا) فاعتبروا (كيف كان عاقبة المكذبين) آخر أمر المكذبين بالرسل (إن تحرص على هداهم) على توحيدهم (فإن الله لا يهدي) لدينه (من يضل) خلقه عن دينه

ارواحهم وقرأ حمزة والكسائى بالياء ﴿أو يأتى امر ربك﴾ القيامة أو العذاب المستأصل ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب ﴿فعل الذين من قبلهم﴾ فاصابهم ما اصاب ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتدميرهم ﴿ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾ بكفرهم و معاصيهم المؤدية اليه ﴿فاصابهم سيآت ما عملوا﴾ أى جزاء سيآت اعمالهم على حذف المضاف أو تسمية الجزاء باسمها ﴿وحاق بهم ما كانوا يستهزؤن﴾ واحاط بهم جزاؤه والحيق لايستعمل الا فى الشر ﴿وقال الذين اشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولاحرمنا من دونه من شئ﴾ انما قالوا ذلك استهزاء و منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ماشاء الله يجب ومالم يشأ يمتنع فلا فائدة فيهما أو انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لوكانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذلم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب

لقبض أرواحهم ﴿أو يأتى أمر ربك﴾ يعنى بالعذاب فى الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ يعنى من الكفر والتكذيب ﴿وماظلمهم الله﴾ يعنى بتعذيبه اياهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يعنى باكتسابهم المعاصى والكفر والاعمال القبيحة الخبيثة ﴿فاصابهم سيآت ما عملوا﴾ يعنى فاصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا﴾ يعنى ان مشركى مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل انهم تمسكوا بهذا القول فى انكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الايمان لحصل جئت أولم تجئ ولو شاء الله منا الكفر لحصل جئت أولم تجئ واذا كان كذلك فالكل من الله فلا فائدة فى بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم لما قالوا ان الكل من الله فكانت بعثة الرسل عبثا كان هذا اعتراضا على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة فى احكام الله وفى أفعاله وهو باطل لان الله سبحانه وتعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد فلا اعتراض لاحد عليه فى أحكامه وأفعاله ولا يجوز لاحد أن يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا وكان فى حكم الله وسنته فى عباده ارسال الرسل اليهم ليأمروهم بعبادة الله تعالى وينهوهم عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال اليه فمن هداه فهو المهتدى ومن أضله فهو الضال وهذه سنة الله فى عباده أنه يأمر الكل بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه سبحانه وتعالى يهدى من يشاء الى الايمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا جهلا منهم لانهم اعتقدوا أن كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد واما قوله تعالى ﴿ولا حرمنا من دونه من شئ﴾ يعنى الوصيلة والسائبة والحام والمعنى فلولا ان الله رضيها

(أو يأتى أمر ربك) اى العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك) مثل ذلك الفعل من والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وماظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا مااستحقوا به التدمير (فاصابهم سيآت ماعملوا) جزاء سيآت أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وأحاطه بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا) هذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقادا لكان صوابا (ولا حرمنا من دونه من شئ) يعنى البحيرة والسائبة

(أو يأتى أمر ربك) عذاب ربك باهلاكهم (كذلك) كما فعل بك قومك كذبوك وشتموك (فعل الذين من قبلهم) من قبل قومك بأنبيائهم كذبوهم وشتموهم (وما ظلمهم الله) باهلاكهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالشرك وتكذيب الرسل (فاصابهم سيآت ماعملوا) عقوبة ماعملوا وقالوا من المعاصى (وحاق بهم) دار ونزل بهم ووجب عليهم (ما كانوا به يستهزؤن) عقوبة استهزائهم بالانبياء وقال العذاب الذى كانوا به يستهزؤن (وقال الذين أشركوا) بالله الاوثان يعنى أهل مكة (لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ) من الاصنام (نحن ولا آباؤنا) قبلنا (ولا حرمنا من دونه) من دون الله (من شئ)

﴿لنا﴾

نفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة أوطيبين بقبض ارواحهم لتوجه
نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس ﴿يقولون سلام عليكم﴾ لا يحيقكم بعد مكروه ﴿ ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون ﴾ حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة
الحشر لان الامر بالدخول حينئذ ﴿ هل ينظرون ﴾ ما ينتظر الكفار المار ذكرهم
﴿ الا ان تأتيهم الملائكة ﴾ لقبض

حسن فيدخل فيه انهم أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل
ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة
من الاخلاق المذمومة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه ان أوقاتهم تكون طيبة سهلة
لانهم يبشرون عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك
الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه
الحالة ﴿ يقولون ﴾ يعنى الملائكة لهم ﴿ سلام عليكم ﴾ يعنى تسلم عليهم الملائكة أو تبلغهم
السلام من الله ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ يعنى فى الدنيا من الاعمال الصالحة
فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه
وسلم لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا
الا أن يتغمدنى الله بفضله ورحمته أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قلت
قال الشيخ محيي الدين النووى رحمه الله فى شرح مسلم اعلم ان مذهب أهل السنة انه لا يثبت
بالعقل ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا تثبت
هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا ان الله سبحانه وتعالى
لا يجب عليه شئ بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة فى سلطانه يفعل فيهما ما يشاء
فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذا أكرمهم
ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له
ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين
ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فيثبتون الاحكام
بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح فى خبط طويل لهم تعالى الله عن
اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفى ظاهر هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه
لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة بما كنتم
تعملون وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون ونحوها من الآيات التى تدل على أن
الاعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات
ان دخول الجنة بسبب الاعمال والتوفيق للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله
فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل بالاعمال أى
بسببها وهى من الرحمة والفضل والمنة والله أعلم بمراده ✽ قوله تعالى ﴿ هل ينظرون ﴾
يعنى هؤلاء الذين أشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد ﴿ الا أن تأتيهم الملائكة ﴾ يعنى

(يقولون سلام عليكم) قيل
اذا أشرف العبد المؤمن
على الموت جاءه ملك فقال
السلام عليك ياولى الله
الله يقرأ عليك السلام ويبشره
بالجنة ويقال لهم فى الآخرة
(ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)
بعملكم (هل ينظرون) ما
ينتظر هؤلاء الكفار (الا
أن تأتيهم الملائكة) لقبض
أرواحهم وبالياء على وحمزة

من الشرك (يقولون سلام
عليكم) من الله (ادخلوا الجنة)
بايمانكم واقتسموها (بما كنتم
تعملون) وتقولون من الخيرات
فى الدنيا (هل ينظرون)
ما ينتظرون أهل مكة اذ لا
يؤمنون (الا ان تأتيهم
الملائكة) لقبض ارواحهم

السؤال (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا) أى آمنوا وعملوا الصالحات أوقالوا لااله الاالله (حسنة) بالرفع أى ثو[ab]
وأمن وغنيمة وهو بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه أوهو
مستأنف عدة للقائلين وجعل قولهم من جهة احسانهم (ولدار الآ[خرة]

[خير ... لهم] فى الآخرة ماهو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف أوهو مخصوص بالمدح (يدخلونها) حال (تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها مايشاؤن كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لانه فى مقابلة ظالمى أنفسهم

وصلة (للذين أحسنوا) وحدوا (فى هذه الدنيا حسنة) الجنة يوم القيامة (ولدار الآخرة) يعنى الجنة (خير) من الدنيا ومافيها (ولنعم دار المتقين) الكفر والشرك والفواحش الجنة (جنات عدن) وهى مقصورة الرحمن (يدخلونها) يوم القيامة (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الأنهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (لهم فيها) فى الجنة (مايشاؤن) مايشتهون ويتمنون (كذلك) هكذا (يجزى الله المتقين) الكفر (حسن ...)
والشرك والفواحش (الذين تتوفاهم الملائكة) تقبضهم الملائكة (طيبين) طاهرين

على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ماقالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك ﴿ للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ﴾ مكافأة فى الدنيا ﴿ ولدار الآخرة خير ﴾ أى ولثوابهم فى الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخير على انه منتصب بقالوا ﴿ ولنعم دار المتقين ﴾ دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله ﴿ جنات عدن ﴾ خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح ﴿ يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤن ﴾ من انواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لايجد جميع مايريده الافى الجنة ﴿ كذلك يجزى الله المتقين ﴾ مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى

المنكر الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك انهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس هو من الانزال فى شئ لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا معقولا للانزال فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ﴾ يعنى للذين أتوا بالاعمال الصالحة الحسنة ثوابها حسنة مضاعفة من الواحد الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هى النصر والفتح وقال مجاهد هى الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب احسانهم فى هذه الدنيا حسنة وهى النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده فى الدنيا ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى ﴿ ولدار الآخرة خير ﴾ يعنى مالهم فى الآخرة مما أعد الله لهم فى الجنة خير مما يحصل لهم فى الدنيا ﴿ ولنعم دار المتقين ﴾ يعنى الجنة وقال الحسن هى الدنيا لان أهل التقوى يتزودون منها الى الآخرة والقول الاول أولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسر هذه الدار بقوله ﴿ جنات عدن ﴾ يعنى بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان أى أقام به ﴿ يدخلونها ﴾ يعنى تلك الجنات لايرحلون عنها ولايخرجون منها ﴿ تجرى من تحتها الانهار ﴾ يعنى تجرى الانهار فى هذه الجنان من تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم ﴿ لهم فيها ﴾ يعنى فى الجنات ﴿ مايشاؤن ﴾ يعنى ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لاتحصل لاحد الافى الجنة لان قوله لهم فيها مايشاؤن لايفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لايجد كل مايريد فى الدنيا ﴿ كذلك يجزى الله المتقين ﴾ أى هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ يعنى مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية أقوالهم وأفعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى

لان يكون لطفا ووعظا لمن سمعه ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ وقرأ حمزة بالياء وقرئ ادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ﴿ ظالمى انفسهم ﴾ بان عرضوها للعذاب المخلد ﴿ فألقوا السلم ﴾ فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ﴿ ما كنا نعمل من سوء ﴾ قائلين ما كنا نعمل من سوء كفران وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام ﴿ بلى ﴾ أى فتجيبهم الملائكة بلى ﴿ ان الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا السلم الى آخر الآية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله أو اولو العلم ﴿ فادخلوا أبواب جهنم ﴾ كل صنف بابه المعدله وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها ﴿ خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ﴾ جهنم ﴿ وقيل للذين اتقوا ﴾ يعنى المؤمنين ﴿ ماذا انزل ربكم قالوا خيرا ﴾ أى انزل خيرا وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال

أحوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق وأكرموا بانواع الكرامات وأهين أهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول اظهار الشماتة بهم فيكون أعظم فى الهوان والخزى * قوله تعالى ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ تقبض أرواحهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه ﴿ ظالمى أنفسهم ﴾ يعنى بالكفر ﴿ فألقوا السلم ﴾ يعنى أنهم استسلموا وانقادوا لامر الله الذى نزل بهم وقالوا ﴿ ما كنا نعمل من سوء ﴾ يعنى شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف ﴿ بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ يعنى فلا فائدة لكم فى انكاركم قال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر ﴿ فادخلوا ﴾ أى فيقال لهم ادخلوا ﴿ أبواب جهنم خالدين فيها ﴾ يعنى مقيمين فيها لا يخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكون أعظم فى الغم والحزن وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض ﴿ فلبئس مثوى المتكبرين ﴾ يعنى عن الايمان * قوله عز وجل ﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ﴾ وذلك ان أحياء العرب كانوا يبعثون الى مكة أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون واذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد أنا شر وافد ان رجعت الى قومى من دون ان أدخل مكة فالقاه فيدخل مكة فيرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وأمانته وانه نبى مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا يعنى اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا يعنى أنزل خيرا * فان قلت لم رفع الاول وهو قوله أساطير الاولين ونصب الثانى وهو قوله قالوا خيرا * قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب

(الذين تتوفاهم الملائكة) وبالياء حمزة وكذا ما بعده (ظالمى أنفسهم) بالكفر بالله (فألقوا السلم) أى الصلح والاستسلام أى اخبتوا بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) وجحدوا ما وجد منهم من الكفران والعداوة فرد عليهم أولو العلم وقالوا (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) جهنم (وقيل للذين اتقوا) الشرك (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وانما نصب هذا ورفع أساطير لان التقدير هنا أنزل خيرا فاطبقوا الجواب على السؤال وثمة التقدير هو أساطير الاولين فعدلوا بالجواب عن

الذين تتوفاهم الملائكة) قبضتهم الملائكة يوم بدر (ظالمى أنفسهم) بالكفر (فألقوا السلم) ردوا الجواب ويقال خضعوا لله (ما كنا نعمل من سوء) نعبد من شىء من دون الله وما كنا مشركين بالله (بلى) يقول الله بلى (ان الله عليم بما كنتم تعملون) وتقولون وتعبدون من دون الله (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) مقيمين فيها لا تموتون ولا تخرجون منها (فلبئس مثوى المتكبرين) منزل الكافرين جهنم (وقيل للذين اتقوا) الكفر والشرك والفواحش عبد الله بن مسعود وأصحابه (ماذا أنزل ربكم) ماذا يقول لكم محمد عليه السلام من ربكم (قالوا خيرا) توحيدا

فأتاها امره من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت ﴿ فخر عليهم السقف من فوقهم ﴾ وصار سبب هلاكهم ﴿ واتاهم العذاب من حيث لايشعرون ﴾ لايحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ﴿ ثم يوم القيمة يخزيهم ﴾ يذلهم أو يعذبهم بالنار كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ﴿ ويقول اين شركائى ﴾ اضاف الى نفسه استهزاء أو حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم قرأ البزى بخلاف عنه اين شركاى بغير الهمزة والباقون بالهمز ﴿ الذين كنتم تشاقون فيهم ﴾ تعادون المؤمنين فى شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله عز وجل ﴿ قال الذين اوتوا العلم ﴾ أى الانبياء أو العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم أو الملائكة ﴿ ان الخزى اليوم والسوء ﴾ الذلة والعذاب ﴿ على الكافرين ﴾ وفائدة قولهم اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة وحكايته

من أصوله وذلك بان أتاهم بريح قصفت بنيانهم من أعلاه وأتاهم بزلازل قلعت بنيانهم من قواعده وأساسه هذا اذا حملنا تفسير الآية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ وان حملنا تفسير الآية على القول الثانى وهو حملها على العموم كان المعنى انهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا بها على أنبياء الله وأهل الحق من عباده أهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا بنيانا وثيقا شديدا ودعموه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لمن مكر بآخر فاهلكه الله بمكره ومنه مثل السائر على ألسنة الناس من حفر بئرا لاخيه أوقعه الله فيه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ فخر عليهم السقف من فوقهم ﴾ يعنى سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم للتأكيد لان السقف لايخر الا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم أهلكوا وماتوا تحته ﴿ واتاهم العذاب من حيث لايشعرون ﴾ يعنى فى مأمنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ﴾ يعنى يهينهم بالعذاب وفيه اشعار بان العذاب يحصل لهم فى الدنيا والآخرة لان الخزى هو العذاب مع الهوان ﴿ ويقول ﴾ يعنى ويقول الله لهم يوم القيامة ﴿ أين شركائى ﴾ يعنى فى زعمكم واعتقادكم ﴿ الذين كنتم تشاقون فيهم ﴾ يعنى كنتم تعادون وتخالفون المؤمنين وتخاصمونهم فى شأنهم لان المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين فى شق غير شق صاحبه والمعنى مالهم لايحضرون معكم ليدفعوا عنكم مانزل بكم من العذاب والهوان ﴿ قال الذين أوتوا العلم ﴾ يعنى المؤمنين وقيل الملائكة ﴿ ان الخزى ﴾ يعنى الهوان ﴿ اليوم ﴾ يعنى فى هذا اليوم وهو يوم القيامة ﴿ والسوء ﴾ يعنى العذاب ﴿ على الكافرين ﴾ وانما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يستهزؤن بالمؤمنين فى الدنيا وينكرون عليهم

لايحتسبون ولايتوقعون (ثم يوم القيمة يخزيهم) يذلهم بعذاب الخزى سوى ماعذبوا به فى الدنيا (ويقول أين شركائى) على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم تشاقون نافع أى تشاقوننى فيهم لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله (قال الذين أوتوا العلم) أى الانبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم أوهم الملائكة (ان الخزى اليوم) الفضيحة (والسوء) العذاب (على الكافرين

(فخر عليهم السقف) فوقع عليهم الصرح (من فوقهم وأتاهم العذاب) بالهدم (من حيث لايشعرون) لايعلمون (ثم) هو (يوم القيمة يخزيهم) يعذبهم ويذلهم (ويقول) الله يوم القيامة (أين شركائى) يعنى الآلهة التى زعمتم انهم شركائى (الذين كنتم تشاقون فيهم) تخالفون لقبلهم وتعادون أنبيائى لقبلهم (قال الذين أوتوا العلم) يعنى الملائكة (ان الخزى اليوم) العذاب يوم القيامة (والسوء) النار والشدة (على الكافرين ﴿ احوالهم ﴾

الدلالة على ان جهلهم لايعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل ﴿ ألا ساء مايزرون ﴾ بئس شيأ يزرونه فعلهم ﴿ قد مكر الذين من قبلهم ﴾ سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام ﴿ فأتى الله بنيانهم من القواعد ﴾

الايمان مثل اوزار الاتباع * والسبب فيه ماروى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيأ أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس أو الكبير اذا سن سنة حسنة أو سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه أو عقابه حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساويا لكل مايستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنة أو القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع الثواب أو العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس بعدل ويدل عليه قوله تعالى ولاتزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الاماسعى قال الواحدي ولفظة من في قوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام لاينقص ذلك من آثامهم شيأ ولكنها للجنس أي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع وقوله بغير علم يعني ان الرؤساء انما يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد ﴿ ألا ساء مايزرون ﴾ يعني ألا بئس مايحملون ففيه وعيد وتهديد لهم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ قد مكر الذين من قبلهم ﴾ يعني من قبل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان أكبر ملوك الارض في زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان من مكره أنه بنى صرحا ببابل ليصعد الى السماء ويقاتل أهلها في زعمه قال ابن عباس وكان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته وألقت رأسه في البحر وخر عليهم الباقي فاهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت ألسنة الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره البغوي وفي هذا نظر لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان أهل اليمن عربا منهم جرهم الذي نشأ أسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل من العرب قديمة قبل ابراهيم عليه السلام مثل طسم وجديس وكل هؤلاء عرب تكلموا في قديم الزمان بالعربية ويدل على صحة هذا قوله ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى والله أعلم وقيل حمل قوله قد مكر الذين من قبلهم على العموم أولى فتكون الآية عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق الضر والمكر بالغير *وقوله سبحانه وتعالى ﴿ فأتى الله بنيانهم من القواعد ﴾ يعني قصد تخريب بنيانهم

حال من المفعول أي يضلون من لايعلم أنهم ضلال (ألا ساء مايزرون) محل مارفع (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد) أي من جهة القواعد وهي الاساطين وهذا تمثيل يعني أنهم سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وماتوا وهلكوا والجمهور على أن المراد به نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا فأتى الله أي أمره بالاستئصال

بلا علم ولا حجة (ألا ساء ما يزرون) بئس مايحملون من الذنوب يعني المقتسمين (قد مكر الذين من قبلهم) بانبيائهم كما مكر المقتسمون بمحمد عليه السلام وهو نمرود الجبار الذي بنى الصرح (فأتى الله بنيانهم) قلع بنيانهم الصرح (من القواعد) من الاساس

الاقراربها (لاجرم) حقا (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون) أى سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (انه لايحب المستكبرين) عن التوحيد يعنى المشركين (واذا قيل لهم) لهؤلاء الكفار (ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الاولين) ماذا منصوب بانزل أى أى شئ أنزل ربكم أو

مرفوع على الابتداء أى أى شئ أنزله ربكم وأساطير خبر مبتدا محذوف قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اساطير الاولين أى أحاديث الاولين وأباطيلهم واحدتها أسطورة واذا رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونهم بصدقه وانه نبى فهم الذين قالوا خيرا (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ومن أوزار الذين يضلونهم) أى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان واللام للتعليل (بغير علم)

اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة فى الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين ﴿لاجرم﴾ حقا ﴿ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون﴾ فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجرم لانه مصدر اوفعل ﴿انه لايحب المستكبرين﴾ فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده أواتباع رسوله ﴿واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم﴾ القائل بعضهم على التهكم أوالوافدون عليهم اوالمسلمون ﴿قالوا اساطير الاولين﴾ أى ماتدعون نزوله أوالمنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم أوعلى الفرض أى على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لاتحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة﴾ أى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم فى الضلال ﴿ومن اوزار الذين يضلونهم﴾ وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب ﴿بغير علم﴾ حال من المفعول أى يضلون من لايعلم انهم ضلال وفائدتها

تكبرا ﴿لاجرم﴾ يعنى حقا ﴿ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون انه لايحب المستكبرين﴾ يعنى عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس *قوله بطر الحق هو أن يجعل ماجعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل أصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير عند سماع الحق فلا يقبله ولايجعله حقا وقيل البطر التكبر يعنى أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله *وقوله وغمط الناس يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيأ وكذا معنى غمصته أى انتقصت به وازدريته * قوله عزوجل ﴿واذا قيل لهم﴾ يعنى لهؤلاء الذين لايؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها اذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين﴾ يعنى آحاديثهم وأباطيلهم ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة﴾ اللام فى ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الاولين كانت عاقبتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم يعنى ذنوب أنفسهم وانما قال سبحانه وتعالى كاملة لان البلايا التى أصابتهم فى الدنيا وأعمال البر التى عملوها فى الدنيا لاتكفر عنهم شيأ يوم القيامة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الامام فخر الدين الرازى وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذلو كان هذا المعنى حاصلا فى حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ يعنى ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن

(لاجرم) حقا (ان الله يعلم مايسرون) مايخفون من البغض والحسد والمكر والخيانة (وما يعلنون) مايظهرون من الشتم والطعن والقتال (انه لايحب المستكبرين) عن الايمان (واذا قيل لهم) للمقتسمين (ماذا أنزل ربكم) ماذا يقول لكم محمد صلى الله عليه وسلم من ربكم (قالوا أساطير الاولين) كذب الاولين وأحاديثهم (ليحملوا أوزارهم) آثامهم (كاملة) وافرة ﴿الايمان﴾ (يوم القيمة ومن أوزار) مثل آثام (الذين يضلونهم) يصرفونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والايمان (بغير علم)

(والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار وبالتاء غير عاصم (من دون الله) (لايخلقون شيأ وهم يخلقون أموات)
أى هم أموات (غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) أى عنهم

للشرك باعتبار العلم ﴿ والذين تدعون من دون الله ﴾ أى والآلهة الذين تعبدونهم من دونه * وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء ﴿ لايخلقون شيأ ﴾ لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لايخلق بين انهم لايخلقون شيأ لينتج انهم لايشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافى الالوهية فقال ﴿ وهم يخلقون ﴾ لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغى ان يكون واجب الوجود ﴿ اموات ﴾ هم اموات لاتعتريهم الحياة أو اموات حالا أو مآلا ﴿ غير احياء ﴾ بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون حيا بالذات لايعتريه الممات ﴿ وما يشعرون ايان يبعثون ﴾ ولايعلمون وقت بعثهم أو بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء اعمالهم منهم على عبادتهم والاله ينبغى ان يكون عالما بالغيوب مقدر الثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف ﴿ الهكم اله واحد ﴾ تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج ﴿ فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴾ بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم مالايعرف الا بالبرهان

وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلاتستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام بصفات فقال تعالى ﴿ والذين تدعون من دون الله ﴾ يعنى الاصنام التى تدعونها آلهة من دون الله ﴿ لايخلقون شيأ وهم يخلقون ﴾ * فان قلت قوله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة أفمن يخلق كمن لايخلق يدل على ان هذه الاصنام لاتخلق شيأ فقوله سبحانه وتعالى لايخلقون شيأ وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور فى تلك الآية فما فائدة التكرار * قلت فائدته ان المعنى المذكور فى الآية المتقدمة أنهم لايخلقون شيأ فقط والمذكور فى هذه الآية أنهم لايخلقون شيأ وانهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة فى المعنى وهو فائدة التكرار ﴿ أموات ﴾ أى جمادات ميتة لاحياة فيها ﴿ غير أحياء ﴾ يعنى كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام آلهة كما تزعمون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لان الاله الذى يستحق أن يعبد هو الحى الذى لايموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة فى غير موضعها وقوله ﴿ ومايشعرون ﴾ يعنى هذه الاصنام ﴿ أيان يبعثون ﴾ يعنى متى يبعثون وفيه دليل عن أن الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تتبرأ من عابديها وقيل معناه مايدرى الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون * قوله سبحانه وتعالى ﴿ الهكم اله واحد ﴾ يعنى ان الذى يستحق العبادة هو اله واحد وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة ﴿ فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة ﴾ يعنى جاحدة لهذا المعنى ﴿ وهم مستكبرون ﴾ يعنى عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه

خصائص الالهية بنفى كونهم خالقين وأحياء لايموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أى غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس من ذلك والضمير فى يبعثون للداعين أى لايشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لايعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لابد من البعث (الهكم اله واحد) أى ثبت بما مر أن الالهية لاتكون لغير الله وان معبودكم واحد (فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) للوحدانية (وهم مستكبرون) عنها وعن

(والذين تدعون) تعبدون (من دون الله لايخلقون شيأ) لايقدرون ان يخلقوا شيأ كخلقنا (وهم يخلقون) ينحتون مخلوقة منحوتة (أموات) أصنام أموات (غير أحياء (قا و خا ٧٥ لث) ومايشعرون) يعنى الآلهة (ايان يبعثون) من القبور فيحاسبون ويقال مايعلم الكفار متى يحاسبون ويقال ماتعلم الملائكة متى يحاسبون (الهكم اله واحد) يعلم ذلك لا الآلهة (فالذين لايؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (قلوبهم منكرة) بالتوحيد (وهم مستكبرون) عن الايمان

﴿ أفلا تذكرون ﴾ فتعرفوا فساد ذلك فانه ... يحصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات ﴿ وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴾ لاتضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكره اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده بخلق المعدودة تنبيها على ان وراءما عدد نعما لاتنحصر وان حق عبادته غير مقدور ﴿ ان الله لغفور ﴾ حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها ﴿ رحيم ﴾ لايقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف

هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله ﴿ أفلا تذكرون ﴾ يعنى ان هذا القدر ظاهر غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل بمجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر ﴿ بقى في الآية سؤالان الاول قوله كمن لايخلق المراد به الاصنام وهي جمادات لاتعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من وهي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام آلهة وعبدوها أجريت مجرى من يعقل في زعمهم ألا ترى الى قوله بعد هذا والذين تدعون من دون الله لايخلقون شيئا فخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم ﴿ السؤال الثاني قوله أفمن يخلق كمن لايخلق المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام أفمن يخلق كمن لايخلق والجواب عنه انه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة وأعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ان يترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة جمادات لاتخلق شيئا البتة والله أعلم ﴿ وقوله تعالى ﴿ وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴾ يعنى ان نعم الله على العبد فيما خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشياء وبطش اليدين وسعي الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليه في نفسه وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من أمر الدين والدنيا لاتحصى حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه العظام التي لايمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها يعنى ولو اجتهدتم في ذلك وأتعبتم نفوسكم لاتقدرون عليه ﴿ ان الله لغفور ﴾ يعنى لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم ﴿ رحيم ﴾ يعنى بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ يعنى ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو ما كانوا يمكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعنى وما يظهرون من اذائه فأخبرهم الله عز وجل انه عالم بكل احوالهم سرها وعلانيتها لاتخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب ان يكون عالما بكل معلومات سرها

(أفلا تذكرون) فتعرفون فساد ما أنتم عليه (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) لاتضبطوا اعدادها ولاتبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر وانما اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان ما وراءها لاينحصر ولا يعد (ان الله لغفور رحيم) يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد

(أفلا تذكرون) أفلا تتعظون في خلق هذه الأشياء (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) لاتحفظوها ويقال لاتشكروها (ان الله لغفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب (والله يعلم ما تسرون) من الخير والشر (وما تعلنون) من الخير والشر

وعلانيتها

(لعلكم تهتدون) الى مقاصدكم أوالى توحيد ربكم (وعلامات) هى معالم الطرق وكل مايستدل به السابلة من جبل
ذلك (وبالنجم هم يهتدون) المراد بالنجم الجنس أوهو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى فان قلت وبالنجم هم
ن مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا
هؤلاء خصوصا يهتدون
فمن المراد بهم قلت كانه أراد
قريشا فلهم اهتداء بالنجوم
فى مسائرهم ولهم بذلك
علم لم يكن مثله لغيرهم فكان
الشكر أوجب عليهم
والاعتبار ألزم لهم فخصصوا
(أفمن يخلق) أى الله تعالى
(كمن لايخلق) أى الاصنام
وجئ بمن الذى هو لاولى
العلم لزعمهم حيث سموها
آلهة وعبدوها فاجروها
مجرى أولى العلم أولان المعنى
ان من يخلق ليس كمن لايخلق
من أولى العلم فكيف بمالاعلم
عنده وانما لم يقل أفمن
لايخلق كمن يخلق مع اقتضاء
المقام بظاهره اياه لكونه
الزاما للذين عبدوا الاوثان
وسموها آلهة تشبيها بالله
لانهم حين جعلوا غير الله مثل
الله فى تسميته باسمه والعبادة له
فقد جعلوا الله من جنس
المخلوقات وشبيها بها فانكر
عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق
كمن لايخلق وهو حجة على
المعتزلة فى خلق الافعال

لكم تهتدون ﴾ لمقاصدكم أوالى معرفة الله سبحانه وتعالى ﴿ وعلامات ﴾ معالم
يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ بالليل
فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون
على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا
كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسائرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن
الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا
يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم ﴿ أفمن يخلق كمن لايخلق ﴾ انكار
بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ماعدد من مبدعاته
لان يساويه ويستحق مشاركته مالايقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان
حق الكلام أفمن لايخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله سبحانه
وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها والمراد بمن لايخلق كل ماعبد من دون الله
سبحانه وتعالى مغلبا فيه اولو العلم منهم أو الاصنام واجراها مجرى اولى العلم لانهم
سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم أو للمشاكلة بينه وبين من يخلق أو للمبالغة فكأنه قيل
ان من يخلق ليس كمن لايخلق من اولى العلم فكيف بمن لاعلم عنده

لتسلكوها فى أسفاركم والتردد فى حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان ﴿ لعلكم تهتدون ﴾
يعنى بتلك السبل الى ماتريدون فلا تضلون ﴿ وعلامات ﴾ يعنى وجعل فيها علامات
تهتدون بها فى أسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدأ ﴿ وبالنجم هم
يهتدون ﴾ وقال محمد بن كعب والكلبى أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار
والنجوم علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم فمنها مايكون علامات ومنها
مايهتدى به وقال السدى أراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدى فهذه
يهتدى بها الى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون
زينة السماء ومعالم الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف مالاعلم له به
قوله سبحانه وتعالى ﴿ أفمن يخلق كمن لايخلق ﴾ لما ذكر الله عز وجل من عجائب
قدرته وغرائب صنعته وبديع خلقه ماذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل
وكانت هذه الاشياء المخلوقة المذكورة فى الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله
تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا قال على سبيل الانكار على من ترك
عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التى لاتضر ولاتنفع ولاتقدر على شئ أفمن
يخلق يعنى هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لايخلق
يعنى هذه الاصنام العاجزة التى لاتخلق شيأ البتة لانها جمادات لاتقدر على شئ
فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق

جعل فيها طرقا (لعلكم
تهتدون ...
...
المسافرين (وبالنجم) وبالفرقدين والجدى (هم) يعنى المسافرين (يهتدون) بهما فى البر والبحر (أفمن يخلق) وهو الله
(لايخلق) لايقدر أن يخلق يعنى الاصنام

الى كله ولأظهار قدرته فى خلقه خاتمة عذبا طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى ف
ان من حلف ان لا يأكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العر
وهو لا يفهم منه عند الاطلاق ألا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف
على ان لا يركب دابة بركوبه ﴿ وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ﴾ كاللؤلؤ والمرجا
أى تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جلتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم ﴿ وترى
الفلك ﴾ السفن ﴿ مواخر فيه ﴾ جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر هو شق الماء
وقيل صوت جرى الفلك ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ من سعة رزقه بركوبها للتجارة
﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ أى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها ولعل تخصيصه
بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل
المعاش ﴿ وألقى فى الارض رواسى ﴾ جبالا رواسى ﴿ ان تميد بكم ﴾ كراهة ان تميل
بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع
وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك أو ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت
الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى
تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ماهى بمقر احد على
ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال ﴿ وانهارا ﴾ وجعل فيها انهارا لان ألقى فيه معناه ﴿ وسبلا

على اخراج الضد من الضد * المنفعة الثانية قوله تعالى ﴿ وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ﴾
يعنى اللؤلؤ والمرجان كما قال الله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد
بلبسهم لبس نسائهم لان زينة النساء بالحلى وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة
لهم * المنفعة الثالثة قوله تعالى ﴿ وترى الفلك ﴾ يعنى السفن ﴿ مواخر فيه ﴾
يعنى جوارى فيه قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احداهما تقبل
والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة وأصل المخر فى اللغة الشق يقال مخرت السفينة
مخرا اذا شقت الماء بجؤجؤها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعنى أنها اذا جرت
يسمع لها صوت قال أبو عبيدة يعنى صوائخ والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال
الحسن مواخر يعنى مواقر أى مملوأة متاعا ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ يعنى الارباح
بالتجارة فى البحر ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ يعنى انعام الله عليكم اذا رأيتم نعم الله فيما
سخر لكم ﴿ وألقى فى الارض رواسى ﴾ يعنى جبالا ثقالا ﴿ أن تميد بكم ﴾ يعنى
لئلا تميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشئ العظيم كالارض وقال وهب
لما خلق الله سبحانه وتعالى الارض جعلت تمور وتتحرك فقالت الملائكة ان هذه غير
مقرة أحدا على ظهرها فاصبحوا وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت
الجبال ﴿ وأنهارا ﴾ يعنى وجعل فيها أنهارا لان فى ألقى معنى الجعل فقوله سبحانه
وتعالى وأنهارا معطوف على وألقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم
عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال ﴿ وسبلا ﴾ يعنى وجعل فيها طرقا مختلفة

(وتستخرجوا منه حلية) هى اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) المراد لبس نسائهم ولكنهن انما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم (وترى الفلك مواخر) جوارى تجرى جريا وتشق الماء شقا والمخر شق الماء بحيزومها (فيه) فى البحر (ولتبتغوا من فضله) هو عطف على محذوف أى لتعتبروا ولتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة (ولعلكم تشكرون) الله على ما أنعم عليكم به (وألقى فى الارض رواسى) جبالا ثوابت (أن تميد بكم) كراهية أن تميل بكم وتضطرب أو لئلا تميد بكم لكن حذف المضاف أكثر قيل خلق الله الارض فجعلت تميد فقالت الملائكة ماهى بمقر أحد على ظهرها فاصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت (وأنهارا) وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معنى جعل (وسبلا)

و تستخرجوا منه) من البحر (حلية) زهرة من اللؤلؤ وغيره (تلبسونها وترى الفلك) يعنى السفن (مواخر) مقبلة ومدبرة (فيه) تجرى وتذهب [illegible] (ولتبتغوا) لكى تطلبوا من فضله من [illegible] رزقه (ولعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمته (وألقى فى الارض رواسى) الجبال الثوابت (أن تميد) لكى لا تميد (بكم) الارض (وأنهارا) وأجرى فيها أنهار المنافعكم (وسبلا) (تسلكونها

خلقها ودبرها كيف شاء أو لما خلقن له بايجاده وتقديره أو بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلابد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل أو مصدر ميمى جمع لاختلاف الانواع • وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كأحوال النبات ﴿ وماذرأ لكم فى الارض ﴾ عطف على الليل أى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات ﴿ مختلفا ألوانه ﴾ اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ﴿ ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون ﴾ ان اختلافها فى الطبائع والهيآت والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم ﴿ وهو الذى سخر البحر ﴾ جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص ﴿ لتأكلوا منه لحما طريا ﴾ هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع

مختار وأنها ليس لها تصرف فى نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه و تعالى انه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يعنى أن كل من كان له عقل صحيح سليم علم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيره لما أراده منهم ﴿وماذرأ لكم فى الارض﴾ يعنى وما خلق لكم فى الارض وسخر لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار ﴿مختلفا ألوانه﴾ يعنى فى الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية بقوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ يعنى فيعتبرون بذلك * قوله سبحانه وتعالى ﴿وهو الذى سخر﴾ لكم ﴿البحر﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من آثار قدرته وعجائب صنعته وذكر انعامه فى ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث تمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه أو بالغوص فيه أو الصيد منه فذكر هذه الثلاثة الاقسام من أنواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذى سخر البحر ﴿لتأكلوا منه لحما طريا﴾ فبدأ بذكر الاكل لانه أعظم المقصود لان به قوام البدن وفى ذكر الطرى مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطرى لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطرى الذى لحمه فى غاية العذوبة علم انه انما حدث بقدرة الله وخلقه لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر

جمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وماذرأ لكم فى الارض) معطوف على الليل والنهار أى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك (مختلفا) حال (ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) يتعظون (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيؤكل سريعا طريا خيفة الفساد وانما لا يحنث باكله اذا حلف لا يأكل لحما لان مبنى الايمان على العرف ومن قال لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار

(ان فى ذلك) فى تسخير ما ذكرت (لآيات) لعلامات (لقوم يعقلون) يعلمون ويصدقون ان تسخيرها من الله (وماذرأ) يقول وما خلق (لكم فى الارض مختلفا ألوانه) أجناسه من النبات والثمار وغير ذلك (ان فى ذلك) فى ألوان ما خلقت (لآية) [illegible] يذكرون) يتعظون بما فى القرآن (وهو الذى سخر) ذلل (البحر (لتأكلوا منه لحما) يعنى سمكا (طريا)

الذى ترعاه المواشى وقيل كل ماينبت فى الارض شجر قال

نعلفها اللحم اذاعز الشجر ❊ والخيل فى اطعامها اللحم ضرر

﴿ فيه تسيمون ﴾ ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات ﴿ ينبت لكم به الزرع ﴾ وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم ﴿ والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ﴾ وبعض كلها اذلم ينبت فى الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم مايسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ﴿ ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع فى الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا فعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ﴾ بان هيأها لمنافعكم ﴿ مسخرات بأمره ﴾ حال من الجميع أى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى

تبقى له أرومة فى الشتاء وينبت فى الربيع ومنها مالا يبقى له ساق فى الشتاء كالبقول وقال أبو اسحق كل ماينبت على وجه الارض فهو شجر وأنشد يطعمها اللحم اذا عز الشجر ❊ أرادانهم يسقون الخيل اللبن اذا أجدبت الارض وقال ابن قتيبة فى هذه الآية يعنى الكلأ ومعنى الآية انه ينبت بالماء الذى أنزل من السماء ماترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى كل الشجر ﴿ فيه ﴾ يعنى فى الشجر ﴿ تسيمون ﴾ يعنى ترعون مواشيكم يقال أسمت السائمة اذا خليتها ترعى وسامت هى اذا رعت حيث شاءت ﴿ ينبت لكم ﴾ أى ينبت الله لكم وقرئ ننبت على التعظيم لكم ﴿ به ﴾ أى بذلك الماء ﴿ الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ﴾ لما ذكر الله فى الحيوان تفصيلا واجمالا ذكر فى الثمار تفصيلا واجمالا فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذى يقتات به كالحنطة والشعير وما أشبههما لان به قوام بدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة وثلث بذكر النخيل لان ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانها شبه النخلة فى المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجمالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ❊ ثم قال تعالى ﴿ ان فى ذلك ﴾ يعنى الذى ذكر من أنواع الثمار ﴿ لآية ﴾ يعنى علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ يعنى فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدانيته ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ﴾ تقدم تفسيره فى سورة الاعراف ﴿ مسخرات ﴾ يعنى مذللات مقهورات تحت قهره وارادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هى الفعالة المتصرفة فى العالم السفلى فاخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات فى نفسها مذللات ﴿ بأمره ﴾ يعنى بامر ربها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء

وهو من السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالمرعى علامات فى الارض (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) ولم يقل كل الثمرات لان كلها لاتكون الا فى الجنة وانما أنبت فى الارض بعض من كلها للتذكرة (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) بنصب الكل على وجعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات فقط حفص والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامى على الابتداء والخبر

ينبت الشجر والنبات (فيه تسيمون) ترعون انعامكم (ينبت لكم به) بالمطر (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب) [illegible] ومن كل الثمرات) من ألوان كل الثمرات (ان فى ذلك) فى ألوان ما ذكرت وفى طعمه (لآية) لعلامة وعبرة (لقوم يتفكرون) فيما خلق الله لهم (وسخر لكم) ذلل لكم (الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات) مذللات (بأمره) باذنه

مالا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق أو اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا أو عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال ﴿ ومنها جائر ﴾ حائد عن القصد أو عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طرق الضلالة أو لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر أي عن القصد ﴿ ولو شاء الله لهداكم أجمعين ﴾ أي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء ﴿ هو الذي انزل من السماء ﴾ من السحاب أو من جانب السماء ﴿ ماء لكم منه شراب ﴾ ما تشربونه ولكم صلة انزل أو خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ﴿ ومنه شجر ﴾ ومنه يكون شجر يعني الشجر

في البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو فهمه فلهذا ذكرها على الاجمال وقال بعضهم ويخلق مالا تعلمون يعني مما أعد الله لاهل الجنة في الجنة ولاهل النار في النار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق مالا تعلمون يعني السوس في النبات والدود في الفواكه * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا أداك الى مطلوبك وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين ﴿ ومنها جائر ﴾ يعني ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر ابن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع ﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ فيه دليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم أجمعين معناه ولو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين وذلك يفيد انه تعالى ما شاء هدايتهم فلاجرم ما هداكم * قوله عز وجل ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من أعظم النعم على العباد فقال وهو الذي أنزل من السماء يعني والله الذي خلق جميع الاشياء هو الذي أنزل من السماء ماء يعني المطر ﴿ لكم منه ﴾ يعني من ذلك الماء ﴿ شراب ﴾ يعني تشربونه ﴿ ومنه ﴾ يعني ومن ذلك الماء ﴿ شجر ﴾ الشجر في اللغة ماله ساق من نبات الارض ونقل واحدي عن أهل اللغة انهم قالوا الشجر أصناف ما جل وعظم وهو الذي يبقى على الشتاء وما دق وهو صنفان أحدهما

والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق عليه كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب على الله شئ ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه والى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء اليه بالحجج ومنها جائر أو من السبيل مائل عن الاستقامة (ولو شاء لهداكم أجمعين) أراد هداية اللطف بالتوفيق والانعام بعد الهدى العام (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) لكم متعلق بأنزل أو خبر الشراب وهو ما يشرب (ومنه شجر) يعني الشجر الذي

(وعلى الله قصد السبيل) هداية الطريق في البر والبحر (ومنها) من الطريق (جائر) مائل لا يهتدى به (ولو شاء لهداكم أجمعين) الى الطريق في البر والبحر ويقال وعلى الله قصد السبيل الهدى الى التوحيد ومنها من الاديان جائر مائل ليس بعادل مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية ولو شاء لهداكم أجمعين لدينه (هو الذي أنزل من السماء ماء) مطرا (لكم منه شراب) ما يستقر في الارض في الركايا والغدران (ومنه شجر) به

لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها أو مصدرا فى موقع الحال من احد الضميرين أو متزينين أو متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ﴿ ويخلق مالا تعلمون ﴾ لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا أو غير ضرورى اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق

هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله واستدلوا ايضا بان منفعة الاكل أعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله تعالى علمنا تحريم أكله فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأحمد واسحق ❊ واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق أنها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فأكلناه وفى رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فأكلناه أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية وأذن فى الخيل وفى رواية قال أكلنا زمن خيبر لحوم الخيل وحمر الوحش ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلى هذه رواية البخارى ومسلم وفى رواية أبى داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل ❊ وأجاب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما خص هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع قوله فى الانعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حمل الأثقال على الخيل وقال البغوى ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه فى اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضى ان الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فأخذنا بها جمعا بين النصين والله أعلم ❊ وقوله تعالى ﴿ ويخلق مالا تعلمون ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التى ينتفع بها الانسان فى جميع حالاته وضرورياته على سبيل التفصيل ذكر بعدها مالا ينتفع به الانسان فى الغالب على سبيل الاجمال لان مخلوقات الله عز وجل

هذه للركوب والزانة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعدما ذكره فى الانعام ومنفعة الاكل أقوى والآية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم ان يذكر فى مواضع المنة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما وانتصاب زينة على المفعول له عطفا على محل لتركبوا ويخلق مالا تعلمون من أصناف خلائقه وهو قوله (ويخلق مالا تعلمون) ومن هذا وصفه تعالى عن أن يشرك

(ويخلق مالا تعلمون) يقول خلق من الاشياء مالا تعلمون مما لم يسمه لكم

بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة تزينت
بإراحتها وتسريحها الافنية وفرحت أربابها وأكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس وانما

﴿ وتحمل أثقالكم ﴾ أحمالكم ﴿ الى بلد لم تكونوا بالغيه ﴾ ان لم تكن ولم تخلق فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليه ﴿ الا بشق الانفس ﴾ الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب ﴿ ان ربكم لرؤف رحيم ﴾ حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم ﴿ والخيل والبغال والحمير ﴾ عطف على الانعام ﴿ لتركبوها وزينة ﴾ أي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل

بالعشي الى مراحها حيث تأوي اليه بالليل ويقال سرح القوم ابلهم تسريحا اذا أخرجوها بالغداة الى المرعى قال اهل اللغة وأكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلأ وخرجت العرب للنجعة وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فمن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشي الى الافنية والبيوت يسمع للابل رغاء وللشاء ثغاء يجاوب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح أربابها بها وتتجمل بها الافنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس * فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح * قلت لان الجمال في الاراحة وهو رجوعها الى البيوت أكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل من المرعى ملأى البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار للرعي في البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل في الاراحة أكثر منه في التسريح فوجب تقديمه * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وتحمل أثقالكم ﴾ الأثقال جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر ﴿ الى بلد ﴾ يعني غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وأكثر تجاراتهم وأسفارهم الى الشام واليمن وحمله على العموم أولى لانه خطاب عام فدخول الكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض المخاطبين ﴿ لم تكونوا بالغيه ﴾ يعني بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه ﴿ الا بشق الانفس ﴾ يعني بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشيء والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها ﴿ ان ربكم لرؤف رحيم ﴾ يعني بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع * قوله سبحانه وتعالى ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها ﴾ هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل أن تركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء ﴿ وزينة ﴾ يعني وجعلها زينة مع المنافع التي فيها

فصل

احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال

قدمت الاراحة على التسريح لان الجمال في الاراحة أظهر اذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع (وتحمل أثقالكم) أحمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس) وبفتح الشين أبو جعفر وهما لغتان في معنى المشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما ينال من الجهد والمعنى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه لو لم تخلق الابل الا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا أثقالكم على ظهوركم أو معناه لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل أثقالكم أبدانكم ومنه الثقلان للجن والانس ومنه وأخرجت الارض أثقالها أي بني آدم (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) عطف على الانعام أي وخلق

(وتحمل أثقالكم) أمتعتكم وزادكم (الى بلد) يعني مكة (لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس) (قا و خا ٧٤ لث) الا بتعب النفس (ان ربكم لرؤف) عن آمن (رحيم) بتأخير العذاب عنكم (والخيل والبغال والحمير) يقول خلق الخيل والبغال والحمير (لتركبوها) في سبيل الله (وزينة) لكم فيها منظر حسن

وقال يا محمد أترى ان الله تعالى يحيي هذا بعدما قدرم فنزلت ﴿ والانعام ﴾ الابل والبقر والغنم وانتصابها بفعل يفسره ﴿ خلقها لكم ﴾ أو بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ماخلق لاجله ومابعده تفصيل له ﴿ فيها دفء ﴾ مايدفأ به فيقي البرد ﴿ ومنافع ﴾ نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ﴿ ومنها تأكلون ﴾ أي تأكلون مايؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآي أو لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي أو التفكه ﴿ ولكم فيها جمال ﴾ زينة ﴿ حين تريحون ﴾ تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي ﴿ وحين تسرحون ﴾ تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في أعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه

تعالى مع ظهورها عليهم * قوله عز وجل ﴿ والانعام خلقها ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والارض ثم أتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما ينتفع به في سائر ضروراته ولما كان أعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدأ بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ لكم فيها دفء ﴾ قال ويجوز أيضا ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدأ فقال تعالى فيها دفء قال صاحب النظم أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدئ بقوله لكم فيها دفء والدليل عليه أنه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو مايستدفأ به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم ﴿ ومنافع ﴾ يعني النسل والدر والركوب والحمل عليها وسائر ماينتفع به من الانعام ﴿ ومنها تأكلون ﴾ يعني من لحومها * فان قلت قوله تعالى ومنها تأكلون يفيد الحصر لان تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها * قلت الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر فغير معتد به في الاغلب وأكله يجري مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الاغلب في الاكل من هذه الانعام * فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم أخر منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس * قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولكم فيها ﴾ أي في الانعام ﴿ جمال ﴾ أي زينة ﴿ حين تريحون وحين تسرحون ﴾ الاراحة رد الابل

[illegible] تفرعونه [illegible] خلقها لكم [illegible] الابل [illegible] وانتصابها [illegible] بفعل يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه منازل أو بالعطف على الانسان أي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ماخلقها الا لكم ياجنس الانسان (فيها دفء) وهو اسم مايدفأ به من لباس معمول من صوف او وبر او شعر (ومنافع) وهي نسلها ودرها (ومنها تأكلون) قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها لان الاكل منها هو الاصل الذي يعتمد الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه (ولكم فيها جمال حين تريحون) تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي (وحين تسرحون) ترسلونها بالغداة الى مسارحها من الله تعالى

وهي رميم (والانعام) يعني الابل (خلقها لكم فيها دفء) الادفاء من الاكسية [illegible] (ومنافع [illegible]) (ومنها [illegible]) تأكلون (ولكم فيها جمال) منظر حسن (حين تريحون) من الرعي (وحين تسرحون) الى الرعي

القلوب الميتة بالجهل (من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا) ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا (انه لا اله الا انا فاتقون) اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى اعلموا الناس قولي لا اله الا أنا فاتقون فخافون وبالياء يعقوب ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وهو قوله (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) وبالتاء في الموضعين حمزة وعلى وخلق الانسان وما يكون منه وهو قوله (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) أى فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح خصومه مبين لحجته بعدما كان نطفة لا حس به ولا حركة أو فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهى رميم وهو وصف للانسان بالوقاحة والتمادي في كفران النعمة وخلق ما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وحمل أثقاله وسائر

الذي به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به ❁ وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل ❁ وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل ﴿ من أمره ﴾ بامره ❁ ومن اجله ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ الانبياء ان يتخذه رسولا ﴿ ان انذروا ﴾ بان انذروا أى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته ﴿ انه لا اله الا انا فاتقون ﴾ ان الشأن لا اله الا انا فاتقون أو خوفوا أهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول أو مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح أو النصب بنزع الخافض أو مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع ﴿ خلق السموات والارض بالحق ﴾ اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته ﴿ تعالى عما يشركون ﴾ منها أو مما يفتقر في وجوده أو بقائه اليها ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه سبحانه وتعالى ليس من قبيل الاجرام ﴿ خلق الانسان من نطفة ﴾ جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل ﴿ فاذا هو خصيم ﴾ منطيق مناظر مجادل ﴿ مبين ﴾ للحجة أو خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهى رميم ❁ روى ان ابى بن خلف اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعظم رميم

﴿ من أمره ﴾ وانما سمى الامر روحا لانه به تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعنى ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ يعنى على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ الوحي الى الخلق ﴿ أن أنذروا ﴾ يعنى بأن أعلموا ﴿ أنه لا اله الا أنا فاتقون ﴾ أى فخافون وقيل معناه مروا بقول لا اله الا الله منذرين يعنى مخوفين بالقرآن ﴿ خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ﴾ تقدم تفسيره ﴿ خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين ﴾ يعنى انه جدل بالباطل بين الخصومة نزلت في أبى بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث فجاء بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله يحيي هذا العظم بعدما رم فنزلت فيه هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيي العظام وهى رميم والصحيح ان الآية عامة في كل ما يقع من الخصومة في الدنيا ويوم القيامة وحملها على العموم اولى وفيها بيان القدرة وان الله خلق الانسان من نطفة قذرة فصار جبارا كثير الخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله الكفار من جحدهم نعم الله

من أمره) بالنبوة والكتاب بامره (على من يشاء من عباده) يعنى محمدا وغيره من الانبياء (أن انذروا) خوفوا بالقرآن واقرؤا حتى يقولوا (أنه لا اله الا أنا فاتقون) فاطيعوني ووحدوني (خلق السموات والارض بالحق) للحق ويقال للزوال والفناء (تعالى) تبرأ (عما يشركون) من الاوثان (خلق الانسان) أبى بن خلف الجمحي (من نطفة) منتنة (فاذا هو خصيم) جدل بالباطل (مبين) ظاهر الجدال لقوله من يحيي العظام

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿أتى امر الله فلاتستعجلوه﴾ كانوا يستعجلون ماوعدهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من قيام الساعة أواهلاك الله تعالى اياهم كمافعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح مايقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لاخير لكم فيه ولاخلاص لكم عنه ﴿سبحانه وتعالى عمايشركون﴾ تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على وفق قوله تعالى فلاتستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب أوعلى ان الخطاب للمؤمنين أولهم ولغيرهم لماروى انه لمانزلت اتى امر الله فوثب النبى صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلاتستعجلوه ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ بالوحى أوالقرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل أويقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

* قوله سبحانه وتعالى ﴿أتى أمر الله﴾ يعنى جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب أتاك الامر وهو متوقع المجئ بعدما أتى ومعنى الآية أتى أمر الله وعدا ﴿فلاتستعجلوه﴾ يعنى وقوعا والمراد به مجئ القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ماهو كائن فلما رأوا انه لاينزل شئ قالوا مانرى شيأ فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يامحمد مانرى شيأمما تخوفنا به فنزل أتى أمر الله فوثب النبى صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزل فلاتستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب مجئ الشئ قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما أخرجاه فى الصحيحين من حديث سهل ابن سعد (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة الى الوسطى وفى رواية بعثت فى نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبى صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما مر جبريل باهل السموات مبعوثا الى النبى صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا ﴿سبحانه وتعالى عمايشركون﴾ يعنى تنزه الله وتعاظم بالاوصاف الحميدة عمايصفه به المشركون * قوله سبحانه وتعالى ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ يعنى بالوحى

العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم (أتى أمر الله) أى هو بمنزلة الآتى الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه (فلاتستعجلوه سبحانه وتعالى عمايشركون) تبرأ جل وعز عن أن يكون له شريك وعن اشراكهم فما موصولة أو مصدرية واتصال هذا باستعجالهم من حيث ان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك (ينزل الملائكة) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (بالروح) بالوحى اوبالقرآن لان كلا منهما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد أو يحيي

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وباسناده عن ابن عباس قال لمانزل قوله اقترب للناس حسابهم الى آخر الآية وقوله اقتربت الساعة الى آخر الآية فمكثوا على ذلك ماشاء الله ان يمكثوا ولم يتبين لهم شئ فقالوا يا محمد متى يأتينا ماتعدنا من العذاب فأنزل الله (أتى أمر الله) أتى عذاب الله وكان النبى صلى الله عليه وسلم جالسا فقام لايشك ان العذاب قد اتى فقال الله (فلاتستعجلوه) بالعذاب فجلس النبى صلى الله عليه وسلم (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (وتعالى) ارتفع وتبرأ (عمايشركون) به من الاوثان (ينزل الملائكة) يعنى جبريل ومن معه من الملائكة (بالروح) (من)

من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ أى الموت فانه متيقن لحاقه كل حى مخلوق والمعنى فاعبده مادمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والله اعلم

﴿ سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وهى مائة وثمان وعشرون آية ﴾

بعض العارفين من المحققين ان السبب فى زوال الحزن عن القلب اذا أتى العبد بهذه العبادات انه يتنور باطنه ويشرق قلبه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا يتأسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء اذا نزل بالعبد مكروه ففزع الى الصلاة فكأنه يقول يارب انما يجب على عبادتك سواء أعطيتنى ما أحب أو كفيتنى ما أكره فانا عبدك وبين يديك فافعل بى ماتشاء * قوله تعالى ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ يعنى الموت الموقن به الذى لا يشك فيه أحد والمعنى واعبد ربك فى جميع أوقاتك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت فى عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى فى سورة مريم وأوصانى بالصلوة والزكوة مادمت حيا * روى البغوى بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله الى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى الى ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين * وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذيانه باطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو قال شريت له بمائتى درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ماترون ذكره البغوى بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النحل ﴾

مكية الا قوله تعالى وان عاقبتم به فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة فى قتل حمزة قاله ابن عباس وفى رواية أخرى عنه انها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهى قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله يعملون وقال قتادة هى مكية الا خمس آيات وهى قوله والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله تعالى وان عاقبتم الى آخر السورة زاد مقاتل قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وقوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهى مائة وثمان وعشرون آية وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف

(واعبد ربك) ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أى الموت يعنى مادمت حيا فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة

﴿ سورة النحل مكية وهى مائة وثمان وعشرون آية ﴾

المطيعين (واعبد ربك) استقم على طاعة ربك (حتى يأتيك اليقين) يعنى الموت وهو الموقن

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها النحل وهى كلها مكية غير أربع آيات نزلت بالمدينة قوله وان عاقبتم فعاقبوا الى آخره واصبر وما صبرك الا بالله الى آخر الآية وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الى آخر الآية وقوله والذين هاجروا من بعد ما ظلموا الى آخر الآية فهؤلاء الآيات الاربع مدنيات آياتها مائة وعشرون وثمان آيات وكلماتها ألف وثمانمائة واحدى وأربعون وحروفها ستة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف ﴾

(الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم يوم القيامة (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولو

فيك أو في القرآن أو في الله (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) فا فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم

(الذين يجعلون مع الله الها آخر) يقولون مع الله آلهة شتى (فسوف يعلمون) ماذا نفعل بهم فأهلكهم الله في يوم وليلة كل واحد منهم بعذاب غير عذاب صاحبه وكانوا خمسة منهم العاص بن وائل السهمي لدغه شئ فمات مكانه أبعده الله ومنهم الحرث بن قيس السهمي أكل حوتا مالحا ويقال طريا فأصابه العطش فشرب عليه الماء حتى انشق بطنه فمات مكانه أتعسه الله ومنهم الاسود بن عبد المطلب ضرب جبريل رأسه على شجرة وضرب وجهه بالشوك حتى مات نكسه الله ومنهم الاسود بن عبد يغوث خرج في يوم شديد الحر فأصابه السموم فاسود حتى [illegible] يفتحوا عليه الباب فنطح رأسه [illegible] حتى مات خذله الله ومنهم الوليد بن المغيرة المخزومي أصاب اكحله نبل فمات من ذلك طرده الله وكلهم كانوا يقولون قتلني رب محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد نعلم انك يضيق صدرك) يا محمد (بما يقولون) من التكذيب (بعض) وبانك شاعر وساحر وكذاب وكاهن (فسبح بحمد ربك) فصل بامر ربك (وكن من الساجدين) مع الساجدين ويقال من

السلام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومأ الى اخمص العاصي فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدي بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي ﴿الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون﴾ عاقبة امرهم في الدارين ﴿ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون﴾ من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك ﴿فسبح بحمد ربك﴾ فافزع الى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك أو فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق ﴿وكن من الساجدين﴾

حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته فعمي قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي قال أتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية فجعل ينطح رأسه في الشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شيأ غيرك فمات وهو يقول قتلني رب محمد ومر بهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله على أنه خالي فقال جبريل قد كفيته وأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفي رواية الكلبي أنه خرج من أهله فاصابه سموم فاسود وجهه حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب فمات وهو يقول قتلني رب محمد ومر بهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأومأ جبريل الى رأسه وقال قد كفيته فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس أنه أكل حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يعني بك وبالقرآن ﴿الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون﴾ يعني اذا نزل بهم العذاب ففيه وعيد وتهديد * قوله سبحانه وتعالى ﴿ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون﴾ يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمعونه من الاستهزاء به والقول الفاحش والجبلة البشرية تأبى ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله ﴿فسبح بحمد ربك﴾ قال ابن عباس فصل بامر ربك ﴿وكن من الساجدين﴾ يعني من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعني من المصلين * روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة قال

عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا أو فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتميز وما مصدرية أو موصولة والراجع محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع ﴿ واعرض عن المشركين ﴾ فلا تلتفت الى ما يقولون ﴿ انا كفيناك المستهزئين ﴾ بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه

﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ قال ابن عباس أظهر ويروى عنه أمضه وقال الضحاك أعلم وأصل الصدع الشق والفرق أي افرق بالقرآن بين الحق والباطل أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من أرسل اليهم قال عبدالله بن عبيدة مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه ﴿ وأعرض عن المشركين ﴾ أي اكفف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل أعرض عن الاهتمام باستهزائهم و هو قوله سبحانه وتعالى ﴿ انا كفيناك المستهزئين ﴾ أكثر المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم ما للنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما أمرتك به ولا تخف أحدا غيرى فانى أنا كافيك وحافظك ممن عاداك فانا كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا يستهزؤن بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب بن الحرث بن أسد بن عبد العزى بن زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث ابن قيس بن طلاطلة كذا ذكره البغوى وقال ابن الجوزى الحرث بن قيس بن عيطلة وقال الزهرى عيطلة أمه وقيس أبوه فهو منسوب الى أبيه وأمه قال المفسرون أتى جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزؤن يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبدالله فقال قد كفيته وأومأ الى ساق الوليد فمر الوليد برجل من خزاعة نبال يريش نبلاله وعليه برد يمانى وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد فمنعه الكبر ان يطأطئ رأسه فينزعها وجعلت تضربه في ساقه فخدشته فمرض منها فمات ومر بهما العاص بن وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبدالله فاشار جبريل الى أخمص قدمه و قال قد كفيته فخرج العاص على راحلة يتنزه ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ شبرقة فدخل منها شوكة في أخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيأ وانتفخت رجله

فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا من الصديع وهو الفجر أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع في الزجاجة وهو الابانة بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله

امرتك الخير فافعل ما امرت به

(واعرض عن المشركين) هو امر استهانة بهم (انا كفيناك المستهزئين) الجمهور على انها نزلت في خمسة نفر كانوا يبالغون في ايذاء رسول الله صلى الله وسلم والاستهزاء به فاهلكهم الله وهم الوليد بن المغيرة مر بنبال فتعلق بثوبه سهم فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات والعاص بن وائل دخل في اخمصه شوكة فانتفخت رجله فمات والاسود بن عبد المطلب عمى والاسود بن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والحرث بن قيس امتخط قيحا ومات

(فاصدع بما تؤمر) يقول اظهر أمرك بمكة (واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين) رفعنا عنك مؤنة المستهزئين

(الذين جعلوا القرآن عضين) اجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء حيث قالوا بعنادهم
بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن
فيقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول الآخر سورة آل عمران لى أو اريد بالقرآن مايقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه
فاليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض ويجوز ان يكون
الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اى انذر العضين الذى يجزؤن

القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لاتغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله ولا تمدن عينيك على الوجه الاول اعتراض بينهما لانه لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بكليته على المؤمنين (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) أقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحدا واحدا من هؤلاء المقتسمين عما قالوه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فى القرآن أو فى

وقوله لاتمدن الخ اعتراضا بمدالها ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفى الحديث لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضه السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ خبره ﴿ فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ﴾ من التقسيم أو النسبة الى السحر فيجازيهم

عما قال اولئك المقتسمون قال صدقوا * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ (خ) عن ابن عباس فى قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤه أجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضة من قولهم عضيت الشئ اذا فرقته وجعلته أجزاء وذلك لانهم جعلوا القرآن اجزاء مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو اساطير الاولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضة وهو السحر يعنى أنهم جعلوا القرآن سحرا ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴾ أقسم الله بنفسه أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين ﴿ عما كانوا يعملون ﴾ يعنى عما كانوا يقولونه فى القرآن وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصى وقيل يرجع الضمير فى لنسألنهم الى جميع الخلق المؤمن والكافر لان اللفظ عام فحمله على العموم أولى قال جماعة من أهل العلم عن لا اله الا الله * عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لا اله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال ابو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين * فان قلت كيف الجمع بين قوله لنسألنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولا جان * قلت قال ابن عباس لايسألهم هل عملتم لانه أعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولا جان يعنى سؤال استعلام وقوله لنسألنهم أجمعين سؤال توبيخ وتقريع وجواب آخر وهو مروى عن ابن عباس أيضا أنه قال فى الآيتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيسئلون فى بعض المواقف ولايسئلون فى بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لاينطقون وقال تعالى فى آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون * قوله سبحانه وتعالى

(فاصدع)

(الذين جعلوا القرآن عضين) قالوا فى القرآن أقاويل مختلفة قال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كهانة وقال بعضهم أساطير الاولين وقال بعضهم كذب يختلقه من تلقاء نفسه (فوربك) يامحمد اقسم بنفسه (لنسألنهم) يوم القيامة (أجمعين عما كانوا يعملون) يقولون فى الدنيا ويقال عن تركهم لا اله الا الله

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ وتواضع لهم وارفق بهم ﴿وقل انى انا النذير المبين﴾ انذركم بيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا ﴿كما انزلنا على المقتسمين﴾ مثل العذاب الذى انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فاهلكهم الله تعالى يوم بدر أو الرهط الذين اقتسموا أى تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما أو قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين أو اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن مايقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

منكم ولاتنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر ان لاتزدروا نعمة الله عليكم قال عوف ابن عبدالله بن عتبة كنت أصحب الاغنياء فما كان أحد أكثر هما منى كنت أرى دابة خيرا من دابتى وثوبا خيرا من ثوبى فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت ❁ وقوله سبحانه وتعالى ﴿واخفض جناحك﴾ يعنى لين جانبك ﴿للمؤمنين﴾ وارفق بهم لما نهاه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين ﴿وقل﴾ أى وقل لهم يامحمد ﴿انى أنا النذير المبين﴾ لما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد فى الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ ماأرسل به اليهم والنذارة تبليغ مع تخويف والمعنى انى أنا النذير بالعقاب لمن عصانى المبين البين النذارة ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ يعنى أنذركم عذابا كعذاب أنزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس أراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة سموا بذلك لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وماخالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لى وقال آخر هذه السورة لى وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها وكفر آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لان أقوالهم تقسمت فى القرآن فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الاولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من أهل مكة قيل ستة عشر وقيل اربعين فقال لهم انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم أهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم انه كاهن وليقل بعضكم انه شاعر وليقل بعضكم انه ساحر فاذا جاؤا الى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لاتغتروا بهذا الخارج الذى يدعى النبوة منا فانه مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاؤا وسألوه

(واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وطب نفسا عن ايمان الاغنياء (وقل) لهم (انى أنا النذير المبين) أنذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم (كما أنزلنا) متعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا (على المقتسمين) وهم أهل الكتاب

(واخفض جناحك للمؤمنين) لين جانبك للمؤمنين يقول كن رحيما عليهم (وقل انى أنا النذير المبين) الرسول المخوف بلغة تعرفونها من عذاب الله (كما أنزلنا) يوم بدر (على المقتسمين) أصحاب العقبة وهو أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة المخزومى وحنظلة بن أبى سفيان وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وسائر أصحابهم الذين قتلوا يوم بدر

* ﴿ لاتمدن عينيك ﴾ لاتطمح ببصرك طموح راغب ﴿ الى ماامتعنابه ازواجامنهم ﴾ اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ماأوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لوكانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ﴿ ولاتحزن عليهم ﴾ انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به

الامر كذلك صح ان تفسر هذه الآية بهذه السورة القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي هي دون الطوال وفوق المفصل وهي المئين وحجة هذا القول الحديث المتقدم وأعطاني مكان الزبور المثاني ه القول الرابع ان السبع المثاني هي القرآن كله وهذا قول طاوس حجة هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمي القرآن مثاني لان الاخبار والقصص والامثال ثنيت فيه ه فان قلت كيف يصح عطف القرآن في قوله والقرآن العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل هو الاعطف الشئ على نفسه ه قلت اذا عنى بالسبع المثاني فاتحة الكتاب أو السبع الطوال فماوراءهن ينطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألاترى الى قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عني بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهي القرآن العظيم وانما سمي القرآن عظيما لانه كلام الله ووحيه أنزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم * قوله ﴿ لاتمدن عينيك ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي لاتمدن عينيك يامحمد ﴿ الى ماامتعنابه أزواجا ﴾ يعني أصنافا ﴿ منهم ﴾ يعني من الكفار متمنيا لها نهى الله عزوجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها عليها والمعنى انك قد أوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل شئ فلاتشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روى ان سفيان بن عيينة تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن يعني لم يستغن بالقرآن فتأول هذه الآية قيل انما يكون مادا عينيه الى الشئ اذا أدام النظر اليه مستحسناله فيحصل له من ذلك تمني ذلك الشئ المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاينظر الى شئ من متاع الدنيا ولايلتفت اليه ولايستحسنه ﴿ ولاتحزن عليهم ﴾ يعني ولاتغتم على مافاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولاتحزن على ايمانهم اذا لم يؤمنوا ففيه النهي عن الالتفات الى أموال الكفار والالتفات اليهم أيضا * وروى البغوي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتغبطن فاجرا بنعمته فانك لاتدري ماهو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لايموت قيل لابن أبي مريم ماقاتلا لايموت قال النار (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى أسفل منه لفظ البخاري ه ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو أسفل

(لاتمدن عينيك) أي لاتطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (الى ماامتعنابه أزواجا منهم) أصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعني قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولاتمدن عينيك الى متاع الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبي بكر من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا (ولاتحزن عليهم) أي لاتتمن أموالهم ولاتحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام والمسلمون

(لاتمدن عينيك) لاتنظرن بالرغبة (الى ماامتعنابه) أعطينا من الاموال (أزواجامنهم) رجالا من بني قريظة والنضير وبني قينقاع من قريش لان ماأكرمناك به من النبوة والاسلام والقرآن أعظم مما أعطيناهم من الاموال (ولاتحزن عليهم) على هلاكهم ان لم يؤمنوا

ان اريد بالسبع الآيات والسور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وان اريد به الأسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر

عباس وفي رواية الاكثرين عنه وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفي رواية عنه ومجاهد وعطاء وقتادة في آخرين ❊ ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود الترمذي (ق) عن أبي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته أخرجه البخاري وفيه زيادة ❊ أما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني فلأنها سبع آيات باجماع أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لأنها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء ❊ ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضل الفاتحة وقيل سميت مثاني لان كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين ففي كل هذه ألفاظ مثناة وقال الحسن بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك وقال مجاهد لان الله سبحانه وتعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال أبو زيد البلخي لانها تثنى أهل الشر عن الشر من قول العرب ثنيت عناني وقال ابن الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من أفضل سور القرآن لان افرادها بالذكر في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم مع انها جزء من أجزاء القرآن واحدى سوره لابد وأن يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة ❊ القول الثاني في تفسير قوله سبعا من المثاني انها السبع الطول وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية عنه وسعيد بن جبير وفي رواية عنه السبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة فقيل الانفال مع براءة لانهما كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المئين مكان الانجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل أخرجه البغوي باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر ثنيت فيها وأورد على هذا القول ان هذه السور الطوال غالبها مدنيات فكيف يمكن تفسير هذه الآية بها وهي مكية وأجيب عن هذا الايراد بان الله سبحانه وتعالى حكم في سابق علمه بانزال هذه السور على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان

ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا أريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا أريد به الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين النعتين وهو التثنية أو الثناء والعظم ثم قال لرسوله

بالقرآن العظيم الكريم الشريف كما أنزلنا التوراة والانجيل على المقتسمين اليهود والنصارى

على الاعمال (وان الساعة) أى القيامة لتوقعها كل ساعة (لآتية) وان الله ينتقم لك فيها من أعدا
ويجازيك واياهم على حسناتك وسيآتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك (فاصفح الصفح الجميل) فاعر
عنهم عراضا جميلا بحلم وغضاء قيل هو منسوخ بآية السيف وان أريد به المخالفة فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق) الذ
خلقك وخلقهم (العليم) بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم و
حكم ... (ولقد آتيناك سبعا) أى سبع آيات وهى الفاتحة أو سبع سور وهى الطوال واختلف فى السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما فى حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس أو أسباع القرآن (من المثانى) هى من التثنية وهى التكرير لان الفاتحة مما تكرر فى الصلاة أو من الثناء لاشتمالها على ماهو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية وأما السور الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء كأنها تثنى على الله واذا جعلت السبع مثانى فمن للتبيين واذا جعلت القرآن مثانى فمن للتبعيض (والقرآن العظيم) هذا

من الارض ﴿ وان الساعة لآتية ﴾ فينتقم الله لك فيها ممن كذبك ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ﴿ ان ربك هو الخلاق ﴾ الذى خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم ﴿ العليم ﴾ بحالك وبحالهم فهو حقيق بان تكل ذلك اليه ليحكم بينكم أو هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفى مصحف عثمان وابى رضى الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ﴿ ولقد آتيناك سبعا ﴾ سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهى الاسباع ﴿ من المثانى ﴾ بيان للسبع والمثانى من التثنية أو الاثناء فان كل ذلك مثنى يكرر قراءته والفاظه أو قصصه ومواعظه أو مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز أو مثنى على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثانى القرآن أو كتب الله كلها فتكون من للتبعيض ﴿ والقرآن العظيم ﴾

﴿ وان الساعة لآتية ﴾ يعنى وان القيامة لتأتى ليجازى المحسن باحسانه والمسئ باساءته ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى فاعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا واحتمل ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعفو والصفح الخالى من الجزع والخوف ﴿ ان ربك هو الخلاق العليم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ماهم فاعلوه وما يصلحهم ❊ قوله عز وجل ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ﴾ قال ابن الجوزى سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير فى يوم واحد فيها أنواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها فى سبيل الله فانزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الآية قال الحسن بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف أو لا يصح لان هذه السورة مكية باجماع أهل التفسير وليس فيها من المدنى شئ ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة وكيف يصح أن يقال ان سبع قوافل جاءت فى يوم واحد فيها أموال عظيمة حتى تمناها المسلمون فانزل الله هذه الآية وأخبرهم ان هذه السبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل والله أعلم ❊ وفى المراد بالسبع المثانى أقوال أحدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلى وابن مسعود وفى رواية عنه وابن

(وان الساعة لآتية) لكائنة (فاصفح الصفح الجميل) أعرض عنهم اعراضا جميلا بلا فحش ولا جزع وهى منسوخة بآية القتال (ان ربك هو الخلاق) الباعث لمن آمن به ولمن لم يؤمن (العليم) بثوابهم وعقابهم (ولقد آتيناك سبعا من المثانى) يقول اكرمناك بسبع آيات من القرآن تثنى فى كل { عباس }
ركعة وسجدتين وهى فاتحة الكتاب ويقال أكرمناك بأسباع القرآن لان القرآن كله مثان أمر ونهى ووعد ووعيد وحلال وحرا
وناسخ ومنسوخ وحقيقة ومجاز ومحكم ومتشابه وخبر ما كان وما يكون ومدحة لقوم ومذمة لقوم (والقرآن العظيم) يقول وأكرمنا

ين) لبطريق واضح والامام اسم مايؤتم به فسمى به الطريق ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به (ولقد كذب أصحاب الحجر رسلين) هم ثمود والحجر واديهم وهو مابين المدينه والشام المرسلين يعنى بتكذيبهم يعنى صالحا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان رسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون ابن الزبير وأصحابه (وآتيناهم آياتنا فكانو عنهامعرضين) أى أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) أى ينقبون فى الجبال بيوتا أو يبنون من الحجارة (آمنين) لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم ومن نقب اللصوص والاعداء أو آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه (فاخذتهم الصيحة) العذاب (مصبحين) فى اليوم الرابع وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الاموال النفيسة (وماخلقنا السموات والارض ومابينهما الابالحق) الاخلقا ملتبسا بالحق لاباطلا وعبثا أو بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء

مبين ﴾ لبطريق واضح والامام اسم مايؤتم به فسمى الطريق واللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ﴿ ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين ﴾ يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين والحجر وادبين المدينة والشام يسكنونها ﴿ وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ﴾ يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها أومانصب لهم من الادلة ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ﴾ من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم ان الجبال تحميهم منه ﴿ فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد ﴿ وماخلقنا السموات والارض ومابينهما الابالحق ﴾ الا خلقا ملتبسا بالحق لايلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم

مبين ﴾ يعنى بطريق واضح مستبين لمن مربهما وقيل الضمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمى الطريق اماما لانه يؤم ويتبع ولان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذى يريده * قوله عز وجل ﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ﴾ قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشأم وآثاره موجودة باقية يمر عليها ركب الشام الى الحجاز وأهل الحجاز الى الشام وأراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم أو لانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل ﴿ وآتيناهم آياتنا ﴾ يعنى الناقة وولدها والآيات التى كانت فى الناقة خروجها من الصخرة وعظم جثتها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما أضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات ﴿ فكانوا عنها ﴾ يعنى عن الآيات ﴿ معرضين ﴾ يعنى تاركين لها غير ملتفتين اليها ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ﴾ يعنى خوفا من الخراب أو أن تقع عليهم الجبل أو السقف ﴿ فاخذتهم الصيحة ﴾ يعنى العذاب ﴿ مصبحين ﴾ يعنى وقت الصبح ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ يعنى من الشرك والاعمال الخبيثة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادى * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وماخلقنا السموات والارض ومابينهما الابالحق ﴾ يعنى لاظهار الحق والعذاب وهو أن يثاب المؤمن والمصدق ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب

مبين) لبطريق واضح يمرون عليها (ولقد كذب أصحاب الحجر) قوم صالح (المرسلين) صالحا وجملة المرسلين (وآتيناهم) أعطيناهم (آياتنا) الناقة وغيرها (فكانوا عنها معرضين) مكذبين بها (وكانوا ينحتون من الجبال) فى الجبال (بيوتا آمنين) من ان تقع عليهم ويقال آمنين من العذاب (فأخذتهم الصيحة) بالعذاب (مصبحين) عند الصباح (فاأغنى عنهم) من عذاب الله (ما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون ويعبدون من دون الله (وماخلقنا السموات والارض ومابينهما) من الخلق والعجائب (الابالحق) لبيان الحق والباطل والحجة عليهم

فجعلنا عاليها سافلها) رفعها جبريل عليه السلام الى السماء ثم قلبها والضمير لقرى قوم لوط (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل

ان في ذلك لآيات للمتوسمين) للمتفرسين المتأملين كأنهم يعرفون باطن الشيء بسمة ظاهره

داخلين في وقت شروق الشمس ﴿ فجعلنا عاليها ﴾ عالى المدينة أو عالى قراهم ﴿ سافلها ﴾ فصارت منقلبة بهم ﴿ وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ من طين متحجر أو طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ﴿ ان في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته ﴿ وانها ﴾ وان المدينة أو القرى ﴿ لبسبيل مقيم ﴾ ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ﴿ ان في ذلك لآية للمؤمنين ﴾ بالله ورسله ﴿ وان كان اصحاب الايكة لظالمين ﴾ هم قوم شعيب عليه السلام كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ بالاهلاك ﴿ وانهما ﴾ يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبئا عن الآخر ﴿ لبامام

﴿ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ تقدم تفسيره في سورة هود ﴿ ان في ذلك ﴾ يعني الذي نزل بهم من العذاب ﴿ لآيات للمتوسمين ﴾ قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ﴿ ويعضد هذا التأويل ما روى عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك لآيات للمتوسمين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم من قولك تفرست في فلان الخير وهي على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقعه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر والظن والتثبت والنوع الثاني ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والاخلاق تعرف بذلك أحوال الناس أيضا وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته فالمتوسم الناظر في سمة الدلائل تقول توسمت في فلان كذا أي عرفت وسمه فيه وسمته ﴿ وانها ﴾ يعني قرى قوم لوط ﴿ لبسبيل مقيم ﴾ يعني بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل والمعنى ان آثار ما أنزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يندثر ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجاز الى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره ﴿ ان في ذلك ﴾ يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم ﴿ لآية للمؤمنين ﴾ يعني المصدقين بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وان كان أصحاب الايكة لظالمين ﴾ يعني كان اصحاب الايكة وهي الغيضة واللام في قوله لظالمين للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فأهلكهم الله فهو قوله تعالى ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ يعني بالعذاب وذلك ان الله سبحانه وتعالى سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى أخذ بانفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة كالظلة فالتجؤا اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فأحرقهم جميعا ﴿ وانهما ﴾ يعني مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الايكة ﴿ لبامام

(وانها) وان هذه القرى يعني آثارها (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل (ان في ذلك لآية للمؤمنين) لانهم المنتفعون بذلك (وان كان أصحاب الايكة) وان الامر والشان كان أصحاب الايكة اى الغيضة (لظالمين) لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام (فانتقمنا منهم) فاهلكناهم لما كذبوا شعيبا (وانهما) يعني قرى قوم لوط والايكة (لبامام

(فجعلنا عاليها سافلها) أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها (وامطرنا عليهم) على شذاذهم ومسافريهم (حجارة من سجيل) من سماء الدنيا ويقال من سنج وكل مطبوخ كالآجر (ان في ذلك) فيما فعلنا بهم (لآيات) لعلامات وعبرات (للمتوسمين) للمتفرسين ويقال للمتفكرين ويقال للناظرين ويقال للمعتبرين (وانها) يعني قريات [illegible] الطريق [illegible] (ان في ذلك) [illegible] عبرة [illegible] للمؤمنين [illegible] وقد كان (أصحاب الايكة) يعني أصحاب الغيضة والايكة الشجر وهم قوم شعيب (لظالمين) لمشركين (فانتقمنا منهم) في الدنيا بالعذاب (وانهما) يعني قريات لوط وشعيب (لبامام ﴿ مبين ﴾

ضيفى فقد أساء الى (واتقوا الله ولا تخزون) أى ولا تذلون باذلال ضيفى من الخزى وهو الهوان وبالياء فيهما يعقوب
قالوا أولم ننهك عن العالمين) عن أن تجير منهم أحدا أو تدفع عنهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام
يقوم بالنهى عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين أو عن ضيافة
الغرباء (قال هؤلاء بناتى) فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفار جائزا
ولا تتعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم فقالت الملائكة للوط عليه السلام (لعمرك انهم لفى سكرتهم) أى فى غوايتهم التى أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذى هم عليه وبين الصواب الذى تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات (يعمهون) يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك أو الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط تعظيما له والعمر والعمر واحد وهو البقاء الا انهم خصوا القسم بالمفتوح ايثارا للاخف لكثرة دور الحلف على ألسنتهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمى (فأخذتهم الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس

بفضيحة ضيفى فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه ﴿واتقوا الله﴾ فى ركوب الفاحشة ﴿ولا تخزون﴾ ولا تذلونى بسببهم من الخزى وهو الهوان أو ولا تخجلونى فيهم من الخزاية وهو الحياء ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه أو عن ضيافة الناس وانزالهم ﴿قال هؤلاء بناتى﴾ يعنى نساء القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود ﴿ان كنتم فاعلين﴾ قضاء الوطر أو ما اقول لكم ﴿لعمرك﴾ قسم بحياة المخاطب والمخاطب فى هذا القسم هو النبى عليه الصلاة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على ألسنتهم ﴿انهم لفى سكرتهم﴾ لفى غوايتهم أو شدة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذى يشار به اليهم ﴿يعمهون﴾ يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض ﴿فاخذتهم الصيحة﴾ يعنى هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل عليه السلام ﴿مشرقين﴾

يقال فضحه يفضحه اذا أظهر من أمره ما يلزمه العار بسببه ﴿واتقوا الله﴾ يعنى خافوا الله فى أمرهم ﴿ولا تخزون﴾ يعنى ولا تخجلون ﴿قالوا﴾ يعنى قوم لوط الذين جاؤا اليه ﴿أولم ننهك عن العالمين﴾ يعنى أولم ننهك عن أن تضيف أحدا من العالمين وقيل معناه أولم ننهك ان تدخل الغرباء الى بيتك فانا نريد أن نركب منهم الفاحشة وقيل معناه ألسنا قد نهيناك أن تكلمنا فى أحد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة ﴿قال﴾ يعنى قال لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه ﴿هؤلاء بناتى﴾ أزوجكم اياهن ان أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد بالبنات نساء قومه لان النبى كالوالد لامته ﴿ان كنتم فاعلين﴾ يعنى ما آمركم به ﴿لعمرك﴾ الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد الا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمى فحذف الخبر لان فى الكلام دلالة عليه ﴿انهم لفى سكرتهم﴾ يعنى فى حيرتهم وضلالتهم وقيل فى غفلتهم ﴿يعمهون﴾ يعنى يترددون متحيرين وقال قتادة يلعبون ﴿فاخذتهم الصيحة مشرقين﴾ يعنى حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذى نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه حين أشرقت الشمس

(واتقوا الله) اخشوا الله فى الحرام (ولا تخزون) لا تذلون فى اضيافى (قالوا أولم ننهك) يالوط (عن العالمين) عن ضيافة الغرباء (قال هؤلاء بناتى) ويقال بنات قومى انا أزوجكم (ان كنتم فاعلين) متزوجين (لعمرك) اقسم بعمر محمد صلى الله عليه وسلم ويقال بدينه (انهم) يعنى قوم لوط (لفى سكرتهم) لفى جهلهم (يعمهون) لا يبصرون (فأخذتهم الصيحة) بالعذاب (مشرقين) عند طلوع الشمس

بقطع من الليل) فى آخر الليل أو بعد مايمضى شئ صالح من الليل (واتبع أدبارهم) وسر خلفهم لتكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم (ولايلتفت منكم أحد) لئلا يروا ماينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم أو جعل النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى والتوقف لان من يلتفت لابدله فى ذلك من أدنى وقفة (وامضوا حيث تؤمرون) حيث أمركم الله بالمضى اليه وهو الشام أو مصر (وقضينا اليه ذلك الامر) عدى قضينا بالى لانه ضمن معنى أوحينا كانه قيل وأوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفى ابهامه وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم آخرهم أى يستأصلون عن آخرهم حتى لايبقى منهم أحد (مصبحين) وقت دخولهم فى الصبح وهو حال من هؤلاء (وجاء أهل المدينة) سدوم التى ضرب بقاضيها المثل فى الجور (يستبشرون) بالملائكة طمعا منهم فى ركوب الفاحشة (قال) لوط (ان هؤلاء ضيفى فلاتفضحون) بفضيحة ضيفى لان من أساء

(بقطع من الليل) ببعض من آخر الليل عند السحر (واتبع أدبارهم) امش وراءهم نحو صعر (ولا يلتفت) لايتخلف (منكم أحد وامضوا) سيروا (حيث تؤمرون) نحو صعر (وقضينا اليه ذلك الامر) أمرناه الاتيان الى صعر ويقال اخبرناه (ان دابر) غابر (هؤلاء) قوم لوط (مقطوع) مستأصل (مصبحين) عند الصباح (وجاء أهل المدينة) (يقال) الى دار لوط (يستبشرون) بعملهم الخبيث (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضيفى) أى اضيافى (فلاتفضحون) فيهم

وقرئ فسر من السير ﴿ بقطع من الليل ﴾ فى طائفة من الليل وقيل فى آخره قال

افتحى الباب وانظرى فى النجوم • كم علينا من قطع ليل بهيم

﴿ واتبع ادبارهم ﴾ وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ﴿ ولا يلتفت منكم احد ﴾ لينظر ماوراءه فيرى من الهول مالا يطيقه أو فيصيبه ما اصابهم أو ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ﴿ وامضوا حيث تؤمرون ﴾ الى حيث امركم الله بالمضى اليه وهو الشام أو مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع ﴿ وقضينا اليه ﴾ أى اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى ﴿ ذلك الامر ﴾ مبهم يفسره ﴿ ان دابر هؤلاء مقطوع ﴾ ومحله النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم الامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لايبقى منهم احد ﴿ مصبحين ﴾ داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء ﴿ وجاء اهل المدينة ﴾ سدوم ﴿ يستبشرون ﴾ باضياف لوط طمعا فيهم ﴿ قال ان هؤلاء ضيفى فلاتفضحون ﴾

﴿ بقطع من الليل ﴾ يعنى آخر الليل والقطع القطعة من الشئ وبعضه ﴿ واتبع أدبارهم ﴾ يعنى واتبع آثار أهلك وسر خلفهم ﴿ ولايلتفت منكم أحد ﴾ يعنى حتى لايرى مانزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع فى السير وترك الالتفات الى وراءه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشانك ولاتعرج على شئ وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط ولئلا يتخلف أحد منهم فيناله العذاب ﴿ وامضوا حيث تؤمرون ﴾ قال ابن عباس يعنى الى الشام وقيل الاردن وقيل الى حيث يأمركم جبريل وذلك ان جبريل أمرهم أن يسيروا الى قرية معينة ماعمل اهلها عمل قوم لوط ﴿ وقضينا اليه ذلك الامر ﴾ يعنى وأوحينا الى لوط ذلك الامر الذى حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الامر الذى قضاه بقوله ﴿ ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾ يعنى ان هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما أبهم الامر الذى قضاه عليهم أولا وفسره ثانيا تفخيما له وتعظيما لشانه ﴿ وجاء أهل المدينة ﴾ يعنى مدينة سدوم وهى مدينة قوم لوط ﴿ يستبشرون ﴾ يعنى يبشر بعضهم بعضا باضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم فى المدينة وقيل ان امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا شبانا مردا فى غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعا منهم فى ركوب الفاحشة ﴿ قال ﴾ يعنى قال لوط لقومه ﴿ ان هؤلاء ضيفى ﴾ وحق على الرجل اكرام ضيفه ﴿ فلاتفضحون ﴾ يعنى فيهم

خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم (الا امرأته) مستثنى من الضمير المجرور في لمنجوهم وليس باستثناء من الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه بان يقول أهلكناهم الا آل لوط الا امرأته وهنا قد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا أو بمجرمين والا امرأته متعلق بمنجوهم فكيف يكون استثناء من استثناء لمنجوهم بالتخفيف حمزة وعلى (قدرنا) وبالتخفيف أبو بكر (انها لمن الغابرين) الباقين في العذاب قيل لو لم تكن اللام في خبرها لوجب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وانما أسند الملائكة فعل التقدير الى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) أي لا أعرفكم اى ليس عليكم زي السفر ولا أنتم من أهل الحضر فاخاف ان تطرقوني بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك من أعدائك وهو العذاب الذى كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه أى يشكون ويكذبونك (وأتيناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا الصادقون) في الاخبار بنزوله بهم (فاسر باهلك

بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله ﴿ الا امرأته ﴾ استثناء من آل لوط أو من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا ۰ وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا ﴿ قدرنا انها لمن الغابرين ﴾ الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا ههنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به ﴿ فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون ﴾ تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر ﴿ قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ﴾ أي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذى توعدتهم به فيمترون فيه ﴿ وأتيناك بالحق ﴾ باليقين من عذابهم ﴿ وانا لصادقون ﴾ فيما اخبرناك به ﴿ فأسر باهلك ﴾ فاذهب بهم في الليل ۰ وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى

الا امرأته ﴾ يعني امرأة لوط ﴿ قدرنا ﴾ يعني قضينا وانما أسند الملائكة القدر الى أنفسهم وان كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن أمرنا ونحن فعلنا وان كان قد فعلوه بامر الملك ﴿ انها لمن الغابرين ﴾ يعني لمن الباقين في العذاب والاستثناء من النفي اثبات ومن الاثبات نفي فاستثناء امرأة لوط من الناجين يلحقها بالهالكين ﴿ فلما جاء آل لوط المرسلون ﴾ وذلك ان الملائكة عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به ساروا الى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط ﴿ قال انكم قوم منكرون ﴾ وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم في زي شبان مردان حسان الوجوه فخاف أن يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم منكرون يعني لا أعرفكم ولا أعرف من أي الاقوام أنتم ولا لأي غرض دخلتم علي فعند ذلك ﴿ قالوا ﴾ يعني الملائكة ﴿ بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ﴾ يعني جئناك بالعذاب الذى كانوا يشكون فيه ﴿ وأتيناك بالحق ﴾ يعني باليقين الذى لا شك فيه ﴿ وانا لصادقون ﴾ يعني فيما أخبرناك به من اهلاكهم ﴿ فأسر باهلك

(قاو خا ٧٢ لث)

الا امرأته) واعلة المنافقة (قدرنا) عليها (انها لمن الغابرين) لمن الباقين المتخلفين بالهلاك (فلما جاء آل لوط) الى لوط (المرسلون) جبريل واعوانه (قال انكم قوم منكرون) في بلدنا هذا لم نعرفكم ولم نعرف سلامكم فمن أجل ذلك قال انكم قوم منكرون يعني جبريل واعوانه (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يشكون من العذاب (وأتيناك بالحق) أي جئناك بخبر العذاب (وانا لصادقون) في مقالتنا ان العذاب نازل عليهم (فأسر بأهلك) فأدلج بأهلك

الذى لا لبس فيه (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك (قال) ابراهيم (ومن يقنط) وبكسر النون بصرى وعلى (من رحمة ربه الا الضالون) الا المخطئون طريق الصواب أو الا الكافرون كقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون أى لم أستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له فى العادة التى أجراها (قال فما خطبكم) فما شأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى قوم لوط (الا آل لوط) يريد أهله المؤمنين

بما يكون لا محالة أو باليقين الذى لا لبس فيه أو بطريقة هى حق وهو قول الله تعالى وامره ﴿ فلا تكن من القانطين ﴾ من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم صلوات الله عليه باعتبار العادة دون القدرة ولذلك ﴿ قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ﴾ المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون . وقرأ ابو عمرو والكسائى يقنط بالكسر . وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح ﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون ﴾ أى فما شأنكم الذى ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا ومريم عليهما السلام أو لانهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها ﴿ قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين ﴾ يعنى قوم لوط ﴿ الا آل لوط ﴾ ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى آل لوط ويدل عليه قوله ﴿ انا لمنجوهم اجمعين ﴾ أى مما يعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل

تكثر ذريته وهو اسحق ﴿ فلا تكن من القانطين ﴾ يعنى فلا تكن من الآيسين من الخير والقنوط هو الاياس من الخير ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ﴾ يعنى من ييأس من رحمة ربه الا المكذبون وفيه دليل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة ان به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه وأخبر ان القانط من رحمة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الا عند من يجهل كون الله تعالى قادرا على ما يريد ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الامور سبب للضلالة ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ فما خطبكم ﴾ يعنى فما شأنكم وما الامر الذى جئتم فيه ﴿ أيها المرسلون ﴾ والمعنى ما الامر الذى جئتم به سوى ما بشرتمونى به من الولد ﴿ قالوا ﴾ يعنى الملائكة ﴿ انا أرسلنا الى قوم مجرمين ﴾ يعنى لاهلاك قوم مجرمين ﴿ الا آل لوط ﴾ يعنى أشياعه وأتباعه من أهل دينه ﴿ انا لمنجوهم أجمعين

والاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالاجرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون استثناء من الضمير فى مجرمين كانه قيل الى قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناءين لان آل لوط مخرجون فى المنقطع من حكم الارسال يعنى انهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال السهم الى المرمى فى انه فى معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما فى المتصل فهم داخلون فى حكم الارسال يعنى ان الملائكة أرسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء واذا انقطع الاستثناء جرى (انا لمنجوهم أجمعين) مجرى

(فلا تكن من القانطين) من الآيسين من الولد (قال) ابراهيم (ومن يقنط) ييئس (من رحمة ربه الا الضالون) الكافرون بالله أو بنعمته (الا امرأته (قال) ابراهيم لجبريل واعوانه (فما خطبكم) فما شأنكم وبماذا جئتم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) مشركين اجترموا الهلاك على أنفسهم بعملهم الخبيث يعنون قوم لوط (الا آل لوط) ابنتيه زاعورا وريثا وامرأته الصدوقة (انا لمنجوهم) من الهلاك (أجمعين

(ونبئهم) على نبي عبادي وأخبر أمتك ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) أي أضيافه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يجيء واحدا وجمعا لانه مصدر ضافه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما (قال) أي ابراهيم (انا منكم وجلون) خائفون لامتناعهم

من الاكل أو لدخولهم بغير اذن وبغير

﴿ ونبئهم عن ضيف ابراهيم ﴾ على نبيء عبادي تحقيق لهما ليعتبروا به ﴿ اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ﴾ أي نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما ﴿ قال انا منكم وجلون ﴾ خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت أو لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ماتكره ﴿ قالوا لاتوجل ﴾ وقرئ لاتأجل ولاتوجل من اوجله ولاتواجل من واجله بمعنى اوجله ﴿ انا نبشرك ﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لايخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر ﴿ بغلام ﴾ هو اسحق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق ﴿ عليم ﴾ اذا بلغ ﴿ قال أبشرتموني على ان مسني الكبر ﴾ تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه أو انكار لان يبشر به في مثل هذه الحالة وكذلك قوله ﴿ فبم تبشرون ﴾ أي فبأي اعجوبة تبشروني أي فبأي شيء تبشروني فان البشارة بما لايتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء ﴿ قالوا بشرناك بالحق ﴾

وقت (قالوا لاتوجل) لاتخف (انا نبشرك) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل أي انك مبشر آمن فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون حمزة (بغلام عليم) هو اسحق لقوله في سورة هود فبشرناها باسحق (قال أبشرتموني على أن مسني الكبر) أي أبشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي أي ان الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر (فبم تبشرون) هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل فبأي أعجوبة تبشرون وبكسر النون والتشديد مكي والاصل تبشرونني فادغم نون الجمع في نون العماد ثم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها تبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشرونني فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين والباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون نون الجمع (قالوا بشرناك بالحق) باليقين

الزام المغفرة والرحمة * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ونبئهم عن ضيف ابراهيم ﴾ هذا معطوف على ماقبله أي وأخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم وأصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال اليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى ليبشروا ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط ﴿ اذ دخلوا عليه ﴾ يعني اذ دخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام ﴿ فقالوا سلاما ﴾ أي نسلم سلاما ﴿ قال ﴾ يعني ابراهيم ﴿ انا منكم وجلون ﴾ أي خائفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه ﴿ قالوا لاتوجل ﴾ يعني لاتخف ﴿ انا نبشرك بغلام عليم ﴾ يعني أنهم بشروه بولد ذكر غلام في صغره عليم في كبره وقيل عليم بالاحكام والشرائع والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبر امرأته ﴿ قال أبشرتموني ﴾ يعني بالولد ﴿ على أن مسني الكبر ﴾ يعني على حالة الكبر قاله على طريق التعجب ﴿ فبم تبشرون ﴾ يعني فبأي شيء تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كأنه عجب من حصول الولد على الكبر ﴿ قالوا بشرناك بالحق ﴾ يعني بالصدق الذي قضاه الله بان يخرج منك ولدا ذكرا

(ونبئهم) أخبرهم (عن ضيف ابراهيم) عن أضياف ابراهيم جبريل واثني عشر ملكا معه (اذ دخلوا عليه) على ابراهيم (فقالوا سلاما) سلموا عليه (قال) لهم ابراهيم حين لم يطعموا من طعامه (انا منكم وجلون) خائفون (قالوا لاتوجل) لاتفرق يا ابراهيم انا (انا نبشرك بغلام) بولد (عليم) في صغره حليم في كبره (قال أبشرتموني) بالولد (على أن مسني الكبر) بعد ما أصابني الكبر (فبم تبشرون) فبأي شيء تبشرون الآن (قالوا بشرناك بالحق) بالولد

متقابلين ﴾ ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا أو حالين من ضمير لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر ﴿ لا يمسهم فيها نصب ﴾ استئناف أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين ﴿ وماهم منها بمخرجين ﴾ فان تمام النعمة بالخلود ﴿ نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ﴾ فذلكة ماسبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من تقي الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف

جمع سرير قال بعض أهل المعاني السرير مجلس رفيع عال مهيأ للسرور وهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل صنعاء الى الجابية ﴿ متقابلين ﴾ يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا أراد أن يلقى أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان ﴿ لا يمسهم فيها ﴾ يعني في الجنة ﴿ نصب ﴾ أي تعب ولا اعياء ﴿ وماهم منها ﴾ يعني من الجنة ﴿ بمخرجين ﴾ هذا نص من الله في كتابه على خلود أهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان وفوز بلا حرمان ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم ﴾ قال ابن عباس يعني من تاب منهم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون وبين أيديكم النار فنزل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند ﴿ وأن عذابي هو العذاب الاليم ﴾ قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لبخع نفسه يعني لقتل نفسه (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وادخل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار ٭ وفي الآية لطائف ٭ منها انه سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه بقوله نبئ عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم ألا ترى انه لما أراد أن يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ٭ ومنها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بالفاظ ثلاثة أولها قوله أني وثانيها انا وثالثها ادخال الالف واللام في الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني أنا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ٭ ومنها انه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكأنه أشهد رسوله على نفسه في

متقابلين) كذلك قيل تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضا (لا يمسهم فيها نصب) في الجنة تعب (وماهم منها بمخرجين) فتمام النعمة بالخلود ولما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم) تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه في العبادة ولما أقدم على ذنب وعطف

متقابلين) في الزيارة (لا يمسهم فيها) لا يصيبهم في الجنة (نصب) تعب ولا مشقة (وماهم منها) من الجنة (بمخرجين نبئ عبادي) خبر عبادي (أني أنا الغفور) المتجاوز (الرحيم) لمن مات على التوبة (وأن عذابي هو العذاب الاليم) الوجيع لمن لم يتب ومات على الكفر

(ان المتقين في جنات وعيون) وبضم العين مدني وبصري وحفص المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه وقال في
الشرح ان دخل أهل الكبائر في باب منهم جزء مقسوم

﴿ان المتقين﴾ من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة ﴿في جنات وعيون﴾ لكل واحد جنة وعين أو لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وحفص وابو عمرو وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ﴿ادخلوها﴾ على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين ﴿بسلام﴾ سالمين أو مسلما عليكم ﴿آمنين﴾ من الآفات والزوال ﴿ونزعنا﴾ في الدنيا بما الف بين قلوبهم أو في الجنة بتطييب نفوسهم ﴿ما في صدورهم من غل﴾ من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب ﴿اخوانا﴾ حال من ضمير في جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير في آمنين أو الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله ﴿على سرر

ان مراتب الكفر مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار قال الضحاك في الدركة الاولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ﴿ عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي أو قال على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ان المتقين في جنات وعيون﴾ المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية في الجنات وقيل يحتمل أن تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من أهل الجنة بعيون أو تجري هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل ان كل واحد من أهل الجنة يختص بعيون تجري في جناته وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولدانه ويحتمل انها تجري من جنات بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهروا من الحسد والحقد ﴿ادخلوها﴾ أي يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض ملائكته ﴿بسلام آمنين﴾ يعني ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الآفات ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ الغل الحقد الكامن في القلب ويطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه الخصال المذمومة داخلة في الغل لانها كامنة في القلب يروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد ﴿اخوانا﴾ يعني في المحبة والمودة والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب ﴿على سرر﴾

فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبائر والا فالمراد به الذين اتقوا الشرك (ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أي سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والآفات فيها وهو حال أخرى (ونزعنا ما في صدورهم من غل) وهو الحقد الكامن في القلب أي ان كان لاحدهم غل في الدنيا على آخر نزع الله ذلك في الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التوادد والتحابب (اخوانا) حال (على سرر

حظ معلوم (ان المتقين) الكفر والشرك والفواحش يعني أبا بكر وعمر وأصحابهما (في جنات) في بساتين (وعيون) ماء طاهر (ادخلوها) يقول الله تعالى لهم يوم القيامة ادخلوا الجنة (بسلام) مع سلام وتحية ويقال سلامة ونجاة منا (آمنين) من الموت والزوال (ونزعنا) أخرجنا (ما في صدوهم من غل) غش وعداوة كانت بينهم في الدنيا (اخوانا) في الآخرة (على سرر

وقرئ على من [illegible] شرف ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين﴾ تصديق لابليس [illegible] استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم أو تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثناءين ﴿وان جهنم لموعدهم﴾ لموعد الغاوين أو المتبعين ﴿اجمعين﴾ تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الموعد أن جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فان لا يعمل ﴿لها سبعة ابواب﴾ يدخلون فيها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية أو لان اهلها سبع فرق ﴿لكل باب منهم﴾ من الاتباع ﴿جزء مقسوم﴾ افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ أبوبكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه أو من المستكن فى الظرف لا فى مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها

على ولى يؤدى لى كرامتى ورضوانى ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ أى قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لأزينن لهم فى الارض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين أوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على أحد من عبيده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين قال أهل المعانى ليس لك سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان ان تلقيهم فى ذنب يضيق عنه عفوى وهؤلاء خاصته أى الذين هداهم واجتباهم من عباده ﴿الا من اتبعك من الغاوين﴾ يعنى الا من اتبع ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له فيما يأمرهم به ﴿وان جهنم لموعدهم أجمعين﴾ يعنى موعد ابليس وأشياعه وأتباعه ﴿لها﴾ يعنى لجهنم ﴿سبعة أبواب﴾ يعنى سبع طبقات قال على بن أبى طالب تدرون كيف أبواب جهنم هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى أى سبعة أبواب بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ يعنى لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشئ وجزأته جعلته أجزاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يجزئ اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الشرف والفضل (وان جهنم لموعدهم اجمعين) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب لكل باب منهم) من اتباع ابليس (جزء مقسوم) نصيب معلوم مفرز قيل أبواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين

(ان عبادى) المؤمنين (ليس لك عليهم سلطان) ملك ولا مقدرة (الا من اتبعك) الاعلى [illegible] (من الغاوين) [illegible] (وان جهنم لموعدهم) [illegible] (أجمعين) [illegible] (لها سبعة أبواب) بعضها اسفل من بعض أعلاها جهنم وأسفلها الهاوية (لكل باب منهم) من الكفار (جزء مقسوم)

باغوائك اياى (لأزينن لهم) المعاصى ونحو قوله بما أغويتنى لأزينن لهم فبعزتك لأغوينهم فى أنه اقسام الا أن أحدهما أقسام بصفة الذات والثانى بصفة الفعل وقد فرق الفقهاء بينهما فقال العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة يمين والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين والاصح ان الايمان مبنية على العرف فما تعارف الناس الحلف به يكون يمينا وما لا فلا والآية حجة على المعتزلة فى خلق الافعال وحملهم على التسبيب عدول عن الظاهر (فى الارض) فى الدنيا التى هى دار الغرور واراد انى أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو فى السماء فانا على التزيين لاولاده فى الارض أقدر (ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) وبكسر اللام بصرى ومكى وشامى استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلونه منه (قال هذا صراط على مستقيم

﴿ لأزينن لهم فى الارض ﴾ والمعنى اقسم باغوائك اياى لأزينن لهم المعاصى فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفى انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغى أو التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام أو بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله تعالى له وهو سبب لزيادة غيه وتسليطه له على اغواء بنى آدم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل أو لم يمهل وان فى امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوى الالباب ﴿ ولأغوينهم اجمعين ﴾ ولأحملنهم اجمعين على الغواية ﴿ الا عبادك منهم المخلصين ﴾ الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر فى كل القرآن أى الذين اخلصوا انفسهم لله ﴿ قال هذا صراط على ﴾ حق على ان اراعيه ﴿ مستقيم ﴾ لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه أو الاخلاص على معنى انه طريق على يؤدى الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال

الباء للقسم فى قوله بما وما مصدرية وجواب القسم ﴿ لأزينن ﴾ والمعنى فباغوائك اياى لازينن لهم فى الارض وقيل هى باء السبب يعنى بسبب كونى غاويا لأزينن ﴿ لهم فى الارض ﴾ يعنى لأزينن لهم حب الدنيا ومعاصيك ﴿ ولأغوينهم أجمعين ﴾ يعنى بالقاء الوسوسة فى قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال الخلق بالكفر واغوائهم ثم استثنى فقال ﴿ الا عبادك منهم المخلصين ﴾ يعنى المؤمنين الذين أخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى الا من اخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيده ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشئ خالصا لله عن شائبة الغير فكل من أتى بعمل من أعمال الطاعات فلا يخلو اما أن يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط أو غير الله أو مجموع الامرين أما ما كان لله تعالى فهو الخالص المقبول وأما ما كان لغير الله فهو الباطل المردود وأما من كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين لان المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد والى أى الجانبين رجح أخذ به ﴿ قال ﴾ يعنى قال الله تبارك وتعالى ﴿ هذا صراط على مستقيم ﴾ قال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعرج الى شئ وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائى هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك على أى لا تنفلت منى وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق

كما أضللتنى عن الهدى (لأزينن لهم) لبنى آدم (فى الارض) الشهوات واللذات (ولأغوينهم) لأضلنهم (أجمعين) عن الهدى (الا عبادك منهم المخلصين) المعصومين منى ويقال الموحدين ان قرأت بكسر اللام ثم (قال) الله تعالى (هذا صراط على مستقيم) كريم شريف ويدل على ممر من أطاعك وممر من دخل معك ويقال هذا صراط طريق مستقيم قائم برضاه وهو الاسلام ويقال هذا صراط على رفيع ان قرأت بكسر اللام ورفع الياء

قال فاخرج منها) من السماء أو من الجنة أو من جملة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لان اللعنة هو الطرد من الرحمة والابعاد منها (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) ضرب يوم الدين حد اللعنة

لانه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم و ... مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه (قال رب فانظرني) فاخرني (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر أيام التكليف (قال رب بما أغويتني) الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن لهم والمعنى أقسم

﴿قال فاخرج منها﴾ من السماء أو الجنة أو زمر الملائكة ﴿فانك رجيم﴾ مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم ... أو شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته ﴿وان عليك اللعنة﴾ هذا الطرد والابعاد ﴿الى يوم الدين﴾ فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس أو لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل ﴿قال رب فانظرني﴾ فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم ﴿الى يوم يبعثون﴾ اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة من الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني ﴿قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم﴾ المسمى فيه اجلك عند الله أو انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال ﴿قال رب بما اغويتني﴾ الباء للقسم وما مصدرية وجوابه

فضله الله تعالى ﴿قال فاخرج منها﴾ يعني من الجنة وقيل من السماء ﴿فانك رجيم﴾ أي طريد ﴿وان عليك اللعنة الى يوم الدين﴾ قيل ان أهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه أهل الارض فهو ملعون في السماء والارض فان قلت ان حرف الى لانتهاء الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو يوم القيامة قلت لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التي عليه كانه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد معها بعد ذلك عذابا دائما مستمرا لا انقطاع له ﴿قال رب فانظرني﴾ يعني أخرني ﴿الى يوم يبعثون﴾ يعني يوم القيامة وأراد بهذا السؤال انه لا يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه أحد لزم من ذلك انه لا يموت أبدا فبهذا السبب سأل الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم﴾ يعني الوقت الذي يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس أربعون سنة وهو ما بين النفختين ولم تكن اجابة الله تعالى اياه في الامهال اكراما له بل كان ذلك الامهال زيادة له في بلائه وشقائه وعذابه وانما سمي يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه أحد الا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الانظار الى يوم يبعثون أجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني اليوم الذي عينت وسألت الانظار اليه ﴿قال رب بما أغويتني﴾

(قال) الله (فاخرج منها) من صورة الملائكة ويقال من كرامتي ورحمتي ويقال من الارض (فانك رجيم) ملعون مطرود من رحمتي (وان عليك اللعنة) لعنتي ولعنة الملائكة والخلائق (الى يوم الدين) يوم الحساب (قال) ابليس (رب) يارب (فأنظرني) فأجلني (الى يوم يبعثون) من القبور أراد الملعون أن لا يذوق الموت (الباء) (قال) الله (فانك من المنظرين) من المؤجلين (الى يوم الوقت المعلوم) النفخة الاولى (قال رب) يارب (بما أغويتني)

(فقعوا له ساجدين) هو أمر من وقع يقع أي اسقطوا على الارض يعنى اسجدوا له ودخل الفاء لانه جواب اذا وهو دليل على أنه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله كلهم وذكر الكل احتمل تأويل التفرق فقطعه بقوله أجمعون (الا ابليس) ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى منه وعن الحسن ان الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور لا يصير بالترك ملعونا وقال فى الكشاف كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا (أبى أن يكون مع الساجدين) امتنع أن يكون معهم وأبى استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبى (قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين) حرف الجر مع أن محذوف تقديره مالك فى أن لا تكون مع الساجدين أى أى غرض لك فى ابائك السجود (قال لم أكن لأسجد) اللام لتأكيد النفى أى لا يصح منى أن أسجد (لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون

اجراء الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه كما مر فى سورة النساء ﴿ فقعوا له ﴾ فاسقطوا له ﴿ ساجدين ﴾ امر من وقع يقع ﴿ فسجد الملائكة كلهم اجمعون ﴾ اكد بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالا لا تأكيدا ﴿ الا ابليس ﴾ ان جعل منقطعا اتصل به قوله ﴿ ابى ان يكون مع الساجدين ﴾ أى ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد ﴿ قال يا ابليس مالك ألا تكون ﴾ أى غرض لك فى ان لا تكون ﴿ مع الساجدين ﴾ لآدم ﴿ قال لم اكن لأسجد ﴾ اللام لتأكيد النفى أى لا يصح منى وينافى حالى ان اسجد ﴿ لبشر ﴾ جسمانى كثيف وانا ملك روحانى ﴿ خلقته من صلصال من حمأ مسنون ﴾ وهو اخس العناصر وخلقتنى من نار وهى اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف

الكلام على الروح فى تفسير سورة الاسراء عند قوله ويسئلونك عن الروح ان شاء الله تعالى ﴿ فقعوا له ساجدين ﴾ الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم انى خالق بشرا أمرهم بالسجود لآدم بقوله فقعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا سجود عبادة ﴿ فسجد الملائكة كلهم ﴾ يعنى الذين أمروا بالسجود لآدم ﴿ أجمعون ﴾ قال سيبويه هذا توكيد بعد توكيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ازالة ذلك الاحتمال فظهر بهذا انهم سجدوا باسرهم ثم عند هذا بقى احتمال آخر وهو انهم سجدوا فى أوقات متفرقة أو فى دفعة واحدة فلما قال أجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه أجود لان أجمعين معرفة فلا تكون حالا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله سبحانه وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لآدم فلم يفعلوا فارسل الله عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة أخرى اسجدوا لآدم فسجدوا ﴿ الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ﴾ يعنى مع الملائكة الذين امروا بالسجود لآدم فسجدوا ﴿ قال ﴾ يعنى قال الله ﴿ يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال ﴾ يعنى ابليس ﴿ لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ﴾ أراد ابليس انه أفضل من آدم لان آدم طينى الاصل وابليس نارى الاصل والنار أفضل من الطين فيكون ابليس فى قياسه أفضل من آدم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما

جعلت الروح فيه (فقعوا له) فخروا له (ساجدين) بالتحية (فسجد الملائكة) لآدم صلوات الله عليه (كلهم أجمعون (الا ابليس) رئيسهم (أبى) (قا و خا ٧١ اث) تعظم (ان يكون مع الساجدين) بالسجود لآدم عليه السلام (قال) الله تعالى (يا ابليس) يا آيس من رحمتى (مالك ألا تكون مع الساجدين) بالسجود لآدم (قال لم اكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال) من طين يتصلصل (من حمأ مسنون) من طين منتن يقول لا ينبغى لى ان اسجد للطين

لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره قوله ﴿ خلقناه من قبل ﴾ من قبل خلق الانسان ﴿ من نار السموم ﴾ من نار الحر الشديد النافذ فى المسام ولا يمتنع خلق الحياة فى الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها فى الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التى الغالب فيها الجزء النارى فانها اقبل لها من التى الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التى يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء ﴿ واذ قال ربك ﴾ واذكر وقت قوله ﴿ للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ﴾ عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾ حتى جرى آثاره فى تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ

خلقناه من قبل ﴾ يعنى من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجان أبو الجن كما أن آدم أبو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان أبو الجن وابليس أبو الشياطين وفى الجن مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبنى آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس وقال وهب ان من الجن من يولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم فى الاستتار سموا جنا لتواريهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا ستر والشيطان هو العاتى المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر ﴿ من نار السموم ﴾ يعنى من ريح حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريح الحارة التى تكون بالنار السموم وللريح الحارة التى تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهى نار بين السماء والحجاب فاذا حدث امر خرقت الحجاب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التى تسمعون من خرق ذلك الحجاب وهذا على قول أصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعنى من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التى خلق منها الجان وتلا هذه الآية وقال ابن عباس كان ابليس من حى من الملائكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وخلقت الملائكة من النور * قوله عز وجل ﴿ واذ قال ربك للملائكة ﴾ أى واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة ﴿ انى خالق بشرا ﴾ سمى الآدمى بشرا لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد ﴿ من صلصال من حمأ مسنون ﴾ تقدم تفسيره ﴿ فاذا سويته ﴾ يعنى عدلت صورته وأتممت خلقه ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾ النفخ عبارة عن اجراء الريح فى تجاويف جسم آخر ومنه نفخ الروح فى النشأة الاولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روحى وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسيأتى

(خلقناه من قبل) من قبل آدم (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ فى المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التى خلق الله منها الجان (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته) أتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها (ونفخت فيه من روحى) وجعلت فيه الروح وأحييته وليس ثمت نفخ وانما هو تمثيل والاضافة للتخصيص

(خلقناه من قبل) من قبل آدم عليه السلام (من نار السموم) من نار لا دخان لها (واذ قال) وقد قال (ربك للملائكة) الذين كانوا فى الارض وهم كانوا عشرة آلاف (انى خالق) اخلق (بشرا من صلصال) من طين يتصلصل (من حمأ مسنون) من طين منتن (فاذا سويته) سويت خلقه باليدين والرجلين والعينين وغير ذلك (ونفخت فيه من روحى)

تصلى خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت ﴿ وان ربك هو يحشرهم ﴾ لامحالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولى بحشرهم لاغير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ماسبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله ﴿ انه حكيم ﴾ باهر الحكمة متقن فى افعاله ﴿ عليم ﴾ وسع علمه كل شئ ﴿ ولقد خلقنا الانسان من صلصال ﴾ طين يابس يصلصل أى يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل ﴿ من حمأ ﴾ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال أى كائن من حمأ ﴿ مسنون ﴾ مصور من سنة الوجه أو مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب فى القوالب من السن وهو الصب كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه أو منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته فان مايسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا ﴿ والجان ﴾ ابا الجن وقيل ابليس ويجوزان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان

المستقدم لطلب الفضيلة والمستأخر للعذر ومعنى الآية ان علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم طائعهم وعاصيهم لايخفى عليه شئ من أحوال خلقه ﴿ وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ﴾ يعنى على ماعلم منهم وقيل ان الله سبحانه وتعالى يميت الكل ثم يحشرهم الاولين والآخرين على ماماتوا عليه (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على مامات عليه * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد خلقنا الانسان ﴾ يعنى آدم عليه السلام فى قول جميع المفسرين سمى انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسى ﴿ من صلصال ﴾ يعنى من الطين اليابس الذى اذا نقرته سمعت له صلصلة يعنى صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذى اذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائى وقال هو من صل اللحم اذا أنتن ﴿ من حمأ ﴾ يعنى من الطين الاسود ﴿ مسنون ﴾ أى متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقاويل على ماذكره بعضهم ان الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض فبلها بالماء حتى اسودت وأنتن ريحها وتغيرت واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء وخمره حتى اسود وأنتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من حمأ مسنون ثم ذلك الطين الاسود المتغير صوره صورة انسان أجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعنى صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس اذا تحجر فى الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا * قوله تعالى ﴿ والجان

(وان ربك هو يحشرهم) أى هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم (انه حكيم عليم) باهر الحكمة واسع العلم (ولقد خلقنا الانسان) اى آدم (من صلصال) طين يابس غير مطبوخ (من حمأ) صفة لصلصال أى خلقه من صلصال كائن من حمأ أى طين أسود متغير (مسنون) مصور وفى الاول كان ترابا فعجن بالماء فصار طينا فمكث فصار حمأ فخلص فصار سلالة فصور ويبس فصار صلصالا فلاتناقض (والجان) أبا الجن كآدم للناس أو هو ابليس وهو منصوب بفعل مضمر يفسره

(وان ربك هو يحشرهم) الاولين والآخرين (انه حكيم) حكم عليهم بالحشر (عليم) بحشرهم وبثواهم وعقابهم (ولقد خلقنا الانسان) يعنى آدم (من صلصال) من طين يتصلصل (من حمأ) من طين (مسنون) منتن ويقال مصور (والجان) أبا الجن

القابلة لها ﴿ونميت﴾ بازالتها وقد اول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ﴿ونحن الوارثون﴾ الباقون اذا مات الخلائق كلها ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة وتأخر لا يخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فانه ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت

ونميت﴾ يعني بيدنا احياء الخلق واماتتهم لا يقدر على ذلك أحد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله تعالى وانا لنحن يفيد الحصر يعني لا يقدر على ذلك سوانا ﴿ونحن الوارثون﴾ وذلك بان نميت جميع الخلق فلا يبقى أحد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء خلقه الذين أمتعهم بما آتاهم في الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداؤه منه تعالى فاذا فني جميع الخلائق رجع الذي كانوا يملكونه في الدنيا على المجاز الى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق اليه

* قوله عز وجل ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في الصف الاول لئلا يراها ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فانزل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أخرجه الترمذي وقال فيه وقد روى عن ابن الجوزي نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوي وذلك أن النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء من في قلبها ريبة فتتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين من خلق الله وبالمستأخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون يعني في الطاعة والخير والمستأخرون يعني فيهما وقال الاوزاعي اراد بالمستقدمين المصلين في أول الوقت وبالمستأخرين المؤخرين لها الى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة أراد من يسلم أولا ومن يسلم آخرا وقال ابن عباس في رواية أخرى عند ان النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدحموا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية ومعناها انما تجزون على النيات فاطمأنوا وسكنوا فيكون معنى الآية على القول الاول المستقدم بتقوى والمستأخر بنظر وعلى القول الاخير

ونميت) أي نحيي بالايجاد ونميت بالافناء أو نميت عند انقضاء الآجال ونحيي للجزاء الاخرى على التقديم والتأخير اذ الواو للجمع المطلق (ونحن الوارثون) الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام أو في الطاعة أو في صف الجماعة أو صف الحرب ومن تأخر

(ونميت) في الدنيا (ونحن الوارثون) المالكون على ما في السموات والارض بعد موت أهلها وقبل موت أهلها (ولقد علمنا المستقدمين منكم) يعني الاموات من الآباء والامهات ويقال المستقدمين منكم في الصف الاول (ولقد علمنا المستأخرين) يعني الاحياء من البنين والبنات ويقال المستأخرين في الصف الآخر

بالحامل كما شبه مالا يكون كذلك بالعقيم أو ملقحات للشجر او السحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله

ومختبط مما تطيح الطوائح

وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس ﴿فانزلنا من السماء ماء﴾ بقدر ﴿فاسقيناكموه﴾ فجعلناه لكم سقيا ﴿وما انتم له بخازنين﴾ قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه أو حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حده لابد له من سبب مخصص ﴿وانا لنحن نحيي﴾ بايجاد الحياة في بعض الاجسام

فتدر كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الريح المبشرة فتقم الارض قما ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه الى بعض فتجعله ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاظهر في هذه الآية القاحها السحاب لقوله بعده فأنزلنا من السماء ماء قال أبو بكر بن عياش لاتقطر قطرة من السماء الابعد أن تعمل الرياح الاربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال أبو عبيد لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز أن يقال لها لواقح وان ألقحت غيرها لان معناها النسبة كما يقال درهم وازن أى ذووزن واعترض الواحدى على هذا فقال هذا ليس بمغن لانه كان يجب أن يصح اللاقح بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين وأجاب الرازى عنه بأن قال هذا ليس بشئ لان اللاقح هو المنسوب الى اللقحة ومن أفاد غيره اللقحة فله نسبة الى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح أى ذات لقاح وقيل ان الريح في نفسها لاقح لانها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى اذا أقلت سحابا ثقالا أى حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز أن يقال للريح لقحت اذا أتت بالخير كما قيل لها عقيم اذا لم تأت بخير وورد في بعض الاخبار أن الملقح رياح الجنوب وفي بعض الآثار ماهبت رياح الجنوب الا وأنبعت عينا غدقة (ق) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم انى أسالك خيرها وخيرما فيها وخيرما أرسلت به وأعوذبك من شرها وشرما فيها وشرما أرسلت به وروى البغوى بسنده الى الشافعى الى ابن عباس قال ماهبت ريح قط الا جثا النبى صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فأرسلنا عليهم الريح العقيم وقال وأرسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات ﴿وقوله سبحانه وتعالى ﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ يعنى المطر ﴿فأسقيناكموه﴾ يعنى جعلنا لكم المطر سقيا يقال أسقى فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا أعطاه مايشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولبنا اذا كان لسقيه فاذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته يقال أسقيناه ﴿وما أنتم له﴾ يعنى للمطر ﴿بخازنين﴾ يعنى أن المطر في خزائننا لا في خزائنكم وقيل وما أنتم له بمانعين ﴿وانا لنحن نحيي

(فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وما أنتم له بخازنين) نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة عظيمة على قدرته وعجزهم (وانا لنحن نحيي

(فانزلنا من السماء ماء) مطرا (فاسقيناكموه) في الارض (وما أنتم له) للمطر (بخازنين) بفاتحين (وانا لنحن نحيي) للبعث

ه وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ عطف على معايش وعلى محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال ﴿ وان من شئ الا عندنا خزائنه ﴾ اي وما من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره أو شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد ﴿ وما ننزله ﴾ من بقاع القدرة ﴿ الا بقدر معلوم ﴾ حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم ﴿ وارسلنا الرياح لواقح ﴾ حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر ونحو ذلك ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ يعني الدواب والوحش والطير أنتم تنتفعون بها لستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وتكون من في قوله تعالى ومن لستم بمعنى ما لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل كقوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه وقيل أراد بهم العبيد والخدم فتكون من على أصلها ويدخل معهم ما لا يعقل من الدواب والوحش ﴿ وان من شئ الا عندنا خزائنه ﴾ الخزائن جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشئ للحفظ يقال خزن الشئ اذا أحرزه فقيل أراد مفاتيح الخزائن وقيل أراد بالخزائن المطر لانه سبب الارزاق والمعايش لبني آدم والدواب والوحش والطير ومعنى عندنا انه في حكمه وتصرفه وأمره وتدبيره ﴿ قوله تعالى ﴾ ﴿ وما ننزله الا بقدر معلوم ﴾ يعني بقدر الكفاية قيل ان لكل أرض [illegible] مقدارا من المطر يقال لا تنزل [illegible] الى حيث يشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يمطر قوما ويحرم آخرين [illegible] المطر والرحمة واذا أراد بقوم شرا صرف المطر عنهم الى حيث لا ينتفع به كالبراري والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكى جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ قال ابن عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقتادة وأصل هذا من قولهم لقحت الناقة وألقحها الفحل اذا ألقى اليها الماء فحملته فكذلك الرياح كالفحل للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية يرسل الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل الماء فتمجه في السحاب ثم تمريه

(ومن لستم له برازقين) من في محل النصب بالعطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو جعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يظنون أنهم يرزقونهم [illegible] من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شئ ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور (وأرسلنا الرياح لواقح) جمع لاقحة [illegible] الى [illegible] حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقحة بها من لقحت الناقة حملت وضدها العقيم [illegible] ون [illegible] قين يعني الطير والوحش وتقال [illegible] شئ) وما من شئ من النبات والثمار والامطار (الا عندنا خزائنه) مفاتيحه يقول بيدنا مفاتيحه لا بايديكم (وما ننزله) يعني المطر (الا بقدر معلوم) بكيل ووزن معلوم بيد الخزان (وأرسلنا الرياح لواقح) تلقح الشجر والسحاب ﴿ فقد ر ﴾

﴿ والارض مددناها ﴾ بسطناها ﴿ وألقينا فيها رواسى ﴾ جبالا ثوابت ﴿ وانبتنا فيها ﴾ فى الارض أو فيها وفى الجبال ﴿ من كل شئ موزون ﴾ مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته ومستحسن متناسب من قولهم كلام موزون أومايوزن ويقدر اوله وزن فى ابواب النعمة والمنفعة ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ تعيشون بها من المطاعم والملابس

وجدنا الشعر القديم قال بشر بن أبى حازم وهو جاهلى

فالعير يرهقها الغبار وجحشها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر وهو جاهلى

فانقض كالدرى يتبعه * نقع يثور تخاله طنبا

والجمع بين هذين القولين ان الرمى بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزيد فى حفظ السماء وحراستها صونا لاخبار الغيوب والله أعلم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ والارض مددناها ﴾ يعنى بسطناها على وجه الماء كما يقال انها دحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول أهل التفسير وزعم أرباب الهيئة أنها كرة عظيمة بعضها فى الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتذروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر أن الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة ورد هذا أصحاب التفسير بان الله أخبر فى كتابه بانها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لاخبر بذلك والله أعلم بمراده وكيف مد الارض ﴿ وألقينا فيها رواسى ﴾ يعنى جبالا ثوابت وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء مادت ورجفت فاثبتها بالجبال ﴿ وأنبتنا فيها ﴾ أى فى الارض لان أنواع النبات المنتفع به تكون فى الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها أقرب مذكور ولقوله تعالى ﴿ من كل شئ موزون ﴾ وانما يوزن ماتولد فى الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد ابن جبير موزون أى معلوم وقال مجاهد وعكرمة أى مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذى يحتاج اليه الناس فى معايشهم وأرزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لايعرفون مقادير الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عنى به الشئ الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب فى الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان متناسبا حسنا بعيدا من الخطأ والسخف وقيل ان جميع ماينبت فى الارض والجبال نوعان أحدهما مايستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون والثانى النبات وبعضه موزون أيضا وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد مقدران بالوزن ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ جمع معيشة وهو مايعيش به الانسان مدة حياته فى الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس

من تحت الكعبة والجمهور على انه تعالى مدها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسى) فى الارض جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل شئ موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لاتصلح فيه زيادة ولانقصان أوله وزن وقدر فى أبواب المنفعة والنعمة أومايوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وخص مايوزن لانتهاء الكيل الى الوزن (وجعلنا لكم فيها) فى الارض (معايش) مايعاش به من المطاعم جمع معيشة وهى بياء صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ

(والارض مددناها) بسطناها على الماء (وألقينا فيها) على الارض (رواسى) جبالا ثوابت أوتادا لها (وانبتنا فيها) فى الجبال ويقال فى الارض (من كل شئ) من النبات والثمار (موزون) مقدور مقسوم معلوم ويقال من كل شئ موزون يوزن مثل الذهب والفضة والحديد والصفر والرصاص وغير ذلك (وجعلنا) خلقنا (لكم فيها معايش) فى الارض من النبات والثمار وما تأكلون وتشربون وتلبسون

للمبصرين كالزينة والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البر

وسلم أم لا على قولين . أحدهما انها لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى ا
عليه وسلم وانما ظهر ذلك فى بدء أمره فكان ذلك أساسا لنبوته صلى الله عليه و
* ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله ع
فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر الس
وأرسلت عليهم الشهب أخرجاه فى الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على ان ه
الرمى بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمى ويعض
ماروى أن يعقوب بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال أول من فزع للرمى بالنج
هذا الحى من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بنى علا
وكان أهدى العرب فقالوا له ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بالنجوم فقال ب
ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التى يهتدى بها فى البر والبحر ويعرف بها الانو
من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هى التى يرمى بها فهو والله ط
الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهى ثابتة على حالها فه
لامر أراده الله من الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعد مولد النبى صلى ا
عليه وسلم أن شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يوجد فى شعره
ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله تعالى عليه وسلم استعمل
الشعراء ذكرها قال ذو الرمة

كأنه كوكب فى اثر عفرية * مسوم فى سواد الليل منقضب

•والقول الثانى ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ولكن لم
بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهرى أكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قا
نعم قلت أفرأيت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد أمر
حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم * ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابن عبا
قال أخبرنى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من الانصار أنهم بيناهم جلو
ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى ا
عليه وسلم ما كنتم تقولون فى الجاهلية اذا رمى بمثل هذا قالوا كنا نقول ولد اللي
رجل عظيم أومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى
لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أه
السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى أهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حملة العرش لح
العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض أهل السماء بعضا حتى يب
الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفونه الى أوليائهم ويرمون فما جاؤا
على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون أخرجه مسلم وقال ابن قتي
ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن فى شدة الحراسة مثل بعد مبعثه قال وعلى ه

﴿ وجدنا ﴾

لاشكال والهيآت البهية ﴿ للناظرين ﴾ المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها
توحيد صانعها ﴿ وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾ فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس
هلها ويتصرف فى امرها ويطلع على احوالها ﴿ الا من استرق السمع ﴾ بدل من كل
شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما
بينهم من المناسبة فى الجوهر أو بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه
الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم منعوا من كلها
بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء
منقطع أى ولكن من استرق السمع ﴿ فاتبعه ﴾ فتبعه ولحقه ﴿ شهاب مبين ﴾ ظاهر

يعنى السماء بالشمس والقمر والنجوم ﴿ للناظرين ﴾ يعنى المعتبرين المستدلين بها على
توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذى أوجد كل شئ وخلقه وصوره ﴿ وحفظناها ﴾
يعنى السماء ﴿ من كل شيطان رجيم ﴾ أى مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون
مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا
يدخلونها ويأتون باخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا
من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فما منهم
من أحد يريد أن يسترق السمع الا رمى بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك
لابليس فقال لقد حدث فى الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث ﴿ الا من استرق السمع ﴾ هذا استثناء
منقطع معناه لكن من استرق السمع ﴿ فأتبعه ﴾ أى لحقه ﴿ شهاب مبين ﴾ والشهاب
شعلة من نار ساطع سمى الكوكب شهابا لاجل ما فيه من البريق شبه بشهاب النار قال
ابن عباس فى قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب
بعضهم بعضا الى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ أبدا
فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من تخبله
فيصير غولا يضل الناس فى البوادى (خ) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم
قال اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة
على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذى قال الحق وهو العلى
الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف
سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها
الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل
أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قد قال
لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء

فصل

اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه

(للناظرين وحفظناها) أى السماء (من كل شيطان رجيم) ملعون أو مرمى بالنجوم (الا من استرق السمع) أى المسموع ومن فى محل النصب على الاستثناء (فأتبعه شهاب) نجم ينقض فيعود (مبين) ظاهر للمبصرين قيل كانوا لا يحجبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى عليه [illegible]

بالكواكب (للناظرين) اليها وهى النجوم التى زينت [illegible] شيطان رجيم) ملعون مطرود بالنجوم التى يزجرون بها عن استماع الملائكة يعنى الشياطين (الا من استرق السمع) الا [illegible] (فأتبعه شهاب [illegible]

ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون أو تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم ﴿لقالوا﴾ من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق ﴿انما سكرت ابصارنا﴾ سدت عن الابصا بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أو حيرت من السكر ويدل عليه قراء من قرأ سكرت ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهو غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان مايرونه لاحقيقة بل هو باطل خيل ماخيل اليهم بنوع من السحر ﴿ولقد جعلنا فى السماء بروجا﴾ اثنى عش مختلفة الهيئآت والخواص على مادل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء ﴿وزيناها﴾

فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعنى فى ذلك الباب يعرجو يعنى يصعدون والمعارج المصاعد وفى المشار اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولا أحدهما أنهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصا هؤلاء الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول الثا انهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون فى ذل الباب فينظرون فى ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا لعنادهم وكفره ولقالوا انا سحرنا وهو قوله تعالى ﴿لقالوا انما سكرت أبصارنا﴾ قال ابن عبا سدت أبصارنا مأخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجرى وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان أبصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يق للرجل السكران من تغير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعنى غشيت أبصا وسكنت عن النظر وأصله من السكور يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت ع النظر ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ يعنى سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاص الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم الملائ فيروهم عينا ويشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدو عيانا لما آمنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم فى الازل من الشقاوة قوله ﴿سبحانه وتعا ﴿ولقد جعلنا فى السماء بروجا﴾ البروج التى تنزلها الشمس فى مسيرها واحده برج وهى بروج الفلك الاثنا عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطا والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهذ البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلاث منزل وقد تقد ذكر منازل القمر فى تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلاثمائة وست درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس فى كل سنة مرة وبها تتم دو الفلك ويقطعها القمر فى ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس فى هذه الآية بر بروج الشمس والقمر يعنى منازلهما وقال ابن عطية هى قصور فى السماء عليها الحر وقال الحسن ومجاهد وقتادة هى النجوم العظام قال أبو اسحق يريدون نجوم هذ البروج وهى نجوم على ماصورت به وسميت وأصل هذا كله من الظهور ﴿وزيناها﴾

صيرت أو حبست من الابصار من السكر أو من السكر سكرت مكر اى حبست كما يحبس النهر من الجرى المعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم فى العناد ان لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شئ نتخايله لاحقيقة له ولقالوا (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك أو الضمير للملائكة أى لو أريناهم الملائكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على أنهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار (ولقد جعلنا فى السماء) خلقنا فيها (بروجا) نجوما أو قصورا فيها الحرس أو منازل للنجوم (وزيناها) أى السماء

(لقالوا) كفار مكة (انما سكرت أبصارنا) أخذت أعيننا (بل نحن قوم مسحورون) مغلوبوا العقل قد سحرنا (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) قصورا ويقال نجوما يعنى النجوم التى يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر (وزيناها) يعنى السماء

هب وطريقة (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية لان ما لاتدخل على مضارع الا وهو فى معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب
حال (من رسول الا كانوا به يستهزؤن) السلام (كذلك نسلكه
فى قلوب المجرمين) أى كما سلكنا الكفر أو الاستهزاء فى شيع الاولين نسلكه أى الكفر أو الاستهزاء فى قلوب المجرمين من أمتك فى اختيار ذلك يقال سلكت الخيط فى الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيها وهو حجة على المعتزلة فى الاصلح وخلق الافعال (لايؤمنون به) بالله أو بالذكر وهو حال (وقد خلت سنة الاولين) مضت طريقتهم التى سنها الله فى اهلاكهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء (فظلوا فيه يعرجون) يصعدون

﴿ وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ﴾ كما فعل هؤلاء وهو تسلية للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما للحال لاتدخل الا مضارعا بمعناه أو ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية ﴿ كذلك نسلكه ﴾ ندخله ﴿ فى قلوب المجرمين ﴾ والسلك ادخال الشئ فى الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر فى قوله ﴿ لايؤمنون به ﴾ له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به أو بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لايلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه ﴿ وقد خلت سنة الاولين ﴾ أى سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم أو باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ﴿ ولو فتحنا عليهم ﴾ على هؤلاء المقترحين ﴿ بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴾ يصعدون اليها

فى شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف ﴿ وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين ﴾ السلوك النفاذ فى الطريق والدخول فيه والسلك ادخال الشئ فى الشئ كادخال الخيط فى المخيط ومعنى الآية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء فى قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه أى ندخله فى قلوب المجرمين يعنى مشركى مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهى أبين آية فى ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند قال الواحدى قال أصحابنا أضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال الكفر فى قلوب الكفار وحسن ذلك منه فمن آمن بالقرآن فليستحسنه وقال الامام فخر الدين الرازى احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال فى قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه أى كذلك نسلك الباطل والضلال فى قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا اليه وأجيب عنه بانه سبحانه وتعالى قال وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فالضمير فى قوله كذلك نسلكه عائد اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين انه الكفر والضلال ﴿ وقوله تعالى ﴿ لايؤمنون به ﴾ يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن ﴿ وقد خلت سنة الاولين ﴾ فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا أهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴾ يعنى ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لوما تأتينا بالملائكة بابا من السماء فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا

الاولين (وما يأتيهم من رسول) مرسل اليهم (الا كانوا به) بالرسل (يستهزؤن) يسخرون (كذلك) هكذا (نسلكه) نترك التكذيب (فى قلوب المجرمين) المشركين (لا يؤمنون به) لكى لا يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ونزول العذاب عليهم (وقد خلت) مضت (سنة الاولين) سيرة الاولين بتكذيب الرسل كما كذبك قومك ومضت سيرة الله فيهم بالعذاب والهلاك من الله لهم عند التكذيب (ولو فتحنا عليهم)
أهل مكة (بابا من السماء) يدخلون فيه (فظلوا فيه) فصاروا فيه (يعرجون) يصعدون وينزلون يعنى كالملائكة

(واناله لحافظون) وهو رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا أيها الذى نزل ال

الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع وانه هو الذى نزله محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه وقد جعل قوله واناله لحافظون دليلا على انه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه أو الضمير فى له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك (ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين) أى ولقد أرسلنا من قبلك رسلا فى الفرق الاولين والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على

وقرره بقوله ﴿ واناله لحافظون ﴾ أى من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين ﴾ فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم

هو الذى نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ واناله لحافظون ﴾ الضمير فى له يرجع الى الذكر يعنى وانا للذكر الذى أنزلناه على محمد لحافظون يعنى من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقى مصونا الى الابد محروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية فى له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعنى وانا لمحمد لحافظون ممن أراده بسوء فهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية اليه لكونه أمرا معلوما الا ان القول الاول أصح وأشهر وهو قول الاكثرين لانه أشبه بظاهر التنزيل ورد الكناية الى أقرب مذكور أولى وهو الذكر واذا قلنا ان الكناية عائدة الى القرآن وهو الاصح فاختلفوا فى كيفية حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا باقيا مباينا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو أرادوا الزيادة فيه والنقصان منه لتغير نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون ان الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل أعجز الله الخلق عن ابطاله وافساده بوجه من الوجوه فقيض الله له العلماء الراسخين يحفظونه ويذبون عنه الى آخر الدهر لان دواعى جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله وافساده فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين ﴾ لما تجرأ كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون وأساؤا الادب عليه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار فى قديم الزمان مع أنبيائهم كذلك فلك يا محمد اسوة فى الصبر على أذى قومك بجميع الانبياء ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وفى الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى فى شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفراء الشيعة هم الاتباع وشيعة الرجل أتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وقوله

بالقرآن (واناله) للقرآن (لحافظون) من الشياطين حتى لا يزيدوا فيه ولا ينقصوا منه ولا يغيروا حكمه ويقال انا له لمحمد صلى الله عليه وسلم لحافظون من الكفار والشياطين (ولقد أرسلنا من قبلك) يا محمد الرسل (فى شيع الاولين) فى فرق

(فى شيع)

كرها آخرا حالا على اللفظ والمعنى (وقالوا) أى الكفار (ياأيها الذى نزل عليه الذكر) أى القرآن (انك لمجنون) يعنون
ل عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وكيف يقرون
ول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس فى كلامهم للاستهزا والتهكم سائغ ومنه فبشرهم
بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث تدعى ان الله نزل عليك الذكر (لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) لوركبت مع لا وما لامتناع الشئ لوجود غيره أو للتحضيض وهل ركبت مع لا للتحضيض فحسب والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك أوهلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا (ما ننزل الملائكة) كوفى غير أبى بكر تنزل الملائكة أبو بكر تنزل الملائكة أى تتنزل غيرهم (الا بالحق) الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين اذا وما أخر عذابهم (انا نحن نزلنا الذكر) القرآن

﴿وقالوا ياأيها الذى نزل عليه الذكر﴾ نادوا به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على التهكم ألا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم ﴿انك لمجنون﴾ ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعى ان الله تعالى نزل عليك الذكر وهو القرآن ﴿لوما تأتينا﴾ ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشئ لوجود غيره والتحضيض ﴿بالملائكة﴾ ليصدقون ويعضدون على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ﴿ان كنت من الصادقين﴾ فى دعواك ﴿ماننزل الملائكة﴾ بالياء ونصب الملائكة على ان الضمير لله تعالى وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل ﴿الا بالحق﴾ الا تنزيلا ملتبسا بالحق أى بالوجه الذى قدره واقتضته حكمته ولا حكمة فى ان تأتيكم بصورة تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا فى معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحى أو العذاب ﴿وما كانوا اذا منظرين﴾ اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر أى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين ﴿انا نحن نزلنا الذكر﴾ رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه

أجلها لارادة الامة وأخرجها من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال ❊ قوله عز وجل ﴿وقالوا﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ياأيها الذى نزل عليه الذكر﴾ يعنى القرآن وأرادوا به محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿انك لمجنون﴾ انما نسبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحى عليه ما يشبه الغشى فظنوا ان ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من غيره فربما نسبه الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وأتى بهذا القرآن العظيم أنكروه ونسبوه الى الجنون وانما قالوا ياأيها الذى نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه ياأيها الذى نزل عليه الذكر فى زعمه واعتقاده واعتقاد أصحابه وأتباعه انك لمجنون فى ادعائك الرسالة ﴿لوما﴾ قال الزجاج والفراء لوما ولولا لغتان ومعناهما هلا يعنى هلا ﴿تأتينا بالملائكة﴾ يعنى يشهدون لك بانك رسول من عند الله حقا ﴿ان كنت من الصادقين﴾ يعنى فى قولك وادعائك الرسالة ﴿ماننزل الملائكة الا بالحق﴾ بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى ﴿وما كانوا اذا منظرين﴾ يعنى لو نزلت الملائكة اليهم لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال وعذبوا فى الحال ان لم يؤمنوا ويصدقوا ﴿انا نحن نزلنا الذكر﴾ يعنى القرآن أنزلناه عليك يا محمد وانما قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم ياأيها الذى نزل عليه الذكر فاخبر الله عز وجل انه

(وقالوا) عبدالله بن امية المخزومى وأصحابه لمحمد صلى الله عليه وسلم (ياأيها الذى نزل عليه الذكر) جبريل بالقرآن بزعمك (انك لمجنون) تختنق (لوما تأتينا) هلا تأتينا (بالملائكة) من السماء فيشهدوا لك انك رسول الله (ان كنت من الصادقين) فى مقالتك قال الله (ماننزل الملائكة) من السماء (الا بالحق) بالهلاك وقبض ارواحهم (وما كانوا اذا منظرين) مؤجلين اذا نزلت عليهم الملائكة (انا نحن نزلنا الذكر) جبريل

من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقول من قال ان رب يعنى بها الكثرة سهو لانه ضد ما يعرفه أهل اللغة لا
وضعت للتقليل (ذرهم) أمر اهانة أى اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهى عما هم عليه والصد عنه بالتذ
والنصيحة وخلهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم (ويلههم الامل) ويشغلهم

أملهم وأمانيهم عن الايمان (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم وفيه تنبيه على أن ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدى اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما فى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف اذ الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجئ بالواو تأكيدا لذلك والوجه أن تكون هذه الجملة حالا لقرية لكونها فى حكم الموصوفة كأنه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لا وصفا وقوله كتاب معلوم أى مكتوب معلوم وهو أجلها الذى كتب فى اللوح المحفوظ وبين الا ترى الى قوله (ما تسبق من أمة أجلها) فى موضع كتابها (وما يستأخرون) أى عنه وحذف لانه معلوم وأنث الامة أولا

ودادتهم كالغيبة فى قولك حلف بالله ليفعلن ﴿ذرهم﴾ دعهم ﴿يأكلوا ويتمتعوا﴾ بدنياهم ﴿ويلههم الامل﴾ ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد ﴿فسوف يعلمون﴾ سوء صنيعهم اذ عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ارعوائهم وايذانه بأنهم من أهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدى اليه طول الامل ﴿وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم﴾ أجل مقدر كتب فى اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف ﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ أى وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير أمة فيه للحمل على المعنى

يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل أبلغ فى التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم فى كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة انما يخطر ذلك ببالهم * فان قلت رب لا تدخل الا على الماضى فكيف قال ربما يود وهو فى المستقبل * قلت لان المترقب فى أخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه كأنه قال ربما ود * قوله سبحانه وتعالى ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ يعنى دع يا محمد هؤلاء الكفار يأكلوا فى دنياهم ويتمتعوا بلذاتها ﴿ويلههم الامل﴾ يعنى ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى ﴿فسوف يعلمون﴾ يعنى اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر فمتى يهنأ العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفى الآية دليل على ان ايثار التلذذ والتنعم فى الدنيا يؤدى الى طول الامل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال على بن أبى طالب انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ يعنى من أهل قرية والمراد هلاك الاستئصال ﴿الا ولها كتاب معلوم﴾ أى أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم الا فى الوقت الذى حدله فى اللوح المحفوظ ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ من زائدة فى قوله من أمة كقولك ما جاءنى من أحد يعنى أحد وقيل هى على أصلها لانها تفيد التبعيض الى هذا الحكم فيكون ذلك فى افادة عموم نفى آكد ومعنى الآية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿وما يستأخرون﴾ وانما أدخل الهاء فى

(ذرهم) اتركهم يا محمد (يأكلوا) بلا حجة ولا همة ما فى الغد (ويتمتعوا) يعيشوا فى الكفر والحرام (ويلههم الامل) ويشغلهم الامل الطويل عن طاعة الله (فسوف) وهذا وعيد لهم (يعلمون) (أجلها) عند الموت وفى القبر ويوم القيامة ماذا نفعل بهم (وما أهلكنا من قرية) من أهل قرية (الا ولها كتاب معلوم) فيه أجل معلوم مؤقت لهلاكهم (ما تسبق من أمة أجلها) يقول لا تموت ولا تهلك أمة قبل أجلها (وما يستأخرون) ولا تؤخر أمة عن أجلها

من لقي بيانا غريبا ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر أو حلول الموت أو يوم القيامة. وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف، وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجرى مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله

ربما تكره النفوس من الامر * له فرجة كحل العقال

ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية

من الباطل ﴿ ربما ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير وانما زيدت ما مع رب ليليها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاءني زيد وان شئت جعلت ما بمنزلة شيء كأنك قلت رب شيء فيكون المعنى رب شيء ﴿ يود الذين كفروا ﴾ وقيل ما في ربما بمعنى حين أي رب حين يود بمعنى تمنى الذين كفروا لان التمني هو تشهي حصول ما يوده واختلف المفسرون في الوقت الذي تمنى الذين كفروا ﴿ لو كانوا مسلمين ﴾ على قولين أحدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافر انه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمني قال الضحاك هو عند حالة المعاينة والقول الثاني ان هذا التمني يكون في الآخرة وذلك حين يعاينون أهوال يوم القيامة وشدائده وما يصيرون اليه من العذاب فحينئذ تمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من أحوال المسلم ود لو كان مسلما وقيل اذا رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور أن ذلك التمني حين يخرج الله المؤمنين من النار * عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وأنتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغفرها الله لهم بفضل رحمته فيأمر الله بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال اليه ذهب ابن عباس في رواية عنه وأنس بن مالك ومجاهد وعطاء وأبو العالية وابراهيم يعني النخعي * فان قلت رب انما وضعت للتقليل وتمني الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قال ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين * قلت قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على فعله ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء

حرف يجر ما بعده ويختص بالاسم النكرة فاذا كفت وقع بعدها الفعل الماضي والاسم وانما جاز (يود الذين كفروا) لان المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ودوا وودادتهم تكون عند النزع أو يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين أو اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار فيتمنى الكافر لو كان مسلما كذا روى عن ابن عباس رضي الله عنهما (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا وانما قلل برب لان أهوال القيامة تشغلهم عن التمني فاذا أفاقوا

والنهى (ربما يود) يتمنى (الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لو كانوا مسلمين) في الدنيا يقول ربما أتى على الكافرين يوم يتمنى أنه كان مسلما ولهذا كان القسم وذلك اذا أخرج الله من النار من كان مؤمنا مخلصا بايمانه وأدخله الجنة فعند ذلك يتمنى الكافر أنه كان مسلما في الدنيا

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك

سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم أى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد

تفسير سورة الحجر

مكية باجماعهم وهى تسع وتسعون آية وستمائة واربع وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله سبحانه وتعالى ﴿ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب وبالقرآن المبين الكتاب الذى وعد الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وتنكير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل فى كونه كتابا وفى كونه قرآنا وأى قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة فى البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوى لانه لم يجر للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جمعهما بوصفين وان كان الموصوف واحدا لما فى ذلك من الفائدة وهى التفخيم والتعظيم والمبين الذى يبين الحلال من الحرام والحق

سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل فى كونه كتابا وأى قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة فى

ومن السورة التى يذكر فيها الحجر وهى كلها مكية وكلماتها ستمائة وخمسون وأربع وحروفها ألفان وسبعمائة وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الر) يقول أنا الله أرى ويقال قسم أقسم بالالف واللام والراء (تلك آيات الكتاب) ان هذه [illegible] آيات الكتاب (وقرآن مبين) يقول واقسم بالقرآن المبين بالحلال والحرام والامر

(وتغشى وجوههم النار) تعلوها باشتعالها وخص الوجه لانه أعز موضع فى ظاهر البدن كالقلب فى باطنه ولذا قال تط[لع على]
الافئدة (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) أى يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت
نفس مجرمة أو مطيعة لانه
المجرمين لاجرامهم علم انه
المؤمنين بطاعتهم (ان الله
سريع الحساب) يحاسب
جميع العباد فى أسرع
من لمح البصر (هذا) أى
ما وصفه فى قوله ولا تحسبن
الى قوله سريع الحساب
(بلاغ للناس) كفاية فى
التذكير والموعظة
(ولينذروا به) بهذا البلاغ
وهو معطوف على محذوف
أى لينصحوا ولينذروا
(وليعلموا أنما هو اله واحد)
لانهم اذا خافوا ما أنذروا
به دعتهم المخافة الى النظر
حتى يتوصلوا الى التوحيد
لان الخشية أم الخير كله
(وليذكر أولوا الالباب)
ذوو العقول ¤

من صفر حار قد انتهى حره
(وتغشى) تعلو(وجوههم
النار ليجزى الله) وهذا
مقدم ومؤخر يقول وبرزوا
لله الواحد القهار ليجزى الله
(كل نفس) برة أو فاجرة
(ما كسبت) من الخير والشر
(ان الله سريع الحساب)
شديد العقاب ويقال اذا
حاسب فحسابه سريع (هذا بلاغ للناس) أبلغهم عن الله ويقال بيان لهم بالامر والنهى والوعد والوعيد والحلال و[الحرام]
(ولينذروا به) لكى يخوفوا بالقرآن (وليعلموا) كى يعلموا ويقروا (انما هو اله واحد) بلا ولد ولا شريك (وليذكر) [لكى]
يتعظ بالقرآن (أولوا الالباب) ذوو العقول من الناس

والهيآت الوحشة فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطر آن والقط[ران]
النحاس أو الصفر المذاب والآنى المتناهى حره والجملة حال ثانية أو حال من الضمير فى مقرن[ين]
﴿ وتغشى وجوههم النار ﴾ وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا
تدبره مشاعرهم وحواسهم التى خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة ع[ن]
المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقو[له]
تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم ﴿ ليجزى الله كل نفس ﴾ أى يفعل بهم ذلك
ليجزى كل نفس مجرمة ﴿ ما كسبت ﴾ أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة لانه اذا بين ا[ن]
المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرز[وا]
﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ لانه لا يشغله حساب عن حساب ﴿ هذا ﴾ اشارة الى القرآ[ن]
أو السورة أو ما فيه من العظة والتذكير أو ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله ﴿ بلاغ للناس ﴾
كفاية لهم فى الموعظة ﴿ ولينذروا به ﴾ عطف على محذوف أى لينصحوا ولينذروا بهذا البلا[غ]
فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلى وقر[ئ]
بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعدله ﴿ وليعلموا أنما هو اله واحد ﴾ بالنظر والتأ[مل]
فيما فيه من الآيات الدالة عليه أو المنبهة على ما يدل عليه ﴿ وليذكر اولو الالباب ﴾ فيرتد[عوا]
عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوا[ئد]
هى الغاية والحكمة فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية ا[لتى]
منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله [من]
الفائزين بها وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى من الا[جر]
عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

والآن الذى انتهى حره ﴿ وتغشى وجوههم النار ﴾ يعنى تعلوها وتجللها ﴿ ليجزى ا[لله]
كل نفس ما كسبت ﴾ يعنى من خير أو شر ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ يعنى اذا حاس[ب]
عباده يوم القيامة ﴿ هذا بلاغ للناس ﴾ يعنى هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للنا[س]
﴿ ولينذروا به ﴾ يعنى وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره ﴿ وليعلموا أنما هو ا[له]
واحد ﴾ يعنى وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى ﴿ وليذ[كر]
اولوا الالباب ﴾ يعنى وليتعظ بهذا القرآن وما فيه من المواعظ أولو العقول والافه[ام]
الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(قوله وعن النبى صلى الله عليه وسلم الخ)هذا الحديث رواه ابن مردويه والثعلبى والواحدى وهو موضوع ايضا كما ذكره العراقى رحمه الله

(وبرزوا) وخرجوا من قبورهم (لله الواحد القهار) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره كان الامر فى غاية الشدة (وترى المجرمين) الكافرين (يومئذ) يوم القيامة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم الى أرجلهم مغللين (فى الاصفاد) متعلق بمقرنين أى يقرنون فى الاصفاد أو غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود والاغلال (سرابيلهم) قمصهم (من قطران) هو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وحره ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقته واسراع النار فى جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما عده الله أو أوعده به فى الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا الاسامى والمسميات ثمة نعوذ بالله من سخطه وعذابه من قطر آن زيد عن يعقوب نحاس مذاب بلغ حره اناه

قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وقوله ان كتاب الفجار لفى سجين ﴿وبرزوا﴾ من اجداثهم ﴿لله الواحد القهار﴾ لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر فى غاية الصعوبة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين﴾ قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم فى العقائد والاعمال كقوله تعالى واذا النفوس زوجت أو قرنوا مع الشياطين أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة أو قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم ﴿فى الاصفاد﴾ متعلق بمقرنين أو حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا ... يعض بساعد وبعظم ساق

واصله الشد ﴿سرابيلهم﴾ قمصانهم ﴿من قطران﴾ وجاء قطران وقطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار فى جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة

كتابه * وقوله تعالى ﴿وبرزوا﴾ يعنى وخرجوا من قبورهم ﴿لله﴾ يعنى لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب ﴿الواحد القهار﴾ صفتان لله تعالى فالواحد الذى لا ثانى له ولا شريك معه المنزه عن الشبه والضد والند والقهار الغالب الذى يقهر عباده على ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد * قوله تعالى ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين﴾ يعنى مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشئ بالشئ اذا شددته معه فى رباط واحد ﴿فى الاصفاد﴾ يعنى فى القيود والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة وقال ابو زيد تقرن أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهى القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض ﴿سرابيلهم﴾ يعنى قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كل ما لبس ﴿من قطران﴾ القطران دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا جربت وهو الهناء يقال هنأت البعير أهنؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم قطران سرابيل لانه يبالغ فى اشتعال النار فى الجلود ولو أراد الله المبالغة فى احراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم بما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب من قطر آن على كلمتين منونتين فالقطر النحاس المذاب

وبرزوا لله) خرجوا وظهروا لله (الواحد القهار) لخلقه بالموت (وترى المجرمين) المشركين (يومئذ) يوم القيامة سلسلين (مقرنين) ويقال مقيدين (فى الاصفاد) فى القيود مع الشياطين (سرابيلهم) قمصهم (من قطران) من نار سوداء القطران ويقال من قطر آن

سيئة ثم حسنات [illegible] عن علي رضى الله تعالى عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضى الله تعالى عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هى تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ماروى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمدمد الاديم العكاظى لاترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لايلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثانى ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ماشعر به

ذوات الارض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا فى معنى هذا تبديل فقال ابن مسعود فى معنى هذه الآية قال تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك بها دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الارض من فضة والسماء من ذهب وقال أبى بن كعب فى معنى التبديل بان تصير الارض نيرانا والسماء جنانا وقال أبو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظى تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه * عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفؤ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لاهل الجنة أخرجاه فى الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح هذا الحديث أما النزل فبضم النون والزاء ويجوز اسكان الزاء وهو مايعد للضيف عند نزوله وأما الخبزة فبضم الخاء وقال أهل اللغة هى الظلمة التى توضع فى الملة يتكفؤها بالهمز بيده أى يميلها من يد الى يد حتى تجتمع و تستوى لانها ليست منبسطة كالرقاقة وقد حققنا الكلام فى اليد فى حق الله سبحانه وتعالى وتأويلها مع القطع باستحالة الجارحة عليه ليس كمثله شئ ومعنى الحديث ان الله سبحانه وتعالى يجعل الارض كالظلمة أى الرغيف العظيم وتكون طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شئ قدير فان قلت اذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل ماعمل عليها قلت وجه الجمع بين الآيتين ان الارض تبدل أولا صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم فيومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو أن تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم أيضا * و يدل على صحة هذا التأويل ماروى عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاين يكون الناس يومئذ يارسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم * وروى ثوبان ان حبرا من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم فى الظلمة دون الجسر ذكره البغوى بغير سند ففى هذين الحديثين دليل على ان تبديل الارض ثانى مرة يكون بعد الحساب والله أعلم بمراده وأسرار

السموات وانما حذف لدلالة ماقبله عليه والتبديل التغير وقد يكون فى الذوات كقولك بدلت الدارهم دنانير وفى الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل واختلف فى تبديل الارض والسموات فقيل تبدل أوصافها وتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلاترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى تلك الارض وانما تغير وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل تخلق بدلها ارض وسموات أخر وعن ابن مسعود رضى الله عنه يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن على رضى الله عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب

وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم ﴿ فلاتحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾ مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لايخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لايخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله ﴿ ان الله عزيز ﴾ غالب لايماكر قادر لايدافع ﴿ ذوانتقام ﴾ لاوليائه من اعدائه ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض ﴾ بدل من يوم تأتيهم أو ظرف للانتقام أو مقدر باذكر أو لايخلف وعده ولايجوز ان ينتصب بمخلف لان ماقبل ان لايعمل فيما بعده ﴿ والسموات ﴾ عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله

القوس والنشاب وأخذ معه الترس ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بدم سمكة قذفت بنفسها في بحر في الهواء وقيل ان طائرا أصابه السهم فلما رجع اليه السهم ملطخا بالدم قال كفيت اله السماء ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشبات الى أسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت انه قد حدث حدث من السماء وان الساعة قدقامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال واستبعد بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولايكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا الامر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولامناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾ يعني فلا تحسبن الله يامحمد مخلف ماوعدبه رسله من النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين فانه ناصر رسله وأولياءه ومهلك أعداءه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولاتحسبن الله مخلف رسله وعده ﴿ ان الله عزيز ﴾ أي غالب ﴿ ذوانتقام ﴾ يعني من أعدائه * قوله عزوجل ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ﴾ ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين أحدهما انه تبدل صفة الارض والسماء لاذاتهما فاماتبديل الارض فبتغيير صفتها وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو أن تدكدك جبالها وتسوى وهادها وأوديتها وتذهب أشجارها وجميع ماعليها من عمارة وغيرها لايبقى على وجهها شئ الاذهب وتمد مدالاديم وأماتبديل السماء فهو أن تنتثر كواكبها وتطمس شمسها وقمرها ويكوران وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل وبهذا القول قال جماعة من العلماء * ويدل على صحة هذا القول ماروى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس بها علم لاحد أخرجاه في الصحيحين * العفراء بالعين المهملة وهي البيضاء الى حمرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الجيد البياض الفائق المائل الى حمرة كان النار ميلت بياض وجهها الى الحمرة وقوله ليس بها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لاحد بتبديل هيئتها وزوال جبالها وجميع بنائها فلايبقى فيها أثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل

للام مؤكدة (فلاتحسبن الله مخلف وعده رسله) يعنى قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن أنا ورسلي مخلف مفعول ثان لتحسبن وأضاف مخلف الى وعده وهو المفعول الثاني له والاول رسله والتقدير مخلف رسله وعده وانما قدم المفعول الثاني على الاول ليعلم انه لايخلف الوعد أصلا كقوله ان الله لايخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته (ان الله عزيز) غالب لايماكر (ذوانتقام) لاوليائه من أعدائه وانتصاب (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) على الظرف للانتقام أوعلى اضمار اذكر والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وتبدل السموات غير

(فلاتحسبن الله مخلف وعده رسله) لرسله بنجاتهم وهلاك أعدائهم (ان الله عزيز) في ملكه وسلطانه (ذوانتقام) ذونقمة من أعدائه في الدنيا والآخرة (يوم تبدل الارض) أي في يوم تغير الارض (غير الارض) على حال سوى هذه الحال وتبديلها ان يزاد فيها او ينقص منها ويسوى جبالها وأوديتها ويقال تبدل الارض غير هذه الارض (والسموات) مطويات بيمينه

(وقد مكروا مكرهم) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوه من تأييد الكفر وبطلان الاسلام (وعند الله مكرهم) وهو مضاف الى الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو الى المفعول أى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يأتيهم من حيث لا يشعرون (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) بكسر اللام الاولى ونصب الثانية والتقدير وان وقع مكرهم لزوال أمر النبى صلى الله عليه وسلم فعبر عن أمر النبى عليه السلام بالجبال لعظم شأنه وكان تامة أو ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا دليله قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وبفتح اللام الاولى ورفع الثانية على أى وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أماكنها فان مخففة من ان

والعذاب (وقد مكروا مكرهم) صنعوا صنيعهم بالتكذيب بالرسل (وعند الله مكرهم) عقوبة صنيعهم (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) لكى تخر منه الجبال ان قرأت بخفض اللام الاولى ونصب اللام الاخرى ويقال وان كان مكرهم وقد كان مكرهم مكر نمروذ الجبار لتزول منه الجبال لتخر منه الجبال حيث سمع دوى التابوت والنسور ان قرأت بنصب اللام الاولى ورفع اللام الاخرى { القوس }

المضروبة ﴿ وقد مكروا مكرهم ﴾ المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل ﴿ وعند الله مكرهم ﴾ ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه أو عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له ﴿ وان كان مكرهم ﴾ فى العظم والشدة ﴿ لتزول منه الجبال ﴾ مسوى لازالة الجبال ومعدا لها وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرائعه ، وقرأ الكسائى لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم

الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكوا أن يعتبر بهم ويعمل فى خلاص نفسه من العقاب والهلاك ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وقد مكروا مكرهم ﴾ اختلفوا فى الضمير الى من يعود فى قوله وقد مكروا فقيل يعود الى الذين سكنوا فى مساكين الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى أقرب مذكور وقيل ان المراد بقوله وقد مكروا كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية والمعنى وأنذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعنى بسبب مكرهم بك ﴿ وقوله تعالى ﴿ وعند الله مكرهم ﴾ يعنى جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة ﴿ وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴾ يعنى وان كان مكرهم لاضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو ثابت كثبوت الجبال وقد حكى عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فى الآية قولا آخر وهو انها نزلت فى نمرود الجبار الذى حاج ابراهيم فى ربه فقال نمرود ان كان ما يقوله ابراهيم حقا فلا أنتهى حتى أصعد الى السماء فأعلم ما فيها فعمد الى أربعة أفراخ من النسور فرباهن حتى كبرت وشبت واتخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من أعلى وبابا من أسفل ثم جوع النسور ونصب خشبات أربعا فى أطراف التابوت وجعل على رؤس تلك الخشبات لحما أحمر وقعد هو فى التابوت وأقعد معه رجلا آخر وأمر بالنسور فربطت فى أطراف التابوت من أسفل فجعلت النسور كلما رأت اللحم رغبت فيه وطارت اليه فطارت النسور يوما أجمع حتى بعدت فى الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له ان السماء كهيئتها فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى ففعل فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة فنودى أيها الطاغى أين تريد قال عكرمة وكان معه فى التابوت غلام قد حمل

ذلك اليوم (فيقول الذين ظلموا) أى الكفار (ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) أى ردنا الى الدنيا وأمهلنا الى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك مافرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) أى حلفتم فى الدنيا أنكم اذا متم لاتزالون عن تلك الحالة ولاتنتقلون الى دار أخرى يعنى كفرتم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت و مالكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب كقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل مالنا من زوال أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى فانهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم الى أجل قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر لان السكنى من السكون وهو اللبث والاصل تعديته بفى نحو قر فى الدار وأقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أى قروا فيها واطمأنوا طيبى النفوس سائرين سيرة من قبلهم فى الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقى الاولون من أيام الله و كيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا (وتبين لكم) بالاخبار أو المشاهدة وفاعل تبين مضمر دل عليه الكلام أى تبين لكم حالهم و (كيف) ليس بفاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ماقبله وانما نصب كيف بقوله (فعلنا بهم) أى أهلكناهم وانتقمنا منهم (وضربنا لكم الامثال) أى صفات مافعلوا ومافعل بهم وهى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم

فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر ﴿ فيقول الذين ظلموا ﴾ بالشرك والتكذيب ﴿ ربنا اخرنا الى اجل قريب ﴾ اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب أو اخر آجالنا وابقنا مقدار مانؤمن بك ونجيب دعوتك ﴿ نجب دعوتك ونتبع الرسل ﴾ جواب للامر ونظيره لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ﴿ أولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال ﴾ على ارادة القول ومالكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لاتزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا أو دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لاينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لايزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت ﴿ وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴾ بالكفر والمعاصى كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفى كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوى فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار ﴿ وتبين لكم كيف فعلنا بهم ﴾ بما تشاهدونه فى منازلهم من آثار مانزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم ﴿ وضربنا لكم الامثال ﴾ من احوالهم أى بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب أو صفات مافعلوا وفعل بهم التى هى فى الغرابة كالامثال

فيقول الذين ظلموا ﴾ يعنى ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصى ﴿ ربنا أخرنا الى أجل قريب ﴾ يعنى أمهلنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا فيتفعهم ذلك وهو قوله تعالى ﴿ نجب دعوتك ونتبع الرسل ﴾ فاجيبوا بقوله ﴿ أولم تكونوا أقسمتم من قبل ﴾ يعنى فى دار الدنيا ﴿ مالكم من زوال ﴾ يعنى مالكم عنها انتقال ولابعث ولانشور ﴿ وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴾ يعنى بالكفر والمعاصى ممن كان قبلكم من كفار الامم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿ وتبين لكم كيف فعلنا بهم ﴾ يعنى وقد عرفتم كيف كانت عقوبتنا اياهم ﴿ وضربنا لكم الامثال ﴾ يعنى الامثال التى ضربها الله عز وجل فى القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد أحوال الماضين من الامم الخالية والقرون

يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) أشركوا (ربنا) يا ربنا (أخرنا الى أجل قريب) مثل أجل الدنيا (نجب دعوتك) الى التوحيد (ونتبع الرسل) نطع الرسل بالاجابة فيقول الله لهم (أولم تكونوا أقسمتم) حلفتم (من قبل) من قبل هذا فى الدنيا (مالكم من زوال) من الدنيا ولا بعث (وسكنتم) نزلتم (فى مساكن) فى منازل (الذين ظلموا أنفسهم) بالشرك والتكذيب فلم يتعظوا بهلاكهم (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) فى الدنيا (وضربنا) بينا (لكم الامثال) فى القرآن من كل وجه من الوعد والوعيد والرحمة

غفلته جهلا بصفاته و ... اغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم ﴿ انما يؤخرهم ﴾ يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون ﴿ ليوم تشخص فيه الابصار ﴾ أى تشخص فيه ابصارهم فلا تقر فى اماكنها من هول ماترى ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين الى الداعى أو مقبلين بابصارهم لايطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشئ ﴿ مقنعى رؤسهم ﴾ رافعيها ﴿ لايرتد اليهم طرفهم ﴾ بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف أولا يرجع اليهم نظرهم فينظرون الى انفسهم ﴿ وافئدتهم هواء ﴾ خلاء أى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء أى لارأى فيه ولا قوة قال زهير

من الظلمان جؤجؤه هواء

وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق ﴿ وانذر الناس ﴾ يا محمد ﴿ يوم يأتيهم العذاب ﴾ يعنى يوم القيامة أو يوم الموت

وتعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أى اثبتوا على ما أنتم عليه من الايمان الوجه الثانى ان المراد بالنهى عن حسبانه غافلا الاعلام بانه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لايخفى عليه شئ وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبى صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان أكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز أن يحسبه غافلا فلجهله بصفاته ﴿ انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ﴾ يقال شخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحتين لايطرفهما وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ماترى فى ذلك اليوم ﴿ مهطعين ﴾ قال قتادة مسرعين وهذا قول أبى عبيدة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقى بصره شاخصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا باهتا فبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية ان أحوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فخبر سبحانه وتعالى انهم مع شخوص الابصار يكونون مهطعين يعنى مسرعين نحو الداعى وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت ﴿ مقنعى رؤسهم ﴾ الاقناع رفع الرأس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يطرق ببصره الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لاينظر أحد الى أحد وهو قوله تعالى ﴿ لايرتد اليهم طرفهم ﴾ أى لاترجع اليهم أبصارهم من شدة الخوف فهى شاخصة لاترتد اليهم قد شغلهم ما بين أيديهم ﴿ وأفئدتهم هواء ﴾ أى خالية قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت فى حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أماكنها ومعنى الآية ان أفئدتهم خالية فارغة لاتعى شيأ ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد ابن جبير وأفئدتهم هواء أى مترددة تهوى فى أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية ان القلوب يومئذ زائلة عن أماكنها والابصار شاخصة والرؤس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشدته ﴿ وأنذر الناس ﴾ يعنى وخوف الناس يا محمد بيوم القيامة وهو ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ يوم يأتيهم العذاب

عليم (انما يؤخرهم) أى أبصارهم لاتقر فى أماكنها من هول ماترى (مهطعين) مسرعين الى الداعى (مقنعى رؤسهم) رافعيها (لايرتد اليهم طرفهم) لايرجع اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم (وأفئدتهم هواء) صفر من الخير لاتعى شيأ من الخوف والهواء الخلاء الذى لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لاقوة فى قلبه ولا جراءة وقيل جوف لاعقول لهم (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) أى يوم القيامة ويوم مفعول ثان لانذر لاظرف اذ الانذار لايكون

ما يعمل المشركون (انما يؤخرهم) يؤجلهم (ليوم تشخص فيه الابصار) أبصار الكفار وهو يوم القيامة (مهطعين) مسرعين قاصدين ناظرين الى الداعى (مقنعى رؤسهم) مطأطئى رؤسهم ويقال رافعى رؤسهم ويقال مادى أعناقهم (لايرتد اليهم طرفهم) لايرجع اليهم أبصارهم من الهول والفزع (وأفئدتهم) قلوبهم (هواء) خالية من كل خير ويقال لاعائدة ولا خارجة (وأنذر الناس) خوف أهل مكة بالقرآن (يوم يأتيهم العذاب) من يوم يأتيهم العذاب وهو يوم بدر ويقال ﴿ فيقول ﴾

ربنا وتقبل دعاء) بالياء في الوصل والوقف مكي ووافقه أبو عمرو وحمزة في الوصل الباقون بلا ياء أي استجب دعائي أو عبادتي أعتزلكم وما تدعون من دون الله

أي آدم وحواء أو قاله قبل النبي واليأس عن إيمان أبويه (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أي يثبت أو أسند الى الحساب قيام أهله اسنادا مجازيا مثل واسأل القرية (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول عليه السلام وان كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وقيل المراد به الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون

الله أن استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ واستجب دعائي أو وتقبل عبادتي ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ وقرئ ... عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء ﴿وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ ... مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق أو يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة أو لكل من توهم

قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتي وأراد بهم المؤمنين من ذريته ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ سأل ابراهيم عليه السلام ربه أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لابراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه ﴿ربنا اغفر لي﴾ فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له * قلت المقصود منه الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته ﴿ولوالدي﴾ * فان قلت كيف استغفر ابراهيم لابويه وكانا كافرين * قلت أراد انهما ان اسلما وتابا وقيل انما قال ذلك قبل ان يتبين له أنهما من أصحاب الجحيم وقيل ان أمه أسلمت فدعا لها وقيل أراد بوالديه آدم وحواء ﴿وللمؤمنين﴾ يعني واغفر للمؤمنين كلهم ﴿يوم يقوم الحساب﴾ يعني يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل أراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذلك أي بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليله ابراهيم عليه السلام ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة * قوله سبحانه وتعالى ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله محال فلا بد من تأويل الآية فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بان لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم * فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون * قلت اذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقوله سبحانه

ذريتي باتمام الصلاة (ربنا) يا ربنا (وتقبل دعائي) عبادتي (ربنا) يا ربنا (اغفر لي) ذنوبي (ولوالدي) لابائي المؤمنين (وللمؤمنين) ولسائر المؤمنين والمؤمنات (يوم يقوم الحساب) يوم يكون الحساب بتقوم الحسنة (قاو خا ٦٨ لث) والسيئة فمن زادت له الحسنة وجبت له الجنة ومن زادت له السيئة وجبت له النار ومن استوت له حسنة وسيئة فهو من أصحاب الاعراف (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) يقول تارك عقوبة

شئ ما (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر) على بمعنى مع وهو فى موضع الحال أى وهب لى وأنا كبير (اسمعيل واسحق) رو
ان سمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتى عشرة سنة وروى انه ولد له اسمعيل لار
وستين واسحق لتسعين وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها أعظ

لانها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم ولان الولادة فى تلك السن العالية كانت آية لابراهيم (ان ربى لسميع الدعاء) مجيب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حمده وكان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لى من الصالحين فشكر لله ما أكرمه به من اجابته واضافة السميع الى الدعاء من اضافة الصفة الى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا فى جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا رحيم أباه (رب اجعلنى مقيم الصلوة ومن ذريتى) وبعض ذريتى عطفا على المنصوب فى اجعلنى وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون فى ذريته كفار عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يزال من ولد ابراهيم ناس على الفطرة الى أن تقوم الساعة

الى كل معلوم ومن الاستغراق ﴿ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر ﴾ أى وهب لى وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآئه ﴿ اسمعيل واسحق ﴾ روى انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتى عشرة سنة ﴿ ان ربى لسميع الدعاء ﴾ أى لمجيبه من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله أو فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤاله حين ماوقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها ﴿ رب اجعلنى مقيم الصلوة ﴾ معدلا لها مواظبا عليها ﴿ ومن ذريتى ﴾ عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام

هذا من تتمة قول ابراهيم يعنى وما يخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شئ فى كل مكان وقال الاكثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لابراهيم فيما قال فهو كقوله وكذلك يفعلون ﴿ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ﴾ قال ابن عباس ولد اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد فى هذا السن من أعظم المنن لانه سن اليأس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق * فان قلت كيف جمع بين اسمعيل واسحق فى الدعاء فى وقت واحد وانما بشر باسحق بعد اسمعيل بزمان طويل * قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما أتى بهذا الدعاء عندما بشر باسحق وذلك أنه لما عظمت المنة على قلبه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ولا يرد على هذا ما ورد فى الحديث أنه دعا بما تقدم عند مفارقة اسمعيل وأمه لان الذى صح فى الحديث أنه دعا بقوله ربنا انى أسكنت من ذريتى الى قوله لعلهم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق فى وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال ﴿ ان ربى لسميع الدعاء ﴾ كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لى من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه ووهبه ما سأل شكر الله على ما أكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ﴿ رب اجعلنى مقيم الصلوة ﴾ يعنى ممن يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها فى أوقاتها ﴿ ومن ذريتى ﴾ أى واجعل من ذريتى من يقيم الصلاة وانما أدخل لفظة من التى هى للتبعيض فى قوله ومن ذريتى لانه علم باعلام الله اياه انه

(الحمد لله) الشكر لله (الذى وهب لى على الكبر) بعدما كبر (اسمعيل واسحق) وكان ابن مائة سنة وامرأته سارة بنت تسع وتسعين سنة حيث ولدهما (ان ربى لسميع الدعاء) مجيب الدعاء (رب) يارب (اجعلنى مقيم الصلوة) متم الصلاة (ومن ذريتى) أيضا يقول اكرمنى وأكرم

تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع ﴿ وارزقهم من الثمرات ﴾ مع سكناهم واديا لا نبات فيه ﴿ لعلهم يشكرون ﴾ تلك النعمة فاجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ﴿ ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن ﴾ تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكننا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفى من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع واللجاء الى الله تعالى ﴿ وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء ﴾ لان العالم بعلم ذاتى يستوى نسبته

والفؤاد جارحتين وقال الجوهرى الفؤاد القلب والجمع افئدة فجعلهما جارحة واحدة ولفظة من فى قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم فارس وروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال افئدة من الناس فهم المسلمون تهوى اليهم قال الاصمعى يقال هوى يهوى هويا اذا سقط من علو الى سفل وقال الفراء تهوى اليهم تريدهم كما تقول رأيت فلانا يهوى نحوك معناه يريدك وقال أيضا تهوى تسرع اليهم وقال ابن الانبارى معناه تنحط اليهم وتنحدر وتنزل هذا قول أهل اللغة فى هذا الحرف وأما أقوال المفسرين فقال ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفى هذا بيان أن حنين الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاعيانهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بانهم ينتفعون بمن يأتى اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه السلام فى هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركاته ﴿ وارزقهم من الثمرات ﴾ يعنى كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزروع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل أن يكون المراد جلب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شئ ﴿ وقوله تعالى ﴿ لعلهم يشكرون ﴾ يعنى لعلهم يشكرون هذه النعم التى أنعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا انما هو ليستعان بها على أداء العبادات واقامة الطاعات ﴿ ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن ﴾ يعنى انك تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم أحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا منا فلا حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفى من الوجد بفرقة اسمعيل وأمه حيث اسكنتهما بواد غير ذى زرع وما نعلن يعنى من البكاء وقيل ما نخفى يعنى من الحزن المتمكن فى القلب وما نعلن يعنى ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابراهيم عليه السلام الى من تكلنا قال الى الله قالت اذا لا يضيعنا ﴿ وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء ﴾ قيل

(وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا ما فيه شئ منها بان تجلب اليهم من البلاد الشاسعة (لعلهم يشكرون) النعمة فى أن يرزقوا أنواع الثمرات فى واد ليس فيه شجر ولا ماء (ربنا) النداء المكرر دليل التضرع واللجأ الى الله (انك تعلم ما نخفى وما نعلن) تعلم السر كما تعلم العلن (وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام أو من كلام ابراهيم ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى على الله

(وارزقهم من الثمرات) من ألوان الثمرات (لعلهم يشكرون) لكى يشكروا نعمتك (ربنا) يا ربنا (انك تعلم ما نخفى) من حب اسماعيل (وما نعلن) من حب اسحق ويقال ما نخفى من وجد اسمعيل وما نعلن من الجفاء له (وما يخفى على الله من شئ) من عمل خير او شر (فى الارض ولا فى السماء

عين فقالوا أشركينا فى مائك نشركك فى البانا ففعلت ﴿ ربنا ليقيموا الصلوة ﴾ اللام لام كى وهى متعلقة باسكنت أى ماسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها ﴿ فاجعل افئدة من الناس ﴾ أى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى أو للابتداء كقولك القلب منى سقيم أى افئدة ناس ٠ وقرأ هشام افئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة ٠ وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر فى ادؤر وان يكون اسم فعل من افدت الرحلة اذا عجلت أى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد ﴿ تهوى اليهم ﴾ تسرع اليهم شوقا ووداداه وقرئ

قال النبى صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك أم اسمعيل وهى تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه بامرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته أخرجه البخارى باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله فى تفسير سورة البقرة ﴿ وأما تفسير الآية فقوله ربنا انى أسكنت من ذريتى من للتبعيض أى بعض ذريتى وهو اسمعيل عليه السلام بواد غير ذى زرع يعنى ليس فيه زرع لانه واد بين جبلين جبل أبى قبيس وجبل اجياد وهو وادى مكة عند بيتك المحرم سماه محرما لانه يحترم عنده ما لا يحترم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون به وبحرمته وجعل ما حوله محرما لمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان يعنى امتنع منه وقيل سمى محرما لان الزائرين له يحرمون على أنفسهم أشياء كانت مباحة لهم من قبل وسمى عتيقا أيضا لانه أعتق من الجبابرة أو من الطوفان ٠ فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما بناه ابراهيم بعد ذلك قلت يحتمل ان الله عز وجل أوحى اليه وأعلمه أن له هناك بيتا قد كان فى سالف الزمان وانه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذى كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذى جرى فى سابق علمك أنه سيحدث فى هذا المكان ﴿ ربنا ليقيموا الصلوة ﴾ اللام فى ليقيموا متعلقة باسكنت يعنى أسكنت قوما من ذريتى وهم اسمعيل واولاده بهذا الوادى الذى لا زرع فيه ليقيموا أى لاجل أن يقيموا أو لكى يقيموا الصلاة ﴿ فاجعل أفئدة من الناس ﴾ وقال البغوى جمع الوفد ﴿ تهوى اليهم ﴾ تحن وتشتاق اليهم قال السدى رحمه الله أمل قلوبهم الى هذا الموضع وقال ابن الجوزى أفئدة من الناس أى قلوب جماعة من الناس فلهذا جعله جمع فؤاد قال ابن الانبارى وانما عبر عن القلوب بالافئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب

(ربنا ليقيموا الصلوة) اللام متعلقة باسكنت أى ما أسكنتهم بهذا الوادى البلقع الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم و يعمروه بذكرك وعبادتك (فاجعل أفئدة من الناس) أفئدة من أفئدة الناس و من للتبعيض لما روى عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم عليه فارس والروم والترك والهند أو للابتداء كقولك القلب منى سقيم تريد قلبى فكانه قيل أفئدة ناس ونكرت المضاف اليه فى هذا التمثيل لتنكير أفئدة لانها فى الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة (تهوى اليهم) تسرع اليهم من البلاد الشاسعة وتطير نحوهم شوقا

(ربنا) يا ربنا (ليقيموا الصلوة) لكى يتموا الصلاة نحو الكعبة (فاجعل أفئدة من الناس) قلوب بعض الناس (تهوى اليهم) تشتاق وتنزع اليهم كل سنة

وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم ﴿ بواد غير ذى زرع ﴾ يعنى وادى مكة فانها حجرية لا تنبت ﴿ عند بيتك المحرم ﴾ الذى حرمت التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقا أى اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان أو ما سيؤل اليه روى ان هاجر كانت لسارة رضى الله عنها فوهبتها لابراهيم عليه السلام فغارت عليها فولدت منه اسمعيل عليه السلام فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما

بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ﴾ (خ) عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم فدعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر احدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت صوتا أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف وفى رواية قدر ما تغرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس

(بواد) هو وادى مكة (غير ذى زرع) لا يكون فيه شئ من زرع قط (عند بيتك المحرم) هو بيت الله سمى به لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه أو لانه لم يزل ممنعا يهابه كل جبار أو لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها أو لانه حرم على الطوفان أى منع منه كما سمى عتيقا لانه أعتق منه

(بواد) فى واد (غير ذى زرع) ليس به زرع ولا نبات (عند بيتك المحرم) يعنى مكة

جراءته وبغير... ﴿ رب انهن اضللن كثيرا من الناس ﴾ فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا ﴿ فمن تبعنى ﴾ على دينى ﴿ فانه منى ﴾ أى بعضى لاينفك عنى فى امر الدين ﴿ ومن عصانى فانك غفور رحيم ﴾ تقدر ان تغفرله وترحمه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ﴿ ربنا انى اسكنت من ذريتى ﴾ أى بعض ذريتى أو ذرية من ذريتى فحذف المفعول

---

*وأما الجواب عن الوجه الثانى فمن وجوه أيضا الوجه الاول أن دعاء ابراهيم عليه السلام لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثانى ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم أن الله سبحانه وتعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا أنه دعا بهذا الدعاء هضما للنفس واظهار العجز والحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى و... أن أحدا لايقدر على نفع نفسه بشئ لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء وأما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول ان ابراهيم دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد أحد منهم صنما قط الوجه الثانى انه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولاشك أن ابراهيم عليه السلام قد أجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدى دعا لمن أذن الله أن يدعوله فكأنه قال وبنى الذين أذنت لى فى الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من بنيه من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا مختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه أنه قال فى آخر الآية فمن تبعنى فانه منى وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه *وقوله تعالى ﴿ رب انهن ﴾ يعنى الاصنام ﴿ أضللن كثيرا من الناس ﴾ وهذا مجاز لان الاصنام جمادات وحجارة لاتعقل شيأ حتى تضل من عبدها الا أنه لما حصل الاضلال بعبادتها أضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم أى افتتنوا بها واغتروا بسببها ﴿ فمن تبعنى فانه منى ﴾ يعنى فمن تبعنى على دينى واعتقادى فانه منى يعنى المتدينين بدينى المتمسكين بحبلى كما قال الشاعر

اذا حاولت فى أسد فجورا ۞ فانى لست منك ولست منى

أراد ولست من المتمسكين بحبلى وقيل معناه فانه منى حكمه حكمى جار مجراى فى القرب والاختصاص ﴿ ومن عصانى ﴾ يعنى فى غير الدين ﴿ فانك غفور رحيم ﴾ قال السدى ومن عصانى ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصانى فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الانبارى هذا فقال ومن عصانى فخالفنى فى بعض الشرائع وعقائد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت أن تغفرله غفرت اذا كان مسلما وذكر وجهين آخرين أحدهما ان هذا كان قبل أن يعلمه الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابويه وهو يقول ان ذلك غير محظور فلما عرف أنهما غير مغفور لهما تبرأ منهما والوجه الآخر ومن عصانى باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعنى انك قادر على أن تغفرله وترحمه بان تنقله من الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب *قوله عز وجل خبرا عن ابراهيم ﴿ ربنا انى أسكنت من ذرتى

(رب انهن أضللن كثيرا من الناس) جعلن مضلات على طريق التسبب لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم (فمن تبعنى) على ملتى وكان حنيفا مسلما مثلى (فانه منى) أى هو بعضى لفرط اختصاصه بى (ومن عصانى) فيما دون الشرك (فانك غفور رحيم) أو ومن عصانى عصيان شرك فانك غفور رحيم ان تاب وآمن (ربنا انى أسكنت من ذريتى) بعض أولادى وهو اسمعيل ومن ولد منه

(رب) يارب (انهن أضللن كثيرا من الناس) أى أضل بهن كثير من الناس ويقال ضل بهن كثير من الناس (فمن تبعنى) تبع دينى وأطاعنى (فانه منى) على دينى (ومن عصانى) فخالف دينى (فانك غفور) متجاوز لمن تاب منهم أى تتوب عليهم (رحيم) لمن مات على التوبة (ربنا) يا ربنا (انى أسكنت) أنزلت (من ذريتى) اسماعيل وأمه هاجر

﴿ واذقال ابراهيم رب اجعل هذا البلد﴾ بلدة مكة ﴿ آمنا ﴾ ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤل فى الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى الثانى جعله من البلاد الآمنة ﴿ واجنبنى وبنى ﴾ بعدنى واياهم ﴿ ان نعبد الاصنام ﴾ واجعلنا منها فى جانب وقرئ واجنبنى وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث مانصبنا

عليه فيضع الشكر فى غير موضعه كفار جحود لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذقال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا ﴾ يعنى ذا أمن يؤمن فيه واراد بالبلد مكة * فان قلت أى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا * قلت الفرق بينهما انه سأل فى الاول ان يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها فيها ولا يخافون وسأل فى الثانى أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا ﴿ واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام ﴾ يعنى أبعدنى وبنى ان نعبد الاصنام * فان قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهى من وجوه * الاول ان ابراهيم دعا ربه أن يجعل مكة آمنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أغاروا عليها وأخافوا أهلها * الوجه الثانى أن الانبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فما الفائدة فى قوله اجنبنى عن عبادتها * الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل ربه أيضا أن يجنب بنيه عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب الى ابراهيم عليه السلام * قلت الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين * أحدهما أن ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد فى الصحيح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة أخرجاه فى الصحيحين وأجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلد آمنا يعنى الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذى السويقتين فلا تعارض بين النصين * الوجه الثانى أن يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الامن فى بلدهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم واهل مكة آمنون من ذلك حتى ان من التجأ الى مكة أمن على نفسه وماله من ذلك وحتى أن الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم أمنت واستأنست لعلمها انه لا يهيجها أحد فى الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها

(واذقال ابراهيم) واذكر اذقال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد) أى بلد الحرام (آمنا) ذا أمن والفرق بين هذه وبين ما فى البقرة انه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التى يأمن أهلها وفى الثانى أن يخرجه من صفة الخوف الى الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبنى) وبعدنى أى ثبتنى وأدمنى على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك أى ثبتنا على الاسلام (وبنى) أراد بنيه من صلبه (ان نعبد الاصنام) من أن نعبد الاصنام

(واذ قال) وقد قال (ابراهيم) بعد ما بنى البيت (رب) يارب (اجعل هذا البلد) مكة (آمنا) من ان يهاج فيه ويأمن فيه الخائف (واجنبنى) احفظنى (وبنى أن نعبد الاصنام) من عبادة الاصنام والنيران ويقال اعصمنى

وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) دائمين وهو حال من الشمس والقمر أي يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما مايصلحان من الارض والابدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان [illegible] وسبـ[illegible]كم (وآتاكم من كل ما سألتموه) من للتبعيض أي آتاكم بعض جميع ما سألتموه أو وآتاكم من كل شيء سألتموه ومالم تسألوه فما موصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لان الباقي يدل على المحذوف كقوله سرابيل تقيكم الحر من كل عن أبي عمرو وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائلية أو ما موصولة أي وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكانكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال (وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها) لاتطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجمال وأما التفصيل فلا يعلمه الا الله (ان الانسان لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها أو ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه

(وسخر لكم) ذلل لكم (الشمس والقمر دائبين) دائمين الى يوم القيامة (وسخر) ذلل (لكم الليل والنهار) يجيء ويذهب (وآتاكم) أعطاكم (من كل ما سألتموه) ومالم تحسنوا ان تسألوا (وان تعدوا نعمت { عليه } الله) منة الله (لاتحصوها) لاتحفظوها ولا تشكروها (ان الانسان) يعني الكافر (لظلوم) مشرك (كفار) كافر بالله وبنعمته

كيفية اتخاذها ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾ يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح مايصلحانه من المكونات ﴿ وسخر لكم الليل والنهار ﴾ يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم ﴿ وآتاكم من كل ماسألتموه ﴾ أي بعض جميع ماسألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيأ فان الموجود من كل صنف بعض مافي قدرة الله تعالى ولعل المراد بماسألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل أو لم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين أي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية في موقع الحال أي وآتاكم من كل شيء غير سائليه ﴿ وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها ﴾ لاتحصروها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ﴿ ان الانسان لظلوم ﴾ يظلم النعمة باغفال شكرها أو يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان ﴿ كفار ﴾ شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع

كان ماء البحر لاينتفع به في سقي الزرع والثمرات ولا في الشراب أيضا ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار وتفجير العيون لاجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾ الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة ودأب في السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما يعود الى مصالح العباد لايفتران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دؤبهما في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدأبان في طاعة الله أي في سيرهما وتأثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وتسخيره لهم ﴿ وسخر لكم الليل والنهار ﴾ يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيره لهم ﴿ وآتاكم من كل ماسألتموه ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التي أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات مالايأتي على بعضها العد والحصر والمعنى وآتاكم من كل ماسألتموه شيأ فحذف شيأ اكتفاء بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير يعني وآتاكم من كل شيء سألتموه ومالم تسألوه لان نعمه علينا أكثر من أن تحصى ﴿ وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها ﴾ يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر أحد على حصرها ولا عدها لكثرتها ﴿ ان الانسان ﴾ قال ابن عباس يريد أبا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر ﴿ لظلوم كفار ﴾ يعني ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من أنعم

سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به ﴿ من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ﴾ فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يفدى به نفسه ﴿ ولا خلال ﴾ ولا مخالة فيشفع لك خليلك أو من قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى * وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العام ﴿ الله الذى خلق السموات والارض ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ﴾ تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة أو المصدر لان اخرج فى معنى رزق ﴿ وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ﴾ بمشيئته الى حيث توجهتم ﴿ وسخر لكم الانهار ﴾ فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم

وقيل أراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة ﴿ من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ﴾ قال أبو عبيدة البيع هنا الفداء يعنى لا فداء فى ذلك اليوم ﴿ ولا خلال ﴾ يعنى ولا خلة وهو المودة والصداقة التى تكون مخالة بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالة ولا قرابة انما هى الاعمال اما ان يثاب بها أو يعاقب عليها * فان قلت كيف نفى الخلة فى هذه الآية وفى الآية التى فى سورة البقرة وأثبتها فى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قلت الآية الدالة على نفى الخلة محمولة على نفى الخلة الحاصلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله ألا ترى أنه أثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامة أحوالا مختلفة ففى بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفى بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخالة لله فى محبته * قوله عز وجل ﴿ الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ﴾ اعلم انه تقدم تفسير هذه الآية فى مواضع كثيرة ونذكر ههنا بعض فوائد هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر والذى لا يعجزه شئ أراده فقوله تعالى الله الذى خلق السموات وارض انما بدأ بذكر خلق السموات والارض لانهما أعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأنزل من السماء ماء يعنى من السحاب سمى السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به أى بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمر اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضا بدليل قوله كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أى أخرج به رزقا هو الثمرات ﴿ وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها فى جلب ذلك الرزق الذى هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد آخر فهى من تمام نعمة الله على عباده ﴿ وسخر لكم الانهار ﴾ يعنى ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ولما

(من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال) أى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة والخلال المخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله بفتحهما مكى وبصرى والباقون بالرفع والتنوين (الله) مبتدأ (الذى خلق السموات والارض) خبره (وأنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) من الثمرات بيان للرزق أى أخرج به رزقا هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار

وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (من قبل أن يأتى يوم) وهو يوم القيامة (لا بيع فيه) لافداء فيه (ولا خلال) لا خلة للكافر والصالح تنفعه خلته ثم وحد نفسه فقال (الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء) مطرا (فاخرج به) فانبت بالمطر (من الثمرات) من ألوان الثمرات (رزقا لكم) طعاما لكم ولسائر الخلق و(سخر) ذلل (لكم الفلك) يعنى السفن (لتجرى) الفلك (فى البحر بأمره) باذنه وارادته و(سخر) ذلل (لكم الانهار) تجرى حيث تشاؤن

(جهنم) عطف بيان (يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) وبئس المقر جهنم (وجعلوا لله أندادا) أمثالا في العبادة أو في التسمية (ليضلوا عن سبيله) وبفتح الياء مكي وأبو عمرو (قل تمتعوا) في الدنيا والمراد به الخذلان والتخلية وقال ذو النون التمتع ان يقضي العبد ما استطاع من شهوته (فان مصيركم الى النار) مرجعكم اليها (قل لعبادي الذين آمنوا) خصهم بالاضافة اليه تشريفا وبسكون الياء شامي وحمزة وعلي والاعشى (يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم) المقول محذوف لان قل تقتضي مقولا وهو أقيموا وتقديره قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا وقيل انه أمر وهو المقول والتقدير ليقيموا ولينفقوا فحذف اللام لدلالة قل عليه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز (سرا وعلانية) انتصابا على الحال أي ذوي سر وعلانية يعني مسرين ومعلنين أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية أو على المصدر أي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء التطوع واعلان الواجب

﴿جهنم﴾ عطف بيان لها ﴿يصلونها﴾ حال منها أو من القوم أي داخلين فيها مقاسين لحرها أو مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم ﴿وبئس القرار﴾ أي وبئس المقر جهنم ﴿وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله﴾ الذي هو التوحيد ٭ وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد ولكن لما كان نتيجته جعل كالغرض ﴿قل تمتعوا﴾ بشهواتكم أو بعبادة الاوثان فانهما من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لامحالة ولذلك علله بقوله ﴿فان مصيركم الى النار﴾ وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع ﴿قل لعبادي الذين آمنوا﴾ خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه أي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا ﴿يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم﴾ فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله

محمد تفد نفسك كل نفس ٭ اذا ما خفت من امر تبالا

لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا قائمين مقامهما وهو ضعيف لانه لابد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا ﴿سرا وعلانية﴾ منتصبان على المصدر أي انفاق سر وعلانية أو على الحال أي ذوي سر وعلانية أو على الظرف أي وقتي

وغيروا النعمة الله عليهم وقيل يجوز أن يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لانهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة أتوا بالكفر فكأنهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر وأحلوا قومهم يعني من تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني دار الهلاك ثم فسرها بقوله تعالى ﴿جهنم يصلونها وبئس القرار﴾ يعني المستقر ﴿وجعلوا لله أندادا﴾ يعني أمثالا وأشباها من الاصنام وليس لله تعالى ند ولا شبيه ولا مثيل تعالى الله عن الند والشبيه والمثيل علوا كبيرا ﴿ليضلوا عن سبيله﴾ يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق ﴿قل تمتعوا﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار تمتعوا في الدنيا أياما قلائل ﴿فان مصيركم الى النار﴾ يعني في الآخرة ٭ قوله تعالى ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة﴾ يعني أقيموا أو ليقيموا الصلاة الواجبة واقامتها تمام أركانها ﴿وينفقوا مما رزقناهم﴾ قيل أراد بهذا الانفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل أراد به جميع الانفاق في جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم أولى ليدخل فيه اخراج الزكاة والانفاق في جميع وجوه البر ﴿سرا وعلانية﴾ يعني ينفقون أموالهم في حال السر وحال العلانية

(جهنم يصلونها) يدخلونها يوم القيامة (وبئس القرار) المنزل والمصير جهنم (وجعلوا لله) قالوا ووصفوا لله (أندادا) أعدالا من الاوثان فعبدوها (ليضلوا) بذلك (عن سبيله) عن دينه وطاعته (قل) يا محمد لاهل مكة (تمتعوا) عيشوا في كفركم (فان مصيركم الى النار) يوم القيامة (قل) يا محمد (لعبادي الذين آمنوا) بي ﴿وقيل﴾ وبالكتب والرسل (يقيموا الصلوة) الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها في مواقيتها (وينفقوا) يتصدقوا (مما رزقناهم) مما أعطيناهم من الاموال (سرا) خفيا (وعلانية) جهرا

الثابت ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون فى مواقف الفتن ﴿ ويفعل الله مايشاء ﴾ من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه ﴿ ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا ﴾ أى شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه أو بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فتمتعوا الى حين ﴿ واحلوا قومهم ﴾ الذين شايعوهم فى الكفر ﴿ دار البوار ﴾ دار الهلاك بحملهم على الكفر

ابنه يقول ما يبكيك يا أبتاه أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فاقبل بوجهه وقال ان أفضل ما نعد شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فشنوا على التراب شنا ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى أخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما ثبتهم فى القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق فى الحياة الدنيا وحبهم لها فمن كانت مواظبته على شهادة الاخلاص أكثر كان رسوخها فى قلبه أعظم فينبغى للعبد المسلم ان يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله فى جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته فلعل الله عز وجل ان يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبيت فى القبر ويسهل عليه جواب الملكين بعافية خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله التثبيت فى القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شئ قدير ❊ وقوله تعالى ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ يعنى ان الله تعالى لا يهدى المشركين الى الجواب بالصواب فى القبر ﴿ ويفعل الله مايشاء ﴾ يعنى من التوفيق والخذلان والهداية والاضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه فى جميع أفعاله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ❊ قوله عز وجل ﴿ ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا ﴾ (خ) عن ابن عباس فى قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفى رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرو هم قريش ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ واحلوا قومهم دار البوار ﴾ قال النار يوم بدر وعن على رضى الله عنه قال هم كفار قريش فجروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فقد كفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فقد متعوا الى حين فقوله بدلوا نعمت الله كفرا معناه ان الله تعالى لما أنعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسله اليهم وأنزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان اختاروا الكفر على الايمان

مواقف الفتن وتذل أقدامهم أول شئ وهم فى الآخرة أضل وأزل (ويفعل الله ما يشاء) فلا اعتراض عليه فى تثبيت المؤمنين واضلال الظالمين (ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله) أى شكر نعمة الله (كفرا) لان شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا وهم أهل مكة أكرمهم بمحمد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر (وأحلوا قومهم) الذين تابعوهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك

(ويضل الله) يصرف الله (الظالمين) المشركين عن قول لا اله الا الله فى الدنيا لكى لا يقولوا بطيبة النفس ولا فى القبر ولا اذا أخرجوا من القبور وهم أهل الشقاوة (ويفعل الله ما يشاء) من الاضلال والتثبت ويقال من صرف منكر ونكير (ألم تر) ألم تخبر يا محمد (الى الذين) عن الذين (بدلوا نعمت الله) غيروا منة الله بالكتاب والرسل (كفرا) بالكفر أى كفروا بمحمد عليه السلام والقرآن وهم بنو أمية وبنو المغيرة المطعمون يوم بدر (وأحلوا قومهم) انزلوا أهل مكة (دار البوار) دار الهلاك يعنى دار بدر ويقال جهنم ثم قال

ربك ومادينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فينادى منـاد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول

* وأخرجه النسائى أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت أوقال اذا قبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت أقول هو عبدالله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسـوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سـبعون ذراعا ثم ينورله فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع الى أهلى فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لا أدرى فيقولان قـد كنا نعلم انك كنت تقول ذلك فيقال للارض التئمى عليـه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذى * عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتهت الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كانما على رؤسنا الطـير وبيده عود ينكت به فى الارض فرفع رأسـه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين أوثلاثا زاد فى رواية وقال ان الميت ليسمع خفـق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له ياهذا من ربك ومادينك ومن نبيك وفى رواية يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول الله ربى فيقولان له ومادينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ماهذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان ومايدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد فى رواية فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيـا وفى الآخرة ثم لقناه قال فينادى مناد من السمـاء ان صدق عبدى فافرشـوا له من الجنـة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيـه من ريحهـا وطيبها ويفسح له فى قبره مدبصره وان كان الكافر فذكر موته قال فتعـاد روحه فى جسـده ويأتيه ملكان فيجلسـانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان مادينك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان ماهذا الرجل الذى بعث فيـكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السمـاء ان قد كذب عبـدى فافرشوا له من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه زاد فى رواية ثم يقيض له أعمى أبكم أصم معه مرزبة من حديد لوضرب بها جبلا لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح * أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل أخرجه أبو داود * عن عبدالرحمن بن شمامة المهرى قال حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه الى الجدار وجعل

ملكان فيجلسانه فى قـبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسـلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء أن صدق عبـدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ثم يقول الملكان عشت سعيدا ومت حميدا نم نومة العروس

يعنى فى القبر اذا سـئل عنها

بالقول الثابت ﴾ الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ فلا يزالون اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود ﴿ وفى الآخرة ﴾ فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولا يدهشهم اهوال يوم القيامة وروى انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من

بالقول الثابت ﴾ لما وصف الله الكلمة الطيبة فى الآية المتقدمة أخبر فى هذه الآية انه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هى الكلمة الطيبة وهى شهادة أن لا اله الا الله فى قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة فى الآية المتقدمة بكلمة الشرك قال فى هذه الآية ويضل الله الظالمين يعنى بالكلمة الخبيثة وهى كلمة الشرك فى قول جميع المفسرين * وقوله ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ يعنى فى القبر عند السؤال ﴿ وفى الآخرة ﴾ يعنى يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح * ويدل عليه ماروى عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل فى القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة قال نزلت فى عذاب القبر زاد فى رواية يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له فى قبره ثم رجع الى حديث أنس وأما المنافق وفى رواية واما الكافر فيقول لا أدرى كنت أقول مايقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لفظ البخارى ولمسلم بمعناه زاد فى رواية انه يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا الى يوم يبعثون * وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع فى قبره أتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت أعبد الله فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يسئل عن شئ بعدها فينطلق به الى بيت كان له فى النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فابدلك به بيتا فى الجنة فيراه فيقول دعونى حتى أذهب فابشر أهلى فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع فى قبره أتاه ملك فينهره فيقول ما كنت تعبد فيقول لا أدرى فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت أقول مايقول الناس فيه فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين

عليه (بالقول الثابت) هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله (فى الحيوة الدنيا) حتى اذا فتنوا فى دينهم لم يزالوا كاثبت الذين فتنهم أصحاب الاخدود وغير ذلك (وفى الآخرة) الجمهور على ان المراد به فى القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب فعن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه

بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويقال آمنوا يوم الميثاق بطيبة الانفس وهم أهل السعادة (بالقول الثابت) شهادة أن لا اله الا الله (فى الحيوة الدنيا) لكى لا يرجعوا عنها (وفى الآخرة)

وتكوينه (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني (ومثل كلمة خبيثة) هي كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هي كل شجرة لا يطيب ثمرها وفي الحديث انها شجرة الحنظل (اجتثت من فوق الارض) استؤصلت جثتها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها وهو في مقابلة أصلها ثابت (مالها من قرار) أي استقرار يقال قر الشئ قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت (يثبت الله الذين آمنوا) أي يديمهم

بارادة خالقها وتكوينه ﴿ ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة ﴾ كمثل شجرة ﴿ خبيثة اجتثت ﴾ استؤصلت واخذت جثتها بالكلية ﴿ من فوق الارض ﴾ لان عروقها قريبة منه ﴿ مالها من قرار ﴾ استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما مايعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق أو دعاء الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا مايعم ذلك ﴿ يثبت الله الذين آمنوا

يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخلة الذي هو عال في السماء *الوجه الثالث ان ثمر النخلة يأتي في كل حين ووقت وكذلك مايكسبه المؤمن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى السماء وجاءته بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها *الوجه الرابع ان النخلة شبيهة بالانسان في غالب الامر لانها خلقت من فضلة طينة آدم وانها اذا قطع رأسها تموت كالآدمي بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لا تحمل حتى تلقح بطلع الذكر *الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق لان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل ثابت وفرع قائم وكذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان *وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ يعني ان في ضرب الامثال زيادة في الافهام وتصويرا للمعاني وتذكيرا ومواعظ لمن تذكر واتعظ *قوله تعالى ﴿ ومثل كلمة خبيثة ﴾ وهو الشرك ﴿ كشجرة خبيثة ﴾ يعني الحنظل قاله أنس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه ايضا انها الثوم وعنه أيضا انها الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له أصل ثابت ولا يصعد الى السماء ﴿ اجتثت ﴾ يعني استؤصلت وقطعت ﴿ من فوق الارض مالها من قرار ﴾ يعني مالهذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس لها أصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا لاعتقاده أصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة *عن أنس قال أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال هي الحنظلة أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف أصح *قوله سبحانه وتعالى ﴿ يثبت الله الذين آمنوا

بارادة ربها فكذلك المؤمن المخلص يعمل كل حين طاعة وخيرا بأمر ربه (ويضرب الله الامثال) هكذا يبين الله الامثال صفة توحيده (للناس لعلهم يتذكرون) لكي يتعظوا ويرغبوا في توحيده في قول الله جل ذكره (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك بالله (كشجرة خبيثة) وهو المشرك يقول الشرك مذموم ليس له مدحة كما ان المشرك مذموم ليس له مدحة ويقال كشجرة خبيثة وهي الحنظلة ليس لها منفعة ولا حلاوة فكذلك الشرك ليس فيه منفعة ولا مدحة (اجتثت) اقتلعت (من فوق الارض مالها من قرار) من ثبات على وجه الارض كذلك المشرك ليس له حجة يأخذ بها كما ان ليس لشجرة الحنظلة أصل تثبت عليه ولا يقبل مع الشرك عمل (يثبت الله الذين آمنوا) ﴿ بالقول ﴾

أصلها ثابت) أى فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها)وأعلاها ورأسها (فى السماء) والكلمة الطيبة كلمة توحيد أصلها تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان وأكلها عمل الاركان وكما ان الشجرة شجرة وان لم تكن حاملا فالمؤمن مؤمن وان لم يكن عاملا ولكن الاشجار الا للثمار فما أقوات النار الا من الاشجار اذا اعتادت الاخفار فى عهد الاثمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على انها النخلة فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبرونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادى وكنت صبيا فوقع فى قلبى انها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انها النخلة فقال عمر يا بنى لو كنت قلتها لكانت أحب الى من حمر النعم (تؤتى أكلها كل حين) تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها (باذن ربها) بتيسير خالقها

﴿ اصلها ثابت ﴾ فى الارض ضارب بعروقه فيها ﴿ وفرعها ﴾ واعلاها ﴿ فى السماء ﴾ ويجوز ان يريد وفروعها أى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة * وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ ﴿ تؤتى اكلها ﴾ تعطى ثمرها ﴿ كل حين ﴾ وقته الله تعالى لاثمارها ﴿ باذن ربها ﴾

مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرونى عن شجرة شبه الرجل أو قال الرجل المسلم لا يتحات ورقها تؤتى أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع فى نفسى انها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى النخلة قال فلما قمنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع فى نفسى انها النخلة فقال ما منعك ان تتكلم فقلت لم أركم تتكلمون فكرهت ان أتكلم أو أقول شيأ فقال عمر لان تكون قلتها أحب الى من كذا وكذا * وفى رواية ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادى قال عبدالله بن عمر ووقع فى نفسى انها النخلة فاستحييت ان أتكلم ثم قالوا حدثنا ماهى يارسول الله قال هى النخلة * وفى رواية عن ابن عباس انها شجرة فى الجنة * وفى رواية أخرى عنه انها المؤمن * وقوله ﴿ أصلها ثابت ﴾ يعنى فى الارض ﴿ وفرعها ﴾ يعنى أعلاها ﴿ فى السماء ﴾ يعنى ذاهبة فى السماء ﴿ تؤتى أكلها ﴾ يعنى ثمرها ﴿ كل حين باذن ربها ﴾ يعنى بامر ربها والحين فى اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا فى مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لان النخلة تثمر فى كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة أشهر يعنى من وقت طلعها الى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عباس أيضا وقال على بن أبى طالب ثمانية أشهر يعنى ان مدة حملها باطنا وظاهرا ثمانية أشهر وقيل اربعة اشهر من حين ظهور حملها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعنى من وقت أن يؤكل منها الى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعنى غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل أبدا ليلا ونهارا وصيفا وشتاء فيؤكل منها الجمار والطلع والبلح والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين الطرى الرطب فاكلها دائم فى كل وقت * قال العلماء ووجه الحكمة فى تمثيل هذه الكلمة التى هى كلمة الاخلاص وأصل الايمان بالنخلة حاصل من أوجه * أحدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت فى قلب المؤمن كثبوت أصل النخلة فى الارض * الوجه الثانى ان هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن الى السماء كما قال تعالى اليه

(أصلها ثابت) يقول قلب المؤمن المخلص ثابت بلا اله الا الله (وفرعها فى السماء) يقول بها يقبل عمل المؤمن المخلص (تؤتى أكلها كل حين) يقول يعمل المؤمن المخلص كل حين طاعة الله خيرا (باذن ربها) يقول بامر ربها ويقال صفة كلمة طيبة فى النفع والمدحة كشجرة طيبة وهى النخلة شجرة طيبة ثمرها كذلك المؤمن أصلها ثابت يقول أصل الشجرة ثابت فى الارض بعروقها فكذلك المؤمن ثابت بالحجة والبرهان وفرعها فى السماء يقول أغصان النخلة ترفع نحو السماء وكذلك عمل المؤمن المخلص يرفع الى السماء تؤتى أكلها كل حين يقول تخرج ثمرها كل ستة أشهر باذن ربها

كلام من الله تعالى وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم ﴿ وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم ﴾ باذن الله تعالى وامره والمدخلون هم الملائكة ﴿ وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله ﴿ تحيتهم فيها سلام ﴾ أى تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا ﴾ كيف اعتمله ووضعه ﴿ كلمة طيبة كشجرة طيبة ﴾ أى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها أو خبر مبتدأ محذوف أى هى كشجرة وان تكون اول مفعولى ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء

صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فيأتونى فيأذن الله لى ان أقوم فيثور من مجلسى أطيب ريح شمها أحد حتى آتى ربى فيشفعنى ويجعل لى نورا من شعر رأسى الى ظهر قدمى ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ماهو غير ابليس هو الذى أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمها أحد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الآية ﴿ وقوله تعالى ﴿ وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ لما شرح الله عز وجل حال الكفار والاشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعدلهم فى الآخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخالصة اليها الاشارة بقوله وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار وكونها دائمة أشير اليه بقوله ﴿ خالدين فيها ﴾ والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله ﴿ باذن ربهم ﴾ لان تلك المنافع انما كانت تفضلا من الله بانعامه الثانى قوله ﴿ تحيتهم فيها سلام ﴾ فيحتمل ان بعضهم يحيي بعضا بهذه الكلمة أو الملائكة تحييهم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحييهم بها ويحتمل أن يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لان السلام مشتق من السلامة ﴿ قوله عز وجل ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا ﴾ لما شرح الله عز وجل أحوال الاشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم ترأى بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلامى اياك فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويحتمل ان يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم تر أيها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعنى بين شبها والمثل عبارة عن قول فى شئ يشبه قولا فى شئ آخر بينهما مشابهة ليتبين أحدهما من الآخر ويتصور وقيل هو قول سائر لتشبيه شئ بشئ آخر ﴿ كلمة طيبة ﴾ هى قول لا اله الا الله فى قول ابن عباس وجمهور المفسرين ﴿ كشجرة طيبة ﴾ يعنى كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هى النخلة وبه قال ابن

للسامعين (وادخل الذين أمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) عطف على برزوا (باذن ربهم) متعلق بادخل أى ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وأمره (تحيتهم فيها سلام) هو تسليم بعضهم على بعض فى الجنة أو تسليم الملائكة عليهم (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) أى وصفه وبينه (كلمة طيبة) نصب بمضمر أى جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا نحو شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس أو انتصب مثلا وكلمة بضرب أى ضرب كلمة طيبة مثلا يعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف أى هى كشجرة طيبة

وجميع يخلص وجعه الى قلوبهم (وأدخل الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فيها (باذن ربهم) بامر ربهم (تحيتهم) كرامتهم (فيها) فى الجنة (سلام) يسلم بعضهم على بعض اذا تلاقوا (ألم تر) ألم تخبر يا محمد (كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة) يقول كيف بين الله صفة كلمة طيبة وهى لا اله الا الله (كشجرة طيبة) وهى المؤمن

سلطان (فاستجبتم لى) فاسرعتم اجابتى (فلا تلومونى) لان من تجرد للعداوة لا يلام اذا دعا الى أمر قبيح مع ان الرحمن قد قال كم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة (ولوموا أنفسكم) حيث اتبعتمونى بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا ليل على ان الانسان هو الذى يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين طل لقوله لو هدانا الله أى الى الايمان لهديناكم كما مر (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى) لا ينجى بعضنا بعضا من ذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة بمصرخى حمزة اتباعا للخاء غيره بفتح الياء لئلا تجتمع الكسرة والياآن بعد كسرتين وهو تسع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم (انى كفرت بما أشركتمون) وبالياء بصرى وما مصدرية (من قبل) متعلق باشركتمونى أى كفرت اليوم باشراككم اياى مع الله من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أو من قبل متعلق بكفرت وما موصولة أى كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذى أشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول أشركنى فلان أى جعلنى له شريكا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله (ان الظالمين لهم عذاب أليم) قول الله عز وجل (قا و خا ٦٦ لث) وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله فى ذلك الوقت ليكون لطفا

على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع

ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا ﴿ فاستجبتم لى ﴾ اسرعتم اجابتى ﴿ فلا تلومونى ﴾ بوسوستى فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ﴿ ولوموا أنفسكم ﴾ حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما فى فعله وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا ﴿ ما انا بمصرخكم ﴾ بمغيثكم من العذاب ﴿ وما انتم بمصرخى ﴾ بمغيثى وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحرى ان لا تكسر وقبلها ياء أو على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة ﴿ انى كفرت بما اشركتمونى من قبل ﴾ ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتمونى أى كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم أو موصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت أى كفرت بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ﴿ ان الظالمين لهم عذاب اليم ﴾ تتمة كلام أو ابتداء

﴿ فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ﴾ يعنى ما كان منى الا الدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا الى ولا تسمعوا قولى فلما رجحتم قولى على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم أولى باجابتى ومتابعتى من غير حجة ولا دليل ﴿ ما أنا بمصرخكم ﴾ يعنى بمغيثكم ولا منقذكم ﴿ وما أنتم بمصرخى ﴾ يعنى بمغيثى ولا منقذى مما أنا فيه ﴿ انى كفرت بما اشركتمون من قبل ﴾ يعنى كفرت بجعلكم اياى شريكا له فى عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس جحد ما يعتقده الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرأ من ذلك ﴿ ان الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ روى البغوى بسنده عن عقبة بن عامر عن النبى

(فاستجبتم لى) طاعتى (فلا تلومونى) فى دعوتى لكم (ولوموا أنفسكم) باجابتكم بى (ما أنا بمصرخكم) بمغيثكم ومنجيكم من النار (وما أنتم بمصرخى) بمغيثى ومنجى من النار (انى كفرت بما أشركتمونى) بالذى أشركتمونى به (من قبل) ان أشركتمونى به ويقال انى كفرت اليوم بما أشركتمونى يقول تبرأت منكم ومن دينكم واجابتكم من قبل هذا من قبل فى الدنيا (ان الظالمين) الكافرين (لهم عذاب أليم)

الصبر ثم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا واتصاله بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء

أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كا

نوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع ولا فائدة في الصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا (وقال الشيطان لما قضى الامر) حكم بالجنة والنار لاهليهما وفرغ من الحساب ودخل اهل الجنة الجنة وأهل النار النار وروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول لاهل النار (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) بان لا بعث ولا حساب ولا جزاء (فأخلفتكم) [illegible] (وما كان لي عليكم من سلطان) من تسلط واقتدار (الا أن دعوتكم) لكني دعوتكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني والاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس

[illegible]

[illegible] (ان الله وعدكم وعد الحق) (فتجيبهم [illegible] ان الجنة والنار والبعث والحساب والميزان والصراط حق (ووعدتكم) ان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ولا ميزان ولا صراط (فأخلفتكم) كذبت لكم (وما كان لي عليكم من سلطان) من حجة وعذر ومقدرة (الا ان دعوتكم) الى طاعتي

﴿ مالنا من محيص ﴾ منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا ﴿ وقال الشيطان لما قضى الامر ﴾ احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في اشقياء من الثقلين ﴿ ان الله وعدكم وعد الحق ﴾ وعدا من حقه ان ينجز أو وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ﴿ ووعدتكم ﴾ وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم ﴿ فأخلفتكم ﴾ جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان ﴾ تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي ﴿ الا ان دعوتكم ﴾ الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه

لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطع عنه ﴿ مالنا من محيص ﴾ يعني من مهرب ولا منجا مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظي بلغني ان أهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال الله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم وقالوا ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة وقالوا ادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سألوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ماكثون فلما يئسوا مما عنده قال بعضهم لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر أهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا وطال صبرهم فلم ينفعهم وجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ✲ قوله تعالى ﴿ وقال الشيطان ﴾ يعني ابليس ﴿ لما قضى الامر ﴾ يعني لما فرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يأخذ أهل النار في لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيها خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر في النار فيجتمع عليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله عنه بقوله ﴿ ان الله وعدكم وعد الحق ﴾ فيه اضمار تقديره فصدق في وعده ﴿ ووعدتكم فأخلفتكم ﴾ يعني الوعد وقيل يقول لهم اني قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان ﴾ يعني من ولاية وقهر وقيل لم آتكم بحجة فيما وعدتكم به ﴿ الا ان دعوتكم ﴾ هذا استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم

دل لصدقه كأنه قد كان ووجد نحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار وغير ذلك ومعنى بروزهم لله والله تعالى
يتوارى عنه شئ حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا
يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا ان الله لا تخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه
(فقال الضعفواء) فى الرأى وهم السفلة والاتباع وكتب الضعفاء بواو وقبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها
الى الواو (للذين استكبروا) وهم السادة والرؤساء الذين استغووهم وصدوهم
عن الاستماع الى الانبياء وأتباعهم (انا كنا لكم تبعا) تابعين جمع تابع على تبع كخادم وخدم وغائب وغيب أو ذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ) فهل تقدرون على دفع شئ مما نحن فيه ومن الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل فهل أنتم مغنون عنا بعض الشئ الذى هو عذاب الله أو هما للتبعيض أى فهل أنتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله ولما كان قول الضعفاء توبيخا لهم وعتابا على استغوائهم لانهم علموا أنهم لا يقدرون على الاغناء عنهم (قالوا) لهم مجيبين معتذرين (لو هدانا الله لهديناكم) أى لو هدانا الله الى الايمان فى الدنيا لهديناكم اليه أى لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أى لاغنينا عنكم وسلكنا بكم
طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية روى
انهم يقولون فى النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم

أى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله تعالى ومحاسبته أو لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه ﴿ فقال الضعفواء ﴾ الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ﴿ للذين استكبروا ﴾ لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم ﴿ انا كنا لكم تبعا ﴾ فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب أو مصدر نعت به للمبالغة أو على اضمار مضاف ﴿ فهل انتم مغنون عنا ﴾ دافعون عنا ﴿ من عذاب الله من شئ ﴾ من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول أى بعض الشئ الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز ان تكونا للتبعيض أى بعض شئ هو بعض عذاب الله تعالى والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا أى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء ﴿ قالوا ﴾ أى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم ﴿ لو هدانا الله ﴾ للايمان ووفقنا له ﴿ لهديناكم ﴾ ولكن ضللنا فاضللناكم أى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضنا كم له لكن سدد دوننا طريق الخلاص ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ﴾ مستويان علينا الجزع والصبر

يعنى وخرجوا من قبورهم الى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم والبراز الفضاء وبرز حصل فى البراز وذلك ان يظهر بذاته كلها والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا الى الفضاء وأورد بلفظ الماضى وان كان معناه الاستقبال لان كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كأنه قد حصل ودخل فى الوجود ﴿ فقال الضعفواء ﴾ يعنى الاتباع ﴿ للذين استكبروا ﴾ وهم القادة والرؤساء ﴿ انا كنا لكم تبعا ﴾ يعنى فى الدين والاعتقاد ﴿ فهل انتم ﴾ يعنى فى هذا اليوم ﴿ مغنون عنا ﴾ يعنى دافعون عنا ﴿ من عذاب الله من شئ ﴾ من هنا للتبعيض والمعنى هل تقدرون على ان تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذى حل بنا ﴿ قالوا ﴾ يعنى الرؤساء والقادة والمتبوعون للتابعين ﴿ لو هدانا الله لهديناكم ﴾ يعنى لو أرشدنا الله لارشدناكم ودعوناكم الى الهدى ولكن لما أضلنا دعوناكم الى الضلالة ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ﴾ يعنى مستويان علينا الجزع والصبر والجزع ابلغ من الحزن

القادة والسفلة (فقال الضعفواء) السفلة (للذين استكبروا) عن الايمان وهم القادة (انا كنا لكم تبعا) مطيعا فيما أمرتمونا
(فهل أنتم مغنون) حاملون (عنا من عذاب الله من شئ) شيأ من عذاب الله (قالوا) يعنى القادة (لو هدانا الله) لدينه (لهديناكم)
لدعوناكم الى دينه (سواء علينا) العذاب (أجزعنا) أصحنا وتضرعنا (أم صبرنا) سكتنا

العاصف (لايقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شئ) أى لا يرونله اثرا من ثواب كما لايقدر من الرماد المطير فى الريح على شئ (ذلك هو الضلال البعيد) اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الصواب (ألم تر) ألم تر الخطاب لكل أحد (أن الله خلق السموات والارض) خالق حمزة وعلى (بالحق) بالحكمة والامر العظيم ولم يخلقها عبثا (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أى هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما بانه قادر على اعدام الموجود وايجاد المعدوم (وماذلك على الله بعزيز) بمتعذر (وبرزوا لله جميعا) ويبرزون يوم القيامة وانما جىء به بلفظ الماضى لان ما أخبر به عز جديد) بخلق خلقا آخر خيرا منكم وأطوع لله (وماذلك على الله بعزيز) بشديد يقول ليس على الله بشديد ﴿ يعنى ﴾ أن يهلككم ويخلق خلقا آخر (وبرزوا لله) خرجوا من القبور بامر الله (جميعا)

للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة ﴿لايقدرون﴾ يوم القيامة ﴿مما كسبوا﴾ من اعمالهم ﴿على شئ﴾ لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ﴿ذلك﴾ اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون ﴿هو الضلال البعيد﴾ فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق ﴿ألم تر﴾ خطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ﴿ان الله خلق السموات والارض بالحق﴾ بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات ﴿ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال ﴿وماذلك على الله بعزيز﴾ بمتعذر أو متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء ﴿وبرزوا لله جميعا﴾

ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق أجزاءه بحيث لا يبقى منها شئ وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شئ ثم اختلفوا فى هذه الاعمال ماهى فقيل هى ما عملوه من أعمال الخير فى حال الكفر كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير وقرى الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت أعمال بر لكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره أحبطها وأبطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام التى ظنوا أنها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسرانهم أنهم أتعبوا أبدانهم فى الدهر الطويل لكى ينتفعوا بها فصارت وبالا عليهم وقيل أراد بالاعمال الاعمال التى عملوها فى الدنيا وأشركوا فيها غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذى ذرته الرياح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى ﴿لايقدرون مما كسبوا﴾ يعنى فى الدنيا ﴿على شئ﴾ يعنى من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون ثواب أعمالهم فى الآخرة ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ يعنى ذلك الخسران الكبير لان أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد هنا الذى لا يرجى عوده ﴿ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق﴾ يعنى لم يخلقهما باطلا ولا عبثا وانما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح ﴿ان يشأ يذهبكم﴾ يعنى أيها الناس ﴿ويأت بخلق جديد﴾ يعنى سواكم أطوع لله منكم والمعنى ان الذى قدر على خلق السموات والارض قادر على افناء قوم واماتتهم وايجاد خلق آخر سواهم لان القادر لا يصعب عليه شئ قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد يميتكم يامعشر الكفار ويخلق قوما غيركم خيرا منكم وأطوع ﴿وماذلك على الله بعزيز﴾ يعنى بممتنع لان الاشياء كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت * قوله عز وجل ﴿وبرزوا لله جميعا﴾

(لايقدرون مما كسبوا على شئ) يقول لا يجدون ثواب شئ مما عملوا من الخير فى الكفر كما لا يوجد من الرماد شئ اذا ذرته الريح (ذلك) الكفر والعمل لغير الله (هو الضلال البعيد) الخطأ البعيد عن الحق والهدى (ألم تر) ألم تخبر يا محمد [illegible] نبيه واراد به قومه (ان الله خلق [illegible] والارض بالحق) لبيان الحق والباطل ويقال للزوال والفناء (ان يشأ يذهبكم) يهلككم أو يميتكم يا أهل مكة (ويأت بخلق

الثمراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ﴿ ويأتيه الموت من كل مكان ﴾ أى اسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله ﴿ وماهو بميت ﴾ فيستريح ﴿ ومن ورائه ﴾ ومن بين يديه ﴿ عذاب غليظ ﴾ أى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنيهم التى ارسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم واوعدلهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار ﴿ مثل الذين كفروا بربهم ﴾ مبتدأ خبره محذوف أى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة أو قوله ﴿ اعمالهم كرماد ﴾ وهى على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد ﴿ اشتدت به الريح ﴾ حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح ﴿ فى يوم عاصف ﴾ العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه أو اعمالهم

﴿ ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ﴾ يعنى ان الكافر يجد ألم الموت وشدته من كل مكان من أعضائه وقال ابراهيم التيمى حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وماهو بميت فيستريح وقال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة ﴿ ومن ورائه ﴾ يعنى أمامه ﴿ عذاب غليظ ﴾ أى شديد قيل هو الخلود فى النار * قوله تعالى ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ﴾ هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص أو فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التى فيها غرابة وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد وقال المفسرون والفراء مثل أعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف اعتمادا على ماذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد كقولك فى صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو مايسقط من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعنى فنسفته وطيرته ولم تبق منه شيأ فى يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحار وليلة ماطرة لان البرد والحر والمطر توجد فيهما وقيل معناه فى يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاعمال الكفار التى لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو

[...]ذب من رؤيتها فكيف براها (ويأتيه الموت من كل مكان) أى أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا [...]ع لما يصيبه من الآلام أى لو كان ثمة موت لكان كل واحد منها مهلكا (وماهو بميت) لانه لو مات لاستراح (من ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أى فى كل وقت يستقبله يلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها فى الاجساد (مثل الذين) مبتدأ محذوف الخبر أى فيما يتلى عليكم مثل الذين (كفروا بربهم) والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة وقوله (أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد (اشتدت به الريح) الرياح مدنى (فى يوم عاصف) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم ماطر واعمال الكفرة المكارم التى كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسرى وعقر الابل للاضياف وغير ذلك شبهها فى حبوطها لبنائها على غير أساس وهو الايمان بالله تعالى برماد طيرته الريح

(ويأتيه الموت) غم الموت (من كل مكان) من تحت كل شعرة ويقال تأخذه النار من كل مكان من كل ناحية (وماهو بميت) من ذلك العذاب (ومن ورائه) من بعد الصديد (عذاب غليظ) شديد أشد من الصديد (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم) يقول مثل أعمال الذين كفروا بربهم (كرماد اشتدت) ذرت (به الريح فى يوم عاصف) قاصف شديد من الريح

كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل * وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن ﴿ وخاب كل جبار عنيد ﴾ أى ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة أو من القبيلتين كان اوقع ﴿ من ورائه جهنم ﴾ أى من بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ماتوارى عنك ﴿ ويسقى من ماء ﴾ عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها مايلقى ويسقى من ماء ﴿ صديد ﴾ عطف بيان لماء وهو مايسيل من جلود اهل النار ﴿ يتجرعه ﴾ يتكلف جرعه وهو صفة لماء أو حال من الضمير فى يسقى ﴿ ولا يكاد يسيغه ﴾ ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز

أيسوا من ايمان قومهم استنصروا الله و دعوا على قومهم بالعذاب ﴿ وخاب ﴾ يعنى وخسر وقيل هلك ﴿ كل جبار عنيد ﴾ والجبار فى صفة الانسان يقال لمن تجبر بنفسه بدعوى منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم فى حق الانسان وقيل الجبار الذى لا يرى فوقه أحدا وقيل الجبار المتعظم فى نفسه المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه وقال مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذى يأبى أن يقول لا اله الا الله وقيل العنيد هو الموجب بما عنده وقيل العنيد الذى يعاند ويخالف ﴿ من ورائه جهنم ﴾ يعنى هى أمامه وهو صائر اليها قال ابو عبيدة هو من الاضداد يعنى أنه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى أمام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعنى أنه سيأتيك ﴿ ويسقى ﴾ يعنى فى جهنم ﴿ من ماء صديد ﴾ وهو ما سال من الجلد واللحم من القيح جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب القرظى هو مايسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وقوله ﴿ يتجرعه ﴾ أى يتحساه و يشربه لا بمرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وكراهته ونتنه ﴿ ولا يكاد يسيغه ﴾ أى لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب فى الحلق اذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين ان يكاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخلت يكاد للمبالغة يعنى ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه أى يسيغه بعد ابطاء لان العرب تقول ما كدت أقوم أى قمت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على أصلها وليست بصلة وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه فيغلى فى جوفه * عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * قوله ووقعت فروة رأسه أى جلدة رأسه وانما شبهها بالفروة للشعر الذى عليها * وقوله تعالى

النصر (و ... كل ...) ... وخاب كل جبار ... قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه (جهنم) وهذا وصف حاله وهو فى الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها و وصف حاله فى الآخرة حيث يبعث ويوقف (ويسقى) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها مايلقى ويسقى (من ماء صديد) مايسيل من جلود أهل النار و صديد عطف بيان لماء لانه ابهم فبين بقوله صديد (يتجرعه) يشربه جرعة جرعة (ولا يكاد يسيغه) ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها أى لم

قوم على نبيهم (وخاب كل جبار) خسر عند الدعاء من النصرة كل متكبر ختال (عنيد) معرض عن الحق والهدى (من ورائه) من قدام هذا الجبار بعد الموت (جهنم ويسقى من ماء صديد) مما يخرج من جلودهم من القيح والدم (يتجرعه) يستمسك الصديد فى حلقه (ولا يكاد يسيغه) يجيزه

(وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرارا (وقال الذين كفروا لرسلهم) سبلنا ورسلهم أبو عمرو (لنخرجنكم من أرضنا) من ديارنا (أو لتعودن في ملتنا) أي ليكونن أحد الامرين اخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد (فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين) القول مضمر أو أجرى الايحا مجرى القول لانه ضرب منه (ولنسكننكم الارض من بعدهم) أي أرض الظالمين وديارهم في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك) الاهلاك والاسكان أي ذلك الامر حق (لمن خاف مقامي) موقفي وهو موقف الحساب أو المقام مقحم أو خاف قيامي عليه بالعلم كقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى ان ذلك حق للمتقين (وخاف وعيد) عذابي وبالياء يعقوب (واستفتحوا) واستنصروا الله على أعدائهم وهو معطوف على أوحى

الكفار عليهم ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل أو عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد ﴿فاوحى اليهم ربهم﴾ أي الى رسلهم ﴿لنهلكن الظالمين﴾ على اضمار القول أو اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ﴿ولنسكننكم الارض من بعدهم﴾ أي ارضهم وديارهم كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها • وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ﴿ذلك﴾ اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ﴿لمن خاف مقامي﴾ موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة أو قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم ﴿وخاف وعيد﴾ أي وعيدي بالعذاب أو عذابي الموعود للكفار ﴿واستفتحوا﴾ سألوا من الله الفتح على اعدائهم أو القضاء بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة

يعني به من قول أو فعل ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين • قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثاني فيه اشارة الى السعي في التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وابقائه وادامته فحصل الفرق بين التوكلين * قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ يعني ليكونن أحد الامرين اما اخراجكم أيها الرسل من بلادنا وأرضنا واما عودكم في ملتنا • فان قلت هذا يوهم بظاهره انهم كانوا على ملتهم في أول الامر حتى يعودوا فيها • قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب وفيه وجه آخر وهو ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف أممهم فلما أرسلوا اليهم اظهروا مخالفتهم ودعوهم الى الله فقالوا لهم لتعودن في ملتنا ظنا منهم انهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجماع الامة على ان الرسل من أول الامر انما نشؤا على التوحيد لا يعرفون غيره ﴿فاوحى اليهم ربهم﴾ يعني ان الله تعالى أوحى الى رسله وأنبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات ﴿لنهلكن الظالمين﴾ يعني ان عاقبة أمرهم الى الهلاك فلا تخافوهم ﴿ولنسكننكم الارض من بعدهم﴾ يعني من بعد هلاكهم ﴿ذلك﴾ يعني ذلك الاسكان ﴿لمن خاف مقامي﴾ يعني خاف مقامه بين يدي يوم القيامة فاضاف قيام العبد الى نفسه لان العرب قد تضيف أفعالها الى أنفسها كقولهم ندمت على ضربي اياك وندمت على ضربك مثله ﴿وخاف وعيد﴾ أي وخاف عذابي * قوله عز وجل ﴿واستفتحوا﴾ يعني واستنصروا قال ابن عباس يعني الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على أممهم وذلك انهم لما

في ابداننا بطاعة الله (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فليثق الواثقون (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا) من مدينتنا (أو لتعودن) تدخلن (في ملتنا) في ديننا (فاوحى اليهم) الى الرسل (ربهم) ان اصبروا (لنهلكن الظالمين) الكافرين (ولنسكننكم) لننزلنكم (الارض) أرضهم وديارهم (من بعدهم) من بعد هلاكهم (ذلك) التسكين (لمن خاف مقامي) القيام بين يدي (وخاف وعيد) عذابي (واستفتحوا) استنصر كل

القوم (ان أنتم) ما أنتم (الا بشر مثلنا) لافضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا (تريدون أن تصدوا عما كان يعبد آباؤنا) يعني الاصنام (فأتونا بسلطان مبين) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وانما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) تسليم لقولهم انهم بشر مثلهم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالايمان والنبوة كما من علينا (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) جواب لقولهم فأتونا بسلطان

أن الاتيان بالآية التي قد اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وانما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى (وعلى الله فليت‍وكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وايذائكم ألا ترى الى قوله (ومالنا أن لا نتوكل على الله) معناه وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هدانا سبلنا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين قال أبو تراب التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء (ولنصبرن على ما آذيتمونا) جواب قسم مضمر أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يشكوا عن دعائهم

ان أنتم الا بشر مثلنا ﴿ لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل ﴿ تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ﴾ بهذه الدعوة ﴿ فأتونا بسلطان مبين ﴾ يدل على فضلكم واستحقاقكم بهذه المزية وعلى صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا ﴿ قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ﴾ سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى ﴿ وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله ﴾ أي ليس لنا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله تعالى ﴿ ومالنا الا نتوكل على الله ﴾ أي أي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه ﴿ وقد هدانا سبلنا ﴾ التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ أبو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ﴿ ولنصبرن على ما آذيتمونا ﴾ جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من

﴿ ان أنتم ﴾ يعني ما أنتم ﴿ الا بشر مثلنا ﴾ يعني في الصورة الظاهرة لستم ملائكة ﴿ تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ﴾ يعني ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها ﴿ فأتونا بسلطان مبين ﴾ يعني بحجة بينة واضحة على صحة دعواكم ﴿ قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ﴾ يعني ان الكفار لما قالوا لرسلهم ان أنتم الا بشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين لهم صحيح ان الامر كما قلتم ووصفتم فنحن بشر مثلكم لا ننكر ذلك ﴿ ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ﴾ يعني بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف ﴿ وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله ﴾ يعني وليس لنا مع ما خصنا الله من النبوة وشرفنا به من الرسالة أن نأتيكم بآية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا الا باذن الله به لنا في ذلك ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ يعني في دفع شرور أعدائهم عنهم ﴿ ومالنا أن لا نتوكل على الله ﴾ يعني ان الانبياء قالوا أيضا قد عرفنا انه لا يصيبنا شئ الا بقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه في دفع شروركم عنا ﴿ وقد هدانا سبلنا ﴾ يعني وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد ﴿ ولنصبرن ﴾ اللام لام القسم تقديره والله لنصبرن ﴿ على ما آذيتمونا ﴾

ان أنتم) ما أنتم (الا بشر) آدمي (مثلنا تريدون ان تصدونا) تصرفونا (عما كان يعبد آباؤنا) من الاصنام (فأتونا بسلطان مبين) بكتاب وحجة (قالت لهم رسلهم ان نحن) (يعني مانحن (الا بشر) آدمي (مثلكم) يقول خلق مثلكم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالنبوة والاسلام (وما كان لنا) ماينبغي لنا (ان نأتيكم بسلطان) بكتاب وحجة (الا باذن الله) بأمر الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يقول وعلى المؤمنين ان يتوكلوا على الله فقالت الرسل توكلوا انتم على الله حتى تروا ما يفعل بكم فقالت الرسل (ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) اكرمنا بالنبوة والاسلام (ولنصبرن على ما آذيتمونا)

أرسلوا به (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله والتوحيد (مريب) موقع فى الريبة (قالت رسلهم أفى الله شك) أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس فى الشك انما هو فى المشكوك فيه وانه لايحتمل الشك لظهور الادلة وهو جواب قولهم وانا لفى شك (فاطر السموات والارض يدعوكم) الى الايمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) اذا آمنتم ولم تجئ مع من الا فى خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال فى خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة الى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين فى الميعاد (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت قد سماه وبين مقداره (قالوا) أى

وقيل الايدى بمعنى الايادى أى ردوا ايادى الانبياء التى هى مواعظهم وما أوحى اليهم من الحكم والشرائع فى افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه ﴿ وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به ﴾ على زعمكم ﴿ وانا لفى شك مما تدعوننا اليه ﴾ من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام ﴿ مريب ﴾ موقع فى الريبة أو ذى ريبة وهى قلق النفس وان لاتطمئن الى شئ ﴿ قالت رسلهم أفى الله شك ﴾ ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه لافى الشك أى انما ندعوكم الى الله وهو لايحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ وهو صفة أو بدل وشك مرتفع بالظرف ﴿ يدعوكم ﴾ الى الايمان ببعثه ايانا ﴿ ليغفر لكم ﴾ أو يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرنى على اقامة المفعول له مقام المفعول به ﴿ من ذنوبكم ﴾ بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جئ بمن فى خطاب الكفرة دون المؤمنين فى جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت فى خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت فى خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصى ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ﴿ ويؤخركم الى اجل مسمى ﴾ الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر اعماركم ﴿ قالوا

يد أى نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بافواههم وردوا قولهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رد يده الى فيه اذا أمسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد أجابوا بالتكذيب وهو أن الامم ردوا على رسلهم ﴿ وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به ﴾ يعنى انا كفرنا بما زعمتم ان الله أرسلكم به لانهم لم يقروا بانهم أرسلوا اليهم لانهم لو أقروا بان الرسل أرسلوا اليهم لكانوا مؤمنين ﴿ وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب ﴾ يعنى يوجب الريبة أو يوقع فى الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وأن لاتطمئن الى الامر الذى يشك فيه * فان قلت انهم قالوا أولا انا كفرنا بما أرسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانا لفى شك والشك دون الكفر أو داخل فيه * قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل فكأنهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم فى كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين فى ذلك ﴿ قالت رسلهم ﴾ يعنى مجيبين لاممهم ﴿ أفى الله شك ﴾ يعنى هل تشكون فى الله وهو استفهام انكار ونفى لما اعتقدوه ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ يعنى وهل تشكون فى كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيهما ﴿ يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ﴾ يعنى ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها أصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصى دون مظالم العباد ﴿ ويؤخركم الى أجل مسمى ﴾ يعنى الى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب ﴿ قالوا ﴾ يعنى الامم مجيبين للرسل

والاسكتم (وقالوا) للرسل (انا كفرنا) جحدنا (بما أرسلتم به) من الكتاب والتوحيد (وانا لفى شك مما تدعوننا اليه) من الكتاب والتوحيد (مريب) ظاهر الشك فيما تقولون (قالت رسلهم أفى الله شك) أفى وحدانية الله شك (فاطر السموات) خالق السموات (قاو خا ٦٥ لث) (والارض يدعوكم) الى التوبة والتوحيد (ليغفر لكم) بالتوبة والتوحيد (من ذنوبكم) فى الجاهلية (ويؤخركم) يؤجلكم بلا عذاب (الى أجل مسمى) [illegible] يعنى الموت (قالوا) [illegible]

من اطرافها ﴾ بما نفتحه على المسلمين منها ﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه ﴾ لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشئ بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل

من أطرافها ﴾ يعني أولم ير كفار مكة الذين سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم الآيات أنا نأتي الارض يعني ارض الشرك ننقصها من أطرافها قال أكثر المفسرين المراد منه فتح دار الشرك فان مازاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى أولم يروا انا نأتي الارض فنفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم أرضا بعد أرض حوالى أراضيهم أفلا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا وتخريبا كان ذلك نقصانا في ديارهم وزيادة في دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه وينجز له ماوعده وقيل هو خراب الارض والمعنى أولم يروا أنا نأتي الارض فنخربها ونهلك أهلها أفلا يخافون أن نفعل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجماعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شئ مااختلف الليل والنهار وقال عبد الله أيضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال سليمان لا يزال الناس بخير مابقي الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ماعلامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حكى الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدي لهذه اللغة بقول الفرزدق

واسأل بنا وبكم اذا وردت منى ... أطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد أشراف كل قبيلة قال الواحدي والتفسير على القول الاول أولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازي ويمكن أن يقال أيضا ان هذا الوجه لا يليق بهذا الموضع وتقديره أن يقال أولم يروا أن كل مايحدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة فما الذي يؤمنهم أن يقلب الله الامر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلين بعدما كانوا عزيزين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه أيضا يجوز ايصال الكلام بما قبله ﴿ قوله وتعالى ﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه ﴾ يعني لا راد لحكمه ولا ناقض لقضائه والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه

من أطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار السلام وذلك من آيات النصرة والغلبة والمعنى عليك البلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ماوعدناك من النصرة والظفر (والله يحكم لا معقب لحكمه) لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشئ فيبطله وحقيقته الذي يعقبه أي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس ومحل لا معقب النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة له تريد حاسرا

عليه وسلم (من اطرافها) من نواحيها ويقال هو موت العلماء (والله يحكم) بفتح البلدان وموت العلماء (لا معقب) لا مغير (لحكمه

وحمزة والكسائى ويثبت بالتشديد ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه ﴿ واما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك ﴾ وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم أو توفيناك قبله ﴿ فانما عليك البلاغ ﴾ لا غير ﴿ وعلينا الحساب ﴾ للمجازاة لا عليك فلا يحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائع ﴿ أولم يروا انا نأتى الارض ﴾ ارض الكفرة ﴿ ننقصها

الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذى يمحو والذى يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو فى طاعته فهو الذى يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشاء يعنى من جاء أجله فيذهبه ويثبت من لم يجئ أجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء منها فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدى يمحو الله ما يشاء يعنى القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا فى الارواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محاه وأمسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت فى أول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة محاه وأثبت حكما آخر للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو فى المحن والمصائب فهى مثبتة فى الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل ان الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريده فان قلت مذهب أهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات قلت المحو والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيأ ولا يثبت شيأ الا ما سبق به علمه فى الازل وعليه يترتب القضاء والقدر

﴿ مسئلة ﴾

استدلت الرافضة على مذهبهم فى البداء بهذه الآية قالوا أن البداء جائز على الله وهو أن يعتقد شيأ ثم يظهر له خلاف ما اعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت * والجواب عن هذه المسئلة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم أزلى وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الامام فخر الدين الرازى فى تفسير هذه الآية * وقوله تعالى ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ يعنى أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذى لا يغير ولا يبدل وسمى اللوح المحفوظ أم الكتاب لان جميع الاشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها تنسب اليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت ما يشاء وأم الكتاب الذى لا يغير شئ منها وروى عطية عن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة لله فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه وما هم عاملون ﴿ واما نرينك ﴾ يعنى يا محمد ﴿ بعض الذى نعدهم ﴾ يعنى من العذاب ﴿ أو نتوفينك ﴾ يعنى قبل أن نريك ذلك ﴿ فانما عليك البلاغ ﴾ يعنى ليس عليك الا تبليغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ ﴿ وعلينا الحساب ﴾ يعنى وعلينا أن نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم * قوله عز وجل ﴿ أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها

(وعنده أم الكتاب) أى أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه (واما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك) وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك (فانما عليك البلاغ) فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب (وعلينا الحساب) وعلينا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لا عليك فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم (أولم يروا أنا نأتى الارض) أرض الكفرة (ننقصها

(وعنده أم الكتاب) أصل الكتاب يعنى اللوح المحفوظ لا يزاد فيه ولا ينقص منه (واما نرينك بعض الذى نعدهم) من العذاب فى حياتك (أو نتوفينك) نقبضنك قبل ان نريك (فانما عليك البلاغ) التبليغ عن الله (وعلينا الحساب) الثواب والعقاب (أولم يروا) ينظروا أهل مكة (أنا نأتى الارض) نأخذ الارض (ننقصها) نفتحها لمحمد صلى الله

مانقتضيه ... وقيل تمحو سيئات التائب وتثبت حسنات مكانها وقيل تمحو من كتاب الحفظة مالايتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او تثبت مارآه وحده في صميم قلبه وقيل تمحو قرنا وتثبت آخر وقيل تمحو الفاسدات وتثبت الكائنات ٭ وقرأ نافع وابن عامر

تعالى فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون فدل ذلك على أن الآجال لاتزيد ولاتنقص وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم من انها تزيد في العمر باجوبة الصحيح منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها أنها بالنسبة الى مايظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة الا أن يصل رحمه فان وصلها زيدله أربعون سنة وقدعلم الله في الازل ماسيقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يمحو الله مايشاء ويثبت أي بالنسبة لما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة واما انقلاب الشقي سعيدا والسعيد شقيا فيتصور في الظاهر أيضا لان الكافر قديسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة وكذا العاصي ونحوه وقديتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعياذ بالله تعالى فيموت على ردته فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت ومايختم الله به له وهو المراد من علم الله الازلي الذي لايتغير ولايتبدل والله أعلم وأصل المحو اذهاب أثر الكتابة وضده الاثبات فمن العلماء من حمل الآية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شئ يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيدالله مايشاء في الرزق والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والايمان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمر وابن مسعود فانهما قالا تمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل ويثبت مايشاء وروي عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها وان كنت كتبتني من أهل الشقاوة فامحني منها واثبتني في أهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وروي مثله عن ابن مسعود وقدورد في بعض الآثار ان الرجل يكون قدبقي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي بغير سند ٭ وروي بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات بقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لاينظر فيه أحد غيره فيمحو مايشاء ويثبت ومن العلماء من حمل معنى الآية على الخصوص في بعض الاشياء دون بعض فقال المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله مايشاء من ديوان الحفظة ممالیس فيه ثواب ولاعقاب مثل قول القائل أكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت مافيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبي يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شئ ليس فيه ثواب ولاعقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة

يتركه غير منسوخ أويمحو من ديوان الحفظة مايشاء ويثبت غيره أويمحو كفر التائبين ويثبت ايمانهم أويميت من حان أجله وعكسه ويثبت مدني وشامي وحمزة وعلي

يتعلق به ثواب والعقاب

فانه الملي بذلك ﴿ لكل اجل كتاب ﴾ لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على مايقتضيه استصلاحهم ﴿ يمحوالله مايشاء ﴾ ينسخ مايستصوب نسخه ﴿ ويثبت ﴾

الرسول بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض الى مشيئة الله عز وجل فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطؤا ذلك وقد كانوا يستعجلون نزوله أخبر الله عز وجل ان لكل قضاء قضاه كتابا قد كتبه فيه ووقتا يقع فيه لايتقدم ولايتأخر والمعنى ان لكل أجل أجله الله كتابا قد أثبته فيه وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه ﴿ يمحوا الله مايشاء ويثبت ﴾ وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غدا وماسبب ذلك الا انه يقوله من تلقاء نفسه أجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يمحوالله مايشاء ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحوالله مايشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت مايشاء من ذلك فلاينسخه ولايبدله وقال ابن عباس يمحوالله مايشاء ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ﴿ ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب أذكر أم أنثى فيقضى ربك مايشاء فيكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقول ربك مايشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يارب رزقه فيقال ربك مايشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلايزيد على أمر ولاينقص اخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا باربع كلمات بكتب رزقه وأجله وشقى أوسعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لااله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذى قبله صرح بان الآجال والارزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لاتتغير عما قدره الله وعلمه فى الازل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن ينقلب السعيد شقيا أوالشقى سعيدا وقد صح فى فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد فى العمر فكيف الجمع بين هذه الآحاديث وبين قوله تعالى يمحوالله مايشاء ويثبت قلت قد تقرر بالدلائل القطعية ان الله عالم بالآجال والارزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ماهو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت فى وقت معين استحال أن يموت قبله أوبعده وهو قوله

(لكل أجل كتاب) لكل وقت حكم يكتب على العباد أى يفرض عليهم على ماتقتضيه حكمته (يمحوا الله مايشاء) ينسخ مايشاء نسخه (ويثبت) بدله مايشاء أو

(لكل أجل كتاب) لكل كتاب أجل مهلة مقدم ومؤخر (يمحوالله مايشاء) من ديوان الحفظة مالا ثواب ولاعقاب له (ويثبت)

مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمور يشاركهم فيها فقيل (ولئن ا[تبعت]
أهواءهم بعد ما جاءك من العلم) أى بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبرا[هين]
الساطعة (مالك من الله
من ولى ولا واق) أى
لا ينصرك ناصر ولا يقيك
منه واق وهذا من باب
التهييج والبعث للسامعين
على الثبات فى الدين وان
لا يزل زال عند الشبهة بعد
استمساكه بالحجة والا فكان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم من شدة الثبات بمكان
وكانوا يعيبونه بالزواج
والولاد ويقترحون عليه
الآيات وينكرون النسخ
فنزل (ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك وجعلنا لهم
أزواجا وذرية) نساء
وأولادا (وما كان لرسول
ان يأتى بآية الا باذن الله) أى
ليس فى وسعه اتيان
الآيات على ما يقترحه قومه
وانما ذلك الى الله

ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ﴿ولئن اتبعت اهوائهم﴾ التى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ بنسخ ذلك ﴿مالك من الله من ولى ولا واق﴾ ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى دينهم ﴿ولقد ارسلنا رسلا من قبلك﴾ بشرا مثلك ﴿وجعلنا لهم ازواجا وذرية﴾ نساء واولادا كما هى لك ﴿وما كان لرسول﴾ وما صح له ولم يكن فى وسعه ﴿ان يأتى بآية﴾ تقترح عليه وحكم يلتمس منه ﴿الا باذن الله﴾

هذا الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وانما سمى القرآن حكما لان فيه جميع التكاليف والاحكام والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آبائهم فتوعده الله على اتباع أهوائهم فى ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آبائهم فى الصلاة لبيت المقدس ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ يعنى بانك على الحق وان قبلتك الكعبة هى الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبى صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما امر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو أرفع منزلة وأعظم قدرا وأعلى مرتبة اذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى ﴿مالك من الله من ولى ولا واق﴾ يعنى من ناصر ولا حافظ * قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك﴾ روى ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبى صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا فى النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم انه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما عابوه به بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلنا من قبلك يا محمد ﴿وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾ فانه قد كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلاثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية فلم يقدح ذلك فى نبوته وكان لابيه داود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك أيضا فى نبوته وكيف يعيبون عليك ذلك ويجعلونه قادحا فى نبوتك والمعنى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يأكلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ﴿وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله﴾ هذا جواب لعبد الله بن أبى أمية وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه أن يريهم المعجزات وتقرير هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية فى اثبات النبوة وقد أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فما لهم أن يقترحوا عليه شيأ واتيان

(ولئن اتبعت أهواءهم)
دينهم وقبلتهم (بعد ما جاءك
من العلم) البيان بدين ابراهيم
وقبلته (مالك من الله) من
عذاب الله (من ولى) قريب
ينفعك (ولا واق) لا مانع
عنك (ولقد أرسلنا رسلا
من قبلك) كما أرسلناك
(وجعلنا لهم أزواجا) اكثر
من أزواجك مثل داود وسليمان (وذرية) أكثر من ذريتك مثل ابراهيم واسحق ويعقوب نزلت هذه الآية فى الرسول
فى شأن اليهود لقولهم لو كان محمد نبيا لشغلته النبوة عن التزوج (وما كان لرسول أن يأتى بآية) بعلامة (الا باذن الله) بامرا[لله]

؛ ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف وأصحابه
يد والعاقب وأشياعهما (من ينكر بعضه) لانهم كانوا لاينكرون الاقاصيص
وبعض الاحكام والمعانى مما هو ثابت فى كتبهم وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع (قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) هو جواب للمنكرين أى قل انما أمرت فيما أنزل الى بان أعبد الله ولا أشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لايشرك به (اليه أدعوا) خصوصا لا أدعو الى غيره (واليه) لا الى غيره (مآب) مرجعى وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد
العاقب واشياعهما ﴿ من ينكر بعضه ﴾ وهو ما يخالف شرائعهم أو ما يخالف ما حرفوه
نها ﴿ قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به ﴾ جواب للمنكرين أى قل لهم انى امرت
بما انزل الى بان اعبد الله واوحده وهو العمدة فى الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما
ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية فى جزئيات
الاحكام * وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف ﴿ اليه ادعوا ﴾ لا الى غيره ﴿ واليه
مآب ﴾ واليه مرجعى للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما
ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه ﴿ و
كذلك ﴾ ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها ﴿ انزلناه
حكما ﴾ يحكم فى القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة ﴿ عربيا ﴾ مترجما بلسان العرب

لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى ﴿ من ينكر بعضه ﴾
هذا قول الحسن وقتادة * فان قلت ان الاحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب
ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه * قلت ان الاحزاب
لا ينكرون القرآن بجملته لانه قد ورد فيه آيات دالات على توحيد الله واثبات قدرته
علمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبدا والقول الثانى ان المراد بالكتاب التوراة
الانجيل والمراد باهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام
أصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون من نجران وثلاثون من
الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الاحزاب
يعنى بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل
كان ذكر الرحمن قليلا فى القرآن فى الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل
الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قلة ذكر الرحمن فى القرآن مع كثرة ذكره فى
التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن فى القرآن فرحوا بذلك فانزل الله تعالى
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب يعنى مشركى مكة من
ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية
كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة
الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى وانما قال ومن الاحزاب من
ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد ﴿ انما
أمرت أن أعبد الله ﴾ يعنى وحده ﴿ ولا أشرك به ﴾ شيأ ﴿ اليه أدعوا ﴾ أى الى الله
والى الايمان به أدعو الناس ﴿ واليه مآب ﴾ يعنى مرجعى يوم القيامة ﴿ وكذلك
أنزلناه حكما عربيا ﴾ أى كما أنزلنا الكتب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا اليك يا محمد

(من ينكر بعضه) بعض القرآن سوى سورة يوسف وذكر الرحمن ويقال من الاحزاب يعنى كفار مكة وغيرهم من ينكر بعضه بعض القرآن ما فيه ذكر الرحمن
،) يا محمد (انما أمرت ان أعبد الله) مخلصا (ولا أشرك به) شيأ (اليه ادعوا) خلقه (واليه مآب) مرجعى فى الآخرة
كذلك أنزلناه) هكذا أنزلنا جبرائيل بالقرآن (حكما) القرآن كله حكم الله (عربيا) على مجرى لغة العربية

﴿ومالهم من الله﴾ من عذابه أو من رحمته ﴿من واق﴾ حافظ ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره ﴿تجري من تحتها الانهار﴾ على طريقة قولك صفة زيد اسمر أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار أو على زيادة مثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة ﴿أكلها دائم﴾ لا ينقطع ثمرها ﴿وظلها﴾ أي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس ﴿تلك﴾ أي الجنة الموصوفة ﴿عقبى الذين اتقوا﴾ مآلهم ومنتهى امرهم ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ لاغير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك﴾ يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة أو عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ﴿ومن الاحزاب﴾ يعني كفرتهم الذين تحزبوا على

من شدته فهو من الشق الذي هو الصدع ﴿ومالهم من الله﴾ يعني من عذاب الله ﴿من واق﴾ يعني من مانع يمنعهم من عذابه * قوله تعالى ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي صفة الجنة التي وعد المتقون ﴿تجري من تحتها الانهار أكلها دائم﴾ لا ينقطع أبدا ﴿وظلها﴾ يعني انه دائم أبدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الآية رد على جهم وأصحابه فانهم يقولون ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الآية دليل على ان حركات أهل الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب أن تفنى وينقطع أكلها لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعني لا ينقطع قال ولا ينكر أن تكون في السموات جنات كثيرة تتمتع بها الملائكة ومن يعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم على ماروى الا أن الذي نذهب اليه ان جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا أن حاصل دليلهم مركب من آيتين احداهما قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والاخرى قوله أكلها دائم وظلها فاذا أدخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين * وقوله تعالى ﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾ يعني ان عاقبة أهل التقوى هي الجنة ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ يعني في الآخرة * قوله عز وجل ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك﴾ في المراد بالكتاب هنا قولان أحدهما انه القرآن والذين أوتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القرآن ﴿ومن الاحزاب﴾ يعني الجماعات الذين تحزبوا

صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر (تجري من تحتها الانهار) كما تقول صفة زيد أسمر (أكلها دائم) ثمرها دائم الوجود لا ينقطع (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (تلك عقبى الذين اتقوا) أي الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعني منتهى أمرهم (وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كابن سلام ونحوه ومن النصارى بارض الحبشة (يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب)

(ومالهم من الله) من عذاب الله (من واق) من مانع وملجأ يلجؤن اليه (مثل الجنة) صفة الجنة (التي وعد المتقون) الكفر والشرك والفواحش (تجري من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (أكلها دائم) ثمرها دائم لا يفنى (وظلها) دائم لا خلل فيه (تلك) الجنة (عقبى) مأوى (الذين اتقوا) الكفر والشرك والفواحش (وعقبى) مأوى (الكافرين النار والذين آتيناهم) أعطيناهم (الكتاب) علم التوراة عبدالله بن سلام وأصحابه (يفرحون بما أنزل اليك) من ذكر الرحمن (ومن الاحزاب) يعني اليهود (على)

أي الاصنام (قل سموهم) أي سموهم له من هم ونبؤه بأسمائهم ثم قال (أم تنبؤنه بما لا يعلم في الارض) على أم المنقطعة أي بل تنبؤنه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشئ والمراد نفي أن يكون له شركاء (أم بظاهر من القول) بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها (بل زين للذين كفروا مكرهم) كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) عن سبيل الله بضم الصاد كوفي وبفتحها غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل الله (ومن يضلل الله فماله من هاد) من أحد يقدر على هدايته (لهم عذاب في الحيوة الدنيا) بالقتل والاسر وأنواع المحن (ولعذاب الآخرة أشق) أشد لدوامه

ن يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا أي أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله ﴿قل سموهم﴾ تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ﴿أم تنبؤنه﴾ بل أتنبؤنه وقرئ أتنبؤنه بالتخفيف ﴿بما لا يعلم في الارض﴾ بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شئ ﴿أم بظاهر من القول﴾ أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ تمويههم فتخيلوا أباطيل ثم خالوها حقا أو كيدهم للاسلام بشركهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح أي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ﴿ومن يضلل الله﴾ بخذلانه ﴿فماله من هاد﴾ يوفقه للهدى ﴿لهم عذاب في الحيوة الدنيا﴾ بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ﴿ولعذاب الآخرة اشق﴾ لشدته ودوامه

﴿قل سموهم﴾ يعني له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظروا هل هي أهل لان تعبد ﴿أم تنبؤنه﴾ يعني أم تخبرون الله ﴿بما لا يعلم في الارض﴾ يعني انه لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وكيف يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما في السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفي العلم بان يكون له شريك ﴿أم بظاهر من القول﴾ يعني انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لا أصل له وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر أحد ان يتصرف في الوجود الا باذنه وتزيين الشيطان القاء الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال أحد وهدايته الا الله تعالى ويدل على هذا سياق الآية وهو قوله ومن يضلل الله فماله من هاد ﴿وقوله﴾ وصدوا عن السبيل ﴿قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن سبيل الله غيرهم أي عن الايمان ﴿ومن يضلل الله فماله من هاد﴾ الوقف عليه بسكون الدال وحذف الياء في قراءة أكثر القراء ﴿لهم عذاب في الحيوة الدنيا﴾ يعني بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ يعني أشد وأغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدته مما يكاد يصدع القلب

الآلهة يعبدونها (قل) لهم يا محمد (سموهم) سموا منفعتهم وتدبيرهم ان كان لهم شركة مع الله (أم تنبؤنه) أتخبرونه (بما لا يعلم) بما يعلم أن ليس (في الارض) أحد ينفع ويضر من دون الله (أم بظاهر من القول) بل بباطل من القول والزور والكذب عبدوهم (بل زين للذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (مكرهم) قولهم وفعلهم (ق ا و خا ٦٣ لث) (وصدوا عن السبيل) صرفوا عن الدين (ومن يضلل الله) عن دينه فماله من هاد) من موفق (لهم عذاب في الحيوة الدنيا) بالقتل يوم بدر (ولعذاب الآخرة أشق) اشد من عذاب الدنيا

وأولادهم وأموالهم (أوتحل قريبا من دارهم) أوتحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطاير عليهم شررها وتتعدى اليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) أي موتهم أو القيامة أو ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان جيش رسول الله يغير حول مكة ويختطف منهم أوتحل أنت يامحمد

﴿أوتحل قريبا من دارهم﴾ فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لايزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام كان لايزال يبعث السرايا عليهم فتغير حواليهم وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ الموت أو القيامة أو فتح مكة ﴿ان الله لايخلف الميعاد﴾ لامتناع الكذب في كلامه ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا﴾ تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وأمن ﴿ثم اخذتهم فكيف كان عقاب﴾ أي عقابي اياهم ﴿أفمن هو قائم على كل نفس﴾ رقيب عليه ﴿بما كسبت﴾ من خير أوشر لايخفى عليه شئ من اعمالهم ولايفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ استئناف أو عطف على كسبت ان جعلت مامصدرية ويجوز

بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم ﴿أوتحل﴾ يعني السرايا أو البلية ﴿قريبا من دارهم﴾ وقيل معناه أوتحل أنت يامحمد قريبا من دارهم ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ يعني النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل أراد بوعد الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم باعمالهم ﴿ان الله لايخلف الميعاد﴾ والغرض منه تشجيع قلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه لعلمه بأن الله لايخلف الميعاد * قوله عزوجل ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ وذلك ان كفار مكة انما سألوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم انما طلبوا منك هذه الآيات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزئ برسل من قبلك ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ يعني فامهلتهم وأطلت لهم المدة ﴿ثم أخذتهم﴾ يعني بالعذاب بعد الامهال فعذبتهم في الدنيا بالقحط والقتل والاسر وفي الآخرة بالنار ﴿فكيف كان عقاب﴾ يعني فكيف كان عقابي لهم ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ يعني أفمن هو حافظها ورازقها وعالم بها وبما عملت من خير أوشر ويجازيها بما كسبت فيثيبها ان أحسنت ويعاقبها ان أساءت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره أعجز وهي الاصنام التي لاتضر ولاتنفع ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ يعني وهو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التي جعلوها لله شركاء

قريبا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله أي فتح مكة (ان الله لايخلف الميعاد) أي لاخلف في موعده (ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا) الاملاء الامهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو رقيب (على كل نفس) صالحة أوطالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ثم استأنف فقال (وجعلوا لله شركاء)

ويقال صاعقة (أوتحل قريبا) أوتنزل مع أصحابك قريبا (من دراهم) من مدينتهم مكة بعسفان (حتى يأتي وعد الله) فتح مكة (ان الله لايخلف الميعاد) فتح مكة ويقال البعث بعد الموت (ولقد استهزئ برسل من قبلك) استهزأبهم قومهم كما استهزأبك قومك قريش (فأمليت للذين كفروا) فأمهلت للذين كفروا بعد (على) الاستهزاء (ثم أخذتهم) بالعذاب (فكيف كان عقاب) انظر كيف كان تعييري عليهم بالعذاب (أفمن هو قائم على كل نفس) يقول الله قائم على حفظ كل نفس (بما كسبت) من الخير والشر والرزق والدفع (وجعلوا لله) وصفوا لله (شركاء) من

﴿ بل لله الامر جميعا ﴾ بل لله القدرة على كل شئ وهو اضراب عن ما تضمنته لو من معنى النفي أي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله ﴿ أفلم ييأس الذين آمنوا ﴾ عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه أفلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المأيوس منه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ﴿ ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ﴾ فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره أفلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ﴿ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا ﴾ من الكفر وسوء الاعمال ﴿ قارعة ﴾ داهية تقرعهم وتقلقهم

وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا ثم قال تعالى ﴿ بل لله الامر جميعا ﴾ يعني في هذه الاشياء وفي غيرها ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ﴿ أفلم ييأس الذين آمنوا ﴾ قال أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبي هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف أهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وأبو عبيد ألم ييأس ألم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر

أقول لهم بالشعب اذ يأسرونني ۞ ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

يعني ألم تعلموا واستدلوا عليه أيضا بقول شاعر آخر

ألم ييأس الاقوام اني أنا ابنه ۞ وان كنت عن أرض العشيرة نائيا

يعني ألم يعلم الاقوام قال قطرب ييأس بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجه هذه اللغة انه انما وقع اليأس في مكان العلم لان علمك بالشئ وتيقنك به ييئسك من غيره وقيل لم يرد ان اليأس في موضع من كلام العرب للعلم وانما قصد ان يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي ان يحصل العلم بانتفائه فاذا معنى يأسهم يقتضي حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف لا من العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات اشرأب المسلمون لذلك وأرادوا أن يظهر لهم آية ليجتمعوا على الايمان فقال الله تعالى أفلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علما يقينا ﴿ أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ﴾ يعني من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندي ان معناه أفلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى الآية قولين أحدهما ان ييأس بمعنى علم والقول الثاني انه من اليأس المعروف وتقدير القولين ما تقدم وتمسك أهل السنة بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على ان الله لم يشأ هداية جميع الخلائق ﴿ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا ﴾ يعني من الكفر والاعمال الخبيثة ﴿ قارعة ﴾ أي نازلة وداهية تقرعهم بانواع البلايا أحيانا مرة

الآية (بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل شئ وهو قادر على الآيات التي اقترحوها (أفلم ييأس الذين آمنوا) أفلم يعلم وهي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشئ عالم بانه لا يكون كما استعمل النسيان في معنى الترك لتضمن ذلك دليله قراءة علي رضي الله عنه أفلم يتبين وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السنات وهذه والله فرية ما فيها مرية (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم

(بل لله الامر جميعا) بل الله يفعل ذلك جميعا ان شاء (أفلم ييأس الذين آمنوا) أفلم يعلم الذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) لاكرم الناس كلهم بدينه (ولا يزال الذين كفروا) بالكتب والرسل يعني كفار مكة (تصيبهم بما صنعوا) في كفرهم (قارعة) سرية

شئ (قل هو ربى) ورب كل شئ (لا اله الا هو) أى هو ربى الواحد المتعالى عن الشركاء (عليه توكلت) فى نصرتى عليكم (واليه
متاب) مرجعى فيثيبنى على مصابرتكم متابى وعقبى ومآبى فى الحالين يعقوب

(ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) عن مقارها (أو قطعت به الارض) حتى تتصدع وتتزايل قطعا (أو كلم به الموتى) فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية فى التذكير ونهاية فى الانذار والتخويف فجواب لو محذوف أو معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة

(قل) الرحمن (هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت) اتكلت ووثقت (واليه متاب) المرجع فى الآخرة ثم نزل فى شأن عبد الله بن أمية المخزومى وأصحابه لقولهم أذهب عنا جبال مكة بقرآنك وأنبع فيها العيون كما كان لداود عين القطر بزعمك وأتنا بريح نركب عليها الى الشام ونجئ عليها كما كانت لسليمان بزعمك وأحي موتانا كما أحيا عيسى ابن مريم بزعمك فقال الله (ولو ان قرآنا) غير قرآن محمد صلى الله عليه وسلم (سيرت به الجبال) أذهبت به الجبال عن وجه الارض (أو قطعت به الارض) أى قصد به البعد (أو كلم به الموتى) أو أحيي به الموتى لكان بقرآن محمد صلى الله عليه وسلم (وكلهم)

نزلت فى مشركى اهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ﴿ قل هو ربى ﴾ أى الرحمن خالقى ومتولى امرى ﴿ لا اله الا هو ﴾ لا مستحق للعبادة سواه ﴿ عليه توكلت ﴾ فى نصرتى عليكم ﴿ واليه متاب ﴾ مرجعى ومرجعكم ﴿ ولوان قرآنا سيرت به الجبال ﴾ شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم أى ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها ﴿ أو قطعت به الارض ﴾ تصدعت من خشية الله عند قراءته أو تشققت فجعلت انهارا وعيونا ﴿ أو كلم به الموتى ﴾ فتقرأه أو فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية فى الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار او لما آمنوا به لقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام أو ابعث لنا به قصى بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقى

﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد ان الرحمن الذى أنكرتم معرفته ﴿ هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت ﴾ يعنى عليه اعتمدت فى أمورى كلها ﴿ واليه متاب ﴾ يعنى واليه توبتى ورجوعى ﴿ قوله تعالى ﴿ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ﴾ الآية نزلت فى نفر من مشركى قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا خلف النبى صلى الله عليه وسلم فاتاهم وقيل انه مر بهم وهم جلوس فدعاهم الى الله عز وجل فقال له عبد الله بن أبى أمية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تتفسح فانها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح لنركبها الى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع فى يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست باهون على ربك من سليمان أواحى لنا جدك قصيا أو من شئت من موتانا لنسأله عن أمرك أحق أو باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على الله من عيسى فانزل الله هذه الآية ولو أن قرآنا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض ﴿ أو قطعت به الارض ﴾ يعنى شققت فجعلت أنهارا وعيونا ﴿ أو كلم به الموتى ﴾ فاحياها واختلفوا فى جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف اكتفاء بمعرفة السامع مراده وتقديره ولو أن قرآنا فعل به كذا وكذا لكان هذا القرآن فهو كقول الشاعر

فاقسم لو شئ أتانا رسوله ... سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أراد لو شئ أتانا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا به لما سبق فى علمنا فيهم كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة

ولذلك قرئ ﴿ وحسن مآب ﴾ بالنصب ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك ﴿ ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها ﴾ تقدمتها ﴿ امم ﴾ ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها ﴿ لتتلوا عليهم الذى اوحينا اليك ﴾ لتقرأ عليهم الكتاب الذى اوحيناه اليك ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذى احاطت بهم نعمته ووسعت كل شئ رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ماانعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذى هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل

شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذى أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لوأن رجلا ركب فرسا أوحقة أوجذعة ثم دار بارض تلك الشجرة مابلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان أفنانها لمن وراء سور الجنة ومافى الجنة نهر الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة * قال البغوى وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال ان فى الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تفتقى لعبدى عمايشاء فتفتق له عن فرس مسروجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع فى ظلها مائة عام مايقطعها (ق) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة زاد البخارى فى روايته واقرؤا ان شئتم وظل ممدود * وقوله تعالى ﴿ وحسن مآب ﴾ يعنى ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون اليه فى الآخرة وهى الجنة * قوله عز وجل ﴿ كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم ﴾ يعنى كما أرسلناك يا محمد الى هذه الامة كذلك أرسلنا أنبياء قبلك الى أمم قد خلت ومضت ﴿ لتتلوا عليهم الذى اوحينا اليك ﴾ يعنى لتقرأ على أمتك الذى أوحينا اليك من القرآن وشرائع الدين ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ قال قتادة ومقاتل وابن جريج هذه الآية مدنية نزلت فى صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء للصلح واتفقوا على ان يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لانعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب أكتب كما نكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعنى أنهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف ان الآية مكية وسبب نزولها ان أبا جهل سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الحجر يدعو ويقول فى دعائه ياالله يارحمن فرجع أبو جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الها آخر يسمى الرحمن ولانعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت فى كفار قريش حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى

(وحسن مآب) مرجع بالرفع والنصب تدلك على محلها (كذلك أرسلناك) مثل ذلك الارسال أرسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف أرسله فقال (فى أمة قد خلت من قبلها أمم) أى أرسلناك فى أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهى آخر الامم وأنت خاتم الانبياء (لتتلوا عليهم الذى أوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذى أوحينا اليك (وهم يكفرون) وحال هؤلاء انهم يكفرون (بالرحمن) بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل

(وحسن مآب) المرجع فى الجنة (كذلك أرسلناك فى أمة) يقول هكذا أرسلناك الى أمة (قد خلت) مضت (من قبلها أمم لتتلوا عليهم) لتقرأ عليهم (الذى أوحينا اليك) أنزلنا اليك جبرائيل به يعنى القرآن (وهم يكفرون بالرحمن) يقولون مانعرف الرحمن الا مسيلمة الكذاب

من أناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات ﴿ الذين آمنوا ﴾ بدل من من أو خبر مبتدأ محذوف ﴿ وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ انسابه واعتمادا عليه ورجاء منه أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعنى القرآن الذى هو اقوى المعجزات ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ تسكن اليه ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ مبتدأ خبره ﴿ طوبى لهم ﴾ وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ماقبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب

بقلبه ورجع اليه بكليته ﴿ الذين آمنوا ﴾ بدل من قوله من أناب ﴿ وتطمئن قلوبهم ﴾ يعنى وتسكن قلوبهم ﴿ بذكر الله ﴾ قال مقاتل بالقرآن لانه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة والسكون انما تكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ يعنى بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا فى الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شئ سكنت قلوب المؤمنين اليه فان قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى فى أول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما فى حال واحدة قلت انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة انما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم ﴾ اختلف العلماء فى تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة أعين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وفى رواية أخرى عنه ان هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أى أصبت خيرا وقال ابراهيم النخعى خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء فى الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهرى تقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول أكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية وروى عن أبى امامة وأبى هريرة وأبى الدرداء ان طوبى اسم شجرة فى الجنة تظلل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هى شجرة فى جنة عدن أصلها فى دار النبى صلى الله عليه وسلم وفى كل دار وغرفة فى الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منها الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله بانواع التسبيح ﴿ وروى عن أبى سعيد الخدرى ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هى شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها ﴿ وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوى هذين الحديثين بغير سند ﴿ وروى بسنده موقوفا عن أبى هريرة قال ان فى الجنة

على الدوام أو بالقرآن أو بوعده (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ (طوبى لهم) خبره وهو مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك والواو فى طوبى منقلبة عن ياء لضمة ماقبلها كموقن والقراءة فى

(الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وتطمئن قلوبهم) ترضى وتسكن قلوبهم (بذكر الله) القرآن ويقال بالحلف بالله (ألا بذكر الله) القرآن والحلف بالله (تطمئن القلوب) أى تسكن وترضى القلوب (الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (طوبى لهم) غبطة لهم ويقال طوبى شجرة فى الجنة ساقها من ذهب وورقها الحلل وثمرها من كل لون وأغصانها متواليات فى الجنة وتحتها كثبان المسك والعنبر والزعفران

يفسدون فى الارض) بالكفر والظلم (أولئك لهم اللعنة) الابعاد من الرحمة (ولهم سوء الدار يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار وان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدر دون غيره (وفرحوا بالحيوة الدنيا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة (وما الحيوة الدنيا فى الآخرة الا متاع) وخفى عليهم أن نعيم الدنيا فى جنب نعيم الآخرة ليس الا شيأ نزرا يتمتع به كعجالة الراكب

وهو ما يتعجله من تميرات أوشربة سويق (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أى الآية المقترحة (قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدى اليه من أناب) ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه

ويفسدون فى الارض ﴾ بالظلم وتهييج الفتن ﴿ اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ عذاب جهنم أوسوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ يوسعه ويضيقه ﴿ وفرحوا ﴾ أى اهل مكة ﴿ بالحيوة الدنيا ﴾ بما بسط لهم فى الدنيا ﴿ وما الحيوة الدنيا فى الآخرة ﴾ أى فى جنب الآخرة ﴿ الا متاع ﴾ الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو فى جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ﴿ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴿ ويهدى اليه من اناب ﴾ اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجرى مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان نزلت كل آية ويهدى اليه

والقرابة ﴿ ويفسدون فى الارض ﴾ يعنى بالكفر والمعاصى ﴿ أولئك ﴾ يعنى من هذه صفته ﴿ لهم اللعنة ﴾ يعنى الطرد عن رحمة الله يوم القيامة ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ يعنى النار لان منقلب الناس فى العرف الى دورهم ومنازلهم فالمؤمنون لهم عقبى الدار وهى الجنة والكفار لهم سوء الدار وهى النار * قوله تعالى ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ يعنى يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله ﴿ وفرحوا بالحيوة الدنيا ﴾ يعنى مشركى مكة لما بسط الله عليهم الرزق أشروا وبطروا والفرح لذة تحصل فى القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام ﴿ وما الحيوة الدنيا فى الآخرة ﴾ يعنى بالنسبة الى الآخرة ﴿ الا متاع ﴾ أى قليل ذاهب قال الكلبى المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر ينتفع بها فى الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها ﴿ ويقول الذين كفروا ﴾ يعنى من أهل مكة ﴿ لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ يعنى هلا انزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿ ان الله يضل من يشاء ﴾ فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهده الله عز وجل وهو قوله ﴿ ويهدى اليه من أناب ﴾ يعنى ويرشد الى دينه والايمان به من أناب

(ويفسدون فى الارض) بالكفر والشرك والدعاء الى غير عبادة الله (أولئك) أهل هذه الصفة (لهم اللعنة) السخطة فى الدنيا (ولهم سوء الدار) يعنى النار فى الآخرة (الله يبسط الرزق لمن يشاء) قال ابن عباس وان من عباده عبادا لا يصلح لهم الا البسط ولو صرفوا الى غيره لكان شرا لهم وان من عباده عبادا لا يصلح لهم الا التقتير ولو صرفوا الى غيره لكان شرا لهم أى يوسع المال على من يشاء فى الدنيا وهو مكر منه (ويقدر) يقتر على من يشاء وهو نظر منه (وفرحوا بالحيوة الدنيا) رضوا بما فى الحياة الدنيا من النعيم والسرور (وما الحيوة الدنيا) ما فى الحياة الدنيا من النعيم والسرور (فى الآخرة) عند نعيم الآخرة فى البقاء (الا متاع) الا شئ قليل كمتاع البيت مثل السكرجة والقدح والقدر وغير ذلك (ويقول الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (لولا انزل عليه) هلا انزل على محمد عليه السلام (آية) علامة (من ربه) لنبوته كما كانت للرسل الاولين بزعمه (قل) يا محمد (ان الله يضل من يشاء) عن دينه من كان أهلا لذلك (ويهدى) يرشد (اليه) الى دينه (من أناب) من أقبل الى الله

دلالة على ان مجرد الانساب لاتنفع ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ من ابواب المنازل أو من ابواب الفتوح والتحف قائلين ﴿ سلام عليكم ﴾ بشارة بدوام السلامة ﴿ بما صبرتم ﴾ متعلق بعليكم أو بمحذوف أى هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية أو للبدلية ﴿ فنعم عقبى الدار ﴾ وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وغيره ﴿ والذين ينقضون عهد الله ﴾ يعنى مقابلى الاولين ﴿ من بعد ميثاقه ﴾ من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ﴿ ويقطعون ما امر الله به ان يوصل

سروره بما يراه فى أهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتى بالاعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن فى ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة فى الوعد به اذ كل من كان صالحا فى عمله فهو يدخل الجنة قال الامام فخر الدين الرازى قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها أو ماتت عنه وروى انه لما كبرت سودة أراد النبى صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته أن لا يفعل ووهبت يومها لعائشة فامسكها رجاء ان تحشر فى جملة أزواجه فهو كالدليل على ماذكرناه * وقوله تعالى ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ يعنى من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور قال ابن عباس يريد به التحية من الله والتحف والهدايا ﴿ سلام عليكم ﴾ يعنى يقولون سلام عليكم فاضمر القول ههنا لدلالة الكلام عليه ﴿ بما صبرتم ﴾ يعنى يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التى كنتم تخافونها فى الدنيا وأدخلكم بما صبرتم فى دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعنى سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون عليهم فى مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم * وروى البغوى بسنده عن أبى أمامة موقوفا عليه قال ان المؤمن ليكون متكئا على أريكته اذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم الى الباب فاذا بالملك يستأذن فيقول للذى يليه ملك يستأذن ويقول الآخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول أقربهم الى المؤمن ائذنوا له ويقول الذى يليه ائذنوا له وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذى عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف ﴿ فنعم عقبى الدار ﴾ يعنى نعم العقبى عقبى الدار وقيل معناه فنعم عقبى الدار ما أنتم فيه ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾ لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الاشقياء ومالهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله يعنى خالفوا أمره ومعنى من بعد ما ميثاقه من بعد ما اوثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول ﴿ ويقطعون ما امر الله به أن يوصل ﴾ يعنى ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم

وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا (سلام عليكم) فى موضع الحال اذ المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (بما صبرتم) متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أى هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أى نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والاول أوجه (فنعم عقبى الدار) الجنات (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يقول لكل واحد منهم خيمة من درة مجوفة لها أربعة آلاف باب لكل باب مصراع يدخل عليهم من كل باب ملك يقولون (سلام عليكم بما صبرتم) هذه الجنة بما صبرتم على أمر الله والمرازى (فنعم عقبى الدار) نعم الجنة لكم (والذين ينقضون عهد الله) يتركون فرائض الله (من بعد ميثاقه) تغليظه وتشديده وتأكيده (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن

(والقرابة)

يدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعون بالحسن من الكلام مايرد عليهم من سيء غيرهم أواذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا صلوا واذا أذنبوا تابوا واذا هربوا أنابوا واذا رأوا منكرا أمروا بتغييره فهذه ثمانيـة أعمـال تشـير الى ثمانية أبواب الجنة (أولئك لهم عقبى الدار) عاقبـة الدنيا وهى الجنة لانها التى أرادها الله أن تكون عاقبة الدنيـا ومرجع أهلهـا (جنات عدن) بدل من عقبى الدار (يدخلونها ومن صلح) أى آمن (من آبائهـم وأزواجهـم وذرياتهم) وقرئ صلح والفتح أفصح ومن فى محل الرفع بالعطف على الضمير فى يدخلونها وساغ ذلك وان لم يؤكد لان ضمير المفعول صار فاصلا وأجاز الزجاج أن يكون مفعولا معه ووصفهم بالصلاح ليعلم ان الانساب لاتنفع بنفسها والمراد أبو كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم

لمن عرف به ﴿ ويدرؤن بالحسـنة السيئة ﴾ ويدفعـونها بهـا فيجازون الاساءة بالاحسان أو يتبعون السيئة الحسـنة فتمحوها ﴿ اولئـك لهم عقـبى الدار ﴾ عاقبـة الدنيـا وماينبغى ان يكون مآل اهلها وهى الجنة والجملة خبر الموصـولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولى الالباب فاستئناف بذكر مااستوجبوا بتلك الصفات ﴿ جنات عدن ﴾ بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره ﴿ يدخلونها ﴾ والعدن الاقامة أى جنات عدن يقيمون فيها وقيل هو بطنـان الجنة ﴿ ومن صلح من آبائهم وزواجهم وذرياتهم ﴾ عطف على المرفوع فى يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشـأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة أو ان الموصوفين بتلك الصفـات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انفسهم والتقييد بالصـلاح

مايؤديه الى الامام وقيل المراد بالسر صـدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم أولى ﴿ ويدرؤن بالحسنة السيئة ﴾ قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيء وهو معنى قوله ان الحسنات يذهبن السيآت ويدل على صحة هذا التأويل ماجاء فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال واذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوى بسنده عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذى يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى خرج الى الارض وقال ابن كيسـان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لايكافؤن الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبى معناه اذا سفه عليهم حلموا والسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبـد الله بن المبـارك هذه ثمان خلال مشيرة الى أبواب الجنة الثمانية قلت انما هى تسع خلال فيحتمل انه عد خلتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعدها ماأعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى ﴿ أولئك ﴾ يعنى من أتى بهذه الاعمال ﴿ لهم عقبى الدار ﴾ يعنى الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب ﴿ جنات عدن ﴾ بدل من عقبى الدار يعنى بساتين اقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به ﴿ يدخلونها ﴾ يعنى الدار التى تقدم وصفها ﴿ ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ يعنى ومن صـدق من آبائهم بما صدقوا به وان لم يعمل باعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسان لاينتفع بغير أعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صـدق وآمن ووحد وعلى قول الزجاج معناه أصلح فى عمـله قال الواحدى والصحيح ماقاله ابن عباس لان الله تعـالى جعل ثواب المطيع

(ويدرؤن بالحسـنة السيئة) يدفعون بالكلام الحسن الكلام السيئ اذا أوردعليهم (أولئك) أهل هذه الصفة من قوله انما يتذكر الى ههنا (لهم عقبى الدار) يعنى الجنة ثم بين أى الجنات لهم فقال(جنـات عدن) وهى مقصورة الرحمن وهى معـدن الانبيـاء والصـديقين والشـهداء والصالحين(قا و خا ٦٢ لث) (يدخلونهـا ومن صلح) من وحد (من آبائهم) يدخلونها [أي]ضا (وأزواجهم) من وحد من أزواجهم يدخلنها أيضا (وذرياتهم) من وحد من ذرياتهم يدخلون أيضا جنات عدن

﴿ويخشون ربهم﴾ وعيده عموما ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا ﴿والذين صبروا﴾ على ماتكرهه النفس ويخالفه الهوى ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ طلبا لرضاه لاتحرزا وسمعة ونحوهما ﴿واقاموا الصلوة﴾ المفروضة ﴿وانفقوا مما رزقناهم﴾ بعضه الذى وجب عليهم انفاقه ﴿سرا﴾ لمن لم يعرف بالمال ﴿وعلانية﴾

يبارك الله له فى عمره فكأنما قد زاد فيه والثانى ان يزيده فى عمره زيادة حقيقية والله يفعل مايشاء (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايدخل الجنة قاطع زاد فى رواية قال سفيان يعنى قاطع رحم (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها * عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ماتصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل ومثراة فى المال ومنسأة فى الاثر اخرجه الترمذى * وقوله تعالى ﴿ويخشون ربهم﴾ يعنى انهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما امر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر مايكون ذلك عن علم بما يخشى منه ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ تقدم معناه ﴿والذين صبروا﴾ يعنى على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصى وقيل حمله على العموم أولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوائب والمأمورات من سائر العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصى من الحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على مانزل به من الامراض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ماذكر وانما قيد الصبر بقوله ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته على مايحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا تتشمت به الاعداء وكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلا تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانها لغير الله تعالى النوع الثانى الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من الله طالبا فى ذلك الصبر ثواب الله محتسبا أجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعنى صبروا على مانزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه ﴿وأقاموا الصلوة﴾ يعنى الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها اتمام أركانها وهيآتها ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية﴾ قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها سرا وان كان متهما بترك اداء الزكاة فالاولى أن يؤديها علانية وقيل ان المراد بالسر مايخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية

(ويخشون ربهم) أى وعيده كله (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب فى النفوس والاموال ومشاق التكاليف (ابتغاء وجه ربهم) لاليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب فى الجزع (وأقاموا الصلوة) داوموا على اقامتها (وأنفقوا مما رزقناهم) أى من الحلال وان كان الحرام رزقا عندنا (سرا وعلانية) يتناول النوافل لانها فى السر أفضل والفرائض لان المجاهرة بها أفضل نفيا للتهمة

(ويخشون ربهم) يعملون لربهم (ويخافون سوء الحساب) شدة العذاب (والذين صبروا) على امر الله والمرازى (ابتغاء وجه ربهم) طلب رضا ربهم (وأقاموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وأنفقوا مما رزقناهم) تصدقوا مما أعطيناهم (سرا) فيما بينهم وبين الله (وعلانية) فيما بينهم وبين الناس

ستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كمن هو أعمى) كبعد ما بين الزبد والماء الخبث والابريز (انما يتذكر أولوا الالباب) أي الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا

﴿كمن هو أعمى﴾ عمى القلب لا يستبصر فتستجيب والهمزة لانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب من المثل ﴿انما يتذكر أولوا الالباب﴾ ذووا العقول المبرات عن مشابعة الالف ومعارضة الوهم ﴿الذين يوفون بعهد الله﴾ بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عهده الله تعالى عليهم في كتبه ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾ ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص ﴿والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل﴾ من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس

يعني فيؤمن به ويعمل بما فيه ﴿كمن هو أعمى﴾ يعني اعمى البصيرة لا اعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل فالاول هو حمزة أو عمار والثاني هو ابو جهل وحمل الآية على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي لرشد وربما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان للرشد وهما واقعان في المهلكة ﴿انما يتذكر اولوا الالباب﴾ يعني انما يتعظ ذووا العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار * قوله عز وجل ﴿الذين يوفون بعهد الله﴾ يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما امرهم به وفرضه عليهم واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد ما اخذه على اولاد آدم حين اخرجهم من صلبه واخذ عليهم العهد والميثاق ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾ بل يوفون به فهو توكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله ﴿والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل﴾ قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعني يصل بينهم بالايمان ولا يفرق بين احد منهم والاكثرون على ان المراد به صلة الرحم * عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته او قال بتته اخرجه ابو داود والترمذي (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (خ) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط له في رزقه وان ينسأ له في اثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم وضده القطع وقوله وان ينسأ له في اثره الاثر هنا الاجل وسمي الاجل اثرا لانه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الاجل وهو على وجهين احدهما ان

واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبى الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة وقيل هو صفة لاولى الالباب والاول أوجه وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ما أوثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر

الحق (كمن هو أعمى) كافر (انما يتذكر) يتعظ بما أنزل اليك من القرآن (أولوا الالباب) ذووا العقول من الناس (الذين يوفون بعهد الله) يتمون فرائض الله (ولا ينقضون الميثاق) لا يتركون فرائض الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام ويقال من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن

(للذين استجابوا) أي أجابوا متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى)
وهي صفة لمصدر استجابوا اى استجابوا الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) أي
وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثالا الفريقين وقوله (لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) كلام مبتدأ فى ذكر مآل غير المستجيبين أي لو ملكوا اموال الدنيا وملكوا معها مثلها لبذلوها ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قد تم على الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما فى حيزه (أولئك لهم سوء الحساب) المناقشة فيه فى الحديث من نوقش الحساب عذب (ومأواهم جهنم) مرجعهم بعد المحاسبة النار (وبئس المهاد) المكان الممهد والمذموم محذوف أي جهنم دخلت همزة الانكار على الفاء فى (أفمن يعلم) الانكار ان تقع شبهة ما بعد ما ضرب من المثل فى أن حال من علم (أن ما أنزل اليك من ربك الحق)

﴿للذين استجابوا﴾ للمؤمنين الذين استجابوا ﴿لربهم الحسنى﴾ الاستجابة الحسنى ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهى المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره ﴿لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به﴾ وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين ﴿اولئك لهم سوء الحساب﴾ وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شئ ﴿ومأواهم﴾ مرجعهم ﴿جهنم وبئس المهاد﴾ المستقر والمخصوص بالذم محذوف ﴿أفمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك الحق﴾ فيستجيب

الذى ينتفع به وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذى هو الكدر وهو ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا فى وقت فانه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الماء الصافى الذى ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذى لا ينتفع به البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذى يحصل فى قلوب العباد على ما قسم لها فى الازل لان الوادى اذا سال كنس كل شئ فيه من النجاسات والمستقذرات كذلك اذا سال وادى قلب العبد بالنور الذى قسم له على قدر ايمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض يعنى يذهب البواطل وهى الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهى الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال * وقوله تعالى ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ قيل اللام فى للذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعنى أجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيده والايمان به وبرسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للفريقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجمهور المفسرين يعنى الجنة وقيل الحسنى هى المنفعة العظمى فى الحسن وهى المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والانقطاع ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ يعنى الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه ﴿لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به﴾ يعنى لبذلوا ذلك كله فداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة ﴿أولئك﴾ يعنى الذين لم يستجيبوا لربهم ﴿لهم سوء الحساب﴾ قال ابراهيم النخعى سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له منه شئ ﴿ومأواهم﴾ يعنى فى الآخرة ﴿جهنم وبئس المهاد﴾ يعنى وبئس ما مهدلهم فى الآخرة وقيل المهاد الفراش يعنى وبئس الفراش يفرش لهم فى جهنم * قوله تعالى ﴿أفمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك الحق﴾

(للذين استجابوا لربهم) بالتوحيد فى الدنيا (الحسنى) لهم الجنة فى الآخرة (والذين لم يستجيبوا له) لربهم بالتوحيد (لو أن لهم ما فى الارض) من الذهب والفضة (جميعا ومثله معه) ضعفه معه (لافتدوا به) لفادوا به أنفسهم (أولئك لهم سوء الحساب) شدة العذاب (يعنى (ومأواهم) مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) الفراش والمصير (أفمن يعلم) يصدق (أنما أنزل اليك من ربك) يعنى القرآن (الحق) *

ا(كذلك يضرب الله الحق والباطل) أى مثل الحق والباطل (فاما الزبد فيذهب جفاء) حال أى متلاشيا وهو ماتقذفه ر عند الغليان والبحر عند الطغيان والجفء الرمى وجفوت الرجل صرعته (وأما ماينفع الناس) من الماء والحلى و اوانى (فيمكث فى الارض) فيثبت الماء فى العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى فى الارض مدة طويلة (ذلك يضرب الله الامثال) ليظهر الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه فمثل الحق وأهله بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بانواع المنافع وبالفلز الذى ينتفعون به فى صوغ الى منه واتخاذ الاوانى والآلات المختلفات وذلك ماكث فى الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء فى منافعه وكذلك اهر تبقى أزمنة مطاولة وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذى يرمى به وبزبد الفلز الذى يطفو فوقه اذا أذيب قال الجمهور وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء القرآن نزل لحياة الجنان كالماء للابدان والاودية القلوب ومعنى بقدرها بقدر سعة القلب وضيقه والزبد هواجس النفس ووساوس الشيطان والماء الصافى المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو الماء كذلك تذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما حلية الذهب والفضة فمثل للاحوال السنية والاخلاق الزكية وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فمثل للاعمال مدة بالاخلاص المعدة للخلاص فان الاعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما ان تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب بعضها آلة الدفع فى الحرب وأما الزبد فالرياء والخلل والملل والكسل واللام فى

زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء أو للتبعيض ٭ وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ مثل الحق والباطل فانه مثل الحق فى افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث فى الارض بان يثبت بعضه فى منابعه ويسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذى ينتفع به فى صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل فى قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله ﴿ فاما الزبد فيذهب جفاء ﴾ يجفأ به ان يرمى به السيل أو الفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد ﴿ واما ما ينفع الناس ﴾ كالماء وخلاصة الفلز ﴿ فيمكث فى الارض ﴾ ينتفع به اهلها ﴿ كذلك يضرب الله الامثال ﴾ لايضاح المشتبهات

عليه فى النار اذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالصافى من الماء ومن هذه الجواهر هو الذى ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذى لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ فالحق هو الجوهر الصافى الثابت والباطل هو الزبد الطافى الذى لا ينتفع به وهو قوله ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ﴾ يعنى ضائعا باطلا والجفاء مارمى به الوادى من الزبد الى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الريح الغيم اذا فرقته والمعنى ان الباطل وان علا فى وقت فانه يضمحل ويذهب ﴿ وأما ما ينفع الناس ﴾ يعنى الماء الصافى والجوهر الجيد من هذه الاجسام التى تذاب ﴿ فيمكث فى الارض ﴾ يعنى يثبت ويبقى ولا يذهب ﴿ كذلك يضرب الله الامثال ﴾ قال أهل التفسير والمعانى هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق فى بعض الاوقات والاحوال فان الله يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذى يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافى

بث الحديد والنحاس لا ينتفع به كما لا ينتفع بخبث الحديد والنحاس (كذلك يضرب الله) يبين الله (الحق والباطل فأما الزبد ذهب جفاء) يقول يذهب كما جاء لا ينتفع به فكذلك الباطل لا ينتفع به (وأما ماينفع الناس) وهو الماء الصافى والذهب لفضة والحديد والنحاس (فيمكث فى الارض) ينتفع به فكذلك الحق ينتفع به (كذلك يضرب الله الامثال) يبين الله أمثال الحق الباطل

(فاحتمل السيل) أى رفع (زبدا) هو ماعلا على وجه الماء من الرغوة والمعنى علاه زبد (رابيا) منتفخا مرتفعا على وجه السيل (ومما توقدون عليه) وبالياء كوفى

ومن لابتداء الغاية أى ومنه ينشأ زبده زبد الماء أى للتبعيض أى وبعضه زبد (فى النار) حال من الضمير فى عليه أى ومما توقدون عليه ثابتا فى النار (ابتغاء حلية) مبتغين حلية فهو مصدر فى موضع الحال من الضمير فى توقدون (أو متاع) من الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منها الاوانى ومايتمتع به فى الحضر والسفر وهو معطوف على حلية أى زينة من الذهب والفضة (زبد) خبث وهو مبتدأ (مثله) نعت له ومما توقدون خبر له أى لهذه الفلزات اذا أغليت زبد مثل زبد

(فاحتمل السيل) القلوب المظلمة (زبدا رابيا) باطلا كثيرا بهواها (ومما يوقدون عليه فى النار) وهذا مثل آخر يقول ومما تطرحون فى النار من الذهب والفضة فيه خبث مثل زبد البحر الملح (ابتغاء) طلب (حلية) تلبسونها يقول مثل الحق مثل الذهب والفضة ينتفع بهما كذلك الحق ينتفع به صاحبه ومثل الباطل مثل خبث الذهب والفضة لاينتفع به كذلك لاينتفع بالباطل صاحبه (أو متاع) أوحديد أونحاس (زبد مثله) يقول يكون له خبث أى مثله مثل زبد الماء وهذا مثل ﴿ عليه ﴾ آخر يقول مثل الحق كمثل الحديد والنحاس ينتفع بهما فكذلك الحق ينتفع به صاحبه ومثل الباطل كمثل

﴿ فاحتمل السيل زبدا ﴾ رفعه والزبد وضر الغليان ﴿ رابيا ﴾ عاليا ﴿ ومما توقدون عليه فى النار ﴾ يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ﴿ ابتغاء حلية ﴾ أى طلب حلى ﴿ أو متاع ﴾ كالاوانى وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها ﴿ زبد مثله ﴾ أى ومما توقدون عليه

جمع جدب على غير قياس وقياسه أجدب والجدب ضد الخصب وقال الخطابى هى التى تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفى رواية الهروى اخاذات بالخاء المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهى الغدير الذى يمسك الماء وقوله ورعوا كذا هو فى صحيح مسلم من الرعى ووقع فى صحيح البخارى وزرعوا بزيادة زاء من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوى من الارض وقوله فذلك مثل من فقه فى دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروى بكسرها ومعناه فهم الاحكام وأما معنى الحديث ومقصوده فهو ان النبى صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التى أصابها المطر قال العلماء والارض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الطيبة التى تنتفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعى وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه الهدى وغير ذلك من العلم فيحيي به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم النوع الثانى من أنواع الارض أرض لاتقبل الانتفاع فى نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهى امساك الماء لغيرها لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثانى من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم أفهام ثاقبة فيبقى ماعندهم من العلم حتى يجىء المحتاج اليه المتعطش لما عندهم من العلم فيأخذ منهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من أنواع الارض ارض سبخة لاتنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا أفهام ثاقبة فاذا بلغهم شئ من العلم لاينتفعون به فى انفسهم ولا ينفعون غيرهم والله أعلم ☼ وقوله تعالى ﴿ فاحتمل السيل زبدا ﴾ الزبد مايعلو على وجه الماء عند الزيادة كالحبب وكذلك مايعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذى حدث من ذلك الماء زبدا ﴿ رابيا ﴾ يعنى عاليا مرتفعا فوق الماء طافيا عليه وهنا تم المثل ثم ابتدأ بمثل آخر فقال تعالى ﴿ ومما توقدون عليه فى النار ﴾ الايقاد جعل الحطب فى النار لتتقد تلك النار تحت الشئ ليذوب ﴿ ابتغاء حلية ﴾ يعنى لطلب زينة والضمير فى قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لاتطلب الامنهما ﴿ أو متاع ﴾ يعنى أو لطلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب وتتخذ منه الاوانى وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يتمتع به ويقال لكل ما ينتفع به فى البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاوانى متاع ﴿ زبد مثله ﴾ يعنى ان ذلك الذى يوقد

﴿قل الله خالق كل شئ﴾ أى لا خالق غيره فيشاركه فى العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عما سواه ليدل على قوله ﴿وهو الواحد﴾ المتوحد بالالوهية ﴿القهار﴾ الغالب على كل شئ ﴿انزل من السماء ماء﴾ من السحاب أو من جانب السماء أو من السماء نفسها فان المبادى منها ﴿فسالت اودية﴾ انهار جمع واد وهو الموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجارى فيه وتنكيرها لان المطر يأتى على تناوب بين البقاع ﴿بقدرها﴾ بمقدارها الذى علم الله تعالى انه نافع غير ضار أو بمقدارها فى الصغر والكبر

لزمتهم الحجة وهو قوله تعالى ﴿قل الله خالق كل شئ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل شئ مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شئ من العموم الذى يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شئ وهو غير مخلوق ﴿وهو الواحد﴾ يعنى والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها ﴿القهار﴾ لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره وارادته ﴿وقوله عز وجل ﴿أنزل من السماء ماء﴾ لما شبه الله عز وجل الكافرين بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى أنزل من السماء ماء يعنى المطر ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ أودية جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسال فى الوادى فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء فى النهر فحذف فى لدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بملئها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار مائها وانما نكر أودية لان المطر اذا نزل لا يعم جميع الارض ولا يسيل فى كل الاودية بل ينزل فى أرض دون أرض ويسيل فى واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتنكير وقال ابن عباس أنزل من السماء ماء يعنى قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت أودية بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين انتفعوا بنزول القرآن (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء نفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به قال الشيخ محيي الدين النووى رحمه الله وغيره فى معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلأ فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش وأما قوله وكان منها أجادب فبالجيم والدال المهملة والباء الموحدة كذا فى الصحيحين وهى الارض التى لا تنبت الكلأ

(قل الله خالق كل شئ) أى خالق الاجسام والاعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك فى الخلق فلا يكون له شريك فى العبادة ومن قال ان الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور (أنزل) أى الواحد القهار وهو الله سبحانه (من السماء) من السحاب (ماء) مطرا (فسالت أودية) جمع واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة وانما نكر لان المطر لا يأتى الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض (بقدرها) بمقدارها الذى علم الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار

(قل) يا محمد (الله خالق كل شئ) بائن منه لا الآلهة لا اله الا هو (وهو الواحد القهار) الغالب على خلقه ثم ضرب مثل الحق والباطل فقال (أنزل من السماء ماء) يقول أنزل جبريل بالقرآن وبين فيه الحق والباطل (فسالت أودية بقدرها) فاحتملت القلوب المنورة الحق بقدر سعتها ونورها

(قل أفاتخذتم من دونه أولياء) أبعد أن علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة (لا يملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا) لا يستطيعون لانفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضرا عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم

(قل هل يستوى الاعمى والبصير) أى الكافر والمؤمن أو من لا يبصر شيأ ومن لا يخفى عليه شئ (أم هل تستوى الظلمات والنور) مثل الكفر والايمان يستوى كونى غير حقيقى (أم جعلوا لله شركاء) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الانكار (خلقوا كخلقه) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أى انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخلق عليهم) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق

الذى لا يمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به ﴿ قل أفاتخذتم من دونه ﴾ ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل ﴿ اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ﴾ لا يقدرون على أن يجلبوا اليها نفعا أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون ايقاع الخير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم فى اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم ﴿ قل هل يستوى الاعمى والبصير ﴾ المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ﴿ أم هل تستوى الظلمات والنور ﴾ الشرك والتوحيد ٥ وقرأ حمزة والكسائى وابوبكر بالياء ﴿ أم جعلوا لله شركاء ﴾ بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله ﴿ خلقوا كخلقه ﴾ صفة لشركاء داخلة فى حكم الانكار ﴿ فتشابه الخلق عليهم ﴾ خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق

بقوله ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد للمشركين ﴿ أفاتخذتم من دونه ﴾ يعنى من دون الله ﴿ أولياء ﴾ يعنى الاصنام والولى الناصر والمعنى توليتم غير رب السموات والارض واتخذتموهم انصارا يعنى الاصنام ﴿ لا يملكون ﴾ يعنى وهم لا يملكون ﴿ لأنفسهم نفعا ولاضرا ﴾ فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى ﴿ قل هل يستوى الاعمى والبصير ﴾ قال ابن عباس يعنى المشرك والمؤمن ﴿ أم هل تستوى الظلمات والنور ﴾ يعنى الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوى الاعمى والبصير كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن وكما لا تستوى الظلمات والنور كذلك لا يستوى الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لان الاعمى لا يهتدى سبيلا كذلك الكافر لا يهتدى سبيلا ﴿ أم جعلوا لله شركاء ﴾ هذا استفهام انكار يعنى جعلوا لله شركاء ﴿ خلقوا كخلقه ﴾ يعنى خلقوا سموات وأرضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا ﴿ فتشابه الخلق عليهم ﴾ من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خلق شيأ فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا الاستفهام انكارى أى ليس الامر كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الاشياء والشركاء مخلوقون له أيضا لا يخلقون شيأ حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركاء واذا كان الامر كذلك فقد

(قل) [illegible] (أفاتخذتم) أعبدتم (من دونه) من دون الله (أولياء) أربابا من الآلهة (لا يملكون لأنفسهم نفعا) جر النفع (ولا ضرا) دفع الضر (قل) لهم يا محمد (هل يستوى الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات والنور) يعنى الكفر والايمان (لزمتهم) (أم جعلوا لله) وصفوا لله (شركاء) من الآلهة (خلقوا) خلق (كخلقه) كخلق الله (فتشابه الخلق) فتشابه كل الخلق (عليهم) فلا يدرون خلق الله من خلق آلهتهم

﴿ وظلالهم ﴾ بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ماارادمنهم شاؤا أو كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال أو العلة وقوله ﴿ بالغدو والآصال ﴾ ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام أو حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع اصيل وهو مابين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ به والايصال وهو الدخول فى الاصيل ﴿ قل من رب السموات والارض ﴾ خالقهما ومتولى امرهما ﴿ قل الله ﴾ اجب عنهم بذلك اذلا جواب لهم سواه ولانه البين

بالعظمة والعبودية وكل من فى السموات من ملك ومن فى الارض من أنس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثانى فى معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع وترك الامتناع فكل من فى السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة فى الكل فهم خاضعون منقادون له * وقوله تعالى ﴿وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ الغدوة والغداة أول النهار وقيل الى نصف النهار والغدو بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع أصل وهو العشية والآصال العشايا جمع عشية وهى مابين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء فى التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانبارى لايبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وأفهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال أفهاما حتى سبحت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو والآصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر فى هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله أعلم * قوله تعالى ﴿قل من رب السموات والارض﴾ أى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعنى من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقرون بان الله خالق السموات ومافيها والارض ومافيها فاذا أجابوك بذلك فقل أنت يامحمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا أجب أنت فامره الله أن يجيبهم بقوله ﴿قل الله﴾ أى قل يامحمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لاينكرون ان الله خالق كل شئ فلما لم ينكروا ذلك وأجاب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكأنهم قالوا ذلك أيضا ثم ألزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام

(وظلالهم) معطوف على من جمع ظل (بالغدو) جمع غداة كقنى وقناة (والآصال) جمع اصل جمع أصيل قيل ظل كل شئ يسجد لله بالغدو والآصال وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع (قل من رب السموات والارض قل الله) حكاية لاعترافهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود وأبى قالوا الله أو هو تلقين أى فان لم يجيبوا فلقنهم فانه لاجواب الا هذا

(وظلالهم) ظلال من يسجد لله أيضا تسجد (بالغدو والآصال) غدوة وعشية غدوة عن أيمانهم وعشية عن شمائلهم (قل) يامحمد لاهل مكة (من رب) من خالق (السموات والارض) فان أجابوك وقالوا الله والا (قل الله) خالقهما

﴿وماهو ببالغه﴾ لانه جاد لايشعر بدعائه ولايقدر على اجابته والاتيان بغيرما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فيبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتوين ﴿ ومادعاء الكافرين الا فى ضلال ﴾ فى ضياع وخسارة وباطل ﴿ ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها ﴾ يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتى الشدة والرخاء والكفرة كرها حالة الشدة والضرورة

وماهو ببالغه ﴾ يعنى الاستجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جاد لايشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولايقدر أن يجيب دعاءه أو يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جاد لايحس بدعائهم ولايستطيع اجابتهم ولايقدر على نفعهم وقيل شبههم فى قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فيبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيأ ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل ان القابض على الماء ناشرا أصابعه لا يكون فى يده منه شئ ولا يبلغ الى فيه منه شئ كذلك الذى يدعو الاصنام لانها لاتضر ولاتنفع ولايفيده منها شئ وقيل شبه بالرجل العطشان الذى يرى الماء من بعيد بعينيه فهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلايأتيه أبدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يديه الى البئر فلاهو يبلغ الى قعر البئر ليخرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلاينفعه بسطه الكف الى الماء ودعاؤه له ولاهو يبالغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لاينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه فى الماء لاينفعه ذلك مالم يغرف بهما من الماء ولايبلغ الماء فاه مادام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لاينفعهم البتة * ثم ختم هذا بقوله ﴿ ومادعاء الكافرين ﴾ يعنى أصنامهم ﴿ الا فى ضلال ﴾ يعنى يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس فى هذه الآية أصواتهم محجوبة عن الله تعالى * قوله عز وجل ﴿ ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها ﴾ فى معنى هذا السجود قولان أحدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول ففى معنى الآية وجهان أحدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من فى السموات يعنى الملائكة ومن فى الارض من الانس يعنى المؤمنين طوعا وكرها يعنى من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعنى المنافقين الداخلين فى المؤمنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لايرجون على سجودهم ثوابا ولايخافون على تركه عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوف من المؤمنين الوجه الثانى هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا ففى اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى انه يجب على كل من فى السموات ومن فى الارض أن يسجد لله فعبر بالوجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف

كفيه (وماهو ببالغه) وما الماء ببالغ فاه (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) فى ضياع لامنفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الاصنام لم تستطع اجابتهم (ولله يسجد من فى السموات والارض) سجود تعبد وانقياد (طوعا) حال يعنى الملائكة والمؤمنين (وكرها) يعنى المنافقين والكافرين فى حال الشدة والضيق

الماء الى فيه (وماهو ببالغه) بتلك الحال الماء الى فيه أبدا يقول كما لايبلغ الماء فاه هذا الرجل كذلك لاتنفع الاصنام من عبدها (ومادعاء الكافرين) عبادة الكافرين (الا فى ضلال) فى باطل يضل عنهم (ولله يسجد) يصلى ويعبد (من فى السموات) من الملائكة (والارض) من المؤمنين (طوعا) أهل السماء لان عبادتهم بغير مشقة (وكرها) أهل الارض لان عبادتهم بالمشقة ويقال طوعا لاهل الاخلاص وكرها لاهل النفاق ويقال طوعا لمن ولد فى الاسلام وكرها لمن أدخل فى الاسلام جبرا

(له دعوة الحق) اضيفت الى الحق الذى هو ضد الباطل للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق وانها بمعزل من الباطل والمعنى
ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤله فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بانه يوجه اليه الدعاء لما
فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينتفع ولا يجدى دعاؤه واتصال شديد
المحال وله دعوة الحق بماقبله على قصة أربد ظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى الاول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ان دعا عليهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دونه) من دون الله (لا يستجيبون لهم بشئ) من طلباتهم (الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه) الاستثناء من المصدر أى من الاستجابة التى دل عليها لا يستجيبون لان الفعل بحروفه يدل على المصدر وبصيغته على الزمان وبالضرورة على المكان والحال فجاز استثناء كل منها من الفعل فصار التقدير لا يستجيبون استجابة الا استجابة كاستجابة باسط كفيه الى الماء أى كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم واللام فى ليبلغ متعلق بباسط

مثلا فى القوة والقدرة كقولهم ساعد الله اشد وموساه احد ﴿ له دعوة الحق ﴾ الدعاء الحق فانه الذى يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره أو له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة أو على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية فى عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله اجابة لدعوة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أو دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم أو بيان ضلالهم وفساد رأيهم ﴿ والذين يدعون ﴾ أى والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع أو والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة ﴿ من دونه ﴾ عليه ﴿ لا يستجيبون لهم بشئ ﴾ من الطلبات ﴿ الا كباسط كفيه ﴾ الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه ﴿ الى الماء ليبلغ فاه ﴾ يطلب منه ان يبلغه

انه لما أخبر عنهم أنهم يجادلون فى الله أخبر أنه أشد جدالا منهم ✲ قوله تعالى ﴿ له دعوة الحق ﴾ يعنى لله دعوة الصدق قال على دعوة التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان احدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه فى قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا نفع فيه ولا جدوى فيرد دعاءه الثانى ان تضاف الى الحق الذى هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق ✲ فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبلهما ✲ قلت أما على قصة أربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن طفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون فى الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه أن دعا عليهم وقيل فى معنى الآية الدعاء بالاخلاص والدعاء الخالص لا يكون الا لله تعالى ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ يعنى والذين يدعونهم آلهة من دون الله وهى الاصنام التى يعبدونها ﴿ لا يستجيبون لهم بشئ ﴾ يعنى لا يجيبونهم بشئ يريدونه من نفع أو دفع ضر ان دعوهم ﴿ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه

له دعوة الحق) دين الحق شهادة أن لا اله الا الله وهى كلمة الاخلاص (والذين يدعون) يعبدون (من دونه) من دون الله لا يستجيبون لهم بشئ) ينفع ان دعوهم (الا كباسط كفيه) الا كماد يديه (الى الماء) من بعد (ليبلغ فاه) لكى يبلغ

في الخصومة من الجدل وهو القتل والواو اما للعطف الجملة على الجملة أو للحال فانه روى ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدين لقتله عليه السلام فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت ﴿وهو شديد المحال﴾ المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل فلان بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول أو الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون

في شأن أربد بن ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم مم ربك أمن در أم من ياقوت أم من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته وسئل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعوني اليه هل هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ما رأينا رجلا أكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فلم يزدهم على مقالته الاولى شيأ بل قال أجيب محمدا الى رب لا أراه ولا أعرفه فانصرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله مازادنا على مقالته الاولى شيأ بل قال أخبث فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينماهم عنده يدعونه وينازعونه وهو لا يزيدهم على مقالته شيأ اذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت و برقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا استقبلهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم ذلك قالوا قد أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله واختلفوا في هذه الواو فقيل واو الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله و ذلك ان أربد لما جادل في الله أهلكه الله بالصاعقة وقيل انها واو الاستئناف فيكون المعنى انه تعالى لما تم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله ﴿وهو شديد المحال﴾ أي شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم تمحل به محلا اذا أراد به سوأ و قيل هو من قولهم تمحل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال باعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحل من المحول وهو الحيلة والميم زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النقمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك

(وهو شديد المحال) أي المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف لاستعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون

(وهو شديد المحال) شديد العقاب

من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ فيهلكه ﴿وهم يجادلون فى الله﴾ حيث يكذبون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد

بالذكر تشريفاله على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ماهو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذى يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهى حيث أمرت قالوا صدقت أخرجه الترمذى مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو فى الاصل ثوب يلف و يضرب به الصبيان بعضهم بعضا وأراد به هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب وقد جاء تفسيره فى حديث آخر وهو صوت من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شئ قدير فان أصابه صاعقة فعلى ديته وكان عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده وملائكة من خيفته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض شديد وفى بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لوأن عبادى أطاعونى لسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان بحور الماء فى نقرة ابهامه وانه يسبح الله فاذا سبح لا يبقى ملك فى السماء الارفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عز وجل لان التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وان لم يكن ذلك فى الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شئ الايسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه سبح الله فلهذا المعنى أضيف التسبيح اليه وقوله والملائكة من خيفته يعنى ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهذه الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من الملائكة وهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم أولى ﴿ويرسل الصواعق﴾ جمع صاعقة وهى العذاب النازل من البرق فيحترق من تصيبه وقيل هى الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار أو عذاب أو موت وهى فى ذاتها شئ واحد وهذه الاشياء الثلاثة تنشأ منها ﴿فيصيب بها﴾ يعنى بالصواعق ﴿من يشاء﴾ يعنى فيهلك بها كما أصاب أربد بن ربيعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر ﴿وهم يجادلون فى الله﴾ يعنى يخاصمون فى الله وقيل المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل اذا أحكمت فتله نزلت

النافذ فى كل شئ واستواء الظاهر والخفى عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال (وهم يجادلون فى الله) يعنى الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون فى الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيى العظام وهى رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الاجسام بقولهم الملائكة بنات الله والواو للحال أى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم وذلك ان أربد أخا لبيد ابن ربيعة العامرى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتلته أخبرنى عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد

(ويرسل الصواعق) يعنى النار (فيصيب بها من يشاء) فيهلك بالنار من يشاء يعنى زيد بن قيس أهلكه الله بالنار وأهلك صاحبه عامر بن الطفيل بطعنة فى خاصرته (وهم يجادلون) يخاصمون (فى الله) فى دين الله مع محمد صلى الله عليه وسلم

(ومالهم من دونه من وال) من دون الله ممن يلى أمرهم ويدفع عنهم (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا) انتصبا على الحال من البرق كانه فى نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين أى خائفين وطامعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع فى الغيث قال أبو الطيب • فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى • يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق • أو يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له نفع فيه (وينشئ السحاب) هو اسم جنس والواحدة سحابة (الثقال) بالماء وهو جمع ثقيلة تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال (ويسبح الرعد بحمده) قيل يسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر أى يسبحون بسبحان الله والحمد لله وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والصوت الذى يسمع زجره السحاب حتى ينتهى الى حيث أمر (والملائكة من خيفته) ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله

﴿ومالهم من دونه من وال﴾ ممن يلى امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله تعالى محال ﴿هو الذى يريكم البرق خوفا﴾ من اذاه ﴿وطمعا﴾ فى الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف أى ارادة خوف وطمع أو التأويل بالاخافة والاطماع أو الحال من البرق أو المخاطبين على اضمار ذو أو اطلاق المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه ﴿وينشئ السحاب﴾ الغيم المنسحب فى الهواء ﴿الثقال﴾ وهو جمع ثقيلة انما وصف به السحاب لانه اسم جنس فى معنى الجمع ﴿ويسبح الرعد﴾ ويسبح سامعوه ﴿بحمده﴾ ملتبسين به فيصيحون بسبحان الله والحمد لله أو يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الرعد فقال ملك مؤكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب ﴿والملائكة من خيفته﴾

يعنى لا يقدر أحد أن يرد ما أنزل الله بهم من قضائه وقدره ﴿ومالهم من دونه من وال﴾ يعنى وليس لهم من دون الله من وال يلى أمرهم وينصرهم ويمنع العذاب عنهم * قوله عز وجل ﴿هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا﴾ لما خوف الله عز وجل عباده بقوله واذا أراد الله بقوم سوأ ذكر فى هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه فقال تعالى هو الذى يعنى هو الله الذى يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب • وفى كونه خوفا وطمعا وجوه • الاول ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع فى نزول المطر • الثانى انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن فى جرينه يعنى بيدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له فى نزول المطر نفع كالزراع ونحوه • الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان فى غير مكانه وزمانه ويطمع اليه اذا كان فى مكانه وزمانه فان من البلاد ما اذا أمطرت قحطت واذا لم تمطر أخصبت ﴿وينشئ السحاب الثقال﴾ يعنى بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أى أبداها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الماء قاله على بن أبى طالب رضى الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء أو لم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالى من الماء وأصل السحب الجر وسمى السحاب سحابا اما لجر الريح له أو لجره الماء أو لانجراره فى سيره ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾ أكثر المفسرين على ان الرعد اسم للملك الذى يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه وأورد على هذا القول ما عطف عليه وهو قوله ﴿والملائكة من خيفته﴾ واذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب أن يكون غيره وأجيب عنه أنه لا يبعد أن يكون الرعد اسما لملك من الملائكة وانما افرده

(ومالهم) لمن أراد الله هلاكهم (من دونه) من دون الله (من وال) من مانع من عذاب الله ويقال من ملجأ يلجؤن اليه (هو الذى يريكم البرق) المطر (خوفا) للمسافر بالمطران (بالذكر) تبتل ثيابه (وطمعا) للمقيم ان يسقى حرثه (وينشئ) يخلق ويرفع (السحاب الثقال) بالمطر (ويسبح الرعد بحمده) بأمره وهو ملك ويقال صوت السماء (والملائكة) وتسبح الملائكة (من خيفته) وهم خائفون من الله

أو يحفظونه من المضار أو يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى * وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرث والجلاوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه من قضاء الله تعالى ﴿ان الله لا يغير مابقوم﴾ من العافية والنعمة ﴿حتى يغيروا ما بانفسهم﴾ من الاحوال الجميلة باحوال القبيحة ﴿واذا اراد الله بقوم سوأ فلا مرد له﴾ فلا رد له والعامل فى اذا مادل عليه الجواب

فى المسجد فى نفر من أصحابه قد خل المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان من أجل الناس وكان أعور فقال رجل يارسول الله هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد مالى ان أسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل الامر لى بعدك قال ليس ذلك لى انما ذلك الى الله تعالى يجعله حيث يشاء قال فتجعلنى على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لى قال اجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال أو ليس ذلك لى اليوم قم معى أكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد أوصى الى اربد بن ربيعة اذا رأيتنى أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار اربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومى اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى اربد وماصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على أربد صاعقة فى يوم صحو قائظ فاحرقته فولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لاملأنها عليك خيلا جردا وشبابا مردا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يمنعنى الله من ذلك وابنا قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم اليه سلاحه فخرج له خراج فى أصل اذنه أخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض فى الصحراء ويقول ادن ياملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن أبصرت محمدا وصاحبه يعنى ملك الموت لانفذنهما برمحى فارسل الله اليه ملكا فلطمه فارداه فى التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره وأجاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عامر بن الطفيل فمات بالطعن وأربد بن ربيعة مات بالصاعقة وأنزل الله عز وجل فى شأن هذه القصة سواء منكم من أسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه من يعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه أمر الله أى بامر الله وقيل ان تلك المعقبات من أمر الله وفيه تقديم وتأخير تقديره له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه * وقوله ﴿ان الله لا يغير مابقوم﴾ خطاب لهذين عامر بن الطفيل وأربد ابن ربيعة يعنى لا يغير مابقوم من العافية والنعمة التى أنعم بها عليهم ﴿حتى يغيروا ما بانفسهم﴾ يعنى من الحالة الجميلة فيعصون ربهم ويجحدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نقمته بهم وهو قوله تعالى ﴿واذا أراد الله بقوم سوأ﴾ يعنى هلاكا وعذابا ﴿فلا مرد له﴾

(ان الله لا يغير مابقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بانفسهم) من الحال الجميلة بكثرة المعاصى (واذا أراد الله بقوم سوأ) عذابا (فلا مرد له) فلا يدفعه شئ

المقادير (ان الله لا يغير مابقوم) من أمن ونعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) بترك الشكر (واذا أراد الله بقوم سوأ) عذابا وهلاكا (فلا مرد له) لقضاء الله فيهم

﴿ معقبات ﴾ ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا أو لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها أو اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب أو معقبة على تعويض الياء من احدى القافين ﴿ من بين يديه ومن خلفه ﴾ من جوانبه أو من الاعمال ماقدم واخر ﴿ يحفظونه من امر الله ﴾ من بأسه متى اذنب بالاستمهال أو الاستغفار له

معقبات ﴾ يعني لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل عقبتها ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التأنيث وان كان الملائكة ذكورا بالحسب لفظ مفردها لان واحدها معقب وجمعها معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل ابناوات سعد ورجالات بكر (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من بني آدم ملكين ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيآت وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيآت فاذا عمل العبد حسنة كتبها له بعشر أمثالها واذا عمل سيئة قال صاحب الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه فيقول أنظره لعله يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فان هو تاب منها والا قال اكتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه بها وان تجبر على الله عز وجل وضعه بها وملك موكل بعينيه يحفظهما من الاذى وملك موكل بفيه لا يدعه يدخل في فيه شئ من الهوام يؤذيه فهؤلاء خمسة أملاك موكلون بالعبد في ليله وخمسة غيرهم في نهاره فانظر الى عظمة الله تعالى وقدرته وكمال شفقته عليك أيها العبد المسكين وهو قوله تعالى ﴿ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من أمر الله بامر الله واذنه مالم يجئ القدر فاذا جاء خلوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه عما أمر الله به من الحفظ له قال مجاهد مامن عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما من شئ يأتيه يؤذيه الا قال له الملك وراءك الا شئ يأذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الاحبار لولا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه أي يحفظون عليه الحسنات والسيآت وهذا على قول من يقول ان الآية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيآت وقال عكرمة الآية في الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم والضمير في قوله له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الآية لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن زيد وكانت قصتهما على ماروا الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال اقبل عامر بن طفيل واربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس

ومن سرب (معقبات) جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه واصل معتقبات فادغمت التاء في القاف أو هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه لان بعضهم يعقب بعضا أو لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه (من بين يديه ومن خلفه) أي قدامه ووراءه (يحفظونه من أمر الله) هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من اجل أمر الله أي من أجل ان الله تعالى أمرهم بحفظه أو يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا أذنب بدعائهم له

معقبات) أيضا ملائكة يعقب بعضهم بعضا يعقب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة النهار ملائكة الليل (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه) مقدم ومؤخر (من امر الله) بأمر الله ويدفعونه الى

﴿ وكل شئ عنده بمقدار ﴾ بقدر لايجاوزه ولاينقص عنه كقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأله اسبابامسوقة اليه تقتضى ذلك ﴿ عالم الغيب ﴾ الغائب عن الحس ﴿ والشهادة ﴾ الحاضر له ﴿ الكبير ﴾ العظيم الشأن الذى لايبرح عن علمه شئ ﴿ المتعال ﴾ المستعلى على كل شئ بقدرته أو الذى كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه ﴿ سواء منكم من اسر القول ﴾ فى نفسه ﴿ ومن جهر به ﴾ لغيره ﴿ ومن هو مستخف بالليل ﴾ طالب للخفا فى مختبأ بالليل ﴿ وسارب ﴾ بارز ﴿ بالنهار ﴾ يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من أو مستخف على ان من فى معنى الاثنين كقوله

نكن مثل من ياذئب يصطحبان

كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله ﴿ له ﴾ لمن اسر أوجهر أواستخفى أوسرب

السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر واقل مدة الحمل ستة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا فى أكثره فقال قوم أكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة أكثرها أربع سنين واليه ذهب الشافعى وقال حماد بن أبى سلمة انما سمى هرم بن حيان هرما لانه بقى فى بطن أمه أربع سنين وعند مالك ان أكثر مدة الحمل خمس سنين ﴿ وكل شئ عنده بمقدار ﴾ يعنى بتقدير وحد لايجاوزه ولاينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شئ وكيفيته على أكمل الوجوه وقيل معناه وانه تعالى خصص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وارادته وتقديره الذى لايقدر عليه غيره ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ يعنى أنه تعالى يعلم ماغاب عن خلقه ومايشاهدونه وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ماغاب عن الحس والشاهد ماحضر فى الحس ﴿ الكبير ﴾ أى العظيم الذى يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدرته وأنه تعالى المستحق لصفات الكمال ﴿ المتعال ﴾ يعنى المنزه عن صفات النقص المتعالى عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزيهه عن جميع النقائص * قوله تعالى ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ﴾ أى مستو منكم من أخفى القول أو كتمه ومن أظهره وأعلنه والمعنى أنه قد استوى فى علم الله تعالى المسر بالقول والجاهر به ﴿ ومن هو مستخف بالليل ﴾ أى مستتر بظلمته ﴿ وسارب بالنهار ﴾ أى ذاهب بالنهار فى سربه ظاهرا والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال القتيبى السارب المتصرف فى حوائجه قال ابن عباس فى هذه الآية هو صاحب ريبة مستخف بالليل واذا خرج بالنهار أرى الناس أنه برئ من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشئ اذا اظهرته وأخفيته اذا كتمه وسارب بالنهار أى متوار دخل فى السرب مستخفيا ومعنى الآية سواء ماأضمرت به القلوب أونطقت به الالسن وسواء من أقدم على القبائح مستترا فى ظلمات الليل أوأتى بها ظاهرا فى النهار فان علمه تعالى محيط بالكل ﴿ له

وكل شئ عنده بمقدار) بقدر وحد لايجاوزه ولاينقص عنه لقوله انا كل شئ خلقناه بقدر (عالم الغيب) ماغاب عن الخلق (والشهادة) ماشاهدوه (الكبير) العظيم الشان الذى كل شئ دونه (المتعال) المستعلى على كل شئ بقدرته أو الذى كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها وبالياء فى الحالين مكى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أى فى علمه (ومن هو مستخف بالليل) متوار (وسارب بالنهار) ذاهب فى سربه أى فى طريقه ووجهه يقال سرب فى الارض سروبا وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف أو على مستخف غير أن من فى معنى الاثنين والضمير فى (له) مردود على من كانه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى

(وكل شئ) من الزيادة والنقصان وخروج الولد والمكث (عنده بمقدار عالم الغيب) ماغاب عن العباد (والشهادة) ماعلمه العباد ويقال الغيب مايكون والشهادة ما كان ويقال الغيب هو الولد فى الارحام والشهادة هو الذى خرج من الارحام (الكبير) ليس شئ أكبر منه (المتعال) ليس شئ أعلى منه (سواء منكم) عند الله بالعلم (من اسر القول) والفعل (ومن جهر به) من أعلن بالقول وفعل يعلم الله ذلك منه (ومن هو مستخف (قاوخا٦٠اث) بالليل) مستتر (وسارب) ظاهر (بالنهار) بقول أو عمل يعلم الله ذلك منه (له

مرسل للانذار كغيرك من الرسل وماعليك الاالاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لابما يقترح عليك ﴿ولكل قوم هاد﴾ نبى مخصوص بمعجزات من جنس ماهو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب أو قادر على هدايتهم وهوالله تعالى لكن لايهدى الا من يشاء هدايته بما ينزل عليك من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال مااقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وماعندالله باق بالتنوين فى الوصل فاذا وقف وقف بالياء فى هذا الاحرف الاربعة حيث وقعت لاغير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغيرياء فقال ﴿الله يعلم ماتحمل كل انثى﴾ أى حملها أوماتحمله وانه على أى حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة ﴿وماتغيض الارحام وماتزداد﴾ وماتنقصه وماتزداده فى الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عندمالك وسنتان عند ابى حنيفة روى ان الضحاك ولد لسنتين وهرم ابن حيان لاربع سنين واعلى عدده لاحدله وقيل نهاية ماعرف به اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رضى الله عنه وقال الشافعى رحمه الله اخبرنى شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا فى كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ماان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى أو لمافيها

أى ليس عليك يامحمد غير الانذار والتخويف وليس لك من الآيات شئ ﴿ولكل قوم هاد﴾ قال ابن عباس الهادى هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعى والمعنى انما عليك الانذار يامحمد والهادى هو الله يهدى من يشاء وقال عكرمة فى رواية أخرى عنه وأبو الضحى الهادى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أنت منذر وأنت هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعنى ولكل قوم نبى يهديهم وقال أبو العالية الهادى هو العمل الصالح وقال أبو صالح الهادى هو القائد الى الخير لاالى الشر * قوله عزوجل ﴿الله يعلم ماتحمل كل أنثى﴾ لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات أخبرهم الله عزوجل عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل أنثى يعنى من ذكر أو أنثى سوى الخلق أوناقص الخلق واحدا أواثنين او اكثر ﴿وماتغيض﴾ يعنى وما تنقص ﴿الارحام وماتزداد﴾ قال أهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا فى الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد فى الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم وقيل اذا حاضت المرأة فى وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرة فان رأت خمسة أيام دما وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالنقصان فى الغذاء زيادة فى مدة الحمل وقيل النقصان

بها (ولكل قوم هاد) من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بآية تخص بها لابما يريدون ويتحكمون (الله يعلم ماتحمل كل أنثى وماتغيض الارحام وماتزداد) ما فى هذه المواضع الثلاثة موصولة أى يعلم ماتحمله من الولد على أى حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك وماتغيضه الارحام أى ويعلم ماتنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا وما تزداده والمراد عدد الولد فانها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة أو جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا أو مدة الولادة فانها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عندنا والى أربع عند الشافعى والى خمس عند مالك أو مصدرية أى يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الارحام وازديادها

(ولكل قوم هاد) نبى ويقال داع يدعوهم من الضلالة الى الهدى (الله يعلم ماتحمل كل [illegible] أنثى [illegible]) وما تنقص (الارحام) فى الحمل من التسعة (وماتزداد) على التسعة فى الحمل

(يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره (وقد خلت من قبلهم المثلات) أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فمالهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أى ظالمين لانفسهم قال السدى يعنى المؤمنين وهى أرجى آية فى كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فان التوبة تزيلها وترفعها (وان ربك لشديد العقاب) على الكافرين أو هما جميعا فى المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيهما أى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (انما أنت منذر) انما أنت رجل أرسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأى آية كانت والآيات كلها سواء فى حصول صحة الدعوى

﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾ بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء ﴿ وقد خلت من قبلهم المثلات ﴾ عقوبات امثالهم من المكذبين فمالهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الثاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات ﴿ وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر أو اول المغفرة بالستر والامهال ﴿ وان ربك لشديد العقاب ﴾ للكفار أو لمن يشاء وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ﴿ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه ﴾ لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتى موسى وعيسى عليهما السلام ﴿ انما انت منذر ﴾

فيها لا يخرجون منها ولا يموتون ﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾ الاستعجال طلب تعجيل الامر قبل مجئ وقته والمراد بالسيئة هنا هى العقوبة وبالحسنة العافية وذلك ان مشركى مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴿ وقد خلت من قبلهم المثلات ﴾ يعنى وقد مضت فى الامم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم الثاء المثلثة نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثالا ليرتدع غيره به وذلك كالنكال وجمعه مثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثاء فيهما لغتان ﴿ وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا آمنوا ﴿ وان ربك لشديد العقاب ﴾ يعنى للمصرين على الشرك الذى ماتوا عليه وقال مجاهد انه لذو تجاوز عن شركهم فى تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب ﴿ قوله تعالى ﴿ ويقول الذين كفروا ﴾ يعنى من أهل مكة ﴿ لولا ﴾ أى هلا ﴿ أنزل عليه ﴾ يعنى على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ آية من ربه ﴾ يعنى مثل عصا موسى وناقة صالح وذلك لانهم لم يقتنعوا بما رأوا من الآيات التى جاءهم بها النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ انما أنت منذر ﴾

منها أبدا (ويستعجلونك) يا محمد (بالسيئة) بالعذاب استهزاء (قبل الحسنة) قبل العافية لا يستأونك العافية (وقد خلت) مضت (من قبلهم المثلات) العقوبات فيمن هلك (وان ربك لذو مغفرة) تجاوز (للناس) لاهل مكة (على ظلمهم) على شركهم ان تابوا وآمنوا (وان ربك لشديد العقاب) لمن تاب عن الشرك (ويقول الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (لولا أنزل عليه) هلا أنزل عليه (آية) علامة (من ربه) لنبوته كما أنزل على رسله الاولين (انما أنت) يا محمد (منذر) رسول مخوف

ومكى (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) عن الحسن مثل اختلاف القلوب فى آثارها وانوارها وأسرارها باختلاف القطع فى أنهارها وأزهارها وثمارها (وان تعجب) يامحمد من قولهم فى انكار البعث (فعجب قولهم) خبر ومبتدأ أى فقولهم حقيق بأن يتعجب منه لان من قدر على انشاء ماعددعليك كانت الاعادة أهون شئ عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب (أئذا كنا ترابا أئنالفى خلق جديد) فى محل الرفع بدل من قولهم قرأ عاصم وحمزة كل واحد بهمزتين (اولئك الذين كفروا بربهم) اولئك الكافرون المتمادون فى كفرهم (وأولئك الاغلال فى اعناقهم) وصف لهم بالاصرار أو من جملة الوعيد (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) دل تكرار أولئك على تعظيم الامر

فى الحمل والطعم (ان فى ذلك) فى اختلافها وألوانها (لآيات) لعلامات (لقوم يعقلون) يصدقون انها من الله (وان تعجب) من تكذيبهم اياك (فعجب قولهم) فقولهم اعجب حيث قالوا (أئذا كنا) صرنا (ترابا) [illegible] (أئنا لفى خلق جديد) نجدد بعد الموت ونبعث ونرجع (أولئك) أهل انكار البعث (الذين كفروا) هم الذين كفروا (بربهم وأولئك) أهل الكفر (الاغلال فى اعناقهم) والسلاسل فى (فيها) أعناقهم مشدودة الى أعناقهم (وأولئك) أهل الاغلال والسلاسل (اصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) مقيمون لايموتون ولايخرجون

يدبر الامر ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم بالتفكر ﴿ وان تعجب ﴾ يامحمد من انكارهم البعث ﴿ فعجب قولهم ﴾ حقيق بان تتعجب منه فان من قدر على انشاء ماقص عليك كانت الاعادة ايسر شئ عليه والآيات المعدودة كما هى دالة على وجود المبدأ فهى دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ﴿ أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد ﴾ بدل من قولهم أو مفعول له والعامل فى اذا محذوف دل عليه أئنا لفى خلق جديد ﴿ اولئك الذين كفروا بربهم ﴾ لانهم كفروا بقدرته على البعث ﴿ واولئك الاغلال فى اعناقهم ﴾ مقيدون بالضلالة لايرجى خلاصهم أو يغلون يوم القيامة ﴿ واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ لاينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار

للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * وقوله تعالى ﴿ان فى ذلك﴾ يعنى الذى ذكر ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ يعنى فيتدبرون ويتفكرون فى الآيات الدالة على وحدانيته * قوله تعالى ﴿ وان تعجب فعجب قولهم ﴾ العجب تغير النفس برؤية المستبعد فى العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب مالايعرف سببه ولهذا قيل العجب فى حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لاتخفى عليه خافية والخطاب فى الآية للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه انك يامحمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فعجب أمرهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين مالايضرهم ولاينفعهم آلهة يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقد رأوا من قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال مارأوا فعجب قولهم وقيل وانك ان تعجب من انكارهم النشأة الآخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله فعجب قولهم وذلك ان المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله وقد تقرر فى النفوس ان الاعادة اهون من الابتداء فهذا موضع التعجب وهو قولهم ﴿ أئذا كنا ترابا ﴾ يعنى بعد الموت ﴿ أئنا لفى خلق جديد ﴾ يعنى نعاد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله * ثم ان الله تعالى قال فى حقهم ﴿ أولئك الذين كفروا بربهم ﴾ وفيه دليل على ان كل من أنكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من أنكر البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة وان الله على كل شئ قدير ومن أنكر ذلك فهو كافر * وأولئك الاغلال فى أعناقهم ﴾ يعنى يوم القيامة والاغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل فى العنق وقيل أراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير ذليلا بالغل ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ يعنى انهم مقيمون

دبرامرها وهيأ اسبابها ﴿ وفى الارض قطع متجاورات ﴾ بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع فى الطبيعة الارضية ومايلزمها ويعرض لها بتوسط مايعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة فى النسب والاوضاع ﴿ وجنات من اعناب وزرع ونخيل ﴾ وبساتين فيها انواع الاشجار والزرع وتوحيد الزرع لانه مصدر فى اصله • وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل صنوان بالرفع عطفا على وجنات ﴿ صنوان ﴾ نخلات اصلها واحد ﴿ وغير صنوان ﴾ ومتفرقات مختلفات الاصول • وقرأ حفص بالضم وهو لغة بنى تميم كقنوان فى جمع قنو ﴿ تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ﴾ فى الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا ممايدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لايكون الا بتخصيص قادر مختار • وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ماذكر وحمزة والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله

للوصول الى حقيقتها * قوله عز وجل ﴿ وفى الارض قطع متجاورات ﴾ يعنى متقاربات بعضها من بعض وهى مختلفة فى الطبائع فهذه طيبة تنبت وهذه سبخة لاتنبت وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع ﴿ وجنات ﴾ يعنى بساتين والجنة كل بستان ذى شجر من نخيل وأعناب وغير ذلك سمى جنة لانه يستر باشجاره الارض واليه الاشارة بقوله ﴿ من أعناب وزرع ونخيل صنوان ﴾ جمع صنو وهى النخلات يجتمعن من أصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى عمه العباس عم الرجل صنو أبيه يعنى انهما من أصل واحد ﴿ وغير صنوان ﴾ هى النخلة المفردة باصلها فالصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق ﴿ يسقى بماء واحد ﴾ يعنى أشجار الجنات وزروعها والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام وقيل فى حده جوهر سيال به قوام الارواح ﴿ ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ﴾ يعنى فى الطعم مابين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك من الطعام * عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال الدقل والنرسيان والحلو والحامض أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال مجاهد هذا كمثل بنى آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى آدم كانت الارض طينة واحدة فى يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات وأنزل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلوكان الماء قليلا قيل انما هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولاتسمع وقال الحسن والله ماجالس القرآن أحد الاقام من عنده بزيادة أونقصان قال الله تعالى وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة

متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وذلك دليل على قادر مدبر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه (وجنات) معطوفة على قطع (من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) بالرفع مكى وبصرى وحفص عطف على قطع غيرهم بالجر بالعطف على أعناب والصنوان جمع صنو وهى النخلة لها رأسان وأصلها واحد وعن حفص بضم الصاد وهما لغتان (تسقى بماء واحد) وبالياء عاصم وشامى (ونفضل بعضها على بعض) وبالياء حمزة وعلى (فى الاكل) فى الثمر وبسكون الكاف نافع

(وفى الارض قطع) أمكنة (متجاورات) ملتزقات ارض سبخة رديئة وبجنبها أرض طيبة عذبة جيدة (وجنات من اعناب) من كروم (وزرع) حرث (ونخيل صنوان) مجتمع اصولها فى اصل واحد عشرة أو أقل أو أكثر (وغير صنوان) مفترق اصولها واحدة واحدة (يسقى بماء واحد) بماء المطر أو بماء النهر (ونفضل بعضها على بعض فى الاكل)

من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء ﴿ وهو الذى مد الارض ﴾ بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان ﴿ وجعل فيها رواسى ﴾ جبالا ثوابت من رسى الشئ اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انها صفة اجبل أو للمبالغة ﴿ وانهارا ﴾ ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال أسباب لتولدها ﴿ ومن كل الثمرات ﴾ متعلق بقوله ﴿ جعل فيها زوجين اثنين ﴾ أى وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير ﴿ يغشى الليل النهار ﴾ يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا ه وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر يغشى بالتشديد ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم

قدرته لكى توقنوا وتصدقوا بلقائه والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجاده واحيائه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهو فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم بزوال الشك يقال منه استيقن وأيقن بمعنى علم ﴿ قوله تعالى ﴾ وهو الذى مد الارض ﴾ لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهى رفع السموات بغير عمد وذكر أحوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذى مد الارض أى بسطها على وجه الماء وقيل كانت الارض مجتمعة فمدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض منسطحة كالاكف وعند أصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن أن يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح كبير العظم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد أخبر أنه مد الارض وانه دحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطح والله تعالى أصدق قيلا وأبين دليلا من أصحاب الهيئة ﴿ وجعل فيها ﴾ يعنى فى الارض ﴿ رواسى ﴾ يعنى جبالا ثابتة يقال رسا الشئ يرسو اذا ثبت وأرساه غيره أثبته قال ابن عباس كان أبو قبيس أول جبل وضع على الارض ﴿ وأنهارا ﴾ يعنى وجعل فى الارض أنهارا جارية لمنافع الخلق ﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾ يعنى صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضا ﴿ يغشى الليل النهار ﴾ يعنى يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار ﴿ ان فى ذلك ﴾ يعنى الذى تقدم ذكره من عجائب صنعته وغرائب قدرته الدالة على وحدانيته ﴿ لآيات ﴾ أى دلالات ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ يعنى فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب فى طلب الاشياء وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن أن يحصل له صورة فى القلب ولهذا روى تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر مقلوب عن الفرك لانه يستعمل فى طلب المعانى وهو فرك الامور وبحثها طلبا

(وهو الذى مد الارض) بسطها (وجعل فيها رواسى) جبالا ثوابت (وأنهارا) جارية (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) أى الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك (يغشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلما بعدما كان أبيض منيرا يغشى حمزة وعلى وأبو بكر (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ان لها صانعا عليما حكيما

الموت (وهو الذى مد الارض) بسط الارض على الماء (وجعل فيها رواسى) خلق فى الارض الجبال الثوابت أوتادا لها (وأنهارا) أجرى فيها انهارا (ومن كل الثمرات) من الوان كل الثمرات (جعل فيها) خلق فيها (زوجين اثنين) الحامض والحلو زوج والابيض والاحمر زوج (يغشى الليل النهار) يغطى الليل بالنهار والنهار بالليل يقول يذهب بالليل ويجئ بالنهار ويذهب بالنهار ويجئ بالليل (ان فى ذلك) فى اختلاف ما ذكرت (لآيات) لعلامات (لقوم يتفكرون) لكى يتفكروا فيه

أواستئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها فى حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضى ذلك لابد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولاجسمانى يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ماذكر من الآيات ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ بالحفظ والتدبير ﴿ وسخر الشمس والقمر ﴾ ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع فى حدوث الكائنات وبقائها ﴿ كل يجرى لاجل مسمى ﴾ لمدة معينة يتم فيها ادواره أولغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت ﴿ يدبر الامر ﴾ امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك ﴿ يفصل الآيات ﴾ ينزلها ويبينها مفصلة أويحدث الدلائل واحدا بعد واحد ﴿ لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ لكى تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان

ان الرؤية ترجع الى السماء يعنى وأنتم ترون السموات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعنى ليس من دونها دعامة تدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد نفى العمد بالكلية قال اياس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين واحدى الروايتين عن ابن عباس والقول الثانى ان الرؤية ترجع الى العمد والمعنى ان لها عمدا ولكن لاترونها أنتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس والقول الاول أصح ﴿ وقوله تعالى ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ تقدم تفسيره والكلام عليه فى سورة الاعراف بما فيه كفاية ﴿ وسخر الشمس والقمر ﴾ يعنى ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران يجريان على مايريد ﴿ كل يجرى لاجل مسمى ﴾ يعنى الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس أراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعنى انهما يجريان فى منازلهما ودرجاتهما الى غاية ينتهيان اليها ولايجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء والحركة ﴿ يدبر الامر ﴾ يعنى انه تعالى يدبر أمر العالم العلوى والسفلى ويصرفه ويقضيه بمشيئته وحكمته على أكمل الاحوال لايشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضائه وقدرته ﴿ يفصل الآيات ﴾ يعنى انه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهى خلق السموات والارض ومافيهما من العجائب وأحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثانى الموجودات الحادثة فى العالم وهى الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من أحوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته ﴿ لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ يعنى أنه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال

بغير عمد مرئية (ثم استوى على العرش) استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان (وسخر الشمس والقمر) لمنافع عباده ومصالح بلاده (كل يجرى لاجل مسمى) وهو انقضاء الدنيا (يدبر الامر) أمر ملكوته وربوبيته (يفصل الآيات) يبين آياته فى كتبه المنزلة (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لعلكم توقنون بان هذا المدبر والمفصل لابد لكم من الرجوع اليه

ويقال بعمد لاترونها (ثم استوى على العرش) كان الله على العرش قبل ان رفع السموات ويقال استقر ويقال امتلأ به ويقال استوى عنده القريب والبعيد على معنى العلم والقدرة (وسخر الشمس والقمر) ذلل ضوء الشمس والقمر لبنى آدم (كل يجرى لاجل مسمى) الى وقت معلوم (يدبر الامر) ينظر فى أمر العباد ويبعث الملائكة بالوحى والتنزيل والمصيبة (يفصل الآيات) يبين القرآن بالامر والنهى (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لكى تصدقوا بالبعث بعد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألمر﴾ قيل معناه أنا الله أعلم وأرى ﴿تلك آيات الكتاب﴾ يعنى بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها أى تلك الآيات آيات السورة الكاملة أو القرآن ﴿والذى انزل اليك من ربك﴾ هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص أو احدى الصفتين على الاخرى أو الرفع بالابتداء وخبره ﴿الحق﴾ والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا أو ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ﴿ولكن اكثر الناس لايؤمنون﴾ لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه ﴿الله الذى رفع السموات﴾ مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر ﴿بغير عمد﴾ اساطين جمع عماد كاهاب واهب أو عمود كاديم واديم وقرئ عمد كرسل ﴿ترونها﴾ صفة عمد

قال ابن الجوزى اختلفوا فى نزولها على قولين أحدهما انها مكية رواه أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس انها مكية الا آيتين احداهما قوله ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول الثانى انها مدنية رواه عطاء الخراسانى عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية الا آيتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الى آخر الآيتين وقال بعضهم المدنى منها قوله هو الذى يريكم البرق الى قوله دعوة الحق وهى ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وثمانمائة وخمس وخمسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ألمر﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال ان معناه أنا الله الملك الرحمن ﴿تلك آيات الكتاب﴾ الاشارة بتلك الى آيات السورة المسماة بألمر والمراد بالكتاب السورة اى آيات السورة الكاملة العجيبة فى بابها ثم قال تعالى ﴿والذى أنزل اليك من ربك الحق﴾ يعنى من القرآن كله هو الحق الذى لامزيد عليه وقيل المراد بالاشارة فى قوله تلك الاخبار والقصص أى الاخبار والقصص التى قصصتها عليك يا محمد هى آيات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذى أنزل اليك يعنى وهذا القرآن الذى أنزل اليك يا محمد من ربك الحق أى هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة [illegible] يعنى هذه آيات الكتاب الذى هو القرآن ثم قال والذى أنزل اليك من ربك الحق يعنى وهذا القرآن الذى أنزل اليك من ربك هو الحق الذى لاشك فيه ولاتناقض ﴿ولكن أكثر الناس لايؤمنون﴾ يعنى مشركى مكة نزلت هذه الآية فى الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته مايدل على وحدانيته فقال تعالى ﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد﴾ جمع عمود وهى الاساطين والدعائم التى تكون تحت السقف وفى قوله ﴿ترونها﴾ قولان أحدهما

[illegible] (والذى أنزل [illegible] ربك) أى القرآن كله (الحق) خبر والذى (ولكن أكثر الناس لايؤمنون) فيقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب الايمان فقال (الله الذى رفع السموات) أى خلقها مرفوعة لا أن تكون موضوعة فرفعها والله مبتدأ والخبر الذى رفع السموات (بغير عمد) حال وهو جمع عماد أو عمود (ترونها) الضمير يعود الى السموات أى ترونها كذلك فلا حاجة الى البيان أو الى عمد فيكون فى موضع جر على أنه صفة لعمد [illegible]

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ألمر) أنا الله أعلم وأرى [illegible] ويقال قسم أقسم به (تلك آيات الكتاب) ان هذه السورة آيات القرآن (والذى أنزل اليك من ربك الحق) [illegible] (الله الذى رفع السموات) خلق السموات ورفعها على الارض (بغير عمد ترونها) يقول ترونها بغير عمد (أن)

ما كان حديثا يفترى) ما كان القرآن حديثا مفترى كما زعم الكفار (ولكن تصديق الذي بين يديه) ولكن تصديق الكتب التي قدمته (وتفصيل كل شيء) يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس (وهدى) من الضلال (ورحمة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وأنبيائه وما نصب بعد لكن معطوف على خبر كان * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنما عبد تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه

﴿ ما كان حديثا يفترى ﴾ ما كان القرآن حديثا مفترى ﴿ ولكن تصديق الذي بين يديه ﴾ من الكتب الالهية ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط أو بغير وسط ﴿ وهدى ﴾ من الضلال ﴿ ورحمة ﴾ ينال بها خير الدارين ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ يصدقونه * وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

﴿ سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وهي خمس واربعون آية ﴾

من الجب بعد القائه فيه واخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال في أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب فدل على ان هذه القصة من أحسن القصص وان فيها عبرة لمن اعتبرها ﴿ ما كان حديثا يفترى ﴾ يعني ما كان هذا القرآن حديثا يفترى ويختلق لان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفتريه أو يختلقه لانه لم يقرأ الكتب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمفتر ﴿ ولكن تصديق الذي بين يديه ﴾ يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ يعني ان في هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شيء تحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في أمر دينهم ودنياهم ﴿ وهدى ﴾ يعني الى كل خير ﴿ ورحمة ﴾ يعني أنزلناه رحمة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لانهم هم الذين ينتفعون به والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الرعد ﴾

سكرات الموت واعطاه القوة أن لا يحسد مسلما قال الشيخ أبو منصور رحمه الله في ذكر قصة يوسف عليه السلام واخوته تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى قريش كأنه يقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه في الدين ومع الاخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فأنت مع مخالفتهم اياك في الدين أحرى ان تصبر على أذاهم وقال وهب ان الله تعالى لم ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هي في القرآن العظيم والله أعلم

﴿ سورة الرعد مكية وهي ثلاث أربعون آية كوفي وخمس وأربعون آية شامي ﴾

(ما كان حديثا يفترى) يعني القرآن ليس بحديث يختلق (ولكن تصديق الذي بين يديه) موافق التوراة والانجيل وسائر الكتب بالتوحيد وبعض الشرائع وخبر يوسف (وتفصيل كل شيء) تبيان كل شيء (قا و خا ٥٩ لث) من الحلال والحرام (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بمحمد عليه السلام والقرآن الذي انزل اليك من ربك والله اعلم باسرار كتابه ﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الرعد وهي مكية غير آيتين قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة الى آخرها وقوله ويقول الذين كفروا الى ومن عنده علم الكتاب فانهما مدنيتان آياتها خمس وأربعون وكلماتها ثمانمائة وخمس وخمسون وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف ﴾

والامهال على سبيل التمثيل * وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أى وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم * وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل أى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا ﴿ جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ﴾ النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان تشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم * وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضى المبنى للمفعول * وقرئ فنجى ﴿ ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين ﴿ لقد كان فى قصصهم ﴾ فى قصص الانبياء واممهم أو فى قصة يوسف واخوته ﴿ عبرة لاولى الالباب ﴾ لذوى العقول المبرأة من شوائب الالف والركون الى الحس

لشدة المحنة والبلاء واستبطؤا النصر أتاهم النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم يعنى وظنوا بالرسل ظن حسبان ان ربهم قد كذبهم فى وعد الظفر والنصر لابطائه وتأخره عنهم ولطول البلاء بهم لا أنهم كذبوهم فى كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من أتباعهم المؤمنين لانه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطء النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القولين جميعا فالكناية فى وظنوا للرسل (خ) عن عروة بن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أو كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم وماهو بالظن فقالت ياعروة أجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت فما هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان أتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك * وفى رواية عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة قال قال ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب بها هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قال فلقيت عروة بن الزبير وذكرت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ الله والله ما وعد الله رسوله من شئ قط الا علم انه كائن قبل ان يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون معهم من قومهم من يكذبوهم فكانت تقرؤها وظنوا انهم قد كذبوا مثقلة * وقوله تعالى ﴿ جاءهم نصرنا ﴾ يعنى جاء نصر الله النبيين ﴿ فنجى من نشاء ﴾ من عبادنا يعنى عند نزول العذاب بالكافرين فنجى المؤمنين المطيعين ﴿ ولا يرد بأسنا ﴾ يعنى عذابنا ﴿ عن القوم المجرمين ﴾ يعنى المشركين * قوله تعالى ﴿ لقد كان فى قصصهم ﴾ يعنى فى خبر يوسف واخوته ﴿ عبرة ﴾ أى موعظة ﴿ لأولى الالباب ﴾ يعنى يتعظ بها ذوو الالباب والعقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التى يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ماليس بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذى قدر على اخراج يوسف

(جاءهم نصرنا) للانبياء والمؤمنين بهم فجأة من غير احتساب (فنجى) بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء شامى وعاصم على لفظ الماضى المبنى للمفعول والقائم مقام الفاعل من الباقون فننجى (من نشاء) أى النبى ومن آمن به (ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) الكافرين (لقد كان فى قصصهم) أى فى قصص الانبياء واممهم أو فى قصة يوسف واخوته (عبرة لأولى الباب) حيث نقل من غاية الحب الى غيابة الجب ومن الحصير الى السرير فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة ونهاية المكر وخامة وندامة

(جاءهم نصرنا) يعنى عذابنا بهلاك قومهم (فنجى من نشاء) يعنى الرسل ومن آمن بالرسل (ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) المشركين (لقد كان فى قصصهم) فى خبرهم فى خبر يوسف واخوته (عبرة) آية (لأولى الالباب) لذوى العقول من الناس

الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثانى للرسل أى وظنوا ان الرسل قد كذبوا اواخلفوا فيما وعدلهم من النصر وخلط الامر عليهم وماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ماوعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن مايهجس فى القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة فى التراخى

وظنوا على هذه القراءة للمرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يؤمنون بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا عتنع حمل الضمير فى وظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جرى فى قوله أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أى مكذبى الرسل والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ماروى عن ابن عباس انه قال حتى اذا استيأس الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا فى وعد قومهم اياهم الايمان أى وعدوا أن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشاف وظنوا أنهم قد كذبوا أى كذبتهم أنفسهم حتى حدثتهم بانهم لاينصرون أو رجاؤهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لانصر لهم فى الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد أخلفوا ماوعدهم الله به من النصر قال وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن مايخطر بالبال ويهجس فى القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ماعليه الطبيعة البشرية وأما الظن الذى هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكى الواحدى عن ابن الانبارى انه قال هذا غير معول عليه من جهتين احداهما ان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متأول تأوله عليه والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا دال على أن أهل الكفر ظنوا مالا يجوز مثله واستضعفوا رسل الله ونصر الله للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما ولا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتبرئة الانبياء وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرأ الباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجهه ظاهر وهو ان معناه حتى اذ استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا يعنى وأيقنوا يعنى الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم فالظن بمعنى اليقين وهذه معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم ان يصدقوهم وظنوا أن من قد آمن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم

الرسل ان قومهم كذبوهم وبالتخفيف كوفى أى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا أى أخلفوا أو وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل أى كذبتهم الرسل فى انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه

جاؤا به من الله ان قرئت مشددة ويقال وظنوا يعنى القوم انهم يعنى الرسل قد كذبوا اخلف وعد الرسل ان قرئت مخففة

نفى استنباء النساء ﴿يوحى اليهم﴾ كما يوحى اليك ويميزون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحى فى كل القرآن ووافقه حمزة والكسائى فى سورة الانبياء ﴿من أهل القرى﴾ لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو ﴿أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من المكذبين بالرسول والآيات فيحذروا تكذيبك ومن المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ﴿ولدار الآخرة﴾ ولدار الحال أو الساعة أو الحياء الآخرة ﴿خير للذين اتقوا﴾ الشرك والمعاصى ﴿أفلا يعقلون﴾ يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلى أى قل لهم أفلا تعقلون ﴿حتى اذا استيأس الرسل﴾ غاية محذوف دل عليه الكلام أى لا يغررهم تمادى ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل من النصر عليهم فى الدنيا أو من ايمانهم لانهما كهم فى الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع ﴿وظنوا انهم قد كذبوا﴾ أى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون أو كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم أى وظن المرسل اليهم ان

ولم يكونوا ملائكة ﴿نوحى اليهم﴾ هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا اياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك ﴿من أهل القرى﴾ يعنى انهم من أهل الامصار والمدن لا من أهل البوادى لان أهل الامصار أفضل وأعلم وأكمل عقلا من أهل البوادى قال الحسن لم يبعث نبى من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل انما لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفائهم ﴿أفلم يسيروا فى الارض﴾ يعنى هؤلاء المشركين المكذبين ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ يعنى كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر هؤلاء بهم وما حل بهم من عذابنا ﴿ولدار الآخرة خير للذين اتقوا﴾ يعنى فعلنا هذا باوليائنا وأهل طاعتنا اذا أنجيناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما فى الدار الآخرة خير لهم يعنى الجنة لانها خير من الدنيا وانما أضاف الدار الى الآخرة وان كانت هى الآخرة لان العرب تضيف الشئ الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه ﴿أفلا يعقلون﴾ يعنى يتفكرون ويعتبرون به فيؤمنون * قوله عز وجل ﴿حتى اذا استيأس الرسل﴾ قال صاحب الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فتراخى نصرهم حتى اذا استيأس الرسل عن النصر وقال الواحدى حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها والمعنى حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ قرأ أهل الكوفة وهم عاصم وحمزة والكسائى كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدى ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أهل المعانى كذبوا من قولهم كذبتك الحديث أى لم أصدقك ومنه قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال أبو على والضمير فى قوله

كانوا يقولون لو شاء ربنا لأنزل ملائكة أو ليست فيهم امرأة (نوحى) بالنون حفص (اليهم من أهل القرى) لانهم أعلم وأحلم وأهل البوادى فيهم الجهل والجفاء (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة) أى ولدار الساعة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك وآمنوا به (أفلا تعقلون) وبالياء مكى وأبو عمرو وحمزة وعلى (حتى اذا استيأس الرسل) يئسوا من ايمان القوم (وظنوا أنهم قد كذبوا) وأيقن

نوحى اليهم) نرسل اليهم جبريل كما أرسل اليك (من اهل القرى) منسوب الى القرى مثلك (أفلم يسيروا) أهل مكة (فى الارض فينظروا) فيتفكروا (كيف كان عاقبة) كيف صار آخر أمر (الذين من قبلهم) من الكفار (ولدار الآخرة) الجنة (خير للذين اتقوا) الكفر والشرك والفواحش وآمنوا بالله ومحمد عليه السلام والقرآن (أفلا تعقلون) أفليس لكم ذهن الانسانية ان الآخرة خير من الدنيا ويقال ان الدنيا تفنى والآخرة تبقى ويقال افلا تصدقون بما اصاب الاولين حيث كذبوا الرسل (حتى اذا استيأس الرسل) فلما ايس الرسل من اجابة القوم (وظنوا) علموا وايقنوا يعنى الرسل (أنهم) يعنى قومهم (قد كذبوا) كذبوهم بتا.. (وظنوا)

اثبات قدرة التخليق للعبد والتوحيد المحض مايقوله أهل السنة وهوانه لاخالق الاالله (أفأمنواأن تأتيهم غاشية) وبة تغشاهم وتشملهم (من عذاب الله أوتأتيهم الساعة) القيامة (بغتة) حال أى فجأة (وهم لايشعرون) باتيانها (قل هذه سبيلى) هذه السبيل التى هى الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلى والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (أدعوا الى الله على بصيرة) أى أدعوا الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء (أنا) تأكيد للمستتر فى ادعو (ومن اتبعنى) عطف عليه أى أدعو الى سبيل الله أنا ويدعواليه من اتبعنى أوأنا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعنى عطف على أنا يخبر ابتداء بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لاعلى هوى (وسبحان الله) وأنزهه عن الشركاء (وما أنا من المشركين) مع الله غيره (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) لاملائكة لانهم

ذلك وقيل الآية فى مشركى مكة وقيل فى المنافقين وقيل فى اهل الكتاب ﴿ أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله ﴾ عقوبة تغشاهم وتشملهم ﴿ أوتأتيهم الساعة بغتة ﴾ فجأة من غير سابقة علامة ﴿ وهم لايشعرون ﴾ باتيانها غير مستعدين ﴿ قل هذه سبيلى ﴾ يعنى الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ﴿ ادعوا الى الله ﴾ وقيل هو حال من الياء ﴿ على بصيرة ﴾ بيان وحجة واضحة غير عمياء ﴿ أنا ﴾ تأكيد للمستتر فى ادعوا وفى على بصيرة لأنه حال منه أومبتدأ خبره على بصيرة ﴿ ومن اتبعنى ﴾ عطف عليه ﴿ وسبحان الله وماانا من المشركين ﴾ وانزهه تنزيها من الشركاء ﴿ ومارسلنا من قبلك الا رجالا ﴾ رد لقولهم لوشاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه

العرب وذلك انهم كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لبيك لاشريك لك الاشريك هولك تملكه وماملك وقال عطاء هذا فى الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم فى الرخاء فاذا أصابهم البلاء أخلصوا فى الدعاء ﴿ أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله ﴾ يعنى عقوبة مجللة تعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة وقيعة وقال الضحاك يعنى الصواعق والقوارع ﴿ أوتأتيهم الساعة بغتة ﴾ يعنى فجأة ﴿ وهم لايشعرون ﴾ يعنى بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم فى أسواقهم ﴿ قل ﴾ أى قل يامحمد لهؤلاء المشركين ﴿ هذه سبيلى ﴾ يعنى طريقى التى ﴿ أدعوا ﴾ اليها وهى توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمى الدين سبيلا لانه الطريق المؤدى الى الله عز وجل والى الثواب والجنة ﴿ الى الله ﴾ يعنى الى توحيد الله والايمان به ﴿ على بصيرة ﴾ يعنى على يقين و معرفة والبصيرة هى المعرفة التى يميز بها بين الحق والباطل ﴿ أنا ومن اتبعنى ﴾ يعنى من آمن بى وصدق بما جئت به أيضا يدعو الى الله وهذا قول الكلبى وابن زيد قال حق على من اتبعه وآمن به ان يدعو الى مادعا اليه ويذكر بالقرآن وقيل تم الكلام عند قوله أدعو الى الله ثم استأنف على بصيرة أنا ومن اتبعنى يعنى انا على بصيرة ومن اتبعنى أيضا على بصيرة قال ابن عباس ان محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا على احسن طريقة وأفضل هداية وهم معدن العلم وكنز الايمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنا فليستن بمن قدمات أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة وابرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا باخلاقهم وطريقهم فهؤلاء كانوا على الصراط المستقيم ❊ وقوله ﴿ وسبحان الله ﴾ أى وقل سبحان الله يعنى تنزيها له عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء والاضداد والانداد ﴿ وماأنا من المشركين ﴾ يعنى وقل يامحمد وما أنا من المشركين الذين أشركوا بالله غيره ❊ قوله عز وجل ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا ﴾ يعنى وما أرسلنا قبلك يامحمد الا رجالا مثلك

(أفأمنوا) اهل مكة (ان تأتيهم) ان لاتأتيهم (غاشية من عذاب الله) عذاب من عذاب الله مثل يوم بدر (أوتأتيهم الساعة) عذاب الساعة (بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) بنزول العذاب (قل) يامحمد لاهل مكة (هذه) يعنى ملة ابراهيم (سبيلى) دينى (ادعوا الى الله على بصيرة) على دين وبيان (أنا) ادعو (ومن تبعنى) آمن بى يدعون الى الله أيضا على بصيرة على دين وبيان (وسبحان الله) نزه نفسه عن الولد والشريك (وماأنا من المشركين) مع المشركين على دينهم (وماأرسلنا من قبلك) يامحمد الرسل (الا رجالا

(وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) اراد العموم أو أهل مكة أى وماهم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على ايمانهم (وما تسئلهم عليه) على التبليغ أو على القرآن (من أجر) جعل ان هو الا ذكر) ماهو الا موعظة (للعالمين) وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (وكأين من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (فى السموات والارض يمرون عليها) على الآيات أو على الارض ويشاهدونها (وهم عنها) عن الآيات (معرضون) لا يعتبرون بها والمراد مايرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أى وما يؤمن أكثرهم فى اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن الجمهور على انها نزلت فى المشركين لانهم مقرون بان الله خالقهم ورازقهم واذا حزبهم أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك مايقوله القدرية

(وما أكثر الناس) أهل مكة (ولو حرصت) لو جهدت كل الجهد مقدم ومؤخر (بمؤمنين) بالكتب والرسل (وما تسألهم) يا محمد (عليه) على التوحيد (من أجر) من جعل (ان هو) ماهو يعنى القرآن (الا ذكر) عظة (للعالمين) الجن والانس (وكاين من آية) من علامة (فى السموت) من الشمس والقمر والنجوم (العرب) وغير ذلك (والارض) ومافى الارض من الجبال والبحار والشجر والدواب وغير ذلك (يمرون عليها) أهل مكة (وهم عنها معرضون) مكذبون بها لا يتفكرون فيها (وما يؤمن أكثرهم) اهل مكة (بالله) فى السر ويقال بعبودية الله (الا وهم مشركون) بوحدانية الله فى العلانية

حين عزموا على ماهموا به من ان يجعلوه فى غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذى لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره فى غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت ﴾ على ايمانهم وبالغت فى اظهار الآيات عليهم ﴿ بمؤمنين ﴾ لعنادهم وتصميمهم على الكفر ﴿ وما تسألهم عليه ﴾ على الانباء أو القرآن ﴿ من اجر ﴾ من جعل كما يفعله حملة الاخبار ﴿ ان هو الا ذكر ﴾ عظة من الله تعالى ﴿ للعالمين ﴾ عامة ﴿ وكأين من آية ﴾ وكم من آية والمعنى وكأى عدد شئته من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده ﴿ فى السموات والارض يمرون عليها ﴾ على الآيات ويشاهدونها ﴿ وهم عنها معرضون ﴾ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير فى عليها وبالنصب على ويطأون الارض وقرئ والارض يمشون عليها أى يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله ﴾ فى اقرارهم بوجوده وخالقيته ﴿ الا وهم مشركون ﴾ بعبادة غيره أو باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبنى اليه أو القول بالنور والظلمة أو النظر الى الاسباب ونحو

يوسف ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى وما أكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمؤمنين وذلك ان اليهود وقريشا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما أخبرهم بها على وفق ما عندهم فى التوراة لم يسلموا فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقيل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على ايمانهم ففيه تسلية له ﴿ وما تسألهم عليه من أجر ﴾ يعنى على تبليغ الرسالة والدعاء الى الله من أجر يعنى أجرا وجعلا على ذلك ﴿ ان هو ﴾ أى ماهو يعنى القرآن ﴿ الا ذكر ﴾ يعنى عظة وتذكيرا ﴿ للعالمين وكأين من آية ﴾ يعنى وكم من آية دالة على التوحيد ﴿ فى السموات والارض يمرون عليها ﴾ يعنى لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ﴿ وهم عنها معرضون ﴾ أى لا يلتفتون اليها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الآيات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى بأعجب من اعراضهم عنك يا محمد ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ﴾ يعنى ان من ايمانهم أنهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفى رواية عن ابن عباس انهم يقرون ان الله خالقهم فذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفى رواية أخرى عنه أنها نزلت فى تلبية مشركى

ابيه فذهب به ودفنه ثمه ثم عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر فى مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه فى صندوق من مرمر ويدفنوه فى النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب عليه لسلام ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ماذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبتدأ ﴿ من انباء الغيب نوحيه اليك ﴾ خبران له ﴿ وما كنت لديهم اذ اجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف

عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفى التوراة مائة وعشر سنين وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد افرائيم وميشا ورحمة امرأة أيوب وقيل عاش بعد أبيه ستين سنة وقيل اكثر ولما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه فى النيل فى صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل أهل محلة ان يدفن فى محلتهم رجاء بركته حتى هموا ان يقتتلوا ثم رأوا ان يدفنوه فى النيل بحيث يجرى الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن فى الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب وأجدب الجانب الايمن فدفنوه فى وسط النيل وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبان فبقى الى ان أخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى دفنه بقرب آبائه بالشام فى الارض المقدسة * قوله عز وجل ﴿ ذلك ﴾ يعنى الذى ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وماجرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق ﴿ من أنباء الغيب ﴾ يعنى أخبار الغيب ﴿ نوحيه اليك ﴾ يعنى الذى أخبرناك به من أخبار يوسف وحى أوحيناه اليك يا محمد وفى هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلا أميا لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى بلد آخر غير بلده الذى نشأ فيه صلى الله عليه وسلم وانه نشأ بين أمة أمية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأبين معان وأفصح عبارة فعلم بذلك ان الذى أتى به هو وحى الهى ونور قدسى سماوى فهو معجزة له قائمة الى آخر الدهر * وقوله تعالى ﴿ وما كنت لديهم ﴾ يعنى وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب ﴿ اذ أجمعوا أمرهم ﴾ يعنى حين عزموا على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام فى الجب ﴿ وهم يمكرون ﴾ يعنى

ى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثة وعشرين سنة فلما تم أمره طابت نفسه الملك الدائم فتمنى الموت
يل ماتمناه نبى قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا فى دفنه كل يحب أن يدفن فى محلتهم حتى هموا
تال فرأوا أن يعملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه فى النيل بمكان يمر
عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعمائة سنة تابوته الى بيت المقدس وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه (ذلك) اشارة الى ماسبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من أنباء الغيب نوحيه اليك) خبران (وما كنت لديهم) لدى بنى يعقوب (اذ أجمعوا أمرهم) عزموا على ماهموا به من القاء يوسف فى البئر (وهم يمكرون) بيوسف ويبغون له الغوائل والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحى لانك لم تحضر بنى يعقوب حين اتفقوا على القاء أخيهم فى البئر

(ذلك) الذى ذكرت لك يا محمد من خبر يوسف واخوته (من انباء الغيب) من اخبار الغائب عنك (نوحيه اليك) نرسل اليك جبريل به (وما كنت لديهم) عندهم (اذا جمعوا أمرهم) اجتمعوا على ان يطرحوا يوسف فى الجب (وهم يمكرون) يريدون بذلك هلاك يوسف

(رب قد آتيتنى من الملك) ملك مصر (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا ومن فيهما للتبعيض اذلم يؤت الا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل (فاطر السموات والارض) انتصابه على النداء (أنت وليي فى الدنيا والآخرة) أنت الذى تتولانى بالنعمة فى الدارين وتوصل الملك الفانى بالملك الباقى (توفـ

مسلما) طلب الوفاة على حال الاسلام كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون وعن الضحاك مخلصا وعن التسترى مسلما اليك أمرى وفى عصمة الانبياء انما دعابه يوسف ليقتدى به قومه ومن بعده ممن ليس بمأمون العاقبة لان ظواهر الانبياء لنظر الامم اليهم (وألحقنى بالصالحين) من آبائى أو على العموم روى ان يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به فى خزائنه فادخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى أدخله خزانة القراطيس قال يابنى ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمانية مراحل فقال أمرنى جبريل قال أوما تسأله أنت قال أنت أبسط اليه منى فاسأله فقال جبريل الله أمرنى بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتنى وروى ان يعقوب أقام معه [illegible] وعشرين سنة ثم مات [illegible] بالشام الى جنب أبيه اسحق

رخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتنى ﴿ رب قد آتيتنى من الملك ﴾ بعض الملك وهو ملك مصر ﴿ وعلمتنى من تأويل الاحاديث ﴾ الكتب أو الرؤى ومن أيضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التأويل ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى أو منادى برأسه ﴿ أنت وليي ﴾ ناصرى ومتولى امرى ﴿ فى الدنيا والآخرة ﴾ أو الذى يتولانى بالنعمة فيهما ﴿ توفنى مسلما ﴾ اقبضنى ﴿ والحقنى بالصالحين ﴾ من آبائى أو بعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة روى ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفى واوصى ان يدفن بالشام الى جنب

فى بطن واحد فدفنا فى قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعا وأربعين سنة فلما دفن يوسف أباه وعمه رجع الى مصر قالوا لما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لايدوم فسأل الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة فقال ﴿ رب ﴾ أى يارب ﴿ قد آتيتنى من الملك ﴾ يعنى من ملك مصر ومن هنا للتبعيض لانه لم يؤت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع فى المقدور لمن له السياسة والتدبير ﴿ وعلمتنى من تأويل الاحاديث ﴾ يعنى تعبير الرؤيا ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ يعنى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وأصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق وظهر وفطر الله الخلق أوجده وأبدعه ﴿ أنت وليي ﴾ يعنى معينى ومتولى أمرى ﴿ فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما ﴾ أى اقبضنى اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب للوفاة فى الحال أم لا على قولين أحدهما انه سأل الله الوفاة فى الحال قال قتادة لم يسأل نبى من الانبياء الموت الا يوسف قال أصحاب هذا القول وانه لم يأت عليه أسبوع حتى توفى والقول الثانى انه سأل الوفاة على الاسلام ولم يتمن الموت فى الحال قال الحسن انه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفنى اذا توفيتنى على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس فى اللفظ مايدل على انه طلب الوفاة فى الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولايبعد من الرجل العاقل الكامل أن يتمنى الموت لعلمه ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الذهاب وان نعيم الآخرة باق دائم لانفاد له ولازوال ولايمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لايتمنى أحدكم الموت لضر نزل به فان تمنى الموت عند وجود الضرر ونزول البلاء مكروه والصبر عليه أولى ﴿ وقوله ﴿ وألحقنى بالصالحين ﴾ أراد به بدرجة آبائه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التاريخ

(رب) يارب (قد آتيتنى من الملك) اعطيتنى ملك مصر أربعين فرسخا فى اربعين فرسخا (وعلمتنى من ﴿ عاش ﴾ تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) ياخالق السموات والارض (انت وليي) ربى وخالقى ورازقى وحافظى وناصرى (فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما) مخلصا بالعبادة والتوحيد (والحقنى بالصالحين) بآبائى المرسلين فى الجنة

عليهم ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشى واهل البدو ﴿ من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ﴾ افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجرى ﴿ ان ربى لطيف لما يشاء ﴾ لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها ﴿ انه هو العليم ﴾ بوجوه المصالح والتدابير ﴿ الحكيم ﴾ الذى يفعل كل شئ فى وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة * روى ان يوسف طاف بابيه عليهما الصلاة والسلام فى خزائنه فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بنى ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال امرنى جبريل عليه السلام قال أوما تسأله قال انت ابسط منى اليه فاسأله فقال جبريل الله امرنى بذلك لقولك

عليه ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ يعنى من البادية وأصل البدو هو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعنى يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية ﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ﴾ يعنى أفسد ما بيننا بسبب الحسد وأصل النزغ دخول فى أمر لافساده واستدل بهذه الآية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف أضاف الاحسان الى الله وأضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كما فى الاحسان والنعم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضى اضافة الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى فى الحقيقة قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحريش لافساد ذات البين وذلك باقدار الله اياه على ذلك ﴿ ان ربى لطيف لما يشاء ﴾ يعنى انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللطف عما تدركه الحاسة ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وأن يكون لمعرفته بدقائق الامور وان يكون لرفقه بالعباد فى هدايتهم وقوله ان ربى لطيف لما يشاء أى حسن الاستخراج تنبيها على ما أوصل الى يوسف حيث ألقاه اخوته فى الجب وقيل ان اجتماع يوسف بابيه واخوته بعد طول الفرقة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا أراد أمرا هيأ أسبابه ﴿ انه هو العليم ﴾ يعنى بمصالح عباده ﴿ الحكيم ﴾ فى جميع أفعاله قال أصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام عند يوسف بمصر أربعا وعشرين سنة فى أهنأ عيش وأنعم بال وأحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر أبيه أسحق فى الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام بمصر فعل يوسف ما أمره به أبوه فحمل جسده فى تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص أخى يعقوب وكان قد ولدا

(وجاء بكم من البدو) من البادية لانهم كانوا أصحاب مواشى ينتقلون فى المياه والمناجع (من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى) أى أفسد بيننا وأغرى (ان ربى لطيف لما يشاء) أى لطيف التدبير (انه هو العليم الحكيم) بتأخير الآمال الى الآجال أو حكم بالائتلاف بعد الاختلاف

(وجاء بكم من البدو) من البادية (من بعد ان نزغ) أفسد (الشيطان بينى وبين اخوتى) بالحسد (ان ربى لطيف لما يشاء) لما جمع بيننا (انه هو العليم) بما أصابنا (الحكيم) بالجمع والفرقة

تجرى مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدالله شكرا وقيل الضميرلله تعالى والواو لأبويه واخوته والرفع مؤخر عن الخروروان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما ﴿ وقال يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل ﴾ التى رأيتها ايام الصبا ﴿ قدجعلها ربى حقا ﴾ صدقا ﴿ وقداحسن بى اذاخرجنى من السجن ﴾ ولم يذكرالجب لئلا يكون تثريبا

ثم فى معنى هذا السجود قولان أحدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثانى انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكل لان السجود على هذه الصورة لا ينبغى ان يكون الا لله تعالى وأجيب عن هذا الاشكال بان المسجود كان فى الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقبلة كما سجد الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا على السرير خروا سجدا لله تعالى ولو كان ليوسف لكان قبل الصعود لان ذلك أبلغ فى التواضع * فان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رأيتهم لى ساجدين وقوله خروا له سجدا فان الضمير يرجع الى أقرب المذكورات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام * قلت يحتمل ان يكون المعنى وخروا لله سجدا لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهى ان اخوة يوسف ربما احتملتهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما رأوا ان أباهم قد سجد له سجدوا له أيضا فكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جائزا فى ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه الفعلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ وقال ﴾ يعنى وقال يوسف عندما رأى ذلك ﴿ يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل ﴾ يعنى هذا تصديق الرؤيا التى رأيت فى حال الصغر ﴿ قدجعلها ربى حقا ﴾ يعنى فى اليقظة واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسى وعبدالله بن شداد أربعون سنة وقال أبو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة والسدى ست وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبدالله بن سودون سبعون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزى وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان عمره حين ألقى فى الجب سبع عشرة سنة وأقام فى العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة وأقام مع أبيه واخوته وأقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة * وقوله ﴿ وقد أحسن بى ﴾ يعنى انعم على يقال احسن بى والى بمعنى واحد ﴿ اذ أخرجنى من السجن ﴾ انما ذكر انعام الله عليه فى اخراجه من السجن وان كان الجب أصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا تخجل اخوته بعد ان قال لهم لا تثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه فى اخراجه من السجن كانت أعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله فى العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك وقيل ان دخوله الجب كان لحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه

أيضا واختلف فى استنبائهم (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها) أى الرؤيا (ربى حقا) أى صادقة وكان بين الرؤيا وبين التأويل اربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون أو ثنتان وعشرون (وقد أحسن بى) يقال أحسن اليه وبه وكذلك أساء اليه وبه (اذ أخرجنى من السجن) ولم يذكر الجب لقوله لا تثريب عليكم اليوم

فعل الأعاجم (وقال يا أبت هذا) السجود (تأويل) تعبير (رؤياى من قبل) من قبل هذا (قد جعلها ربى حقا) صدقا (وقد أحسن بى) الى (اذ أخرجنى من السجن) ونجانى من العبودية

آوى اليه) ضم اليه (أبويه) واعتنقهما قيل كانت أمه باقية وقيل ماتت وتزوج أبوه خالته والخالة أم كما ان العم أب ومنه قوله واله آبائك
ابراهيم واسمعيل واسحق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر انه حين استقبلهم أنزلهم في مضرب خيمة أو قصر كان له
ثم فدخلوا عليه وضم اليه أبويه (وقال) لهم بعد ذلك (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) من ملوكها وكانوا لا يدخلونها
الا بجواز أو من القحط وروى انه لما لقيه قال يعقوب عليه السلام السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال له يوسف
يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن

خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجال ونساء وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائة ألف (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) قيل لما دخلوا مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة التعظيم في ذلك الوقت ان يسجد للمعظم وقيل ما كانت
الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وفيه نبوة

مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام
ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى ﴿آوى اليه أبويه﴾
ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله آبائك
ابراهيم واسمعيل واسحق اولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما
﴿وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين﴾ من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة
بالدخول المكيف بالأمن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم
﴿ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا﴾ تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم

آوى اليه﴾ يعني ضم اليه ﴿أبويه﴾ قال أكثر المفسرين هو أبوه يعقوب وخالته ليا وكانت امه
قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هما أبوه وامه وكانت حية بعد وقيل ان الله أحياها
ونشرها من قبرها حتى سجدا ليوسف تحقيقا لرؤياه والاول أصح ﴿وقال ادخلوا مصر﴾ قيل
المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال
ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه أراد بالدخول الاول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثاني
الاستيطان بها أي ادخلوا مصر مستوطنين فيها ﴿ان شاء الله آمنين﴾ قيل ان هذا الاستثناء
عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول
فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار
فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف أستغفر لكم ربي ان شاء الله وقيل
ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد الا بجوارهم فقال لهم يوسف
ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك
فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم ﴿ورفع
أبويه على العرش﴾ يعني على السرير الذي كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى
العلو ﴿وخروا له سجدا﴾ يعني يعقوب وخالته ليا واخوته وكانت تحية الناس يومئذ
السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض
على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام ان يسجد له أبوه وهو أكبر
منه وأعلى منصبا في النبوة والشيخوخة قلت يحتمل ان الله تعالى أمره بذلك لتحقيق رؤياه

آوى اليه أبويه) ضم اليه أباه وخالته لان أمه كانت ماتت قبل ذلك (وقال ادخلوا) انزلوا (مصر ان شاء الله)
وقد شاء الله (آمنين) من العدو والسوء ويقال ادخلوا مصر آمنين من العدو والسوء ان شاء الله مقدم ومؤخر (ورفع
أبويه على العرش) على السرير (وخروا له سجدا) خضعوا له بالسجود أبواه واخوته وكان سجودهم تحيتهم فيما بينهم كان يسجد
الوضيع للشريف والشاب للشيخ والصغير للكبير كهيئة الركوع نحو

ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة ﴿ قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم ﴾ اخره الى السحر أو الى صلاة الليل أو الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة أو الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام أو يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ماروى انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ماصدر عنهم كان قبل استنبائهم ﴿ فلما دخلوا على يوسف ﴾ روى انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه

يعنى فى صنيعنا ﴿ قال سوف أستغفر لكم ربى ﴾ قال أكثر المفسرين ان يعقوب أخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه أشرف الاوقات وهو الوقت الذى يقول الله فيه هل من داع فاستجيب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لاولادى ما أتوا الى اخيهم يوسف فأوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه أخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها أشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طاوس أخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبى سوف أستغفر لكم ربى قال حتى أسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربى ﴿ انه هو الغفور ﴾ يعنى لذنوب عباده ﴿ الرحيم ﴾ بجميع خلقه قال عطاء الخراسانى طلب الحوائج الى الشباب أسهل منه الى الشيوخ ألا ترى الى قول يوسف لاخوته لاتثريب عليكم الآية وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى قال اصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى أبيه مائتى راحلة وجهازا كثيرا ليأتوه بيعقوب وجميع اهله الى مصر فلما أتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع أهله وهم يومئذ اثنان وسبعون مابين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر يعنى ملك مصر وعرفه بمجئ أبيه وأهله فخرج يوسف ومعه الملك فى أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يد ابنه يهوذا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لابيه يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بينى وبينك فذلك قوله تعالى ﴿ فلما دخلوا على يوسف

بخطايانا (قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) أخر الاستغفار الى وقت السحر أو الى ليلة الجمعة أو ليتعرف حالهم فى صدق التوبة أو الى ان يسأل يوسف هل عفا عنهم ثم ان يوسف وجه الى أبيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز اليه بمن معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا (فلما دخلوا على يوسف

عاصين لله (قال) لهم (سوف أستغفر لكم ربى) أدعو لكم ربى ليلة الجمعة آخر السحر (انه هو الغفور) المتجاوز (الرحيم) لمن تاب (فلما دخلوا على يوسف

الى الفند وهو الحزن وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند والمعنى لولا تفنيدكم اياى لصدقتمونى (قالوا) اى اسباطه (تالله انك لفى ضلالك القديم) لفى ذهابك عن الصواب قديما فى افراط محبتك ليوسف أو فى خطئك القديم من حب يوسف وكان عندهم انه قدمات (فلما أن جاء البشير) أى يهوذا (ألقاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فارتد) فرجع (بصيرا) يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه (قال ألم أقل لكم) يعنى قوله انى لاجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله (انى أعلم من الله مالا تعلمون) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون وروى انه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال ألآن تمت النعمة (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) أى سل الله مغفرة ما ارتكبنا فى حقك وحق ابنك انا تبنا واعترفنا فيما أقول (قالوا) ولده وولد ولده الذين كانوا عنده (تالله) والله (انك لفى ضلالك القديم) فى خطئك الاول فى ذكر يوسف (فلما أن جاء البشير) وهو يهوذا بالقميص (ألقاه على وجهه فارتد بصيرا) صار بصيرا (قال) لبنيه وبنى بنيه (ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون) يقول ان يوسف حى لم يمت (قالوا) ولده وولد ولده (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) ادعوا الله ان يغفر لنا ذنوبنا (انا كنا خاطئين) مسيئين

الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتى وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتمونى أو لقلت انه قريب ﴿ قالوا ﴾ أى الحاضرون ﴿ تالله انك لفى ضلالك القديم ﴾ لفى ذهابك عن الصواب قدما بالافراط فى محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه ﴿ فلما أن جاء البشير ﴾ يهوذا روى انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه ﴿ ألقاه على وجهه ﴾ طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام أو يعقوب نفسه ﴿ فارتد بصيرا ﴾ عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة ﴿ قال ألم اقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون ﴾ من حياة يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل انى اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله أو انى لاجد ريح يوسف ﴿ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ﴾

الانبارى أفند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعى اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو الفنيد والفند فيكون المعنى لولا أن تفندونى أى تنسبونى الى الخرف وقيل تسفهونى و قيل تلومونى وقيل تجهلونى وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرمونى فتقولون شيخ كبير قد خرف و ذهب عقله ﴿ قالوا ﴾ يعنى اولاد أولاد يعقوب وأهله الذين عنده لان اولاده اصلابه كانوا غائبين عنه ﴿ تالله انك لفى ضلالك القديم ﴾ يعنى من ذكر يوسف ولا تنساه لانه كان عندهم ان يوسف كان قدمات وهلك ويرون ان يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم يعنى من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب ﴿ فلما أن جاء البشير ﴾ وهو المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدى العير قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هو يهوذا قال السدى قال يهوذا أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب وأخبرته ان يوسف أكله الذئب فأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره انه حى فافرحه كما أحزنته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج به حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا ﴿ ألقاه على وجهه ﴾ يعنى فالقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب ﴿ فارتد بصيرا ﴾ يعنى فرجع بصيرا بعد ما كان قد عمى وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن ﴿ قال ألم اقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون ﴾ يعنى من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال ألآن تمت النعمة * قوله تعالى ﴿ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا ﴾ يعنى قال أولاد يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به وبيوسف استغفر لنا أى اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله ﴿ انا كنا خاطئين ﴾

فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما مابلغ ولقد شرفت بكم وعظمت فى عيونهم حيث علموا انكم اخوتى وانى من حفدة ابراهيم عليه السلام ﴿ اذهبوا بقميصى هذا ﴾ القميص الذى كان عليه وقيل المتوارث الذى كان فى التعويذ ﴿ فألقوه على وجه ابى يأت بصيرا ﴾ يرجع بصيرا أى ذا بصر ﴿ وأتونى ﴾ انتم وابى ﴿ باهلكم اجمعين ﴾ بنسائكم وذراريكم ومواليكم ﴿ ولما فصلت العير ﴾ من مصر وخرجت من عمرانها ﴿ قال ابوهم ﴾ لمن حضره ﴿ انى لأجد ريح يوسف ﴾ اوجده الله ريح ماعبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا ﴿ لولا ان تفندون ﴾ تنسبونى

أبى بعدى قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فأعطاهم قميصه وقال ﴿ اذهبوا بقميصى هذا ﴾ قال الضحاك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد أمره جبريل أن يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه وألقى فى النار عريانا أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص فى قصبة من فضة و سد رأسها وجعلها فى عنق يوسف كالتعاويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت لاتفارقه فلما ألقى يوسف فى البئر عريانا أتاه جبريل وأخرج له ذلك القميص وألبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فامره أن يرسل هذا القميص الى أبيه لان فيه ريح الجنة فلايقع على مبتلى ولاسقيم الاعوفى فى الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بقميصى هذا ﴿ فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا ﴾ قال المحققون ان علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحى الله اليه ذلك ويمكن أن يقال ان يوسف لما علم أن أباه قد عمى من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث اليه قميصه ليجد ريحه فيزول بكاؤه وينشرح صدره ويفرح قلبه فمند ذلك يزول الضعف ويقوى البصر فهذا القدر تمكن معرفته من جهة العقل * وقوله ﴿ وأتونى باهلكم أجمعين ﴾ قال الكلبى كانوا نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين مابين رجل وامرأة ﴿ ولما فصلت العير ﴾ يعنى خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى أرض كنعان ﴿ قال أبوهم ﴾ يعنى قال يعقوب لولد ولده ﴿ انى لأجد ريح يوسف ﴾ قيل ان ريح الصبا استأذنت ربها فى أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير وقال مجاهد أصابت يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثلاثة أيام و قال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح فاحتملت ريح القميص الى يعقوب فوجد يعقوب ريح الجنة فعلم أنه ليس فى الارض من ريح الجنة الاما كان من ذلك القميص فعلم بذلك أنه من ريح يوسف فلذلك قال انى لاجد ريح يوسف ﴿ لولا أن تفندون ﴾ أصل التفنيد من الفند وهو ضعف الرأى وقال ابن

يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله اليه لان فيه ريح الجنة لايقع على مبتلى ولاسقيم الاعوفى (فالقوه على وجه أبى يأت بصيرا) يصر بصيرا تقول جاء البناء محكما أى صار أو يأت الى وهو بصير قيل يهوذا أنا أحمل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء وقيل حمله وهو حاف حاسرا من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (وأتونى باهلكم أجمعين) لينعموا بآثار ملكى كما اغتموا باخبار هلكى (ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه (قال أبوهم) لولده و ولد ولده ومن حوله من قومه (انى لأجد ريح يوسف) أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام (لولا أن تفندون) التفنيد النسبة

(اذهبوا بقميصى هذا) وكان قميصه كسوة من الجنة (فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا) يرجع بصيرا (وأتونى باهلكم أجمعين) وكانوا نحو سبعين انسانا (ولما فصلت العير) خرجت العير من العريش وهى قرية بين مصر وكنعان (قال أبوهم) يعقوب (انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) تسفهونى وتخزونى وتكذبونى (الانبارى

(قالواتالله لقد آثرك الله علينا) اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن (وان كنا لخاطئين) وان شأننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لاجرم ان الله اعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك (قال لاتثريب عليكم) لاتعيير عليكم (اليوم) متعلق بالتثريب أو بيغفر والمعنى لأأثربكم اليوم وهواليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال (يغفرالله لكم) فدعالهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفرالله لك ويغفرلك على لفظ الماضى والمضارع أواليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتى باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونى فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقدقدرت فقال أقول ماقال أخى يوسف لاتثريب عليكم اليوم وروى ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا أتيت رسول الله فاتل عليه قال لاتثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفرالله لك ولمن علمك وروى ان اخوته لما عرفوه أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحى منك لما فرط منافيك فقال يوسف ان أهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما مابلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أنى من حفدة ابراهيم (وهو ارحم الراحمين) أى اذا رحمتكم وأنا الفقير القتور فما ظنكم بالغنى الغفور ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا انه عمى من كثرة

الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر ﴿ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة ﴿ وان كنا لخاطئين ﴾ والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك ﴿ قال لاتثريب عليكم ﴾ لاتأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذى يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذى يمزق العرض ويذهب ماء الوجه ﴿ اليوم ﴾ متعلق بالتثريب أو بالمقدر للجار الواقع خبرا للاتثريب والمعنى لاأثربكم اليوم الذى هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام أو بقوله ﴿ يغفر الله لكم ﴾ لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها ﴿ وهو ارحم الراحمين ﴾

﴿ قالوا ﴾ يعنى قال اخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر منهم فى حقه ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ أى اختارك وفضلك علينا يقال آثرك الله ايثارا أى اختارك ويستعار الأثر للفضل والايثار للتفضيل والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال أبو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل الذى أعطاه الله عزوجل له دون اخوته وقيل فضله عليهم بالنبوة وأورد على هذا القول بان اخوته كانوا أنبياء أيضا فليس له عليهم فضل فى ذلك وأجيب بان يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان أفضل منهم بهذا الاعتبار لان من جمعت له النبوة والرسالة كان أفضل ممن خص بالنبوة فقط ﴿ وان كنا لخاطئين ﴾ يعنى وما كنا فى صنيعنا بك الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطئ على المخطئ والفرق بينهما أن يقال خطئ خطأ اذا تعمد وأخطأ اذا كان غير متعمد وقيل يجوز أن يكون آثر لفظ خاطئين على مخطئين لموافقة رؤس الآى لان خاطئين أشبه بما قبلها ﴿ قال ﴾ يعنى يوسف ﴿ لاتثريب عليكم ﴾ يعنى لاتعيير ولاتوبيخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يوبخها ولايثرب أى لايعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفى محل قوله ﴿ اليوم ﴾ قولان احدهما انه يرجع الى ماقبله فيكون التقدير لاتثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبيخ وأنا لاأقرعكم اليوم ولاأوبخكم ولاأثرب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لاتثريب عليكم اليوم ويبتدأ بقوله ﴿ يغفر الله لكم ﴾ والقول الثانى ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لاتثريب عليكم ويبتدأ باليوم يغفر الله لكم كأنه لما نفى عنهم التوبيخ والتقريع بقوله لاتثريب عليكم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال أبيه فقال ماحال

(قالوا) اخوة يوسف ليوسف (تالله) والله (لقد آثرك الله علينا) فضلك الله علينا (وان كنا) وقد كنا (لخاطئين) مسيئين بك عاصين لله (قال) لهم يوسف (لاتثريب عليكم اليوم) يقول لاأعيركم بعد اليوم (يغفر الله لكم) ما كان منكم (وهو أرحم الراحمين) من الوالدين

ان يكلمهم الا بجز وذلة ﴿ اذ أنتم جاهلون ﴾ قبحه فلذلك اقدمتم عليه أو عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب فى تخليص بنيامين وذكروا له ماهو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال أو لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين ﴿ قالوا أئنك لأنت يوسف ﴾ استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقراءة ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها ﴿ قال انا يوسف وهذا اخى ﴾ من ابى وامى ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشأنه وادخالا له فى قوله ﴿ قد من الله علينا ﴾ أى بالسلامة والكرامة ﴿ انه من يتق ﴾ أى يتق الله ﴿ ويصبر ﴾ على البليات أو على الطاعات وعن المعاصى ﴿ فان الله لا يضيع اجر المحسنين ﴾ وضع المحسنين موضع

وأخيه من تسليم الله اياهما من المكروه . واعلم أن هذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون . فان قلت الذى فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذى فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا فى حبسه ولا أرادوا ذلك . قلت انهم لما فرقوا بينه وبين أخيه يوسف نغصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما اتهم بأخذ الصواع ما رأينا منكم يا بنى راحيل خيرا ﴿ اذ أنتم جاهلون ﴾ هذا يجرى مجرى العذر لهم يعنى انكم انما أقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وهو وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤل اليه أمر يوسف * قوله عز وجل ﴿ قالوا أئنك لأنت يوسف ﴾ قرئ على سبيل الاستفهام وحجة هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه تبسم فرأوا ثناياه كاللؤلؤ تشبه ثنايا يوسف فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما أئنك لأنت يوسف وقرئ على الخبر وحجته ماقال ابن عباس أيضا فى رواية أخرى عنه أن اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له فى قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق مثلها ولسارة مثلها فعرفوه بها وقالوا أنت يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهم ولم يعرفوه حتى ﴿ قال أنا يوسف ﴾ قال بعض العلماء انما أظهر الاسم فى قوله أنا يوسف ولم يقل أنا هو تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك فكأنه قال أنا يوسف المظلوم الذى ظلمتمونى وقصدتم قتلى بان ألقيتمونى فى الجب ثم بعتمونى بأبخس الأثمان ثم صرت الى ماترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعانى كلها ولهذا قال ﴿ وهذا أخى ﴾ وهم يعرفونه لانه قصد به أيضا وهذا أخى المظلوم كما ظلمتمونى ثم صرت أنا وهو الى ماترون وهو قوله ﴿ قد من الله علينا ﴾ بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير فى الدنيا والآخرة وقيل من علينا بالسلامة فى ديننا ودنيانا ﴿ انه من يتق ويصبر ﴾ يعنى يتق الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن وقيل يتق الله باداء فرائضه ويصبر عما حرم الله ﴿ فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يعنى أجر من كان هذا حاله

اذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبحه أو اذ أنتم فى حد السفه والطيش وفعلهم بأخيه تعريضهم اياه للغم بافراده عن أخيه لأبيه وأمه وايذاؤهم له بأنواع الأذى (قالوا أئنك) بهمزتين كوفى وشامى (لأنت يوسف) اللام لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبر ان (قال أنا يوسف وهذا أخى) وانما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه لانه كان فى ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه (قد من الله علينا) بالالفة بعد الفرقة وذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ بالملامة (انه من يتق) الفحشاء (ويصبر) عن المعاصى وعلى الطاعة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين وقيل من يتق مولاه ويصبر على بلواه لا يضيع أجره فى دنياه وعقباه

اذ أنتم جاهلون) شبان غافلون (قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى) من أبى وأمى (قد من الله علينا) بالصبر (انه من يتق) فى النعمة (ويصبر) فى الشدة (فان الله لا يضيع) لا يبطل (أجر) ثواب (المحسنين) بالتقوى والصبر

(قالوا)

﴿وتصدق علينا﴾ برد اخينا أو بالمسامحة وقبول المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو تختص بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ان الله يجزى المتصدقين﴾ احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه﴾ أى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع

الناقص والجيد مقام الردئ ﴿وتصدق علينا﴾ يعنى وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردئ ولا تنقصنا هذا قول أكثر المفسرين قال ابن الانبارى وكان الذى يسألونه من المسامحة يشبه الصدقة وليس به واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا للانبياء قبل نبينا أم لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الآية وأنكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال الانبياء كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع للمخلوقين والاخذ منهم والصدقة أوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عمن سواه وأجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه أن يجريهم على عادتهم من المسامحة وايفاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة لا نفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد أن يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا ممن يبتغى الثواب وروى أن الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يبتغى الثواب قل اللهم اعطنى وتفضل على وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعنى برد أخينا علينا ﴿ان الله يجزى المتصدقين﴾ يعنى بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا أنه مؤمن ﴿قال﴾ يعنى قال يوسف لاخوته ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ وقد اختلفوا في السبب الذى من أجله حمل يوسف وهيجه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لى أنهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته رقة على اخوته فباح بالذى كان يكتم وقيل انه أخرج لهم نسخة الكتاب الذى كتبوه ببيعه من مالك وفى آخره وكتبه يهوذا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا يا أيها الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه فغاظ ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهوذا كان يعقوب يبكى ويحزن لفقد واحد منا فكيف اذا أتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بأمتعتنا الى أبينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك حين أدركته الرقة عليهم والرحمة فبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب أبيه اليه لم يتمالك أن بكى وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم أمر هذه الواقعة ومعناه ما أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من أبيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدرى من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه أراد تفظيع الامر وتعظيمه ويجوز أن يكون المعنى هل علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف

الذى هو حقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا أو هب لنا أخانا (ان الله يجزى المتصدقين) ولما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه وطلبوا منه أن يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يتمالك أن عرفهم نفسه حيث قال (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف) أى هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف (وأخيه

الجياد (وتصدق علينا) ما بين الثمنين ويقال بين الكيلين (ان الله يجزى المتصدقين) في الدنيا والآخرة (قال) لهم يوسف (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه

الاحساس ﴿ ولا تيأسوا من روح الله ﴾ ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله أى من رحمته التى يحيى بها العباد ﴿ انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾ بالله وصفاته فان العارف المؤمن لا يقنط من رحمته فى شئ من الاحوال ﴿ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز ﴾ بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية ﴿ مسنا واهلنا الضر ﴾ شدة الجوع ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ رديئة أو قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل ﴿ فاوف لنا الكيل ﴾ فاتم لنا الكيل

يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخ بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به وانك حبسته وزعمت أنه سرق وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الى والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكاؤه وعيل صبره وأظهر نفسه لاخوته على ما سنذكره ان شاء الله تعالى فذلك قوله تعالى يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ﴿ ولا تيأسوا ﴾ أى ولا تقنطوا ﴿ من روح الله ﴾ يعنى من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله ﴿ انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾ يعنى ان المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكافر بضد ذلك ✹ قوله تعالى ﴿ فلما دخلوا عليه ﴾ فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعنى على يوسف ﴿ قالوا يا أيها العزيز ﴾ يعنون يا أيها الملك والعزيز القادر الممتنع وكان العزيز لقب ملك مصر يومئذ ﴿ مسنا وأهلنا الضر ﴾ أى الشدة والفقر والجوع وأرادوا بأهلهم من خلفهم ومن وراءهم من العيال ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ اى ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق فى ثمن الطعام الا بتجوز من البائع وأصل الازجاء فى اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشئ لينساق كتزجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر

وحاجة غير مزجاة من الحاج

يعنى هى قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتناء بها واذا وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة اما لنقصانها أو لرداءتها أو لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات المفسرين فى معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبى ومقاتل كانت الحبة الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من قولهم فلان يزجى العيش أى يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لندافع بها الزمان وليست مما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ يعنى اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافى والمعنى انا نريد [illegible]

وهو المعرفة (ولا تيأسوا من روح الله) ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه (انه ان الامر والشأن (لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) لان من آمن يعلم أنه متقلب فى رحمة الله ونعمته وأما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه فى نعمته فييأس من رحمته فخرجوا من عند أبيهم راجعين الى مصر (فلما دخلوا عليه) على يوسف (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) الهزال من الشدة والجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من أزجيته اذا دفعته وطردته قيل كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا (فأوف لنا الكيل)

(ولا تيأسوا من روح الله) من رحمة الله (انه لا ييأس من روح الله) من رحمة الله (الا القوم الكافرون) بالله وبرحمته (فلما دخلوا عليه) على يوسف فى المرة الثالثة (قالوا يا أيها العزيز مسنا) اصابنا (واهلنا الضر) الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) بدراهم لا تنفق [illegible] الطعام وتنفق فيما بين الناس ويقال بمتاع الجبل كالصنوبر والحبة الخضراء ويقال بمتاع العرب مثل الاقط والصوف والجبن والسمن (فأوف لنا الكيل) يقول وفر لنا الكيل كما توفر بالدراهم [illegible] (النقص

﴿وأعلم من الله﴾ من صنعه ورحمته فانه لايخيب داعيه ولايدع الملتجئ اليه أو من الله بنوع من الالهام ﴿مالاتعلمون﴾ من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت فى منام فسأله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف انه لايموت حتى تخر له اخوته سجدا ﴿يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه﴾ فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب

الاعمال على قدر منصبهم وشريف رتبتهم ويعقوب عليه الصلاة والسلام من أهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من أنبيائه بمحنة فصبر وفوض أمره الى الله فابراهيم عليه الصلاة والسلام ألقى فى النار فصبر ولم يشك الى أحد واسماعيل ابتلى بالذبح فصبر وفوض امره الى الله واسحق ابتلى بالعمى فصبر ولم يشك الى احد ويعقوب ابتلى بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمى بعد ذلك أو ضعف بصره من كثرة البكاء على فقدهما وهو مع ذلك صابر لم يشك الى أحد شيأ مما نزل به وانما كانت شكايته الى الله عزوجل بدليل قوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجميل فى الدنيا والدرجات العلا فى الآخرة مع من سلف من ابويه ابراهيم واسحق عليهما الصلاة والسلام وأما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب به ذما ولاعقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبى صلى الله عليه وسلم بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن ومانقول الا مايرضى ربنا فهذا القدر لايقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا لاحرج فيه على احد من الناس ✽ وقوله ﴿وأعلم من الله مالاتعلمون﴾ يعنى أنه تعالى من رحمته واحسانه يأتى بالفرج من حيث لاأحتسب وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وروى ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب ايها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابنى يوسف فى الارواح فقال لا فطابت نفس يعقوب وطمع فى رؤيته فلذلك قال وأعلم من الله مالاتعلمون وقيل معناه وأعلم ان رؤيا يوسف حق وصدق وانى وأنتم سنسجد له وقال السدى لما أخبره بنوه بسيرة ملك مصر وكمال حاله فى جميع أقواله وافعاله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يعقوب ﴿يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾ التحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التجسس بالجيم وقيل ان التحسس بالحاء يكون فى الخير وبالجيم يكون فى الشر ومنه الجاسوس وهو الذى يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن الانبارى يقال تحسست عن فلان ولايقال من فلان وقال هنا من يوسف وأخيه لانه أقيم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من للتبعيض ويكون المعنى تحسسوا خبرا من أخبار يوسف وأخيه روى عن عبدالله بن يزيد عن أبى فروة ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدى ابراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبى فشدت

عميت (وأعلم من الله مالا تعلمون) وأعلم من رحمته انه يأتينى بالفرج من حيث لاأحتسب وروى أنه رأى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لاوالله هو حى فاطلبه وعلمه هذا الدعاء ياذا المعروف الدائم الذى لاينقطع معروفه أبدا ولا يحصيه غيرك فرج عنى (يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وهو تفعل من الاحساس

(وأعلم من الله مالاتعلمون) يقول أعلم ان رؤيا يوسف صادقة وانا لنسجد له ويقال اعلم من رحمة الله وجميل نظره وصنعه مالاتعلمون ويقال أعلم ان يوسف حى لم يمت لانه دخل عليه ملك الموت فقال له هل قبضت روح ابنى يوسف فى من قبضت قال لا فمن ذلك قال (يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) فاستخبروا واطلبوا خبر يوسف وأخيه بنيامين

﴿ أو تكون من الهالكين ﴾ من الميتين ﴿ قال انما أشكو بثي وحزني ﴾ همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر ﴿ الى الله ﴾ لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي

يعني لا تنتفع بنفسك من شدة حزن والهم والاسف ﴿ أو تكون من الهالكين ﴾ يعني من الاموات ٭ فان قلت كيف حلفوا على شئ لم يعلموا حقيقته قطعا ٭ قلت انهم بنوا الامر على الاغلب الظاهر أي نقوله ظنا منا ان الامر يصير الى ذلك ﴿ قال ﴾ يعني يعقوب عند ما رأى قولهم له وغلظتهم عليه ﴿ انما اشكو بثي وحزني الى الله ﴾ اصل البث اثارة الشئ وتفريقه وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة البث أشد الحزن وذلك لان الانسان اذا ستر الحزن وكتمه كان هما فاذا ذكره لغيره كان بثا فالبث أشد الحزن والحزن الهم فعلى هذا يكون المعنى انما أشكو حزني العظيم وحزني القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزي روى الحاكم أبو عبد الله في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان ليعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي ان تشكو الى غيري فقال انما أشكو بثي وحزني الى الله فقال جبريل الله أعلم بما تشكو وقيل انه دخل على يعقوب جار له فقال له يا يعقوب مالي أراك قد تهشمت بالضعف وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه يا يعقوب أتشكوني الى خلقي فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي قال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك اذا سئل يقول انما أشكو بثي وحزني الى الله وقيل ان الله أوحى اليه وعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني فعند ذلك قال انما أشكو بثي وحزني الى الله ثم قال أي رب اما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي ريحانتي أشمهما شمة قبل ان أموت ثم اصنع ما شئت فأتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أبشر فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك أتدري لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها شيأ وان أحب عبادي الي الانبياء ثم المساكين اصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب وكان بعد ذلك اذا تغدى أمر مناديا ينادي من أراد أن يتغدى فليأت آل يعقوب واذا أفطر أمر أن ينادي من أراد أن يفطر فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يارب قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يدي أمه وهي تخور فلم يرحمها ٭ فان قلت هل في هذه الروايات ما يقدح في عصمة الانبياء ٭ قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابرار سيآت المقربين وانما يطلب من الانبياء من

مشفيا على الهلاك مرضا (أو تكون من الهالكين قال انما أشكو بثي وحزني الى الله) البث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس أي ينشره أي لا أشكو الى أحد منكم ومن غيركم انما أشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وروي انه أوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فوقف ببابكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقي الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى

(أو تكون من الهالكين) بالموت (قال) يعقوب (انما أشكو بثي) ... (وحزني ...

الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون ﴿ فهو كظيم ﴾ مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه أو بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها فى جوفه ﴿ قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف ﴾ أى لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما فى قوله

فقلت يمين الله ابرح قاعدا

لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفى ﴿ حتى تكون حرضا ﴾ مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذى اذابه هم أو مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف ٭ وقد قرئ به وبضمتين كجنب

من العين ﴿ فهو كظيم ﴾ أى مكظوم وهو الممتلئ من الحزن الممسك عليه لا يبثه قال قتادة وهو الذى يردد حزنه فى جوفه ولم يقل الا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه الى يوم التقيا ثمانون سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ أكرم على الله منه وقال ثابت البنانى ووهب بن منبه والسدى ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو فى السجن فقال هل تعرفنى أيها الصديق قال يوسف أرى صورة طاهرة قال انى رسول رب العالمين وأنا الروح الامين فقال يوسف فما أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التى يدخلونها هى اطهر الارضين وان الله قد طهر بك الارض والسجن وما حوله يا أطهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لى باسم الصديقين وتعدنى من الصالحين المخلصين الطاهرين وقد أدخلت مدخل المذنبين قال انه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك فى معصية ربك فلذلك سماك الله من الصديقين وعدك من المخلصين وألحقك بآبائك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب أيها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه الله بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجميل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلاء قال فما له من الاجر يا جبريل قال أجر مائة شهيد قال افترانى لاقيه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما أبالى مما لقيت ان رأيته ٭ قوله عز وجل ﴿ قالوا ﴾ يعنى اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لابيهم ﴿ تالله تفتؤا تذكر يوسف ﴾ يعنى لا تزال تذكر يوسف ولا تفتر عن حبه يقال ما فتئ يفعل كذا أى ما زال ولا محذوفة فى جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف كقول امرئ القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ٭ ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

أى لا أبرح قاعدا ٭ وقوله ﴿ حتى تكون حرضا ﴾ قال ابن عباس يعنى دنفا وقال مجاهد الحرض ما دون الموت يعنى قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسدا لا عقل له والحرض الذى فسد جسمه وعقله وقيل ذائبا من الهم واصل الحرض الفساد فى الجسم والعقل من الحزن أو الهم ومعنى الآية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل

ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون ونهى عن اللطم والصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله اذ نادى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه (قالوا تالله تفتؤا) أى لا تفتأ فحذف حرف النفى لانه لا يلتبس اذ لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ومعنى لا تفتأ لا تزال (تذكر يوسف حتى تكون حرضا)

(فهو كظيم) مغموم يتردد حزنه فى جوفه (قالوا) ولده وولد ولده (تالله) والله (تفتؤا) لا تزال (تذكر يوسف حتى تكون حرضا) حتى تكون دنفا

كراهة لما جاؤا به (وقال يا أسفا على يوسف) أضاف الاسف وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة
والتجانس بين الاسف غير متكلف ونحو اثاقلتم الى الارض أرضيتم

فاعرض عنهم كراهة لما صادف منهم ﴿ وقال يا أسفا على يوسف ﴾ أى يا اسفى تعال فهذا أوانك والاسف أشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون أخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفى الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا ترى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفا ﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمى وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لاتدخل تحت تكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط

واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك أعرض عنهم ﴿ وقال يا أسفا على يوسف ﴾ الاسف أشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على أخيه مالك

يقول أتبكى كل قبر رأيته ۞ لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى ۞ فدعنى فهذا كله قبر مالك

فاجاب بان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجده وجدد حزنه على يوسف لان يوسف كان أصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام فى قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكاية واظهار جزع فلا يليق بعلو منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه الصلاة والسلام شكا الى الله لا منه فقوله يا أسفا على يوسف معناه يارب ارحم أسفى على يوسف وقد ذكر ابن الانبارى عن بعض اللغويين انه قال نداء يعقوب بالاسف فى اللفظ من المجاز يعنى به غير المظهر فى اللفظ وتلخيصه يا الهى ارحم أسفى أو أنت رائى أسفى أو هذا أسفى فنادى الاسف فى اللفظ والمنادى سواه فى المعنى ولا مأثم اذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف شكوى الى ربه كان غير ملوم فى شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا أسفا على يوسف أى اشكو الى الله شدة أسفى على يوسف ولم يشكه الى أحد من الخلق بدليل قوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله ﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ أى عمى من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيأ ست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كانها بيضاء من ذلك الماء الخارج

وهم يسهون عنه ويأبون عنه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا من سبا بنبأ وانما تأسف على يوسف دون أخيه وكبيرهم لتمادى اسفه على يوسف دون الآخرين وفيه دليل على ان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا (وابيضت عيناه) اذ اكثر الاستعبار ومحقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر وقيل قد عمى بصره وقيل كان قد يدرك ادراكا ضعيفا (من الحزن) لان الحزن سبب البكاء الذى حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب ويجوز للنبى عليه السلام أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لان الانسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الحزن فلذلك حمد صبره ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع

من بينهم (وقال يا أسفا) احزنا (على يوسف وابيضت عيناه من الحزن) من البكاء (من العين)

ن وعائد (وما كنا للغيب حافظين) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق (واسئل القرية التى كنافيها) يعنى مصر اى
سل الى أهلها فاسألهم عن كنه القصة (والعير التى أقبلنا فيها) وأصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام (واناالصادقون) فى قولنا فرجعوا الى أبيهم وقالوا له ماقال لهم أخوهم (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أردتموه والافن أدرى ذلك الرجل ان السارق يسترق لولا فتواكم وتعليمكم (فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعا) بيوسف وأخيه وكبيرهم (انه هو العليم) بحالى فى الحزن والاسف (الحكيم) الذى لم يبتلنى بذلك الالحكمة (وتولى عنهم) واعرض عنهم

سيسرق أو انك تصاب به كما اصبت بيوسف ﴿ واسأل القرية التى كنا فيها ﴾ يعنون مصر أو قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة ﴿ والعير التى اقبلنا فيها ﴾ واصحاب العير التى توجهنا فيهم وكنا معهم ﴿ وانا لصادقون ﴾ تأكيد فى محل القسم ﴿ قال بل سولت ﴾ أى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ماقال لهم اخوهم قال بل سولت أى زينت وسهلت ﴿ لكم انفسكم امرا ﴾ اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته ﴿ فصبر جميل ﴾ أى فامرى صبر جميل أو فصبر جميل اجمل ﴿ عسى الله ان يأتينى بهم جميعا ﴾ بيوسف وبنيامين واخيهما الذى توقف بمصر ﴿ انه هو العليم ﴾ بحالى وحالهم ﴿ الحكيم ﴾ فى تدبيره ﴿ وتولى عنهم ﴾

﴿ وما كنا للغيب حافظين ﴾ قال مجاهد وقتادة يعنى ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير أمرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ماذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا الى حفظه منه سبيل وقال ابن عباس ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لايعلمه الا الله فلعل الصواع دس فى رحله ونحن لانعلم بذلك ﴿ واسئل القرية التى كنا فيها ﴾ يعنى واسئل أهل القرية الا أنه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور فى كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هى قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش ﴿ والعير التى أقبلنا فيها ﴾ يعنى واسأل القافلة التى كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب ﴿ وانا لصادقون ﴾ يعنى فيما قلناه وانما أمرهم أخوهم الذى أقام بمصر بهذه المقالة مبالغة فى ازالة التهمة عن أنفسهم عند أبيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف ﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا ﴾ فيه اختصار تقديره فرجعوا الى أبيهم فاخبروه بما جرى لهم فى سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وأمرهم أن يقولوه لابيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعنى بل زينت لكم أنفسكم أمرا وهو حمل أخيكم معكم الى مصر لطلب نفع عاجل فآل امركم الى ما آل وقيل معناه بل خيلت لكم أنفسكم أنه سرق وما سرق ﴿ فصبر جميل ﴾ تقدم تفسيره فى أول السورة ۞ وقوله ﴿ عسى الله أن يأتينى بهم جميعا ﴾ يعنى يوسف وبنيامين والاخ الثالث الذى أقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم ما يجرى عليه وعلى بنيه من أول الامر وهو رؤيا يوسف وقوله يابنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تناهى الامر قال عسى الله أن يأتينى بهم جميعا ﴿ انه هو العليم ﴾ يعنى بحزنى ووجدى عليهم ﴿ الحكيم ﴾ فيما يدبره ويقضيه ۞ قوله تعالى ﴿ وتولى عنهم ﴾ يعنى وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تناهى حزنه

(وما كنا للغيب حافظين) يقول لو علمنا الغيب ماذهبنا به ويقال ما كناله بالليل حافظين (واسئل القرية) أهل القرية (التى كنا فيها) وهى قرية من قرى مصر (والعير) أهل العير (التى أقبلنا فيها) جئنا معهم وكان صحبهم قوم من كنعان (وانا لصادقون) فيما قلنا لك فقالوا ليعقوب هذا القول (قال) يعقوب لهم (بل سولت) زينت (لكم أنفسكم أمرا) ففعلتموه (فصبر جميل) فعلى صبر جميل بالاجزع (عسى الله) لعل الله (أن يأتينى بهم جميعا) بيوسف وأخيه من أبيه وأمه بنيامين ويهوذا (انه هو العليم) بمكانهم (الحكيم) بردهم على (وتولى عنهم) خرج

منها أو بخلاص اخي منهم أو بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا أو لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب عليه السلام اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان فى هذا البلد لنورا من نور يعقوب ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ لان حكمه لا يكون الا بالحق ﴿ ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق ﴾ على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرئ سرق اى نسب الى السرقة ﴿ وما شهدنا ﴾ عليه ﴿ الا بما علمنا ﴾ بان رأينا ان الصواع استخرج من وعائه ﴿ وما كنا للغيب ﴾ لباطن الحال ﴿ حافظين ﴾ فلا ندرى انه سرق أو سرق ودس الصاع فى رحله أو وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه

خروج منها أو بلوت أو بقتالهم (وهو خير الحاكمين) لانه لا يحكم الا بالعدل (أرجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق) وقرئ سرق أى نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه بالسرقة (الا بما علمنا) من سرقته وتيقنا اذ الصواع استخرج

على أو بخروجي معكم وترك أخي أو يحكم الله لى بالسيف فقاتلهم حتى أسترد أخي ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجاء الى الله تعالى فى اقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿ ارجعوا الى أبيكم ﴾ يعنى يقول الاخ الكبير الذى عزم على الاقامة بمصر لاخوته الباقين ارجعوا الى أبيكم يعقوب ﴿ فقولوا ﴾ له ﴿ يا أبانا ان ابنك سرق ﴾ انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة فى ظاهر الامر لا فى حقيقة الحال ويدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم ﴿ وما شهدنا الا بما علمنا ﴾ يعنى ولم نقل ذلك الا بعد أن رأينا اخراج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة فى عمرنا على شئ الا بما علمناه وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك أنه سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق فى زعم الملك وأصحابه لا أنا نشهد عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها أى نسب الى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج الى تأويل ومعناه ان القوم نسبوه الى السرقة الا أن هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هى الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا يعنى وما قلنا هذا الا بما علمنا فانا رأينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة فى عمرنا على شئ الا بما علمناه وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب هب أنه سرق فما يدرى هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته الا بقولكم قالوا ما شهدنا عنده ان السارق يسترق الا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء قبله ويعقوب وبنيه وأورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب اخفاء هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك وأجيب عنه بانه يحتمل أن يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا أنكر عليهم اعلام الملك بهذا الحكم لظنه أنه كافر

(وهو خير) أفضل (الحاكمين) فى رده الى ثم قال لهم يهوذا (ارجعوا) يا اخوتى (الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق) صواع الملك اناء من ذهب ويقال أخذ بالسرقة ان قرأت بضم السين وخفض الراء بالتشديد (وما شهدنا الا بما علمنا) رأينا ان السرقة أخرجت من رحله

ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما ﴿ فلما استيأسوا منه ﴾ يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزى استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همزة واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على الياء على اصله ﴿ خلصوا ﴾ انفردوا واعتزلوا ﴿ نجيا ﴾ متناجين وانما وحده لانه مصدر أو بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندى واندية ﴿ قال كبيرهم ﴾ فى السن وهو روبيل أو فى الراى وهو شمعون وقيل يهوذا ﴿ ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ﴾ عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته ﴿ ومن قبل ﴾ ومن قبل هذا [illegible] مافرطتم فى يوسف ﴾ قصرتم فى شأنه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية فى موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف أو على اسم ان وخبره فى يوسف او من قبل أو الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا أو صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة أى مافرطتموه بمعنى ماقدمتموه فى حقه من الخيانة ومحله ماتقدم ﴿ فلن ابرح الارض ﴾ فلن افارق ارض مصر ﴿ حتى يأذن لى ابى ﴾ فى الرجوع ﴿ أو يحكم الله لى ﴾ أو يقضى الله لى بالخروج

ابيه فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة كثيرة وأحسنها وأصحها أنه انما فعل ذلك بامر الله تعالى له لا عن أمره وانما أمره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة آبائه الماضين ولله تعالى اسرار لا يعلمها أحد من خلقه فهو المتصرف فى خلقه بما يشاء وهو الذى أخفى خبر يوسف عن يعقوب فى طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد أن يدبره فيهم والله أعلم باحوال عباده ✺ قوله عز وجل ﴿ فلما استيأسوا منه ﴾ يعنى أيسوا من يوسف أن يجيبهم لما سألوه وقيل أيسوا من أخيهم أن يرد عليهم وقال أبو عبيدة استيأسوا أى استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم ﴿ خلصوا نجيا ﴾ يعنى خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم ﴿ قال كبيرهم ﴾ يعنى فى العقل والعلم لا فى السن قال ابن عباس الكبير هو يهوذا وكان أعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرئاسة على اخوته وقال قتادة والسدى والضحاك هو روبيل وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا فى يوسف لانه نهاهم عن قتله ﴿ ألم تعلموا [illegible] أباكم ﴾ يعنى يعقوب ﴿ قد أخذ عليكم موثقا ﴾ يعنى عهدا ﴿ [illegible] الله ومن قبل مافرطتم فى يوسف ﴾ يعنى قصرتم فى أمر يوسف حتى ضيعتموه ﴿ فلن أبرح الارض ﴾ يعنى الارض التى أنا فيها وهى [illegible] مصر والمعنى فلن أخرج من أرض مصر ولا أفارقها على هذه الصورة ﴿ حتى يأذن لى أبى ﴾ يعنى فى الخروج من أرض مصر فيدعونى اليه ﴿ أو يحكم الله لى ﴾ برد أخى

[illegible] (فلما استيأسوا) يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة كما مر فى استعصم (منه) من يوسف واجابته اياهم (خلصوا) [illegible] ردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم (نجيا) ذوى نجوى أو فوجا نجيا أى مناجيا المناجاة بعضهم بعضا أو تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم فى أنفسهم صورة التناجى وحقيقته فالنجى يكون بمعنى المناجى كالسمير بمعنى المسامر وبمعنى المصدر الذى هو التناجى وكان تناجيهم فى تدبير أمرهم على أى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم فى شان أخيهم (قال كبيرهم) فى السن وهو روبيل أو فى العقل والرأى وهو يهوذا أو رئيسهم وهو شمعون (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل مافرطتم فى يوسف) ما صلة أى ومن قبل هذا قصرتم [illegible] يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم أو مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم فى يوسف (فلن أبرح الارض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى الانصراف اليه (أو يحكم الله لى)

(فلما استيأسوا منه) ايسوا منه (خلصوا نجيا) خلوا انجيا [illegible] المناجاة فيما بينهم (قال كبيرهم) أفضلهم فى العلم ([illegible]) وهو يهوذا (ألم تعلموا) يا اخوتاه ([illegible] أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) لتردنه على (ومن [illegible] من قبل هذا الغلام (مافرطتم) ماتركتم عهده وميثاقه (فى يوسف فلن ابرح الارض) أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) بالرجوع ويقال يأذن لى أبى حتى اناجزهم القتال (أو يحكم الله لى) فى رد أخى

في السن أو القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه ﴿ فخذ أحدنا مكانه ﴾ بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به ﴿ انا نراك من المحسنين ﴾ الينا فاتمم احسانك أو من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك ﴿ قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ﴾ فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه ﴿ انا اذا لظالمون ﴾ في مذهبكم هذا أو ان مراده ان الله اذن ان آخذ من وجدنا الصاع في رحله [illegible]

عليه الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل أخيه بنيامين نقره وأدناه في أذنه ثم قال ان صواعي هذا يخبرني انكم اثنا عشر رجلا لأب واحد وانكم انطلقتم بأخ لكم من ابيكم فبعتموه قال بنيامين أيها الملك سل صواعك هذا من جعله في رحلي فنقره ثم قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي وقد رأيت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شيء وكان اذا صاح ألقت كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشدهم وقيل كانت هذه صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال اكفوني أنتم الاسواق وأنا أكفيكم الملك أو اكفوني أنتم الملك وأنا أكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل أيها الملك لتردن علينا أخانا أو لاصيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا فمسه أو خذ بيده فأتى له فلما مسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسني منكم قالوا لم يصبك منا أحد فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فوكزه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال أنتم يامعشر العبرانيين تزعمون أن لا أحد أشد منكم فلما رأوا مانزل بهم ورأوا أن لا سبيل الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا ياأيها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا يعني في السن ويحتمل أن يكون كبيرا في القدر لانه نبي من أولاد الانبياء ﴿ فخذ أحدنا مكانه ﴾ يعني بدلا عنه لانه يحبه ويتسلى به عن أخيه الهالك ﴿ انا نراك من المحسنين ﴾ يعني في أفعالك كلها وقيل من المحسنين الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا وأخذت أحدنا مكانه كنت من المحسنين ﴿ قال معاذ الله ﴾ يعني قال يوسف أعوذ بالله معاذا ﴿ أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ﴾ لم يقل من سرق تحرزا عن الكذب لانه يعلم ان أخاه ليس بسارق ﴿ انا اذا لظالمون ﴾ يعني ان أخذنا بريئا بذنب غيره • فان قلت كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذه الاعمال بابيه ولم يخبره بمكانه وحبس [illegible] أيضا عنده مع علمه بشدة وجد أبيه عليه ففيه مافيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة والرسالة [illegible] اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع مافيه من الايذاء

(فخذ أحدنا مكانه) بدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد فان أباه يتسلى به عن أخيه المفقود (انا نراك من المحسنين) الينا فاتمم احسانك أو من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) أي نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من (انا اذا لظالمون) اذا جواب لهم وجزاء لان المعنى ان أخذنا بدله ظلمنا وهذا لانه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصاع في رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ماعرفتم

يفرح به ان رددناه (فخذ أحدنا) بدله (مكانه انا نراك) ان فعلت ذلك (من المحسنين) الينا (قال) لهم يوسف (معاذ الله) اعوذ بالله (ان نأخذ) بالسرقة (الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون) بحبس من لم نجد متاعنا عنده

دخل كنيسة واخذ تمثالا صغيرا من الذهب ﴿ فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم ﴾ اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة أو المقالة أو نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله ﴿ قال انتم شر مكانا ﴾ فانه بدل من اسرها والمعنى قال فى نفسه انتم شر مكانا أى منزلة فى السرقة لسرقتكم اخاكم يوسف أو فى سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان ﴿ والله اعلم بما تصفون ﴾ وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون ﴿ قالوا يا أيها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا ﴾

الذى هلك كان سارقا أيضا وكان غرضهم من هذا الكلام انا لسنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا وأخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من أم أخرى غير أمنا واختلفوا فى السرقة التى نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجده أبى أمه صنم وكان يعبده فاخذه يوسف سرا وكسره وألقاه فى الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها له وقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجة من الطير الذى كان فى بيت يعقوب فاعطاها سائلا وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت أمه راحيل فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاحبه فقال لاخته يا أختاه سلمى الى يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عنى ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقال لها والله ما أنا تاركه عندك فقالت دعه عندى أياما أنظر اليه لعل ذلك يسلينى عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت أكبر أولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لسلم لى يعنى يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الانبارى وليس فى هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند الغضب ﴿ فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم ﴾ فى هاء الكناية ثلاثة أقوال أحدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التى بعدها وهى قوله تعالى ﴿ قال ﴾ يعنى يوسف ﴿ أنتم شر مكانا ﴾ روى هذا المعنى العوفى عن ابن عباس والثانى ان الضمير يرجع الى الكلمة التى قالوها فى حقه وهى قولهم فقد سرق أخ له من قبل وهذا معنى قول أبى صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف جواب الكلمة التى قالوها فى حقه ولم يجبهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فاسر يوسف الاحتجاج عليهم فى ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا يعنى منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة فى الحقيقة وخيانتكم حقيقة ﴿ والله أعلم بما تصفون ﴾ يعنى بحقيقة ما تقولون * قوله عز وجل ﴿ قالوا ﴾ يعنى اخوة يوسف ﴿ يا أيها العزيز ﴾ يخاطبون بذلك الملك ﴿ ان له أبا شيخا كبيرا ﴾ قال أصحاب الاخبار والسير ان يوسف

كانت لاتصبر عنه فلما شب أراد يعقوب ان ينزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم افعل به ما شئت منه فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم باخى فاهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم (فأسرها) أى مقالتهم انه سرق كانه لم يسمعها (يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا) تمييز أى أنتم شر منزلة فى السرق لانكم سرقتم اخاكم يوسف من أبيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون أو تكذبون (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) فى السن أو فى القدر

صنما (فاسرها يوسف) جواب هذه الكلمة (فى نفسه ولم يبدها لهم) جوابها ال) فى نفسه (انتم شر مكانا) صنيعا من يوسف (والله أعلم بما تصفون) تقولون من أمر يوسف (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا)

(ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لان الحكم فى دين الملك أى فى سيرته للسارق أن يغرم مثلى ما أخذ لا ان يستعبد (الاأن يشاءالله) أى ما كان ليأخذه الا بمشيئة الله وارادته فيه (نرفع درجات بالتنوين كوفى (من نشاء) أى فى العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه (وفوق كل ذى علم عليم) فوقه أرفع درجة منه فى علمه أو فوق العلماء كلهم عليم هم دونه فى العلم وهو الله عز وجل (قالوا أن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) أرادوا يوسف قيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان فى المنزل دجاجة فأعطاها لسائل وقيل كانت منطقة لابراهيم عليه السلام يتوارثها أكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهى عمته بعد وفاة أمه

﴿ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك﴾ ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد ﴿الا ان يشاء الله﴾ ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا أى لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ بالعلم كما رفعنا درجته ﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾ ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذى له العلم البالغ ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص ﴿قالوا أن يسرق﴾ بنيامين ﴿فقد سرق اخ له من قبل﴾ يعنون يوسف عليه السلام قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به فى حكمهم وقيل كان لابى امه صنم فسرقه وكسره والقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت عناق أو دجاجة فاعطى السائل وقيل

الكيد فهو من الله تعالى أستر اذ هو ما ختم الله به عاقبته والذى وقع باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى اليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة وحيث جرى الامر على غير ما قدروا من اهلاكه وخلوص أبيهم له بعده وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى وخفى لطفه سماه كيدا لانه أشبه كيد المخلوقين فعلى هذا يكون كيد الله عز وجل ليوسف عليه السلام عائدا الى جميع ما أعطاه الله وأنعم به عليه على خلاف تدبير اخوته من غير أن يشعروا بذلك ❊ وقوله تعالى ﴿ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك﴾ يعنى فى حكم الملك وقضائه لانه كان فى حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعفى قيمة المسروق يعنى فى حكم الملك وقضائه فيتمكن يوسف من حبس أخيه عنده فى حكم الملك فالله تعالى ألهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل الى ذلك ﴿الا أن يشاء الله﴾ يعنى أن ذلك الامر كان بمشيئة الله وتدبيره لان ذلك كله كان الهاما من الله ليوسف واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ يعنى بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وفى هذه الآية دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم وبه ألهمه على وجه الهداية والصواب فى الامور كلها ﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾ قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهى العلم الى الله تعالى فالله فوق كل عالم لانه هو الغنى بعلمه عن التعليم وفى الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الانبارى يجب أن يتهم العالم نفسه ويستشعر التواضع لمواهب ربه تعالى ولا يطمع نفسه فى الغلبة لانه لا يخلو عالم من عالم فوقه ❊ قوله تعالى ﴿قالوا﴾ يعنى اخوة يوسف ﴿ان يسرق﴾ يعنى بنيامين الصواع ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾ يعنى يوسف ظاهر الآية يقتضى ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب منه فان أخاه

(ما كان ليأخذ) يقول لم يأخذ (أخاه فى دين الملك) فى قضاء الملك (الاأن يشاء الله)وقد شاء الله ان لا يأخذ أخاه فى دين الملك وكان قضاء الملك للسارق انه يضرب ويغرم وبقال يقطع ويغرم ويقال الا أن يشاء الله الا ما علم يوسف انه يرضى الله من قضاء الملك فكان يأخذ بذلك (نرفع درجات) فضائل (من نشاء) كما رفع فى الدنيا (وفوق كل ذى علم) وفوق كل ذى علم عالم حتى ينتهى الى الله فليس فوقه أحد ويقال الله عالم وفوق كل عالم (الذى) فليس فوقه أحد (قالوا) اخوة يوسف (ان يسرق) ان سرق بنيامين سقاية الملك (فقد سرق أخ له من قبل) من قبله أخوه لابيه وأمه

﴿ فبدأ باوعيتهم ﴾ فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر ﴿ قبل وعاء أخيه ﴾ بنيامين نفيا للتهمة ﴿ ثم استخرجها ﴾ أى السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث ﴿ من وعاء اخيه ﴾ وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الكيد ﴿ كدنا ليوسف ﴾ بان علمناه اياه واوحينا به اليه

الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل هو من كلام أصحاب يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق ان يسترق سنة قال أصحاب يوسف كذلك نجزى الظالمين يعنى السارقين * قوله عز وجل ﴿ فبدأ باوعيتهم قبل وعاء أخيه ﴾ قال أهل التفسير ان اخوة يوسف لما أقروا ان جزاء السارق ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف لابد من تفتيش رحالكم فردوهم الى يوسف فامر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه لازالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان يفتح متاعا ولا ينظر وعاء الا استغفر الله تأثما مما قذفهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذ شيأ قال اخوته والله لا نتركك حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى ﴿ ثم استخرجها من وعاء أخيه ﴾ انما أنث الكناية لانه ردها الى السقاية وقيل ان الصواع يذكر ويؤنث فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوة يوسف رؤسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له ماصنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يابنى راحيل مازال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل مازال لهم منكم بلاء ذهبتم باخى فاهلكتموه فى البرية أن الذى وضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم قالوا فاخذ بنيامين رقيقا وقيل ان المنادى وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فاخذوه برقبته وردوه الى يوسف ﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ يعنى ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو اشارة الى الحكم الذى ذكره اخوة يوسف باسترقاق السارق أى مثل ذلك الحكم الذى ذكره اخوة يوسف حكمنا به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا فى حق الله عز وجل محال فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء الكيد يعنى كما فعلوا بيوسف فى الابتداء فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما ألهمنا اخوة يوسف ان حكموا ان جزاء السارق أن يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع فى رحل أخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته وقال ابن الاعرابى الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانبارى كدنا وقع خبرا من الله عز وجل على خلاف معناه فى أوصاف المخلوقين فانه اذا أخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو فى موضع فعل الله معرى من المعانى المذمومة وتخلص بانه وقع بمن يكيده تدبير ما يريده به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئته بالذى يكون من أجل أن المخلوق اذا كاد المخلوق ستر عنه ما ينويه ويضمره له من الذى يقع به من

أى السراق بالاسترقاق (فبدأ باوعيتهم قبل وعاء أخيه) فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيأ فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا (ثم استخرجها) أى الصواع (من وعاء أخيه) ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه لان التأنيث يرجع الى السقاية أو لان الصواع يذكر ويؤنث الكاف فى (كذلك) فى محل النصب أى مثل ذلك الكيد العظيم (كدنا ليوسف) يعنى علمناه اياه

السارقين بارضنا (فبدأ) فتى يوسف (باوعيتهم) ففتشها (قبل وعاء أخيه) فلم يجدها فيها (ثم استخرجها من وعاء أخيه) من ابيه وامه فقال له فتى يوسف فرجك الله كما فرجتنى (كذلك) هكذا (كدنا) صنعنا (ليوسف) اكرمناه بالعلم والحكمة والفهم والنبوة والملك

كفيل أؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل ﴿ قالوا تالله ﴾ قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى ﴿ لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين ﴾ استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم فى كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التى جعلت فى رحالهم وكم الدواب لئلا تتناول زرعا أو طعاما لاحد ﴿ قالوا فما جزاؤه ﴾ فما جزاء السارق أو السرق أو الصواع على حذف المضاف ﴿ ان كنتم كاذبين ﴾ فى ادعاء البراءة ﴿ قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه ﴾ أى جزاء سرقته اخذ من وجد فى رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له أو خبر من والفاء لتضمنه معنى الشرط اوجواب لها على انها شرطية والجملة كما هى خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كأنه قيل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو ﴿ كذلك نجزى الظالمين ﴾ بالسرقة

وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة فى شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فى قوله الحميل غارم والحميل الكفيل * فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق لايستحق شيأ * قلت لم يكونوا سراقا فى الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد الضائع فيكون جعالة ولعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم فى ذلك الزمان فيحمل عليه ﴿ قالوا ﴾ يعنى اخوة يوسف ﴿ تالله ﴾ التاء بدل من الواو ولاتدخل الا على اسم الله فى اليمين خاصة تقديره والله ﴿ لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين ﴾ قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على امرين * أحدهما انهم ماجاؤا لاجل الفساد فى الارض * والثانى انهم ماجاؤا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من أحوالهم مايدل على صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على انواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من أمرهم انهم شدوا أفواه دوابهم لئلا تؤذى زرع الناس ومن كانت هذه صفته فالفساد فى حقه ممتنع وأما الثانى وهو انهم ما كانوا سارقين * لانهم قد كانوا ردوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم ولم يستحلوا أخذها ومن كانت هذه صفته فليس بسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين فلما تبينت براءتهم من هذه التهمة ﴿ قالوا ﴾ يعنى أصحاب يوسف وهو المنادى وأصحابه ﴿ فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ﴾ يعنى فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين فى قولكم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين ﴿ قالوا ﴾ يعنى اخوة يوسف ﴿ جزاؤه من وجد فى رحله ﴾ يعنى جزاء السارق الذى وجد فى رحله أن يسلم برقبته الى المسروق منه فيسترق سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب فى حكم السارق وكان فى حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعفى قيمة المسروق وكان هذا فى شرعهم فى ذلك الزمان يجرى مجرى القطع فى شرعنا فاراد يوسف ان يأخذ بحكم أبيه فى السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق أن يستعبد سنة جزاء له على جرمه وسرقته ﴿ فهو جزاؤه ﴾ يعنى هذا الجزاء جزاؤه ﴿ كذلك نجزى الظالمين ﴾ يعنى مثل هذا الجزاء وهو ان يسترق السارق سنة نجزى

الارض) استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأفواه رواحلهم مشدودة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لاحد من أهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا نوصف قط بالسرقة (قالوا فما جزاؤه) الضمير للصواع أى فما جزاء سرقته (ان كنتم كاذبين) فى جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله) أى جزاء سرقته أخذ من وجد فى رحله وكان حكم السارق فى آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا فى جزائه وقولهم (فهو جزاؤه) تقرير للحكم أى فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لاغير جزؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هى خبره (كذلك نجزى الظالمين)

يوسف [illegible]) و [illegible] (لقد علمتم) يأهل مصر (ماجئنا لنفسد فى الارض) أرض مصر بالسرقة ومضرة الناس (وما كنا سارقين) ماتطلبون (قالوا) يعنى فتى يوسف (فما جزاؤه) يعنى ماجزاء السارق (ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه) السارق (من وجد فى رحله) السرقة (فهو جزاؤه) يقول الاستعباد جزاء السرقة (كذلك نجزى الظالمين) (الظالمين)

﴿أيتها العير انكم لسارقون﴾ لعله لم يقله بامر يوسف عليه الصلاة والسلام أو كان تعبية السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه أو أئنكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التى عليها الاحمال لانها تعير أى تتردد فقيل لاصحابها كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم يا خيل الله اركبى وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به مافعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة ﴿قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون﴾ أى شئ ضاع عنكم والفقد غيبة الشئ عن الحس بحيث لا يعرف مكانه ۞ وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا ﴿قالوا نفقد صواع الملك﴾ وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ﴿ولمن جاء به حمل بعير﴾ من الطعام جعلا له ﴿وانا به زعيم﴾

منادو اعلم معلم والاذان فى اللغة الاعلام ﴿أيتها العير﴾ وهى القافلة التى فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحمير والبغال وقال ابو الهيثم كل ماسير عليه من الابل والحمير والبغال فهى عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التى تحمل عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير أى تذهب وتجئ وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر ذلك فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله أيتها العير أراد أصحاب العير ﴿انكم لسارقون﴾ فقفوا والسرقة أخذ ماليس له أخذه فى خفاء ۞ فان قلت هل كان هذا النداء بامر يوسف أم لا فان كان بأمره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يتهم أقواما وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير أمره فهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة التى نسبوا اليها ۞ قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة ۞ أحدها ان يوسف لما أظهر لاخيه انه أخوه قال لست أفارقك قال لاسبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة أنسبك فيها الى مالا يليق قال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رضى به فلا يكون ذنبا ۞ الثانى أن يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من أبيه الا انهم ما اظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفى المعاريض مندوحة عن الكذب ۞ الثالث يحتمل أن يكون المنادى ربما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا ۞ الرابع ليس فى القرآن ما يدل على انهم قالوا ذلك بامر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم انهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم ﴿قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون﴾ قال أصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم ألم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم مالم نفعل بغيركم قالوا بلى وماذاك قالوا فقدنا سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا وأقبلوا عليهم أى عطفوا على المؤذن وأصحابه ماذا أى ما الذى تفقدون والفقدان ضد الوجود ﴿قالوا﴾ يعنى المؤذن وأصحابه ﴿نفقد صواع الملك﴾ الصاع الاناء الذى يكال به وجمعه أصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان ﴿ولمن جاء به﴾ يعنى بالصواع ﴿حمل بعير﴾ يعنى من الطعام ﴿وأنا به زعيم﴾ أى كفيل قال الكلبى الزعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن

الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى انهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم (ايتها العير) هى الابل التى عليها الاحمال لانها تعير أى تذهب وتجئ والمراد أصحاب العير (انكم لسارقون) كناية عن سرقتهم اياه من أبيه (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك) هو الصاع (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله

(أيتها العير) أهل القافلة (انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم) يقول اقبلوا عليهم وقالوا (ماذا تفقدون) ماتطلبون (قالوا نفقد) نطلب (صواع الملك) اناء الملك الذى كان يشرب فيه ويكيل وكان اناء من الذهب وقد اتهمنى الملك (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) كفيل قال لهم هذا القول فتى

مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم (قال) له (اني أنا أخوك) يوسف (فلا تبتئس) فلا تحز

(بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا وجمعنا على خير و

تعلمهم بما أعلمتك وروى انه قال له فانا لا أفارقك قال لقد علمت اغتمام والدى بي فان حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان أنسبك الى ما لا يحمد قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال فاني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل (فلما جهزهم بجهازهم) هيأ أسبابهم وأوفى الكيل لهم (جعل السقاية في رحل أخيه) السقاية هي مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به لعزة الطعام وكان يشبه الطاس من فضة أو ذهب (ثم أذن مؤذن) ثم نادى منادى آذنه أي اعلمه وأذن اكثر

مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات معه وقال له أتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه ﴿ قال اني انا اخوك فلا تبتئس ﴾ فلا تحزن افتعال من البؤس ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ في حقنا فيما مضى ﴿ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية ﴾ المشربة ﴿ في رحل اخيه ﴾ قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت يسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ﴿ ثم اذن مؤذن ﴾ نادى مناد

هـذا فذلك قوله آوى اليه أخاه يعني ضمه وأنزله معه في منزله فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المثكل وذلك انه لما ولدته أمه هلكت قال وما اسم أمك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل من أخ لامك قال كان لي أخ فهلك قال يوسف أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه الصلاة والسلام وقام اليه وعانقه و ﴿ قال ﴾ له ﴿ اني أنا أخوك ﴾ يعني يوسف ﴿ فلا تبتئس ﴾ يعني لا تحزن وقال أهل اللغة تبتئس تفتعل من البؤس وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ يعني فلا تحزن بشيء فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا ونجانا من الهلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفا لهم فاراد ان يجعل قلب أخيه بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لاخيه بنيامين لا تعلم أخوتك بشيء مما أعلمتك به ثم انه أوفى لاخوته الكيل وزاد لكل واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم أمر بسقاية الملك فجعلت في رحل أخيه بنيامين قال السدي وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف اني أنا أخوك قال بنيامين أنا لا افارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدي علي فاذا حبستك عندي ازداد غمه ولا يمكنني هذا الا بعد أن أشهرك بامر فظيع وأنسبك الى ما لا يحمد قال لا أبالي فافعل ما بدا لك فاني لا أفارقك قال فاني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليكم بالسرقة ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل ﴿ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ﴾ وهي المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجوهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لاناء واحد وجعلت في وعاء طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم أرسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم ﴿ ثم أذن مؤذن ﴾ يعني نادى

سائر اخوته على الباب (قال اني أنا أخوك) بمنزلة أخيك الهالك (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بك اخوتك من الجفاء ويقولون لك من السب والتعيير (فلما جهزهم بجهازهم) كال لهم كيلهم (جعل السقاية في رحل أخيه) دس سقايته التي كان يشرب فيها ويكيل بها في رحل أخيه من أبيه وأمه ثم أمرهم بالرحيل ثم أرسل ﴿ مناد ﴾ خلفهم فتى (ثم أذن مؤذن) نادى مناد وهو فتى يوسف

ما كان يغني عنهم) دخولهم من أبواب متفرقة (من الله من شيء) أي شيئا قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم افتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم (الا حاجة) استثناء منقطع أي ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي شفقته عليهم (وانه لذو علم) يعني قوله وما أغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر (لما علمناه) لتعليمنا اياه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) ضم اليه بنيامين وروى انهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم فانزلهم واكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال يوسف بقي أخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال له أتحب ان أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال ومن يجد أخا

﴿ ما كان يغني عنهم ﴾ رأي يعقوب واتباعهم له ﴿ من الله من شيء ﴾ مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام ﴿ الا حاجة في نفس يعقوب ﴾ استثناء منقطع أي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته من ان يعانوا ﴿ قضاها ﴾ اظهرها ووصى بها ﴿ وانه لذو علم لما علمناه ﴾ بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما أغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه ﴾ ضم اليه بنيامين على الطعام أو في المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على

﴿ ما كان يغني عنهم من الله من شيء ﴾ وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب فيما قال وما أغني عنكم من الله من شيء ﴿ الا حاجة في نفس يعقوب قضاها ﴾ هذا استثناء منقطع ليس من الاول في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه أشفق عليهم اشفاق الآباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم حسد أهل مصر أو خاف أن لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله أو بعضه ﴿ وانه ﴾ يعني يعقوب ﴿ لذو علم ﴾ يعني صاحب علم ﴿ لما علمناه ﴾ يعني لتعليمنا اياه ذلك العلم وقيل معناه وانه لذو علم للشيء الذي علمناه والمعنى انا لما علمناه هذه الاشياء حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وانه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لعامل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما ألهم الله أولياءه * قوله تعالى ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه ﴾ قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرم نزلهم ثم انه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهلك قال لهم فانا أجلسه معي فاخذه فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم يناما على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى أصبح فلما أصبح قال لهم اني أرى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان وسأضمه الى ...ون معي في منزلي ثم انه أنزلهم وأجرى عليهم الطعام فقال روبيل ما رأينا مثل

ما كان يغني عنهم من الله) من قضاء الله فيهم (من شيء الا حاجة) حزازة (في نفس يعقوب) في قلب يعقوب (قضاها) بداها (وانه) يعني يعقوب (لذو علم) حفظ لما علمناه) من الذي علمنا من الاحكام والحدود (قا و خا ه ه اث) والقضاء والقدر علم انه لا يكون الا ما قضى الله (ولكن أكثر الناس) أهل مصر (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه) ضم اليه (أخاه) من ابيه وامه وحبس

فى عوذته اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ﴿ وما اغنى عنكم من الله من شئ ﴾ مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ﴿ ان الحكم الا لله ﴾ يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوأ ولا ينفعكم ذلك ﴿ عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ﴾ جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء عليهم السلام سبب لان يقتدى بهم ﴿ ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ﴾ أى من ابواب متفرقة فى البلد

من العين اما جوهر واما عرض فباطل أن يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل أن يكون جوهرا لان الجواهر متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعض باولى من عكسه فبطل ماقالوه وأقرب طريقة قالها من ينتحل الاسلام منهم أن قالوا لا يبعد أن تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العائن لتتصل بالمعين فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة أجراها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعية الجأ الفعل اليها قال ومذهب أهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى أجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا آخر وهل ثم جواهر أم لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الامرين وانما يقطع بنفى الفعل عنها واضافته الى الله تعالى فمن قطع من اطباء الاسلام بانبعاث الجواهر فقد أخطأ فى قطعه وانما هو من الجائزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول وأما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بالوضوء لهذا الامر فى حديث سهل بن حنيف لما أصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك فى الموطأ وأما صفة وضوء العائن فمذكور فى كتب شروح الحديث ومعروف عند العلماء فيطلب من هناك فليس هذا موضعه والله أعلم وقال وهب بن منبه فى قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة أنه خاف أن يغتالوا لما ظهر لهم فى أرض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزى عنه وقيل ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة والسلام الا أن الله تعالى لم يأذن له فى اظهاره ذلك فلما بعث أبناءه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى أخيه يوسف فى وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول أصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض أمره الى الله تعالى بقوله ﴿ وما أغنى عنكم من الله من شئ ﴾ يعنى ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين فان المقدور كائن ولا ينفع حذر من قدر ﴿ ان الحكم الا لله ﴾ يعنى وما الحكم الا لله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض من يعقوب فى أموره كلها الى الله تعالى ﴿ عليه توكلت ﴾ يعنى عليه اعتمدت فى أمورى كلها لا على غيره ﴿ وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ﴾ يعنى من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل مدينة الفرماء أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها

(وما أغنى عنكم من الله من شئ) أى ان كان الله أراد بكم سوأ لم ينفعكم و لم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أى متفرقين

(وما اغنى عنكم من الله) من قضاء الله فيكم (من شئ ان الحكم) ما الحكم بالقضاء فيكم (الا لله عليه توكلت) اتكلت وفوضت أمرى وأمركم اليه (وعليه فليتوكل المتوكلون) فليثق الواثقون ويقال على المؤمنين ان يتوكلوا على الله وكان خاف عليهم يعقوب من العين لانهم كانوا اصباح الوجوه جمالا فمن ذلك خاف عليهم (ولما دخلوا) مصر (من حيث أمرهم) كما أمرهم (أبوهم

(ماكان)

﴿ قال الله على مانقول ﴾ من طلب الموثق واتيانه ﴿ وكيل ﴾ رقيب مطلع ﴿ وقال يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة ﴾ لانهم كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين فى مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ أوكان الداعى اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذى يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام

يعنى فلما أعطوه عهدهم وحلفوا له ﴿ قال الله على مانقول وكيل ﴾ يعنى قال يعقوب الله شاهد على مانقول كأن الشاهد وكيل بمعنى انه موكول اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتى وجلالى لأردن عليك كليهما بعدما توكلت على وفوضت امرك الى وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا أشد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فارسله معهم متوكلا على الله ومفوضا أمره اليه ✽ قوله عزوجل اخبارا عن يعقوب ﴿ وقال يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ﴾ وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يابنى لاتدخلوا يعنى مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ أربعة أبواب وقال السدى أراد الطرق لاالابواب يعنى من طرق متفرقة وانما امرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم كانوا قدأعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا اولاد رجل واحد فأمرهم ان يتفرقوا فى دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق زاد البخارى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولوكان شئ سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا ✽ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين أخرجه أبو داود وقال الشيخ محيي الدين النووى رحمه الله تعالى قال المازرى أخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى يكون مخالفا فى نفسه ولا يؤدى الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولايجوز تكذيبه وانكاره وقيل لابد من فرق بين تكذيبهم بما يخبربه من أمور الآخرة قال وقدزعم بعض الطبائعيين المثبتين للعين تأثيرا ان العائن تنبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك أويفسد قالوا ولايمتنع هذا كمالايمتنع انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل بالملدوغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين قال المازرى وهذا غير مسلم لانا بينا فى كتب علم الكلام أنه لافاعل الاالله تعالى وبينا فساد القول بالطبائع وبينا ان المحدث لايفعل فى غيره شيأ فاذا تقرر هذا بطل ماقالوه ثم نقول هذا المنبعث

السلام (قال) بعضهم يسكت عليه لان المعنى قال يعقوب (الله على مانقول) من طلب الموثق واعطائه (وكيل) رقيب مطلع غيران السكتة تفصل بين القول والمقول وذالايجوز فالاولى ان يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله (وقال يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) الجمهور على أنه خاف عليهم العين لجمالهم وجلالة أمرهم ولم يأمرهم بالتفرق فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين فى الكرة الاولى فالعين حق عندنا وجوده بان يحدث الله تعالى عند النظر الى الشئ والاعجاب به نقصانا فيه وخللا وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وأنكر الجبائى العين وهو مردود بماذكرنا وقيل انى أحب ان لايفطن بهم اعداؤهم فيحتالوا لاهلاكهم

(قال) يعقوب (الله على مانقول وكيل) شهيد ويقال كفيل (وقال) لهم (يابنى لاتدخلوا من باب واحد) من سكة واحدة (وادخلوا من أبواب متفرقة) من سكك مختلفة

جملة مستأنفة موضحة لقوله ماتبغى والجمل بعدها معطوفة عليها أى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها (ونمير أهلنا) فى رجوعنا الى الملك أى نجلب لهم ميرة وهى طعام يحمل من غير بلدك (ونحفظ أخانا) فى ذهابنا ومجيئنا فمايصيبه شئ مما تخافه (ونزداد كيل بعير) نزداد وسق بعير باستصحاب أخينا (ذلك كيل يسير) سهل عليه متيسر لايتعاظمه (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون) وبالياء مكى (موثقا) عهدا (من الله) والمعنى حتى تعطونى ما أتوثق به من عند الله أى أراد أن يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما يؤكد به العهود وقد أذن الله فى ذلك فهو اذن منه (لتأتننى به) جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتننى به (الا أن يحاط بكم) الا أن تغلبوا فلا تطيقوا الاتيان به فهو مفعول له والكلام المثبت وهو قوله لتأتننى به فى تأويل النفى اى لاتمتنعوا من الاتيان به الا للاحاطة بكم يعنى لاتمتنعوا منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهى ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام فى المفعول له والاستثناء من أعم العام لايكون الا فى النفى فلابد من تأويله بالنفى (فلما آتوه موثقهم) قيل حلفوا بالله رب محمد عليه لهم أبوهم بل يجربكم الرجل بهذا ردوا هذه الدراهم اليه (ونمير أهلنا) نمتار أهلنا (ونحفظ أخانا) فى الذهاب والمجىء بنيامين (ونزداد كيل بعير) وقر بعير اذ كان هو معنا (ذلك كيل يسير) حمل يسير نعطى بسببه ويقال هذا أمر يسير وحاجة هينة نطلب منك (قال) لهم أبوهم (لن أرسله معكم) بهذه المقالة (حتى تؤتون) تعطونى (موثقا) عهدا (يعنى) (من الله لتأتننى به) لتردنه على (الا أن يحاط بكم) الا أن ينزل عليكم أمر من السماء ويقال الا أن يصيبكم أمر من السماء أو من الارض (فلما آتوه) اعطوا أباهم (موثقهم) عهودهم من الله على رده الى أبيهم

موضح لقوله ماتبغى ﴿ ونمير اهلنا ﴾ معطوف على محذوف اى ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ﴿ ونحفظ اخانا ﴾ عن المخاوف فى ذهابنا وايابنا ﴿ ونزداد كيل بعير ﴾ وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على ماتبغى أى لانبغى فيمانقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ﴿ ذلك كيل يسير ﴾ أى مكيل قليل لايكيفنا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك أو يزدادوا اليه مايكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير أى ذلك شئ قليل لايضايقنا فيه الملك ولايتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب عليه السلام ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لايخاطر لمثله بالولد ﴿ قال لن ارسله معكم ﴾ اذ رأيت منكم مارأيت ﴿ حتى تؤتون موثقا من الله ﴾ حتى تعطونى ما اتوثق به من عند الله أى عهدا مؤكدا بذكر الله ﴿ لتأتننى به ﴾ جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتننى به ﴿ الا ان يحاط بكم ﴾ الا ان تغلبوا فلاتطيقوا ذلك أو الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتننى به على كل حال الا حال الاحاطة بكم أو من اعم العلل على ان قوله لتأتننى به فى تأويل النفى أى لاتمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اى ماطلب الا فعلك ﴿ فلما آتوه موثقهم ﴾ عهدهم

﴿ ونمير أهلنا ﴾ يقال مار أهله يميرهم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر اليهم والمعنى أنا نشترى لاهلنا الطعام ونحمله اليهم ﴿ ونحفظ أخانا ﴾ يعنى بنيامين مما تخاف عليه حتى نرده اليك ﴿ ونزداد كيل بعير ﴾ يعنى ونزداد لاجل أخينا على أحمالنا حمل بعير من الطعام ﴿ ذلك كيل يسير ﴾ يعنى ان ذلك الحمل الذى نزداده من الطعام هين على الملك لانه قد أحسن الينا وأكرمنا باكثر من ذلك وقيل معناه ان الذى حملناه معنا كيل يسير قليل لايكفينا وأهلنا ﴿ قال ﴾ يعنى قال لهم يعقوب ﴿ لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله ﴾ يعنى لن أرسل معكم بنيامين حتى تؤتونى عهد الله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد باشهاد الله عليه ﴿ لتأتننى به ﴾ دخلت اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأتننى به ﴿ الا أن يحاط بكم ﴾ قال مجاهد الا أن تهلكوا جميعا فيكون عذرا لكم عندى لان العرب تقول أحيط بفلان اذا هلك أو قارب هلاكه وقال قتادة الا أن تغلبوا جميعا فلاتقدروا على الرجوع ﴿ فلما آتوه موثقهم ﴾

الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه يكتل حمزة وعلى أى يكتل أخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا (وانا له لحافظون) ان يناله مكروه (قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) يعنى انكم قلتم فى يوسف أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون كما تقولونه فى أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يأمننى من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظا) كوفى غير أبى بكر فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وهو حال أو تمييز

ومن قرأ حفظا فهو تمييز لاغير (وهو أرحم الراحمين) فأرجو أن ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قال كعب لما قال فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتى وجلالى لاردن عليك كليهما (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى) ما للنفى أى ما نبغى فى القول ولا نتجاوز الحق أو ما نبغى شيأ وراء ما فعل بنا من الاحسان أو ما نريد منك بضاعة أخرى أو للاستفهام أى أى شئ نطلب وراء هذا (هذه بضاعتنا ردت الينا)

﴿ وانا له لحافظون ﴾ من ان يناله مكروه ﴿ قال ﴾ يعقوب لهم ﴿ هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على اخيه من قبل ﴾ وقد قلتم فى يوسف وانا له لحافظون ﴿ فالله خير حفظا ﴾ فأتوكل عليه وافوض امرى اليه وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا على قراءة حمزة والكسائى وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا • وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ﴿ وهو ارحم الراحمين ﴾ فارجوان يرحمنى بحفظه ولا يجمع على مصيبتين ﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم ﴾ وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها فى بيع وقيل ﴿ قالوا يا ابانا ما نبغى ﴾ ماذا نطلب . هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا أولا نطلب وراء ذلك احسانا أو لا نبغى فى القول ولا نتزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغى على الخطاب أى أى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان أو من الدليل على صدقنا ﴿ هذه بضاعتنا ردت الينا ﴾ استئناف

﴿ وانا له لحافظون ﴾ يعنى نرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة ﴿ قال ﴾ يعنى يعقوب ﴿ هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل ﴾ يعنى كيف آمنكم على ولدى بنيامين وقد فعلتم باخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه فى يوسف وضمنتم لى حفظه وقلتم وانا له لحافظون ثم فعلتم فلما لم يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف يحصل ههنا ثم قال ﴿ فالله خير حافظا ﴾ يعنى ان حفظ الله خير من حفظكم له ففيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه فى جميع الامور ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ وظاهر هذا الكلام يدل على انه أرسله معهم وانما أرسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف أو أن يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فارسله معهم أو أن شدة القحط وضيق الوقت أحوجه الى ذلك * قوله تعالى ﴿ ولما فتحوا متاعهم ﴾ يعنى الذى حملوه من مصر فيحتمل ان يكون المراد به الطعام أو أوعية الطعام ﴿ وجدوا بضاعتهم ردت اليهم ﴾ يعنى انهم وجدوا فى متاعهم ثمن الطعام الذى كانوا قد أعطوه ليوسف قد رد عليهم ودس فى متاعهم ﴿ قالوا يا أبانا ما نبغى ﴾ يعنى ماذا نبغى وأى شئ نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على أرسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا أى شئ نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن وأرادوا بهذا الكلام تطييب قلب أبيهم ﴿ هذه بضاعتنا ردت الينا

حالا ويقال نشترله حملا ان قرأت بالنون (وانا له لحافظون) ضامنون برده اليك (قال) لهم يعقوب (هل آمنكم عليه) على بنيامين (الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) من قبل يوسف يقول هل أقدر ان آخذ عليكم العهد والميثاق أكثر مما أخذت عليكم فى يوسف (فالله خير حافظا) منكم (وهو أرحم الراحمين) وهو أرحم به من والديه ومن اخوته (ولما فتحوا متاعهم) جوالقهم (وجدوا بضاعتهم) دراهمهم ثمن طعامهم (ردت اليهم) مع طعامهم (قالوا يا أبانا ما نبغى) ما نكذب بما قلنا من احسان الرجل ولطفه بنا ويقال ما نطلب بعد هذا منه (هذه بضاعتنا) دراهمنا التى أعطيناه ثمن الطعام (ردت الينا) مع الطعام وهذا من احسانه الينا قال

﴿ اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم ﴾ فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التى شروابها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لايكون عند ابيه ما يرجعون به ﴿ لعلهم يعرفونها ﴾ لعلهم يعرفون حق ردها أو لكى يعرفوها ﴿ اذا انقلبوا ﴾ انصرفوا ورجعوا ﴿ الى اهلهم ﴾ وفتحوا أوعيتهم ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع ﴿ فلما رجعوا الى ابيهم قالوا ياأبانا منع منا الكيل ﴾ حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب بنيامين ﴿ فارسل معنا اخانا نكتل ﴾ نرفع المانع من الكيل ونكتل مانحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائى بالياء على اسناده الى الاخ أى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا

وقال يوسف لفتيانه وهم غلمانه وأتباعه ﴿ اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم ﴾ أراد بالبضاعة ثمن الطعام الذى أعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الضحاك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهى الاوعية التى يحمل فيها الطعام وغيره ﴿ لعلهم يعرفونها ﴾ يعنى يعرفون بضاعتهم ﴿ اذا انقلبوا الى اهلهم ﴾ يعنى اذا رجعوا الى أهلهم ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ الينا واختلفوا فى السبب الذى من أجله رد يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقيل انهم اذا فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف وسخائه فيبعثهم ذلك على الرجوع اليه سريعا وقيل انه خاف أن لايكون عند أبيه شئ آخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته لؤم لشدة حاجتهم اليه وقيل أراد أن يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم فيه لوم ولا عيب وقيل أراد أن يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم فى رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها فى رحالهم لانهم انبياء وأولاد أنبياء وقيل أراد برد البضاعة اليهم أن يكون ذلك عونا لابيه ولاخوته على شدة الزمان ﴿ فلما رجعوا الى أبيهم قالوا ياأبانا ﴾ انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من أولاد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعتم الى ملك مصر فاقرؤا عليه منى السلام وقولوا له ان أبانا يصلى عليك ويدعو لك بما أوليتنا ثم قال لهم أين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر عنده وأخبروه بالقصة ثم قالوا ياأبانا ﴿ منع منا الكيل ﴾ وفيه قولان أحدهما انهم لما أخبروا يوسف باخيهم من أبيهم طلبوا منه الطعام لابيهم وأخيهم المتخلف عند أبيهم فمنعهم من ذلك حتى يحضر فقولهم منع منا الكيل اشارة اليه وأراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثانى انه سيمنع منا الكيل فى المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون وقال الحسن يمنع منا الكيل ان لم نحمل معنا أخانا وهو قوله تعالى اخبارا عنهم ﴿ وأرسل معنا أخانا ﴾ يعنى بنيامين ﴿ نكتل ﴾ قرئ بالياء يعنى يكتل لنفسه وقرئ بالنون يعنى نكتل نحن جميعا واياه معنا

رحالهم) أوعيتهم وكانت نعالا أو ادما أو ورقا وهو أليق بالدس فى الرحال (لعلهم يعرفونها) يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين (اذا انقلبوا الى أهلهم) وفرغوا ظروفهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا أو ربما لايجدون بضاعة بها يرجعون أو ما فيهم من الديانة يعيدهم لرد الامانة أو لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه واخوته ثمنا (فلما رجعوا الى أبيهم) بالطعام وأخبروه بما فعل (قالوا ياأبانا منع منا الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى لانهم اذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (فارسل معنا أخانا نكتل) نرفع المانع

(اجعلوا بضاعتهم) د سوا دراهمهم (فى رحالهم) فى جوالقهم كى لايعلمون (لعلهم يعرفونها) لكى يعرفوا هذه الكرامة منى ويقال لكى يعرفوا انها دراهمهم فيردوها الى (اذا انقلبوا الى أهلهم) اذ ارجعوا الى أبيهم (لعلهم يرجعون) مرة أخرى (فلما رجعوا الى أبيهم) بكنعان (قالوا ياابانا منع منا الكيل) فيما يستقبل ان لم ترسل معنا بنيامين (فارسل معنا أخانا) بنيامين (يكتل) يشتر لنفسه (وانا)

من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم فى حلاه من التهيب والاستعظام ﴿ ولما جهزهم بجهازهم ﴾ اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤا لاجله واصل الجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر ﴿ قال ائتونى باخ لكم من ابيكم ﴾ روى انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله انما نحن بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا عند ابينا يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا احد ههنا فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وأتونى باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عليه السلام يعطى لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم ﴿ ألا ترون انى اوفى الكيل ﴾ اتمه ﴿ وانا خير المنزلين ﴾ للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم ﴿ فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون ﴾ أى ولا تقربونى ولا تدخلوا ديارى وهو اما نهى أو نفى معطوف على الجزاء ﴿ قالوا سنراود عنه اباه ﴾ سنجتهد فى طلبه من ابيه ﴿ وانا لفاعلون ﴾ ذلك لا نتوانى فيه ﴿ وقال لفتيته ﴾ لغلمانه الكيالين جمع فتى ٭ وقرأ حمزة والكسائى وحفص لفتيانه على انه جمع الكثرة ليوافق قوله

﴿ ولما جهزهم بجهازهم ﴾ يقال جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه فى وجوههم والجهاز بفتح الجيم هى اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثرون من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال ابن عباس حمل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام وأكرمهم فى النزول واحسن ضيافتهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه فى سفرهم ﴿ قال ائتونى باخ لكم من أبيكم ﴾ يعنى الذى خلفتموه عنده وهو بنيامين ﴿ ألا ترون أنى أوفى الكيل ﴾ يعنى انى أتمه ولا أبخس منه شيأ وأزيدكم حمل بعير آخر لاجل أخيكم أكرمكم بذلك ﴿ وأنا خير المنزلين ﴾ يعنى خير المضيفين لانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الامام فخر الدين الرازى هذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انهم جواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يليق به أن يقول لهم ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين وأيضا يبعد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقا أن يقول لهم أنتم جواسيس وعيون مع أنه يعرف براءتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يليق بالصديق ثم قال يوسف ﴿ فان لم تأتونى به ﴾ يعنى بأخيكم الذى من أبيكم ﴿ فلا كيل لكم عندى ﴾ يعنى لست أكيل لكم طعاما ﴿ ولا تقربون ﴾ يعنى ولا ترجعوا ولا تقربوا بلادى وهذا هو نهاية التخويف والترهيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك ﴿ قالوا ﴾ يعنى اخوة يوسف ﴿ سنراود عنه أباه ﴾ يعنى سنجتهد ونحتال حتى ننزعه من عنده ﴿ وانا لفاعلون ﴾ يعنى ما أمرتنا به ٭ قوله عز وجل ﴿ وقال لفتيانه ﴾ يعنى

(ولما جهزهم بجهازهم) أعطى كل واحد منهم حمل بعير وقرئ بكسر الجيم شاذا (قال ائتونى باخ لكم من ابيكم ألا ترون انى اوفى الكيل) اتمه (وأنا خير المنزلين) كان قد احسن انزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا الكلام على الرجوع اليه (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى) فلا أبيعكم طعاما (ولا تقربون) أى فان لم تأتونى به تحرموا ولا تقربوا فهو داخل فى حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله فلا كيل لكم أو هو بمعنى النهى (قالوا سنراود عنه أباه) سنخادعه عنه ونحتال حتى ننزعه من يده (وانا لفاعلون) ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى قال فدعوا بعضكم رهنا فتركوا عنده شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف (وقال لفتيانه) كوفى غير أبى بكر لفتيته غيرهم وهما جمع فتى كاخوة واخوان

(ولما جهزهم بجهازهم) كال لهم كيلهم (قال ائتونى باخ لكم من أبيكم) كما قلتم ان لنا اخا من أبينا عند أبينا (ألا ترون انى أوفى الكيل) أوفر الكيل ويقال بيدى كيل الطعام (وأنا خير المنزلين) افضل المضيفين (فان لم تأتونى به) باخيكم من أبيكم (فلا كيل لكم عندى) فيما تستقبلون (ولا تقربون) مرة أخرى (قالوا سنراود عنه أباه) سنطلبه من أبيه ونغرى أباه (وانا لفاعلون) لضامنون انا سنجيء به (وقال) يوسف (لفتيانه) لخدامه

مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شئ منهما ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأى رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب عليه السلام بنيه غير بنيامين اليه للميرة ﴿ فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ﴾ أى عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه فى سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التى رأوه عليها

فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ﴾ قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام قصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان يوسف لا يعطى أحدا أكثر من حمل بعير وان كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل بآل يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لامه وأبيه وأرسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من أرض فلسطين والعربات ثغور الشام وكانوا أهل بادية وابل وشياه فدعاهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال بلغنى أن بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا له واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم قال ابن عباس ومجاهد باول نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعنى لم يعرفوه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين ان قذفوه فى الجب وبين دخولهم عليه مدة أربعين سنة فلذلك أنكروه وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وقيل لانه كان قد لبس زى ملوك مصر عليه ثياب حرير وفى عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع فى القلب بخلق الله تعالى له فيه وان الله سبحانه وتعالى لم يخلق ذلك العرفان فى تلك الساعة فى قلوبهم تحقيقا لما أخبر أنه سينبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وكان ذلك معجزة ليوسف عليه الصلاة والسلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم اخبرونى من أنتم وما أمركم فانى قد أنكرت حالكم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة قد أصابنا من الجهد ما أصاب الناس فجئنا نمتار قال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادى قالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبى من أنبياء الله تعالى قال وكم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب أخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان أحبنا الى أبينا قال فكم أنتم الآن قالوا عشرة قال وأين الآخر قالوا هو عند أبينا لانه أخو الذى هلك لامه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذى تقولون حق قالوا أيها الملك انا ببلاد غربة لا يعرفنا فيها أحد قال فأتونى باخيكم الذى من أبيكم ان كنتم صادقين فانا راض بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن لفراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتونى به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى

فدخلوا عليه فعرفهم) بلا تعريف (وهم له منكرون) لتبدل الزى ولانه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو أربعون سنة روى انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبرونى من أنتم وما شأنكم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادى فقالوا معاذ الله نحن بنو نبى حزين لفقد ابن كان أحبنا اليه وقد أمسك أخاه من أمه يستأنس به فقال ائتونى به ان صدقتم

وهم عشرة (فدخلوا عليه) على يوسف (فعرفهم) يوسف انهم اخوته (وهم له منكرون) لا يعرفون انه أخوهم يوسف

نصيب برحمتنا) بعطائنا فى الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك (ولا نضيع اجر المحسنين) فى الدنيا (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين الى يوم القيامة (وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق وتلا الآية روى أن الملك توج يوسف وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال أما السرير فاشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعده فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدراهم والدنانير فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر فى الثانية ثم بالدواب فى الثالثة ثم بالعبيد والاماء فى الرابعة ثم بالدور والعقار فى الخامسة ثم باولادهم السادسة ثم برقابهم فى السابعة حتى استرقهم جميعا ثم أعتق أهل مصر عن آخرهم ورد عليهم أملاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتازين أكثر من حمل بعير وأصاب أرض كنعان نحو ما أصاب (قاوحا ٥٤ اث) مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا وذلك قوله (وجاء اخوة يوسف

﴿ نصيب برحمتنا من نشاء ﴾ فى الدنيا والآخرة ﴿ ولا نضيع اجر المحسنين ﴾ بل نوفى اجورهم عاجلا وآجلا ﴿ ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ الشرك والفواحش لعظمه ودوامه ﴿ وجاء اخوة يوسف ﴾ روى انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد فى تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط

السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا أخذه منهم وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق بمصر فى أيدى الناس منها شئ وباعهم فى السنة الثالثة بالدواب والمواشى والانعام حتى لم تبق دابة ولا ماشية الا احتوى عليها كلها وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والجوارى حتى لم يبق بايدى الناس عبد ولا أمة وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها كلها وباعهم فى السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم فى السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عليه الصلاة والسلام فقال أهل مصر ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى فى هؤلاء قال الملك الرأى رأيك ونحن لك تبع قال فانى أشهد الله وأشهدك أنى قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وقيل ان يوسف كان لا يشبع من الطعام فى تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف ان شبعت أنسى الجائع وأمر يوسف طباخى الملك أن يجعلوا غداءه نصف النهار وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء ﴿ نصيب برحمتنا من نشاء ﴾ يعنى نختص بنعمتنا وهى النبوة من نشاء يعنى من عبادنا ﴿ ولا نضيع أجر المحسنين ﴾ قال ابن عباس يعنى الصابرين ﴿ ولأجر الآخرة ﴾ يعنى ولثواب الآخرة ﴿ خير ﴾ يعنى أفضل من أجر الدنيا ﴿ للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ يعنى يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على أن الذى أعد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام فى الآخرة من الاجر والثواب الجزيل أفضل مما أعطاه الله فى الدنيا من الملك ❁ قوله تعالى ﴿ وجاء اخوة يوسف

(نصيب برحمتنا) نخص برحمتنا النبوة والاسلام (من نشاء) من كان أهلا لذلك (ولا نضيع) لا نبطل (أجر المحسنين) ثواب المؤمنين المحسنين بالقول والفعل (ولأجر الآخرة) ثواب الآخرة (خير) من ثواب الدنيا (للذين آمنوا) بالله وجملة الكتب والرسل (وكانوا يتقون) الكفر والشرك والفواحش (وجاء اخوة يوسف) الى مصر

وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده ﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ﴾ فى ارض مصر ﴿ يتبوأ منها حيث يشاء ﴾ ينزل من بلادها حيث يهوى • وقرأ ابن كثير نشاء بالنون

التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير مايحل فهذا القدر المذموم فى تزكية النفس أما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولايحرم بل يجب عليه ذلك مثاله أن يكون بعض الناس عنده علم نافع ولايعرف به فانه يجب عليه أن يقول أنا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا نبهه يوسف بقوله انى حفيظ عليم على انه عالم بما يحتاج اليه فى مصالح الدنيا أيضا مع كمال علمه بمصالح الدين ﴿ قوله عز وجل ﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ﴾ وكذلك اشارة الى ماتقدم يعنى وكما أنعمنا على يوسف بان أنجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه فى عين الملك حتى قربه وأدنى منزلته كذلك مكناله فى الارض يعنى أرض مصر ومعنى التمكين هو أن لاينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله ﴿ يتبوأ منها حيث يشاء ﴾ لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون ماريا وضرب له عليه كلة من استبرق وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم له سلطانه كله وجعل أمره وقضاءه نافذا فى مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر فى تلك الليالى فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له أيها الصديق لاتلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كماترى فى ملك ودنيا وكان صاحبى لايأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك فغلبتنى نفسى وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ولدين ذكرين افرائيم وميشا وهما ابنا يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر وأقام فيه العدل وأحبه الرجال والنساء فلما اطمأن يوسف فى ملكه دبر فى جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة وأنفق المال بالمعروف حتى خلت السنين المخصبة ودخلت السنين المجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبر فى طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان أول من أصابه الجوع الملك فجاع نصف النهار فنادى يايوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط فهلك فى السنة الاولى من أول سنين القحط كل ما أعدوه فى السنة المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم فى

(وكذلك) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكنا ليوسف فى الارض) أرض مصر وكانت أربعين فرسخا فى أربعين والتمكين الاقدار واعطاء المكنة (يتبوأ منها حيث يشاء) أى كل مكان أراد أن يتخذه منزلا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه نشاء مكى

(وكذلك مكنا ليوسف) هكذا مكنا يوسف (فى الارض) أرض مصر (يتبوأ) ينزل (منها) فيها (حيث يشاء)يريد

﴿ قال اجعلنى على خزائن الارض ﴾ ولنى امرها والارض ارض مصر ﴿ انى حفيظ ﴾ لها ممن لايستحقها ﴿ عليم ﴾ بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله فى امره لامحالة آثر ماتعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولى من يد الكافر اذ علم انه لاسبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به

كان عجبا فما هو باعجب مما سمعت منك وما ترى فى تأويل رؤياى ايها الصديق قال يوسف عليه الصلاة والسلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتجعل مايحصل من ذلك الطعام فى الخزائن بقصبه وسنبله فانه ابقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتأمر الناس فليرفعوا الخمس من زروعهم أيضا فيكفيك ذلك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها وتأتيك الخلق من سائر النواحى للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال مالايجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه لى ويكفينى العمل فيه فعند ذلك ﴿قال﴾ يعنى يوسف ﴿اجعلنى على خزائن الارض﴾ يعنى على خزائن الطعام والاموال وأراد بالارض أرض مصر أى أجعلنى على خزائن أرضك التى تحت يدك وقال الربيع ابن أنس اجعلنى على خزائن خراج مصر ودخلها ﴿انى حفيظ عليم﴾ أى حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه انى حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعتنى عليم بما وليتنى وقيل حفيظ للحساب عليم أعلم لغة من يأتينى وقال الكلبى حفيظ بتقديره فى السنين المخصبة للسنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك عند ذلك ومن أحق بذلك منك وولاه ذلك ✻ وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخى يوسف لولم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة ∘ فان قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ماورد من النهى عنها مع كراهية طلبها لما صح من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لاتسأل الامارة فانك ان أوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان أوتيتها عن غير مسئلة أعنت عليها أخرجاه فى الصحيحين ∘ قلت انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين عليه طلبها فاذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهية فيه فاما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى والرسول أعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان مكلفا برعاية المصالح ولايمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل قحط وشدة اما بطريق الوحى من الله أو بغيره وربما أفضى ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان فى طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب ∘ فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله انى حفيظ عليم والله تعالى يقول فلاتزكوا أنفسكم ∘ قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل

(انى حفيظ) أمين أحفظ ماتستحفظنيه (عليم) عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء أحكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان أحدا غيره لايقوم مقامه فى ذلك فطلبه ابتغاء وجه الله لالحب الملك والدنيا وفى الحديث رحم الله أخى يوسف لولم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة قالوا وفيه دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عمالة من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة واذا علم النبى أو العالم أنه لاسبيل الى الحكم بأمر الله ودفع الظلم الابتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولايعترض عليه فى كل مارأى وكان فى حكم التابع له

(قال اجعلنى على خزائن الارض) على خراج مصر

انى حفيظ) بتقديرها (عليم) بساعة الجوع حين يقع ويقال حفيظ لماوليتنى عليم بجميع السن الغرباء الذين يأتونك

(قال) الملك ليوسف (انك اليوم لدينا مكين أمين) ذومكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شئ روى ان الرسو
جاءه ومعه سبعون حاجبا وسبعون مركبا وبعث اليه لباس الملوك فقال أجب الملك
فخرج من السجن و دعا
لاهله اللهم عطف عليهم
قلوب الاخيار ولا تعم عليهم
الاخبار فهم أعلم الناس
بالاخبار فى الواقعات
وكتب على باب السجن هذه
منازل البلواء وقبور الاحياء
وشماتة الاعداء وتجربة
الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف
من درن السجن ولبس
ثيابا جددا فلما دخل على
الملك قال اللهم انى أسالك
بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك
وقدرتك من شره ثم سلم عليه
ودعاله بالعبرانية فقال ما
هذا اللسان قال لسان آبائى
وكان الملك يتكلم بسبعين
لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها
فتعجب منه وقال ايها الصديق
انى أحب أن أسمع رؤياى
منك قال رأيت بقرات
فوصف لونهن واحوالهن
ومكان خروجهن ووصف
السنابل وما كان منها على
الهيئة التى رآها الملك وقال
له من حقك أن تجمع الطعام
فى الاهراء فيأتيك الخلق
من النواحى ويمتارون منك
ويجتمع لك من الكنوز ما لم
يجتمع لاحد قبلك قال
الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه

(قال) له الملك (انك اليوم لدينا) عندنا (مكين) لك قدر ومنزلة (أمين) بالامانة ويقال بماوليتك

﴿قال انك اليوم لدينا مكين﴾ ذو مكانة ومنزلة ﴿أمين﴾ مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعاله بالعربية فقال الملك ماهذا اللسان فقال لسان عمى اسماعيل ودعاله بالعبرية فقال ماهذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان أسمع رؤياى منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفى قطفير فى تلك الليالى فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولدله منها افرائيم وميشا

أيضا قال يوسف هذا لسان آبائى قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجابه يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما رأى الملك منه ذلك أعجبه مارأى مع حداثة سن يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعنى فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد أن يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقى أيها الملك هذا الذى علم تأويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه الملك و ﴿قال انك اليوم لدينا مكين أمين﴾ يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة أى منزلة وهى الحالة التى يتمكن بها صاحبها مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت أمانتك ومنزلتك وصدقك وبراءتك مما نسبت اليه وقوله مكين أمين كلمة جامعة لكل مايحتاج اليه من الفضائل والمناقب فى أمر الدين والدنيا روى ان الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام أحب أن أسمع تأويل رؤياى منك شفاها فقال نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فطلعن من شاطئه تشخب أخلافهن لبنا فبينما أنت تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمأته سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسن السمان كافتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن اذا سبع سنبلات خضر طريات ناعمات ممتلئات حبا وماء والى جانبهن سبع أخر سود يابسات فى منبت واحد عروقهن فى الثرى والماء فبينما أنت تقول فى نفسك أى شئ هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن فى الثرى والماء اذ هبت ريح فذرت أوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن سودا فهذا مارأيت أيها الملك ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما أخطأت منها شيأ فما شأن هذه الرؤيا وان

فى اثرها كل الاوقات ﴿ الامارحم ربى ﴾ الاوقت رحمة ربى أو الامارحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع أى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه ٠ وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ﴿ ان ربى غفور رحيم ﴾ يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه ﴿ وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى ﴾ اجعله خالصا لنفسى ﴿ فلما كلمه ﴾ أى فلما اتوابه فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء

صفات لنفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهى النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها أتت النفس اللوامة فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة وقيل ان النفس أمارة بالسوء بطبعها فاذا تزكت وصفت من اخلاقها الذميمة صارت مطمئنة ٭ وقوله ﴿ الامارحم ربى ﴾ قال ابن عباس معناه الامن عصم ربى فتكون ما بمعنى من فهو كقوله ماطاب لكم من النساء يعنى من طاب لكم وقيل هذا استثناء منقطع معناه لكن من رحم ربى فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء ﴿ ان ربى غفور ﴾ يعنى غفور لذنوب عباده ﴿ رحيم ﴾ بهم ٭ قوله تعالى ﴿ وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى ﴾ وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ائتونى به يعنى بيوسف أستخلصه لنفسى أى أجعله خالصا لنفسى والاستخلاص طلب خلوص الشئ من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه لان عادة الملوك أن ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها أحد من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده فى يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى اهل السجن وحسن ادبه وثباته على المحن كلها فلهذا حسن اعتقاد الملك فيه واذا أراد الله تعالى أمرا هيأ أسبابه فالهم الملك ذلك فقال ائتونى به أستخلصه لنفسى ﴿ فلما كلمه ﴾ فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له أجب الملك الآن بلامعاودة فاجابه روى أن يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار فى كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلواء وقبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبى ربى من دنياى وحسبى ربى من خلقه عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما أبصر الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية فقال له الملك ماهذا اللسان قال لسان عمى اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وماهذا اللسان

ربى هى التى تصرف الاساءة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف أنى لم أخنه ولم أكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسى مع ذلك من الخيانة فانى قد خنته حين قذفته وقلت ماجزاء من أراد باهلك سوأ الا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا مارحم ربى الانفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (ان ربى غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت وانما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهر لان المعنى يقود اليه وقيل هذا من تقديم القرآن وتأخيره أى قوله ذلك ليعلم متصل بقوله فاسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن (وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى) أجعله خالصا لنفسى (فلما كلمه) وشاهد منه مالم يحتسب

(الامارحم ربى) عصم ربه (ان ربى غفور) متجاوز (رحيم) لما هممت (وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى) اخصه لنفسى دون العزيز (فلما كلمه) بعد ماجاء اليه وفسر رؤياه

فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين

بقوله ﴿ وما أبرئ نفسى ﴾ أى لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه لما قال ليعلم انى لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ﴿ ان النفس لأمارة بالسوء ﴾ من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح

فى قوله ﴿ وما أبرئ نفسى ﴾ من قول من على قولين أيضا أحدهما انه من قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما أبرئ نفسى من مراودتى يوسف عن نفسه وكذبى عليه والقول الثانى وهو الاصح وعليه اكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه السلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسى وهذه رواية عن ابن عباس أيضا وهو قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب خاف ان يكون قد زكى نفسه فقال وما أبرئ نفسى لان الله تعالى قال فلا تزكوا أنفسكم ففى قوله وما أبرئ نفسى هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عزوجل فان رؤية النفس فى مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فاراد ازالة ذلك عن نفسه فان حسنات الابرار سيآت المقربين ﴿ ان النفس لأمارة بالسوء ﴾ والسوء لفظ جامع لكل مايهم الانسان من الامور الدنيوية والاخروية والسيئة الفعلة القبيحة واختلفوا فى النفس الامارة بالسوء ماهى فالذى عليه أكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث المراتب هى

(وما أبرئ نفسى) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها فى عموم الاحوال أو فى هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذى هو الخطرة البشرية لا عن طريق القصد والعزم (ان النفس لأمارة بالسوء) أراد الجنس أى ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات

(وما أبرئ نفسى) قلبى من الهم (ان النفس) يعنى القلب (لأمارة) للجسد (بالسوء) بالقبيح من العمل

لاينفذه ولايسدده أولايهدى الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل فى خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه

ان مافيه من الامانة بتوفيق الله وعصمته فقال

فقال له جبريل عليه السلام ولا حين هممت بها يايوسف فقال يوسف

لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثانى انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا قول الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول أنه لايبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية أنه لما بلغ يوسف قول المرأة أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك أى الذى فعلت من ردى رسول الملك اليه ليعلم يعنى العزيز أنى لم أخنه فى زوجته بالغيب يعنى فى حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع غموض فيه لانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام انسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم من أرضكم هذا من قول الملأ فماذا تأمرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصديقا لها وعلى هذا القول اختلفوا أين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين ٭ أحدهما انه كان فى السجن وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك وهو فى السجن وأخبره بجواب امرأة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وهذه رواية أبى صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج والقول الثانى انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس ٭ فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهى اشارة للغائب مع حضوره عندهم ٭ قلت قال ابن الانبارى قال اللغويون هذا وذلك يصلحان فى هذا الموضع لقرب الخبر من أصحابه فصار كالمشاهد الذى يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى مافعله يقول ذلك الذى فعلته من ردى الرسول ليعلم أنى لم أخنه بالغيب أى لم أخن العزيز فى حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وأن الله لايهدى كيد الخائنين يعنى انى لو كنت خائنا لما خلصنى الله من هذه الورطة التى وقعت فيها لان الله لايهدى أى لايرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا

من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المقطعات أيديهن ودعا امرأة العزيز ثم (قال) لهن (ماخطبكن) ماشأنكن (اذراودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش لله) تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله (ماعلمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) ظهر واستقر (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فى قوله هى راودتنى عن نفسى ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشئ مما قذف به ثم رجع الرسول الى يوسف وأخبره بكلام النسوة واقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف (ذلك) أى أمتناعى من الخروج والتثبت لظهور البراءة (ليعلم) العزيز (أنى لم اخنه بالغيب) بظهر الغيب فى حرمته وبالغيب حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو وهو غائب عنى أو ليعلم الملك أنى لم أخن العزيز (وان الله) أى وليعلم أن الله (لايهدى كيد الخائنين) لا يسدده وكأنه تعريض بامرأته فى خيانتها أمانة زوجها ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وليبين

وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه برئ مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن ﴿ قال ماخطبكن ﴾ قال الملك لهن ماشأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه ﴿ اذراودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ﴾ تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ﴿ ماعلمنا عليه من سوء ﴾ من ذنب ﴿ قالت امرأت العزيز ألآن حصحص الحق ﴾ ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال

فحصحص فى صم الصفا ثفناته • وناء بسلمى نوءة ثم صمما

اوظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول ﴿ انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ﴾ فى قوله هى راودتنى عن نفسى ﴿ ذلك ليعلم ﴾ قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن أى ذلك التثبت ليعلم العزيز ﴿ انى لم اخنه بالغيب ﴾ بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أى لم اخنه وانا غائب عنه أو وهو غائب عنى أو ظرف أى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة ﴿ وان الله لايهدى كيد الخائنين ﴾

الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن و ﴿ قال ﴾ لهن ﴿ ماخطبكن ﴾ أى ماشأنكن وأمركن ﴿ اذراودتن يوسف عن نفسه ﴾ انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز وحدها ليكون أستر لها وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة أمرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب ﴿ قلن ﴾ يعنى النسوة جميعا مجيبات للملك ﴿ حاش لله ﴾ يعنى معاذ الله ﴿ ماعلمنا عليه من سوء ﴾ يعنى من خيانة فى شئ من الاشياء ﴿ قالت امرأت العزيز ألآن حصحص الحق ﴾ يعنى ظهر وتبين وقيل ان النسوة أقبلن على امرأة العزيز فعزرنها وقيل خافت أن يشهدن عليها فأقرت فقالت ﴿ أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ﴾ يعنى فى قوله هى راودتنى عن نفسى واختلفوا فى قوله ﴿ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ﴾ على قولين أحدهما انه من قول المرأة ووجه هذا القول ان هذا كلام متصل بماقوله وهو قول المرأة ألآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف أنى لم اخنه فى حال غيبته وهو السجن ولم أكذب عليه بل قلت أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ماقلت فى حضرته ثم بالغت فى تأكيد هذا القول فقالت ﴿ وأن الله لايهدى كيد الخائنين ﴾ يعنى انى لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لاجرم انى افتضحت لان الله

دون الملك (قال) لهن الملك) ماخطبكن) ماشأنكن وما حالكن (اذراودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله) معاذ الله (ماعلمنا عليه) ما رأينا منه (من سوء) من قبيح (قالت امرأت العزيز ألآن (لا يرشد) حصحص الحق) الآن تبين الحق ليوسف ويقال الآن خبر الصدق (أنا راودته عن نفسه) أنا دعوته الى نفسى (وانه لمن الصادقين) فى قوله انه لم يراودنى قال يوسف (ذلك ليعلم) العزيز (انى لم أخنه) فى امرأته (بالغيب) اذا غاب عنى (وان الله لايهدى) لا يصوب ولا يرضى (كيد الخائنين) عمل الزانين

وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول) ليخرجه من السجن (قال ارجع الى ربك) اى الملك (فاسئله مابال النسوة) أى حال النسوة اللاتى قطعن ايديهن) انما تثبت وتأنى فى اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما رمى به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد فى السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير فيه دليل على ان الاجتهاد فى نفى التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف فى مواقفها

وابتلاع العجاف السمان بأكل ماجمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحى أوبان انتهاء الجدب بالخصب أوبان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعدما ضيق عليهم ﴿وقال الملك ائتونى به﴾ بعدما جاءه الرسول بالتعبير ﴿فلما جاءه الرسول﴾ ليخرجه ﴿قال ارجع الى ربك فاسئله مابال النسوة اللاتى قطعن ايديهن﴾ انما تأنى فى الخروج وقدم سؤال النسوة وتفحص حالهن ليظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلايقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم ويتقى مواقعها وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت فى السجن مالبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله مابال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ماصنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ﴿ان ربى بكيدهن عليم﴾ حين قلن لى اطع مولاتك

والجدب ✲ قوله عز وجل ﴿وقال الملك ائتونى به﴾ وذلك ان الساقى لما رجع الى الملك وأخبره بفتيا يوسف وماعبر به رؤياه استحسنه الملك وعرف ان الذى قاله كائن لامحالة فقال ائتونى به حتى أبصر هذا الرجل الذى قد عبر رؤياى بهذه العبارة فرجع الساقى الى يوسف وقال له أجب الملك فذلك قوله تعالى ﴿فلما جاءه الرسول﴾ فأبى أن يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص ﴿قال﴾ يعنى قال يوسف للرسول ﴿ارجع الى ربك﴾ يعنى الى سيدك وهو الملك ﴿فاسئله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن﴾ ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبا واحتراما لها (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت فى السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعى اخرجه الترمذى وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسئله مابال النسوة اللاتى قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعى رسول الملك الذى جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ماهو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث فى السجن وراسل الملك فى كشف أمره الذى سجن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء ✲ وقوله ﴿ان ربى بكيدهن عليم﴾ يعنى ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن فى هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف

وقال عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفرله حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ماأخبرتهم حتى أشترط ان يخرجونى ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن مالبث لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا أناة ومن كرمه وحسن أدبه انه لم يذكر سيدته مع ماصنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن (ان ربى بكيدهن عليم) أى ان كيدهن عظيم لايعلمه الا الله وهو مجازيهن عليه فرجع الرسول الى الملك

(وقال الملك ائتونى به) بيوسف (فلما جاءه الرسول) وهو الساقى الى يوسف فقال ان الملك يدعوك (قال) له يوسف (ارجع الى ربك) الى سيدك الملك (فاسئله مابال النسوة) يقول قل للملك حتى يسأل عن خبر النسوة (اللاتى قطعن) خدشن وخمشن (أيديهن ان ربى) سيدى (بكيدهن) بمكرهن وصنيعهن (عليم) فرجع الرسول وأخبر الملك فجمع الملك هؤلاء النسوة كلهن وكن أربع نسوة امرأة ساقيه وامرأة صاحب مطبخه وامرأة صاحب دوابه وامرأة صاحب سجنه وامرأة العزيز أيضا ولم يكن فى مصر أعظم منهن

سبع سنين) هو خبر في معنى الأمر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون دليله قوله فذروه في سنبله وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في وجود المأمور به فيجعل كانه موجود فهو يخبر عنه (دأبا) بسكون الهمزة وحفص بتحريكها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المأمورين أي دائبين (فما حصدتم فذروه في سنبله) كي لا يأكله السوس (الا قليلا مما تأكلون) في تلك

(ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن) هو من اسناد المجاز جعل أكلهن مسندا [illegible] في سنين [illegible] (الا قليلا مما تحصنون) تحرزون وتخبئون (ثم يأتي من بعد ذلك عام) أي من بعد أربع عشرة سنة عام (فيه يغاث الناس) من الغوث أي يجاب مستغيثهم أو من الغيث أي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا امطرت (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم فيتخذون الاشربة والادهان يعصرون حمزة اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي

سبع سنين دأبا ﴾ أي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين أو المصدر باضمار فعله أي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا ، وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة كلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله ﴿ فما حصدتم فذروه في سنبله ﴾ لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة ﴿ الا قليلا مما تأكلون ﴾ في تلك السنين ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن ﴾ أي يأكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به ﴿ الا قليلا مما تحصنون ﴾ تحرزون لبذور الزراعة ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس ﴾ يمطرون من الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث ﴿ وفيه يعصرون ﴾ ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع ، وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي ، وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا أو من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة

بمعنى الامر أي ازرعوا ﴿ سبع سنين دأبا ﴾ يعني عادتكم في الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد ﴿ فما حصدتم فذروه في سنبله ﴾ انما امرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك أبقى له على طول الزمان ﴿ الا قليلا مما تأكلون ﴾ يعني ادرسوا قليلا من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة أيضا وهو وقت السنين المجدبة وهو قوله ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك ﴾ يعني من بعد السنين المخصبة ﴿ سبع شداد ﴾ يعني سبع سنين مجدبة ممحلة شديدة على الناس ﴿ يأكلن ﴾ يعني يفنين ﴿ ما قدمتم لهن ﴾ يعني يؤكل فيهن كل ما أعددتم وادخرتم لهن من الطعام وانما أضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع في الكلام ﴿ الا قليلا مما تحصنون ﴾ يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك ﴾ يعني من بعد هذه السنين المجدبة ﴿ عام فيه يغاث الناس ﴾ أي يمطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فأغاثني من الغوث ﴿ وفيه يعصرون ﴾ يعني يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا أراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون من الكرب والشدة

(سبع سنين) المخصبة (دأبا) دائما كل عام (فما حصدتم) من الزرع (فذروه في سنبله) في كوافره ولا تدوسوه فانه أبقى له (الا قليلا مما تأكلون) تقول بقدر ما تأكلون (ثم يأتي من بعد ذلك) من بعد السنين المخصبة (سبع شداد) سبع سنين قحطة (والجدب) (يأكلن ما قدمتم لهن) ما رفعتم لهن للسنين المجدبة في السنين المخصبة (الا قليلا مما تحصنون) تحرزون (ثم يأتي من بعد ذلك) من بعد السنين المجدبة (عام فيه يغاث الناس) اهل مصر بالطعام والمطر (وفيه يعصرون) الكروم والادهان والزيت فرجع الرسول وأخبر الملك بذلك

من صاحبي السجن (وادكر) بالدال هو الفصيح واصله اذتكر فأبدلت الذال دالا والتاء دالا وأدغمت الاولى فى الثانية لتقارب الحرفين وعن الحسن واذكر ووجهه أنه قلب التاء ذالا وأدغم أى تذكر يوسف وما شاهد منه (بعد أمة) بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك فى رؤياه وأعضل على الملك تأويلها تذكر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عمن عنده علمه (فارسلون) وبالياء يعقوب أى فابعثونى اليه لاسأله فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال (يوسف أيها الصديق) أيها البليغ فى الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق وتعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول (أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس) الى الملك وأتباعه (لعلهم يعلمون) فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (قال تزرعون

وهو الشرابى ﴿ وادكر بعد امة ﴾ وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة وقرئ أمة بكسرة الهمزة وهى النعمة أى بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه أى نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسى والجملة اعتراض ومقول القول ﴿ انا انبئكم بتأويله فارسلون ﴾ أى الى من عنده علمه أو الى السجن ﴿ يوسف ايها الصديق ﴾ أى فارسل الى يوسف فجاءه وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق هو المبالغ فى الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه ﴿ افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات ﴾ أى فى رؤيا ذلك ﴿ لعلى ارجع الى الناس ﴾ اعود الى الملك ومن عنده أو الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه ﴿ لعلهم يعلمون ﴾ تأويلها أو فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم ﴿ قال تزرعون

يعنى وقال الساقى الذى نجا من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز ﴿ وادكر بعد أمة ﴾ يعنى انه تذكر قول يوسف اذكرنى عند ربك بعد أمة يعنى بعد حين وهو سبع سنين وسمى الحين من الزمان أمة لانه جماعة الايام والامة الجماعة ﴿ أنا أنبئكم ﴾ يعنى أخبركم ﴿ بتأويله ﴾ وقوله أنا أنبئكم بلفظ الجمع اما أنه أراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقى جثا بين يدى الملك وقال ان فى السجن رجلا عالما يعبر الرؤيا ﴿ فارسلون ﴾ فيه اختصار تقديره فارسلنى أيها الملك فارسله فاتى السجن قال ابن عباس ولم يكن فى المدينة ﴿ يوسف ﴾ اى يا يوسف ﴿ أيها الصديق ﴾ انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذى لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق فى تعبير رؤياه التى رآها فى السجن ﴿ أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ﴾ فان الملك رأى هذه الرؤيا ﴿ لعلى أرجع الى الناس ﴾ يعنى أرجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجماعته ﴿ لعلهم يعلمون ﴾ يعنى بتأويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك فى العلم ﴿ قال ﴾ يعنى قال يوسف معبرا لتلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخصبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله تعالى ﴿ تزرعون ﴾ وهذا خبر

من السجن والقتل وهو الساقى (وادكر) تذكر يوسف (بعد أمة) سبع سنين ويقال بعد النسيان ان قرأت بالهاء (انا أنبئكم بتأويله) قال للملك انا اخبرك بتعبير الرؤيا يا أيها الملأ (فارسلون) الى السجن فان فيه رجلا ووصف علمه وحلمه واحسانه الى أهل السجن وصدقه بتأويل الرؤيا فارسله فجاءه فقال ليوسف يا (يوسف أيها الصديق) الصادق فى تعبير الرؤيا الاولى (أفتنا فى سبع بقرات سمان) خرجن من نهر (يأكلهن) يبتلعهن (سبع عجاف) هزال هالكات (وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) التوين على الخضرة وغلبن خضرتهن (لعلى أرجع الى الناس) الى الملك (لعلهم يعلمون) لكى يعلموا رؤيا الملك فقال يوسف نعم اما السبع بقرات السمان فهن سبع سنين مخصبة وأما السبع سنبلات الخضر فهو الخصب والرخص فى السنين المخصبة وأما السبع بقرات الهزال الهالكات فهى سبع سنين مجدبة وأما السبع سنبلات اليابسات فهو القحط والغلاء فى السنين المجدبة ثم علمهم يوسف كيف يصنعون (قال تزرعون

على النظير والنقيض على النقيض وفي الآية دلالة على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر لان الكلام مبنى على انه
الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات
بمعنى وسبعا أخر (ياأيها الملأ) كأنه أراد الاعيان من العلماء والحكماء (أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون)
اللام في للرؤيا للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين أو لان المفعول به اذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه
اذا تأخر عنه فعضد بها تقول وللرؤيا عبرت أو يكون للرؤيا خبرا
كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر أو حال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر (قالوا أضغاث أحلام) أي هي أضغاث أحلام أي تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الاضغاث ماجمع من أخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أي أضغاث من احلام وانما جمع وهو حلم واحد تزايدا في
وصف الحلم بالبطلان وجاز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (ومانحن بتأويل) يعنى (
الاحلام بعالمين) أرادوا بالاحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل انما التأويل للمنامات الصحيحة أو اعترفوا
بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بخابرين (وقال الذي نجا) من القتل (منهما)

لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل
على سمان لانه نقيضه ﴿ ياأيها الملأ أفتوني في رؤياي ﴾ عبروها ﴿ ان كنتم للرؤيا تعبرون ﴾
ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي
مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان
أو لتقوية العامل فان الفعل لما أخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل أو لتضمن
تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا ﴿ قالوا اضغاث
احلام ﴾ أي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ماجمع من اخلاط
النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم
فلان يركب الخيل أي لتضمنه اشياء مختلفة ﴿ ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين ﴾ يريدون
بالاحلام المنامات الباطلة خاصة أي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة
فهو كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله ﴿ وقال الذي نجا منهما ﴾ من صاحبي السجن

ياأيها الملأ أفتوني في رؤياي ﴾ يعني ياأيها الاشراف أخبروني بتأويل رؤياي
﴿ ان كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ يعني ان كنتم تحسنون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير
مختص بتفسير الرؤيا وسمى هذا العلم تعبيرا لان المفسر للرؤيا عابر من ظاهرها الى
باطنها ليستخرج معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي
غيره ﴿ قالوا ﴾ يعني قال جماعة الملأ وهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك
﴿ أضغاث أحلام ﴾ يعني أخلاط مشتبهة واحدها ضغث وأصله الحزمة المختلطة من
أنواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في منامه ﴿ ومانحن
بتأويل الاحلام بعالمين ﴾ فجعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة
والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رآها قلق واضطرب وذلك لانه قد شاهد الناقص
الضعيف قد استولى على القوي الكامل حتى قهره وغلبه فأراد أن يعرف تأويل ذلك
فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى في منامه وسألهم عن تأويلها فأعجز الله
بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنعهم عن الجواب ليكون ذلك سببا
لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى ﴿ وقال الذي نجا منهما ﴾

شيء (ياأيها الملأ) يعني العرافين والسحرة والكهنة (أفتوني في رؤياي) في تعبير رؤياي (ان كنتم للرؤيا تعبرون) تعلمون (قالوا) يعني
العرافين والكهنة والسحرة (اضغاث أحلام) هذه أباطيل أحلام كاذبة مختلفة (ومانحن بتأويل الاحلام) يقول بتعبير
رؤيا الاحلام (بعالمين وقال الذي نجا منهما)

في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء ﴿ فلبث في السجن بضع سنين ﴾ البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع ﴿ وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ﴾ لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان ﴿ وسبع سنبلات خضر ﴾ قد انعقد حبها ﴿ وأخر يابسات ﴾ وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف

وازالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ فلبث في السجن بضع سنين ﴾ اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى السبع وقال قتادة هو ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبي ذكرك كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس ذكره الثعلبي مرسلا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا أخا المنذرين مالي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك أما استحييت مني أن استغثت بالآدميين فوعزتي وجلالي لألبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال اذا لا أبالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك الى أبيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف وأراد الله عز وجل اخراجه من السجن رأى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك انه رأى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم ير منهن شئ ولم يتبين على العجاف منها شئ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع سنبلات أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتها شئ فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه التي رآها فذلك قوله تعالى ﴿ وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات

لبث في السجن بضع سنين) أي سبعا عند الجمهور والبضع ما بين الثلاث الى التسع (وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها وقيل كان ابتداء بلاء يوسف في الرؤيا ثم كان سبب نجاته أيضا الرؤيا سمان جمع سمين وسمينة والعجاف المهازيل والعجف الهزال الذي ليس بعده سمانة والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على نقيضه وهو سمان ومن دأبهم حمل النظير

(فلبث) فمكث (في السجن بضع سنين) سبع سنين عقوبة بترك ذكر الله وكان قبل هذا في السجن خمس سنين (وقال الملك اني أرى) رأيت في المنام (سبع بقرات سمان) خرجن من نهر (يأكلهن) يبتلعهن (سبع عجاف) بقرات هالكات من الهزال خرجن من بعد السمان ولم يستبن عليهن شئ (وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) التوين على الخضر وغلبن خضرتهن ولم يستبن عليهن

فتأكل الطير من رأسه) روى أنه قال للأول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة أيام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثانى ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال ما رأيت شيأ فقال يوسف (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) أى قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما أى

ما يجر اليه من العاقبة وهى هلاك أحدهما ونجاة الآخر

(وقال للذى ظن انه ناج منهما) الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطرق الوحى فالظان هو الشرابى أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذكرنى عند ربك) صفنى عند الملك بصفتى وقص عليه قصتى لعله يرحمنى ويخلصنى من هذه الورطة (فانساه الشيطان) فانسى الشرابى (ذكر ربه) ان يذكره لربه أو عند ربه أو فانسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره الى غيره وفى الحديث رحم الله أخى يوسف ولو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا

فتأكل الطير من رأسه ﴾ فقالا كذبنا فقال ﴿ قضى الامر الذى فيه تستفتيان ﴾ أى قطع الامر الذى تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما ﴿ وقال للذى ظن انه ناج منهما ﴾ الظان يوسف عليه السلام ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكر عن وحى فهو الناجى الا ان يأول الظن باليقين ﴿ اذكرنى عند ربك ﴾ اذكر حالى عند الملك كى يخلصنى ﴿ فانساه الشيطان ذكر ربه ﴾ فانسى الشرابى ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له أو على تقدير ذكر اخبار ربه أو انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد وان كانت محمودة

يعنى صاحب طعام الملك والسلال الثلاث ثلاثة أيام ثم يدعو به الملك فيصلبه ﴿ فتأكل الطير من رأسه ﴾ قال ابن مسعود رضى الله عنه فلما سمعا قول يوسف عليه الصلاة والسلام قالا ما رأينا شيأ انما كنا نلعب قال يوسف ﴿ قضى الامر الذى فيه تستفتيان ﴾ يعنى فرغ من الامر الذى سألتما عنه ووجب حكم الله عليكما بالذى أخبرتكما به رأيتما شيأ أم لم تريا ﴿ وقال ﴾ يعنى يوسف ﴿ للذى ظن ﴾ يعنى علم وتحقق فالظن بمعنى العلم ﴿ أنه ناج منهما ﴾ يعنى ساقى الملك ﴿ اذكرنى عند ربك ﴾ يعنى سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان فى السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه ﴿ فانساه الشيطان ذكر ربه ﴾ فى هاء الكناية فى فانساه الى من تعود قولان أحدهما انها ترجع الى الساقى وهو قول عامة المفسرين والمعنى فانسى الشيطان الساقى ان يذكر يوسف عند الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها الى يوسف والقول الثانى وهو قول أكثر المفسرين ان هاء الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله فى دفع الضرر وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق فى دفع الضرر جائزة الا أنه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهى منصب النبوة والرسالة لاجرم صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فان حسنات الابرار سيآت المقربين * فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حين أنساه ذكر ربه * قلت بشغل الخاطر وألقاء الوسوسة فانه قد صح فى الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فاما النسيان الذى هو عبارة عن ترك الذكر

فتأكل الطير من رأسه) ففزعا لتعبير رؤيا الاخباز وقالا جميعا ما رأينا شيأ قال لهما يوسف (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) تسألان فكما قلتما وقلت لكما كذلك يكون رأيتما أو لم تريا (وقال للذى ظن) علم (انه ناج منهما) من السجن والقتل وهو الساقى (اذكرنى عند ربك) عند سيدك الملك انى مظلوم عدا (واز التهم) على اخوتى فباعونى وأنا حر وحبست فى السجن وأنا مظلوم (فأنساه الشيطان ذكر ربه) فاشغله الشيطان حتى نسى ذكر يوسف عند سيده الملك ويقال وسوس له الشيطان ان ذكرت السجن للملك يرجعك الى السجن فلذلك لم يذكره ويقال فأنسى الشيطان انسى الشيطان يوسف ذكر ربه حتى ترك ذكر ربه وذكر مخلوقا دونه

ولايقاومه غيره ﴿ ماتعبدون من دونه ﴾ خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر ﴿ الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ﴾ اى الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقيق مسمياتها فيها فكأنكم لاتعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالوهية عقل ولانقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ﴿ ان الحكم ﴾ فى امر العبادة ﴿ الا لله ﴾ لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره ﴿ أمر ﴾ على لسان انبيائه ﴿ ألا تعبدوا الا اياه ﴾ الذى دلت عليه الحجج ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ الحق وانتم لاتميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم أولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لاتستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذى لايقتضى العقل غيره ولايرتضى العلم دونه ﴿ ولكن اكثر الناس لايعلمون ﴾ فيخبطون فى جهالاتهم ﴿ ياصاحبى السجن اما احدكما ﴾ يعنى الشرابى ﴿ فيسقى ربه خمرا ﴾ كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه ﴿ واما الآخر ﴾ يريد الخباز ﴿ فيصلب

والمعنى ان هذه الاصنام التى تعبدونها ذليلة مقهورة اذا أراد الانسان كسرها وأهانتها قدر عليه والله هو الواحد فى ملكه القهار لعباده الذى لايغلبه شئ وهو الغالب لكل شئ سبحانه وتعالى * ثم بين عجز الاصنام وانها لاشئ البتة فقال ﴿ ماتعبدون من دونه ﴾ يعنى من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالتثنية فى المخاطبة لانه أراد جميع من فى السجن من المشركين ﴿ الا أسماء سميتموها ﴾ يعنى سميتموها آلهة وأربابا وهى حجارة جمادات خالية عن المعنى لاحقيقة لها ﴿ أنتم وآباؤكم ﴾ يعنى من قبلكم سموها آلهة ﴿ ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ يعنى ان تسمية الاصنام آلهة لاحجة لكم بها ولا برهان ولاأمر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله أمرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما أنزل الله بها من سلطان ﴿ ان الحكم الا لله ﴾ يعنى ان الحكم والقضاء والامر والنهى لله تعالى لاشريك له فى ذلك ﴿ أمر ألا تعبدوا الا اياه ﴾ لانه هو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التى سميتموها آلهة ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ يعنى عبادة الله هى الدين المستقيم ﴿ ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ ذلك ولما فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء الى الله وعبادته رجع الى تعبير رؤياهما فقال ﴿ ياصاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا ﴾ يعنى ان صاحب شراب الملك يرجع الى منزلته ويسقى الملك خمرا كما كان يسقيه أولا والعناقيد الثلاثة هى ثلاثة أيام يبقى فى السجن ثم يدعو به الملك ويرده الى منزلته التى كان عليها ﴿ وأما الآخر فيصلب ﴾ يعنى

لها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (ما أنزل الله بها) بتسميتها (من سلطان) حجة (ان الحكم) فى أمر العبادة والدين (الا لله) ثم بين ما حكم به فقال (أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم) الثابت الذى دلت عليه البراهين (ولكن أكثر الناس لايعلمون) وهذا يدل على ان العقوبة تلزم العبد وان جهل اذا أمكن له العلم بطريقه ثم عبر الرؤيا فقال (ياصاحبى السجن أما أحدكما) يريد الشرابى (فيسقى ربه) سيده (خمرا) أى يعود الى عمله (وأما الآخر) أى الخباز (فيصلب

(تعبدون) خطاب لهما ولمن كان على دينهما من أهل مصر (من دونه) من دون الله (الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) أى سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لاتعبدون الا الاسماء لامسميات

(ماتعبدون من دونه) من دون الله (الا الأسماء) أصناما أمواتا (سميتموها أنتم وآباؤكم) الآلهة (ما أنزل الله بها) بعبادتكم لها (من سلطان) من كتاب ولاحجة (ان الحكم) ما الحكم بالامر والنهى ويقال ما القضاء فى الدنيا والآخرة (الا لله أمر) فى الكتب كلها (الا تعبدوا) ان لاتوحدوا (الا اياه) الا بالله (ذلك) وحيد (الدين القيم) وهو الدين القائم الذى (قاوخا ٥٢ لث) يرضاه وهو الاسلام (ولكن أكثر الناس) أهل مصر (لايعلمون) ذلك ولا يصدقون ثم بين تعبير رؤيا الفتيين فقال (ياصاحبى السجن اما احدكما) وهو الساقى فيرجع الى مكانه وسلطانه الذى كان فيه (فيسقى ربه) سيده الملك (خمرا واما الآخر) وهو الخباز يخرج من السجن (فيصلب

(ماكان لنا) ماصح لنا معشر الانبياء (ان نشرك بالله من شئ) أي شئ كان صنما أوغيره ثم قال (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لايشكرون) فضل الله فيشركون به ولا ينتهون (ياصاحبي السجن) ياساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) يريد التفرق في العدد والتكاثر أي ان تكون أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما أم يكون لكما رب واحد قهار لايغالب ولايشارك في الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام

(ماكان لنا) ماجاز لنا (ان نشرك بالله من شئ) شيأ من الاصنام (ذلك) الدين القيم النبوة والاسلام اللذان أكرمنا الله بهما (من فضل الله علينا) من الله علينا (وعلى الناس) بالرسالة اليهم ويقال على المؤمنين بالايمان (ولكن اكثر الناس) أهل مصر (لايشكرون) لايؤمنون بذلك (ياصاحبي السجن) قال هذا للسجان ولاهل السجن (أأرباب متفرقون خير) تقول اعبادة آلهة شتى خير (أم الله الواحد القهار) أم عبادة الله الواحد بلاولد ولاشريك القهار الغالب على خلقه

للخامل العالم ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة ﴿ماكان لنا﴾ ماصح لنا معشر الانبياء ﴿ان نشرك بالله من شئ﴾ أي شئ كان ﴿ذلك﴾ أي التوحيد ﴿من فضل الله علينا﴾ بالوحي ﴿وعلى الناس﴾ وعلى سائر الناس ببعثتنا لارشادهم وتنبيههم عليه ﴿ولكن اكثر الناس﴾ المبعوث اليهم ﴿لايشكرون﴾ هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون أو من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لاينظرون اليها ولايستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولايشكرها ﴿ياصاحبي السجن﴾ أي ياساكنيه أو ياصاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله

ياسارق الليلة اهل الدار

﴿أأرباب متفرقون﴾ شتى متعددة متساوية الاقدام ﴿خير أم الله الواحد﴾ المتوحد بالالوهية ﴿القهار﴾ الغالب الذي لايعادله

النبوة وان آباءه كلهم كانوا أنبياء وقيل لما كان ابراهيم واسحق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا عند الخلق والمنزلة الرفيعة في الآخرة أظهر يوسف عليه الصلاة والسلام انه من أولادهم وانه من أهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا أمره فيما يدعوهم اليه من التوحيد ﴿ماكان لنا أن نشرك بالله من شئ﴾ معناه ان الله سبحانه وتعالى لما اختارنا لنبوته واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصنا بها قال الواحدي لفظة من في قوله من شئ زائدة مؤكدة كقولك ماجاءني من أحد وقال صاحب الكشاف ماكان لنا ماصح لنا معشر الانبياء أن نشرك بالله من شئ أي شئ كان من ملك أو جني أو انسي فضلا أن نشرك به صنما لايسمع ولايبصر ﴿ذلك من فضل الله﴾ يعني ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذي رزقنا من فضل الله ﴿علينا وعلى الناس﴾ يعني بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده ﴿ولكن أكثر الناس لايشكرون﴾ يعني ان أكثرهم لايشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال ﴿ياصاحبي السجن﴾ يريد ياصاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول ياسارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ويجوز أن يريد ياساكني السجن كقوله اصحاب النار وأصحاب الجنة ﴿أأرباب متفرقون﴾ يعني أآلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لاتضر ولاتنفع ﴿خير أم الله الواحد القهار﴾ يعني ان هذه الاصنام أعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين والمعدوم الشريك والنظير وليس كسائر الآحاد من الاجسام المؤلفة لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لامثل له ولايشبهه شئ من خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شئ وذلله فاستسلم وانقاد وذل له

وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل (قبل أن يأتيكما) ولما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه
بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول
اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيكون كذلك وجعل ذلك تخلصا الى
أن يذكر لهما التوحيد
ويعرض عليهما الايمان
ويزينه لهما ويقبح اليهما
الشرك وفيه ان العالم اذا
جهلت منزلته في العلم
فوصف نفسه بما هو بصدده
وغرضه أن يقتبس منه لم
يكن من باب التزكية
(ذلكما) اشارة لهما الى
التأويل أى ذلك التأويل
والاخبار بالمغيبات (مما
علمنى ربى) وأوحى به الى
ولم أقله عن تكهن وتنجم
(انى تركت ملة قوم
لايؤمنون بالله وهم
بالآخرة هم كافرون)
يجوز أن يكون كلاما
مبتدأ وان يكون تعليلا
لما قبله أى علمنى ذلك
وأوحى به الى لانى رفضت
ملة أولئك وهم أهل
مصر ومن كان الفتيان على
دينهم (واتبعت ملة آبائى
ابراهيم واسحق ويعقوب)
وهى الملة الحنيفية
وتكريرهم للتوكيد وذكر
الآباء ليريهما انه من بيت
النبوة بعد أن عرفهما انه
نبى يوحى اليه بما ذكر
من اخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما فى اتباع قوله والمراد به ترك الابتداء لا انه كان فيه ثم تركه

الطعام يعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كأنه اراد ان يدعوهما الى التوحيد
ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء
عليهم السلام والنازلين منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة لهم
من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه فى الدعوة والتعبير ﴿ قبل ان يأتيكما ذلكما ﴾ أى ذلك
التأويل ﴿ مما علمنى ربى ﴾ بالالهام والوحى وليس من قبيل التكهن أو التنجيم ﴿ انى تركت
ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ تعليل لما قبله أى علمنى ذلك لانى تركت
ملة اولئك ﴿ واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ﴾ أو كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة
واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز

ترزقانه فى نومكما الا اخبرتكما خبره فى اليقظة وقيل أراد به فى اليقظة يقول لا يأتيكما
طعام من منازلكما ترزقانه يعنى تطعمانه وتأكلانه الا انبأتكما بتأويله يعنى أخبرتكما
بقدره ولونه والوقت الذى يصل اليكما فيه ﴿ قبل ان يأتيكما ﴾ يعنى قبل أن يصل اليكما
وأى طعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال
وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم فقالا ليوسف عليه الصلاة والسلام هذا
من علم العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم فقال ما انا بكاهن ولا عراف وانما ذلك
اشارة الى المعجزة والعلم الذى أخبرهما به ﴿ ذلكما مما علمنى ربى ﴾ يعنى ان هذا
الذى أخبرتكما به وحى من الله أوحاه الى وعلم علمنيه ﴿ انى تركت ملة قوم لايؤمنون
بالله ﴾ فان قلت ظاهر قوله انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله انه عليه الصلاة والسلام
كان داخلا فى هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم الصلاة
والسلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد فما معنى هذا الترك فى قوله
تركت * قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشىء
والالتفات اليه بالمرة وليس من شرطه أن يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه ورجع
عنه * الوجه الثانى وهو الاقرب ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما كان عند العزيز
وهو كافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم وكان يوسف على التوحيد والايمان
الصحيح صح قوله انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ فترك
ملتهم وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظة هم فى قوله وهم بالآخرة هم
كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله ﴿ واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق
ويعقوب ﴾ لما ادعى يوسف عليه السلام النبوة وأظهر المعجزة أظهر انه من أهل بيت

ولونه وجنسه (قبل أن يأتيكما) كيف لا أعلم تعبير رؤياكما (ذلكما) التعبير (مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم) لم أتبع دين قوم (لايؤمنون
بالله وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت (هم كافرون) جاحدون (واتبعت ملة آبائى) استقمت على دين آبائى (ابراهيم واسحق ويعقوب

اسم للعنب (وقال الآخر) أى خبازه (انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله) بتأويل ما رأيناه (انا نراك

من المحسنين) من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أومن المحسنين الى أهل

السجن فانك تداوى المريض وتعزى الحزين وتوسع على الفقير فاحسن الينا تأويل ما رأينا وقيل انهما تحالماله ليمتحناه فقال الشرابى أنى رأيت كأنى فى بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها فى كأس الملك وسقيته وقال الخباز انى رأيت كأن فوق رأسى ثلاث سلال فيها أنواع الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) أى ببيان ماهيته

ان يردك الى عملك ويكرمك ويحسن اليك (وقال الآخر) وهو الخباز (انى أرانى) رأيت نفسى (احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه) وكان رؤياه انه رأى فى منامه كأنه يخرج من مطبخ الملك وعلى رأسه ثلاث سلال من الخبز فوقع طير على أعلاها وأكل منها فقال له يوسف بئس ما رأيت اما خروجك من المطبخ فهو أن تخرج من عملك واما ثلاث سلال فهى ثلاثة أيام تكون فى السجن وأما أكل الطير من رأسك فهو ان يخرجك الملك بعد ثلاثة أيام ويصلبك وتأكل الطير من رأسك

وقالا قبل تعبير (نبئنا بتأويله) اخبرنا بتأويل رؤيانا (انا نراك من المحسنين) الى أهل السجن ويقال من الصادقين فيما تقول (قال) لهما يوسف وأراد ان يعلمهما علمه بتعبير الرؤيا (لا يأتيكما طعام ترزقانه) تطعمانه (الا نبأتكما بتأويله

أى عنبا وسماه خمرا باعتبار ما يؤول اليه ﴿وقال الآخر﴾ أى الخباز ﴿انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه﴾ تنهش منه ﴿نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين﴾ من الذين يحسنون تأويل الرؤيا أومن العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه فى السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أومن المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله﴾ أى بتأويل ما قصصتما على أو بتأويل

العنب خمرا باسم ما يؤول اليه يقال فلان يطبخ الآجر أى يطبخ اللبن حتى يصير آجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال انى رأيت فى المنام كأنى فى بستان واذا فيه أصل حبلة وعليها ثلاثة عناقيد عنب فجنيتها وكان كأس الملك فى يدى فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه ﴿وقال الآخر﴾ وهو صاحب طعام الملك ﴿انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه﴾ وذلك انه قال انى رأيت فى المنام كان فوق رأسى ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منها ﴿نبئنا بتأويله﴾ أى أخبرنا بتفسير ما رأينا وما يؤول اليه امر هذه الرؤيا ﴿انا نراك من المحسنين﴾ يعنى من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ما كان احسانه فقال كان اذا مرض انسان فى الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق على أحد وسع عليه واذا احتاج أحد جمع له شيأ وكان مع هذا يجتهد فى العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وأبشروا فقالوا بارك الله فيك يافتى ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا فى جوارك فمن أين أنت قال انا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يافتى والله لو استطعت خليت سبيلك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واختر أى بيوت السجن شئت وقيل ان الفتيين لما رأيا يوسف قالا انا قد أحببناك منذ رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما بالله أن لا تحبانى فوالله ما أحبنى أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد أحبتنى عمتى فدخل على من ذلك بلاء وأحبنى أبى فالقيت فى الجب وأحبتنى امرأة العزيز فحبست فلما قصا عليه رؤياهما كره يوسف أن يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما فى ذلك من المكروه لاحدهما واعرض عن سؤالهما وأخذ فى غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد وقيل انه عليه السلام أراد أن يبين لهما ان درجته فى العلم أعلى وأعظم مما اعتقدا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولا شك ان هذا العلم مبنى على الظن والتخمين فأراد أن يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان أقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم ان أحدهما سيصلب فأراد أن يدخله فى الاسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فاظهر له المعجزة لهذا السبب ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله﴾ قيل أراد به فى النوم يقول لا يأتيكما طعام

فى لهم للعزيز وأهله (من بعد مارأوا الآيات) وهى الشواهد على براءته كقد القميص وقطع الايدى وشهادة الصبى وغير ذلك (ليسجننه) لابداء تذرالحال وارخاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وكان مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه فى يدها وقد طمعت أن يذلله السجن و يسخره لها وخافت عليه العيون وظنت فيه الظنون فالجأها الخجل من الناس والوجل من اليأس الى ان رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب لتشتفى بخبره اذا منعت من نظره (حتى حين) الى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر مايكون منه (ودخل معه السجن فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابيه بتهمة السم فادخلا السجن ساعة أدخل يوسف لان مع يدل على معنى الصحبة تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له (قال أحدهما) أى شرابيه (انى أرانى) أى فى المنام وهى حكاية حال ماضية (أعصر خمرا) أى عنبا تسمية للعنب بما يؤل اليه أو الخمر بلغة عمان

من بعد مارأوا الآيات ﴾ ثم ظهر للعزيز واهله من بعد مارأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبى وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ﴿ ليسجننه حتى حين ﴾ وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر مايكون منه أو يحسب الناس انه المجرم فلبث فى السجن سبع سنين * وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾ أى ادخل يوسف السجن واتفق انه ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه ﴿ قال احدهما ﴾ يعنى الشرابى ﴿ انى ارانى ﴾ اى أرى فى المنام هى حكاية حال ماضية ﴿ اعصر خمرا ﴾

فرأى حبسه ﴿ من بعد مارأوا الآيات ﴾ يعنى الدالة على صدق يوسف وبراءته من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن عند رؤيته ﴿ ليسجننه ﴾ أى ليحبسن يوسف فى السجن ﴿ حتى حين ﴾ يعنى الى مدة يرون رأيهم فيها وقال عطاء الى أن تنقطع مقالة الناس وقال عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبى خمس سنين فحبسه قال السدى جعل الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمرأة ﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾ وهما غلامان كانا للوليد بن نزوان العمليق ملك مصر الاكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب فى ذلك أن جماعة من أشراف مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله وقتله فضمنوا لهذين الغلامين مالا على أن يسما الملك فى طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ان الساقى ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدى الملك قال الساقى لاتأكل أيها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لاتشرب فان الشراب مسموم فقال للساقى اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فاطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول انى أعبر الاحلام فقال أحد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا الغلام العبرانى فتراءيا له رؤيا فسألاه من غير أن يكونا قد رأيا شيأ قال ابن مسعود مارأيا شيأ انما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا قد رأيا رؤيا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكر انهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤيا قد اهمتهما فقال يوسف قصا على ما رأيتما فقصا عليه مارأياه فذلك قوله تعالى ﴿ قال احدهما ﴾ وهو صاحب شراب الملك ﴿ انى أرانى أعصر خمرا ﴾ يعنى عنبا سمى

(من بعد مارأوا الآيات) شق القميص وقضاء اخيها (ليسجننه حتى حين) الى سنين ويقال الى حين يقطع مقالة الناس (ودخل معه السجن) بعد دخوله الى خمس سنين (فتيان) عبدان للملك صاحب شرابه وصاحب مطبخه غضب عليهما أدخلهما السجن (قال أحدهما) وهو الساقى (انى أرانى) رأيت نفسى (أعصر خمرا) عنبا وأسقى الملك وكان رؤياه انه رأى فى منامه كأنه دخل كرما فرأى فى الكرم حبلة حسنة فيها ثلاثة قضبان وعلى قضبان عناقيد العنب فاجتنى العنب فعصره وناوله الملك فقال له يوسف احسن مارأيت أما الكرم فهو العمل الذى كنت فيه وأما الحبلة فهى سلطانك على ذلك وأما حسنها فهو عزك وكرامتك فى ذلك العمل وأما ثلاثة قضبان على الحبلة فهى ثلاثة ايام تكون فى السجن فتخرج فتعود الى عملك وأما العنب الذى عصرت وناولت الملك فهو

(قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه) أسند الدعوة اليهن لانهن قلن له ما عليك لو أجبت مولاتك أو افتتنت كل واحدة
به فدعته الى نفسها سرا فالتجأ

الى ربه قال رب السجن أحب الى من ركوب المعصية

(والاتصرف عنى كيدهن) فزع منه الى الله فى طلب العصمة (أصب اليهن) أمل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها (وأكن من الجاهلين) من الذين لايعملون بما يعلمون لان من لاجدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم سواء او من السفهاء فلما كان فى قوله والاتصرف عنى كيدهن معنى طلب الصرف والدعاء قال (فاستجاب له ربه) أى أجاب الله دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) لدعوات الملتجئين اليه (العليم) بحاله وحالهن (ثم بدا لهم) فاعله مضمر لدلالة مايفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أى ظهر لهم رأى والضمير

بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك فى الخفيفة تشبيها بالتنوين ﴿ قال رب السجن ﴾ وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر ﴿ احب الى مما يدعوننى اليه ﴾ أى آثر عندى من مؤاتاتها نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها أو دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على من كان يسأل الصبر ﴿ والاتصرف ﴾ وان لم تصرف ﴿ عنى كيدهن ﴾ فى تحبيب ذلك الى وتحسينه عندى بالتثبيت على العصمة ﴿ اصب اليهن ﴾ امل الى اجابتهن اوالى انفسهن بطبعى ومقتضى شهوتى والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ أصب من الصبابة وهى الشوق ﴿ واكن من الجاهلين ﴾ من السفهاء بارتكاب مايدعوننى اليه فان الحكيم لايفعل القبيح أومن الذين لايعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء ﴿ فاستجاب له ربه ﴾ فأجاب الله دعاءه الذى تضمنه قوله والاتصرف ﴿ فصرف عنه كيدهن ﴾ فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان ﴿ انه هو السميع ﴾ لدعاء الملتجئين اليه ﴿ العليم ﴾ باحوالهم ومايصلحهم ﴿ ثم بدا لهم ﴾

بذلك ﴿ قال رب ﴾ أى يارب ﴿ السجن أحب الى مما يدعوننى اليه ﴾ قيل ان الدعاء كان منها خاصة وانما أضافه اليهن جميعا خروجا من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى أنفسهن وقيل انهن لما قلن له أطع مولاتك صحت اضافة الدعاء اليهن جميعا اولانه كان بحضرتهن قال بعضهم لولم يقل السجن أحب الى لم يبتل بالسجن والاولى بالعبد أن يسأل الله العافية ﴿ والاتصرف عنى كيدهن ﴾ يعنى ما أردن منى ﴿ أصب اليهن ﴾ أى أمل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه ﴿ وأكن من الجاهلين ﴾ يعنى من المذنبين وقيل معناه أكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على أن من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة ﴿ فاستجاب له ربه ﴾ يعنى فاجاب الله تعالى دعاء يوسف ﴿ فصرف عنه كيدهن انه هو السميع ﴾ يعنى لدعاء يوسف وغيره ﴿ العليم ﴾ يعنى بحاله وفى الآية دليل على أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما أظلته البلية بكيد النساء ومطالبتهن اياه بما لايليق بحاله لجأ الى الله وفزع الى الدعاء رغبة الى الله ليكشف عنه مانزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على أنه لايقدر أحد على الانصراف عن المعصية الابعصمة الله ولطفه به * قوله عز وجل ﴿ ثم بدا لهم ﴾ يعنى للعزيز واصحابه فى الرأى وذلك انهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الاعراض وكتم الحال وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان ذلك العبد العبرانى قد فضحنى عند الناس يخبرهم بانى قد راودته عن نفسه فاما ان تأذن لى فاخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبسه

(قال) يوسف (رب) يارب (السجن أحب الى مما يدعوننى اليه) من الزنا (والاتصرف) ان لم تصرف (عنى كيدهن) مكرهن (صب اليهن) امل اليهن (وأكن من الجاهلين) بنعمتك ويقال من الزانين (فاستجاب له ربه) دعوته (فصرف عنه كيدهن) مكرهن (انه هو السميع) للدعاء (العليم) بالاجابة ويقال السميع لمقالتهن العليم بمكرهن (ثم بدا لهم) ظهر لهم يعنى للعزيز (فرأى)

(ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم) نفين عنه البشرية لغرابة جماله وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم لما ركز في الطباع ان لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان (قالت فذلكن الذي لمتنني فيه) تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه

تعني انكن لم تصورنه حق صورته والا لعذرتنني في الافتتان به (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها وهذا بيان جلي على ان يوسف عليه السلام بريء مما فسر به أولئك الفريق الهم والبرهان ثم قلن له أطع مولاتك فقالت راعيل (ولئن لم يفعل ما آمره) الضمير راجع الى ما وهي موصولة والمعنى ما آمره به فحذف الجار كما في قوله أمرتك الخير أو ما مصدرية والضمير يرجع الى يوسف أي ولئن لم يفعل أمري اياه أي موجب أمري ومقتضاه (ليسجنن) ليحبسن والالف في (وليكونا) بدل من نون التأكيد الخفيفة (من الصاغرين) مع السراق والسفاك والاباق كما سرق قلبي وأبق مني وسفك دمي بالفراق فلا يهنأ ليوسف الطعام والشراب والنوم هنالك كما منعني هنا كل ذلك ومن لم يرض بثني في الحرير على سرير أميرا حصل في الحصير على الحصير حسيرا فلما سمع يوسف تهديدها

المصدر وقيل حاشى فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أي صار في ناحية لله مما توهم فيه ﴿ماهذا بشرا﴾ لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم و بشرى اي بعبد مشترى لئيم ﴿ان هذا الا ملك كريم﴾ فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك ﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ أي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني أو فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاوننها على الانة عريكته ﴿ولئن لم يفعل ما آمره﴾ أي ما آمر به فحذف الجار أو امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف عليه السلام ﴿ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾ من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه

ماهذا بشرا ﴾ أي معاذ الله أن يكون هذا بشرا ﴿ ان هذا الا ملك كريم ﴾ يعني على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد ركز في النفوس أن لا شيء أحسن من الملك فلذلك وصفنه بكونه ملكا وقيل لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التي تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك * قوله تعالى ﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ يعني قالت امرأة العزيز للنسوة لما رأين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن الذي لمتنني في محبته وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفها فتاها الكنعاني حبا وانما قالت فذلكن الخ بعدما قام من المجلس وذهب وقال صاحب الكشاف قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به ويجوز أن يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه ثم ان امرأة العزيز صرحت بما فعلت فقالت ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ يعني فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة عليها منهن وانهن قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته ثم ان امرأة العزيز قالت ﴿ولئن لم يفعل ما آمره﴾ يعني وان لم يطاوعني فيما دعوته اليه ﴿ليسجنن﴾ أي ليعاقبن بالسجن والحبس ﴿وليكونا من الصاغرين﴾ يعني من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف أطع مولاتك فيما دعتك اليه فاختار يوسف السجن على المعصية حين توعدته المرأة

(ماهذا بشرا) آدميا (ان هذا) ماهذا (الا ملك كريم) على ربه (قالت) زليخا لهن (فذلكن الذي لمتنني) عذلتنني وعيبتنني (فيه ولقد راودته عن نفسه) دعوته الى نفسي وطلبته لاستمكن من نفسه (فاستعصم) امتنع مني بالعفة (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن) في السجن (وليكونا من الصاغرين) من الذليلين فيه وقلن هؤلاء النسوة ليوسف أطع مولاتك

الناس في حسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار فى أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه

على الجدران وكان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال

الفائق وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من كبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر أو ليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام أى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبى

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ❊ فان لحت حاضت فى الخدور العواتق

﴿وقطعن ايديهن﴾ جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة ﴿وقلن حاش لله﴾ تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو فى الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما فى قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا الله بالتنوين على تنزيله منزلة

الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوى بغير سند وقال اسحق بن أبى فروة كان يوسف اذا سار فى أزقة مصر تلألأ وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عزوجل قبل ان يخرج من الجنة وقال ابو العالية هالهن أمره وبهتن اليه وفى رواية عن ابن عباس قال أكبرنه أى حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وأنكر أكثر أهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة فى اللغة والهاء فى أكبرنه تمنع من هذا لانه لا يجوز أن يقال النساء قد حضنه لان حضن لا يتعدى الى مفعول قال الازهرى ان صحت هذه اللفظة فى اللغة فلها مخرج وذلك ان المرأة اذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال لها أكبرت أى حاضت على هذا المعنى فان صحت الرواية عن ابن عباس سلمناه وجعلنا الهاء فى قوله أكبرنه هاء الوقف لا هاء الكناية وقيل ان المرأة اذا خافت أو فزعت فربما أسقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فربما كان من فزعهن وما هالهن من أمر يوسف حين رأينه قال الامام فخر الدين الرازى وعندى أنه يحتمل وجها آخر وهو أنهن انما أكبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة وآثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهى عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمنه ووقع الرعب والمهابة فى قلوبهن قال وحمل الآية على هذا الوجه أولى ﴿وقطعن أيديهن﴾ يعنى وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التى معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما أحسسن الا بالدم وقال قتادة أبن أيديهن حتى ألقينها والاصح انه كان قطعا من غير ابانة وقال وهب مات جماعة منهن ﴿وقلن﴾ يعنى النسوة ﴿حاش لله

من حد الى حد وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت اذ لا يقال النساء قد حضنه لانه لا يتعدى الى مفعول يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت فى الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله ❊ خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ❊ فان لحت حاضت فى الخدور العواتق ❊ (وقطعن أيديهن) جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدى تريد جرحتها أى أردن أن يقطعن الطعام الذى فى أيديهن فدهشن لما رأينه فخدشن أيديهن (وقلن حاش لله) حاش كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وقراءة أبى عمرو حاشا لله نحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه وغيره حاش لله بحذف الالف الاخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله

(ماهذا)

(وقطعن) خدشن وخمشن (أيديهن) بالسكين من الدهشة والتحير مما رأين من حسن يوسف (وقلن حاش لله) معاذ الله

فلما سمعت) راعيل (بمكرهن) باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لانه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها (أرسلت اليهن) تدعوهن قيل دعت أربعين امرأة منهن المذكورات (وأعتدت) وهيأت افتعلت من العتاد (لهن متكأ) ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهى قعودهن متكئات والسكاكين فى أيديهن أى يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشئ وقعت يده على يده (وآتت كل واحدة منهن سكينا) وكانوا لا يأكلون فى ذلك الزمان الا بالسكاكين كفعل الاعاجم (وقالت اخرج عليهن) بكسر التاء بصرى وعاصم وحمزة وبضمها غيرهم (فلما رأينه أكبرنه) أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق وكان فضل يوسف على

﴿ فلما سمعت بمكرهن ﴾ باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفونه كما يخفى الماكر مكره أو قلن ذلك لتريهن يوسف أو لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ﴿ ارسلت اليهن ﴾ تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات ﴿ واعتدت لهن متكأ ﴾ ما يتكئن عليه من الوسائد ﴿ وآتت كل واحدة منهن سكينا ﴾ حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة أو يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين امرأة فى ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما أو مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهى عنه قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا ۞ وشربنا الحلال من قلله

وقيل المتكأ طعام يحز حزا كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكأ ﴿ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه ﴾ عظمنه وهبن حسنه

تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأحبت فتاها ﴿ فلما سمعت بمكرهن ﴾ يعنى فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به وانما سمى قولهن ذلك مكرا لانهن طلبن بذلك رؤية يوسف وكان وصف لهن حسنه وجماله فقصدن أن يرينه وقيل ان امرأة العزيز أفشت اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك عليها فلذلك سماه مكرا ﴿ أرسلت اليهن ﴾ يعنى انها لما سمعت بانهن يلمنها على محبتها ليوسف أرادت أن تقيم عذرها عندهن قال وهب اتخذت مائدة يعنى صنعت لهن وليمة وضيافة ودعت أربعين امرأة من أشراف مدينتها فيهن هؤلاء اللاتى عيرنها ﴿ وأعتدت لهن متكأ ﴾ يعنى ووضعت لهن نمارق ومساند يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكأ يعنى طعاما وانما سمى الطعام متكأ لان كل من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسائد يجلس ويتكئ عليها فسمى الطعام متكأ على الاستعارة ويقال اتكأنا عند فلان أى طعمنا عنده والمتكأ ما يتكأ عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهى عنه فى الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكئا وقيل المتكأ الاترج وقيل هو كل شئ يقطع بالسكين أو يحز بها يقال ان المرأة زينت البيت بألوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللاتى عيرنها بحب يوسف ﴿ وآتت كل واحدة منهن سكينا ﴾ يعنى وأعطت كل واحدة من النساء سكينا لتأكل بها وكان من عادتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين ﴿ وقالت اخرج عليهن ﴾ يعنى وقالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينته واختبأته فى مكان آخر ﴿ فلما رأينه ﴾ يعنى النسوة ﴿ أكبرنه ﴾ يعنى أعظمنه ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد أعطى شطر

(فلما سمعت بمكرهن) بقولهن (أرسلت اليهن) ودعتهن الى الضيافة (واعتدت لهن متكأ) وسائد يتكئن عليها ان قرأت مشددة وان قرأت مخففة تقول اترنجة وجاءت باللحم والخبز فوضعت بين أيديهن (وآتت) اعطت (كل واحدة منهن سكينا) قطع بها اللحم لانهم كانوا لا يأكلون (قا و خا ٥١ اث) من اللحم الا ما يقطعون بسكاكينه (وقالت) زليخا ليوسف اخرج عليهن) يا يوسف (فلما رأينه اكبرنه) اعظمنه

ولاتحدث به ثم قال لراعيل (واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ ا[ذا]
أذنب متعمدا وانما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر ع[لى]
هذا القول (وقال نسوة) جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامر[أة]
صاحب السجن وامرأة

والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأ[نيثه]
غير حقيق ولذا لم يقل
قالت وفيه لغتان كسر
النون وضمها (فى المدينة)
فى مصر (امرأت العزيز)
يردن قطفير والعزيز الملك
بلسان العرب (تراودفتاها)
غلامها يقال فتاى وفتاتى
أى غلامى وجاريتى (عن
نفسه) لتنال شهوتها منه
(قدشغفها حبا) تميز أى
قدشغفها حبه يعنى خرق
حبه شغاف قلبها حتى وصل
الى الفؤاد والشغاف حجاب
القلب أوجلدة رقيقة يقال
لها لسان القلب (انالنراها
فى ضلال مبين) فى خطأ وبعد
عن طريق الصواب

ولاتخبر أحدا ثم اعرض
الى المرأة وقال (واستغفرى
لذنبك) استحلى واعتذرى
الى زوجك من سوء صنيعك
أيتها المرأة (انك كنت
من الخاطئين) من الخائنين
لزوجك ففشا أمرهما بعد
ذلك فى المدينة (وقال
نسوة فى المدينة) وهن
أربع نسوة امرأة ساقى الملك
وامرأة صاحب سجنه
وامرأة صاحب مطبخه وامرأة صاحب دوابه (أمرأت العزيز) زليخا (تراودفتاها) تدعو عبدها أن { تركت }
يستمكنها (عن نفسه) من نفسه (قدشغفها حبا) قدشق شغاف قلبها حب يوسف ويقال بطنها حب يوسف ان قرأت بالشين
والعين (انالنرها فى ضلال مبين) فى خطأ بين فى حب عبدها يوسف

اكتمه ولاتذكره ﴿ واستغفرى لذنبك ﴾ ياراعيل ﴿ انك كنت من الخاطئين ﴾
من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب ﴿ وقال نسوة ﴾ هى
اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيق ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها
﴿ فى المدينة ﴾ ظرف لقال أى اشعن الحكاية فى مصر أو صفة نسوة وكن خمسا زوجة
الحاجب والساقى والخباز والسجان وصاحب الدواب ﴿ امرأت العزيز تراود فتاها عن
نفسه ﴾ تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتى لقولهم
فتيان والفتوة شاذة ﴿ قدشغفها حبا ﴾ شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى
فؤادها حبا ونصبه على التميز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه
بالقطران فاحرقه ﴿ انالنراها فى ضلال مبين ﴾ فى ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب

لاحد حتى لايفشو ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يايوسف لاتكترث بهذا الامر
ولاتهتم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت الى المرأة فقال لها ﴿ واستغفرى لذنبك ﴾
يعنى توبى الى الله مما رميت يوسف به من الخطيئة وهو برئ منها وقيل ان هذا من قول
الشاهد يقول للمرأة سلى زوجك أن يصفح عنك ولايعاقبك بسبب ذنبك ﴿ انك
كنت من الخاطئين ﴾ يعنى من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف بالتهمة
وهو برئ وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على
النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا
الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القانتين * قوله
عز وجل ﴿ وقال نسوة فى المدينة امرأت العزيز تراودفتاها عن نفسه ﴾ يعنى وقال
جماعة من النساء وكن خمسا وقيل كن أربعا وذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة فى
مدينة مصر وقيل هى مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن
امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة
صاحب سجنه وقيل نسوة من اشراف مصر امرأة العزيز يعنى زليخا تراودفتاها
عن نفسه يعنى تراود عبدها الكنعانى عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع
منها والفتى الشاب الحديث السن ﴿ قدشغفها حبا ﴾ يعنى قد علقها حبا والشغاف
جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة حتى أصاب
القلب وقيل ان حبه قد أحاط بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبى حجب حبه
قلبها حتى لاتعقل شيأ سواه ﴿ انا لنراها فى ضلال مبين ﴾ يعنى فى خطأ بين ظاهر حيث

وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) والتقدير وشهد شاهد فقال ان كان قميصه وانما دل قد قميصه من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها ليلحقها فيعثر فى مقادم قميصه فيشقه ولانه يقبل عليها وهى تدفعه عن نفسها فيتخرق القميص من قبل وأما تنكير قبل ودبر فمعناه من جهة يقال

لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وانما جمع بين ان التى للاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد (فلما رأى) قطفير (قميصه قد من دبر) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال انه) ان قولك ماجزاء من أراد باهلك سوأ أوان هذا الامر وهو الاحتيال لنيل الرجال (من كيدكن) الخطاب لها ولامتها (ان كيدكن عظيم) لانهن ألطف كيدا وأعظم حيلة وبذلك يغلبن الرجال والقصريات منهن معهن ماليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انى أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال لهن ان كيدكن عظيم (يوسف) حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله (اعرض عن هذا) الامر واكتمه

﴿ وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول أو على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الى اليوم فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن على باحسانك امنن عليك باحسانى لك السابق • وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين ﴿ فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه ﴾ ان قولك ماجزاء من اراد باهلك سوأ أو ان السوء أو ان هذا الامر ﴿ من كيدكن ﴾ من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها ولسائر النساء ﴿ ان كيدكن عظيم ﴾ فان كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا فى النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة ﴿ يوسف ﴾ حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث ﴿ اعرض عن هذا ﴾

وان كان قميصه قد من دبر ﴾ أى من خلف ﴿ فكذبت وهو من الصادقين ﴾ وانما كان هذا الشاهد من اهل المرأة ليكون أقوى فى نفى التهمة عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام • ونفى التهمة عنه من وجوه منها انه كان فى الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لا يبسط يده الى سيدته ومنها انهم شاهدوا يوسف يعدو هاربا منها والطالب لا يهرب ومنها انهم رأوا المرأة قد تزينت باكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها أولى ومنها انهم عرفوا يوسف فى المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دلالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه أيضا ﴿ فلما رأى قميصه قد من دبر ﴾ يعنى فلما رأى قطفير زوج المرأة قميص يوسف عليه الصلاة والسلام قد من خلفه عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ قال ﴾ يعنى قال لها زوجها قطفير ﴿ انه ﴾ يعنى هذا الصنيع ﴿ من كيدكن ﴾ يعنى من حيلكن ومكركن ﴿ ان كيدكن عظيم ﴾ فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال أعظم من مكر النساء • قلت أما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو أعظم منه كخلق الملائكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء ومكرهن فى هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لان لهن من المكر والحيل والكيد فى اتمام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال فى هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك أنه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة ﴿ يوسف ﴾ يعنى يا يوسف ﴿ أعرض عن هذا ﴾ يعنى اترك هذا الحديث فلا تذكره

وان كان قميصه قد) شق (من دبر) من خلف فكذبت المرأة (وهو من الصادقين) فى قوله انها راودتنى (فلما رأى قميصه قد) شق (من دبر) من خلف (قال) أخوها (انه من كيدكن) من مكركن وصنيعكن (ان كيدكن) مكركن وصنيعكن (عظيم) يخلص الى البرئ والسقيم ثم قال أخوها ليوسف (يوسف) يعنى يا يوسف (أعرض عن هذا) الامر

وصادفا بعلها قطفير مقبلا يريد أن يدخل فلما رأته احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة وتخويف يوسف طمعا في أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث (قالت ماجزاء من أراد باهلك سوأ الا ان يسجن أو عذاب أليم) ما نافية أي ليس جزاؤه الا السجن

وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف وانه أرادها سوأ لانها قصدت العموم أي كل من أراد باهلك سوأ فحقه أن يسجن أو يعذب لان ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هي راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها (وشهد شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صبيا في المهد وسمى قوله شهادة لانه أدى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها (ان كان قميصه قدمن قبل فصدقت وهو من الكاذبين

قالت ماجزاء من اراد باهلك سوأ الا ان يسجن أو عذاب أليم ﴾ ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه انتقاما منه وما نافية أو استفهامية بمعنى أي شئ جزاؤه الا السجن ﴿ قال هي راودتني عن نفسي ﴾ طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لماقاله ﴿وشهد شاهد من اهلها﴾ قيل ابن عم لها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم اربعة صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم عليه السلام وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون ألزم لها ﴿ ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ﴾ لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها أو انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه

يعني فلما خرجا وجدا زوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المرأة فلما رأته المرأة هابته وخافت التهمة فسبقت يوسف بالقول ﴿قالت﴾ يعني لزوجها ﴿ماجزاء من أراد بأهلك سوأ﴾ يعني الفاحشة ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت ﴿الا أن يسجن﴾ أي يحبس في السجن ويمنع التصرف ﴿ أو عذاب أليم ﴾ يعني الضرب بالسياط وانما بدأت بذكر السجن دون العذاب لان المحب لايشتهي ايلام المحبوب وانما أرادت ان يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالتها أراد ان يبرهن عن نفسه ﴿ قال ﴾ يعني يوسف ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ يعني طلبت مني الفحشاء فابيت وفررت وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد أن يذكر هذا القول ولايهتك سترها ولكن لما قالت هي ماقالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ﴿وشهد شاهد من أهلها ﴾ يعني وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد فانطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم ذكره البغوي بغير سند والذي جاء في الصحيحين ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم مخرجة في الصحيح قيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكيما ذا رأى وقال السدي هو ابن عم المرأة فحكم فقال ﴿ ان كان قميصه قد من قبل ﴾ أي من قدام ﴿ فصدقت وهو من الكاذبين

(قالت) المرأة لزوجها (ما جزاء من اراد باهلك سوأ) زنا (الا أن يسجن أو عذاب أليم) أو يضرب ضربا وجيعا (قال) يوسف (هي راودتني عن نفسي) هي دعتني وطلبت ان تستمكن من نفسي (وشهد شاهد) حكم حاكم (من أهلها) وهو أخوها ويقال ابن عمها (وان) (ان كان قميصه) قميص يوسف (قد) شق (من قبل) من قدام (فصدقت) المرأة (وهو من الكاذبين

(كذلك) نصب أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو رفع أى الامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) بفتح اللام حيث كان مدنى وكوفى أى الذين أخلصهم الله لطاعته وبكسرها غيرهم أى الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين (واستبقا الباب) وتسابقا الى الباب هى للطلب وهو للهرب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا ففر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج ووحد الباب وان كان جمعه فى قوله وغلقت الابواب لانه أراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من خلفه فانقد أى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه (والفيا سيدها لدى الباب)

(كذلك) هكذا (لنصرف عنه السوء) القبيح (والفحشاء) يعنى الزنا (انه من عبادنا المخلصين) المعصومين من الزنا (واستبقا الباب) تبادرا الى الباب أراد يوسف ليخرج وأرادت المرأة لتغلق الباب على يوسف فسبقته المرأة (وقدت قميصه) شقت قميص يوسف بنصفين (من دبر) من الخلف من وسطه الى قدميه (وألفيا) ووجدا (سيدها) زوج المرأة ويقال ابن عمها (لدى الباب) عند الباب

وتعمل عمل السفهاء ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو الامر مثل ذلك ﴿ لنصرف عنه السوء ﴾ خيانة السيد ﴿ والفحشاء ﴾ الزنا ﴿ انه من عبادنا المخلصين ﴾ الذين اخلصهم الله لطاعته * وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى اوله الالف واللام أى الذين اخلصوا دينهم لله ﴿ واستبقا الباب ﴾ اى تسابقا الى الباب فحذف الجار أو ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج ﴿ وقدت قميصه من دبر ﴾ اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا ﴿ والفيا سيدها ﴾ وصادفا زوجها ﴿ لدى الباب ﴾

هاربا ثم عاد فرأى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام أدرك عبدى يوسف قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصبعه يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله من الانبياء وقيل انه مسه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله قال محمد بن كعب القرظى رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فرأى كتابا فى حائط فيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وفى رواية عن ابن عباس انه رأى مثال ذلك الملك وعن على بن الحسن قال كان فى البيت صنم فقامت المرأة اليه وسترته بثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا فقالت استحييت منه أن يرانى على معصية فقال لها يوسف أتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيأ فانا أحق أن استحيي من ربى فهرب فذلك قوله لولا أن رأى برهان ربه * أما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التى جعلها الله تعالى فى قلبه حالت بينه و بين ما يسخط الله عز وجل * الثانى البرهان حجة الله عز وجل على العبد فى تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب * الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرزيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل ما يليق فعله ﴿ كذلك ﴾ يعنى كما أريناه البرهان كذلك ﴿ لنصرف عنه السوء ﴾ يعنى الاثم ﴿ والفحشاء ﴾ يعنى الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الثناء القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين وهو قوله ﴿ انه ﴾ يعنى يوسف ﴿ من عبادنا المخلصين ﴾ قرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين أخلصوا الطاعة لله عز وجل * قوله تعالى ﴿ واستبقا الباب ﴾ وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هاربا مبادرا الى الباب وتبعته المرأة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمسابقة طلب السبق فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبته اليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل ﴿ وقدت قميصه من دبر ﴾ يعنى شقته من خلف فغلبها يوسف فخرج وخرجت خلفه ﴿ والفيا سيدها لدى الباب ﴾

وقيل تمثل له يعقوب عاضا على اناءله وقيل قطفير وقيل نودى يايوسف انت مكتوب فى الانبياء

يوسف ونزاهته فقولها أنا راودته عن نفسه فاستعصم وقولها الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وأما بيان ان زوج المرأة اعترف أيضا ببراءة يوسف فقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين وأما شهادة المولود ببراءته فقوله وشهد شاهد من أهلها الآية واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله لأغوينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين وبطل بهذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى أخذ بجيده وجيد المرأة حتى جمع بينهما فانه قول منكر لايجوز لاحد ان يقول ذلك واما ماروى عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخائن فحاشا ابن عباس أن يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض أصحاب القصص وأصحاب الاخبار وضعوه على ابن عباس وكذلك ماروى عن مجاهد وغيره أيضا فانه لايكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك كله وثبت مابيناه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وماصدر من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام * فان قلت فعلى هذا التقدير لايبقى لقوله عزوجل لولاأن رأى برهان ربه فائدة * قلت فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين * أحدهما انه تعالى أعلم يوسف أنه لوهم بدفعها لقتلته فاعلمه بالبرهان أن الامتناع من ضربها أولى صونا للنفس عن الهلاك * الوجه الثانى أنه عليه الصلاة والسلام لواشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكاد فى ذلك أن يتمزق ثوبه من قدام وكان فى علم الله أن الشاهد يشهد بان ثوبه لوتمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن واذا تمزق من خلف كانت هى الخائنة فاعلمه الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فاثبت بذلك الشاهد حجته لاعليه * وأما تفسير البرهان على ماذكره المفسرون فى قوله تعالى لولاأن رأى برهان ربه فقال قتادة وأكثر المفسرين ان يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يايوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب من الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده فى صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال السدى نودى يايوسف أتواقعها انما مثلك مالم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لايطاق عليه وان مثلك ان واقعتها كمثله اذا وقع على الارض لايستطيع أن يدفع عن نفسه شيأ ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لايطاق ومثلك ان واقعتها كمثله اذا مات ودخل النمل فى قرنه لايستطيع أن يدفع عن نفسه وقيل انه رأى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى

كما كان لآدم ونوح وذى النون وداود عليهم السلام وقد سماه الله مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت فى ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أولى العزم ناظرا فى دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء ومحل الكاف فى

الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه السلام

أومحاها ولن يهلك على الله الاهالك * قال القاضى عياض فى كتابه الشفاء فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة وذكر الحديث المتقدم فلا معصية فى همه يوسف اذا * وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس كان سيئة وأما مالم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسى الآية أى ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكى قبل وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبى عبيدة ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير أى ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل فى قوله وهم بها أى بزجرها ووعظها وقيل هم بها أى همها امتناعه وقيل هم بها أى نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم مازال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة زليخا حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضى عياض رحمه الله * وأما الامام فخر الدين فذكر فى هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وأنا أذكر بعضه ملخصا فأقول قال الامام فخر الدين الرازى ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئا من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب فان الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت الى مانقله بعض المفسرين عن الائمة المتقدمين فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموها واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام فى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقال فى حق داود عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيأ من ذلك فى هذه الواقعة لانه لو صدر منه شئ لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه فى كتابه كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيأ علمنا براءته مما قيل فيه ولم يصدر عنه شئ كما نقله أصحاب الاخبار ويدل على ذلك أيضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب اليه * واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة اللاتى قطعن أيديهن والمولود الذى شهد على القميص شهدوا ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من الذنب أيضا أما بيان ان يوسف ادعى براءته مما نسب اليه فقوله هى راودتنى عن نفسى وقوله رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه واما بيان ان المرأة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة

ولو كان ذلك منه أيضا لما برأ نفسه من ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفا عنه وقوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ولو كان كذلك لخانه بالغيب وقوله ما علمنا عليه من سوء وقوله الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولانه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره

لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات

دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت به أي أرادته وقصدته فكان همها به عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال الشاعر وهو عمرو بن صابئ البرجمي

همت ولم أفعل وكدت وليتني • تركت على عثمان تبكي حلائله

وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها أي وهم بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها قال البغوي وأما همه بها فروى عن ابن عباس انه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وبيده الاخرى الى جيد المرأة حتى جمع بينهما قال أبو عبيدة القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول قال البغوي والقول ماقاله قدماء هذه الامة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الانبياء من غير علم قال السدي وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتثر عن جسدي قالت ما أحسن عينيك قال هي أول ما يسيل على خدي في قبري قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل انها قالت له ان فراش الحرير مبسوط قم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل وهي امرأة حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تدارك عبده يوسف بالبرهان الذي ذكره وسيأتي الكلام على تفسير البرهان الذي رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ماقاله المفسرون في هذه الآية ❊ أما المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة التي ينسب اليها قال بعض المحققين الهم همان فهم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضا مثل هم امرأة العزيز فالعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة في القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل به ويدل على صحة هذا ماروى عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه سيئة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له عشرة لفظ مسلم وللبخاري بمعناه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيآت ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وان هو هم بها فعملها كتبها الله عليه سيئة واحدة زاد في رواية

وهم بها وفيه أيضا اشعار بالفرق بين الهمين وفسر هم يوسف بانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها مرتين فسمع ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أنملته وهو باطل ويدل على بطلانه قوله هي راودتني عن نفسي

هومبنى على الفتح هيت مكى بناء على الضم هئت مدنى وشامى واللام للبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك (قال معاذ الله)
أعوذ بالله معاذا (انه) أى ان الشأن والحديث (ربى) سيدى ومالكى يريد قطفير (أحسن مثواى) حين قال لك أكرمى مثواه فما جزاؤه
أن اخونه فى أهله (انه لايفلح الظالمون) الخائنون أو الزناة أو أراد بقوله انه ربى الله تعالى لانه

مسبب الاسباب (ولقد همت به) هم عزم (وهم بها) هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ أبو المنصور رحمه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بانه من عباده المخلصين وقيل هم بها وشارف أن يهم بها يقال هم بالامر اذا قصده وعزم عليه وجواب (لولا أن رأى برهان ربه) محذوف أى لكان ما كان وقيل وهم بها جوابه ولا يصح لان جواب لولا لا يتقدم عليها لانه فى حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة ويجوز ان يكون وهم بها داخلا فى حكم القسم فى قوله ولقد همت به ويجوز أن يكون خارجا ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يقف على به ويبتدئ بقوله

على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كأين واللام للتبيين كالتى فى سقيا لك ٭ وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهو لغة فيه وقرأ هشام كذلك الا انه يهمزها وقد روى عنه ضم التاء وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وقرئ هيئت وعلى هذا فاللام من صلته ﴿قال معاذ الله﴾ اعوذ بالله معاذا ﴿انه﴾ أى الشأن ﴿ربى احسن مثواى﴾ سيدى قطفير احسن تعهدى اذ قال لك فى اكرمى مثواه فما جزاؤه ان اخونه فى اهله وقيل الضمير لله تعالى أى انه خالقى واحسن منزلتى بان عطف على قلبه فلا اعصيه ﴿انه لايفلح الظالمون﴾ المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزانى والمزنى باهله ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشى قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختيارى وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم أو مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله ﴿لولا ان رأى برهان ربه﴾ فى قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها

يقول هى لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة أيضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره هى لغة عربية وهى كلمة حث واقبال على الشيء وقيل هى بالعبرانية وأصلها هيتالج أى تعال فعربت فقيل هيت لك فمن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت أصحاب هذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم فى القسطاس ولغة العرب الفرس فى التنور ولغة العرب الترك فى الغساق ولغة العرب الحبشة فى ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها ٭ وقرئ هئت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها تهيأت لك ﴿قال﴾ يعنى يوسف ﴿معاذ الله﴾ أى أعوذ بالله وأعتصم به وألجأ اليه فيما دعوتنى اليه ﴿انه ربى﴾ يعنى ان العزيز قطفير سيدى ﴿أحسن مثواى﴾ أى أكرم منزلتى فلا أخونه وقيل ان الهاء فى انه ربى راجعة الى الله تعالى والمعنى يقول ان الله ربى أحسن مثواى يعنى انه آوانى ومن بلاء الجب نجانى ﴿انه لايفلح الظالمون﴾ يعنى ان فعلت هذا الفعل فأنا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة ٭ قوله عز وجل ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ الآية هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها فى مقامين ٭ الاول فى ذكر أقوال المفسرين فى هذه الآية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر هممت بالشيء اذا أردته وحدثتك نفسك به وقاربته من غير

والتاء هلم لك وان قرأت بكسر الهاء وضم التاء والهمز تهيأت لك وان قرأت بنصب الهاء ورفع
التاء تعال أنا لك (قال) يوسف (معاذ الله) (قاوخا٥٠لث) أعوذ بالله من هذا الامر (انه ربى) سيدى العزيز (أحسن مثواى) قدرى
ومنزلتى لا أخونه فى أهله (انه لايفلح) لا يأمن ولا ينجو (الظالمون) الزانون من عذاب الله (ولقد همت به) المرأة (وهم بها) يوسف
(لولا ان رأى برهان ربه) عذاب ربه لازما على نفسه ويقال رأى صورة ابيه ويقال لولا ان رأى برهان ربه لهم مقدم ومؤخر

ونهيه (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتمكين (والله غالب على أمره) لا يمتنع عما شاء او على أمر يوسف بتبليغه ما أراد له دون ما أراد اخوته (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ اشده) منتهى استعداد قوته وهو ثمان عشرة سنة أو احدى وعشرون (آتيناه حكما وعلما) حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب الجهل فيه أو حكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزى المحسنين) تنبيه على انه كان محسنا فى عمله متقيا فى عنفوان أمره (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) أى طلبت يوسف أن يواقعها والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب وكان المعنى خادعته عن نفسه أى فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشئ الذى لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهى عبارة عن التمحل لمواقعته اياها (وغلقت الابواب) وكانت سبعة (وقالت هيت لك) هو اسم لتعال وأقبل

﴿ ولنعلمه من تأويل الاحاديث ﴾ عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اى كان القصد فى انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس وليعلم معانى كتب الله واحكامه فينفذها أو تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل بسنيه ﴿ والله غالب على امره ﴾ لا يرده شئ ولا ينازعه فيما يشاء أو على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيأ واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ﴿ ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾ ان الامر كله بيده أو لطائف صنعه وخفايا لطفه ﴿ ولما بلغ اشده ﴾ منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدأ بلوغ الحلم ﴿ آتيناه حكما ﴾ أى حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما بين الناس ﴿ وعلما ﴾ يعنى علم تأويل الاحاديث ﴿ وكذلك نجزى المحسنين ﴾ تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه فى عمله واتقائه فى عنفوان امره ﴿ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ﴾ طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شئ ومنه الرائد ﴿ وغلقت الابواب ﴾ قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير أو للمبالغة فى الايثاق ﴿ وقالت هيت لك ﴾ أى اقبل وبادر أو تهيأت والكلمة

أرض مصر فجعلناه على خزائنها ﴿ ولنعلمه من تأويل الاحاديث ﴾ أى مكناله فى الارض لكى نعلمه من تأويل الاحاديث يعنى عبارة الرؤيا وتفسيرها ﴿ والله غالب على أمره ﴾ قيل الكناية فى امره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقضائه ولا يغلبه شئ وقيل هى راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى أحد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يعنى ما هو صانع بيوسف وما يريد منه ﴿ ولما بلغ أشده ﴾ يعنى منتهى شبابه وشدته وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثون سنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال السدى ثلاثون سنة وقال الكلبى الاشد ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم ﴿ آتيناه حكما وعلما ﴾ يعنى آتينا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها فى الدين وقيل حكما يعنى اصابة فى القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذى يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذى يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغى والعلم هو العلم النظرى ﴿ وكذلك ﴾ يعنى وكما أنعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك ﴿ نجزى المحسنين ﴾ قال ابن عباس يعنى المؤمنين وعنه أيضا المهتدين وقال الضحاك يعنى الصابرين على النوائب كما صبر يوسف ﴿ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ﴾ يعنى ان امرأة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها ﴿ وغلقت الابواب ﴾ أى أطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا فى ستر وخفية أو انها أغلقتها لشدة خوفها ﴿ وقالت هيت لك ﴾ أى هلم واقبل قال أبو عبيدة كان الكسائى

(ولنعلمه من تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا (والله غالب على أمره) على مقدوره لا يرد مقدوره أحد (ولكن أكثر الناس) أهل مصر (لا يعلمون) ذلك لا يصدقون ويقال لا يعلمون أن الله غالب على أمره (ولما بلغ اشده) والاشد من ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة (آتيناه) أعطيناه (حكما وعلما) فهما ونبوة (وكذلك) هكذا (نجزى المحسنين) بالقول والفعل بالعلم والحكمة (يقول) (وراودته) طلبت (التى هو فى بيتها عن نفسه) ان تستمكن من نفسه (وغلقت الابواب) عليها وعلى يوسف (وقالت) ليوسف (هيت لك) هلم لك ويقال تعال أنالك ويقال تهيأت لك معناه ان قرأت بنصب الهاء

وقال الذى اشتراه من مصر) هو قطفير وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف مات فى حياته واشتراه العزيز بزنته ورقا وحريرا ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام فى منزله ثلاث عشرة سنة ستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة (لامرأته) راعيل أو زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه (اكرمى مثواه) اجعلى منزلته ومقامه عندنا كريما أى حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربى أحسن مثواى وعن الضحاك بطيب معاشه ولين لباسه ووطىء فراشه (عسى أن ينفعنا) لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله (أو نتخذه ولدا) أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك (وكذلك) اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكنا ليوسف) أى كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناله (فى الارض) أى أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره

(وقال الذى اشتراه) اشترى يوسف (من مصر) فى مصر وهو العزيز خازن الملك وهو صاحب جنوده وكان يسمى قطفير (لامرأته) زليخا (أكرمى مثواه) قدره ومنزلته (عسى أن ينفعنا) فى ضيعتنا (أو نتخذه ولدا) أو نتبناه وكان اشتراه من مالك بن ذعر بعشرين درهما وحلة ونعلين (وكذلك) هكذا (مكنا ليوسف) ملكنا يوسف (فى الارض) أرض مصر

﴿ وقال الذى اشتراه من مصر ﴾ وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه قطفير أو اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقى وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات فى حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين واعطاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شرائه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملأه فضة وقيل ذهبا ﴿ لامرأته ﴾ راعيل أو زليخا ﴿ اكرمى مثواه ﴾ اجعلى مقامه عندنا كريما أى حسنا والمعنى احسنى تعهده ﴿ عسى ان ينفعنا ﴾ فى ضياعنا واموالنا ونستظهر به فى مصالحنا ﴿ أو نتخذه ولدا ﴾ نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التى قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضى الله تعالى عنهما ﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ﴾ وكما مكنا محبته فى قلب العزيز أو كما مكناه فى منزله أو كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكناه له فيها

ابن الوليد بن نزوان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حى قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقى قطفير مالك بن ذعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين أبيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه أربعمائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى ﴿ وقال الذى اشتراه من مصر ﴾ يعنى قطفير من أهل مصر ﴿ لامرأته ﴾ وكان اسمها راعيل وقيل زليخا ﴿ اكرمى مثواه ﴾ يعنى أكرمى منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل أكرميه فى المطعم والملبس والمقام ﴿ عسى أن ينفعنا ﴾ يعنى ان أردنا بيعه بعناه بربح أو يكفينا بعض أمورنا ومصالحنا اذا قوى وبلغ ﴿ أو نتخذه ولدا ﴾ يعنى نتبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة العزيز فى يوسف حيث قال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وابنة شعيب فى موسى حيث قالت لابيها استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وأبو بكر فى عمر حيث استخلفه بعده ﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ﴾ يعنى كما مننا على يوسف بان أنقذناه من القتل وأخرجناه من الجب كذلك مكناه فى الارض يعنى

من اخـوته ﴿ بثمن بخس ﴾ مبخوس لزيف أو نقصـان ﴿ دراهم ﴾ بدل من الثمن ﴿ معدودة ﴾ قليلة فانهم كانوا يزنون مابلغ الاوقية ويعدون مادونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين درهما ﴿ وكانوا فيه ﴾ فى يوسف ﴿ من الزاهدين ﴾ الراغبين عنه والضمير فى وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل فى بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهـدين لان متعلق الصلة لايتقدم على الموصول

الشئ بمعنى بعته وانما وجب حمل هـذا الشراء على البيع لان الضمير فى وشروه وفى وكانوا فيـه من الزاهدين يرجع الى شئ واحـد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير فى وشروه يعود على مالك بن ذعر وأصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على بابه ﴿ بثمن بخس ﴾ قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدى بخس أى حرام لان ثمن الحر حرام ويسمى الحرام بخسا لانه مبخوس البركة يعنى منقوصها وقال ابن مسـعود وابن عباس بخس أى زيوف ناقصة العيار وقال قتادة بخس أى ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبى بخس أى قليل وعلى الاقوال كلها فالبخس فى اللغة هو نقص الشئ على سبيل الظلم والبخس والباخس الشئ الطفيف ﴿ دراهم معـدودة ﴾ فيـه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم فى ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من أربعين درهما انما كانوا يأخذون مادونها عـددا فاذا بلغت أربعين درهما وهى أوقيـة وزنوها واختلفوا فى عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وأبيه شيأ منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هـذا أخذ أخوه منها درهمين لانهم كانوا أحـد عشر أخا وقال عكرمة كانت أربعين درهما ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ يعنى وكان اخوة يوسف فى يوسف من الزاهدين وأصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان فى كذا اذا لم يكن له فيـه رغبة والضمـير فى قوله وكانوا فيـه من الزاهدين ان قلنـا انه يرجع الى اخـوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وأرادوا ابعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهـار قلة الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس قليل ويحتمل أن يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد أبق أظهر المشترى قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال أصحـاب الاخبار ثم ان مالك بن ذعر وأصحـابه لما شتروا يوسـف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون اسـتوثقوا منه لايأبق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان

(ثمن بخس) مبخوس ناقص عن القيمة نقصا ناظاهرا أو زيف (دراهـم) بدل من ثمن (معدودة) قليلة تعد عدا ولاتوزن لانهم كانوا يعدون مادون الاربعين ويزنون الاربعين ومافوقها وكانت عشرين درهما (وكانوا فيـه من الزاهدين) ممن يرغب عمـا فى يده فيبيعه بالثمن الطفيف أو معنى وشروه واشـتروه يعنى الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين أى غير راغبين لانهم اعتقدوا انه آبق ويروى ان اخـوته اتبعوهم وقالوا اسـتوثقوا منه لايأبق وفيـه ليس من صلة الزاهـدين أى غير راغبين لان الصـلة لاتتقدم على الموصـول وانما هو بيان كأنه قيل فى أى شئ زهدوا فقال زهدوا فيه

ذعر (بثمن بخس) نقصـان بالوزن ويقال زيوف ويقال حرام (دراهم معدودة) عشرين درهما ويقـال اثـنين وثلاثين درهمـا (وكانوا فيه) فى ثمن يوسف (من الزاهدين) لم يحتاجوا اليه ويقال كان اخوة يوسف فى يوسف من الزاهدين لم يعرفوا قدره ومنزلته عند الله تعالى ويقال كان أهل القافلة فى يوسف من الزاهدين

﴿ قال يابشرى هـذا غلام ﴾ نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه كأنه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يابشراى بالاضافة وقرئ يابشرى بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف ﴿ واسروه ﴾ أى الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه بالطعام كل يوم فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هـذا غلامنا أبق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ﴿ بضاعة ﴾ نصب على الحال أى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة ﴿ والله عليم بما يعملون ﴾ لم يخف عليه اسرارهم أو صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم ﴿ وشروه ﴾ وباعوه وفى مرجع الضمير الوجهان أو اشتروه

وكان يوسف عليه السلام أحسن ما يكون من الغلمان * وذكر البغوى بسند متصل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أعطى يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وأمه بثلثى الحسن وحكى الثعلبى عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين اخيص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام يوم خلقه الله وصورته قبل أن يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورآه مالك بن ذعر كاحسن ما يكون من الغلمان ﴿ قال ﴾ يعنى الوارد وهو مالك بن ذعر ﴿ يابشراى ﴾ يعنى يقول الوارد لاصحابه أبشروا ﴿ هذا غلام ﴾ وقرئ يابشرى بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلا من أصحابه اسمه بشرى كما تقول يازيد ويقال ان جدران البئر بكت على يوسف حين خرج منها ﴿ وأسروه بضاعة ﴾ قال مجاهد أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم وقالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض أهل المال الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل ان اخوة يوسف أسروا شأن يوسف يعنى انهم أخفوا أمر يوسف وكونه أخاهم بل قالوا هو عبد لنا أبق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سرا من مالك بن ذعر وأصحابه والقول الاول أصح لان مالك بن ذعر هو الذى أسره بضاعة وأصحابه ﴿ والله عليم بما يعملون ﴾ يعنى من ارادة اهلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه ان يصير ملك مصر بعد ان كان عبدا قال أصحاب الاخبار ان يهوذا كان يأتى يوسف بالطعام فأتاه فلم يجده فى الجب فأخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذاهم بمالك بن ذعر وأصحابه نزولا قريبا من البئر فاتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هـذا عبدنا أبق منا ويقال انهم هددوا يوسف حتى يكتم حاله ولا يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك قوله تعالى ﴿ وشروه ﴾ أى باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت

تشبث يوسف بالدلو فنزعوه (قال يابشرى) كوفى نادى البشرى كأنه يقول تعالى فهذا أوانك غيرهم بشراى على اضافتها الى نفسه أو هو اسم غلامه فناداه مضافا الى نفسه (هذا غلام) قيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وأسروه) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة أو لاخوة يوسف فانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه (بضاعة) حال أى أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما يضع من المال للتجارة أى قطع (والله عليم بما يعملون) بما يعمل اخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع (وشروه) وباعوه

(قال يابشرى) هذا بشراى يا أصحابى قالوا ما ذلك يا مالك قال (هذا غلام) أحسن ما يكون من الغلمان فاجتمعوا عليه فأخرجوه من الجب (وأسروه بضاعة) وكتموه من القوم وقالوا لقومهم هذه بضاعة استبضعها اهل الماء لنبيعه لهم بمصر (والله عليم بما يعملون) بيوسف يعنى اخوة يوسف ويقال أهل القافلة (وشروه) باعوه اخوته من مالك بن

قيل وجاؤا فوق قميصه بدم (قال) يعقوب عليه السلام (بل سولت) زينت أو سهلت (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتموه (فصبر جميل) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وهو مالا شكوى فيه الى الخلق (والله المستعان) أي أستعينه (على) احتمال (ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه (وجاءت سيارة) رفقة تصير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من ألقاء يوسف في الجب فأخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحا فعذب حين ألقي فيه يوسف (فارسلوا واردهم) هو الذي يرد الماء ليستقي للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعي (فادلى دلوه) أرسل الدلو ليملأها

روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك ﴿ قال بل سولت لكم انفسكم امرا ﴾ أي سهلت لكم انفسكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء ﴿ فصبر جميل ﴾ أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه أي الى الخلق ﴿ والله المستعان على ما تصفون ﴾ على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح ﴿ وجاءت سيارة ﴾ رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاثة ايام من القائه فيه ﴿ فارسلوا واردهم ﴾ الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي ﴿ فادلى دلوه ﴾ فارسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه

عز وجل وقال والله ما أكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الانبياء فقال يعقوب فكيف وقعت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم وهي قرابة لي فأخذوني وأتوا بي اليك فأطلقه يعقوب ولما ذكر اخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم ﴿ قال ﴾ يعقوب ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمرا ﴾ يعني بل زينت لكم أنفسكم أمرا وأصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه وقال صاحب الكشاف سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم أمرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونتموه في أنفسكم وأعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل ردا لقولهم فأكله الذئب كأنه قال ليس الامر كما تقولون أكله الذئب بل سولت لكم أنفسكم أمرا آخر غير ما تصفون ﴿ فصبر جميل ﴾ أي فشأني صبر جميل وقيل معناه فصبري صبر جميل والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر ان لا تحدث بمصيبتك ولا تزكين نفسك ﴿ والله المستعان على ما تصفون ﴾ يعني من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حمل ما تصفون ✲ قوله عز وجل ﴿ وجاءت سيارة ﴾ وهم القوم المسافرون سموا سيارة لمسيرهم في الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فأخطؤا الطريق فنزلوا قريبا من الجب الذي كان فيه يوسف وكان في قفرة بعيدة من العمارة ترده الرعاة والمارة وكان ماؤه ملحا فلما ألقي يوسف فيه عذب فلما نزلوا أرسلوا رجلا من اهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء فذلك قوله عز وجل ﴿ فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه ﴾ قال والوارد الذي هو يتقدم الرفقة الى الماء فيهيئ الارشية والدلاء يقال أدليت الدلو اذا أرسلتها في البئر ودلوتها اذا أخرجتها قال فتعلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالحبال

ان قرأت بالدال (قال بل سولت) زينت (لكم أنفسكم أمرا) في هلاك يوسف ففعلتم (فصبر جميل) فعلي صبر جميل بلا جزع (والله المستعان) منه أستعين (على ما تصفون) على صبري على ما تقولون من هلاكه ولا يصدقهم في قولهم لانهم قالوا مرة أخرى قبل هذا قتله اللصوص (وجاءت سيارة) قافلة من المسافرين من قبل مدين يريدون مصر فتحيروا في الطريق فاخطؤا الطريق فجعلوا يهيمون في الارض حتى وقعوا في الاراضي التي فيها الجب وهي أرض دوثن بين مدين ومصر فنزلوا عليه (فارسلوا واردهم) فارسل كل قوم طالب الماء وهو ساقيهم فوافق جب يوسف مالك بن ذعر ﴿ وكان ﴾ رجل من العرب من أهل مدين ابن أخي شعيب النبي عليه السلام (فأدلى دلوه) فأرخى دلوه في جب يوسف فتعلق يوسف فلم يقدر على نزعه من البئر فنظر فيه فرأى غلاما قد تعلق بالدلو فنادى أصحابه

(وجاؤا أباهم عشاء) للاستتار والتجسر على الاعتذار (يبكون) حال عن الأعمش لاتصدق باكية بعد اخوة يوسف فلما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يابني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما بالكم وأين يوسف (قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق) أي نتسابق في العدو أو في الرمي والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامي وغير

باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لايشعرون ذلك ﴿وجاؤا أباهم عشاء﴾ أي آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع أعشى اي عشوا من البكاء ﴿يبكون﴾ متباكين روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يابني واين يوسف ﴿قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق﴾ نتسابق في العدو أو في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف ﴿وجاؤا على قميصه بدم كذب﴾ أي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو أي جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر أو طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف أي فوق قميصه أو على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور

مستوليا عليهم ويصيرون تحت أمره وقهره * قوله تعالى ﴿وجاؤا أباهم عشاء يبكون﴾ قال المفسرون لما طرحوا يوسف في الجب رجعوا الى أبيهم وقت العشاء ليكونوا في الظلمة اجتراء على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم فلما رآهم قال بالله سألتكم يابني هل أصابكم شيء في غنمكم قالوا لا قال فما اصابكم وأين يوسف ﴿قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق﴾ قال ابن عباس يعني ننتضل وقال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي والاصل في السبق الرمي بالسهم وهو التناضل أيضا وسمي المتراميان بذلك يقال تسابقا واستبقا اذا فعلا ذلك ليتبين أيهما أبعد سهما وقال السدي يعني نشتد ونعدو والمعنى نستبق على الاقدام ليتبين أينا أسرع عدوا وأخف حركة وقال مقاتل نتصيد والمعنى نستبق الى الصيد ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ يعني عند ثيابنا ﴿فأكله الذئب﴾ يعني في حال استباقنا وغفلتنا عنه ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ يعني وما أنت بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ يعني في قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين لكنك لاتصدق لنا قولا لشدة محبتك ليوسف فانك تتهمنا في قولنا هذا وقيل معناه انا وان كنا صادقين فانك لم تصدقنا لانه لم تظهر عندك أمارة تدل على صدقنا ﴿وجاؤا على قميصه﴾ يعني قميص يوسف ﴿بدم كذب﴾ أي مكذوب فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف ثم جاؤا أباهم وفي القصة انهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم بذلك وقيل انهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي فأنطقه الله

ذلك (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا على قميصه بدم كذب) ذي كذب ووصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روى انهم ذبحوا سخلة ولطخوا القميص بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروى ان يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله مارأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبره ومحل على قميصه النصب على الظرف كانه

(وجاؤا أباهم) الى أبيهم (عشاء) بعد الظهر (يبكون) على يوسف (قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق) ننتضل ونصطاد (وتركنا يوسف عند متاعنا) ليحفظه (فأكله الذئب) كما قلت (وما أنت بمؤمن) بمصدق (لنا ولو كنا) وان كنا (صادقين) في قولنا (وجاؤا على قميصه) لطخوا على قميصه (بدم كذب) دم جدي ويقال طري

جبرائيل عليه السلام بالوحي كما قال ﴿ واوحينا اليه ﴾ وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهم السلام وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل عليه السلام وألبسه اياه ﴿ لتنبئنهم بامرهم هذا ﴾ لتحدثنهم بما فعلوا بك ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ انك يوسف لعلو شأنك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ماقال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بمايؤول اليه امره ايناساله وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل

فلما أمسى نهض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذا رهبت شيأ فقل ياصريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويامفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب وقال محمد بن مسلم الطائفي لما ألقي يوسف في الجب قال ياشاهدا غير غائب وياقريبا غير بعيد وياغالبا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما أنا فيه فما بات فيه واختلفوا في قدر عمر يوسف يوم ألقي في الجب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن اثنتا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث في الجب ثلاثة أيام وكان اخوته يرعون حوله وكان يهوذا يأتيه بالطعام فذلك قوله تعالى ﴿ وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا ﴾ يعني لتخبرن اخوتك قال اكثر المفسرين ان الله اوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يؤنسه ويبشره بالخروج ويخبره أنه سينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغا في ذلك الوقت أو كان صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيرا الا أن الله عز وجل أكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام * فان قلت كيف جعله نبيا في ذلك الوقت ولم يكن أحد يبلغه رسالة ربه لان فائدة النبوة والرسالة تبليغها الى من أرسل اليه * قلت لا يمتنع ان الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطييب قلبه و ازالة الهم والغم والوحشة عنه ثم بعد ذلك يأمره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان المراد من قوله وأوحينا اليه وحي الهام كما في قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل وأوحينا الى أم موسى والقول الاول أولى * وقوله تعالى ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ يعني بايحائنا اليك وأنت في البئر بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم انهم اذا عرفوه فربما ازداد حسدهم له وقيل ان الله تعالى أوحى الى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بانك أنت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير

(واوحينا اليه) قيل أوحي اليه في الصغر كما أوحي الى يحيى و عيسى عليهما السلام وقيل كان اذذاك مدركا (لتنبئنهم بامرهم هذا) أي لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وانكم ألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيه أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس أو يتعلق وهم لا يشعرون بأوحينا أي آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك

(وأوحينا اليه) الى يوسف أرسلنا اليه جبريل ويقال ألهمه (لتنبئنهم) لتخبرنهم يا يوسف (بأمرهم) بصنيعهم (هذا) بك (وهم لا يشعرون) وهم لا يعلمون انك يوسف حتى تخبرهم ويقال لا يعلمون بوحينا الى يوسف

لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا أما عاهدتمونى ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى أتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكى فجاءه

تخرج معنا الى مواشينا فنصيد ونستبق قال بلى قالوا له أنسئل أباك ان يرسلك معنا قال يوسف افعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا أبانا ان يوسف قد أحب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ماتقول يابنى قال نعم ياأبت انى أرى من اخوتى اللين واللطف فاحب ان تأذن لى وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته فاذن له وأرسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحراء ألقوه على الارض وأظهروا له ما فى أنفسهم من العداوة واغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادى ياأبتاه يايعقوب لو رأيت يوسف ومانزل به من اخوته لأحزنك ذلك وأبكاك ياأبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكى بكاء شديدا فاخذه روبيل وجلد به الارض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مهلا ياأخى لاتقتلنى فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك من أيدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف بيهوذا وقال له اتق الله فى وحل بينى وبين من يريد قتلى فادركته رحمة الاخوة ورق له فقال يهوذا يا اخوتى ما على هذا عاهدتمونى الا أدلكم على ما هو أهون لكم وأرفق به فقالوا وما هو قال تلقونه فى هذا الجب اما أن يموت أو يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بئر هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الرأس فجعلوا يدلونه فى البئر فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا أخوتاه ردوا على قميصى لاستتر به فى الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال انى لم ار شيأ فألقوه فيها ثم قال لهم يا اخوتاه أتدعونى فيها فريدا وحيدا وقيل جعلوه فى دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه ارادة أن يموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة كانت فى البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فحل يديه وأخرج له صخرة من البئر فاجلسه عليها وقيل انهم لما ألقوه فى الجب جعل يبكى فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فاجابهم فارادوا أن يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهوذا من ذلك وقيل ان يعقوب لما بعثه مع اخوته أخرج له قميص ابراهيم الذى كساه الله اياه من الجنة حين ألقى فى النار فجعله يعقوب فى قصبة فضة وجعلها فى عنق يوسف فالبسه الملك اياه حين ألقى فى الجب فاضاء له الجب وقال الحسن لما ألقى يوسف فى الجب عذب ماؤه فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فانس به

انهم لما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فنعهم يهوذا فلما أرادوا ألقاءه فى الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على أبيهم وادلوه فى البئر وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكى وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب فى تميمة علقها فى عنق يوسف فاخرجه جبريل وألبسه اياه

فى أسفل الجب

(وانا له لحافظون) من ان يناله مكروه (قال انى ليحزننى أن تذهبوا به) أى يحزننى ذهابكم به واللام لام الابتداء (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) اعتذر اليهم بان ذهابهم به مما يحزنه لا[نه] كان لا يصبر عنه ساعة وانه يخاف عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم (قالوا لئن أكله الذئب) اللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب والواو فى (ونحن عصبة) أى فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال (انا اذا لخاسرون) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط أى ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها وأجابوا عن عذره الثانى دون الاول لان ذلك كان يغيظهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب) أى عزموا على ألقائه فى البئر وهى بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى

العين ويلعب بالرتع على الابتداء ﴿ وانا له لحافظون ﴾ ان يناله مكروه ﴿ قال انى ليحزننى ان تذهبوا به ﴾ لشدة مفارقته على وقلة صبرى عنه ﴿ واخاف ان يأكله الذئب ﴾ لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى فى المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزه على الاصل ابن كثير ونافع فى رواية قالون وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر درجا ووقفا وحمزة درجا واشتقاقه من تذأبت الريح اذا هبت من كل جهة ﴿ وانتم عنه غافلون ﴾ لاشتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه ﴿ قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة ﴾ اللام موطئة للقسم وجوابه ﴿ انا اذا لخاسرون ﴾ ضعفاء مغبونون أو مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو فى ونحن عصبة للحال ﴿ فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب ﴾ وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس أو بئر بارض الاردن أو بين مصر ومدين أو على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم

الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وأيضا فان لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران فى الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه فى صورة اللعب وقيل معنى نرتع ونلعب نتنعم ونأكل ونلهو وننشط ﴿ وانا له لحافظون ﴾ يعنى نجتهد فى حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما ﴿ قال ﴾ يعنى قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿ انى ليحزننى أن تذهبوا به ﴾ أى ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الآية أنه لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بعذرين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه يحزنه لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثانى قوله ﴿ واخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ﴾ يعنى اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وذلك ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى فى المنام ان ذئبا شد على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئاب فى أرضهم كثيرة ﴿ قالوا ﴾ يعنى قال اخوة يوسف مجيبين ليعقوب ﴿ لئن أكله الذئب ونحن عصبة ﴾ أى جماعة عشرة رجال ﴿ انا اذا لخاسرون ﴾ يعنى عجزة ضعفاء وقيل انهم خافوا ان يدعو عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم نقدر على حفظ أخينا فكيف نقدر على حفظ مواشينا فنحن اذا خاسرون ﴿ قوله عز وجل ﴿ فلما ذهبوا به ﴾ فيه اضمار واختصار تقديره فارسله معهم فلما ذهبوا به ﴿ وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب ﴾ يعنى وعزموا على أن يلقوه فى غيابة الجب

﴿ ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام ﴾

قال وهب وغيره من أهل [illegible]

(وانا له لحافظون) مشفقون (قال) أبوهم (انى ليحزننى أن تذهبوا به) فراقه (وأخاف أن يأكله الذئب) لانه رأى فى منامه ان ذئبا يشد عليه فمن ذلك قال وأخاف ان يأكله الذئب (وأنتم عنه غافلون) باللعب والقتال مشغولون عنه كم (قالوا) لابيهم (لئن أكله الذئب ونحن عصبة) عشرة (انا اذا لخاسرون) لعاجزون ويقال مغبونون بترك حرمة (نخرج) الوالد و[illegible] (فلما ذهبوا به) بعد أن ابيهم [illegible] (وأجمعوا أن يجعلوه) يقول اجتمعوا على أن يطرحوه (فى غيابت الجب)

غيبة وغيابات بالتشديد ﴿ يلتقطه ﴾ يأخذه ﴿ بعض السيارة ﴾ بعض الذين يسيرون في الارض ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ بمشورتي أو ان كنتم على ان تفعلوا مايفرق بينه وبين ابيه ﴿ قالوا ياابانا مالك لاتأمنا على يوسف ﴾ لم تخافنا عليه ﴿ وانا له لناصحون ﴾ ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ﴿ ارسله معنا غدا ﴾ الى الصحراء ﴿ نرتع ﴾ نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ﴿ ونلعب ﴾ بالاستباق والانتضال * وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب * وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف * وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر

﴿ يلتقطه بعض السيارة ﴾ وذلك ان هذا الجب كان معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط أخذ الشئ من الطريق أو من حيث لايحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يأخذه بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية أخرى فتستريحون منه ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ فيه اشارة الى ترك الفعل فكأنه قال لاتفعلوا شيأ من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال البغوي كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء الا بعده وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين والصغير لاذنب له قال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذي لاذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لاييأس أحد من رحمة الله تعالى وقال بعض أهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل ان نبأهم الله فلما أجمعوا على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب من الحيل ﴿ قالوا ﴾ يعني قال اخوة يوسف ليعقوب ﴿ ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف ﴾ بدؤا بالانكار عليه في ترك ارسال يوسف معهم كأنهم قالوا أتخافنا عليه اذا ارسلته معنا ﴿ وانا له لناصحون ﴾ المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى وانا لعاطفون عليه قائمون بمصلحته وبحفظه وقال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير وذلك انهم قالوا لابيهم أرسله معنا فقال يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به فحينئذ قالوا مالك لاتأمنا على يوسف وانا له لناصحون ثم قال ﴿ أرسله معنا غدا ﴾ يعني الى الصحراء ﴿ نرتع ﴾ الرتع هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان في ماله اذا انفقه في شهواته والاصل في الرتع أكل البهائم في الخصب زمن الربيع ويستعار للانسان اذا أريد به الاكل الكثير ﴿ ونلعب ﴾ اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء ويحتمل أن يكون المراد باللعب هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح

(يلتقطه بعض السيارة) بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق (ان كنتم فاعلين) به شيأ (قالوا ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف وانا له لناصحون) أي لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب ان لايأمنهم عليه (أرسله معنا غدا نرتع) نتسع في أكل الفواكه وغيرها والرتعة السعة (ونلعب) نتفرج بما يباح كالصيد والرمي والركض بالياء فيهما مدني وكوفي وبالنون فيهما مكي وشامي وأبو عمرو وبكسر العين حجازي من ارتعى يرتعي افتعال من لرعي

(يلتقطه) يرفعه (بعض السيارة) مارى الطريق من المسافرين (ان كنتم فاعلين) بأمرائم جاؤا الى أبيهم (قالوا) لابيهم (ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف وانا له لناصحون) حافظون (أرسله معنا غدا يرتع) يذهب ويجئ وينشط (ويلعب) يله

معنى تنكيرها واخلائها عن الوصف ولهذا الابهام نصبت نصب الظروف المبهمة (يخل لكم وجه) أبيكم يقبل عليكم اقبالة

واحدة لايلتفت عنكم الى غيركم والمراد [illegible] سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها

منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها [illegible] ولذلك نصبت كالظروف المبهمة ﴿ يخل لكم وجه أبيكم ﴾ جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولايلتفت عنكم الى غيركم [illegible] ينازعكم في محبته احد ﴿ وتكونوا ﴾ جزم بالعطف على يخل أو نصب باضمار ان ﴿ من بعده ﴾ من بعد يوسف والفراغ من امره أو قتله أو طرحه ﴿ قوما صالحين ﴾ تائبين الى الله تعالى عما جنيتم أو صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه أو صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم ﴿ قال قائل منهم ﴾ يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل ﴿ لاتقتلوا يوسف ﴾ فان القتل عظيم ﴿ وألقوه في غيابة الجب ﴾ في قعره سمي به لغيبوبته عن اعين الناظرين وقرأ نافع في غيابات في الموضعين على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات . وقرئ

يخل لكم وجه أبيكم ﴾ لما قوي الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لابد من تبعيد يوسف عن أبيه وذلك لايحصل الا باحد طريقين اما القتل مرة واحدة أو التغريب الى الارض يحصل اليأس من اجتماعه بابيه بان تفترسه الاسد والسبع أو يموت في تلك الارض البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك وهي قوله يخل لكم وجه أبيكم والمعنى انه قد شغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف أقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم ﴿ وتكونوا من بعده ﴾ يعني من بعد قتل يوسف أو ابعاده عن أبيه ﴿ قوما صالحين ﴾ يعني تائبين فتوبوا الى الله يعف عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب الكبائر قالوا نتوب الى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم أمركم فيما بينكم وبين أبيكم * فان قلت كيف يليق أن تصدر هذه منهم وهم أنبياء * قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا أنبياء في ذلك الوقت حتى تكون هذه الافعال قادحة في عصمة الانبياء وانما أقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذي أشار بقتل يوسف كان أجنبيا شاوروه في ذلك فأشار عليهم بقتله ﴿ قال قائل منهم لاتقتلوا يوسف ﴾ يعني قال قائل من اخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان أقربهم اليه سنا ﴿ وألقوه في غيابت الجب ﴾ يعني ألقوه في أسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيأ وغيبه عن النظر والجب البئر الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه جب أي قطع ولم يطو وأفاد ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير أشار بطرحه في موضع من الجب مظلم لايراه أحد واختلفوا في مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال مقاتل هو في أرض الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وانما [illegible] الجب [illegible] ذكروه وهي قولهم

[illegible] به التقمه [illegible] معنى اقباله [illegible] الرجل اذا أقبل على الشيء أقبل [illegible] بجميعه [illegible] [illegible] (وتكونوا) جزم عطف على يخل لكم (من بعده) من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو من بعد قتله أو طرحه فيرجع الضمير الى مصدر اقتلوا أو اطرحوا (قوما صالحين) تائبين الى الله مما جنيتم عليه أو يصلح حالكم عند أبيكم (قال قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا (لاتقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (وألقوه في غيابت الجب) في قعر البئر وما غاب منه عن عين الناظر غيابات وكذا ما بعده مدني

(يخل لكم وجه أبيكم) يقول يقبل عليكم أبوكم بوجهه (وتكونوا من بعده) من بعد قتله (قوما صالحين) تائبين من قتله ويقال صلحت حالكم مع أبيكم (قال قائل منهم) من اخوة يوسف وهو يهوذا لاخوته (لاتقتلوا يوسف وألقوه) ولكن اطرحوه (في غيابت الجب) في أسفل الجب ويقال في ظلمته

(يتقدمه)

(اذقالواليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا) اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا ان زيادة محبته

لهما أمر ثابت لاشبهة فيه وانما قالوا وأخوه وهم اخوته أيضا لان أمهما

واحدة وانما قيل أحب في الاثنين لان أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد ومافوقه ولا بين المذكر والمؤنث ولابد من الفرق مع لام التعريف واذا أضيف ساغ الامران والواو في (ونحن عصبة) للحال أي انه يفضلهما في المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة تقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما (ان ابانا لفي ضلال مبين) غلط في تدبير أمر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة في الدين لكفروا والعصبة العشرة فصاعدا (اقتلوا يوسف) من جملة ماحكى بعد قوله اذ قالوا كأنهم اطبقوا على ذلك الا من قال لاتقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين (أواطرحوه أرضا) منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو

لفي ضلال مبين) في خطأبين في حب يوسف واختياره علينا ثم قال بعضهم لبعض (اقتلوا يوسف أواطرحوه أرضا) في جب

﴿ اذقالوا ليوسف وأخوه ﴾ بنيامين وتخصيصه [illegible] لان أمهما [illegible] ﴿ أحب الى أبينا منا ﴾ وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد ومافوقه والمذكر والمؤنث بخلاف أخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ﴿ ونحن عصبة ﴾ والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ﴿ ان ابانا لفي ضلال مبين ﴾ لتفضيله المفضول أولترك التعديل في المحبة روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلمارأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له ﴿ اقتلوا يوسف ﴾ من جملة المحكي بعد قوله اذقالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الا من قال لاتقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون أودان ورضى به الآخرون ﴿ أواطرحوه ارضا ﴾

﴿ اذقالوا ﴾ يعني اخوة يوسف ﴿ ليوسف ﴾ اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف ﴿ وأخوه ﴾ يعني بنيامين وهما من أم واحدة ﴿ أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ﴾ انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف وأخيه لما رأوا من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقته عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبة هي العشرة فمازاد وقيل هي مابين الواحد الى العشرة وقيل مابين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد هي مابين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل الاصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم ببعض يسمون عصبة والعصبة لاواحد لها من لفظها كالرهط والنفر ﴿ ان أبانا لفي ضلال مبين ﴾ يعني لفي خطأبين في ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لانفع فيه ونحن عصبة ننفعه ونقوم بمصالحه من أمر دنياه واصلاح أمر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال الضلال عن الدين اذلو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن ارادوا به الخطأ في أمر الدنيا ومايصلحها يقولون نحن أنفع له من يوسف فهو مخطئ في صرف محبته اليه لانا أكبر منه سنا وأشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو أن يعقوب عليه الصلاة والسلام مافضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا في المحبة المحضة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل أن يعقوب انما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لان أمه ماتت وهو صغير أولانه رأى فيه من آيات الرشد والنجابة مالم يره في سائر اخوته فان قلت الذي فعله اخوة يوسف بيوسف هو محض الحسد والحسد من أمهات الكبائر وكذلك نسبة أبيهم الى الضلال هو محض العقوق وهو من الكبائر أيضا وكل ذلك قادح في عصمة الانبياء فما الجواب عنه قلت هذه الافعال انما صدرت من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الانبياء هو وقت حصول النبوة لاقبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مراهقين غير بالغين ولاتكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قادحة في عصمة الانبياء ﴿ قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف ﴿ اقتلوا يوسف أواطرحوه أرضا ﴾

(اذقالوا) اخوة يوسف بعضهم لبعض (ليوسف وأخوه) بنيامين (احب الى ابينا) آثر عند ابينا منا ونحن عصبة) عشرة (ان أبانا

[illegible]

[illegible]

وقرأ ابن كثير آية ﴿ للسائلين ﴾ لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالى وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة

عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذه خليلا والمراد من اتمام النعمة على اسحق بان خلصه الله من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذبيح وليس بشئ والقول الاول هو الاصح بان اتمام النعمة عليهما بالنبوة لانه لاأعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العبد ﴿ان ربك عليم﴾ يعنى بمصالح خلقه ﴿حكيم﴾ يعنى انه تعالى لا يفعل شيأ الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة فى بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابويه واخوته أربعون سنة وهذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصرى كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا مارضى أن يسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه * قوله عز وجل ﴿ لقد كان فى يوسف واخوته ﴾ يعنى فى خبره وخبر اخوته وأسماؤهم روبيل وهو أكبرهم وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان وهى ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب من سريتين اسم احداهما زلفة والآخرى بلهة اربعة أولاد وأسماؤهم دان ونفتالى وجاد وآشر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو يعقوب هم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفرا ﴿ آيات للسائلين ﴾ وذلك ان اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر ذكر قصة يوسف مع أخوته فوجدوها موافقة لما فى التوراة فعجبوا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء والاحبار ولم يأخذ عن أحد منهم شيأ فدل ذلك على ان ما أتى به وحى سماوى وعلم قدسى أوحاه الله اليه وشرفه به ومعنى آيات للسائلين أى عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما آل اليه أمرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على اخوته وبلواه مثل ألقائه فى الجب وبيعه عبدا وسجنه بعد ذلك وما آل اليه أمره من الملك ومنها ما تشتمل عليه من حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمره من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التى اذا فكر فيها الانسان اعتبر واتعظ

(ان ربك عليم) يعلم من يحق له الاجتباء (حكيم) يضع الاشياء مواضعها (لقد كان فى يوسف واخوته) أى فى قصتهم وحديثهم (آيات) علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته فى كل شئ آية مكى (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم وعرفها أو آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب وأسماؤهم يهوذا وروبين وشمعون ولاوى وزبولون ويشجر وامهم ليا بنت ليان ودان ونفتالى وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف

ان ربك عليم) بنعمته (حكيم) باتمامها ويقال عليهم برؤياك حكيم بما يصيبك (لقد كان فى يوسف) فى خبر يوسف (واخوته آيات) عبرات (للسائلين) عن خبرهم نزلت هذه الآية فى حبر من اليهود

(وكذلك) ومثل ذلك الاجتباء الذي دلت عليه رؤياك (يجتبيك ربك) يصطفيك والاجتباء والاصطفاء افتعال من جبيت

 جمعته (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) أي تأويل الرؤيا وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا أو تأويل أحاديث الانبياء وكتب الله وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب) بان وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة أي جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولكن أهله وانما علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذا قال وعلى آل يعقوب (كما أتمها على أبويك من قبل) أراد الجد وأبا الجد (ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك

(وكذلك) هكذا (يجتبيك) يصطفيك (ربك) بالنبوة (ويعلمك من تأويل الاحاديث) من تعبير الرؤيا (ويتم نعمته عليك) بالنبوة والاسلام أي يعينك على ذلك (وعلى آل يعقوب) بك أي ويتم نعمته على أولاد يعقوب بك (كما أتمها) نعمته بالنبوة والاسلام (على أبويك من قبل) من قبلك (ابراهيم واسحق

تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد ﴿وكذلك﴾ أي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس ﴿يجتبيك ربك﴾ للنبوة والملك أو لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ﴿ويعلمك﴾ كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ﴿من تأويل الاحاديث﴾ من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس أو الشيطان ان كانت كاذبة أو من تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بالنبوة أو بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة ﴿وعلى آل يعقوب﴾ يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب أو نسله ﴿كما أتمها على ابويك﴾ بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم ﴿من قبل﴾ أي من قبلك أو من قبل هذا الوقت ﴿ابراهيم واسحق﴾ عطف بيان لابويك

غيره اضافة الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعا من خلق الله وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر المكروهة ويرتضيها فيستحب اذا رأى الرجل في منامه ما يحب أن يحدث به من يحب واذا رأى ما يكرهه فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها وليتفل ثلاثا وليتحول الى جنبه الآخر فانها لا تضره فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا للسلامة من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال وغيره من البلاء والله أعلم * قوله تعالى ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ يعني يقول يعقوب ليوسف عليه الصلاة والسلام أي وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك ربك يعني يصطفيك ربك واجتباء الله تعالى العبد تخصيصه اياه بفيض الهي تحصل له منه أنواع الكرامات بلا سعي من العبد وذلك مختص بالانبياء أو ببعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين ﴿ويعلمك من تأويل الاحاديث﴾ يعني به تعبير الرؤيا سمي تأويلا لانه يؤل أمره الى ما رأى في منامه يعني يعلمك تأويل أحاديث الناس فيما يرونه في منامهم وكان يوسف عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل أحاديث الانبياء والامم السالفة والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة ﴿ويتم نعمته عليك﴾ يعني بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتبة والمناصب ﴿وعلى آل يعقوب﴾ المراد بآل يعقوب أولاده فانهم كانوا أنبياء وهو المراد من اتمام النعمة عليهم ﴿كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق﴾ بأن جعلهما نبيين وهو المراد من اتمام النعمة عليهما وقيل المراد من اتمام النعمة على ابراهيم صلى الله

على خوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون فى النوم ففرق بينهما بحرفى التأنيث كالقربة والقربى وهى انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها ما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لايكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلله بقوله ﴿ ان الشيطان للانسان عدو مبين ﴾ ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألو جهدا فى

فى اهلاكك فامره بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحى وحق واللام فى فيكيدوا لك كيدا تأكيد للصلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك ﴿ ان الشيطان للانسان عدو مبين ﴾ يعنى انه بين العداوة لان عداوته قديمة فهم ان أقدموا على الكيد كان ذلك مضافا الى تزيين الشيطان ووسوسته (ق) عن أبى قتادة رضى الله عنه قال كنت أرى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله و الرؤيا السوء من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى أحدكم ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لن تضره (خ) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هى من الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان ومن شرها ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه ❊ عن أبى رزين العقيلى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من أربعين ❊ وفى رواية جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وهى على رجل طائر مالم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها الا لبيبا أو حبيبا أخرجه الترمذى ولابى داود نحوه قال الشيخ محي الدين النووى قال المازرى مذهب أهل السنة فى حقيقة الرؤيا ان الله تعالى يخلق فى قلب النائم اعتقادات كما يخلقها فى قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه جعلها علما على أمور أخر يخلقها فى ثانى الحال والجميع خلق الله تعالى ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التى يجعلها علما على ما يسر بغير حضرة الشيطان فاذا خلق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازا وان كان لافعل له فى الحقيقة فهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على أن الشيطان يفعل شيأ والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال

ان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العداوة فيحملهم على الحسد والكيد

(ان الشيطان للانسان) لبنى آدم (عدو مبين) ظاهر العداوة يحملهم على الحسد

(غيره (

والكواكب اخوته قيل الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر وأجريت مجرى العقلاء فى (رأيتهم لى
ساجدين)لانه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت الرؤيا لان الاولى
تتعلق بالذات والثانية بالحال أو الثانية كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن أباه قال له كيف رأيتها فقال رأيتهم لى ساجدين أى متواضعين وهو حال وكان ابن ثنتى عشرة سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه أربعون سنة أو ثمانون (قال يابنى) بالفتح حيث كان حفص (لاتقصص رؤياك)هى بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة وفرق بينهما بحرفى التأنيث كما فى القربة والقربى (على اخوتك فيكيدوا لك)جواب النهى أى ان قصصتها عليهم كادوك عرف يعقوب عليه السلام ان الله يصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه حسد الاخوة وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فيكيدونى لانه ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ فى التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك ألاترى الى تأكيده بالمصدر وهو (كيدا

عن جابر رضى الله عنه ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اخبرنى يا محمد عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك فهل تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى أى والله انها لاسماؤها ﴿ رأيتهم لى ساجدين ﴾ استئناف لبيان حالهم التى رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم ﴿ قال يابنى ﴾ تصغير ابن صغره للشفقة أو لصغر السن لانه كان ابن اثنتى عشرة سنة ، وقرأ حفص هنا وفى الصافات بفتح الياء ﴿ لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ﴾ فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه

رأيتهم لى ساجدين ﴾ معناه قال أهل التفسير رأى يوسف فى منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم فى التأويل اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه فى قول قتادة وقال السدى القمر خالته لان أمه راحيل كانت قد ماتت وقال قتادة وابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثنتى عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين وأراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره وقيل أراد به حقيقة السجود لانه كان فى ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود ، فان قلت ان الكواكب جماد لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل فى قوله رأيتهم ولم يقل رأيتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات ، قلت لما أخبر عنها بفعل من يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمنجمين يزعمون أن الكواكب أحياء نواطق حساسة فيجوز أن يعبر عنها بكناية من يعقل وهذا القول ليس بشئ والاول أصح ، فان قلت قد قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم اعاد لفظ الرؤيا ثانيا فقال رأيتهم لى ساجدين فما فائدة هذا التكرار ، قلت معنى الرؤيا الاولى رأى اجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤيا الثانية انه أخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه انه لما قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر قيل له وكيف رأيت قال رأيتهم لى ساجدين وانما أفرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلهما وشرفهما على سائر الكواكب قال أهل التفسير ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديد الحب ليوسف عليه الصلاة والسلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تأويلها ان اخوته وأبويه يخضعون له فلهذا ﴿ قال ﴾ يعقوب ﴿ يابنى لاتقصص رؤياك على أخوتك ﴾ يعنى لاتخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها ﴿ فيكيدوا لك كيدا ﴾ أى فيحتالوا

رأيتهم لى ساجدين)بقول رأيت الشمس والقمر (قا و خا ٤٨ لث) نزلا من أمكنتهما وسجدا لى سجدة التحية وهما أبواه راحيل ويعقوب (قال) يعقوب ليوسف فى السر (يابنى) اذا رأيت رؤيا بعد هذا (لاتقصص) لاتخبر (رؤياك على اخوتك) لاخوتك (فيكيدوا لك كيدا) فيحتالوا لك حيلة يكون فيها هلاكك

بما أوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب فانك لا تر
اقتصاصه فى كتب الاولين مقاربا لاقتصاصه فى القرآن وان أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص
من الاحاديث وانما كان أحسن لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التى ليست فى غيره والظاهر انه أحسن ما يقتص فى بابه كما يق
فلان أعلم الناس أى فى فنه و اشتقاق القص من قص أثره اذا تبعه لان الذى يقص الحديث

يتبع ما حفظ منه شيأ فشيأ (وان كنت من قبله) الضمير يرجع الى ما أوحينا (لمن الغافلين) عنه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية يعنى وان الشأن والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الجاهلين به (اذ قال) بدل اشتمال من أحسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص أو التقدير اذكر اذ قال (يوسف) اسم عبرانى لا عربى اذ لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف (لابيه) يعقوب (يا أبت) ابت شامى وهى تاء التأنيث عوضت عن ياء الاضافة لتناسبهما لان كل واحدة منهما زائدة فى آخر الاسم ولهذا قلبت هاء فى الوقف وجاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر كما فى رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة ومن فتح التاء فقد حذف الالف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء فى ياغلام (انى رأيت) من الرؤيا لا من الرؤية (أحد عشر كوكبا) أسماؤها ببيان النبى عليه السلام جريان و لذيال
والطارق وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين (والشمس والقمر) هما أبواه أو أبوه وخا

السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر ﴿ وان كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة ﴿ اذ قال يوسف ﴾ بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال أو منصوب باضمار اذكر ويوسف عبرى ولو كان عربيا لصرف ه وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بنى للمفعول أو الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته ﴿ لابيه ﴾ يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وعنه عليه الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ﴿ يا ابت ﴾ اصله يا ابى فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر فى كل القرآن لانها حركة اصلها أو لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض والمعوض ه وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب ﴿ انى رأيت ﴾ من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله هذا تأويل رؤياى من قبل ﴿ احد عشر كوكبا والشمس والقمر ﴾ روى

وان كنت ﴾ أى وقد كنت ﴿ من قبله ﴾ يعنى من قبل وحينا اليك ﴿ لمن الغافلين ﴾ يعنى عن هذه القصة وما فيها من العجائب قال سعد بن أبى وقاص أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فانزل الله عز وجل ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ۞ قوله عز وجل ﴿ اذ قال يوسف لابيه ﴾ أى اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لابيه يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبرى ولذلك لا يجرى فيه الصرف وقيل هو عربى سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف أشد الحزن والاسيف العبد واجتمع فى يوسف فسمى به ﴿ يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر

(وان كنت) وقد كنت (من قبله) من قبل نزول جبريل عليك بالقرآن (لمن الغافلين) عن خبر يوسف واخوته (اذ قال) قد قال (يوسف لابيه يا أبت انى رأيت) فى منام النهار (احد عشر كوكبا) نزلن من أماكنهن وسجدن لى سجدة التحـ
وهم اخوته أحد عشر اخا (والشمس والقمر

﴿ انا انزلناه ﴾ أى الكتاب ﴿ قرآنا عربيا ﴾ سمى البعض قرآنا لانه فى الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا أو حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له أو حال من الضمير فيه أو حال بعد حال وفى كل ذلك خلاف ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ علة لانزاله بهذه الصفة أى انزلناه مجموعا أو مقروا بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لايتصور الا بالايحاء ﴿ نحن نقص عليك احسن القصص ﴾ احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب أو احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا تبعه ﴿ بما اوحينا ﴾ أى بايحائنا ﴿ اليك هذا القرآن ﴾ يعنى

﴿ انا أنزلناه ﴾ يعنى هذا الكتاب ﴿ قرآنا عربيا ﴾ أى أنزلناه بلغتكم لكى تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت اليهود لمشركى مكة سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن أمر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير انا أنزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لانه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلماء هل يمكن أن يقال فى القرآن شئ بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن فى القرآن لسانا غير العربية فقد قال بغير الحق وأعظم على الله القول واحتج بهذه الآية انا انزلناه قرآنا عربيا وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العربية مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لان هؤلاء أعلم من أبى عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية فى الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ يعنى تفهمون أيها العرب لانه نازل بلغتكم * قوله تعالى ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ الاصل فى معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذى يأتى بالخبر على وجهه وأصله فى اللغة من قص الاثر اذا تتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذى يقص الحديث يذكر تلك القصة شيأ فشيأ والمعنى نحن نبين لك يا محمد أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وانما سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التى تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة فى هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما أهل الجنة فى الجنة وقال عطاء لايسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها * وقوله تعالى ﴿ بما اوحينا اليك ﴾ يعنى بايحائنا اليك يا محمد ﴿ هذا القرآن

سف عليه السلام (انا أنزلناه قرآنا عربيا) أى أنزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف عليه السلام فى حال كونه قرآنا عربيا وسمى بعض القرآن قرآنا لانه اسم جنس يقع على كله وبعضه (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (نحن نقص عليك أحسن القصص) نبين لك أحسن البيان والقاص الذى يأتى بالقصة على حقيقتها عن الزجاج وقيل القصص يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا فيكون فعلا بمعنى مفعول كالنقض والحسب فعلى الاول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما اوحينا اليك هذا القرآن) أى بايحائنا اليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه والمخصوص محذوف لان

والهى (انا انزلناه قرآنا عربيا) يقول انا انزلنا جبريل بالقرآن على محمد على مجرى لغة العربية (لعلكم تعقلون) لكى تعقلو [illegible] به وما نهيتم عنه (نحن نقص عليك) نبين لك (احسن القصص) احسن الخبر من أخبار يوسف واخوته (بما اوحينا اليك) بالذى اوحينا اليك جبريل به (هذا القرآن) فى هذا القرآن

عامر وحفص بالتاء هنا وفي آخر النمل ✽ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى

﴿ سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة واحدى عشر ﴾

﴿ قيل الا ثلث آيات من اولها ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الر تلك آيات الكتاب المبين ✽ تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب أي تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز أو الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها انها من عند الله أو لليهود ماسألوا اذروي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا عليه السلام لم انتقل آل يعقوب من الشأم الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت

شيء فيجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود والله أعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام ﴾

وهي مكية باجماعهم وهي مائة واحدى عشرة آية وألف وستمائة كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وستون حرفا قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى وفي سبب نزولها قولان أحدهما روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاه عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى الر تلك آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص القول الثاني رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فانزل الله عز وجل الر تلك آيات الكتاب المبين الآيات الكريمة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

✽ قوله عز وجل ﴿ الر ﴾ تقدم تفسيره في أول سورة يونس عليه الصلاة والسلام ﴿ تلك ﴾ اشارة الى آيات هذه السورة أي تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة المسماة بالر هذه ﴿ آيات الكتاب المبين ﴾ وهو القرآن أي البين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبين بين الله بركته وهداه ورشده فهذا من بان أي ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر وقيل انه يبين فيه قصص الاولين وشرح أحوال المتقدمين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الر تلك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات هذه الصورة والكتاب المبين السورة أي تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في اعجاز العرب أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روي ان علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشأم الى مصر وعن قصة

المعاصي ويقال بتارك عقوبة ماتعملون كما لم يغفل

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها يوسف وهي كلها مكية آياتها مائة واحدى عشرة وكلمها ألف وسبعمائة وست وسبعون وحروفها سبعة آلاف ومائة وست وتسعون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (الر) يقول أنا الله ارى ماتقولون وماتعملون وان ما نقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم هو كلامي (انا) ويقال قسم اقسم به (تلك آيات الكتاب المبين) ان هذه السورة آيات القرآن المبين الحلال والحرام والامر

وجاءك في هـذه الحق) أي في هذه السورة أو في هذه الانباء المقتصة ماهو حـق (وموعظة وذكرى للمؤمنين) يعني تثبيت فؤاده زيادة يقينـه لان تكاثر الادلة أثبت للقلب (وقل للذين لايؤمنون) من أهـل مكة وغـيرهم (اعملوا على مكانتكم) على حالكم وجهتكم التي أنتم عليهـا (انا عاملون) على مكانتنا (وانتظروا) بنـا الدوائر (انا منتظرون) أن ينزل بكم نحوما اقتص الله تعالى من النقم النازلة باشباهكم (ولله غيب السموات والارض) لاتخفى عليـه خافية مما يجرى فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم (واليه يرجع الامر كله) فلابد أن يرجع اليـه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهـم يرجع نافـع وحفص (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وكافلك (ومار بك بغافل عمايعملون) وبالتاء مدني وشامي وحفص أي أنت وهـم على تغليب المخاطب قيل خاتمة التوراة

الاقتصاص نقص عليك مانثبت به فؤادك من انباء الرسل ﴿ وجاءك في هذه ﴾ السورة أو الانباء المقتصة عليك ﴿ الحق ﴾ ماهو حق ﴿ وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ اشارة الى سائر فوائده العامة ﴿ وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم ﴾ على حالكم ﴿ انا عاملون ﴾ على حالنا ﴿ وانتظروا ﴾ بنا الدوائر ﴿ انا منتظرون ﴾ ان ينزل بكم نحو مانزل على امثالكم ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ خاصة لايخفى عليه خافية مما فيهما ﴿ واليه يرجع الامر كله ﴾ فيرجع لامحالة امرهم وامرك اليه * وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد ﴿ ومار بك بغافل عماتعملون ﴾ انت وهم فيجازى كلا مايستحقه * قرأ نافع وابن

يعني من أخبار الرسل وماجرى لهم مع قومهم مانثبت به فؤادك يعني مانقوى به قلبك لتصبر على اذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وأمكنه الصبر عليـه ﴿ وجاءك ﴾ يا محمد ﴿ في هذه الحق ﴾ اختلفوا في هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك في هـذه الدنيا الحق وفيه بعـد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليها وقيل في هذه الآية وقيل في هذه السـورة وهو الاقرب وهو قول الاكثرين * فان قلت قد جاءه الحق في سـور القرآن فلم خص هذه السورة بالذكر * قلت لايلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر أن لايكون قد جاءه الحق في غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها ﴿ وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ أي وهذه السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا أحوال الامم الماضية ومانزل بهم ﴿ وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم ﴾ فيه وعيد وتهديد يعني اعملوا ماأنتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعملوا ماشئتم ﴿ انا عاملون ﴾ يعني ماأمرنا به ربنا ﴿ وانتظروا ﴾ يعني مايعدكم به الشـيطان ﴿ انا منتظرون ﴾ يعني مايحـل بكم من نقمة الله وعذابه اما في الدنيـا واما في الآخرة ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ يعني يعلم ماغاب عن العباد فيهما يعني ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لايخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء ﴿ واليه يرجع الامر كله ﴾ يعني الى الله يرجع أمر الخلق كلهم في الدنيا والآخرة ﴿ فاعبده ﴾ يعني ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لاغيره فاعبده ولاتشتغل بعبادة غيره ﴿ وتوكل عليه ﴾ يعني وثق به في جميع أمورك فانه يكفيك ﴿ ومار بك بغافل عماتعملون ﴾ قال أهل التفسـير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه سبحانه وتعالى يحفظ على العباد أعمالهم لايخفى عليه منها

(وجاءك في هذه) السورة (الحق) خبر الحق (وموعظة) من المعاصي (وذكرى) عظة للمؤمنين (وقـل للـذين لا يؤمنون) بالله وباليوم الآخر وبالملائكة وبالكتب وبالنبيين (اعملوا على مكانتكم) عـلى دينكم في منازلكم بهـلاكي (انا عاملون) في هلاككم (وانتظروا) هلاكي (انا منتظرون) هلاككم (ولله غيـب السمـوات والارض) ماغاب عن العباد (واليه يرجـع الامر) والى الله يرجع أمر العباد (كله) في الآخرة (فاعبده) فاطعه (وتوكل عليـه) به (ومار بك بغافل عماتعملون) من

تجد اثنين يتفقان مطلقا ﴿ الا من رحم ربك ﴾ الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ماهو اصول دين الحق والعمدة فيه ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة أو اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحم ﴿ وتمت كلمة ربك ﴾ وعيده أو قوله للملائكة ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس ﴾ أى من عصاتهما ﴿ اجمعين ﴾ او منهما اجمعين لا من احدهما ﴿ وكلا ﴾ وكل نبأ ﴿ نقص عليك من انباء الرسل ﴾ نخبرك به ﴿ ما نثبت به فؤادك ﴾ بيان لكلا أو بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار أو مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع

الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا أن من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة أخرجه أبو داود * قال الخطابى قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق أمتى فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من أمته وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هى فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ الا من رحم ربك ﴾ يعنى لكن من رحم ربك فمن عليه بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ قال الحسن وعطاء وللاختلاف خلقهم قال أشهب سألت مالك بن أنس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعنى الذين يرحمهم وقال الفراء خلق أهل الرحمة للرحمة وخلق اهل الاختلاف للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل أهل الرحمة للرحمة لئلا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فحاصل الآية ان الله خلق اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرحمة وهم أهل الاتفاق ومصيرهم الى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى ﴿ وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ﴾ وهذا صريح بان الله سبحانه وتعالى خلق أقواما للجنة وللرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال أهل الجنة وخلق أقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من أنباء الرسل

الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) أى ولما هم عليه من الاختلاف فعندنا خلقهم للذى علم انهم يصيرون اليه من اختلاف أو اتفاق ولم يخلقهم لغير الذى علم انهم يصيرون اليه كذا فى شرح التأويلات (وتمت كلمة ربك) وهى قوله للملائكة (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التنوين فيه عوض من المضاف اليه كأنه قيل وكل نبأ وهو منصوب بقوله (نقص عليك) وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل وقوله (ما نثبت به فؤادك) بدل من كلا

(الا من رحم) عصم (ربك) من الباطل والاديان المختلفة وهم المؤمنون (ولذلك خلقهم) للرحمة خلق أهل الرحمة وللاختلاف خلق أهل الاختلاف (وتمت كلمة ربك) وجب قول ربك (لأملأن جهنم من الجنة والناس) من كفار الجن والانس (أجمعين وكلا نقص عليك) كما بينت لك (من انباء الرسل) من أخبار الرسل (ما نثبت به فؤادك) لكى نطيب به قلبك أنه قد فعل بغيرك من الامم مافعل بك

(يعنى)

(واتبع الذين ظلموا) أي التاركون للنهي عن المنكر وهو عطف على مضمر أي الاقليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا (ما ترفوا فيه) أي اتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ورفضوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم (وكانوا مجرمين) اعتراض وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون (وما كان ربك ليهلك القرى) اللام لتأكيد النفي (بظلم) حال من الفاعل أي لا يصح أن يهلك الله القرى ظالما لها (وأهلها) قوم (مصلحون) تنزيها لذاته عن الظلم وقيل الظلم الشرك أي لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون في المعاملات فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا آخر (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أي متفقين على الايمان والطاعات عن الاختيار ولكن لم يشأ ذلك وقالت المعتزلة هي مشيئة قسر وذلك رافع للابتلاء فلا يجوز (ولا يزالون مختلفين) في الكفر والايمان أي ولكن شاء ان يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار

﴿ واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه ﴾ اى ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك ﴿ وكانوا مجرمين ﴾ كافرين كأنه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهى عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع معطوف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع أو اعتراض * وقرئ واتبع أى واتبعوا جزاء ما اترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم ﴾ بشرك ﴿ واهلها مصلحون ﴾ فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته فى حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ﴾ مسلمين كلهم وهود ليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد

﴿ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه ﴾ يعنى واتبع الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى ما تنعموا فيه والترف التنعم والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم وايثار اللذات على الآخرة ونعيمها ﴿ وكانوا مجرمين ﴾ يعنى كافرين ﴿ وما كان ربك ﴾ يعنى وما كان ربك يا محمد ﴿ ليهلك القرى بظلم ﴾ يعنى لا يهلكهم بظلم منه ﴿ وأهلها مصلحون ﴾ يعنى فى أعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات وقيل فى معنى الآية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين يعنى يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستئصال فى الدنيا أما عذاب الآخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقهاء ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على التضييق والتشديد * قوله عز وجل ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴾ يعنى كلهم على دين واحد وشريعة واحدة ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ يعنى على أديان شتى ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك ومسلم فكل أهل دين من هذه الاديان قد اختلفوا فى دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضبط * عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفترق اليهود على احدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبو داود والترمذى بنحوه * عن معاوية رضى الله عنه قال قام فينا رسول

(واتبع الذين ظلموا) اشتغل الذين اشركوا (ما أترفوا فيه) بما نعموا فيه فى الدنيا من المال (وكانوا مجرمين) مشركين (وما كان ربك ليهلك) أهل (القرى بظلم) منهم (وأهلها مصلحون) فيها من [illegible] بالمعروف وينهى عن المنكر ويقال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه وأهلها مصلحون مقيمون على الطاعة مستمسكون بها (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) لجمعهم على ملة واحدة ملة الاسلام (ولا يزالون) ولكن لا يزالون (مختلفين) فى الدين والباطل

(ذلك) اشارة الى فاستقم فما بعده والقرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين نزلت في عمرو بن غزية الانصارى بائع التمر قال لامرأة في البيت تمر اجود فدخلت فقبلها فندم فجاء حاكيا فنزلت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هى كفارة ألك فقيل أله خاصة بل للناس عامة (واصبر) على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شئ منه الا به (فان الله لايضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتمل على جميع الاوامر والنواهى من قوله فاستقم الى قوله فاصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون من قبلكم) فهلا كان وهو موضوع للتحضيض وخصوص بالفعل (أولوا بقية) أولو فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى ممايخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا (ينهون عن الفساد في الارض) عجب محمد عليه السلام وأمته ان لم يكن في الامم التى ذكر الله اهلاكهم في هذه السورة جماعة من أولى العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصى (الا قليلا ممن انجينا منهم) استثناء منقطع أى ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى ومن في ممن أنجينا للبيان لا للتبعيض لان النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله أنجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا

عليه وسلم فقال انى قد اصبت من امرأة غير انى لم آتها فنزلت ﴿ذلك﴾ اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن ﴿ذكرى للذاكرين﴾ عظة للمتعظين ﴿واصبر﴾ على الطاعات وعن المعاصى ﴿فان الله لايضيع اجر المحسنين﴾ عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلاة والصبر احسان وايماء بانه لايعتد بهما دون الاخلاص ﴿فلولا كان﴾ فهلا كان ﴿من القرون من قبلكم اولوا بقية﴾ من الرأى والعقل أو أولو فضل وانما سمى بقية لان الرجل يستبقى افضل مايخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية أى ذووا بقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهى المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ﴿ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم﴾ لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولايصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفى اللازم للتحضيض

أكبر والقول الاول أصح انها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدى الروايتين عنه وكعب القرظى والضحاك وجمهور المفسرين ﴿ذلك﴾ اشارة الى ماتقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن ﴿ذكرى للذاكرين﴾ يعنى عظة للمؤمنين المطيعين ﴿واصبر﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى واصبر يامحمد على أذى قومك وماتلقاه منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة ﴿فان الله لايضيع أجر المحسنين﴾ يعنى أعمالهم قال ابن عباس يعنى المصلين * قوله سبحانه وتعالى ﴿فلولا كان من القرون﴾ يعنى فهلا كان من القرون التى أهلكناهم ﴿من قبلكم﴾ يعنى ياأمة محمد ﴿أولوا بقية﴾ يعنى أولو تمييز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه أولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة ﴿ينهون عن الفساد في الارض﴾ يعنى يقومون بالنهى عن الفساد في الارض والآية للتقريع والتوبيخ يعنى لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد في الارض فلذلك اهلكناهم ﴿الا قليلا﴾ هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا ﴿ممن أنجينا منهم﴾ يعنى من آمن من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد في الارض

(ذلك ذكرى للذاكرين) توبة للتائبين ويقال كفارات لذنوب التائبين نزلت في شأن رجل تمار يقال له أبو اليسر بن عمرو (واصبر) يامحمد على ماأمرت وعلى أذاهم (فان الله لايضيع) لايبطل (أجر المحسنين) ثواب المؤمنين المحسنين بالقول والفعل (فلولا كان من القرون) يقول لم يكن من القرون الماضية (من قبلكم أولوا بقية) من المؤمنين (ينهون عن الفساد في الارض) عن الكفر والشرك وعبادة الاوثان وسائر المعاصى (الا قليلا ممن انجينا منهم) من المؤمنين

مضاف اليه ﴿ وزلفامن الليل ﴾ وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذاقربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانهااقرب الصلاة من اول النهار وصلاة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان مابعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء ٭وقرئ زلفابضمتين وضمة وسكون كبسروبسرفى بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ﴿ ان الحسنات يذهبن السيئآت ﴾ يكفرنها وفى الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة مابينهما مااجتنبت الكبائر ٭وفى سبب النزول ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى

ليس بمتصل لان عبدالرحمن بن أبى ليلى لم يسمع من معاذ ٭أماالتفسير فقوله سبحانه وتعالى وأقم الصلوة طرفى النهار يعنى صلاة الغداة والعشى وقال مجاهد طرفى النهار يعنى صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل يعنى صلاة المغرب والعشاء وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعنى صلاة العشاء وقال الحسن طرفى النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفى النهار الغداة والعشى يعنى صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازى كثرت المذاهب فى تفسير طرفى النهار والاشهر أن الصلاة التى فى طرفى النهار هى الفجر والعصر وذلك لان أحد طرفى النهار هو طلوع الشمس والثانى هو غروبها فالطرف الاول هو صلاة الفجر والطرف الثانى لايجوز أن يكون صلاة المغرب لانها داخلة تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثانى على صلاة العصر ﴿ وزلفا من الليل ﴾ يعنى واقم الصلاة فى زلف من الليل وهى ساعاته واحدتها زلفة وأصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء ﴿ ان الحسنات يذهبن السيئآت ﴾ يعنى ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن ٭زادفى رواية مالم تغش الكبائر ٭وزادفى رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر (ق) عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرأيتم لوأن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شئ قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا (خ) عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن ومايبقى من الدرن قال العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر ٭وأما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الاالتوبة النصوح ولها ثلاث شرائط ٭ الشرط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلية ٭الثانى الندم على فعله ٭الثالث العزم التام أن لايعود اليه فى المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى وقال مجاهد فى تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله

(وزلفامن الليل) وساعات من الليل جمع زلفة وهى ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه اذا قربه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان مابعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه (ان الحسنات يذهبن السيآت) ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفى الحديث ان الصلوات الخمس تكفرمابينهامن الذنوب أو الطاعات قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها أو سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله اكبر

(وزلفامن الليل) دخول الليل صلاة المغرب والعشاء (ان الحسنات) الصلوات الخمس (يذهبن السيآت) يكفرن السيآت دون الكبائر ويقال سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله أكبر

نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التى هى العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفى افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه أو غيره بل ظلم فى نفسه * وقرئ تركنوا فتمسكم النار بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه ﴿ ومالكم من دون الله من اولياء ﴾ من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ﴿ ثم لاتنصرون ﴾ أى ثم لاينصركم الله اذ سبق فى حكمه ان يعذبكم ولايبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لايقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لاينصرون اصلا ﴿ واقم الصلوة طرفى النهار ﴾ غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه

فتصيبكم النار بحرها ﴿ ومالكم من دون الله من أولياء ﴾ يعنى أعوانا وأنصارا يمنعونكم من عذابه ﴿ ثم لاتنصرون ﴾ يعنى ثم لاتجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله غدا فى القيامة ففيه وعيد لمن ركن الى الظلمة أو رضى باعمالهم أو أحبهم فكيف حال الظلمة فى انفسهم نعوذ بالله من الظلم * قوله عز وجل ﴿ وأقم الصلوة طرفى النهار ﴾ سبب نزول هذه الآية مارواه الترمذى عن أبى اليسر قال أتتنى امرأة تبتاع تمرا فقلت ان فى البيت تمرا هو أطيب منه فدخلت معى البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت أبابكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولاتخبر أحدا فلم أصبر فاتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولاتخبر أحدا فلم أصبر فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أخلفت غازيا فى سبيل الله فى أهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار قال وأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى أوحى الله اليه وأقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال أبو اليسر فاتيته فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحابه يارسول الله ألهذا خاصة أم للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذى هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وأبو اليسر هو كعب بن عمرو ﴿ق﴾ عن عبد الله ابن مسعود ان رجلا أصاب من امرأة قبلة فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت وأقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل الآية فقال الرجل يارسول الله ألى هذه الآية قال لمن عمل بها من أمتى * وفى رواية فقال رجل من القوم يانبى الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة * عن معاذ بن جبل قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله أرأيت رجلا لقى امرأة وليس بينهما معرفة فليس يأتى الرجل الى امرأته شيأ الا قد أتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل وأقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين فامره النبى صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ ويصلى قال معاذ فقلت يارسول الله أهى له خاصة أم للمؤمنين عامة فقال بل للمؤمنين عامة أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث

على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقيل لا فقيل له يموت قال دعه يموت (وما لكم من دون الله من أولياء) حال من قوله فتمسكم النار أى فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة ومعناه ومالكم من دون الله من أولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولايقدر على منعكم منه غيره (ثم لاتنصرون) ثم لاينصركم هو لانه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد أى النصرة من الله مستبعدة (وأقم الصلوة طرفى النهار) غدوة وعشية

(ومالكم من دون الله) من عذاب الله (من اولياء) من اقرباء تحفظكم من عذاب الله (ثم لاتنصرون) لاتمنعون مما يراد بكم (واقم الصلوة) اتم الصلاة (طرفى النهار) صلاة الغداة والظهر ويقال صلاة الغداة والظهر والعصر

﴿ ليس ﴾

نها (ومن تاب معـك) معطوف على المستتر فى استقم وجاز للفاصل يعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله
خلصا(ولاتطغوا) ولا تخرجوا عن حدود الله تعملون بصير)فهو مجازيكم

والاعمال من تبليغ الوحى وبيان الشرائع كما أنزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهى فى غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتنى سورة هود ﴿ ومن تاب معك ﴾ أى ومن تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن فى استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ﴿ ولاتطغوا ﴾ ولاتخرجوا عما حد لكم ﴿ انه بما تعملون بصير ﴾ فهو مجازيكم عليه وهو فى معنى التعليل للامر والنهى * وفى الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ﴿ ولاتركنوا الى الذين ظلموا ﴾ ولاتميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيى بزيهم وتعظيم ذكرهم ﴿ فتمسكم النار ﴾ بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين أى الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم

النبى صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى آتيك أى دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيك ﴿ ومن تاب معك ﴾ يعنى ومن آمن معك من أمتك فليستقيموا أيضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهى ولاتروغ منه روغان الثعلب (م) عن سفيان بن عبدالله الثقفى قال قلت يارسول الله قل لى فى الاسلام قولا لاأسأل عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم ﴿ ولاتطغوا ﴾ يعنى ولاتجاوزوا أمرى الى غيره ولاتعصونى وقيل معناه ولاتغلوا فى الدين فتجاوزوا ما أمرتكم عنه ﴿ انه بما تعملون بصير ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عالم باعمالكم لايخفى عليه شئ منها قال ابن عباس مانزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هى أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبتنى هود وأخواتها (خ) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الاغلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة * قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر وأراد به التسهيل فى الدين وترك التشدد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فلن يغالب ولن يقاوى فسددوا أى اقصدوا السداد من الامور وهو الصواب وقاربوا أى أطلبوا المقاربة وهى القصد الذى لاغلو فيه ولاتقصير والغدوة الرواح بكرة والروحة الرجوع عشيا والمراد منه اعملوا أطراف النهار وقتاوقتا والدلجة سير الليل والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل أيضا وقوله شئ من الدلجة اشارة الى تقليله * وقوله تعالى ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا ﴾ قال ابن عباس ولاتميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال أبو العالية لاترضوا باعمالهم وقال السدى لاتداهنوا الظلمة وعن عكرمة لاتطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا ﴿ فتمسكم النار ﴾ يعنى

فاتقوه قيل مانزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كانت أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتنى هود (ولاتركنوا الى الذين ظلموا) ولاتميلوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لاتباع الكفرة أى لاتركنوا الى القادة والكبراء فى ظلمهم وفيما يدعونكم اليه (فتمسكم النار) وقيل الركون اليهم الرضا بكفرهم وقال قتادة ولاتلحقوا بالمشركين وعن الموفق انه صلى خلف الامام فلما قرأ هذه الآية غشى عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لائين ولاتطغوا ولاتركنوا وقال سفيان فى جهنم واد لايسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعى مامن شئ أبغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف

(ومن تاب معك)من الكفر

شرك أيضا فليستقم معك(ولاتطغوا)لاتكفروا ولاتعصوا بما فى القرآن من الحلال والحرام (انه بما تعملون) من الخير
الشر(بصير ولاتركنوا)لاتميلوا(الى الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصى (فتمسكم) فتصيبكم (النار) كما تصيبهم

لايعاجلهم بالعذاب (لقضى بينهم) بين قوم موسى أو قومك بالعذاب المستأصل (وانهم لفي شك منه) من القرآن أو من العذاب (مريب) من أراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي (وان كلا) التنوين عوض عن المضاف اليه يعني وان كلهم أي وان جميع المختلفين فيه وان مشددة (لما) مخففة بصري وعلى ما مزيدة جيء بها للفصل بين لام ان ولام (ليوفينهم) وهو جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) أي جزاء أعمالهم من ايمان وجحود وحسن وقبيح بعكس الاولى أبو بكر مخففتان مكي ونافع على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل ولان ان تشبه يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبه به مشددتان غيرهم وهو مشكل وأحسن ماقيل فيه انه من لممت الشيء جمعته لما ثم وقف فصار لما ثم أجرى الوصل مجرى الوقف وجاز أن يكون مثل الدعوى والثروى ومافيه ألف التأنيث من المصادر وقرأ الزهري وان كلا لما بالتنوين كقوله أكلا لما وهو يؤيد ماذكرنا والمعنى وان كلا ملمومين أي مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وقال صاحب الايجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل في الكلام اختصارا كأنه قيل وان كلا لما بعثوا ليوفينهم ربك أعمالهم وقال الكسائي ليس لي بتشديد لما علم (انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها غير عادل

الانظار الى يوم القيامة ﴿ لقضى بينهم ﴾ بانزال مايستحقه المبطل ليتميز به عن المحق ﴿ وانهم ﴾ وان كفار قومك ﴿ لفي شك منه ﴾ من القرآن ﴿ مريب ﴾ موقع للريبة ﴿ وان كلا ﴾ وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه * وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل ﴿ لما ليوفينهم ربك اعمالهم ﴾ اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس وما مزيد للفصل بينهما * وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اى جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به ﴿ انه بما يعملون خبير ﴾ فلا يفوت عنه شيء منه وان خفي ﴿ فاستقم كما امرت ﴾ لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين

يعني بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى ﴿ لقضى بينهم ﴾ يعني لعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم ﴿ وانهم لفي شك منه ﴾ يعني من القرآن ونزوله عليك يا محمد ﴿ مريب ﴾ يعني انهم قد وقعوا في الريب والتهمة ﴿ وان كلا ﴾ يعني من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب ﴿ لما ليوفينهم ربك أعمالهم ﴾ اللام لام القسم تقديره والله لنوفينهم جزاء أعمالهم في القيامة فيجازي المصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه النار ﴿ انه بما يعملون خبير ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى لايخفى عليه شيء من أعمال عباده وان دقت ففيه وعد للمحسنين المصدقين وفيه وعيد وتهديد للمكذبين الكافرين * قوله سبحانه وتعالى ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما أمرك ربك والامر في فاستقم للتأكيد لان

أمتك (لقضى بينهم) لفرغ من هلاكهم وجاءهم العذاب (وانهم لفي شك منه مريب) ظاهر الشك (وان كلا) كلا الفريقين (لما ليوفينهم) يقول يوفرهم (ربك أعمالهم) ثواب أعمالهم بالحسن حسنا وبالسيء سيئا (انه بما يعملون) من الخير والشر والثواب والعقاب (خبير فاستقم) على طاعة الله (كما أمرت) في القرآن

بان الثوب لاينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء فى الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب فى التأبيد ، وقرأ حمزة والكسائى وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد أى اعطوا عطاء أو الحال من الجنة ﴿ فلاتك فى مرية ﴾ شك بعدما انزل عليك من مآل امر الناس ﴿ مما يعبد هؤلاء ﴾ من عبادة هؤلاء المشركين فى انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم أو من حال مايعبدونه فى انه يضر ولا ينفع ﴿ مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل ﴾ استئناف معناه تعليل النهى عن المرية أى هم وآباؤهم سواء فى الشرك أى مايعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم أو مايعبدون شيأ الامثل ماعبدوه من الاوثان وقد بلغك مالحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل فى الاسباب يقتضى التماثل فى المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه ﴿ وانالموفوهم نصيبهم ﴾ حظهم من العذاب كآبائهم أو من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام مايوجبه ﴿ غير منقوص ﴾ حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ﴾ فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء فى القرآن ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ يعنى كلمة

يعنى غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بالذى يشاء لاهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذى يشاء لاهل النار وروى عن ابن مسعود أنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا وعن أبى هريرة نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود وأبى هريرة فمحمول عند أهل السنة على اخلاء أماكن المؤمنين الذين استحقوا النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها أو يكون محمولا على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله اعلم ۞ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فلاتك فى مرية مما يعبد هؤلاء ﴾ يعنى فلاتك فى شك يا محمد فى هذه الاصنام التى يعبدها هؤلاء الكفار فانها لاتضر ولاتنفع ﴿ مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل ﴾ يعنى انه ليس لهم فى عبادة هذه الاصنام مستند الا أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم ﴿ وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ﴾ يعنى وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذى قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل أن يكون المراد من توفية نصيبهم يعنى من العذاب الذى قدر لهم فى الآخرة كاملا موفرا غير ناقص ۞ قوله عزوجل ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ يعنى التوراة ﴿ فاختلف فيه ﴾ يعنى فى الكتاب فمنهم مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقرآن ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾

عبادتهم لما اصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال (مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يريد أن حالهم فى الشرك مثل حال آبائهم وقد بلغك مانزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهى عن المرية وما فى مما وكما مصدرية أو موصولة أى من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون من الاوثان ومثل مايعبدون منها (وانالموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم (غير منقوص) حال من نصيبهم أى كاملا (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف فى القرآن وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) انه

(فلاتك فى مرية) فى شك (مما يعبد هؤلاء) أهل مكة (مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) من قبلهم وهلكوا على ذلك (وانالموفوهم نصيبهم) عقوبتهم

(غير منقوص) ويقال نزلت هذه الآية وانالموفوهم نصيبهم غير منقوص فى القدرية (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة (فاختلف فيه) فى كتاب موسى آمن به بعض وكفر به بعض (ولولا كلمة سبقت) وجبت (من ربك) بتأخير العذاب عن

(ان ربك فعال لما يريد) بالشقي والسعيد (و أما الذين سعدوا) سعدوا حمزة وعلي وحفص سعد لازم وسعده يسعده متعد
(ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك) هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن لهم
سوى الجنة ما هو أكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه أو معناه الا من

﴿ان ربك فعال لما [illegible] من غير اعتراض ﴾ واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ غير مقطوع وهو تصريح

دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الآية فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك أن يخرجهم منها فيدخلهم الجنة ﴿ ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ﴾ أن يدخله النار اولاثم يخرجه منها فيدخله الجنة فحاصل هذا القول ان الاستثنائين يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة سعداء أصابوا ذنوبا استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لان اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها أبدا وقيل ان الاستثنائين يرجعان الى الفريقين السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ و هو مابين الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه الا ماشاء ربك سوى ماشاء ربك فيكون المعنى خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك من الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان على ألف الا ألفين أي سوى ألفين وقيل الا بمعنى الواو يعنى وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو كقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أي ولا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لأخرجهم منها و لكنه لم يشأ لانه حكم لهم بالخلود فيها قال الفراء هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله كقولك والله لأضربنك الا أن أرى غير ذلك وعزمه أن يضربه فهذه الاقوال في معنى الاستثناء ترجع الى الفريقين والصحيح هو القول الاول ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ان ربك فعال لما يريد يعنى من اخراج من أراد من النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجمال في حال الفريقين فاما على التفصيل فقوله الا ماشاء ربك في جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقريره ان يفيد حصول الزفير والشهيق مع خلود لانه اذا دخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعنى الا ماشاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول في جانب الاشقياء معناه الا ماشاء ربك من أن يخرجهم من حر النار الى البرد والزمهرير وفي جانب السعداء معناه الا ماشاء ربك أن يرفع بعضهم الى منازل أعلى منازل الجنان ودرجاتها والقول الاول هو المختار ويدل على خلود أهل الجنة في الجنة ان الامة مجتمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها ﴾ وقوله سبحانه وتعالى في جانب السعداء ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾

شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاستثناء في الآيتين لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار خلود في النار حيث يخرج منها ولا يكون له أيضا خلود في الجنة لانه لم يدخل الجنة ابتداء والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا الاحاديث المروية في هذا الباب وكفى به اثما مبينا (عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم أجر

([illegible]) يريد (وأما الذين سعدوا) كتب لهم السعادة (ففي الجنة خالدين فيها) دائمين في الجنة (مادامت السموات والارض) كدوام السموات والارض منذ خلقتا (الا ماشاء ربك) وقد شاء ربك أن يحوله من السعادة الى الشقاوة لقوله يمحو الله مايشاء من السعادة الى [illegible]

دائمين مادامت السموات والارض سماء الجنة وأرض الجنة الا ماشاء ربك أن يعذبه في النار قبل أن يدخله ﴿ يعنى ﴾ الجنة ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة فيكون بعد ذلك دائما في الجنة (عطاء) ثوابا لهم (غير مجذوذ) غير منقوص وغير مقطوع

سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لابد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لايعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدى له التشبيه ﴿ الاماشاء ربك ﴾ استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهو المراد بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط من حيث التقسيم لانفصال حقيقى أو مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لايخرجون عن القسمين وان حالهم لايخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لايمنع اجتماع الامرين فى شخص باعتبارين أولان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه اومن اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم فى الموقف للحساب لان ظاهره يقتضى ان يكونوا فى النار حين يأتى اليوم أومدة لبثهم فى الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ماعرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الاههنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ماشاء ربك من الزيادة التى لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض

ما استقر عليه قدمك فهو أرض وقال أهل المعانى هذه عبارة عن التأبيد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لاآتيك مادامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التأبيد ❊ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ الاماشاء ربك ﴾ اختلف العلماء فى معنى هذين الاستثنائين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الاول المذكور فى أهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء فى الحقيقة استثناهم الله تعالى من الاشقياء ❊ ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة ❊ وفى رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة أخرجه البخارى ومسلم ❊ عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعدما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين ❊ وفى رواية ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة لهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته فيقال لهم الجهنميون (خ) عن عمران بن حصين رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين وأما الاستثناء الثانى المذكور فى أهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هؤلاء فى النار قبل

التأبيد (الاماشاء ربك) هو استثناء من الخلود فى عذاب النار وذلك لان أهل النار لايخلدون فى عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار أو ماشاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من أهل الجنة أيضا لمفارقتهم اياها بكونهم فى النار أياما فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأبيد ولا سعدوا سعادة من لاتمسه النار وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضى الله عنهم

خلقت الى ان تفنى (الاماشاء ربك) وقد شاء ربك أن يخلدوا فى النار ويقال يخلد من كتب عليه الشقاوة مادامت السموات والارض وبنو آدم الا ماشاء ربك أن يحوله من الشقاوة الى السعادة بقوله يمحو الله مايشاء ويثبت ويقال يكونون دائمين فى النار مادامت السموات والارض سماء النار وأرض النار الاماشاء ربك أن يخرجهم من أهل التوحيد من كانت شقاوته بذنب دون الكفر فيدخله الجنة بايمانه خالصا

وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لاتكلم نفس أوللناس ﴿ فأماالذين شقوافى النارلهم فيهازفيروشهيق ﴾ الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى اول النهيق وآخره والمرادبهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه و نحصرفيه روحه أوتشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم ﴿ خالدين فيها مادامت السموات والارض ﴾ ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامهمافان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل للتعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولوكان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولامن دوامهما دوامه الامن قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقدعرفت ان المفهوم لايقاوم المنطوق وقيل المراد

وهى الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقى من سبقت له الشقاوة فى الازل والسعيد من سبقت له السعادة فى الازل (ق) عن على بن أبى طالب قال كنا فى جنازة فى بقيع الفرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال مامنكم من أحد الاوقدكتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أمامن كان من أهل السعادة فسيصير لعمل أهل السعادة وأمامن كان من أهل الشقاوة فسيصير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الآية بقيع الفرقد هو مقبرة أهل المدينة الشريفة و مدفنهم والمخصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده الانسان والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشئ بتلك المخصرة أوباليد ونحو ذلك حتى يؤثر فيه واستدل بعض العلماء بهذه الآية وهذا الحديث على ان أهل الموقف قسمان شقى وسعيد لاثالث لهما وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقى قسم آخر مسكوت عنه وهو من استوت حسناته وسيآته وهم أصحاب الاعراف فى قول والاطفال والمجانين الذين لاحسنات لهم ولاسيآت فهؤلاء مسكوت عنهم فهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيامة يحكم فيهم بما يشاء و تخصيص هذين القسمين بالذكر لايدل على نفى القسم الثالث ﴿ فأماالذين شقوا ففى النار لهم فيها ﴾ أى فى النار من العذاب والهوان ﴿ زفير وشهيق ﴾ أصل الزفير ترديد النفس فى الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق ردالنفس الى الصدر أوالزفير مده واخراجه من الصدر و قال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك و مقاتل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره اذا رده الى صدره وقال أبو العالية الزفير فى الحلق والشهيق فى الجوف ﴿ خالدين فيها ﴾ يعنى لابثين مقيمين فى النار ﴿ مادامت السموات والارض ﴾ قال الضحاك يعنى مادامت سموات الجنة والنار وأرضهما ولابدلاهل الجنة وأهل النار من سماء تظلهم وأرض تقلهم فكل ماعلاك فاظلك فهوسماء وكل

(وشهيق) هو آخره ... فيها الاستقرار الذى فى النار (خالدين فيها) حال مقدرة (ما دامت السموات والارض) فى موضع النصب أى مدة دوام السموات والارض والمراد سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وأرضا قوله يوم تبدل الارض غيرالارض والسموات وقيل مادام فوق وتحت ولانه لابد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اماسماء أوعرش وكل ما أظلك فهوسماء أوهوعبارة عن التأبيد ونفى الانقطاع كقول العرب مالاح كوكب وغير ذلك من كلمات

(فامالذين شقوا) كتب عليهم الشقاوة (ففى النار لهم فيهازفير) صوت كزفير الحمار فى صدره وهو أول نهيقه (وشهيق) كشهيق الحمار فى حلقه وهو آخر ما يفرغ من نهيقه (خالدين فيها) ماكثين فى النار (مادامت السموات والارض) كدوام السموات والارض منذ

مع له الناس وإيثار اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى الجمع لليوم وانه أثبت أيضا لاسناده الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب (وذلك يوم مشهود) أي مشهود فيه فاتسع في الظرف اجراء له مجرى المفعول به أي [illegible] لا يغيب عنه أحد (و [illegible]

﴿ وذلك يوم مشهود ﴾ أي مشهود فيه أهل السموات والأرضين فاتسع فيه [illegible] مجرى المفعول به كقوله

في محفل من نواصي الناس مشهود

اى كثر شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك ﴿ وما نؤخره ﴾ أي اليوم ﴿ الا لأجل معدود ﴾ الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالأجل لا منتهاها فانه غير معدود ﴿ يوم يأتي ﴾ أي الجزاء أو اليوم لقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين أو الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه ٠ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة ﴿ لا تكلم نفس ﴾ لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه اكتفاء باضمار اذكر أو بالانتهاء المحذوف ﴿ الا باذنه ﴾ الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر أو المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة ﴿ فمنهم شقي ﴾ وجبت له النار بمقتضى الوعيد ﴿ وسعيد ﴾ وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف

تجمع فيه الخلائق من الاولين والآخرين للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين ﴿ وذلك يوم مشهود ﴾ يعني يشهده أهل السماء وأهل الارض ﴿ وما نؤخره الا لأجل معدود ﴾ يعني وما نؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت لا يعلمه أحد الا الله تعالى ﴿ يوم يأت ﴾ يعني ذلك اليوم ﴿ لا تكلم نفس الا باذنه ﴾ قيل ان جميع الخلائق يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم أحد فيه الا باذن الله تعالى ٠ فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه وتعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله اخبارا عن محاجة الكفار والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار أيضا تدل على الكلام في ذلك اليوم ٠ قلت يوم القيامة يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه أهوال عظيمة ففي بعض الاحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الاهوال وفي بعض الاحوال يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها تخف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من قوله لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس شيأ الا أن يأذن الله لها في الشفاعة ﴿ فمنهم ﴾ يعني فمن أهل الموقف ﴿ شقي وسعيد ﴾ الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة اخروية وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين أيضا شقاوة دنيوية وشقاوة أخروية

أي اليوم المذكور (الا لأجل معدود) الاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لانتهاء [illegible] ممدودة بحذف المضاف أو ما نؤخر هذا اليوم الا لتنتهي المدة التي ضربناها لبقاء الدنيا (يوم يأت) وبالياء مكي ووافقه أبو عمرو ونافع وعلي في الوصل واثبات الياء هو الاصل اذ لا علة توجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يأت ضمير يرجع الى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف الى يأت ويوم منصوب باذكر أو بقوله (لا تكلم) أي لا تتكلم (نفس الا باذنه) أي لا يشفع أحد الا باذن الله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه (فمنهم) الضمير لاهل الموقف لدلالة لا تكلم نفس عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس (شقي) معذب (وسعيد)

الاولون والآخرون (وذلك يوم مشهود) يشهده أهل السماء وأهل الارض (وما نؤخره) يعني ذلك اليوم (قا وخا ٤٦ لث) (الا لأجل معدود) الى وقت معلوم (يوم يأت) ذلك اليوم (لا تكلم نفس) لا تشفع نفس صالحة لا حد (الا باذنه) بأمره (فمنهم) من الناس يومئذ (شقي) قد كتب عليه الشقاوة (وسعيد) قد كتب له السعادة

مابه هلكوا (فما اغنت عنهم آلهتهم) فما قدرت أن تردعنهم بأس الله (التي يدعون) يعبدون و هي حكاية حال ماضية (من دون الله
من شئ لما جاء أمر ربك) عذابه و لما منصوب بما أغنت (ومازادهم وغير تتبيب) تخسير يقال تب اذا خسر و تببه غيره أوقعه في
الخسران يعني وما أفادتهم

شيأ بل اهلكتهم (وكذلك) محل الكاف الرفع أي ومثل ذلك الاخذ (أخذ ربك اذا أخذ القرى) أي أهلها (وهي ظالمة) حال من القرى (ان أخذه أليم شديد) مؤلم شديد صعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل ظالم ان يبادر التوبة ولا يغتر بالامهال (ان في ذلك) فيما قص الله من قصص الامم الهالكة (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) أي اعتقد صحته ووجوده (ذلك) اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) وهو مرفوع بمجموع كما يرفع فعله اذا قلت

عن ضوها له بارتكاب مايوجبه ﴿ فما اغنت عنهم ﴾ فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم بل ضرتهم ﴿ آلهتهم التي يدعون من دون الله من شئ لما جاء امر ربك ﴾ حين جاءهم عذابه ونقمته ﴿ ومازادوهم غير تتبيب ﴾ هلاك أو تخسير ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك الاخذ ﴿ اخذ ربك ﴾ وقرئ اخذ ربك بالفعل فعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر ﴿ اذا اخذ القرى ﴾ اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضى ﴿ وهي ظالمة ﴾ حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ﴿ ان اخذه اليم شديد ﴾ وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير ﴿ ان في ذلك ﴾ أى فيما نزل بالامم الهالكة أو فيما قصه الله من قصصهم ﴿ لآية ﴾ لعبرة ﴿ لمن خاف عذاب الآخرة ﴾ يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعده الله للمجرمين في الآخرة أو ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه ﴿ يوم مجموع له الناس ﴾ أى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله م ويجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة

﴿ فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شئ لما جاء امر ربك ﴾ يعني بعذابهم أي لم تنفعهم أصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب ﴿ ومازادوهم غير تتبيب ﴾ يعني غير تخسير وقيل غير تدمير ﴿ وكذلك أخذ ربك ﴾ يعني وهكذا أخذ ربك ﴿ اذا أخذ القرى وهي ظالمة ﴾ الضمير في وهي عائد على القرى والمراد أهلها ﴿ ان أخذه أليم شديد ﴾ (ق) عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد فالآية الكريمة والحديث دليل على ان من أقدم على ظلم فانه يجب أن يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى أهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية حكمها مختص بظالمي الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث والله اعلم ﴿ قوله عز وجل ﴿ ان في ذلك لآية ﴾ يعني ماذكر من عذب الامم الخالية واهلاكهم لعبرة وموعظة ﴿ لمن خاف عذاب الآخرة ﴾ يعني ان اهلاك أولئك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الآخرة لانه اذا نظر ما أحل الله باولئك الكفار في الدنيا من أليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما أعد لهم في الآخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس ﴾ يعني يوم القيامة

(فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون) يعبدون (من دون الله) من عذاب الله من شئ (لما جاء امر ربك) حين جاء عذاب ربك ومازادوهم) عبادة الاوثان (غير تتبيب) غير تخسير (وكذلك اخذ ربك) عذاب ربك (اذا اخذ القرى) عذب أهل القرى (وهي ظالمة) مشركة كافرة (ان أخذه) عذابه (أليم) وجيع (شديدان في ذلك) فيما ذكرت لك (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب (تجمع الآخرة) فلا يقتدى بهم (ذلك) يوم القيامة (يوم مجموع له الناس) يجمع فيه

تقدمهم فيوردهم النار لامحالة يعنى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه (وبئس الورد) المورد و (المورود) الذى وردوه شبه بالفارط الذى يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قال بئس الورد المورود الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش والنار ضده (وأتبعوا فى هذه) أى الدنيا (لعنة ويوم القيمة) أى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة (بئس الرفد المرفود) رفدهم أى بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى) خبر (نقصه عليك) خبر بعد خبر أى ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك (منها) من القرى (قائم وحصيد) أى بعضها باق وبعضها عافى الأثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد والجملة مستأنفة لامحل لها من الاعراب (وماظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب

فأدخلهم النار (وبئس الورد المورود) بئس المدخل فرعون وبئس المدخل قومه ويقال بئس الداخل فرعون وبئس المدخل قومه ويقال بئس الداخل فرعن وقومه وبئس المدخل النار (وأتبعوا فى هذه لعنة) اهلكوا فى هذه الدنيا بالغرق (ويوم القيمة) لهم لعنة أخرى وهى النار (بئس الرفد المرفود) يقول بئس الغرق ورفده النار ويقال بئس العون وبئس المعان (ذلك) الذى ذكرت (من انباء القرى) فى الدنيا من أخبار قرى الماضية (نقصه عليك) ننزل اليك جبريل بأخبارها (منها قائم) ينظر اليها قد بادأهلها (وحصيد) منها ماقد خرب وهلك اهلها (وماظلمناهم) باهلاكهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر والشرك و عبادة الاوثان

اتيانها موردا ثم قال ﴿ وبئس الورد المورود ﴾ أى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وماامر فرعون برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن فى امره رشد أو تفسير له على ان المراد بالرشد مايكون مأمون العاقبة حميدها ﴿ واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيمة ﴾ أى يلعنون فى الدنيا والآخرة ﴿ بئس الرفد المرفود ﴾ بئس العون المعان أو العطاء المعطى واصل الرفد مايضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف أى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين ﴿ ذلك ﴾ أى ذلك النبأ ﴿ من انباء القرى ﴾ المهلكة ﴿ نقصه عليك ﴾ مقصوص عليك ﴿ منها قائم ﴾ من تلك القرى باق كالزرع القائم ﴿ وحصيد ﴾ ومنها عافى الأثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذلا واو ولا ضمير ﴿ وماظلمناهم ﴾ باهلاكنا اياهم ﴿ ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ بان

فيدخلهم النار ويدخل هو أمامهم والمعنى كما كان قدوتهم فى الضلال والكفر فى الدنيا فكذلك هو قدتهم وامامهم فى النار ﴿ وبئس الورد المورود ﴾ يعنى وبئس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله تعالى فرعون فى تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال فى حق فرعون وأتباعه فاوردهم النار وبئس الورد المورود لان الاصل فيه قصد الماء واستعمل فى ورود النار على سبيل الفظاعة ﴿ وأتبعوا فى هذه ﴾ يعنى فى هذه الدنيا ﴿ لعنة ﴾ يعنى طردا وبعدا عن الرحمة ﴿ ويوم القيمة ﴾ يعنى واتبعوا لعنة أخرى يوم القيامة مع اللعنة التى حصلت لهم فى الدنيا ﴿ بئس الرفد المرفود ﴾ يعنى بئس العون المعان وذلك ان اللعنة فى الدنيا رفد للعنة فى الآخرة وقيل معناه بئس العطاء المعطى وذلك انه ترادف عليهم لعنتان لعنة فى الدنيا ولعنة فى الآخرة * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ذلك من انباء القرى ﴾ يعنى من أخبار أهل القرى وهم الامم السالفة والقرون الماضية ﴿ نقصه عليك ﴾ يعنى نخبرك به يا محمد لتخبر قومك أخبارهم لعلهم يعتبرون بهم فيرجعوا عن كفرهم أو ينزل بهم مثل مانزل بهم من العذاب ﴿ منها ﴾ يعنى من القرى التى أهلكنا أهلها ﴿ قائم وحصيد ﴾ يعنى منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم يعنى الحيطان بغير سقوف ومنها ماقد محى أثره بالكلية شبهها الله تعالى بالزرع الذى بعضه قائم على سوقه وبعضه قد حصد وذهب أثره والحصيد بمعنى المحصود ﴿ وماظلمناهم ﴾ يعنى بالعذاب والاهلاك ﴿ ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ يعنى بالكفر والمعاصى

مترددين (ألا بعدا لمدين) البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى الى قوله (كما بعدت ثمود) وقرئ كما بعدت والمعنى فى البنائين واحد وهو نقيض القرب الا انهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمانى الخير والشر فقالوا وعد وأوعد (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) المراد به العصا لانها أبهرها (الى فرعون وملئه فاتبعوا) أى الملأ (أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى الالوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذى لا يأتى الا من شيطان ومثله بمعزل عن الالوهية وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا ان مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى أمره رشد قط أو المراد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيمة) أى يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرا له وايضاحا أى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل فى كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغى فى كل ما يذم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فأوردهم النار) ادخلهم وجئ بلفظ الماضى لان الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به فكانه قيل

﴿ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود﴾ شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ﴿ولقد ارسلنا موسى بآياتنا﴾ بالتوراة أو المعجزات ﴿وسلطان مبين﴾ وهو المعجزات القاهرة أو العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد أى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه أو موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمبين يخص بما فيه جلاء ﴿الى فرعون وملئه فاتبعوا امر فرعون﴾ فاتبعوا امره بالكفر بموسى أو فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم ﴿وما امر فرعون برشيد﴾ مرشد أو ذى رشد وانما هو غى محض وضلال صريح ﴿يقدم قومه يوم القيمة﴾ الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم ﴿فأوردهم النار﴾ ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى

لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره ﴿ألا بعدا﴾ يعنى هلاكا ﴿لمدين كما بعدت ثمود﴾ قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم * قوله عز وجل ﴿ولقد ارسلنا موسى بآياتنا﴾ يعنى بحججنا والبراهين التى اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته ﴿وسلطان مبين﴾ يعنى ومعجزة باهرة ظاهرة دالة على صدقه أيضا قال بعض المفسرين المحققين سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمى السلطان سلطانا لانه حجة الله فى الارض ﴿الى فرعون وملئه﴾ يعنى اتباعه وأشراف قومه ﴿فاتبعوا أمر فرعون﴾ يعنى ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى ﴿وما امر فرعون برشيد﴾ يعنى وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو الى خير ﴿يقدم قومه يوم القيمة فأوردهم النار﴾ يعنى كما تقدم قومه فادخلهم البحر فى الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة

قط (ألا بعدا لمدين) لقوم شعيب من رحمة الله (كما بعدت ثمود) قوم صالح من رحمة الله وكان عذاب قوم صالح و قوم شعيب ﴿فيدخلهم﴾ سواء كلاهما كان الصيحة بالعذاب اصابهم حر شديد فقوم صالح اتاهم من تحت ارجلهم العذاب و قوم شعيب أتاهم من فوق رؤسهم العذاب (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) حجة بينة والآيات هى حجة بينة (الى فرعون وملئه) رؤسائه (فاتبعوا أمر فرعون) وتركوا قول موسى (وما امر فرعون) قول فرعون (برشيد) بصواب (يقدم قومه) يتقدم ويقود قومه (يوم القيمة فأوردهم النار)

من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه أي يفضحه وأينا هو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب في زعمكم ودعواكم وادخال الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون والاتيان بالوجهين للتفنن في البلاغة وأبلغهما الاستئناف (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما أقول لكم (اني معكم رقيب) منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب بمعنى الضارب أو بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشر أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا وانما ذكر في آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفي آخر قصة ثمود ولوط فلما جاء لانهما وقعا بعد ذكر الموعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجئ بالفاء الذي هو للتسبيب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الاخريان فقد وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة (فاصبحوا في ديارهم جاثمين) الجاثم اللازم لمكانه لا يريم يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة (كأن لم يغنوا فيها) كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين

من يأتيه عذاب يخزيه ﴾ سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمه للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ﴿ ومن هو كاذب ﴾ عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم ﴿ وارتقبوا ﴾ وانظروا ما اقول لكم ﴿ اني معكم رقيب ﴾ منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع ﴿ ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾ انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية ﴿ واخذت الذين ظلموا الصيحة ﴾ قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا ﴿ فاصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴾ كأن لم يقيموا فيها

للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ﴾ يعني بسبب عمله السيء أو أينا الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه ﴿ ومن هو كاذب ﴾ يعني فيما يدعيه ﴿ وارتقبوا ﴾ يعني وانتظروا العاقبة وما يؤول اليه أمري وأمركم ﴿ اني معكم رقيب ﴾ أي منتظر والرقيب بمعنى المراقب ﴿ ولما جاء أمرنا ﴾ يعني بعذابهم واهلاكهم ﴿ نجينا شعيبا والذين أمنوا معه برحمة منا ﴾ يعني بفضل منا بان هديناهم للايمان ووفقناهم للطاعة ﴿ وأخذت الذين ظلموا ﴾ يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والبخس ﴿ الصيحة ﴾ وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم وماتوا جميعا وقيل أتتهم صيحة واحدة من السماء فماتوا جميعا ﴿ فاصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد ولطأ بالارض ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴾ يعني كأن

من يأتيه) الى من يأتيه (عذاب يخزيه) يذله ويهلكه (ومن هو كاذب) على الله (وارتقبوا) انتظروا الهلاكي (اني معكم رقيب) منتظر لهلاككم (ولما جاء امرنا) عذابنا (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) بنعمة منا (وأخذت الذين ظلموا) أشركوا يعني قوم شعيب (الصيحة) بالعذاب (فأصبحوا في ديارهم) فصاروا في مساكنهم (جاثمين) ميتين رمادا (كأن لم يغنوا فيها) كأن لم يكونوا في الارض

فلذلك أظهروا الميل اليه والاكرام لهم (وماأنت علينا بعزيز) أى لاتعز علينا ولاتكرم حتى نكرمك من القتل ونرفع عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفى على ان الكلام واقع فى الفاعل لافى الفعل كأنه قيل وماأنت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك (قال) فى جوابهم (ياقوم ارهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب وانما قال أرهطى أعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفى رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه لان تهاونهم به وهو نبى الله تهاون بالله وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألاترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسيتموه وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر لايعبأ به والظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم فى النسبة الى الامس امسى (ان ربى بما تعملون محيط) قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) هى بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكين اذا تمكن من الشئ يعنى اعملوا قارين على جهتكم التى أنتم عليها من الشرك والشنآن لى أو اعملوا متمكنين من عداوتى مطيقين لها (انى عامل) على حسب مايؤتينى الله من النصرة والتأييد ويمكننى (سوف تعلمون

وجه ﴿وماانت علينا بعزيز﴾ فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفى ايلاء ضميره حرف النفى تنبيه على ان الكلام فيه لافى ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك ﴿قال ياقوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا﴾ وجعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلاتبقون على الله وتبقون على لرهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ﴿ان ربى بما تعملون محيط﴾ فلايخفى عليه شئ منها فيجازى عليها ﴿وياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون

يعنى لقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة أسوأ القتلات وشرها وقيل معناه لشتمناك وأغلظنا لك القول ﴿وماانت علينا بعزيز﴾ يعنى بكريم وقيل بممتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله انهم بينوا لشعيب عليه السلام انه لاحرمة له عندهم ولاوقع له فى صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة أجابهم بقوله ﴿قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله﴾ يعنى أهيب عندكم من الله وأمنع حتى تركتم قتلى لمكان رهطى عندكم فالاولى ان تحفظونى فى الله ولاجل الله لالرهطى لان الله أعز وأعظم ﴿واتخذتموه وراءكم ظهريا﴾ يعنى ونبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشئ الملقى الذى لايلتفت اليه ﴿ان ربى بما تعملون محيط﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عالم باحوالكم جميعا لايخفى عليه منها شئ فيجازيكم بها يوم القيامة ﴿وياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ يعنى على تؤدتكم وتمكنكم من أعمالكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة من الشر ﴿انى عامل﴾ يعنى ماأقدرنى عليه من الطاعة والخير وهذا الامر فى قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿سوف تعلمون﴾ أينا الجانى على نفسه المخطئ فى فعله فان قلت أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفاء فى قوله فسوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها فى قوله سوف تعلمون وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فما يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون يعنى عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف

(للتفنن)

(وماأنت علينا بعزيز) كريم (قال ياقوم أرهطى) قومى (أعز عليكم من الله) من كتابه ودينه ويقال عقوبة رهطى اشد عليكم من عقوبة الله (واتخذتموه) نبذتموه (وراءكم ظهريا) خلف ظهركم ماجئت به من الكتاب (ان ربى بما تعملون) بعقوبة ماتعملون (محيط) عالم (وياقوم اعملوا على مكانتكم) على دينكم فى منازلكم بهلاكى (انى عامل) بهلاكم (سوف تعلمون

والغرق والريح والرجفة

جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدى الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على ألسنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبنى كقوله

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت * حمامة فى غصون ذات اوقال

﴿ وماقوم لوط منكم ببعيد ﴾ زمانا أو مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم أو ليسوا ببعيد منكم فى الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم أو وماهم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوى فى امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ﴾ عما انتم عليه ﴿ ان ربى رحيم ﴾ عظيم الرحمة للتائبين ﴿ ودود ﴾ فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار ﴿ قالوا ياشعيب مانفقه ﴾ مانفهم ﴿ كثيرا مما تقول ﴾ كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه أو لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه ﴿ وانا لنراك فينا ضعيفا ﴾ لاقوة لك فتمتنع منا ان اردنابك سوأ أو مهينا لاعزلك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ﴿ ولولا رهطك ﴾ قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لالخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة ﴿ لرجمناك ﴾ لقتلناك برمى الاحجار أو باصعب

﴿ وماقوم لوط منكم ببعيد ﴾ وذلك انهم كانوا حديثى عهد بهلاكهم وقيل معناه وماديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم ﴿ واستغفروا ربكم ﴾ يعنى من عبادة الاصنام ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ يعنى من البخس والنقصان فى الكيل والوزن ﴿ ان ربى رحيم ﴾ يعنى بعباده اذا تابوا واستغفروا ﴿ ودود ﴾ قال ابن عباس الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل أوده اذا أحببته وقيل يحتمل أن يكون ودود فعول بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال الحليمى هو الواد لاهل طاعته أى الراضى عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها او المادح لهم بها وقال أبو سليمان الخطابى وقد يكون معناه من تودد الى خلقه ﴿ قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول ﴾ يعنى مانفهم ما تدعونا اليه وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لاتعى ولاتفهم ماينفعها وان كانوا فى الظاهر يسمعون ويفهمون ﴿ وانا لنراك فينا ضعيفا ﴾ قال ابن عباس وقتادة كان أعمى قال الزجاج ويقال ان حمير كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وأبو روق ومقاتل يعنى ذليلا قال أبو روق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا أعمى ولا نبيا به زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذى يتعذر عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله ﴿ ولولا رهطك ﴾ يعنى جماعتك وعشيرتك قيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة ﴿ لرجمناك ﴾

فى الزمان فهم أقرب الهالكين منكم أو فى المكان فمنازلهم قريبة منكم أو فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوى وسوى فى قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوهما (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم) يغفر لاهل الجفاء من المؤمنين (ودود) يحب أهل الوفاء من الصالحين (قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول) أى لانفهم صحة ماتقول والا فكيف لانفهم كلامه وهو خطيب الانبياء (وانا لنراك فينا ضعيفا) لاقوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان أردنا بك مكروها (ولولا رهطك لرجمناك) ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة وكان رهطه من أهل ملتهم

(وماقوم لوط) ماخبر قوم لوط (منكم ببعيد) قد بلغكم ما أصابهم (واستغفروا ربكم) وحدوا ربكم (ثم توبوا اليه) اقبلوا اليه بالتوبة والاخلاص (ان ربى رحيم) بعباده المؤمنين (ودود) متودد اليهم بالمغفرة والثواب ويقال محب لهم و يحببهم الى الخلق ويقال يحبب اليهم طاعته (قالوا ياشعيب مانفقه) ما نعقل (كثيرا مما تقول) مما تأمرنا (وانا لنراك فينا ضعيفا) ضرير البصر (ولولا رهطك) قومك (لرجمناك) لقتلناك

وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ﴿ان اريد الا الاصلاح ما استطعت﴾ ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر مادمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح أي المقدار الذي استطعته أو اصلاح ما استطعته فحذف المضاف ﴿وما توفيقي الا بالله﴾ وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته ﴿عليه توكلت﴾ فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ ﴿واليه انيب﴾ اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الله وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ﴿ويا قوم لا يجرمنكم﴾ لا يكسبنكم ﴿شقاقي﴾ معاداتي ﴿ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح﴾ من الغرق ﴿أو قوم هود﴾ من الريح ﴿أو قوم صالح﴾ من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي

أصوب الطرق وأصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البخس والنقصان فأنا مواظب عليها غير تارك لها فاعلموا أن هذه الطريقة خير الطرق وأشرفها لا ما انتم عليه وقال الزجاج معناه أني لست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه انما أختار لكم ما أختار لنفسي وقال ابن الانباري بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم ﴿ان أريد﴾ يعني ما أريد فيما آمركم به وانهاكم عنه ﴿الا الاصلاح﴾ يعني فيما بيني وبينكم ﴿ما استطعت﴾ يعني ما استطعت الا الاصلاح وهو الابلاغ والانذار فقط ولا أستطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ﴿وما توفيقي الا بالله﴾ التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال تعالى وما توفيقي الا بالله ﴿عليه توكلت﴾ يعني على الله اعتمدت في جميع أموري ﴿واليه أنيب﴾ يعني واليه أرجع فيما ينزل من النوائب وقيل اليه ارجع في معادي روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه ❊ وقوله تعالى ﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي﴾ أي لا يحملنكم خلافي وعداوتي ﴿أن يصيبكم﴾ يعني عذاب العاجلة على كفركم وأفعالكم الخبيثة ﴿مثل ما أصاب قوم نوح﴾ يعني الغرق ﴿أو قوم هود﴾ يعني الريح التي أهلكتهم ﴿أو قوم صالح﴾ يعني ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا

التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم (ان أريد الا الاصلاح) ما أريد الا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر (ما استطعت) ظرف أي مدة استطاعتي للاصلاح ومادمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا (وما توفيقي الا بالله) وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي وأذر الا بمعونته وتأييده (عليه توكلت) اعتمدت (واليه أنيب) أرجع في السراء والضراء جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين ومنه قوله (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم) أي لا يكسبنكم خلافي اصابة العذاب (مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح

(ان أريد) ما أريد (الا الاصلاح) العدل بالكيل والوزن (ما استطعت وما توفيقي) بوفاء الكيل والوزن (الا بالله) من الله (عليه توكلت) فوضت أمري اليه (واليه أنيب) اقبل (ويا قوم لا يجرمنكم) لا يحملنكم (شقاق) بغضي وعداوتي حتى لا تؤمنوا ولا توفوا بالكيل والوزن (أن يصيبكم) فيصيبكم (مثل ما أصاب قوم نوح) يعني عذاب قوم نوح من الغرق والطوفان (أو قوم هود) الهلاك بالريح (أو قوم صالح) الصيحة (وما)

وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك ﴿ انك لأنت الحليم الرشيد ﴾ تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك أو عللوا انكار ماسمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك ﴿ قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ﴾ اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة ﴿ ورزقني منه رزقا حسنا ﴾ اشارة الى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله أي من عنده وباعانته بلا كدمني في تحصيله ﴿ وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ﴾ أي وما اريد ان آتي ما انهاكم عنه لاستبد به دونكم فلوكان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه

به ويقولون هذه المقالة وقال الاعمش أقراءتك لان الصلاة تطلق على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني أدينك يأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء وذلك انهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير فكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم وانما ذكر الصلاة لانها من أعظم شعائر الدين ﴿ انك لأنت الحليم الرشيد ﴾ قال ابن عباس أرادوا السفيه الغاوي لان العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون للديغ سليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية وقيل معناه انك لأنت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه من الصحة ومعناه انك ياشعيب فينا حليم رشيد فلا يحمد بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم ﴿ قال ﴾ يعني قال لهم شعيب ﴿ ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ﴾ يعني على بصيرة وهداية وبيان ﴿ ورزقني منه رزقا حسنا ﴾ يعني حلالا قيل كان شعيب كثير المال الحلال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب ان الشرطية محذوف تقديره أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والهداية والمعرفة والنبوة فهل يسعني مع هذه النعمة أن أخون في وحيه أو أن أخالف أمره أو أتبع الضلال أو أبخس الناس أشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك لأنت الحليم الرشيد والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد أن يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة ﴿ وقوله ﴿ وما أريد أن أخالفكم الى ما انهاكم عنه ﴾ قال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما أريد أن أخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني أن أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم قال الامام فخر الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا فيه بانه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكأنه عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا أن الذي اخترته لنفسي هو

انك لأنت الحليم الرشيد) اى السفيه الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء اوانك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما تقتضيه حالك (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه) من لدنه (رزقا حسنا) يعني النبوة والرسالة أو مالا حلالا من غير بخس وتطفيف وجواب أرأيتم محذوف أي اخبروني ان كنت على حجة واضحة من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله (وما أريد أن أخالفكم الى ما انهاكم عنه) يعني أن أسبقكم الى شهواتكم

(انك لأنت الحليم الرشيد) السفيه الضال استهزاء به (قال ياقوم أرأيتم ان كنت) يقول اني (على بينة من ربي) على بيان نزل من ربي (ورزقني منه رزقا حسنا) أكرمني بالنبوة والاسلام وأعطاني مالا حلالا (وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) (قا و خا ٤٥ لث) يقول ما اريد ان افعل ما أنهاكم عنه من البخس في الكيل والوزن

عن ذلك (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) العثى والعبث أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجـ
البخس والتطفيف عيثا منهم فى الارض (بقيت الله) ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خيـر
ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا نعم بقية الله خير للكفرة أيضا لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف الا ان فائـ
تظهر مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغمـ
صاحبها فى غمرات الكفر وفى ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على جلالة شأنه أو المراد ان كنتم [illegible] وأنصح به اياكم (وما أنا عليكم بحفيظ) لنعمه عليكم فاحفظوها بترك البخس (قالوا ياشعيب أصلوتك) وبالتوحيد كوفى غير أبى بكر (تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء) كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له ما تستفيد بهذا فكان يقول انها تأمر بالمحاسن وتنهى عن القبائح فقالوا على وجه الاستهزاء أصلواتك تأمرك أن تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا أو أن نترك التبسط فى أموالنا ما نشاء من ايفاء ونقص وجاز أن تكون الصلوات آمرة مجازا كما سماها الله تعالى ناهية مجازا

بالكيل والوزن (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) لا تعملوا فى الارض بالفساد وبعبادة الاوثان ودعاء الناس اليها وبخس الكيل والوزن (بقيت الله) ثواب الله على وفاء الكيل والوزن (به
(خير لكم) ويقال ما يبقى الله لكم من الحلال خير لكم مما تبخسون بالكيل والوزن (ان كنتم مؤمنين) مصدقين بما أقول لـ
(وما أنا عليكم بحفيظ) بكفيل احفظكم لانه لم يكن مأمورا بقتالهم (قالوا ياشعيب اصلواتك) كثرة صلواتك (تأمـ
أن نترك ما يعبد آباؤنا) من الاوثان (أو أن نفعل) لا نفعل (فى أموالنا ما نشاء) من البخس فى الكيل والوزن

فى المقدار أو فى غيره وكذا قوله ﴿ ولا تعثوا فى الارض مفسدين ﴾ فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم ﴿ بقيت الله ﴾ ما ابقاه الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم ﴿ خير لكم ﴾ مما تجمعون بالتطفيف ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان أو ان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه التى تكف عن المعاصى ﴿ وما انا عليكم بحفيظ ﴾ احفظكم عن القبائح أو احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت أو لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم ﴿ قالوا ياشعيب أصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا ﴾ من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلى وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب كثير الصلاة فلذلك جمعوا وخصوا الصلوة بالذكر وقرأ حمزة والكسائى وحفص على الافراد والمعنى أصلواتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره ﴿ أو ان نفعل فى اموالنا ما نشاء ﴾ عطف على ما أى وان نترك فعلنا ما نشاء فى اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهى عن التطفيف والامر بالايفاء

والله أعلم ✽ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تعثوا فى الارض مفسدين ﴾ يعنى بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم ﴿ بقيت الله خير لكم ﴾ قال ابن عباس يعنى ما أبقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقية الله يعنى طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعنى ما أبقاه لكم من الثواب فى الآخرة خير لكم مما يحصل لكم فى الدنيا من المال الحرام ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ يعنى مصدقين بما قلت لكم وأمرتكم به ونهيتكم عنه ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ يعنى احفظ اعمالكم قال بعضهم انما قال لهم شعيب ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم ﴿ قالوا ياشعيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ﴾ يعنى من الاصنام ﴿ أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ﴾ يعنى من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يمرون به فيرونه يصلى فيستهزؤن

بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى للعدل المخل بحكمة التعاوض ﴿ انى اراكم بخير ﴾ بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم أو بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو فى الجملة علة النهى ﴿ وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه ﴿ وياقوم اوفوا المكيال والميزان ﴾ صرح بالامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمدهم التطفيف بل يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها ﴿ بالقسط ﴾ بالعدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا ﴿ ولا تبخسوا الناس اشياءهم ﴾ تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون

ان يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الآخر هو استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زائدا عن حقهم فيكون نقصا فى مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴿ انى أراكم بخير ﴾ قال ابن عباس كانوا موسرين فى نعمة وقال مجاهد كانوا فى خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحصول النقمة ان لم يتوبوا ولم يؤمنوا وهو قوله ﴿ وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ يعنى يحيط بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستئصال فى الدنيا أو حذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله سبحانه وتعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴿ وياقوم أوفوا المكيال والميزان ﴾ أى أتموهما ولا تطففوا فيهما ﴿ بالقسط ﴾ أى بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال ﴿ ولا تبخسوا الناس ﴾ اى ولا تنقصوا الناس ﴿ أشياءهم ﴾ يعنى اموالهم • فان قلت وقد وقع التكرار فى هذه القصة من ثلاثة أوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال أوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم وهذا عين ما تقدم فما الفائدة فى هذا التكرار • قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج فى المنع منه الى المبالغة فى التأكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيد فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التنقيص وقوله أوفوا المكيال والميزان أمر بايفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له • ولقائل ان يقول النهى ضد الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه • قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يأمر بايفاء الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحمك ولا تقطعها فتريد المبالغة فى الامر والنهى وأما قوله ثانيا ولا تبخسوا الناس أشياءهم فليس بتكرير أيضا لانه سبحانه وتعالى لما خصص النهى عن التنقيص والامر بايفاء الحق فى الكيل والوزن عمم الحكم فى جميع الاشياء التى يجب ايفاء الحق فيها فيدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة التكرار

أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون (وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط) مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من احاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال فى الدنيا أو عذاب الآخرة (وياقوم أوفوا المكيال والميزان) أتموهما (بالقسط) بالعدل نهوا أولا عن عين القبيح الذى كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الامر بالايفاء الذى هو حسن فى العقول لزيادة الترغيب فيه وجىء به مقيدا بالقسط أى ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) البخس النقص كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا

بالكيل والوزن (انى أراكم بخير) بسعة ومال ورخص السعر (وانى أخاف عليكم) ان لم تؤمنوا به ولم توفوا بالكيل والوزن (عذاب يوم محيط) يحيط بكم ولا ينفلت منكم أحد من القحط والجدوبة وغير ذلك (وياقوم أوفوا المكيال والميزان) أى اتموا الكيل والوزن (بالقسط) بالعدل (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) لا تنقصوا حقوق الناس

والمعنى من مثل الشئ المرسل أو من مثل الشربة في الادرار أو من السجل أي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين أي من جهنم فابدلت نونه لاما ﴿ منضود ﴾ نضد معدا لعذابهم أو نضد في الارسال يتابع بعضه بعضا كقطار الامطار أو نضد بعضه على بعض وألصق به ﴿ مسومة ﴾ معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة أو بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى بها ﴿ عند ربك ﴾ في خزائنه ﴿ وماهي من الظالمين ببعيد ﴾ فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك مامن ظالم منهم الاوهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان ﴿ والى مدين اخاهم شعيبا ﴾ اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام أو اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ امرهم

في موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد اولها حجر وآخرها طين وقال الحسن أصل الحجارة طين فشددت وقال الضحاك يعني الآجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل هو جبل في سماء الدنيا ﴿منضود﴾ قال ابن عباس متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشئ بعضه فوق بعض ﴿ مسومة عند ربك ﴾ صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها سيما لاتشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدي كانت مختومة عليها أمثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها أي على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به ﴿وماهي﴾ يعني تلك الحجارة ﴿من الظالمين﴾ يعني مشركي مكة ﴿ ببعيد ﴾ قال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة والله ما أجار الله منها ظالما بعده وفي بعض الآثار مامن ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معلقا في السماء أربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه * قوله عز وجل ﴿ والى مدين ﴾ يعني وأرسلنا الى مدين ﴿ أخاهم شعيبا ﴾ مدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة من أولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين ابن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وأرسلنا الى أهل مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ يعني وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته أهم الاشياء قال شعيب اعبدوا الله مالكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد من أهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال ﴿ ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ النقص في الكيل والوزن على وجهين أحدهما

نعت لحجارة أي معلمة للعذاب قيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به (عند ربك) في خزائنه أو في حكمه (وماهي من الظالمين ببعيد) بشئ بعيد وفيه وعيد لاهل مكة فان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ظالمي أمتك مامن ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة أو الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم (والى مدين أخاهم شعيبا) هو اسم مدينتهم أو اسم جدهم مدين بن ابراهيم أي وأرسلنا شعيبا الى ساكني مدين أو الى بني مدين (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال) اي المكيل بالمكيال (والميزان)

من سماء الدنيا (منضود) متتابع بعضها على أثر بعض (مسومة) مخططة بالسواد والحمرة والبياض ويقال مكتوب عليها اسم من هلك بها (عند ربك) من عند ربك يامحمد تأتي تلك الحجارة (وماهي) يعني الحجارة (من الظالمين ببعيد) لم تخطهم بل أصابتهم

ويقال ماهي من ظالمي أمتك ببعيد من يقتدي بهم أي بفعلهم (والى مدين) وأرسلنا الى مدين (أخاهم) نبيهم (شعيبا قال) (ان) ياقوم اعبدوا الله) وحدوا الله (مالكم من اله غيره) غير الذي آمركم ان تؤمنوا به (ولا تنقصوا المكيال والميزان) أي حقوق الناس

فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه
ان فسر بالنظر الى الوراء فى الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابى عمرو بالرفع على
البدل من احد ولا يجوز حمل القرآءتين على الروايتين فى انه خلفها مع قومها
أو اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت ياقوماه فادركها حجر فقتلها لان
القواطع لا يصح حملها على المعانى المتناقضة والاولى جعل الاستثناء فى القراءتين من قوله
ولا يلتفت مثله فى قوله تعالى مافعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح
ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة
الاستئناف بقوله ﴿ انه مصيبها ما اصابهم ﴾ ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على
قراءة الرفع ﴿ ان موعدهم الصبح ﴾ كأنه علة الامر بالاسراء ﴿ أليس الصبح بقريب ﴾
جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب ﴿ فلما جاء امرنا ﴾ عذابنا أو امرنا به
ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله ﴿ جعلنا عاليها سافلها ﴾ فانه جواب
لما وكان حقه جعلوا عاليها أى الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه
المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عليه الصلاة والسلام ادخل جناحه تحت
مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم
﴿ وامطرنا عليها ﴾ على المدن أو على شذاذها ﴿ حجارة من سجيل ﴾ من طين متحجر
لقوله حجارة من طين واصله «سنككل» فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله أو ادر عطيته

من الملتفتات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ انه مصيبها ما
أصابهم ﴾ فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا ﴿ ان موعدهم الصبح ﴾ قال لوط
انه بعيد أريد أسرع من ذلك فقالوا له ﴿ أليس الصبح بقريب ﴾ فلما خرج لوط من
قريته أخذ أهله معه وأمرهم أن لا يلتفت منهم أحد فقبلوا منه الا امرأته فانها لما سمعت
هدة العذاب و هو نازل بهم التفتت وصاحت واقوماه فاخذتها حجارة فاهلكتها معهم
﴿ فلما جاء أمرنا ﴾ يعنى أمرنا بالعذاب ﴿ جعلنا عاليها سافلها ﴾ وذلك ان جبريل
عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهى خمس مدائن أكبرها سدوم
وهى المؤتفكات المذكورة فى سورة براءة ويقال كان فيها أربعمائة ألف وقيل أربعة
آلاف ألف فرفع جبريل المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح
الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها ﴿ وأمطرنا
عليها ﴾ يعنى على شذاذها ومن كان خارجا من مسافريها وقيل بعد ما قلبها أمطر عليهم
﴿ حجارة من سجيل ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه «سنككل» فارسى معرب
لان العرب اذا تكلمت بشئ من الفارسى صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسى مثل
قوله سندس واستبرق ونحو ذلك فكل هذه الفاظ فارسية تكلمت بها العرب
واستعملتها فى ألفاظهم فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله

منثى من فاسر بأهلك وبالرفع مكى وأبو عمرو على البدل من أحد وفى اخراجها مع أهله روايتان روى انه أخرجها معهم
وأمرهم أن لا يلتفت منهم أحد الا هى فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت ياقوماه فادركها
حجر فقتلها وروى أنه أمر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين (انه مصيبها ما أصابهم) أى ان الامر وروى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا (ان موعدهم الصبح) فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل عليه السلام جناحه فى أسفلها أى أسفل قراها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم و ذلك قوله (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) هى كلمة معربة من «سنككل» بدليل قوله

(انه مصيبها) سيصيبها (ما أصابهم) ما يصيبهم من العذاب (ان موعدهم) بالهلاك (الصبح) عند الصباح قال لوط الآن يا جبريل قال جبريل يا لوط (أليس الصبح بقريب) لانه رآه ولم يرلوط (فلما جاء أمرنا) عذابنا الهلاكهم (جعلنا عاليها سافلها) قلبنا
وجعلنا أسفلها أعلاها واعلاها أسفلها (وأمطرنا عليها) على شذاذها ومسافريها (حجارة من سجيل) من سبخ وحل مثل الآجر ويقال

بنفسي أو أويت الى قوي أستند اليه وأتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته و منعته روي انه أغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه و يجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب (قالوا يالوط) ان ركنك لشديد (انا رسل ربك) فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فاعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان بيت لوط قوما سحرة (لن يصلوا اليك) جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره (فاسر) بالوصل حجازي من سرى (باهلك بقطع من الليل) طائفة منه أو نصفه (ولا يلتفت منكم أحد) بقلبه الى ما خلف أو لا ينظر الى ما وراءه أو لا يتخلف منكم أحد (الا امرأتك)

أو آوي بالنصب على اضمار ان كأنه قال لو ان لي بكم قوة أو أويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب ﴿ قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك ﴾ لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة ﴿ فاسر باهلك ﴾ بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى ﴿ بقطع من الليل ﴾ بطائفة منه ﴿ ولا يلتفت منكم احد ﴾ ولا يتخلف أو لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط ﴿ الا امرأتك ﴾ استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ

لانضممت اليهم قال أبو هريرة ما بعث الله نبيا بعده الا في منعة من عشيرته (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لاجبته قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه اشد الاركان وأقواها وأمنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على أضيافه ولم تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه و اشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسي أو آوي الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند أضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقي الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام يأتي في موضعه من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس وأهل التفسير أغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وجعل يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط بسببهم ﴿ قالوا يالوط ﴾ ركنك شديد ﴿ انا رسل ربك لن يصلوا اليك ﴾ يعني بمكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل في عقوبتهم فاذن له فتحول الى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كأنه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء في بيت لوط أسحر قوم في الارض قد سحرونا وجعلوا يتوعدون لوطا ويقولون كما أنت حتى تصبح سترى ما تلقى منا غدا يوعدونه بذلك ﴿ فاسر باهلك ﴾ يعني ببيتك ﴿ بقطع من الليل ﴾ قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال قتادة بعد مضي أوله وقيل انه السحر الاول ﴿ ولا يلتفت منكم أحد ﴾ يعني ولا يلتفت منكم أحد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه ﴿ الا امرأتك ﴾ فانها

جبريل والملائكة خوف لوط من تهدد قومه (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) بالهلاك نحن نهلكهم (فأسر بأهلك) فسر بأهلك ويقال أدلج بهم (بقطع من الليل) في بعض من الليل آخر الليل عند السحر (ولا يلتفت منكم) لا يتخلف منكم (أحد الا امرأتك) واعلة المنافقة (من)

هن أطهر لكم) أحل هؤلاء مبتدأ وبناتى عطف بيان وهن فصل وأطهر خبر المبتدأ أو بناتى خبر وهن أطهر مبتدأ وخبر (فاتقوا الله) بايثارهن عليهم (ولا تخزون) ولاتهينونى ولاتفضحونى من الخزى أوولاتخجلونى من الخزاية وهى الحياء وبالياء أبو عمرو فى الوصل (فى ضيفى) فى حق ضيوفى فانه اذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة (أليس منكم رجل رشيد) أى رجل واحد يهتدى الى طريق الحق وفعل الجميل والكف عن السوء (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) حاجة لان نكاح الاناث أمر خارج عن مذهبنا فمذهبنا اتيان الذكران (وانك لتعلم مانريد) عنوا اتيان الذكور ومالهم فيه من الشهوة (قال لو أن لى بكم قوة أوآوى الى ركن شديد) جواب لو محذوف أى لفعلت بكم ولصنعت والمعنى لوقويت عليكم

(هن أطهر لكم) أى أزوجكم (فاتقوا الله) فاخشوا الله فى الحرام (ولاتخزون فى ضيفى) لاتفضحونى فى أضيافى (أليس منكم رجل رشيد) يدلهم على الصواب ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر (قالوا لقد علمت) يالوط (مالنا فى بناتك من حق) من حاجة (وانك لتعلم مانريد) يعنون عملهم الخبيث (قال) لوط فى نفسه لوأن لى بكم قوة) بالبدن والولد (أوآوى) أقدر أن أرجع (الى ركن شديد) الى عشيرة كثيرة لمنعت نفسى منكم فلماعلم

الشفقة والتربية وفى حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهواب لهم ﴿ هن اطهر لكم ﴾ انظف فعلا أواقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتى كقولك هذا اخى هو لافصل فانه لايقع بين الحال وصاحبها ﴿ فاتقوا الله ﴾ بترك الفواحش أوبايثارهن عليهم ﴿ ولاتخزون ﴾ ولاتفضحونى من الخزى أو ولاتخجلونى من الخزاية بمعنى الحياء ﴿ فى ضيفى ﴾ فى شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه ﴿ أليس منكم رجل رشيد ﴾ يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح ﴿ قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق ﴾ من حاجة ﴿ وانك لتعلم مانريد ﴾ وهو اتيان الذكران ﴿ قال لوان لى بكم قوة ﴾ لوقويت بنفسى على دفعكم ﴿ أوآوى الى ركن شديد ﴾ الى قوى امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى شدته وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد وقرئ

القول هو الصحيح وأشبه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بكافيتين للجماعة وليس من المروءة أن يعرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبياء أن يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لاعلى سبيل التحقيق ＊ وفى قوله ﴿ هن أطهر لكم ﴾ سؤال وهو أن يقال ان قوله هن أطهر لكم من باب أفعل التفضيل فيقتضى أن يكون الذى يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم أنه محرم فاسد نجس لاطهارة فيه البتة فكيف قال هن أطهر لكم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ومعلوم أن شجرة الزقوم لاخير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد أعل هبل قال الله أعلى وأجل اذ لامماثلة بين الله عز وجل والصنم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة ＊ وقوله ﴿ فاتقوا الله ﴾ يعنى خافوه وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان ﴿ ولاتخزون فى ضيفى ﴾ يعنى ولاتسوؤنى فى أضيافى ولاتفضحونى معهم ﴿ أليس منكم رجل رشيد ﴾ أى صالح سديد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لااله الاالله وقال محمد بن اسحق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح ﴿ قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق ﴾ يعنى ليس لنا بهن حاجة ولالنا فيهن شهوة وقيل معناه ليست بناتك لنا بازواج ولامستحقين نكاحهن وقيل معناه مالنا فى بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولانريد ذلك ﴿ وانك لتعلم مانريد ﴾ يعنى من اتيان الرجال فى أدبارهم فعند ذلك ﴿ قال ﴾ لوط عليه السلام ﴿ لوأن لى بكم قوة ﴾ أى لوانى أقدر أن أتقوى عليكم ﴿ أوآوى الى ركن شديد ﴾ يعنى أوأنضم الى عشيرة يمنعونى منكم وجواب لو محذوف تقديره لووجدت قوة لقاتلتكم أولووجدت عشيرة

(وقال هذا يوم عصيب) شديد روى ان الله تعالى قال لهم لاتهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معه
منطلقا به الى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم
قال أشهد بالله انها لشرقرية في الارض قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون كأنما يدفعون دفعا (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لايكفهم حياء (قال ياقوم هؤلاء بناتي) فتزوجوهن أراد أن يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائز في ذلك الوقت كما جاز في الابتداء في هذه الامة فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد لوط أن يزوجهما ابنتيه

للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه ﴿ وقال هذا يوم عصيب ﴾ شديد من عصبه اذ شده ﴿ وجاءه قومه يهرعون اليه ﴾ يسرعون اليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ﴿ ومن قبل ﴾ ومن قبل ذلك الوقت ﴿ كانوا يعملون السيئات ﴾ الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين ﴿ قال ياقوم هؤلاء بناتي ﴾ فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي تزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ أو مبالغة في تناهي خبث مايرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث

أو فاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم ﴿ وقال ﴾ يعني لوطا ﴿ هذا يوم عصيب ﴾ أي شديد كأنه قد عصب به الشر والبلاء أي شد به مأخوذ من العصابة التي تشد بها الرأس قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في أرض له وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة لاتهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك أربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حمل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فمر على جماعة أخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ماقال أولا حتى قال ذلك أربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا مارأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم ﴿ وجاءه قومه يهرعون اليه ﴾ قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهراع هو مشي بين مشيين وقال شمر هو بين الهرولة والخبب والجمز ﴿ ومن قبل ﴾ يعني ومن قبل مجيء الرسل اليهم قيل ومن قبل مجيئهم الى لوط ﴿ كانوا يعملون السيئات ﴾ يعني الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في أدبارهم ﴿ قال ﴾ يعني قال لوط لقومه حين قصدوا أضيافه وظنوا أنهم غلمان من بني آدم ﴿ ياقوم هؤلاء بناتي ﴾ يعني أزوجكم اياهن وقى أضيافه ببناته قيل انه كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسين بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير أراد ببناته نساء قومه وأضافهن الى نفسه لان كل نبي أبو أمته وهو كالوالد لهم وهذا

صنيع قومه (وقال) في نفسه (هذا يوم عصيب) شديد على (وجاءه قومه) قوم لوط (يهرعون اليه) يسرعون الى داره ويهرولون هرولة (ومن قبل) أي ومن قبل مجيء جبريل (كانوا يعملون ﴿ القول ﴾ السيأت) عملهم الخبيث (قال) لهم لوط (ياقوم هؤلاء بناتي) ويقال بنات قومي

ان ابراهيم لحليم) غير عجول على كل من أساء اليه أو كثير الاحتمال ممن آذاه الصفوح عمن عصاه (أواه) كثير التأوه من خوف الله (منيب) تائب راجع الى الله بهذه

الصفات دالة

على رقة القلب والرأفة

اجترأ على خطابنا أو شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ أو اقبل يجادلنا ﴿ ان ابراهيم لحليم ﴾ غير عجول على الانتقام من المسيء اليه ﴿ أواه ﴾ كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس ﴿ منيب ﴾ راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه ﴿ ياابراهيم ﴾ على ارادة القول أي قالت الملائكة ياابراهيم ﴿ اعرض عن هذا ﴾ الجدال ﴿ انه قد جاء امر ربك ﴾ قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم ﴿ وانهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ﴾ ساءه مجيئهم لانهم جاؤه في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم ﴿ وضاق بهم ذرعا ﴾ وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض

لو كان في مدائن قوم لوط خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فما زال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرأيتم لو كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون أو يرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جريج كان في قرى قوم لوط أربعة آلاف مقاتل ﴿ ان ابراهيم لحليم أواه منيب ﴾ تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة لابراهيم ﴿ ياابراهيم أعرض عن هذا ﴾ يعني أعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال ﴿ انه قد جاء أمر ربك ﴾ يعني ان ربك قد حكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وانهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ يعني ان العذاب الذي نزل بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم * قوله عز وجل ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطا ﴾ يعني هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مرد حسان الوجوه ﴿ سيء بهم ﴾ يعني أحزن لوط بمجيئهم اليه وساء ظنه بقومه ﴿ وضاق بهم ذرعا ﴾ قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعه من ذلك وضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة والمعنى وضاق بهم ذرعا اذ لم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يعرف أصله الا أن يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم أشفق عليهم من قومه وخاف أن يقصدوهم بمكروه

والوجد فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لابيه فقالت الملائكة (ياابراهيم أعرض عن هذا) الجدال وان كانت الرحمة ديدنك (انه قد جاء أمر ربك) قضاؤه وحكمه (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) لا يرد بجدال وغير ذلك عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو آتيهم تقديره وانهم يأتيهم ثم خرجوا من عند ابراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية ابراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ (ولما جاءت رسلنا لوطا) لما أتوه ورأى هيآتهم وجمالهم (سيء بهم) أحزن لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم (وضاق بهم ذرعا) تمييز أي وضاق بمكانهم صدره

(ان ابراهيم لحليم) عن الجهل (أواه) رحيم (منيب) مقبل الى الله (ياابراهيم أعرض عن هذا) عن جدالك هذا (انه قد جاء أمر ربك)

عذاب ربك بهلاك قوم لوط (وانهم آتيهم) (قاوخا ذلك) يأتيهم (عذاب غير مردود) غير مصروف عنهم (ولما جاءت رسلنا) جبريل ومن معه من الملائكة (لوطا) الى لوط (سيء بهم) ساءه مجيئهم (وضاق بهم) اغتم بمجيئهم (ذرعا) اغتماما شديدا خاف عليهم من

عليه هذا (ان هذا لشئ عجيب) أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة (قالوا أتعجبين من أمر الله) قدرته وحكمته
وانما أنكرت الملائكة تعجبها لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا
يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة
حيث قالوا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أرادوا ان هذه وأمثالها مما يكرمكم
به رب العزة ويخصكم بالانعام
به يا أهل بيت النبوة فليست
بمكان عجيب وهو كلام
مستأنف علل به انكار
التعجب كأنه قيل اياك
والتعجب لان أمثال هذه
الرحمة والبركة متكاثرة من
الله عليكم وقيل الرحمة النبوة
والبركات الاسباط من بني
اسرائيل لان الانبياء منهم
وكلهم من ولد ابراهيم وأهل
البيت نصب على النداء أو
على الاختصاص (انه حميد)
محمود بتعجيل النعم (مجيد)
ظاهر الكرم بتأجيل النقم
(فلما ذهب عن ابراهيم الروع)
الفزع وهو ما اوجس
من الخيفة حين نكر أضيافه
(وجاءته البشرى) بالولد
(يجادلنا في قوم لوط) أى
لما اطمأن قلبه بعد الخوف
وملئ سرورا بسبب البشرى
فزع للمجادلة وجواب لما
محذوف تقديره أقبل يجادلنا
أو يجادلنا جواب لما وانما
جئ به مضارعا لحكاية الحال
والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته
اياهم انهم قالوا انا مهلكوا أهل
هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون مؤمنا أتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ (لو كان
العشرة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله

﴿ان هذا لشئ عجيب﴾ يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك ﴿قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت﴾ منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة ﴿انه حميد﴾ فاعل ما يستوجب به الحمد ﴿مجيد﴾ كثير الخير والاحسان ﴿فلما ذهب عن ابراهيم الروع﴾ اى ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم ﴿وجاءته البشرى﴾ بدل الروع ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾ يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال أو لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو أو دليل جوابه المحذوف مثل

وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة ﴿ان هذا لشئ عجيب﴾ لم تنكر قدرة الله سبحانه وتعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يولد لهما ﴿قالوا﴾ يعني قالت الملائكة لسارة ﴿أتعجبين من أمر الله﴾ معناه لا تعجبي من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ فاذا أراد شيأ كان سريعا ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ يعني بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على أن أزواج الرجل من أهل بيته ﴿انه حميد﴾ يعني هو المحمود الذي يحمد على أفعاله كلها وهو المستحق لان يحمد في السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال ﴿مجيد﴾ ومعناه المنيع الذي لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكرم واصل المجد في كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم * قوله سبحانه وتعالى ﴿فلما ذهب عن ابراهيم الروع﴾ يعني الفزع والخوف الذي حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل ﴿وجاءته البشرى﴾ يعني زال عنه الخوف بسبب البشرى التي جاءته وهي البشارة بالولد ﴿يجادلنا﴾ فيه اضمار تقديره أخذ يجادلنا أو جعل يجادلنا ويخاصمنا وقيل معناه يكلمنا ويسألنا ﴿في قوم لوط﴾ لان العبد لا يقدر أن يخاصم ربه وقال جمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة ان قال لهم أرأيتم

(ان هذا الشئ عجيب) عجب (قالوا) لها (أتعجبين من أمر الله) من قدرة الله (رحمة الله وبركاته) سعادته (عليكم أهل البيت) ابراهيم
(انه حميد) باعمالكم (مجيد) كريم بكرمكم بولد صالح (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الخوف (وجاءته البشرى) البشارة بالولد
(يجادلنا) يخاصمنا (في قوم لوط) في هلاك قوم لوط

الحاء ﴿ فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ﴾ نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره مادل عليه الكلام وتقديره ووهبناها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق أو على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ماعطف عليه بالظرف ٠ وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ وخبره الظرف أي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيي ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد ﴿ قالت ياويلتا ﴾ ياعجبا واصله في الشر فاطلق على كل امر فظيع ٠ وقرئ بالياء على الاصل ﴿ أألد وانا عجوز ﴾ ابنة تسعين أو تسع وتسعين ﴿ وهذا بعلي ﴾ زوجي واصله القائم بالامر ﴿ شيخا ﴾ ابن مائة أو مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة ٠ وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف أي هو شيخ أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وبعلي بدل

تضحك الضبع من دماء سليم ٭ اذ رأتها على الحراب تمور

وقال في المحكم ضحكت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحكت فبشرناها باسحق وضحكت الارنب ضحكا يعني حاضت حيضا قال

وضحك الارانب فوق الصفا ٭ كمثل دم الخوف يوم اللقا

يعني الحيض فيما زعم بعضهم وأجاب عن هذا من أنكر أن يكون الضحك بمعنى الحيض قال كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند كشرها علم انها تحيض وانما أراد الشاعر تكشر لا كل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها حيضا وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى فيهز بعضها على بعض فجعل هزيزها ضحكا وقيل لانها تسر بهم فجعل سرورها ضحكا ٠ فان قلت أي القولين أصح في معنى الضحك ٠ قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل في معنى الضحك فالله أعلم أي ذلك كان ٭ وقوله سبحانه تعالى ﴿ فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ﴾ يعني ومن بعد اسحق يعقوب ٠ وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها أي ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا ﴿ قالت ياويلتا ﴾ نداء ندبة وأصلها ياويلتاه وهي كلمة يستعملها الانسان عند رؤية مايتعجب منه مثل ياعجباه ﴿ أألد وأنا عجوز ﴾ وكانت بنت تسعين سنة في قول ابن اسحق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة ﴿ وهذا بعلي ﴾ يعني زوجي والبعل هو المستعلي على غيره ولما كان زوج المرأة مستعليا عليها قائما بامرها سمي بعلا لذلك ﴿ شيخا ﴾ وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين في قول محمد بن اسحق

وخصت بالبشارة لان النساء أعظم سرورا بالولد من الرجال ولانه لم يكن لها ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسمعيل (ومن وراء اسحق) ومن بعده (يعقوب) بالنصب شامي وحمزة وحفص بفعل مضمر دل عليه فبشرناها اي فبشرناها باسحق ووهبنا لها يعقوب من وراء اسحق وبالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول في الدار زيد (قالت ياويلتا) الالف مبدلة من ياء الاضافة وقرأ الحسن ياويلتي بالياء على الاصل (أألد وأنا عجوز) ابنة تسعين سنة (وهذا بعلي شيخا) ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدأ وبعلي خبر وشيخا حال والعامل معنى الاشارة التي دلت عليه ذا أو معنى التنبيه الذي دل

(فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) ولد الولد فضحكت فحاضت مقدم ومؤخر (قالت ياويلتي أألد وأنا عجوز) بنت ثمان وتسعين سنة للعجوز الكبيرة وال[illegible] هذ (وهذا بعلي) زوجي ابراهيم (شيخا) ابن تسع وتسعين سنة

أو بهلاك اهل الفساد أو باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطافانى اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال

وعهدى بسلمى ضاحكافى لبابة * ولم تعد حقاثديها ان تحلما

ومنه ضحكت السمرة اذاسال صمغها * وقرئ بفتح

أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان الضواحك و يستعمل فى السرور المجرد و فى التعجب المجرد أيضا وللعلماء فى تفسير هـذا الضحك قولان،أحدهما أنه الضحك المعروف وعليه أكثر المفسرين ثم اختلفوا فى سبب هذا الضحك فقال السدى لما قرب ابراهيم الطعام الى أضيافه فلم يأكلوا خاف ابراهيم منهم فقال ألاتأكلون فقالوا انا لانأكل طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وماثمنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل و قال حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا فلما رأى ابراهيم وسارة ايديهم لاتصل اليه ضحكت سارة و قالت ياعجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم و هم لايأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبى ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم وذلك انها خافت لخوفه فحين قالوا لاتخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة و قال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا القول يكون فى الآية تقديم وتأخير تقديره فبشرناها باسحق فضحكت يعنى تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضمم اليك ابن أخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بعذابهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقة ماظنت،القول الثانى فى معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد أى حاضت فى الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال حاضت ليس ذلك تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى حاضت وانما ذكر ذلك تنصيصا لحالها فان جعل ذلك أمارة لما بشرت به فحيضها فى الوقت لتعلم أن حملها ليس بمنكر لان المرأة مادامت تحيض فانها تحمل وقال الفراء ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشئ ضحكت بمعنى حاضت وقال ابن الانبارى قد أنكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وأنشد

تضحك الضبع لقتلى هذيل * وترى الذئب بها يستهل

قال أراد أنها تحيض فرحا وقال الليث فى هـذه الآية فضحكت أى طمثت وحكى الازهرى عن بعضهم فى قوله فضحكت أى حاضت قال و يقال أصله من ضحاك الطلعة اذا انشقت قال وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض

الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب أو فحاضت

ابراهيم من اضيافه

قوم لوط والاول أظهر (قلوا سلاما) سلمنا عليك سلاما (قل سلام) أمركم سلام سلم حمزة وعلى بمعنى السلام (فما لبث أن
 والعجل ولد البقرة وكان
مال ابراهيم البقر (حنيذ) مشوى بالحجارة المحماة (فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم) نكر وأنكر بمعنى وكانت عادتهم أنه اذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه والا خافوه والظاهر أنه أحس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف أن يكون نزولهم لامر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه دليله قوله (وأوجس منهم خيفة) أى أضمر منهم خوفا (قالوا لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط) بالعذاب وانما قال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا وانما قالوا لاتخف لانهم رأوا أثر الخوف والتغير فى وجهه (وامرأته قائمة) وراء الستر تسمع تحاورهم أو على رؤسهم تخدمهم (فضحكت) سرورا بزوال

قوم لوط ﴿ قلوا سلاما ﴾ سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما ﴿ قل سلام ﴾ أى امركم سلام أو جوابى سلام أو وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم * وقرأ حمزة والكسائى سلم وكذلك فى الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح ﴿ فما لبث ان جاء بعجل حنيذ ﴾ فما ابطأ مجيئه به أو فما ابطأ فى المجيء به أو فما تأخر عنه والجار فى ان مقدر أو محذوف والحنيذ المشوى بالرضف وقيل الذى يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين ﴿ فلما رأى ايديهم لاتصل اليه ﴾ لايمدون اليه ايديهم ﴿ نكرهم واوجس منهم خيفة ﴾ انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار ﴿ قالوا ﴾ له لما احسوا منه اثر الخوف ﴿ لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط ﴾ انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لانأكل ﴿ وامرأته قائمة ﴾ وراء الستر تسمع محاورتهم أو على رؤسهم للخدمة ﴿ فضحكت ﴾ سرورا بزوال الخيفة

﴿ قلوا سلاما ﴾ يعنى ان الملائكة سلموا سلاما ﴿ قال ﴾ يعنى لهم ابراهيم ﴿ سلام ﴾ أى عليكم أو أمركم سلام ﴿ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ﴾ يعنى مشويا والمحنوذ هو المشوى على الحجارة المحماة فى حفرة من الارض وهو من فعل أهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم عليه السلام خمس عشرة ليلة لم يأته ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولايأكل الا معه فلما جاءت الملائكة رأى أضيافا لم ير مثلهم قط فعجل قراهم وجاءهم بعجل سمين مشوى ﴿ فلما رأى أيديهم ﴾ يعنى أيدى الاضياف ﴿ لاتصل اليه ﴾ يعنى الى العجل المشوى ﴿ نكرهم ﴾ يعنى أنكرهم وأنكر حالهم وانما أنكر حالهم لامتناعهم من الطعام ﴿ وأوجس منهم خيفة ﴾ يعنى ووقع فى قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف أنهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عرف انهم ملائكة وانما خاف أن يكونوا نزلوا بعذاب قومه فخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف انهم ملائكة فى اول الامر ويدل على صحة هذا أنه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف أنهم ملائكة لما قدمه اليهم لعلمه ان الملائكة لايأكلون ولايشربون ولانه خافهم ولو عرف أنهم ملائكة لما خافهم فلما رأت الملائكة خوف ابراهيم عليه السلام ﴿ قالوا لاتخف ﴾ يا ابراهيم ﴿ انا ﴾ ملائكة الله ﴿ أرسلنا الى قوم لوط وامرأته ﴾ يعنى سارة زوجة ابراهيم وهى ابنة هاران بن ناحور أو هى ابنة عم ابراهيم ﴿ قائمة ﴾ يعنى من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة فى خدمة الرسل وابراهيم جالس معهم ﴿ فضحكت ﴾

له بالولد (قالوا سلاما) سلموا على ابراهيم حين دخلوا عليه (قال سلام) رد عليهم السلام وان قرأت سلم فقول امرى سلم من السلامة (فالبث) مكث ابراهيم (ان جاء بعجل) سمين (حنيذ) مشوى فوضعه بين أيديهم (فلما رأى أيديهم لاتصل اليه) الى طعامه لانهم لم يحتاجوا الى طعام (نكرهم) أنكرهم ذلك (وأوجس منهم خيفة) أوقع فى نفسه خوفا منهم وظن انهم لصوص حيث لم يأكلوا من طعامه فلما علموا خوفه (قالوا لاتخف) منا يا ابراهيم (انا أرسلنا الى قوم لوط) لنهلكهم (وامرأته) سارة (قائمة) بالخدمة (فضحكت) تعجبت من خوف

أو عذابنا (نجينا صالحاو الذين آمنوا معه برحمة منا) قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على ان من نجي انما نجي برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل أحد الجنة الا برحمة الله (ومن خزي يومئذ) باضافة الخزي الى اليوم وانجرار اليوم بالاضافة و بفتحها مدني وعلى لانه مضاف الى اذ وهو مبني وظروف الزمان اذا أضيفت الى الاسماء المبهمة والافعال الماضية بنيت و اكتسبت البناء من المضاف اليه كقوله ، على حين عاتبت المشيب على الصبا . والواو للعطف وتقديره و نجيناهم من خزي يومئذ أي من ذله وفضيحته ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وجاز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة (ان ربك هو القوى) القادر على تنجية أوليائه (العزيز) الغالب باهلاك أعدائه (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) أى صيحة جبريل عليه السلام (فصبحوا في ديارهم) منازلهم (جاثمين) ميتين (كأن لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها (ألا ان ثمودا كفروا ربهم) ثمود حمزة وحفص (ألا بعدا لثمود) على قالصرف للذهاب الى الحي أو الاب الاكبر و منعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة (ولقد جاءت رسلنا) جبريل و ميكائيل و اسرافيل أوجبريل مع أحد عشر ملكا (ابراهيم بالبشرى) هي البشارة بالولد أو بهلاك

نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ﴾ أي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ ﴿ ان ربك هو القوي العزيز ﴾ القادر على كل شيء والغالب عليه ﴿ وأخذ الذين ظلموا الصيحة فصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف ﴿ كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمودا كفروا ربهم ﴾ نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله ﴿ ألا بعدا لثمود ﴾ ذهابا الى الحي أو الاب الاكبر ﴿ ولقد جاءت رسلنا ابراهيم ﴾ يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام ﴿ بالبشرى ﴾ ببشارة الولد وقيل بهلاك

﴿ نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾ أي بنعمة منا بأن هديناهم الى الايمان فآمنوا ﴿ ومن خزي يومئذ ﴾ يعني ونجيناهم من عذاب يومئذ سمي خزيا لان فيه خزي الكافرين ﴿ ان ربك ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان ربك يا محمد ﴿ هو القوي ﴾ يعني هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين ﴿ العزيز ﴾ يعني القاهر الذي لا يغلبه شيء ثم أخبر عن عذاب قوم صالح فقال سبحانه وتعالى ﴿ وأخذ الذين ظلموا ﴾ يعني أنفسهم بالكفر ﴿ الصيحة ﴾ وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا ﴿ فصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ يعني صرعى هلكى ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴾ يعني كأن لم يقيموا في تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا أتيته وأقمت به ﴿ ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ﴾ وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاعراف ﴿ قوله عز وجل ﴿ ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ﴾ أراد بالرسل الملائكة واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة أملاك وقال السدي كانوا أحد عشر ملكا على صور الغلمان الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الاولى لان أقل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به بالبشرى يعني بالبشارة باسحق و يعقوب و قيل باهلاك قوم لوط

(قالوا)

نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة) بنعمة (منا ومن خزي يومئذ) من عذاب يومئذ (ان ربك هو القوي) بنجاة أوليائه (العزيز) بنقمة أعدائه (وأخذ الذين ظلموا) أشركوا (الصيحة) العذاب (فصبحوا في ديارهم) مساكنهم (جاثمين) ميتين لا يتحركون في ... صاروا رمادا (كأن لم يغنوا فيها) كان لم يكونوا في الارض قط (ألا ان ثمودا) قوم صالح (كفروا ربهم) كفروا بربهم (ألا بعدا لثمود لقوم صالح من رحمة الله (ولقد جاءت رسلنا) جبريل و من معه من الملائكة اثنا عشر ملكا (ابراهيم) الى ابراهيم (بالبشرى) بالبشار

يعني من عذاب الله (ان عصيته) في تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الاوثان (فما تزيدونني) بقولكم أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا (غير تخسير) بنسبتكم اياي الى الخسار أو بنسبتي اياكم الى الخسران (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) نصب على الحال قد عمل فيها مادل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل ولكم متعلق بآية حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (فذروها تأكل في أرض الله) أي ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفعها (ولا تمسوها بسوء) عقر أو نحر (فيأخذكم عذاب قريب) عاجل (فعقروها) يوم الاربعاء (فقال) صالح (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (في داركم) في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها أي يتصرف أو في دار الدنيا (ثلاثة أيام) ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت (ذلك وعد غير مكذوب) أي غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به أو وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمعقول (فلما جاء أمرنا) بالعذاب

﴿ان عصيته﴾ في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به ﴿فما تزيدونني﴾ اذن باستتباعكم اياي ﴿غير تخسير﴾ غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه أو فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ﴿وياقوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها ﴿فذروها تأكل في ارض الله﴾ ترع نباتها وتشرب ماءها ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب﴾ عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام ﴿فعقروها فقال تمتعوا في داركم﴾ عيشوا في منازلكم أو في داركم الدنيا ﴿ثلاثة ايام﴾ الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ﴿ذلك وعد غير مكذوب﴾ أي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله

ويوم شهدناه سليما وعامرا

أو غير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له أفي بك فان وفى به صدقه والا كذبه أو وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول ﴿فلما جاء امرنا

﴿ان عصيته﴾ يعني ان خالفت أمره ﴿فما تزيدونني غير تخسير﴾ قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير وانما المعنى فما تزيدونني بما تقولون الا نسبتي الى الخسارة ﴿وياقوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ وذلك ان قومه طلبوا أن يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك أشاروا اليها فدعا الله عز وجل فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة لهم آية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام ﴿فذروها تأكل﴾ يعني من العشب والنبات ﴿في أرض الله﴾ يعني فليس عليكم مؤنتها ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ يعني بعقر ﴿فيأخذكم﴾ يعني ان قتلتموها ﴿عذاب قريب﴾ يعني في الدنيا ﴿فعقروها﴾ يعني فخالفوا أمر ربهم فعقروها ﴿فقال﴾ يعني فقال لهم صالح ﴿تمتعوا﴾ يعني عيشوا ﴿في داركم﴾ أي في بلدكم ﴿ثلاثة أيام﴾ يعني ثم تهلكون ﴿ذلك﴾ يعني العذاب الذي أوعدهم به بعد ثلاثة أيام ﴿وعد غير مكذوب﴾ أي هو غير كذب روى انه قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كما قال وأتاهم العذاب في اليوم الرابع وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿فلما جاء أمرنا﴾ يعني العذاب

ان عصيته) وتركت أمره (فما تزيدونني غير تخسير) فما ازداد الا بصيرة في خسارتكم (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) علامة (فذروها) فاتركوها (تأكل في أرض الله) في ارض الحجر ليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) بعقر (فيأخذكم عذاب قريب) بعد ثلاثة أيام (فعقروها) قتلوها قتلها قدار بن سالف ومصدع بن زهر [illegible] الجمها على ألف وخمسمائة دار (فقال) لهم صالح بعد قتلهم لها (تمتعوا) عيشوا (في داركم) في مدينتكم (ثلاثة أيام) ثم يأتيكم العذاب اليوم الرابع قالوا ياصالح ما علامة العذاب قال ان تصبحوا اليوم الاول وجوهكم مصفرة وتصبحوا اليوم الثاني وجوهكم محمرة وتصبحوا اليوم الثالث وجوههم مسودة ثم يأتيكم العذاب اليوم الرابع (ذلك) العذاب (وعد غير مكذوب) غير مردود (فلما جاء أمرنا) عذابنا

هو انشأكم من الارض) لم ينشئكم منها الا هو وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم (واستعمركم فيها) وجعلكم عمارها وأ[illegible] منكم عمارتها او استعمركم من العمر أي أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلاثمائة الى ألف وكان ملوك فارس قد أ[illegible]زوا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسأل نبي من أنبياء زمانهم [illegible] عن [illegible] [illegible]حى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي (فاستغفروه) فاسألوا مغفرته بالايمان (ثم توبوا اليه ان ربي قريب) داني الرحمة (مجيب) لمن دعاه (قالوا يا صالح قد كنت فينا) [illegible] (مرجوا قبل هذا) للسيادة والمشاورة في الامور وكنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (واننا لفي شك مما تدعونا اليه) من التوحيد (مريب) موقع في الريبة من أرابه اذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة) نبوة اتى بحرف الشك مع انه على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في أوامره (فمن ينصرني من الله) فمن

﴿هو انشأكم من الارض﴾ هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب ﴿واستعمركم فيها﴾ عمركم فيها واستبقاكم من العمر أو اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم ﴿فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب﴾ قريب الرحمة ﴿مجيب﴾ لداعيه ﴿قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا﴾ لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا أو مستشارا في الامور أو ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك ﴿أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا﴾ على حكاية الحال الماضية ﴿واننا لفي شك مما تدعونا اليه﴾ من التوحيد والتبري من الاوثان ﴿مريب﴾ موقع في الريبة من ارابه اوذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر ﴿قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي﴾ بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين ﴿وآتاني منه رحمة﴾ نبوة ﴿فمن ينصرني من الله﴾ فمن يمنعني من عذابه

الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال تعالى ﴿هو أنشأكم من الارض﴾ يعني انه هو ابتدأ خلقكم من الارض وذلك أنهم من بني آدم وآدم خلق من الارض ﴿واستعمركم فيها﴾ يعني وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك أطال أعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة الى ألف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد أعمركم من العمرى أي جعلها لكم ما عشتم ﴿فاستغفروه﴾ يعني من ذنوبكم ﴿ثم توبوا اليه﴾ يعني من الشرك ﴿ان ربي قريب﴾ يعني من المؤمنين ﴿مجيب﴾ لدعائهم ﴿قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا﴾ يعني قبل هذا القول الذي جئت به والمعنى انا كنا نرجو أن تكون فينا سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغني فقيرهم وقيل معناه انا كنا نطمع أن تعود الى ديننا فلما أظهر دعاءهم الى الله وعاب الاصنام انقطع رجاؤهم منه ﴿أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا﴾ يعني الآلهة ﴿واننا لفي شك مما تدعونا اليه﴾ يعني من عبادة الله ﴿مريب﴾ يعني انا مرتابون في قولك من ارابه اذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس ووقوعها في التهمة ﴿قال﴾ يعني قال صالح مجيبا لقومه ﴿ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي﴾ يعني على يقين وبرهان ﴿وآتاني منه رحمة﴾ يعني نبوة وحكمة ﴿فمن ينصرني من الله﴾ أي فمن يمنعني من عذاب الله

(هو أنشأكم من الارض) خلقكم من آدم وآدم من الارض (واستعمركم فيها) عمركم في الارض وجعلكم سكانها (فاستغفروه) فوحدوه (ثم توبوا اليه) أقبلوا اليه بالتوحيد والتوبة والاخلاص (ان ربي قريب) [illegible] (مجيب) لمن وحده (قالوا ياصالح (ان) قد كنت فينا مرجوا) نرجوك (قبل هذا) قبل ان تأمرنا بدين غير دين آبائنا (أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا) من الاوثان (واننا لفي شك مما تدعونا اليه) من دينك (مريب) ظاهر الشك به (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي) على بيان نزل من ربي (وآتاني منه رحمة) أكرمني بالنبوة والاسلام (فمن ينصرني) يمنعني (من) عذاب (الله

كأنه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله ... أحد من رسله (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) يريد رؤساءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل لانهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعاندون ربهم ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم (واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين (ألا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد) تكرار ألا مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم او بعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم والدعاء ببعدا بعد هلاكهم وهو دعاء بالهلاك للدلالة على انهم كانوا مستأهلين له (قوم هود) عطف بيان لعاد وفيه فائدة لان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصد فيهم والاخرى ارم (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره

القبيلة أولان الاشارة الى قبورهم وآثارهم ﴿جحدوا بآيات ربهم﴾ كفروا بها ﴿وعصوا رسله﴾ لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول ﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾ يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا وعندا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم ﴿واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة﴾ أي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب ﴿ألا ان عادا كفروا ربهم﴾ جحدوه أو كفروا نعمه أو كفروا به فحذف الجار ﴿ألا بعدا لعاد﴾ دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر ألا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم ﴿قوم هود﴾ عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود ﴿والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره

جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله﴾ لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى جحدوا بآيات ربهم يعني المعجزات التي أتى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما أتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم أولان من كذب برسول فقد كذب كل الرسل ﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾ يعني ان السفلة منهم اتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه ﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة﴾ يعني أردفوا لعنة تتبعهم وتلحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله ﴿ويوم القيمة﴾ يعني وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم في الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال سبحانه وتعالى ﴿ألا ان عادا كفروا ربهم﴾ أي كفروا بربهم ﴿ألا بعدا لعاد﴾ يعني هلاكا لهم وقيل بعدا عن الرحمة * فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفائدة في قوله الا بعدا لعاد لان الثاني هو الاول بعينه * قلت الفائدة فيه ان التكرار بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيد وانهم كانوا مستحقين له ﴿قوم هود﴾ عطف بيان لعاد * فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فما الفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عادا الاولى القديمة التي هم قوم هود وعادا الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق فأتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه * وجواب آخر وهو ان المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التأكيد * قوله عز وجل ﴿والى ثمود أخاهم صالحا﴾ يعني وأرسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر أخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين ﴿قال ياقوم اعبدوا الله﴾ أي وحدوا الله وخصوه بالعبادة ﴿مالكم من اله غيره﴾ يعني هو الهكم المستحق للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر سبحانه وتعالى

(جحدوا بآيات ربهم) التي أتاهم بها هود (وعصوا رسله) بالتوحيد (واتبعوا أمر كل جبار) قول كل قتال على الغضب (عنيد) معرض عن الله (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة) أهلكوا في الدنيا بالريح (ويوم القيمة) لهم لعنة أخرى وهي النار (ألا ان عادا كفروا ربهم) (قا و خا ٤٣ لث) جحدوا بربهم (ألا بعدا لعادة) قوم هود من رحمة الله (والى ثمود) وأرسلنا الى ثمود (أخاهم) نبيهم (صالحا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوا الله (مالكم من اله غيره) غير الذي آمركم أن تؤمنوا به

ان ربي على الحق لا يعدل عنه أو ان ربي يدل على صراط مستقيم (فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) هو في موضع

ثبتت الحجة عليكم (ويستخلف ربى قوما غيركم) كلام مستأنف أى ويهلك الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) من ضرر قط اذ لا يجوز عليه المضار وانما تضرون أنفسكم (ان ربي على كل شئ حفيظ) رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت الاشياء مفتقرة الى حفظه عن المضار لم يضر مثله مثلكم (ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) أى بفضل منا لا بعملهم أو بالايمان الذى أنعمنا عليهم (ونجيناهم من عذاب غليظ) وتكرار نجينا للتأكيد أو الثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم

معتصم ولا يفوته ظالم ﴿فان تولوا﴾ فان تتولوا ﴿فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم﴾ فقد اديت ما على من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط منى ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ﴿ويستخلف ربى قوما غيركم﴾ استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع فكأنه قيل وان تتولوا يعذرنى ربى ويستخلف ﴿ولا تضرونه﴾ بتوليكم ﴿شيأ﴾ من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ﴿ان ربى على كل شئ حفيظ﴾ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم أو حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شئ ﴿ولما جاء امرنا﴾ عذابنا أو امرنا بالعذاب ﴿نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ وكانوا اربعة آلاف ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ ﴿وتلك عاد﴾ انث اسم الاشارة باعتبار

الدليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازى المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربى هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربى يحملكم على صراط مستقيم ﴿فان تولوا﴾ يعنى تتولوا بمعنى تعرضوا عن الايمان بما أرسلت به اليكم ﴿فقد ابلغتكم ما أرسلت به اليكم﴾ يعنى انى لم يقع منى تقصير في تبليغ ما أرسلت به اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك ﴿ويستخلف ربى قوما غيركم﴾ يعنى انكم ان أعرضتم عن الايمان وقبول ما أرسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم أطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستئصال فهو وعيد وتهديد ﴿ولا تضرونه شيأ﴾ يعنى بتوليكم انما تضرون أنفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيأ اذا أهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء ﴿ان ربى على كل شئ حفيظ﴾ يعنى أنه سبحانه وتعالى حافظ لكل شئ فيحفظنى من أن تنالونى بسوء ﴿قوله﴾ سبحانه وتعالى ﴿ولما جاء أمرنا﴾ يعنى باهلاكهم وعذابهم ﴿نجينا هودا والذين آمنوا معه﴾ وكانوا أربعة آلاف ﴿برحمة منا﴾ وذلك ان العذاب اذا نزل قد يعم المؤمن والكافر فلما أنجى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ يعنى الريح التى أهلكت بها عاد وذلك ان الله سبحانه وتعالى ارسل على عاد ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية أيام حسوما وهى الايام النحسات فاهلكتهم جميعا وأنجى الله المؤمنين جميعا فلم تضرهم شيأ وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى كما أنجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظا لانه أعظم من عذاب الدنيا ﴿وتلك عاد

عليه ممر الخلق ويقال يدعو الخلق الى صراط مستقيم دين قائم يرضاه وهو الاسلام (فان تولوا) أعرضوا عن الايمان والتوبة (فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) من الرسالة ويهلككم (ويستخلف ربى قوما غيركم) خيرا منكم وأطوع (ولا تضرونه شيأ) ولا يضر الله هلاككم شيأ (ان ربى على كل شئ) من أعمالكم (حفيظ) حافظ شهيد (ولما جاء أمرنا) ﴿جحد﴾ عذابنا (نجيناهو دا والذين آمنوا معه برحمة) بنعمة (منا ونجيناهم من عذاب غليظ) شديد (وتلك عاد) وهذه عاد

قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه) أى من اشراككم آلهة من دونه والمعنى انى أشهد الله أنى برىء مما تشركون واشهدوا أنتم أيضا أنى برىء من ذلك وجىء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على أنى لا أحبك تهكما به واستهانة

(فكيدونى جميعا) أنتم وآلهتكم (ثم لا تنظرون) لا تمهلون فانى لا أبالى بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وان تعاونتم على وكيف تضرنى آلهتكم وما هى الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم منى اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلنى وتذهب بعقلى (انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) أى مالكها و لما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بالناصية تمثيل لذلك (ان ربى على صراط مستقيم

﴿ قال انى اشهد الله واشهدوا انى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون ﴾ اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه من اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة لان آلهتهم التى هى جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه و لذلك عقبه بقوله ﴿ انى توكلت على الله ربى وربكم ﴾ تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضرونى فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكى ومالككم لا يحيق بى ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ﴿ ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ﴾ أى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك ﴿ ان ربى على صراط مستقيم ﴾ أى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده

من مخالفتنا وسب آلهتنا الا أن بعض آلهتنا أصابك بخبل وجنون لانك سببتهم فانتقموا منك بذلك ولا نحمل أمرك الا على هذا ﴿ قال ﴾ يعنى قال هود مجيبا لهم ﴿ انى أشهد الله ﴾ يعنى على نفسى ﴿ واشهدوا ﴾ يعنى واشهدوا أنتم أيضا على ﴿ انى برىء مما تشركون من دونه ﴾ يعنى هذه الاصنام التى كانوا يعبدونها ﴿ فكيدونى جميعا ﴾ يعنى احتالوا فى كيدى وضرى أنتم واصنامكم التى تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع ﴿ ثم لا تنظرون ﴾ يعنى ثم لا تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا فى قومه فقال لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقته بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى ﴿ انى توكلت على الله ربى وربكم ﴾ يعنى انه فوض أمره الى الله واعتمد عليه ﴿ ما من دابة ﴾ يعنى تدب على الارض ويدخل فى هذا جميع بنى آدم والحيوان لانهم يدبون على الارض ﴿ الا هو آخذ بناصيتها ﴾ يعنى انه تعالى هو مالكها والقادر عليها وهو يقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الرأس وسمى الشعر الذى عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا فى كلامهم فاذا وصفوا انسانا بالذلة مع عزه وقوته [illegible] كان [illegible] وأسيرا [illegible] أرادوا [illegible] ناصيته ليمنوا عليه ويعتقدوا بذلك فخرا عليه فخاطبهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من كلامهم ﴿ ان ربى على صراط مستقيم ﴾ يعنى ان ربى وان كان قادرا وأنتم فى قبضته كالعبد

(قال انى أشهد الله واشهدوا الله أنى برىء مما تشركون) بالله من الاوثان وما تعبدونها (من دونه) من دون الله (فكيدونى) فاعملوا فى هلاكى أنتم وآلهتكم (جميعا ثم لا تنظرون) لا تؤجلون ولا ترقبوا فى احدا (انى توكلت على الله) فوضت أمرى اليه (ربى) خالقى ورازقى (وربكم)خالقكم ورازقكم (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) يميتها ويحييها ويقلب فى قبضته يفعل ما يشاء (ان ربى على صراط مستقيم)

(يرسل السماء) أي المطر (عليكم مدرارا) حال أي كثير الدرور (ويزدكم قوة الى قوتكم) انما قصد استمالتهم الى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شئ الى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة البطش والقوة وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض حجابه انى رجل ذو مال ولا يولد لى علمنى شيأ لعل الله يرزقنى ولدا فقال الحسن عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال وبنين (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عنى وعما أدعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم وآثامكم (قالوا ياهود ما جئتنا ببينة) كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) هو حال من الضمير في تاركى آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا أمثالك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) ان حرف نفى فنفى جميع القول الا قولا واحدا وهو قولهم اعتراك أصابك بعض آلهتنا بسوء (من جنون وخبل وتقديره ما نقول قوله الا هذه المقالة أى قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء

فيما عنده ﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ كثير الدر ﴿ ويزدكم قوة الى قوتكم ﴾ ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ﴿ ولا تتولوا ﴾ ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه ﴿ مجرمين ﴾ مصرين على اجرامكم ﴿ قالوا ياهود ما جئتنا ببينة ﴾ بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات ﴿ وما نحن بتاركى آلهتنا ﴾ بتاركى عبادتهم ﴿ عن قولك ﴾ صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركى ﴿ وما نحن لك بمؤمنين ﴾ اقناط له من الاجابة والتصديق ﴿ ان نقول الا اعتراك ﴾ ما نقول الا قولنا اعتراك أى اصابك من عراه يعروه اذا اصابه ﴿ بعض آلهتنا بسوء ﴾ بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ

﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ يعنى ينزل المطر عليكم متتابعا مرة بعد مرة في أوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فأمسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فأخبرهم هود عليه السلام انهم ان آمنوا بالله وصدقوا أرسل الله اليهم المطر فأحيا بلادهم كما كانت أول مرة ﴿ ويزدكم قوة الى قوتكم ﴾ يعنى شدة مع شدتكم وقيل معناه انكم ان آمنتم تقوكم بالاموال والاولاد وذلك انه سبحانه وتعالى أعقم أرحام نسائهم فلم تلد فقال لهم هود عليه السلام ان آمنتم أرسل الله المطر فتزدادون مالا ويعيد أرحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة في الدين الى قوة الابدان ﴿ ولا تتولوا مجرمين ﴾ يعنى ولا تعرضوا عن قبول قولى ونصحى حال كونكم مشركين ﴿ قالوا ياهود ما جئتنا ببينة ﴾ أى ببرهان وحجة واضحة على صحة ما تقول ﴿ وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك ﴾ يعنى وما نترك عبادة آلهتنا لاجل قولك ﴿ وما نحن لك بمؤمنين ﴾ يعنى بمصدقين ﴿ ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾ يعنى أنك ياهود لست تتعاطى ما تتعاطاه

(يرسل السماء عليكم مدرارا) مطرا دائما درورا كما تحتاجون اليه (ويزدكم قوة الى قوتكم) شدة الى شدتكم بالمال والبنين (ولا تتولوا) عن الايمان والتوبة (مجرمين) مشركين بالله (قالوا ياهود ما جئتنا ببينة) ببيان ما تقول (وما نحن بتاركى آلهتنا) عبادة آلهتنا (عن قولك) بقولك (وما نحن لك بمؤمنين) بمصدقين بالرسالة (ان نقول) ما نقول فيما بيننا (الا اعتراك) يصيبك (بعض آلهتنا بسوء) بخبل لانك تشتمها

بل ايحائي اليك واخبارك بها (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع فى العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه (ان العاقبة) فى الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) عن الشرك (والى عاد أخاهم)واحدا منهم وانتصابه عطف على أرسلنا نوحا أى وأرسلنا الى عاد أخاهم (هودا) عطف بيان (قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من اله غيره) بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على على اللفظ (ان أنتم الا مفترون) تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء (ياقوم لاأسئلكم عليه أجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى) مامن رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لايمحضها الا حسم المطامع ومادام يتوهم شئ منها لم تنجع ولم تنفع (أفلا تعقلون) اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شئ أنفى للتهمة من ذلك (وياقوم استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره

خبر آخر أى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك أو حال من الهاء فى نوحيها أو الكاف فى اليك أى جاهلا انت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمها اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوها فكيف بواحد منهم ﴿ فاصبر ﴾ على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح عليه السلام ﴿ ان العاقبة ﴾ فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز ﴿ للمتقين ﴾ عن الشرك والمعاصى ﴿ والى عاد اخاهم هودا ﴾ عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله ﴾ وحده ﴿ مالكم من اله غيره ﴾ وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ﴿ ان انتم الا مفترون ﴾ على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء ﴿ ياقوم لااسألكم عليه اجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى ﴾ خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع مادامت مشوبة بالمطامع ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ ﴿ وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ﴾ اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة

فى العالم فكيف قال ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا * قلت يحتمل ان يكون كانوا يعلمونها مجملة فنزل القرآن بتفصيلها وبيانها * وجواب آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت أمته فصح قوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل نزول القرآن بها ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد على أذى مشركى قومك كما صبر نوح على أذى قومه ﴿ ان العاقبة ﴾ يعنى النصر والظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الاخروية ﴿ للمتقين ﴾ يعنى للمؤمنين * قوله عز وجل ﴿ والى عاد ﴾ يعنى وأرسلنا الى عاد ﴿ أخاهم هودا ﴾ يعنى أخاهم فى النسب لا فى الدين ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله ﴾ يعنى وحدوا الله ولا تشركوا معه شيأ فى العبادة ﴿ مالكم من اله غيره ﴾ يعنى انه تعالى هو الهكم لا هذه الاصنام التى تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع ﴿ ان أنتم الا مفترون ﴾ يعنى ما أنتم الا كاذبون فى عبادتكم غيره ﴿ ياقوم لاأسئلكم عليه ﴾ يعنى على تبليغ الرسالة ﴿ أجرا ﴾ يعنى جعلا آخذه منكم ﴿ ان أجرى ﴾ يعنى ما ثوابى ﴿ الا على الذى فطرنى ﴾ يعنى خلقنى فانه هو الذى يرزقنى فى الدنيا ويثيبنى فى الآخرة ﴿ أفلا تعقلون ﴾ يعنى فتتعظون ﴿ وياقوم استغفروا ربكم ﴾ أى آمنوا به فالاستغفار هنا بمعنى الايمان لانه هو المطلوب أولا ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ يعنى من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم

(فاصبر) يا محمد على أذاهم وتكذيبهم اياك (ان العاقبة) آخر الامر بالنصرة والجنة (للمتقين) الكفر والشرك والفواحش (والى عاد) وأرسلنا الى عاد (أخاهم) نبيهم (هودا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوا الله (مالكم من اله غيره) غير الذى آمركم أن تؤمنوا به (ان أنتم) ما أنتم بعبادة الاوثان (الا مفترون) كاذبون على الله لم يأمركم بعبادتها (ياقوم لاأسئلكم عليه) على التوحيد (أجرا) جعلا (ان أجرى) ما ثوابى (الا على الذى فطرنى) خلقنى (أفلا تعقلون) أفلا تصدقون أفليس لكم ذهن انسانية (وياقوم استغفروا ربكم) وحدوا ربكم (ثم توبوا اليه) أقبلوا اليه بالتوبة والاخلاص

(وبركات عليك) هى الخيرات النامية وهى فى حقه بكثرة ذريته واتباعه فقد جعل أكثر الانبياء من ذريته وأئمة الدين فى القرون الباقية من نسله (وعلى أمم ممن معك) من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه فى السفينة لانهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لان الامم تتشعب منهم أو لابتداء الغاية أى على أمم ناشئة ممن معك وهى الامم الى آخر الدهر وهو الوجه (وأمم) رفع بالابتداء (سنمتعهم) فى الدنيا بالسعة فى الرزق والخفض فى العيش صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وانما حذف لان ممن معك يدل عليه (ثم يمسهم منا عذاب أليم) أى فى الآخرة والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤن ممن معك وممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام أبا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه فى السفينة وعن محمد بن كعب دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها وهى (من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) أخبار أى تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) الوقت أو من

(وبركات) سعادات (عليك وعلى أمم) جماعة (ممن معك) فى السفينة من أهل السعادة (وأمم) جماعة فى أصلابهم (سنمتعهم) سنعيشهم بعد خروجهم من أصلاب آبائهم (ثم يمسهم) يصيبهم (منا عذاب أليم) وجيع بعدما كفروا وهم أهل الشقاوة قال ابن عباس رضى الله عنهما أوحى الله الى نوح عليه السلام وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة ودعا قومه مائة وعشرين سنة وركب فى السفينة وهو ابن (فى) ستمائة سنة وعاش بعدما ركب فى السفينة ثلاثمائة وخمسين سنة وكان فى السفينة خمسة أشهر وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع بذراعه وعرضها خمسون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا وكان لها ثلاثة أبواب بعضها أسفل من بعض حمل فى الباب الاسفل السباع والهوام وحمل فى الباب الاوسط الوحوش والبهائم وحمل فى الباب الاعلى بنى آدم وكانوا ثمانين انسانا اربعون رجلا وأربعون امرأة وكان بين الرجال والنساء جسد آدم صلوات الله عليه وكان معه ثلاثة بنين سام وحام ويافث (تلك) هذه (من أنباء الغيب) من أخبار الغائب عنك (نوحيها اليك) نرسل جبريل اليك يا محمد باخبار الامم الماضية (ما كنت تعلمها) يعنى أخبار الامم (أنت ولا قومك من قبل هذا) القرآن

﴿ وبركات عليك ﴾ ومباركا عليك أو زيادات فى نسلك حتى تصير آدما ثانيا • وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير النامى ﴿ وعلى امم ممن معك ﴾ وعلى امم هم الذين معك سموا أمما لتحزبهم أو لتشعب الامم منهم أو وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله ﴿ وامم سنمتعهم ﴾ أى وممن معك امم سنمتعهم فى الدنيا ﴿ ثم يمسهم منا عذاب أليم ﴾ فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام والعذاب ما نزل بهم ﴿ تلك ﴾ اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها ﴿ من انباء الغيب ﴾ أى بعضها ﴿ نوحيها اليك ﴾ خبران والضمير لها أى موحاة اليك أو حال من الانباء أو هو الخبر ومن انباء متعلق به أو حال من الهاء ﴿ ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا

بامن وسلامة ﴿ منا وبركات عليك ﴾ البركة هى ثبوت الخير ونماؤه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله سبحانه وتعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذرية أولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه فى السفينة غيرهم ﴿ وعلى أمم ممن معك ﴾ يعنى وعلى ذرية أمم ممن كانوا معك فى السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجئ من بعدك من ذرية أولادك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظى دخل فى هذا كل مؤمن الى يوم القيامة ﴿ وأمم سنمتعهم ﴾ هذا ابتداء كلام أى وأمم كافرة تحدثون بعدك سنمتعهم يعنى فى الدنيا الى منتهى آجالهم ﴿ ثم يمسهم منا عذاب أليم ﴾ يعنى فى الآخرة ﴿ تلك من أنباء الغيب ﴾ هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى ان هذه القصة التى أخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قومه من أنباء الغيب يعنى من أخبار الغيب ﴿ نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ يعنى من قبل نزول القرآن عليك • فان قلت ان قصة نوح كانت مشهورة معروفة

استجازه في شأن ولده أو استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله ﴿ اني اعظك ان تكون من الجاهلين ﴾ لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه * وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسروا النون على اصله تسئلني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة * وعن نافع برواية رويس اثباتها في الاصل ﴿ قال رب اني اعوذبك ان اسألك ﴾ فيما يستقبل ﴿ ماليس لي به علم ﴾ مالا علم لي بصحته ﴿ والاتغفرلي ﴾ وان لم تغفرلي ما فرط مني من السؤال ﴿ وترحمني ﴾ بالتوبة والتفضل علي ﴿ أكن من الخاسرين ﴾ اعمالا ﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا ﴾ انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا أو مسلما عليك

على ولده وهو لا يعلم ان ذلك محظور لاصرار ولده على الكفر فنهاه الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسئلة وأعلمه أن ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألني ماليس لك به علم بجواز مسئلته ﴿ اني أعظك ﴾ يعني أنهاك ﴿ أن تكون من الجاهلين ﴾ يعني لمثل هذا السؤال ﴿ قال ﴾ يعني قال نوح ﴿ رب اني أعوذ بك ﴾ يعني ألجأ اليك وأعتذر اليك ﴿ ان أسألك ماليس لي به علم ﴾ يعني انك أنت علام الغيوب وانا لا أعلم ما غاب عني فاعتذر اليك من مسئلتي ماليس لي به علم ﴿ والاتغفرلي ﴾ يعني جهلي واقدامي على سؤال ماليس لي به علم ﴿ وترحمني ﴾ يعني برحمتك التي وسعت كل شئ ﴿ أكن من الخاسرين ﴾

﴿ فصل ﴾

وقد استدل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الانبياء وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محظور فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسألن ماليس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى اني أعظك أن تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السؤال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بأن ينجيه وأهله فأخذ نوح ظاهر اللفظ واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك وعد الله سبحانه وتعالى فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ماليس له به علم وبين له انه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وأعلمه الله سبحانه وتعالى انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاذبه وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيآت المقربين وليس في الآيات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله واقدامه على سؤاله مالم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله أعلم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ قيل يا نوح اهبط ﴾ أي انزل من السفينة أو من الجبل الى الارض ﴿ بسلام ﴾ أي

(اني أعظك أن تكون من الجاهلين) هو كنهي رسولنا بقوله فلا تكونن من الجاهلين (قال رب اني أعوذبك أن أسألك ماليس لي به علم) أي من أن أطلب منك في المستقبل مالا علم لي بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك (والاتغفرلي) ما فرط مني (وترحمني) بالعصمة عن العود الى مثله (أكن من الخاسرين قيل يانوح اهبط بسلام منا) بتحية منا أو بسلامة من الغرق

(اني أعظك) أنهاك (ان تكون) أن لا تكون (من الجاهلين) بسؤالك اياي مالم تعلم (قال) نوح (رب) يارب (اني أعوذبك) امتنع بك (أن اسألك) نجاة (ماليس لي به علم) أنه أهل للنجاة (والا تغفرلي) يقول ان لم تغفرلي يعني ان لم تجاوز عني (وترحمني) ولا ترحمني فتعذبني (أكن من الخاسرين) بالعقوبة (قيل يانوح اهبط) انزل من السفينة (بسلام منا) بسلامة منا

(انه عمل غير صالح) وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك فى دينك وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك ومن لم يكن على دينك وان كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة فى ذمه كقولها
فانما هى اقبال وادبار
أو التقدير انه ذو عمل وفيه اشعار بانه انما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لانهم أهله وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوته عمل غير صالح على قال الشيخ أبو منصور رحمه الله كان عند نوح عليه السلام ان ابنه كان على دينه لانه كان ينافق والا لا يحتمل أن يقول ابنى من أهلى ويسأله نجاته وقد سبق منه النهى عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون فكان يسأله على الظاهر الذى عنده كما كان اهل النفاق يظهرون الموافقة لنبينا عليه السلام ويضمرون الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه الله عليه وقوله ليس من أهلك أى من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة فى السر والظاهر (فلا تسئلن) اجتزأ بالكسرة عن الياء كوفى تسألنى بصرى تسألنى مدنى تسألن شامى فحذف الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيد تسألن مكى (ما ليس لك به علم) بجواز مسئلته (انى)

واشار فيه بقوله ﴿ انه عمل غير صالح ﴾ فانه تعليل لنفى كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة
ترتع ما غفلت حتى اذا ذكرت ٭ فانما هى اقبال وادبار
ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه ٭ وقرأ الكسائى ويعقوب انه عمل غير اى عمل عملا غير صالح ﴿ فلا تسئلن ما ليس لك به علم ﴾ ما لا تعلم اصواب هو أم ليس بصواب وانما سمى نداؤه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله

وتعالى خلق خلقه فريق فى الجنة وهم المؤمنون وفريق فى السعير وهم الكفار والله سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق فى ذلك بين الانبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى اخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهو نبى وكان قابيل كافرا وأخرج ابراهيم من صلب آزر وهو نبى وكان آزر كافرا فكذلك أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبى فهو المتصرف فى خلقه كيف يشاء ٭ فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ٭ قلت قد ذكر بعضهم أن نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير أنه يعلم كفره انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا رأى تلك الاهوال أن يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق فأجابه الله عزوجل بقوله انه ليس من أهلك يعنى أنه ليس من أهل دينك لان أهل الرجل من يجمعه واياهم نسب أو دين أو ما يجرى مجراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب فى كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله سبحانه وتعالى لنوح انه ليس من أهلك ﴿ انه عمل غير صالح ﴾ قرأ الكسائى ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه أنه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقون من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين وغير بضم الراء ومعناه ان سؤالك اياى ان أنجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال سبحانه وتعالى انه عمل غير صالح ويجوز أن يعود الضمير فى انه على ابن نوح أيضا ويكون التقدير على هذه القراءة ان ابنك ذو عمل او صاحب عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنساء ٭ فانما هى اقبال وادبار ٭ قال الواحدى وهذا قول أبى اسحق يعنى الزجاج وأبى بكر بن الانبارى وأبى على الفارسى قال أبو على ويجوز أن يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا كثر منه فعلى هذا لا حذف ﴿ فلا تسئلن ما ليس لك به علم ﴾ وذلك ان نوحا عليه السلام سأل ربه انجاء ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد

(انه عمل) فى الشرك (غير صالح) غير مرضى وان قرأت انه عمل غير صالح يقول دعاؤك اياى بنجاته غير مرضى (فلا تسئلن) نجاة (ما ليس لك به علم) أنه أهل للنجاة

لايقدر عليه سوى الواحد القهار ﴿ ونادى نوح ربه ﴾ واراد نداءه بدليل عطف قوله ﴿ فقال رب ان ابنى من اهلى ﴾ فانه النداء ﴿ وان وعدك الحق ﴾ وان كل وعد تعده حق لايتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى فماحاله أوفماله لم ينج ويجوز أن يكون هذا النداء قبل غرقه ﴿ وانت احكم الحاكمين ﴾ لانك اعلمهم واعدلهم أولانك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع ﴿ قال يانوح انه ليس من اهلك ﴾ لقطع الولاية بين المؤمن والكافر

قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهى أول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج أحد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى حجزته وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج بن عنق من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك * فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغوا الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم * قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عزوجل أعقم أرحام نسائهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطير وغيرذلك من الحيوان ويرد على ذلك أيضا اهلاك اطفال الامم الكافرة مع آبائهم غيرقوم نوح والجواب الشافى عن هذا كله ان الله سبحانه وتعالى متصرف فى خلقه وهو المالك المطلق يفعل مايشاء ويحكم مايريد لايسئل عما يفعل وهم يسئلون * قوله عزوجل ﴿ ونادى نوح ربه ﴾ أى دعاه وسأله ﴿ فقال رب ان ابنى من أهلى ﴾ يعنى وقد وعدتنى أن تنجينى وأهلى ﴿ وان وعدك الحق ﴾ يعنى الصدق الذى لاخلف فيه ﴿ وأنت أحكم الحاكمين ﴾ يعنى انك حكمت لقوم بالنجاة وحكمت على قوم بالهلاك ﴿ قال ﴾ يعنى قال الله تعالى ﴿ يانوح انه ﴾ يعنى هذا الابن الذى سألتنى نجاته ﴿ ليس من أهلك ﴾ اختلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه أم لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حدث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من أهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من أهلى ولم يقل منى وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك رضى الله عنهم وأكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجمهور لماصح عن ابن عباس انه قال مابغت امرأة نبى قط ولان الله سبحانه وتعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح صلى الله عليه وسلم أيضا نص عليه بقوله يابنى اركب معنا وهذا نص فى الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لايجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد أن يكون ولدنبى كافرا وهذا خطأ ممن قاله لان الله سبحانه

(ونادى نوح ربه فقال رب) نداؤه ربه دعاؤه له وهوقوله رب مع مابعده من اقتضاء وعده فى تنجية أهله (ان ابنى من أهلى) أى بعض أهلى لانه كان ابنه من صلبه أوكان ربيباله فهو بعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لاشك فى انجازه والوفاء به وقد وعدتنى أن تنجى أهلى فمابال ولدى (وأنت أحكم الحاكمين) أى اعلم الحكام وأعدلهم اذلافضل لحاكم على غيره الابالعلم والعدل ورب غريق فى الجهل والجور من متقلدى الحكومة فى زمانك قدلقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر (قال يانوح انه ليس من أهلك) ثم علل لانتفاء كونه من اهله بقوله

(ونادى نوح) دعانوح (ربه فقال رب) يارب (ان ابنى) كنعان (من أهلى) الذى وعدت أن تنجيه (وان وعدك الحق) الصدق (وأنت أحكم) أعدل (الحاكمين) وعدتنى نجاتى ونجاة أهلى (قال) الله (يانوح انه ليس من أهلك) الذى وعدتك أن أنجيه

ثم استعار الماء للغذاء تشبيها له بالغذاء لتقوى الارض بالماء في الانبات كتقوى الآكل بالطعام ثم قال ماءك باضافة الماء الى الأر
على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض كاتصال الملك بالمالك ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للش
بينهما في عدم التأتي ثم قال وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا ولم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قض
الامر وسوى السفينة وقال بعدا كما لم صرح بقائل يا أرض ويا سماء سلوكا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية وان تل
الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها واحد لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم ا
ان يقول غيره يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي ولا أن يكون الغائض والقاضي والمسوي غيره ثم ختم الكلام بالتعري
تنبيها لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما لانفسهم اظهارا لمكان السخط وأن ذلك العذاب الشديد ما كان ا
لظلمهم ٠ ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك انه اختي
يا دون أخواتها لكونها أكثر استعمالا ولدلالتها على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة والملكوت وابد
العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا أرضي لزيادة التهاون اذ الاضافة تستدعي القر
ولم يقل يا أيتها الارض للاختصار واختير لفظ الارض والسماء لكونهما أخف وادور واختير ابلعي على ابتلعي لكو
أخصر وللتجانس بينه وبين أقلعي وقيل أقلعي ولم يقل عن المط

وكذا لم يقل يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء أقلعي فأقلعت اختصارا واختير غيض على غيض وقيل الماء دون أن يقول ماء الطوفان والامر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على
الجودي أي قرت على نحو قيل وغيض اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجري بهم ارادة { قرية }
للمطابقة ثم قيل بعدا للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب الكلم ٠ وأما من حي
النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل يا أرض ابلعي ويا سماء أقلعي ولم يقل أبلعي يا أر
وأقلعي يا سماء جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبه في نف
المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم أمر الارض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغي
الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله وقضي الامر أي أنجز الموعود من اهلاك الكف
وانجاء نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبره ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتأدي
لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشبك الطريق الى المرتاد ٠ ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظ
على ما ترى عربية مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسة على الاسلات كل منها كالماء في السلا
وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية و
در شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته الا ادرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظنن الآية مقصورة على المذك
فلعل المتروك أكثر من المسطور

في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغنى عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال

فعلم نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألف البيوت وطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالامان فمن ثم تألف البيوت ٠ وروى أن نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت الحرام قد رفعه الله من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعا وأودع الحجر الاسود جبل أبي قبيس وهبط نوح ومن معه في السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وأمر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا

القوم كقوله مالهم به من علم الا اتباع الظن (وحال بينهما الموج) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فكان من المغرقين) فصار أو فكان في علم الله (وقيل يا أرض ابلعي ماءك) انشفي وتشربي والبلع النشف (ويا سماء اقلعي) امسكي (وغيض الماء) نقص من غاضه اذا نقصه وهو لازم ومتعد (وقضي الامر) وأنجز ما وعد الله نوحا من اهلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها ستة أشهر (على الجودي) وهو جبل بالموصل (وقيل بعدا للقوم الظالمين) أي سحقا لقوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعدا وبعدا اذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء . والنظر في هذه الآية من أربع جهات من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول ان الله تعالى لما أراد ان يبين معنى أردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء فغيض وان نقضي أمر نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضي وان نسوي السفينة على الجودي فاستوت وأبقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالامور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في تكون المقصود تصويرا لاقتداره العظيم وأن السموات والارض منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة لارادته فيها تغييرا وتبديلا كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته واحاطوا علما بوجوب الانقياد لامره والاذعان لحكمه وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا أرض ويا سماء ثم قال مخاطبا لهما يا أرض ويا سماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي

من رحمه الله بعصمته ﴿ وحال بينهما الموج ﴾ بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل ﴿ فكان من المغرقين ﴾ فصار من المهلكين بالماء ﴿ وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ﴾ نوديا بما ينادى به اولو العلم وأمرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك ﴿ وغيض الماء ﴾ نقص ﴿ وقضي الامر ﴾ وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين ﴿ واستوت ﴾ واستقرت السفينة ﴿ على الجودي ﴾ جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل . روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة ﴿ وقيل بعدا للقوم الظالمين ﴾ هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية

﴿ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾ يعني كنعان ﴿ وقيل ﴾ يعني بعد ما تناهى الطوفان وأغرق الله قوم نوح ﴿ يا أرض ابلعي ماءك ﴾ أي اشربيه ﴿ ويا سماء اقلعي ﴾ أي امسكي ﴿ وغيض الماء ﴾ أي نقص ونضب يقال غاض الماء اذا نقص وذهب ﴿ وقضي الامر ﴾ يعني وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح ﴿ واستوت ﴾ يعني واستقرت السفينة ﴿ على الجودي ﴾ وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿ وقيل بعدا ﴾ يعني هلاكا ﴿ للقوم الظالمين ﴾ قال العلماء بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين

من المؤمنين (وحال بينهما) بين كنعان ونوح ويقال بين كنعان والجبل ويقال بين كنعان والسفينة (الموج) فكبه (فكان) فصار (من المغرقين) بالطوفان (وقيل يا أرض ابلعي ماءك) انشفي ماءك (ويا سماء أقلعي) احبسي ماءك (وغيض) نقص الماء (وقضي الامر) وفرغ من هلاك القوم اي هلك من هلك ونجا من نجا (واستوت) السفينة (على الجودي) وهو جبل بنصيبين في أرض موصل (وقيل بعدا) سحقا من رحمة الله (للقوم الظالمين) المشركين قوم نوح

وهو مايرتفع من المـاء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة فى خلاله شبه كل موجة منه بالجبل فى تراكمها وارتفاعه (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل يام والجمهور على انه ابنه تعالى وقيل كان ابن امرأته (وكان فى معزل) عن ابيه وعن السـفينة مفعل من عزله عنه اذا نحاه وأبعده أوفى معزل عن دين أبيه (يابنى)

فتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الالف المبـدلة من ياء الاضافة من قولك يابنيا غيره بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة (اركب معنا) فى السفينة أى اسلم واركب (ولاتكن مع الكافرين قال سـآوى) ألجأ (الى جبل يعصمنى من الماء) يمنعنى من الغرق (قال لاعاصم اليـوم من أمر الله الامن رحم) الا الراحم وهو الله تعـالى أولاعاصم اليوم من الطوفان الامن رحم الله أى الامكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لايعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو

فى موج من الطـوفان وهو مايرتفع من الماء عنـد اضطرابه كل موجة منها كجبـل فى تراكمها وارتفاعها وماقيل من ان الماء طبق مابين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ﴿ ونادى نوح ابنه ﴾ كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عليهم السـلام عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيـانة فى الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف ﴿ وكان فى معزل ﴾ عزل فيه نفسه عن ابيه أوعن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده ﴿ يا بنى اركب معنا ﴾ فى السفينة والجمهور كسروا الياء لبدل على ياء الاضافة المحذوفة فى جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها فى لقمان فى الموضع الاول باتفاق الرواة وفى الثالث فى رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه فى سائر المواضع وقد ادغم البـاء فى الميم ابو عمرو والكسـائى وحفص لتقاربهما ﴿ ولاتكن مع الكافرين ﴾ فى الدين والانعزال ﴿ قال سآوى الى جبل يعصمنى من المـاء ﴾ ان يغرقنى ﴿ قال لاعاصم اليوم من امر الله الامن رحم ﴾ الا الراحم وهو الله تعالى أو الامكان من رحمهم الله وهو المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الامعتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لاعاصم بمعنى لاذا عصمة كقوله تعالى فى عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع أى لكن

بالسير أرسل الله المطر أربعين يوما وليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعنى صار الماء نصفين نصفا من السماء ونصفا من الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى أغرق كل شئ وروى انه لما كثر الماء فى السكك خافت أم صبى على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلحقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبتها رفعت الصبى بيديها حتى ذهب بهما الماء فأغرقهما فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبى ﴿ ونادى نوح ابنه ﴾ يعنى كنعان وكان كافرا ﴿ وكان فى معزل ﴾ يعنى عن نوح لم يركب معه ﴿ يابنى اركب معنا ﴾ يعنى فى السفينة ﴿ ولاتكن مع الكافرين ﴾ يعنى فتهلك معهم ﴿ قال ﴾ يعنى قال كنعان ﴿ سآوى ﴾ يعنى سألتجئ وأصير ﴿ الى جبل يعصمنى ﴾ يعنى يمنعنى ﴿ من المـاء قال ﴾ يعنى قال له نوح ﴿ لاعاصم ﴾ يعنى لامانع ﴿ اليوم من أمر الله ﴾ يعنى من عـذابه ﴿ الامن رحم ﴾ يعنى الامن رحمه الله فينجيه من الغرق

فى ارتفاع (ونادى نوح) دعا نوح (ابنه) كنعـان (وكان فى معزل) فى ناحية من السفينة ويقال فى ناحية الجبل (يابنى اركب معنا) اثبت معنا بلا اله الا الله (ولاتكن مع الكافرين) على دينهم فتغرق بالطوفان (قال سآوى) سأذهب (الى جبل يعصمنى) يمنعنى (من الماء) من الغرق (قال) نوح (لاعاصـم اليوم) لامانع اليوم (من ﴿ وحال ﴾ أمر الله) من عـذاب الله الغرق (الامن رحم) الله

قال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها) بسم الله متصل باركبوا حالا من الواو أى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله [وقت] اجرائها ووقت ارسائها الا ان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز أن يكون بسم الله مجريها ومرساها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهى مبتدأ وخبر يعنى ان نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله أى بسم الله اجراؤها وارساؤها وكان اذا أراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا أرد ان ترسو قال بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى اما مصدر أو وقت حمزة وعلى وحفص وبضم الميم وكسر الراء أبو عمرو والباقون بضم الميم وفتح الراء (ان ربى لغفور) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خلصهم (وهى تجرى بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر وتمرة (وقال) لهم (اركبوا فيها) فى السفينة (بسم الله مجريها) حيث تجرى (ومرساها) حيث تحبس وان قرأت مجريها ومرسيها يقول الله مجريها حيث شاء ومرسيها حيث شاء (ان ربى لغفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب (وهى تجرى بهم) باهلها (فى موج) فى غمر الماء (كالجبال) [ك]جبل عظيم

فى سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى اسفلها الدواب والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطير ﴿ وقال اركبوا فيها ﴾ أى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها فى الماء كالمركوب فى الارض ﴿ بسم الله مجريها ومرساها ﴾ متصل باركبوا حال من الواو أى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها أو مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر أو جملة من مبتدأ وخبر أى اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف وهى اما جملة مقتضبة لاتعلق لها بما قبلها أو حال مقدرة من الواو أو الهاء * وروى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله

الى الحول ثم اسم السلام عليكما

وقرأ حمزة والكسائى وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى * وقرئ مرسيها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ﴿ ان ربى لغفور رحيم ﴾ أى لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم ﴿ وهى تجرى بهم ﴾ متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى وهم فيها ﴿ فى موج كالجبال ﴾

وقال الامام فخر الدين الرازى وأما الذى يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم نارى أو هوائى فكيف يفر من الغرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه * قال البغوى وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب أتيا نوحا عليه السلام فقالتا احملنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا أحملكما فقالتا احملنا فنحن نضمن لك أن لانضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين لم تضراه وقال الحسن لم يحمل نوح عليه السلام فى السفينة الا ما يلد ويبيض وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيأ * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وقال اركبوا فيها ﴾ يعنى وقال نوح لمن حمل معه اركبوا فى السفينة ﴿ بسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم ﴾ يعنى بسم الله اجراؤها وارساؤها وقال الضحاك كان نوح اذا أراد أن تجرى السفينة قال بسم الله فتجرى وكان اذا أراد ان ترسو يعنى تقف قال بسم الله فترسو أى تقف وهذا تعليم من الله لعباده أنه من أراد أمرا فلا ينبغى له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح فى سائر الامور ﴿ وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ﴾ الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال فى عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء

[illegible] ص أو [illegible] ﴿ [illegible] احمل فيها ﴾ فى السفينة ﴿ من كل ﴾ من كل نوع من الحيوانات المنتفع بهما ﴿ زوجين اثنين ﴾ ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين أى من كل صنف ذكر وصنف انثى ﴿ واهلك ﴾ عطف على زوجين أو اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم ﴿ الامن سبق عليه القول ﴾ بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ﴿ ومن آمن ﴾ والمؤمنين من غيرهم ﴿ وما آمن معه الاقليل ﴾ قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته [illegible] وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روى انه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة

قال والفوران الغليان ﴿ قلنا احمل فيها ﴾ يعنى قلنا لنوح احمل فى السفينة ﴿ من كل زوجين اثنين ﴾ الزوجان كل اثنين لايستغنى احدهما عن الآخر كالذكر والانثى يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكرا وأنثى فحشر الله سبحانه وتعالى اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه فى كل جنس منها فيقع الذكر فى يده اليمنى والانثى فى يده اليسرى فيجعلهما فى السفينة ﴿ وأهلك ﴾ أى واحمل أهلك ولدك وعيالك ﴿ الامن سبق عليه القول ﴾ يعنى بالهلاك وأراد به امرأته واعلة وولده كنعان ﴿ ومن آمن ﴾ يعنى واحمل معك من آمن من قومك ﴿ وما آمن معه الاقليل ﴾ اختلفوا فى عدد من حمل نوح معه فى السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظى لم يكن فى السفينة الاثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافث ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وبنيه وثلاث كنائن له وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر آمنوا بنوح وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان فى السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم قال الطبرى والصواب من القول فى ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما آمن معه الاقليل فوصفهم الله سبحانه وتعالى بالقلة ولم يحد عددا بمقدار فلا ينبغى ان يجاوز فى ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذلم يرد ذلك فى كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوحا جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس رضى الله عنهما أول ماحمل نوح الذرة وآخر ماحمل الحمار فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق ابليس بذنبه فلم تنتقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها نوح خلى سبيل الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا أدخلك على ياعدو الله قال ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عنى ياعدو الله قال لابد من أن تحملنى معك فكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوى

[illegible]
على اثنين وكذا (ومن آمن) أى واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وماسبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر بتقديره وارادته جل خالق العباد عن أن يقع فى الكون خلاف ماأراد (وما آمن معه الاقليل) قال عليه السلام كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجالا ونساء وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء

طلع الفجر (قلنا احمل فيها) فى السفينة (من كل زوجين) من كل صنفين (اثنين) ذكر وأنثى (واهلك الامن سبق عليه) وجب عليه (القول) بالعذاب (ومن آمن) معك أيضا احمل معك فى السفينة (وما آمن معه الاقليل) ثمانون انسانا

﴿ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ﴾ يعنى به اياهم وبالعذاب الغرق ﴿ ويحل عليه ﴾ وينزل أو يحل عليه حلول الدين الذى لا انفكاك عنه ﴿ عذاب مقيم ﴾ دائم وهو عذاب النار ﴿ حتى اذا جاء امرنا ﴾ غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتى هى التى يبتدأ بعدها الكلام ﴿ وفار التنور ﴾ نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدئ منه النبوع على خرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع مسجدها أو فى الهند أو بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل

النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون * قلت انما سمى هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج فى مشاكلة الكلام كما فى قوله سبحانه وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى انا نرى غب سخريتكم بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله تعالى ﴿ فسوف تعلمون ﴾ يعنى فسترون ﴿ من يأتيه ﴾ يعنى ايانا يأتيه نحن أو أنتم ﴿ عذاب يخزيه ﴾ يعنى يهينه ﴿ ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ يعنى فى الآخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الغرق والمراد بالعذاب الثانى عذاب الآخرة وهو عذاب النار الذى لا انقطاع له * قوله عز وجل ﴿ حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور ﴾ يعنى وغلى والفور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسى معرب لا تعرف له العرب اسما غير هذا فلذلك جاء فى القرآن بهذا اللفظ فخوطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لفظ عربى وعجمى وقيل ان لفظ التنور أصله أعجمى فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا فى المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء قد فار على وجه الارض فاركب السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال على فار التنور أى طلع الفجر ونور الصبح شبه نور الصبح بخروج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبى ان التنور هو الذى يخبز فيه وهو قول أكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وهذا القول أصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة أولى ولفظ التنور حقيقة فى اسم الموضع الذى يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه * فان قلت الالف واللام فى لفظ التنور للعهد وليس هنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رأيت الماء يشتد نبوعه ويقوى فانج بنفسك ومن معك * قلت لا يبعد أن يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حواء تخبز فيه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك واختلفوا فى موضع التنور فقال مجاهد نبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فاخبرته وكان ذلك فى ناحية الكوفة وكان الشعبى يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبى اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور آدم وكان بالشأم بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند

بين الرجال والنساء (فسوف تعلمون من يأتيه) من فى محل نصب بتعلمون أى فسوف تعلمون الذى يأتيه (عذاب يخزيه) ويعنى به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق (ويحل عليه) وينزل عليه (عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة (حتى) هى التى يبتدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهى غاية لقوله ويصنع الفلك أى وكان يصنعها الى أن جاء وقت الموعد وما بينهما من الكلام حال من يصنع أى يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه وجواب كلما سخروا وقال استئناف على تقدير سؤال سائل أو قال جواب وسخروا بدل من مر أو صفة لملأ (اذا جاء أمرنا) عذابنا (وفار التنور) هو كناية عن اشتداد الامر وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من حجر لحواء فصار الى نوح عليه السلام وقيل التنور وجه

(فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) يذله ويهلكه (ويحل عليه) يجب عليه (عذاب مقيم) دائم فى الآخرة (حتى اذا جاء أمرنا) وقت عذابنا (وفار التنور) نبع الماء من التنور ويقال

﴿ويصنع الفلك﴾ حكاية حال ماضية ﴿وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾ استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء أوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا ﴿قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون﴾ اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال

فقال ان ربك يقول اصنع فلك باعيننا فخذ القدوم وجعل ينجر ولا يخطئ فصنعها مثل جؤجؤ الطير وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ويصنع الفلك﴾ يعني كما أمره الله سبحانه وتعالى قال أهل السير لما أمر الله سبحانه وتعالى نوحا بعمل السفينة أقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ القار وكل ما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يانوح قد صرت نجارا بعد النبوة وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم أهل التوراة ان الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث طباق سفلى ووسطى وعليا وأن يجعل فيه كوى فصنعه نوح كما أمره الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما اتخذ نوح السفينة في سنتين فكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى وجعل معه ما يحتاج اليه من الزاد وغيره وقال قتادة وكان بابها في عرضها وروي عن الحسن انه كان طولها ألف ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والقول الاول أشهر وهو ان طولها ثلاثمائة ذراع وقال زيد بن أسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه السلام السفينة في ثلاثين سنة وروي انها ثلاثة أطباق الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للانس والطبقة العليا للطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح عليه السلام ان اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه الفأر فاقبلوا على الروث فاكلوه فلما افسد الفأر في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها أوحى الله سبحانه وتعالى اليه أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهي القطة والقط فقبلا على الفأر فاكلاه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿وكلما مر عليه ملأ من قومه﴾ أي جماعة من قومه ﴿سخروا منه﴾ يعني استهزؤا به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يانوح ماذا تصنع قال أصنع بيتا يمشي على الماء فضحكوا منه ﴿قال﴾ يعني نوحا لقومه ﴿ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون﴾ يعني ان تستجهلونا في صنعنا فانا نستجهلكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله وعذابه فان قلت السخرية لا تليق بمنصب

فلاسبيل الى كفه (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) من عمله السفينة وكان يعملها في برية في أبعد موضع من الماء فجعلوا يضحكون منه ويقولون له يانوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم) عند رؤية الهلاك (كما تسخرون) منا عند رؤية الفلك روي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع أو ألفا ومائتي ذراع وعرضها خمسون ذراعا أو ستمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب نوح ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزا

(ويصنع الفلك) أخذ في علاج السفينة (وكلما مر عليه ملأ) رؤساء (من قومه سخروا منه) هزؤا به بمعالجته السفينة (قال ان تسخروا منا) اليوم (فانا نسخر منكم) بعد اليوم (كما تسخرون) اليوم منا

ن اجرامكم فى اسناد الافتراء الى فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) اقناط من ايمانهم وانه غير متوقع وفيه دليل على أن الايمان حكم التجدد كأنه قال ان الذى آمن يؤمن فى حادث الوقت وعلى ذلك تخرج الزيادة التى ذكرت فى الايمان بالقرآن (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) فلا تحزن حزن بائس مستكين والابتآس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك (واصنع الفلك باعيننا) هو فى موضع الحال أى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه أعينا تكلؤه من أن يزيغ فى صنعته عن الصواب (ووحينا) وانا نوحى اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) ولا تدعنى فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم

الافتراء الى ﴿ واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ﴾ اقنطه الله تعالى من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ﴾ ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذى يحفظ به الشئ ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ﴿ ووحينا ﴾ اليك كيف تصنعها ﴿ ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ﴾ ولا تراجعنى فيهم ولا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم ﴿ انهم مغرقون ﴾ محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه

على أن هذا من محاورة نوح قومه فهى من قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل أم يقولون يعنى المشركين من كفار مكة افتراه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة فى قصة نوح ثم رجع الى القصة فقال سبحانه وتعالى ﴿ وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ﴾ قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه فى لبد ويلقونه فى بيت يظنون انه قد مات فيخرج فى اليوم الثانى ويدعوهم الى الله ويروى ان شيخا منهم جاء متكئا على عصاه ومعه ابنه فقال يابنى لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال ياأبت أمكنى من العصا فاخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ﴿ فلا تبتئس ﴾ يعنى فلا تحزن عليهم فانى مهلكهم ﴿ بما كانوا يفعلون ﴾ يعنى بسبب كفرهم وأفعالهم فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحق عن عبد الله بن عمير الليثى انه بلغه انهم كانوا يبسطون نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون حتى تمادوا فى المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتى قرن الا كان أخبث من الذى قبله ولقد كان يأتى القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيأ فشكا نوح الى الله عز وجل فقال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الآيات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ﴿ واصنع الفلك ﴾ يعنى السفينة والفلك لفظ يطلق على الواحد والجمع ﴿ باعيننا ﴾ قال ابن عباس بمرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا ﴿ ووحينا ﴾ يعنى بامرنا ﴿ ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ﴾ يعنى بالطوفان والمعنى ولا تخاطبنى فى امهال الكفار فانى قد حكمت باغراقهم وقيل ولا تخاطبنى فى ابنك كنعان وامرأتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل أتى نوحا فقال له ان ربك يأمرك أن تصنع الفلك فقال كيف أصنعها ولست نجارا

نزلت هذه الآية فى محمد صلى الله عليه وسلم (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من) سوى من (قد آمن فلا تبتئس) فلا تحزن بهلاكهم (بما كانوا) (قا و خا ١ ٤ لث) يفعلون) فى كفرهم (واصنع الفلك) خذ فى علاج السفينة (بأعيننا) بنظر منا (ووحينا) بأمرنا (ولا تخاطبنى) لا تراجعنى (فى الذين ظلموا) فى نجاة الذين كفروا (انهم مغرقون) بالطوفان

فابدلت التاء دالا (قالوا يانوح قد جادلتنا)خاصمتنا(فأكثرت جدالنافأتنابماتعدنا) من العذاب(ان كنت من الصادقين) في وعيدك (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) أي ليس الاتيان بالعذاب الى انما هو الى من كفرتم به (وماأنتم بمعجزين) أي لم تقدروا على الهرب منه (ولا ينفعكم نصحي)هو اعلام موضع الغي ليتقى والرشد ليقتفى ولكنني انصحي ... وأبو عمرو(ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم)أي يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثاني متقدما في الحكم لما عرف تقديره

ان كان الله يريد أن يغويكم لا ينفعكم نصحي أن أردت أن أنصح لكم وهو دليل بين لنا في ارادة المعاصي (هو ربكم) فيتصرف فيكم على قضية ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم (أم يقولون افتراه) بل أيقولون افتراه (قل ان افتريته فعلى اجرامي) أي ان صح أني افتريته فعلى عقوبة اجرامي أي افترائي يقال أجرم واجترم بمعنى أذنب (وأنا بريء) أي ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى (مما تجرمون)

وكانوا انهم ﴿ قالوا يانوح قد جادلتنا ﴾ خاصمتنا ﴿ فأكثرت جدالنا ﴾ فاطلته أو اتيت بانواعه ﴿ فأتنا بما تعدنا ﴾ من العذاب ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا ﴿ قال انما يأتيكم به الله ان شاء ﴾ عاجلا أو آجلا ﴿ وما انتم بمعجزين ﴾ بدفع العذاب أو الهرب منه ﴿ ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ﴾ شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ﴿ ان كان الله يريد ان يغويكم ﴾ وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك تقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ﴿ هو ربكم ﴾ خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته ﴿ واليه ترجعون ﴾ فيجازيكم على اعمالكم ﴿ أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامي ﴾ وباله وقرئ اجرامي على الجمع ﴿ وانا بريء مما تجرمون ﴾ من اجرامكم في اسناد

﴿ قالوا يانوح قد جادلتنا ﴾ يعني خاصمتنا ﴿ فأكثرت جدالنا ﴾ يعني خصومتنا ﴿ فأتنا بما تعدنا ﴾ يعني من العذاب ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ يعني في دعواك انك رسول من الله الينا ﴿ قال انما يأتيكم به الله ان شاء ﴾ يعني قال نوح لقومه حين استعجلوه بانزال العذاب ان ذلك ليس الي انما هو الى الله ينزل متى شاء وعلى من يشاء ان أراد انزال العذاب بكم ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ يعني وما أنتم بفائتين ان أراد الله نزول العذاب بكم ﴿ ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ﴾ يعني ولا ينفعكم انذاري وتحذيري اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم ﴿ ان كان الله يريد أن يغويكم ﴾ يعني يضلكم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغواء يؤدي الى الهلاك ﴿ هو ربكم ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى هو يملككم فلا تقدرون على الخروج من سلطانه ﴿ واليه ترجعون ﴾ يعني في الآخرة فيجازيكم باعمالكم ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ أي اختلقه وجاء به من عند نفسه والضمير يعود الى الوحي الذي جاءهم به ﴿ قل ان افتريته ﴾ أي اختلقته ﴿ فعلي اجرامي ﴾ أي اثم اجرامي والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم وأجرم بمعنى أنه اكتسب الذنب واقتعله ﴿ وأنا بريء مما تجرمون ﴾ يعني من الكفر والتكذيب وأكثر المفسرين

(قالوا يانوح قد جادلتنا) خاصمتنا ودعوتنا الى دين غير دين آبائنا (فأكثرت جدالنا) خصومتنا ودعاءنا (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) انه يأتينا (قال) نوح (انما يأتيكم به الله) يقول يأتيكم الله بعذابكم (ان شاء) فيعذبكم (وما أنتم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله (ولا ينفعكم نصحي) دعائي وتحذيري اياكم من عذاب الله(ان أردت ان أنصح لكم)أحذركم من عذاب الله (على) وأدعوكم الى التوحيد (ان كان الله) قد كان الله (يريد أن يغويكم) ان يضلكم عن الهدى (هو ربكم) أولى بكم مني (واليه ترجعون) بعد الموت فيجزيكم باعمالكم(أم يقولون) بل يقولون قوم نوح (افتراه) اختلق نوح بما أتانا به من تلقاء نفسه (قل) لهم يانوح (ان افتريته) اختلقته من تلقاء نفسي (فعلي اجرامي) آثامي (وأنا بريء مما تجرمون) تأثمون ويقال

وهو معطوف على عندى خزائن أى لا أقول عندى خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب (ولا أقول انى ملك) حتى تقولوا لى ما أنت الا بشرى مثلنا (ولا أقول للذين تزدرى أعينكم) ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) فى الدنيا والآخرة لهوانهم عليه مساعدة لكم ونزولا على هواكم (الله أعلم بما فى أنفسهم) من صدق الاعتقاد وانما على قبول ظاهر اقرارهم اذ لا أطلع على خفى أسرارهم (انى اذا لمن الظالمين) ان قلت شيأ من ذلك والازدراء افتعال من ذرى عليه اذا عابه وأصله تزترى فى الرزق (ولا أعلم الغيب) متى نزول العذاب وماغاب عنى (ولا أقول انى ملك) من السماء (ولا أقول للذين تزدرى اعينكم) لاتأخذهم أعينكم يقول يحتقرون فى أعينكم (لن يؤتيهم الله خيرا) لن يكرمهم الله بتصديق الايمان (الله اعلم بما فى أنفسهم) بما فى قلوبهم من التصديق (انى اذا) ان طردتهم (لمن الظالمين) الضارين بنفسى

عندى ﴿ ولا اعلم الغيب ﴾ عطف على عندى خزائن الله أى ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا أوحتى اعلم ان هؤلاء اتبعونى بادى الرأى من غير بصيرة ولاعقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه على اقول ﴿ ولا اقول انى ملك ﴾ حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ﴿ ولا اقول للذين تزدرى اعينكم ﴾ ولا اقول فى شأن من استرذلتموهم لفقرهم ﴿ لن يؤتيهم الله خيرا ﴾ فان ما اعد الله لهم فى الآخرة خير مما آتاكم فى الدنيا ﴿ الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين ﴾ ان قلت شيأ من ذلك والازدراء به افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاء فى الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادى الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل فى معانيهم

الله يعنى التى لا يفنيها شئ فادعوكم الى اتباعى عليها لا أعطيكم منها وقال ابن الانبارى الخزائن هنا بمعنى غيوب الله وما هو منطوعن الخلق وانما وجب أن يكون هذا جوابا من نوح عليه السلام لهم لانهم قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وادعوا أن المؤمنين انما اتبعوه فى ظاهر مايرى منهم وهم فى الحقيقة غير متبعين له فقال مجيبا لهم ولا أقول لكم عندى خزائن الله التى لا يعلم منها ماينطوى عليه عباده ومايظهرونه الا هو وانما قيل للغيوب خزائن لغموضها عن الناس واستتارها عنهم والقول الاول أولى ليحصل الفرق بين قوله ولا أقول لكم عندى خزائن الله وبين قوله ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ يعنى ولا أدعى علم ما يغيب عنى مما يسرونه فى نفوسهم فسبيلى قبول ايمانهم فى الظاهر ولا يعلم ما فى ضمائرهم الا الله ﴿ ولا أقول انى ملك ﴾ وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا أى لا أدعى انى من الملائكة بل أنا بشر مثلكم أدعوكم الى الله وأبلغكم ما أرسلت به اليكم

فصل

استدل بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الانبياء قال لان نوحا عليه الصلاة والسلام قال ولا أقول انى ملك لان الانسان اذا قال أنا لا أدعى كذا وكذا الا حسن الا اذا كان ذلك الشئ أشرف وأفضل من أحوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب أن يكون الملك أفضل منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة فى مقابلة قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا لما كان فى ظنهم أن الرسل لا يكونون من البشر انما يكونون من الملائكة فاعلمهم ان هذا ظن باطل وان الرسل الى البشر انما يكونون من البشر فلهذا قال سبحانه وتعالى ولا أقول انى ملك ولم يرد ان درجة الملائكة أفضل من درجة الانبياء والله أعلم * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا أقول للذين تزدرى أعينكم ﴾ يعنى تحتقر وتستصغر أعينكم يعنى المؤمنين وذلك لما قالوا أنهم أراذلنا من الرذالة وهى الخسة ﴿ لن يؤتيهم الله خيرا ﴾ يعنى توفيقا وهداية وايمانا وأجرا ﴿ الله أعلم بما فى أنفسهم ﴾ يعنى من الخير والشر ﴿ انى اذا لمن الظالمين ﴾ يعنى ان طردتهم مكذبا لظاهرهم ومبطلا لايمانهم يعنى انى ان فعلت هذا فاكون قد ظلمتهم وأنا لا أفعله فأنا من الظالمين

خفيت فعميت حمزة وعلي وحفص أي أخفيت أي فعميت عليكم البينة فيها حجة وعمى على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد وحقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهدى ولا يهدى غيره (أنلزمكموها) أي الرحمة (وأنتم لها كارهون) لا تريدونها والواو دخلت ههنا تتمة للميم وعن أبي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا وهو لحن لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر (ويا قوم لا أسئلكم عليه) على تبليغ الرسالة لانه مدلول قوله اني لكم نذير (مالا) أجرا يثقل عليكم ان أديتم أو على ان أبيتم (ان أجري) مدني وشامي وأبو عمرو وحفص (الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) جواب [illegible] حين سألوا طردهم ليؤمنوا به أنفة من المجالسة معه (انهم ملاقوا ربهم) فيشكونني اليه ان طردتهم (ولكني أراكم قوما تجهلون) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل أو تجهلون لقاء ربكم أو انهم خير منكم (ويا قوم من ينصرني من الله) من يمنعني من انتقامه (ان طردتهم أفلا تذكرون) تتعظون (ولا أقول لكم عندي خزائن الله) فادعي فضلا عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من [illegible]

نبوتي وديني (أنلزمكموها) انلهمكموها ونعرفكموها (وأنتم لها كارهون) جاحدون (ويا قوم لا أسئلكم عليه) على التوحيد (مالا) جعلا (ان أجري) ماثوابي (الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) بقولكم (انهم ملاقوا) معاينو (ربهم) فيخاصمونني عنده (ولكني أراكم قوما تجهلو) أمر الله (ويا قوم من ينصرني) من يمنعني (من الله) من عذاب الله (ان طردتهم) بقولكم (أفلا تذكرون) أفلا تتعظون بما أقول لكم فتؤمنوا (ولا أقول لكم عندي خزائن الله) مفاتيح خزائن الله

وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة أو لان خفاءها يوجب خفاء النبوة أو على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار أو لانه لكل واحدة منهما ه وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله ﴿ أنلزمكموها ﴾ أنلزمكم على الاهتداء بها ﴿ وانتم لها كارهون ﴾ لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ﴿ ويا قوم لا اسألكم عليه ﴾ على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر ﴿ مالا ﴾ جعلا ﴿ ان اجري الا على الله ﴾ فانه المأمول منه ﴿ وما انا بطارد الذين آمنوا ﴾ جواب لهم حين سألوا طردهم ﴿ انهم ملاقوا ربهم ﴾ فيخاصمون طاردهم عنده أو انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ﴿ ولكني اراكم قوما تجهلون ﴾ بلقاء ربكم أو باقدارهم أو في التماس طردهم أو تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ﴿ ويا قوم من ينصرني من الله ﴾ بدفع انتقامه ﴿ ان طردتهم ﴾ وهم بتلك الصفة والمثابة ﴿ أفلا تذكرون ﴾ لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ﴿ ولا اقول لكم عندي خزائن الله ﴾ خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم

يعني خفيت والبست عليكم ﴿ أنلزمكموها ﴾ الهاء عائدة على الرحمة والمعنى أنلزمكم أيها القوم قبول الرحمة يعني انا لا نقدر أن نلزمكم ذلك من عند أنفسنا ﴿ وأنتم لها كارهون ﴾ وهذا استفهام معناه الانكار أي لا أقدر على ذلك والذي أقدر عليه أن أدعوكم الى الله وليس لي أن أضطركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبي الله لالزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك ﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ﴾ يعني لا أسألكم ولا أطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلا ﴿ ان أجري الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا ﴾ وذلك انهم طلبوا من نوح أن يطرد الذين آمنوا وهم الارذلون في زعمهم فقال ما يجوز لي ذلك لانهم يعتقدون ﴿ انهم ملاقوا ربهم ﴾ فلا أطردهم ﴿ ولكني أراكم قوما تجهلون ﴾ يعني عظمة الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هؤلاء المؤمنين خير منكم ﴿ ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم ﴾ يعني من يمنعني من عذاب الله ان طردتهم يعني لانهم مؤمنون مخلصون ﴿ أفلا تذكرون ﴾ يعني فتتعظون ﴿ ولا أقول لكم عندي خزائن الله ﴾ هذا عطف على قوله لا أسئلكم عليه مالا والمعنى لا أسألكم عليه مالا ولا أقول لكم عندي خزائن

﴿لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة ﴿ومانراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا﴾ اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر أو ارذل جمع رذل ﴿بادى الرأى﴾ ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو أو اول الرأى من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ماقبلها وقرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أى وقت حدوث بادئ الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الاظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل ﴿ومانرى لكم﴾ لك ولمتبعيك ﴿علينا من فضل﴾ يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين ﴿قال ياقوم ارأيتم﴾ اخبرونى ﴿ان كنت على بينة من ربى﴾ حجة شاهدة بصحة دعواى ﴿وآتانى رحمة من عنده﴾ بايتاء البينة أو النبوة ﴿فعميت عليكم﴾ فخفيت عليكم فلم تهدكم

آدميا مثلنا لافضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمتنع اشتهاره الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من حق الرسول أن يباشر الامة بالدعوة الى الله تعالى باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا يتأتى ذلك الا من آحاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وأرسله الى عباده * ثم قال سبحانه وتعالى اخبارا عن قوم نوح ﴿ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا﴾ يعنى سفلتنا والرذل الدون من كل شئ قيل هم الحاكة والاساكفة وأصحاب الصنائع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم أيضا لان الرفعة فى الدين ومتابعة الرسول لاتكون بالشرف ولا بالمال والمناصب العالية بل للفقراء الخاملين وهم اتباع الرسل ولاتضرهم خسة صنائعهم اذا حسنت سيرتهم فى الدين ﴿بادى الرأى﴾ يعنى يعنى انهم اتبعوك فى أول الرأى من غير تثبت وتفكر فى أمرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الرأى يعنى انهم اتبعوك ظاهرا من غير أن يتفكروا باطنا ﴿ومانرى لكم علينا من فضل﴾ يعنى بالمال والشرف والجاه وهذا القول أيضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ قيل الخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد على سبيل التعظيم ﴿قال﴾ يعنى نوحا ﴿ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى﴾ يعنى على بيان ويقين من ربى بالذى أنذرتكم به ﴿وآتانى رحمة من عنده﴾ يعنى هديا ومعرفة ونبوة ﴿فعميت عليكم﴾

أو ملكا (ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أخساؤنا جمع الارذل (بادى) وبالهمزة أبو عمرو (الرأى) وبغير همز أبو عمرو أى اتبعوك ظاهر الرأى أو أول الرأى من بدا يبدو اذا ظهر أو بدأ يبدأ اذا فعل الشئ أولا وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف اليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك شئ عن لهم بديهة من غير روية ونظر ولو تفكروا ما اتبعوك وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم فى الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ماكانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشراف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم أن التقدم فى الدنيا لايقرب أحدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه (ومانرى لكم علينا من فضل) فى مال ورأى عنوا نوحا وأتباعه (بل نظنكم كاذبين) أى نوحا فى الدعوة ومتبعيه فى الاجابة والتصديق يعنى تواطأتم على الدعوة والاجابة تسيبا للرياسة (قال ياقوم أرأيتم) أخبرونى (ان كنت على بينة) برهان (من ربى) وشاهد منه يشهد بصحة دعواى (وآتانى رحمة من عنده) يعنى النبوة (فعميت عليكم) أى

ومانراك اتبعك) آمن بك (الا الذين هم أراذلنا) سفلتنا وضعفاؤنا (بادى الرأى) ظاهر الرأى الضعيف ويقال سوء رأيهم حملهم على ذلك (ومانرى لكم علينا من فضل) بما تقولون تأكلون وتشربون كما نأكل ونشرب (بل نظنكم كاذبين) بما تقولون (قال) نوح (ياقوم أرأيتم ان كنت) يقول انى (على بينة من ربى) على بيان نزل من ربى (وآتانى رحمة من عنده) اكرمنى بالنبوة والاسلام (فعميت) التبست وان قرأت عميت يقول البست (عليكم)

شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع (هل يستويان) يعنى الفريقين (مثلا) تشبيها وهو نصب على التمييز (أفلا تذكرون) فتتعظون بضرب المثل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين) أى بانى والمعنى أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله انى لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كأن والمعنى على الكسر وبكسر الالف شامى ونافع وعاصم وحمزة على ارادة القول (أن لا تعبدوا الا الله) أن مفسرة متعلقة بارسلنا أو بنذير (أنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وصف يوم بأليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) يريد الاشراف لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس أبهة أولانهم ملؤا بالاحلام والآراء الصائبة (مانراك الا بشرا مثلنا) أرادوا انه كان ينبغى أن يكون ملكا

عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين أوتشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله

الصابح فالغانم فالآيب

وهذا من باب اللف والطباق ﴿ هل يستويان ﴾ هل يستوى الفريقان ﴿ مثلا ﴾ أى تمثيلا أوصفة أوحالا ﴿ أفلا تذكرون ﴾ بضرب الامثال والتأمل فيها ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم ﴾ بانى لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول ﴿ نذير مبين ﴾ ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ﴿ ان لا تعبدوا الا الله ﴾ بدل من انى لكم أومفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا أو بنذير ﴿ أنى اخاف عليكم عذاب يوم اليم ﴾ مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المعذب لكن وصف به العذاب وزمانه على طريق جد جده ونهاره صائم للمبالغة ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك الا بشرا مثلنا ﴾

أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماعه وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تبارك وتعالى مثل الفريقين يعنى فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالاعمى وهو الذى لا يهتدى لرشده والاصم وهو الذى لا يسمع شيأ ألبتة والبصير وهو الذى يبصر الاشياء على هيئتها والسميع وهو الذى يسمع الاصوات ويجيب الداعى فمثل المؤمنين كمثل الذى يسمع ويبصر وهو الكامل فى نفسه ومثل الكافر كمثل الذى لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص فى نفسه ﴿ هل يستويان مثلا ﴾ قال الفراء لم يقل هل يستوون لان الاعمى والاصم فى حيز كأنهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع فى حيز كأنهما واحد وهما من وصف المؤمن ﴿ أفلا تذكرون ﴾ يعنى فتتعظون ﴿ قوله عز وجل ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ﴾ يعنى أن نوحا عليه السلام قال لقومه حين أرسله الله اليهم انى لكم ايها القوم نذير مبين يعنى بين النذارة أخوف بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم اليم ﴾ يعنى مؤلم موجع قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره ألفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ﴾ يعنى الاشراف والرؤساء من قوم نوح ﴿ مانراك ﴾ يانوح ﴿ الا بشرا مثلنا ﴾ يعنى

يقول ومثل المؤمن كمثل البصير يبصر الحق والهدى وكالسميع يسمع الحق والهدى (هل يستويان مثلا) فى المثل يقول هل يستوى الكافر مع المؤمن فى الطاعة والثواب (أفلا تذكرون) أفلا تتعظون بامثال القرآن فتؤمنوا (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) فلما جاءهم قال لهم (انى لكم) من الله (نذير) رسول مخوف (مبين) بلغة تعلمونها (أن لا تعبدوا) ان لا توحدوا (الا الله انى أخاف عليكم) اعلم بان يكون عليكم ان لم تؤمنوا (عذاب يوم أليم) وجيع وهو الغرق (فقال الملأ) الرؤساء (الذين كفروا من قومه) من قوم نوح (مانراك) يانوح (الا بشرا) آدميا (مثلنا)

(أولئك الذين خسروا أنفسهم) حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله (وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة و شفاعتها (لا جرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون) بالصد والصدود وفي لا جرم أقوال أحدها ان لا رد لكلام سابق أى ليس الأمر كما زعموا و معنى جرم كسب وفاعله مضمر وانهم في الآخرة في محل النصب و التقدير كسب قولهم خسرانهم في الآخرة وثانيها أن لا جرم كلمتان ركبتا فصار معناهما حقا وأن في موضع رفع بانه فاعل لحق أى حق خسرانهم وثالثها ان معناه لا محالة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الارض المطمئنة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع)

اعتراض ﴿ اولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ من الآلهة وشفاعتها أو خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة ﴿ لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون ﴾ لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم ﴾ اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهى الارض المطمئنة ﴿ اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ دائمون ﴿ مثل الفريقين ﴾ الكافر والمؤمن ﴿ كالاعمى والاصم والبصير والسميع ﴾ يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه

انه أحال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهى طاعته وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة أبصارهم ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ يعنى ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يعنى وبطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله وادعاؤهم ان الملائكة والاصنام تشفع لهم ﴿ لا جرم ﴾ يعنى حقا وقال الفراء لا محالة ﴿ انهم في الآخرة هم الاخسرون ﴾ لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار و هذا هو الخسران المبين * قوله عز وجل ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم ﴾ لما ذكر الله عز وجل أحوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الآخرة أتبعه بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الآخرة والاخبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمأنينة القلب ولفظ الاخبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلت أخبت فلان الى كذا فمعناه اطمأن اليه واذا قلت أخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع أعمال الجوارح وقوله وأخبتوا اشارة الى أعمال القلوب وهى الخضوع والخشوع لله عز وجل يعنى ان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة الا بحصول أعمال القلب وهى الخشوع والخضوع فاذا فسرنا الاخبات بالطمأنينة كان معنى الكلام انهم يأتون بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد الله بالثواب والجزاء على تلك الاعمال أو يكونون مطمئنين الى ذكره سبحانه و تعالى واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع كان معناه انهم يأتون بالاعمال الصالحة خائفين و جلين أن لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع ﴿ اولئك ﴾ يعنى الذين هذه صفتهم ﴿ أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ أخبر عن حالهم في الآخرة بانهم من اهل الجنة التى لا انقطاع لنعيمها ولا زوال * قوله سبحانه وتعالى ﴿ مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى

من بغضه (أولئك) الرساء هم (الذين خسروا أنفسهم) غبنوا أنفسهم وأهاليهم ومنازلهم وخدمهم في الجنة وورثه غيرهم من المؤمنين (وضل عنهم) بطل واشتغل عنهم بانفسهم (ما كانوا يفترون) يعبدون من دون الله بالكذب (لا جرم) حقا (أنهم في الآخرة هم الاخسرون) المغبونون بذهاب الجنة ومافيها (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (واخبتوا الى ربهم) اخلصوا الى ربهم وخضعوا اليهم وخشعوا من ربهم (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) مقيمون (مثل الفريقين) الكافر والمؤمن (كالاعمى والاصم) يقول مثل الكافر كالاعمى لا يبصر الحق والهدى وكالاصم لا يسمع الحق والهدى (والبصير والسميع)

(الذين يصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دينه (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهى مستقيمة أو يبغون أهلها ان يعوجوا بالارتداد (وهم بالآخرة هم كافرون) هم الثانية للتأكيد كفرهم

بالآخرة واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا) أى ما كانوا (معجزين فى الارض) معجزين الله فى الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد (يضاعف لهم العذاب) لانهم أضلوا الناس عن دين الله يضعف مكى وشامى (ما كانوا يستطيعون السمع) أى استماع الحق (وما كانوا يبصرون) الحق

حينئذ لظلمهم بالكذب على الله ﴿ الذين يصدون عن سبيل الله ﴾ عن دينه ﴿ ويبغونها عوجا ﴾ ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب أو يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به ﴿ اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض ﴾ أى ما كانوا معجزين الله ان يعاقبهم فى الدنيا ﴿ وما كان لهم من دون الله من اولياء ﴾ يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وأدوم ﴿ يضاعف لهم العذاب ﴾ استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ لتصامهم عن الحق وبغضهم له ﴿ وما كانوا يبصرون ﴾ لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة فى مضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب

ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمته (ق) عن صفوان بن محرز المازنى قال بينما ابن عمر يطوف بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرنى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا كذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته ، وفى رواية ثم تطوى صحيفة حسناته وأما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد ، وفى رواية فينادى بهم على رؤس الاشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ الذين يصدون عن سبيل الله ﴾ هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى ألا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعنى يمنعون الناس من الدخول فى دين الله الذى هو دين الاسلام ﴿ ويبغونها عوجا ﴾ يعنى ويطلبون القاء الشبهات فى قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ يعنى وهم مع صدهم عن سبيل الله يجحدون البعث بعد الموت وينكرونه ﴿ أولئك ﴾ يعنى من هذه صفتهم ﴿ لم يكونوا معجزين فى الارض ﴾ قال ابن عباس يعنى سابقين وقيل هاربين وقيل فائتين فى الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا أرادهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم فى قبضته وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا طلبهم ﴿ وما كان لهم من دون الله من أولياء ﴾ يعنى وما كان لهؤلاء المشركين من أنصار يمنعونهم من دون الله اذا أرادهم بسوء أو عذاب ﴿ يضاعف لهم العذاب ﴾ يعنى فى الآخرة يزاد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ﴾ قال قتادة صموا عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعون به ولا يبصرون خيرا فيأخذون به وقال ابن عباس أخبر الله سبحانه وتعالى

المشركين (الذين يصدون) يصرفون (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته (ويبغونها عوجا) يطلبونها زيغا ويقال غيرا (وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت (هم كافرون) جاحدون (اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض) بفائتين من عذاب الله (وما كان لهم من دون الله) من عذاب الله (من أولياء) يحفظونهم (يضاعف لهم العذاب) يعنى الرؤساء (ما كانوا يستطيعون السمع) الاستماع الى كلام محمد صلى الله عليه وسلم من بغضه ويقال بما كانوا لا يستطيعون لسمع الاستماع الى كلام محمد عليه السلام (وما كانوا يبصرون) الى محمد عليه السلام من بغضه ويقال وما كانوا يبصرون محمدا صلى الله عليه وسلم (انه)

الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ فالنار موعده ﴾ يردها لامحالة ﴿ فلا تك في مرية منه ﴾ من الموعد أو القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك ﴿ انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لايؤمنون ﴾ لقلة نظرهم واختلاف فكرهم ﴿ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ كأن اسند اليه مالم ينزله أو نفى عنه ما انزله ﴿ اولئك يعرضون على ربهم ﴾ في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ﴿ ويقول الاشهاد ﴾ من الملائكة والنبيين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب أو شهيد كاشراف جمع شريف ﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ تهويل عظيم مما يحيق بهم

المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وغيرهم والاحزاب الفرق الذين تحزبوا وتجمعوا على مخالفة الانبياء ﴿ فالنار موعده ﴾ يعني في الآخرة * روى البغوي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لايسمع بي أحد من هذه الامة ولا يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير مابلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا الحديث لايسمع بي أحد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى قوله سبحانه وتعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال فالاحزاب أهل الملل كلها * ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ﴾ فيه قولان أحدهما ان معناه فلا تك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراه والقول الثاني أنه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده يعني فلا تك في شك من ان النار موعد من كفر من الاحزاب والخطاب في قوله فلا تك في مرية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولكن أكثر الناس لايؤمنون ﴾ يعني لايصدقون بما أوحينا اليك أو من ان موعد الكفار النار * قوله عز وجل ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ يعني أي الناس أشد تعديا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا أو ولدا وفي الآية دليل على أن الكذب على الله من أعظم أنواع الظلم لان قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ورد في معرض المبالغة ﴿ أولئك ﴾ يعني المفترين على الله الكذب ﴿ يعرضون على ربهم ﴾ يعني يوم القيامة فيسألهم عن أعمالهم في الدنيا ﴿ ويقول الاشهاد ﴾ يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم ﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ﴾ يعني في الدنيا وهذه الفضيحة تكون في الآخرة لكل من كذب على الله ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ يعني يقول الله

(فالنار موعده) مصيره ومورده (فلا تك في مرية) شك (منه) من القرآن أو من الموعد (انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لايؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم) يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم (ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا (ألا لعنة الله على الظالمين) الكاذبين على ربهم والاشهاد جمع شاهد كاصحاب وصاحب أو شهيد كشريف وأشراف

(فالنار موعده) مصيره (فلا تك) يا محمد (في مرية) في شك (منه) من مصير من كفر بالقرآن (انه الحق من ربك) أن مصير من كفر بالقرآن النار ويقال فلا تك في مرية في شك منه من القرآن انه الحق من ربك نزل به جبريل (ولكن أكثر الناس) اهل مكة (لايؤمنون ومن أظلم) أعتى وأجرأ (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم) يساقون الى ربهم (ويقول الاشهاد) الملائكة والانبياء (هؤلاء) الكفار (الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله) عذاب الله (على الظالمين)

﴿ ومن قبله ﴾ ومن قبل القرآن ﴿ كتاب موسى ﴾ يعني التوراة فانها ايضا تتلوه في التصديق أو البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ان الضمير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن أو للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتابا بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه أي يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة ﴿ اماما ﴾ كتابا مؤتما به في الدين ﴿ ورحمة ﴾ على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين ﴿ اولئك ﴾ اشارة الى من كان على بينة ﴿ يؤمنون به ﴾ بالقرآن ﴿ ومن يكفر به من الاحزاب ﴾ من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول

طالب رضي الله عنه أنت التالي قال وما تعني بالتالي قلت قوله سبحانه و تعالى ويتلوه شاهد منه قال وددت اني هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لان اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلاغته و حسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه أعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم أنه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال علي بن أبي طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآية و الآيتان فقال له رجل وأنت أي آية نزلت فيك فقال علي ما تقرأ الآية التي في هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد علي بن أبي طالب وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد تشريف هذا الشاهد وهو علي لاتصاله بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى ان الانجيل يتلو القرآن في التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القرآن * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ومن قبله ﴾ يعني ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ كتاب موسى ﴾ يعني التوراة ﴿ اماما ورحمة ﴾ يعني انه كان اماما لهم يرجعون اليه في أمور الدين والاحكام والشرائع وكونه رحمة لانه الهادي من الضلال وذلك سبب حصول الرحمة * قوله تعالى ﴿ أولئك يؤمنون به ﴾ يعني ان الذين وصفهم الله بانهم على بينة من ربهم هم المشار اليهم بقوله أولئك يؤمنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد الذين أسلموا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ ومن يكفر به ﴾ يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ من الاحزاب ﴾ يعني من جميع الكفار وأصحاب الاديان

(ومن [illegible]) [illegible] القرآن (كتاب موسى) وهو [illegible] أي ويتلو ذلك البرهان أيضا من [illegible] كتاب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليهم وهما حالان (أولئك) أي من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به) بالقرآن (من الاحزاب) يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ومن قبله) من قبل القرآن (كتاب موسى) توراة موسى قرأ عليه جبريل (اماما) يقتدى به (ورحمة) لمن آمن به (أولئك) من آمن بكتاب موسى (يؤمنون به) بمحمد عليه السلام والقرآن وهو عبد الله بن سلام وأصحابه (ومن يكفر به) بمحمد عليه السلام والقرآن (من الاحزاب) من جميع الكفار

[illegible] أو في معنى المصدر كقوله

ولا خارجا من في زور كلام

وبطل على الفعل به ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ﴾ برهان من الله يدله على الحق و[illegible] [illegible] ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين همهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذى اغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مؤمنو اهل الكتاب ﴿ ويتلوه ﴾ ويتبع ذلك البرهان الذى هو دليل العقل ﴿ شاهد منه ﴾ شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن

به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى ريحها أخرجه أبو داود ❊ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يارسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم ألف مرة قيل يارسول الله من يدخله قال القراء المراؤن باعمالهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ❊ قال البغوى وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يارسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء أخرجه بغير سند ❊ والرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها أو ليعتقدوا فيه الصلاح أو ليقصدوه بالعطاء فهذا العمل هو الذى لغير الله نعوذ بالله من الخذلان قال البغوى وقيل هذا في الكافر يعنى قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها أما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارادته الآخرة غالبة فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وروينا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا أخرجه البغوى بغير سند ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون باعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة فقال سبحانه وتعالى أفمن كان على بينة من ربه أى كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة الا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه أفمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو في ضلالة وكفر والمراد بالبينة الدين الذى أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين يعنى أنه على يقين من ربه أنه على الحق ﴿ ويتلوه شاهد منه ﴾ يعنى ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر المفسرين انه جبريل عليه السلام يريد أن جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن محمد بن الحنفية قال قلت لابى يعنى على ابن أبى

(أفمن كان على بينة من ربه) أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه أى لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يعنى ان بين الفريقين تباينا بينا وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه أى على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان (شاهد) يشهد بصحته وهو القرآن (منه) من الله أو من القرآن فقد مر ذكره آنفا

[illegible]
عليه القرآن (شاهد منه) من الله يعنى جبريل

نعمل اليهم جزاء اعمالهم فى الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء أى يوف الله ويوف على البناء للمفعول ونوفى بالتخفيف والرفع لأن الشرط ماض كقوله

وان اتاه خليل يوم مسغبة ۞ يقول لاغائب مالى ولا حرم

﴿ وهم فيها لايبخسون ﴾ لاينقصون شيأ من اجورهم والآية فى اهل الرياء وقيل فى المنافقين وقيل فى الكفرة وبرهم ﴿ اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار ﴾ مطلقا فى مقابلة ماعملوا لانهم استوفوا مايقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة ﴿ وحبط ماصنعوا فيها ﴾ لانهم لم يبق لهم ثواب فى الآخرة أو لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى والعمدة فى اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا ﴿ وباطل ﴾ فى نفسه ﴿ ما كانوا يعملون ﴾ لانه لم يعمل على ماينبغى وكأن كل واحدة من الجملتين علة لماقبلها وقرئ باطلا على انه مفعول

أعمالهم التى عملوها لطلب الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم فى الرزق ويدفع عنهم المكاره فى الدنيا ونحو ذلك ﴿ وهم فيها لايبخسون ﴾ يعنى انهم لاينقصون من أجور أعمالهم التى عملوها لطلب الدنيا بل يعطون اجور أعمالهم كاملة موفرة ﴿ أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها ﴾ يعنى وبطل ماعملوا فى الدنيا من أعمال البر ﴿ وباطل ما كانوا يعملون ﴾ لانه لغير الله واختلف المفسرون فى المعنى بهذه الآية فروى قتادة عن أنس أنها فى اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملا صالحا فى غير تقوى يعنى من أهل الشرك أعطى على ذلك أجرا فى الدنيا وهو ان يصل رحما أو يعطى سائلا أو يرحم مضطرا أو نحو هذا من أعمال البر فيعجل الله له ثواب عمله فى الدنيا يوسع عليه فى المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكاره فى الدنيا وليس له فى الآخرة نصيب ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار الآية وهذه حالة الكافر فى الآخرة وقيل نزلت فى المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لانهم كانوا لايرجون ثواب الآخرة وقيل ان حمل الآية على العموم أولى فيندرج الكافر والمنافق الذى هذه صفته والمؤمن الذى يأتى بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد فى هذه الآية هم أهل الرياء وهذا القول مشكل لان قوله سبحانه وتعالى اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار لايليق بحال المؤمن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير الله استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب النار ۞ ويدل على هذا ماروى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه أخرجه مسلم ۞ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار أخرجه الترمذى ۞ عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى

(وهم فيها لايبخسون) لاينقص لهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا وهو مايرزقون فيها من الصحة والرزق وهم الكفار أو المنافقون (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها) وحبط فى الآخرة ماصنعوه أو صنيعهم أى لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما أرادوا به الدنيا وقد وفى اليهم ماارادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أى كان عملهم فى نفسه باطلا لانه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لاثواب له

(وهم فيها) فى الدنيا (لايبخسون) لاينقص من ثواب اعمالهم (أولئك الذين عملوا لغير الله ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها) رد عليهم ماعملوا فى الدنيا من الخيرات (وباطل ما كانوا يعملون) ولايثابون فى الآخرة بما كانوا يعملون فى الدنيا من الخيرات لانهم عملوا لغير الله

فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو) أى أنزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم وانما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل لان الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يحدثونهم أو لان الخطاب للمشركين والضمير فى فان لم يستجيبوا لمن استطعتم أى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا انما أنزل بعلم الله أى باذنه أو بامره (فهل أنتم مسلمون) متبعون للاسلام بعد هذه الحجة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقينا على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل أنتم مسلمون مخلصون ... من كان يريد ... وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها

وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو لان المؤمنين كانوا ايضا يتحدونهم وكان امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم فى كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله ﴿ فاعلموا أنما انزل بعلم الله ﴾ ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه ﴿ وان لا اله الا هو ﴾ واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم ﴿ فهل انتم مسلمون ﴾ ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير فى لم يستجيبوا لكم لمن استطعتم أى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون فى الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفى مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر ﴿ من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها ﴾ باحسانه وبره ﴿ نوف اليهم اعمالهم فيها ﴾

قوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ثم أتبعه بقوله تبارك وتعالى فان لم يستجيبوا لكم احتمل أن يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا فى المعارضة لعجزهم عنها واحتمل أن يكون المراد أن من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار فى المعارضة فلهذا السبب اختلف المفسرون فى معنى الآية على قولين * أحدهما انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله سبحانه وتعالى لنبيه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيما دعوتموهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه ﴿ فاعلموا انما أنزل بعلم الله ﴾ يعنى فاثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين بانه منزل من عند الله وقيل الخطاب فى قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبى صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم * القول الثانى أن قوله سبحانه وتعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه سبحانه وتعالى لما قال فى الآية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل فى هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم أيها الكفار ولم يعينوكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله انه ليس مفترى على الله بل هو أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وان لا اله الا هو ﴾ يعنى الذى أنزل القرآن هو الله الذى لا اله الا هو ولا من تدعون من دونه ﴿ فهل أنتم مسلمون ﴾ فمعنى الامر ... أسلموا واخلصوا له العبادة وان حملنا معنى الآية على انه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل أنتم مسلمون الترغيب أى دوموا على ما أنتم عليه من الاسلام * قوله عز وجل ﴿ من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها ﴾ يعنى بعمله الذى يعمله من أعمال البر نزلت فى كل من عمل عملا يبتغى به غير الله عز وجل ﴿ نوف اليهم أعمالهم فيها ﴾ يعنى أجور

(فاعلموا) يا معشر الكفار (انما أنزل) جبريل ... (...) ... مقرون بمحمد عليه السلام والقرآن (من كان يريد الحيوة الدنيا) بعمله الذى افترض الله عليه (وزينتها) زهرتها (نوف اليهم أعمالهم) نوفر لهم ثواب أعمالهم (فيها) فى الدنيا

(والله على كل شئ وكيل) ... وهو ... بهم ... فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك
بتبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم و ... (أم يقولون) ام منقطعة
(افتراه) الضمير لما يوحى اليك (قل فأتوا بعشر سور) تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة
واحدة كما يقول الخارق فى الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) فى الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها (مفتريات) صفة لعشر سور ... قالوا ... افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله أرخى معهم العنان وقال هبوا أنى اختلقته من عند نفسى فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى (وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين) انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم

أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك ﴿ والله على كل شئ وكيل ﴾ فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ أم منقطعة والهاء لما يوحى ﴿ قل فأتوا بعشر سور مثله ﴾ فى البيان وحسن النظم تحداهم أولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد ﴿ مفتريات ﴾ مختلقات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته من عند نفسى فانكم عرب فصحاء مثلى تقدرون على مثل ما قدرت عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ الى المعاونة على المعارضة ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ انه مفترى ﴿ فان لم يستجيبوا لكم ﴾ باتيان ما دعوتم اليه

لمن خالفك وعصى أمرك وتبشر بالثواب لمن أطاعك وآمن بك وصدقك ﴿ والله على كل شئ وكيل ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ أقوالهم وأعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ يعنى بل يقول كفار مكة اختلقه يعنى ما أوحى اليه من القرآن ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿ فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾ لما قالوا له افتريت هذا القرآن واختلقته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وأرخى لهم العنان وقاوضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا أنى اختلقته من عند نفسى ولم يوح الى شئ وان الامر كما قلتم وأنتم عرب مثلى من أهل الفصاحة وفرسان البلاغة وأصحاب اللسان فأتوا أنتم بكلام مثل هذا الكلام الذى جئتكم به مختلق من عند أنفسكم فانكم تقدرون على مثل ما أقدر عليه من الكلام فلهذا قال سبحانه وتعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات فى مقابلة قولهم افتراه فان قلت قد تحداهم بان يأتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة أعجز قلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وانه تحداهم أولا بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وأنكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت أولا قال ومعنى قوله فى سورة يونس فأتوا بسورة مثله يعنى مثله فى الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وقوله فى سورة هود فأتوا بعشر سور مثله يعنى مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد فلما تحداهم بهذا الكلام أمرهم بان يقولوا لهم ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ حتى يعينوكم على ذلك ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعنى فى قولكم انه مفترى ﴿ فان لم يستجيبوا لكم ﴾ اعلم انه لما شملت ... على أمرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله ... قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات والثانى أمر وخطاب للكفار وهو

تخوف (والله على كل شئ) ... عذابهم (وكيل) ...

... يقولون ... كفار مكة (افتراه) خلق محمد القرآن من تلقاء نفسه فأتانا به (قل) لهم يا محمد (فأتوا بعشر سور مثله)
مثل سور ... البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة ويونس {قوله}
وهود (مفتريات) مختلقات من تلقاء أنفسكم (وادعوا من استطعتم) استعينوا بمن عبدتم (من دون الله ان كنتم صادقين)
ان محمدا صلى الله عليه وسلم يختلقه من تلقاء نفسه ... عن ذلك فقال الله (فان لم يستجيبوا لكم) ... يجيبك الظلمة

احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة ﴿ ان يقولوا لولا أنزل عليه كنز ﴾ ينفقه في الاستتباع كالملوك ﴿ أو جاء معه ملك ﴾ يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا ﴿ انما انت نذير ﴾ ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك ولا عليك ردوا

ظاهرا فأنزل الله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعنى من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية وأجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لا خطأ ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أنزل الله عليه الى أمته ولم يكتم منه شيأ وأجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانذار ولا يترك بعض ما أوحى اليه لقول احد لان تجويز ذلك يؤدي الى الشك في أداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من أرسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيأ آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك أجوبة أحدها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيأ مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة أحد وغضبه ولكن الله تعالى أكد على رسوله صلى الله عليه وسلم متابعة الابلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية الثاني ان هذا من حثه سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريضه على أداء ما أنزله اليه والله سبحانه وتعالى من وراء ذلك في عصمته مما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزؤن بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويستهزؤن به فامره الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما أوحى اليه وأن لا يلتفت الى استهزائهم وان تحمل هذا الضرر أهون من كتم شئ من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في باب الترك أعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله سبحانه وتعالى مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيأ من الوحي هيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم وردهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أى لعلك تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك أى بأن تتلوه عليهم ﴿ أن يقولوا ﴾ يعنى مخافة ان يقولوا ﴿ لولا أنزل عليه كنز ﴾ يعنى يستغنى به وينفقه ﴿ أو جاء معه ملك ﴾ يعنى يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية المخزومي والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا في قولك بأنك رسول الله الذى تصفه بالقدرة على كل شئ وأنت عزيز عنده مع انك فقير فهلا أنزل عليك ما تستغنى به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ملكا يشهد لك بالرسالة فتزول الشبهة في أمرك فأخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل ﴿ انما أنت نذير ﴾ تنذر بالعقاب

(ان يقولوا) مخافة ان يقولوا (لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) هلا انزل عليه ما اقترحنا من الكنز لننفقه والملائكة لتصدقه ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه (انما أنت نذير) أى ليس عليك الا أن تنذرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ان ردوا أو تهاونوا

(أن يقولوا) بان يقولوا كفار مكة (لولا أنزل) هلا أنزل (عليه) على محمد (كنز) مال من السماء فيعيش به (أو جاء معه ملك) يشهد له (انما أنت) يا محمد (نذير) رسول

الله نساءله (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذي ناله (ليقولن ذهب السيآت عنى) أى المصائب التى ساءتنى (انه لفرح) أشر بطر (فخور) على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (الا الذين صبروا) فى المحنة والبلاء (وعملوا الصالحات) وشكروا فى النعمة والرخاء

(أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) هى الجنة [illegible] كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو [illegible] مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به [illegible] فى رشادهم ومن اقتراحاتهم ولا أنزل عليه كنز أوجاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى اليهم مالا يقبلونه ويضحكون منه فهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض مايوحى اليك) أى لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم (وضائق به صدرك) بان تتلوه عليهم ولم يقل ضيق ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لانه عليه السلام كان أفسح الناس صدرا ولانه أشكل بتارك

من النعمة ﴿ ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ﴾ كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفى اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ﴿ ليقولن ذهب السيئات عنى ﴾ أى المصائب التى ساءتنى ﴿ انه لفرح ﴾ بطر بالنعم مغتر بها ﴿ فخور ﴾ على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفى لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده فى الآخرة وانه يقع فى الكفران والبطر بادنى شئ لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول ﴿ الا الذين صبروا ﴾ على الضراء ايمانا بالله تعالى واستسلاما لقضائه ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ شكرا لآلائه سابقها ولاحقها ﴿ اولئك لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ واجر كبير ﴾ اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكفار لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا ﴿ فلعلك تارك بعض مايوحى اليك ﴾ تترك تبليغ بعض مايوحى اليك وهو ما يخالف رأى المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشئ لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل من الخيانة فى الوحى والتقية فى التبليغ مانعا ﴿ وضائق به صدرك ﴾ وعارض لك

وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحدها فان نزعت عنك فينبغى لك ان تصبر ولا تيأس من رحمة الله فانه العواد على عباده بالخير وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ﴾ يعنى ولئن نحن أنعمنا على الانسان وبسطنا عليه من العيش ﴿ ليقولن ﴾ يعنى الذى أصابه الخير والسعة ﴿ ذهب السيآت عنى ﴾ يعنى ذهب الشدائد والعسر والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراءة عليه لانه لم يضف الاشياء كلها الى الله وانما أضافها الى العوائد فلهذا ذمه الله تعالى فقال ﴿ انه لفرح فخور ﴾ أى انه أشر بطر والفرح لذة تحصل فى القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهى عنه ❁ ثم استثنى فقال تبارك وتعالى ﴿ الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ﴾ قال الفراء هذا الاستثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكروا عليها ﴿ أولئك ﴾ يعنى من هذه صفتهم ﴿ لهم مغفرة ﴾ يعنى لذنوبهم ﴿ وأجر كبير ﴾ يعنى الجنة ❁ قوله عز وجل ﴿ فلعلك تارك بعض مايوحى اليك ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك يا محمد تارك بعض مايوحى اليك ربك ان تبلغه الى من أمرك ان تبلغ ذلك اليه ﴿ وضائق به صدرك ﴾ أى ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يترك ذكر آلهتهم

لا يشكر (ولئن أذقناه) أصبناه يعنى الكافر (نعماء بعد ضراء مسته) شدة اصابته (ليقولن) يعنى الكافر (ذهب السيآت) الشدة (عنى انه لفرح) بطر (فخور) بنعمة الله غير شاكر (الا) محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه (الذين صبروا) على الايمان (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم فانهم لا يفعلون ذلك و[illegible] يصبرون بالشدة ويشكرون بالنعمة (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم فى الدنيا (وأجر كبير) ثواب عظيم فى الجنة (فلعلك) يا[illegible] (تارك بعض مايوحى اليك) أمرك فى القرآن من تبليغ الرسالة وسب آلهتهم وعيبها (وضائق به) بما أمرت (صدرك) قلبك

ليقولن الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين) أشار بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث و غيره ساحر حمزة وعلى يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (ولئن أخرنا عنهم العذاب) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر (الى أمة) الى جماعة من الاوقات (معدودة) معلومة أو قلائل والمعنى الى حين معلوم (ليقولن ما يحبسه) ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء (ألا يوم يأتيهم) العذاب (ليس) العذاب (مصروفا عنهم)و يوم منصوب بمصروفا أى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا به يستهزؤن) العذاب الذى كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على وجه الاستهزاء (ولئن أذقنا الانسان) هو للجنس (منا رحمة) نعمة من صحة وامن وجدة واللام فى لئن لتوطئة القسم (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعم وجواب القسم (انه ليؤس) شديد اليأس من أن يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه (كفور) عظيم الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة

ليقولن الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين ﴾ أى ما البعث أو القول به أو القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر فى الخديعة والبطلان وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ أنكم بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت أو ان تكون ان بمعنى علّ أى ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة فى انكاره ﴿ ولئن اخرنا عنهم العذاب ﴾ الموعود ﴿ الى أمة معدودة ﴾ الى جماعة من الاوقات قليلة ﴿ ليقولن ﴾ استهزاء ﴿ ما يحبسه ﴾ ما يمنعه من الوقوع ﴿ ألا يوم يأتيهم ﴾ كيوم بدر ﴿ ليس مصروفا عنهم ﴾ ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها ﴿ وحاق بهم ﴾ واحاط بهم وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التهديد ﴿ ما كانوا به يستهزؤن ﴾ أى العذاب الذى كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ﴿ ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ﴾ ولئن اعطيناه نعما بحيث يجد لذتها ﴿ ثم نزعناها منه ﴾ ثم سلبنا تلك النعمة منه ﴿ انه ليؤس ﴾ قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به ﴿ كفور ﴾ مبالغ فى كفران ما سلف له

للحساب والجزاء ﴿ ليقولن الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين ﴾ يعنون القرآن ﴿ ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ﴾ يعنى الى أجل محدود وأصل الامة فى اللغة الجماعة من الناس فكأنه قال سبحانه و تعالى الى انقراض أمة و مجىء أمة أخرى ﴿ ليقولن ما يحبسه ﴾ يعنى أى شئ يحبس العذاب وانما يقولون ذلك استعجالا بالعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشئ قال الله عز وجل ﴿ ألا يوم يأتيهم ﴾ يعنى العذاب ﴿ ليس مصروفا عنهم ﴾ أى لا يصرفه عنهم شئ ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ يعنى و نزل بهم وبال استهزائهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ﴾ يعنى رخاء وسعة فى الرزق والعيش و بسطنا عليه من الدنيا ﴿ ثم نزعناه منه ﴾ يعنى سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فاجتاحته و ذهبت به ﴿ انه ليؤس كفور ﴾ يعنى يظل قانطا من رحمة الله آيسا من كل خير كفور أى جحود لنعمتنا عليه أولا قليل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أمن

ليقولن الذين كفروا) كفار مكة (ان هذا) ما هذا الذى تقول محمد عليه السلام (الا سحر مبين) كذب بين لا يكون (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة) الى وقت معلوم (قا و حنا ٣٩ لث) يوم بدر (ليقولن) يعنى أهل مكة (ما يحبسه) عنا غدا استهزاء به (ألا يوم يأتيهم)العذاب (ليس مصروفا عنهم)لا يصرف عنهم العذاب (وحاق بهم) دار و وجب ونزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن) عذاب ما كانوا به يستهزؤن بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ولئن أذقنا الانسان) يعنى الكافر (منا رحمة) نعمة (ثم نزعناها منه) أخذناها منه (انه ليؤس) يصير آيس شئ واقنط شئ من رحمة الله (كفور) كافر بنعمة الله

متن الماء ٭ واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ﴿ ليبلوكم ايكم احسن عملا ﴾ متعلق بخلق أى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لأحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبيح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقى دائما فى مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ﴿ ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت

(ليبلوكم) أى خلق السموات والارض وما بينهما للممتحن فيهما ولم يخلق هذه الاشياء لانفسها (أيكم أحسن عملا) أكثر شكرا وعنه عليه السلام أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم أى ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت

(ليبلوكم) ليختبركم بين الحياة والموت (أيكم أحسن عملا) أخلص عملا (ولئن قلت) لاهل مكة (انكم مبعوثون) محيون (من بعد الموت

يعنى على جذوعها و قوله ما فوقه هواء أى ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله وما تحته هواء أى ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك العمى مقصور والعمى اذا كان مقصورا فمعناه لاشئ ثابت لانه مما عمى عن الخلق لكونه غير شئ فكأنه قال فى جوابه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شئ غيره ثم قال ما فوقه هواء و ما تحته هواء أى ليس فوق العمى الذى هو لاشئ موجود هواء ولا تحته هواء لان ذلك اذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء بوجه والله أعلم وقال الهروى صاحب الغريبين قال بعض أهل العلم معناه أين كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقى وقال ابن الاثير العماء فى اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل هو الضباب ولابد فى الحديث من حذف مضاف تقديره أين كان عرش ربنا فحذف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم فى العمى المقصور أنه قال هو كل أمر لا يدركه الفطن وقال الازهرى قال أبو عبيد انما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والا فلا ندرى كيف كان ذلك العماء قال الازهرى فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ٭ و فى رواية فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء بخمسين ألف سنة ٭ قوله فرغ يريد اتمام خلق المقادير لا أنه كان مشغولا ففرغ منه لان الله سبحانه و تعالى لا يشغله شأن عن شأن فانما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون ٭ وقوله سبحانه و تعالى ﴿ ليبلوكم ﴾ يعنى ليختبركم وهو أعلم بكم منكم ﴿ أيكم أحسن عملا ﴾ يعنى بطاعة لله وأورع عن محارم الله ﴿ ولئن قلت ﴾ يعنى ولئن قلت يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك ﴿ انكم مبعوثون من بعد الموت ﴾ يعنى

أيام ﴾ أى خلقهما وما فيهما كما سبق بيانه فى الاعراف أو ما فى جهتى العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لانه كان موضوعا على

ايام وكان عرشه على الماء ﴾ يعنى قبل خلق السموات والارض قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة ان الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيأ من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على أى شئ كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والارض ثم قبض الله قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخان ثم قضاهن سبع سموات فى يومين ثم أخذ سبحانه وتعالى طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات فى يومين والسموات فى يومين والارض فى يومين ثم فرغ آخر الخلق فى اليوم السابع قال بعض العلماء وفى خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء ما يدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن له أساس على أرض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتى بالباب فاتى ناس من بنى تميم فقال اقبلوا البشرى يا بنى تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جئنا لنتفقه فى الدين ولنسألك عن أول هذا الامر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شئ قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب فى الذكر كل شئ ثم أتانى رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب يقطع دونها وايم الله لوددت أنها ذهبت ولم أقم ﴾ عن أبى رزين العقيلى رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان فى عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذى وقال قال أحمد يريد بالعماء أنه ليس معه شئ قال أبو بكر البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شئ قبله يعنى لا الماء ولا العرش ولا غيرهما وقوله وكان عرشه على الماء يعنى وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب فى الذكر كل شئ وقوله فى عماء وجدته فى كتاب عماء مقيدا بالمد فان كان فى الاصل ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله فى عماء أى فوق سحاب مدبر اله وعاليا عليه كما قال سبحانه وتعالى أأمنتم من فى السماء يعنى من فوق السماء وقال تعالى لأصلبنكم فى جذوع النخل

أيام) من الاحد الى الجمعة تعليما للتأنى (وكان عرشه على الماء) أى فوقه يعنى ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض قيل بدأه بخلق ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق ريحا فاقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء وفى وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لاهل الافكار

أيام) من أيام أول الدنيا طول كل يوم ألف سنة أول يوم منها يوم الاحد وآخر يوم منها يوم الجمعة (وكان عرشه) قبل ان خلق السموات والارض (على الماء) وكان الله قبل العرش والماء

الجزء الثاني عشر

فنعم خير الرازقين

﴿ومامن دابة فى الارض الاعلى الله رزقها﴾ غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ اماكنها فى الحياة والممات أو الاصلاب والارحام أو مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ﴿كل﴾ كل واحد من الدواب واحوالها ﴿فى كتاب مبين﴾ مذكور فى اللوح المحفوظ وكأنه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولماسبق من الوعد والوعيد ﴿وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة

---

* قوله سبحانه وتعالى ﴿ومامن دابة فى الارض﴾ الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض وأطلق لفظ الدابة على كل ذى أربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الآدمى وغيره من جميع الحيوانات ﴿الاعلى الله رزقها﴾ يعنى هو المتكفل برزقها فضلا منه لاعلى سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من أى من الله رزقها وقال مجاهد ماجاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعا ﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ قال ابن عباس مستقرها المكان الذى تأوى اليه فى ليل أونهار ومستودعها المكان الذى تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها أرحام الامهات والمستودع المكان الذى تموت فيه وقيل المستقر الجنة أوالنار والمستودع القبر ﴿كل فى كتاب مبين﴾ أى كل ذلك مثبت فى اللوح المحفوظ قبل خلقها * قوله عزوجل ﴿وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة

(وما من دابة فى الارض الاعلى الله رزقها) تفضلا لاوجوبا (ويعلم مستقرها) مكانه من الارض ومسكنه (ومستودعها) حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أوبيضة (كل فى كتاب مبين) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها فى اللوح يعنى ذكرها مكتوب فيه مبين (وهو الذى خلق السموات والارض) وما بينهما (فى ستة

(ومامن دابة فى الارض الاعلى الله رزقها) الاالله قائم برزقها (ويعلم مستقرها) حيث تأوى بالليل (ومستودعها) حيث تموت فتدفن (كل) أى رزق كل دابة واجلها وأثرها (فى كتاب مبين) مكتوب فى اللوح المحفوظ مبين معلوم مقدور ذلك عليها (وهو الذى) والهكم هو الذى (خلق السموات والارض فى ستة

﴿ انه عليم بذات الصدور ﴾ بالاسرار ذات الصدور أو بالقلوب واحوالها

انه عليم بذات الصدور ﴾ ومعنى الآية على ماقاله الازهرى ان الذين أضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لايخفى علينا حالهم فى كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ماأخرجه البخارى فى افراده عن محمد بن عباش بن جعفر المخزومى انه سمع ابن عباس يقرأ ألا انهم يثنون صدورهم قال فسألته عنها فقال كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا الى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم

(انه عليم بذات الصدور) بمافيها

(أنه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب من الخير والشر

(فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم) رجوعكم (وهو على كل شئ قدير) فكان قادرا على اعادتكم (ألا انهم يثنون صدورهم) يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشئ استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف

ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه (ليستخفوا منه) ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ازورارهم (ألا حين يستغشون ثيابهم) يتغطون بها أى يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم (يعلم مايسرون ومايعلنون) أى لا تفاوت فى علمه بين اسرارهم و اعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشاءهم ثيابهم و نفاقهم غير نافع عنده قيل نزلت فى المنافقين

والتوبة (فانى أخاف عليكم) أعلم ان يكون عليكم (عذاب يوم كبير) عظيم (الى الله مرجعكم) بعد الموت (وهو على كل شئ) من الثواب والعقاب (قدير ألا انهم) يعنى أخنس ابن شريق وأصحابه (يثنون صدورهم) يضمرون فى قلوبهم بغض محمد صلى الله عليه وسلم وعداوته (ليستخفوا منه) ليستروا من محمد صلى الله عليه وسلم بغضه وعداوته باظهار المحبة له والمجالسة معه (ألا حين يستغشون ثيابهم) يغطون رؤسهم ثيابهم (يعلم مايسرون) فيما بينهم ومايضمرون فى قلوبهم (ومايعلنون) من القتال والجفاء ويقال من المحبة والمجالسة

﴿فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير ﴾ يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى ﴿ الى الله مرجعكم ﴾ رجوعكم فى ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب فكأنه تقرير لكبر اليوم ﴿ ألا انهم يثنون صدورهم ﴾ يثنونها عن الحق وينحرفون عنه أو يعطفونها على الكفر وعداوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو يولون ظهورهم وقرئ يثنونى بالياء والتاء من اثنونى وهو بناء المبالغة وتثنون واصله يثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثنى وتثنئن من اثنأن كابيأض بالهمزة وتثنوى ﴿ ليستخفوا منه ﴾ من الله سرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت فى طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يعلم وقيل نزلت فى المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة ﴿ ألا حين يستغشون ثيابهم ﴾ ألا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم ﴿ يعلم مايسرون ﴾ فى قلوبهم ﴿ ومايعلنون ﴾ بافواههم يستوى فى علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ماعسى يظهرونه

﴿فانى أخاف عليكم ﴾ أى فقل لهم يا محمد انى أخاف عليكم ﴿ عذاب يوم كبير ﴾ يعنى عذاب النار فى الآخرة ﴿ الى الله مرجعكم ﴾ يعنى فى الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسئ على اساءته ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ يعنى من ايصال الرزق اليكم فى الدنيا وثوابكم وعقابكم فى الآخرة * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ألا انهم يثنون صدورهم ﴾ قال ابن عباس نزلت فى اخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوى بقلبه على مايكره فنزلت ألا انهم يثنون صدورهم يعنى يخفون مافى صدورهم من الشحناء والعداوة من ثنيت الثوب اذا طويته وقال عبدالله بن شداد بن الهاد نزلت فى بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كى لايراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كى لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخى ستره ويحنى ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله مافى قلبى وقال السدى يثنون صدورهم أى يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عنانى ﴿ ليستخفوا منه ﴾ يعنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا ﴿ ألا حين يستغشون ثيابهم ﴾ يعنى يغطون رؤسهم بثيابهم ﴿ يعلم مايسرون ومايعلنون

من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت مابين الامرين ﴿ يمتعكم متاعا حسنا ﴾ يعيشكم في امن ودعة ﴿ الى اجل مسمى ﴾ هو آخر اعماركم المقدرة أولا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ﴿ ويؤت كل ذي فضل فضله ﴾ ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا وفي الآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين ﴿ وان تولوا ﴾ وان تتولوا

لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتأكيد ﴿ يمتعكم متاعا حسنا ﴾ يعني انكم اذا فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا وأسباب الرزق ما تعيشون به في أمن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور ﴿ الى أجل مسمى ﴾ يعني يمتعكم متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم • فان قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض أوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله سبحانه وتعالى يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى • قلت أما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما اعدالله له في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في سجن في الدنيا حتى يفضي الى ذلك المعد له وأما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة الى ما أعدالله له في الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضي الى ما أعدالله له في الآخرة وأما ما يضيق على الرجل المؤمن في بعض الاوقات فانما ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيآت وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع أحواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع أحواله • قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويؤت كل ذي فضل فضله ﴾ أي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة قال أبو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة لان الدرجات تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيآته دخل الجنة ومن زادت سيآته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيآته كان من أهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلبت آحاده اعشاره وقيل معنى الآية من عمل لله وفقه الله في المستقبل لطاعته ﴿ وان تولوا ﴾ يعني وان أعرضوا عما جئتهم به من الهدى

(يمتعكم متاعا حسنا) يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة (الى أجل مسمى) الى أن يتوفاكم (ويؤت كل ذي فضل فضله) ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه شيأ (وان تولوا) وان تتولوا

(يمتعكم متاعا) يعشكم عيشا (حسنا) بلا عذاب (الى أجل مسمى) الى وقت معلوم يعني الموت (ويؤت) ويعط (كل ذي فضل) في الاسلام (فضله) ثوابه في الآخرة (وان تولوا) عن الايمان

أو بالانزال نجما أو فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم أو للتراخي في الاخبار ﴿ من لدن حكيم خبير ﴾ صفة اخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لأحكمت أو فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي ﴿ ان لا تعبدوا الا الله ﴾ لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد أو الامر بالتبري عن عبادة الغير كأنه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه أو اتركوها تركا ﴿ انني لكم منه ﴾ من الله ﴿ نذير وبشير ﴾ بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد ﴿ وان استغفروا ربكم ﴾ عطف على ان لا تعبدوا ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لابد له من الرجوع وقيل استغفروا

تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت آياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت آياته سورة سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد وأحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن المغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وثم في قوله ثم فصلت ليست هي للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل * فان قلت كيف عم الآيات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات * قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فمعنى الاحكام العام هنا انه لا يتطرق الى آياته التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات ان بعض آياته منسوخة نسخها بآيات منه أيضا لم ينسخها غيره وقيل أحكمت آياته أي معظم آياته محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى الكل على البعض لان الحكم للغالب واجراء الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول أكلت طعام زيد وانما أكلت بعضه * وقوله تعالى ﴿ من لدن حكيم ﴾ يعني أحكمت آيات الكتاب من عند حكيم في جميع أفعاله ﴿ خبير ﴾ يعني باحوال عباده وما يصلحهم ﴿ ألا تعبدوا الا الله ﴾ هذا مفعول له معناه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في دين الاسلام ﴿ انني لكم منه ﴾ أي قل لهم يا محمد انني لكم من عند الله ﴿ نذير ﴾ ينذركم عقابه ان ثبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه ﴿ وبشير ﴾ يعني وأبشر بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ﴾ اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة

(من لدن حكيم خبير) صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لاحكمت وفصلت أي من عنده احكامها وتفصيلها (ألا تعبدوا الا الله) مفعول له أي لئلا تعبدوا أو أن مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا الا الله أو أمركم أن لا تعبدوا الا الله (انني لكم منه نذير وبشير) أي من الله (وان استغفروا ربكم) أي أمركم بالتوحيد والاستغفار (ثم توبوا اليه) أي استغفروه من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة

من لدن) من عند (حكيم) حاكم أمر ان لا يعبد غيره (خبير) بمن يعبده وبمن لا يعبده (ألا تعبدوا) بان لا توحدوا (الا الله انني لكم منه) من الله (نذير) من النار (وبشير) بالجنة (وأن استغفروا ربكم) وحدوا ربكم (ثم توبوا اليه) أقبلوا اليه بالتوبة والاخلاص

من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

﴿سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ألر كتاب﴾ مبتدأ وخبر أو كتاب خبر مبتدأ محذوف ﴿أحكمت آياته﴾ نظمت نظماً محكماً لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى أو منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ أو احكمت بالحجج والدلائل أو جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيماً لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ﴿ثم فصلت﴾ بالفرائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار أو بجعلها سوراً

واظهار دينه وبقتل المشركين وأخذ الجزية من أهل الكتاب وفيها ذلهم وصغارهم والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام﴾

وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس انها مكية غير آية وهي قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلوة طرفي النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هي مكية الاقوله سبحانه وتعالى فلعلك تارك بعض مايوحى اليك وقوله أولئك يؤمنون به وقوله سبحانه وتعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة وثلاث وعشرون آية وألف وستمائة كلمة وتسعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفاً عن ابن عباس قال قال أبو بكر يارسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية غيره قال قلت يارسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتني هود وأخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل أتاك حديث الغاشية قال بعض العلماء سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿الر كتاب أحكمت آياته﴾ قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كما نسخت هي الكتب والشرائع ﴿ثم فصلت﴾ يعني بينت وقال الحسن أحكمت آياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه بالعكس قال أحكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل أحكم[illegible]

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الر كتاب﴾ أي هذا كتاب فهو خبر مبتدأ [illegible] ﴿أحكمت آياته﴾ صفة له أي نظمت نظماً رصيناً محكماً لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم ﴿ثم فصلت﴾ كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة أو فصل فيها مايحتاج اليه العباد أي بين ولخص وليس معنى ثم التراخي في الوقت ولكن في الحال

أقوى الحق بكين بهلاكهم ونصرهم

﴿ومن السورة التي يذكر فيها هود وهي كلها مكية آياتها مائة وعشرون [illegible] كلماتها الف وستمائة وخمسة وعشرون وعدد حروفها [illegible] ستة آلاف وتسعمائة وخمسة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ألر﴾ يقول أنا الله أي أرى ويقال قسم أقسم به ﴿كتاب﴾ ان هذا كتاب يعني القرآن ﴿أحكمت آياته﴾ بالحلال والحرام والامر والنهي فلم تنسخ

الا عليه (وهو الغفور) المكفر بالبلاء (الرحيم) المعافى بالعطاء اتبع النهى عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لاتنفع ولاتضر ان الله هو الضار النافع الذى ان أصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذى لاشعور به وكذا أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من الفضل والاحسان فكيف بالاوثان وهو الحقيق اذا بان توجه اليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته وانما ذكر المس فى أحدهما والارادة فى الآخر كانه أراد ان يذكر الامرين الارادة والاصابة فى كل واحد من الضر والخير وانه لاراد لما يريد منهما ولامزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة فى أحدهما والارادة فى الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير فى قوله يصيب به من يشاء من عباده (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) القرآن أو الرسول (من ربكم فمن اهتدى) اختار الهدى واتبع الحق (فانما يهتدى لنفسه) فما نفع باختياره الا نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه ودل اللام وعلى على معنى النفع والضرر (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى أمركم انما أنا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على تكذيبهم وايذائهم (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم والغلبة (وهو خير الحاكمين) لانه المطلع على السرائر فلا يحتاج الى بينة وشهود

وهو الغفور الرحيم ﴾ فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولاتيأسوا من غفرانه بالمعصية ﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ﴾ رسوله أو القرآن ولم يبق لكم عذر ﴿ فمن اهتدى ﴾ بالايمان والمتابعة ﴿ فانما يهتدى لنفسه ﴾ لان نفعه لها ﴿ ومن ضل ﴾ بالكفر ﴿ فانما يضل عليها ﴾ لان وبال الضلال عليها ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ بحفيظ موكول الى أمركم وانما أنا بشير ونذير ﴿ واتبع ما يوحى اليك ﴾ بالامتثال والتبليغ ﴿ واصبر ﴾ على دعوتهم وتحمل اذيتهم ﴿ حتى يحكم الله ﴾ بالنصرة أو بالامر بالقتال ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ اذ لا يمكن الخطأ فى حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

انه هو القادر على ذلك كله وان جميع الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر على كل شئ وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الآية بقوله ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ وفى الآية لطيفة أخرى وهى ان الله سبحانه وتعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك أنه تعالى لما ذكر امساس الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه سبحانه وتعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفى اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله يعنى ان جميع الخيرات منه فلا يقدر أحد على ردها لانه هو الذى يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعنى الساتر لذنوب عباده الرحيم يعنى بهم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ﴾ يعنى القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله عز وجل ﴿ فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ﴾ لان نفع ذلك يرجع اليه ﴿ ومن ضل فانما يضل عليها ﴾ أى على نفسه لان وباله راجع اليه فمن حكم الله له بالاهتداء فى الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشئ أبدا ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ يعنى وما أنا عليكم بحفيظ أحفظ عليكم أعمالكم قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بآية السيف ﴿ واتبع ما يوحى اليك ﴾ يعنى الامر الذى يوحيه الله اليك يا محمد ﴿ واصبر ﴾ يعنى على أذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك ﴿ حتى يحكم الله ﴾ يعنى بنصرك عليهم باظهار دينك ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى حكم بنصر نبيه

كان أهلا لذلك (وهو الغفور) المتجاوز لمن تاب (الرحيم) لمن مات على التوبة (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) الكتاب والرسول (من ربكم فمن اهتدى) بالكتاب والرسول (فانما يهتدى لنفسه) [illegible] الكتاب والرسول (فانما يضل عليها) يعنى عليها جناية ذلك (وما أنا عليكم بوكيل) بكفيل نسختها آية القتال (واتبع) يا محمد (ما يوحى اليك) ما يؤمر به فى القرآن من تبليغ الرسالة (واصبر) على ذلك (حتى يحكم الله) بينكم وبينهم بقتلهم وهلاكهم يوم بدر (وهو خير الحاكمين)

فى كتابه (وان أقم وجهك للدين) أى وأوحى الى أن أقم لدنيا كل قوله أمرت أى استقم مقبلا بوجهك على ما أمرك الله أو استقم اليه ولاتلتفت يمينا ولاشمالا (حنيفا) حال من الدين اوالوجه (ولاتكونن من المشركين ولاتدع من دون الله مالاينفعك) ان دعوته (ولا يضرك) ان خذلته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله مالاينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا (فانك اذا من الظالمين) اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لاظلم أعظم من الشرك دافع (وان يمسسك الله) يصبك (بضر) مرض (فلا كاشف له) لذلك الضر (الاهو) الاالله (وان يردك بخير) عافية (فلاراد لفضله) فلاراد لمراده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده) قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة الا اليه والاعتماد

مع المؤمنين على دينهم (وان أقم وجهك للدين) اخلص دينك وعملك لله (حنيفا) مسلما (ولاتكونن من المشركين) مع المشركين على دينهم (ولاتدع) لاتعبد (من دون الله مالا ينفعك) فى الدنيا والآخرة ان عبدت (ولايضرك) ان لم تعبده (فان فعلت) عبدت (فانك اذا من الظالمين) من الضارين لنفسك (وان يمسسك) يصبك (الله بضر) بشدة وأمر تكرهه (فلا كاشف له) فلا رافع للضر (الاهو) الا انه (وان يردك) يصبك (بخير) بنعمة وأمر تسر به (فلاراد لفضله) لامانع لفضله (يصيب به) يخص بالفضل (من يشاء من عباده) من

امرتك الخير فافعل ما امرت به * فقد تركتك ذامال وذانسب

﴿وان اقم وجهك للدين﴾ عطف على ان اكون غيران صلة ان محكية بصيغة الامر ولافرق بينهما فى الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة فى الدين والاستداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح أو فى الصلاة باستقبال القبلة ﴿حنيفا﴾ حال من الدين أوالوجه ﴿ولاتكونن من المشركين ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولايضرك﴾ بنفسه ان دعوته أو خذلته ﴿فان فعلت﴾ فان دعوته ﴿فانك اذا من الظالمين﴾ جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء ﴿وان يمسسك الله بضر﴾ وان يصبك به ﴿فلا كاشف له﴾ يدفعه ﴿الاهو﴾ الاالله ﴿وان يردك بخير فلاراد﴾ فلادافع ﴿لفضله﴾ الذى ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لابالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لايمكن رده ﴿يصيب به﴾ بالخير ﴿من يشاء من عباده﴾

أتبعها بذكر الايمان لانه من أعمال القلوب ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفا﴾ الواو فى قوله وان أقم واو عطف معناه وأمرت ان أقم وجهى يعنى أقم نفسك على دين الاسلام حنيفا يعنى مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين آخر وقيل معناه أقم عملك على الدين الحنيفى وقيل أراد بقوله وان أقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيفى غير مائل عنه ﴿ولاتكونن من المشركين﴾ يعنى ولاتكونن ممن شرك فى عبادة ربه غيره فيهلك وقيل ان النهى عن عبادة الاوثان قد تقدم فى الآية المتقدمة فوجب حمل هذا النهى على معنى زائد وهو ان من عرف الله عزوجل وعرف جميع أسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لاغيره فلا ينبغى له أن يلتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذى تسميه أصحاب القلوب بالشرك الخفى ﴿ولاتدع من دون الله مالاينفعك﴾ يعنى ان عبدته ودعوته ﴿ولايضرك﴾ يعنى ان تركت عبادته ﴿فان فعلت﴾ يعنى مانهيتك عنه فعبدت غيرى أوطلبت النفع ودفع الضر من غيرى ﴿فانك اذا من الظالمين﴾ يعنى لنفسك لانك وضعت العبادة فى غير موضعها وهذا الخطاب وان كان فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيأ البتة فيكون المعنى ولاتدع أيها الانسان من دون الله مالاينفعك الآية * قوله تعالى ﴿وان يمسسك الله بضر﴾ يعنى وان يصبك الله بشدة وبلاء ﴿فلا كاشف له﴾ يعنى لذلك الضر الذى أنزله بك ﴿الاهو﴾ يعنى لاغيره ﴿وان يردك بخير﴾ يعنى بسعة ورخاء ﴿فلاراد لفضله﴾ يعنى فلادافع لرزقه ﴿يصيب به﴾ يعنى بكل واحد من الضر والخير ﴿من يشاء من عباده﴾ قيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لاتقدر على نفع ولاضر بين تعالى

و[illegible]ين امنوا ﴾ عطف على محذوف دل عليه الامثل ايام الذين خلوا كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية ﴿ كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين ﴾ كذلك الانجاء أو انجاء كذلك ننجى محمدا عليه الصلاة والسلام وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائى ننجى المؤمنين مخففا ﴿ قل يا أيها الناس ﴾ خطاب لاهل مكة ﴿ ان كنتم فى شك من دينى ﴾ وصحته ﴿ فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم ﴾ فهذا خلاصة دينى اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو انى لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذى هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد ﴿ وامرت ان اكون من المؤمنين ﴾ بما دل عليه العقل ونطق به الوحى حذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان يكون من غيره كقوله

والذين آمنوا ﴾ يعنى من العذاب والهلاك كذلك ﴿ حقا علينا ننجى المؤمنين ﴾ يعنى كما أنجينا رسلنا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد والذين آمنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب وأجيب عن هذا بانه حق واجب من حيث الوعد والحكم لانه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيأ ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ قل يا أيها الناس ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلتك اليهم فشكوا فى أمرك ولم يؤمنوا بك ﴿ ان كنتم فى شك من دينى ﴾ يعنى الذى أدعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم فى أمره صلى الله عليه وسلم لما رأى الآيات التى كانت تظهر على يد النبى صلى الله عليه وسلم فحصل له الاضطراب والشك فقال ان كنتم فى شك من دينى الذى أدعوكم اليه فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وأنتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما ينبغى لكم أن تشكوا فى عبادتكم لهذه الاصنام التى لا أصل لها البتة فان أصررتم على ما أنتم عليه ﴿ فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ﴾ يعنى هذه الاوثان وانما وجب تقديم هذا النفى لان العبادة هى غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاخس الاشياء وهى الحجارة التى لا تنفع لمن عبدها ولا تضر لمن تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاماتة والاحياء وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم ﴾ والحكمة فى وصف الله سبحانه وتعالى فى هذا المقام بهذه الصفة أن المراد ان الذى يستحق العبادة فاعبده أنا وأنتم هو الذى خلقكم أولا ولم تكونوا شيأ ثم يميتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا فاكتفى بذكر الوفاة تنبيها على الباقى وقيل لما كان الموت أشد الاشياء على النفس ذكر فى هذا المقام يكون أقوى فى الزجر والردع وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذى هو قادر على اهلاككم ونصرى عليكم ﴿ وأمرت أن أكون من المؤمنين ﴾ يعنى أمرنى ربى أن أكون من المصدقين بما جاء من عنده قيل لما ذكر العبادة وهى من أعمال الجوارح

(كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين) أى مثل ذلك الانجاء ننجى المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض أى وحق ذلك علينا حقا ننجى بالتخفيف على وحفص (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) وصحته وسداده فهذا دينى فاستمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أى الاصنام (ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم) يميتكم وصفه بالتوفى [illegible] انه الحقيق بان يخاف ويتقى ويعبدون ما لا يقدر على شئ (وأمرت أن أكون من المؤمنين) أى بان أكون يعنى ان الله أمرنى [illegible] من العقل وبما أوحى الى

والذين آمنوا) بالرسل بعد هلاك قومهم (كذلك [illegible] ننجى المؤمنين) مع الرسل (قل) يا محمد (يا أيها الناس) يا اهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) الاسلام (فلا أعبد الذين تعبدون) تدعون (من دون الله) من الاوثان (ولكن أعبد الله الذى [illegible] يقبض أرواحكم ثم يحييكم بعد ان يميتكم (وامرت أن أكون من المؤمنين)

وتوفيقه فلا تجهد نفسك فى هدايته فانه الى الله ﴿ ... الرجس ﴾ ... أو الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاى وقرأ أبو بكر ونجعل بالنون ﴿ على الذين لا يعقلون ﴾ لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والآيات أو لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله ﴿ قل انظروا ﴾ ... ﴿ ماذا فى السموات والارض ﴾ من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل ﴿ وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ فى علم الله وحكمه وما نافية أو استفهامية فى موضع النصب ﴿ فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم ﴾ مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها ﴿ قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ﴾ لذلك أو فانتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم ﴿ ثم ننجى رسلنا

تؤمن وتصدق الا بقضاء الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله وهو الهادى المضل وقال ابن عباس معنى باذن الله بامر الله وقال عطاء بمشيئة الله ﴿ قوله تعالى ﴿ ويجعل ﴾ قرئ بالنون على سبيل التعظيم أى ونجعل نحن وقرئ بالياء ومعناه ويجعل الله ﴿ الرجس ﴾ يعنى العذاب وقال ابن عباس يعنى السخط ﴿ على الذين لا يعقلون ﴾ يعنى لا يفهمون عن الله أمره ونهيه ﴿ قوله عز وجل ﴿ قل انظروا ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألونك الآيات انظروا يعنى انظروا انظروا نظر اعتبار وتفكر وتدبر ﴿ ماذا فى السموات والارض ﴾ يعنى ماذا خلق الله فى السموات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته ففى السموات الشمس والقمر وهما دليلان على النهار والليل والنجوم سخرها طالعة وغاربة وانزال المطر من السماء وفى الارض الجبال والبحار والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آية دالة على وحدانية الله تعالى وانه خالقها كما قال الشاعر

وفى كل شئ له آية ۞ تدل انه واحد

﴿ وما تغنى الآيات والنذر ﴾ يعنى الرسل ﴿ عن قوم لا يؤمنون ﴾ وهذا فى حق أقوام علم الله انهم لا يؤمنون لما سبق لهم فى الازل من الشقاء ﴿ فهل ينتظرون ﴾ يعنى يعنى مشركى مكة ﴿ الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ﴾ يعنى من مضى من قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعنى وقائع الله فى قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمى العذاب أياما والنعم أياما كقوله تعالى وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد الا يوما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة أهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك العذاب ﴿ قل فانتظروا ﴾ يعنى قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب ﴿ انى معكم من المنتظرين ﴾ يعنى هلاككم قال الربيع بن أنس خوفهم عذابه ونقمته ثم أخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم أنجى الله رسله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى ﴿ ثم ننجى رسلنا

... والنهار ... الزروع والثمار (وما تغنى الآيات) ... المنذرين ... الانذارات (عن قوم لا يؤمنون) لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون (فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) يعنى وقائع الله فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها (قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ثم ننجى رسلنا) معطوف ... قبلهم كانه قيل ... الامم ثم ننجى رسلنا على حكاية ... بارادة الله وتوفيقه (ويجعل الرجس) بترك التكذيب (على الذين) فى قلوب ... ... فى ... أبى طالب حرص النبى صلى الله عليه وسلم على ايمانه ولم يرد الله أن يؤمن (قل) لهم يا محمد (انظروا ماذا فى السموات) من الشمس والقمر والنجوم (والارض)

وماذا فى الارض من الشجر والدواب والجبال والبحار كلها آية لكم ثم قال (وما تغنى الآيات والنذر) الرسل (عن قوم) (و) لا يؤمنون) فى علم الله (فهل ينتظرون) فهل بقى لهم آية (الا مثل أيام الذين خلوا) عذاب الذين مضوا (من قبلهم) عن الكفار (قل) يا محمد (فانتظروا) بنزول العذاب وبهلاكى (انى معكم من المنتظرين) بنزول العذاب عليكم وبهلاككم (ثم ننجى رسلنا

ولبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم ﴾ بحيث لا يشذ منهم احد ﴿ جميعا ﴾ مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين فان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر ﴿ أفأنت تكره الناس ﴾ بما لم يشأ الله منهم ﴿ حتى يكونوا مؤمنين ﴾ وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلائها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روى انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله ﴿ وما كان لنفس ان تؤمن ﴾ بالله ﴿ الا باذن الله ﴾ الا بارادته والطافه

وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيأ فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف أرجع اليهم فيجدوني كذابا وكان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف عنهم مغاضبا فالتقمه الحوت وستأتي القصة في سورة والصافات ان شاء الله تعالى ء فان قلت كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل توبته ء قلت أجاب العلماء عن هذا باجوبة ء أحدها ان ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ء الجواب الثاني ان فرعون ما آمن الا بعد ما باشر العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية ء الجواب الثالث ان الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون فانه ما صدق في ايمانه ولا أخلص فلم يقبل منه ايمانه والله أعلم ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ﴾ يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لآمن بك وصدقك من في الارض كلهم جميعا ولكن لم يشأ أن يصدقك ويؤمن بك الا من سبقت له السعادة في الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله عز وجل انه لا يؤمن به الا من سبقت له من الله السعادة في الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فاخبر الله أنه لا يؤمن به الا من سبقت له العناية الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ يعني ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه أو تحرص عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيئتنا وقضائنا وقدرنا ليس ذلك لاحد سوانا ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ﴾ يعني وما كان ينبغي لنفس خلقها الله تعالى أن

مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه أخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته انه لو شاء لآمن من في الارض كلهم ولكنه شاء ان يؤمن به من علم منه اختيار الايمان به وشاء الكفر ممن علم انه يختار الكفر ولا يؤمن به وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القسر والالجاء أي لو خلق فيهم الايمان جبرا لآمنوا لكن قد شاء ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) أي ليس اليك مشيئة الاكراه والجبر في الايمان انما ذلك الى فاسد لان الايمان فعل العبد وفعله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتأويله عندنا ان الله تعالى لطفا لو أعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم انهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام في أفأنت بمعنى النفي أي لا تملك أنت يا محمد أن تكرههم على الايمان لانه يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه على التصديق (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله

(ولو شاء ربك) يا محمد (لآمن من في الارض كلهم جميعا) جميع الكفار (أفأنت تكره الناس) تجبر الناس (حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس) كافرة (أن تؤمن) بالله (الا باذن الله)

ان تكون الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كأنه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ﴿ ومتعناهم الى حين ﴾ الى آجالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذادخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه

ومتعناهم الى حين ﴾ يعنى الى وقت انقضاء آجالهم واختلفوا فى قوم يونس هل رأوا العذاب عيانا أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الاكثرون انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزى والكشف لا يكون الا بعد الوقوع أو اذا قرب وقوعه

﴿ ذكر القصة فى ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد ﴾

﴿ ابن جبير ووهب وغيرهم ﴾

قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فارسل الله سبحانه وتعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقيل له أخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس ان العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثى ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فقذف الله سبحانه وتعالى فى قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الاسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن بعضها الى البعض فحن الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم ما نزل بهم من العذاب بعدما أظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ليأتى الى الحجر وقد وضع أساس بنيانه عليه فيقلعه فيرده وروى الطبرى بسنده عن أبى الجلد خيلان قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قولوا ياحى حين لا حى وياحى محيى الموتى وياحى لا اله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين

ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض موصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح كلهم وعجوا أربعين ليلة وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها فحن بعضهم الى بعض وأظهروا الايمان والتوبة فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا لما نزل بهم العذاب الى شيخ من بقية علمائهم فقال لهم قولوا ياحى حين لاحى وياحى محيى الموتى وياحى لا اله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله

ومتعناهم الى حين) تركناهم بلا عذاب الى حين الموت

فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله أوهو على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد انه الحق أو خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أى وان كنتم فى شك مما أنزلنا اليكم كقوله وأنزلنا اليكم نورا مبينا أو الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز أخوك فهن أوان للنفى أى فما كنت فى شك فسل أى ولا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى فان قلت انما يجىء ان للنفى اذا كان بعده الا كقوله ان الكافرون الا فى غرور قلت ذاك غير لازم ألا ترى الى قوله ان أمسكهما من أحد من بعده فان للنفى وليس بعده الا (ان الذين حقت عليهم كلمت ربك) ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح وأخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا أو قوله لأملأن جهنم الآية ولا وقف على لا يؤمنون) لان (ولو جاءتهم كل آية) تتعلق بما قبلها (حتى يروا العذاب اليم) أى عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم أو عند القيامة ولا يقبل منهم (فلولا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية واحدة من القرى التى أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما أخر فرعون الى أن أخذ بمخنقه (فنفعها ايمانها) بان يقبل الله (قا و خا ۳۷ اث) ايمانها منها بوقوعه فى وقت الاختيار (الا قوم يونس) استثناء منقطع أى ولكن قوم يونس أو متصل والجملة فى معنى النفى كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا

﴿ ان الذين حقت عليهم ﴾ ثبتت عليهم ﴿ كلمت ربك ﴾ بانهم يموتون على الكفر ويخلدون فى العذاب ﴿ لا يؤمنون ﴾ اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ﴿ ولو جاءتهم كل آية ﴾ فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود ﴿ حتى يروا العذاب الاليم ﴾ وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون ﴿ فلولا كانت قرية آمنت ﴾ فهلا كانت قرية من القرى التى اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم يؤخر اليها كما اخر فرعون ﴿ فنفعها ايمانها ﴾ بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها ﴿ الا قوم يونس ﴾ لكن قوم يونس عليه السلام ﴿ لما آمنوا ﴾ اول ما رأوا أمارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله ﴿ كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ﴾ ويجوز

على ما تقدم من أن ظاهره خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده شك وارتياب فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت بهذا ان المراد به غيره والله أعلم ❁ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ان الذين حقت عليهم ﴾ يعنى وجبت عليهم ﴿ كلمت ربك ﴾ يعنى حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى هؤلاء للنار ولا أبالى وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه فى الازل ﴿ لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ﴾ فانهم لا يؤمنون بها ﴿ حتى يروا العذاب الاليم ﴾ فحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شئ ❁ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فلولا ﴾ يعنى فهلا ﴿ كانت قرية ﴾ وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان فى الاستفهام معنى الجحد والمراد هل كانت قرية ﴿ آمنت ﴾ يعنى عند معاينة العذاب ﴿ فنفعها ايمانها ﴾ يعنى فى حال اليأس ﴿ الا قوم يونس ﴾ هذا استثناء منقطع يعنى لكن قوم يونس فانهم آمنوا فنفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت وهو قوله ﴿ لما آمنوا ﴾ يعنى لما أخلصوا الايمان ﴿ كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ﴾

(ان الذين حقت) وجبت (عليهم كلمت ربك) بالعذاب (لا يؤمنون) فى علم الله (ولو جاءتهم كل آية) طلبوا امنك فى يروا العذاب الا ... ببدر ويوم أحد ويوم الاحزاب (فلولا كانت) هلا كانت (قرية آمنت) اهل قرية ... (فنفعها ايمانها) ولم ينفع ايمانهم عند نزول العذاب (الا قوم يونس) ... ايمانهم (لما آمنوا) حين آمنوا (... الخزى) الشديد (فى الحيوة الدنيا

لما فيها أو وصف اهل كتاب بالرسوخ فى العلم بصحة ما انزل اليه أو تهييج الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته أو لكل من يسمع أى ان كنت ايها السامع فى شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان كل من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم ﴿ لقد جاءك الحق من ربك ﴾ واضحا لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ﴾ ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين

ان الله سبحانه وتعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهييج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام يقول لا أشك يارب ولا أسأل أهل الكتاب بل أكتفى بما أنزلته على من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله فان كنت فى شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو أن يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا فى هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسؤال واردا وقيل ان لفظة ان فى قوله فان كنت فى شك للنفى ومعناه وما أنت فى شك مما أنزلنا اليك حتى تسأل فلا تسأل ولئن سألت لازددت يقينا والقول الثانى ان هذا الخطاب ليس هو للنبى صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا فى زمنه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مؤمنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون فى أمره الشاكون فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تعالى فان كنت أيها الانسان فى شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحد الله الضمير فى قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما فى قوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد فى الآية انسانا بعينه بل أراد الجمع واختلفوا فى المسؤل عنه فى قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من أهل التفسير هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه لانهم هو الموثوق بأخبارهم وقيل المراد كل أهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السؤال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول أصح وقال الضحاك يعنى اهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ لقد جاءك الحق من ربك ﴾ هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقا وان اهل الكتاب يعلمون صحة ذلك ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ يعنى من الشاكين فى صحة ما أنزلنا اليك ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله ﴾ يعنى بدلائله وبراهينه الواضحة ﴿ فتكون من الخاسرين ﴾ يعنى الذين خسروا أنفسهم واعلم ان هذا كله

(لقد جاءك الحق من ربك) أى ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة ان ما أتاك هو الحق الذى لا مجال فيه للشك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين ولا وقف عليه للعطف (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) أى

(لقد جاءك) يا محمد (الحق من ربك) يعنى جبريل بالقرآن من ربك فيه خبر الاولين (فلا تكونن من الممترين) الشاكين (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) كتاب الله ورسوله (فتكون من الخاسرين) من المغبونين بنفسك

﴿يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ فيميز المحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك ﴿فان كنت فى شك مما انزلنا اليك﴾ من القصص على سبيل الفرض والتقدير ﴿فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك﴾ فانه محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما ألقينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق

يعنى يا محمد ﴿يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ يعنى من أمرك وأمر نبوتك فى الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك وجحد نبوتك النار * قوله سبحانه وتعالى ﴿فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك﴾ الشك فى موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود أمارتين أو لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكا فاذا قيل فلان شك فى هذا الامر فمعناه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب أو خلافه وظاهر هذا الخطاب فى قوله فان كنت فى شك أنه للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد فى شك مما انزلنا اليك يعنى من حقيقة ما أخبرناك به و أنزلناه يعنى القرآن ﴿فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك﴾ يعنى علماء اهل الكتاب يخبروك أنك مكتوب عندهم فى التوراة والانجيل وانك نبى يعرفونك بصفتك عندهم * وقد توجه ههنا سؤال واعتراض وهو ان يقال هل شك النبى صلى الله عليه وسلم فيما أنزل عليه أو فى نبوته حتى يسأل اهل الكتاب عن ذلك واذا كان شاكا فى نبوة نفسه كان غيره أولى بالشك منه * قلت الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ماقاله القاضى عياض فى كتابه الشفاء فانه أورد هذا السؤال ثم قال احذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ماذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك النبى صلى الله عليه وسلم فيما أوحى اليه فانه من البشر فمثل هذا لايجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصرى وحكى عن قتادة انه قال بلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ماأشك ولاأسأل وعامة المفسرين على هذا تم كلام القاضى عياض رحمه الله * ثم اختلفوا فى معنى الآية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين * أحدهما ان الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فى الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت ان المراد به غيره ومن أمثلة العرب « اياك اعنى واسمعى ياجاره » فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد ياأيها الانسان الشاك ان كنت فى شك مما انزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسئل الذين يقرؤن الكتاب يخبروك بصحته ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى فى آخر هذه السورة قل ياأيها الناس ان كنتم فى شك من دينى الآية فبين ان المذكور فى هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكور فى تلك الآية على سبيل التصريح وأيضا لوكان النبى صلى الله عليه وسلم شاكا فى نبوته لكان غيره أولى بالشك فى نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل

كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) لماقدم ذكر بنى اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب فى التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم ويبالغ فى ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة أن يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وأدلته او بمباحثة العلماء فسل علماء أهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ماأنزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالرسوخ فى العلم بصحة ما أنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه

يامحمد (يقضى بينهم) بين اليهود والنصارى (يوم القيمة فيما كانوا فيه) فى الدين (يختلفون) يخالفون (فان كنت) يامحمد (فى شك مما انزلنا اليك) مما انزلنا جبريل به يعنى القرآن (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب التوراة (من قبلك) عبدالله بن سلام وأصحابه فلم يسأل النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن بذلك شاكا انما أراد الله بما قال له قومه

من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل أو لمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان أو حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية ٭ وقرئ لمن خلقك أي لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور ﴿ وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ﴿ ولقد بوأنا ﴾ انزلنا ﴿ بني اسرائيل مبوأ صدق ﴾ منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ من اللذائذ ﴿ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ﴾ فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التوراة وعلموا احكامها أو في امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ﴿ ان ربك

في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض لا يهابه أحد ﴿ وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾ ٭ قوله عز وجل ﴿ ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ﴾ يعني أسكناهم مكان صدق وأنزلناهم منزل صدق بعد خروجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى أنزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيأ اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملا صالحا لا بد أن يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بوؤا قولان أحدهما انه مصر فيكون المراد ان الله أورث بني اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه أرض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى ﴿ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ﴾ يعني فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وكفر به بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب مجاز مشهور وفي كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغيا وحسدا وايثار البقاء الرياسة لهم فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني أن اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آمن به طائفة وكفر به آخرون ٭ وقوله تعالى ﴿ ان ربك ﴾

وانه مع ما كان عليه من عظم الملك آل أمره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام (ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا) في دينهم (حتى جاءهم العلم) أي التوراة وهم اختلفوا في تأويلها كما اختلف أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأويل الآيات من القرآن أو المراد العلم بمحمد عليه السلام واختلاف بني اسرائيل وهم أهل الكتاب اختلافهم في صفته انه هو أم ليس هو بعد ما جاءهم العلم انه هو (ان ربك

انك لست باله (وان كثيرا من الناس) يعني الكفار (عن آياتنا) عن كتابنا ورسولنا (لغافلون) لجاحدون (ولقد بوأنا) أنزلنا (بني اسرائيل مبوأ صدق) أرضا كريمة أردن وفلسطين (ورزقناهم من الطيبات) المن والسلوى والغنائم (فما اختلفوا) اليهود والنصارى في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (حتى جاءهم العلم) البيان ما في كتابهم في محمد عليه السلام بنعته وصفته (ان ربك)

﴿ فاليوم ننجيك ﴾ نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا أو نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل • وقرأ يعقوب ننجيك من انجى • وقرئ ننحيك بالحاء اى نلقيك بناحية الساحل ﴿ ببدنك ﴾ فى موضع الحال أى ببدنك عاريا عن الروح أو كاملا سويا او عريانا من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها • وقرئ بابدانك اى باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه أو بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها ﴿ لتكون لمن خلفك آية ﴾ لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان فى نفوسهم

فى فيه لييأس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتتحقق اجابة الدعوة التى وعدالله موسى بقوله قد أجيبت دعوتكما فيكون سعى جبريل فى تكميل ما سبق فى حكم الله أنه يفعله فيكون سعى جبريل فى مرضاة الله سبحانه وتعالى منفذا لما أمره به وقدره وقضاه على فرعون وأما قوله لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر فجوابه ما تقدم من ان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وجبريل انما يتصرف بأمر الله ولا يفعل الا ما أمره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما أمره الله به ونفذه فانما رضى بالامر لا بالمأمور به فأى كفر يكون هنا وأيضا فان الرضا بالكفر انما يكون كفرا فى حقنا لانا مأمورون بازالته بحسب الامكان فاذا أقررنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا فى حقنا لمخالفتنا ما أمرنا به واما من ليس مأمورا كأمرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يأمره به ربه فانه اذا نفذ ما أمره به لم يكن راضيا بالكفر ولا يكون كفرا فى حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لما دس الطين فى فى فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية أمر جبريل مع فرعون أن يكون منفذا لقضاء الله وقدره فى فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به • وقوله كيف يليق بجلال الله ان يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان • فجوابه ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل • وأما قوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله • فجوابه انه انما فعل ذلك بأمر الله منفذا لامر الله والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ۞ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك ﴾ أى نلقيك على نجوة من الارض وهى المكان المرتفع قال اهل التفسير لما أغرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه وأخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه فقالت بنو اسرائيل ما مات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل فى قلوبهم من الرعب لاجله فأمر الله عزوجل البحر فألقى فرعون على الساحل أحمر قصيرا كأنه ثور فرآه بنو اسرائيل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا ومعنى قوله ببدنك يعنى نلقيك وأنت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كأنه قيل له ننجيك ولكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل أراد بالبدن الدرع وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما رأوه فى درعه ذلك عرفوه ﴿ لتكون لمن خلفك آية ﴾ يعنى عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت أبدا فأظهره الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان

(فاليوم ننجيك) نلقيك بنجوة من الارض فرماه الماء الى الساحل كأنه ثور (ببدنك) فى موضع الحال أى فى الحال التى لا روح فيك وانما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شئ ولم يتغير أو عريانا لست الا بدنا من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه بابدانك وهو مثل قولهم هو باجرامه أى ببدنك كله وافيا باجزائه أو بدروعك لانه ظاهر بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان فى أنفسهم ان فرعون أعظم شانا من ان يغرق وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وقيل لمن خلفك لمن يأتى بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته وانما كان يدعيه من الربوبية محال

(فاليوم ننجيك ببدنك) نلقيك على النجاة بدرعك (لتكون) لكى تكون (لمن خلفك) من الكفار (آية) عبرة لكى لا يقتدوا بمقالتك ويعلموا

المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله وان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهذا قول أهل السنة المثبتين للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكافر والايمان ويدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فاخبر الله سبحانه وتعالى انه قلب أفئدتهم مثل تركهم الايمان به أول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان اولا فدس الطين في فم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب ومنع الايمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعترف أيضا ان الله سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه أن يضله ويطبع على قلبه ويمنعه من الايمان فاما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فان غاية ما يقال فيه ان الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق ورده للايمان لما جاءه وأما فعل جبريل من دس الطين في فيه فانما فعل ذلك بامر الله لا من تلقاء نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا يجب عليه ما يجب علينا وأما اذا كان جبريل انما يفعل ما أمره الله به والله سبحانه وتعالى هو الذى منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لامر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل عليه السلام اما أن يتصرف بأمر الله فلا يفعل الا ما أمر الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما أمر به ويحرم عليه فعل ما نهى عنه والله سبحانه وتعالى لم يخبر انه أمره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين كتكليفنا . وقوله وان كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذى نسب الى جبريل فائدة . فجوابه أن يقال ان للناس في تعليل أفعال الله قولين أحدهما أن أفعاله لا تعلل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال أصلا وقد زال الاشكال . والقول الثانى ان أفعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فعلها وكذا أوامره ونواهيه لها غاية محمودة محبوبة لاجلها أمر بها ونهى عنها وعلى هذا التقدير قد يقال لما قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وقد علم جبريل انه ممن حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه دس الطين في فيه لتحقق معاينته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وانه وان كان قالها في وقت لا ينفعه فدس الطين في فيه تحقيقا لهذا المنع والفائدة فيه تعجيل ما قد قضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى للرحمة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع الايمان فان موسى عليه السلام لما دعا ربه بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع أجاب الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق استعجل جبريل فدس الطين

وقال حديث حسن ، و في رواية أخرى عنه عن عدى بن ثابت وعطا بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه و سلم انه ذكر ان جبريل عليه السلام جعل يدس فى فى فرعون الطين خشية أن يقول لا اله الا الله فيرحمه الله أو خشية أن يرحمه الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

فصل فى الكلام على هذا الحديث لانه فى الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح

فنقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس ففى الطريق الاول عن ابن زيد بن جدعان وهو وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه كان سيء الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه اذا لم يتابع عليه أو خالفه فيه الثقات وكلاهما منتف فى هذا الحديث لان فى الطريق الآخر شعبة عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخارى ورواه أيضا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به أو خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا الحديث أصلا وان رواته ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هو سيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره ، فان قلت ففى الحديث الثانى شك فى رفعه لانه قال فيه ذكر أحدهما عن النبى صلى الله عليه و سلم ، قلت ليس بشك فى رفعه انما هو جزم بان أحد الرجلين رفعه وشك شعبة فى تعيينه هل هو عطاء بن السائب وعدى ابن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه أحدهما وشك فى تعيينه لم يكن هذا علة فى الحديث ، وقوله من حال البحر أى من طين البحر كما فى الرواية الاخرى

فصل

ووجه اشكاله ما اعترض به الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره فقال هل يصح أن جبريل أخذ يملأ فمه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه ، والجواب الاقرب أنه لا يصح لان فى تلك الحالة اما ان يقال التكليف هل كان ثابتا أم لا فان كان ثابتا لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وعلى كل طاعة وان كان التكليف زائلا عن فرعون فى ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذى نسب الى جبريل فائدة وأيضا لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وأيضا فكيف يليق بجلال الله ان يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فهذا يبطله قول جبريل وما نتنزل الا بامر ربك فهذا وجه الاشكال الذى أورده الامام على هذا الحديث فى كلام أكثر من هذا ، والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد وأما قول الامام ان التكليف هل كان ثابتا فى تلك الحالة أم لا فان كان ثابتا لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على اصل

والعدو وقرئ وعدوا ﴿ حتى اذا ادركه الغرق ﴾ لحقه ﴿ قال آمنت انه ﴾ اى بانه ﴿ لااله الا الذى آمنت به بنواسرائيل وانا من المسلمين ﴾ وقرأ حمزة والكسائى انه بالكسر على اضمار القول أو الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان أوان القبول وبالغ فيه حين لايقبل ﴿ آلآن ﴾ اتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار ﴿ وقد عصيت قبل ﴾ قبل ذلك مدة عمرك ﴿ وكنت من المفسدين ﴾ الضالين المضلين عن الايمان

كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الارض وأيبس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه فى عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر الالوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس أنثى وديق وميكائيل يسوقهم حتى لايشذ منهم أحد فلما خرج آخر بنى اسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من أمره شيأ فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم أولهم بالخروج التطم البحر عليهم فلما أدرك فرعون الغرق أتى بكلمة الاخلاص ظنا منه انها تنجيه من الهلاك وهو قوله تعالى ﴿ حتى اذا أدركه الغرق قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ آمنت أنه لااله الا الذى آمنت به بنواسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند نزول العذاب به وقد كان فى مهل قال العلماء ايمانه غير مقبول وذلك أن الايمان والتوبة عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبولين ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع مانزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لاجرم لم ينفعه ماقال فى ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلهذا قال آمنت أنه لااله الا الذى آمنت به بنواسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك فى ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين أغلق بابهما بحضور الموت ومعاينة الملائكة قيل له ﴿ آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ يعنى آلآن تتوب وقد أضعت التوبة فى وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل الملائكة وقيل ان القائل لذلك هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد فى الارض ويدل على هذا القول قوله سبحانه وتعالى فاليوم ننجيك ببدنك والقول الاول أشهر ويعضده ماروى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت انه لااله الا الذى آمنت به بنواسرائيل قال جبريل يا محمد فلو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فادسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة أخرجه الترمذى

أو على المفعول له (حتى اذا أدركه الغرق) ولا وقف عليه لان (قال آمنت) جواب اذا (انه) حمزة وعلى على الاستئناف بدل من آمنت وبالفتح غيرهما على حذف الباء التى هى صلة الايمان (لااله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين) وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد حيث قال آمنت ثم قال وأنا من المسلمين كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات فى ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفى فى حالة الاختيار (آلآن) أتؤمن بالساعة فى وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق والعامل فيه أتؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) من الضالين المضلين عن الايمان روى ان جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ماقول الامير فى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فيه يقول أبو العباس الوليد ابن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق فى البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه

(حتى اذا أدركه) ألجمه (الغرق قال آمنت أنه لااله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل) موسى وأصحابه (وأنا من المسلمين) مع المسلمين ﴿ وقال ﴾ على دينهم فقال له جبريل (آلآن) أن تؤمن بعد الغرق (وقد عصيت) كفرت بالله (قبل) اى من قبل الغرق (وكنت من المفسدين) فى أرض مصر بالقتل والشرك والدعاء الى غير عبادة الله

(قال قد أجيبت دعوتكما) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن فثبت ان التأمين دعاء وكان اخفاؤه أولى والمعنى
ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته (فاستقيما) فاثبتا على

أودعاء بلفظ النهى أوعطف على ليضلوا ومابينهما دعاء معترض ﴿ قال قد اجيبت دعوتكما ﴾ يعنى موسى وهارون عليهما السلام لانه كان يؤمن ﴿ فاستقيما ﴾ فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن فى وقته روى انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ﴿ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ طريق الجهلة فى الاستعجال أوعدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا ﴿ وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر ﴾ أى جوزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم ٥ وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف ﴿ فاتبعهم ﴾ فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته ﴿ فرعون وجنوده بغيا وعدوا ﴾ باغين وعادين أو للبغى

حتى أدركه الغرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما دعا عليهم موسى بهذا الدعاء لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب عليهم فى الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ماقدر وقضى عليهم ﴿ قال ﴾ الله عز وجل لموسى وهارون ﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾ انما نسب الدعاء اليهما وان الداعى هو موسى وحده لان هارون عليه السلام كان يؤمن والتأمين دعاء لانه طلب وسؤال أيضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى فى الدعاء فلذلك قال تعالى قد أجيبت دعوتكما ﴿ فاستقيما ﴾ يعنى على تبليغ الرسالة وامضيا لامرى الى أن يأتيهم العذاب ﴿ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ يعنى ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لا خلف فيه ووعيدى نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلا قيل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين الاجابة أربعون سنة ٥ قال امام فخر الدين الرازى واعلم ان هذا النهى لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهارون كما أن قوله لئن أشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه ٭ قوله عز وجل ﴿ وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر ﴾ أى وقطعنا ببنى اسرائيل البحر وعبرناهم اياه حتى جاوزوه وعبروه ﴿ فاتبعهم فرعون وجنوده ﴾ يعنى لحقهم وأدركهم ﴿ بغيا وعدوا ﴾ أى ظلما وعدوانا وقيل البغى طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظلم وقيل بغيا فى القول وعدوا فى الفعل قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر وهم ستمائة ألف وذلك انه لما أجاب الله دعاء موسى وهارون امرهما بالخروج ببنى اسرائيل من مصر فى الوقت الذى أمرهما أن يخرجا فيه بهم ويسر لهم أسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين المخلص والخروج البحر أمامنا وفرعون وراءنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء [illegible] سبحانه وتعالى الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق

ما أتما عليه من الدعوة والتبليغ (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) ولا تتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة أربعون سنة ولا تتبعان بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية شامى وخطأه بعضهم لان النون الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنهى أوهو حال وتقديره فاستقيما غير متبعين (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) هو دليل لنا على خلق الافعال (فاتبعهم فرعون وجنوده) فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته (بغيا) تطاولا (وعدوا) ظلما وانتصبا على الحال

الغرق (قال) الله لموسى وهارون (قد أجيبت دعوتكما فاستقيما) على الايمان والطاعة لله وتبليغ الرسالة (ولا تتبعان سبيل) دين (الذين لا يعلمون) توحيد الله ولا يصدقونه يعنى فرعون وقومه (وجاوزنا ببنى اسرائيل) عبرنا (البحر

فاتبعهم فرعون وجنوده) فذهب خلفهم (قا و خا ٣٦ ك) فرعون وجموعه (بغيا) فى المقالة (وعدوا) أرادوا قتلهم

ربنا ليضلوا عن سبيلك) ليضلوا الناس عن طاعتك كوفي ولا وقف على الدنيا لان قوله ليضلوا متعلق بآتيت وربنا تكرار

وانواعا من المال ﴿ ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لايكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالاتهم وكفرانهم تقدمة لقوله ﴿ ربنا اطمس على اموالهم ﴾ أى اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ أى واقسها واطبع عليها حتى لاتنشرح للايمان ﴿ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ﴾ جواب للدعاء

فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان وأثاث البيت الفاخر والاشياء الجميلة والمال مازاد على هذه الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى ﴿ ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ اختلفوا فى هذه اللام فقال الفراء هى لام كى فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا لضلالهم لانهم بطروا وطغوا فى الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هى لما يؤل اليه الامر والمعنى انك أتيت فرعون وملأه زينة فى الحياة الدنيا فضلوا فعلى هذا هى لام العاقبة يعنى فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانبارى هى لام الدعاء وهى لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك ﴿ ربنا اطمس على أموالهم ﴾ الطمس ازالة اثر الشئ بالمحو ومعنى اطمس على أموالهم أزل صورها وهيآتها وقال مجاهد أهلكها وقال أكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا ان أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظى صارت صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله فى فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تخبز فصارت حجرا وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على أموالهم ولم يدع على انفسهم بالمسخ وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا وقيل ان عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها شئ من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والجوزة مشقوقة وهى حجارة وقال السدى مسخ الله أموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو أحد الآيات التسع التى أوتيها موسى عليه السلام ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ يعنى اربط على قلوبهم واطبع عليها واقسها حتى لاتلين ولاتنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لايدخلها الايمان قال الواحدى وهذا دليل على ان الله سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا السؤال ﴿ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ﴾ يعنى الغرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس فى رواية أخرى عنه قال موسى قبل ان يأتى فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له دعاءه فحال بين فرعون و بين الايمان

يضلون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما فتكون الآية حجة على المعتزلة (ربنا اطمس على اموالهم) أى أهلكها واذهب آثارها لانهم يستعينون بنعمتك على معصيتك والطمس المحو والهلاك قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيآتها منقوشة وقيل وسائر أموالهم كذلك (واشدد على قلوبهم) اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية (فلا يؤمنوا) جواب الدعاء الذى هو اشدد (حتى يروا العذ الاليم) الى ان يروا العذاب اليم وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان يأس فلم يقبل وانما دعا عليهم بهذا لما أيس من ايمانهم وعلم بالوحى انهم لايؤمنون فاما قبل ان يعلم بانهم لايؤمنون فلا يسع له أن يدعو بهذا الدعاء لانه أرسل اليهم ليدعوهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على الكفر لايكون كفرا

ربنا) يا ربنا (ليضلوا) بذلك عبادك (عن سبيلك) عن دينك وطاعتك (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم) واحفظ قلوبهم (فلا يؤمنوا) فلن يؤمنوا (حتى يروا العذاب الاليم) (حتى)

القبلة يعنى الكعبة وكان موسى صلى الله عليه وسلم يصلى اليها ﴿ واقيموا الصلوة ﴾ فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ بالنصرة فى الدنيا والجنة فى العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة مما ينبغى ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة فى الاصل وظيفة صاحب الشريعة ﴿ وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملئه زينة ﴾ ما يتزين به من الملابس والمراكب ونحوهما ﴿ واموالا فى الحيوة الدنيا ﴾

الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا فى هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها الا أنه قد نقل عن ابن عباس أنه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهارون وهو قول مجاهد أيضا قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لانستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة فاذن الله لهم أن يصلوا فى بيوتهم وأن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أى مقابلة يعنى يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا فى بيوتكم قبلة تصلون اليها * فان قلت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهارون بالخطاب فى أول الآية بقوله سبحانه وتعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما ثم انه عم بهذا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه * قلت انه سبحانه وتعالى أمر موسى وهارون بان يتبوآ لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يخص به الانبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة ﴿ وأقيموا الصلوة ﴾ يعنى فى بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بنى اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا فى الكنائس والبيع الجامعة أن يؤذوهم فامرهم الله سبحانه وتعالى أن يصلوا فى بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا فى الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فامروا أن يتخذوا مساجد فى بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما ارسل موسى وهارون وأظهرهما على فرعون أمرهم باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ يعنى بانه لا يصل اليهم مكروه * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملئه زينة واموالا فى الحيوة الدنيا ﴾ لما أتى موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات ورأى أن القوم مصرون على الكفر والعناد والانكار لما جاءبه أخذ فى الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولا سبب اقدامه على الجرائم التى كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لاجرم ان موسى لما أخذ فى الدعاء قدم هذه المقالة فقال ربنا انك آتيت

فى أول الامر مأمورين بان يصلوا فى بيوتهم فى خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك فى أول الاسلام بمكة (واقيموا الصلوة) فى بيوتكم حتى تأمنوا (وبشر المؤمنين) ياموسى ثنى الخطاب أولا ثم جمع ثم وحد آخرا لان اختيار مواضع العبادة مما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما لها وللمبشر بها (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملئه زينة) هو ما يتزين به من لباس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك (وأموالا) أى نقدا ونعما وضيعة (فى الحيوة الدنيا

(واقيموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وبشر المؤمنين) بالنصرة والنجاة والجنة (وقال موسى ربنا) يا ربنا (انك آتيت) أعطيت (فرعون وملئه) رؤساءه (زينة) زهرة (وأموالا) كثيرة (فى الحيوة الدنيا

(وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا) فاليه اسندوا أمركم في العصمة من فرعون (ان كنتم مسلمين) شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا انفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط (فقالوا على الله توكلنا) انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لاجرم الله قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد ان يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) موضع فتنة لهم أي عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن ديننا أي يضلوننا والفاتن المضل عن الحق (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) أي من تعذيبهم وتسخيرهم (وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا) تبوأ المكان اتخذه مباءة كقوله توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم قبلة) أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا

﴿ وقال موسى ﴾ لما رأى تخوف المؤمنين به ﴿ ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ﴾ فثقوا به واعتمدوا عليه ﴿ ان كنتم مسلمين ﴾ مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت ﴿ فقالوا على الله توكلنا ﴾ لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ﴿ ربنا لا تجعلنا فتنة ﴾ موضع فتنة ﴿ للقوم الظالمين ﴾ أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ﴿ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي له ان يتوكل اولا ليجاب دعوته ﴿ واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ ﴾ أي اتخذا مباءة ﴿ لقومكما بمصر بيوتا ﴾ يسكنون فيها أو يرجعون اليها للعبادة ﴿ واجعلوا ﴾ انتما وقومكما ﴿ بيوتكم ﴾ تلك البيوت ﴿ قبلة ﴾ مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو

عبدا فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني اسرائيل ﴿ وقال موسى ﴾ يعني لقومه ﴿ ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ﴾ يعني فبه فثقوا ولامره فسلموا فانه ناصر أوليائه ومهلك أعدائه ﴿ ان كنتم مسلمين ﴾ يعني ان كنتم مستسلمين لامره قيل انما أعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم آمنتم بالله لارادة ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي وبالاسلام الظاهري ودلت الآية على ان التوكل على الله والتفويض لامره من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره ﴿ فقالوا ﴾ يعني قال قوم موسى مجيبين له ﴿ على الله توكلنا ﴾ يعني عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا ﴿ ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ﴾ يعني لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا أنهم خير منا فيفتتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا ﴿ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ يعني وخلصنا برحمتك من أيدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة * قوله عز وجل ﴿ وأوحينا الى موسى وأخيه ﴾ هارون ﴿ أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا ﴾ يعني اتخذا لقومكما بمصر بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه مباءة أي وطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون اليها للصلاة والعبادة ﴿ واجعلوا بيوتكم قبلة ﴾ اختلف أهل التفسير في معنى هذه البيوت والقبلة فمنهم من قال أراد بالبيوت المساجد التي يصلى فيها وفسروا القبلة بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى

(وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) اذ كنتم مسلمين (فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) المشركين أي لا تسلطهم علينا فيظنون انهم على الحق ونحن على الباطل (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) من فرعون وقومه (وأوحينا الى موسى وأخيه) هارون (أن تبوآ) أن اتخذا (لقومكما بمصر بيوتا) مساجد في جوف البيت (واجعلوا بيوتكم) مساجدكم (قبلة) نحو القبلة

﴿ الاذرية من قومه ﴾ الاأولاد من اولاد قومه بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الاطائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به أو مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته ﴿ على خوف من فرعون وملئهم ﴾ أى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد فى ضمير العظماء أو على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر أو للذرية أو للقوم ﴿ ان يفتنهم ﴾ ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه أو مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه ﴿ وان فرعون لعال فى الارض ﴾ لغالب فيها ﴿ وانه لمن المسرفين ﴾ فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء

الاذرية من قومه ﴾ لما ذكر الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة الباهرة أخبر الله سبحانه وتعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى الاذرية من قومه وانما ذكر الله عز وجل هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله سبحانه وتعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الذى جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان امرا عظيما ومع ذلك فما آمن معه الاذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد به التصغير وقلة العدد واختلفوا فى هاء الكناية فى قومه فقيل انها راجعة الى موسى وأراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا معه بمصر من اولاده قال مجاهد هم أولاد يعقوب الذين أرسل اليهم موسى هلك الآباء وبقى الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل أبناء بنى اسرائيل كانت المرأة فى بنى اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشؤا بين القبط فلما كان اليوم الذى غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعنى من بنى اسرائيل وقيل انها راجعة الى فرعون يعنى الاذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأة خازنه وماشطته قال الفراء سموا ذرية لان آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وأمهاتهم من بنى اسرائيل فكان الرجل يتبع أمه وأخواله فى الايمان وذلك كما يقال لاولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الابناء لان أمهاتهم من غير جنس الآباء ﴿ على خوف من فرعون وملئهم ﴾ الملأ الاشراف فعلى هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن أشرافهم وهم ملأ الذرية لانه كان آباؤهم من القبط وأمهاتهم من بنى اسرائيل وقيل أراد بالملأ ملأ فرعون وانما قال سبحانه وتعالى وملئهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفخيم له ﴿ أن يفتنهم ﴾ أى يصرفهم و يصدهم عن الايمان وانما قال ان يفتنهم ولم يقل أن يفتنوهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين لامره ﴿ وان فرعون لعال فى الارض ﴾ يعنى انه لغالب قهار متكبر فيها ﴿ وانه لمن المسرفين ﴾ يعنى من المجاوزين الحد لانه كان

(الاذرية من قومه على خوف من فرعون) الاطائفة من ذرارى بنى اسرائيل كأنه قيل الاأولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف أو الضمير فى قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته و خازنه وماشطته والضمير فى (وملئهم) يرجع الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة و مضر أو لانه ذو أصحاب يأتمرون له أو الى ذرية أى على خوف من فرعون وخوف من أشراف بنى اسرائيل لانهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم دليله قوله (أن يفتنهم) يريد أن يعذبهم فرعون (وان فرعون لعال فى الارض) لغالب فيها قاهر (وانه لمن المسرفين) فى الظلم والفساد وفى الكبر والعتو بادعائه الربوبية

(الاذرية من قومه) من قوم فرعون كان آباؤهم من القبط وامهاتهم من بنى اسرائيل فآمنوا بموسى (على خوف من فرعون وملئهم) رؤسائهم (أن يفتنهم) أن يقتلهم (وان فرعون لعال) لمخالف (فى الارض) لدين موسى (وانه لمن المسرفين) المشركين

لايظفر (قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام أو عبادة فرعون (وتكون لكما الكبرياء) أى الملك لان الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو (فى الارض) أرض مصر (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جئتما به ويكون (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم) سحار حمزة وعلى (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) ما موصولة واقعة مبتدأ وجئتم به صلتها والسحر خبر أى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله آلسحر بعد وقف أبو عمرو على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية أى أى شئ جئتم به أهو السحر (ان الله سيبطله) يظهر بطلانه (ان الله لايصلح عمل المفسدين) لايثبته بل يدمره (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) بأوامره وقضاياه أو يظهر الاسلام بعداته بالنصرة (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى) فى أول أمره

لا سحر أو من تمام قولهم ان جعل السحر هذا محكيا كأنهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا﴾ لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ من عبادة الاصنام ﴿وتكون لكما الكبرياء فى الارض﴾ الملك فيها سمى بها لاتصاف الملوك بالكبر أو التكبر على الناس باستتباعهم ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ بمصدقين فيما جئتما به ﴿وقال فرعون ائتونى بكل ساحر﴾ وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار ﴿عليم﴾ حاذق فيه ﴿فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر﴾ أى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر أو مبتدأ خبره محذوف أى آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره أى شئ أتيتم ﴿ان الله سيبطله﴾ سيمحقه أو سيظهر بطلانه ﴿ان الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ﴿ويحق الله الحق﴾ ويثبته ﴿بكلماته﴾ بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ﴿ولو كره المجرمون﴾ ذلك ﴿فما آمن لموسى﴾ فى مبدأ أمره

السحر تمويه وتخييل وصاحب ذلك لا يفلح أبدا ﴿قالوا﴾ يعنى قال قوم فرعون لموسى ﴿أجئتنا لتلفتنا﴾ يعنى لتصرفنا وتلوينا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ يعنى من الدين ﴿وتكون لكما الكبرياء﴾ يعنى الملك والسلطان ﴿فى الارض﴾ يعنى فى ارض مصر والخطاب لموسى وهارون قال الزجاج سمى الملك كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ يعنى بمصدقين ﴿وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم﴾ يعنى ان فرعون أراد أن يعارض معجزة موسى بأنواع من التلبيس ليظهر ان ما أتى به موسى سحر ﴿فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾ انما أمرهم موسى بالقاء ما معهم من الحبال والعصى التى فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما أتوا به فاسد ﴿فلما ألقوا﴾ يعنى ما معهم من الحبال والعصى ﴿قال موسى ما جئتم به السحر﴾ يعنى الذى جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم ﴿ان الله سيبطله﴾ يعنى يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه ﴿ان الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ يعنى لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه ﴿ويحق الله الحق﴾ يعنى ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه ﴿بكلماته﴾ يعنى بوعده الصادق لموسى أنه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى أنه يغلب السحرة ﴿ولو كره المجرمون﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿فما آمن لموسى

(قالوا) لموسى (أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاوثان (وتكون لكما الكبرياء) الملك والسلطان (فى الارض) فى الارض مصر (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم) حاذق (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) من العصى والحبال (فلما ألقوا) عصيهم وحبالهم (قال لهم) موسى ما جئتم به) ما طرحتم (السحر) (الاذرية) هو السحر (ان الله سيبطله) سيهلكه (ان الله لايصلح) لايرضى (عمل المفسدين) الساحرين (ويحق الله) يظهر الله لدينه (الحق بكلماته) بتحقيقه (ولو كره المجرمون) وان كره المشركون ان يكون ذلك (فما آمن) فما صدق (لموسى) بما جاء به

الكفر بعد مجيء (بما كذبوا به من قبل) من قبل مجيئهم يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث اليهم أحد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع نختم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد في التكذيب (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله (قالوا) لحبهم الشهوات (ان هذا لسحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) هو انكار ومقولهم محذوف أي هذا ثم استأنف انكار سحر آخر فقال (أسحر هذا) خبر ومبتدأ (ولا يفلح الساحرون) أي

في الكفر وخذلان الله اياهم ﴿بما كذبوا به من قبل﴾ أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ من بعد هؤلاء الرسل ﴿موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا﴾ بالآيات التسع ﴿فاستكبروا﴾ عن اتباعهما ﴿وكانوا قوما مجرمين﴾ معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيلة للشك ﴿قالوا﴾ من فرط تمردهم ﴿ان هذا لسحر مبين﴾ ظاهر انه سحر وفائق في فنه واضح فيما بين اخوانه ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم﴾ انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ماقبله عليه ولا يجوز ان يكون ﴿أسحر هذا﴾ لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ماقالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لايفلح الساحر

بما كذبوا به من قبل﴾ يعني ان أولئك الاقوام والامم التي جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم ماجاءتهم به الرسل ولم يرجعوا عماهم فيه من الكفر والتكذيب ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ يعني مثل اغراقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم في التكذيب * قوله عز وجل ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ يعني من بعد الرسل ﴿موسى وهرون الى فرعون وملئه﴾ يعني أشراف قومه ﴿بآياتنا فاستكبروا﴾ يعني عن الايمان بما جاء به موسى وهارون ﴿وكانوا قوما مجرمين﴾ يعني مستكسبين للاثم ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعني فلما جاء فرعون وقومه الحق الذي جاء به موسى من عند الله ﴿قالوا ان هذا لسحر مبين﴾ يعني ان هذا الذي جاء به موسى سحر مبين يعرفه كل أحد ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا﴾ فيه حذف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا فحذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعني انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ يعني حاصل

(بما كذبوا به من قبل) من قبل يوم الميثاق (كذلك) هكذا (نطبع) نختم (على قلوب المعتدين) عن الحلال والحرام (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) رؤسائه (بآياتنا) بكتابنا ويقال بآياتنا التسع اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات ويقال الطمس (فاستكبروا) عن الايمان بالكتاب والرسول والآيات (وكانوا قوما مجرمين) مشركين (فلما جاءهم الحق من عندنا) الكتاب والرسول والآيات (قالوا ان هذا) الذي جاء به موسى (لسحر مبين) كذب بين وان قرأت بالالف أرادوا به موسى ساحرا كذابا (قال) لهم (موسى أتقولون للحق) الكتاب والرسول والآيات (لما جاءكم) حين جاءكم (أسحر هذا ولا يفلح) لاينجو ولا يأمن (الساحرون) من عذاب الله

(فان توليتم) فان أعرضتم عن تذكيرى ونصحى (فما سألتكم من أجر) فاوجب التولى أو فما سألتكم من أجر ففاتنى ذلك بتوليكم (ان أجرى الا على الله) وهو الثواب الذى يثيبنى به فى الآخرة أى ما نصحتكم الا لله لا لغرض من أغراض الدنيا وفيه دلالة على منع أخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم الدينى (وأمرت ان أكون من المسلمين) من المستسلمين لاوامره ونواهيه ان أجرى بالفتح مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص (فكذبوه) فداموا على تكذيبه (فنجيناه) من الغرق (ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف) يخلفون الهالكين بالغرق فى السفينة (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له (ثم بعثنا من بعده) من بعد نوح عليه السلام (رسلا الى قومهم) أى هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا (فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فاصروا على

(فان توليتم) عن الايمان بما جئتكم به (فما سألتكم) على الايمان (من أجر) من جعل (ان أجرى) ماثوابى بما دعوتكم الى الايمان (الا على الله وامرت ان أكون من المسلمين) مع المسلمين على دينهم (فكذبوه) يعنى نوحا بما أتاهم (فنجيناه) من الغرق (ومن معه) من المؤمنين (فى الفلك) فى السفينة (وجعلناهم خلائف) خلفاء وسكان الارض (وأغرقنا الذين (بما) كذبوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا نوح (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة المنذرين) كيف صار آخر أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا (ثم بعثنا من بعده) من بعد هلاك قوم نوح (رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) بالامر والنهى والعلامات (فما كانوا ليؤمنوا) ليصدقوا

﴿فان توليتم﴾ اعرضتم عن تذكيرى ﴿فما سألتكم من اجر﴾ يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله أو يفوتنى لتوليكم ﴿ان اجرى﴾ ما ثوابى على الدعوة والتذكير ﴿الا على الله﴾ لا تعلق له بكم يثيبنى به آمنتم أو توليتم ﴿وامرت ان اكون من المسلمين﴾ المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره ﴿فكذبوه﴾ فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب ﴿فنجيناه﴾ من الغرق ﴿ومن معه فى الفلك﴾ وكانوا ثمانين ﴿وجعلناهم خلائف﴾ من الهالكين به ﴿واغرقنا الذين كذبوا باياتنا﴾ بالطوفان ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتسلية له ﴿ثم بعثنا﴾ ارسلنا ﴿من بعده﴾ من بعد نوح ﴿رسلا الى قومهم﴾ كل رسول الى قومه ﴿فجاؤهم بالبينات﴾ بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم

مكرهم لا يصل اليه ﴿فان توليتم﴾ يعنى فان أعرضتم عن قولى وقبول نصحى ﴿فما سألتكم من أجر﴾ يعنى من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم يأخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيأ كان أقوى تأثيرا فى النفس ﴿ان أجرى الا على الله﴾ اى ماثوابى وجزائى على تبليغ الرسالة الا على الله ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ يعنى انى أمرت بدين الاسلام وأنا ماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه أم لم تقبلوه وقيل معناه وأمرت أن أكون من المستسلمين لامر الله ولكل مكروه يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة ﴿فكذبوه﴾ يعنى فكذبوا نوحا عليه السلام ﴿فنجيناه ومن معه فى الفلك﴾ يعنى فى السفينة ﴿وجعلناهم خلائف﴾ يعنى وجعلنا الذين نجيناهم معه فى الفلك سكان الارض بعد الهالكين ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ أى فانظر يا محمد أو يا أيها الانسان كيف كان آخر أمر من أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك ﴿ثم بعثنا من بعده﴾ يعنى من بعد نوح ﴿رسلا الى قومهم﴾ لم يسم هنا من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل ﴿فجاؤهم بالبينات﴾ يعنى بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التى تدل على صدقهم ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾

اذقال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم) عظم وثقل كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين (مقامى) مكانى يعنى نفسه كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان أى خاف ربه أوقيامى ومكثى بين أظهركم ألف سنة الا خمسين عاما أومقامى (وتذكيرى بآيات الله) لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا (فعلى الله توكلت) أى فوضت أمرى اليه (فاجمعوا أمركم) من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه (وشركاءكم) الواو بمعنى مع أى فاجمعوا أمركم مع شركائكم (ثم لايكن أمركم عليكم غمة) أى غما عليكم وهما والغم والغمة كالكرب والكربة أوملتبسا فى خفية والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنه الحديث لاغمة فى فرائض الله أى لاتستر ولكن يجاهر بها والمعنى ولايكن قصدكم الى هلاكى مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهروننى به (ثم اقضوا الى) ذلك الامر الذى تريدون بى أى أدوا الى ماهو حق عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه أواصنعوا ماأمكنكم (ولاتنظرون) ولاتمهلونى

﴿ اذقال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم ﴾ عظم عليكم وشق ﴿ مقامى ﴾ نفسى كقولك فعلت كذا لمكان فلان أو كونى واقامتى بينكم مدة مديدة أو قيامى على الدعوة ﴿ وتذكيرى ﴾ اياكم ﴿ بآيات الله فعلى الله توكلت ﴾ وثقت به ﴿ فاجمعوا أمركم ﴾ فاعزموا عليه ﴿ وشركاءكم ﴾ اى مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركائكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده والسعى فى اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ﴿ ثم لايكن امركم ﴾ فى قصدى ﴿ عليكم غمة ﴾ مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره أو ثم لايكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتمونى وتخلصتم من ثقل مقامى وتذكيرى ﴿ ثم اقضوا ﴾ ادوا ﴿ الى ﴾ ذلك الامر الذى تريدون بى * وقرئ ثم افضوا الى بالفاء اى انتهوا الى بشركم أو ابرزوا الى من افضى اذا خرج الى الفضاء ﴿ و لاتنظرون ﴾ ولا تمهلونى

﴿ اذقال لقومه ياقوم ﴾ وهم بنو قابيل ﴿ ان كان كبر ﴾ يعنى ثقل ﴿ عليكم مقامى ﴾ يعنى فيكم ﴿ وتذكيرى بآيات الله ﴾ يعنى ووعظى اياكم بآيات الله وقيل معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامى فيكم وذلك انه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى و يذكرهم بآيات الله وهو قوله وتذكيرى بآيات الله يعنى و وعظى بآيات الله وحججه وبيناته فعزمتم على قتلى وطردى ﴿ فعلى الله توكلت ﴾ يعنى فهو حسبى وثقتى ﴿ فأجمعوا أمركم ﴾ يعنى فأحكموا أمركم واعزموا عليه قال الفراء الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر وقال ابن الانبارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لاتدعوا من أمركم شيأ الا احضرتموه ﴿ وشركاءكم ﴾ يعنى وادعوا شركاءكم يعنى آلهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم انها تضر وتنفع مع اعتقاده أنها جماد لاتضر ولاتنفع فهو كالتبكيت والتوبيخ لهم ﴿ ثم لايكن امركم عليكم غمة ﴾ يعنى لايكن أمركم عليكم خفيا مبهما ولكن ليكن أمركم ظاهرا منكشفا من قولهم غم الهلال فهو مغموم اذا خفى والتبس على الناس ﴿ ثم اقضوا ﴾ ثم امضوا ﴿ الى ﴾ بما فى أنفسكم من مكروه وماتوعدونى به من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم اقضوا ما أنتم قاضون ﴿ ولاتنظرون ﴾ أى ولاتؤخرونى ولاتمهلونى بعد اعلامكم اياى ما أنتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على طريق التعجيز لهم أخبر الله عزوجل عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ الغاية فى التوكل على الله وانه كان واثقا بنصره اياه غير خائف من كيدهم علما منه بأنهم وآلهتهم ليس لهم نفع ولاضر وان

(اذقال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم) عظم عليكم (مقامى)طول مقامى ومكثى (وتذكيرى)وتحذيرى اياكم (بآيات الله) من عذاب الله (فعلى الله توكلت) وثقت وفوضت (قا و خا ۳٥ لث) أمرى الى الله (فأجمعوا امركم) فاجتمعوا على قول وأمر واحد(وشركاءكم) استعينوا بآلهتكم (ثم لايكن امركم عليكم غمة) لاتلبسوا أمركم وقولكم على أنفسكم (ثم اقضوا الى) امضوا الى (ولاتنظرون) ولا ترقبون

من سلطان بهذا) ماعندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا السلطان كقولك م عند: بارضكم موزكأنه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال (أتقولون على الله مالا تعلموز قل ان الذين يفترون على الله الكذب) باضافة الولد اليه (لايفلحون) لاينجون من النار ولا يفوزون بالجنة(متاع فى الدنيا) أى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا حيث يقيمون به رياستهم فى الكفر و مناصبة النبى صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به(ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد) المخلد (بما كانوا يكفرون) بكفرهم واتل عليهم) واقرأ عليهم (نبأ نوح) خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذلو وصل لصار اذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذكر

من سلطان بهذا ﴾ نفى لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له أو بعندكم كأنه قيل ان عندكم فى هذا من سلطان ﴿ أتقولون على الله مالا تعلمون ﴾ توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ ﴿ قل ان الذين يفترون على الله الكذب ﴾ باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه ﴿ لايفلحون ﴾ لاينجون من النار ولا يفوزون بالجنة ﴿ متاع فى الدنيا ﴾ خبر مبتدأ محذوف اى افتراؤهم متاع فى الدنيا يقيمون به رياستهم فى الكفر أو حياتهم أو تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف أى لهم تمتع فى الدنيا ﴿ ثم الينا مرجعهم ﴾ بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ﴿ ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ بسبب كفرهم ﴿ واتل عليهم نبأ نوح ﴾ خبره مع قومه

من سلطان بهذا ﴾ يعنى انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة ثم بالغ فى الانكار عليهم بقوله تعالى ﴿ أتقولون على الله مالا تعلمون ﴾ يعنى أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه مالا تجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان ﴿ قل ان الذين يفترون على الله الكذب ﴾ اى قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون ان له ولدا ﴿ لايفلحون ﴾ يعنى لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء فى النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح فى سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعنى قوله لايفلحون ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ متاع فى الدنيا ﴾ وفيه اضمار تقديره لهم متاع فى الدنيا يتمتعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم فى الدنيا وهى أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم فى العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ثم الينا مرجعهم ﴾ يعنى بعد الموت ﴿ ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ يعنى ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون فى الدنيا من نعمة الله عليهم ويصفون بما لا يليق بجلاله * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واتل عليهم نبأ نوح ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك فى بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون فى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة بمن سلف من الانبياء وتسلية له ليخف عليه ما يلقى من اذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك فى الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكا واعظمهم كفرا وجحودا ذكر الله قصتهم وأنه أهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى واتل عليهم نبأ نوح يعنى واقرأ على قومك يا محمد خبر قوم نوح

ماعندكم (من سلطان) من كتاب ولا حجة (بهذا بما تقولون على الله من الكذب (أتقولون على الله) بل تقولون على الله (مالا تعلمون) ذلك من الكذب (قل) يا محمد (ان الذين يفترون) يختلقون (على الله الكذب لايفلحون) لا ينجون من عذاب الله ولا يأمنون (متاع فى الدنيا) يعيشون فى الدنيا قليلا (ثم الينا مرجعهم) بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) الغليظ (بما كانوا يكفرون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويكذبون على الله (واتل عليهم) اقرأ عليهم (نبأ) خبر (نوح) بالقرآن (اذ

ركاء الله (وان هم الا يخرصون) يحزرون ويقدرون أن يكونوا شركاء تقديرا باطلا أو استفهامية أى وأى شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء اقتصر على أحدهما للدلالة والمحذوف مفعول يدعون أو موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أى جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد فى النهار (والنهار مبصرا) مضيئا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع مذكر معتبر (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء (هو الغنى) علة لنفى الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به أو فقير ليستعين به أو ذليل ليتشرف به وللكل أمارة الحاجة فمن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منفيا ولان الولد بعض الوالد فيستدعى أن يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن يحتاج الى الغير فكان حادثا فاستحال القديم أن يكون له ولد (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا ولا تجتمع النبوة معه (ان عندكم

وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع أو موصولة معطوفة على من * وقرئ تدعون بالتاء الخطابية والمعنى أى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين أى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم ﴿وان هم الا يخرصون﴾ يكذبون فيما ينسبون الى الله أو يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا ﴿هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ سماع تدبر واعتبار ﴿قالوا اتخذ الله ولدا﴾ أى تبناه ﴿سبحانه﴾ تنزيه له عن التبنى فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء ﴿هو الغنى﴾ علة لتنزيه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة ﴿له ما فى السموات وما فى الارض﴾ تقرير لغناه ﴿ان عندكم

لهم وانها تقربهم الى الله وذلك ظن منهم لا حقيقة له ﴿وان هم الا يخرصون﴾ يعنى ان هم الا يكذبون * قوله عز وجل ﴿هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ يعنى هو الله ربكم الذى خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وايزول التعب والكلال بالسكون فيه واصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا وجعل النهار مضيئا لتهتدوا فيه لحوائجكم وأسباب معايشكم وأضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما من كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يفهمونه قال جرير * لقد لمتنا يا ام غيلان فى سرى * ونمت وما ليل المطى بنائم * فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما عنى نفسه وان لم يكن نائما هو ولا بعيره وهذا من باب نقل الاسم من المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب اظلم الليل وابصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وذا ضياء * قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ يعنى يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذى خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود المنفرد بالوحدانية فى الوجود ﴿قالوا﴾ يعنى المشركين ﴿اتخذ الله ولدا﴾ يعنى به قولهم الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد ﴿هو الغنى﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى هو الغنى عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغنى المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غنى عنها ﴿له ما فى السموات وما فى الارض﴾ يعنى انه مالك ما فى السموات وما فى الارض وكلهم عبيده وفى قبضته وتصرفه وهو محدثهم وخالقهم ولما نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال سبحانه وتعالى ﴿ان عندكم

يقين (وان هم) ماهم يعنى الرؤساء (الا يخرصون) يكذبون للسفلة (هو الذى) أى الهكم هو الذى (جعل لكم) خلق لكم (الليل لتسكنوا فيه) لتستقروا فيه (والنهار مبصرا) مضيئا لذهاب ومجئ (ان فى ذلك) فيما ذكرت (لآيات) لعبرات (لقوم يسمعون) مواعظ القرآن ويطيعون (قالوا) كفار مكة (اتخذ الله ولدا) من الملائكة الاناث (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (هو الغنى) عن الولد والشريك (له ما فى السموات وما فى لارض) من الخلق والعجائب (ان عندكم)

(ولا يحزنك قولهم) تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال أمرك (ان العزة) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالى لا أحزن فقيل ان الغلبة والقهر فى ملكه لا يملك أحد شيأ منهما لاهم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلى انا لننصر رسلنا أو به يتعزز كل عزيز فهو يعزك ودينك وأهلك والوقف لازم على قولهم لئلا يصير ان العزة مقول الكفار (جميعا) حال (هو السميع) لما يقولون (العليم) بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك (ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) يعنى العقلاء وهم الملائكة والثقلان وخصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفى مملكته ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) ما نافية أى وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله فى الربوبية محال (ان يتبعون الا الظن) الا ظنهم انهم

هذه الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾ اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم ٭ وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ﴿ ان العزة لله جميعا ﴾ استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيأ منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم ﴿ هو السميع ﴾ لاقوالهم ﴿ العليم ﴾ بعزماتهم فيكافيهم عليها ﴿ ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض ﴾ من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ﴾ أى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ﴿ ان يتبعون الا الظن ﴾ أى ما يتبعون يقينا

﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾ يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين لك ولا يغمك تخويفهم اياك ﴿ ان العزة لله جميعا ﴾ يعنى ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعا هو المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك عليهم والمنتقم لك منهم وقال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعا فيعز من يشاء وهذا كما قال سبحانه وتعالى فى آية أخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين باعزاز الله اياهم فثبت بذلك ان العزة لله جميعا وهو الذى يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله سبحانه وتعالى ان جميع ذلك لله وفى ملكه فهو قادر على أن يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز ﴿ هو السميع ﴾ لاقوالكم ودعائكم ﴿ العليم ﴾ بجميع أحوالكم لا تخفى عليه خافية ٭ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض ﴾ ألا كلمة تنبيه معناه انه لا ملك لاحد فى السموات ولا فى الارض الا لله عز وجل فهو يملك من فى السموات ومن فى الارض فان قلت قال سبحانه وتعالى فى الآية التى قبل هذه ألا ان لله ما فى السموات بلفظة ما وقال سبحانه وتعالى فى هذه الآية بلفظة من فما فائدة ذلك قلت ان لفظة ما تدل على لا ما يعقل ولفظة من تدل على من يعقل فمجموع الآيتين يدل على أن الله عز وجل يملك جميع من فى السموات ومن فى الارض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفى ملكه وقيل ان لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن فى السموات الملائكة العقلاء ومن فى الارض الانس والجن وهم العقلاء ايضا وانما خصهم بالذكر لشرفهم واذا كان هؤلاء العقلاء المميزون فى ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى أن يكونوا فى ملكه اذا ثبت هذا فتكون الاصنام التى يعبدها المشركون أيضا فى ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا فى جعل الاصنام شركاء لله معبودة دونه ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ﴾ لفظة ما استفهام معناه وأى شئ يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تقبيح فعلهم يعنى انهم ليسوا على شئ لانهم يعبدونها على انها شركاء لله تشفع لهم وليس الامر على ما يظنون وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ان يتبعون الا الظن ﴾ يعنى ان فعلهم ذلك ظن منهم أنها تشفع

(ولا يحزنك) يا محمد (قولهم) تكذيبهم اياك (ان العزة) والقدرة والمنعة (لله جميعا) بهلاكهم (هو السميع) لمقالتهم (العليم) بفعلهم وعقوبتهم (ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) من الخلق يحولهم كيف يشاء (وما يتبع) يعبد (لهم) (الذين يدعون) يعبدون (من دون الله شركاء) آلهة من الاوثان (ان يتبعون) ما يعبدون (الا الظن) الا بالظن بغ

لهم ومحـل الذين آمنوا النصب أوالرفـع على المدح أوعلى وصف الاولياء أوعلى الابتداء وخبره لهم البشرى ﴿ لاتبديل لكلمات الله ﴾ أى لاتغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين ﴿ هو الفوز العظيم ﴾

وذلك لان ولى الله هو الذى يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عزوجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لايبقى فى قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة الله فى القلب لاتفيد الا الحق والصدق فاذا رأى الولى رؤيا أو رؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عزوجل لهذا الولى قال الخطابى فى هذه الاحاديث توكيد لامر الرؤيا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزأ من أجزاء النبوة فى حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم فى منامهم كما يوحى اليهم فى اليقظة قال الخطابى قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تأتى على موافقة النبوة لانها جزء من النبوة وقال الخطابى وغيره فى معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة أقام النبى صلى الله عليه وسلم فى النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة أشهر يرى فى المنام الوحى فهى جزء من ستة وأربعين جزأ وقيل ان المنام لعل أن يكون فيه اخبار بغيب وهو أحد مراتب النبوة وهو يسير فى جانب النبوة لانه لايجوز أن يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يشرع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب أبدا فاذا وقع لاحد فى المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزأ من النبوة لانه نبى واذا وقع ذلك لاحد فى المنام يكون صدقا والله أعلم وقيل فى تفسير الآية ان المراد بالبشرى فى الحياة الدنيا هى الثناء الحسن وفى الآخرة الجنة ويدل على ذلك ماروى عن أبى ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الرجل يعمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النووى قال العلماء معنى هذه البشرى المعجلة له بالخير وهى دليل للبشرى المؤخر له فى الآخرة بقوله بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله عنه ومحبته له وتحبيبه الى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول فى الارض هذا كله اذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم والا فالتعرض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عزوجل استنار قلبه وامتلأ نورا فيفيض من ذلك النور الذى فى قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه وقال الزهرى وقتادة فى تفسير البشرى هى نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى تتنزل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون وقال عطاء عن ابن عباس البشرى فى الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفى الآخرة بعد خروج نفس المؤمن يعرج بها الى الله تعالى ويبشر برضوان الله تعالى وقال الحسن هى مابشر الله به المؤمنين فى كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله تعالى ﴿ لاتبديل لكلمات الله ﴾ يعنى لاخلف لوعد الله الذى وعده أولياءه وأهل طاعته فى كتابه وعلى السنة رسله ولاتغيير لذلك الوعد ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ يعنى ماوعدهم به فى الآخر

هى الجنة (لاتبديل لكلمات الله) لاتغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين (هو الفوز العظيم) وكلتا الجملتين اعتراض ولايجب انه يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق أبلج وتسكت

(لاتبديل لكلمات الله) بالجنة (ذلك) البشرى (هو الفوز العظيم) النجاة الوافر فازوا بالجنة ومافيها ونجوا من النار ومافيها

﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه ﴿ لهم البشرى في الحيوة الدنيا ﴾ وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع ﴿ وفي الآخرة ﴾ بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه

الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في معرفة نور جلال الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة أولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو أن الايمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يتقي العبد كل ما نهى الله عنه وقوله سبحانه وتعالى لا خوف عليهم يعني في الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شئ فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم في الآخرة لان الدنيا لا تخلو من هم وغم وأنكاد وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شئ ولا يحزن على شئ لان مقام الولاية والمعرفة منعه من أن يخاف أو يحزن ٭ واما قوله سبحانه وتعالى ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ فقد تقدم تفسيره وانه صفة لاولياء الله ٭ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ﴾ اختلفوا في هذه البشرى فروى عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له أخرجه الترمذي وله عن رجل من اهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى في الحيوة الدنيا قال ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال الترمذي حديث حسن (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدي من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة لفظ البخاري ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزأ من النبوة والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول انا اذا حملنا قوله تبارك وتعالى لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضي ان لا تحمل هذه الحالة الا لهم

(الذين آمنوا) منصوب باضمار أعني أو لانه صفة لاولياء أو مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا (وكانوا يتقون) الشرك والمعاصي (لهم البشرى في الحيوة الدنيا) ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير موضع من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يرها المسلم أو ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وهذا لان مدة الوحي ثلاث وعشرون سنة وكان في ستة أشهر منها يؤمر في النوم بالانذار وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزأ أو هي محبة الناس له والذكر الحسن أو لهم البشرى عند النزع بان يرى مكانه في الجنة (وفي الآخرة)

(الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وكانوا يتقون) الكفر والشرك والفواحش (لهم البشرى في الحيوة الدنيا) بالرؤيا الصالحة يرونها أو ترى لهم (وفي الآخرة) بالجنة

{ وذلك }

من لحوق مكروه ﴿ ولاهم يحزنون ﴾ لفوات مأمول والآية كمجمل فسره قوله

ولاهم يحزنون ﴾ اعلم أننا نحتاج أولا فى تفسير هذه الآية أن نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولى فنقول اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس فى هذه الآية هم الذين يذكر الله لرؤيتهم وروى الطبرى بسنده عن سعيد بن جبير مرسلا قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال هم الذين اذا رؤا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون فى الله ويدل على ذلك ماروى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ماهم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يارسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لايخافون اذا خاف الناس ولايحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ألا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون أخرجه أبوداود عن ابى هريرة قال قال رسول صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل الاظلى أخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء أخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن أبى مالك الاشعرى قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبيدا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفى ناحية القوم اعرابى فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يارسول الله عنهم من هم قال فرأيت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولايفزعون ويخاف الناس ولايخافون ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى ان أوليائى من عبادى الذين يذكرون بذكرى واذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوى بغير سند وروى الطبرى بسنده عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يارسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لايخافون اذا خاف الناس ولايحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ ألا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا أن الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتمنى زوال ماعلى المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هى أن يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التى هى على المغبوط من غير زوال عنه وقال أبوبكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه وأصل الولى من الولاء وهو القرب والنصرة فولى الله هو

اذا خاف الناس (ولاهم يحزنون) اذا حزن الناس

يستقبلهم من العذاب (ولا هم يحزنون) على ماخلفوا من خلفهم ثم بين من هم فقال

(ولاتعملون) أنتم جميعا (من عمل) أى عمل (الا كنا عليكم شهودا) شاهدين رقباء نحصى عليكم (اذ تفيضون فيه) تخوضون من أفاض فى الامر اذا اندفع فيه (ومايعزب عن ربك) ومايبعد ومايغيب بكسر الزاء على حيث كان (من مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة (فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا أكبر) رفعهما حمزة على الابتداء والخبر (الا فى كتاب مبين) يعنى اللوح المحفوظ ونصبهما غيره على نفى الجنس وقدمت الارض على السماء هنا وفى سبأ قدمت السموات لان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية (ألا ان أولياء الله) هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة اوهم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذى آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة لخلقه أوهم المتحابون فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها أوهم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية (لاخوف عليهم)

أو آية (ولاتعملون من عمل) من خير أو شر (الا كنا عليكم) وعلى أمركم وتلاوتكم وعملكم (شهودا) عالما (اذ تفيضون) تخوضون (فيه) فى القرآن بالتكذيب (ومايعزب) ما يغيب (عن ربك من مثقال ذرة) وزن نملة الحمراء من أعمال العباد (فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك) لا أخف من ذلك (ولا أكبر) ولا أثقل (الا فى كتاب مبين) مكتوب فى اللوح المحفوظ (ألا ان أولياء الله) المؤمنين (لاخوف عليهم) فيما (ولا)

واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم لأولئك ﴿ ولاتعملون من عمل ﴾ تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص مافيه فخامة وذكر حيث عم مايتناول الجليل والحقير ﴿ الا كنا عليكم شهودا ﴾ رقباء مطلعين عليه ﴿ اذ تفيضون فيه ﴾ تخوضون فيه وتندفعون ﴿ وما يعزب عن ربك ﴾ ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائى بكسر الزاء هنا وفى سبأ ﴿ من مثقال ذرة ﴾ موازن نملة صغيرة أو هباء ﴿ فى الارض ولا فى السماء ﴾ أى فى الوجود والامكان فان العامة لاتعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ﴿ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين ﴾ كلام برأسه مقرر لماقبله ولا نافية واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف أو على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ﴿ ألا ان أولياء الله ﴾ الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة ﴿ لاخوف عليهم ﴾

﴿ واما قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولاتعملون من عمل ﴾ فانه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأمته داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم أنه اذا خوطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين فى ذلك الخطاب ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ولاتعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على أنهم داخلون فى الخطابين الاولين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ الا كنا عليكم شهودا ﴾ يعنى شاهدين لاعمالكم وذلك لان الله سبحانه وتعالى شاهد على كل شئ وعالم بكل شئ لانه لامحدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل مايدخل فى الوجود من احوال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل فى علمه وهو شاهد عليه ﴿ اذ تفيضون فيه ﴾ يعنى أن الله سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون فى ذلك العمل والافاضة الدخول فى العمل على جهة الانتصاب اليه والانبساط فيه وقال ابن الانبارى معناه اذ تدفعون فيه وتنبسطون فى ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تنشرون فيه يقال أفاض القوم فى الحديث اذا انتشروا فيه ﴿ ومايعزب عن ربك ﴾ يعنى ومايبعد ويغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شئ لانه عالم به وشاهد عليه وأصل العزوب البعد يقال منه كلام عازب اذا كان بعيد المطلب ﴿ من مثقال ذرة ﴾ يعنى وزن ذرة والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهى خفيفة الوزن جدا ﴿ فى الارض ولا فى السماء ﴾ فان قلت لم قدم ذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الارض فى سورة سبأ وما فائدة ذلك قلت كان حق السماء أن يقدم على الارض كما فى سورة سبأ الا أنه تعالى لما ذكر فى هذه الآية شهادته على أهل الارض وأحوالهم وأعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء فى هذا الموضع لهذه الفائدة ﴿ ولا أصغر من ذلك ﴾ يعنى من الذرة ﴿ ولا أكبر ﴾ يعنى منها ﴿ الا فى كتاب مبين ﴾ يعنى فى اللوح المحفوظ ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم

أخبرونى آلله أذن لكم فى التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه (أم على الله تفترون) أم أنتم تكذبون على الله فى نسبة ذلك اليه أو الهمزة للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء والآية زاجرة عن التجوز فيما يسئل من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لايقول أحد فى شئ جائز أوغير جائز الابعد اتقان واتقان والا فهو مفتر على الديان (وماظن الذين يفترون على الله الكذب) ينسبون ذلك اليه (يوم القيمة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه أى أى شئ ظن المفترين فى ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره (ان الله لذو فضل على الناس) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحى وتعليم الحلال والحرام (ولكن اكثرهم لايشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه (وماتكون فى شأن) ما نافية والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والشأن الامر (وماتتلوا منه) من التنزيل كانه قيل وماتتلو من التنزيل (من قرآن) لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له أو من الله عزوجل

(أم على الله) بل على الله ([illegible]) [illegible] (وماظن الذين يفترون) يختلقون (على الله الكذب) ماذا نفعل بهم (يوم القيمة ان الله لذو فضل) (قا و خا ٣٤ اث) من (على الناس) بتأخير العذاب (ولكن أكثرهم لايشكرون) بذلك ولا يؤمنون (وماتكون) يامحمد (فى شأن) فى أمر (وماتتلوا) عليهم (منه من قرآن) سورة

﴿ أم على الله تفترون ﴾ فى نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله ﴿ وماظن الذين يفترون على الله الكذب ﴾ أى شئ ظنهم ﴿ يوم القيمة ﴾ أيحسبون ان لايجاوزوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن وفى ابهام الوعيد تهديد عظيم ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ﴾ حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ﴿ ولكن اكثرهم لايشكرون ﴾ هذه النعمة ﴿ وماتكون فى شأن ﴾ ولاتكون فى امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير فى ﴿ وماتتلوا منه ﴾ له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول عليه الصلاة والسلام أولان القرآة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو ﴿ من قرآن ﴾ على ان من تبعيضية او مزيدة لتأكيد النفى اوللقرآن

﴿ أم على الله تفترون ﴾ يعنى بل أنتم كاذبون على الله فى ادعائكم ان الله أمرنا بهذا ﴿ وماظن الذى يفترون على الله الكذب يوم القيمة ﴾ يعنى اذا لقوه يوم القيامة أيحسبون أنه لايؤاخذهم ولايجازيهم على أعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم لمن يفترى على الله الكذب ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ﴾ يعنى ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام ﴿ ولكن أكثرهم لايشكرون ﴾ يعنى لايشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وماتكون فى شأن وماتتلوا منه من قرآن ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وحده والشأن الخطب والحال والامر الذى يتفق ويصلح ولايقال الافيما يعظم من الاحوال والامور والجمع الشؤن تقول العرب ماشأن فلان أى ماحاله والشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذى فى هذه الآية يجوز أن يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه وماتكون يامحمد فى شأن يريد من أعمال البر وقال الحسن فى شأن من شؤن الدنيا وحوائجك ويجوز أن يكون المراد منه القصد يعنى قصد الشئ وماتتلو منه من قرآن اختلفوا فى الضمير فى منه الى ماذا يعود فقيل يعود الى الشأن اذ تلاوة القرآن شأن من شؤن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم شؤنه فعلى هذا يكون داخلا تحت قوله تعالى وماتكون فى شأن الا انه سبحانه وتعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد تقدم ذكره فى قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى وماتتلو من القرآن من قرآن يعنى من سورة وشئ منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير فى منه راجع الى الله والمعنى وماتتلوا من الله من قرآن نازل عليك

أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ماعداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وعما كتاب الله والاسلام وفي الحديث من هداه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه يوم يلقاه وقرأ الآية (هو خير مما يجمعون) وبالتاء شامي فلتفرحوا يعقوب (قل أرأيتم) أخبروني (أنزل الله لكم من رزق) ما منصوب بأنزل أو بأرأيتم أي أخبرونيه (فجعلتم منه حراما وحلالا) فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا والارزاق تخرج من الارض ولكن لما نيطت أسبابها بالسماء نحو المطر الذي به تنبت الارض النبات والشمس التي بها النضج ونحو ثمار أضيف انزالها الى السماء (قل آلله أذن لكم) تعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى

هو خير) يعني القرآن والاسلام (مما يجمعون) مما يجمعه اليهود والمشركون من الاموال (قل) يا محمد لاهل مكة (أرأيتم ما أنزل الله لكم) . خلق الله لكم (من رزق) من حرث وانعام (فجعلتم منه) فقلتم وفعلتم (منه) (حراما) على النساء مثل البحيرة والسائبة والحام (وحلالا) للرجال (قل) لهم يا محمد (آلله أذن لكم) أمركم بذلك

ضم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أو فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح أو بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره أي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فبهما فليفرحوا أو للربط بما قبلها والدلالة على ان مجئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله

واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا ﴿ هو خير مما يجمعون ﴾ من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق ﴾ جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال ﴿ فجعلتم منه حراما وحلالا ﴾ مثل هذه انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴿ قل آلله أذن لكم ﴾ في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه

والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ماعداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط فكأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به أحق منهما والفرح لذة في القلب بادراك المحبوب والمشتهى يقال فرحت بكذا اذا أدركت مأمولك ولذلك أكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الآية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته أي بما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه ﴿ هو خير مما يجمعون ﴾ يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب أهل المعاني في هذه الآية واما مذهب المفسرين فغير هذا قال ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن فعلى هذا الباء في بفضل الله تتعلق بمحذوف يفسره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد لكفار مكة ﴿ أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق ﴾ يعني من زرع وضرع وغيرهما وعبر عما في الارض بالانزال لان جميع ما في الارض من خير ورزق فانما هو من بركات السماء ﴿ فجعلتم منه ﴾ يعني من ذلك الرزق ﴿ حراما وحلالا ﴾ يعني ما حرموه على أنفسهم في الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي قال الضحاك هو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا ﴿ قل آلله أذن لكم ﴾ يعني قل لهم يا محمد آلله أذن لكم في هذا التحريم والتحليل

الا ظهرا من الحيوة الدنيا ﴿ هو يحيي ويميت ﴾ في الدنيا فهو قادر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لاتزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابدا ﴿ واليه ترجعون ﴾ بالموت أو النشور ﴿ ياايها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ أى قدجاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التى هى شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزل عليهم فنجوا به من ظلمة الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم ﴿ قل بفضل الله وبرحمته ﴾ بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله ﴿ فبذلك فليفرحوا ﴾ فان

يعنى حقيقة ذلك ﴿ هو يحيي ويميت ﴾ يعنى الذى يملك مافى السموات والارض قادر على الاحياء والاماتة لايتعذر عليه شئ مما أراد ﴿ واليه ترجعون ﴾ يعنى بعد الموت للجزاء ﴿ قوله عز وجل ﴿ ياايها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم ﴾ قيل اراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبرى قدجاءتكم موعظة من ربكم يعنى قرآن والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة مايدعو الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق ﴿ وشفاء لما في الصدور ﴾ يعنى ان القرآن ذو شفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك لان داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن وأمراض القلب هى الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه الوعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو أعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب فيه ﴿ وهدى ﴾ يعنى وهو هدى من الضلالة ﴿ ورحمة للمؤمنين ﴾ يعنى ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم ﴿ قل بفضل الله وبرحمته ﴾ الباء فى بفضل الله متعلقة بمضمر استغنى عن ذكره لدلالة ماتقدم عليه وهو قوله قدجاءتكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الافضال ويكون معنى الآية على هذا ياأيها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بافضال الله عليكم ورحمته بكم وارادته الخير لكم ﴿ ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ فبذلك فليفرحوا ﴾ أشار بذلك الى القرآن لان المراد بالموعظة والشفاء القرآن فترك اللفظ وأشار الى المعنى وقيل فبذلك فليفرحوا اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والانعام فليفرحوا قال الواحدى الفاء في قوله تعالى فليفرحوا زائدة كقول الشاعر * فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعى * فالفاء فى قوله فاجزعى زائدة وقال صاحب الكشاف في معنى الآية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد

غيره او نيه ترجعون) والى حسابه و جزائه ترجعون فيجازى و يجزى (ياأيها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم) أى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد [illegible] على التوحيد والموعظة التى تدعو الى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب فما في القرآن من الاوامر والنواهى داع الى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب اذ الامر يقتضى حسن المأمور به فيكون مرغوبا وهو يقتضى النهى عن ضده وهو قبيح وعلى هذا في النهى (وشفاء لما في الصدور) أى دواء لما في الصدور من العقائد الفاسدة (وهدى) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) لمن آمن به [illegible] (قل) يامحمد (بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) لايصدقون (هو يحيي) للبعث (ويميت) في الدنيا (واليه ترجعون) بعد الموت (ياأيها الناس) ياأهل مكة (قدجاءتكم موعظة) نهى (من ربكم) عما أنتم فيه (وشفاء) بيان (لما في الصدور) من العمى (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (للمؤمنين قل) يامحمد لاصحابك

(بفضل الله) القرآن الذى أكرمكم به (وبرحمته) الاسلام الذى وفقكم به (فبذلك) بالقرآن والاسلام [illegible]

لا محالة (وما أنتم بمعجزين) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (ولو أن لكل نفس ظلمت) كفرت وأشركت وهو صفة لنفس أي ولو أن لكل نفس ظالمة (ما في الأرض) في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها (لافتدت به) لجعلته فدية لها يقال فداه وفدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) وأظهروها من قولهم أسر الشيء إذا أظهره أو أخفوها عجزا عن النطق لشدة الامر فأسر من الاضداد (وقضى بينهم بالقسط) بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم (وهم لا يظلمون) ثم اتبع ذلك الاعلام بأن له الملك كله بقوله (ألا إن لله ما في السموات والارض) فكيف يقبل الفداء وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب أو العقاب فهو حق لقوله (ألا إن وعد الله) بالثواب أو بالعذاب (حق) كائن ولكن أكثرهم لا يعلمون

كائن يعني العذاب (وما أنتم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله (ولو أن لكل نفس ظلمت) أشركت بالله (ما في الارض لافتدت به) لفدت به نفسها من عذاب الله (وأسروا الندامة) أخفوا الندامة الرؤساء من السفلة (لما رأوا العذاب) حين رأوا العذاب (وقضى بينهم) وبين السفلة (بالقسط) بالعدل (وهم لا يظلمون) لا ينقص من حسناتهم شئ ولا يزاد على سيئاتهم (ألا إن لله ما في السموات والارض من الخلق (يعني) والعجائب (ألا إن وعد الله حق) كائن البعث بعد الموت (ولكن أكثرهم لا يعلمون)

يقال اي والله وتقول نعم اي والله ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ بفائتين العذاب ﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ﴾ بالشرك والتعدى على الغير ﴿ ما في الارض ﴾ من خزائنها وأموالها ﴿ لافتدت به ﴾ لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه ﴿ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ﴾ لانهم بهتوا لما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها أو لانه يقال سر الشئ لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروا وهو من قولهم سر الشئ واسره اذا اظهره ﴿ وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم ﴿ ألا إن لله ما في السموات والارض ﴾ تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب ﴿ ألا إن وعد الله حق ﴾ ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ لانهم لا يعلمون لقصور عقولهم

أعمركم به حق لا شك فيه ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ يعني بفائتين من العذاب لان من عجز عن شئ فقد فاته ﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ﴾ يعني أشركت ﴿ ما في الارض ﴾ يعني من شئ ﴿ لافتدت به ﴾ يعني يوم القيامة والافتداء بمعنى البذل لما ينجو به من العذاب الا أنه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه ﴿ وأسروا الندامة ﴾ يعني يوم القيامة وانما جاء بلفظ الماضي والقيامة من الامور المستقبلة لان أحوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضي والاسرار يكون بمعنى الاخفاء وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا في قوله وأسروا الندامة فقال أبو عبيدة معناه وأظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه أخفوا يعني أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتعييرهم لهم ﴿ لما رأوا العذاب ﴾ يعني حين عاينوا العذاب وأبصروه ﴿ وقضى بينهم بالقسط ﴾ يعني وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمن والكافر وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيؤخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ يعني في الحكم لهم وعليهم بل يخفف من عذاب المظلوم ويشدد في عذاب الظالم ﴿ ألا إن لله ما في السموات والارض ﴾ يعني ان كل شئ في السموات والارض لله ملك له لا شريك له فيه غيره فليس للكافر شئ يفتدى به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو أيضا ملك لله فكيف يفتدى من هو مملوك لغيره بشئ لا يملكه ﴿ ألا إن وعد الله حق ﴾ يعني ما وعد الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصي حق لا شك فيه ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾

منه وليس شئ منه يوجب الاستعجال والاستفهام فى ماذا تعلق بأرأيتم لان المعنى أخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستعجلون منه لانه أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام أوماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو ان أتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم أو (أثم اذا ماوقع) (آمنتم به) جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراض والمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء فى أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى (آلآن) على ارادة القول أى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم (وقد كنتم به تستعجلون) أى بالعذاب تكذيبا واستهزاء الان بحذف الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على اللام نافع (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المضمر قبل الآن (ذوقوا عذاب الخلد) أى الدوام (هل تجزون الابما كنتم تكسبون) من الشرك والكذب (ويستنبئونك) يستخبرونك فيقولون (أحق هو) وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود (قل يا محمد (أى وربى) نعم والله (انه لحق) ان العذاب كائن

بأرأيتم لانه بمعنى اخبرونى والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغى ان يفزعوا من مجئ الوعيد لاان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أوتعرفوا خطأه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطينى وتكون الجملة متعلقة بأرأيتم أو بقوله ﴿أثم اذا ماوقع آمنتم به﴾ بمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير ﴿الآن﴾ على ارادة القول أى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ تكذيبا واستهزاء ﴿ثم قيل للذين ظلموا﴾ عطف على قيل المقدر ﴿ذوقوا عذاب الخلد﴾ المؤلم على الدوام ﴿هل تجزون الابما كنتم تكسبون﴾ من الكفر والمعاصى ﴿ويستنبئونك﴾ ويستخبرونك ﴿احق هو﴾ احق ما تقول من الوعد أوادعاء النبوة تقوله بجد أم باطل تهزل به قاله حيى بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ آلحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة فى موضع النصب بيستنبئونك ﴿قل أى وربى انه لحق﴾ ان العذاب لكائن أو ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن وأى بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواو فى التصديق

عندك فامطر علينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب أليم فاجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعنى أى شئ يعلم المجرمون مايطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا جنيت على نفسك ﴿أثم اذا ماوقع﴾ يعنى اذا مانزل العذاب ووقع ﴿آمنتم به﴾ يعنى آمنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع ﴿آلآن﴾ فيه اضمار تقديره يقال لهم آلآن تؤمنون أى حين وقع العذاب ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ يعنى تكذيبا واستهزاء ﴿ثم قيل للذين ظلموا﴾ يعنى ظلموا أنفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله ﴿ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الابما كنتم تكسبون﴾ يعنى فى الدنيا من الاعمال ﴿قوله سبحانه وتعالى ﴿ويستنبئونك أحق هو﴾ يعنى ويستخبرونك يا محمد أحق ماتعدنابه من نزول العذاب وقيام الساعة ﴿قل أى وربى﴾ أى قل لهم يا محمد نعم وربى ﴿انه لحق﴾ يعنى ان الذى

(أثم اذا ماوقع) يقول اذا ما أنزل عليكم العذاب (آمنتم به) قالوا نعم قال لهم يا محمد قل لهم (آلآن) تؤمنون بالعذاب (وقد كنتم به) بالعذاب (تستعجلون) قبل هذا استهزاء به (ثم قيل للذين ظلموا) أشركوا (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون) فى الآخرة (الابما كنتم تكسبون) تقولون وتعملون فى الدنيا (ويستنبئونك) يستخبرونك يا محمد (أحق هو) يعنى العذاب والقرآن (قل اى وربى) نعم وربى (انه لحق) صدق

أحد بغير ذنب ولما قل واما نرينك بعض الذى نعدهم أى من العذاب استعجلوا لما وعدوا من العذاب نزل (ويقولون متى هذا الوعد) أى وعد العذاب (ان كنتم صادقين) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبى والمؤمنين (قل) يا محمد (لا أملك لنفسى ضرا) من مرض أو فقر (ولا نفعا) من صحة أو غنى والسبب (الا ما شاء الله) استثناء منقطع أى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب (لكل امة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب فى اللوح فاذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلو (قل أرأيتم ان أتاكم عذابه) الذى تستعجلونه (بياتا) نصب على الظرف أى وقت بيات وهو الليل وانتم ساهون نائمون لا تشعرون (أو نهارا) وأنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب (ماذا يستعجل منه المجرمون) أى من العذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه موجب للنفور فاى شئ تستعجلون

رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان فقضى بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكفار لقوله وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ استبعاد له واستهزاء به ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ خطاب منهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين ﴿ قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا ﴾ فكيف املك لكم فاستعجل فى جلب العذاب اليكم ﴿ الا ما شاء الله ﴾ ان املكه أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن ﴿ لكل امة اجل ﴾ مضروب لهلاكهم ﴿ اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم ﴿ قل أرأيتم ان اتاكم عذابه ﴾ الذى تستعجلون به ﴿ بياتا ﴾ وقت بيات واشتغال بالنوم ﴿ أو نهارا ﴾ حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ﴿ ماذا يستعجل منه المجرمون ﴾ أى شئ من العذاب يستعجلون وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق

يجازى كل أحد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ﴿ ويقولون ﴾ يعنى هؤلاء الكفار ﴿ متى هذا الوعد ﴾ يعنى الذى تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعنى فيما تعدوننا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل أمة قالت لرسولها كذلك أو يكون المعنى ان كنتم صادقين أنت وأتباعك يا محمد وذكروه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿ لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا ﴾ يعنى لا أملك لنفسى دفع ضر أو جلب نفع ولا أقدر على ذلك ﴿ الا ما شاء الله ﴾ يعنى أن أقدر عليه أو أملكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصر للاولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا الله فتعيين الوقت الى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذى وقته الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ لكل أمة أجل ﴾ أى مدة مضروبة ووقت معين ﴿ اذا جاء اجلهم ﴾ يعنى اذا انقضت مدة اعمارهم ﴿ فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ يعنى لا يتأخرون عن ذلك الاجل الذى أجل لهم ولا يستقدمونه ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ﴿ أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا ﴾ يعنى ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان فى الليل لا يكون الا فى البيت غالبا فجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل ﴿ أو نهارا ﴾ يعنى فى النهار ﴿ ماذا يستعجل منه المجرمون ﴾ يعنى ما الذى يستعجلون من نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون نزول العذاب كما اخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من

من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم (ويقولون) وقال كل أهل دين لرسولهم (متى هذا الوعد) الذى تعدنا (ان كنتم صادقين) ان كنت من الصادقين (قل) لهم يا محمد (لا أملك) لا أقدر (لنفسى ضرا) دفع الضر (ولا نفعا) ولا جر النفع (الا ما شاء الله) من الضر والنفع (لكل امة) لكل أهل دين (أجل) مهلة ووقت (اذا جاء اجلهم) وقت هلاكهم (فلا يستأخرون ساعة) قدر ساعة بعد الاجل ﴿ عنده ﴾ (ولا يستقدمون) قبل الاجل (قل) يا محمد لاهل مكة (أرأيتم ان أتاكم عذابه) عذاب الله (بياتا) ليلا (أو نهارا) كيف تصنعون (ماذا يستعجل) بماذا يستعجل (منه) من عذاب الله (المجرمون) المشركون قالوا نؤمن قل لهم يا محمد

بينهم قائلين ذلك أو هي شهادة من الله على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين)
للتجارة عارفين بها أو هو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم (واما نرينك

يتعارفون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات أدت بهم الى الردى والعذاب الدائم ﴿ واما نرينك ﴾ نبصرنك ﴿ بعض الذي نعدهم ﴾ من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر ﴿ أو نتوفينك ﴾ قبل أن نريك ﴿ فالينا مرجعهم ﴾ فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ﴿ ثم الله شهيد على ما يفعلون ﴾ مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم أو مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة ﴿ ولكل أمة ﴾ من الأمم الماضية ﴿ رسول ﴾ يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق ﴿ فاذا جاء رسولهم ﴾ بالبينات فكذبوه ﴿ قضى بينهم ﴾ بين الرسول ومكذبيه ﴿ بالقسط ﴾ بالعدل فأنجى الرسول واهلك المكذبون ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ وقيل معناه لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء

الباقي ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ يعني الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار ﴿ واما نرينك ﴾ يعني يا محمد ﴿ بعض الذي نعدهم ﴾ يعني ما نعدهم به من العذاب في الدنيا فذاك ﴿ أو نتوفينك ﴾ قبل أن نريك ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ فالينا مرجعهم ﴾ يعني في الآخرة وفيه دليل على أن الله يري رسوله صلى الله عليه وسلم أنواعا من عذاب الكافرين وذلهم وخزيهم في حال حياته في الدنيا وقد أراه ذلك يوم بدر وغيره من الايام وسيريه ما أعد لهم من العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم ﴿ ثم الله شهيد على ما يفعلون ﴾ فيه وعيد وتهديد لهم يعني انه سبحانه وتعالى شاهد على أفعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة ✻ قوله عز وجل ﴿ ولكل أمة رسول ﴾ لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الأنبياء مع أممهم كذلك فقال تعالى ولكل أمة يعني قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعني مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله والى طاعته والايمان به ﴿ فاذا جاء رسولهم ﴾ في هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاءهم رسولهم وبلغهم ما أرسل به اليهم فكذبه قوم وصدقه آخرون ﴿ قضى بينهم بالقسط ﴾ يعني حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضاء والحكم بينهم قولان احدهما أنه في الدنيا وذلك أن الله سبحانه وتعالى أرسل الى كل أمة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا رسلهم وخالفوا أمر الله قضى بينهم وبين رسلهم في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي رسلهم والمؤمنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان قبل مجيء الرسول لا يكون ثواب ولا عقاب القول الثاني ان وقت القضاء في الآخرة وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن والكافر والطائع والعاصي جيء بالرسل لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل وهو قوله تعالى ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ يعني من جزاء أعمالهم شيأ ولكن

بعض الذي نعدهم) من العذاب (أو نتوفينك) قبل عذابهم (فالينا مرجعهم) جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف أي واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة (ثم الله شهيد على ما يفعلون) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كانه قيل ثم الله معاقب على ما يفعلون وقيل ثم هنا بمعنى الواو (ولكل أمة رسول) يبعث اليهم لينذرهم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق (فاذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه (قضى بينهم) بين النبي ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فأنجى الرسول وعذب المكذبين أو ولكل أمة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بالقسط (وهم لا يظلمون) لا يعذب

الدنيا والآخرة (وما كانوا مهتدين) من الكفر والضلالة (واما نرينك) يا محمد (بعض الذي نعدهم) من العذاب (او نتوفينك) قبل ان نرينك يا محمد ما نعدهم من العذاب (فالينا مرجعهم) بعد الموت (ثم الله شهيد على ما يفعلون) من الخير والشر (ولكل أمة) لكل أهل دين (رسول) يدعوهم الى الله والى دينه (فاذا جاء) هم (رسولهم) فكذبوا (قضى بينهم) وبين الرسول (بالقسط) بالعدل بهلاك القوم ونجاة الرسول (وهم لا يظلمون) لا ينقص

والاعراض عنهم ﴿ ان الله لايظلم الناس شيأ ﴾ بسبب حواسهم وعقولهم ﴿ ولكن الناس انفسهم يظلمون ﴾ بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لايظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الاساعة من النهار ﴾ يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو في القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الاساعة أو صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اى حشرا كأن لم يلبثوا قبله ﴿ يتعارفون بينهم ﴾ يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدرة أو بيان لقوله كأن لم يلبثوا أو متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ﴾ شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان

﴿ ان الله لايظلم الناس شيأ ولكن الناس انفسهم يظلمون ﴾ قال العلماء لما حكم الله عز وجل على اهل الشقوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فيهم أخبر في هذه الآية أن تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لايكون ظالما وانما قال ولكن الناس أنفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويوم نحشرهم ﴾ يعني واذكر يا محمد يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم ﴿ كأن لم يلبثوا الاساعة من النهار ﴾ يعني كأنهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كأنهم لم يلبثوا في قبورهم الاقدر ساعة من النهار والوجه الاول أولى لان حال المؤمن والكافر سواء في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور الى وقت الحشر فتعين حمله على أمر يختص بحال الكافر وهو انهم لما لم ينتفعوا باعمارهم في الدنيا استقلوها والمؤمن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا أعمارهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا اهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا ﴿ يتعارفون بينهم ﴾ يعني يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا أهوال يوم القيامة وفي بعض الآثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من بجنبه ولايقدر أن يكلمه هيبة وخشية وقيل ان أحوال يوم القيامة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما يعاينون في ذلك اليوم ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ﴾ يعني أن من باع آخرته الباقية بدنياه الفانية قد خسر لانه آثر الفاني على

لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جمادا وهم أحياء (ويوم نحشرهم) وبالياء حفص (كأن لم يلبثوا الاساعة من النهار) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا أو في قبورهم لهول ما رأوا (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم كأن لم يلبثوا حال من هم أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الاساعة وكأن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي كأنهم ويتعارفون بينهم حال بعد حال أو مستأنف على تقدير هم يتعارفون بينهم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) على ارادة القول أي يتعارفون

الحق والهدى (ان الله لايظلم الناس شيأ) لاينقص من حسناتهم ولا يزيد على سيأتهم (ولكن الناس انفسهم يظلمون) بالكفر والشرك والمعاصي (ويوم نحشرهم) يعني اليهود والنصارى والمشركين (كأن لم يلبثوا) في القبور (الاساعة من النهار يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا في بعض المواطن ولايعرف بعضهم بعضا في بعض المواطن (قد خسر) غبن (الذين كذبوا بلقاء الله) بالبعث بعد الموت بذهاب { الباقي }

ويئست من اجابتهم (فقل لي عملي) جزاء عملي (ولكم عملكم) جزاء اعمالكم (انتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون)
فكل مؤاخذ بعمله (ومنهم من يستمعون اليك) ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم
لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم (أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) أتطمع
أنك تقدر على اسماع الصم
ولو انضم الى صممهم عدم
عقولهم لان الاصم العاقل
ربما تفرس واستدل اذا
وقع في صماخه دوي
الصوت فاذا اجتمع سلب
العقل والسمع فقد تم الامر
(ومنهم من ينظر اليك)
ومنهم ناس ينظرون اليك
ويعاينون أدلة الصدق
وأعلام النبوة ولكنهم
لا يصدقون (أفأنت تهدي
العمي ولو كانوا لا يبصرون)
أتحسب انك تقدر على هداية
العمي ولو انضم الى
فقد البصر فقد البصيرة
لان الاعمى الذي له في قلبه
بصيرة قد يحدس وأما
العمي مع الحمق فجهد
البلاء يعني انهم في اليأس
من أن يقبلوا ويصدقوا
كالصم والعمي الذين
لا عقول لهم ولا بصائر

وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة ﴿ فقل لي عملي ولكم عملكم ﴾ فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا ﴿ انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون ﴾ لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف ﴿ ومنهم من يستمعون اليك ﴾ اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا ﴿ أفأنت تسمع الصم ﴾ تقدر على اسماعهم ﴿ ولو كانوا لا يعقلون ﴾ ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ﴿ ومنهم من ينظر اليك ﴾ يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقونك ﴿ أفأنت تهدي العمي ﴾ تقدر على هدايتهم ﴿ ولو كانوا لا يبصرون ﴾ وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبري

يعني وان كذبك قومك يا محمد ﴿ فقل ﴾ أي فقل لهم ﴿ لي عملي ﴾ يعني الطاعة وجزاء ثوابها ﴿ ولكم عملكم ﴾ يعني الشرك وجزاء عقابه ﴿ أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾ قيل المراد منه الزجر والرجوع وقال مقاتل والكلبي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط الناسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب وآية القتال ما رفعت شيأ من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا ✽ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومنهم ﴾ يعني ومن هؤلاء المشركين ﴿ من يستمعون اليك ﴾ يعني باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم ذلك لشدة بغضهم وعداوتهم لك ﴿ أفأنت تسمع الصم ﴾ يعني كما انك لا تقدر على اسماع الصم فكذلك لا تقدر على اسماع من أصم الله سمع قلبه ﴿ ولو كانوا لا يعقلون ﴾ يعني ان الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجهال اذا لم ينتفعوا بما لم يسمعوا وهم أيضا كالصم الذين لا يعقلون شيأ ولا يفهمونه لعدم التوفيق ﴿ ومنهم من ينظر اليك ﴾ يعني بابصارهم الظاهرة ﴿ أفأنت تهدي العمي ﴾ يريد عمي القلوب ﴿ ولو كانوا لا يبصرون ﴾ لان الله أعمى بصائر قلوبهم فلا يبصرون شيأ من الهدى وفي هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر أن تهدي من سلبته البصر ولا تقدر أن توفق للايمان من حكمت عليه أن لا يؤمن

يا محمد قومك بما تقول لهم
(فقل لي عملي) وديني
(ولكم عملكم) ودينكم
(أنتم بريئون مما أعمل)
وأدين (وأنا بريء مما
تعملون) وتدينون (ومنهم
من اليهود (من يستمعون
اليك) الى كلامك وحديثك ويقال من مشركي العرب من يستمع الى كلامك وحديثك (أفأنت تسمع)
يا محمد (الصم) من كأنه أصم (ولو كانوا لا يعقلون) ومع ذلك لا يريدون أن يعقلوا (ومنهم) من اليهود ويقال من المشركين (من
ينظر اليك أفأنت تهدي) ترشد الى الهدى (العمي) من كأنه أعمى (ولو كانوا لا يبصرون) ومع ذلك لا يريدون أن يبصروا

ولما يأتهم تأويله) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن فى بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع فى ولما يأتهم تأويله أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدى وجربوا قواهم فى المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر فى معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا وتقليدا للآباء ويجوز ان يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل مافيه من الاخبار بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعنى انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة مافيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل أن يجربوا أخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به) بالنبى أو بالقرآن أى يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند بالتكذيب (ومنهم من لايؤمن به) لايصدق به ويشك فيه أو يكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين أوالمصرين (وان كذبوك) وان تموا على تكذيبك

ما يخالف دينهم ﴿ ولما يأتهم تأويله ﴾ ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه أوولم يأتهم بعد تأويل مافيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق أو كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدى فرازوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها أو لما شاهدوا وقوع ما أخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم ﴾ انبياءهم ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ فيه وعيد لهم بمثل ماعوقب به من قبلهم ﴿ ومنهم ﴾ ومن المكذبين ﴿ من يؤمن به ﴾ من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند أو من سيؤمن به ويتوب عن كفره ﴿ ومنهم من لايؤمن به ﴾ فى نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره أو فيما يستقبل بل يموت على الكفر ﴿ وربك أعلم بالمفسدين ﴾ بالمعاندين أو المصرين ﴿ وان كذبوك ﴾

على علوم كثيرة لايقدر أحد على استيعابها وتحصيلها ﴿ ولما يأتهم تأويله ﴾ يعنى انهم كذبوا به ولم يأتهم بعد بيان مايؤل اليه ذلك الوعيد الذى توعدهم الله فى القرآن به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ماتؤل اليه عاقبة أمرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تأويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تأويله ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم ﴾ يعنى كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذب الامم الماضية أنبياءهم فيما وعدوهم به ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك تكون عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر أن تفعل مثل فعله * قوله عز وجل ﴿ ومنهم من يؤمن به ﴾ يعنى ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن ﴿ ومنهم من لايؤمن به ﴾ لعلم الله السابق فيه أنه لايؤمن ﴿ وربك أعلم بالمفسدين ﴾ يعنى الذين لايؤمنون ﴿ وان كذبوك ﴾

(يعنى)

عليهم (ولما يأتهم) لم يأتهم (تأويله) عاقبة ماوعدهم فى القرآن (كذلك) كما كذبك قومك بالكتب والرسل (كذب الذين من قبلهم) بالكتب والرسل (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) كيف صار آخر أمر المشركين المكذبين بالكتب والرسل من عبادة الله شيأ ويقال وهذا تعزية من الله جل وعز لنبيه صلى الله عليه وسلم كى يصبر على أذاهم (ومنهم) من اليهود (من يؤمن به) بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن قبل موته (ومنهم) من اليهود (من لا يؤمن به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويموت على الكفر (وربك أعلم بالمفسدين) باليهود بمن يؤمن وبمن لا يؤمن ويقال نزلت هذه الآية فى المشركين (وان كذبوك

﴿لاريب فيه﴾ منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان يكون استئنافا ﴿من رب العالمين﴾ خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين أو متعلق بتصديق أو بتفصيل ولاريب فيه اعتراض أو بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب أو من الضمير فى فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب أتباعه والبرهان عليه ﴿أم يقولون﴾ بل أيقولون ﴿افتراه﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه الانكار ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرنا فى النظم والعبارة ﴿وادعوا من استطعتم﴾ ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به ﴿من دون الله﴾ سوى الله فانه وحده قادر على ذلك ﴿ان كنتم صادقين﴾ انه اختلقه ﴿بل كذبوا﴾ بل سارعوا الى التكذيب ﴿بما لم يحيطوا بعلمه﴾ بالقرآن اول سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر

والاحكام ﴿لاريب فيه من رب العالمين﴾ يعنى ان هذا القرآن لاشك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى على الله وانه لايقدر أحد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿أم يقولون افتراه﴾ يعنى أم يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القرآن واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل أم بمعنى الواو أى ويقولون افتراه ﴿قل﴾ أى قل لهم يامحمد ان كان الامر كما تقولون ﴿فأتوا بسورة مثله﴾ يعنى بسورة شبيهة به فى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فأنتم عرب مثلى فى الفصاحة والبلاغة ٭ فان قلت قال الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله وقال سبحانه وتعالى هنا فأتوا بسورة مثله فما فائدة ذلك وما الفرق بينهما ٭ قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم أميا لم يقرأ ولم يكتب وأتى بهذا القرآن العظيم كان معجزا فى نفسه فقال لهم فأتوا بسورة من مثله يعنى من انسان أمى مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه فى عدم الكتابة والقراءة وأما قوله سبحانه وتعالى فأتوا بسورة مثله أى فأتوا بسورة تساوى سور القرآن فى الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله فأتوا بسورة مثله يعنى ان السورة فى نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله ﴿وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ يعنى وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه ﴿ان كنتم صادقين﴾ يعنى فى قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ يعنى القرآن أى كذبوا بما لم يعلموه قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما فى القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب وغيرها مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم لما سمعوا ما فى القرآن من القصص وأخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوها قبل ذلك أنكروها لجهلهم فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل

داخل فى حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لاريب فى ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لاشك فيه كريم (أم يقولون افتراه) بل أيقولون اختلقه (قل) ان كان الامر كما تزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم فأنتم مثلى فى العربية (وادعوا من استطعتم من دون الله) أى وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) انه افتراه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه

والنهى (لاريب فيه) لاشك فيه (من رب العالمين) من سيد العالمين (أم يقولون) بل يقولون كفار مكة (افتراه) اختلق محمد صلى الله عليه وسلم القرآن من تلقاء نفسه (قل) لهم يامحمد (فأتوا بسورة مثله) مثل سورة القرآن (وادعوا من استطعتم) استعينوا على ذلك من عبدتم (من دون الله ان كنتم صادقين) ان محمدا عليه السلام يختلقه من تلقاء نفسه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) بما لم يدرك

فيما يعتقدون ﴿ الاظنا ﴾ مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع أو من ينتمى منهم الى تميز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ﴿ ان الظن لا يغنى من الحق ﴾ من العلم والاعتقاد الحق ﴿ شيأ ﴾ من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ﴿ ان الله عليم بما يفعلون ﴾ وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان ﴿ وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ﴾ افتراء من الخلق ﴿ ولكن تصديق الذى بين يديه ﴾ مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدر أو علة لفعل محذوف تقديره ولكن انزله الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق ﴿ وتفصيل الكتاب ﴾ وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع

الاظنا ﴾ يعنى وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه وريبة وقيل المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤساء ﴿ ان الظن لا يغنى من الحق شيأ ﴾ يعنى ان الشك لا يغنى عن اليقين شيأ ولا يقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعنى انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيأ ﴿ ان الله عليم بما يفعلون ﴾ يعنى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين * قوله تعالى ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ﴾ يعنى وما كان ينبغى لهذا القرآن ان يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شئ يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأتى به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فأخبر الله عز وجل ان هذا القرآن وحى أنزله الله عليه وانه مبرأ عن الافتراء والكذب وانه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه و تعالى ما يؤكد هذا بقوله ﴿ ولكن تصديق الذى بين يديه ﴾ يعنى ولكن الله أنزل هذا القرآن مصدقا لما قبله من الكتب التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن العظيم المعجز وفيه أخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه لعداوة اهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه أحد من أهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما فى التوراة والانجيل مع القطع بانه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحى من الله أنزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى قوله ولكن تصديق الذى بين يديه يعنى من أخبار الغيوب الآتية فانها جاءت على وفق ما أخبر ﴿ وتفصيل الكتاب ﴾ يعنى وتبيين ما فى الكتاب من الحلال والحرام والفرائض

بالاكثر الجميع (الاظنا) بغير دليل وهو اقتداؤهم باسلافهم ظنا منهم انهم مصيبون (ان الظن لا يغنى من الحق) وهو العلم (شيأ) فى موضع المصدر أى اغناء (ان الله عليم بما يفعلون) من اتباع الظن وترك الحق (وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله) أى افتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام أن يكون مثله فى علو أمره واعجازه مفترى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة (وتفصيل الكتاب) وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من

آلهة (الاظنا) الا بالظن (ان الظن) عبادتهم بالظن (لا يغنى من الحق) من عذاب الله (شيأ ان الله عليم بما يفعلون) فى الشرك من عبادة الاوثان وغير ذلك (وما كان هذا القرآن) الذى يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم (أن يفترى) ان يختلق (من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه) موافق التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (وتفصيل الكتاب) تبيان القرآن بالحلال والحرام والامر

اليه (قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى) يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قراءة حمزة وعلى أمن لا يهدى بمعنى يهتدى لا يهدى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى وورش باشمام الهاء فتحة أبو عمرو وبكسر الهاء وفتح الياء عاصم غير يحيي والاصل يهتدى وهو قراءة عبد الله فادغمت التاء فى الدال وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال يحيي لاتباع ما بعدها وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنى غير ورش والمعنى أن الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب فى المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر فى الادلة التى نصبها لهم وبما وفقهم وألهمهم ووقفهم على الشرائع بارسال الرسل فهل من شركائكم الذين جعلتم أندادا لله أحد يهدى الى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدى الى الحق أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى أى لا يهتدى بنفسه أو لا يهدى غيره الا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا أن ينقل أو لا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء الا أن ينقله الله من حالة الى أن يجعله حيا ناطقا فيهديه (فما لكم كيف تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله (وما يتبع أكثرهم) فى قولهم للاصنام انها آلهة وأنها شفعاء عند الله والمراد

ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسنده الى الله ﴿ قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق احق ان يتبع أم من لا يهدى الا ان يهدى ﴾ ام الذى لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى أو لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير ٭ وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة ﴿ فما لكم كيف تحكمون ﴾ بما يقتضى صريح العقل بطلانه ﴿ وما يتبع اكثرهم ﴾

﴿ قل ﴾ أى قل لهم أنت يا محمد ﴿ الله يهدى للحق ﴾ يعنى أن الله هو الذى يرشد الى الحق لا غيره ﴿ أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى ﴾ يعنى ان الله هو الذى يهدى الى الحق فهو أحق بالاتباع لا هذه الاصنام التى لا تهدى الا أن تهدى ٭ فان قلت الاصنام جماد لا تتصور هدايتها ولا أن تهدى فكيف قال الا أن يهدى ٭ قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوها ٭ الاول أن معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى أنها لا تنتقل من مكان الى مكان آخر الا أن تحمل وتنقل فبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام ٭ الوجه الثانى أن ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه المجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع و يعقل عبر عنها بما يعبر به عمن يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك ٭ الوجه الثالث يحتمل أن يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الى الحق رؤساء الكفر والضلالة فالله سبحانه وتعالى هدى الخلق الى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته أولى من اتباع غيره ٭ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ فما لكم كيف تحكمون ﴾ قال الزجاج فما لكم كلام تام كانه قيل لهم أى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شريكا وقيل معناه بئسما حكمتم اذ جعلتم لله شريكا من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية ﴿ وما يتبع أكثرهم

فان اجابوك والا (قل الله يهدى للحق) والهدى (أفمن يهدى الى الحق) والهدى (احق ان يتبع) أن يعبد ويطاع (أمن لا يهدى) الى الحق والهدى (الا ان يهدى) يحمل فيذهب به حيث يشاء (فما لكم كيف تحكمون) بئس ما تقضون به لانفسكم (وما يتبع) يعبد (اكثرهم)

لمن حقق النظر (فماذا بعد الحق الا الضلال) أى لا واسطة بين الحق والضلال فمن تخطى الحق وقع فى الضلال (فأنى تصرفون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك (كذلك) مثل ذلك الحق (حقت كلمت ربك) كلمات شامى ومدنى أى كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك (على الذين فسقوا) تمردوا فى كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه (انهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أى حق عليهم انتفاء الايمان أو حق عليهم [illegible] ان ايمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل أى لانهم لا يؤمنون (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) انما ذكر ثم يعيده وهم غير مقرين بالاعادة لانه لظهور برهانها جعل أمرا مسلما على ان فيهم من يقر بالاعادة أو يحتمل اعادة غير البشر كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أمر نبيه بان ينوب عنهم فى الجواب يعنى أنهم لا تدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) يرشد

لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم ﴿فماذا بعد الحق الا الضلال﴾ استفهام انكار أى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله تعالى وقع فى الضلال ﴿فأنى تصرفون﴾ عن الحق الى الضلال ﴿كذلك حقت كلمت ربك﴾ أى كما حقت الربوبية لله أو ان الحق بعده الضلال أو انهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه ﴿على الذين فسقوا﴾ تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح ﴿انهم لا يؤمنون﴾ بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب ﴿قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان ينوب عنهم فى الجواب فقال ﴿قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها ﴿فأنى تؤفكون﴾ تصرفون عن قصد السبيل ﴿قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق﴾ بنصب الحجج وارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على

يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها هو الله ربكم الحق الذى يستحق العبادة لا هذه الاصنام ﴿فماذا بعد الحق الا الضلال﴾ يعنى اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب أن يكون ماسواه ضلالا وباطلا ﴿فأنى تصرفون﴾ يعنى اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستجيزون العدول عن الحق الى الضلال الباطل ﴿كذلك﴾ أى كما ثبت أنه ليس بعد الحق الا الضلال ﴿حقت﴾ أى وجبت ﴿كلمت ربك﴾ فى الازل ﴿على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾ قيل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم فى اللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاؤه لا يرد ولا يدافع ﴿قل هل من شركائكم﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم يعنى هذه الاصنام التى تزعمون انها آلهة ﴿من يبدأ الخلق﴾ يعنى من يقدر على ان ينشئ الخلق على غير مثال سبق ﴿ثم يعيده﴾ أى ثم يعيده بعد الموت كهيئته أول مرة وهذا السؤال استفهام انكار ﴿قل﴾ أى قل أنت يا محمد ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ يعنى ان الله هو القادر على ابتداء الخلق واعادته ﴿فأنى تؤفكون﴾ يعنى فأنى تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره ﴿قل﴾ أى قل يا محمد ﴿هل من شركائكم من يهدى الى الحق﴾ يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على أن يرشد الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك

الحق (فماذا بعد الحق الا الضلال) فماذا عبادتكم بعد عبادة الله الا عبادة الشيطان (فانى تصرفون) من اين تكذبون على الله (كذلك) هكذا (حقت) وجبت (كلمت ربك) بالعذاب (على الذين فسقوا) كفروا (انهم لا يؤمنون) فى علم الله (قل) { قل } لهم يا محمد (هل من شركائكم) من آلهتكم (من يبدؤ الخلق) من النطفة ويجعل فيه الروح (ثم يعيده) بعد الموت يوم القيامة فان أجابوك والا ف(قل الله يبدؤ الخلق) من النطفة (ثم يعيده) ثم يحييه يوم القيامة (فانى تؤفكون) فمن اين تكذبون ويقال انظر يا محمد كيف يصرفون بالكذب (قل) لهم يا محمد (هل من شركائكم) من آلهتكم (من يهدى الى الحق) والهدى

الذى لايظلم أحدا (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أم من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما و تسويتهما على الحد الذى سويا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما من الآفات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شئ (ومن يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى) أى الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها (ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (فسيقولون الله) فسيجيبونك عند سؤالك ان القادر هذه هو الله (فقل أفلا تتقون) الشرك فى العبودية اذا اعترفتم بالربوبية (فذلكم الله) أى من هذه قدرته هو الله (ربكم الحق) الثابت ربوبيته ثباتا لاريب فيه

مولى* وقرئ الحق بالنصب على المدح أو المصدر المؤكد ﴿وضل عنهم﴾ وضاع عنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾ من ان آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون انها آلهة ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض﴾ اى منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية أو من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض ﴿ام من يملك السمع والابصار﴾ ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شئ ﴿ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى﴾ ومن يحيي ويميت أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ﴿ومن يدبر الامر﴾ ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص ﴿فسيقولون الله﴾ اذ لايقدرون من المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه ﴿فقل أفلا تتقون﴾ انفسكم عقابه باشراككم اياه مالايشاركه فى شئ من ذلك ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ أى المتولى

وتعالى فى آية أخرى وأن الكافرين لامولى لهم فما الفرق* قلت المولى فى اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر فمعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الآيتين ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعنى وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه فى الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا * قوله عز وجل ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعنى المطر والارض يعنى النبات ﴿أم من يملك السمع والابصار﴾ يعنى ومن أعطاكم هذه الحواس التى تسمعون بها وتبصرون بها ﴿ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى﴾ يعنى انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهى ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحى ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحى وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول أقرب الى الحقيقة ﴿ومن يدبر الامر﴾ يعنى ان مدبر أمر السموات وما فيها ومدبر أمر الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله ﴿فسيقولون الله﴾ يعنى انهم يعترفون أن فاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يقرون بذلك ﴿فقل﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿أفلا تتقون﴾ يعنى أفلا تخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التى لاتضر ولا تنفع ولا تقدر على شئ من هذه الامور ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ يعنى فذلكم الذى

(وضل عنهم) بطل عنهم واشتغل عنهم (ما كانوا يفترون) يعبدون بالكذب (قل) يا محمد لكفار أهل مكة (من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات والثمار (أمن يملك السمع والابصار) يقول من يقدر أن يخلق السمع والابصار (ومن يخرج الحى من الميت) من يقدر ان يخرج الحى من الميت يعنى النسمة والدواب من النطفة ويقال الطير من البيضة ويقال السنبلة من الحب (ويخرج الميت من الحى) النطفة من النسمة والدواب ويقال البيضة من الطير ويقال الحبة من السنبلة (ومن يدبر الامر) من يقدر أن يدبر أمر العباد وينظر فى أمر العباد ويبعث الملائكة بالوحى والتنزيل والمصيبة (فسيقولون الله فقل) يا محمد (أفلا تتقون) تطيعون الله (فذلكم الله ربكم) فالذى يفعل ذلك هو ربكم (الحق) هو الحق وعبادته

انكم كنتم تعبدون [illegible] حيث [illegible] ان تتخذوا لله أندادا فى حشرهم وهو قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء
اياكم الى قوله بل كانوا يعبدون الجن (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم)
أى كفى الله شهيدا وهو تمييز (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية (هنالك) فى ذلك المكان أو فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمن (تبلو كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار امقبول أم مردود وقال الزجاج تعلم كل نفس ماقدمت تتلو حمزة وعلى أى تتبع ما أسلفت لان عمله هوالذى يهديه الى طريق الجنة أو النار أوتقرأ فى صحيفتها ماقدمت من خير أوشر كذا عن الاخفش (وردوا الى الله مولاهم الحق) ربهم فى ربوبيته لانهم كانوا يتولون ماليس لربوبيته حقيقة أوالذى يتولى حسابهم وثوابهم العدل

بعبادتكم فقالت الآلهة (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا) قد كنا (عن عبادتكم) ايانا (لغافلين) الجاهلين [illegible]

[illegible]

تعرفون [illegible]

تقرأ (كل نفس ما أسلفت) ما عملت من خير أوشر (وردوا الى الله مولاهم الحق) الهم الحق ﴿ وتعالى ﴾

مجاز عن براءة ماعبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا فى الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لاماشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين ﴿ فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ﴾ فانه العالم بكنه الحال ﴿ ان كنا عن عبادتكم لغافلين ﴾ ان هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة ﴿ هنالك ﴾ فى ذلك المقام ﴿ تبلوا كل نفس ما اسلفت ﴾ تختبر ماقدمت من عمل فتعاين نفعه وضره ، وقرأ حمزة والكسائى تتلوا من التلاوة اى تقرأ ذكر ماقدمت او من التلو اى تتبع عملها فيقودها الى الجنة او الى النار ، وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف بسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اى بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض ﴿ وردوا الى الله ﴾ الى جزائه اياهم بما اسلفوا ﴿ مولاهم الحق ﴾ ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لاما اتخذوه

وهى جماد لاروح فيها ولاعقل لها فقلت يحتمل ان الله سبحانه وتعالى خلق لها فى ذلك اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام ، فان قلت اذا احياهم الله فى ذلك اليوم فهل يفنيهم أو يبقيهم قلت الكل محتمل ولااعتراض على الله فى شئ من أفعاله وأحوال القيامة غير معلومة الا مادل عليه الدليل من كتاب أو سنة ، فان قلت ان الاصنام قد أنكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها فى تفسير سورة الانعام ونقول هنا قال مجاهد تكون فى يوم القيامة ساعة تكون فيها شدة تنصب لهم الآلهة التى كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولانعقل ولانعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله اياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة ﴿ فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ﴾ والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ماعلمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم ايانا من دون الله الا غافلين مانشعر بذلك أما قوله سبحانه وتعالى ﴿ هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت ﴾ فهو كالتتمة للآية المتقدمة والمعنى فى ذلك المقام أو ذلك الموقف أو ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفى قوله تبلو قراآت قرئ بتاءين ولها معنيان أحدهما انه من تلاه اذا تبعه أى تتبع كل نفس ما أسلفت لان العمل هوالذى يهدى النفس الى الثواب أو العقاب الثانى أن يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفة عملها من خير أو شر وقرئ تبلوا بالتاء المثناة والباء الموحدة ومعناه تخبر وتعلم والبلو الاختبار ومعناه اختبارها ما أسلفت يعنى أنه ان قدم خيرا أو شرا قدم عليه وجوزى به ﴿ وردوا الى الله مولاهم الحق ﴾ الرد عبارة عن صرف الشئ الى الموضع الذى جاء منه والمعنى وردوا الى مايظهر لهم من الله الذى هو مالكهم ومتولى أمرهم ، فان قلت قد قال الله سبحانه

(وترقهم ذلة) ذل وهوان (مالهم من الله) من عقابه (من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) أى جعل عليها غطاء من سواد الليل أى هم سود الوجوه وقطعا جمع قطعة وهو مفعول ثان لاغشيت قطعا مكي وعلى من قوله بقطع من الليل وعلى هذه القراءة مظلما صفة لقطع وعلى الاول حال من الليل والعامل فيه أغشيت لان من الليل صفة لقطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة أو معنى الفعل فى من الليل (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم) أى الكفار وغيرهم (جميعا) حال (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم (أنتم) أكد به الضمير فى مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه (فزيلنا) ففرقنا (بينهم) وقطعنا أقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا (وقال شركاؤهم) من عبدوه من دون الله من أولى العقل أو الاصنام ينطقها الله عز وجل (ما كنتم ايانا تعبدون)

سيئة بمثلها واقع أو مثلها على زيادة الباء أو تقدير مقدر بمثلها ﴿وترهقهم ذلة﴾ قرى بالياء ﴿ما لهم من الله من عاصم﴾ ما من احد يعصمهم من سخط الله أو من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين ﴿كأنما اغشيت﴾ اغطيت ﴿وجوههم قطعا من الليل مظلما﴾ لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة أو معنى الفعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه ﴿اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية فى الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول صحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ﴿ويوم نحشرهم جميعا﴾ يعنى الفريقين جميعا ﴿ثم نقول للذين اشركوا مكانكم﴾ الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم ﴿انتم﴾ تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله ﴿وشركاؤكم﴾ عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه ﴿فزيلنا بينهم﴾ ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون﴾

عدلا منه سبحانه وتعالى ﴿وترهقهم ذلة﴾ قال ابن عباس يغشاهم ذل وشدة وقيل يغشاهم ذل وهوان لعقاب الله اياهم ﴿ما لهم من الله من عاصم﴾ يعنى ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا نزل بهم ﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما﴾ يعنى كأنما ألبست وجوههم سوادا من الليل المظلم ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ✲ قوله سبحانه وتعالى ﴿ويوم نحشرهم جميعا﴾ الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيامة ﴿ثم نقول للذين أشركوا مكانكم﴾ أى الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسئلوا وفى هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين ﴿أنتم وشركاؤكم﴾ يعنى أنتم أيها المشركون والاصنام التى كنتم تعبدونها من دون الله ﴿فزيلنا بينهم﴾ يعنى ففرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا ✲ فان قلت قوله سبحانه وتعالى فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضى بعد قوله ثم نقول للذين أشركوا وهو منتظر فى المستقبل فما وجهه ✲ قلت السبب فيه ان الذى حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكائن الآن ✲ قوله تعالى ﴿وقال شركاؤهم﴾ يعنى الاصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من أموالهم أو لانه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء فى هذا الخطاب ﴿ما كنتم ايانا تعبدون﴾ تبرأ المعبودون من العابدين ✲ فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام

(وترهقهم ذلة) تعلوهم كآبة وكسوف (مالهم من الله) من عذاب الله (من عاصم) من مانع (كأنما) من الحزن (أغشيت) (قا و خا ٣٢ اث) ألبست (وجوههم قطعا من الليل) من السواد (مظلما أولئك أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) دائمون (ويوم نحشرهم) الكفار وآلهتهم (جميعا ثم نقول للذين أشركوا) بالله الاوثان (مكانكم) قفوا (أنتم وشركاؤكم) آلهتكم (فزيلنا) فرقنا (بينهم) وبين آلهتهم فقال الكافرون أمرتنا هؤلاء ان نعبدهم من دونك (وقال شركاؤهم) آلهتهم ردا عليهم (ما كنتم ايانا تعبدون) بأمرنا فقالوا بلى أمرتونا

[illegible] ـوان وفي [illegible] في الجنة والزيادة هي اللقاء ﴿ ولا يرهق وجوههم ﴾ لا يغشاها ﴿ قتر ﴾ غبرة فيها سواد ﴿ ولا ذلة ﴾ هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار أو لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال ﴿ اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها ﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ﴾ عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو أو الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا زاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل أو التضعيف أو كأنما أغشيت وجوههم أو اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف أي فجزاء

بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب أن تكون الزيادة مخالفة له فالمذكور في الآية لفظ الحسنى وهي الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين فوجب ان الزيادة عليها تكون شيأ مغايرا لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية وأجيب عن قولهم ولان جماعة من المفسرين حملوا الزيادة على غير الرؤية بانه معارض بقول جماعة من المفسرين بان الزيادة هي الرؤية والمثبت مقدم على النافي والله أعلم * القول الثاني في معنى هذه الزيادة ما روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب * القول الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة [illegible] سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله سبحانه وتعالى ولدينا مزيد يقول يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف * القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد * القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا يرهق وجوههم ﴾ يعني ولا يغشى وجوه أهل الجنة ﴿ قتر ﴾ أي كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه ﴿ ولا ذلة ﴾ يعني ولا هوان قال ابن أبي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ يعني ان هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم أصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها أبدا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ﴾ اعلم انه لما شرح الله سبحانه وتعالى أحوال المحسنين وما اعدلهم من الكرامة شرح في هذه الآية حال من أقدم على السيآت والمراد بهم الكفار فقال سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيئات يعني والذين عملوا السيئات والمراد بها الكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها يعني فلهم جزاء السيئة التي عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيآت لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة الى العشرة الى السبعمائة الى أضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرما وأما السيآت فانه يجازى عليها [illegible]

(ولا يرهق وجوههم) ولا يغشى وجوههم (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثر هوان والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا) عطف للذين أحسنوا أي وللذين كسبوا (السيآت) فنون الشرك (جزاء سيئة بمثلها) الباء زائدة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو التقدير جزاء سيئة مقدرة بمثلها

(ولا يرهق) لا يعلو (وجوههم قتر) سواد ولا كسوف (ولا ذلة) ولا كآبة (أولئك أصحاب الجنة) أهل الجنة (هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات) الشرك بالله (جزاء سيئة بمثلها) يقول قصاص الشرك بالله النار

حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وا كثر وقيل الزيادة مغفرة

من النظر الى ربهم تبارك و تعالى زاد فى رواية ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة اخرجه مسلم ❀ وروى الطبرى بسنده عن كعب بن عجرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله الكريم ❀ وعن أبى بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكريم ❀ وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله ❀ وعن أبى موسى الاشعرى قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى اهل الجنة مناديا ينادى هل أنجزكم الله ماوعدكم به فينظرون الى ماأعدالله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين احسنوا الحسنى و زيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى ❀ وفى رواية رفعها أبوموسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكره بمعناه ❀ وعن عبدالرحمن بن أبى ليلى قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقى من حقكم شئ لم تعطوه قال فيتجلى لهم عز وجل قال فيصغر عندهم كل شئ أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والآثار قد دلت على أن المراد بهذه الزيادة هى النظر الى وجه الله تبارك وتعالى ❀ وأما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت الى المعهود السابق وهو الجنة فى قوله سبحانه وتعالى والله يدعوا الى دار السلام فثبت بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هو الجنة واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمرا مغايرا لكل مافى الجنة من النعيم والالزم التكرار واذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى ومما يؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فأثبت لاهل الجنة أمرين أحدهما النضارة وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثانى النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى ❀ وقالت المعتزلة لايجوز حمل هذه الزيادة على الرؤية لان الدلائل العقلية دلت على ان رؤية الله سبحانه وتعالى ممتنعة ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التى تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الرؤية فانتفى ماقلتم أجاب أصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلائل العقلية قد دلت على امكان وقوع رؤية الله تعالى فى الآخرة واذا لم يوجد فى العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الاحاديث الصحيحة باثبات الرؤية وجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة واجيب عن قولهم ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه بان المزيد عليه اذا كان

وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى الله تعالى فماأعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا للذين أحسنوا الحسنى وزيادة والعجب من صاحب الكشاف انه ذكر هذا الحديث لابهذه العبارة وقال انه حديث مدفوع مع انه مرفوع قد أورده صاحب المصابيح فى الصحاح وقيل الزيادة المحبة فى قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان

وقيل الزيادة فى الثواب

وهو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده ﴿للذين احسنوا الحسنى﴾ المثوبة الحسنى ﴿وزيادة﴾ وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل

يهدى من يشاء من خلقه الى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة أولا اظهارا للحجة وخص بالدعوة ثانيا استغناء عن الخلق واظهارا للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين (خ) عن جابر قال جاءت ملائكة الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها يفقهها فان العين نائمة والقلب يقظان فقال بعضهم الدار الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس * وفى رواية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى رأيت فى المنام كان جبريل عليه السلام عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول احدهما لصاحبه اضرب له مثلا ﴿ وعن النواس ابن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلا صراطا مستقيما على كنفى الصراط داران لهما أبواب مفتحة على ابواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو فوقه والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم والابواب التى على كنفى الصراط حدود الله فلا يقع أحد فى حدود الله حتى يكشف الستر والذى يدعو من فوقه واعظ ربه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله عز وجل ﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾ قال ابن عباس للذين شهدوا أن لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين أحسنوا عبادة الله فى الدنيا من خلقه وأطاعوه فيما أمرهم به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانبارى الحسنى فى اللغة تأنيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين أحسنوا المثوبة الحسنى ﴿وزيادة﴾ اختلف المفسرون فى معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على اقوال القول الاول ان الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وابو موسى الاشعرى وعبادة بن صامت رضى الله عنهم وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدى ويدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول أما المنقول فما روى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيأ أحب اليهم

الاسلام أو طريق السنة فالدعوة عامة على لسان رسول الله بالدلالة والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية والمعنى يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون (للذين أحسنوا) آمنوا بالله ورسله (الحسنى) المثوبة الحسنى وهى الجنة (وزيادة) رؤية الرب عز وجل كذا عن أبى بكر وحذيفة وابن عباس وأبى موسى الاشعرى وعبادة ابن الصامت رضى الله عنهم وفى بعض التفاسير أجمع المفسرون على ان الزيادة النظر الى الله تعالى وعن صهيب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض

وهو الاسلام (للذين أحسنوا الحسنى) وحدوا الحسنى الجنة (وزيادة) يعنى النظر الى وجه الله

لم تغن آنفا (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) فينتفعون بضرب الامثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه والتنبيه على حكمة التشبيه ان الحياة صفوها شبيبتها وكدرها شيبتها كما أن صفو الماء في أعلى الاناء قول ألم تران العمر كأس سلافة في أوله صفو وآخره كدره وحقيقته تزين جنة الطين بصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين فالطينة الطيبة تنبت بساتين الانس ورياحين الروح وزهرة الزهد وكروم الكرم وحبوب الحب وحدائق الحقيقة وشقائق الطريقة والخبيثة تخرج خلاف الخلف وثمام الاثم وشوك الشرك وشيح الشح وحطب العطب ولعاع اللعب ثم يدعوه معاده كما يحين للحرث حصاده فتزيله الحياة مغترا كما تهيج النبات مصفرا فتغيب جثته في الرمس كأن لم تغن بالامس الى ان يعود ربيع البعث وموعد العرض والبحث وكذلك حال الدنيا كالماء نفع قليله وهلاك كثيره ولا بد من ترك ما زاد كما لا بد من أخذ الزاد وآخذ المال لا يخلو من زلة كما ان خائض الماء لا ينجو من بلة وجمعه وامساكه تلف صاحبه واهلاكه فدون النصاب بضحضاح ماء يجاوز بلا احتماء والنصاب كنهر حائل بين المجتاز والجواز الى المفاز لا يمكن الا بقنطرة وهي الزكاة وعمارتها بذل الصلاة فمتى اختلت القنطرة غرقته أمواج القناطير المقنطرة وعن هذا قال عليه السلام الزكاة قنطرة الاسلام وكذا المال يساعد الاوغاد دون الاجواد كما ان الماء يجتمع في الوهاد دون النجاد وكذلك المال لا يجتمع الا بكد البخيل كما أن الماء لا يجتمع الا بسد المسيل ثم يفنى ويتلف ولا يبقى كالماء في الكف (والله يدعوا الى دار السلام) هي الجنة أضافها الى اسمه تعظيما لها أو السلام السلامة لان أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما (ويهدي من يشاء) ويوفق من يشاء (الى صراط مستقيم) الى

وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ فانهم المنتفعون به ﴿والله يدعوا الى دار السلام﴾ دار السلامة من التقضي والآفة أو دار الله وتخصيص هذا الاسم للتنبيه على ذلك أو دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ﴿ويهدي من يشاء﴾ بالتوفيق ﴿الى صراط مستقيم﴾

انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية القصوى أتته آفة فتلف فكذلك ثم ان الله سبحانه وتعالى قادر على اعادته كما كان أول مرة فضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليدل على ان من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على اعادة الاموات أحياء في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم فيثيب الطائع ويعاقب العاصي ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ يعني كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك سببا موجبا لزوال الشك والشبهة من القلوب ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿والله يدعوا الى دار السلام﴾ لما ذكر الله زهرة الحياة الدنيا وانها فانية زائلة لا محالة دعا الى داره دار السلام قال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه انه سبحانه وتعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغير وقيل انه سبحانه وتعالى يوصف بالسلام لان الخلق سلموا من ظلمه وقيل انه تعالى يوصف بالسلام بمعنى ذي السلام أي لا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والآفات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلامة والمعنى ان من دخلها فقد سلم من جميع الآفات كالموت والمرض والمصائب والحزن والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها أو تسلم الملائكة عليهم قيل ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل على ان فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعوا الا الى عظيم ولا يصف الا عظيما وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه ﴿ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم﴾ يعني والله

بالامس (كذلك) هكذا (نفصل الآيات) نبين القرآن في فناء الدنيا (لقوم يتفكرون) في أمر الدنيا والآخرة (والله يدعوا) الخلق بالتوحيد (الى دار السلام) والسلام هو الله والجنة داره (ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) دين قائم يرضاه

من الزروع والبقول والحشيش ﴿حتى اذا أخذت الارض زخرفها﴾ حسنها وبهجتها ﴿وازينت﴾ تزينت بصنوف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين وتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وتدترى على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازينت كابياضت ﴿وظن اهلها انهم قادرون عليها﴾ متمكنون من حصادها ورفع غلتها ﴿أتاها أمرنا﴾ ضرب زرعها ما يجتاحه ﴿ليلا أو نهارا فجعلناها﴾ فجعلنا زرعها ﴿حصيدا﴾ شبيها بما حصد من اصله ﴿كأن لم تغن﴾ كأن لم يغن زرعها أي لم تنبت والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل ﴿بالامس﴾ فيما قبله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة

﴿حتى اذا أخذت الارض زخرفها﴾ يعني حسنها ونضارتها وبهجتها وأظهرت ألوان زهرها من أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من الزهور ﴿وازينت﴾ أي وتزينت ﴿وظن أهلها﴾ يعني أهل تلك الارض ﴿أنهم قادرون عليها﴾ يعني على جدادها وقطافها وحصادها ردا للكناية الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة ﴿أتاها أمرنا﴾ أي قضاؤنا باهلاكها ﴿ليلا أو نهارا﴾ يعني في الليل او النهار ﴿فجعلناها حصيدا﴾ يعني محصودة مقطوعة ﴿كأن لم تغن بالامس﴾ يعني كأن لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الارض وأصله من غني فلان بالمكان اذ أقام به وهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للمتشبثين بالدنيا الراغبين في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحيوة الدنيا أتبعه بهذا المثل لمن بغى في الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا وأعرض عن الآخرة لان النبات في أول بروزه من الارض ومبدأ خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوي وحسن واكتسى كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء وجعلت الارض آخذة زخرفها على التشبيه بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله سبحانه وتعالى أرسل على هذه الارض صاعقة أو بردا أو ريحا فجعلها حصيدا كأن لم تكن من قبل قال قتادة ان المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون ووجه التمثيل أن غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته أتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل أن يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع اذا

يعني الحشيش (حتى أذا أخذت الارض زخرفها) زينتها بالنبات واختلاف ألوانه (وازينت) وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء في الزاء وهو كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين (وظن أهلها) أهل الارض (أنهم قادرون عليها) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها (أتاها أمرنا) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم انه قد سلم (ليلا أو نهارا فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) كأن لم يغن زرعها أي لم يلبث حذف المضاف في هذه المواضع لابد منه ليستقيم المعنى (بالامس) هو مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن

من النبات والحشيش (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) زينتها (وازينت) بالاحمر والاصفر والاخضر (وظن أهلها) الحراثون (أنهم قادرون عليها) على غلاتها (أتاها أمرنا) عذابنا (ليلا أو نهارا) كما داست الغنم في حوافها فتفسد زروع الزراعين (فجعلناها حصيدا) كحصيد لصيف (كأن لم تغن بالامس) لم تكن (انتهى)

باطلا أى مبطلين (يا أيها النـاس انمـا بغيكم على أنفسكم) أى ظلمكم يرجع اليكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها (متاع الحيوة الدنيا) حفص أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر لبغيكم غيره بالرفع على انه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم

ومعناه انما بغيكم على امثالكم أوهو خبر

فانها افساد بحق ﴿ يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم ﴾ فان وباله عليكم أوانه على امثالكم و ابناء جنسكم ﴿ متاع الحيوة الدنيا ﴾ منفعة الحياة الدنيا لاتبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته أوخبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد أى تتمعون متاع الحياة الدنيا أومفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور أوضلال أومفعول فعل دل عليه البغى وعلى انفسكم خبره ﴿ ثم الينا مرجعكم ﴾ فى القيامة ﴿ فننبئكم بما كنتم تعملون ﴾ بالجزاء عليه ﴿ انما مثل الحيوة الدنيا ﴾ حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار النـاس بها ﴿ كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض ﴾ فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا ﴿ مما يأكل الناس والانعام ﴾

مجاوزة الحد قال صاحب المفردات البغى على ضربين أحدهما محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثانى مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل أو الى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت مامعنى قوله بغير الحق والبغى لايكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة ﴿ يا أيها النـاس انما بغيكم على أنفسكم ﴾ يعنى ان وبال بغيكم راجع عليكم ﴿ متاع الحيوة الدنيا ﴾ قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بغى بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لايصلح لزاد الآخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم لايتهيأ أن يبغى بعضكم على بعض الا أياما قليلة وهى مدة حياتكم مع قصرها فى سرعة انقضائها والبغى من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لاندك الباغى وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعرا وكان المأمون يتمثل به فقال

يا صاحب البغى ان البغى مصرعة * فارجع فخير مقال المرء أعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله

* وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ثم الينا مرجعكم ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ فننبئكم ﴾ أى فنخبركم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ يعنى فى الدنيا من البغى والمعاصى فنجازيكم عليها * قوله عزوجل ﴿ انما مثل الحيوة الدنيا ﴾ يعنى فى فنائها وزوالها ﴿ كماء أنزلناه من السماء ﴾ يعنى المطر ﴿ فاختلط به ﴾ أى بالمطر ﴿ نبات الارض ﴾ قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون ﴿ مما يأكل الناس ﴾ يعنى من الحبوب والثمار ﴿ والانعام ﴾ يعنى ومما يأكل الانعام من الحشيش ونحوه

ومتاع خبر بعد خبر أومتاع خبر مبتدأ مضمر أى هو متاع الحياة الدنيا وفى الحديث أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغى وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله ومن نكث فانما ينكث على نفسه (ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) فنخبركم به ونجازيكم عليه (انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء) من السحاب (فاختلط به) بالماء (نبات الارض) أى فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مما يأكل الناس) يعنى الحبوب والثمار والبقول (والانعام)

بلاحق (يا أيها النـاس) يا أهل مكة (انما بغيكم)

ظلمكم وتطاولكم فيما بينكم (على انفسكم) جنايته (متاع الحيوة الدنيا) منافع الدنيا تفنى ولا تبقى (ثم الينا مرجعكم) بعد الموت (فننبئكم) نخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير والشر (انما مثل الحيوة الدنيا) فى بقائها وفنائها (كماء انزلناه من السماء) يعنى المطر (فاختلط به نبات الارض) اختلط بنبات الارض (يأكل الناس) الحبوب والثمار (والانعام) العكوش

(وفرحوا) بتلك الريح للينها واستقامتها (جاءتها) أى الفلك أو الريح الطيبة أى تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف أى شديدة الهبوب (وجاءهم الموج) هو

الماء (من كل مكان) من البحر أو من جميع أمكنة الموج (وظنوا انهم أحيط بهم) أهلكوا جعل احاطة العدو بالحى مثلا فى الاهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك به لانهم لايدعون حينئذ معه غيره يقولون (لئن أنجيتنا من هذه) الاهوال أو من هذه الريح (لنكونن من الشاكرين) لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما فى حيزها كأنه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكانت كيت وكيت من مجئ الريح العاصف وتراكم الامواج والظن والهلاك والدعاء بالانجاء وجواب اذا جاءتها ودعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به (فلما أنجاهم اذاهم يبغون فى الارض) يفسدون فيها (بغير الحق)

(وفرحوا بها) اعجب الملاحون بالريح الساكنة (جاءتها) أى السفن (ريح عاصف) قاصف شديد (وجاءهم الموج) ركبهم الموج (من كل مكان) ناحية (وظنوا) علموا وايقنوا (انهم أحيط بهم) أهلكوا (دعوا الله مخلصين له الدين) مفردين له بالدعاء (لئن أنجيتنا من هذه) الريح والشدة (لنكونن من الشاكرين) من المؤمنين المطيعين (فلما أنجاهم) من الريح والغرق (اذاهم يبغون) يتطاولون (فى الارض بغير الحق) مجاوزة

الهبوب ﴿وفرحوا بها﴾ بتلك الريح ﴿جاءتها﴾ جواب لاذا والضمير للفلك أو الريح الطيبة بمعنى تلقتها ﴿ريح عاصف﴾ ذات عصف شديدة الهبوب ﴿وجاءهم الموج من كل مكان﴾ يجئ الموج منه ﴿وظنوا انهم احيط بهم﴾ اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم ﴿لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ على ارادة القول أو مفعول دعوا لانه من جملة القول ﴿فلما انجاهم﴾ اجابة لدعائهم ﴿اذاهم يبغون فى الارض﴾ فاجاؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه ﴿بغير الحق﴾ مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم

يعنى وجرت السفن بريح طيبة ساكنة ﴿وفرحوا بها﴾ يعنى وفرح ركبان تلك الفلك بتلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك ﴿جاءتها ريح عاصف﴾ قيل ان الضمير فى جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فأقبلتها وقيل الضمير فى جاءتها يرجع الى الفلك يعنى جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت وأصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه أراد به ذات عصوف أو لاجل ان لفظ الريح قد يذكر ﴿وجاءهم الموج من كل مكان﴾ يعنى وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من غوارب الماء فى البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه ﴿وظنوا انهم أحيط بهم﴾ يعنى وظنوا ان الهلاك قد أحاط بهم وأحدق وقيل المراد من الظن اليقين أى وأيقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ يعنى انهم أخلصوا فى الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا أحدا سواه من آلهتهم وقيل فى معنى هذا الاخلاص العلم والحقيقى لا اخلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة أنه لا ينجيهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا فى شدة وضر وبلاء أخلصوا لله الدعاء ﴿لئن أنجيتنا﴾ أى قائلين لئن أنجيتنا يا ربنا ﴿من هذه﴾ يعنى من هذه الشدائد التى نحن فيها وهى الريح العاصفة والامواج الشديدة ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ يعنى من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة ﴿فلما انجاهم﴾ يعنى فلما انجى الله هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من الشدة التى كانوا فيها ﴿اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق﴾ يعنى انهم أخلفوا الله ما وعدوه وبغوا فى الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصى على ظهرها وأصل البغى

[illegible] فى آيات الله ويكيدون رسوله ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]
قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج او الجزاء على المكر ﴿ان رسلنا يكتبون ماتمكرون﴾ تحقيق للانتقام وتنبيه على ان مادبروا فى اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ماقبله ﴿هو الذى يسيركم﴾ يحملكم على السير ويمكنكم منه ﴿فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك﴾ فى السفن ﴿وجرين بهم﴾ بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم ﴿بريح طيبة﴾ لينة

من الاسماء والانواء عند العرب هى منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون فى الجاهلية انه لابد عند ذلك من وجود مطر أوريح كما يزعم المنجمون أيضا فمن العرب من يجعل ذلك التأثير للطالع لانه ناء أى ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب فنفى النبى عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التأثير وأما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة واما من أسند ذلك الى العادة التى يجوز انخرامها فقد كرهه قوم وحرمه قوم ومنهم من تأول الكفر بكفر نعمة الله والله أعلم وسمى تكذيبهم بآيات الله مكرا لان المكر عبارة عن صرف الشئ عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يحتالون فى دفع آيات الله بكل مايقدرون عليه من المفاسد ﴿قل الله أسرع مكرا﴾ أى قل لهم يامحمد الله أعجل عقوبة وأشد أخذا وأقدر على الجزاء وان عذابه فى هلاككم أسرع اليكم مما يأتى منكم فى دفع الحق ولما قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة ﴿ان رسلنا يكتبون ماتمكرون﴾ يعنى الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الاعمال القبيحة السيئة الى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم * قوله تعالى ﴿هو الذى يسيركم فى البر والبحر﴾ يعنى هو الله الذى يسيركم يعنى يحملكم فى البر على ظهور الدواب وفى البحر على الفلك وقيل معناه هو الله الهادى لكم فى السير فى البر والبحر طلبا للمعاش أوهو المهيئ لكم أسباب السير فى البر والبحر ﴿حتى اذا كنتم فى الفلك﴾ يعنى السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع وتقديراهما مختلفان فان أريد بها الواحد كان كبناء قفل وان أريد بها الجمع كان كبناء أسد والمراد بها هنا الجمع لقوله تعالى ﴿وجرين بهم﴾ يعنى وجرت السفن بركابها فان قلت مافائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بمنزلة الخبر عن الغائب وكل من أقام الغائب مقام المخاطب حسن منه ان يرده الى الغائب وقيل ان الالتفات فى الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس من فصيح كلام العرب ﴿بريح طيبة﴾

[illegible] فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء (ان رسلنا) يعنى الحفظة (يكتبون ما تمكرون) اعلام بان ما تظنونه خافيا لايخفى على الله وهو منتقم منكم وبالياء سهل (هو الذى يسيركم فى البر والبحر) يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية فى البحار أوخلق فيكم السير ينشركم شامى (حتى اذا كنتم فى الفلك) أى السفن (وجرين) أى السفن (بهم) بمن فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة (بريح طيبة) لينة الهبوب لاعاصفة ولاضيفة

(قل الله أسرع مكرا) أشد عقوبة أهلكهم الله يوم بدر (ان رسلنا) الحفظة (يكتبون ماتمكرون) ماتقولون من الكذب وتعملون من المعاصى (هو الذى يسيركم) يحفظكم اذا سافرتم (فى البر) على الدواب (والبحر) وفى البحر فى السفن (حتى اذا كنتم فى الفلك) ركبتم فى السفن (قا و خا ٣١ لث) (وجرين بهم) جرت السفن بأهلها (بريح طيبة) لينة ساكنة

وعقاب (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) أى آية من الآيات التى اقترحوه (فقل انما الغيب لله) أى هو المختص بعلمه فهو العالم بالصارف عن انزال الآيات المقترحة لاغير (فانتظروا) نزول ما اقترحتموه (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات (واذا أذقنا الناس) أهل مكة (رحمة) خصبا وسعة (من بعد ضراء مستهم) يعنى القحط والجوع (اذا لهم مكر فى آياتنا) اى مكروا بآياتنا بدفعها وانكارها روى انه تعالى سلط القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه فاذا الاولى للشرط والثانية جوابها وهى للمفاجأة وهو كقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أى وان تصبهم سيئة قنطوا واذا أذقنا الناس رحمة مكروا والمكر اخفاء الكيد وطية من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم

﴿ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه﴾ أى من الآيات التى اقترحوها ﴿فقل انما الغيب لله﴾ هو المختص بعلمه فلعله يعلم فى انزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها ﴿فانتظروا﴾ لنزول ما اقترحتموه ﴿انى معكم من المنتظرين﴾ لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل عليه من الآيات العظام واقتراحكم غيره ﴿واذا اذقنا الناس رحمة﴾ صحة وسعة ﴿من بعد ضراء مستهم﴾ كقحط ومرض ﴿اذا لهم مكر فى آياتنا﴾ بالطعن فيها والاحتيال فى دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا

فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم فى الدنيا فادخل المؤمنين الجنة بايمانهم وأدخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله انه لايؤاخذ أحدا الابعد اقامة الحجة عليه وقيل الكلمة التى سبقت من الله هى قوله ان رحمتى سبقت غضبى ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة فى الدنيا ولكن أخرهم برحمته الى يوم القيامة ثم تقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعنى فى الدنيا ﴿ويقولون﴾ يعنى كفار مكة ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ يعنى هلا نزل على محمد ما نقترحه عليه من الآيات ﴿فقل﴾ أى فقل لهم يا محمد ﴿انما الغيب لله﴾ يعنى ان الذى سألتمونيه هو من الغيب وانما الغيب لله لايعلم أحد ذلك الاهو والمعنى لايعلم أحد متى نزول الآية الاهو ﴿فانتظروا﴾ يعنى نزولها ﴿انى معكم من المنتظرين﴾ وقيل معناه فانتظروا قضاء الله بيننا باظهار الحق على المبطل انى معكم من المنتظرين * قوله عز وجل ﴿واذا أذقنا الناس رحمة﴾ يعنى رخاء ونعمة ﴿من بعد ضراء مستهم﴾ يعنى من بعد شدة و بلاء وضيق فى العيش أصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله سبحانه و تعالى رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى أخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى الفساد و الكفر والمكر وهو قوله سبحانه و تعالى ﴿اذا لهم مكر فى آياتنا﴾ قال مجاهد أى تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان لايقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ماروى عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب أخرجاه فى الصحيحين * قوله على أثر سماء كانت من الليل أى مطر كان قد وقع فى الليل وسمى المطر سماء لانه يقطر

(ويقولون) يعنى كفار مكة (لولا أنزل عليه) هلا أنزل على محمد عليه السلام (آية) علامة (من ربه) على ما يقول (فقل) يا محمد (انما الغيب لله فانتظروا) هلاك الآية (انى معكم من المنتظرين) لهلاككم (واذا أذقنا الناس) أعطينا الكفار (رحمة) نعمة (من بعد ضراء) شدة (مستهم) أصابتهم (اذا لهم مكر) تكذيب (فى آياتنا) بمحمد عليه السلام والقرآن

وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق أن يشرك به ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ عن اشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به ٠ وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الموضعين فى أول النحل والروم بالتاء ﴿ وما كان الناس الا امة واحدة ﴾ موجودين على الفطرة أو متفقين على الحق و ذلك فى عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان او على الضلال فى فترة من الرسل ﴿ فاختلفوا ﴾ باتباع الهوى والاباطيل أو ببعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ بتأخير الحكم بينهم أو العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء ﴿ لقضى بينهم ﴾ عاجلا ﴿ فيما فيه يختلفون ﴾ باهلاك المبطل وابقاء المحق

لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب أن لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور فى العرف فان الانسان أذا أراد نفى شئ حصل فى نفسه يقول ماعلم الله ذلك منى مقصوده انه ماحصل ذلك الشئ منه قط ولا وقع ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى أن يكون له شريك فى السموات والارض ولا يعلمه * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ﴾ يعنى فتفرقوا الى مؤمن وكافر يعنى كانوا جميعا على الدين الحق وهو دين الاسلام ويدل على ذلك ان آدم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى أن قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا و قيل بقوا على ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى أن غيره عمرو بن لحى فعلى هذا القول يكون المراد من الناس فى قوله وما كان الناس الا أمة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس أمة واحدة يعنى فى الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره انه لا مطمع فى أن يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا أولا على الكفر وانما أسلم بعضهم ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس أمة واحدة وليس فى الآية مايدل على أى دين كانوا من ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا فى أول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا فى الاديان واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه والمراد بالفطرة فى الحديث فطرة الاسلام * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى جعل لكل أمة أجلا و قضى بذلك فى سابق الازل قال الكلبى هى امهال هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب ﴿ لقضى بينهم ﴾ يعنى بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين وكان ذلك فصلا بينهم ﴿ فيما فيه يختلفون ﴾ وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعنى مضت فى حكمة الله انه لا يقضى عليهم فيما اختلفوا

فيهما فهو معدوم (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه ذاته عن ان يكون له شريك وبالتاء حمزة وعلى وما موصولة أو مصدرية أى عن الشركاء الذين تشركونهم به أو عن اشراكهم (وما كان الناس الا أمة واحدة) حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك فى عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا (فاختلفوا) فصاروا مللا (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) عاجلا (فيما فيه يختلفون) فيما اختلفوا فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته لحكمة وهى ان هذه الدار دار تكليف وتلك الدار دار ثواب

غيره (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (وتعالى) ارتفع وتبرأ (عما يشركون) به من الاوثان (وما كان الناس) فى زمان ابراهيم ويقال فى زمن نوح (الا أمة واحدة) على ملة واحدة ملة الكفر فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين (فاختلفوا) فصاروا مؤمنين وكافرين (ولولا كلمة) بتأخير العذاب عن هذه الامة (سبقت من ربك) وجبت من ربك (لقضى بينهم) لهلكوا (فيما فيه) فى الدين (يختلفون) يخالفون

يريد افتراء المشركين على الله فى أنه ذو شريك وذو ولد وان

افترى على الله كذبا ﴾ تفاديا مما اضافوه اليه كناية أو تظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى فى قولهم انه ذو شريك وذو ولد ﴿ أو كذب بآياته ﴾ فكفر بها ﴿ انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ﴾ لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغى ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى يعود عبادته بجلب نفع أو دفع ضر ﴿ ويقولون هؤلاء ﴾ الاوثان ﴿ شفعاؤنا عندالله ﴾ تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفى الآخرة ان يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده ﴿ قل أتنبئون الله ﴾ أتخبرون ﴿ بما لا يعلم ﴾ وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم أو هؤلاء شفعاؤنا عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما ﴿ فى السموات ولا فى الارض ﴾ حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفى منبهة على ان ما يعبدون دون الله اما سماوى واما ارضى ولا شئ من الموجودات فيهما الا

افترى على الله كذبا ﴾ يعنى فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى انى لم أفتر على الله كذبا ولم أكذب عليه فى قولى ان هذا القرآن من عندالله وأنتم قد افتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله تعالى منزه عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القرآن لو لم يكن من عندالله لما كان أحد فى الدنيا أظلم على نفسه منى من حيث انى افتريته على الله ولما كان هذا القرآن من عندالله أوحاه الى وجب أن يقال ليس أحد فى الدنيا أجهل ولا أظلم على نفسه منكم من حيث انكم أنكرتم أن يكون هذا القرآن من عندالله فقد كذبتم بآياته وهو قوله تعالى ﴿ أو كذب بآياته ﴾ يعنى جحد بكون القرآن من عندالله وأنكر دلائل التوحيد ﴿ انه لا يفلح المجرمون ﴾ يعنى المشركين وهذا وعيد وتأكيد لما سبق ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ﴾ يعنى ويعبد هؤلاء المشركون الاصنام التى لا تضرهم ان عصوها وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع وان العبادة أعظم أنواع التعظيم فلا تليق الا بمن يضر وينفع ويحيى ويميت وهذه الاصنام جماد وحجارة لا تضر ولا تنفع ﴿ ويقولون هؤلاء ﴾ يعنى الاصنام التى يعبدونها ﴿ شفعاؤنا عندالله ﴾ قال أهل المعانى توهموا ان عبادتها أشد فى تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لسنا بأهل أن نعبدالله ولكن نشتغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شافعة لنا عندالله ومنه قوله سبحانه وتعالى اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفى هذه الشفاعة قولان أحدهما انهم يزعمون أنها تشفع لهم فى الآخرة قال ابن جريج عن ابن عباس والثانى انها تشفع لهم فى الدنيا فى اصلاح معايشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿ أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض ﴾ يعنى أتخبرون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا فى السموات ولا فى الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفى علم الله بذلك الشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا

افترى على الله كذبا) يحتمل أن يكون تفاديا مما أضافوه اليه من الافتراء (او كذب بآياته) بالقرآن فيه بيان ان الكاذب على الله والمكذب بآياته فى الكفر سواء (انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم) ان تركوا عبادتها (ولا ينفعهم) ان عبدوها (ويقولون هؤلاء) أى الاصنام (شفعاؤنا عندالله) أى فى أمر الدنيا ومعيشتها لانهم كانوا لا يقرون بالبعث وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت أو يوم القيامة ان يكن بعث ونشور (قل أتنبؤن الله بما لا يعلم) أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيأ وقوله (فى السموات ولا فى الارض) تأكيد لنفيه لان ما لم يوجد

افترى) اختلق (على الله كذبا أو كذب بآياته) بمحمد عليه السلام والقرآن (انه لا يفلح) لا ينجو ولا يأمن (المجرمون) المشركون من عذاب الله (ويعبدون) كفار مكة (من دون الله ما لا يضرهم) ان لم يعبدو فى الدنيا ولا فى الآخرة (ولا ينفعهم) ان عبدوا فى الدنيا ولا فى الآخرة (ويقولون هؤلاء) يعنون الاوثان (شفعاؤنا) يشفعون لنا (عندالله قل لهم يا محمد (أتنبئون الله) أتخبرون الله (بما لا يعلم) ان ليس (فى السموات ولا فى الارض) اله ينفع أو يضر (لعلمه)

قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا عن كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمى الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على ماهى عليه علم انه معلم به من الله تعالى ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أى أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله ﴿ فمن اظلم ممن

جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الاحكام والآداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما أعجز البلغاء والفصحاء عن معارضته فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحى من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله ﴿ أفلا تعقلون ﴾ يعنى ان هذا القرآن من عند الله أوحاه الى لا من قبل نفسى (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فمكث ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم أمر بالهجرة فهاجر الى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفى صلى الله عليه وسلم وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه سلم أقام بمكة ثلاث عشرة سنه يوحى اليه وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيأ وثمان سنين يوحى اليه وأقام بالمدينة عشرا وتوفى وهو ابن خمس وستين سنة أخرجاه فى الصحيحين (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة أخرجاه فى الصحيحين (م) عن أنس رضى الله عنه قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين أخرجه مسلم (ق) عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن رضى الله عنه قال سمعت أنس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير أزهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم ليس بجعد قطط ولا سبط رجل أنزل عليه الوحى وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحى وبالمدينة عشرا وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء أخرجاه فى الصحيحين * قال الشيخ محيي الدين النووى ورد فى عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم توفى وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهى أصحها وأشهرها رواها مسلم من حديث أنس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على ان أصحها ثلاث وستون سنة وتأولوا الباقى عليه فرواية ستين سنة اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس متأولة أيضا بأنها حصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعنى صوت الهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعنى نور الملائكة أو نور آيات الله حتى رأى الملك بعينه وشافهه بالوحى من الله عز وجل * وقوله ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو كريه المنظر وربما توهم الناظر أنه برص والمراد انه كان أزهر اللون بين البياض والحمرة * قوله عز وجل ﴿ فمن أظلم ممن

(أفلا تعقلون) فتعلموا انه ليس الا من عند الله لا من مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قوله ائت بقرآن غير هذا [illegible] اضافة الافتراء اليه (فمن أظلم ممن

ولم أقل من هذا شيأ (أفلا تعقلون) أفليس لكم ذهن الانسانية انه ليس من تلقاء نفسى (فمن اظلم) اعتى واجرأ على الله (ممن

... (ان أتبع الا مايوحى الى) لاأتبع الا وحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذى أتيت به من
... لا من عندى فابدله (انى أخاف ان عصيت ربى) بالتبديل من عند نفسى (عذاب يوم عظيم) أى يوم القيامة
اما الاتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا انهم ... لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء
... هذا ... ولا يحتمل ... يريدوا بقولهم ائت بقرآن غير هذا ... من جهة الوحى لقوله انى أخاف ان عصيت ربى

ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل القرآن مكانه آخر واما اقتراح التبديل فلاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما أن يهلكه الله فينجوا منه أو لا يهلكه فيسخروا منه فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم) يعنى ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واظهاره أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل أمى لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يغلب كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم الاصول والفروع والاخبار عن الغيوب التى لا يعلمها الا الله (ولا ادراكم به) ولا اعلمكم الله بالقرآن على لسانى (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) من قبل نزول القرآن أى فقد أقمت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفونى متعاطيا شيأ من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفا بعلم وبيان فتتهمونى باختراعه (جاءهم)

لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر ﴿ ان اتبع الا مايوحى الى ﴾ تعليل لما يكون فان المتبع لغيره فى امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه عصيانا فقال ﴿ انى اخاف ان عصيت ربى ﴾ أى بالتبديل ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح ﴿ قل لو شاء الله ﴾ غير ذلك ﴿ ماتلوته عليكم ولا ادراكم به ﴾ ولا اعلمكم به على لسانى ٭ وعن ابن كثير ولأدراكم به بلام التأكيد أى لو شاء الله ماتلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيرى ٭ وقرئ ولا ادرأكم ولا ادرأتكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة أو على انه من الدرء بمعنى الدفع أى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤننى بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتى حتى اجعله على نحو ماتشتهونه ثم قرر ذلك بقوله ﴿ فقد لبثت فيكم عمرا ﴾ مقدار عمر اربعين سنة ﴿ من قبله ﴾ من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ

الى ومابنبغى لى ان أغيره من قبل نفسى ولم أومر به ﴿ ان أتبع الا مايوحى الى ﴾ يعنى فيما آمركم به أو أنهاكم عنه وفيما أخبركم الا ما يخبرنى الله به وان الذى أتيتكم به هو من عند الله لا من عندى ﴿ انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴾ أى قل لهم يامحمد انى أخشى من الله ان خالفت أمره أو غيرت أحكام كتابه أو بدلته فعصيته بذلك أن يعذبنى بعذاب عظيم فى يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ٭ قوله سبحانه وتعالى ﴿ قل ﴾ أى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله ﴿ لو شاء الله ماتلوته عليكم ﴾ يعنى لو شاء الله لم ينزل على هذا القرآن ولما يأمرنى بقراءته عليكم ﴿ ولا أدراكم به ﴾ قال ابن عباس ولا أدراكم الله به ولا أعلمكم به ﴿ فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ﴾ يعنى فقد مكثت فيكم قبل أن يوحى الى هذا القرآن مدة أربعين سنة لم آتكم بشئ ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعلموا أحواله وانه كان أميا لم يطالع كتابا ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحى وذلك أربعون سنة ثم بعد الاربعين

من قبل نفسى (ان أتبع الا مايوحى الى) ما أقول وما أعمل الا بما يوحى الى فى القرآن (انى اخاف) أعلم (ان عصيت ربى) فبدلته ان يكون على (عذاب يوم عظيم) شديد (قل) يامحمد (لو شاء الله) ان لا أكون رسولا (ماتلوته عليكم) ماقرأت القرآن عليكم (ولا ادراكم به) يقول ولا أعلمكم به بالقرآن (فقد لبثت) مكثت (فيكم عمرا) أربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن

على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ماقبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر فى الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لاهى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا﴾ يعنى المشركين ﴿ائت بقرآن غير هذا﴾ بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه مانستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أوما نكرهه من معائب آلهتنا ﴿أوبدله﴾ بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كى يسعفهم اليه فيلزموه ﴿قل ما يكون لى﴾ مايصح لى ﴿ان ابدله من تلقاء نفسى﴾ من قبل نفسى وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل

والنظر هنا بمعنى العلم يريد لنختبر أعمالكم وهو يعلم مايكون قبل أن يكون قال اهل المعانى معنى النظر هو طلب العلم وجاز فى وصف الله سبحانه وتعالى اظهارا للعدل لانه سبحانه وتعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله تبارك وتعالى ليبلوكم أيكم احسن عملا ذكره الواحدى والرازى (م) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء أخرجه مسلم • قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء • قوله سبحانه وتعالى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ يعنى واذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذى أنزلناه اليك يا محمد بينات يعنى واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك ﴿قال الذين لايرجون لقاءنا﴾ يعنى قال هؤلاء المشركون الذين لايخافون عذابنا ولايرجون ثوابنا لانهم لايؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لايرجون ثوابا ولايخاف عقابا ﴿ائت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومى والوليد بن المغيرة ومكرز ابن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبى قيس العامرى والعاص بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد أن نؤمن بك فأت بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزله الله عليك فقل أنت من عند نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الامام فخر الدين الرازى اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين • أحدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لو جئتنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدلته لآمنا بك وغرضهم السخرية والاستهزاء • الثانى أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذبا فى قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله يحتمل أن يأتى بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لايكون الا مع وجوده وهو ان يبدل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يجيبهم بقوله ﴿قل﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء ﴿مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى﴾ يعنى ان هذا الذى طلبتموه من التبديل ليس

وكيف فى محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله والمعنى انتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون أبالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم قال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) حال (قال الذين لايرجون لقاءنا) لما غاظهم مافى القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد لاهل الطغيان (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك (أوبدله) بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بأن يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله (قل مايكون لى) مايحل لى (أن أبدله من تلقاء نفسى)

من الخير (واذا تتلى عليهم) تقرأ على المستهزئين الوليد بن المغيرة وأصحابه (آياتنا بينات) مبينات بالامر والنهى (قال الذين لايرجون لقاءنا) لايخافون البعث بعد الموت وهم مستهزؤن (ائت) يا محمد (بقرآن غير هذا أو بدله) غيره جعل آية الرحمة آية العذاب وآية العذاب آية الرحمة (قل) لهم يا محمد (مايكون لى) مايجوز لى (أن أبدله) أن أغيره (من تلقاء نفسى)

واتباع الكفر (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) أشركوا وهو ظرف لاهلكنا والواو فى (وجاء
تهم رسلهم) للحال أى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم (بالبينات) بالمعجزات (وماكا

نوا ليؤمنوا) ان بقوا ولم يهلكوا لان الله علم منهم انهم يصرون على كفرهم ... على ... والعرض واللام لتأكيد النفى يعنى أن السبب فى اهلاكهم تكذيبهم للرسل وعلم الله أنه لافائدة فى امهالهم بعد ان ألزموا الحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعنى الاهلاك (نجزى القوم المجرمين) وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أى استخلفناكم فى الارض بعد القرون التى اهلكناها (لننظر كيف تعملون) أى

فى الشهوات والاعراض عن العبادات ﴿ولقد اهلكنا القرون من قبلكم﴾ يا اهل مكة ﴿لما ظلموا﴾ حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ماينبغى ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد أو عطف على ظلموا ﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفى ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لافائدة فى امهالهم ﴿نجزى القوم المجرمين﴾ نجزى كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ﴿ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم﴾ استخلفناكم فيها بعد القرون التى اهلكناها استخلاف من يختبر ﴿لننظر كيف تعملون﴾ أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم

وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد فى كل شئ وانما سمى الكافر مسرفا لانه أتلف نفسه وضيعها فى عبادة الاصنام وأتلف ماله وضيعه فى البحائر والسوائب وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدنتها يعنى خدامها وقال ابن جريج فى قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعنى من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم وبيان مقصود الآية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه الضر أقبل على الدعاء والتضرع فى جميع حالاته مجتهدا فى الدعاء طالبا من الله ازالة مانزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع الى ماكان عليه أولا وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فأما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلاء شاكرا لله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء فى جميع أوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام أعلى من هذا وهو ان المؤمن اذا ابتلى ببلية أو نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضاء الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل فى جميع أحواله وليعلم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكيم فى جميع افعاله وله التصرف فى خلقه بما يشاء ويعلم انه ان أبقاه على تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿ولقد اهلكنا القرون من قبلكم﴾ يعنى أهلكنا الامم الماضية من قبلكم نخوف بذلك كفار مكة ﴿لما ظلموا﴾ يعنى لما أشركوا ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ يعنى فكذبوهم ﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ يعنى هذه الامم برسلهم ويصدقوهم بما جاؤا به من عند الله ﴿كذلك نجزى القوم المجرمين﴾ يعنى كما اهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم أيها المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم﴾ الخطاب لاهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم أيها الناس خلفاء فى الارض من بعد القرون الماضية الذين أهلكناهم ﴿لننظر كيف تعملون﴾ يعنى خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب أعمالكم

الدعاء فى الرخاء (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) حين كفروا (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهى والعلامات (وما كانوا ليؤمنوا) يقول لم يؤمنوا بما كذبوا به يوم الميثاق (كذلك) هكذا (نجزى القوم المجرمين) المشركين بالهلاك (ثم جعلناكم) يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم (خلائف) استخلفناكم (فى الارض من بعدهم) من بعد هلاكهم (لننظر كيف تعملون) ماذا تعملون ﴿ والنظر ﴾

تعالى * وقرئ لقضينا ﴿ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون ﴾ عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا ... واستدراجا ﴿ واذا مس الانسان الضر دعانا ﴾ لازالته مخلصا فيه ﴿ لجنبه ﴾ ملقى لجنبه أى مضطجعا ﴿ أو قاعدا أو قائما ﴾ وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال أو لاصناف المضار ﴿ فلما كشفنا عنه ضره مر ﴾ يعنى مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه ﴿ كأن لم يدعنا ﴾ كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال

ونحر مشرق اللون * كأن ثدياه حقان

﴿ الى ضر مسه ﴾ الى كشف ضر ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك التزيين ﴿ زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ من الانهماك

كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل قضاء آجالهم ولهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله سبحانه وتعالى ﴿ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعنى فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت ﴿ فى طغيانهم ﴾ يعنى فى تمردهم وعتوهم ﴿ يعمهون ﴾ يعنى يترددون ﴿ق﴾ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فانما أنا بشر اغضب كما يغضب البشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة * قوله عز وجل ﴿ واذا مس الانسان الضر ﴾ أى الشدة والجهد والمراد بالانسان فى هذه الآية الكافر ﴿ دعانا لجنبه ﴾ أى على جنبه مضطجعا ﴿ أو قاعدا أو قائما ﴾ يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن احدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضرور لا يزال داعيا فى جميع حالاته الى ان ينكشف ضره سواء كان مضطجعا أو قاعدا أو قائما وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه أو مسه قاعدا أو مسه قائما وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الاحوال أقرب من ذكر الضر ﴿ فلما كشفنا عنه ضره ﴾ يعنى فلما أزلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه ﴿ مر ﴾ يعنى على طريقته الاولى قبل مس الضر ﴿ كأن لم يدعنا ﴾ فيه حذف تقديره كأنه لم يدعنا وانما أسقط الضمير على سبيل التخفيف ﴿ الى ضر مسه ﴾ والمعنى انه استمر على حالته الاولى قبل أن يمسه الضر ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر ﴿ كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ يعنى مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله سبحانه وتعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان

فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم) شركهم وضلالهم (يعمهون) ترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله لو يعجل الله متضمن معنى نفى التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضى اليهم أجلهم فنذرهم فى طغيانهم أى نمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم (واذا مس الانسان) أصابه والمراد به الكافر (الضر دعانا) ى دعا الله لازالته (لجنبه) فى موضع الحال بدليل عطف الحالين أى (او قاعدا أو قائما) عليه أى دعانا مضطجعا وفائدة ذكر هذه الاحوال ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا فى حالاته كلها كان مضطجعا عاجزا عن النهوض أو قاعدا لا يقدر على القيام أو قائما لا يطيق المشى (فلما كشفنا عنه ضره) أزلناما به (مر كأن لم يدعنا الى ضره مسه) أى مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسى حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به والاصل كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) للمجاوزين الحد فى الكفر زين الشيطان بوسوسته (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر

(فنذر الذين لا يرجون لقاءنا لا يخافون البعث بعد الموت (فى طغيانهم) فى كفرهم وضلالتهم (يعمهون) (قا و خا ٣٠ ثالث) يمضون عمهة لا يبصرون (واذا مس الانسان الضر) اذا أصاب الكافر الشدة أو المرض وهو هشام بن المغيرة المخزومى (دعانا لجنبه) مضطجعا (أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره) رفعنا ما كان به من الشدة والبلاء (مر) استمر على ترك الدعاء (كأن لم يدعنا الى ضر) الى شدة (مسه) اصابه (كذلك) هكذا (زين للمسرفين) للمشركين (ما كانوا يعملون) فى الشرك من الدعاء فى الشدة وترك

أي يدعون الله بقولهم سبحانك اللهم تلذذا بذكره لا عبادة (وتحيتهم فيها سلام) أي

اللهم انا نسبحك تسبيحا ﴿ وتحيتهم ﴾ ما يحيي به بعضهم بعضا أو تحية الملائكة اياهم ﴿ فيها سلام وآخر دعواهم ﴾ وآخر دعائهم ﴿ ان الحمد لله رب العالمين ﴾ أي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هى مخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر ﴾ ولو يسرعه اليهم ﴿ استعجالهم بالخير ﴾ وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم أو بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقى عليه ﴿ لقضى اليهم اجلهم ﴾ لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله

جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفى رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أى يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا ✻ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وتحيتهم فيها سلام ﴾ يعنى يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييهم الملائكة بالسلام وقيل تأتيهم من عند ربهم بالسلام ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب وانهم اذا اشتهوا شيأ قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشئ واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يبتدؤن بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر فى الحديث ✻ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر ﴾ يعنى ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم فى الشر مما لهم فيه مضرة ومكروه فى نفس أو مال قال ابن عباس هذا فى قول الرجل لاهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله وولده بما يكره أن يستجاب له فيه ﴿ استعجالهم بالخير ﴾ يعنى كاستعجالهم بالخير وكما يحبون أن يعجل لهم اجابة دعائهم بالخير ﴿ لقضى اليهم أجلهم ﴾ يعنى لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشئ قبل وقته والاستعجال طلب العجلة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على انفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤال يقول لو اجابهم الله اذا دعوه بالشر الذى يستعجلون به استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم يعنى لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعى بالخير ولا يستجيب له فى الشر وقيل ان هذه الآية نزلت فى النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب

يحيي بعضهم بعضا بالسلام او هى تحية الملائكة اياهم وأضيف المصدر الى المفعول أو تحية الله لهم (وآخر دعواهم) وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح (ان الحمد لله رب العالمين) أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ان مخففة من الثقيلة وأصله انه الحمد لله رب العالمين والضمير للشأن قيل أول كلامهم التسبيح وآخره التحميد فيبتدؤن بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بالشكر والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما أرادوا (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير) أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أى ولو عجلنا لهم الشر الذى دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه (لقضى اليهم أجلهم) لأميتوا وأهلكوا لقضى اليهم اجلهم شامى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل

الخدام بما يشتهون (وتحيتهم فيها سلام) يحيي بعضهم بعضا بالسلام (وآخر دعواهم) قولهم بعد الاكل والشرب (ان الحمد لله رب العالمين ولو يعجل الله للناس الشر) دعاءهم بالشر (استعجالهم بالخير) كاستعجال دعائهم بالخير (لقضى اليهم أجلهم) اهلكوا (كما)

(أولئك مأواهم النار)فأولئك مبتدأ ثان والنار خبره والجملة خبر أولئك والباء فى(بما كانوا يكسبون) يتعلق بمحذف دل عليه الكلام وهوجوزوا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدى الى الثواب ولذا جعل (تجرى من تحتهم الانهار) بيانا له وتفسيرا اذ التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها أو يهديهم فى الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة ومنه الحديث ان المؤمن اذ اخرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار وهذا دليل على ان الايمان المجرد منج حيث قال بايمانهم ولم يضم اليه العمل الصالح (فى جنات النعيم) متعلق بتجرى أوحال من الانهار (دعواهم فيها سبحانك اللهم)اى دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك

﴿ اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ﴾ بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة أو لادراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم أو لما يريدونه فى الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ استيناف او خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله ﴿ فى جنات النعيم ﴾ خبر أو حال آخرى منه او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى ﴿ دعواهم فيها ﴾ اى دعاؤهم ﴿ سبحانك اللهم ﴾

صلى الله عليه وسلم والقرآن غافلون أى معرضون ﴿ أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ يعنى من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة ❊ قوله عزوجل ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ﴾ يعنى يهديهم ربهم الى الجنان ثوابا لهم بايمانهم وأعمالهم الصالحة وقال مجاهد يهديهم على الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به وقال قتادة بلغنا ان المؤمن اذا خرج من قبره يصور له عمله فى صورة حسنة فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانبارى يجوز أن يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصائص ولطائف وبصائر ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل معناه بايمانهم يهديهم ربهم لدينه أى بتصديقهم هداهم ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ يعنى بين أيديهم ينظرون اليها من أعالى أسرتهم وقصورهم فهو كقوله سبحانه وتعالى قد جعل ربك تحتك سريا لم يرد به انه تحتها وهى قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجرى بامرهم ﴿ فى جنات النعيم ﴾ يعنى ذلك لهم فى جنات النعيم ﴿ دعواهم فيها ﴾ أى قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أى دعاؤهم فيها ﴿ سبحانك اللهم ﴾ وهى كلمة تنزيه لله تعالى من كل سوء ونقيصة قال اهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم فى الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم فى الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل فى ميل على كل مائدة سبعون ألف صحيفة فى كل صحيفة لون من الطعام لايشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عزوجل والثناء عليه بما هو أهله وفى هذا الذكر والتحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ماروى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولايتفلون ولايبولون ولايتغوطون ولايتمخطون قالوا فما بال الطعام قال

(اولئك مأواهم) مصيرهم (النار بما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون فى الشرك (ان الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام [illegible]
([illegible]

[illegible] الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (يهديهم) يدخلهم (ربهم) الجنة(بايمانهم تجرى من تحتهم) [illegible]
أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (فى جنات النعيم دعواهم)قولهم (فيها)فى الجنة اذا اشتهوا شيأ (سبحانك اللهم) فتأتى لهم

بالسنين والشهور (ماخلق الله ذلك) المذكور (الا) ملتبسا (بالحق) الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا (يفصل الآيات) وقرئ بصرى وحفص بالنون غيرهم (لقوم يعلمون) فينتفعون بالتأمل فيها (ان فى اختلاف الليل والنهار) فى مجئ كل واحد منهما خلف الآخر أوفى اختلاف لونيهما (وماخلق الله فى السموات والارض) من الخلائق (لآيات لقوم يتقون) خصهم بالذكر لانهم يحذرون فيدعوهم الحذر الى النظر (ان الذين

لايرجون لقاءنا) لايتوقعونه أصلا ولايخطرونه ببالهم لغفلتهم عن التفطن للحقائق اولا يؤملون حسن لقاءنا كما يؤمله السعداء أولا يخافون سوء لقائنا الذى يجب أن يخاف (ورضوا بالحيوة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا (والذين هم عن آياتنا غافلون) لايتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على

الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم ﴿ماخلق الله ذلك الا بالحق﴾ الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة ﴿نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ﴿ان فى اختلاف الليل والنهار وماخلق الله فى السموات والارض﴾ من انواع الكائنات ﴿لآيات﴾ على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته ﴿لقوم يتقون﴾ العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ﴿ان الذين لايرجون لقاءنا﴾ لايتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ﴿ورضوا بالحيوة الدنيا﴾ من الآخرة لغفلتهم عنها ﴿واطمأنوا بها﴾ وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها ﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ لايتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لاتخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحياة الدنيا وبالآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل فى الآجل والاعتداد له

﴿ماخلق الله ذلك الا بالحق﴾ يعنى للحق واظهار قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا ﴿نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ يعنى يبين دلائل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته ﴿ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون﴾ تقدم تفسير هذه الآية فى نظائرها ﴿ان الذين لايرجون لقاءنا﴾ يعنى لايخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلانا بمعنى لايخافه ومنه قوله سبحانه وتعالى مالكم لاترجون لله وقارا ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى * اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * أى لم يخفه والرجاء يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لايطمعون فى ثوابنا ﴿ورضوا بالحيوة الدنيا﴾ يعنى اختاروها وعملوا فى طلبها فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها ﴿واطمأنوا بها﴾ يعنى وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه الطمأنينة التى حصلت فى قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها أزالت عن قلوبهم الوجل والخوف فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم ﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقال ابن عباس آياتنا يعنى عن محمد

والايام (ماخلق الله ذلك الا بالحق) لبيان الحق والباطل (يفصل الآيات) يبين الآيات من القرآن لعلامات الوحدانية (لقوم يعلمون) يصدقون (ان فى اختلاف الليل والنهار) فى تقلب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وذهابهما ومجيئهما (وماخلق الله فى السموات) وفيما خلق الله من الشمس والقمر والنجوم وغيرذلك (والارض) من الشجر والدواب والجبال والبحار وغيرذلك (لآيات) (صلى) لعلامات لوحدانية الرب (لقوم يتقون) يطيعون (ان الذين لايرجون) لايخافون (لقاءنا) بالبعث بعد الموت ويقال لايقرون بالبعث بعد الموت (ورضوا بالحيوة الدنيا اختاروا) ما فى الحياة الدنيا على الآخرة (واطمأنوا بها) رضوابها (والذين هم عن آياتنا) عن محمد عليه الصلاة والسلام والقرآن (غافلون) جاحدون تاركون لها

والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة و يؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح أى لانه ويجوز ان يكون منصوبا أو مرفوعا بما نصب وعد الله أو بما نصب حقا ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء﴾ اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام اوجمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين ﴿والقمر نورا﴾ أى ذا نور أوسمى نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها ﴿وقدره منازل﴾ الضمير لكل واحد أى قدر مسير كل واحد منهما منازل أوقدره ذا منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره و معاينة منازله وناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ حساب

هو الذى جعل الشمس ضياء﴾ يعنى ذات ضياء ﴿والقمر نورا﴾ يعنى ذا نور واختلف العلماء أصحاب الكلام فى أن الشعاع الفائض من الشمس هل هو جسم أو عرض والحق أنه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضياء لانها أقوى وأكمل من النور وخص القمر بالنور لانه أضعف من الضياء ولانهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكمل وأقوى من النور المختص بالقمر ﴿وقدره منازل﴾ قيل الضمير فى وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدر لهما منازل أوقدر لسيرهما منازل لا يجاوزانهما فى السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير فى وقدره للايجاز أو اكتفى بذكر أحدهما دون الآخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل الضمير فى وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر فى المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة فى الشرع مبنية على رؤية الاهلة والسنة المعتبرة فى الشرع هى السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهى الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهى مقسومة على اثنى عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلث منزل وينزل القمر كل ليلة منزلا منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة ﴿لتعلموا عدد السنين﴾ يعنى قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين وقت دخولها وانقضائها ﴿والحساب﴾ حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها

واوجه كلامى (هو الذى جعل الشمس ضياء) الياء فيه منقلبة عن واو ضواء لكسرة ماقبلها وقلبها قبل همزة لانها للحركة أجل (والقمر نورا) والضياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس (وقدره) وقدر القمر أى وقدر مسيره (منازل) أو وقدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل (لتعلموا عدد السنين) أى عدد السنين والشهور فاكتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور (والحساب) وحساب الآجال والمواقيت المقدرة

(هو الذى جعل الشمس ضياء) للعالمين بالنهار (والقمر نورا) لهم بالليل (وقدره منازل) جعل له منازل (لتعلموا عدد السنين والحساب) حساب الشهور

(ذلكم) العظيم الموصوف بما وصف به (الله ربكم) وهو الذى يستحق العبادة (فاعبدوه) وحدوه ولا تشركوا به [illegible]
خلقه من انسان او ملك فضلا عن جاد لا يضر ولا ينفع (أفلا تذكرون) أفلا تتدبرون فتستدلون بوجود المصالح والمنافع
على وجود المصلح النافع (اليه مرجعكم جميعا) حال أى لا ترجعون فى العا[قبة]
الا اليه فاستعدوا للقائه
والرجوع أو المرجع مكان
الرجوع (وعد الله) مصدر
مؤكد لقوله اليه مرجعكم
(حقا) مصدر مؤكد لقوله
وعد الله (انه يبدأ الخلق
ثم يعيده) استيناف معناه
التعليل لوجوب المرجع اليه
(ليجزى الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) أى الحكمة
بابتداء الخلق واعادته هو
جزاء المكلفين على أعمالهم
[illegible]
[illegible]
بقسطه ويوفيهم أجورهم
[illegible] قسطوا
[illegible]
آمنوا اذ الشرك فان الشرك
ظلم عظيم وهذا أوجه لمقابلة
قوله (والذين كفروا لهم
شراب من حميم وعذاب
أليم بما كانوا يكفرون)

(ذلكم الله ربكم) الذى يفعل
ذلك هو ربكم (فاعبدوه)
فوحدوه (أفلا تذكرون)
أفلا تتعظون (اليه مرجعكم
بعد الموت (جميعا وعد الله
حقا) صدقا كائنا (انه
يبدأ الخلق) من النطفة (ثم يعيده) بعد الموت (ليجزى الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما (هو)
بينهم وبين ربهم (بالقسط) بالعدل الجنة (والذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لهم شراب من حميم) من
ماء حار قد انتهى حره (وعذاب أليم) وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم (بما كانوا يكفرون) بمحمد عليه السلام والقرآن

ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ﴿ذلكم الله﴾ أى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ﴿ربكم﴾ لا غيره اذ لا يشاركه احد فى شئ من ذلك ﴿فاعبدوه﴾ وحدوه بالعبادة ﴿أفلا تذكرون﴾ تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه ﴿اليه مرجعكم جميعا﴾ بالموت أو النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه ﴿وعد الله﴾ مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله ﴿حقا﴾ مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله ﴿انه يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ بعد بدئه واهلاكه ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾ أى بعدله أو بعدالتهم وقيامهم على العدل فى امورهم أو بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون﴾ فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم

فى جميع العالم ﴿ذلكم الله ربكم﴾ يعنى الذى خلق هذه الاشياء ودبرها هو ربكم وسيدكم لا رب لكم سواه ﴿فاعبدوه﴾ أى فاجعلوا عبادتكم له لا لغيره لانه المستحق للعبادة بما أنعم عليكم من النعم العظيمة ﴿أفلا تذكرون﴾ يعنى أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والآيات التى تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿اليه مرجعكم جميعا﴾ يعنى الى ربكم الذى خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا أيها الناس يوم القيامة والمرجع بمعنى الرجوع ﴿وعد الله حقا﴾ يعنى وعدكم الله ذلك وعدا حقا ﴿انه يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ أى يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معنى قول مجاهد فانه قال يحييه ثم يميته ثم يحييه وفى هذه الآية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكرى البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلى فيركب تلك الاجزاء المتفرقة تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة اخرى وكما لم يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن فى المرة الاولى لم يمتنع تعلقها بالبدن مرة أخرى واذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصى وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾ يعنى بالعدل لا ينقص من أجورهم شيأ ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ هو ماء حار قد انتهى حره ﴿وعذاب اليم بما كانوا يكفرون﴾

كما ينالونها بصدق القول والنية ﴿قال الكافرون ان هذا﴾ يعنون الكتاب وماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿لسحر مبين﴾ وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة • وقرئ ماهذا الاسحر مبين ﴿ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض﴾ التى هى اصول الممكنات ﴿فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر﴾ يقدر امر الكائنات على مااقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى ادبار الامور لتجيئ محمودة العاقبة ﴿مامن شفيع الا من بعد اذنه﴾ تقرير لعظمته وعز جلاله

وقال الليث وأبو الهيثم القدم السابق والمعنى انه قد سبق لهم عندالله خير قال ذوالرمة

وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة • لهم قدم معروفة ومفاخر

والسبب فى اطلاق لفظ القدم على هذه المعانى ان السعى والسبق لايحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وقال ذوالرمة

لكم قدم لاينكر الناس انها • مع الحسب العادى طمت على البحر

معناه لكم سابقة عظيمة لاينكرها الناس وقال آخر

صل لذى العرش واتخذ قدما • تنجيك يوم العثار والزلل

* وقوله سبحانه وتعالى ﴿قال الكافرون ان هذا لسحر مبين﴾ وقرئ لساحر مبين وفيه حذف تقديره أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحى وأنذرهم قال الكافرون ان هذا لساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر لما أتاهم بالمعجزات الباهرات التى لايقدر أحد من البشر أن يحصل مثلها ومن قرألسحر فانهم عنوا به القرآن المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك * قوله عز وجل ﴿ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ تقدم تفسير هذا فى سورة الاعراف بما فيه كفاية * وقوله سبحانه وتعالى ﴿يدبر الامر﴾ قال مجاهد يقضيه وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الامور فى مراتبها على أحكام عواقبها وقيل انه سبحانه وتعالى يقضى ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر فى أدبار الامور وعواقبها لئلا يدخل فى الوجود مالاينبغى وقيل معناه انه سبحانه وتعالى يدبر أحوال الخلق وأحوال ملكوت السموات والارض فلايحدث حدث فى العالم العلوى ولافى العالم السفلى الابارادته وتدبيره وقضائه وحكمته ﴿مامن شفيع الا من بعد اذنه﴾ يعنى لايشفع عنده شافع يوم القيامة الا من بعد ان يأذن له فى الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة فى تدبيرهم فلايجوز لاحد ان يسأله ماليس له به علم فاذا أذن له فى الشفاعة كان له أن يشفع فيمن يأذن له فيه وفيه رد على كفار قريش فى قولهم ان الاصنام تشفع لهم عندالله يوم القيامة فاخبر الله سبحانه وتعالى أنه لايشفع أحد عنده الا باذنه لانه له التصرف المطلق

وشامى ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين فى تسميته سحرا (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) أى استولى فقد يقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود (يدبر) يقضى ويقدر على مقتضى الحكمة (الامر) أى أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والارض والعرش ولما ذكر ما يدل على عظمته وملكه من خلق السموات والارض والاستواء على العرش تبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لايخرج أمر من الامور عن قضائه وتقديره وكذلك قوله (مامن شفيع الا من بعد اذنه) دليل على عزته وكبريائه

قال الكافرون) كفار مكة (ان هذا) القرآن (لسحر) كذب (مبين ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) من أيام أول الدنيا أول يوم يوم الاحد وآخر يوم يوم الجمعة طول كل يوم الف سنة (ثم استوى على العرش) استقر ويقال امتلأ به العرش (يدبر الامر) أمر العباد ويقال ينظر فى أمر العباد ويقال بعث الملائكة بالوحى والتنزيل والمصيبة (مامن شفيع) مامن ملك مقرب ولا نبى مرسل يشفع لاحد (الا من بعد اذنه) الا باذن الله

(الى رجل منهم أن أنذر الناس) بأن أنذر أو هى مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول (وبشر الذين آمنوا أن لهم) بأن لهم
ومعنى اللام فى للناس انهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منه والذى تعجبوا منه أن يوحى الى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم
دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبى طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر بالجنان وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وارسال اليتيم أو الفقير ليس بعجب أيضا لان الله تعالى انما يختار للنبوة من جمع أسبابها والغنى والتقدم فى الدنيا ليس من أسبابها والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف تكون عجبا انما العجب والمنكر فى العقول تعطيل الجزاء (قدم صدق عند ربهم) أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعى والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم فى الخير واضافتها الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة أو مقام

أوحينا (الى رجل منهم) آدمى مثلهم (ان أنذر الناس) ان خوف أهل مكة بالقرآن (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق) ثواب خير (وقال) ويقال ايمانهم فى الدنيا قدمهم فى الآخرة عند ربهم ويقال ان لهم صدق يقال شفيع صدق (عند ربهم

نحو انكارهم واستهزائهم ﴿الى رجل منهم﴾ من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال وخفة الحال اعون شئ فى هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام ﴿ان انذر الناس﴾ ان هى المفسرة أو مخففة من الثقيلة فتكون فى موقع مفعول اوحينا ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغى ان ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به حقيقة ﴿ان لهم﴾ بان لهم ﴿قدم صدق عند ربهم﴾ سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم

الى رجل منهم ﴾ والعجب حالة تعترى الانسان من رؤية شئ على خلاف العادة وقيل العجب حالة تعترى الانسان عند الجهل بسبب الشئ ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا أهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعنى من أهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وأمانته ﴿أن أنذر الناس﴾ يعنى خوفهم بعقاب الله تعالى ان أصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ اختلف عبارات المفسرين وأهل اللغة فى معنى قدم صدق فقال ابن عباس أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه وفى رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال سبقت لهم السعادة فى الذكر الاول يعنى فى اللوح المحفوظ وقال زيد بن أسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم وأضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد والفائدة فى هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شئ أضيف الى الصدق فهو ممدوح ومثله فى مقعد صدق ومدخل صدق وقال أبو عبيدة كل سابق فى خير أو شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم فى الاسلام وقدم فى الخير ولفلان عندى قدم صدق وقدم سوء قال حسان بن ثابت

لنا القدم العليا اليك وخلفنا * لاولنا فى طاعة الله تابع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألر﴾ فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة عن الياء ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ اشارة الى ماتضمنه السورة أو القرآن من الآى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم أو لانه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شئ منها ﴿أكان للناس عجبا﴾ استفهام أنكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ﴿ان اوحينا﴾ وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس أو على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿الر﴾ قال ابن عباس والضحاك معناه أنا الله أرى وقال ابن عباس فى رواية أخرى عنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وقال به سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة ألر اسم من أسماء القرآن وقيل هى اسم للسورة وقد تقدم الكلام فى معنى الحروف المقطعة فى أول سورة البقرة بما فيه كفاية ﴿تلك آيات الكتاب﴾ المراد من لفظ تلك الاشارة الى الآيات الموجودة فى هذه السورة ويكون التقدير تلك الآيات هى آيات الكتاب وهو القرآن الذى أنزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله عز وجل وعده أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا تغيره الدهور وقيل ان لفظة تلك للاشارة الى ماتقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى ان تلك الآيات هى آيات الكتاب الحكيم وفى قول آخر ان المراد بآيات الكتاب الكتب التى قبل القرآن حكاه الطبرى عن قتادة وروى عن مجاهد أنها التوراة والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الآيات المذكورة فى هذه السورة هى الآيات المذكورة فى التوراة والانجيل والمراد من الآيات القصص المذكورة فى هذه السورة وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف لان التوراة والانجيل لم يجر لهما ذكر قريب حتى يشار اليهما وقيل المراد من الآيات حروف الهجاء التى منها الر سميت آيات لانها افتتاح السور وسر القرآن ﴿الحكيم﴾ يعنى المحكم الحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القرآن حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل حكيم بمعنى المحكوم فيه فعيل بمعنى مفعول قال الحسن حكم فيه بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وقيل ان الحكيم هو الذى يفعل الحكمة والصواب فمن حيث انه يدل على الاحكام صار كأنه هو الحكيم فى نفسه * قوله سبحانه وتعالى ﴿أكان للناس عجبا﴾ قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك ومن أنكر منهم قال الله أعظم من أن يكون له رسول بشر مثل محمد فقال سبحانه وتعالى أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم وقال سبحانه وتعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا الآية والهمزة فى أكان همزة استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا أن أوحينا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر) ونحوه ممال حمزة وعلى وأبو عمرو وهو تعديد للحروف على طريق التحدى (تلك آيات الكتاب) اشارة الى ماتضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة (الحكيم) ذى الحكمة لاشتماله عليها أو المحكم عن الكذب والاقتراف والهمزة فى (أكان للناس عجبا) لانكار التعجب والتعجيب منه (أن أوحينا) اسم كان وعجبا خبره واللام فى للناس متعلق بمحذوف هو صفة لعجبا فلما تقدم صار حالا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الر) يقول أنا الله أرى ويقال قسم اقسم به (تلك آيات الكتاب الحكيم) ان هذه السورة آيات القرآن المحكم بالحلال والحرام (أكان للناس) لاهل مكة (عجبا أن أوحينا) بان

(حريص عليكم) على ايمانكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان تولوا) فان أعرضوا عن الايمان بك وناصبوك (فقل حسبى الله) فاستعن بالله وفوض اليه أمورك فهو كافيك معرتهم وناصرك عليهم (لا اله الا هو عليه توكلت) فوضت أمرى اليه (وهو رب العرش) هو أعظم خلق الله خلق مطافا لاهل السماء وقبلة للدعاء (العظيم) بالجر وقرئ بالرفع على نعت الرب جل وعز وعن ابى آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية

(سورة يونس عليه الصلاة والسلام) مائة وتسع آيات مكية وكذا ما بعدها الى سورة النور)

(حريص عليكم) على ايمانكم (بالمؤمنين) بجميع المؤمنين (رؤف رحيم فان تولوا) عن الايمان ... (فقل حسبى الله) ثقتى بالله (لا اله الا هو) لا حافظ ولا ناصر الا هو (عليه توكلت) اتكلت ووثقت (وهو رب العرش) السرير (العظيم) الكبير

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها يونس عليه السلام وهى كلها مكية الا آية واحدة عند رأس الاربعين فانها نزلت فى اليهود فهى مدنية وهى قول الله عز وجل ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الآية آياتها مائة وتسع آيات وكلماتها ألف وتسعمائة واثنان وعشرون وحروفها ستة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون ﴾

﴿ حريص عليكم ﴾ أى على ايمانكم وصلاح شأنكم ﴿ بالمؤمنين ﴾ منكم ومن غيركم ﴿ رؤف رحيم ﴾ قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل ﴿ فان تولوا ﴾ عن الايمان بك ﴿ فقل حسبى الله ﴾ فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم ﴿ لا اله الا هو ﴾ كالدليل عليه ﴿ عليه توكلت ﴾ فلا ارجو ولا اخاف الا منه ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾ الملك العظيم او الجسم العظيم المحيط الذى تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابى رضى الله تعالى عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما نزل القرآن على الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما نزلتا على ومعهما سبعون الف صف من الملائكة والله أعلم

﴿ سورة يونس عليه الصلاة والسلام مكية وهى مائة وتسع آيات ﴾

عليه ضلالكم ﴿ حريص عليكم ﴾ يعنى حريص على ايمانكم وايصال الخير اليكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وان يهديكم الله ﴿ بالمؤمنين رؤف رحيم ﴾ يعنى أنه صلى الله عليه وسلم رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى وقد سماه الله رؤفا رحيما قال الحسن بن الفضل لم يجمع الله سبحانه وتعالى لاحد من أنبيائه بين اسمين من أسمائه الا النبى صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيما وقال سبحانه وتعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فان تولوا ﴾ يعنى فان اعرض هؤلاء الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك للحرب ﴿ فقل حسبى الله ﴾ يعنى يكفينى الله وينصرنى عليكم ﴿ لا اله الا هو عليه توكلت ﴾ يعنى لا على غيره وبه وثقت ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾ انما خص سبحانه وتعالى العرش بالذكر لانه أعظم المخلوقات فيدخل ما دونه فى الذكر فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فما دونه وانما خصه بالذكر تشريفا له كما قال بيت الله ﴿ روى عن أبى بن كعب قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة آخر القرآن نزولا وفى رواية عنه قال أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر الآيتين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام ﴾

نزلت بمكة الا ثلاث آيات وهى قوله سبحانه وتعالى فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك الى آخر الثلاث آيات قال ابن عباس وبه قال قتادة وفى رواية أخرى عن ابن عباس ان فيها من المدنى قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الآية وقال مقاتل هى مكية الا آيتين وهى قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته والتى تليها وهى مائة وتسع آيات وألف وثمانمائة واثنتان وثلاثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفا

يحتمل الاخبار والدعاء ﴿بانهم﴾ بسبب انهم ﴿قوم لايفقهون﴾ لسوء فهمهم أو لعدم تدبرهم ﴿لقدجاءكم رسول من انفسكم﴾ من جنسكم عربى مثلكم وقرئ من انفسكم أى من اشرفكم ﴿عزيز عليه﴾ شديد شاق ﴿ماعنتم﴾ عنتكم ولقاؤكم المكروه

على فعلهم ﴿بانهم قوم لايفقهون﴾ يعنى لايفقهون عن الله دينه ولا شيء فيه نفعهم ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿لقدجاءكم رسول من أنفسكم﴾ هذا خطاب للعرب يعنى لقد جاءكم ايها العرب رسول من انفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الاوقدولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبرى و ذكر البغوى باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدنى من سفاح أهل الجاهلية شئ ماولدنى الانكاح كنكاح أهل الاسلام قال قتادة جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء فى تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الاوقدولدت النبى صلى الله عليه وسلم يعنى من مضرها وربيعتها ويمانها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش وهو منهم وأما نسبه الى عرب اليمن وهم القحاطنة فان آمنة لها نسب فى الانصار وان كانت من قريش والانصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبا فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقدجاءكم رسول من أنفسكم ترغيب العرب فى نصره والايمان به فانه تم شرفهم بشرفه وعزهم بعزته وفخرهم بفخره وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهرى من أنفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من أشرفكم وأفضلكم (خ) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه (م) عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم ❊ عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يارسول الله ان قريشا جلسوا يتذاكرون أحسابهم بينهم فقالوا مثلك كمثل نخلة فى كدية من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلنى من خير فرقهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلنى من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا و خيرهم بيتا أخرجه الترمذى وقيل ان قوله سبحانه وتعالى لقدجاءكم رسول من انفسكم عام فحمله على العموم أولى فيكون المعنى على هذا القول لقدجاءكم أيها الناس رسول من انفسكم يعنى من جنسكم بشر مثلكم اذلو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه ❊ وقوله سبحانه وتعالى ﴿عزيز عليه ماعنتم﴾ أى [illegible] عليه عنتكم يعنى مكروهكم وقيل بشق

عن فهم القرآن (بانهم) بسبب انهم (قوم لايفقهون) لايتدبرون حتى يفقهوا (لقدجاءكم رسول) محمد عليه السلام (من أنفسكم) من من جنسكم ومن نسبكم عربى قرشى مثلكم (عزيز عليه ماعنتم) شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع فى العذاب

ويقال مالوا عن الحق والهدى فأمال الله قلوبهم عن ذلك الانصراف (بأنهم قوم لايفقهون) أمر الله ولا يصدقونه (لقدجاءكم) يا أهل مكة (رسول من أنفسكم) عربى هاشمى مثلكم (عزيز عليه) شديد عليه (ماعنتم) ما أثمتم

كفرا مضموما الى كفرهم (وماتوا وهم كافرون)هو اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت (أولا يرون) يعنى المنافقين وبالتاء حمزة

 يفتنون) يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما (فى كل

﴿وماتوا وهم كافرون﴾ واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه ﴿أولا يرون﴾ يعنى المنافقين وقرأ حمزة بالتاء ﴿انهم يفتنون﴾ يبتلون باصناف البليات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيعاينون مايظهر عليه من الآيات ﴿فى كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون﴾ لاينتهون ولايتوبون من نفاقهم ﴿ولاهم يذكرون﴾ ولايعتبرون ﴿واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض﴾ تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية أو غيظا لما فيها من عيوبهم ﴿هل يراكم من احد﴾ أى يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من حضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فان لم يرهم احد قاموا وان رآهم احد اقاموا ﴿ثم انصرفوا﴾ عن حضرته مخافة الفضيحة ﴿صرف الله قلوبهم﴾ عن الايمان وهو

يعنى كفرا الى كفرهم وذلك أنهم كلما جحدوا نزول سورة أو استهزؤا بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمى الكفر رجسا لانه أقبح الاشياء وأصل الرجس فى اللغة الشئ المستقذر ﴿وماتوا﴾ يعنى هؤلاء المنافقين ﴿وهم كافرون﴾ يعنى وهم جاحدون لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد فى هذه الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد ايمانا وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان الايمان يبدو لمعة بيضاء فى القلب وكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمعة سوداء فى القلب وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿أولا يرون﴾ قرئ ترون بالتاء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين فى قوله فى قلوبهم مرض ﴿انهم يفتنون﴾ يعنى يبتلون ﴿فى كل عام مرة أو مرتين﴾ يعنى بالامراض والشدائد وقيل بالقحط والجدب وقيل بالغزو والجهاد وقيل انهم يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم فى السنة مرة أو مرتين ﴿ثم لايتوبون﴾ يعنى من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله ﴿ولاهم يذكرون﴾ يعنى ولايتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين ﴿واذا ما انزلت سورة﴾ يعنى فيها عيب المنافقين وتوبيخهم ﴿نظر بعضهم الى بعض﴾ ... ذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة ﴿هل يراكم من أحد﴾ يعنى هل ... المؤمنين يراكم ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم أحد خرجوا من المسجد وان علموا أن أحدا يراهم من المؤمنين أقاموا ولبثوا على تلك الحال ﴿ثم انصرفوا﴾ يعنى عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التى يسمعون فيها مايكرهون ﴿صرف الله قلوبهم﴾ يعنى عن الايمان وقال الزجاج أضلهم الله مجازاة لهم

عليه وسلم لايتوبون عما يرون من دولة الاسلام ولاهم يذكرون بما يقع بهم من الاصطلام (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا للوحى وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فانا لانصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو اذا ما أنزلت سورة فى عيب المنافقين أشار بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ان قمتم من حضرته عليه السلام (ثم انصرفوا) عن حضرة النبى عليه السلام مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم)

انزل من القرآن (وماتوا وهم كافرون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فى السر (أولا يرون)

يبتلون باظهار مكرهم وخبثهم ويقال بنقض عهدهم (فى كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون) من صنيعهم ونقض عهدهم (ولاهم يذكرون) يتعظون (واذا ما انزلت سورة) { على } جبريل بسورة ... عيب المنافقين وكان يقرأ عليهم النبى صلى الله عليه وسلم (نظر المنافقون (بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد) من المخلصين (ثم انصرفوا) عن الصلاة والخطبة والحق والهدى (صرف الله قلوبهم) عن الحق والهدى

يقاتلوا من وليهم (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وعنفا في المقال قبل القتال (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والغلبة (واذا ما أنزلت سورة) ما صلة مؤكدة (فمنهم) فمن المنافقين (من يقول) بعضهم لبعض (أيكم زادته هذه) السورة (ايمانا) انكارا واستهزاء بالمؤمنين وأيكم مرفوع بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه (فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) يقينا وثباتا أو خشية أو ايمانا بالسورة لانهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلا (وهم يستبشرون) يعدون زيادة التكليف بشارة التشريف (وأما الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق فهو فساد يحتاج الى علاج كالفساد في البدن (فزادتهم رجسا الى رجسهم)

والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها ﴿واعلموا ان الله مع المتقين﴾ بالحراسة والاعانة ﴿واذا ما أنزلت سورة فمنهم﴾ فمن المنافقين ﴿من يقول﴾ انكارا واستهزاء ﴿ايكم زادته هذه﴾ السورة ﴿ايمانا﴾ وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته ﴿فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا﴾ بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم ﴿وهم يستبشرون﴾ بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم ﴿واما الذين في قلوبهم مرض﴾ كفر ﴿فزادتهم رجسا الى رجسهم﴾ كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها

نزلت هذه الآية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ لانه سبحانه وتعالى لما امرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم الطريق الاصوب الاصلح وهو ان يبدؤا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد فالابعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا قومه ثم انتقل منهم الى قتال سائر العرب ثم انتقل الى قتال اهل الكتاب وهم قريظة ونضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزو الروم في الشأم فكان فتح الشأم في زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى سائر الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الابعد ❊ وقوله سبحانه وتعالى ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم ﴿واعلموا ان الله مع المتقين﴾ يعني بالعون والنصرة ❊ قوله عز وجل ﴿واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا﴾ يعني واذا أنزل الله سورة من سور القرآن فمن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه يعني السورة ايمانا يعني تصديقا ويقينا وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المؤمنين فقال الله سبحانه وتعالى ﴿فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا﴾ يعني تصديقا و يقينا وقربة من الله ومعنى الزيادة ضم شئ الى آخر من جنسه مما هو في صفته فالمؤمنون اذا أقروا بنزول سورة من القرآن عن ثقة واعترفوا انها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف ايمانا وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان في اول سورة الانفال ﴿وهم يستبشرون﴾ يعني أن المؤمنين يفرحون بنزول القرآن شيأ بعد شئ لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا و ذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة وكما تحصل الزيادة في الايمان بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر يعني قوله سبحانه وتعالى ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ أي شك ونفاق سمى الشك في الدين مرضا لانه فساد في القلب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج ﴿فزادتهم﴾ يعني سورة من القرآن ﴿رجسا الى رجسهم

[illegible] شدة (واعلموا) يا معشر المؤمنين (ان الله مع المتقين) معين المؤمنين محمد عليه السلام وأصحابه بالنصرة على أعدائهم (واذا ما أنزلت سورة) آية فيقرأ عليهم محمد صلى الله عليه وسلم (فمنهم) من المنافقين (من يقول) أي يقول بعضهم لبعض (أيكم زادته هذه) السورة والآية (ايمانا) خوفا ورجاء ويقينا عاقلا محمد (فأما الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام وأصحابه (فزادتهم ايمانا) خوفا ورجاء ويقينا (وهم يستبشرون) بما نزل من القرآن (وأما الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (فزادتهم رجسا الى رجسهم) شكا الى شكهم تا

غيبتهم من العلوم ﴿ ياايها الذى آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أولا بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالى المدينة كقريظة

يقول من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين وانما أنا قاسم ويعطى الله ولم يزل أمر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى يأتى أمر الله (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا * عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد أخرجه الترمذى * وأصل الفقه فى اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاهة اذا صار فقيها وقيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم وفى الاصطلاح الفقه عبارة عن العلم بأحكام الشرائع وأحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة أحكام الطهارة وأحكام الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوى بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذ صار له مال يجب فى مثله الزكاة وعلم أحكام الحج اذا وجب عليه وأما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى بلغ درجة الفتيا سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث * عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم أخرجه الترمذى مع الزيادة فيه * عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة أخرجه الترمذى * عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع أخرجه الترمذى * عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة اوفريضة عادلة أخرجه أبو داود الآية المحكمة هى التى لا اشتباه فيها ولا اختلاف فى حكمها أو ماليس بمنسوخ والسنة القائمة هى المستمرة الدائمة التى العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هى التى لا جور فيها ولا حيف فى قضائها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يدعى عظيما فى ملكوت السموات وأخرجه الترمذى موقوفا وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة * قوله سبحانه وتعالى ﴿ياايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ أمروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم فى الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا سكان الشام والشأم أقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من الكفار العرب فقاتلوهم حتى فرغوا منهم فأمروا بقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا او يعطوا الجزية عن يد ونقل عن بعض العلماء انه قال

(ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم) يقربون منكم (من الكفار) القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب أوجب وقد حارب [illegible] قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشأم والشأم أقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية ان

(ياايها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) من بنى قريظة والنضير

مالم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا فى كتابى المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل فى المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فأمروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذى هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى ليتفقهوا ولينذروا لبواقى الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف اى ولينذر البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام

ما كان ينبغى للمؤمنين ولا يجوز لهم أن ينفروا بكلهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب أن ينقسموا قسمين فطائفة يكونون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه فى الدين لان الاحكام والشرائع كانت تتجدد شيأ بعد شئ فالملازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام وما تجدد من الشرائع فاذا قدم الغزاة أخبروهم بذلك فيكون معنى الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا يعنى فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة للجهاد وقعد طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يعنى مخالفة أمر الله وامر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل ان التفقه صفة للطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك ان الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله لهم على أعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفئة القليلة قد غلبت جمعا كثيرا فاذا رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار أنذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح [illegible] يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق وأورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد تفقها فى الدين ويمكن أن يجاب عنه بانهم اذا علموا ان الله هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة فى ايمانهم فيكون ذلك فقها فى الدين واما الاحتمال الثانى وهو ان يقال ان هذه الآية كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادى فاصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا فى أنفسهم من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية والمعنى هلا نفر من كل فرقة طائفة وقعد طائفة ليتفقهوا فى الدين ويبلغوا ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعنى بأس الله ونقمته اذا خالفوا أمره وفى الآية دليل على أنه يجب ان يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم بهذا القصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين أعمالا الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

تبوك بعد ما انزل فى المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن التفقه فى الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذى هو الجهاد الاكبر اذ الجهاد بالحجاج أعظم أثرا من الجهاد بالنصال والضمير فى ليتفقهوا للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا فى أيام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه

نزلت هذه الآية فى بنى أسد أصابتهم سنة فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فاغلوا أسعار المدينة وأفسدوا طرقها بالعذرات فنهاهم الله عن ذلك

﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ﴿ ليتفقهوا فى الدين ﴾ ليتكلفوا الفقاهة فيه و يتجشموا مشاق تحصيلها ﴿ ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ﴾ وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغى ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد ﴿ لعلهم يحذرون ﴾ ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضى ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كى يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبار الآحاد

امر دينهم ويتفقهون فى دينهم ويقولون للنبى صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا ان نفعله وأخبرنا عما نقول لعشائرنا اذا انطلقنا اليهم فيأمرهم نبى الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا أتوا قومهم نادوا ان من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من أمر الدين وان ينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ويدعوهم الى الاسلام وينذروهم النار ويبشروهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خرجوا فى البوادى فأصابوا من الناس معروفا ومن الخطب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا فى أنفسهم تحرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ يبتغون الخير وقعد طائفة ﴿ ليتفقهوا فى الدين ﴾ ليسمعوا ما أنزل الله ﴿ ولينذروا قومهم ﴾ من الناس ﴿ اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾ وقال ابن عباس ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعنى عصبة يعنى السرايا ولا يسيرون الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل فى بعضهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد أنزل على نبيكم من بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا أخرى فذلك قوله سبحانه وتعالى ليتفقهوا فى الدين يقول ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبرى وأما تفسير الآية فيمكن أن يقال انها من بقية أحكام الجهاد ويمكن أن يقال انها كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد فعلى الاحتمال الأول فقد قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزو لم يتخلف عنه الا منافق أو صاحب عذر فلما بالغ الله فى الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم فى تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شئ من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى

المفسدة (فلولا نفر) فحين لم يكن نفير الكافة فهلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة) أى من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير (ليتفقهوا فى الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق فى تحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجعلوا مرمى همتهم الى التفقه انذار قومهم وارشادهم (اذا رجعوا اليهم) دون الاغراض الخسيسة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة فى المراكب والملابس (لعلهم يحذرون) ما يجب اجتنابه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة

(فلولا نفر) فهلا خرج (من كل فرقة) جماعة (منهم طائفة) وبقى طائفة بالمدينة (ليتفقهوا فى الدين) لكى يتعلموا أمر الدين من النبى صلى الله عليه وسلم (ولينذروا) ليخبروا ويعلموا (قومهم اذا رجعوا اليهم) من غزوتهم (لعلهم يحذرون) لكى يعلموا ما أمروا به وما نهوا عنه ويقال

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو أو طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بأمر المعاش

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها وفي رواية وما فيها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهادا في سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسلي فهو علي ضامن ان أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت ان اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخاري بمعناه (ق) عن أبي سعيد الخدري قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار (م) عن ابي مسعود الانصاري البدري قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة * عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف أخرجه الترمذي والنسائي * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ الآية قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس انها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل باسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويقبلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فانزل الله عز وجل الآية يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشائرهم وحذر قومهم أن يفعلوا فذلك قوله سبحانه وتعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وفي رواية أخرى عن ابن عباس انه قال كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون

لا جرهم (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) اللام لتأكيد النفي أي أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للافضاء الى

في الجهاد (وما كان المؤمنون) ما جاز للمؤمنين (لينفروا كافة) يخرجوا جميعا في السرية ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وحده

المتابعة ﴿ ان الله لا يضيع اجر المحسنين ﴾ على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم بأقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ﴿ ولا ينفقون نفقة صغيرة ﴾ ولو علاقة ﴿ ولا كبيرة ﴾ مثل ما انفق عثمان رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة ﴿ ولا يقطعون واديا ﴾ في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض ﴿ الا كتب لهم ﴾ الا اثبت لهم ذلك ﴿ ليجزيهم الله ﴾ بذلك ﴿ احسن ما كانوا يعملون ﴾ جزاء احسن اعمالهم أو احسن جزاء اعمالهم

قدار تضاه لهم وقبل منهم ﴿ ان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يعني ان الله سبحانه وتعالى لا يدع محسنا من خلقه قد أحسن في عمله وأطاعه فيما أمره به أو نهاه عنه أن يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفي الآية دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها سيآت الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه * واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد أن يتخلف عنه الا بعذر فاما غيره من الائمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيدا يقولون في هذه الآية انها لاول هذه الامة وآخرها فعلى هذا تكون هذه الآية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان أهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدي عن عطية انه قال وما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وأمرهم وقال هذا هو الصحيح لانه لا تتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذا أمر وكذا غيره من الائمة والولاة قالوا اذا ندبوا أو عينوا لانا لو سوغنا للمندوب أن يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد والله أعلم * وقوله عز وجل ﴿ ولا ينفقون ﴾ يعني في سبيل الله ﴿ نفقة صغيرة ولا كبيرة ﴾ يعني تمرة فما دونها أو أكثر منها حتى علاقة سوط ﴿ ولا يقطعون واديا ﴾ يعني ولا يجاوزون في مسيرهم واديا مقبلين أو مدبرين فيه ﴿ الا كتب لهم ﴾ يعني كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم ﴿ ليجزيهم الله ﴾ يعني يجازيهم ﴿ أحسن ما كانوا يعملون ﴾ قال الواحدي معناه باحسن ما كانوا يعملون وقال الامام فخر الدين الرازي فيه وجهان الاول أن الاحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب والمباح فالله سبحانه وتعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثاني ان الاحسن صفة للجزاء أي يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم و أجل وافضل و هو الثواب وفي الآية دليل على فضل الجهاد وانه من أحسن أعمال العباد (ق) عن سهل بن سعد الساعدي ان

اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغضبهم [illegible] وهو كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودي اذا سال ومنه نودي وقد شاع في الاستعمال بمعنى الارض (الا كتب لهم) من الانفاق وقطع الوادي (ليجزيهم الله) متعلق بكتب أي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء (أحسن ما كانوا يعملون) اي يجزيهم على كل واحد جزاء احسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيرا

(ان الله لا يضيع) لا يبطل (اجر المحسنين) ثواب المؤمنين في الجهاد (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) قليلة ولا كثيرة في الذهاب والمجيء (ولا يقطعون واديا) في طلب العدو (الا كتب لهم) ثواب عمل صالح (ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون)

حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) المراد بهذا النفى النهى وخص هؤلاء بالذكر وان استوى كل الناس فى ذلك لقربهم منه ولايخفى عليهم خروجه (ولا يرغبوا) ولاأن يضنوا (بانفسهم عن نفسه) عما يصيب نفسه أى لايختاروا ابقاء أنفسهم على نفسه فى الشدائد بل أمروا بان يصحبوه فى البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه فى كل شدة (ذلك) النهى عن التخلف (بانهم) بسبب أنهم (لايصيبهم ظمأ) عطش (و لا نصب) تعب (ولا مخمصة) مجاعة (فى سبيل الله) فى الجهاد (ولا يطؤن موطئا) ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وأرجلهم (يغيظ الكفار) يغضبهم ويضيق صدورهم (ولا ينالون من عدو نيلا) ولا يصيبون منهم اصابة بقتل أو أسر أو جرح أو كسر أو هزيمة (الا كتب لهم به عمل صالح) عن ابن عباس رضى الله عنهما لكل روعة سبعون ألف حسنة يقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام فى كل مايسوءهم وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك وعلى ان المدد يشارك الجيش فى الغنيمة بعد انقضاء الحرب لان وطء ديارهم مما يغيظهم وقد أسهم النبى صلى الله عليه وسلم لابنى عامر وقد قدما بعد تقضى الحرب والموطئ

حولهم من الاعراب) من مزينة وجهينة واسلم (أن يتخلفوا عن رسول الله) فى الغزوة (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) لايكونوا على أنفسهم أشفق من نفس النبى صلى الله عليه وسلم يقال ولا يرغبوا بانفسهم بصحبة أنفسهم عن نفسه عن صحبة النبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد (ذلك) الخروج (بانهم لا يصيبهم ظمأ) عطش فى الذهاب والمجئ (ولا نصب) ولا تعب (ولا مخمصة) ولا مجاعة (فى سبيل الله) فى الجهاد (ولا يطؤن موطئا) لايجوزون مكانا يظهرون عليه (يغيظ الكفار) بذلك (ولا ينالون من عدو نيلا) قتلا وهزيمة (الا كتب لهم به عمل صالح) ثواب عمل صالح فى الجهاد

حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ﴾ عن حكمه نهى عبر عنه بصيغة النفى للمبالغة ﴿ ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ﴾ ولا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الضح والريح ماهذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكأنه هو ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفى لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى مادل عليه قوله ما كان من النهى عن التخلف أو وجوب المشايعة ﴿ بانهم ﴾ بسبب انهم ﴿ لا يصيبهم ظمأ ﴾ شئ من العطش ﴿ ولا نصب ﴾ تعب ﴿ ولا مخمصة ﴾ مجاعة ﴿ فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا ﴾ ولا يدوسون مكانا ﴿ يغيظ الكفار ﴾ يغضبهم وطؤه ﴿ ولا ينالون من عدو نيلا ﴾ كالقتل والاسر والنهب ﴿ الا كتب لهم به عمل صالح ﴾ الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب

حولهم من الاعراب ﴾ يعنى سكان البوادى من مزينة وجهينة وأسلم واشجع وغفار وقيل هو عام فى كل الاعراب لان اللفظ عام وحمله على العموم أولى ﴿ أن يتخلفوا عن رسول الله ﴾ يعنى اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهى أى ليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا يرغبوا ﴾ يعنى ولا ان يرغبوا ﴿ بانفسهم عن نفسه ﴾ يعنى ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما يختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبته والجهاد معه فى حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم ان يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشقة السفر ومقاساة التعب ﴿ ذلك بانهم لا يصيبهم ﴾ فى سفرهم وغزواتهم ﴿ ظمأ ﴾ أى عطش ﴿ ولا نصب ﴾ أى تعب ﴿ ولا مخمصة ﴾ يعنى مجاعة شديدة ﴿ فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ﴾ يعنى ولا يضعون قدما على الارض يكون ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم ﴿ ولا ينالون من عدو نيلا ﴾ يعنى أسرا أو قتلا او هزيمة أو غنيمة أو نحو ذلك قليلا كان أو كثيرا ﴿ الا كتب لهم به عمل صالح ﴾ يعنى الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح

بالتوفيق للتوبة ﴿ ليتوبوا ﴾ أو انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ﴿ ان الله هو التواب ﴾ لمن تاب وان عاد فى اليوم مائة مرة ﴿ الرحيم ﴾ المتفضل عليه بالنعم ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ فيما لا يرضاه ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ فى ايمانهم وعهودهم أو فى دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين أى فى توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ﴿ ما كان لاهل المدينة ومن

تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تأكيد لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار أى وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا * وقوله تعالى ﴿ ليتوبوا ﴾ معناه ان الله سبحانه وتعالى تاب عليهم فى الماضى ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة فى المستقبل فيرجعوا ويداوموا عليها وقيل ان أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالتهم الاولى يعنى الى عادتهم فى الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك ﴿ ان الله هو التواب ﴾ يعنى على عباده ﴿ الرحيم ﴾ بهم وفيه دليل على ان قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شئ * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ يعنى فى مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ يعنى مع من صدق النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا فى البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبير مع الصادقين يعنى مع أبى بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا فى الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدى الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد فى الحديث وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صاحبه شيأ ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروى أن أبا بكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار فى يوم السقيفة وذلك أن الانصار قالوا منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر يا معشر الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار أنتم هم فقال أبو بكر ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فامركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم نحن الامراء وأنتم الوزراء وقيل مع بمعنى من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ما كان لاهل المدينة ﴾ يعنى لساكنى المدينة من المهاجرين والانصار ﴿ ومن

(ليتوبوا) ليكونوا من جملة التوابين (ان الله هو التواب الرحيم) عن ابى بكر الوراق انه قال التوبة النصوح أن تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) فى ايمانهم دون المنافقين أو مع الذين لم يتخلفوا أو مع الذين صدقوا فى دين الله نية وقولا وعملا والآية تدل على أن الاجماع حجة لانه أمر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم (ما كان لاهل المدينة ومن

عنهم (ليتوبوا) لكى يتوبوا من تخلفهم (ان الله هو التواب) المتجاوز (الرحيم) لمن تاب (يا أيها الذين آمنوا) عبد الله بن سلام واصحابه وغيرهم من المؤمنين (اتقوا الله) أطيعوا الله فيما أمركم (وكونوا مع الصادقين) مع أبى بكر وعمر وأصحابهما فى الجلوس والخروج بالجهاد (ما كان لاهل المدينة) ماجاز لاهل المدينة (ومن

﴿ حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ﴾ أي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة ﴿ وضاقت عليهم انفسهم ﴾ قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لايسعها انس ولاسرور ﴿ وظنوا ﴾ وعلموا ﴿ ان لاملجأ من الله ﴾ من سخطه ﴿ الا اليه ﴾ الا الى استغفاره ﴿ ثم تاب عليهم ﴾

هو مايظهر للانسان فى البرية فى وقت الهاجرة كانه ماء والمبيض بكسر الياء لابس البياض* قوله كن أباخيثمة معناه أنت ابو خيثمة و قيل معناه اللهم اجعله أباخيثمة أى لتوجد ياهذا الشخص أبا خيثمة حقيقة* قوله الذى لمزه المنافقون يعنى عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى وطنه* قوله حضرنى بثى البث أشد الحزن كانه لشدته يظهر* قوله زاح عنى الباطل أى زال وذهب عنى وأجمعت صدقه أى عزمت عليه لقد أعطيت جدلا أى فصاحة وقوة فى الكلام بحيث أخرج عن عهدة ما أردت بما أشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد هو الغضبان* قوله فما زالوا يؤنبونى أى يلومونى أشد اللوم* قوله حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف معناه تغير على كل شئ من الارض وتوحشت على وصارت كانها أرض لاأعرفها* وقوله فاما صاحباى فاستكانا يعنى خضعا وسكنا قوله تسورت حائط أبى قتادة أى علوته وصعدت سوره وهو أعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من العجم والروم والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح* قوله فتيممت بها التنور فسجرته بها أى فقصدت بالصحيفة التى أرسل بها ملك غسان فاحرقتها فى التنور وسلع جبل بالمدينة معروف* و قوله وانطلقت أتأمم يعنى أقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه أمارات الفرح والسرور* قوله انخلع من مالى أى اخرج منه جميعه وأتصدق به كما يخلع الانسان قميصه* قوله ماعلمت أحدا من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث أحسن مما أبلانى البلاء والابتلاء يكون فى الخير وفى الشر واذا اطلق كان فى الشر غالبا فاذا اريد به الخير قيد به كما قيد هنا بقوله أحسن مما أبلانى أى أنعم على* قوله أن لاأكون كذبته هذا هو فى جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظة لازائدة ومعناه أن أكون كذبته .وقوله فاهلك هو بكسر اللام وارجاؤه أمرنا تأخيره* وقوله فى الرواية الاخرى يحطمكم الناس أى يطؤكم و يزدحمون عليكم وأصل الوطء الكسر* وقوله سائر الليل يعنى باقى الليل* وقوله وآذن بتوبة الله علينا أى اعلم والاذان الاعلام والله أعلم * قوله عز وجل ﴿ حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ﴾ يعنى بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى أنه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا ﴿ وضاقت عليهم انفسهم ﴾ يعنى من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم ﴿ وظنوا ﴾ يعنى وأيقنوا وعلموا ﴿ أن لاملجأ ﴾ يعنى لامفزع ولامفر ﴿ من الله الا اليه ﴾ ولا عاصم من عذابه الا هو ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ فيه اضمار وحذف

(حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) برحبها أى مع سعتها وهو مثل للحيرة فى أمرهم كأنهم لايجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا (وضاقت عليهم انفسهم) أى قلوبهم لايسعها أنس ولاسرور لانها خرجت من فرط الوحشة والغم (وظنوا أن لاملجأ من الله الا اليه) وعلموا أن لاملجأ من سخط الله الا الى استغفاره (ثم تاب عليهم) بعد خمسين يوما

(حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) بسعتها (وضاقت عليهم أنفسهم) قلوبهم بتأخير التوبة (وظنوا) علموا وأيقنوا (أن لاملجأ من الله) أن لانجاة لهم من الله (الا اليه) الا بالتوبة اليه من تخلفهم عن غزوة تبوك (ثم تاب عليهم) تجاوز عنهم وعفا

منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله ووالله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجو أن يحفظنى الله فيما بقى قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد ان هدانى للاسلام اعظم فى نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى شر ما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذى ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه وفى رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامى وكلام صاحبى ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فما من شئ أهم الى من أن أموت فلا يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد منهم ولا يصلى على ولا يسلم على قال وأنزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة فى شأنى معتنية بامرى فقال رسول صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب بن مالك قالت أفلا أرسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا أخرجه البخارى ومسلم

شرح غريب هذا الحديث

قوله حين تواثقنا على الاسلام التواثق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجمل أو الناقة القويان على الحمل والسفر ، وقوله ورى بغيرها يقال ورى عن الشئ اذا أخفاه وأظهر غيره والمفازة البرية القفراء سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها ، قوله فجلا هو بالتخفيف يعنى كشف لهم مقصدهم وأظهره لهم و الاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر ، قوله فأنا اليها أصعر هو بالعين المهملة أى أميل والصعر الميل ، قوله وتفارط الغزو أى تباعد ما بينى و بين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار اليه بالعيب يقال فلان ينظر فى عطفيه اذا كان معجبا بنفسه ويقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان خيالا فيه من بعد والسراب

(هو)

فقرأته فاذا فيه أما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته حتى اذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي واذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزلها ولا تقربها قال وأرسل الى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لامرأتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت انه والله مابه حركة الى شئ ووالله مازال يبكي منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدريني مايقول لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل عنا قد ضاقت على نفسي وضاقت على الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت انه قد جاء فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من اسلم قبلي وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما و انطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنؤني بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ماقام الى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يارسول الله أمن عند الله فقال لا بل من عند الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله ان من توبتي أن انخلع من مالى صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فانى أمسك سهمي الذى بخيبر قال وقلت يارسول الله ان الله انما أنجاني بالصدق وان من توبتي أن لا أحدث الا صدقا مابقيت قال فوالله ماعلمت ان أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث

الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت انى لن أنجو منه بشئ أبدا فأجمعت صدقه فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله عز وجل حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال لي تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال ماخلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قال قلت يارسول الله انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه انى لأرجو فيه عقبى الله وفي رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله مازالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي هذا أحد معي قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ماقلت وقيل لهما مثل ماقيل لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس أو قال تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الارض فما هي بالارض التي عرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد الصلاة وأطوف في الاسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه أعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس الي فسلمت عليه فوالله مارد علي السلام فقلت ياأبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم انى أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا أنا أمشي في سوق المدينة اذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب ابن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الي حتى جاءني فدفع الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا

{ فقرأته }

وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون مرجون لامر الله وفي معنى خلفوا قولان
أحدهما انهم خلفوا عن توبة أبي لبابة وأصحابه وذلك انهم لم يخضعوا كما خضع ابو لبابة
وأصحابه فتاب الله على أبي لبابة واصحابه وأخر أمر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد
ذلك والقول الثاني انهم تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيها ❊ وأما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب الزهري قال أخبرني
عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قائد كعب من بنيه
حين عمى قال وكان أعلم قومه واوعاهم لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن مالك بن كعب يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها
قط الا في غزوة تبوك غير اني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها انما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على
غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام
وما أحب أن لي بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر في الناس منها وكان من خبري حين
تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني
حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك
الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك
الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا
واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم وجههم الذي يريد
والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك
الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الا ظن ان ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي
من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال
فانا اليها أصعب فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز
معهم فارجع ولم اقض شيأ فاقول في نفسي أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل ذلك يتمادى بي
حتى استمر بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من
جهازي شيأ ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيأ فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط
الغزو فهممت أن أرتحل فادركهم فياليتني فعلت ثم لم تقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت
في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى لي أسوة الا رجلا
مغموصا عليه في النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال
رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت
والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو كذلك
رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فاذا هو
خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغني ان رسو

عن الثبات على الايمان أو اتباع الرسول ... ضمير القوم والعائد عليه الضمير فى منهم • وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقى • وقرئ من بعد مازاغت قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ تكرير للتأكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة أو المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم ﴿ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة ﴾ وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع ﴿ الذين خلفوا ﴾ تخلفوا عن الغزو أو خلف امرهم فانهم المرجؤن

يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وما معهم الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء ويفعل صاحبه كذلك حتى تأتى على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع النبى صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضى الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستقطع فقال أبو بكر الصديق يارسول الله ان الله عز وجل قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله قال أتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى ارسل الله سحابة فمطرت فملؤا ما معهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر أسنده الطبرى عن عمر ❊ قوله عز وجل ﴿ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ﴾ يعنى من بعد ما قارب أن تميل قلوب بعضهم عن الحق من أجل المشقة والشدة التى نالتهم والزيغ فى اللغة الميل وقيل هم بعضهم أن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التى نالتهم لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما خطر فى قلوبهم فلاجل ذلك قال تعالى ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى علم الاخلاص نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الانابة والتوبة • فان قلت قد ذكر التوبة أولا ثم ذكرها ثانيا فما فائدة التكرار • قلت انه سبحانه وتعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه بذكر التوبة مرة أخرى تعظيما لشأنهم وليعلموا أنه سبحانه وتعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم أتبعه بقوله ﴿ انه بهم رؤف رحيم ﴾ تأكيدا لذلك ومعنى الرؤف فى صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم مالا يطيقون من العبادات وبين الرؤف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا فى المعنى قال الخطابى قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرأفة تكون مع الكراهة ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع كلهم من الانصار

(من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان أو عن اتباع الرسول فى تلك الغزوة والخروج معه وفى كاد ضمير الشان والجملة بعده فى موضع النصب وهو كقولهم ليس خلق الله مثله أى ليس الشان خلق الله مثله يزيغ حمزة وحفص (ثم تاب عليهم) تكرير للتوكيد (انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة) أى وتاب على الثلاثة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وهو عطف على النبى (الذين خلفوا) عن الغزو

(من بعد ما كان يزيغ) يميل (قلوب فريق منهم) من المؤمنين المخلصين عن الخروج مع النبى ... (ثم تاب عليهم) تجاوز عنهم وثبت قلوبهم حتى خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم (انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا) وتجاوز عن الثلاثة الذين خلفوا توبتهم كعب بن مالك واصحابه

معداه حتى لايبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه ﴿ لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار ﴾ من اذن المنافقين فى التخلف أو برأهم عن عاقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى مامن احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبى والمهاجرين والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ مامن احد الاوله مقام يستنقص دونه ماهو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده ﴿ الذين اتبعوه فى ساعة العسرة ﴾ فى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا

وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم * قوله عز وجل ﴿ لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار ﴾ الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبى صلى الله عليه وسلم مؤاخذته باذنه للمنافقين بالتخلف فى غزوة تبوك وهو كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لا أنه ذنب يوجب عقابا وقال اصحاب المعانى هو مفتاح كلام للتبرك كقوله سبحانه وتعالى فان لله خمسه ومعنى هذا ان ذكر النبى بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار فى ضم توبتهم الى توبة النبى صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله فى قوله فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف له وأما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل ماوقع فى قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت فى وقت شديد وربما وقع فى قلوب بعضهم انا لانقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ماوقع فى قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لايخلو من زلات وتبعات فى مدة عمره اما من باب الصغائر واما من باب ترك الافضل ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التى حصلت لهم فى ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ماتحملوه من الشدائد العظيمة فى تلك الغزوة مع النبى صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم فى الدين وانهم قد بلغوا الى الرتبة التى لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم ﴿ الذين اتبعوه ﴾ فى تلك غزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبى صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك فى سبعين ألفا مابين راكب وماش من المهاجرين والانصار [illegible] ﴿ فى ساعة العسرة ﴾ يعنى فى وقت العسرة ولم يرد [illegible] العسرة الشدة والضيق [illegible] تسمى غزوة العسرة والجيش الذى سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة فى الظهر والزاد والماء [illegible] عشرة منهم [illegible] واحد

العسرة والشدة وكانت لهم عسرة من الزاد وعسرة من الظهر وعسرة من [illegible]

لقد تاب الله على النبى) أى تاب عليه باذنه للمنافقين فى التخلف عنه كقوله عفا الله عنك (والمهاجرين والانصار) فيه بعث للمؤمنين على التوبة وانه مامن مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار (الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) فى غزوة تبوك ومعناه فى وقتها والساعة مستعمله فى معنى الزمان المطلق وكانوا فى عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ومن الماء حتى نحروا الابل وعصروا كرشها وشربوه وفى شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط

(لقد تاب الله على النبى) تجاوز الله عن النبى (والمهاجرين والانصار) الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا ثم بينهم فقال (الذين اتبعوه) اتبعوا النبى فى غزوة تبوك (فى ساعة العسرة) فى حين

[illegible]

شكاسته عليه ﴿وما كان الله ليضل قوما﴾ أى ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم ﴿بعد اذهداهم﴾ للاسلام ﴿حتى يبين لهم مايتقون﴾ حتى يبين لهم حظر مايجب اتقاؤه وكان بيان عذر للرسول فى قوله لعمه أو لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه فى قوم مضوا على الامر الاول فى القبلة والخمر ونحو ذلك وفى الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ﴿ان الله بكل شئ عليم﴾ فيعلم امرهم فى الحالتين ﴿ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولانصير﴾ لما منعهم عن الاستغفار للمشركين لو كانوا اولى قربى وتضمن ذلك وجوب التبرى عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى امره والغالب عليه ولايتأتى لهم ولاية ولانصرة الامنه ليتوجهوا بشراشرهم اليه و يتبرؤا

سبحانه وتعالى أنه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ من أبيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا به أنتم فى هذه الحالة أيضا ❊ وقوله سبحانه وتعالى ﴿وماكان الله ليضل قوما بعد اذهداهم﴾ يعنى وماكان الله ليقضى عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد ان رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله وذلك أنه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا ماصدر منهم فاعلمهم ان ذلك ليس بضائرهم ﴿حتى يبين لهم مايتقون﴾ يعنى مايأتون ومايذرون وهو أن يقدم اليهم النهى عن ذلك الفعل فاما قبل النهى فلا حرج عليهم فى فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهى عن الاستغفار للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع فى قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله عزوجل هذه الآية وبين أنه لايؤاخذهم بعمل الابعد أن يبين لهم مايجب عليهم أن يتقوه ويتركوه وقال مجاهد بيان الله للمؤمنين فى ترك الاستغفار للمشركين خاصة و بيانه لهم فى معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم مايأتون ومايذرون وقال مقاتل والكلبى هذا فى أمر المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وأسلموا قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة ورجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولاعلم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يارسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن على ضلال فانزل الله عزوجل وما كان الله ليضل قوما بعد اذهداهم يعنى وما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ ﴿ان الله بكل شئ عليم﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عندما نهاكم عن الاستغفار للمشركين و يعلم مايبين لكم من أوامره ونواهيه ❊ ان الله له ملك السموات والارض﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والارض ومافيهما عبيده وملكه يحكم فيهم بما يشاء ﴿يحيي ويميت﴾ يعنى انه تعالى يحيي من يشاء على الايمان و يميته عليه ويحيي من يشاء على الكفر ويميته عليه لااعتراض لاحد عليه فى حكمه وعبيده ﴿ومالكم من دون الله من ولى ولانصير﴾ يعنى انه تعالى هو وليكم

أى ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لايؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولايخذلهم الااذا قدموا عليه بعد بيان خطره وعلمهم بانه واجب الاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بمايتقون مايجب اتقاؤه للنهى فاما مايعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف (ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير

(وما كان الله ليضل قوما) ليترك قوما بمنزلة الضلال ويقال ليبطل عمل قوم (بعد اذهداهم) للايمان (حتى يبين لهم مايتقون) المنسوخ بالناسخ (ان الله بكل شئ) من المنسوخ والناسخ (عليم ان الله له ملك السموات) خزائن السموات الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك (والارض) وخزائن الارض مثل الشجر والدواب والجبال والبحار وغير ذلك (يحيي) للبعث (ويميت) فى الدنيا (ومالكم من دون الله) من عذاب الله (من ولى) قريب ينفعكم (ولانصير) مانع

قطع استغفاره ﴿ ان ابراهيم لأواه ﴾ لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه ﴿ حليم ﴾ صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع

فعلى هذا الهاء فى اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من أبيه وذلك ان أبا ابراهيم وعد ابراهيم أن يسلم فقال ابراهيم سأستغفر لك ربى يعنى اذا أسلمت وقيل ان الهاء راجعة الى الاب وذلك ان ابراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء اسلامه ويؤكد هذا قوله سأستغفر لك ربى ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها أباه بالباء الموحدة فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعنى فلما ظهر لابراهيم وبان له ان أباه [illegible] لله يعنى بموته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى ابراهيم ان أباه عدو له فتبرأ منه وقيل لما تبين له فى الآخرة انه عدو لله تبرأ منه و يدل على ذلك ماروى عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول ابراهيم ألم أقل لك لاتعصنى فيقول أبوه فاليوم لاأعصيك فيقول ابراهيم يارب انك وعدتنى أن لاتخزينى يوم يبعثون فأى خزى أخزى من أبى فيقول الله تبارك وتعالى انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال ياابراهيم ماتحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار أخرجه البخارى زاد غيره فتبرأ منه والقترة غبرة يعلوها سواد والذيخ بذال معجمة ثم ياء مثناة من تحت ثم خاء معجمة هو ذكر الضباع والانثى ذيخة ✽ وقوله تبارك وتعالى ﴿ ان ابراهم لأواه حليم ﴾ جاء فى الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع و قال ابن مسعود الاواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن [illegible] الاواه رحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال كعب الاحبار هو الذى يكثر التأوه وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول أوه من النار قبل ان لاينفع أوه وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عزوجل وقال سعيد بن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شفقا وفرقا المتضرع ايقانا ولزوما للطاعة وقال الزجاج انتظم فى قول أبى عبيدة جميع ماقيل فى الاواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والفعل منه أوه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه أوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويشتد حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق فى القلب ليخف بعض مابه من الحزن والشدة وأما الحليم فمعناه ظاهر وهو الصفوح عن سبه أوأتاه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم بأبيه حين قال له لئن لم تنته لأرجمنك فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربى وقال ابن عباس الحليم السيد و انما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله ليبين

(ان ابراهيم لأواه) هو المتأوه شفقا وفرقا ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته كان يتعطف على أبيه الكافر (حليم) هو الصبور على البلاء الصفوح عن الاذى لانه كان يستغفر لابيه وهو يقول لارجمنك

(ان ابراهيم لأواه) دعاء ويقال رحيم ويقال سيد ويقال كان يتأوه على نفسه فيقول أوه من النار قبل دخول النار (حليم) عن الجهل

من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم ﴾ بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم عليه الصلاة والسلام لابيه الكافر فقال ﴿ وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ﴾ وعدها ابراهيم اباه بقوله لأستغفرن لك أى لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ماقبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه أو وعدها ابراهيم ابوه وهو الوعد بالايمان ﴿ فلما تبين له انه عدو لله ﴾ بأن مات على الكفر أو اوحى فيه بانه لن يؤمن ﴿ تبرأ منه ﴾

فزوروا القبور فانها تذكر ... وت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله هذه الآية وروى الطبرى بسنده عنه قال ذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان من آبائنا من كان يحسن الجوار و يصل الارحام و يفك العانى ويوفى بالذمم أفلا نستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله عز و جل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ثم عذر الله ابراهيم فقال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية عن على بن أبي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له أتستغفر لابويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية أخرجه النسائى والترمذى وقال حديث حسن وأخرجه الطبرى وقال فيه فانزل الله عز و جل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه الآية ومعنى الآية ما كان ينبغى للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله سبحانه وتعالى لايغفر للمشركين ولايجوز أن يطلب منه مالا يفعله ففيه النهى عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قربى لان النهى عن الاستغفار للمشركين عام فيستوى فيه القريب والبعيد ﴿ ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى ﴿ من بعد ماتبين لهم انهم أصحاب الجحيم ﴾ يعنى تبين لهم أنهم ماتوا على الشرك فهم من أصحاب الجحيم وأيضا فقد قال تبارك وتعالى ان الله لايغفر أن يشرك به والله تعالى لايخلف وعده ﴿ أما قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ﴾ فمعناه وما كان طلب ابراهيم لابيه المغفرة من الله الا من أجل موعدة وعدها ابراهيم ... أن يستغفر له رجاء اسلامه قال على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ... نزل الله خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك سأستغفر لك ربى سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أتستغفر لابويك وهما مشركان فقال أولم يستغفر ابراهيم لابيه فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك يعنى ان ابراهيم ليس بقدوة فى هذا الاستغفار لانه انما استغفر لابيه وهو مشرك لمكان الموعد الذى وعده أن يسلم ﴿ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾

(... أنهم أصحاب الجحيم) بعد ماظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر ابراهيم فقال (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه) أى وعد أبوه اياه أن يسلم أو هو وعد أباه أن يستغفر وهو قوله لاستغفرن لك دليله قراءة الحسن وعدها أباه ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم سؤاله اعطاء الاسلام الذى به يغفر له (فلما تبين) من جهة الوحى (له) ... منه) وقطع استغفاره

(من بعد ماتبين لهم انهم أصحاب الجحيم) أهل النار أى ماتوا على الكفر (وما كان استغفار ابراهيم) أى دعاء ابراهيم (لابيه الا عن موعدة وعدها اياه) أن يسلم (فلما تبين له أنه عدو لله) أى حين مات على الكفر (تبرأ منه) ومن دينه

آخر ما كلمهم أنا على ملة عبد المطلب وأبى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى وأنزل الله فى أبى طالب انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء أخرجاه فى الصحيحين ﻫ فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية فى شأن أبى طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة أول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهى من آخر القرآن نزولا قلت الذى نزل فى أبى طالب قوله تعالى انك لاتهدى من أحببت فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك مالم أنه عنك كما فى الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له فى بعض الاوقات الى أن نزلت هذه الآية فمنع من الاستغفار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فأبى فانزل الله انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء الآية وفى رواية قال لولا تعيرنى قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله الآية (ق) عن ابى سعيد الخدرى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه تغلى منه أم دماغه وفى رواية يغلى منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يارسول الله ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الاسفل من النار وفى رواية قال قلت يارسول الله ان عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته فى غمرات من نار فاخرجته الى ضحضاح وقال ابو هريرة وبريدة لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة أتى قبر أمه آمنة فوقف حتى حميت الشمس رجاء ان يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبرى بسنده عن بريدة ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قبر و اكثر ظنى انه قال قبره أمه فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يارسول الله انا رأينا ماصنعت قال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فاذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يؤذن لى فما رؤى باكيا أكثر من يومئذ وحكى ابن الجوزى عن بريدة قال ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بقبر أمه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما أبكاك قال مررت بقبر أمى فصليت ركعتين ثم استأذنت ربى أن أستغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربى أن استغفر لها فزجرت زجرا فابكانى ثم دعا براحلته فركبها فما سار الاهنيهة حتى قامت الناقة لثقل الوحى فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى الآية (ق) عن ابى هريرة قال زار النبى صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربى فى ان أستغفر لها فلم يؤذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فاذن لى

﴿ والحافظون لحدود الله ﴾ أى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ماقبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بأن التعداد قد تم بالسبع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ يعنى به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل و بشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام قال لابى طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فأبى فقال عليه السلام لاازال استغفر لك مالم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر امى فاذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وانزل على الآيتين ﴿ ولو كانوا اولى قربى

الناس بالحق فى أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنه أو نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن أما انهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه وأما دخول الواو فى والناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله سبحانه وتعالى وثامنهم كلبهم وقوله تعالى فى صفة الجنة وفتحت أبوابها وقيل فيه وجه آخر وهو ان الموصوفين بهذه الصفات الست هم الآمرون يعنى هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون الى قوله الساجدون مبتدأ خبره الآمرون يعنى هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ﴿ والحافظون لحدود الله ﴾ قال ابن عباس يعنى القائمين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرائض الله وهم أهل الوفاء ببيعة الله وقيل هم المؤدون فرائض الله المنتهون الى أمره ونهيه فلا يضيعون شيأ من العمل الذى الزمهم به ولا يرتكبون منهيا نهاهم عنه ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ يعنى بشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا وفوا الله تعالى بعهده فانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال التسع وهو قوله تعالى التائبون الى آخر الآية بان له الجنة وان لم يغز ﴿ قوله عز وجل ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى ﴾ الآية واختلف أهل التفسير فى سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت فى شأن أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم والدعلى وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك ماروى عن سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب ابن حزن قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال أى عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب

ثيبات وأبكارا (والحافظون لحدود الله) أوامره ونواهيه أو معالم الشرع (وبشر المؤمنين) المتصفين بهذه الصفات وهم عليه السلام ان يستغفر لابى طالب فنزل (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) أى ماصح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته

(والحافظون لحدود الله) لفرائض الله (وبشر المؤمنين) بالجنة (ما كان للنبى) ما جاز لمحمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أن يستغفروا) أن يدعوا (للمشركين لو كانوا أولى قربى) فى الرحم

وقرى بالياء نصبا على المدح أو جرا صفة للمؤمنين ﴿ العابدون ﴾ الذين عبدوا الله مخلصين له ﴿ الحامدون ﴾ لنعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء ﴿ السائحون ﴾ الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة امتى الصوم من حيث انه يعوق عن الشهوات أو لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت أوالسائحون للجهاد أو لطلب العلم ﴿ الراكعون الساجدون ﴾ فى الصلاة ﴿ الآمرون بالمعروف ﴾ بالايمان والطاعة ﴿ والناهون عن المنكر ﴾ عن الشرك والمعاصى والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه فى حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين و فى قوله تعالى

وقيل التائبون من جميع المعاصى لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل سواء أن التوبة المقبولة انما تحصل بامور أربعة أولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها فى المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص فى توبته ﴿ العابدون ﴾ يعنى المطيعين لله الذين يرون عبادة لله واجبة عليهم وقيل هم الذين أتوا بالعبادة على أقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهى أن تكون العبادة خالصة لله تعالى ﴿ الحامدون ﴾ يعنى الذين يحمدون الله تعالى على كل حال فى السراء والضراء ۞ روى البغوى بغير سند عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله فى السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع نعمه دنيا وأخرى ﴿ السائحون ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون قال سفيان بن عيينة انما سمى الصائم سائحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال الازهرى قيل للصائم سائح لان الذى يسيح فى الارض متعبدا لا زاد معه فكان ممسكا عن الاكل وكذلك الصائم ممسك عن الاكل وقيل اصل السياحة استمرار الذهاب فى الارض كالماء الذى يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهى وقال عطاء السائحون هم الغزاة المجاهدون فى سبيل الله ويدل عليه ما روى عن عثمان بن مظعون قال قلت يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ذكره البغوى بغير سند وقال عكرمة السائحون هم طلبة العلم لانهم ينتقلون من بلد الى بلد فى طلبه وقيل ان السياحة لها أثر عظيم فى تهذيب النفس وتحسين أخلاقها لان السائح لابد أن يلقى أنواعا من الضر والبؤس ولابد له من الصبر عليها ويلقى العلماء والصالحين فى سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه من بركتهم ويرى العجائب وآثار قدرة الله تعالى فيتفكر فى ذلك فيدله على وحدانية الله سبحانه وتعالى وعظم قدرته ﴿ الراكعون الساجدون ﴾ يعنى المصلين وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لانهما معظم أركانها وبهما يتميز المصلى من غير المصلى بخلاف حالة القيام والقعود لانهما حالة المصلى وغيره ﴿ الآمرون بالمعروف ﴾ يعنى يأمرون الناس بالايمان بالله وحده ﴿ والناهون عن المنكر ﴾ يعنى عن الشرك بالله وقيل انهم يأمرون

مبتدأ خبره (العابدون) أى الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وما بعده خبر بعد خبر أى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق (الحامدون) على نعمة الاسلام (السائحون) الصائمون لقوله عليه السلام سياحة أمتى الصيام أو طلبة العلم لانهم يسيحون فى الارض يطلبونه فى مظانه أو السائرون فى الارض للاعتبار (الراكعون الساجدون) المحافظون على الصلوات (الآمرون بالمعروف) بالايمان والمعرفة والطاعة (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصى ودخلت الواو للاشعار بان السبعة عقد تام أو للتضاد بين الامر والنهى فى قوله

(الحامدون) الشاكرون (السائحون) الصائمون (الراكعون الساجدون) فى الصلوات الخمس (الآمرون بالمعروف) بالتوحيد والاحسان (والناهون عن المنكر) عن الكفر وما لا يعرف فى شريعة ولا سنة

أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى وهو يقرؤها فقال بيع والله مربح لانقيله ولانستقيله فخرج الى الغزو واستشهد (يقاتلون فى سبيل الله) بيان محل التسليم (فيقتلون ويقتلون) أى تارة يقتلون العدو وطورا يقتلهم العدو فيقتلون ويقتلون حمزة وعلى (وعدا عليه) مصدر أى وعدهم بذلك وعدا (حقا) صفته أخبر بان هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد أثبته (فى التورية والانجيل والقرآن) وهو دليل على ان اهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لان اخلاف الميعاد قبيح لايقدم عليه الكريم منا فكيف باكرم الاكرمين ولاترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فافرحوا به غاية الفرح فانكم تبيعون فانيا بباق (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق ليس لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين او هو

(يقاتلون فى سبيل الله) فى طاعة الله (فيقتلون) العدو (ويقتلون) ويقتلهم العدو (وعدا عليه) على الله (حقا) واجبا ان يوفيهم (فى التورية والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله) ومن افى بوفاء عهده من الله (فاستبشروا ببيعكم الذى (وقيل) بايعتم به) الله يعنى الجنة (وذلك هو الفوز العظيم) النجاء الوافر ثم بين من هم فقال (التائبون) أى هم التـائبون من الذنوب

لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم فى سبيله ﴿ يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ﴾ استئناف ببيان مالاجله الشراء وقيل يقاتلون فى معنى الامر وقرأ حمزة والكسائى بتقديم المبنى للمفعول وقد عرفت ان الواو لاتوجب الترتيب وان فعل البعض قديسند الى الكل ﴿ وعدا عليه حقا ﴾ مصدر مؤكد لمادل عليه الشراء فانه فى معنى الوعد ﴿ فى التورية والانجيل والقرآن ﴾ مذكور فيهما كما اثبت فى القرآن ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ مبالغة فى الانجاز وتقرير لكونه حقا ﴿ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ﴾ فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال ﴿ وذلك هو الفوز العظيم التائبون ﴾ رفع على المدح أى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون و يجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى أو خبره مابعده أى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال

وجوه البر والطاعة ﴿ يقاتلون فى سبيل الله ﴾ هذا تفسير لتلك المبايعة وقيل فيه معنى الامر أى قاتلوا فى سبيل الله ﴿ فيقتلون ويقتلون ﴾ يعنى فيقتلون أعداء الله ويقتلون فى طاعة الله وسبيله ﴿ وعدا عليه حقا ﴾ يعنى ذلك الوعد بان لهم الجنة وعد على الله حقا ﴿ فى التورية والانجيل والقرآن ﴾ يعنى ان هذا الوعد الذى وعده الله تعالى للمجاهدين فى سبيله قد أثبته فى التوراة والانجيل كما أثبته فى القرآن وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود فى جميع الشرائع ومكتوب على جميع أهل الملل ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ يعنى لا أحد أوفى بالعهد من الله ﴿ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ﴾ يعنى فاستبشروا ايها المؤمنون بهذا البيع الذى بايعتم الله به ﴿ وذلك ﴾ يعنى هذا البيع ﴿ هو الفوز العظيم ﴾ لانه رابح فى الآخرة قال عمر بن الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا فاشترى الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فاغلى لهم ✽ قوله سبحانه وتعالى ﴿ التائبون ﴾ قال الفراء استؤنف لفظ التائبون بالرفع لتمام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر والمعنى التائبون الى آخره لهم الجنة أيضا وان لم يجاهدوا غير معاندين ولاقاصدين لترك الجهاد وهذا وجه حسن فكانه وعد بالجنة جميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعنى المؤمنين المذكورين فى قوله ان الله اشترى ✽ وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعنى الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل التوبة من الكفر والنفاق فيه

فى قلوبهم) لايزال هدمه سبب شك و نفاق زائد على شكهم و نفاقهم لتغاظهم من ذلك وعظمه عليهم (الاان تقطع قلوبهم) شامى وحمزة وحفص أى تتقطع غيرهم تقطع أى الأأن تقطع قلوبهم قطعا و تفرق أجزاء فحينئذ يسئلون عنه وأما مادامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ثم يجوز أن يكون ذكر التقطع تصوير الحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطعها وما هوكائن منه بقتلهم اوفى القبور أوفى النار أومعناه الاأن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم (والله عليم) بعزائمهم (حكيم) فى جزاء جرائمهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة) مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله بالشراء وروى تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن الحسن

حسرة ندامة (فى قلوبهم الاان تقطع قلوبهم) الاان يموتوا (والله عليم) ببنيانهم مسجد الضرار وبنيانهم (حكيم) فيما حكم من هدم مسجدهم وحرقه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من غزوة تبوك عامر بن قيس و [illegible] [illegible] عدماه (ان الله اشترى من المؤمنين)المخلصين(أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة) بالجنة

فى قلوبهم ﴾ اى شكاونفاقا والمعنى ان بنيانهم هذا لايزال سبب شكهم وتزائد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله تعالى عليه و سلم رسخ ذلك فى قلوبهم وازداد بحيث لايزول وسمه عن قلوبهم ﴿ الا ان تقطع قلوبهم ﴾ قطعا بحيث لايبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو فى غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ماهوكائن بالقتل أوفى القبر أوفى النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع باليـاء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول أوكل مخاطب ولو قطعت وقطعت على البناء للفاعل او المفعول ﴿ والله عليم ﴾ بنياتهم ﴿ حكيم ﴾ فيما امر بهدم بنيانهم ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ﴾ تمثيل

يعنى شكا و نفاق ﴿ فى قلوبهم ﴾ والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة فى قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببناء مسجدهم فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما وحزنا وبغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة فى قلوبهم وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون فى بنائه كما حبب العجل الى بنى اسرائيل فلما أمر رسول صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لأى سبب أمر بتخريبه و قال السدى لايزال هدم بنيانهم ريبة أى حرارة وغيظا فى قلوبهم ﴿ الا أن تقطع قلوبهم ﴾ أى تجعل قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء اما بالسيف واما بالموت والمعنى ان هذه الريبة باقية فى قلوبهم الى أن يموتوا عليها ﴿ والله عليم ﴾ يعنى باحوالهم وأحوال جميع عباده ﴿ حكيم ﴾ يعنى فيما حكم به عليهم * قوله عزوجل ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ﴾ الآية قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ماشئت قال اشترط لربى أن تعبدوه ولاتشركوا به شيأ وأشترط لنفسى أن تمنعونى مماتمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فالنا قال الجنة قالوا ربح البيع لانقيل ولانستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال أهل المعانى لايجوز أن يشترى الله شيأ هوله فى الحقيقة لان المشترى انما يشترى مالايملك والاشياء كلها ملك لله عزوجل ولهذا قال الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقنا اياها لكن جرى هذا مجرى التلطف فى الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل فى سبيل الله حتى يقتل أو أنفق ماله فى سبيل الله عوضه الله الجنة فى الآخرة جزاء بما فعل فى الدنيا فجعل ذلك استبدالا واشتراء فهذا معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة والمراد باشتراء الاموال انفاقها فى سبيل الله وفى جميع

لوضوحه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهى تقوى الله ورضوانه خير ام من أسسه على قاعدة هى أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لانه جعل مجازا والشفا الجرف والشفير وجرف الوادى جانبه الذى يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذى أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف وألفه ليس بالف فاعل انما هى عينه واصله هور فقلبت ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ولاترى أبلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه أمره أفمن أسس بنيانه أمن أسس بنيانه شامى ونافع جرف شامى وحمزة ويحيي هار بالامالة أبو عمرو وحمزة فى رواية ويحيي (فانهار به فى نار جهنم) فطاح به الباطل فى نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذى هو للجرف وليصور ان المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف هار من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى فى قعرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار (والله لايهدى القوم الظالمين) لايوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم (لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة (يعنى)

على قاعدة هى اضعف القواعد وارخاها ﴿ فانهار به فى نار جهنم ﴾ فأدى به خوره وقلة استمساكه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا الجرف وهو ماجرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التى الجنة ادناها وتأسيس هذا على ماهم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لامحالة ٭ وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول ٭ وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس وآساس بالفتح والمد واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لاللتأنيث كتترى ٭ وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف ﴿ والله لايهدى القوم الظالمين ﴾ الى مافيه صلاحهم ونجاتهم ﴿ لايزال بنيانهم الذى بنوا ﴾ بناؤهم الذى بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ﴿ ريبة

الشفير وشفا كل شئ حرفه ومنه يقال أشفى على كذا اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذى أكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب وقال أبو عبيد الجرف هو الهوة ومايجرفه السيل من الاودية فيتحفر بالماء فيبقى واهيا هار أى هائر وهو ساقط فهو من هار يهور فهو هائر وقيل من هار يهار اذا تهدم وسقط وهو الذى تداعى بعضه فى أثر بعض كما يهار الرمل والشئ الرخو ﴿ فانهار به ﴾ يعنى سقط بالبانى ﴿ فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين ﴾ والمعنى ان بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فيهور باهله فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس دينه على أضعف القواعد وأقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل بناء على غير أساس ثابت وهو شفا جرف هار واذا كان كذلك كان أسرع الى السقوط فى نار جهنم ولان البانى الاول قصد ببنائه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه أشرف البناء والبانى الثانى قصد ببنائه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناؤه أخس البناء وكانت عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ماتناهى بناؤهم حتى وقع فى النار ولقد ذكر لنا انه حفرت بقعة منه فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبدالله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار ﴿ لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة ﴾

(فانهار به) فغار به يعنى بانيه (فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين) لايغفر للمنافقين ولا ينجيهم (لايزال بنيانهم) بعد ماهدمت (الذى بنوا ريبة)

والله يحب المطهرين) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يارسول الله انهم مؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون أنتم ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي عليه السلام رجال يحبون أن يتطهروا قيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشئ ومعنى محبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه (أفمن أسس بنيانه) وضع أساس ما يبنيه (على تقوى من الله ورضوان خير أم من اسس بنيانه على شفا جرف هار) هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه (والله يحب المطهرين)

المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها ﴿والله يحب المطهرين﴾ يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال عليه الصلاة والسلام أمؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا فقال نعم عليه الصلاة والسلام انتم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا فيه رجال يحبون ان يتطهروا ﴿أفمن اسس بنيانه﴾ بنيان دينه ﴿على تقوى من الله ورضوان خير﴾ على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ﴿أم من اسس بنيانه على شفا جرف هار﴾

عن عويمر بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء انى اسمع الله عز وجل قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما هذا الطهور قالوا يارسول الله ما نعمل شيأ الا أن جيرانا لنا من اليهود رأيناهم يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ان الله سبحانه وتعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا أنا نغسل عنا أثر الغائط والبول وقال الامام فخر الدين الرازى المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصى وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى وصف أصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعني أهل قباء بالضد من صفاتهم وما ذاك الا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصى وهي الطهارة الباطنية الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها أثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصى وقيل يحتمل انه محمول على كلا الامرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصى وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء ﴿والله يحب المطهرين﴾ فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضا عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة * قوله سبحانه وتعالى ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان﴾ يعني طلب ببنائه المسجد الذي بناه تقوى الله ورضاه والمعنى ان البانى لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه ﴿خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ الشفا هو

بالماء من الادناس (أفمن اسس بنيانه) بنى اساسه (على تقوى من الله) على طاعة الله وذكره (ورضوان) بنوا ارادة رضوان ربهم وهو مسجد قباء (خير أم من اسس بنيانه) بنى أساسه وهو مسجد الشقاق (على شفا جرف) على طرف هوى وليس له أصل (هار) نار

للصلاة ﴿ لمسجد اسس على التقوى ﴾ يعنى مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة أو مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقول ابى سعيد رضى الله تعالى عنه سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة ﴿ من اول يوم ﴾ من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله

لمن الديار بقنة الحجر • اقوين من حجج ومن دهر

﴿ احق ان تقوم فيه ﴾ اولى بان تصلى فيه ﴿ فيه رجال يحبون ان يتطهروا ﴾ من المعاصى والخصال

﴿ لمسجد أسس على التقوى ﴾ اللام فيه لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله مسجد أسس يعنى بنى أصله ووضع أساسه على التقوى يعنى على تقوى الله عز وجل ﴿ من أول يوم ﴾ يعنى من اول يوم بنى ووضع أساسه من ذلك البناء على التقوى ﴿ أحق ان تقوم فيه ﴾ يعنى مصليا واختلفوا فى المسجد الذى أسس على التقوى فقال عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى مسجد المدينة ويدل عليه ماروى عن أبى سعيد الخدرى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت بعض نسائه فقلت يارسول الله أى المسجدين أسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصى فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة أخرجه مسلم (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى (ق) عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة * عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوائم منبرى هذا رواتب فى الجنة أخرجه النسائى * قوله رواتب يعنى ثوابت يقال رتب بالمكان اذا قام فيه وثبت * وفى رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة انه مسجد قباء ويدل عليه سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين ويدل على انهم أهل قباء ماروى عن أبى هريرة قال نزلت هذه الآية فى أهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول برواية ابى داود والترمذى موقوفا على ابى هريرة ورواه البغوى من طريق ابى داود مرفوعا عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية فى اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية ومما يدل على فضل مسجد قباء ماروى عن ابن عمر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يزور قباء اويأتى قباء راكبا وماشيا زاد فى رواية فيصلى فيه ركعتين وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتى مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله أخرج الرواية الاولى والزيادة البخارى ومسلم واخرج الرواية الثانية البخارى عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى يأتى هذا المسجد مسجد قباء فيصلى فيه كان له كعدل عمرة أخرجه النسائى عن اسد بن ظهير ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الصلاة فى مسجد قباء كعمرة أخرجه الترمذى * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴾ يعنى من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول اكثر المفسرين قال عطاء ولما كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة وروى الطبرى بسنده

(لمسجد أسس على التقوى) اللام للابتداء وأسس نعت له وهو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (من أول يوم) من أيام وجوده قيل القياس فيه مذ لانه لابتداء الغاية فى الزمان ومن لابتداء الغاية فى المكان والجواب ان من عام فى الزمان والمكان (أحق أن تقوم فيه) مصليا (فيه رجال يحبون أن يتطهروا

لمسجد) وهو مسجد قباء (أسس على التقوى) بنى على طاعة الله وذكره (من أول يوم) دخل النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ويقال أول مسجد بنى بالمدينة (أحق) أصوب (ان تقوم) تصلى (فيه) فى مسجد قباء (فيه رجال يحبون ان يتطهروا) ان يغسلوا ادبارهم بالماء

على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت ﴿ وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ﴾ ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين ﴿ والله يشهد انهم لكاذبون ﴾ فى حلفهم ﴿ لاتقم فيه ابدا ﴾

وسماه الناس أباعامر الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبى صلى الله عليه وسلم لاأجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس أبو عامر وخرج هاربا الى الشام وأرسل الى المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لى مسجدا فانى ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتى بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فذلك قوله سبحانه وتعالى وارصادا يعنى انتظارا لمن حارب الله ورسوله يعنى أباعامر الفاسق ليصلى فيه اذا رجع من الشأم من قبل يعنى ان أباعامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار ﴿ وليحلفن ﴾ يعنى الذين بنوا المسجد ﴿ ان أردنا ﴾ يعنى ما أردنا ببنائه ﴿ الا الحسنى ﴾ يعنى الا الفعلة الحسنى وهى الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن الصلاة فى مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ والله يشهد انهم لكاذبون ﴾ يعنى فى قيلهم وحلفهم روى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بذى أوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاه المنافقون وسألوه ان يأتى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله هذه الآية وأخبره خبر مسجد الضرار وماهموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك أنظرونى حتى أخرج اليكم بنار فدخل أهله فأخذ من سعف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فاحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة ومات أبو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا وروى ان بنى عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء أتوا عمر بن الخطاب فى خلافته فسألوه ان يأذن لمجمع بن جارية ان يؤمهم فى مسجدهم فقال لا ولانعمة عين أليس هو امام مسجد الضرار فقال مجمع ياأمير المؤمنين لاتعجل على فوالله لقد صليت فيه وأنا لاأعلم ما أضمروا عليه ولو علمت ماصليت معهم فيه وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لايقرؤن فصليت بهم ولاأحسب الاأنهم يتقربون الى الله ولم أعلم مافى أنفسهم فعذره عمر فصدقه وأمره بالصلاة فى مسجد قباء قال عطاء لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار أمر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم ان لايبنوا فى موضع واحد مسجدين يضار أحدهما الآخر ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ لاتقم فيه أبدا ﴾ قال ابن عباس معناه لاتصل فيه أبدا منع الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلى فى مسجد الضرار

(وليحلفن) كاذبين (ان اردنا الا الحسنى) ما أردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى حلفهم (لاتقم فيه أبدا) للصلاة

(وليحلفن ان أردنا) ما أردنا ببناء المسجد (الا الحسنى) الا الاحسان الى المؤمنين لكى يصلى فيه من فاتته صلاته فى مسجد قباء (والله يشهد) يعلم (انهم لكاذبون) فى حلفهم (لاتقم فيه) لاتصل فى مسجد الشقاق (أبدا

وتقوية للكفر الذى يضمرونه ﴿ وتفريقا بين المؤمنين ﴾ يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة فى مسجد قباء ﴿ وارصادا ﴾ ترقبا ﴿ لمن حارب الله ورسوله من قبل ﴾ يعنى الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتى من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب أو باتخذوا أى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فقال انا

نزلت فى جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وكانوا اثنى عشر رجلا من أهل النفاق وديعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الاذعر ونبتل بن الحرث وبجاد بن عثمان وبحزج بنوا هذا المسجد ضرارا يعنى مضارة للمؤمنين وكفرا يعنى ليكفروا فيه بالله ورسوله ﴿ وتفريقا بين المؤمنين ﴾ لانهم كانوا جميعا يصلون فى مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلى فيه بعضهم فيؤدى ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلى بهم فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرأ القرآن ولم يدر ما أرادوا ببنائه فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا وتصلى فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا فيه * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وارصادا لمن حارب الله ورسوله ﴾ يعنى انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوه ارصادا يعنى انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله ﴿ من قبل ﴾ يعنى من قبل بناء هذا المسجد وهو أبو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملائكة وكان أبو عامر قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذى جئت به فقال له النبى صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم فقال أبو عامر فانا عليها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال أبو عامر بلى ولكنك أدخلت فى الحنيفية ما ليس منها فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبى صلى الله عليه وسلم آمين

وتقوية للنفاق (وتفريقا بين المؤمنين) لانهم كانوا يصلون مجتمعين فى مسجد قباء فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وارصادا لمن) واعدادا لاجل من (حارب الله ورسوله) وهو الراهب أعدوه له ليصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بنى مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار (من قبل) متعلق بحارب أى من قبل بناء هذا المسجد يعنى يوم الخندق

ثباتا على كفرهم يعنى النفاق (وتفريقا بين المؤمنين) لكى يصلى طائفة فى مسجدهم وطائفة فى مسجد الرسول (وارصادا) انتظارا (لمن حارب الله ورسوله) لمن كفر بالله ورسوله (من قبل) من قبلهم أبو عامر الراهب الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسقا

ر الله فيهم (اما يعذبهم) ان أصروا ولم يتوبوا (واما يتوب عليهم) ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية
مراوة بن الربيع والضابط مكة تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا (والله عليم)
جائهم (حكيم) فى ارجائهم واما للشك وهو راجع الى العباد أى خافوا عليهم العذاب وأرجوا لهم الرحمة وروى انه
ليه السلام أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد أنفسهم على السوارى
واظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا لا ينظر اليهم فوضوا أمرهم الى الله
وأخلصوا نياتهم ونصحت
توبتهم فرحمهم الله (والذين
اتخذوا مسجدا) تقديره
ومنهم الذين اتخذوا الذين
بغير واو مدنى وشامى وهو
مبتدأ خبره محذوف أى
جازيناهم روى ان بنى عمرو
ابن عوف لما بنوا مسجد
قباء بعثوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم
فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم
اخوانهم بنو غنم بن عوف
وقالوا نبنى مسجدا ونرسل
الى رسول الله يصلى فيه
ويصلى فيه أبو عامر الراهب
اذا قدم من الشأم وهو
الذى قال لرسول الله عليه
السلام يوم أحد لا أجد قوما
يقاتلونك الا قاتلتك معهم
فلم يزل يقاتله الى يوم حنين
فبنوا مسجدا الى جنب
مسجد قباء وقالوا للنبى صلى
الله عليه وسلم بنينا مسجدا
لذى العلة والحاجة ونحن
نحب ان تصلى لنا فيه فقال
انى على جناح سفر واذا قدمنا من تبوك (قا و خا ٢٥ لث) ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد
فنزلت عليه فقال لوحشى قاتل حمزة ومعن بن عدى وغيرهما انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا
وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام (ضرارا) مفعول له وكذا ما بعده أى مضارة
لاخوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا)

فى شأنهم ﴿ اما يعذبهم ﴾ ان اصروا على النفاق ﴿ واما يتوب عليهم ﴾ ان تابوا
والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى ﴿ والله عليم ﴾
باحوالهم ﴿ حكيم ﴾ فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب
ابن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا
امرهم الى الله فرحمهم الله تعالى ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ﴾ عطف على وآخرون
مرجون أو مبتدأ خبره محذوف أى وفيمن وصفنا الذين اتخذوا أو منصوب على
الاختصاص * وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ﴿ ضرارا ﴾ مضارة للمؤمنين روى
ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه سلم
ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على
قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة والليلة
المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا
بما لك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا الى
هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة ﴿ وكفرا ﴾

فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا الى التوبة فاخر الله أمرهم نزلت
هذه الآية فى الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع
وستأتى قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا فى التوبة
والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى
الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم
يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ اما يعذبهم و
اما يتوب عليهم ﴾ يعنى أن أمرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم
وان شاء غفر لهم وعفا عنهم ﴿ والله عليم ﴾ يعنى بما فى قلوبهم ﴿ حكيم ﴾ يعنى
بما يقضى عليهم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا ﴾

أنفسهم لامر الله (اما يعذبهم) بتخلفهم عن غزوة تبوك (واما يتوب عليهم) يتجاوز عنهم بتخلفهم (والله عليم) بتوبتهم وتخلفهم
(حكيم) فيما حكم عليهم (والذين اتخذو) بنوا (مسجد)عبدالله بن أبى وجد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهم نحو سبعة
عشر رجلا (ضرار)مضرة للمؤمنين (وكفرا) فى قلوبهم

﴿ وان الله هو التواب الرحيم ﴾ وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم ﴿ وقل اعملوا ﴾ ماشئتم ﴿ فسيرى الله عملكم ﴾ فانه لايخفى عليه خير كان أوشرا ﴿ ورسوله والمؤمنون ﴾ فانه تعالى لايخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم ﴿ وستردون الى عالم الغيب والشهادة ﴾ بالموت ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ بالمجازاة عليه ﴿ وآخرون ﴾ من المتخلفين ﴿ مرجؤن ﴾ مؤخرون أى موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص مرجون بالواو وهما لغتان ﴿ لامر الله ﴾

يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربى أحدكم فلوه حتى اللقمة لتصير مثل جبل أحد وتصديق ذلك فى كتاب الله سبحانه وتعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربوا ويربى الصدقات وقوله من كسب طيب أى حلال وذكر اليمين والكف فى الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطى لان من عادة الفقير أو السائل أخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المتصدق قد وضع صدقته فى القبول والاثابة وقوله فتربو أى تكبر يقال ربا الشئ يربو اذا زاد وكبر والفلو بضم الفاء وفتحها لغتان المهر اول مايولد والفصيل ولد الناقة الى أن ينفصل عنها * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وان الله هو التواب الرحيم ﴾ تأكيد لقوله سبحانه وتعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم بان الله هو التواب الرحيم * قوله عز وجل ﴿ وقل ﴾ أى قل يامحمد لهؤلاء التائبين ﴿ اعملوا ﴾ يعنى لله بطاعته وأداء فرائضه ﴿ فسيرى الله عملكم ﴾ فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكأنه قال اجتهدوا فى العمل فى المستقبل فان الله تعالى يرى اعمالكم ويجازيكم عليها ﴿ ورسوله والمؤمنون ﴾ يعنى ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أعمالكم أيضا اما رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله اياه على اعمالكم وأما رؤية المؤمنين فبما يقذف الله عز وجل فى قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المذنبين ﴿ وستردون الى عالم الغيب والشهادة ﴾ يعنى وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سركم وعلانيتكم ولايخفى عليه شئ من بواطنكم وظواهركم ﴿ فينبئكم ﴾ أى فيخبركم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ يعنى فى الدنيا من خير أو شر فيجازيكم على اعمالكم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وآخرون مرجون ﴾ أى موخرون والارجاء التأخير ﴿ لامر الله ﴾ يعنى لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى قسم المتخلفين على ثلاثة أقسام أولهم المنافقون وهم الذى مردوا على النفاق واستمروا عليه والقسم الثانى التائبون وهم الذى سارعوا الى التوبة بعدما اعترفوا بذنوبهم وهم أبولبابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون الى ان يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لامر الله والفرق بين القسم الثانى والقسم الثالث ان القسم الثانى سارعوا الى التوبة

فاقصدوه بها ووجهوها اليه (وأن الله هو التواب) كثير قبول التوبة (الرحيم) بعفو الحوبة (وقل) لهؤلاء التائبين (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أى فان عملكم لايخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم أو غير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة فقد روى انه لما تيت عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لايكلمون ولايجالسون فالهم فنزلت وقوله تعالى فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة (وستردون الى عالم الغيب) مايغيب عن الناس (والشهادة) مايشاهدونه (فينبئكم بما كنتم تعملون) تنبئة تذكير ومجازاة عليه (وآخرون مرجؤن لامر الله) غيرهم مدنى وكوفى غير أبى بكر مرجؤن غيرهم من أرجيته وأرجأته اذا أخرته ومنه المرجئة أى وآخرون من المتخلفين موقوفون الى أن يظهر

(وان الله هو التواب) المتجاوز (الرحيم) لمن تاب (وقل) لهم يامحمد (اعملوا) خيرا بعد التوبة (فسيرى الله عملكم ورسوله) ويرى الله ورسوله (والمؤمنون) ويرى المؤمنون (وستردون) بعد الموت (الى عالم الغيب) ماغاب عن العباد ويقال مايكون (والشهادة) ماعلمه العباد ويقال ما كان (فينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير والشر ﴿ فتبين الله ﴾ (واخرون) وقوم آخرون من أهل المدينة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية (مرجون لامر الله) موقوفون محبوسون

﴿ان صلواتك سكن لهم﴾ تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد ﴿والله سميع﴾ باعترافهم ﴿عليم﴾ بندامتهم ﴿ألم يعلموا﴾ الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما ﴿ان الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ﴿ويأخذ الصدقات﴾ يقبلها قبول من يأخذ شيأ ليؤدي بدله

بعضهم يستحب أن يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه ماروى عن عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فأتاه أبو اوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل أبي أوفى أخرجاه في الصحيحين * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ان صلواتك﴾ وقرئ صلواتك على الجمع ﴿سكن لهم﴾ يعني أن دعاءك رحمة لهم وقال ابن عباس طمأنينة لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال أبو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ماسكنت اليه النفس والمعنى ان صلواتك توجب سكون نفوسهم اليها والمعنى ان الله قد قبل توبتهم أو قبل زكاتهم ﴿والله سميع﴾ يعني لأقوالهم أو لدعائك لهم ﴿عليم﴾ يعني بنياتهم ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ هذه صيغة استفهام الا أن المقصود منه التقرير فبشر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا ان الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما بالهم اليوم فانزل الله هذه الآية ترغيبا لهم في التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن عباده قيل لا فرق بين عن عباده ومن عباده اذ لا فرق بين قولك أخذت هذا العلم عنك أو منك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع أبلغ لان فيه تبشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ويأخذ الصدقات﴾ يعني يقبلها ويثيب عليها وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطائها الفقراء وقيل معنى أخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها أسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير او السائل هو الآخذ لها وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتشريفها وان الله سبحانه وتعالى يقبلها من عبده المتصدق (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله لفظ مسلم * وفي البخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل * وأخرجه الترمذي ولفظه ان الله سبحانه وتعالى

(ان صلوتك) اى صلاتك كوفي غير أبي بكر قيل الصلاة أكثر من الصلوات لانها للجنس (سكن لهم) يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم (والله سميع) لدعائك أو سميع لاعترافهم بذنوبهم ودعائهم (عليم) بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم (ألم يعلموا) المراد المتوب عليهم أي ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت (ويأخذ الصدقات) ويقبلها اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص أي ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها

(ان صلوتك) استغفارك ودعاءك (سكن لهم) طمأنينة لقلوبهم بان تقبل توبتهم (والله سميع) لمقالتهم خذ منا أموالنا (عليم) بتوبتهم ونيتهم (ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) من عباده (ويأخذ الصدقات) ويقبل الصدقات

منازل المخلصين ﴿ وصل عليهم ﴾ واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم

متناسبة فلو حملناها على أخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها ولان جمهور المفسرين ذكروا في سبب نزلها انها نزلت في شأن التائبين وأما أصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة أيضا على هذا التقدير وذلك أنهم لما تابوا وأخلصوا وأقروا أن السبب الموجب لتخلفهم حب المال أمروا باخراج الزكاة التي هي طهرة فلما أخرجوها علمت صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد أخذ منهم ثلث أموالهم قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من أموالهم فلأن يكونوا راضين باخراج الزكاة أولى ثم في هذه الآية أحكام ● الاول قوله سبحانه وتعالى خذ من أموالهم صدقة الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم أي خذ يا محمد من أموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم أيام حياته ثم أخذها من بعده الائمة فيجوز للامام أو نائبه ان يأخذ الزكاة من الاغنياء ويدفعها الى الفقراء ● الحكم الثاني قوله من أموالهم ولفظة من تقتضي التبعيض وهذا البعض المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فلم يبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها في اخذ الزكاة ● الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من أموالهم صدقة يفيد العموم فتجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الركاز ● الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها طهرة من الآثام وصدور الآثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول أبي حنيفة ثم أجاب أصحاب الشافعي بانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا ● وللعلماء في قوله سبحانه وتعالى تطهرهم أقوال ● الاول أن معناه خذ يا محمد من أموالهم صدقة فانك تطهرهم باخذها من دنس الآثام ● القول الثاني أن يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من أموالهم صدقة فانها طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان الصدقة من أوساخ الناس فاذا اخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى وتزكيهم بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم أنت بها ● القول الثالث أن تجعل التاء في قوله تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم أنت يا محمد بأخذها منهم وتزكيهم أنت بواسطة تلك الصدقة ● القول الرابع أن معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم يعني ترفع منازلهم عن منازل المنافقين الى منازل الابرار المخلصين وقيل معنى وتزكيهم أي تنمي أموالهم ببركة أخذها منهم ● الحكم الخامس قوله سبحانه وتعالى ﴿ وصل عليهم ﴾ يعني ادع لهم واستغفر لهم لان أصل الصلاة في اللغة الدعاء قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه السنة للامام اذا اخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق فيقول آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وقال بعضهم يجب على الامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع ● وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي وقال

في المال (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا أخذها

(وصل عليهم) استغفر لهم وادع لهم

﴿ بعضهم ﴾

شاة ودرهما أوالدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر ﴿ عسى الله ان يتوب عليهم ﴾ ان يقبل توبتهم وهى مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه ﴿ خذ من اموالهم صدقة ﴾ روى انهم لما اطلقوا قالوا يارسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ماامرت ان آخذ من اموالكم شيأ فنزلت ﴿ تطهرهم ﴾ من الذنوب اوحب المال المؤدى بهم الى مثله ٭ وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ﴿ وتزكيهم بها ﴾ وتنمى بها حسناتهم وترفعهم الى

مذهبنا فان عندنا القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تنبيه على نفى القول بالمحابطة وانه بقى كل واحد منهما كما كان من غير ان يتأثر أحدهما بالآخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدى العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو فى الآية أحسن من الباء لانه أريد معنى الجمع لا حقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيئ كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع بينهما ٭ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ عسى الله أن يتوب عليهم ﴾ قال ابن عباس وجمهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فعسى الله ان يأتى بالفتح وقد فعل ذلك وقال أهل المعانى لفظة عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه أبعد من الاتكال والاهمال وقيل ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شئ بل كل ما يفعله على سبيل التفضيل والتطول والاحسان فذكر لفظة عسى التى هى للترجى والطمع حتى يكون العبد بين الترجى والاشفاق ولكن هو الى نيل ما يرجوه منه أقرب لانه ختم الآية بقوله ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ وهذا يفيد انجاز الوعد ٭ قوله سبحانه وتعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ قال ابن عباس لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا لبابة وصاحبيه انطلق ابو لبابة وصاحباه فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ أموالنا وتصدق بها عنا وصل علينا يريدون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذ شيأ منها حتى أومر به فانزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة الآية وهذا قول زيد بن أسلم وسعيد ابن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء فى المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا أموالهم صدقة فاوجب الله سبحانه وتعالى أخذها وصار ذلك معتبرا فى كمال توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة وأصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم وبذلوا الزكاة أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منهم وقال بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها ايجاب أخذها من الاغنياء ودفعها الى الفقراء وهذا قول أكثر الفقهاء واستدلوا بها على ايجاب أخذ الزكاة أما حجة أصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الآيات لابد وان تكون منتظمة

واللبن بالماء (عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) ولم يذكر توبتهم لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة (خذ من أموالهم صدقة) كفارة لذنوبهم وقيل هى الزكاة (تطهرهم) عن الذنوب وهو صفة الصدقة والتاء للخطاب أو لغيبة المؤنث والتاء فى (وتزكيهم) للخطاب لا محالة (بها) بالصدقة والتزكية مبالغة فى التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الانماء والبركة

مرة (عسى الله) وعسى من الله واجب (ان يتوب عليهم) ان يتجاوز عنهم (ان الله غفور) لمن تاب منهم (رحيم) لمن مات على التوبة ثم بين للنبى صلى الله عليه وسلم ما يأخذ من اموالهم لقولهم خذ من أموالنا لانا تخلفنا عن غزوة تبوك لقبل الاموال فلم يأخذ النبى صلى الله عليه وسلم حتى بين الله له فقال (خذ من أموالهم) اموال المتخلفين (صدقة) ثلثا (تطهرهم) من الذنوب (وتزكيهم بها) تصلحهم بها

اومن فيهم فنزلت فاطلقهم ﴿ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ خلطوا العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيء هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما فى قولهم بعت الشاء

هذه الآية فى أبى لبابة خاصة واختلفوا فى ذنبه الذى تاب منه فقال مجاهد نزلت فى أبى لبابة حين قال لبنى قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وأشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا أحل نفسى ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فأنزل الله هذه الآية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده فقال أبو لبابة يا رسول الله ان من توبتى ان أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وان أنخلع من مالى كله صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يجزيك الثلث يا أبا لبابة قالوا جميعا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك لهم الثلثين لان الله سبحانه وتعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم لان لفظة من تقتضى التبعيض وقال الحسن وقتادة وهؤلاء سوى الثلاثة الذين تخلفوا وسيأتى خبرهم وأما تفسير الآية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل المعانى الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشئ ومعناه انهم أقروا بذنبهم وفيه دقيقة وهى انهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على أنفسهم بذنوبهم وندموا على مافعلوا ٭ فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة أم لا ٭ قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضى من الذنب والعزم على تركه فى المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم توبة ٭ قوله سبحانه وتعالى ﴿ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ قيل أراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيء هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الغزوات والسيء هو تخلفهم عنه فى غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع أعمال البر والطاعة والسيء ما كان ضده فعلى هذا تكون الآية فى حق جميع المسلمين والحمل على العموم أولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وروى الطبرى عن أبى عثمان قال ما فى القرآن آية أرجى عندى لهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم ٭ فان قلت قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيء مخلوطا فما المخلوط به ٭ قلت ان الخلط عبارة عن جمع المطلق فاما قولك خلطته فانما يحسن فى الموضع الذى يمتزج كل واحد من الخليطين بالآخر ويتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن فتنوب الواو عن الباء فيكون معنى الآية على هذا خلطوا عملا صالحا بآخر سيئا ذكره غالب المفسرين ونكره الامام فخر الدين الرازى وقال اللائق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيء اذا حصلا بقى كل واحد منهما على حاله كما هو

(خلطوا عملا صالحا) خروجا الى الجهاد (وآخر سيئا) تخلفا عنه أو التوبة والاثم وهو من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما أى شاة بدرهم فالواو بمعنى الباء لان الواو للجمع والباء للالصاق فيتناسبان أو المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط به كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن

(خلطوا عملا صالحا) خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم مرة (وآخر سيئا) تخلفوا

﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾ ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ... فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا أن لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال ... اقسم أن لا احلهم حتى

الدبيلة فى الدنيا وقد جاء تفسيرها فى الحديث بانها ... تظهر فى اكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعنى تخرج من صدورهم وقال ابن ز... الاولى هى المصائب فى الاموال والاولاد فى الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن ...س الاولى اقامة الحدود عليهم فى الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق الاولى ... ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل احداهما ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض أرواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراق ... جهنم وهو قوله سبحانه وتعالى ثم يردون الى عذاب عظيم يعنى عذاب جهنم يخلدون ... قوله عز وجل ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾ فيه قولان أحدهما انهم قوم من المنافقين ... تابوا من نفاقهم واخلصوا وحجة هذا القول ان قوله تعالى وآخرون عطف على قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون والعطف موهم ويعضده ما نقله الطبرى عن ابن ...س انه قال هم الاعراب والقول الثانى وهو قول جمهور المفسرين أنها نزلت فى جماعة المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ... ذلك واختلف المفسرون فى عددهم فروى عن ابن عباس انهم كانوا عشرة ... وروى عنه انهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن أسلم كانوا ... ثمانية أحدهم أبو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة أحدهم أبو لبابة وقيل ... ثلاثة أبو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك انهم كانوا تخلفوا ... رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا أنكون من الضلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الجهاد واللأواء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا ... حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا ويعذرنا فربطوا أنفسهم فى سوارى المسجد فلما رجع النبى صلى الله عليه وسلم مر بهم فرآهم فقال من هؤلاء ... فقالوا هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى ... باطلاقهم رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الآية ... رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فاطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا ... هذه أموالنا التى خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال ... صلى الله عليه وسلم ما أمرت ان آخذ من أموالكم شيأ فانزل الله خذ من أموالهم ... الآية وقال قوم نزلت

(وآخرون) أى قوم آخرون سوى المذكورين (اعترفوا بذنوبهم) أى لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بانهم بئس ما فعلوا نادمين وكانوا عشرة فسبعة منهم لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين اوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فاطلقهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت ان آخذ من أموالكم شيأ فنزل خذ من أموالهم صدقة

(وآخرون) ومن اهل المدينة قوم آخرون وديعة ابن جذام الانصارى وابو لبابة بن عبد المنذر الانصارى وأبو ثعلبة (اعترفوا) أقروا (بذنوبهم) بتخلفهم عن غزوة تبوك

المبتدأ الذي هو ممن حولكم والمبتدأ منافقون ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر اذا قدرت ومن أهل المدينة قوم (مردوا على النفاق) أي تمهروا فيه على أن مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الاول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره ودل على مهارتهم فيه بقوله (لا تعلمهم) اى يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامى ما يشككك في أمرهم ثم قال (نحن نعلمهم) أي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداء قلوبهم ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين (سنعذبهم مرتين) هما القتل وعذاب القبر أو الفضيحة وعذاب القبر أو أخذ الصدقات من أموالهم ونهك أبدانهم (ثم يردون الى عذاب عظيم) أي عذاب النار

ومن اهل المدينة) عبدالله ابن أبي واصحابه (مردوا) ثبتوا وجعوا (على النفاق لا تعلمهم) لا تعلم نفاقهم (نحن نعلمهم) نعلم نفاقهم (سنعذبهم مرتين) مرة عند قبض أرواحهم ومرة في

واشجع وغفار كانوا ... أو خبر محذوف صفته ... واقامة الصفة مقامه قوله ...

وعلى الاول صفة للمنـ ... تمرنهم وتمهرهم ... في تحامي مواضع ... نعلمهم ﴾ ونطلع ... ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ ... لا يبلـ ...

... ﴿ ومن اهل المدينة ﴾ عطف على ممن حولكم ... على النفاق ﴾ ونظيره في حذف الموصوف

... انا ابن جلا وطلاع الثنايا ه متى اضع العمامة تعرفوني

... بينها وبينه بالمعطوف على الخبر أو كلام مبتدأ لبيان ... ﴾ لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم ... حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك ﴿ نحن ... قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا أن يلبسوا علينا ... القتل أو باحدهما وعذاب القبر أو باخذ الزكاة ونهك ... الى عذاب عظيم ﴾ الى عذاب النار

وجهينة وأشجع وغفار ... منافقون وما ذكروه ... فان صح نقل المفسر ... على التقليل لان لفظة من ... والاغلب وبهذا يمكن ... الطبري فانه أطلق القول ... من القوم الذين حول مد ... أيضا أمثالهم أقوام منا ... منافقون ﴿ مردوا ... ومن أهل المدينة ... اذا عتا وتجبر ومنه الشيطان ... منها قال ابن اسحق لجوا ... يعني أنهم بنوا في النفاق ... ﴿ نحن نعلمهم ﴾ يعني لكن ... اختلف المفسرون ... بدليل قوله ﴿ ثم يردون ... انه سبحانه وتعالى يعذب ... أما المرة الاولى وهي ا ... خطيبا في يوم جمعة فقا ... من المسجد أناسا وفضحهم ... القول فيحتمل أن يكون ... لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم ... وهذا القول ضعيف لان ... يسـ ... وعن ...

... حول المدينة يعني ومن هؤلاء الاعراب ... النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهؤلاء القبائل ومدحهم ... سبحانه وتعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ... ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الاكثر ... المفسرين ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأما ... احدا من القبائل المذكورة بل قال في تفسير هذه الآية ... يؤمنون من الاعراب منافقون ومن أهل مدينتكم ... ﴿ ومن أهل المدينة ﴾ من الاوس والخزرج ... فيه تقديم وتأخير تقديره وممن حولكم من الاعراب ... على النفاق يعني مرنوا عليه يقال تمرد فلان على ربه ... تمرد في معصيته أي مرن وثبت عليها وأعتادها ولم يتب ... وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا ... ﴿ لا تعلمهم ﴾ ... لا تعلمهم يا محمد مع صفاء خاطرك واطلاعك على الاسرار ... لانه لا تخفى علينا خافية وان دقت ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ ... مع اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب القبر ... عظيم ﴾ وهو عذاب النار في الآخرة فثبت بهذا ... مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الآخرة ... فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم ... يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ... فهذا العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا ... علم الله حالهم وسماهم له لان الله سبحانه وتعالى قال ... قال مجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والسبي ... في الظاهر كانت جارية على المنافقين فيقتلوا ولم ... عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هي

... يردون الى عذاب عظيم) عذاب جهنم

بالرفع عطفا على والسابقون ﴿ والذين اتبعوهم باحسان ﴾ اللاحقون بالسابقين من القبيلتين أو من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة ﴿ رضى الله عنهم ﴾ بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ﴿ ورضوا عنه ﴾ بما نالوا من نعمته الدينية والدنيوية ﴿ واعدلهم جنات تجرى تحتها الانهار ﴾ وقرأ ابن كثير من تحتها الانهار كما هو فى سائر المواضع ﴿ خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم ﴾ أى وممن حول بلدتكم يعنى المدينة ﴿ من الاعراب منافقون ﴾ هم جهينة ومزينة واسلم

يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من أهل المدينة وذلك قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذى يدل عليه ان الله سبحانه وتعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقى اللفظ مجملا فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا وجب صرف اللفظ المجمل اليه وهو الهجرة والنصرة والذى يدل عليه أيضا أن الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية من حيث ان الهجرة أمر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصرة فانها مرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وآووه وواسوه وآووا أصحابه وواسوهم فلذلك أثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ✽ قوله عز وجل ﴿ والذين اتبعوهم باحسان ﴾ قيل هم بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار فى الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترحمون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق) عن عمران بن حصين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى فلو ان احدا وفى رواية أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أراد بالقرن فى الحديث الاول أصحابه والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا فى مدته من الزمان فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور فى الحديث الثانى هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو أن أحدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق فى سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من أعمال الصحابة وانفاقهم لانهم أنفقوا وبذلوا المجهود فى وقت الحاجة ✽ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ يعنى رضى الله عن أعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة ﴿ وأعدلهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ ✽ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وممن حولكم من الاعراب منافقون ﴾ ذكر جماعة من المفسرين المتأخرين كالبغوى والواحدى وابن الجوزى انهم من اعراب مزينة

اتبعوهم باحسان) من المهاجرين والانصار فكانوا سائر الصحابة وقيل هم الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة والخبر (رضى الله عنهم) باعمالهم الحسنة (ورضوا عنه) بما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية (وأعدلهم) عطف على رضى (جنات تجرى تحتها الانهار) من تحتها مكى (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) يعنى حول بلدتكم وهى المدينة (من الاعراب منافقون) وهم جهينة

(والذين اتبعوهم باحسان) بأداء الفرائض واجتناب المعاصى الى يوم القيامة (رضى الله عنهم) باحسانهم (ورضوا عنه) بالثواب والكرامة (واعدلهم جنات) بساتين (تجرى تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الماء والخمر والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (أبدا ذلك) الرضوان والجنان (الفوز العظيم) النجاة الوافرة (وممن حولكم من الاعراب) أسد وغطفان (منافقون

وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابوزرارة مصعب بن عمير، وقرئ

اختلف العلماء فى السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن أبى رباح هم أهل بدر وقال الشعبى هم اهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظى هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد بن زياد قلت يوما لمحمد بن كعب القرظى ألا تخبرنى عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم واردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم واوجب لهم الجنة فى كتابه فقلت له فى أى موضع أوجب لهم الجنة فقال سبحان الله ألا تقرأ والسابقون الاولون الى آخر الآية فاوجب الله الجنة لجميع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم زاد فى رواية فى قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط فى التابعين شريطة وهى ان يتبعوهم فى اعمالهم الحسنة دون السيئة قال حميد فكأنى لم اقرأ هذه الآية قط واختلف العلماء فى أول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة أول الخلق اسلاما واول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلماء أول من آمن بعد خديجة على بن أبى طالب وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا فى سنه وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان بالغا والصحيح أنه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعى والشعبى وقال الزهرى وعروة بن الزبير أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق ابن ابراهيم الحنظلى يجمع بين هذه الروايات فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان على بن أبى طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهم فهؤلاء الاربعة سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحق فلما أسلم أبو بكر أظهر اسلامه ودعا الناس الى الله ورسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش واعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فاسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاءهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فاسلموا على يده وصلوا معه فكان هؤلاء النفر الثمانية أول من سبق [illegible] الناس بعد فى الدخول الى الاسلام و[illegible] من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهى العقبة الاولى وكانوا ستة نفر (٢) أسعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رياب ثم أصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثنى عشر رجلا ثم أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهؤلاء سباق الانصار ثم بعث [illegible]

عطف على المهاجرين أى ومن الانصار وهم أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة

صلوا الى قبلتين وشهدوا بدرا

(٢) قوله ستة نفر المعدود هنا خمسة والسادس عقبة بن عامر كما فى المواهب وقوله فى الهامش سبعة تبع فيه الكشاف وهو مخالف لما فى المواهب وماهنا اه

ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ﴾ سبب قربات وهى ثان مفعولى [illegible] أو ظرف ليتخذ ﴿ وصلوات الرسول ﴾ وسبب صلواته لانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلى عليه كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل أبى أوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره ﴿ الا انها قربة لهم ﴾ شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء ﴿ سيدخلهم الله فى رحمته ﴾ وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ لتقريره قيل الاولى فى اسد وغطفان وبنى تميم والثانية فى عبد الله ذى البجادين وقومه ﴿ والسابقون الاولون من المهاجرين ﴾ هم الذين صلوا الى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا أو الذين اسلموا قبل الهجرة ﴿ والانصار ﴾ واهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل بيعة العقبة الثانية

رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بنى تميم وبنى أسد وبنى عبد الله بن غطفان ومن بنى عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم هم خير من بنى تميم وبنى أسد وبنى عبد الله بن غطفان ومن بنى عامر بن صعصعة وفى رواية أن الاقرع بن حابس قال للنبى صلى الله عليه وسلم انما تابعك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة فقال النبى صلى الله عليه وسلم أرأيت ان كان أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة خيرا من بنى تميم وبنى عامر وأسد وغطفان قال خابوا وخسروا قال نعم (ق) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم فى رواية له أما انى لم أقلها لكن الله قالها (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار موالى ليس لهم مولى دون الله ورسوله ❊ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ﴾ جمع قربة أى يطلب بما ينفق القربة الى الله تعالى ﴿ وصلوات الرسول ﴾ يعنى ويرغبون فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبى أوفى ﴿ الا انها قربة لهم ﴾ يحتمل ان يعود الضمير فى [illegible] الى صلوات الرسول ويحتمل أن يعود الى الانفاق وكلاهما قربة لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله سبحانه وتعالى أكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله تعالى ألا وبحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قربة لهم ﴿ سيدخلهم الله فى رحمته ﴾ وهذه النعمة هى اقصى مرادهم ﴿ ان الله غفور ﴾ للمؤمنين المنفقين فى سبيله ﴿ رحيم ﴾ يعنى بهم حيث [illegible] لهذه الطاعة ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار

ويتخذ ما ينفق) فى الجهاد والصدقات (قربات) أسبابا للقربة (عند الله) وهو مفعول ثان ليتخذ (وصلوات الرسول) اى دعاء [illegible] البركة [illegible] ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبى أوفى (الا أنها) ان النفقة أو صلوات الرسول (قربة لهم) قربة نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفى التنبيه والتحقيق المؤذنين ثبات الامر وتمكنه وكذلك (سيدخلهم الله فى رحمته) جنته وما فى السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها (ان الله غفور) يستر عيب المخل (رحيم) يقبل جهد المقل (والسابقون) مبتدأ (الاولون) صفة لهم (من المهاجرين) تبيين لهم وهم الذين صلوا الى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا أو بيعة الرضوان (والانصار)

والعلانية (ويتخذ ما ينفق فى الجهاد (قربات عند الله) قربة الى الله فى الدرجات (وصلوات الرسول) دعاء الرسول (ألا انها) يعنى النفقة (قربة لهم) الى الله فى الدرجات (سيدخلهم الله فى رحمته) فى جنته (ان الله غفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) بالايمان الذين

والعلماء (وأجدر ألا يعلموا) وأحق بان لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) يعنى حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة فى الفدادين يعنى الا كرة لانهم يفدون أى يصيحون فى حروثهم والفديد الصياح (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فى امهالهم (ومن الاعراب من يتخذ ماينفق) أى يتصدق (مغرما) غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الاتقية من المسلمين ورياء لالوجه الله وابتغاء المثوبة عنده (ويتربص بكم الدوائر) أى دوائر الزمان وتبدل الاحوال بدور الايام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) أى عليهم تدور المصائب والحروب التى يتوقعون وقوعها فى المسلمين السوء مكى وأبو عمرو وهو العذاب والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء فى مقابلة قولك رجل صدق (والله سميع) لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة (عليم) بما يضمرونه (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر)

غيرهم (واجدر) احرى أيضا (ألا يعلموا حدود ما انزل الله) فرائض ما انزل الله (على رسوله) فى الكتاب (والله عليم) بالمنافقين (حكيم) فيما حكم عليهم بالعقوبة ويقال ... بجهل من ترك التعلم حكيم حكم ان من لا يتعلم العلم يكون جاهلا (ومن الاعراب) يعنى أسدا وغطفان (من ... يتخذ) يحتسب ما ينفق فى الجهاد (مغرما) غرما (ويتربص) ينتظر (بكم الدوائر) الموت والهلاك (عليهم دائرة السوء) منقلبة السوء وعاقبة السوء (والله سميع) لمقالتهم (عليم) بعقوبتهم (ومن الاعراب) مزينة وجهينة وأسلم (من يؤمن بالله واليوم الآخر) فى السر

العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة ﴿ واجدر ان لا يعلموا ﴾ واحق بان لا يعلموا ﴿ حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾ من الشرائع فرائضها وسننها ﴿ والله عليم ﴾ يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر ﴿ حكيم ﴾ فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ﴿ ومن الاعراب من يتخذ ﴾ يعد ﴿ ماينفق ﴾ يصرفه فى سبيل الله ويتصدق به ﴿ مغرما ﴾ غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه قربة عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء أو تقية ﴿ ويتربص بكم الدوائر ﴾ دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ اعتراض بالدعاء عليهم بنحو مايتربصونه أو اخبار عن وقوع مايتربصون عليهم والدائرة فى الاصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور سمى بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ أبو عمرو وابن كثير السوء هنا وفى الفتح بضم السين ﴿ والله سميع ﴾ لما يقولون عند الانفاق ﴿ عليم ﴾ بما يضمرون ﴿ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر

فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابى اذا قيل له ياعربى فرح بذلك والعربى اذا قيل له يااعرابى غضب والعرب أفضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب فى كون الاعراب أشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القرآن والسنن والمواعظ وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وأجدر ﴾ يعنى واخلق وأحرى ﴿ ألا يعلموا ﴾ يعنى بان لا يعلموا ﴿ حدود ما انزل الله على رسوله ﴾ يعنى الفرائض والسنن والاحكام ﴿ والله عليم ﴾ يعنى بما فى قلوب عباده ﴿ حكيم ﴾ فيما فرض من فرائضه وأحكامه ﴿ ومن الاعراب من يتخذ ماينفق مغرما ﴾ يعنى لا يرجو على انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا أو رياء والمغرم التزام ما لا يلزمه والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذى ينفقه فى سبيل الله غرامة لانه لا ينفق ذلك الا خوفا من المسلمين او مراآة لهم ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه ﴿ ويتربص ﴾ يعنى وينتظر ﴿ بكم الدوائر ﴾ يعنى بالدوائر تقلب الزمان وصروفه التى يأتى مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعنى تقلب الزمان ... الرسول ويظهر المشركون ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ ... بل يتقلب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن بهم ولا يرون فى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودينه الا مايسوءهم ﴿ والله سميع ﴾ يعنى لاقوالهم ﴿ عليم ﴾ ... بما يخفون فى ضمائرهم من النفاق والغش وارادة السوء للمؤمنين نزلت هذه الآية فى اعراب أسد وغطفان وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال تبارك وتعالى ﴿ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبى هم أسلم وغفار وجهينة (ق) عن أبى هريرة قال قال

(سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) لتتركوهم ولا توبخوهم (فاعرضوا عنهم) فاعطوهم طلبتهم (انهم رجس)

تعليل لترك معاتبتهم أي ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم لانهم ارجاس لاسبيل الى تطهيرهم

(ومأواهم جهنم) ومصيرهم النار يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم (جزاء بما كانوا يكسبون) أي يجزون جزاء كسبهم (يحلفون لكم لترضوا عنهم) أي غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أي فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وانما قيل ذلك لئلا يتوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضاالله عنهم (الاعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن العلم والشرع (سيحلفون بالله) عبدالله بن أبي واصحابه (لكم اذا انقلبتم) اذا رجعتم من غزوة تبوك (اليهم) بالمدينة (لتعرضوا عنهم) لتصفحوا عنهم ولا تعاقبوهم (فأعرضوا عنهم) ولا تعاقبوهم (انهم رجس) نجس قذر (ومأواهم) مصيرهم (جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون من الشر (يحلفون لكم لترضوا عنهم) بالحلف (فان ترضوا عنهم) بالحلف الكاذب (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) منافقين (الاعراب) أسد وغطفان (أشد كفرا ونفاقا) هم أشد على الكفر والنفاق من

﴿سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم﴾ فلا تعاتبوهم ﴿فاعرضوا عنهم﴾ ولا توبخوهم ﴿انهم رجس﴾ لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ﴿ومأواهم جهنم﴾ من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة أو تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم﴾ بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم ﴿فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ أي فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهي عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم ﴿الاعراب﴾ اهل البدو ﴿اشد كفرا ونفاقا﴾ من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل

عز وجل ﴿سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم﴾ يعني اذا رجعتم من سفركم اليهم يعني الى المتخلفين بالمدينة من المنافقين ﴿لتعرضوا عنهم﴾ يعني لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم ﴿فاعرضوا عنهم﴾ يعني فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال أهل المعاني ان هؤلاء المنافقين طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت * ثم ذكر العلة في سبب الاعراض عنهم فقال تعالى ﴿انهم رجس﴾ يعني ان بواطنهم خبيثة نجسة وأعمالهم قبيحة ﴿ومأواهم﴾ يعني مسكنهم في الآخرة ﴿جهنم جزاء بما كانوا يكسبون﴾ يعني من الاعمال الخبيثة في الدنيا قال ابن عباس نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبدالله بن أبي حلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الآية والتي بعدها ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم﴾ يعني يحلف لكم هؤلاء المنافقون لترضوا عنهم ﴿فان ترضوا عنهم﴾ يعني فان رضيتم عنهم أيها المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم ﴿فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ يعني انه سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم أبدا * وقوله سبحانه وتعالى ﴿الاعراب أشد كفرا ونفاقا﴾ نزلت في سكان البادية يعني ان أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر قال أهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب ورجل أعرابي اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلأ وجمع الاعرابي على الاعراب والاعاريب

﴿ يعتذرون [illegible] ﴾ فى التخلف ﴿ اذا رجعتم اليهم ﴾ من هذه السفرة ﴿ قل لا تعتذروا ﴾ [illegible] كذب لانه ﴿ لن نؤمن لكم ﴾ لن نصدقكم لانه ﴿ قد نبأنا الله من اخباركم ﴾ اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو ما فى ضمائركم من الشر والفساد ﴿ وسيرى الله عملكم ورسوله ﴾ أتتيبون عن الكفر أم تثبتون عليه فكأنه استتابة وامهال للتوبة ﴿ ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة ﴾ أى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمائرهم واعمالهم ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ بالتوبيخ والعقاب عليه

قوله سبحانه وتعالى ﴿ يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم ﴾ يعنى يعتذر هؤلاء المنافقون المتخلفون عنك يا محمد اليك وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل انهم اعتذروا اليه والى المؤمنين فلهذا قال تعالى يعتذرون اليكم يعنى بالاعذار الباطلة الكاذبة اذا رجعتم اليهم يعنى من سفركم ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿ لا تعتذروا ﴾ قال البغوى روى أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا ﴿ لن نؤمن لكم ﴾ يعنى لن نصدقكم فيما اعتذرتم به ﴿ قد نبأنا الله من أخباركم ﴾ يعنى قد أخبرنا الله فيما سلف من أخباركم ﴿ وسيرى الله عملكم ورسوله ﴾ يعنى فى المستأنف أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه وقيل يحتمل أنهم وعدوا بأن ينصروا المؤمنين فى المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم أم لا ﴿ ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم ﴾ يعنى يخبركم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ لانه هو المطلع على ما فى ضمائركم من الخيانة والكذب واخلاف الوعد * قوله

(يعتذرون اليكم) يقيمون لانفسهم عذرا باطلا (اذا رجعتم اليهم) من هذه السفرة (قل لا تعتذروا) بالباطل (لن نؤمن [illegible]) لن نصدقكم وهو علة النهى [illegible]

[illegible] ركم) علة لانتفاء تصديقهم لانه تعالى اذا أوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم وما فى ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذرهم (وسيرى الله عملكم ورسوله) أتتيبون أم تثبتون على كفركم (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) أى تردون اليه وهو عالم كل سر وعلانية (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم [illegible]

(يعتذرون اليكم اذا رجعتم) من غزوة تبوك (اليهم) الى المدينة بانا لم نقدر [illegible] نخرج معك (قل) يا محمد لهم (لا تعتذروا) بالتخلف (لن نؤمن لكم) لن نصدقكم بما تقولون من العلل (قد نبأنا الله) أخبرنا الله (من أخباركم) من أسراركم ونفاقكم (وسيرى الله عملكم ورسوله) بعد ذلك ان تبتم (ثم تردون) فى الآخرة (الى عالم الغيب) ما غاب عن العباد ويقال الغيب ما لم يعلمه العباد (عز) ويقال ما يكون (والشهادة) ما علمه العباد ويقال ما كان (فينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير

﴿على الذين يستأذنونك وهم اغنياء﴾ واجدون للاهبة ﴿رضوا بان يكونوا مع الخوالف﴾ استئناف لبيان ماهو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ايثارا للدعة ﴿وطبع الله على قلوبهم﴾ حتى غفلوا عن وخامة العاقبة ﴿فهم لايعلمون﴾ مغبته

سبيل قال تعالى فى حق من يعتذر ولاعذر له انما السبيل يعنى انما تتوجه الطريق بالعقوبة ﴿على الذين يستأذنوك﴾ يامحمد فى التخلف عنك والجهاد معك ﴿وهم أغنياء﴾ يعنى قادرين على الخروج معك ﴿رضوا بان يكونوا مع الخوالف﴾ يعنى رضوا بالدناءة والضعة والانتظام فى جملة الخوالف وهم النساء والصبيان والقعود معهم ﴿وطبع الله على قلوبهم﴾ يعنى ختم عليها ﴿فهم لايعلمون﴾ مافى الجهاد من الخير فى الدنيا والآخرة امافى الدنيا فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو واما فى الآخرة فالثواب والنعيم الدائم الذى لاينقطع

على الذين يستأذنونك) فى التخلف (وهم أغنياء) وقوله (رضوا) استئناف كأنه قيل مابالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا (بان يكونو مع الخوالف) أى بالانتظام فى جملة الخوالف (وطبع الله على قلوبهم فهم لايعلمون

(على الذين يستأذنوك) بالتخلف (وهم أغنياء) بالمال عبدالله بن أبى وجد بن قيس ومعتب ابن قشير واصحابهم نحو سبعين رجلا (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) مع النساء والصبيان (وطبع الله) ختم الله (على قلوبهم فهم لايعلمون) امر الله ولايصدقون

﴿ولاعلى الذين اذاما اتوك لتحملهم﴾ عطف على الضعفاء أو على المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزمعك فقال عليه السلام لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنومقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابوموسى واصحابه ﴿قلت لا اجد ما احملكم عليه﴾ حال من الكاف فى اتوك باضمار قد ﴿تولوا﴾ جواب اذا ﴿واعينهم تفيض﴾ تسيل ﴿من الدمع﴾ أى دمعها فان من للبيان وهو مع المجرور فى محل النصب على التميز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا ﴿حزنا﴾ نصب على العلة أو الحال أو المصدر لفعل دل عليه ماقبله ﴿أن لايجدوا﴾ لئلا يجدوا متعلق بحزنا أو بتفيض ﴿ماينفقون﴾ فى مغزاهم ﴿انما السبيل﴾ بالمعاتبة

نزلت هذه الآية فى عائذ بن عمرو واصحابه وقال الضحاك نزلت فى عبد الله بن أم مكتوم وكان ضرير البصر * ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المعذورين أتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى ﴿ولاعلى الذين اذاما أتوك﴾ يعنى ولاحرج ولااثم فى التخلف عنك على الذين اذاما أتوك ﴿لتحملهم﴾ يعنى يسألونك الحملان ليبلغوا الى غزو عدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحق نزلت فى البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبرى عن محمد بن كعب وغيره قالوا جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لاأجد ماأحملكم عليه فانزل الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بنى عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بنى واقف حرمى بن عمير ومن بنى مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليلى ومن بنى المعلى سلمان بن صخر ومن بنى حارثة عبد الرحمن ابن زيد وهو الذى تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بنى سلمة عمرو بن عنمة وعبد الله ابن عمرو المزنى وقال البغوى هم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله ابن كعب الانصارى وعلبة بن زيد الانصارى وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل المزنى قال أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج معك فاحملنا فقال لاأجد ماأحملكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت فى العرباض ابن سارية ويحتمل أنها نزلت فى كل من ذكر قال ابن عباس سألوه أن يحملهم على الدواب وقيل بل سألوه أن يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاأجد ماأحملكم عليه فولوا وهم يبكون ولذلك سموا البكائين فذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿قلت لاأجد ماأحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع﴾ قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ﴿حزنا ألا يجدوا ماينفقون﴾ يعنى على أنفسهم فى الجهاد ﴿انما السبيل﴾ لما قال الله سبحانه وتعالى ماعلى المحسنين من

(ولاعلى الذين اذاما أتوك لتحملهم) لتعطيهم الحمولة (قلت) حال من الكاف فى أتوك وقد قبله مضمر أى اذاما أتوك قائلا (لاأجد ماأحملكم عليه تولوا) هو جواب اذا (واعينهم تفيض من الدمع) أى تسيل كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التميز ويجوز أن يكون قلت لاأجد استئنافا كأنه قيل اذاما أتوك لتحملهم تولوا فقيل مالهم تولوا باكين فقيل قلت لاأجد ماأحملكم عليه الا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (حزنا) مفعول له (ألايجدوا ماينفقون) لئلا يجدوا ماينفقون ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه حزنا والمستحملون أبوموسى الاشعرى وأصحابه أو البكاؤن وهم ستة نفر من الانصار (انما السبيل

(ولاعلى الذين أذا ما أتوك لتحملهم) الى الجهاد بالنفقة عبد الله بن مغفل بن يسار المزنى وسالم بن عمير الانصارى واصحابهما (قلت) لهم (لاأجد ماأحملكم عليه) الى الجهاد من النفقة (تولوا) خرجوا من عندك (وأعينهم تفيض) تسيل (من الدمع حزنا لايجدوا) [illegible] (ماينفقون) فى الجهاد (انما السبيل) الحرج

بالقتل والنار ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ﴾ كالهرمى والزمنى ﴿ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ﴾ لفقرهم كجهينة ومزينة وبنى عذرة ﴿ حرج ﴾ اثم فى التأخر ﴿ اذا نصحوا لله ورسوله ﴾ بالايمان والطاعة فى السر والعلانية كما يفعل المولى الناصح أو بما قدروا عليه فعلا أو قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ أى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين لذلك ﴿ والله غفور رحيم ﴾ لهم أو للمسىء فكيف المحسن

لانه سبحانه وتعالى علم أن منهم من سيؤمن ويخلص فى ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين أصروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه * قوله عز وجل ﴿ ليس على الضعفاء ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا باعذار باطلة عقبه بذكر أصحاب الاعذار الحقيقة الصحيحة وعذرهم واخبر أن فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه وتعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح فى بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنساء ومن خلق فى أصل الخلقة ضعيفا نحيفا ويدل على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرضى فقال سبحانه وتعالى ﴿ ولا على المرضى ﴾ والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضى فيدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو ﴿ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ﴾ يعنى الفقراء العاجزين عن أهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لان العاجزين عن نفقة الغزو معذور ﴿ حرج ﴾ أى ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة حرج اى اثم فى التخلف عن الغزو وقال الامام فخر الدين الرازى ليس فى الآية انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم أو بتكثير سوادهم بشرط أن لا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء فى جواز التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ اذا نصحوا لله ورسوله ﴾ ومعناه أنهم اذا قاموا فى البلد احترزوا عن افشاء الاراجيف واثارة الفتن وسعوا فى ايصال الخير الى اهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجرى مجرى النصح لله ورسوله ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ أى ليس على من أحسن فنصح لله ولرسوله فى تخلفه عن الجهاد بعذر قد أباحه الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد باحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله مخلصا من قلبه ليس عليه سبيل فى نفسه وماله الا ما أباحه الشرع بدليل منفصل ﴿ والله غفور ﴾ يعنى لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر أباحه الشرع ﴿ رحيم ﴾ يعنى انه تعالى رحيم بجميع عباده قال قتادة

بالنار (ليس على الضعفاء) الهرمى والزمنى (ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) هم الفقراء من مزينة وجهينة وبنى عذرة (حرج) اثم وضيق فى التأخر (اذا نصحوا لله ورسوله) بان آمنوا فى السر والعلن وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه (ما على المحسنين) المعذورين الناصحين (من سبيل) اى لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم (والله غفور) يغفر لهم تخلفهم (رحيم) بهم

(ليس على الضعفاء) من الشيوخ والزمنى (ولا على المرضى) من الشباب (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) فى الجهاد (حرج) مأثم بالتخلف (اذا نصحوا لله) فى الدين (ورسوله) فى السنة (ما على المحسنين) بالقول والفعل (من سبيل) من خرج (والله غفور) متجاوز لمن تاب (رحيم) لمن مات على توبة

﴿وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم﴾ يعنى اسدا وعطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طيء على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له أو من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب معذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار ﴿سيصيب الذين كفروا منهم﴾ من الاعراب أو من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره ﴿عذاب اليم﴾

بيان لما لهم من الخيرات الاخروية * قوله سبحانه وتعالى ﴿وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم﴾ يعنى وجاء المعتذرون من اعراب البوادى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو معه قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاعا عن أنفسهم فقالوا يا نبى الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طيء على خلائلنا وأولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنبأني الله من اخباركم وسيغنى الله عنكم وقيل هم نفر من بنى غفار رهط خفاف بن ايماء ابن رحضة وقيل هم من أسد وغطفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر باذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجاء المعذرون أى المقصرون يعنى أنهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون أدغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذر اذا أتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

يعنى فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذى هو التقصير يقال عذر تعذيرا اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل أنهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويروى عن أبي عمرو بن العلاء انه لما قيل له هذا الكلام قال ان قوما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون وتخلف آخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جرأة على الله تعالى فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين ما جاؤا وما اعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله يعنى في ادعائهم الايمان ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ يعنى في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وانما قال منهم

قوله أعد دليل على أنها مخلوقة (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) هو من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى وحقيقته أن يوهم ان له عذرا فيما فعل ولا عذر له أو المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل قيل هم أسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لنا في التخلف (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيؤا ولم يعتذروا فظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب (عذاب أليم) في الدنيا بالقتل وفي الآخرة

النجاة الوافرة فازوا بالجنة وما فيها ونجوا من النار وما فيها (وجاء) اليك يا محمد (المعذرون) مخففة من ان له عذر (من الاعراب) من بنى غفار وان قرأت المعذرون مشددة يعنى من لم يكن له عذر (ليؤذن لهم) لكى يأذن لهم رسول الله بالتخلف عن غزوة تبوك (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) في السر يقال خالفوا الله ورسوله في السر في الجهاد بغير اذن (سيصيب الذين كفروا منهم) من المنافقين عبد الله بن ابى وأصحابه (عذاب أليم) وجيع

استأذنك أولوا الطول منهم) ذوو الفضل والسعة (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) مع الذين لهم عذر في التخلف كالمرضى والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) أى النساء جمع خالفة (وطبع على قلوبهم) ختم عليها لاختيارهم الكفر والنفاق (فهم لا يفقهون) ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الهلاك والشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أى أن تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزو من خير منهم (وأولئك لهم الخيرات) تناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب (أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم)

استأذنك) يا محمد (أولوا الطول) ذوو الغنى (منهم) من المنافقين عبد الله ابن أبي وجد بن قيس ومعتب ابن قشير (وقالوا ذرنا) يا محمد (نكن مع القاعدين) بغير عذر (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) من النساء والصبيان (وطبع) ختم (على قلوبهم فهم لا يفقهون) لا يصدقون أمر الله (لكن الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) في السر والعلانية (معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) في سبيل الله (وأولئك لهم الخيرات) الحسنات المقبولات في الدنيا ويقال الجوارى في الآخرة (وأولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب (أعد الله لهم جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الأنهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (ذلك) الذى ذكرت (الفوز العظيم) (بيان)

استأذنك اولوا الطول منهم ﴾ ذوو الفضل والسعة ﴿ وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ﴾ الذين قعدوا لعذر ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذى لا خير فيه ﴿ وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وانفسهم ﴾ اى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم ﴿ واولئك لهم الخيرات ﴾ منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيّرة ﴿ واولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بالمطالب ﴿ اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴾ بيان لما لهم من الخيرات الاخروية

ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى ان اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد أصلا فكأنه قيل للمنافقين الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله أولا وتجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها في الدنيا والآخرة [illegible] قوله سبحانه وتعالى ﴿ استأذنك أولوا الطول منهم ﴾ قال ابن عباس يعنى أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبراؤهم وفي تخصيص أولى الطول بالذكر قولان أحدهما ان الذم لهم ألزم لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد والقول الثانى انما خص أولى الطول بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان ﴿ وقالوا ﴾ يعنى أولى الطول ﴿ ذرنا نكن مع القاعدين ﴾ يعنى في البيوت مع النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ قيل الخوالف النساء اللواتى يتخلفن في البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا في تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالف جمع خالفة وهم أدنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم ﴿ وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ يعنى وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله في الامر بالجهاد ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴾ أى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم يعنى الرسول والمؤمنين ﴿ وأولئك لهم الخيرات ﴾ منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيّرة ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أى الفائزون بالمطالب ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴾

انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ﴾ تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه فى فريق غير الاول ﴿ واذا انزلت سورة ﴾ من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ﴿ ان آمنوا بالله ﴾ بان آمنوا بالله ويجوز ان يكون ان مفسرة ﴿ وجاهدوا مع رسوله

انما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ الكلام على هذه الآية فى مقامين ٭ المقام الاول فى وجه التكرار والحكمة فيه أن تجدد النزول له شأن فى تقرير ما نزل أولا وتأكيده وارادة ان يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وأن يعتقد ان العمل به مهم وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان أشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التأكيد والمبالغة فى التحذير من ذلك الشئ الذى وقع الاهتمام به وقيل أيضا انما كرر هذا المعنى لانه أراد بالآية الاولى قوما من المنافقين كان لهم أموال وأولاد عند نزولها وبالآية الاخرى أقواما آخرين منهم ٭ المقام الثانى فى وجه بيان ما حصل من التفاوت فى الالفاظ فى هاتين الآيتين وذلك انه قال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الآية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن العطف عليه بالفاء فى قوله فلا تعجبك وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا أتى بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وأسقط حرف لا هنا فقال سبحانه وتعالى وأولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد فيدل على أنهم كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم بأولادهم أكثر وفى اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين قال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا أن يعذبهم بحرف أن والفائدة فيه التنبيه على أن التعليل فى أحكام الله محال وانه أينما ورد حرف اللام فمعناه أن كقوله سبحانه وتعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله ومعناه وما أمروا الا بان يعبدوا الله وقال تبارك وتعالى فى الآية الاولى فى الحياة الدنيا وقال تعالى هنا فى الدنيا والفائدة فى اسقاط لفظة الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت فى الخسة الى حيث أنها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على كمال دناءتها فهذه جمل فى ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ٭ قوله عز وجل ﴿ واذا أنزلت سورة ﴾ يحتمل أن يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل ان يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر بالجهاد ﴿ أن ﴾ أى بان ﴿ آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله ﴾ فان قلت كيف يأمرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل ٭ قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد فى المستقبل وقيل ان الامر بالايمان يتوجه على كل أحد فى كل

انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) التكرير للمبالغة والتأكيد وأن يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم ولان كل آية فى فرقة غير الفرقة الاخرى (واذا أنزلت سورة) يجوز أن يراد سورة تمامها وان يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه (أن آمنوا بالله) بان آمنوا أو هى ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله

(انما يريد الله أن يعذبهم بها) فى الآخرة (وتزهق أنفسهم) تخرج أرواحهم (فى الدنيا وهم كافرون) مقدم ومؤخر (واذا انزلت سورة) من القرآن وأمروا فيها (ان آمنوا بالله) صدقوا بايمانكم بالله (وجاهدوا مع رسوله

الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحى ﴿ ولا تقم على قبره ﴾ ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة ﴿ انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ تعليل للنهى أو لتأبيد الموت ﴿ ولا تعجبك اموالهم واولادهم

وهذا مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شئ من الاشكال المتقدم فهو الاولى وقوله صلى الله عليه وسلم سأزيد على السبعين وعد بالزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن ابن عمر فان فيه لو أعلم أنى ان زدت على السبعين يغفر له لزدت وهذا تقييد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا ويقيد بعضها بعضا فلذلك قال لو اعلم أنى ان زدت على السبعين يغفر له لزدت فقد علم أنه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم انى خيرت مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وهذا يفهم منه النهى عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الآية التى فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهى عنه استغفاره لمن تحقق موته على الكفر والشرك وأما استغفاره لاولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقع ولا ينفع وغايته وان وقع كان تطييبا لقلوب الاحياء من قراباتهم فانفصل الاستغفار المنهى عنه من المخير فيه وارتفع الاشكال بحمد الله والله اعلم قال الشيخ محيى الدين النووى انما أعطاه قميصه ليكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا وقد سأله ذلك فأجابه اليه وقيل بل أعطاه مكافأة لعبد الله بن ابى المنافق الميت لانه ألبس العباس حين أسر يوم بدر قميصا وفى الحديث بيان مكارم أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى وألبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله سبحانه وتعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال البغوى قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكافئه بها ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن أبى فقال صلى الله عليه وسلم وما يغنى عنه قميصى وصلاتى من الله والله انى كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه فيروى انه أسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبى صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تقم على قبره ﴾ يعنى لا تقف عليه ولا تتول دفنه من قولهم قام فلان بامر فلان اذا كفاه أمره وناب عنه فيه ﴿ انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فان قلت الفسق أدنى حالا من الكفر ولما ذكر فى تعليل هذا النهى كونه كافرا دخل تحته الفسق وغيره فما الفائدة فى وصفه بكونه فاسقا بعد وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا فى نفسه بان يؤدى الامانة ولا يضمر لاحد سوأ وقد يكون خبيثا فى نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار السوء للغير وهذا أمر مستقبح عند كل أحد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تعجبك أموالهم واولادهم

(ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) تعليل للنهى اى انهم ليسوا باهل للصلاة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله (ولا تعجبك أموالهم واولادهم

(ولا تقم على قبره) ولا تقف على قبره (انهم كفروا بالله ورسوله) فى السر (وماتوا وهم فاسقون) منافقون (ولا تعجبك) يا محمد (أموالهم) كثرة أموالهم (واولادهم) ولا كثرة أولادهم

العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكفار ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني

عليه من ريقه وألبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم أعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله أعلم أنه صلى عليه أولا كما في حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ثانيا بعد ما أدخل حفرته فأخرجه منها ونزع عنه القميص الذي أعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم ألبسه قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله بعبد الله بن أبي تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا مسلما صالحا مخلصا وأما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده في مرضه وانه سأله أن يستغفر له وأن يعطيه قميصه وأن يصلي عليه فأعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلده ودلاه في حفرته فهذه جمل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب الا توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جلده ودلاه في قبره جملة منقطعة عما قبلها يعني أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما أعطاه القميص وبعد أن صلى عليه والله أعلم وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم ان عبد الله بن أبي بن سلول كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير أن الاسلام غلب عليه فنافق وكان رأسا في المنافقين وأعظمهم نفاقا وأشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روي عن ابن عباس أنهم كانوا ثلاثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما وأكثرهم عبادة وأشرحهم صدرا وكان أبر الناس بأبيه ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك تعلم أني من أبر الناس بأبي وأن أمرتني أن آتيك برأسه فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تعفو عنه وكان من أحرص الناس على اسلام أبيه وعلى أن ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشيء ولذلك لما مات أبوه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فأعطاه وسأله أن يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعافا له وطلبته وقول عمر تصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه يحتمل أن يكون قبل نزول ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ويظهر من هذا السياق ان عمر وقع في خاطره ان الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وهذان التأويلان فيهما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله اعلم أن البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه سياقة هي أبين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى أنزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي

روى ان ابن ابى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده ويصلى عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلى عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم يمنعه عن التكفين فى قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كانت مخلا بالكرم ولانه كان مكافأة لالباسه

الآية قال قتادة بعث عبد الله بن أبى بن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه قال فنهاه عمر عن ذلك فأتاه نبى الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبى الله صلى الله عليه وسلم قال أهلكك حب اليهود فقال يانبى الله انى لم أبعث اليك لتؤنبنى ولكن بعثت اليك لتستغفر لى وسأله قميصه أن يكفن فيه فأعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفنه فى قميصه صلى الله عليه وسلم ونفث فى جلده ودلاه فى قبره فأنزل الله سبحانه وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية (خ) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما مات عبد الله بن أبى بن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يارسول الله أتصلى على ابن أبى ابن سلول وقد قال يوم كذا كذا وكذا أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخر عنى ياعمر فلما أكثرت عليه قال انى خيرت فاخترت لو أعلم أنى ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله أعلم وأخرجه الترمذى وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (ق) عن جابر رضى الله عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى بعدما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه وألبسه قميصه والله أعلم قال وكان كسا عباسا قميصا قال سفيان وقال أبو هريرة وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله يارسول الله ألبس عبد الله قميصك الذى يلى جلدك قال سفيان فيرون ان النبى صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله قميصه مكافأة لما صنع وفى رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر أتى بالأسارى وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبى صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن أبى يقدر عليه فكساه النبى صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبى صلى الله عليه وسلم قميصه الذى ألبسه

لاتصل وكان عليه السلام اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقيل

فصل

وقع فى هذه الاحاديث التى تضمن قصة موت عبد الله بن أبى بن سلول المنافق صورة اختلاف فى الروايات ففى حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفى عبد الله ابن أبى بن سلول أتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه وأن يصلى عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفى حديث عمر بن الخطاب من أفراد البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى له ليصلى عليه وفى حديث جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم أتاه بعد ما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث

جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ اخبار عما يؤل اليه حالهم فى الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم ﴿ فان رجعك الله الى طائفة منهم ﴾ فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعنى منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين أو من بقى منهم فكان المتخلفون اثنى عشر رجلا ﴿ فاستأذنوك للخروج ﴾ الى غزوة اخرى بعد تبوك ﴿ فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا ﴾ اخبار فى معنى النهى للمبالغة ﴿ انكم رضيتم بالقعود اول مرة ﴾ تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هى الخرجة الى غزوة تبوك ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ اى المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ﴿ ولا تصل على احد منهم مات ابدا ﴾

معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم فى الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم فى الآخرة لان الدنيا فانية والآخرة باقية والمنقطع الفانى بالنسبة الى الدائم الباقى قليل ﴿ جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ يعنى أن ذلك البكاء فى الآخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم الخبيثة فى الدنيا (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ۞ وروى البغوى بسنده عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت ۞ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فان رجعك الله ﴾ يعنى فان ردك الله يا محمد من غزاتك هذه ﴿ الى طائفة منهم ﴾ يعنى الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل أصحاب الاعذار ﴿ فاستأذنوك للخروج ﴾ يعنى فاستأذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم فى الخروج معك الى غزوة أخرى ﴿ فقل لن تخرجوا معى أبدا ﴾ يعنى فقل يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا معى أبدا لا الى غزوة ولا الى سفر ﴿ ولن تقاتلوا معى عدوا انكم ﴾ يعنى لانكم ﴿ رضيتم بالقعود أول مرة ﴾ يعنى انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ يعنى مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع الخالفين يقال صاحبه خالف اذا كان مخالفا كثير الخلاف وفى الآية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكروه وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله سبحانه وتعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات ۞ قوله عز وجل ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ﴾

(جزاء بما كانوا يكسبون) من النفاق (فان رجعك الله) أى ردك من تبوك وأعاقال (الى طائفة منهم) لان منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة بعد غزوة تبوك (فقل لن تخرجوا معى أبدا) سكون الياء حمزة وعلى وأبو بكر (ولن تقاتلوا معى عدوا) معى حفص (انكم رضيتم بالقعود أول مرة) اول ما دعيتم الى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) مع من تخلف بعد وسأل ابن عبدالله بن ابى وكان مؤمنا ان يكفن النبى صلى الله عليه وسلم أباه فى قميصه ويصلى عليه فقبل فاعترض عمر رضى الله [illegible] عليه السلام ذلك لا ينفعه وكنت أرجو أن يؤمن به ألف من قومه فنزل (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين يعنى صلاة الجنازة روى انه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرك بثوب النبى صلى الله عليه وسلم (مات) صفة لاحد (أبدا) ظرف

(جزاء بما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون من المعاصى (فان رجعك الله) من غزوة تبوك (الى طائفة منهم) من المنافقين بالمدينة (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة أخرى (فقل لهم يا محمد لن تخرجوا معى ابدا) بعد غزوة تبوك (ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود) بالجلوس (أول مرة) فى أول مرة من (قا و خا ٢ لث) غزوة تبوك (فاقعدوا) عن الجهاد (مع الخالفين) مع النساء والصبيان (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين بعد عبدالله بن أبى (مات أبدا) ويقال على عبدالله بن ابى

عن الايمان ماداموا مختارين للكفر والطغيان (فرح المخلفون) المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) مخالفة له وهو مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له (وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) لم يفعلوا

لا ينقلع ولا يهتدى والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم مالم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة و[illegible] هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ بقعودهم عن الغزو خلفه يقال قام خلاف الحي أي بعدهم [illegible] يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة أو الحال ﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج ﴿وقالوا لا تنفروا في الحر﴾ [illegible] بعضهم لبعض أو قالوه للمؤمنين تثبيطا ﴿قل نار جهنم اشد حرا﴾ وقد آثرتموها بهذه المخالفة ﴿لو كانوا يفقهون﴾ ان مآبهم اليها أو انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا﴾

﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه فمن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك وقعدوا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قدامهم بالخروج الى الجهاد فاختاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ والمعنى أنهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة والقعود [illegible] النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿[illegible] لا تنفروا في الحر﴾ [illegible] تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى ﴿قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون﴾ يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا [illegible] أن نار جهنم التي هي موعدهم في الآخرة أشد حرا [illegible] قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر [illegible] أن ينفروا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج [illegible] وجل قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون [illegible] ﴿فليضحكوا قليلا﴾ يعني فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] في الدنيا الفانية بقعودهم خلافه ﴿وليبكوا كثيرا﴾ [illegible]

في سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في [illegible] (قل نار جهنم أشد حرا [illegible] يفقهون) استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان أجهل من كل جاهل (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) [illegible] في الدنيا ويبكون كثيرا جزاء في العقبى الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم

[illegible] (خلاف رسول الله) خلف رسول الله (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) في طاعة الله (وقالوا) وقال بعضهم لبعض (لا تنفروا في الحر) (معناه) لا تخرجوا مع محمد صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك في الحر الشديد (قل) لهم يا محمد (نار جهنم أشد حرا) حرا (لو كانوا يفقهون) يعلمون ويصدقون (فليضحكوا قليلا) في الدنيا (وليبكوا كثيرا) في الآخر

جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية اذلو استغفر لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم لانهم كفار والله لا يغفر لمن كفر به والمعنى وان بالغت في الاستغفار لهم وقد وردت الاخبار بذكر السبعين وكلها تدل على الكثرة لا على التحديد والغاية ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل مادون الثلاث والكثير الثلاث فما فوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لاقصاه غاية والعدد أيضا نوعان شفع ووتر وأول الاشفاع اثنان وأول الاوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجمع الكثير من النوعين لان فيها أوتارا ثلاثة واشفاعا ثلاثة والعشرة كمال الحساب لان ماجاوز العشرة فهو اضافة الآحاد الى العشرة كقولك اثناعشر وثلاثة عشر الى عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلاثون تكريرها ثلاث مرات وكذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاه فجاز أن يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله أعلم (ذلك)

عبدالله بن عبدالله بن ابى وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه الصلاة والسلام فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لأزيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ماوراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه العدد باسره ﴿ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله﴾ اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل مناولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها ﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه

قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم أولا تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يامحمد أولم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وانما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حمزة رضى الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان آحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص الله تبارك وتعالى السبعين بالذكر للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لى فسأزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فانزل الله سبحانه وتعالى سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما توفى عبدالله يعنى ابن أبى بن سلول جاء ابنه عبدالله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ثم سأله أن يصلى عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله تصلى عليه وقد نهاك ربك أن تصلى عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرنى الله عز وجل فقال استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله﴾ يعنى ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفوه عنهم وترك المغفرة لهم من أجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله ﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ يعنى والله لا يوفق للايمان به وبرسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله * قوله عز وجل

اشارة الى اليأس من المغفرة (بانهم) بسبب انهم (كفروا بالله ورسوله) لا غفران للكافرين (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين

ذلك) العذاب (بانهم كفروا بالله ورسوله) في السر (والله لا يهدى) لا يغفر (القوم الفاسقين) المنافقين عبدالله بن أبي

ألفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (والذين) عطف على المطوعين (لايجدون الا جهدهم) طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال بت ليلتى أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا للعيالى وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا ماأعطى عبدالرحمن وعاصم الارياء وأما صاع أبى عقيل فالله غنى عنه (فيسخرون منهم) فيهزؤن (سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء (ولهم عذاب أليم) مؤلم ولما سأل عبدالله بن عبدالله بن ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه فى مرضه نزل (استغفر لهم أولا تستغفر لهم) وقدمر ان هذا الامر فى معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) والسبعون

(والذين لايجدون الا جهدهم) ويطعنون على الذين لايجدون الا طاقتهم وكان هذا أباعقيل عبد الرحمن بن تيحان لم يجد الاصاعا من تمر (فيسخرون منهم) بقلة الصدقة يقولون ماجاء به الا ليذكر به ويعطى من الصدقة أكثر مما جاء به (سخر الله منهم) عليه يوم القيامة فى الآخرة يفتح الله لهم بابا الى الجنة (ولهم عذاب اليم) وجيع فى الآخر (استغفر لهم) يقول ان تستغفر لعبدالله بن أبى { قال } وجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم نحو سبعين رجلا (أولا تستغفر لهم) سواء عليهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم

عاصم بن عدى بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع تمر فقال بت ليلتى اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا مااعطى عبدالرحمن وعاصم الارياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابى عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت ﴿والذين لايجدون الا جهدهم﴾ الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه ﴿فيسخرون منهم﴾ يستهزؤن بهم ﴿سخر الله منهم﴾ جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم ﴿ولهم عذاب اليم﴾ على كفرهم ﴿استغفر لهم أولا تستغفر لهم﴾ يريد به التساوى بين الامرين فى عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ﴿ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ روى ان

جئتك بأربعة آلاف فاجعلها فى سبيل الله وامسكت أربعة آلاف لعيالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله فى مال عبدالرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدى العجلانى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصارى بصاع من تمر وقال يارسول الله بت ليلتى أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما لعيالى وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره فى الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما أعطى عبدالرحمن وعاصم الارياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع أبى عقيل ولكن أحب أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله سبحانه وتعالى الذين يلمزون يعيبون المطوعين يعنى المتبرعين من المؤمنين يعنى عبدالرحمن بن عوف وعاصم بن عدى فى الصدقات والتطوع التنفل بماليس بواجب عليه ﴿والذين لايجدون الا جهدهم﴾ يعنى أباعقيل الانصارى والجهد بالضم الطاقة وهى لغة أهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذى يأتى به فيتصدق به أكثر موقعا عندالله تعالى من الكثير الذى يأتى به فيتصدق به لان الغنى أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذى أخرج القليل انما اخرجه عن ضعف وجهد وقد يؤثر المحتاج الى المال غيره رجاء ماعندالله تعالى كما قال سبحانه وتعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴿فيسخرون منهم﴾ يعنى ان المنافقين كانوا يستهزؤن بالمؤمنين فى انفاقهم المال فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذى يتصدق بالقليل ويقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من يرجو ماعندالله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به * قوله سبحانه وتعالى ﴿سخر الله منهم﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخريتهم * ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى ﴿ولهم عذاب أليم﴾ يعنى فى الآخرة * قوله سبحانه وتعالى ﴿استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾

الوجهين أو المقال مطلقا ه وقرئ يكذبون بالتشديد ﴿ألم يعلموا﴾ أى المنافقون أو من عاهد الله ه وقرئ بالتاء على الالتفات ﴿ ان الله يعلم سرهم ﴾ ماأسروه فى انفسهم من النفاق أو العزم على الاخلاف ﴿ ونجواهم ﴾ وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية ﴿ وان الله علام الغيوب ﴾ فلا يخفى عليه ذلك ﴿ الذين يلمزون ﴾ ذم مرفوع أو منصوب أو بدل من الضمير فى سرهم ه وقرئ يلمزون بالضم ﴿ المطوعين ﴾ المتطوعين ﴿ من المؤمنين فى الصدقات ﴾ روى انه صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فاقرضت ربى اربعة وامسكت لعيالى اربعة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى أمرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق

صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فأما من ندر ذلك منه فليس ذلك داخلا فيه هذا هو المختار فى معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا فى ايمانهم فكذبوا واؤتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا فى أمر الدين ونصره فاخلفوا وفجروا فى خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح ورجع اليه الحسن البصرى بعد ان كان على خلافه وهو مروى عن ابن عباس وابن عمر ورويناه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال القاضى عياض واليه مال أكثر أئمتنا وحكى الخطابى قولا آخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكى أيضا عن بعضهم ان الحديث ورد فى رجل بعينه منافق وكان النبى صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم مابال أقوام يفعلون كذا والله أعلم وقال الامام فخر الدين الرازى ظاهر هذه الآية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان يبالغ فى الاحتراز عنه فاذا عاهد الله فى أمر فليجتهد فى الوفاء به ✻ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ألم يعلموا﴾ يعنى هؤلاء المنافقين ﴿ ان الله يعلم سرهم ﴾ يعنى ماتنطوى عليه صدورهم من النفاق ﴿ونجواهم﴾ يعنى ويعلم مايفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفى من الكلام يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفى عليه شئ منها ﴿ وان الله علام الغيوب ﴾ وهذا مبالغة فى العلم يعنى ان الله عالم بجميع الاشياء فكيف تخفى عليه احوالهم ✻ قوله عز وجل ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات ﴾ الآية (ق) عن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشئ كثير فقالوا مراء وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغنى عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لايجدون الا جهدهم الآية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال يارسول الله مالى ثمانية آلاف درهم

الوعد ثلث النفاق (ألم يعلموا) يعنى المنافقين (ان الله يعلم سرهم) ما أسروه من النفاق بالعزم على اخلاف ماوعدوه (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن فى الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها (وأن الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه شئ (الذين) محله النصب أو الرفع على الذم أو الجر على البدل من الضمير فى سرهم ونجواهم (يلمزون المطوعين) يعيبون المطوعين المتبرعين (من المؤمنين فى الصدقات) متعلق بيلمزون روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فاقرضت ربى أربعة وأمسكت أربعة لعيالى فقال عليه السلام بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين

وبكذبه عاقال (ألم يعلموا) يعنى المنافقين (ان الله يعلم سرهم) فيما بينهم (ونجواهم) خلوتهم (وان الله علام الغيوب) ماغاب عن العباد (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات) يطعنون على عبد الرحمن وأصحابه فى الصدقات يقولون ماجاء هؤلاء بالصدقات الارياء وسمعة

الى عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله تعالى عنه ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به ﴾ منعوا حق الله منه ﴿ وتولوا ﴾ عن طاعة الله ﴿ وهم معرضون ﴾ وهم قوم عادتهم الاعراض عنها ﴿ فاعقبهم نفاقا في قلوبهم ﴾ أى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم ﴿ الى يوم يلقونه ﴾ يلقون الله بالموت أو يلقون عمله أى جزاءه وهو يوم القيامة ﴿ بما اخلفوا الله ماوعدوه ﴾ بسبب اخلافهم ماوعدوه من التصدق والصلاح ﴿ وبما كانوا يكذبون ﴾ وبكونهم كاذبين فيه وان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من

من صلة الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايصالها الى أهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولنكونن من الصالحين اشارة الى كل ما يفعله أهل الصلاح على الاطلاق من جميع أعمال البر والطاعة ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به ﴾ يعني فلما رزقهم الله لم يفعلوا من أعمال البر شيأ ﴿ وتولوا ﴾ يعني عما عاهدوا الله عليه ﴿ وهم معرضون ﴾ يعني عن العهد ﴿ فاعقبهم نفاقا في قلوبهم ﴾ يعني فأعقبهم الله نفاقا بأن صيرهم منافقين يقال أعقبت فلانا ندامة اذا صارت عاقبة أمره الى ذلك وقيل معناه انه سبحانه وتعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم ﴿ الى يوم يلقونه ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى حرمهم التوبة الى يوم القيامة فيوافوه على النفاق فيجازيهم عليه ﴿ بما أخلفوا الله ماوعدوه ﴾ يعني الصدقة والانفاق في سبيله ﴿ وبما كانوا يكذبون ﴾ يعني في قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﴿ عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان ﴿ عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد أخلف واذا خاصم فجر ﴿ قال الشيخ محيي الدين النووي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد أجمع العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد في النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف ولبعض العلماء بعض هذا أو كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلف العلماء في معناه فالذي قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار أن معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها يشبه المنافقين في هذه الخصال ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الاسفل من النار وقوله

(فلما آتاهم من فضله) أعطاهم الله المال ونالوا مناهم (بخلوا به) منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) مصرون على الاعراض (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه (الى يوم يلقونه) أى جزاء فعلهم وهو يوم القيامة (بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون) بسبب اخلافهم ماوعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف

(فلما آتاهم) الله أعطاهم (من فضله) المال الذي له بالشام (بخلوا به) بما وعدوا من حق الله (وتولوا) عن ذلك (وهم معرضون) مكذبون (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) فجعل عاقبته على النفاق (الى يوم يلقونه) الى يوم القيامة (بما أخلفوا الله ماوعدوه) بما أخلف وعده (وبما كانوا يكذبون)

ولنكونن من الصالحين ﴾ نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء بها

منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى أبابكر فقال اقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا لا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها منه فلما ولي عمر أتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فانا لا أقبلها منك فلم يقبلها ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان وأخرجه الطبري أيضا بسنده قال بعض العلماء انما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله سبحانه وتعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه ما عاهد الله عليه واهانة له على قوله انما هي جزية أو أخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه اهانة له وليعتبر غيره به فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى أنها واجبة عليه وأنه يثاب على اخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملأ قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلا به وقال ابن السائب ان ثعلبة بن حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فابطأ عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لأصدقن منه ولأصلن فلما آتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الآية وحاصله ان ظاهر الآية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليصدقن وليفعلن فيه أفعال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من أعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنتصدقن ولنخرجن من ذلك المال صدقته ﴿ ولنكونن من الصالحين ﴾ يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمله أهل الصلاح باموالهم

(ولنكونن من الصالحين) باخراج الصدقة

(ولنكونن من الصالحين) من الحامدين

(ومنهم من عاهد الله) روى ان ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره
خير من كثير لاتطيقه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقني
مالا لأعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لايسعه واد فقال ياويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال ماهذه الا الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه ياويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضى الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضى الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان رضى الله عنه (لئن آتانا من فضله) أي المال (لنصدقن) لنخرجن الصدقة والاصل لنتصدقن ولكن التاء أدغمت في الصاد لقربها منها

﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ﴾

يعني وليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله أو ينصرهم في الدنيا والآخرة * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ﴾ الآية روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي أمامة الباهلي رضى الله تعالى عنه قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لاتطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمالك في رسول الله اسوة حسنة والذى نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذى بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهى تنمى كما ينمى الدود فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لايشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة أيضا حتى صار لايشهد جمعة ولاجماعة فكان اذا كان يوم جمعة خرج فتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال مافعل ثعلبة فقالوا يارسول الله اتخذ ثعلبة غنما مايسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة فأنزل الله سبحانه وتعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف يأخذان وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الا الجزية ماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا ماهذه عليك قال خذاها فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ماهذه الا الجزية ماهذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي قال فأقبلا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يكلماه ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير فأخبراه بالذى صنع ثعلبة فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية الى قوله سبحانه وتعالى وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان أقبل

بهم (ومنهم) من المنافقين (من عاهد الله) حلف بالله يعني ثعلبة بن حاطب بن أبي بلتعة (لئن آتانا) أعطانا (منك) (من فضله) المال الذى له بالشام (لنصدقن) في سبيل الله لنؤدين منه حق الله ولنصلن به الرحم

تواقفوا عند ... جعه من تبوك ان يدفعوه عن ظهر راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل ... عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا أ... راجعوا واخراج المؤمنين من المدينة أو بان يتوجوا عبد الله بن ابى وان لم يرض رسول الله صلى الله تعالى عليه ... ﴿ وما نقموا ﴾ وما انكروا أو وما وجدوا ما يورث نقمتهم ﴿ الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ ... فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج فى ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل أو العلل ﴿ فان يتوبوا يك خيرا لهم ﴾ هو الذى حمل الجلاس على التوبة والضمير فى يك للتوب ﴿ وان يتولوا ﴾ بالاصرار على النفاق ﴿ يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والآخرة ﴾ بالقتل والنار ﴿ وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير ﴾ فينجيهم من العذاب

ان يغشيها عليه وقيل هم عبد الله بن أبى بن سلول وكان همه قوله لئن رجعنا الى المدينة فلم ينله وقيل هم اثنا عشر رجلا من المنافقين نقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره وأمره ان يرسل اليهم من ضرب وجوه رواحلهم فارسل حذيفة لذلك وقال السدى قال المنافقون اذا رجعنا الى المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبى بن سلول تاجا لم يصلوا اليه ﴿ وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ يعنى وما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النبى صلى الله عليه وسلم أن نقموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فنقموا أشرا وبطرا وقال ابن قتيبة معناه ليس ينقمون شيأ ولا يتعرفون الا الصنع وهذا كقول الشاعر

مانقم الناس من أمية الا انهم يحلمون ان غضبوا

وهذا ليس مما ينقم وانما أراد أن الناس لا ينقمون عليهم شيأ فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتائب

اى ليس فيهم عيب قال الكلبى كانوا قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فى ضنك من العيش فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فامر له النبى صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن أبى دية فاخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة ان مولى لبنى عدى قتل رجلا من الانصار فقضى له النبى صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر الفا وفيه نزلت وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ﴿ فان يتوبوا يك خيرا لهم ﴾ يعنى فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يك ذلك خيرا لهم فى العاجل والآجل ﴿ وان يتولوا ﴾ يعنى وان يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصروا على النفاق والكفر ﴿ يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا ﴾ يعنى بالخزى والاذلال ﴿ والآخرة ﴾ أى ويعذبهم فى الآخرة بالنار ﴿ وما لهم فى الارض من ولى ... ﴾

(وما نقموا) وما انكروا وما عابوا (الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) وذلك ... المدينة فى ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى (فان يتوبوا) عن النفاق (يك) الثواب (خيرا لهم) وهى الآية التى تاب عندها الجلاس (وان يتولوا) يصروا على النفاق (يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير) ينجيهم من العذاب

(وما نقموا) وما طعنوا على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله) بالغنيمة (فان يتوبوا) من الكفر والنفاق (يك خيرا لهم) من الكفر والنفاق (وان يتولوا) عن التوبة (يعذبهم الله عذابا أليما) وجيعا (فى الدنيا والآخرة وما لهم فى الارض من ولى) حافظ يحفظهم (ولا نصير) مانع يمنعهم مما يراد

بعد اظهار الاسلام ﴿ وهموا بما لم ينالوا ﴾ من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم

الزبير نزلت في الجلاس بن سويد أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن شر من حمرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله يا عدو الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت ان ينزل في القرآن أو ان تصيبني قارعة أو ان أخلط بخطيئته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة ان أخلط بخطيئته أو تصيبني قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس أقلت .. قال مصعب فحلف ما قال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآية وروى عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعين الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا .. نعتهم جميعا الى آخر الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة و .. آخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفارى على الجهني فقال عبد الله بن أبي ابن سلول للاوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله فحلف بالله ما قاله فانزل الله هذه الآية هذه روايات .. ى وذكر البغوى عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه و.. لى المدينة .. عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله على فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب على عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل أن .. تفرقا بهذه الآية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله أسمع الله قد عرض على التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وأنا أستغفر الله وأتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه فتاب وحسنت توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعنى أظهروا كلمة الكفر بعد اسلامهم وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هي كلمة الجلاس بن سويد لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير وقيل هي كلمة عبد الله بن أبي بن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وسيأتي القصة في موضعها في سورة المنافقين ان شاء الله تعالى ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ وهموا بما لم ينالوا ﴾ قال مجاهد هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته عنه

الاسلام وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام واحد لانه قال وكفروا بعد اسلامهم (وهموا بما لم ينالوا) من قتل محمد عليه الصلاة والسلام أو قتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا ابن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهموا بما لم ينالوا) أرادوا قتل الرسول واخراج الرسول ولم يقدروا على ذلك

واغلظ عليهم) في الجهادين جميعاً ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا فنحن

شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس أجل والله ان محمداً صادق وأنت شر من الحمير وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) يعني ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير أو هي استهزاؤهم فقال الجلاس يارسول الله والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم

(واغلظ) اشدد (عليهم) على كلا الفريقين بالقول والفعل (ومأواهم جهنم) مصيرهم جهنم (وبئس المصير) صاروا اليه (يحلفون بالله ما قالوا) حلف جلاس بن سويد ما قلت الذي قال عليّ عامر ابن قيس (ولقد قالوا كلمة كفر) كلمة الكفار لقوله حيث ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عيب المنافقين وما فيهم قال والله لئن كان محمد صادقا فيما يقول في اخواننا نحن أشر من الحمير فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم عامر بن قيس عن قوله فحلف بالله ما قلت فكذبه الله قال ولقد قالوا كلمة الكفر (وكفروا بعد اسلامهم

﴿ واغلظ عليهم ﴾ في ذلك ولا تحابهم ﴿ ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ مصيرهم ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ﴾ روي انه عليه الصلاة والسلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ﴿ ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم ﴾ واظهروا الكفر

يعني وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام فقال ابن عباس أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك أيضاً وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم يعني اذا تعاطوا أسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود فتقام عليهم في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المنافقون قال الطبري وأولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلابد من دليل آخر وقد دلت الدلائل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وبالانتهار تارة وهذا هو قول ابن مسعود ﴿ واغلظ عليهم ﴾ يعني شدد عليهم بالجهاد والارهاب ﴿ ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ يعني ان جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم اليها فان قلت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم وبحالهم قلت انما أمر الله عز وجل نبيه سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بقتال من أظهر كلمة الكفر وأقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه أنكره ورجع عنه وقال اني مسلم فانه يحكم باسلامه في الظاهر حقن دمه وماله وولده وان كان معتقداً غير ذلك في الباطل لان الله سبحانه وتعالى أمر باجراء الاحكام على الظواهر فلذلك أجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكل سرائرهم الى الله سبحانه وتعالى لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم في الآخرة بما يستحقون ﴿ قوله عز وجل ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم ﴾ اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال عروة بن

على سبيل التوزيع أو الى تغاير وصفه ... وصفه أو ... من جنس ... الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول مايقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لاتخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لايعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ﴿ ورضوان من الله اكبر ﴾ لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى وقد اعطيتنا مالم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون وأى شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ﴿ ذلك ﴾ أى الرضوان أو جميع ماتقدم ﴿ هو الفوز العظيم ﴾ الذى يستحقر دونه الدنيا ومافيها ﴿ ياأيها النبى جاهد الكفار ﴾ بالسيف ﴿ والمنافقين ﴾ بالزام الحجة واقامة الحدود

دار أصفياء الله التى أعدها للاولياء وأهل طاعته والمقربين من عباده ☼ عن أبى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ومابين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن أخرجه البخارى ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعنى وسطها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لايدخله الانبى أوصديق أوشهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر فى الجنة خيامه على حافتيه وقال مقاتل والكلبى عدن أعلى درجة فى الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهى مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها أهلها وهم الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض قال الامام فخر الدين الرازى حاصل هذا الكلام ان فى جنات عدن قولين أحدهما أنه اسم علم لموضع معين فى الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوى هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده والقول الثانى أنه صفة للجنة قال الازهرى العدن مأخوذ من قولك عدن بالمكان اذا أقام به يعدن عدنا فبهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن ☼ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ يعنى ان رضوان الله الذى ينزله عليهم أكبر من كل ماسلف ذكره من نعيم الجنة ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ اشارة الى ... ذكره من نعيم الجنة والرضوان ﴿ ق ﴾ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة ياأهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى ياربنا وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا اسخط بعده عليكم أبدا ☼ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ياأيها النبى جاهد الكفار ﴾ يعنى بالسيف والمحاربة والقتال ﴿ والمنافقين ﴾

فى الجنة (ورضوان من ...) وشئ من رضوان ... (أكبر) من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة (ذلك) اشارة الى ماوعد أو الى الرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون مايعده الناس فوزا (ياأيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة

(ورضوان من الله أكبر) رضا ربهم أعظم مماهم فيه (ذلك) الذى ذكرت (هو الفوز العظيم) النجاة الوافرة (ياأيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) باللسان

﴿ اولئك سيرحمهم الله ﴾ لامحالة فان السين مؤكدة للوقوع ﴿ ان الله عزيز ﴾ غالب على كل شئ لا يمتنع عليه مايريده ﴿ حكيم ﴾ يضع الاشياء مواضعها ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة ﴾ تستطيبها النفس أو يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر ﴿ في جنات عدن ﴾ اقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لايسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد أو للجميع

يعنى فيما يأمرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فنسيهم ﴿ أولئك ﴾ يعنى المؤمنين والمؤمنات الموصوفين بهذه الصفات ﴿ سيرحمهم الله ﴾ لما ذكر الله ماوعد به المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ماوعد به المؤمنين والمؤمنات من الرحمة والرضوان وما أعد لهم في الجنان والسين في قوله سيرحمهم الله للمبالغة والتوكيد ﴿ ان الله عزيز حكيم ﴾ وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذى لا يمتنع عليه شئ أراده فهو قادر على ايصال الرحمة لمن أراد وايصال العقوبة لمن أراد والحكيم هو الذى يدبر عباده على مايقتضى العدل والانصاف ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ﴾ لما ذكر الله في الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وما اعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية ماوعد به المؤمنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التى تجرى من تحتها الانهار البساتين التى يتحير في حسنها الناظر لانه سبحانه وتعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب أن يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التى هى البساتين فتكون جنات عدن هى المساكن التى يسكنونها والجنات الاخر هى البساتين التى يتنزهون فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما ﴿ ومساكن طيبة ﴾ يعنى ومنازل يسكنونها طيبة ﴿ في جنات عدن ﴾ يعنى في بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به ❊ روى الطبرى بسنده عن عمران بن حصين وأبى هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفي رواية في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام وفي كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة مايأتى على ذلك كله أجمع ❊ وروى بسنده عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعنى دار الله التى لم تر عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنه لا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبرى فان صحت هذه الرواية فلابد من تأويلها فقوله عدن داره يعنى دار الله وهو من باب حذف المضاف تقديره عدن

(اولئك سيرحمهم الله) السين مفيدة وجود الرحمة لامحالة فهى تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في سانتقم منك يوما (ان الله عزيز) غالب على كل شئ قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضع كلا موضعه (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) يطيب فيها العيش وعن الحسن رحمه الله قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد (في جنات عدن) عدن علم بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن وقد عرفت ان الذى والتى وضعا لوصف المعارف بالجمل وهى مدينة

(أولئك سيرحمهم الله) لايعذبهم الله (ان الله عزيز) في ملكه وسلطانه (حكيم) في أمره وقضائه (وعد الله المؤمنين) المصدقين من الرجال (والمؤمنات) المصدقات من النساء (جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين في الجنة (ومساكن طيبة) منازل حسنة قد طيبها الله بالمسك والريحان ويقال جميلة ويقال طاهرة ويقال عامرة (في جنات عدن) درجة اعلاها

﴿ واصحاب مدين ﴾ واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة ﴿ والمؤتفكات ﴾ قريات قوم لوط ائتفكت بهم أى انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر ﴿ اتتهم رسلهم ﴾ يعنى الكل ﴿ بالبينات فما كان الله ليظلمهم ﴾ أى لم يكن من عادته مايشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ﴿ ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾ حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ﴾ فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴿ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله ﴾ فى سائر الامور

﴿ واصحاب مدين ﴾ وهم قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة ﴿ والمؤتفكات ﴾ يعنى المنقلبات التى جعل الله عاليها سافلها وهى مدائن قوم لوط وانما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف الستة لان آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب فكانوا يمرون عليهم ويعرفون أخبارهم ﴿ أتتهم رسلهم بالبينات ﴾ يعنى بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أيها المنافقون والكفار فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتعجل لكم النقمة كما عجلت لهم ﴿ فما كان الله ليظلمهم ﴾ يعنى بتعجيل العقوبة لهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ يعنى ان الذى استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم ❊ قوله عز وجل ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ لما وصف الله المنافقين بالاعمال الخبيثة والاحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما أعد لهم من أنواع الوعيد فى الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف المؤمنين واعمالهم الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات فى الدنيا والآخرة فقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يعنى فى الموالاة فى الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة ❊ فان قلت انه سبحانه وتعالى قال فى وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال فى وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض فما الفائدة فى ذلك ❊ قلت لما كان نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والاكابر وحصل بمقتضى الطبيعة ايضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة ❊ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ يأمرون بالمعروف ﴾ يعنى بالايمان بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كل ما عرف فى الشرع من خير وبر وطاعة ﴿ وينهون عن المنكر ﴾ يعنى عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا فى مقابلة ما وصف به المنافقون وضده ﴿ ويقيمون الصلوة ﴾ يعنى الصلاة المفروضة ويتمون أركانها وحدودها ﴿ ويؤتون الزكوة ﴾ يعنى الواجبة عليهم وهو فى مقابلة ويقبضون أيديهم ﴿ ويطيعون الله ورسوله ﴾

و... كهن انقلاب أحوالهن عن الخير الى الشر (أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم) فما صح منه أن يظلمهم باهلاكهم لانه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم (ولكن كانوا انفسهم ... وتكذيب الرسل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) فى التناصر والتراحم (يأمرون بالمعروف) بالطاعة والايمان (وينهون عن المنكر) عن الشرك ... (ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله

(واصحاب مدين) قوم شعيب أهلكناهم بالرجفة (والمؤتفكات) المكذبات المخسفات يعنى قوم لوط أهلكناهم بالخسف والحجارة (أتتهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهى والعلامات فلم يؤمنوا بهم فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) باهلاكهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الانبياء (والمؤمنون) المصدقون من الرجال (والمؤمنات) المصدقات من النساء (بعضهم أولياء بعض) على دين بعض فى السر والعلانية (يأمرون بالمعروف) بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وينهون عن المنكر) عن الكفر والشرك وترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (يعنى) (ويقيمون الصلوة) يتمون الصلوات الخمس (ويؤتون الزكوة) يعطون زكاة اموالهم (ويطيعون الله ورسوله) فى السر والعلانية

كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) محلها رفع أى أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم أى تلذذوا بملاذ الدنيا والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أى ما خلق للانسان بمعنى قدر من خير (وخضتم) فى الباطل (كالذى خاضوا) كالفوج الذى خاضوا أو كالخوض الذى خاضوا والخوض الدخول فى الباطل واللهو وانما قدم فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه ليذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الآخرة ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم (أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) فى مقابلة قوله وآتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين (وأولئك هم الخاسرون) ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) هو بدل من الذين (وعاد وثمود وقوم ابراهيم

[illegible] ([illegible]) [illegible] (الذين من قبلكم) [illegible] (بخلاقهم) [illegible] من الآخرة فى الدنيا (وخضتم) فى الباطل (كالذى خاضوا) وكذبتم محمدا صلى الله عليه وسلم فى السر كالذين خاضوا وكذبوا أنبياءه يعنى انبياء الله (اولئك حبطت أعمالهم) بطلت حسناتهم (فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) المغبونون بالعقوبة (ألم يأتهم نبأ) خبر (الذين من قبلهم) كيف أهلكناهم (قوم نوح) أهلكناهم بالغرق (وعاد) قوم هود أهلكناهم بالريح (وثمود) قوم صالح أهلكناهم بالرجفة (وقوم ابراهيم) اهلكناهم بالهدم

﴿كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم﴾ ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم ﴿وخضتم﴾ ودخلتم فى الباطل ﴿كالذى خاضوا﴾ كالذين خاضوا أو كالفوج الذى خاضوا أو كالخوض الذى خاضوه ﴿اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة﴾ لم يستحقوا عليها ثوابا فى الدارين ﴿واولئك هم الخاسرون﴾ الذين خسروا فى الدنيا والآخرة ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح﴾ اغرقوا بالطوفان ﴿وعاد﴾ اهلكوا بالريح ﴿وثمود﴾ اهلكوا بالرجفة ﴿وقوم ابراهيم﴾ اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه

والكافرون بخلاقكم ﴿كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم﴾ فان قلت ما الفائدة فى ذكر الاستمتاع بالخلاق فى حق الاولين مرة ثم ذكره فى حق المنافقين ثانيا ثم اعادة ذكره فى حق الاولين ثالثا * قلت فائدته انه يذم الاولين بالاستمتاع بما أتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركهم النظر فيما يصلحهم فى الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كما تريد أن تبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول له أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم فانت تفعل مثل ما كان يفعل فالتكرير ههنا للتأكيد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم فى فعلهم * وقوله تعالى ﴿وخضتم كالذى خاضوا﴾ معطوف على ما قبله ومستند اليه يعنى وسلكتم فى فعلكم مثل ما سلكوا فى اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمؤمنين ﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ يعنى بطلت أعمالهم ﴿فى الدنيا والآخرة﴾ يعنى ان أعمالهم لا تنفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة بل يعاقبون عليها ﴿[illegible] الخاسرون﴾ والمعنى انه كما بطلت أعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل أعمالكم ايها المنافقون وتخسرون (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن * قوله عز وجل ﴿ألم يأتهم﴾ رجع من الخطاب الى الغيبة يعنى ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير أى قد أتاهم ﴿ربنا﴾ يعنى خبر ﴿الذين من قبلهم﴾ يعنى الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف اهلكناهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى ﴿قوم نوح﴾ يعنى أنهم أهلكوا بالطوفان ﴿وعاد﴾ أهلكوا بالريح العقيم ﴿وثمود﴾ اهلكوا بالرجفة ﴿وقوم ابراهيم﴾ أهلكوا بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة

(ان المنافقين هم الفاسقون) هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف به المنافقون حين بالغ في ذمهم (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها (هى) أى النار (حسبهم) فيه دلالة على عظم عذابها وانه بحيث لا يزاد عليه (ولعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين (ولهم عذاب مقيم) دائم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على أسرارهم الكاف في (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم

﴿ ان المنافقين هم الفاسقون ﴾ الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ﴾ مقدرين الخلود ﴿ هى حسبهم ﴾ عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ﴿ ولعنهم الله ﴾ ابعدهم من رحمته وأهانهم ﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾ لا ينقطع والمراد به ما وعدوه أو ما يقاسونه من تعب النفاق ﴿ كالذين من قبلكم ﴾ أى انتم مثل الذين أو فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم ﴿ كانوا اشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا ﴾ بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم ﴿ فاستمتعوا بخلاقهم ﴾ نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه ﴿ فاستمتعتم بخلاقكم

والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى ﴿ ان المنافقين هم الفاسقون ﴾ يعنى هم الخارجون عن الطاعة ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار ﴾ يقال وعده بالخير وعدا ووعده بالشر وعيدا فالوعد يكون في الخير والشر ﴿ نار جهنم خالدين فيها ﴾ فيه حذف تقديره يصلونها خالدين يعنى مقيمين فيها ﴿ هى حسبهم ﴾ يعنى هى كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة ﴿ ولعنهم الله ﴾ يعنى وابعدهم من رحمته وطردهم عن بابه ﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾ أى دائم لا ينقطع فان قلت قوله خالدين فيها بمعنى ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فما معناه قلت ليس ذلك تكرارا وبيان الفرق من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى الصلى بالنار ولقائل أن يقول هذا التأويل مشكل لانه سبحانه وتعالى قال في النار هى حسبهم وذلك يمنع من ضم شئ آخر الى عذاب النار وأجيب عن هذا الاشكال بان قوله هى حسبهم في الايلام ولا يمتنع أن يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس النار كالزمهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثانى ان العذاب المقيم هو العذاب المعجل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم
* قوله سبحانه وتعالى ﴿ كالذين من قبلكم ﴾ هذا رجوع عن الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كفعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهى عن المعروف وقبض الايدى عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله واتباع أمره لاجل طلب الدنيا عن قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بانهم كانوا أشد من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا وأولادا فقال تعالى ﴿ كانوا اشد منكم قوة ﴾ يعنى بطشا ومنعة ﴿ وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم ﴾ يعنى فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عوضا عن الآخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق الله للانسان وقدر له من خير كما يقال قسم له ﴿ فاستمتعتم بخلاقكم ﴾ وهذا خطاب للحاضرين يعنى فتمتعتم أيها المنافقون

(ان المنافقين هم الفاسقون) الكافرون في السر (وعد الله المنافقين) من الرجال (والمنافقات) من النساء (والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقيمين في النار (هى حسبهم) مصيرهم (ولعنهم الله) عذبهم الله (ولهم عذاب مقيم) دائم (كالذين) كعذاب الذين (من قبلكم) من المنافقين (كانوا أشد منكم قوة) بالبدن ﴿ والكافرين ﴾ (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم) فأكلوا بنصيبهم من الآخرة في الدنيا (فاستمتعتم بخلاقكم) فأكلتم بنصيبكم من الآخرة

﴿ان يعف عن طائفة منكم﴾ لتوبتهم واخلاصهم أو لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء ﴿نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾ مصرين على [illegible] على الايذاء والاستهزاء * وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كأنه قال ان ترحم طائفة ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ أى متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كأبعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله ﴿يأمرون بالمنكر﴾ بالكفر والمعاصى ﴿وينهون عن المعروف﴾ عن الايمان والطاعة ﴿ويقبضون أيديهم﴾ عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح ﴿نسوا الله﴾ اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته ﴿فنسيهم﴾ فتركهم من فضله ولطفه

قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين * قوله سبحانه وتعالى ﴿ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾ ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا أطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذى عفى عنه رجل واحد وهو مخاشن بن حمير الاشجعى يقال انه هو الذى كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان يمشى مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه أخف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم انى لا أزال أسمع آية تقرأ أعنى بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فاصيب يوم اليمامة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعه * قوله عز وجل ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ يعنى انهم على أمر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان لغيره انا منك وأنت منى أى أمرنا واحد لا مباينة فيه ﴿يأمرون بالمنكر﴾ يعنى يأمر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وينهون عن المعروف﴾ يعنى عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ويقبضون أيديهم﴾ يعنى عن الانفاق فى سبيل الله تعالى وفى كل خير ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على ظاهره لانا لو حملناه على النسيان الحقيقى لم يستحقوا ذما عليه لان النسيان ليس فى وسع البشر دفعه وأيضا فان النسيان فى حق الله محال فلا بد من التأويل وقد ذكروا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا امره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورحمته فخرج على مزاوجة الكلام فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والوجه الثانى ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فمن ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من نسى شيأ لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله

بعد اظهاركم الايمان (ان نعف عن طائفة منكم) [illegible]
مصرين على [illegible]

الرجال المنافقون كانوا ثلاثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعين (بعضهم من بعض) أى كأنهم نفس واحدة وفيه نفى ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يأمرون بالمنكر) بالكفر والعصيان (وينهون عن المعروف) عن الطاعة والايمان (ويقبضون أيديهم) شحا بالمبار والصدقات والانفاق فى سبيل الله (نسوا الله) تركوا أمره أو أغفلوا ذكره (فنسيهم) فتركهم من رحمته وفضله

[illegible] ايمانكم (ان نعف عن طائفة منكم) جهير بن حمير لانه لم يستهزئ معهم ولكن [illegible] (نعذب طائفة) وديعة بن جذام وجد بن قيس (بأنهم كانوا مجرمين) [illegible] فى السر (المنافقون) من الرجال (والمنافقات) من النساء (بعضهم من بعض) على دين بعض فى السر (يأمرون بالمنكر) بالكفر ومخالفة الرسول (وينهون عن المعروف) [illegible] عن الايمان و[illegible] الرسول (ويقبضون) يمسكون (أيديهم) عن النفقة فى الخير [illegible] السر (فنسيهم) خذلهم فى الدنيا [illegible] فى الآخرة فى النار

قصور الشأم وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما نخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ﴾ توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب ﴿ لا تعتذروا ﴾ لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب ﴿ قد كفرتم ﴾ قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والطعن فيه ﴿ بعد ايمانكم ﴾ بعد اظهاركم الايمان

اسحق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو وديعة بن ثابت أخو أمية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشأم وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما تسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان منهم يستهزئان بالقرآن والرسول والثالث يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه أنزل في اصحابنا قرآن انما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الآية ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله الركب يقطعون الطريق باللعب والحديث وأصل الخوض الدخول في مائع كالماء مع الطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول مع تلويث وأذى ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين ﴿ أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ﴾ فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع الاستهزاء بالله يعني بفرائض الله وحدوده وأحكامه والمراد بآياته كتابه وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على أخذ حصون الشأم قال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله وانما ذكروا ذلك على طريق الاستهزاء * قوله عز وجل ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ﴾ يعني قل لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا بالباطل ومعنى الاعتذار محو أثر الموجدة من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع اللائمة عن الجاني قد كفرتم بعد ايمانكم يعني ان الاستهزاء بالله كفر والاقدام عليه يوجب الكفر فلهذا قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم * فان قلت ان المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم * قلت معناه أظهرتم الكفر بعد ما كنتم قد أظهرتم الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قيل لهم

فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر أي ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك لقالوا انما كنا نخوض ونلعب (قل) يا محمد (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود فيهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء (لا تعتذروا) لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم (قد كفرتم) قد أظهرتم كفركم باستهزائكم (بعد ايمانكم)

نضحك فيما بيننا (قل) يا محمد لهم (أبالله وآياته) القرآن (ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا) بقولكم (قد كفرتم بعد ايمانكم)

استارهم ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على بت فى امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بشئ وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله ﴿ قل استهزؤا ان الله مخرج ﴾ مبرز أو مظهر ﴿ ما تحذورن ﴾ أى ما تحذرونه من انزال السورة فيكم أو ما تحذرون اظهاره من مساويكم ﴿ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ﴾ روى ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح

لئلا يعير بعضهم بعضا لان أولادهم كانوا مؤمنين ﴿ قل استهزؤا ﴾ أمر تهديد فهو كقوله اعملوا ماشئتم ﴿ ان الله مخرج ﴾ أى مظهر ﴿ ما تحذرون ﴾ والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه الآية فى اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا له فى ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد أضمروا له وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر باصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة (م) عن قيس بن عبادة قال قلت لعمار أرأيت قتالكم أرأيا رأيتموه فان الرأى يخطئ ويصيب أم عهدا عهده اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماعهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ لم يعهده الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى أمتى قال شعبة وأحسبه قال حدثنى حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى أمتى اثنى عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل فى سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة جراح من النار يظهر فى أكتافهم حتى ينجم من صدورهم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ﴾ الآية وسبب نزولها على ما قال زيد بن أسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك فى غزوة تبوك ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق ولأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يعنى الى المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يزيده [illegible]

الاول [illegible] فمنز والثالث [illegible]
[illegible] استهزؤا أمر تهديد (ان الله مخرج ما تحذرون) مظهر ما كنتم تحذرونه أى تحذرون اظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحى فيهم وفى استهزائهم بالاسلام وأهله حتى قال بعضهم وددت انى قدمت فجلدت مائة وانه لا ينزل فينا شئ يفضحنا (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبى الله لا والله ما كنا فى شئ من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا فى شئ مما نخوض

(قل) يا محمد لوديعة بن جذام وجد بن قيس [illegible] بن حمير (استهزؤا [illegible]
[illegible]
[illegible] ما تحذرون) ان الله [illegible]
من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ولئن سألتهم) يا محمد عما ذا ضحكتم (ليقولن انما كنا نخوض) نتحدث عن الركب (ونلعب)

[illegible]

[illegible] ن الكلام [illegible] رسول صلى الله تعالى عليه وسلم وارضائه أو لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ﴿ان كانوا مؤمنين﴾ صدقا ﴿ألم تعلموا انه﴾ ان الشأن وقرى بالتاء ﴿من يحادد الله ورسوله﴾ يشاقق الله مفاعلة من الحد ﴿فان له نار جهنم خالدا فيها﴾ على حذف الخبر أى فحق ان له أو على تكرير ان للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان له بالكسر ﴿ذلك الخزى العظيم﴾ يعنى الاهلاك الدائم ﴿يحذر المنافقون ان تنزل عليهم﴾ على المؤمنين ﴿سورة تنبئهم بما فى قلوبهم﴾ وتهتك عليهم

ان ما يقول محمد حق و أنتم شر من الحمير ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم فسألهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبى صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل والكلبى نزلت فى رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله هذه الآية والمعنى يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم [illegible] فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [illegible] اختلفوا فى معنى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل [illegible] عائد على الله تعالى لان فى رضا الله رضا رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز أن يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل معناه والله أحق أن يرضوه وكذلك رسوله ﴿ان كانوا مؤمنين﴾ يعنى ان كان هؤلاء المنافقون مصدقين بوعد الله ووعيده فى الآخرة ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ألم يعلموا﴾ قال أهل المعانى ألم تعلم خطاب لمن علم شيأ ثم نسيه أو أنكره فيقال له ألم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون اليه خاطب المنافقين بقوله ألم يعلموا يعنى من شرائع الدين التى علمهم رسولنا ﴿أنه من يحادد الله ورسوله﴾ يعنى من يخالف الله ورسوله وأصل المحادة فى اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حاد فلان فلانا اذا صار فى غير حده وخالفه فى أمره وقيل معنى يحادد الله ورسوله أى يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله ﴿فان له نار جهنم﴾ أى فحق أن له نار جهنم ﴿خالدا فيها﴾ يعنى على الدوام ﴿ذلك الخزى العظيم﴾ يعنى ذلك الخلود فى نار جهنم هو [illegible] العظيم ❊ قوله عز وجل ﴿يحذر المنافقون﴾ يعنى يخشى المنافقون ﴿أن تنزل عليهم سورة﴾ يعنى على المؤمنين ﴿تنبئهم﴾ يعنى تخبر المؤمنين ﴿بما فى قلوبهم﴾ يعنى بما فى قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن فى شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعنى انها فضحت المنافقين وبعثرت عن أخبارهم وأثارتها وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس أنزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة على المؤمنين

(والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) أى ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا فى حكم شئ واحد كقولك احسان زيد و اجماله نعشنى أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك (ألم يعلموا أنه) أن الامر والشأن (من يحادد الله ورسوله) يجاوز الحد بالخلاف وهى مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (فان له) [illegible] حذف [illegible] له (نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم يحذر المنافقون) خبر بمعنى الامر أى ليحذر المنافقون (ان تنزل عليهم سورة) تنزل بالتخفيف مكى وبصرى (تنبئهم بما فى قلوبهم) من الكفر والنفاق والضمائر للمنافقين لان السورة اذا

عن الغزو (والله ورسوله أحق [illegible] مؤمنين [illegible] فى [illegible] يعنى جلاسا وأصحابه (أنه من يحادد الله) يخالف الله (ورسوله) فى السر (فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم) [illegible] العذاب الشديد (يحذر المنافقون) عبد الله بن أبى واصحابه (ان تنزل عليهم) على نبيهم (سورة تنبئهم) تخبرهم (بما فى قلوبهم) من النفاق [illegible]

(قل أذن خير لكم) كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ثم فسر كونه أذن خير بأنه (يؤمن بالله) أي يصدق بالله لما قام عنده من الادلة (ويؤمن للمؤمنين) ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وعدى فعل الايمان بالباء الى الله لانه قصد به التصديق بالله الذى هو ضد الكفر به والى المؤمنين باللام لانه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينبئ عن الباء (ورحمة) بالعطف على أذن ورحمة حمزة عطف على خير أى هو أذن خير وأذن رحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله (للذين آمنوا منكم) أى وهو رحمة للذين آمنوا منكم أى أظهروا الايمان أيها المنافقون حيث يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين أو وهو رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر الى الايمان ويشفع لهم فى الآخرة بايمانهم فى الدنيا (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) فى الدارين (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم

بما تقول ﴿ قل أذن خير لكم ﴾ تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله ﴿ يؤمن بالله ﴾ يصدق به لما قام عنده من الادلة ﴿ ويؤمن للمؤمنين ﴾ ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ﴿ ورحمة ﴾ أى وهو رحمة ﴿ للذين آمنوا منكم ﴾ لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير أى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له أو خبر ثان ﴿ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم ﴾ بايذائه ﴿ يحلفون بالله لكم ﴾ على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا ﴿ ليرضوكم ﴾

عنه بقوله ﴿ قل أذن خير لكم ﴾ يعنى هب انه أذن لكنه أذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرئ أذن خير مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ﴿ يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ﴾ يعنى انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى الا بالباء فيقال آمنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله تعالى أنؤمن لك وقوله آمنتم له ﴿ ورحمة ﴾ أى هو رحمة ﴿ للذين آمنوا منكم ﴾ وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنون فبين الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله انه رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل فى كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لانه يجرى أحكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتك أسرارهم ﴿ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ يعنى فى الآخرة ۞ قوله عز وجل ﴿ يحلفون بالله لكم ليرضوكم ﴾ قال قتادة والسدى اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا فى النبى صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار اسمه عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله

(قل) لهم يا محمد (اذن خير لكم) لا الشر اى يسمع منكم ويصدقكم بالخير لا بالكذب ويقال اذن خير ان كان اذنا فهو خير لكم (يؤمن بالله) يصدق قول الله (ويؤمن للمؤمنين) يصدق قول المؤمنين المخلصين (ورحمة) من العذاب (للذين آمنوا منكم) فى السر والعلانية (والذين يؤذون رسول الله) بالتخلف عنه فى غزوة تبوك جلاس بن سويد وسماك بن عمرو ومخشى ابن حير وأصحابهم (لهم عذاب أليم) وجيع فى الدنيا والآخرة (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) بالتخلف

واحد وبه قال الأئمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله تعالى على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن ﴾ يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك أو اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا

حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فلا اعتبار عند الامام الشافعي رضي الله عنه بما يدفع الحاجة من غير حد وقال أحمد بن حنبل لا يعطى الفقير أكثر من خمسين درهما وقال أبو حنيفة أكره ان يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم فان أعطيته أجزأ فان أعطى من يظنه فقيرا فبان انه غني فهل يجزي فيه قولان ولا يجوز أن يعطي صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري وأحمد وقال أبو حنيفة والشافعي لا يعطى والدا وان علا ولا ولدا وان سفل ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شيء لقوله صلى الله عليه وسلم انا آل بيت لا تحل لنا الصدقة وقال أبو حنيفة تحرم على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب شيء واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة على موالي بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال مالك لا تحرم واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال الى بلد آخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه أكثر أهل العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ واعلمهم ان الله سبحانه وتعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد آخر وأداه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت من خراسان الى الشأم فردها الى مكانها من خراسان والله أعلم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ﴾ نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد أذن أي يسمع كل ما يقال له ويقبله وقيل معنى هو أذن أي ذو أذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان أزنم ثائر الشعر أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد أذن فمن حدثه شيأ صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا فانزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو اذن انه ليس بعيد غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله سبحانه وتعالى

(ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن) الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جلته اذن سامعة وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن قصدوا به المذمة وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة ففسره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال

(ومنهم) من المنافقين جذام ابن خالد واياس بن قيس وسماك بن يزيد وعبيد بن مالك (الذين يؤذون النبي) بالطعن والشتم (ويقولون) بعضهم لبعض (هو أذن) يسمع منا ويصدقنا اذا قلنا له ما قلنا فيك شيأ

﴿ فريضة من الله ﴾ مصدر لما دل عليه الآية الكريمة أى فرض لهم الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن فى للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة ﴿ والله عليم حكيم ﴾ يضع الاشياء فى مواضعها وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين جواز صرفها الى صنف

فكل مريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال فى البلد الذى يقصده أو لم يكن له مال وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع * قوله عز وجل ﴿ فريضة من الله ﴾ يعنى ان هذه الاحكام التى ذكرها فى هذه الآية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشياء فريضة ﴿ والله عليم ﴾ يعنى بمصالح عباده ﴿ حكيم ﴾ يعنى فيما فرض لهم لا يدخل فى تدبيره وحكمه نقض ولا اخلال

﴿ المسئلة الرابعة ﴾

فى أحكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هى الزكاة المفروضة بدليل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة واختلفوا فى كيفية قسمتها وفى جواز صرفها كلها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى انه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقين وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعى قال يجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سماهم ثمانية أقسام قسمة على السواء لان سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى أقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلو فاوت بين أولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه ما لم يخرج من حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شئ رده الى الباقين وذهب جماعة من العلماء الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف أو الى شخص واحد منهم جاز لان الله سبحانه وتعالى انما سمى هذه الاصناف الثمانية اعلاما منه أن الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا ايجابا منه لقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب سفيان الثورى وأصحاب الرأى وأحمد بن حنبل قال أحمد بن حنبل يجوز أن يضعها فى صنف واحد وتفريقها أولى وقال أبراهيم النخعى ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه على الاصناف وان كان قليلا وضعه فى صنف واحد وقال مالك يتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من أهل الخلة والحاجة فان رأى الخلة فى الفقراء فى عام قدمهم وان رآها فى صنف آخر فى عام حولها اليهم وكل من دفع اليه شيأ من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل أدنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيأ وان كان محترفا لكنه لا يجد آلة

(فريضة من الله) فى معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم (والله عليم) بالمصلحة (حكيم) فى القسمة

(فريضة) قسمة (من الله) لهؤلاء (والله عليم) بهؤلاء (حكيم) فيما حكم لهؤلاء

أو الحجيج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن اللام الى فى فى الاربعة الاخيرة للايذان بانهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان فى للوعاء فنبه على أنهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها وتكرير فى فى قوله فى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل وترجيح لهذين على الرقاب والغارمين وانما وقعت هذه الآية فى تضاعيف ذكر المنافقين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا بانهم بعداء عنها وعن مصارفها فمالهم وما لها وماسلطهم على التكلم فيها ولمن قاسمها وسهم المؤلفة قلوبهم سقط باجماع الصحابة فى صدر خلافة أبى بكر رضى الله عنه لان الله أعز الاسلام وأغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا لمعنى خاص يرتفع وينتهى بذهاب ذلك المعنى

(والغارمين) لاصحاب الديون فى طاعة الله

(وفى سبيل الله) وللمجاهدين فى سبيل الله (وابن السبيل) للضيف النازل مار الطريق

للايذان بانهم احق بها ﴿ والغارمين ﴾ المديونين لانفسهم فى غير معصية ومن غير اسراف اذا لم يكن لهم وفاء أو لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام لاتحل الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز فى سبيل الله أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله أو رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى أو لعامل عليها ﴿ وفى سبيل الله ﴾ وللصرف فى الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفى بناء القناطير والمصانع ﴿ وابن السبيل ﴾ المسافر المنقطع عن ماله

فيصرف نصيبهم فى قضاء ديونهم وفى الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه فى الغزو وكذا ابن السبيل فيصرف اليه مايحتاج اليه فى سفره الى بلوغ غرضه ❊ الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى ﴿ والغارمين ﴾ أصل الغرم فى اللغة لزوم مايشق على النفس وسمى الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المديونون وهم قسمان قسم ادانوا لانفسهم فى غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذا لم يكن لهم مال بفى بديونهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم ادانوا فى المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات مايقضون به ديونهم وان كانوا أغنياء لما روى عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتحل الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز فى سبيل الله أو لعامل عليها أو لغارم أو لرجل أسير اعانة أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى أخرجه أبو داود مرسلا لان عطاء بن يسار لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من كان دينه فى معصية فلا يعطى من الصدقات شيأ ❊ الصنف السابع قوله عز وجل ﴿ وفى سبيل الله ﴾ يعنى وفى النفقة فى سبيل الله وأراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون اذا أرادوا الخروج الى الغزو مايستعينون به على أمر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة فيعطون ذلك وان كانوا أغنياء لما تقدم من حديث عطاء وأبى سعيد الخدرى ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن أراد الحج عند أكثر أهل العلم وقال قوم يجوز أن يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفى سبيل الله عام فى الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه ❊ الصنف الثامن قوله سبحانه وتعالى ﴿ وابن السبيل ﴾ يعنى المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتنى وليدا ❊ الى ان شبت واكتهلت لداتى

والسلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذى كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانعى الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط ﴿ وفى الرقاب ﴾ وللصرف فى فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد أو بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى فى للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل

قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانعى الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روى ان عدى بن حاتم جاء أبابكر بثلاثمائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيرا وأما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم أو يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطى من يخاف شره أو يرجو اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله الى الاسلام أما اليوم فقد أعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك وأغناه عن ان يتألف عليه أحد من المشركين فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من أهل العلم ورأوا أن المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبى وبه قال مالك والثورى وأصحاب الرأى واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهرى وأبى جعفر محمد بن على وأبى ثور وقال أحمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك * الصنف الخامس قوله سبحانه وتعالى ﴿ وفى الرقاب ﴾ قال الزجاج فيه حذف تقديره وفى فك الرقاب وفى تفسير الرقاب أقوال * الاول ان سهم الرقاب موضوع فى المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وهو قول أكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعى والزهرى والليث بن سعد ويدل عليه أيضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذى آتاكم * القول الثانى وهو مذهب مالك وأحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون ويدل عليه ماروى عن ابن عباس انه قال لا بأس ان يعتق الرجل من الزكاة * القول الثالث وهو قول أبى حنيفة وأصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها فى عتق رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفى الرقاب يقتضى التبعيض * القول الرابع وهو قول الزهرى ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال أصحابنا الاحوط فى سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدل عليه انه سبحانه وتعالى أثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام الملك فقال انما الصدقات للفقراء وقال فى الصنف الخامس وفى الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهى أن الاصناف الاربعة المتقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤا وأما الرقاب فيوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول فى الغارمين

الاسلام (وفى الرقاب) هم المكاتبون يعانون منها

رجلا (وفى الرقاب) المكاتبين

ذا متربة ﴿ والعاملين عليها ﴾ الساعين في تحصيلها وجمعها ﴿ والمؤلفة قلوبهم ﴾ قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم أو اشراف قد يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس كذلك وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه عليه الصلاة

قوم من ملك خمسين درهما أو قيمتها لاتحل له الصدقة لما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئلته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح قيل يارسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك وأحمد واسحق وقالوا لايجوز أن يعطى الرجل أكثر من خمسين درهما من الزكاة وقيل أربعين درهما لما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة اوقية فقد ألحف اخرجه ابو داود وكانت الاوقية في ذلك الزمان اربعين درهما ❁ الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى ﴿ والعاملين عليها ﴾ وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها في جهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد الا ان الشافعي يقول هو أجرة عمل تتقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لايجوز أن يكون عاملا على الصدقات لما روى عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فاراد أبو رافع أن يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم أخرجه الترمذي والنسائي ❁ الصنف الرابع قوله تعالى ﴿ والمؤلفة قلوبهم ﴾ وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فأما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من أشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما أعطى عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهؤلاء أسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم أسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم أشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام أن يعطي أمثال هؤلاء من خمس خمس الغنيمة والفيء من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين هم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم كفار في موضع لاتبلغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازائهم من المسلمين لايجاهدونهم لضعف نيتهم أو لضعف حالهم فيجوز للامام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة

(قلوبهم)

(والعاملين عليها) هم السعاة الذين يقبضونها (والمؤلفة قلوبهم) على الاسلام أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على ان يسلموا وقوم منهم أسلموا فيعطيهم تقريرا لهم على

(والعاملين عليها) لجابي الصدقات (والمؤلفة قلوبهم) بالعطية أبي سفيان وأصحابه نحو خمسة عشر

وانه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا

في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث أنس فلو كان المسكين أسوأ حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسأل المسكنة فثبت بهذا أن المسكين أحسن حالا من الفقير ولان الله سبحانه وتعالى قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولان الغنى والفقر ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا أن الفقير أسوأ حالا من المسكين وحجة أبي حنيفة ومن وافقه على أن المسكين أسوأ حالا من الفقير قوله أو مسكينا ذا متربة وصف المسكين بكونه ذا متربة هو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولان الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين أشد حاجة من غيره لما جعلها له واحتج أيضا بقول الراعي

أما الفقير الذي كانت حلوبته ۞ وفق العيال فلم يترك له سبد

واحتج أيضا بقول الاصمعي وأبي عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له ما يأكل والمسكين الذي لا شئ له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شئ له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شئ فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله سبحانه وتعالى أنتم الفقراء الى الله فأثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن هذه الحجج أما قوله أو مسكينا ذا متربة فهو حجة لمذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه لانه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذا متربة فدل على أنه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة والا لم يبق لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات للمسكين انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي أنه ذكر الفقير وحده فكل فقير أفرد بالاسم جاز اطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به وأما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وبالجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعف نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت ✲ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي أخرجه النسائي وأبو داود وله في رواية أخرى ولا لذي مرة قوي ✲ عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال أخبرني رجلان أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقات فسألاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرآنا جلدين فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب أخرجه أبو داود والنسائي ۞ وأخرجه الشافعي ولفظه ان رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن الصدقة فقال ان شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلماء في حد الغنى الذي يمنع من أخذ الصدقة فقال الاكثرون حده أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال أصحاب الرأي حده أن يملك مائتي درهم وقال

صرفها الى الاصناف وهو المروي عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسأل لان عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذي يسأل لانه لا يجد شيأ فهو أضعف حالا عنده وعند الشافعي رحمه الله على العكس

ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفتار كأنه أصيب فقاره والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كأن العجز أسكنه ويدل عليه قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين

المال مال الله والأغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فأمر الله سبحانه وتعالى خزانه الذين هم أغنياء بدفع طائفة من ماله الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد العاصي المانع لعياله من ماله (ق) عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين الذي ينفذ وربما قال يعطي ما أمر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي أمر له به أحد المتصدقين ٭ الوجه الخامس ان الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التي بايدي الاغنياء فوجب الله عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطييبا لقلوبهم ٭ الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان الاصلية اذا أمسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فأمر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية

المسئلة الثانيه

الآية تدل على أنه لا حق لاحد في الصدقات الا هؤلاء الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمتي انما تفيدان الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلمة ان للاثبات وكلمة ما للنفي فعند اجتماعهما يفيدان الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل ذلك على ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية

المسئلة الثالثة

في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذي لا يسأل والمسكين السائل وقال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من أنقى نفسه وثيابه ولا يقدر على شئ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان أو غير زمن والمسكين من له مال أو حرفة ولكن لا تقع منه موقعا لكفايته سائلا كان أو غير سائل فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير وقال أبو حنيفة وأصحاب الرأي الفقير أحسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه ان الله سبحانه وتعالى حكم بصرف الصدقات الى هؤلاء الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلو لم تكن حاجتهم أشد من حاجة المساكين لما بدأ بهم وأصل الفقير المكسور الفقار قال لبيد

لما رأى لبد النسور تطايرت ٭ رفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا أن الفقير انما سمي فقيرا لزمانته وحاجته الشديدة وتمنعه الزمانة من التقلب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني

الاصناف المعدودة أي هي مختصة بهم لا تتجاوز الى غيرهم كأنه قيل انما هي لهم لا لغيرهم كقولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزأك وعند الشافعي رحمه الله لا بد من

ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية ﴿ ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ﴾ ما اعطاهم الرسول عليه السلام من الغنيمة أو الصدقة وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره ﴿ وقالوا حسبنا الله ﴾ كفانا فضله ﴿ سيؤتينا الله من فضله ﴾ صدقة أو غنيمة اخرى ﴿ ورسوله ﴾ فيؤتينا اكثر مما آتانا ﴿ انا الى الله راغبون ﴾ فى ان يغنينا من فضله والآية بأسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام فقال ﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ أى الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم فى قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له

﴿ ولو أنهم رضوا ﴾ يعنى ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا ﴿ ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله ﴾ أى كافينا الله ﴿ سيؤتينا الله من فضله ورسوله ﴾ يعنى ما نحتاج اليه ﴿ انا الى الله راغبون ﴾ يعنى فى أن يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من أموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم وأعود عليهم * قوله عز وجل ﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ الآية * اعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه فى قسم الصدقات بين الله عز وجل فى هذه الآية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشئ ولم يأخذ لنفسه منها شيأ فلم يلمزونه ويعيبون عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات * عن زياد بن الحرث الصدائى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فأتاه رجل فقال أعطنى من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك حقك أخرجه أبو داود

فصل فى بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى

فى بيان وجه الحكمة فى ايجاب الزكاة على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه * الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع فاذا استغرق القلب فى حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله عز وجل فاقتضت الحكمة الالهية ايجاب الزكاة فى ذلك المال الذى هو سبب البعد عن الله فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه * الوجه الثانى ان كثرة المال تؤجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فاوجب الله سبحانه وتعالى الزكاة ليقل ذلك المال الذى هو سبب لقساوة القلب * الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد واخراج المال مشق على النفس فأوجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة أصحاب الاموال ليميز بذلك المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصى المانع لها * الوجه الرابع أن

فضجر المنافقون منه (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) جواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما آتانا اليوم انا الى الله فى أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون ثم بين مواضعها التى توضع فيها فقال (انما الصدقات للفقراء والمساكين) قصر جنس الصدقات على

بالقسمة (ولو أنهم) يعنى المنافقين (رضوا ما آتاهم الله) بما أعطاهم الله من فضله (ورسوله وقالوا حسبنا الله) ثقتنا بالله (سيؤتينا الله من فضله) سيغنينا الله من فضله برزقه (ورسوله) بالعطية (انا الى الله راغبون) رغبتنا الى الله او قالوا هكذا لكان خيرا لهم ثم بين لمن الصدقات فقال (انما الصدقات للفقراء) لأصحاب الصفة (والمساكين) للطوافين

﴿ أو مدخلا ﴾ نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول . وقرأ يعقوب مدخلا من دخل . وقرئ مدخلا أى مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل ﴿ لولوا اليه ﴾ لاقبلوا نحوه ﴿ وهم يجمحون ﴾ يسرعون اسراعا لا يردهم شئ كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ﴿ ومنهم من يلمزك ﴾ يعيبك . وقرأ يعقوب يلمزك بضم وابن كثير يلامزك ﴿ فى الصدقات ﴾ فى قسمتها ﴿ فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون ﴾ قيل انها نزلت فى ابى الجواظ المنافق قال ألا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يارسول الله فقال ويلك

أى يستتر ﴿ أو مدخلا ﴾ يعنى موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب فى الارض كنفق اليربوع وقال الحسن ومجاهد يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لولوا اليه ﴾ والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهى شر الامكنة وأضيقها لولوا اليه أى لرجعوا اليه وتحرزوا فيه ﴿ وهم يجمحون ﴾ يعنى وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم الى أحد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومنهم من يلمزك فى الصدقات ﴾ نزلت فى ذى الخويصرة التميمى واسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج ﴿ق﴾ عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم فيأ أتاه ذو الخويصرة رجل من بنى تميم فقال يارسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذا لم أعدل وفى رواية قد خبت وخسرت ان لم أعدل فقال عمر بن الخطاب ائذن لى فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد فى رواية يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين وفى رواية من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبى قال رجل من المنافقين يقال له أبو الجواظ لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك أن تعدل فما عدلت فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل بعدى وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثر بها الا من يهواه فأنزل الله سبحانه وتعالى ومنهم من يلمزك فى الصدقات يعنى ومن المنافقين من يعيبك فى قسم الصدقات وفى تفريقها ويطعن عليك فى أمرها يقال همزه ولمزه بمعنى واحد أى عابه ﴿ فان أعطوا منها ﴾ يعنى من الصدقات ﴿ رضوا ﴾ يعنى رضوا عنك فى قسمتها ﴿ وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون ﴾ يعنى وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا

غيرانا (أو مدخلا) أو نفقا يندسون فيه وهو مفتعل من الدخول (لولوا اليه) لاقبلوا نحوه (وهم يجمحون) يسرعون اسراعا لا يردهم شئ من الفرس الجموح (ومنهم) ومن المنافقين (من يلمزك فى الصدقات) يعيبك فى قسمة الصدقات ويطعن عليك (فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون) اذا للمفاجأة أى وان لم يعطوا منها فاجؤا السخط وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لانه عليه السلام استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم

فى الجبل (أو مدخلا) سربا فى الارض (لولوا اليه) لذهبوا اليه (وهم يجمحون) يهرولون هرولة والجموح مشى بين مشيين (ومنهم) من المنافقين أبو الاحوص وأصحابه (من يلمزك فى الصدقات) يطعن عليك فى قسمة الصدقات يقولون لم يقسم بيننا بالسوية (فان أعطوا منها) من الصدقات حظا وافرا (رضوا) بالقسمة (وان لم يعطوا منها) من الصدقات حظا وافرا (اذاهم يسخطون)

﴿ ولو ﴾

أريدالله ليعذبهم بهافى الحيوة الدنيا) الاعجاب بالشئ أن تسربه سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلاتستحسن ماأوتوا زينةالدنيا فان اللهانما أعطاهم ماأعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيهاأو بالانفاق منه فى أبواب الخير وهم كارهون له أو بنهب أموالهم وسبى أولادهم أو بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالاصلح لانه أخبر أن اعطاء الاموال والاولاد لهم للتعذيب والاماتة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصى لان ارادة العذاب بارادة مايعذب عليه وكذا ارادة الاماتة على الكفر (ويحلفون بالله انهم لمنكم) لمن جملة المسلمين (وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيظاهرون بالاسلام تقية (لويجدون ملجأ) مكانا يلجؤن اليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أومغارات) أو

﴿ انما يريدالله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا ﴾ بسبب مايكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب ومايرون فيها من الشدائد والمصائب ﴿ وتزهق انفسهم وهم كافرون ﴾ فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ﴿ ويحلفون بالله انهم لمنكم ﴾ انهم لمن جملة المسلمين ﴿ وماهم منكم ﴾ لكفر قلوبهم ﴿ ولكنهم قوم يفرقون ﴾ يخافون منكم ان تفعلوا بهم ماتفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ﴿ لو يجدون ملجأ ﴾ حصنا يلجأون اليه ﴿ أومغارات ﴾ غيرانا

نعمة الله عليه ولهذا قال سبحانه وتعالى ﴿ انما يريدالله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا ﴾ فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا فى الدنيا وفيهما اللذة والسرور فى الدنيا * قلت قال مجاهد وقتادة فى الآية تقديم وتأخير وتقديرها فلاتعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريدالله ليعذبهم بها فى الآخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا فى الدنيا هو مايحصل من المتاعب والمشاق فى تحصيلهما فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق فى حفظهما ويزداد الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لاحاجة الى التقديم والتأخير فى نظم الآية وأورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل أحد من بنى آدم مؤمنهم وكافرهم فمافائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب فى الدنيا وأجيب عن هذا الايراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان المؤمن قد علم انه مخلوق للآخرة وانه يثاب بالمصائب الحاصلة له فى الدنيا فلم يكن المال والولد فى حقه عذابا فى الدنيا وأما المنافق فانه لايعتقد كون الآخرة له وانه ليس فيها ثواب فبقى مايحصل له فى الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه فى الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافقين فى الدنيا دون المؤمنين وقيل ان تعذيبهم بهما فى الدنيا أخذ الزكاة منهم او النفقة فى سبيل الله غير مثابين على ذلك وربما قتل الولد فى الغزو فلايثاب الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب فى جمعه وحفظه والكره فى انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لايحمده ثم يقدم فى الآخرة على ملك لايعذره ﴿ وتزهق أنفسهم ﴾ يعنى وتخرج أنفسهم ﴿ وهم كافرون ﴾ والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة * قوله عزوجل ﴿ ويحلفون بالله ﴾ يعنى المنافقين ﴿ انهم لمنكم ﴾ يعنى على دينكم وملتكم ﴿ وماهم منكم ﴾ يعنى انهم كاذبون فى أيمانهم ﴿ ولكنهم قوم يفرقون ﴾ يعنى انهم يخافون أن تظهروا على ماهم عليه من النفاق ﴿ لويجدون ملجأ ﴾ يعنى حرزا وحصنا ومعقلا يلجؤن اليه وقيل لووجدوا مهربا لهربوا اليه وقيل لويجدون قوما يأمنون عندهم على أنفسهم منكم لصاروا اليهم ولفارقوكم ﴿ أومغارات ﴾ يعنى غيرانا فى الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذى يغور فيه الانسان

اولادهم (انما يريدالله ليعذبهم بها) فى الآخرة (وتزهق أنفسهم) تخرج أنفسهم (فى الحيوة الدنيا وهم كافرون) مقدم ومؤخر (ويحلفون بالله) عبدالله بن أبى وأصحابه (انهم لمنكم) معكم فى السر والعلانية (وماهم منكم) معكم فى السر والعلانية (ولكنهم قوم يفرقون) يخافون من سيوفكم (او يجدون ملجأ) حرزا يلجؤن اليه (أومغارات)

(قل أنفقوا) فى وجوه البر (طوعا أو كرهـا) طائعين أو مكرهين نصب على الحـال كرهـا حمزة وعلى وهو أمر فى معنى الخبر ومعناه (لن يتقبل منكم) أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة ولا مقلية ان تقلت أى لن يغفر الله لهـم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت أو أحسنت وقد جاز عكسه فى قولك رحم الله زيدا ومعنى عـدم القبول أنه عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها أو لا يثيبهـا الله وقوله طوعا أى من غير الزام من الله ورسوله وكرها أى ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم منـافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه (انكم) تعليل لرد انفاقهم (كنتم قوما فاسـقين) متمردين عاتين (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم) وبالياء حمزة وعلى (الا أنهم كفروا) أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه أى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم (بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسـالى) جمع كسلان (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لا يريدون بهمـا وجه الله تعـالى وصفهم بالطوع فى قوله طوعا وسلبه عنهم ههنا لان المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم

﴿ قل انفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم ﴾ امر فى معنى الخبر أى لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا أو كرها وفائدته المبالغة فى تساوى الانفاقين فى عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله ﴿ انكم كنتم قوما فاسقين ﴾ تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له ﴿ وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ﴾ أى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل على ان الفعل لله ﴿ ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ﴾ متثاقلين ﴿ ولا ينفقون الا وهم كارهون ﴾ لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا ﴿ فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ﴾ فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال

﴿ قل أنفقوا طوعا أو كرها ﴾ نزلت فى الجد بن قيس المنافق وذلك انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القعود عنه وقال أنا أعطيكم مالى فأنزل الله عز وجل ردا عليه قل أى قل يا محمد لهذا المنافق وأمثاله فى النفاق أنفقوا طوعا أو كرها يعنى أنفقوا طائعين من قبل أنفسكم أو مكرهين بالانفاق بالزام الله ورسوله اياكم بالانفاق ﴿ لن يتقبل منكم ﴾ لان هذا الانفاق انما وقع لغير الله وهذه الآية وان كانت خاصة فى انفاق المنافقين فهى عامة فى حق كل من انفق ماله لغير وجه الله بل أنفقه رياء وسمعة فانه لا يقبل منه ✻ ثم علل بسبب منع القبول بقوله ﴿ انكم ﴾ أى لانكم ﴿ كنتم قوما فاسقين ﴾ والمراد بالفسـق هنـا الكفر ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ﴾ أى المـانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله وبرسـوله ﴿ ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ﴾ جمع كسلان يعنى متثاقلين فى الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فلذلك ذمهم مع فعلها ﴿ ولا ينفقون الا وهم كارهون ﴾ لانهم كانوا يعتقدون الانفاق فى سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما ﴿ فلا تعجبك ﴾ يا محمد ﴿ أموالهم ولا أولادهم ﴾ هذا الخطـاب وان كان مختصـا بالنبى صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تعجبوا بأموال المنافقين وأولادهم والاعجاب السرور بالشئ مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد انه ليس لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشئ ويكون سـبب انقطـاعه عن الله عز وجل فينبغى للانسان أن لا يعجب بشئ من أمور الدنيا ولذاتهـا فان العبد اذا كان من الله عز وجل فى استدراج كثر ماله وولده فيكثر اعجابه بماله وولده فيبطر ويكفر

(قل) يا محمد للمنافقين (انفقوا) أموالكم (طوعا) من قبل أنفسكم (أو كرها) جبرا مخافـة لقتل (لن يتقبـل منكم) ذلك (انكم كنتم قوما فاسقـين) منافقـين (وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله) فى السر (ولا يأتون الصلوة) الى الصلاة (الا وهم كسالى) متثاقلون (ولا ينفقون) شـيأ فى سبيل الله (الا وهم كارهون) ذلك (فلا تعجبك) يا محمد (أموالهم) كثرة اموالهم (ولا أولادهم) كـثرة

ان قبل) من قبل ماوقع (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب لنا) أي قضى من خير أو شر (هو مولانا) أي الذي يتولانا ونتولاه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسنيين) وهما النصرة والشهادة (ونحن نتربص بكم) احدى السوأيين اما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو بعذاب (بايدينا) وهو القتل على الكفر (فتربصوا) بنا ماذكرنا (انا معكم متربصون) ماهو عاقبتكم

بالتخلف عنهم (من قبل) من قبل المصيبة (ويتولوا) عن الجهاد (وهم فرحون) معجبون بما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم أحد (قل) يا محمد للمنافقين (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) قضى الله لنا (هو مولانا) أولى بنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وعلى المؤمنين أن يتوكلوا على الله (قل) يا محمد للمنافقين (هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسنيين) الفتح والغنيمة أو القتل والشهادة (ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) اهلاك أمم (أو بايدينا) بسيوفنا لقتلكم (فتربصوا) فانتظروا بنا (انا معكم متربصون) منتظرون لهلاككم

من قبل ﴾ تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم في التخلف ﴿ ويتولوا ﴾ عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له أو عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ وهم فرحون ﴾ مسرورون ﴿ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ﴾ الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة أو الشهادة أو ما كتب لاجلنا في اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما قصد به وقيل من الصوب ﴿ هو مولانا ﴾ ناصرنا ومتولي امرنا ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره ﴿ قل هل تربصون بنا ﴾ تنتظرون بنا ﴿ الا احدى الحسنيين ﴾ الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ﴿ ونحن نتربص بكم ﴾ أيضا احدى السوأيين ﴿ ان يصيبكم الله بعذاب من عنده ﴾ بقارعة من السماء ﴿ أو بايدينا ﴾ أو بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر ﴿ فتربصوا ﴾ ماهو عاقبتنا ﴿ انا معكم متربصون ﴾ ماهو عاقبتكم

يعني أخذنا أمرنا بالجد والحزم في القعود عن الغزو ﴿ من قبل ﴾ يعني من قبل هذه المصيبة ﴿ ويتولوا وهم فرحون ﴾ يعني مسرورين لما نالك من المصيبة وسلامتهم منها ﴿ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ﴾ يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكروه لن يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر أحد أن يدفع عن نفسه مكروها نزل به أو يجلب لنفسه نفعا أراده لم يقدر له ﴿ هو مولانا ﴾ يعني ان الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ يعني في جميع أمورهم ﴿ قل هل تربصون بنا ﴾ يعني قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا أيها المنافقون ﴿ الا احدى الحسنيين ﴾ يعني اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما أن يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم في الآخرة واما ان يقتل في سبيل الله فيحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل على ذلك ماروى عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهادا في سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة أخرجاه في الصحيحين * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ونحن نتربص بكم ﴾ يعني ونحن ننتظر بكم احدى السوأيين ﴿ أن يصيبكم الله بعذاب من عنده ﴾ يعني فيهلككم كما أهلك من كان قبلكم من الامم الخالية ﴿ أو بايدينا ﴾ يعني أو يصيبكم بأيدي المؤمنين بان يظفرنا بكم ويظهرنا عليكم ﴿ فتربصوا انا معكم متربصون ﴾ قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه

(وقلبوا لك الامور) ودبروا لك الحيل والمكائد ودوروا الآراء في ابطال أمرك (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) أي على رغم منهم (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بأن لا تأذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك أثمت أو لا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس المنافق قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمالي فاتركني (ألا في الفتنة سقطوا) يعني ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف [illegible] (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) الآن لان اسباب الاحاطة معهم اوهي تحيط بهم يوم القيامة (ان تصبك) في بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) نكبة وشدة في بعضها نحو ماجرى يوم أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا) الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم

(وقلبوا لك الامور) [illegible] ظهرا لبطن [illegible] (حتى جاء الحق) [illegible] (وظهر أمر الله) دين [illegible] (وهم كارهون) [illegible] (ومنهم) من المنافقين (من يقول) وهو جد بن قيس (ائذن لي) بالجلوس [illegible] (ولا تفتني) في بنات الاصفر (ألا في الفتنة) في الشرك والنفاق (سقطوا) وقعوا (وان جهنم لمحيطة) تحيط (بالكافرين) يوم القيامة (يعني) (ان تصبك حسنة) الفتح والغنيمة مثل يوم بدر (تسؤهم) ساءهم ذلك يعني المنافقين (وان تصبك مصيبة) القتل والهزيمة مثل يوم أحد (يقولوا) أي يقول المنافقون عبدالله بن أبي وأصحابه (قد أخذنا أمرنا) حذرنا

احد ﴿وقلبوا لك الامور﴾ ودبروا لك المكائد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك ﴿حتى جاء الحق﴾ النصر والتأييد الالهي ﴿وظهر امر الله﴾ وعلا دينه ﴿وهم كارهون﴾ أي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ماثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ﴿ومنهم من يقول ائذن لي﴾ في القعود ﴿ولا تفتني﴾ ولا توقعني في الفتنة أي العصيان والمخالفة بأن لا تأذن لي وفيه اشعار بانه لامحالة متخلف اذن له أو لم يأذن أو في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي أو في الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ أي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف أو ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه ﴿وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ جامعة لهم يوم القيامة أو الآن لان احاطة اسبابها بهم كوجودها ﴿ان تصبك﴾ في بعض غزواتك ﴿حسنة﴾ ظفر وغنيمة ﴿تسؤهم﴾ لفرط حسدهم ﴿وان تصبك﴾ في بعضها ﴿مصيبة﴾ كسر أو شدة كما أصاب يوم احد ﴿يقولوا قد اخذنا امرنا

﴿وقلبوا لك الامور﴾ يعني واجالوا فيك وفي أمرك وفي ابطال دينك الرأي وبالغوا في تخذيل الناس عنك وقصدهم تشتيت أمرك ﴿حتى جاء الحق﴾ يعني النصر والظفر ﴿وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ يعني ذلك ✲ قوله عز وجل ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾ نزلت في الجد بن قيس وكان من المنافقين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفاء فقال الجد يا رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بحب النساء واني اخشى ان رأيت بنات بني الاصفر ان لا اصبر عنهن ائذن لي في القعود ولا تفتني بهن وأعينك بمالي قال ابن عباس اعتل الجد بن قيس ولم تكن له علة الا النفاق فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم يعني ومن المنافقين من يقول ائذن لي يعني في التخلف والقعود في المدينة ولا تفتني يعني ببنات بني الاصفر وهم الروم ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ يعني انهم وقعوا في الفتنة العظيمة وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه ﴿وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ يعني يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها ✲ قوله سبحانه وتعالى ﴿ان تصبك حسنة تسؤهم﴾ يعني ان تصبك يا محمد حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين ﴿وان تصبك مصيبة﴾ يعني من هزيمة أو شدة ﴿يقولوا﴾ يعني المنافقين ﴿قد أخذنا أمرنا﴾

والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود فى البيوت (لو خرجوا فيكم ما زادوكم) بخروجهم معكم (الا خبالا) الا فسادا وشرا والاستثناء متصل لان المعنى ما زادوكم شيأ الا خبالا والاستثناء المنقطع ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه فى هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من الشئ فكان استثناء متصلا لان الخبال بعضه (ولا اوضعوا خلالكم) ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولا اوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشى وخط فى المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف لان الفتحة كانت تكتب الفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقى من تلك الالف اثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحها الفا اخرى ونحوه ولا اذبحنه (يبغونكم) حال من الضمير فى اوضعوا (الفتنة) اى يطلبون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم فى غزاكم (وفيكم سماعون لهم) أى نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم (والله عليم بالظالمين) بالمنافقين (لقد ابتغوا الفتنة) بصد الناس او بان يفتكوا به عليه السلام ليلة العقبة او بالرجوع يوم أحد (من قبل) من قبل غزوة ...

﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم﴾ بخروجهم شيأ ﴿الا خبالا﴾ فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار أعم العام الذى وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ﴿ولا وضعوا خلالكم﴾ ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب أو الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع ﴿يبغونكم الفتنة﴾ يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم أو الرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى اوضعوا ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم أو نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم ﴿والله عليم بالظالمين﴾ فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم ﴿لقد ابتغوا الفتنة﴾ تشتيت امرك وتفريق اصحابك ﴿من قبل﴾ يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم

﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا﴾ يعنى لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الغزو ما زادوكم الا فسادا وشرا وأصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر فى العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد وايقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم ﴿ولا وضعوا خلالكم﴾ يعنى ولاسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقاء النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم ﴿يبغونكم الفتنة﴾ يعنى يطلبون لكم ما تفتتنون به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التى تجبن وقيل معناه يطلبون العيب والشر ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ قال مجاهد يعنى وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك أنهم يلقون اليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم ٭ فان قلت كيف يجوز أن يكون فى المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين ٭ قلت يحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولا ربما أثر ذلك القول فى قلوب ضعفة المؤمنين فى بعض الاحوال ﴿والله عليم بالظالمين﴾ وهذا وعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين ٭ قوله سبحانه وتعالى ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل﴾ يعنى لقد طلبوا صد أصحابك يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله ابن أبى بن سلول يوم أحد حين انصرف باصحابه عنكم

قالو بهم (لو خرجوا فيكم) معكم (ما زادوكم الا خبالا) شرا وفسادا (ولا وضعوا خلالكم) اساروا على الابل وسطكم (يبغونكم الفتنة) يطلبون فيكم الشر والفساد والذلة والعيب (وفيكم) معكم (سماعون لهم) جواسيس للكفار (والله عليم بالظالمين) بالمنافقين عبد الله بن ابى وأصحابه (لقد ابتغوا الفتنة) بغوا لك الغوائل يعنى طلبوا لك الشر (من قبل) من قبل غزوة تبوك

فهم في ريبهم يترددون ﴾ أى يتحيرون ﴿ ولو ارادوا الخروج لأعدوا له ﴾ للخروج ﴿ عدة ﴾ اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله

ان الخليط اجدوا البين فانجردوا ۞ واخلفوك عدا الامر الذى وعدوا

وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ﴿ ولكن كره الله انبعاثهم ﴾ استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم أى نهوضهم للخروج ﴿ فثبطهم ﴾ فحبسهم بالجبن والكسل ﴿ وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾ تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم أو وسوسة الشيطان بالامر بالقعود أو حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول عليه السلام لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلوا عن ذم

كان ذلك نفاقا ﴿ فهم فى ريبهم يترددون ﴾ يعنى أن المنافقين متحيرون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية فقيل انها منسوخة بالآية التى فى سورة النور وهى قوله سبحانه وتعالى ان الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لاحدهم عذر استأذن فى التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا فى الاذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون فى التخلف من غير عذر فعيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر ﴿ ولو أرادوا الخروج ﴾ يعنى الى الغزو معكم ﴿ لاعدوا له عدة ﴾ لتهيؤا له باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح ﴿ ولكن كره الله انبعاثهم ﴾ يعنى خروجهم الى الغزو معكم ﴿ فثبطهم ﴾ يعنى منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبى صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنه وههنا يتوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع النبى صلى الله عليه وسلم اما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم فى اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى أخبر عن تلك المفسدة بقوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا بقى فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم فنقول انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم قبل تمام الفحص واكمال التأمل والتدبر فى حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم أذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه اذن لهم قبل أن يوحى اليه فى أمرهم بالقعود ﴿ وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾ معناه انهم لما استأذنوه فى القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النساء والصبيان والمرضى وأهل الاعذار ثم اختلفوا فى القائل من هو فقيل قال بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استأذنوه فى القعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا ذلك وقعدوا وقيل ان القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى بان ألقى فى قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ۞ ثم بين سبحانه وتعالى ما فى خروجهم من المفاسد فقال تعالى

وتحيروا فى ترددهم ... يتحيرون لان التردد ديدن المتحير كما أن الثبات ديدن المستبصر (ولو أرادوا الخروج لاعدوا له) للخروج أو ... (عدة) أهبة لانهم ... ولما كان ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو قيل (ولكن كره الله انبعاثهم) نهوضهم للخروج كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم (فثبطهم) فكسلهم وضعف رغبتهم فى الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الامر بالتزهيد فيه (وقيل اقعدوا) أى قال بعضهم لبعض أو قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم أو قاله الشيطان بالوسوسة (مع القاعدين) هو ذم لهم

فهم فى ريبهم) فى شكهم (يترددون) يتحيرون (ولو أرادوا الخروج) معك الى غزوة تبوك (لاعدوا له) للخروج (عدة) قوة من السلاح والزاد (ولكن كره الله انبعاثهم) خروجهم معك الى غزوة تبوك (فثبطهم) فحبسهم عن الخروج (وقيل اقعدوا) تخلفوا (مع القاعدين) مع المتخلفين بغير عذر وقع ذلك فى

(لو

بالكاذب وهلا توقفت ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا ﴾ فى الاعتذار ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾ فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم ﴾ أى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك فى ان يجاهدوا فانه الخلص منهم يبادرون اليه ولا يتوقفون على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوك فى التخلف عنه أو ان يستأذنوك فى التخلف كراهة ان يجاهدوا ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه ﴿ انما يستأذنك ﴾ فى التخلف ﴿ الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ تخصيص الايمان بالله عزوجل واليوم الآخر فى الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما ﴿ وارتابت قلوبهم

اما أن يكون قد صدر عنه ذنب فى هذه الواقعة أولا فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان الانكار يمتنع فى حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضى عياض فى كتابه الشفاء فى الجواب عن قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم انه أمر لم يتقدم للنبى صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى فيعد معصية ولا عده تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا فى أمرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه وحى فكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبى صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط أى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيرى قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أى لم يلزمك ذنب قال الداودى انها تكرمة وقال مكى هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندى ان معناه عافاك الله وقيل معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهم يعنى فى التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل لا سيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا ﴾ يعنى فى اعتذارهم ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾ يعنى فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم ﴾ أى فى ان يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف لظهوره ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ يعنى الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى طاعته ﴿ انما يستأذنك ﴾ يعنى فى التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر ﴿ الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ وهم المنافقون لقوله ﴿ وارتابت قلوبهم ﴾ يعنى شكت قلوبهم فى الايمان وانما أضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان أيضا فاذا دخله الشك

الصادق فى العذر من الكاذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفدية من الاسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام انما فعل ذلك بالاجتهاد وانما عوتب مع ان له ذلك لتركه الافضل وهم يعاتبون على ترك الافضل (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك فى ان يجاهدوا (باموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) عدة لهم باجزل الثواب (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (وارتابت قلوبهم) شكوا فى دينهم

(حتى يتبين لك الذين صدقوا) فى ايمانهم بالخروج معك (وتعلم الكاذبين) فى ايمانهم بالتخلف عن الخروج بالاذن (لا يستأذنك) بعد غزوة تبوك (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) فى السر والعلانية (أن يجاهدوا) ان لا يجاهدوا (باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين) الكفر والشرك (انما يستأذنك) بالجلوس عن الخروج (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) فى السر (وارتابت) شكت (قلوبهم

لخرجنا معكم) من دلائل النبوة لانه أخبر عما سيكون بعد القفول فقالوا كما أخبر أو بالله متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في وجهين أى سيحلفون يعنى المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الابدان كأنهم تمارضوا (يهلكون أنفسهم) بدل من سيحلفون أو حال منه أى مهلكين والمعنى انهم يهلكونها بالحلف الكاذب أو حال من لخرجنا أى لخرجنا معكم وان أهلكنا أنفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها على المسير في تلك الشقة (والله يعلم انهم لكاذبون) فيما يقولون (عفا الله عنك) كناية عن الزلة لان العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الانبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الانبياء عليهم السلام (لم أذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن

يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة ﴿لخرجنا معكم﴾ ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه ﴿يهلكون انفسهم﴾ بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك أو حال من فاعله ﴿والله يعلم انهم لكاذبون﴾ في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج ﴿عفا الله عنك﴾ كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه ﴿لم اذنت لهم﴾ بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شئ اذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا

لخرجنا معكم﴾ يعنى الى هذه الغزوة ﴿يهلكون أنفسهم﴾ يعنى بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وفيه دليل على ان الايمان الكاذبة تهلك صاحبها ﴿والله يعلم انهم لكاذبون﴾ يعنى فى ايمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج ﴿قوله عز وجل ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ قال الطبرى هذا عتاب من الله عز وجل عاتب الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أى فى اذنه لمن أذن له فى التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك فى اذنك لهؤلاء المنافقين استأذنوك فى ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون الاودى اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشئ فيهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأه بالعفو قبل ان يعيره بالذنب

فصل

استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وبيانه من وجهين ه أحدهما انه سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعى سابقة الذنب ه الوجه الثانى انه سبحانه وتعالى قال لم أذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار ه والجواب عن الاول انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة فى التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت فى أمرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ فى ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال على بن الجهم يخاطب المتوكل

عفا الله عنك الا حرمة ٭ تعود بفضلك ان أبعدا
ألم تر عبدا عدا طوره ٭ ومولى عفا ورشيدا هدى
أقلنى أقالك من لم يزل ٭ يقيل ويصرف عنك الردى

ه والجواب عن الثانى أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله لم أذنت لهم الانكار عليه وبيانه

بالزاد والراحلة (لخرجنا معكم) الى غزوة تبوك (يهلكون أنفسهم) بالحلف الكاذبة (والله يعلم انهم لكاذبون) لانهم كانوا يستطيعون الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم (عفا الله عنك) يا محمد (لم أذنت لهم) للمنافقين بالجلوس (اما)

﴿ وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ﴾ بماامكن لكم منهما كليهما أواحدهما ﴿ ذلكم خيرلكم ﴾ من تركه ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ الخير علمتم انه خيرأوان كنتم تعلمون انه خير اذاخبـارالله به صدق فبادروااليه ﴿ لوكان عرضا ﴾ أى لوكان مادعـوا اليه نفعادنيويا ﴿ قريبا ﴾ سهل المأخذ ﴿ وسفرا قاصدا ﴾ متوسطا ﴿ لاتبعوك ﴾ لوافقوك ﴿ ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾ المسافة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين ﴿ وسيحلفون بالله ﴾ أى المتخلفون اذارجعت من تبوك معتذرين ﴿ لواستطعنا ﴾

المسلمون بعده فقيل له فى ذلك فقال سمعت الله عزوجل يقول انفروا خفـافا وثقـالا ولاأجدنى الاخفيفا أوثقيلا وقال الزهرى خرج سعيد بن المسيب وقدذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرفقـال اسـتنفرالله الخفيف والثقيل فان لم يمكنى الحرب كثرت السواد أوحفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا قدسقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريدالغزو فقلت ياعم أنت معذور عندالله فرفع حاجبيه وقال ياابن أخى استنفرناالله خفافا وثقالا الاانه من يحبه يبتليه والصحيح هوالقول الاول انهامنسوخة وأن الجهادمن فروض الكفايات ويدل عليه ان هذه الآيات نزلت فى غزوة تبوك وان النبى صلى الله عليه وسلم خلف فى المدينة فى تلك الغزوة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله أعلم ✲ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ﴾ فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثانى أن من كان له مال وهو مريض أومقعد أوضعيف لايصلح للحرب فعليه الجهاد بماله بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا بماله دون نفسه ﴿ ذلكم ﴾ يعنى ذلكم الجهاد ﴿ خيرلكم ﴾ يعنى من القعود والتثاقل عنه وقيل معناه ان الجهاد خيرحاصل لكم ثوابه ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ يعنى ان ثواب الجهاد خيرلكم من القعود عنه ✲ ثم نزل فى المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قوله عزوجل ﴿ لوكان عرضا قريبا ﴾ فيه اضمار تقديره لوكان ماتدعوهم اليه عرضـا يعنى غنيمة سـهلة قريبة التناول والعرض ماعرض لك من منافع الدنيا ومتاعهـا يقال الدنيـا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر ﴿ وسفرا قاصدا ﴾ يعنى سهلا قريبا ﴿ لاتبعوك ﴾ يعنى لخرجوا معك ﴿ ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾ أى المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلوكها ومعنى الآية لوكان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعا فى تلك المنافع التى تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم لاجرم انهم تخلفوا لهذا السـبب ✲ ثم أخبرالله سبحانه وتعالى عنهم انه اذارجع النبى عليه السلام من هذا الجهاد يحلفون بالله وهوقوله تعـالى ﴿ وسيحلفون بالله ﴾ يعـنى المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم فى هذه الغزوة ﴿ لواستطعنا

بهما ان أمكن أوباحدهما على حسب الحال والحاجة (فى سبيل الله ذلكم) الجهاد (خيرلكم) من تركه (ان كنتم تعلمون) كون ذلك خيرا فبادروااليه ونزل فى المتخلفين عن غزوة تبوك من المنـافقـين (لو كان عرضا) هو ماعرض لك من منافع الدنيـا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أى لوكان ما دعوا اليه مغنمـا (قريبا) سـهل المأخذ (وسـفرا قاصـدا) وسـطا مقـاربا والقاصد والقصد المعتدل (لاتبعوك) لوافقوك فى الخروج (ولكن بعدت عليهم الشـقة) المسـافة الشاطة الشاقة (وسيحلفون بالله لواسـتطعنا

بالمال والعيال (وجاهدوا بأموالـكم وانفسـكم فى سبيل الله) فى طاعـة الله (ذلكم) الجهاد (خيرلكم) من الجلوس (ان كنتم) اذ كنتم (تعلمون) وتصدقون ذلك (لوكان عرضا قريبا) غنيمة قريبة (وسفرا قاصدا) هينا (لاتبعوك) الى غزوة تبـوك بطيبـة الانفس (ولـكن بعـدت عليهم الشقة) السفر الى الشام (وسيحلفون بالله) لكم اذا رجعتم من غزوة تبوك عبدالله بن أبى وجد بن قيس ومعتب بن قشـير واصحابهم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك (لواسـتطعنا)

في الغار أو ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله ﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ﴾ يعني الشرك أو دعوة الكفر ﴿ وكلمة الله هي العليا ﴾ يعني التوحيد أو دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له أو بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن أو بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل ﴿ والله عزيز حكيم ﴾ في امره وتدبيره ﴿ انفروا خفافا ﴾ لنشاطكم له ﴿ وثقالا ﴾ عنه لمشقته عليكم أو لقلة عيالكم ولكثرتها أو ركبانا ومشاة أو خفافا وثقالا من السلاح أو صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج

(وجعل كلمة الذين كفروا) أي دعوتهم الى الكفر (السفلى وكلمة الله) دعوته الى الاسلام (هي) فصل (العليا) وكلمة الله بالنصب يعقوب بالعطف والرفع على الاستئناف وجاء هي لم تزل كانت عالية (والله عزيز) يعز بنصره أهل كلمته (حكيم) يذل أهل الشرك بحكمته (انفروا خفافا) في النفور لنشاطكم له (وثقالا) عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتهم أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا

وصرف عنه كيد الاعداء وهو في الغار في حالة القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر ﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ﴾ يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة ﴿ وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴾ قال ابن عباس هي كلمة لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروها فيما بينهم من الكيد للنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعده من النصر والظفر بهم فكان ما وعده الله سبحانه وتعالى حقا وصدقا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ انفروا خفافا وثقالا ﴾ يعني انفروا على الصفة التي تخف عليكم الجهاد بها وعلى الصفة التي يثقل عليكم فيها وهذان الوصفان يدخل تحتهما أقسام كثيرة فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبابا وشيوخا وقال ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال أبو صالح خفافا من المال يعني فقراء وثقالا يعني أغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذي لا ضيعة له والثقيل الذي له الضيعة يكره أن يدع ضيعته ويروى عن ابن عباس قال خفافا أهل الميسرة من المال وثقالا أهل العسرة وقيل خفافا يعني من السلاح مقلين منه وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل أصحاء ومرضى وقيل عزابا ومتأهلين وقيل خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغزو ساعة سماع النفير وثقالا يعني بعد التروي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني على أي حال كنتم فيهما فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل أحد حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر قلت من العلماء من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ومنهم من حمل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان أبا أيوب الانصاري شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوة غزاها

الملائكة (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) المغلوبة المذمومة (وكلمة الله هي العليا) الغالبة الممدوحة (والله عزيز) بالنقمة من اعدائه (حكيم) بالنصرة لاوليائه (انفروا) اخرجوا مع نبيكم الى غزوة تبوك (خفافا وثقالا) شبابا وشيوخا ويقال نشاطا وغير نشاط ويقال خفافا من المال والعيال وثقالا

﴿فأنزل الله سكينته﴾ امنته التي تسكن عندها القلوب ﴿عليه﴾ على النبي أو على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا ﴿وأيده بجنود لم تروها﴾ يعنى الملائكة انزلهم يحرسوه

واناكيد من تخشى بوادره * كيد الشياطين قدكادت لكفار
والله مهلكهم طرا بما صنعوا * وجاعل المنتهى منهم الى النار

* قوله سبحانه وتعالى ﴿فانزل الله سكينته عليه﴾ يعنى فانزل الله الطمأنينة والسكون على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك

فصل في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل سيدى أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن أبي بكر الصديق في سره واعلانه وانه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختار صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله * ومنها ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم أبا بكر دون غيره من أهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف أبي بكر وفضله على غيره * ومنها ان الله سبحانه وتعالى عاتب أهل الارض بقوله تعالى ألا تنصروه فقد نصره الله سوى أبي بكر الصديق وهذا دليل على فضله * ومنها ان سيدنا أبا بكر رضى الله تعالى عنه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازما له وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته له * ومنها مؤانسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا دليل على فضله * ومنها ان الله سبحانه وتعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لابي بكر رضى الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء ان أبا بكر كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الاحوال * ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعا أبو بكر الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فآمنوا على يدى أبي بكر ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم * ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته الا وأبو بكر معه في ذلك الموقف * ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة فكان ثانيه * ومنها انه ثانيه في تربته صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على فضل أبي بكر الصديق * ومنها ان الله سبحانه وتعالى نص على صحبة أبي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن * ومنها ان الله سبحانه وتعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره * ومنها انزال السكينة على أبي بكر واختصاصه بها دليل على فضله والله أعلم * قوله سبحانه وتعالى ﴿وأيده بجنود لم تروها﴾ يعنى وأيد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل ألقى الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي أعانه بالملائكة يوم بدر فاخبر الله سبحانه وتعالى انه نصره

(فأنزل الله سكينته) ما ألقى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه (عليه) على النبي صلى الله عليه وسلم أو على أبي بكر لانه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب (وأيده بجنود لم تروها) هم الملائكة صرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه أو أيده بالملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين

(فأنزل الله سكينته) طمأنينته (عليه) على نبيه (وأيده) أعانه يوم بدر ويوم الاحزاب ويوم حنين (بجنود لم تروها) يعنى

المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره والقول الثاني انه يملك الشيء المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه فقيه وصفه بالاحسان والكرم والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بامر العيال واقراء الضيف ونوائب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقصده أنالك جار أي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهار الخفي وقوله فينقذف النساء عليه يعني يزدحمن عليه والذمة العهد والامان واخفارها نقضها واللابة الجبل والحرة الارض التي تعلوها حجارة سود يقال افعل الشيء على رسلك بكسر الراء أي على هينتك والراحلة البعير القوى على الحمل والسير والظهيرة وقت شدة الحر والنطاق حبل أو نحوه تشد به المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من أعلاه الى اسفله لئلا يصل الى الارض وقولها ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف الدال سير أول الليل وبتشديدها سير آخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين هو اللبن يقال نعق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام آخر الليل والخريت تقدم شرحه في الحديث وهو الماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمس حلفا يقال غمس فلان حلفا في آل فلان اذا أخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع والكنانة هي الجعبة التي تجعل فيها السهام والازلام القداح التي كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوائج كالفال والعثان الغبار يقال ما رزأت فلانا شيأ أي ما اصبت منه شيأ والمراد أنهم لم يأخذوا منه شيأ وقوله أوفى أي أشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء أي هم ذوو ثياب بيض والمربد الموضع يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا الحمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن أبر عند الله واطهر وأبقى ذخرا وأدوم منفعة في الآخرة لا حمال خيبر يعني ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل الذي نحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خيبر وقد روى هذا الجمال بالجيم من التجمل ورواية الاولى أشهر وأكثر والله أعلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله سبحانه وتعالى زوجا من حمام حتى باضتا في أسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل أتت يمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعرا وقد نسب الى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهو قوله

قال النبي ولم يجزع يوقرني ٭ ونحن في سدف في ظلمة الغار
لا تخش شيأ فان الله ثالثنا ٭ وقد تكفل لي منه باظهار

﴿ وانما ﴾

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم اخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآنى ولم يسألانى الا أن قالا اخف عنا مااستطعت فسألته أن يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أديم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فاخبرنى عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشأم فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبابكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم فلما آووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على ظهر أطم من آطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى ان قال باعلى صوته يامعشر العرب هذا جدكم الذى تنتظرونه قال فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبوبكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبابكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبوبكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذى أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يارسول الله فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن فى بنيانه ويقول

هذا الحمال لاحمال خيبر ٭ هذا ابرر بنا وأطهر

ويقول اللهم ان الاجر أجر الآخره ٭ فارحم الانصار والمهاجره ٭ فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى قال ابن شهاب ولم يبلغنا فى الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت أخرجه البخارى بطوله

﴿ شرح غريب الفاظ الحديث ﴾

قوله لم أعقل أبوى الا وهما يدينان الدين يعنى أنهما كانا ينقادان الى الطاعة وبرك الغماد بفتح الباء من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلى ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ماء لبنى ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان أحدهما انه لقوة سعده وحظه من الدنيا لايتعذر عليه كسب كل شئ حتى

ماجاءبه في هذه الساعة الاأمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انماهم أهلك بأبي أنت وأمي يارسول الله قال فاني قدأذن لي في الخروج قال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي يارسول الله احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلايسمع أمرا يكادان به الاوعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث وأستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قدغمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فاخذبهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فاخبرني عبدالرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم ان أباه أخبره انه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أوأسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال ياسراقة اني قدرأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوابهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فحططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت وأهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها أضرهم أم لافخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذاسمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لايلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم أن سيظهر

﴿ أمر ﴾

﴿ ذكر سياق حديث الهجرة وهو من أفراد البخاري ﴾

عن عائشة قالت لم أعقل ابوى قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشيا فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد ياأبابكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فاريد ان أسيح في الارض فاعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك ياأبابكر لايخرج ولايخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم ان أبابكر لايخرج مثله ولايخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وأمنوا أبابكر وقالوا لابن الدغنة مر أبابكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها وليقرأ ماشاء ولايؤذينا بذلك ولايستعلن به فانا نخشى ان يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربه في داره ولايستعلن بصلاته ولايقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بكاء لايملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك أشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا أجرنا أبابكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وان أبى الا أن يعلن بذلك فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاهدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك وأما أن ترجع الى ذمتي فاني لاأحب أن تسمع العرب اني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر فاني أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني رأيت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده من ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينا نحن جلوس يوما في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداءله أبي وأمي والله

فأشفق أبو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فأعماه الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه

صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القرآن و في سائر الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي بكر الصديق قال نظرت الى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يارسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محيي الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من أجل مناقبه والفضيلة من أوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقته أهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روى عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده أبو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من أيامه وليلة واحدة من لياليه أما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهيا اليه قال والله لاتدخله حتى أدخل قبلك فان كان فيه شئ أصابني دونك فدخله فكنسه ووجد في جانبه ثقبا فشق ازاره وسدها به وبقي منها ثقبان فالقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر فقال لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته وأما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي الزكاة فقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت ياخليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجبار في الجاهلية خوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأنا حي أخرجه في جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوي وروى انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر فقال اذكر الطلب فامشي خلفك واذكر الرصد فامشي بين يديك فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يارسول الله حتى استبرئ الغار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل يارسول الله فنزل وقال له ان أقتل فأنا رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة

فوق الغار فاشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة

نه الغنى عن كل شئ وفى كل امر وقيل الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام اى لاتضروه فان الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق ﴿والله على كل شئ قدير﴾ يقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلامدد كما قال تعالى ﴿الا تنصروه فقد نصره الله﴾ أى ان لم تنصروه فينصره الله كما نصره الله ﴿اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين﴾ ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ماهو كالدليل عليه مقامه اوان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله فى غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه اوقتله تسبب لأذن الله له بالخروج وقرئ ثانى اثنين بالسكون على لغة من يجرى المنقوص مجرى المقصور فى الاعراب ونصبه على الحال ﴿اذهما فى الغار﴾ بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب فى اعلى ثور وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا ﴿اذ يقول﴾ بدل ثان اوظرف لثانى ﴿لصاحبه﴾ وهو أبو بكر رضى الله تعالى عنه ﴿لاتحزن ان الله معنا﴾ بالعصمة والمعونة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار

يعنى ولاتضروا الله شيأ لانه غنى عن العالمين وانما تضرون أنفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ولاتضروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيأ فان الله ناصره على أعدائه ولايخذله ﴿والله على كل شئ قدير﴾ يعنى انه تعالى قادر على كل شئ فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وماكان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلانسخ * قوله عزوجل ﴿الا تنصروه فقد نصره الله﴾ يعنى الا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون هذا خطاب لمن تثاقل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عزوجل انه هو المتكفل بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه واعلاء كلمته أعانوه أولم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو فى كثرة من العدد والعدد ﴿اذ أخرجه الذين كفروا﴾ يعنى انه تعالى نصره فى الوقت الذى أخرجه فيه كفار مكة من مكة حين مكروا به وأرادوا قتله ﴿ثانى اثنين﴾ يعنى هو واحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ﴿اذ هما فى الغار﴾ يعنى اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فى الغار والغار نقب عظيم يكون فى الجبل وهذا الغار فى جبل ثور وهو قريب من مكة ﴿اذ يقول لصاحبه لاتحزن﴾ يعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر الصديق لاتحزن وذلك ان أبا بكر خاف من الطلب ان يعلموا بمكانهم فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحزن ﴿ان الله معنا﴾ يعنى بالنصر والمعونة قال الشعبى عاتب الله عزوجل أهل الارض جميعا فى هذه الآية غير أبى بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله

الا تنصروه فقد نصره الله) الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره فى المستقبل كما نصره فى ذلك الوقت (اذ أخرجه الذين كفروا) أسند الاخراج الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له فى الخروج فكأنهم أخرجوه (ثانى اثنين) أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله وأبو بكر وانتصابه على الحال (اذهما) بدل من اذ أخرجه (فى الغار) هو نقب فى أعلى ثور وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان (لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) بالنصرة والحفظ قيل طلع المشركون

والله على كل شئ) من العذاب والبدل (قدير الا تنصروه) ان لم تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم بالخروج معه الى غزوة تبوك (فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا) كفار مكة (ثانى اثنين) يعنى رسول الله وأبا بكر (اذهما) رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضى الله عنه (فى الغار اذ يقول) رسول الله صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) أبى بكر (لاتحزن) ياأبابكر (ان الله معنا) معيننا

﴿ارضيتم بالحيوة الدنيا﴾ وغرورها ﴿من الآخرة﴾ بدل الآخرة ونعيمها ﴿فما متاع الحياة الدنيا﴾ فما التمتع بها ﴿في الآخرة﴾ في جنب الآخرة ﴿الا قليل﴾ مستحقر ﴿الا تنفروا﴾ ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه ﴿يعذبكم عذابا اليما﴾ بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ﴿ويستبدل قوما غيركم﴾ ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ﴿ولا تضروه شيأ﴾ اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيأ

من الحر حين طابت الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز وعددا كثيرا وجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فانزل الله عزوجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا في سبيل الله أي اخرجوا الى الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا والاسم النفير اثاقلتم أي تثاقلتم وتباطأتم عن الخروج الى الغزو الى الارض يعني لزمتم أرضكم ومساكنكم وانما استثقل ذلك الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة الى كثرة الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله تعالى بقوله ﴿أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة﴾ يعني أرضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة ﴿فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل﴾ يعني ان لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينفد عن قليل ونعيم الآخرة باق على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الآخرة وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله سبحانه وتعالى نص على ان تثاقلهم عن الجهاد أمر منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور الآية الآتية وهي قوله تعالى ﴿الا تنفروا﴾ يعني ان لم تنفروا أيها المؤمنون الى ما استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ﴿يعذبكم عذابا أليما﴾ يعني في الآخرة لان العذاب الاليم لا يكون الا في الآخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن نفيع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتثاقلوا فأمسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم ﴿ويستبدل قوما غيركم﴾ يعني خيرا منكم وأطوع قال سعيد بن جبير هم أبناء فارس وقيل هم أهل اليمن نبه سبحانه وتعالى على انه قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استنفروا حصلت النصرة بهم ووقع أجرهم على الله عزوجل وان تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم لئلا يتوهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى ﴿ولا تضروه شيأ﴾ قيل الضمير راجع الى الله تعالى

(أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة) بدل الآخرة (فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة) في جنب الآخرة (الا قليل الا تنفروا) الى الحرب (يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ) سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيأ وقيل الضمير في ولا تضروه للرسول عليه السلام لان الله وعده أن يعصمه من الناس وان ينصره ووعده

(ارضيتم بالحيوة الدنيا) ما في الحياة الدنيا (من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) يسير لا يبقى (الا تنفروا) ان لم تخرجوا مع نبيكم الى غزوة تبوك (يعذبكم عذابا أليما) وجيعا في الدنيا والاخرة (ويستبدل قوما غيركم) خيرا منكم وأطوع (ولا تضروه) اى لا يضر الله جلوسكم (شيأ

(يعني)

يحلونه عاما ويحرمونه عاما) للنسئ أى اذا أحلوا شهرا من الاشهر الحرام عاما رجعوا فحرموه فى العام القابل (ليواطؤا عدة
ما حرم الله) ليوافقوا العـدة التى هى الاربعة ولايخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذى هو أحد الواجبين واللام تتعلق
بيحلونه ويحرمونه أو بيحرمونه فحسب وهو الظاهر (فيحلوا ما حرم الله) أى فيحلوا بمواطأة العدة وحدها
من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص الاشهر بعينها (زين لهم سوء أعمالهم) زين الشيطان
لهم ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة

(والله لايهدى القوم الكافرين)

يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى ﴿يحلونه عاما﴾ يحلون النسئ من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ﴿ويحرمونه عاما﴾ فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى فى القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ﴿ليواطؤا عدة ما حرم الله﴾ اى ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين ﴿فيحلوا ما حرم الله﴾ بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت ﴿زين لهم سوء اعمالهم﴾ وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا ﴿والله لا يهدى القوم الكافرين﴾ هداية موصلة الى الاهتداء ﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم﴾ تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ ﴿الى الارض﴾ متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالى وكان ذلك فى غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف فى وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم

حال اختيارهم الثبات على الباطل (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا) اخرجوا (فى سبيل الله اثاقلتم) تثاقلتم وهو أصله الا أن التاء أدغمت فى الثاء فصارت ثاء ساكنة فدخلت ألف الوصل لئلا يبتدأ بالساكن أى تباطأتم (الى الارض) ضمن معنى الميل والاخلاد فعدى بالى اى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه أى ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك فى غزوة تبوك استنفروا فى وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ماخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الاورى عنها بغيرها الا فى غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة

تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد ﴿يحلونه عاما ويحرمونه عاما﴾ يعنى يحلون ذلك الانساء عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر المحرم عاما فيجعلونه حلالا ليغيروا فيه ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلايغيرون فيه ﴿ليواطؤا﴾ يعنى ليوافقوا ﴿عدة ما حرم الله﴾ يعنى أنهم ما أحلوا شهرا من المحرم الا حرموا شهرا مكانه من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا من الحرام لاجل أن يكون عدد الاشهر الحرم أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة فى العدد لا فى الحكم كذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم﴾ قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل ﴿والله لا يهدى القوم الكافرين﴾ يعنى أنه سبحانه وتعالى لا يرشد من هو كافر أثيم لما سبق له فى الازل انه من أهل النار ✽ قوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض﴾ نزلت هذه الآية فى الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزو الروم وكان ذلك فى زمان عسرة من الناس وشدة

يحلونه)يعنى المحرم (عاما)
يقاتلون فيه(ويحرمونه)يعنى المحرم (قا و خا ١٦ لث) (عاما) فلايقاتلون فيه فاذا أحلوا المحرم حرموا صفر بدله
(ليواطؤا)ليوافقوا(عدة ما حرم الله) أربعا بالعدد(فيحلوا ما حرم الله) يعنى المحرم(زين لهم)حسن لهم(سوء أعمالهم)
قبح أعمالهم (والله لايهدى)لايرشد الى دينه(القوم الكافرين)من لم يكن أهلا لذلك وكان الذى يفعل هذا رجلا يقال له نعيم بن ثعلبة
(يا أيها الذين آمنوا)أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (مالكم اذا قيل لكم انفروا)اخرجوا مع نبيكم (فى سبيل الله) فى طاعة الله
فى غزوة تبوك(اثاقلتم الى الارض) اشتهيتم الجلوس على الارض

الى كفرهم ﴿يضل به الذين كفروا﴾ ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل

ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذا باقي شهور السنة فوافقت حجة ابي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى وأعلمهم ان أشهر النسئ قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف الايام واختلفوا في أول من نسأ النسئ فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نسأ النسئ بنو مالك بن كنانة وكان يليه جنادة بن عوف بن أمية الكناني وقال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم على الناس في الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فيقول لامرد لما قضيت أنا الذي لا أعاب ولا أجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا اوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم

وفينا ناسئ الشهر القلمس

وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان أول من سن النسئ عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والذي صح من حديث أبي هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي اول من سيب السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسئ الذي ذكره الله في قوله انما النسئ زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم أمروا بايقاع كل فعل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب أغراضهم الفاسدة أخروه الى وقت آخر بسبب ذلك النسئ فأوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم ﴿يضل به الذين كفروا﴾ قرئ يضل بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه يضل بالنسئ الذين كفروا وقرئ يضل بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم أضلوهم وحملوهم عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله به الذين كفروا أو يضل به الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا تابعيهم والآخذين بافعالهم وهذا الوجه أقوى الوجهين

(يضل) كوفي غير أبي بكر (به الذين كفروا) بالنسئ والضمير في

زيادة مع الكفر (يضل به) يغلط بتأخير المحرم الى صفر (الذين كفروا)

السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين فى شوال وذى القعدة ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ جميعا وهى مصدر كف عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال ﴿واعلموا ان الله مع المتقين﴾ بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم ﴿انما النسئ﴾ اى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاءهم شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسى بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسى بحذفها والنسئ والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا اخره ﴿زيادة فى الكفر﴾ لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر آخر [illegible]

النسئ وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لاجرم ان الله خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان فى تلك الاوقات من فعل الظلم والقبائح والمنكرات فربما تركها فى باقى الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصى فى غيرها من الاشهر فبهذا وجه الحكمة فى تخصيص بعض الاشهر دون بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة أيضا ✽ وقوله سبحانه وتعالى ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ يعنى قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم كما أنهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم ولاتخاذلوا ولاتدابروا ولاتفشلوا ولاتجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين فى مقاتلة أعدائكم من المشركين واختلف العلماء فى تحريم القتال فى الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعنى فى الاشهر الحرم وفى غيرهن وهذا قول قتادة وعطاء الخرسانى والزهرى وسفيان الثورى قالوا لان النبى صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم فى شوال وبعض ذى القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطاء بن أبى رباح مايحل للناس أن يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم وما نسخت الا أن يقاتلوا فيها ﴿واعلموا ان الله مع المتقين﴾ يعنى بالنصر والمعونة على على اعدائهم قوله سبحانه وتعالى ﴿انما النسئ زيادة فى الكفر﴾ النسئ فى اللغة عبارة عن التأخير فى الوقت ومنه النسيئة فى البيع ومعنى النسئ المذكور فى الآية هو تأخير شهر حرام الى شهر آخر وذلك ان العرب فى الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية وربما وقعت حروب فى بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم الى الاشهر الحلال فنسؤا يعنى أخروا تحريم شهر الى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيستحلون المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر أخروه الى

(وقاتلوا المشركين كافة) حال من الفاعل أو المفعول (كما يقاتلونكم كافة) جميعا (واعلموا أن الله مع المتقين) أى ناصرلهم حثهم على التقوى بضمان النصرة لاهلها (انما النسئ) بالهمزة مصدر نسأه اذا أخره وهو تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر (زيادة فى الكفر) أى هذا الفعل منهم زيادة فى كفرهم

فى الاشهر الحرم (وقاتلوا المشركين كافة) جميعا فى الحل والحرم (كما يقاتلونكم كافة) جميعا (واعلموا) يامعشر المؤمنين (أن الله مع المتقين) الكفر والشرك والفواحش [illegible] فى [illegible] الحرم (انما النسئ زيادة فى الكفر) يقول تأخير المحرم الى صفر معصية

واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ اى تحريم الاشهر الاربعة هوالدين القويم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما ﴿فلا تظلموا فيهن انفسكم﴾ بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لايحل للناس ان يغزوا فى الحرم وفى الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ماروى انه عليه

متوالية وانما سميت حرما لان العرب فى الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لوان أحدهم لقى قاتل أبيه وابنه وأخيه فى هذه الاربعة الاشهر لم يهجه ولما جاء الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيآت أيضا أشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الاشهر الحرم ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ يعنى ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوى فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعنى حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل أراد بالدين القيم الحكم الذى لايغير ولايبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذى لايزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد فى صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم وأجل ديونهم وغير ذلك من سائر أحكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن أبى بكرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثناعشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان أى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد الحرام قلنا قال بلى فاى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم الافلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال ألا هل بلغت ألا هل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد ﴿ وقوله عزوجل ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ قيل الكناية فى فيهن ترجع الى جميع الاشهر أى لا تظلموا أنفسكم فى جميع أشهر السنة بفعل المعاصى وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصى والفساد مطلقا فى جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول أكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح أعظم أجرا فى الاشهر الحرم والظلم فيهن أعظم منه فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لاتظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن اسحق بن يسار لاتجعلوا حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل أهل الشرك وهو

العرب اياه أى لتعظيمه (ذلك الدين القيم) أى الدين المستقيم لامايفعله أهل الجاهلية يعنى أن تحريم الاربعة الاشهر هوالدين المستقيم ودين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب تمسكت به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسىء فغيروا (فلا تظلموا فيهن) فى الحرم أوفى الاثنى عشر (أنفسكم) بارتكاب المعاصى

والمحرم (ذلك الدين القيم) الحساب القائم لايزيد ولاينقص (فلا تظلموا) فلا تضروا (فيهن) فى الشهور (أنفسكم) بالمعصية ويقال

﴿لانفسكم﴾ لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها ﴿فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ اى وبال كنزكم اوما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ﴿ان عدة الشهور﴾ اى مبلغ عددها ﴿عندالله﴾ معمول عدة لانها مصدر ﴿اثنا عشر شهرا فى كتاب الله﴾ فى اللوح المحفوظ اوفى حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله ﴿يوم خلق السموات والارض﴾ متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت فى نفس الامر منذ خلق الله الاحرام والازمنة ﴿منها اربعة حرم﴾

لانفسكم ﴾ أى يقال لهم ذلك يوم القيامة ﴿ فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ أى فذوقوا عذاب ما كنزتم فى الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها (ق) عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينا أنا فى حلقة فيها ملأ من قريش اذجاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين برضف يحمى عليه فى نار جهنم فيوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فمارأيت أحدا منهم رجع اليه شيأ قال فادبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت مارأيت هؤلاء الا كرهوا ماقلت لهم فقال ان هؤلاء لايعقلون شيأ هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم أذكرها وزاد البخارى قلت من هذا قالوا أبو ذر قال فقمت اليه فقلت ماشئ سمعتك تقول قبيل فقال ماقلت الاشيأ سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل ﴿ان عدة الشهور عندالله اثنا عشر شهرا﴾ هى المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجادى الاولى وجادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة القمرية التى هى مبنية على سير القمر فى المنازل وهى شهور العرب التى يعتد بها المسلمون فى صيامهم ومواقيت حجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم وأيام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس فى الفلك دورة تامة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الحج والصوم تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسئ الذى كانت العرب تفعله فى الجاهلية فكان يقع حجهم تارة فى وقته وتارة فى المحرم وتارة فى صفر وتارة فى غيره من الشهور فأعلم الله عز وجل ان عدة شهور سنة المسلمين التى يعتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تبارك وتعالى ان عدة الشهور عندالله يعنى فى علمه وحكمه اثنا عشر شهرا ﴿فى كتاب الله﴾ يعنى فى اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع أحوال الخلق وما يؤتون وما يذرون وقيل أراد بكتاب الله القرآن لان فيه آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل أراد بكتاب الله الحكم الذى أوجبه وأمر عباده بالاخذ به ﴿يوم خلق السموات والارض﴾ يعنى أن هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض أن السنة اثنا عشر شهرا ﴿ منها ﴾ يعنى من الشهور ﴿ اربعة حرم ﴾ وهى رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة

لانفسكم) يقال لهم هذا ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وما علمتم انكم كنزتموه لتستضربه انفسكم وهو توبيخ (فذوقوا ما كنتم تكنزون) أى وبال المال الذى كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين (ان عدة الشهور عندالله اثنا عشر شهرا) من غير زيادة والمراد بيان ان أحكام الشرع تبتنى على الشهور القمرية المحسوبة بالاهلة دون الشمسية (فى كتاب الله) فيما أثبته وأوجبه من حكمه أوفى اللوح (يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم) ثلاثة سرد ذو القعدة للقعود عن القتال وذو الحجة للحج والمحرم لتحريم القتال فيه وواحد فرد وهو رجب لترجيب

(لانفسكم) فى الدنيا (فذوقوا ما كنتم) بما كنتم (تكنزون) تجمعون (ان عدة الشهور عندالله) يقول السنة بالشهور عندالله يعنى شهور السنة التى تؤدى فيها الزكاة (اثناعشر شهرا فى كتاب الله) فى اللوح المحفوظ (يوم) من يوم (خلق السموات والارض منها) من الشهور (أربعة حرم) رجب وذو القعدة وذو الحجة

ابى هريرة رضى الله تعالى عنه صاحب ذهب ولافضة لايؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ﴿فبشرهم بعذاب اليم﴾ هو الكى بهما ﴿يوم يحمى عليها فى نار جهنم﴾ اى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال على رضى الله تعالى عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة ومافوقها كنز وكذا قوله ولاينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقرب بها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ لان جمعهم وامساكهم اياه كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية اولانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم اولانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التى هى الدماغ والقلب والكبد اولانها اصول الجهات الاربع التى هى مقاديم البدن ومآخره وجنباه ﴿هذا ما كنزتم﴾ على ارادة القول

الناس ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ يعنى الكافرين الذين لايؤدون زكاة أموالهم (ق) عن أبى ذر قال انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم أتقار حتى قمت فقلت يارسول الله فداك أبى وأمى من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم مامن صاحب ابل ولابقر ولا غنم لايؤدى زكاتها الاجاءت يوم القيامة أعظم ماكانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخارى فى موضعين * وقوله تعالى ﴿يوم يحمى عليها﴾ يعنى على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة ﴿فى نار جهنم فتكوى بها جباههم﴾ يعنى بالكنوز جباه كانزيها ﴿وجنوبهم وظهورهم﴾ قال ابن عباس لايوضع دينار على دينار ولادرهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم فى موضع على حدته قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضاء بالكى من بين سائر الاعضاء لان الغنى صاحب المال اذا أتاه السائل فطلب منه شيأ تبدو منه آثار الكراهة والمنع فعند ذلك تقطب وجهه ويكلح وتجتمع أسارير وجهه فيتجعد جبينه ثم ان كرر السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب وألح فى السؤال ولاه ظهره وأعرض عنه واستقبل جهة أخرى وهى نهاية فى الرد والغاية فى المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل وهذا دأب مانعى البر والاحسان وعادة البخلاء فلذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالكى يوم القيامة * وقوله سبحانه وتعالى ﴿هذا ما كنزتم

(فبشرهم بعذاب أليم) ومعنى قوله (يوم يحمى عليها فى نار جهنم) ان النار تحمى عليها أى توقد وانما ذكر الفعل لانه مسند الى الجار والمجرور أصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وخصت هذه الاعضاء لانهم كانوا اذا أبصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم أومعناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم (هذا ما كنزتم

(فبشرهم) يامحمد (بعذاب أليم) وجيع (يوم يحمى عليها) على الكنوز ويقال على النار (فى نار جهنم فتكوى بها) فتضرب بالكنوز (جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا) يقال لهم عقوبة هذا (ما كنزتم) بما جمعتم من الاموال

ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها مابقي من اموالكم وقوله عليه السلام ماادى زكاته فليس بكنز اى بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه (٢) فالمراد منه من لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن

كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما ردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يارسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم ورودها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتعضه بافواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يارسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيأ ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار أخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كلما ردت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها بردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور وقوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الارض الواسع الاملس والعقصاء هي الشاة الملتوية القرنين وانما استثناها لانها لاتؤلم بنطحها وكذا الجلحاء وهي الشاة التي لاقرن لها وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة القرن (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل ماله شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذهب وهي صفة أخبث الحيات والزبيبتان هما الزبدتان في الشدقين واللهزمتان عظمان ناتئان في اللحيين تحت الاذنين ❊ وقوله تعالى ﴿ ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ يعني ولا يؤدون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونهما لانه رد الكناية الى المال المكنوز وهي أعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية الى الفضة لانها أغلب أموال

(ولا ينفقونها في سبيل الله) الضمير راجع الى المعنى لان كل واحد منهما دنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أو أريد الكنوز والاموال أو معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله ❊ فاني وقيار بها لغريب ❊ وقيار كذلك وخصا بالذكر من بين سائر الاموال لانهما قانون التمول وأثمان الاشياء وذكر كنزهما دليل على ماسواهما

ولا ينفقونها) يعني الكنوز (في سبيل الله) في طاعة الله ويقال ولا يؤدون زكاتها

(٢) فالمراد منها من لم يؤد حقها نسخه

أو من المسلمين (خ) عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا بأبي ذر فقلت ما أنزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الى عثمان ان اقدم المدينة فقدمتها فكثر على الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمر على عبد حبشي لسمعت وأطعت واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته وروى عن ابن عمر أنه قال له اعرابي أخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها ويل له هذا كان قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسئل عن الكنز ماهو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا وروى عن علي بن أبي طالب قال أربعة آلاف فما فوقها كنز ومادونها نفقة وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه وروى الطبري بسنده عن أبي امامة قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في أول الاسلام قبل ان تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شئ من المال اخراجه لاحتياج غيره اليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر أنا أفرج عنكم فانطلق فقال يانبي الله انه كبر على أصحابك هذه الآية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب ما بقي من أموالكم وانما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له الا أخبرك بخير مايكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته أخرجه أبو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب والفضة فلو علمنا أي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على ايمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الاقوال القول الاول وهو ماذكرنا عن ابن عمران كل مال أديت زكاته فليس بكنز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وان كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل على ذلك ماروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا

ولو كره المشركون ياايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال النـاس) استعار الاكل للاخذ (بالباطل)
بالرشا في الاحكام (ويصدون) سفلتهم (عن سبيل الله) } دينه (والذين يكنزون
الذهب والفضة) يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين ذميمتين فيهم أخذ الرشا وكنز الاموال والضن بها من الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم كعبد الرحمن ابن عوف وطلحة يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والاقتناء مباح لا يذم صاحبه

يتم نوره ولذلك كرر ﴿ ولو كره المشركين ﴾ غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق اوللرسول عليه الصلاة والسلام واللام في الدين للجنس اى على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال النـاس بالباطل ﴾ يأخذونها بالرشا في الاحكام سمى اخذ المـال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ دينه ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة

فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاديين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل أهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله ﴿ ولو كره المشركون ﴾ قوله تعالى ﴿ ياايها آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ﴾ قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى ﴿ وفي قوله سبحانه وتعالى ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم يأكلوا أموال الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى ﴿ ليأكلون أموال الناس بالباطل ﴾ لان المقصود الاعظم من جمع المـال الاكل فسمى الشئ باسم ما هو أعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من اجله أكلوا أموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا يأخذون الرشـا من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمسامحة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بايديهم كتبا يحرفونها ويبدلونهـا ويقولون هذه من عند الله ويأخذون بهـا ثمنا قليلا وهي المـآكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في كتبهم لانهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار والرهبان يذكرون في تأويلها وجوهـا فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلبا للرياسة وأخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ يعني ويمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾ أصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان لان الله سبحانه وتعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدى نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك انه سبحانه وتعالى لما ذكر قبح طريقة الاحبار والرهبان في الحرص على أخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى وصف أهل الكتاب بالحرص على أخذ أموال الناس بالباطل ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتـاب

(ولو كره) وان كره (المشركون) ان يكون ذلك (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (ان كثيرا من الاحبار) علماء اليهود (والرهبان) أصحاب الصوامع (ليأكلون أموال النـاس بالباطل) بالرشوة والحرام (ويصدون عن سبيل الله) (قاوخا ٥ ؛ لث) عن دين الله وطاعته (والذين يكنزون) يجمعون (الذهب والفضة

﴿ ويأبى الله ﴾ اى لايرضى ﴿ الا ان يتم نوره ﴾ باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم فى طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه فى معنى النفى ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ محذوف الجواب لدلالة ماقبله عليه ﴿ هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم

وثالثها أن دينه الذى أمر به وهو دين الاسلام ليس فيه شئ سوى تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لامره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبرى من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن أراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله سبحانه وتعالى وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين بقوله ﴿ ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ يعنى ويأبى الله الا أن يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذى بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون * قوله عز وجل ﴿ هو الذى أرسل رسوله ﴾ يعنى ان الله الذى يأبى الا أن يتم نوره هو الذى أرسل رسوله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ بالهدى ﴾ يعنى بالقرآن الذى أنزله عليه وجعله هاديا اليه ﴿ ودين الحق ﴾ يعنى دين الاسلام ﴿ ليظهره ﴾ يعنى ليعليه ﴿ على الدين كله ﴾ يعنى على سائر الاديان وقال ابن عباس الهاء فى ليظهره عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لايخفى عليه شئ منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها وهو أن لايعبد الله الا به وقال أبو هريرة والضحاك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى أهل دين الا دخلوا فى الاسلام ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابى هريرة فى حديث نزول عيسى عليه السلام قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ويهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز أو بذل ذليل اما ان يعزهم فيجعلهم من أهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له اخرجه البغوى بغير سند (م) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يارسول الله انى كنت أظن حين أنزل الله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ماشاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لاخير فيه فيرجعون الى دين آبائهم قال الشافعى وقد أظهر الله دين رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان كلها بان ابان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل وقال وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الاميين

ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) مثل حالهم فى طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ فى نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق ليطفئه بنفخه أجرى ويأبى الله مجرى لايريد الله واذا وقع فى مقابلة يريدون والا لايقال كرهت أو أبغضت الا زيدا (هو الذى أرسل رسوله) محمدا عليه السلام (بالهدى) بالقرآن (ودين الحق) الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على أهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين

(ويأبى الله) لايترك الله (الا أن يتم نوره) الا أن يظهر دينه الاسلام (ولو كره) وان كره (الكافرون) ان يكون ذلك (هو الذى أرسل رسوله) محمدا عليه السلام (بالهدى) بالقرآن والايمان (ودين الحق) دين الاسلام شهادة أن لااله الا الله (ليظهره على الدين كله) ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها من قبل ان تقوم الساعة

(فقهر)

كيف يصرفون عن الحق الى الباطل ﴿ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ﴾ بان اطاعوهم فى تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم ﴿ والمسيح ابن مريم ﴾ بان جعلوه ابن الله ﴿ وما امروا ﴾ اى وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ ﴿ الا ليعبدوا ﴾ ليطيعوا ﴿ الها واحدا ﴾ وهو الله تعالى واما طاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته فهو فى الحقيقة طاعة الله ﴿ لا اله الا هو ﴾ صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد ﴿ سبحانه عما يشركون ﴾ تنزيه له عن ان يكون له شريك ﴿ يريدون ان يطفؤا ﴾ يخمدوا ﴿ نور الله ﴾ حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ بافواههم ﴾ بشركهم او بتكذيبهم

بان الله واحد أحد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله سبحانه وتعالى لا يتعجب من شئ ولكن هذا الخطاب على عادة العرب فى مخاطبتهم فالله سبحانه وتعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل * قوله سبحانه وتعالى ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ يعنى أتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء من اليهود والرهبان أصحاب الصوامع من النصارى أربابا من دون الله يعنى أنهم أطاعوهم فى معصية الله تعالى وذلك انهم أحلوا لهم أشياء وحرموا عليهم أشياء من قبل أنفسهم فاطاعوهم فيها فاتخذوهم كالارباب لأنهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن عدى بن حاتم قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال يا عدى اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ فى سورة براءة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قال عبد الله بن المبارك

وهل بدل الدين الا الملوك * وأحبار سوء ورهبانها(١)

﴿ والمسيح ابن مريم ﴾ يعنى اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه البنوة والحلول اعتقدوا فيه الالهية ﴿ وما أمروا ﴾ يعنى وما أمروا فى الكتب القديمة المنزلة عليهم على ألسنة أنبيائهم ﴿ الا ليعبدوا الها واحدا ﴾ لانه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة لا غيره ﴿ لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ﴾ أى تعالى الله وتنزه عن أن يكون له شريك فى العبادة والاحكام وأن يكون له شريك فى الالهية يستحق التعظيم والاجلال * ﴿ يريدون ﴾ يعنى يريد رؤساء اليهود والنصارى ﴿ أن يطفؤا نور الله بافواههم ﴾ يعنى يريد هؤلاء ابطال دين الله الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهى أمور أحدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التى ظهرت على يد النبى صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها القرآن العظيم الذى نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الابد دالة [illegible] صدقه

عن الحق بعد قيام البرهان (اتخذوا) أى أهل الكتاب (أحبارهم) علماءهم (ورهبانهم) نساكهم (أربابا) آلهة (من دون الله) حيث أطاعوهم فى تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله كما يطاع الارباب فى أوامرهم ونواهيهم (والمسيح ابن مريم) عطف على احبارهم أى اتخذوه ربا حيث جعلوه ابن الله (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا) يجوز الوقف عليه لان ما بعده يصلح ابتداء ويصلح صفة لواحدا (لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن الاشراك (يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم

يكذبون (اتخذوا أحبارهم) علماءهم يعنى اليهود (ورهبانهم) واتخذت النصارى أصحاب الصوامع (أربابا) أطاعوهم بالمعصية (من دون الله والمسيح ابن مريم) واتخذوا المسيح بن مريم الها (وما أمروا) فى جملة الكتب (الا ليعبدوا) ليوحدوا (الها واحدا لا اله الا هو سبحانه) نزه نفسه (عما يشركون يريدون أن يطفؤا) يبطلوا (نور الله) دين الله (بأفواههم) بتكذيبهم وبقال بألسنتهم

---

(١) وما بعده قوله « لقد وقع القوم فى جيفة * يبين لذى العلم انتانها » قاله مصححه

ذلك قولهم بأفواههم) أى قول لا يعضده برهان ولا يستند الى بيان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالالفاظ
المهملة (يضاهون قول الذين كفروا من قبل) لابد فيه من حذف مضاف تقد[يره]
يضاهى قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا يعنى ان الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدمائهم يعنى انه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو الضمير للنصارى أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم أقدم منهم يضاهئون عاصم وأصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم امرأة ضهياء وهى التى أشبهت الرجال بانها لاتحيض كذا قاله الزجاج (قاتلهم الله) أى هم أحقاء بان يقال لهم هذا (أنى يؤفكون) كيف يصرفون

ذلك قولهم بأفواههم) بألسنتهم (يضاهئون) يشبهون (قول الذين كفروا من قبل) من قبلهم يعنى أهل مكة لان أهل مكة قالوا اللات والعزى بنات الله وكذلك قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى قال بعضهم المسيح ابن الله وقال بعضهم شريكا وقال بعضهم هو الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة (قاتلهم الله) لعنهم الله (أنى يؤفكون) من أين ([illegible])

﴿ ذلك قولهم بأفواههم ﴾ اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفى للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذى يوجد فى الافواه ولا يوجد مفهومه فى الاعيان ﴿ يضاهئون قول الذين كفروا ﴾ اى يضاهى قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿ من قبل ﴾ اى من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتى شابهت الرجال فى انها لا تحيض ﴿ قاتلهم الله ﴾ دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك وتعجب من شناعة قولهم ﴿ انى يؤفكون ﴾

والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطوران عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلم يعقوب أن عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم فى الخلوة وقال له أنت خالصتى وادع الناس لما علمتك وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم انى رأيت عيسى فى المنام وقد رضى عنى وقال لكل واحد منهم انى سأذبح نفسى تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخر الى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله وقال الامام فخر الدين الرازى بعد ما حكى هذه الحكاية والاقرب عندى ان يقال لعله ذكر لفظ الابن فى الانجيل على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل فى حق ابراهيم على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفشا هذا المذهب الفاسد فى اتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال ﴿ ذلك قولهم بأفواههم ﴾ يعنى انهم يتداولون ذلك القول بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال أهل المعانى لم يذكر الله قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له ﴿ يضاهئون ﴾ قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون ﴿ قول الذين كفروا من قبل ﴾ قال قتادة والسدى معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبى يريد ان من كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال أولوهم ﴿ قاتلهم الله ﴾ قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب أى حق ان يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما أعجب فعله ﴿ أنى يؤفكون ﴾ يعنى أنى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل واقامة الحجة

ابن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله فأنزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عمير انما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن أغنياء فعلى هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد وانما نسب ذلك الى اليهود فى وقالت اليهود جريا على عادة العرب فى ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا منهم وروى عطية العوفى عن ابن عباس أنه قال انما قالت اليهود ذلك من أجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه أن يرد اليه التوراة فبينما هو يصلى مبتهلا الى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت اليه فأذن فى قومه وقال ياقوم قد آتانى الله التوراة وردها الى فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ماشاء الله ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على مافى التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما أوتى عزير هذا الا أنه ابن الله وقال الكلبى ان بختنصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بنى اسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية بعدما أماته الله مائة سنة قال فأتى ملك باناء فيه ماء فشرب منه فمثلت له التوراة فى صدره فلما أتاهم قال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فأمل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان أبى حدثنى عن جدى ان التوراة جعلت فى خابية ودفنت فى كرم فانطلقوا معه حتى أخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة فى قلب عزير الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول كان فاشيا فى اليهود جميعا ثم انه انقطع واندرس فأخبر الله تعالى به عنهم وأظهره عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من انكارهم وأما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان فى اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من اصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فانى ساحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم انه أتى الى النصارى فقالوا له من انت قال أنا عدوكم بولص فقد نوديت من السماء انه ليس لك توبة حتى تتنصر وقد تبت وأتيتكم فادخلوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتا منها لم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمد الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾ انما قاله بعضهم من متقدميهم اوممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ماهذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائى ويعقوب عزيز بالتنوين على انه عربى مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه فى القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف اولالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحرف اللين اولان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا اوصاحبنا وهو مزيف لانه يؤدى الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر ﴿ وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ هوايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلااب اولان يفعل مافعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها

لما وجهه الى اليمن أمره أن يأخذ من كل حالم أى محتلم دينارا أو عدله من المعافرية ثياب تكون باليمن أخرجه أبو داود فالنبى صلى الله عليه وسلم أمره أن يأخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغنى والفقير والمتوسط وفيه دليل على أنه لاتؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى أن على كل موسر أربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول أصحاب الرأى ويدل عليه ماروى عن أسلم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهما ومع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام أخرجه مالك فى الموطأ قال أصحاب الشافعى أقل الجزية دينار لايزاد على الدينار الا بالتراضى فاذا رضى أهل الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى الغنى أربعة دنانير قال العلماء انما أقر أهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف أهل الشرك حرمة لآبائهم الذين انقرضوا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وأيضا فان بأيديهم كتبا قديمة فربما تفكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فأمهلوا لهذا المعنى وليس المقصود من أخذ الجزية من أهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن دمائهم وامهالهم رجاء أن يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بأن يؤمنوا ويصدقوا اذا رأوا محاسن الاسلام وقوة دلائله وكثرة الداخلين فيه ۞ قوله عز وجل ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ الآية لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة أن اليهود والنصارى لايؤمنون بالله ولايدينون دين الحق بينه فى هذه الآية فاخبر عنهم انهم أثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد أشرك به لانه لافرق بين من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا انهم لايؤمنون بالله ولايدينون دين الحق وقد تقدم سبب أخذ الجزية منهم وابقائهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التى بايديهم ولعلهم يتفكرون فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان

(وقالت اليهود) كلهم أو بعضهم (عزير ابن الله) مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمى ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نونه وهو عاصم وعلى فقد جعله عربيا (وقالت النصارى المسيح ابن الله

(وقالت اليهود) يهود أهل المدينة (عزير ابن الله وقالت النصارى) نصارى أهل نجران (المسيح ابن الله

الجزية من الذمى وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضى تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى تؤخذ منهم الا من مشركى العرب لما روى الزهرى انه عليه الصلاة والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها فى كل سنة دينار سواء فيه الغنى والفقير وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى على الغنى ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شئ على الفقير غير الكسوب

من مشركى العجم ولا تؤخذ من مشركى العرب وقال أبو يوسف لا تؤخذ من العربى كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من العجمى كتابيا كان أو مشركا وأما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز الاخذ منهم ويدل عليه ماروى عن بجالة بن عبيدة ويقال عبدة لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر أخرجه البخارى عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما أدرى كيف أصنع فى أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة أهل الكتاب أخرجه مالك فى الموطأ عن ابن شهاب قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحرين وان عمر أخذها من مجوس فارس وان عثمان بن عفان أخذها من البربر أخرجه مالك فى الموطأ وفى امتناع عمر من أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذها منهم دليل على ان رأى الصحابة كان على انها لا تؤخذ من كل مشرك وانما تؤخذ من أهل الكتاب واختلفوا فى أن المجوس هل هم من أهل الكتاب فروى عن على بن أبى طالب أنه قال كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا وقد أسرى على كتابهم فرفع من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم بخلاف أهل الكتاب وأما من دخل فى دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين فينظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فانهم يقرون بالجزية وتحل مناكحتهم وذبائحهم وان كانوا دخلوا فيه بعد النسخ بمجئ محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شريعتهم بشريعته فانهم لا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن شككنا فى أمرهم هل دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم ومنهم نصارى العرب من تنوخ وبهراء وبنى تغلب أقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم وأما الصابئة والسامرة فسبيلهم سبيل أهل الكتاب فهم فى أهل الكتاب كاهل البدع فى المسلمين وأما قدر الجزية فأقلها دينار ولا يجوز أن ينقص عنه ويقبل الدينار من الغنى والفقير والمتوسط ويدل عليه ماروى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

التوراة والانجيل (ولا يدينون دين الحق) ولا يعتقدون دين الاسلام الذى هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين قبله وأما المجوس فملحقون باهل الكتاب فى قبول الجزية وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركى العرب لما روى الزهرى أن النبى عليه السلام صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب (حتى يعطوا الجزية) الى ان يقبلوها وسميت جزية لانه يجب على على أهلها أن يجزوه أى يقضوه أوهى جزاء على الكفر على التحميل فى تذليل (عن يد) أى عن يد مواتية غير ممتنعة ولذا قالوا أعطى بيده اذا انقاد وقالوا نزع يده عن الطاعة أو حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد أحد ولكن عن يد المعطى الى يد الآخذ (وهم صاغرون) أى تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتى بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية ياذمى وان كان يؤديها ويزخ فى قفاه وتسقط بالاسلام

غيره الذى يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ﴿ ولا يدينون دين الحق ﴾ الثابت الذى هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها ﴿ من الذين اوتوا الكتاب ﴾ بيان للذين لايؤمنون ﴿ حتى يعطوا الجزية ﴾ ماتقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه ﴿ عن يد ﴾ حال من الضمير اى عن يد مواتية بمعنى منقادين اوعن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه اوعن غنى ولذلك قيل لاتؤخذ من الفقير اوعن يد قاهرة عليهم بمعنى اذلاء عاجزين اوعن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة اومن الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد ﴿ وهم صاغرون ﴾ اذلاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال تؤخذ

لايعملون بمافى التوراة والانجيل بل حرفوهما وأتوا باحكام من قبل أنفسهم ﴿ ولا يدينون دين الحق ﴾ يعنى ولايعتقدون صحة الاسلام الذى هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولايدينون دين الله ودينه الاسلام وهو قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقيل معناه ولايدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولايطيعون الله كطاعتهم ﴿ من الذين أوتوا الكتاب ﴾ يعنى أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى ﴿ حتى يعطوا الجزية ﴾ وهى مايعطى المعاهد من أهل الكتاب على عهده وهى الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتزاء بها فى حقن دمائهم ﴿ عن يد ﴾ يعنى عن قهر وغلبة يقال لكل من أعطى شيأ كرها من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال ابن عباس يعطونها بايديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا لانسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها منهم ﴿ وهم صاغرون ﴾ من الصغار وهو الذل والاهانة يعنى يعطون الجزية وهم أذلاء مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قائمون والقابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من أحدهم وتوطأ عنقه وقال الكلبى اذا أعطى يصفع قفاه وقيل هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب فى لهزمتيه ويقال له أدحق الله ياعدو الله وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الصغار هو جريان أحكام المسلمين عليهم

﴿ فصل فى بيان أحكام الآية ﴾

اجتمعت الامة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا عربا واختلفوا فى أهل الكتاب العرب وفى غير أهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعى الى ان الجزية على الاديان لاعلى الانساب فتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجما ولاتؤخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج بماروى عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى أكيدر دومة فاخذه فاتوا به فحقن دمه وصالحه على الجزية أخرجه أبو داود وقال الشافعى وهو رجل من العرب يقال انه من غسان وأخذ من أهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعى الى ان الجزية تؤخذ من جميع الكفار الا المرتد وقال أبو حنيفة تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ

(ولا يدينون دين الحق) لا يخضعون لله بالتوحيد ثم بين من هم فقال (من الذين أوتوا الكتاب) أعطوا الكتاب يعنى اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية عن يد) عن قيام من يد فى يد (وهم صاغرون) ذليلون (من

وانقطاع ماكان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق ﴿ فسوف يغنيكم الله من فضله ﴾ من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية اوحال ﴿ ان شاء ﴾ قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على انه تعالى متفضل فى ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام ﴿ ان الله عليم ﴾ باحوالكم ﴿ حكيم ﴾ فيما يعطى ويمنع ﴿ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ اى لايؤمنون بهما على ماينبغى كما بيناه فى اول البقرة فايمانهم كلا ايمان ﴿ ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ﴾ ماثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله

ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وان خفتم عيلة ﴿ فسوف يغنيكم الله من فضله ﴾ قال عكرمة فاغناهم الله بان أنزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها ﴿ ان شاء ﴾ قيل انما شرط المشيئة فى الغنى المطلوب ليكون الانسان دائم التضرع والابتهال الى الله تعالى فى طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العبد امله من كل أحد الا من الله عز وجل فانه هو القادر على كل شئ وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية الادب كما فى قوله تبارك وتعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ﴿ ان الله عليم ﴾ يعنى بما يصلحكم ﴿ حكيم ﴾ يعنى أنه تعالى لايفعل شيأ الا عن حكمة وصواب فمن حكمته ان منع المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية والذل والصغار على أهل الكتاب فقال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ قال مجاهد نزلت الآية حين أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبى نزلت فى قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت أول جزية اصابها اهل الاسلام وأول ذل أصاب اهل الكتاب بايدى المسلمين وهذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين والمعنى قاتلوا أيها المؤمنون القوم الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فان قلت اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله عنهم أنهم لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت ايمانهم بالله ليس كايمان المؤمنين وذلك ان اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس بمؤمن بالله وقيل من اعتقد ان عزيرا ابن الله وان المسيح ابن الله فليس بمؤمن بالله بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس بمؤمن بالله واليهود والنصارى يكذبون أكثر الانبياء فليسوا بمؤمنين بالله وأما ايمانهم باليوم الآخر فليس كايمان المؤمنين وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان أهل الجنة لايأكلون فيها ولايشربون ولاينكحون ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كايمان المؤمنين وان زعم انه مؤمن * وقوله تعالى ﴿ ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ﴾ يعنى ولايحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه أنهم لايحرمون ماحرم الله فى القرآن ولا ماحرم رسوله فى السنة وقيل معناه

والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من الغنائم أو المطر والنبات أو من متاجر حجيج الاسلام (ان شاء) هو تعليم لتعليق الامور بمشيئة الله تعالى لتنقطع الآمال اليه (ان الله عليم) باحوالكم (حكيم) فى تحقيق آمالكم أو عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم وأراد ونزل فى أهل الكتاب (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله) لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة (ولا باليوم الآخر) لانهم فيه على خلاف مايجب حيث يزعمون ان لا أكل فى الجنة ولا شرب (ولايحرمون ماحرم الله ورسوله) لانهم لايحرمون ماحرم فى الكتاب والسنة أو لايعملون بما فى

(فسوف يغنيكم الله من فضله) من رزقه من وجه آخر (ان شاء) حيث شاء ويغنيكم عن تجارة بكر بن وائل (ان الله عليم) بأرزاقكم (حكيم) فيما حكم عليكم (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) ولا بنعيم الجنة (ولايحرمون) فى التوراة (ماحرم الله ورسوله

لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهى عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك رحمه الله سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ بعد عامهم هذا ﴾ يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة حجة الوداع ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ فقرا بسبب منعهم من الحرم

المراد منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرم ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرم أراد به الحرم لانه أسرى به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ قال العلماء وجملة بلاد الاسلام فى حق الكفار ثلاثة أقسام ٠ أحدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان أو مستأمنا لظاهر هذه الآية وبه قال الشافعى وأحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام فى الحرم فلا يأذن له فى دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم ٠ القسم الثانى من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامى ونصفها حجازى وقيل كلها حجازى وقال ابن الكلبى حد الحجاز ما بين جبل طئ وطريق العراق سمى حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز بين نجد والسراة وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشأم قال الحربى وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها أكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة أيام (م) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها الا مسلما زاد فى رواية لغير مسلم وأوصى فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلاهم عمر فى خلافته وأجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب أخرجه مالك فى الموطأ مرسلا (م) عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد يئس ان يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادى الى أقصى اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حد جزيرة العرب من أقصى عدن ابين الى ريف العراق فى الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى أطراف الشام عرضا ٠ والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر ان يقيم فيها بعهد وأمان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم ﴿ قوله عز وجل ﴿ بعد عامهم هذا ﴾ يعنى العام الذى حج فيه أبو بكر الصديق بالناس وفيه نادى على ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ يعنى فقرا وفاقة وذلك ان أهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون الى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف اهل مكة من الفقر وضيق العيش فذكروا

فى الجاهلية (بعد عامهم هذا) وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر رضى الله عنه على الموسم ويكون المراد من نهى القربان النهى عن الحج والعمرة وهو مذهبنا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا وعند الشافعى رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره وقيل نهى المشركين أن يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم منه (وان خفتم عيلة) أى فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم فى قدومهم عليكم من الارفاق

والطواف (بعد عامهم هذا) عام البراءة يوم النحر (وان خفتم عيلة) الفقر والحاجة

(ذلك)

للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يفروا ﴿ وانزل جنودا لم تروها ﴾ باعينكم يعنى الملائكة وكانوا خمسة آلاف اوثمانية اوستة عشر الفا على اختلاف الاقوال ﴿وعذب الذين كفروا ﴾ بالقتل والاسر والسبى ﴿ وذلك جزاء الكافرين ﴾ اى مافعل بهم جزاء كفرهم فى الدنيا ﴿ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ﴾ منهم بالتوفيق للاسلام ﴿والله غفور رحيم ﴾ يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسلموا وقالوا يارسول الله انت خير الناس وابرهم وقدسبى اهلونا واولادنا و اخذت اموالنا وقدسبى يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم مالا يحصى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اختاروا اما سبايا كم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبى وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لافليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لايرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قدرضوا ﴿ ياايها الذين آمنوا انما المشركون نجس ﴾ لخبث باطنهم اولانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس اولانهم لايتطهرون ولايجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد فى كبد واكثر ماجاء تابعا لرجس ﴿فلايقربوا المسجد الحرام ﴾

﴿وأنزل جنودا لم تروها﴾ يعنى الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم لاللقتال لان الملائكة لم تقاتل الايوم بدر ﴿وعذب الذين كفروا ﴾ يعنى بالاسر والقتل وسبى العيال والاموال ﴿وذلك جزاء الكافرين﴾ يعنى فى الدنيا ثم اذا أفضوا الى الآخرة كان لهم عذاب أشد من ذلك العذاب وأعظم ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ يعنى فيهديه الى الاسلام كما فعل بمن بقى من هوازن حيث أسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فمن عليهم وأطلق سبيهم ﴿والله غفور ﴾ لمن تاب ﴿ رحيم ﴾ بعباده * قوله عزوجل ﴿ياأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس﴾ قيل أراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من أصناف الكفار وقيل بل أراد جميع أصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشئ القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشئ الخبيث وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لانجاسة العين سموا نجسا على الذم لان الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم وقيل هم أنجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ ويروى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الاول أصح وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلايغتسلون ويحدثون فلايتوضؤن ﴿فلايقربوا المسجد الحرام﴾

أنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة وكانوا ثمانية آلاف أو خمسة آلاف أوستة عشر ألفا (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبى النساء والذرارى (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) وهم الذين أسلموا منهم (والله غفور) بستر كفر العدو بالاسلام (رحيم) بنصر الولى بعد الانهزام (ياايها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أى ذو نجس وهو مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا لان معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولانهم لايتطهرون ولايغتسلون ولايجتنبون النجاسات فهى ملابسة لهم أوجعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة فى وصفهم بها (فلايقربوا المسجد الحرام) فلايحجوا ولايعتمروا كما كانوا يفعلون

وانزل جنودا) من السماء (لم تروها) يعنى الملائكة بالنصرة لكم (وعذب الذين كفروا) بالقتل والهزيمة يعنى قوم مالك بن عوف الدهمانى وقوم كنانة بن عبدياليل الثقفى (وذلك جزاء الكافرين) فى الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك) القتال والهزيمة (على من يشاء) على من تاب منهم (والله غفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب (ياأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قذر (فلايقربوا المسجد الحرام) بالحج

(اذ) بدل من يوم (أعجبتكم كثرتكم) فادرك المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنو
فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت فى مركزه ليس معه الا عم
العباس آخذا بلجام دابته وأبوسفيان بن الحرث ابن عمه آخذا بركابه فقال
للعباس صح بالناس وكان صيتا فنادى يا أصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة وعليهم الثياب البيض على خيول بلق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزم وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر (فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور فى موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أى ملتبسا بها والمعنى لم تجدوا موضعا لفراركم عن أعدائكم فكأنها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم انهزمتم (ثم أنزل الله سكينته) رحمته التى سكنوا بها وامنوا (على رسوله وعلى المؤمنين

(اذ أعجبتكم كثرتكم) كثرة جوعكم وكانوا عشرة آلاف رجل (فلم تغن عنكم) كثرتكم من الهزيمة (شيأ وضاقت عليكم الارض) من الخوف (بما رحبت) بسعتها (وانزل
(ثم وليتم مدبرين) منهزمين من العدو وكان عددهم أربعة آلاف رجل (ثم انزل الله سكينته) طمانينته (على رسوله وعلى المؤمنين

﴿اذ اعجبتكم كثرتكم﴾ منه ان يعطف على موضع فى مواطن فانه لا يقتضى تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم واعجابها اياهم فى جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثنى عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبى صلى الله عليه وسلم او ابو بكر رضى الله عنه اوغيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مركزه ليس معه الا عمه العباس رضى الله عنه آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان ابن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى ياعباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حمى الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا ﴿فلم تغن عنكم﴾ اى الكثرة ﴿شيئا﴾ من الاغناء اومن امر العدو ﴿وضاقت عليكم الارض بما رحبت﴾ برحبها اى سعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن فيه نفوسكم من شدة الرعب اولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ﴿ثم وليتم﴾ الكفار ظهوركم ﴿مدبرين﴾ منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ﴿ثم انزل الله سكينته﴾ رحمته التى سكنوا بها وآمنوا ﴿على رسوله وعلى المؤمنين﴾ الذين انهزموا واعادة الجار

فاخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا فهذا الذى بلغنا من سبى هوازن وأنزل الله عز وجل فى قصة حنين لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين ﴿اذ أعجبتكم كثرتكم﴾ يعنى حين قلتم لن نغلب اليوم من قلة ﴿فلم تغن عنكم﴾ يعنى كثرتكم ﴿شيأ﴾ يعنى ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعونته ﴿وضاقت عليكم الارض بما رحبت﴾ يعنى بسعتها وفضائها ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ يعنى منهزمين ﴿ثم أنزل الله سكينته﴾ يعنى بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والامنة وهى فعيلة من السكون وذلك ان الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحركا واذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن ﴿ وقوله عز وجل ﴿على رسوله وعلى المؤمنين﴾ انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب فى هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر

فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من أدم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقهاء الانصار اماذوو رأينا يارسول الله لم يقولوا شيأ وأما أناس منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى أعطى رجالا حديثى عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون ان تذهب الناس بالاموال وترجعوا الى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ماتنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يارسول الله قدرضينا قال فانكم ستجدون بعدى أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد فى رواية قال أنس فلم نصبر ﴿ ق ﴾ عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم فى الناس فى المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيأ فكأنهم وجدوا اذلم يصبهم ماأصاب الناس فخطبهم فقال يامعشر الانصار ألم أجدكم ضالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فالفكم الله بى وعالة فأغناكم الله بى كلما قال شيأ قالوا الله ورسوله أمن قال فما منعكم أن تجيبوا رسول الله كلما قال شيأ قالوا الله ورسوله أمن قال لوشئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أترضون أن تذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبوا بالنبى الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولوسلك الناس واديا أوشعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار ﴿م﴾ عن رافع بن خديج قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

أتجعل نهبى ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع
فما كان حصن ولاحابس * يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن يخفض اليوم لايرفع

قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ﴿خ﴾ عن المسور ومروان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه ان يرد عليهم مالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معى من ترون وأحب الحديث الى أصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما المال واما السبى وقد كنت استأنيت بكم وفى رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدى الطائفتين قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فاثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين وانى قد رأيت ان أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يارسول الله فقال لهم فى ذلك انا لاندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

أرى قال فوالله ماهو الا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا قوله حمى الوطيس أى اشتد الحرب قال الخطابى هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها النبى صلى الله عليه وسلم من العرب وهى مما اقتضبه وأنشأه والوطيس فى اللغة التنور وقوله حدهم كليلا يعنى لا يقطع شيأ ﴿ م ﴾ عن سلمة بن الاكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين أخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبير أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وروى ان رجلا من بنى نضر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بأيديهم فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وروى أن رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا وأصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة أن كشفناهم فبينا نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا فكانت اياها واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح أنها لم تقاتل الا يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مددا وعونا وذكر البغوى أن الزهرى قال بلغنى أن شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن ابى طلحة وكانا قد قتلا يوم أحد فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما فى نفسى فالتفت الى وضرب فى صدرى وقال أعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرائصى فنظرت اليه وهو أحب الى من سمعى وبصرى فقلت أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطلعك الله على ما فى نفسى فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا أوطاس وبها عيالهم وأموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاشعريين يقال له أبو عامر وأمره على الجيش فسار الى أوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيال المشركين وهرب أميرهم مالك بن عوف النصرى فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأهله فيمن أخذ وقتل أبو عامر امير المسلمين قال الزهرى أخبرنى سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف صبى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم وأتى الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين وأوطاس وتألف أناسا منهم أبو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فأعطاهم ﴿ق﴾ عن أنس بن مالك ان ناسا من الانصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس

﴿ فحدث ﴾

واستنصر وهو يقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبدالمطلب اللهم أنزل نصرك زاد أبوخيثمة ثم صفهم قال البراء كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن أبى اسحق قال قال رجل للبراء بن عازب يا أباعمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ماولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤه حسرا ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوما رماة لايكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبنى نصر فرشقوهم رشقا مايكادون يخطؤن فأقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأبوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب يقود به فنزل ودعا واستنصر وقال أنا النبى لا كذب أنا ابن عبدالمطلب ثم صفهم وروى شعبة عن أبى اسحق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوما رماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر قوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم مايعوقهم والحسر جمع حاسر وهوالذى لادرع عليه يقال اذا رمى القوم باسرهم الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا احمر البأس يعنى اذا اشتد الحرب والبأس بالموحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبى كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه العباس بن عبدالمطلب وابن عمه أبوسفيان بن الحرث وأيمن ابن أم أيمن قتل يوم حنين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أيمن أخو اسامة بن زيد لامه أمهما بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته (م) عن العباس بن عبدالمطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن نفاثة الجذامى فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ارادة أن لاتسرع وأبوسفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتى أين أصحاب السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها فقالوا لبيك لبيك قال فاقتتلوا الكفار والدعوة فى الانصار يقولون يامعشر الانصار يامعشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بنى الحرث بن الخزرج فقالوا يابنى الحرث بن الخزرج يابنى الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمى الوطيس قال ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت أنظر فاذا القتال على هيئته فيما

﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ لا يرشدهم وفى الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص منه ﴿لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة﴾ يعنى مواطن الحرب هى مواقعها ﴿ويوم حنين﴾ وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر فى ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله

أمر تهديد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعنى بفتح مكة ﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ يعنى الخارجين عن طاعته وفى هذا دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا * قوله عز وجل ﴿لقد نصركم الله﴾ النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم ﴿فى مواطن كثيرة﴾ يعنى أماكن كثيرة والمراد بها غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر فى الصحيحين من حديث زيد بن أرقم تسع عشرة غزوة زاد بريدة فى حديثه قاتل فى ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ﴿ويوم حنين﴾ يعنى ونصركم الله فى يوم حنين أيضا فاعلم الله سبحانه وتعالى انه هو الذى يتولى نصر المؤمنين فى كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذى المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف فى اثنى عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبى كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصرى وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش لن نغلب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفى رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم الى أنفسهم وذكر ابن الجوزى عن سعيد بن المسيب ان القائل لذلك أبو بكر الصديق وحكى ابن جرير الطبرى ان القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان فى جميع أحواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما يأتى من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذرارى ثم تنادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا (ق) عن أبى اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال أشهد على نبى الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق اخفاء من الناس وحسر الى هذا الحى من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحرث يقود به بغلته فنزل ودعا

مكة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) والآية تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين اذ لا تجد عند أورع الناس ما يستحب له دينه على الآباء والابناء والاموال والحظوظ (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) كوقعة بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة وقيل ان المواطن التى نصر الله فيها النبى عليه السلام والمؤمنون ثمانون موطنا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها (ويوم) أى واذكروا يوم (حنين) واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله عليه الصلاة والسلام

(والله لا يهدى) لا يرشد الى دينه (القوم الفاسقين) الكافرين من لم يكن أهلا لدينه (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) فى مشاهد كثيرة عند القتال (ويوم حنين) خاصة وهو واد بين مكة والطائف

استحبوا الكفر على الايمان) اى آثروه واختاروه (ومن يتولهم منكم) اى ومن يتول الكافرين (فاولئك هم الظالمون
ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) اقاربكم وعشيراتكم أبو بكر (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها
بتجارة تخشون كسادها) بفوات وقت نفاقها(ومساكن ترضونها أحب اليكم من
الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره) وهو عذاب عاجل أو عقاب آجل أو فتح

فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لاتتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ﴿ان استحبوا الكفر على الايمان﴾ ان اختاروه وحرضوا عليه ﴿ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون﴾ بوضعهم الموالاة في غير موضعها ﴿قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم﴾ اقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم ﴿واموال اقترفتموها﴾ اكتسبتموها ﴿وتجارة تخشون كسادها﴾ فوات وقت نفاقها ﴿ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله﴾ الحب الاختيارى دون الطبيعى فانه لايدخل تحت التكليف والتحفظ عنه ﴿فتربصوا حتى يأتى الله بأمره﴾ جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة

وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حمل هذه الآية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهى من آخر القرآن نزولا والاقرب أن يقال ان الله سبحانه وتعالى لما أمر المؤمنين بالتبرى من المشركين قالوا كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه فذكر الله أن مقاطعة الرجل أهله وأقاربه فى الدين واجبة فالمؤمن لايوالى الكافر وان كان أباه وأخاه وابنه وهو قوله تعالى ﴿ان استحبوا الكفر على الايمان﴾ يعنى ان اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله ﴿ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون﴾ يعنى ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختيار الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا فانزل الله سبحانه وتعالى ﴿قل﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ﴿ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم﴾ وقرئ على الجمع وعشيراتكم العشيرة هم الادنون من أهل الانسان الذين يعاشرونه دون غيرهم ﴿وأموال اقترفتموها﴾ يعنى اكتسبتموها ﴿وتجارة تخشون كسادها﴾ يعنى بفراقكم لها ﴿ومساكن ترضونها﴾ يعنى تستوطنونها راضين بسكناها ﴿أحب اليكم من الله ورسوله﴾ يعنى أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله ﴿وجهاد فى سبيله﴾ فبين الله سبحانه وتعالى انه يجب تحمل جميع المضار فى الدنيا ليبقى الدين سليما وأخبر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل الله ﴿فتربصوا﴾ أى فانتظروا ﴿حتى يأتى الله بأمره﴾ يعنى بقضائه وهذا

(ان استحبوا الكفر على الايمان) اختاروا الكفر على الايمان (ومن يتولهم منكم) فى الدين (فأولئك هم الظالمون) الكافرون مثلهم ويقال ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم من المؤمنين الذين بمكة الذين منعوكم عن الهجرة أولياء فى العون والنصرة ان استحبوا الكفر اختاروا دار الكفر يعنى مكة على الايمان على دار الاسلام يعنى المدينة ومن يتولهم منكم فى العون والنصرة فأولئك هم الظالمون الضارون بأنفسهم (قل) يا محمد (ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) قومكم الذين هم بمكة (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) أن لاتنفق بالمدينة (ومساكن) منازل (ترضونها) تشتهون الجلوس فيها (أحب اليكم من الله) من طاعة الله (قا و خا ١٣ لث)(ورسوله) ومن الهجرة الى رسوله (وجهاد) ومن جهاد (فى سبيله) فى طاعته (فتربصوا) فانتظروا (حتى يأتى الله بأمره) بعذابه يعنى القتل يوم فتح مكة ثم هاجروا بعد ذلك

(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أولئك (أعظم درجة عند الله) من أهل السقاية والعمارة (وأولئك هم الفائزون) لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم (يبشرهم ربهم) يبشرهم حمزة (برحمة منه ورضوان وجنات) تنكير المبشر لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف (لهم فيها) فى الجنات (نعيم مقيم) دائم (خالدين فيها أبدا ان الله عنده اجر عظيم) لا ينقطع لما أمر الله النبى عليه السلام بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه ولأخيه ولقرابته انا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من تتعلق به زوجته أو ولده فتقول تدعنا بلا شئ فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء

(الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا فى سبيل الله) فى طاعة الله (بأموالهم وأنفسهم) بنفقة أموالهم وبخروج أنفسهم (أعظم درجة) فضيلة (عند الله) من غيرهم (وأولئك هم الفائزون) فازوا بالجنة ونجوا من النار (يبشرهم ربهم برحمة) بنجاة (منه) من الله من العذاب (ورضوان) برضا ربهم عنهم (وجنات) وأصدقاء بجنات (لهم فيها نعيم مقيم) دائم لا ينقطع (خالدين فيها أبدا) [illegible] ولا يخرجون (ان الله عنده أجر عظيم) ثواب وافر لمن آمن به (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم) الذين بمكة من الكفار (أولياء) فى الدين

فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله ﴾ اعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم تستجمع فيه هذه الصفات أو من اهل السقاية والعمارة عندكم ﴿ واولئك هم الفائزون ﴾ بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم ﴿ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها ﴾ فى الجنات ﴿ نعيم مقيم ﴾ دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف ﴿ خالدين فيها ابدا ﴾ أكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ﴿ ان الله عنده اجر عظيم ﴾ يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله أو نعيم الدنيا ﴿ ياايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ﴾ نزلت فى المهاجرين

من حاجة ولا بخل انما قدم النبى صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتيناه باناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم أو أجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع فى الماء غدوة ويشرب عشاء أو ينقع عشاء ويشرب غدوة وهذا حلال فان غلى وحمض حرم ﴿ قوله عز وجل ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ﴾ يعنى ان من كان موصوفا بهذه الصفات يعنى الايمان والهجرة والجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس كان أعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وانما لم يذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الاطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله فى الآخرة ﴿ وأولئك ﴾ يعنى من هذه صفتهم ﴿ هم الفائزون ﴾ يعنى بسعادة الدنيا والآخرة ﴿ يبشرهم ربهم ﴾ يعنى يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار الذى يفرح الانسان عند سماعه وتستنير بشرة وجهه عند سماعه ذلك الخبر السار ﴿ ثم ذكر الخبر الذى يبشرهم به فقال تعالى ﴿ برحمة منه ورضوان ﴾ وهذا أعظم البشارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده ﴿ وجنات لهم فيها نعيم مقيم ﴾ يعنى أن نعيم الجنة دائم غير منقطع أبدا ﴿ خالدين فيها ﴾ يعنى فى الجنان وفى النعيم ﴿ أبدا ﴾ يعنى لا انقطاع له ﴿ ان الله عنده أجر عظيم ﴾ يعنى لمن عمل بطاعته وجاهد فى سبيله ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ﴾ قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت فى قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون ننشدك الله أن لا تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وانزل ياايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء يعنى بطانة

كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين) السقاية والعمارة مصدران

من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولابد محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لانهم وضعوا المدح والفخر فى غير موضعهما نزلت جوابا لقول العباس حين أسر فطفق على رضى الله عنه يوبخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم تذكر مساوينا وتدع محاسننا فقيل أولكم محاسن فقال نعمر المسجد ونسقى الحاج ونفك العانى وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلى رضى الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا

كمن آمن بالله كايمان من امن بالله يعنى البدرى (واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت (وجاهد فى سبيل الله) فى طاعة الله يوم بدر (لا يستوون عند الله) فى الطاعة والثواب (والله لا يهدى) لا يرشد الى دينه (القوم الظالمين) المشركين من لم يكن اهلا لذلك

كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ﴾ السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لابد من اضمار تقديره أجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله ﴿ لا يستوون عند الله ﴾ وبين عدم تساويهم بقوله ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ أى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم منهمكون فى الضلالة

عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الى آخرها وقيل قال العباس حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج فانزل الله هذه الآية وأخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبى ومحمد بن كعب القرظى نزلت فى على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن أبى شيبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدى مفاتيحه وقال العباس وأنا صاحب السقاية والقيام عليها وقال على ما أدرى ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الآية أجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهى سقى الحاج وكان العباس بن عبد المطلب بيده سقاية الحاج وكان يليها فى الجاهلية فلما جاء الاسلام وأسلم العباس أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعنى بناءه وتشييده ومرمته ﴿ كمن آمن بالله واليوم الآخر ﴾ فيه حذف تقديره كايمان من آمن بالله واليوم الآخر ﴿ وجاهد فى سبيل الله ﴾ أى وكجهاد من جاهد فى سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر تقديره أجعلتم ساقى الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ﴿ لا يستوون عند الله ﴾ يعنى لا يستوى حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا فى سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا الا مع الايمان به ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال اسقنى فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال اسقنى فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذا يعنى عاتقه (م) عن بكر بن عبد الله المزنى قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه أعرابى فقال مالى أرى بنى عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ أمن حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا

واقام الصلوة وآتى الزكوة﴾ يعني انما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية و من عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة عليه ﴿ولم يخش الا الله﴾ أى في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لايكاد الرجل العاقل يتمالك عنها ﴿فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين﴾ ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

وتعالى قال بعد الايمان بالله واليوم الآخر ﴿وأقام الصلوة وآتى الزكوة﴾ وكان ذلك مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أقام الصلاة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار باقامة الصلاة وايتاء الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد أقام الصلاة وآتى الزكاة لان عمارة المسجد انما تلزم لاقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المسجد الا اذا كان مؤديا للزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه * قوله عز وجل ﴿ولم يخش الا الله﴾ يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك أمر الله لخشية الناس ﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ وعسى من الله واجب يعني وأولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح النزل ما يهيأ للضيف عند نزوله بالقوم (ق) عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجدا يبتغي به وجه الله تعالى بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى الله له في الجنة مثله وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان او كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه الترمذي عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى مسجدا يذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه النسائي * قوله سبحانه وتعالى ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾ الآية (م) عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم

عليه قوله (وأقام الصلوة وآتى الزكوة) وفي قوله (ولم يخش الا الله) تنبيه على الاخلاص والمراد الخشية في أبواب الدين بأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف اذ المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم لان عسى كلمة طماع والمعنى انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها عند الله دون من سواهم (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

بالبعث بعد الموت (وأقام الصلوة) أتم الصلوات الخمس (وآتى الزكوة) أدى الزكاة المفروضة (ولم يخش) ولم يعبد (الا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين) بدين الله وحجته وعسى من الله واجب ثم نزلت في رجل من المشركين أسر يوم بدر فافتخر على علي أو على رجل من أهل بدر فقال نحن نسقي الحاج ونعمر المسجد الحرام ونفعل كذا فقال الله (أجعلتم سقاية الحاج) اقلتم ان سقي الحاج (وعمارة المسجد الحرام

عمرو ويعقوب بالتوحيد ﴿شاهدين على انفسهم بالكفر﴾ باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى مااستقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له على رضى الله تعالى عنه فى القول فقال مابالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى فنزلت ﴿اولئك حبطت اعمالهم﴾ التى يفتخرون بها بما قارنها من الشرك ﴿وفى النار هم خالدون﴾ لاجله ﴿انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

(شاهدين على انفسهم بالكفر) باعترافهم بعبادة الاصنام وهو حال من الواو فى يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين أمرين متضادين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته (أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون) دائمون (انما يعمر مساجد الله) عمارتها رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا لانها بنيت للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم (من آمن بالله واليوم الآخر) ولم يذكر الايمان بالرسول عليه السلام لما علم ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاقترانهما فى الاذان والاقامة وكلمة الشهادة وغيرها أودل

الكافر المسجد بالاذن ان النبى صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سوارى المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها * قوله عز وجل ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ يعنى لايدخلون المساجد فى حال كونهم شاهدين وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب وقال ابن عباس رضى الله عنه شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام فلم يزدادوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدى شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو ان النصرانى يسئل من أنت فيقول نصرانى واليهودى يقول يهودى والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس رضى الله عنه فى رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من أنفسهم ﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ يعنى الاعمال التى عملوها فى حال الكفر من أعمال البر مثل قرى الضيف وسقى الحاج وفك العانى لانها لم تكن لله فلم يكن لها تأثير مع الكفر ﴿وفى النار هم خالدون﴾ يعنى من مات منهم على كفره * قوله عز وجل ﴿انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له أن يعمر مساجد الله بين فى هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فان الايمان بالله شرط فيمن يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذى يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع أن يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر يعنى وآمن باليوم الآخر وانه حق كائن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء أجره انما يكون فى الآخرة فمن أنكر الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قلت لم لم يذكر الايمان برسول الله مع أن الايمان به شرط فى صحة الايمان قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل فى الايمان بالله فان من آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لان من جهته عرف الايمان بالله واليوم الآخر لانه هو الداعى الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوة طلبا للرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعا الى الايمان بالله واليوم الآخر لا لطلب الرياسة والملك فلذلك قال سبحانه وتعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وترك ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه تبارك

شاهدين على أنفسهم) بتلبيتهم (بالكفر أولئك حبطت أعمالهم) بطلت حسناتهم فى الكفر (وفى النار هم خالدون) لايموتون ولايخرجون منها (انما يعمر مساجد الله) المسجد الحرام (من آمن بالله واليوم الآخر)

في سبيل الله او جد الله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما

 معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك متوقع

كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم الله يميز بينهم وبين المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقولك ما علم الله مني ما قيل في تريد ما وجد ذلك مني والمعنى أحسبتم ان تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين (والله خبير بما تعملون) من خير أو شر فيجازيكم عليه (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمروا مساجد الله) مسجد الله مكي وبصري يعني المسجد الحرام وانما جمع في القراءة بالجمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد [illegible] جنس المساجد واذا لم يصح ان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس وهو آكد اذ طريقه طريق الكناية [illegible] الله كنت أنفي لقراءته القرآن من تصريحك بذلك

﴿ [illegible] يتخذوا ﴾ [illegible] في [illegible] ﴿ من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴾ بطانة [illegible] يفشون اليهم اسرارهم [illegible] معنى التوقع منبهة على ان تبين ذلك متوقع ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ﴿ ما كان للمشركين ﴾ ما صح لهم ﴿ ان يعمروا مساجد الله ﴾ شيأ من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي

أي العمل الذي يجازي عليه لانه انما يجزي على ما عملوا ﴿ ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴾ قال الفراء الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون اليهم أسرارهم وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء أولياء يعني لا تتخذوا المشركين أولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال أبو عبيدة كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة من الولوج فوليجة الرجل من يختص بدخيلة أمره دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذه الانسان معتمدا عليه وليس من قولهم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهي المؤمنين عن موالاة المشركين وان يفشوا اليهم أسرارهم ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ يعني من موالاة المشركين واخلاص العمل لله وحده * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ما كان للمشركين ان يعمروا مسجد الله ﴾ يعني به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام أيضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من رؤساء كفار قريش أسروا يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم من محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نحن نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت هذه الآية ما كان للمشركين أي ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله أوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له أن يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين أحدهما ان المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني أن المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير اذن مسلم حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر وان دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول

(ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين) المخلصين (وليجة) بطانة من الكفار (والله خبير ﴿ الكافر ﴾ بما تعملون) من خير والشر في الجهاد وغيره (ما كان للمشركين) ما ينبغي للمشركين (أن يعمروا مساجد الله

يغلبكم عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) طائفة منهم وهم خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله

هذه المواعد كلها فكان دليلا على صحة نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام واخبار بان بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم كابى سفيان وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وهى ترد على المعتزلة قولهم ان الله تعالى شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لايتوبون باختيارهم (والله عليم) يعلم ماسيكون كما يعلم ماقد كان (حكيم) فى قبول التوبة (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أم منقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان أى لاتتركون على ماأنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا

والتمكن من قتلهم واذلالهم ﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ يعنى بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ﴿ ويذهب غيظ قلوبهم ﴾ لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات ﴿ ويتوب الله على من يشاء ﴾ ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين ﴿ والله عليم ﴾ بما كان وما سيكون ﴿ حكيم ﴾ لايفعل ولايحكم الا على وفق الحكمة ﴿ أم حسبتم ﴾ خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ﴿ ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه

﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ يعنى ويبرئ داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تأذيه من خصمه ثم مكنه الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدى أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعانت قريش بنى بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بنى بكر حتى أخذوا بثارهم منهم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿ ويذهب غيظ قلوبهم ﴾ يعنى ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بنى بكر روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بنى بكر الى العصر ذكره البغوى بغير سند * ثم قال تعالى ﴿ ويتوب الله على من يشاء ﴾ هذا كلام مستأنف ليس له تعلق بالاول والمعنى ويهدى الله من يشاء الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة من الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كما فعل بابى سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا من أئمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا ﴿ والله عليم ﴾ يعنى بسرائر عباده ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام ﴿ حكيم ﴾ يعنى فى جميع أفعاله * قوله عز وجل ﴿ أم حسبتم أن تتركوا ﴾ هذا من الاستفهام المعترض فى وسط الكلام ولذلك أدخلت فيه أم لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ والمعنى أظننتم أيها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب ﴿ ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ أراد بالعلم المعلوم لان وجود الشئ يلزمه معلوم الوجود عند الله لاجرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام فخر الدين الرازى ونقل الواحدى عن الزجاج

بالغلبة (ويشف صدور قوم مؤمنين) يفرح قلوب بنى خزاعة عليهم بما أحل لهم القتل يوم فتح مكة ساعة فى الحرم (ويذهب غيظ قلوبهم) حنق قلوبهم (ويتوب الله على من يشاء) على من تاب منهم (والله عليم) بمن تاب وبمن لم يتب منهم (حكيم) فيما حكم عليهم ويقال حكم بقتلهم وهزيمتهم (أم حسبتم) أظننتم يامعشر المؤمنين (أن تتركوا) ان تهملوا وان لاتؤمروا بالجهاد (ولما يعلم الله) ولم ير الله (الذين جاهدوا منكم) فى سبيل الله

متعلق بتقاتلوا أئمة الكفر وما بينهما اعتراض أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعدما وجد منهم من العظائم وهذا من غاية كرمه على المسيء ثم حرض على القتال فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم التي حلفوها في المعاهدة (وهموا باخراج الرسول) من مكة (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال والبادي أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم وتخشى ترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب (أتخشونهم) توبيخ على الخشية منهم (فالله أحق أن تخشوه) بان تخشوه فقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) فاخشوه أي ان قضية الايمان الكامل أن لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به بقوله (قاتلوهم) ووعدهم النصر ليثبت قلوبهم وتصح نياتهم بقوله (يعذبهم الله بأيديكم) قتلا (ويخزهم) أسرا (وينصركم عليهم)

ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين ﴿ألا تقاتلون قوما﴾ تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل ﴿نكثوا ايمانهم﴾ التي حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة ﴿وهموا باخراج الرسول﴾ حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة ﴿وهم بدؤكم أول مرة﴾ بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعادات والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم ﴿أتخشونهم﴾ أتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم ﴿فالله احق ان تخشوه﴾ فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه ﴿قاتلوهم﴾ امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه ﴿يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم﴾ وعدلهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم

جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى ﴿ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم﴾ يعني نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بني بكر على خزاعة ﴿وهموا باخراج الرسول﴾ يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة ﴿وهم بدؤكم﴾ يعني بالقتال ﴿أول مرة﴾ يعني يوم بدر وذلك أنهم قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا وأصحابه وقيل أراد به انهم بدؤا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿أتخشونهم﴾ يعني أتخافونهم أيها المؤمنون فتتركون قتالهم ﴿فالله أحق أن تخشوه﴾ يعني في ترك القتال ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده * قوله سبحانه وتعالى ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم﴾ يريد بالتعذيب القتل يعني يقتلهم الله بايديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله بايديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم عذاب الاستئصال يعني وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وأنت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين نقضوا العهد وبدؤا بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم أو نقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستئصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالف * وقوله تعالى ﴿ويخزهم﴾ يعني ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان ﴿وينصركم عليهم﴾ يعني بان يظفركم بهم

عن نقض العهد (ألا تقاتلون قوما) ما لكم لا تقاتلون قوما يعني أهل مكة (نكثوا أيمانهم) نقضوا عهودهم التي بينكم وبينهم (وهموا باخراج الرسول) أرادوا قتل الرسول حيث تشاوروا في دار الندوة (وهم بدؤكم أول مرة) بنقض العهد منهم حيث أعانوا بني بكر (ويشف) حلفاءهم على بني خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم (أتخشونهم) يا معشر المؤمنين أتخشون قتالهم (فالله أحق أن تخشوه) في ترك أمره (ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) بسيوفكم بالقتل (ويخزهم) يذلهم بالهزيمة (وينصركم عليهم)

﴿وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم﴾ وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان أو الوفاء بالعهود ﴿وطعنوا فى دينكم﴾ بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ أى فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم فى الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالأئمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق [illegible] وحمزة والكسائى وروح [illegible] أئمة بتحقيق [illegible] لحن ﴿انهم لا ايمان لهم﴾ أى لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمى اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان أو لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتدين وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين أو ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله ﴿لعلهم ينتهون﴾ متعلق بقاتلوا أى

فعرفت انه الحق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله ❊ وقوله سبحانه وتعالى ﴿وان نكثوا أيمانهم﴾ يعنى وان نقضوا عهودهم ﴿من بعد عهدهم﴾ يعنى من بعد ما عاهدوكم عليه أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم ﴿وطعنوا فى دينكم﴾ يعنى وعابوا دينكم الذى أنتم عليه وقدحوا فيه وثلبوه وفى هذا دليل على ان الذمى اذا طعن فى دين الاسلام طعنا ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله تعالى ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ يعنى رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت فى أبى سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وأبى جهل وابنه عكرمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وقيل أراد جميع الكفار وانما ذكر الأئمة لانهم الرؤساء والقادة ففى قتالهم قتال [illegible] فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل أهل هذه الآية بعد [illegible] حذيفة أراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم أئمة الكفر فى ذلك الزمان والله أعلم بمراده ❊ وقوله سبحانه وتعالى ﴿انهم لا أيمان لهم﴾ جمع يمين أى لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفاء لهم بالعهد وقرئ لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل هو من الامان أى اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم ﴿لعلهم ينتهون﴾ أى لكى ينتهوا عن الطعن [illegible] يرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين على

(وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أى نقضوا العهود المؤكدة بالايمان (وطعنوا فى دينكم) وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك أو زعماء قريش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة أئمة بهمزتين كوفى وشامى الباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة أصلها أأممة لانها جمع امام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة وأدغمت فى الميم الاخرى فمن حقق الهمزتين أخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها (انهم لا أيمان لهم) وانما أثبت لهم الايمان فى قوله وان نكثوا أيمانهم لانه أراد أيمانهم التى أظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وهو دليل لنا على أن يمين الكافر لا تكون يمينا ومعناه عند الشافعى رحمه الله انهم لا يوفون بها لان يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان شامى أى لا اسلام (لعلهم ينتهون)

(وان نكثوا) أهل مكة ([illegible]) [illegible] التى بينكم وبينهم (قا و خا ١٢ لث) (من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم) عابوكم فى دين الاسلام (فقاتلوا أئمة الكفر) قادة الكفر أباسفيان وأصحابه (انهم لا أيمان لهم) لا عهود لهم (لعلهم ينتهون) لكى ينتهوا

﴿فصدوا عن سبيله﴾ دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ عملهم هذا وما دل عليه قوله ﴿لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة﴾ فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام فى المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم ﴿واولئك هم المعتدون﴾ فى الشرارة ﴿فان تابوا﴾ عن الكفر ﴿واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم﴾ فهم اخوانكم ﴿فى الدين﴾ لهم مالكم وعليهم ماعليكم ﴿ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين

عليه وسلم بسبب أكلة أطعمهم اياها أبو سفيان بن حرب فذمهم الله بذلك قال مجاهد أطعم أبو سفيان حلفاء وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فصدوا عن سبيله﴾ يعنى منعوا الناس عن الدخول فى دين الله قال ابن عباس وذلك ان أهل الطائف أمدوهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ يعنى من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول فى دين الاسلام ﴿لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة﴾ يعنى ان هؤلاء المشركين لا يراعون فى مؤمن عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا أنتم عليهم كما لم يبقوا عليكم اذا ظهروا عليكم ﴿وأولئك هم المعتدون﴾ يعنى فى نقض العهد ❊ قوله عز وجل ﴿فان تابوا﴾ يعنى فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفاء به ﴿وأقاموا الصلوة﴾ يعنى المفروضة عليهم بجميع حدودها وأركانها ﴿وآتوا الزكوة﴾ يعنى وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها أنفسهم ﴿فاخوانكم فى الدين﴾ يعنى اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم فى الدين لهم مالكم وعليهم ماعليكم ﴿ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ يعنى ونبين حجج أدلتنا ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال ابن مسعود أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم تفرق بينهما وأبى أن يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه يعنى بذلك ما ذكره أبو بكر فى حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين شيئين جمع الله بينهما يعنى الصلاة والزكاة (ق) عن أبى هريرة قال لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لابى بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها وفى رواية عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ماهو الا أن رأيت ان الله شرح صدر أبى بكر للقتال

بئس الصنيع صنيعهم (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) ولا تكرار لان الاول على الخصوص حيث قال فيكم والثانى على العموم لانه قال فى مؤمن (وأولئك هم المعتدون) المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة (فان تابوا) عن الكفر (وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم) فهم اخوانكم على حذف المبتدأ (فى الدين) لا فى النسب (ونفصل الآيات) ونبينها (لقوم يعلمون) يفهمون فيتفكرون فيها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم تحريضا على تامل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها

(فصدوا عن سبيله) عن دينه وطاعته (انهم ساء ما كانوا يعملون) بئس ما كانوا يصنعون من الكتمان وغيره ويقال نزلت هذه الآية فى شأن اليهود (لا يرقبون) لا يحفظون (فى مؤمن الا) قرابة ويقال الا هو الله (ولا ذمة) لا القبل العهد (وأولئك هم المعتدون) من الحلال الى الحرام بنقض العهد وغيره (فان تابوا) من الشرك وآمنوا بالله (وأقاموا الصلوة) أقروا بالصلوات (وآتوا الزكوة) { فعرفت } اقروا بالزكوة (فاخوانكم فى الدين) فى الاسلام (ونفصل الآيات) نبين القرآن بالامر والنهى (لقوم يعلمون) ويصدقون

﴿وان يظهرواعليكم﴾ اى وحالهم انهم ان يظفروابكم ﴿لا يرقبوافيكم﴾ لا يراعوافيكم ﴿الا﴾ حلفاوقيل قرابةقال حسان

لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام

وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذاتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب مالا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من الل الشئ اذاحدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبرى بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبرئيل ﴿ولاذمة﴾ عهدا اوحقا يعاب على اغفاله ﴿يرضونكم بأفواهم﴾ استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عندالظفر ولايجوز جعله حالا من فاعل لايرقبوا فانهم بعد ظهورهم لايرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد فى الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه ﴿وتأبى قلوبهم﴾ مايتفوه به افواههم ﴿واكثرهم فاسقون﴾ متمردون لاعقيدة تزعهم ولامروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لمافى بعض الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عمايجر الى احدوثةالسوء ﴿اشتروا بآيات الله﴾ استبدلوا بالقرآن ﴿ثمنا قليلا﴾ عوضا يسيرا وهواتباع الاهواء والشهوات

وان يظهروا عليكم ﴾ قيل هذا مردود على الآية الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم ﴾ ﴿ لايرقبوا فيكم الاولاذمة ﴾ وقال الاخفش معناه كيف لاتقتلونهم وهم ان يظهروا عليكم أى يظفروا بكم ويغلبوكم ويعلوا عليكم لايرقبوا أى لايحفظوا وقيل معناه لاينتظروا وقيل معناه لايراعوا فيكم الاقال ابن عباس يعنى قرابةوقيل رحماوهذا معنى قول ابن عباس أيضا وقال قتادة الال الحلف وقال السدى هوالعهد وكذلك الذمة وانما كرر للتأكيد أولاختلاف اللفظين وقال أبومجلز ومجاهد الال هوالله عزوجل ومنه قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لماسمع كلام مسيلمة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعنى من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لايرقبون الله فيكم ولايحفظونه ولايراعونه ولاذمة يعنى ولايحفظون عهدا ﴿ يرضونكم بافواههم وتأبى قلوبهم ﴾ يعنى يطيعونكم بالسنتهم بخلاف مافى قلوبهم ﴿ وأكثرهم فاسقون ﴾ فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر أخبث وأقبح من الفسق فكيف وصفهم بالفسق فى معرض الذم وما الفائدة فى قوله وأكثرهم فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون قلت قديكون الكافر عدلا فى دينه وقديكون فاسقا خبيث الفسق فى دينه فالمراد بوصفهم بكونهم فاسقين أنهم نقضوا العهد وبالغوا فى العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون أبلغ فى الذم وانما قال أكثرهم ولم يقل كلهم فاسقون لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه وأكثرهم نقضوا العهدفلهذا قال سبحانه وتعالى وأكثرهم فاسقون ۞ وقوله تعالى ﴿ اشتروا بآيات الله ثمناقليلا ﴾ يعنى استبدلوا بآيات القرآن والايمان بها عرضا قليلا من متاع الدنيا وذلك انهم نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله

ان يظهرواعليكم) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أى كيف يكون لهم عهدوحالهم انهم ان يظهرواعليكم أى يظفروابكم بعدماسبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق (لايرقبوافيكم الا) لايراعوا حلفاوالاقرابة (ولاذمة) عهدا (يرضونكم بافواههم) بالوعد بالايمان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفةالظاهروالباطن ومقرر لاستبعادالثبات منهم على العهد (وتابى قلوبهم) الايمان الوفاء بالعهد (وأكثرهم فاسقون) ناقضون العهد أو متمردون فى الكفر لامروءة تمنعهم عن الكذب ولاشمائل تردعهم عن النكث كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عنهما (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن (ثمناقليلا) عرضايسيرا وهواتباع الاهواءوالشهوات

(وان يظهروا) يغلبوا (عليكم لايرقبوافيكم) لايحفظوكم (الا) لقبل القرابةويقال لقبل الله (ولاذمة) لاقبل العهد (يرضونكم بافواههم) بألسنتهم (وتأبى) تنكر (قلوبهم وأكثرهم) كلهم (فاسقون) ناقضون العهد (اشتروابآيات الله) بمحمدعليه السلام والقرآن (ثمناقليلا) عوضا يسيرا

من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون ﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ﴾ استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم اولان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين ﴿ الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴾ هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴾ اى فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ سبق بيانه ﴿ كيف ﴾ تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله

وخبرتماني انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب

اى فكيف مات

الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة ﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ﴾ هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد أي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى ﴿ الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴾ قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو خزيمة وبنو مدلج وبنو الدئل قبائل من بني بكر كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم أهل العهد من خزاعة ﴿ فما استقاموا لكم ﴾ يعني على العهد ﴿ فاستقيموا لهم ﴾ يعني ما أقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا بأي بلاد شاؤا فأسلموا بعد الاربعة الاشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم قبائل من بني بكر وهم خزيمة وبنو مدلج من ضمرة وبنو الدئل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الدئل من بني بكر فامر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشئ قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ كما نقصكم قريش ولم يظاهروا عليكم أحدا كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه ﴿ كيف

انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا أو يفهموا الحق (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) كيف استفهام في معنى الاستنكار أي مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله (الا الذين عاهدتم) أي ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فما استقاموا لكم) ولما يظهر منهم نكث أي فما أقاموا على وفاء العهد (فاستقيموا لهم) على الوفاء وما شرطية أي فان استقاموا لكم فاستقيموا لهم (ان الله يحب المتقين) يعني ان التربص بهم من أعمال المتقين (كيف

أمر الله وتوحيده (كيف) على وجه التعجب (يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) بعد عام الحديبية وهم بنو كنانة (فما استقاموا لكم) بالوفاء (فاستقيموا لهم) بالتمام (ان الله يحب المتقين) عن نقض العهد (كيف) على وجه التعجب يكون بينكم وبينهم عهد

عليكم (حيث وجدتموهم) من حل اوحرم (وخذوهم) وأسروهم والاخذ الاسر (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف فى البلاد (واقعدوا لهم كل مرصد) كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الكفر (واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة

سبيلهم) فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم (ان الله غفور) يستر الكفر والغدر بالاسلام (رحيم) برفع القتل قبل الاداء بالالتزام (وان أحد من المشركين استجارك فاجره) أحد مرتفع بفعل شرط مضمر يفسره الظاهر أى وان استجارك أحد استجارك والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لاعهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ماتدعو اليه من التوحيد والقرآن فامنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك (مأمنه) داره التى يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه دليل على ان المستأمن لا يؤذى وليس له الاقامة فى دارنا ويمكن من العود (ذلك) أى الامر بالاجارة فى قوله فاجره (بانهم قوم لا يعلمون) بسبب

الناكثين ﴿حيث وجدتموهم﴾ من حل وحرم ﴿وخذوهم﴾ وأسروهم والاخيذ الاسير ﴿واحصروهم﴾ واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ كل ممر لئلا يتبسطوا فى البلاد وانتصابه على الظرف ﴿فان تابوا﴾ عن الشرك بالايمان ﴿واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة﴾ تصديقا لتوبتهم وايمانهم ﴿فخلوا سبيلهم﴾ فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله ﴿ان الله غفور رحيم﴾ تعليل الامر اى فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ماقد سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة ﴿وان احد من المشركين﴾ المأمور بالتعرض لهم ﴿استجارك﴾ استأمنك وطلب منك جوارك ﴿فاجره﴾ فامنه ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ﴿ثم ابلغه مأمنه﴾ موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره مابعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ﴿ذلك﴾ الامن او الامر ﴿بانهم قوم لا يعلمون﴾ ما الايمان وما حقيقة ماتدعوهم اليه فلابد

حيث وجدتموهم ﴾ يعنى فى الحل والحرم وهذا أمر اطلاق يعنى اقتلوهم فى أى وقت أى مكان وجدتموهم ﴿وخذوهم﴾ يعنى وأسروهم ﴿واحصروهم﴾ أى واحبسوهم قال ابن عباس يريد ان تحصنوا فاحصروهم امنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف فى بلاد الاسلام ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ يعنى على كل طريق والمرصد الموضع الذى يقعد فيه للعدو من رصدت الشئ أرصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تأخذوهم من أى وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها ﴿فان تابوا﴾ يعنى من الشرك ورجعوا الى الايمان ﴿وأقاموا الصلوة﴾ يعنى وأتموا أركان الصلاة المفروضة ﴿وآتوا الزكوة﴾ الواجبة عليهم طيبة بها أنفسهم ﴿فخلوا سبيلهم﴾ يعنى الى الدخول الى مكة والتصرف فى بلادهم ﴿ان الله غفور﴾ يعنى لمن تاب ورجع من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة ﴿رحيم﴾ يعنى باوليائه وأهل طاعته وقال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على أذى الاعداء * قوله تعالى ﴿وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله﴾ يعنى وان استأمنك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذى أنزل عليك وهو القرآن فأجره حتى يسمع كلام الله ويعرف ماله من الثواب ان آمن وما عليه من العقاب ان أصر على الكفر ﴿ثم أبلغه مأمنه﴾ يعنى ان لم يسلم أبلغه الى الموضع الذى يأمن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله ﴿ذلك بانهم قوم لا يعلمون﴾ أى لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم يحتاجون

من كان عهدهم خمسين يوما (حيث وجدتموهم) فى الحل والحرم والاشهر الحرام (وخذوهم) اؤسروهم (احبسوهم) عن البيت (وقعدوا لهم كل مرصد) على كل طريق يذهبون ويجيؤن فيه للتجارة (فان تابوا) من الشرك وآمنوا بالله (وأقاموا الصلوة) اقروا بالصلوات الخمس (وآتوا الزكوة) اقروا باداء الزكاة (فخلوا سبيلهم) الى البيت (ان الله غفور) متجاوز لمن تاب منهم (رحيم) لمن مات على التوبة (وان احد من المشركين استجارك) استأمنك (فأجره) فامنه حتى يسمع كلام الله قراءتك لكلام الله (ثم أبلغه مأمنه) وطنه الى حيثما جاء ان لم يؤمن (ذلك) الذى ذكرت (بانهم قوم لا يعلمون)

بشارة المؤمنين بنعيم مقيم (الاالذين عاهدتم من المشركين) استثناء من قوله فسيحوا فى الارض والمعنى براءة من الله ورسو
الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الاالذين عاهدتم منهم (ثم ينقصوكم شيأ) من شروط العهد أى وفوا بالعهد ولم ينقضوه وقرئ لم ينقضوكم أى عهدكم وهو أليق لكن المشهورة أبلغ لانه فى مقابلة التمام (ولم يظاهروا عليكم أحدا) ولم يعاونوا عليكم عدوا (فأتموا اليهم عهدهم) فأدوه اليهم تاما كاملا (الى مدتهم) الى تمام مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان أمروا فى الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفى كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعنى ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله فى ذلك (فاذا انسلخ) مضى أوخرج (الاشهر الحرم) التى أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا (فاقتلوا المشركين) الذين نقضوكم وظاهروا

﴿ الاالذين عاهدتم من المشركين ﴾ استثناء من المشركين او استدراك وكأنه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ﴿ ثم لم ينقصوكم شيئا ﴾ من شروط العهد ولم ينكثوه اولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ﴿ ولم يظاهروا عليكم احدا ﴾ من اعدائكم ﴿ فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ﴾ الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى ﴿ فاذا انسلخ ﴾ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشئ مما لابسه من سلخ الشاة ﴿ الاشهر الحرم ﴾ التى ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذوالقعدة وذوالحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾

يعنى فى الآخرة ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ الاالذين عاهدتم من المشركين ﴾ هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الشتم الى الذين عاهدتم من المشركين يعنى الامن عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حى من كنانة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقى من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله تعالى ﴿ ثم لم ينقصوكم شيأ ﴾ يعنى من عهودهم التى عاهدتموهم عليها ﴿ ولم يظاهروا ﴾ يعنى ولم يعاونوا ﴿ عليكم أحدا ﴾ يعنى من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا فى الارض الاالذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم ﴿ فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ﴾ والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل لهم بعد ان امروا فى الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفى كالغادر ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ يعنى ان قضية التقوى تقتضى ان لا يسوى بين القبيلتين يعنى الوافى بالعهد والناكث له والغادر فيه * قوله سبحانه وتعالى ﴿ فاذا انسلخ الاشهر الحرم ﴾ يعنى فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هى شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده أربعة أشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة وهى الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله سبحانه وتعالى قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى أطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التى يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم ﴿ فاقتلوا المشركين

(الاالذين عاهدتم من المشركين) يعنى بنى كنانة بعد عام الحديبية (ثم لم ينقصوكم شيأ) لم ينقضوا عهدهم مما كان لهم تسعة أشهر (ولم يظاهروا) ولم يعاونوا (عليكم أحدا) من عدوكم (فأتموا اليهم) لهم (عهدهم الى مدتهم)الى وقت أجلهم تسعة أشهر (حيث)
(ان الله يحب المتقين)عن نقض العهد (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) فاذا خرج شهر المحرم من بعد يوم النحر (فاقتلوا المشركين)

ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ﴿ان الله﴾ اى بان الله ﴿برىء من المشركين﴾ اى من عهودهم ﴿ورسوله﴾ عطف على المستكن فى برىء او على محل ان واسمها فى قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرىء بالنصب عطفا على اسم ان اولان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين ﴿فان تبتم﴾ من الكفر والغدر ﴿فهو﴾ فالتوب ﴿خير لكم وان توليتم﴾ عن التوبة او ثبتم على التولى عن الاسلام والوفاء ﴿فاعلموا انكم غير معجزى الله﴾ لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا فى الدنيا ﴿وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ فى الآخرة

وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر أيام منى كلها وكان سفيان الثورى يقول يوم الحج الاكبر أيام منى كلها لان اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان الحروب دامت فى تلك الايام ويطلق عليها يوم واحد وقال عبد الله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذى حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين قال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقال الزهرى والشعبى وعطاء الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لنقصان أعمالها عن الحج وقيل سمى الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر فى خطبته ان الزمان قد استدار وأبطل النسىء وجميع أحكام الجاهلية * قوله عز وجل سبحانه وتعالى ﴿أن الله برىء من المشركين ورسوله﴾ فيه حذف والتقدير واذان من الله ورسوله بان الله برىء من المشركين وانما حذفت الباء لدلالة الكلام عليها وفى رفع رسوله وجوه * الاول انه رفع بالابتداء وخبره مضمر والتقدير ان الله برىء من المشركين ورسوله ايضا برىء * الثانى تقديره برىء الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله فى محل الرفع بالابتداء وبرىء خبره ورسوله عطف على المبتدأ فان قلت لا فرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله برىء من المشركين ورسوله فما فائدة هذا التكرار قلت المقصود من الآية الاولى البراءة من العهد ومن الآية الثانية البراءة التى هى نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذى يدل على صحة هذا الفرق انه قال فى أولها براءة من الله ورسوله الى يعنى برىء اليهم وفى الثانية برىء منهم * قوله عز وجل ﴿فان تبتم﴾ يعنى فان رجعتم عن شرككم وكفركم ﴿فهو خير لكم﴾ يعنى من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله فى التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار ﴿وان توليتم﴾ يعنى أعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك ﴿فاعلموا أنكم غير معجزى الله﴾ فيه وعيد عظيم واعلام لهم بان الله سبحانه وتعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله تعالى ﴿وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾

ورسوله عطف على المنوى فى برىء أو على الابتداء وحذف الخبر أى ورسوله برىء وقرىء بالنصب عطفا على اسم ان والجر على الجوار أو على القسم كقوله لعمرك وحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه برىء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابى قراءته فعندها أمر عمر بتعلم العربية (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو) أى التوبة (خير لكم) من الاصرار على الكفر (وان توليتم) عن التوبة أو ثبتم على التولى والاعراض عن الاسلام (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) غير سابقين الله ولا فائتين أخذه وعقابه (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) مكان

(أن الله برىء من المشركين) ودينهم وعهدهم الذى نقضوا (ورسوله) أيضا برىء من ذلك (فان تبتم) من الشرك وآمنتم بالله وبمحمد عليه السلام والقرآن (فهو خير لكم) من الشرك (وان توليتم) عن الايمان والتوبة (فاعلموا) يا معشر المشركين (انكم غير معجزى الله) غير فائتين من عذاب الله (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يعنى القتل بعد أربعة اشهر

فى بعض الروايات لاينبغى لاحد ان يبلغ هذا الارجل من اهلى ﴿واعلموا انكم غير معجزى الله﴾ لاتفوتونه وان امهلكم ﴿وان الله مخزى الكافرين﴾ بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ﴿وأذان من الله ورسوله الى الناس﴾ أى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين ﴿يوم الحج الاكبر﴾ يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روى انه عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر اولان المراد بالحج مايقع فى ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقى الاعمال اولان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب اولانه

ومن رهطه فبعثه النبى صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه ببراءة ازاحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف مانعرفه من عادتنا فى عقد العهود ونقضها وقيل لما خص أبا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذا الرسالة تطييبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا فى هذه الرسالة حتى يصلى خلف أبى بكر ويكون جاريا مجرى التنبيه على امامة أبى بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم بعث أبابكر أميرا على الحاج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرأ على الناس براءة فكان أبوبكر الامام وعلى المؤتم وكان أبوبكر الخطيب وعلى المستمع وكان أبوبكر المتولى أمر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك لعلى فدل ذلك على تقديم أبى بكر على على وفضله عليه والله أعلم * وقوله عزوجل ﴿واعلموا أنكم غير معجزى الله﴾ يعنى ان هذا الامهال ليس لعجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا فى الارض أربعة أشهر عالمين انكم لاتعجزون الله بل هو يعجزكم ويأخذكم لانكم فى ملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما أمهلكم هذه المدة لانه لايخاف الفوت ولايعجزه شئ ﴿وأن الله مخزى الكافرين﴾ يعنى بالقتل والعذاب فى الآخرة * قوله عزوجل ﴿وأذان من الله ورسوله﴾ الاذان فى اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل ﴿الى الناس يوم الحج الاكبر﴾ اختلفوا فى يوم الحج الاكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة ويروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن على بن أبى طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر أخرجه الترمذى وقال ويروى موقوفا عليه وهو أصح وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال أى يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر اخرجه أبو داود ويروى ذلك عن عبدالله بن أبى أوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبى والنخعى وسعيد بن جبير والسدى

مذاهم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالعذاب (وأذان من الله ورسوله الناس) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء والفرق بين الجملة الاولى والثانية أن الاولى اخبار بثبوت البراءة والثانية اخبار بوجود الاعلام بما ثبت وانما علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الاكبر) يوم عرفة لان الوقوف بعرفة معظم افعال الحج أو يوم النحر لان فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمى ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج

(واعلموا) يامعشر الكفار (انكم غير معجزى الله) غير فائتين من عذاب الله بالقتل بعد أربعة أشهر (وان الله مخزى الكافرين) معذب الكافرين بعد أربعة أشهر بالقتل (وأذان من الله) وهذا اعلام من الله (ورسوله الى الناس) للناس (يوم الحج الاكبر) يوم النحر ﴿ وروى ﴾

صلى الله عليه وسلم بعث لان يؤدى عنه كثير لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه

وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يارسول الله بأبى أنت وأمى أنزل فى شأنى شئ فقال لا ولكن لا ينبغى لاحد أن يبلغ هذا الا رجل من أهلى أما ترضى ياأبا بكر انك كنت معى فى الغار وانك معى على الحوض قال بلى يارسول الله فسار أبو بكر أميرا على الحجاج وعلى بن أبى طالب يؤذن ببراءة فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم فاقام للناس الحج والعرب فى تلك السنة على منازلهم التى كانوا عليها فى الجاهلية من أمر الحج حتى اذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فاذن فى الناس بالذى أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يزيد بن تبيع سألنا عليا باى شئ بعثت فى الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا فى حج ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع ﴿ ق ﴾ عن أبى هريرة ان أبا بكر بعثه فى الحجة التى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع فى رهط يؤذنون فى الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ثم أردف النبى صلى الله عليه وسلم بعلى بن أبى طالب فأمره ان يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فاذن معنا فى أهل منى ببراءة ان لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من أجل قول الناس للعمرة الحج الاصغر قال فنبذ أبو بكر الى الناس فى ذلك فلم يحج فى العام القابل الذى حج فيه النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وأنزل الله فى العام الذى نبذ فيه أبو بكر الى المشركين ياأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الآية

فصل

قد يتوهم متوهم ان فى بعث على بن أبى طالب بقراءة أول براءة عزل أبى بكر عن الامارة وتفضيله على أبى بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان أبا بكر لم يزل أميرا على الموسم فى تلك السنة أولا حديث أبى هريرة المتقدم ان أبا بكر بعثه فى رهط يؤذنون فى الناس الحديث وفى لفظ أبى داود والنسائى قال بعثنى أبو بكر فيمن يؤذن فى يوم النحر عنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثنى أبو بكر فيه دليل على أن أبا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذى أقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم وأجاب العلماء عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليؤذن فى الناس ببراءة بان عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها أو رجل من أقاربه وكان على بن أبى طالب أقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم من أبى بكر لانه ابن عمه

أين شاؤا الا بتعرض لهم وهى الاشهر الحرم فى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن أسيد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا راكب العضباء ليقرأ على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدثهم على مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف والاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم أو عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الاخر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم ﴿ وسلم ﴾ وقيل هى على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها والجمهور على اباحة القتال فى الاشهر الحرم وان ذلك قد نسخ

صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير اومأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضى الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة وقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت بأربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى ذى عهد عهده ولعل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤدى عنى الا رجل منى ليس على العموم فانه

فقال تعالى قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لاحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل لجميعهم أربعة أشهر وأحل دماء جميعهم من أهل العهود وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت فى أهل مكة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر فى عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لاهم انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا
كنت لنا أباوكنا ولدا * ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا
أبيض مثل الشمس ينمو صعدا * ان سيم خطب وجهه تربدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تنجى أحدا * وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم أنصركم وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج فقيل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر فى تلك السنة أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من سورة براءة ليقرأها على أهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه

بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهما برآ منها وذلك انهم عاهدوا مشركى العرب فنكثوا الاناسا من بنى ضمرة وبنى كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال ﴿ فسيحوا فى الارض اربعة اشهر ﴾ شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لانها نزلت فى شوال وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابابكر رضى الله عنه اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على رضى الله تعالى عنه سمع ابو بكر رضى الله تعالى عنه الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله

﴿ فسيحوا فى الارض ﴾ أى فسيروا فى الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحدا من المشركين وأصل السياحة الضرب فى الارض والاتساع فيها والبعد عن مواضع العمارة قال ابن الانبارى قوله فسيحوا فيه مضمر أى قل لهم فسيحوا وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعنى سيحوا فى الارض وأنتم آمنون من القتل والقتال ﴿ أربعة أشهر ﴾ يعنى مدة أربعة أشهر واختلف العلماء فى هذا التأجيل وفى هؤلاء الذين برئ الله ورسوله اليهم من العهود التى كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه الى أربعة أشهر ومن كانت مدته أكثر حطه الى أربعة أشهر ومن كان عهده بغير أجل معلوم محدود حده بأربعة أشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث أدرك ويؤسر الا أن يتوب ويرجع الى الايمان وقيل ان المقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام أو القتل فيصير هذا داعيا لهم الى الدخول فى الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى الغدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من ربيع الآخر فأما من لم يكن له عهد فانما أجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما قال الزهرى الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الآية نزلت فى شوال والقول الاول أصوب وعليه الاكثرون وقال الكلبى انما كانت الاربعة أشهر عهدا لمن كان له عهد دون الاربعة أشهر فأتم له الاربعة أشهر فأما من كان عهده أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر باتمام عهده بقوله تعالى فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداؤها فى العاشر من ذى القعدة وآخرها العاشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى العاشر من ذى القعدة بسبب النسئ ثم صار فى السنة المقبلة فى العاشر من ذى الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار الحديث وقال الحسن أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين

بنى تميم فى الدار والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم (فسيحوا فى الارض أربعة أشهر) فسيروا فى الارض كيف شئتم والسيح السير على مهل روى أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا فى الارض أربعة أشهر آمنين

من كان عهده فوق أربعة أشهر ومنهم من كان عهده دون أربعة أشهر ومنهم من كان عهده تسعة أشهر ومنهم من لم يكن بينه وبين رسول الله عهد فنقضوا كلهم الا من كان عهده تسعة أشهر وهم بنو كنانة فمن كان عهده فوق أربعة أشهر ودون أربعة أشهر جعل عهده أربعة أشهر بعد النقض من يوم النحر ومن كان عهده أربعة أشهر جعل عهده بعد النقض أربعة أشهر من يوم النحر ومن كان عهده تسعة أشهر ترك على ذلك ومن لم يكن له عهد جعل عهده خمسين يوما من يوم النحر الى خروج المحرم فقال لهم (فسيحوا فى الارض) فامضوا فى الارض من يوم النحر (اربعة أشهر) آمنين من القتل بالعهد

وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة اوآية بين موضعها وتوفى ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان فى الانفال ذكر العهود وفى برآءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة فى انهما سورة واحدة هى سابعة السبع الطوال اوسورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله ﴿براءة من الله ورسوله﴾ اى هذه برآءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان تكون برآءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر ﴿الى الذين عاهدتم من المشركين﴾ وقرئ بنصبها على اسمعوا برآءة والمعنى ان الله ورسوله برآ من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة

الطوال أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذى بينهما أن فى الانفال ذكر العهود وفى براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابى يعنى على بن أبى طالب لم تكتبوا فى براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يابنى ان براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رحمة والرحمة أمان وهذه السورة نزلت فى المنافقين وقال المبرد لم تفتتح هذه السورة الشريفة ببسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية وسئل أبى بن كعب عن هذا فقال انها نزلت فى آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر فى كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر فى براءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا أن فى سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانهما نزلتا فى القتال ومجموعهما معا مائتان وخمس آيات فكانت هى السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على قول من يقول هما سورة واحدة أما التفسير فقوله تعالى ﴿براءة من الله ورسوله﴾ يعنى هذه براءة من الله ورسوله وأصل البراءة فى اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان أبرأ براءة أى انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة وقيل معناها التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله سبحانه وتعالى واما تخافن من قوم خيانة الآية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر به ونبذ اليهم عهودهم قال الزجاج أى قد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا ﴿الى الذين عاهدتم من المشركين﴾ الخطاب مع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وان كان النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى عاهدهم وعاقدهم الا أنه هو الذى عاقدهم وأصحابه بذلك راضون فكأنهم هم عقدوا وعاهدوا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى

وكذا وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر العهود وفى براءة نبذ العهود فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهى سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت فى القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدأ محذوف أى هذه براءة (من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) من لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما فى قولك برئت من الدين أى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (براءة) هذه براءة (من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) ثم نقضوا والبراءة هى نقض العهد يقول من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فقد نقضه منهم فمنهم من كان عهده أربعة أشهر ومنهم

(فسيحوا)

سورة براءة

مدنية وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهى آخر مانزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهى التبرئ منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها ومايخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم ويذكر عذابهم وآيها مائة وثلاثون

تفسير سورة التوبة

وهى مدنية باجماعهم قال ابن الجوزى سوى آيتين فى آخرها لقد جاءكم رسول من أنفسكم فانهما نزلتا بمكة وهى مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف وأربعمائة وثمان وثمانون حرفا ولهذه السورة أسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذان الاسمان مشهوران وهى المقشقشة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقش من النفاق أى تبرئ منه وهى المبعثرة لانها تبعثر عن أخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها والفاضحة قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهى المخزية لان فيها خزى المنافقين وهى المدمدمة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهى المشردة سميت بذلك لانها شردت جموع المنافقين وفرقتهم وهى المثيرة سميت بذلك لانها أثارت مخازى المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هى الفاضحة مازالت تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى أحد الاذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت فى بدر قال قلت سورة الحشر قال بل سورة بنى النضير أخرجاه فى الصحيحين

فصل فى بيان سبب ترك كتابة التسمية فى أول هذه السورة

عن ابن عباس قال قلت لعثمان ماحملكم على ان عمدتم الى الانفال وهى من المثانى والى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها فى السبع الطوال ماحملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا مايأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شئ دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا واذا نزلت عليه الآية يقول ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من أوائل مانزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها أو من غيرها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها فى السبع

آمنوا وهاجروا وقسم آمنوا ونصروا وقسم آمنوا ولم يهاجروا وقسم كفروا ولم يؤمنوا

﴿ سورة التوبة مدنية وهى مائة وتسع وعشرون آية كوفى ومائة وثلاثون غيره ﴾

لها أسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة لان فيها التوبة على المؤمنين وهى تقشقش من النفاق أى تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وفى ترك التسمية فى ابتدائها أقوال فعن على وابن عباس رضى الله عنهم ان بسم الله أمان وبراءة نزلت لرفع الامان وعن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه سورة أو آية قال اجعلوها فى الموضع الذى يذكر فيه كذا

يعلم نقض عهود المشركين والله أعلم باسرار كتابه ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها التوبة وهى كلها مدنية

وقد قيل الا الآيتين فى آخرها فانهما مكيتان وكلماتها ألفان وأربعمائة وسبع وستون وحروفها عشرة آلاف ﴿

في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم ﴾ اى من جاتكم ايها المهاجرون والانصار ﴿ واولو الارحام بعضهم اولى ببعض ﴾ في التوارث من الاجانب ﴿ في كتاب الله ﴾ في حكمه اوفي اللوح اوفي القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام ﴿ ان الله بكل شئ عليم ﴾ من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا * عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه برئ من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

فتح مكة فذكر الله في الآية الاولى اصحاب الهجرة الاولى وذكر في الثانية أصحاب الهجرة الثانية والله أعلم بمراده * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم ﴾ اختلفوا في قوله من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به أهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة وأما من كان من المؤمنين في بلد يخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه أن يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه * وقوله تعالى ﴿ فأولئك منكم ﴾ يعنى انهم منكم وأنتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة لان الله سبحانه وتعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا أن المهاجرين الاولين أفضل وأشرف لما صح هذا الالحاق * وقوله تعالى ﴿ وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض أى في الميراث فبين بهذه الآية ان سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعنى في حكم الله وقيل أراد به في اللوح المحفوظ وقيل اراد به القرآن وهى ان قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن وتمسك أصحاب الامام أبي حنيفة بهذه الآية في توريث ذوى الارحام وأجاب عنه الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه بانه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذى بينه في سورة النساء فصارت هذه الآية مقيدة بالاحكام التى ذكرها في سورة النساء من قسمة المواريث واعطاء أهل الفروض فروضهم ومابقى فللعصبات * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ان الله بكل شئ عليم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

بالتواصل (والذين آمنوا من بعد) يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة (وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) جعلهم منهم تفضيلا وترغيبا (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) وأولو القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوراث بالهجرة والنصرة (في كتاب الله) في حكمه وقسمته أو في اللوح أوفي القرآن وهو آية المواريث وهو دليل لنا على توريث ذوى الارحام (ان الله بكل شئ عليم)

(والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (من بعد) من بعد المهاجرين الاولين (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا معكم) العدو (فاولئك منكم) معكم في السر والعلانية (وأولوا الارحام) ذوو القرابة في النسب الاول فالاول (بعضهم أولى ببعض) في الميراث (في كتاب الله) في اللوح المحفوظ نسخ بهذه الآية الآية الاولى (ان الله بكل شئ) من قسمة المواريث وصلاحكم وغيرهما (عليم)

نهى المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا أقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال (الاتفعلوه) أى ان لاتفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولى

بعضهم بعضا حتى فى التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تجعلوا قرابة الكفار كلا قرابة (تكن فتنة فى الارض وفساد كبير) تحصل فتنة فى الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين مالم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لاجل الدين والعقبى (لهم مغفرة ورزق كريم) لامنة فيه

اوالموازرة بينهم وبين المسلمين ﴿الاتفعلوه﴾ ان لاتفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم لبعض حتى فى التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار ﴿تكن فتنة فى الارض﴾ تحصل فتنة فيها عظيمة وهى ضعف الايمان وظهور الكفر ﴿وفساد كبير﴾ فى الدين وقرئ كثير ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا﴾ لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين فى الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصر الحق ووعدلهم الموعد الكريم فقال ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ لاتبعة له ولامنة فيه ثم الحق بهم

قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا قال ابن عباس يعنى فى الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم من بعض ﴿الاتفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير﴾ قال ابن عباس الاتأخذوا فى الميراث بما أمرتكم به وقال ابن جريج الاتتعاونوا وتتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم قال سبحانه وتعالى الاتفعلوه وهو ان يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنة فى الارض وفساد كبير فالفتنة فى الارض هى قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا﴾ يعنى لاشك فى ايمانهم ولاريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال فى نصر الدين ﴿لهم مغفرة﴾ يعنى لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ يعنى فى الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه سبحانه وتعالى ذكر فى الآية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر فى هذه الآية مامن به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشئ مرة بعد أخرى تدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم أولا ثم أعاد ذكرهم ثانيا دل ذلك على تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر فى هذه الآية من وجوه المدح ثلاثة أنواع * أحدها قوله أولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقا يفيد المبالغة فى وصفهم بكونهم محقين فى طريق الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق أهله وداره التى نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمنا حقا * النوع الثانى قوله سبحانه وتعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ المغفرة يدل على ان لهم مغفرة وأى مغفرة لاينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم * النوع الثانى قوله سبحانه وتعالى ورزق كريم فكل شئ شرف وعظم فى بابه قيل له كريم والمعنى ان لهم فى الجنة رزقا لاتلحقهم فيه غضاضة ولاتعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر أولا الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى ارض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم أصحاب الهجرتين ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل

(الاتفعلوه) قسمة المواريث كما بين لكم لذوى القرابة (تكن فتنة فى الارض) بالشرك والارتداد (وفساد كبير) بالقتل والمعصية (والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا فى سبيل الله) فى طاعة الله (والذين آووا) وطنوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة (ونصروا) محمدا عليه السلام يوم بدر (أولئك هم المؤمنون حقا) أصدقا يقينا (لهم مغفرة) لذنوبهم فى الدنيا (ورزق كريم) ثواب حسن فى الجنة

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله)هم المهاجرون (والذين آووا ونصروا) أى آووهم الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الانصار (أولئك بعضهم اولياء بعض) أى يتولى بعضهم بعضا فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوى القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل اراد به النصرة والمعاونة (والذين آمنوا ولم يهاجروا) من مكة (مالكم من ولايتهم) من توليهم فى الميراث ولايتهم حمزة وقيل هما واحد (من شئ حتى يهاجروا) فكان لايرث المؤمن الذى لم يهاجر ممن آمن وهاجر ولما أبقى للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل أن صاحب الكبيرة لايخرج من الايمان (وان استنصروكم) أى من أسلم ولم يهاجر (فى الدين فعليكم النصر) أى ان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم ان تنصروهم على الكافرين (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فانه لايجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لايبتدؤن بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والله بماتعملون بصير) تحذير عن تعدى حد الشرع (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم ومعناه

بأموالهم ﴾ فصرفوها فى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج ﴿وانفسهم فى سبيل الله﴾ بمباشرة القتال ﴿ والذين آووا ونصروا ﴾ هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم ﴿ اولئك بعضهم اولياء بعض ﴾ فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اوبالنصرة والمظاهرة ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا ﴾ اى من توليتهم فى الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا ﴿ وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر ﴾ فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين ﴿ الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ عهد فانه لاينقض عهدهم لنصرهم عليهم ﴿والله بماتعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ﴾ فى الميراث اوالموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث

بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ﴾ يعنى ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بماجاءهم به وهاجروا يعنى وهجروا ديارهم وقومهم فى ذات الله عزوجل وابتغاء رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعنى وبذلوا أنفسهم فى سبيل الله يعنى فى طاعة الله وابتغاء رضوانه ﴿والذين آووا ونصروا ﴾ يعنى آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار ﴿ أولئك ﴾ يعنى المهاجرين والانصار ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ يعنى فى العون والنصر دون أقربائهم من الكفار وقال ابن عباس فى الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون أقربائهم وذوى أرحامهم وكان من آمن ولم يهاجر لايرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيثما كانوا فصار ذلك منسوخا بقوله تعالى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله * وقوله عزوجل ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا﴾ يعنى آمنوا وأقاموا بمكة ﴿مالكم من ولايتهم من شئ﴾ يعنى من الميراث ﴿حتى يهاجروا﴾ يعنى الى المدينة ﴿وان استنصروكم فى الدين﴾ يعنى ان استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا ﴿فعليكم النصر﴾ يعنى فعليكم نصرهم واعانتهم ﴿الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ أى عهد فلاتنصروهم عليهم ﴿والله بماتعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ يعنى فى النصر والمعونة وذلك أن كفار

بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله) فى طاعة الله (والذين آووا) وطنوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة (ونصروا) محمدا عليه السلام يوم بدر (اولئك بعضهم اولياء بعض) فى الميراث (والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام ﴿ قريش ﴾ والقرآن (ولم يهاجروا) من مكة الى المدينة (مالكم من ولايتهم) من ميراثهم (من شئ)ومامن ميراثكم لهم من شئ (حتى يهاجروا) من مكة الى المدينة (وان استنصروكم فى الدين) استعانوكم على عدوهم فى الدين (فعليكم النصر) على عدو[...] (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فلاتعينوهم عليهم ولكن أصلحوا بينهم (والله بماتعملون) من الصلح وغيره (بصـ[...] والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) فى الميراث

جمع أسرى (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) خلوص ايمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء اما ان يخلفكم فى الدنيا اضعافه أو يثيبكم فى الآخرة (ويغفر لكم والله غفور رحيم) روى انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس ان يأخذ منه فاخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ منى وأرجو المغفرة وكان له عشرون عبدا وان أدناهم ليتجر فى عشرين ألفا وكان يقول أنجز الله أحد الوعدين وأنا على ثقة من الآخر (وان يريدوا) أى الاسرى (خيانتك) نكث ما بايعوك عليه من الاسلام بالردة أو منع ماضمنوا من الفداء (فقد خانوا الله من قبل) فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فامكن منهم) فامكنك منهم أى أظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان عادوا الى الخيانة (والله عليم) بالمآل (حكيم) فيما أمر فى الحال (ان الذين آمنو وهاجروا) من مكة حب الله ورسوله (وجاهدوا

عباسا (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) تصديقا واخلاصا (يؤتكم) يعطكم (خيرا) أفضل (مما أخذ منكم) من الفداء (ويغفر لكم) ذنوبكم فى الجاهلية (والله غفور) متجاوز (رحيم) لمن آمن به (وان يريدوا (قا و خا ١٠ لث) خيانتك) بالايمان يا محمد (فقد خانوا الله من قبل) أى من قبل هذا بترك الايمان والمعصية (فامكن منهم) أظهرك عليهم يوم بدر (والله عليم) بما فى قلوبهم من الخيانة وغيرها (حكيم) فيما حكم عليهم (ان الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا

وقرأ ابو عمرو من الاسارى ﴿ ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا ﴾ ايمانا واخلاصا ﴿ يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ﴾ من الفداء روى انها نزلت فى العباس رضى الله عنه كلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يفدى نفسه وابنى اخويه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتنى اتكفف قريشا مابقيت فقال اين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها انى لا ادرى مايصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس ومايدريك قال اخبرنى به ربى تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك الى الآن عشرين عبدا ان ادناهم ليضرب فى عشرين الفا واعطانى زمزم وما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله ﴿ ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا ﴾ يعنى الاسرى ﴿ خيانتك ﴾ نقض ماعاهدوك ﴿ فقد خانوا الله ﴾ بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل ﴿ من قبل فامكن منهم ﴾ اى فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم ﴿ والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا ﴾ هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله ﴿ وجاهدوا

وأخذتم منهم الفداء ﴿ ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا ﴾ يعنى ايمانا وتصديقا ﴿ يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ﴾ يعنى من الفداء ﴿ ويغفر لكم ﴾ يعنى ماسلف منكم قبل الايمان ﴿ والله غفور ﴾ يعنى لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه ﴿ رحيم ﴾ يعنى باهل طاعته قال العباس فابدلنى الله خيرا مما أخذ منى عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطانى زمزم وما أحب ان لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى عز وجل وقوله تعالى ﴿ وان يريدوا ﴾ يعنى الاسارى ﴿ خيانتك ﴾ يعنى أن يكفروا بك ﴿ فقد خانوا الله ﴾ يعنى فقد كفروا بالله ﴿ من قبل ﴾ وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك ﴿ فامكن ﴾ يعنى فامكن الله المؤمنين ﴿ منهم ﴾ ببدر حتى قتلوا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبى صلى الله عليه وسلم بانه يتمكن من كل أحد يخونه أو ينقض عهده ﴿ والله عليم ﴾ يعنى بما فى بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد ﴿ حكيم ﴾ يعنى حكم بانه يجازى كلا بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب * قوله عز وجل ﴿ ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا

[illegible] ﴿فكلوا مما غنمتم﴾ من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة ﴿حلالا﴾ حال من المغنوم أو صفة للمصدر أى اكلا حلالا وفائدته ازاحة ماوقع فى نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة أو حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله ﴿طيبا واتقوا الله﴾ فى مخالفته ﴿ان الله غفور﴾ غفر لكم ذنبكم ﴿رحيم﴾ اباح لكم ما اخذتم ﴿ياأيها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى﴾

مانجا منه غير عمر وسعد بن معاذ * قوله عز وجل ﴿فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا﴾ يعنى فقد أحلت لكم الغنائم وأخذ الفداء فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا روى انه لما نزلت الآية الاولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على جميع الامم الماضية (خ م) من حديث جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم وذلك بان الله رأى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا * وقوله سبحانه وتعالى ﴿واتقوا الله ان الله غفور رحيم﴾ يعنى وخافوا الله أن تعودوا وان تفعلوا شيأ من قبل أنفسكم قبل أن تؤمروا به واعلموا أن الله قد غفر لكم ما أقدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل فى قولهم واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية * قوله سبحانه وتعالى ﴿ياأيها النبى قل لمن فى أيديكم﴾ نزلت فى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد لعشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الوقعة ببدر فاراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيأ وبقيت العشرون أوقية معه فلما أسر أخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما شئ خرجت [illegible] به علينا فلا أتركه لك وكلف فداء ابنى أخيه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يامحمد تتركنى أتكفف قريشا مابقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذى دفعته أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها انى لاأدرى مايصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم يعنى بنيه فقال العباس ومايدريك ياابن أخى قال أخبرنى [illegible] قال العباس أشهد انك لصادق وأشهد أن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه أحد الا الله وأمر ابنى أخيه عقيلا ونوفل بن الحرث فاسلما فذلك قوله [illegible] تعالى ياأيها النبى قل لمن فى أيديكم ﴿من الاسرى﴾ يعنى الذين أسرتموهم

معاذ لقوله كان الاثخان فى القتل أحب الى (فكلوا مما غنمتم) روى انهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم والفاء للتسبيب والسبب محذوف ومعناه قد أحلت لكم الغنائم فكلوا (حلالا) مطلقا عن العتاب والعقاب من حل العقال وهو نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا (طيبا) لذيذا هنيأ أو حلالا بالشرع طيبا بالطبع (واتقوا الله) فلا تقدموا على شئ لم يعهد اليكم فيه (ان الله غفور) لما فعلتم من قبل (رحيم) باحلال ما غنمتم (ياأيها النبى قل لمن فى أيديكم) فى ملكتكم كان أيديكم قابضة عليهم (من الاسرى) جمع أسير من الاسارى أبو عمرو

(فكلوا مما غنمتم) من الغنائم غنائم بدر (حلالا طيبا واتقوا الله) أخشوا الله فى الغلول (ان الله غفور) متجاوز (رحيم) [illegible] كان منكم يوم بدر من الفداء (ياأيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى) يعنى

(اولا كتاب من الله) لولا حكم من الله (سبق) ان لايعذب احدا على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهادا منهم لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم يتقوى به على الجهاد وخفي

فخير اصحابه فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو وابوبكر يبكيان فقال يارسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والاتباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وانه قديكون خطأ ولكن لايقرون عليه ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهوان لايعاقب المخطئ في اجتهاده اولا يعذب اهل بدر أوقوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه أوان الفدية التي اخذوها ستحل لهم ﴿لمسكم﴾ لنالكم ﴿فيما اخذتم﴾ من الفداء ﴿عذاب عظيم﴾ روى انه عليه السلام

الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت أن الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لامن النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهوان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم فنقول لانسلم ان أخذ الفداء كان محرما وأما قوله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ففيه عتاب لطيف على أخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولايدل على تحريم الفداء اذلو كان حراما في علم الله لمنعهم من أخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبكيان يحتمل أن يكون لاجل أن بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر وأخذ الفداء والله أعلم * قوله عزوجل ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا أصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت النار تنزل من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في أخذ الغنائم والفداء فانزل الله عزوجل لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لايعذب أحدا ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لايضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون وانه لايأخذ قوما فعلوا بجهالة لمسكم يعني لاصابكم بسبب ما اخذتم من الفداء قبل أن تؤمروا به عذاب عظيم قال محمد بن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر بدرا الاواحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يارسول الله كان الاثخان في القتل أحب الي من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لونزل عذاب من السماء

عليهم ان قتلهم اعز الاسلام واهيب لمن وراءهم أو ما كتب الله في اللوح أن لايعذب أهل بدر أوكان لايؤاخذ قبل البيان والاعذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس كتاب مبتدأ ومن الله صفته اى لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة أخرى له وخبر المبتدأ محذوف أى لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود وسبق لايجوز أن يكون خبرا لان لولا لايظهر خبرها أبدا (لمسكم) لنالكم وأصابكم (فيما أخذتم) من فداء الاسرى (عذاب عظيم) روى أن عمر رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبوبكر يبكيان فقال يارسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه عليه السلام قال لونزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن

لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم من الله بتحليل الغنائم لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالسعادة لاهل بدر (لمسكم) لاصابكم (فيما أخذتم) من الفداء (عذاب عظيم) شديد

بها كامر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى انه عليه السلام اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابى طالب فاستشار فيهم فقال ابوبكر رضى الله تعالى عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضى الله تعالى عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكنى من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك ياابابكر مثل ابراهيم عليه السلام قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك ياعمر مثل نوح عليه السلام قال لاتذر على الارض من الكافرين ديارا

يعنى فى تدبير مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه وتعالى فى الاسارى فامامنا بعد واما فداء فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم وان شاؤا أعتقوهم قال الامام فخر الدين ان هذا الكلام يوهم ان قوله فامامنا بعد واما فداء يزيل حكم الآية التى نحن فى تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتا الآيتين متوافقتان وكلتاهما تدلان على انه لابد من تقديم الاثخان ثم بعده أخذ الفداء قال العلماء كان الفداء لكل أسير أربعين أوقية والاوقية أربعون درهما فيكون مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة آلاف درهم

فصل

قد استدل بهذه الآية من يقدح فى عصمة الانبياء وبيانه من وجوه الاول ان قوله ما كان لنبى أن تكون له أسرى صريح فى النهى عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى أمر النبى صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل أسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبى صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبابكر قعدا يبكيان لاجل أخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى ماكان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض يدل على انه كان الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان فى الارض وقد حصل لان الصحابة رضى الله تعالى عنهم قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم وأسروا سبعين وليس من شرط الاثخان فى الارض قتل جميع الناس فدلت الآية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثانى ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبى صلى

(حتى يثخن فى الارض) يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى أهله من أثخنه المرض اذا أثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة (تريدون عرض الدنيا) حطامها بأخذكم الفداء (والله يريد الآخرة) يريد لكم ثواب الآخرة أو سبب نيل ثواب الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله

اكل امرئ تحسبين امرأ ... ونار توقد بالليل نارا

(والله عزيز) يغلب اولياءه على اعدائه (حكيم) يعلم مايليق بكل حال ويخصه

أرى ان تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يارسول الله ما أرى الذى رأى أبو بكر ولكنى أرى ان تمكننا فنضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه وتمكننى من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديده فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ماقلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يبكيان فقلت يارسول الله أخبرنى من أى شئ تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكى على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبى الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدى فى مسنده عن عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه أما تفسير الآية فقوله تعالى ماكان لنبى أن تكون له أسرى يعنى ما كان ينبغى ولا يجب لنبى وقال أبو عبيدة معناه لم يكن لنبى ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبى ان يحبس كافرا قدر عليه وصار فى يده أسيرا للفداء والمن والاسرى جمع أسير وأسارى جمع الجمع (حتى يثخن فى الارض) الاثخان فى كل شئ عبارة عن قوته وشدته يقال أثخنه المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ فى قتال المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله أن يقدم على الاسر فيأسر الاسارى (تريدون عرض الدنيا) الخطاب لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يعنى تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا باخذكم الفداء من المشركين وانما سمى منافع الدنيا عرضا لانه لاثبات لها ولادوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائمة لاانقطاع لها وقوله سبحانه وتعالى (والله يريد الآخرة) يعنى انه سبحانه وتعالى يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها دائمة بلا زوال ولا انقطاع (والله عزيز) لا يقهر ولا يغلب (حكيم)

بصرى (حتى يثخن فى الارض) الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهى الغلظ والكثافة يعنى حتى يذل الكفر باشاعة القتل فى أهله ويعز الاسلام بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل فاستشار النبى عليه السلام أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضى الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام مثلك يا ابابكر كمثل ابراهيم حيث قال ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك ياعمر كمثل نوح حيث قال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد فلما اخذوا الفداء نزلت الآية (تريدون عرض الدنيا) متاعها يعنى الفداء سماه عرضا لقلة بقائه وسرعة فنائه (والله يريد الآخرة) اى ماهو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان فى القتل (والله عزيز) بقهر الاعداء (حكيم) فى عتاب الاولياء

(حتى يثخن) يغلب (فى الارض) بالقتال (تريدون عرض الدنيا) بفداء أسارى يوم بدر والله يريد الآخرة (والله عزيز) بالنقمة من أعدائه (حكيم) بالنصرة لاوليائه

وحمزة والضم وهو قراءة الباقين ﴿والله مع الصابرين﴾ بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ﴿ما كان لنبي﴾ وقرئ للنبي على العهد ﴿ان يكون له اسرى﴾ وقرأ البصريان بالتاء

من ثلاثة فليفر ومن فر من اثنين فقد فر ﴿والله مع الصابرين﴾ يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وأرى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك * قوله تعالى ﴿ما كان لنبي أن تكون له أسرى﴾ روي عن عبدالله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجيء بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فدعهم نضرب أعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ومكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال عبدالله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك يا عبدالله بن رواحة كمثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم أنتم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق قال عبدالله بن مسعود الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما رأيتني في يوم أخوف ان تقع علي الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل عليه ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض الآية أخرج هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي وأخرج مسلم في افراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس فلما أسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة

والله مع الصابرين) وتكرير مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت اذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين (ما كان لنبي) ما صح له ولا استقام (ان يكون له اسرى) ان تكون

(الفين باذن الله والله مع الصابرين) معين الصابرين في الحرب بالنصرة (ما كان لنبي) ما ينبغي لنبي (أن يكون له أسرى) اسارى من الكفار

وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) هذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأييده (بانهم قوم لايفقهون) بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله قيل كان عليهم ان لايفروا ويثبت الواحد للعشرة ثم ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) ضعفا عاصم وحمزة (فان يكن منكم مائة صابرة) بالياء فيهما كوفى وافقه البصرى فى الاولى والمراد الضعف فى البدن (يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله

وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من لذين كفروا ﴾ شرط فى معنى امر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء فى الآيتين ووافقهم البصريان فى وان تكن منكم مائة صابرة ﴿بانهم قوم لايفقهون﴾ بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لايثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى الدجات قتلوا أوقتلوا ولايستحقون من الله الاالهوان والخذلان ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله﴾ لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم

وليجتهدوا فى قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الآن خفف الله عنكم لان النسخ لايدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله سبحانه وتعالى أوجب أولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء ﴿ وان يكن منكم مائة ﴾ يعنى صابرة ﴿ يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴾ فحاصله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين فى مقابلة العشرة من الكفار ذلك ﴿بأنهم قوم لايفقهون﴾ يعنى ان المشركين لايقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم فى القتال فانهم لايثبتون معكم ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ﴾ (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لايفر واحد من عشرة ولاعشرون من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب ان لايفر مائة من مائتين وفى رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم فى الآية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المؤمنين فنزلت الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون وعلم أن فيكم ضعفا يعنى فى قتال الواحد للعشرة فان تكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فرد من العشرة الى الاثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لايجوز لهم أن يفروا فايما رجل فر من

(وان يكن منكم مائة يغلبوا) يقاتلوا (ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لايفقهون) أمر الله وتوحيده (الآن) بعد يوم بدر (خفف الله عنكم) هون الله عليكم (وعلم ان فيكم ضعفا) بالقتال (فان يكن منكم مائة صابرة) محتسبة (يغلبوا) يقاتلوا (مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا) يقاتلوا (ألفين باذن الله

يقلبها كيف يشاء ﴿انه عزيز﴾ تام القدرة والغلبة لايعصى عليه مايريده ﴿حكيم﴾ يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل مايريده وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لاامدلها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فأنساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ كافيك ﴿ومن اتبعك من المؤمنين﴾ اما في محل النصب على المفعول معه كقوله

اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا ❊ فحسبك والضحاك سيف مهند

أو الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين أو الرفع عطفا على اسم الله أى كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في اسلامه ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال﴾ بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص ﴿ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾

عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي وفي الآية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء وأراد وذلك لان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه سبحانه وتعالى ختم هذه الآية بقوله ﴿انه عزيز حكيم﴾ يعني أنه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقبل القتال فعلى هذا القول أراد بقوله تعالى ومن اتبعك من المؤمنين يعني الى غزوة بدر وقيل أراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل أراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الآية يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين ❊ قوله عز وجل ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال﴾ يعني حثهم على قتال عدوهم والتحريض في اللغة الحث على الشئ بكثرة التزين وتسهيل الخطب فيه كانه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك ﴿ان يكن منكم عشرون﴾ يعني رجلا ﴿صابرون﴾ يعني عند اللقاء محتسبين أنفسهم ﴿يغلبوا مائتين﴾ يعني من عدوهم وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الامر فكانه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا

(انه عزيز) [illegible] (حكيم) [illegible] من يتبعونك (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) [illegible] كافيك [illegible] من المؤمنين [illegible] ويجوز أن يكون في محل الرفع أى كفاك الله وكفاك أتباعك من المؤمنين قيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين

وكنهم (ولكن الله ألف بينهم) بين قلوبهم بالايمان (انه عزيز) في ملكه وسلطانه (حكيم) في أمره وقضائه (يا أيها النبي حسبك الله) الله حسبك (ومن اتبعك من المؤمنين) الاوس والخزرج (يا أيها النبي حرض المؤمنين) حض وحث المؤمنين (على القتال) يوم بدر (ان يكن منكم عشرون صابرون) في الحرب محتسبون (يغلبوا مائتين) يقاتلوا مائتين من المشركين

وقرئ فاجنح بالضم ﴿ وتوكل على الله ﴾ ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم ﴿ انه هو السميع ﴾ لاقوالهم ﴿ العليم ﴾ بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف ﴿ وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ﴾ فان محسبك الله وكافيك قال جرير

انى وجدت من المكارم حسبكم ٭ ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا

﴿ هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ جميعا ﴿ وألف بين قلوبهم ﴾ مع ما فيهم من العصبية والضغينة فى ادنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث لايكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وبيانه ﴿ لو انفقت ما فى الارض جميعا ماالفت بين قلوبهم ﴾ أى تناهى عدواتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم مافى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ﴿ ولكن الله ألف بينهم ﴾ بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب

﴿ وتوكل على الله ﴾ يعنى فوض أمرك الى الله فيما عقدته معهم ليكون عونا لك فى جميع أحوالك ﴿ انه هو السميع ﴾ يعنى لاقوالهم ﴿ العليم ﴾ يعنى باحوالهم ٭ قوله عز وجل ﴿ وان يريدوا أن يخدعوك ﴾ يعنى يغدروا بك قال مجاهد يعنى بنى قريظة والمعنى وان أرادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم ﴿ فان حسبك الله ﴾ يعنى فان الله كافيك بنصره ومعونته ﴿ هو الذى أيدك بنصره ﴾ يعنى هو الذى قواك وأعانك بنصره يوم بدر وفى سائر أيامك ﴿ وبالمؤمنين ﴾ يعنى وأيدك بالمؤمنين يعنى الانصار فان قلت اذا كان الله قد أيده بنصره فاى حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين قلت التأييد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة وباسباب ظاهرة معلومة فاما الذى يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذى أيدك بنصره لان أسبابه باطنة بغير وسائط معلومة وأما الذى يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان أسبابه ظاهرة بوسائط وهم المؤمنون والله سبحانه وتعالى هو مسبب الاسباب وهو الذى أقامهم لنصره ثم بين كيف أيده بالمؤمنين فقال تعالى ﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ وذلك ان العرب كانت فيهم الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والعصبية والانطواء على الضغينة من أدنى شئ حتى لو أن رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة قاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا ثارهم لايكاد يأتلف منهم قلبان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآمنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة فائتلفت قلوبهم واستجمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وأبدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفى الله واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعوانا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت بينهم فى الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت المحبة والالفة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله

جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم (انه هو السميع) لاقوالك (العليم) باحوالك (وان يريدوا ان يخدعوك) يمكروا ويغدروا (فان حسبك الله) كافيك الله (هو الذى أيدك) قواك (بنصره وبالمؤمنين) جميعا أو بالانصار (وألف بين قلوبهم) قلوب الاوس والخزرج بعد تعاديهم مائة وعشرين سنة (لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم) أى بلغت عداوتهم مبلغا لو أنفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر عليه (ولكن الله ألف بينهم) بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته فاحدث بينهم التوادد والتحابب وأماط عنهم التباغض والتماقت

واردها (وتوكل على الله) فى نقضهم ووفائهم (انه هو السميع) لمقالتهم (العليم) بنقضهم ووفائهم (وان يريدوا) بنو قريظة (أن يخدعوك) بالصلح (فان حسبك الله) الله حسبك وكافيك (هو الذى أيدك) قواك وأعانك (بنصره) يوم بدر (وبالمؤمنين) بالاوس والخزرج (وألف بين قلوبهم) جمع بين قلوبهم وكلمتهم بالاسلام (لو أنفقت (قاوخا ٩ اث) مافى الارض جميعا) من الذهب والفضة (ما ألفت بين قلوبهم)

﴿ واخرين من دونهم ﴾ من غيرهم من [illegible] قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس ﴿ لاتعلمونهم ﴾ لاتعرفونهم باعيانهم ﴿ الله يعلمهم ﴾ يعرفهم ﴿ وماتنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم ﴾ جزاؤه ﴿ وانتم لاتظلمون ﴾ بتضييع العمل أونقض الثواب ﴿ وان جنحوا ﴾ مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى ﴿ للسلم ﴾ للصلح والاستسلام وقرأ أبو بكر بالكسر ﴿ فاجنح لها ﴾ وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال

السلم تأخذ منها مارضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع

مستكملون لجميع الاسلحة وآلات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام أو بذل الجزية للمسلمين ✽ وقوله تعالى ﴿ وآخرين من دونهم ﴾ يعني وترهبون آخرين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد هم بنو قريظة وقال السدى هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى ﴿ لاتعلمونهم ﴾ لانهم معكم يقولون بالسنتهم لااله الاالله ﴿ الله يعلمهم ﴾ يعني انهم منافقون وأورد على هذا القول ان المنافقين لايقاتلون لاظهارهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل وأجيب عن هذا الايراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم وأسلحتهم كان ذلك ممايخوفهم ويحزنهم فكان في ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبرى قال لان الله تعالى قال لاتعلمونهم ولاشك ان المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لعلمهم بانهم مشركون ولانهم حرب للمؤمنين أما الجن فلايعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم أحوالهم وأماكنهم دونكم ويعضدهذا القول ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لايخبل احدا في داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجزرى وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن ✽ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وماتنفقوا من شئ في سبيل الله ﴾ قيل أراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو أمر عام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره ﴿ يوف اليكم ﴾ يعني أجره في الآخرة ويعجل لكم عوضه في الدنيا ﴿ وأنتم لاتظلمون ﴾ يعني وأنتم لاتنقصون من ثواب أعمالكم شيأ ✽ قوله تبارك وتعالى ﴿ وان جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ لما أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين باعداد القوة ومايرهب العدو أمرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسألوه فقال تعالى وان جنحوا للسلم يعني مالوا الى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله تعالى فاجنح لها أي مل اليها يعني الى المصالحة روى عن الحسن وقتادة أن هذه الآية منسوخة باية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان رأى الامام أن يصالح أعداءه من الكفار وفيه قوة فلايجوز ان يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم عشر سنين ولايجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح أهل مكة مدة عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة ✽ وقوله تعالى

من دونهم) غيرهم وهم اليهود أو المنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجن في الحديث ان الشيطان لايقرب صاحب فرس ولادارا فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن (لاتعلمونهم) لاتعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم وماتنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم) يوفر عليكم جزاؤه (وأنتم لاتظلمون) في الجزاء بل تعطون على التمام (وان جنحوا مالوا جنح له واليه مال (للسلم) للصلح وبكسر السين أبو بكر وهو مؤنث تأنيث ضدها وهو الحرب (فاجنح لها) فمل اليها

(وآخرين من دونهم) من دون بني قريظة وسائر العرب ويقال كفار الجن (لاتعلمونهم) لاتعلمون عدتهم (الله يعلمهم) يعلم عدتهم (وماتنفقوا من شئ) من مال (في سبيل الله) في طاعة الله على السلاح والخيل (يوف اليكم) يوف لكم ثوابه لاينقص (وأنتم لاتظلمون) لاتنقصون من ثوابكم (وان جنحوا للسلم) ان مال بنو قريظة الى الصلح فارادوا الصلح (فاجنح لها) مل اليها

جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ﴿ ترهبون به ﴾ تخوفون به وعن يعقوب ترهبون به بالتشديد والضمير لما استطعتم أو للاعداد ﴿ عدو الله وعدوكم ﴾ يعنى كفار مكة

روى ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا أوصى بثلث ماله للحصون فقال ابن سيرين يشترى به الخيل ويربطها فى سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعنى الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالافنية للنسل وروى ان خالد بن الوليد كان لا يركب فى القتال الا الاناث لقلة صهيلها وعن ابن محيريز قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند الشنات والغارات وقيل ربط الفحول أولى من الاناث لانها أقوى على الكر والفر والعدو فكانت المحاربة عليها أولى من الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فأى ذلك ربط بنية الغزاة كان فى سبيل الله (ق) عن عروة ابن الجعد البارقى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنيمة (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة (خ) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هى لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذى هى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله زاد فى رواية لاهل الاسلام فاطال لها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج أو الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت له آثارها وأرواثها حسنات ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يردان يسقيها كان ذلك له حسنات فهى لذلك الرجل أجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها فهى لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهى على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما أنزل على فيها شئ الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الحبل الذى يشد به الفرس وقت الرعى والاستنان الجرى والشرف الشوط الذى تجرى فيه الفرس وقوله تغنيا يعنى استغناء بها عن الطلب لما فى أيدى الناس أما حق ظهورها فهو أن يحمل عليها منقطعا الى أهله وأما حق رقابها فقيل أراد به الاحسان اليها وقيل أراد به الحمل عليها فعبر بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النواء المعاداة يقال ناوأت الرجل مناوأة اذا عاديته * وقوله تعالى ﴿ ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ يعنى تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعنى الكفار من أهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تخزون به عدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له

وميكال (ترهبون به) بما استطعتم (عدو الله وعدوكم)

الاناث (ترهبون به) تخوفون بالخيل (عدو الله) فى الدين (وعدوكم) بالقتل

سمعته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر ألا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه ﴿ومن رباط الخيل﴾ اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمى به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا أو وجمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها

يعنى غشوكم وفى رواية أكثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفى رواية اذا أكثبوكم فعليكم بالنبل ﴿م﴾ عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم ان يلهو باسهمه ﴿م﴾ عن فقيم اللخمى قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وأنت شيخ كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اعانه قال قلت وماذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمى ثم تركه فليس منا أو قد عصى عن ابى نجيح السلمى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة فى الجنة فبلغت يومئذ عشرة أسهم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم فى سبيل الله فهو عدل محرر أخرجه النسائى والترمذى بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة وأخرجه أبو داود أيضا عن عقبة بن عامر بمعناه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل ليدخلن بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب فى عمله الخير والرامى به والممد به وفى رواية ومنبله فارموا واركبوا وأن ترموا أحب الى من أن تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو محمود الا ثلاثة تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بقوسه أى نبله فانهن من الحق ومن ترك الرمى بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها أو كفرها أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى مختصرا الى نبله ﴿خ﴾ عن سلمة بن الاكوع قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون بالقوس فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارموا بنى اسمعيل فان أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بنى فلان فامسك أحد الفريقين بايديهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم مالكم لا ترمون فقالوا كيف نرمى وأنت معهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم * القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به فى الحرب على العدو فكل ما هو آلة يستعان بها فى الجهاد فهو من جملة القوة المأمور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمى لا ينفى كون غير الرمى من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبة فهذا لا ينفى اعتبار غيره بل يدل على ان هذا المذكور من افضل المقصود وأجله فكذا هنا يحمل معنى الآية على الاستعداد للقتال فى الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات كالرمى بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مأمور به الا انه من فروض الكفايات * وقوله تعالى ﴿ومن رباط الخيل﴾ يعنى اقتناءها وربطها للغزو فى سبيل الله والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمى المكان الذى يخص باقامة حفظه فيه رباطا والمرابطة اقامة المسلمين بالثغور للحراسة فيها وربط الخيل للجهاد من أعظم ما يستعان به

الحصون ﴿ومن رباط الخيل﴾ هو اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله أو هو جمع ربيط كفصيل وفصال وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبريل

من سلاح ﴿ومن رباط الخيل﴾ من الخيل الروابط

لناقضين للعهود (ولايحسبن) بالياء وفتح السين شامى وحمزة ويزيد وحفص وبالتاء وفتح السين أبو بكر وبالتاء وكسر السين غيرهم (الذين كفروا واسبقوا) فاتوا وأفلتوا من ﴿٦١﴾ أن يظفر بهم (انهم لايعجزون) {سورة الانفال} انهم لايفوتون ولايجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم أنهم شامى اى لانهم وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غيران المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح فمن قرأ بالتاء فالذين كفروا مفعول أول والثانى سبقوا ومن قرأ بالياء فالذين كفروا فاعل وسبقوا مفعول تقديره ان سبقوا فحذف ان وان مخففة من الثقيلة أى انهم سبقوا فسد مسد المفعولين أو يكون الفاعل مضمرا أى ولايحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفرد حمزة بالقراءة ففيه نظر لما بينا من عدم تفرده بها وعن الزهرى انها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين (وأعدوا) أيها المؤمنون (لهم) لناقضى العهد أو لجميع الكفار (ما استطعتم من قوة) من كل مايتقوى به فى الحرب من عددها وفى الحديث الا ان القوة الرمى قالها ثلاثا على المنبر وقيل هى

(ولاتحسبن) لاتظنن يا محمد (الذين كفروا) بنى قريظة وغيرهم (سبقوا) فاتوا من عذابنا فالواو صنعوا (انهم لايعجزون) لايفوتون من عذاب (وأعدوا لهم) لبنى قريظة وغيرهم (ما استطعتم من قوة)

﴿ولاتحسبن﴾ خطاب للنبى عليه الصلاة والسلام وقوله ﴿الذين كفروا سبقوا﴾ مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد أو من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار أو على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على ﴿انهم لايعجزون﴾ بالفتح على قراءة ابن عامر وان لاصلة وسبقوا حال بمعنى سابقين أى مفلتين والاظهر انه تعليل للنهى أى لاتحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لايفوتون الله أو لايجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين ﴿واعدوا﴾ ايها المؤمنون ﴿لهم﴾ لناقضى العهد أو للكفار ﴿ما استطعتم من قوة﴾ من كل مايتقوى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر

وفيه جاء على دابة أو فرس وأما حكم الآية فقال أهل العلم اذا ظهرت آثار نقض العهد ممن هادنهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح له من غير أمر مستفيض فحينئذ يجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب وأما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام الى نبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم فى ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على أربع فراسخ من مكة ☼ وقوله تعالى ﴿ولاتحسبن﴾ قرئ بالتاء على الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ولاتحسبن يا محمد ﴿الذين كفروا سبقوا﴾ يعنى فاتوا وانهزموا يوم بدر وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه ولايحسبن الذين كفروا سبقوا يعنى خلصوا من القتل والاسر يوم بدر ﴿انهم لايعجزون﴾ يعنى انهم بهذا السبق لايعجزون الله من الانتقام منهم اما فى الدنيا بالقتل واما فى الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلمه الله أنهم لايعجزونه ☼ قوله عز وجل ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ الاعداد اتخاذ الشئ لوقت الحاجة اليه وفى المراد بالقوة أقوال ٭ أحدها أنها جميع أنواع الاسلحة والآلات التى تكون لكم قوة فى الحرب على قتال عدوكم ٭ الثانى انها الحصون والمعاقل ٭ الثالث الرمى وقد جاءت مفسرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمى ثلاثا أخرجه مسلم (خ) عن أبى اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا لقريش اذا أكثبوكم

أولا يتقون الله فيه أو نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم ﴿ فاما تثقفنهم ﴾ فاما تصادفنهم وتظفرن بهم ﴿ فى الحرب فشرد بهم ﴾ ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم ﴿ من خلفهم ﴾ من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ لعل المشردين يتعظون ﴿ واما تخافن من قوم ﴾ معاهدين ﴿ خيانة ﴾ نقض عهد بامارات تلوح لك ﴿ فانبذ اليهم ﴾ فاطرح اليهم عهدهم ﴿ على سواء ﴾ على عدل وطريق قصد فى العداوة ولا تناجزهم فى الحرب فانه يكون خيانة منك أو على سواء فى الخوف أو العلم بنقض العهد وهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الاول أى ثابتا على طريق سوى او منه أو من المنبوذ اليهم أو منهما على غيره وقوله ﴿ ان الله لا يحب الخائنين ﴾ تعليل الامر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المداول عليه بالحال على طريقة الاستئناف

فى نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقى نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله ويثقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد فهو من شر الدواب ﴿ فاما تثقفنهم فى الحرب ﴾ يعنى فاما تجدن هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرن بهم فى الحرب ﴿ فشرد بهم من خلفهم ﴾ قال ابن عباس معناه فنكل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبير أنذر بهم من خلفهم وأصل التشريد فى اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة واليمن ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ يعنى لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد ﴿ واما تخافن ﴾ يعنى واما تعلمن يا محمد ﴿ من قوم ﴾ يعنى معاهدين ﴿ خيانة ﴾ يعنى نقضا للعهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بنى قريظة والنضير ﴿ فانبذ ﴾ أى فاطرح ﴿ اليهم ﴾ يعنى عهدهم وارم به اليهم ﴿ على سواء ﴾ يعنى على طريق ظاهر مستو يعنى أعلمهم قبل حربك اياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم فى العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون انك نقضت العهد أولا بنصب الحرب معهم ﴿ ان الله لا يحب الخائنين ﴾ يعنى فى نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاءه رجل على فرس أو برذون وهو يقول الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدرا فاذا هو عمرو ابن عنبسة فأرسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضى أمدها أو ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة رجل من حمير وعنده الله أكبر مرة واحدة

من العار والنار (فاما تثقفنهم فى الحرب) فاما تصادفنهم وتظفرن بهم (فشرد بهم من خلفهم) ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يقدم عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقال الزجاج افعل بهم ما تفرق به جمعهم وتطرد به من عداهم (لعلهم يذكرون) لعل المشردين من وراءهم يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نكثا بأمارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم العهد (على سواء) على استواء منك ومنهم فى العلم بنقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ اليهم أى حاصلين على استواء فى العلم (ان الله لا يحب الخائنين)

(فاما تثقفنهم) تأسرنهم (فى الحرب فشرد بهم) فنكل بهم (من خلفهم) لكى يكونوا عبرة لمن خلفهم (لعلهم يذكرون) يتعظون فيجتنبون نقض العهد (واما تخافن) تعلمن (من قوم) من بنى قريظة (خيانة) بنقض العهد (فانبذ اليهم على سواء) فنابذهم على بيان (ان الله لا يحب الخائنين) بنقض العهد وغيره من بنى قريظة وغيرهم

كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون ﴾ تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم ﴿ وكل ﴾ من الفرق المكذبة أو من غرقى القبط وقتلى قريش ﴿ كانوا ظالمين ﴾ انفسهم بالكفر والمعاصي ﴿ ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ﴾ اصروا على الكفر ورسخوا فيه ﴿ فهم لا يؤمنون ﴾ فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله ﴿ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة ﴾ بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا انسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمن المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة أو المحاربة ﴿ وهم لا يتقون ﴾ سبة الغدر ومغبته

كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم ﴾ يعني اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ فكذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف ﴿ وأغرقنا آل فرعو وكل كانوا ظالمين ﴾ يعني الاولين والآخرين فان قلت ما الفائدة في تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى فيها ذكر أخذهم وفي الآية الثانية ذكر اغراقهم فهذه تفسير للاولى الفائدة الثانية انه ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم ففي الآية الاولى اشارة الى انهم أنكروا آيات الله وجحدوها وفي الآية الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتأكيد وفي قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب ۞ قوله عز وجل ﴿ ان شر الدواب عند الله ﴾ يعني في علمه وحكمه ﴿ الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾ والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصرون على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف ﴿ الذين عاهدت منهم ﴾ قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هي للتبعيض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والاشراف ﴿ ثم ينقضون عهدهم في كل مرة ﴾ قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد أيضا ومالؤا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وهم لا يتقون ﴾ يعني انهم لا يخافون الله

(فاهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون) بماء البحر (وكل) وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) أنفسهم بالكفر والمعاصي (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أي أصروا على الكفر فلا يتوقع منهم الايمان (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا اي الذين عاهدتهم من الذين كفروا او جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصرين الناكثون للعهود (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) في كل معاهدة (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه

من قبلهم كذبوا بآيات ربهم) بالكتب والرسل كما كذب أهل مكة (فاهلكناهم بذنوبهم) بتكذيبهم (وأغرقنا آل فرعون) وقومه (وكل) كل هؤلاء (كانوا ظالمين) كافرين (ان شر الدواب) الخلق والخليقة(عند الله الذين كفروا) بنو قريظة وغيرهم (فهم لا يؤمنون) بمحمد عليه السلام والقرآن ثم منهم بينهم فقال(الذين عاهدت) معهم مع بني قريظة (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) حين (وهم لا يتقون) عن نقض العهد

داوموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل قريش أو من قبل آل فرعون (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون (بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب) والمعنى جروا على عادتهم فى التكذيب فأجرى عليهم مثل مافعل بهم فى التعذيب (ذلك) العذاب أو الانتقام (بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) بسبب ان الله لم يصح فى حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال نعم لم يكن لآل فرعون ومشركى مكة حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة لكن لما تغيرت الحال المرضية الى المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة الى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث اليهم بالآيات فكذبوه وسعوا فى اراقة دمه غيروا حالهم الى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب (وأن الله سميع) لما يقول مكذبو الرسل (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون) تكرير للتأكيد أولان فى الاولى الاخذ بالذنوب بلا بيان ذلك وهنا بين ان ذلك هو الاهلاك والاستئصال (والذين من قبلهم

(كدأب آل فرعون) كصنيع آل فرعون (والذين من قبلهم كفروا بآيات الله) بكتاب الله ورسوله يقول كفار مكة كفروا بمحمد عليه السلام والقرآن كما كفر فرعون وقومه والذين من قبلهم بالكتب والرسل (فأخذهم الله بذنوبهم) بتكذيبهم (كذبوا) (ان الله قوى) بالاخذ (شديد العقاب) اذا عاقب (ذلك) العقوبة بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم) بالكتاب والرسول والامن (حتى يغيروا ما بأنفسهم) بترك الشكر (وان الله سميع) بدعائكم (عليم) باجابتكم (كدأب آل فرعون) كصنيع آل فرعون (والذين

فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى دأبوا فيه أى داوموا عليه ﴿والذين من قبلهم﴾ من قبل آل فرعون ﴿كفروا بآيات الله﴾ تفسير لدأبهم ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ كما اخذ هؤلاء ﴿ان الله قوى شديد العقاب﴾ لا يغلبه فى دفعه شئ ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما حل بهم ﴿بان الله﴾ بسبب ان الله ﴿لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم﴾ مبدلا اياها بالنقمة ﴿حتى يغيروا ما بانفسهم﴾ يبدلوا ما بهم من حال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن تعريض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ماهو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا ﴿وان الله سميع﴾ لما يقولون ﴿عليم﴾ بما يفعلون ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم

الكفار فى كفرهم كعادة آل فرعون فى كفرهم فجوزى هؤلاء بالقتل والاسر يوم بدر كما جوزى آل فرعون بالاغراق وأصل الدأب فى اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب فى كذا وكذا يداوم عليه ويتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يداوم على عادته ويواظب عليها قال ابن عباس معناه ان آل فرعون أيقنوا ان موسى عليه السلام نبى من الله تعالى فكذبوه فكذلك هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزل بآل فرعون ﴿والذين من قبلهم﴾ يعنى من قبل آل فرعون ﴿كفروا بآيات الله﴾ يعنى ان عادة الامم السالفة هو كفرهم بآيات الله ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ يعنى بسبب كفرهم وذنوبهم ﴿ان الله قوى﴾ يعنى فى أخذه وانتقامه ممن كفر به وكذب رسله ﴿شديد العقاب﴾ يعنى لمن كفر به وكذب رسله ﴿ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم﴾ يعنى ان الله سبحانه وتعالى أنعم على أهل مكة بان أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فقابلوا هذه النعمة بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بانفسهم فسلبهم الله سبحانه وتعالى النعمة وأخذهم بالعقاب قال السدى نعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله تعالى الى الانصار ﴿وان الله سميع﴾ يعنى لاقوال خلقه لا يخفى عليه شئ من كلامهم ﴿عليم﴾ يعنى بما فى صدورهم من خير وشر فيجازى كل واحد على عمله ﴿كدأب آل فرعون﴾ يعنى ان هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون ﴿والذين من قبلهم

﴿ يضربون وجوههم ﴾ والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين ﴿ وادبارهم ﴾ ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب أى يضربون ما اقبل منهم وما ادبر ﴿ وذوقوا عذاب الحريق ﴾ عطف على يضربون باضمار القول أى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ﴿ ذلك ﴾ الضرب والعذاب ﴿ بما قدمت ايديكم ﴾ بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك ﴿ وان الله ليس بظلام للعبيد ﴾ عطف على ما للدلالة على ان السببية مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد ﴿ كدأب آل فرعون ﴾ أى دأب هؤلاء مثل دأب آل

ذلك الوقت ﴿ يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ اختلفوا فى وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا أقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا أدبارهم ضربت الملائكة أدبارهم وقال ابن جريج يريد ما أقبل من أجسادهم وأدبر يعنى يضربون جميع أجسادهم ﴿ وذوقوا عذاب الحريق ﴾ يعنى وتقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محماة بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار فى جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق ﴿ ذلك ﴾ يعنى الذى نزل بكم من القتل والضرب والحريق ﴿ بما قدمت أيديكم ﴾ يعنى انما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصى فان قلت اليد ليست محلا للكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر الآية يقتضى ان فاعل هذا الكفر هى اليد وذلك ممتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد آلة العمل والقدرة هى المؤثرة فى العمل فاليد كناية عن القدرة * وقوله عز وجل ﴿ وان الله ليس بظلام للعبيد ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا من خلقه الا بجرم اجترمه لانه لا يظلم أحدا من خلقه وانما نفى الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والعاصى على عصيانه لانه يتصرف فى ملكه كيف شاء ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم اليه فلا يتوهم متوهم انه سبحانه وتعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليه ظالم فلهذا قال الله سبحانه وتعالى وان الله ليس بظلام للعبيد لانهم فى ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشاء * قوله عز وجل ﴿ كدأب آل فرعون ﴾ يعنى ان عادة هؤلاء

فاعل (يضربون) حال منهم (وجوههم) اذا أقبلوا (وأدبارهم) ظهورهم وأستاههم اذا أدبروا أو وجوههم عند الاقدام وأدبارهم عند الانهزام وقيل فى يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر والاول الوجه لان الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيهم بلا واسطة دليله قراءة ابن عامر تتوفى بالتاء (وذوقوا) ويقولون لهم ذوقوا معطوف على يضربون (عذاب الحريق) أى مقدمة عذاب النار أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به او يقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أى لرأيت أمرا فظيعا (ذلك بما قدمت أيديكم) أى كسبت وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أى ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله (ليس بظلام للعبيد) لان تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام لتكثير لاجل العبيد أو لنفى أنواع الظلم الكاف فى (كدأب آل فرعون) فى محل الرفع أى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذى دأبوا فيه أى

يوم بدر (يضربون وجوههم) على وجوههم (وأدبارهم) على ظهورهم (وذوقوا عذاب الحريق) الشديد (ذلك) العذاب (بما قدمت) عملت (ايديكم) (قا و خا ٨ اث) فى الشرك (وان الله ليس بظلام للعبيد) ان يأخذهم بلا جرم

يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا ﴿ اذيقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ﴾ والذين لم تطمئنوا الى الايمان بعد وبقى فى قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين ﴿ غر هؤلاء ﴾ يعنون المؤمنين ﴿ دينهم ﴾ حين تعرضوا لما لا يدى لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ﴿ ومن يتوكل على الله ﴾ جواب لهم ﴿ فان الله عزيز ﴾ غالب لايذل من استجار به وان قل ﴿ حكيم ﴾ يفعل بحكمته البالغة مايستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ﴿ ولو ترى ﴾ ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان ﴿ اذيتوفى الذين كفروا الملائكة ﴾ ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف أى ولو ترى الكفرة أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مارؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولاأدحر ولاأحقر ولاأغيظ منه فى يوم عرفة وماذاك الالمايرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الامارأى يوم بدر فانه قد رأى جبريل يزع الملائكة أخرجه مالك فى الموطأ «قوله ولاأدحر هو بالدال والحاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطرد مع الاهانة وقوله يزع الملائكة أى يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذى يتقدم ويتأخر فى الصف ليصلحه «فان قلت كيف يقدر ابليس على أن يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا «قلت ان الله عز وجل أعطاه قوة وأقدره على ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على أن يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة ۞ قوله عز وجل ﴿ اذيقول المنافقون ﴾ يعنى من أهل المدينة ﴿ والذين فى قلوبهم مرض ﴾ أى شك وارتياب وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقو الاسلام فى قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا ﴿ غر هؤلاء دينهم ﴾ يعنى ان هؤلاء نفر قليلون يقاتلون أضعافهم فقد غرهم دينهم الاسلام على ذلك وحملهم على قتل أنفسهم رجاء الثواب فى الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد ان فئة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم ثم قال تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله ﴾ يعنى ومن يسلم أمره الى الله ويثق بفضله ويعول على احسانه ﴿ فان الله ﴾ حافظه وناصره لانه ﴿ عزيز ﴾ لايغلبه شئ ﴿ حكيم ﴾ فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى أوليائه والعقاب الى أعدائه ۞ قوله عز وجل ﴿ ولو ترى اذيتوفى الذين كفروا الملائكة ﴾ يعنى ولو عاينت يامحمد وشاهدت اذ تقبض الملائكة أرواح الذين كفروا عند الموت لرأيت أمرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم فى

اذكروا (اذيقول المنافقون) بالمدينة (والذين فى قلوبهم مرض) هو من صفة المنافقين أو أريد والذين هم على حرف ليسوا بثابتى الاقدام فى الاسلام (غر هؤلاء دينهم) يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله) يكل اليه أمره (فان الله عزيز) غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوى (حكيم) لايسوى بين وليه وعدوه (ولو ترى) ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضى كما ترد ان الماضى الى معنى الاستقبال (اذ) نصب على الظرف (يتوفى الذين كفروا) يقبض أرواحهم (الملائكة)

فلا يقطعوه بعد ذلك (اذيقول المنافقون) الذين ارتدوا ببدر) والذين فى قلوبهم مرض) شك وخلاف وسائر الكفار (غر هؤلاء) محمد عليه السلام وأصحابه (دينهم) توحيدهم (ومن يتوكل على الله) فى النصرة (فان الله عزيز) بالنقمة من أعدائه (حكيم) بالنصرة لمن توكل عليه كما نصر نبيه صلى الله عليه وسلم يوم بدر (ولو ترى) لو رأيت يامحمد (اذيتوفى الذين كفروا) يقبض أرواحهم (الملائكة)

أوصفته وليس صلته والالانتصب كقولك لاضاربا زيداعندنا ﴿ فلماتراءت الفئتان ﴾ أى تلاقى الفريقان ﴿ نكص على عقبيه ﴾ رجع القهقرى أى بطل كيده وعاد ماخيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم ﴿ وقال انى برئ منكم انى أرى مالاترون انى اخاف الله ﴾ أى تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لمارأى امدادالله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت مابينهم وبين كنانة من الاحنة وكان ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لاغالب لكم اليوم وانى مجيركم من بنى كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يدالحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى ارى مالاترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالواهزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلمااسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى اخاف الله انى اخافه ان يصيبنى مكروها من الملائكة أو يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذرأى مالم يرقبله والاول ماقاله الحسن واختاره ابن بحر ﴿ والله شديد العقاب ﴾

وقوله انى جارلكم يعنى مجيرلكم من كنانة ﴿ فلما تراءت الفئتان ﴾ أى التقى الجمعان رأى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء فعلم عدوالله ابليس انه لاطاقة له بهم ﴿ نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم ﴾ يعنى رجع القهقرى وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال الكلبى لما التقى الجمعان كان ابليس فى صف المشركين على صورة سراقة بن مالك ابن جعشم وهو آخذ بيدالحرث بن هشام فنكص عدوالله ابليس على عقبيه فقال له الحرث أفرارا من غير قتال وجعل يمسكه فدفع فى صدره وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالواهزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغنى انكم تقولون انى هزمت الناس فوالله ماشعرت بمسيركم حتى بلغنى هزيمتكم فقالوا أما أتيتنا فى يوم كذا وكذا فحلف لهم فلما أسلموا علموا أن ذلك كان شيطانا قال الحسن فى قوله ﴿ انى أرى مالا ترون ﴾ قال رأى ابليس جبريل عليه السلام معتجرا ببرد يمشى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وفى يده اللجام يقود الفرس ماركب وقال قتادة قال ابليس انى أرى مالا ترون وصدق وقال انى أخاف الله وكذب مابه مخافة الله ولكن علم انه لاقوة له ولامنعة فاوردهم وأسلمهم وتلك عادة عدوالله ابليس لمن أطاعه اذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف أن يهلك فيمن هلك وقيل خاف أن يأخذه جبريل فيعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه ﴿ انى أخاف الله ﴾ أعلم صدق وعده لاوليائه لانه كان على ثقة من أمر ربه وقيل لما رأى الملائكة قد نزلت من السماء خاف أن تكون القيامة ﴿ والله شديد العقاب ﴾ قيل معناه انى أخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله انى أخاف الله وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله سبحانه وتعالى والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به ﴿ عن طلحة بن عبيدالله بن كريز

مجير لكم أوهمهم ان طاعة الشيطان مما يجيرهم (فلما تراءت الفئتان) فلما تلاقى الفريقان (نكص) الشيطان هاربا (على عقبيه) أى رجع القهقرى (وقال انى برئ منكم) أى رجعت عما ضمنت لكم من الامان روى ان ابليس تمثل لهم فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم فى جند من الشياطين معه راية فلما رأى الملائكة تنزل نكص فقال له الحرث ابن هشام أتخذلنا فى هذه الحالة فقال (انى أرى مالا ترون) أى الملائكة وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا انه الشيطان (انى أخاف الله) أى عقوبته (والله شديد العقاب)

(فلماتراءت الفئتان) الجمعان جمع المؤمنين وجمع الكافرين ورأى ابليس جبريل مع الملائكة (نكص على عقبيه) رجع الى خلفه (وقال) لهم (انى برئ منكم) ومن قتالكم (انى أرى مالا ترون) أرى جبريل ولم تروه (انى أخاف الله والله شديد العقاب) اذاعاقب خاف ان يأخذه جبريل فيعرفه اليهم

الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر ﴿ والله بما تعملون محيط ﴾ فيجازيكم عليه ﴿ واذ زين لهم الشيطان ﴾ مقدر باذكر ﴿ اعمالهم ﴾ فى معاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها بأن وسوس اليهم ﴿ وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم ﴾ مقالة نفسانية والمعنى انه القى فى روعهم وخيل اليهم انهم لايغلبون ولايطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لاغالب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى به قال ابن عباس ان أباسفيان لما رأى انه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل والله لانرجع حتى نرد بدرا وكان فى بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق فى كل عام قال فنقيم عليها ثلاثا وننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا وازاد غيره قال فلما وافوا بدرا سقوا كؤس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا امثالهم والمعنى لايكون أمركم أيها المؤمنون رياء وسمعة ولا لالتماس ماعند الناس ولكن أخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا حسبة فى نصر دينكم وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولاتعملوا الالذلك ولاتطلبوا غيره * قوله تعالى ﴿ والله بما يعملون محيط ﴾ فيه وعيد وتهديد يعنى انه تعالى عالم بجميع الاشياء لايخفى عن علمه شئ لانه محيط بأعمال العباد كلها فيجازى المحسنين ويعاقب المسيئين * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذ زين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ يعنى اذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان يريد ابليس للمشركين أعمالهم الخبيثة ﴿ وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم ﴾ قال بعضهم كان تزيينه وسوسة ألقاها فى قلوبهم من غير أن يتحول فى صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان تزيينه ان قريشا لما أجمعت على المسير الى بدر ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر بن الحرث من الحروب فكاد ذلك أن يثنيهم فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة فقال أنا جار لكم من أن يأتيكم من كنانة شئ تكرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر فى جند من الشياطين معه رايته فى صورة رجل من رجال بنى مدلج سراقة بن مالك بن جعشم فقال للمشركين لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها فى وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام الى ابليس لعنه الله فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل ياسراقة أتزعم انك جار لنا فقال انى أرى مالاترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة

(والله بما يعملون محيط) عالم وهو وعيد (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس) واذكر اذ زين لهم الشيطان أعمالهم التى عملوها فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لايغلبون وغالب مبنى نحو لارجل ولكم فى موضع رفع خبر لا تقديره لاغالب كائن لكم (وانى جار لكم) أى

(والله بما يعملون) فى الخروج على النبى صلى الله عليه وسلم والحرب (محيط) عالم (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) ابليس خروجهم (وقال لاغالب لكم) عليكم (اليوم من الناس) محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (وانى جار لكم) معين لكم

للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لاتكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور ﴿ واصبروا أن الله مع الصابرين ﴾ بالكلاءة والنصر ﴿ ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم ﴾ يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير ﴿ بطرا ﴾ فخرا وأشرا ﴿ ورئاء الناس ﴾ ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا أهل التقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع

وقال مقاتل حدتكم وقال الاخفش وأبو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا أقبل أمره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ريح النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تعالى تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرجه أبو داود * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واصبروا ﴾ يعني عند لقاء عدوكم ولاتنهزموا عنهم ﴿ ان الله مع الصابرين ﴾ يعني بالنصر والمعونة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال أيها الناس لاتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا * قوله عز وجل ﴿ ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ﴾ يعني فخرا واشرا وقيل البطر الطغيان في النعمة وذلك أن النعم اذا كثرت من الله تعالى على العبد فان صرفها في المفاخرة على الاقران وكاثر بها أبناء الزمان وأنفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها ﴿ ورئاء الناس ﴾ الرياء اظهار الجميل ليراه الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ يعني ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله نزلت هذه الآية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولهم فخر وبغي

نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (واصبروا) في القتال مع العدو وغيره (ان الله مع الصابرين) أي معينهم وحافظهم (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس) هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول أبي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا القيان ونطعم بها العرب فذلك بطرهم ورياؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله والبطر ان تشغله كثرة النعمة عن شكرها (ويصدون عن سبيل الله) دين الله

(واصبروا) في القتال مع نبيكم (ان الله مع الصابرين) معين الصابرين في الحرب (ولاتكونوا) في المعصية (كالذين خرجوا من ديارهم) مكة (بطرا) أشرا (ورئاء الناس) سمعة الناس (ويصدون عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته

والى الله ترجع الامور) فيحكم فيها بما يريد ترجع شامي وحمزة وعلي (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) اذا حاربتم جماعة
من الكفار وترك وصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم غالب
للقتال (فاثبتوا) لقتالهم
ولاتفروا (و اذكروا الله
كثيرا) في مواطن الحرب
مستظهرين بذكره مستنصرين
به داعين له على عدوكم
اللهم اخذلهم اللهم اقطع
دابرهم (لعلكم تفلحون)
تظفرون بمرادكم من النصرة
والمثوبة وفيه اشعار بان على
العبد أن لا يفتر عن ذكر
ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر
ما يكون هما وان تكون
نفسه مجتمعة لذلك وان
كانت متوزعة عن غيره
(وأطيعوا الله ورسوله)
في الامر بالجهاد والثبات
مع العدو وغيرهما (ولاتنازعوا
فتفشلوا) فتجبنوا وهو
منصوب باضمار ان ويدل
عليه (وتذهب ريحكم) أي
دولتكم يقال هبت رياح
فلان اذا دالت له الدولة
ونفذ أمره شبهت في نفوذ

ثمة الاكتفاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه ﴿ والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة ﴾ حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال ﴿ فاثبتوا ﴾ للقائهم ﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال ﴿ واطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا ﴾ باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر أو احد ﴿ فتفشلوا ﴾ جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ ﴿ وتذهب ريحكم ﴾ بالجزم والريح مستعارة

فما معنى هذا التكرار قلت المقصود من ذكره في الآية المتقدمة تحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه القهر والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره في هذه الآية لانه تعالى قلل عدد الفريقين في أعين بعضهم بعضا للحكمة التي تضاهيها فلذلك قال ليقضي الله أمرا كان مفعولا ﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ يعني في الآخرة فيجازي كل عامل على قدر عمله فالمحسن باحسانه والمسيء باساءته أو يغفر ❊ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة ﴾ يعني جماعة كافرة ﴿ فاثبتوا ﴾ يعني لقتالهم وهو أن يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتولي ﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ يعني كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم وألسنتكم أمر الله عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين بان يذكروه في أشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على أن الانسان لا يجوز أن يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر على العدو عند اللقاء ثم قال تعالى ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ يعني وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر فان قلت ظاهر الآية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم انها ناسخة لآية التحرف والتحيز قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة وآية التحرف والتحيز لا تقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل ربما كان الثبات لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم قال تعالى مؤكدا لذلك ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ﴾ يعني في أمر الجهاد والثبات عند لقاء العدو ﴿ ولاتنازعوا فتفشلوا ﴾ يعني ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن ❊ قوله عز وجل ﴿ وتذهب ريحكم ﴾ يعني قوتكم وقال مجاهد نصرتكم قال وذهبت ريح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقال السدي جراءتكم وجدكم

(والى الله ترجع الامور)
عواقب الامور في الآخرة
(يا أيها الذين آمنوا) يعني
أصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم (اذا لقيتم فئة) جماعة
من الكفار يوم بدر (فاثبتوا)
مع نبيكم في الحرب
(واذكروا الله كثيرا) بالقلب
واللسان بالتهليل والتكبير (لعلكم تفلحون) لكي تنجوا من السخط والعذاب وتنصروا (وأطيعوا الله ﴿ وقال ﴾
ورسوله) في أمر الحرب (ولاتنازعوا) لاتختلفوا في أمر الحرب (فتفشلوا) فتجبنوا (وتذهب ريحكم) شدتكم والريح النصرة

والتنازع والاختلاف (انه عليم بذات الصدور) يعلم ماسيكون فيهما من الجراءة والجبن والصبر والجزع (واذ يريكموهم) الضميران مفعولان أى واذ يبصركم ايّاهم (اذ التقيتم) وقت الالتقاء (فى أعينكم قليلا) هو نصب على الحال وانما قللهم فى أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى أتراهم سبعين قال أراهم مائة وكانوا ألفا (ويقللكم فى أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزور قيل قد قللهم فى أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيما بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا ويجوز أن يبصروا الكثير قليلا بان يستر الله بعضهم بساتر او يحدث فى عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث فى أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالى لا أرى هذين الديكين أربعة (ليقضى الله أمرا كان مفعولا

انعم بالسلامة من الفشل والتنازع ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ يعلم ماسيكون فيها وما يغير من احوالها ﴿واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا﴾ الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثانى وانما قللهم فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لمن الى جنبه أتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ويقللكم فى أعينهم﴾ حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه أكلة جزور وقللهم فى اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى فى الشروط ﴿ليقضى الله امرا كان مفعولا﴾ كرره لاختلاف الفعل المعلل به أو لان المراد بالامر

سلمكم من الهزيمة والفشل ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ يعنى انه تعالى يعلم مايحصل فى الصدور من الجراءة والجبن والصبر والجزع وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه أنه عليم بما فى صدوركم من الحب لله عزوجل ﴿واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا﴾ يعنى ان الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين فى أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا فى القتال ليتأكد فى اليقظة ما رآه النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه وأخبر به أصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال كنا ألفا ﴿ويقللكم فى أعينهم﴾ يعنى ويقللكم يامعشر المؤمنين فى أعين المشركين قال السدى قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الآن اذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصلهم انما محمد وأصحابه أكلة جزور يعنى لقلتهم فى عينيه ثم قال فلا تقتلوهم واربطوهم فى الحبال يقوله من القدرة التى فى نفسه والحكمة فى تقليل المشركين فى أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ولتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جراءتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة فى تقليل المؤمنين فى أعين المشركين لئلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا فى الاستعداد والتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك ممكن فى القدرة الالهية فان الله سبحانه وتعالى على مايشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم والمعجزة من خوارق العادات فلا ينكر ذلك ﴿ليقضى الله أمرا كان مفعولا﴾ يعنى أمرا كائنا من اعلاء كلمة الاسلام ونصر أهله واذلال كلمة الشرك وخذلان أهله فان قلت قد قال فى الآية المتقدمة ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا وقال فى هذه الآية ليقضى الله أمرا كان مفعولا

(انه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب (واذ يريكموهم) يوم بدر (اذ التقيتم) لقيتم (فى أعينكم قليلا) حتى أجرأكم عليهم (ويقللكم فى أعينهم) حتى اجترؤا عليكم (ليقضى الله أمرا) ليمضى الله أمرا بالنصرة والغنيمة لمحمد عليه السلام وأصحابه والقتل والهزيمة لابى جهل وأصحابه (كان مفعولا) كائنا

لانه مقالا تقول في المستقبل يحيي والادغام أكثر استعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم صادرا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من الآيات الواضحة التى من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وايضا ذكر فيها مراكز الفريقين وان العير

كانت أسفل منهم مع انهم قد علموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق ان النصر والغلبة لاتكون بالكثرة والاسباب بل بالله تعالى وذلك ان العدوة القصوى التى أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان (وان الله لسميع) لاقوالهم (عليم) بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه (اذ يريكهم الله) نصب باضمار اذكر أو هو متعلق بقوله لسميع عليم أى يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك (في منامك قليلا) أى في رؤياك وذلك ان الله تعالى أراه اياهم في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) لجبنتم وهبتم الاقدام (ولتنازعتم في الامر) أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) عصمكم وأنعم بالسلامة من الفشل و { سلمكم }

مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل ﴿ وان الله لسميع عليم ﴾ بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد ﴿ اذ يريكهم الله في منامك قليلا ﴾ مقدر باذكر أو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أى يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ﴿ ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ﴾ لجبنتم ﴿ ولتنازعتم في الامر ﴾ امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ﴿ ولكن الله سلم

معناه يكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هى الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدى من اهتدى على بينة ﴿ وان الله لسميع عليم ﴾ يعنى يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية ﴿ قوله عز وجل ﴿ اذ يريكهم الله ﴾ يعنى واذكر يا محمد نعمة الله عليك اذ يريك المشركين ﴿ في منامك ﴾ يعنى في نومك ﴿ قليلا ﴾ قال مجاهد أراهم الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وكان ذلك تثبيتا وقال محمد بن اسحق فكان ما أراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم فكف عنهم بها ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم وقيل لما أرى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش في منامه قليلا فاخبر بذلك أصحابه قالوا رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجراءتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراءة كانت في اليقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم ﴿ ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ﴾ يعنى لجبنتم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو أراكهم كثيرا فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم ﴿ ولتنازعتم في الامر ﴾ يعنى اختلفتم في أمر الاقدام عليهم أو الاحجام عنهم وقيل معنى التنازع في الامر الاختلاف الذى تكون معه مخاصمة ومجادلة ومجاذبة كل واحد الى ناحية والمعنى لاضطرب أمركم واختلفت كلمتكم ﴿ ولكن الله سلم ﴾ يعنى ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله

صلى الله عليه وسلم ويؤمن من أراد الله ان يؤمن من بعد البيان (وان الله لسميع) لدعائكم (عليم) باجابتكم ونصرتكم (اذ يريكهم الله في منامك) يا محمد قبل يوم بدر (قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) لجبنتم (ولتنازعتم في الامر) لاختلفتم في أمر الحرب (ولكن الله سلم) قضى

المدينة تأنيث الأقصى وكلاهما فعلى من بنات الواو والقياس قلب الواو ياء كالعليا تأنيث الأعلى وأما القصوى فكالقود مجيئه على الأصل (والركب) أى العير وهو جمع راكب فى المعنى (أسفل منكم) نصب على الظرف أى مكانا أسفل من مكانكم يعنى فى أسفل الوادى بثلاثة أميال وهو مرفوع المحل لأنه خبر المبتدأ (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال (لاختلفتم فى الميعاد) لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما فى قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقى ما وفقه الله وسبب له (ولكن) جمع بينكم بلا ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) من اعزاز دينه واعلاء كلمته واللام تتعلق بمحذوف أى ليقضى الله أمرا كان ينبغى ان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القضاء يحتمل الحكم اى ليحكم ما قد علم انه يكون كائنا أو ليتم أمرا كان قد أراده وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الاسلام وأهله وذل الكفر وحزبه ويتعلق بيقضى (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة) حى نافع وأبو عمرو فالادغام لالتقاء المثلين والاظهار لان حركة الثانى غير

قلب الواو ياء كالدنيا والعلياء تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصياء ﴿والركب﴾ أى العير أو قوادها ﴿أسفل منكم﴾ فى مكان اسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة ولذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ﴿ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد﴾ أى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ﴿ولكن﴾ جمع بينكم على هذه الحالة من غير ميعاد ﴿ليقضى الله امرا كان مفعولا﴾ حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة﴾ بدل منه أو متعلق بقوله

يعنى بشفير الوادى الاقصى من المدينة مما يلى مكة والقصوى تأنيث الأقصى ﴿والركب أسفل منكم﴾ يعنى أبا سفيان وأصحابه وهم عير قريش التى خرجوا لاجلها وكانوا فى موضع أسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر ﴿ولو تواعدتم﴾ يعنى أنتم والمشركون ﴿لاختلفتم فى الميعاد﴾ وذلك ان المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم أنتم والكفار على القتال لاختلفتم انتم وهم لقلتكم وكثرة عدوكم ﴿ولكن﴾ يعنى ولكن الله جمعكم على غير ميعاد ﴿ليقضى الله أمرا كان مفعولا﴾ يعنى من نصر أوليائه واعزاز دينه واهلاك أعدائه وأعداء دينه ﴿ليهلك من هلك عن بينة﴾ يعنى ليموت من مات عن بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه ﴿ويحيى من حى عن بينة﴾ يعنى ويعيش من عاش عن بينة رآها وعبرة شاهدها وحجة قامت عليه وقال محمد ابن اسحق

المدينة من خلف الوادى (والركب) العير أبو سفيان وأصحابه (أسفل منكم) على شط البحر بثلاثة اميال (ولو (قا و خا ٧ اث) تواعدتم) فى المدينة للقتال (لاختلفتم فى الميعاد) فى المدينة لذلك (ولكن ليقضى الله) ليمضى الله (أمرا كان مفعولا) كائنا بالنصرة والغنيمة للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقتل والهزيمة لابى جهل وأصحابه (ليهلك من هلك) يقول ليهلك على الكفر من أراد الله ان يهلك (عن بينة) بعد البيان بالنصرة لمحمد عليه السلام ويحيى ويثبت على الايمان (من حى) من أراد الله ان ثبت (عن بينة) بعد البيان بالنصرة لمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال ليهلك ليكفر من هلك من أراد الله ان يكفر عن بينة بعد البيان بالنصرة لمحمد

(ان كنتم آمنتم بالله) فاعملوا به وارضوا بهذه القسمة فالايمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم (وما انزلنا) معطوف على بالله

أي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل (على عبدنا يوم الفرقان) يوم بدر (يوم التقى الجمعان) الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما نزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ وهو بدل من يوم الفرقان (والله على كل شئ قدير) يقدر على ان ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر (اذ انتم) بدل من يوم الفرقان او التقدير اذكروا اذ أنتم (بالعدوة) شط الوادي وبالكسر فيهما مكي وأبو عمرو (الدنيا) القربى الى جهة المدينة تأنيث الادنى (وهم بالعدوة القصوى) البعدى عن

صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقتل والهزيمة لابي جهل وأصحابه (قدير اذ أنتم) يامعشر المؤمنين { يعنى } (بالعدوة الدنيا) القربى الى المدينة دون الوادي (وهم) يعنى أبا جهل وأصحابه (بالعدوة القصوى) البعدى م

(ان كنتم) اذ كنتم (آمنتم بالله وما أنزلنا) وبما أنزلنا (على عبدنا) محمد عليه السلام (يوم الفرقان) ويوم الدولة والنصرة لمحمد وأصحابه ويقال يوم الفرقان يوم فرق بين الحق والباطل وهو يوم بدر حكم بالنصرة والغنيمة للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقتل والهزيمة لابي جهل وأصحابه (يوم التقى الجمعان) جمع محمد عليه السلام وجمع أبي سفيان (والله على كل شئ) من النصرة والغنيمة للنبي

شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ﴿ ان كنتم آمنتم بالله ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا أي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل ﴿ وما انزلنا على عبدنا ﴾ محمد من الآيات والملائكة والنصر، وقرئ عبدنا بضمتين أي الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿ يوم الفرقان ﴾ يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ المسلمون والكفار ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة ﴿ اذ انتم بالعدوة الدنيا ﴾ بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي، وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب ﴿ وهم بالعدوة القصوى ﴾ البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه

فالاهم من المصالح واختلف أهل العلم في تخميس الفئ فذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه الى أنه يخمس وخمسه لاهل الخمس من الغنيمة على خمسة أسهم وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى أنه لا يخمس بل يصرف جميعه مصرفا واحدا ولجميع المسلمين فيه حق * عن مالك بن أنس قال ذكر عمر يوما الفئ فقال ما أنا أحق بهذا الفئ منكم وما أحدنا أحق به من الآخر الا أنا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته أخرجه أبو داود وأخرج البغوي بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا الفئ حق الا ما ملكت أيمانكم * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ان كنتم آمنتم بالله ﴾ يعنى واعلموا أيها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصروف الى من ذكر في هذه الآية من الاصناف فاقطعوا عنه أطماعكم واقنعوا بأربعة أخماس الغنيمة ان كنتم آمنتم بالله وصدقتم بوحدانيته ﴿ وما أنزلنا على عبدنا ﴾ يعنى وآمنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم والذي انزله الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم يسئلونك عن الانفال الآية ﴿ يوم الفرقان ﴾ يعنى يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ يعنى جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أو لسبع عشرة من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ يعنى على نصركم أيها المؤمنون مع قلتكم وكثرة أعدائكم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ اذ أنتم ﴾ أي اذكروا نعمة الله عليكم يامعشر المسلمين اذ أنتم ﴿ بالعدوة الدنيا ﴾ يعنى بشفير الوادي الادنى من المدينة والدنيا ههنا تأنيث الادنى ﴿ وهم ﴾ يعنى المشركين ﴿ بالعدوة القصوى ﴾

فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم أرأيت اخواننا من بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا فى اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغنى والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم وقيل المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل الخمس كان فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من

صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه أخرجه الترمذى وأخرجه البخارى ومسلم فى حديث طويل والسلب كل مايكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذى كان راكبه ويجوز للامام ان ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم فى الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم أسوة الجماعة فى سائر الغنيمة ﴿ق﴾ عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن سلمة الفهرى قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربع فى البدأة والثلث فى الرجعة أخرجه أبوداود اختلف العلماء فى أن النفل من أين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعى وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال أيها الناس انه لايحل لى مما أفاء الله عليكم قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم أخرجه النسائى وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد افراز الخمس كسهام الغزاة وهو قول أحمد واسحق وذهب قوم الى أن النفل من رأس الغنيمة قبل التخميس كالسلب للقاتل وأما الفئ وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير ايجاف خيل ولاركاب بان صالحهم على مال يؤدونه وكذلك الجزية وما أخذ من أموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة أو يموت أحد منهم فى دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله فئ ومال الفئ كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدة حياته وقال عمر ان الله سبحانه وتعالى قد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الفئ بشئ لم يخص به أحدا غيره ثم قرأ عمر وما أفاء الله على رسوله منهم الآية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق على أهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم مابقى يجعله مجعل مال الله فى الكراع والسلاح واختلف أهل العلم فى مصرف الفئ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه قولان أحدهما انه للمقاتلة الذين أثبتت أسماؤهم فى ديوان الجهاد لانهم هم القائمون مقام النبى صلى الله عليه وسلم فى ارهاب العدو والقول الثانى انه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم

كان على ستة لله والرسول سهمان وسهم لاقاربه فأجرى أبوبكر رضى الله عنه الخمس على ثلاثة وكذا عمر ومن بعده من الخلفاء رضى الله عنهم ومعنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه

لكل نبى طعمة فى حياته فاذا مات سقطت فلم يكن بعده لاحد وكان يقسم ابوبكر وعمر وعثمان وعلى فى خلافتهم الخمس على ثلاثة أسهم سهم لليتامى غير يتامى بنى عبد المطلب وسهم للمساكين غير مساكين بنى عبد المطلب وسهم لابن السبيل للضيف والمحتاج

واليتامى والمساكين وابن السبيل) فالخمس كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله وسهم لذوى قرابته من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان وجبير بن مطعم وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه

(واليتامى) ولقبل اليتامى غير يتامى بنى عبدالمطلب (والمساكين) ولقبل المساكين غير مساكين بنى عبدالمطلب (وابن السبيل) ولقبل الضيف والمحتاج كائنا من كان وكان يقسم الخمس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم للنبى عليه السلام وهو سهم الله وسهم للقرابة لان النبى عليه السلام كان يعطى قرابته لقبل الله وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم سقط سهم النبى صلى الله عليه وسلم والذى كان يعطى للقرابة بقول أبى بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (صلى الله)

واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ فكأنه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى الله تعالى عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك رضى الله تعالى عنه الامر فيه مفوض الى رأى الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم وذووا القربى بنوهاشم وبنو المطلب لما روى انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوى القربى عليهما

فى الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة أصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوى القربى مع هذه الاصناف دون أغنيائهم وحجة الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوى القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوى القربى ولا يفضلون فقيرا على غنى لان النبى صلى الله عليه وسلم أعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه وألحقه الشافعى بالميراث الذى يستحق باسم القرابة غير أنهم يعطون القريب والبعيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما * وقوله سبحانه وتعالى ﴿واليتامى﴾ جمع يتيم يعنى ويعطى من خمس الخمس لليتامى واليتيم الذى له سهم فى الخمس هو الصغير المسلم الذى لا أب له فيعطى مع الحاجة اليه ﴿والمساكين﴾ وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين ﴿وابن السبيل﴾ وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم أربعة أخماسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة وحازوا الغنيمة فيعطى للفارس ثلاثة أسهم سهم له وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهما واحدا لما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم فى النفل للفرس سهمين وللرجل سهما وفى رواية نحوه باسقاط لفظ النفل أخرجه البخارى ومسلم وفى رواية أبى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم للرجل ولفرسه ثلاثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه وهذا قول أكثر أهل العلم واليه ذهب الثورى والاوزاعى ومالك وابن المبارك والشافعى وأحمد واسحق وقال أبو حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان اذا حضروا القتال ويقسم العقار الذى استولى عليه المسلمون كالمنقول وعند أبى حنيفة يتخير الامام فى العقار بين ان يقسمه بينهم وبين أن يجعله وقفا على المصالح وظاهر الآية يدل على انه لافرق بين العقار والمنقول ومن قتل من المسلمين مشركا فى القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة لما روى عن أبى قتادة أن رسول الله

ولذى القربى

خمسة أخماس أربعة أخماسها لمن قاتل عليها وأحرزها والخمس الباقى لخمسة أصناف كما ذكر الله عزوجل للرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال أبو العالية يقسم خمس الخمس على ستة أسهم سهم لله عزوجل فيصرف الى الكعبة والقول الاول أصح أى ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له فى حياته واليوم هو لمصالح المسلمين ومافيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعى وأحمد وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما يجعلان سهم النبى صلى الله عليه وسلم فى الكراع والسلاح وقال قتادة هو للخليفة وقال أبو حنيفة سهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود فى الخمس فيقسم الخمس على الاربعة الاصناف المذكورين فى الآية وهم ذووا القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ❊ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولذى القربى ﴾ يعنى ان سهما من خمس الخمس لذوى القربى وهم أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لاتحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلى بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعى رحمه الله تعالى هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل منه شئ وان كانوا اخوة ويدل عليه ماروى عن جبير بن مطعم قال جئت أنا وعثمان بن عفان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله أعطيت بنى المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وفى رواية أعطيت بنى المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفى رواية قال جبير ولم يقسم النبى صلى الله عليه وسلم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل شيأ أخرجه البخارى وفى رواية أبى داود ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمس فى بنى هاشم وبنى المطلب فقلت يارسول الله قسمت لاخواننا بنى المطلب ولم تعطنا شيأ وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وفى رواية النسائى قال لما كان يوم خيبر رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوى القربى فى بنى هاشم وبنى المطلب وترك بنى نوفل وبنى عبد شمس فانطلقت أنا وعثمان بن عفان حتى أتينا النبى صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله هؤلاء بنو هاشم لاننكر فضلهم للموضع الذى وضعك الله به منهم فما بال اخواننا بنى المطلب أعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب لانفترق فى جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شئ واحد وشبك بين أصابعه وأختلف أهل العلم فى سهم ذوى القربى هل هو ثابت اليوم أم لا فذهب أكثرهم الى أنه ثابت فيعطى فقراؤهم وأغنياؤهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك والشافعى وذهب أبو حنيفة وأصحاب الرأى الى انه غير ثابت قالوا سهم النبى صلى الله عليه وسلم وسهم ذوى القربى مردود

ولذى القربى

الرسول (ولذى القربى) ولقبل قرابة النبى صلى الله عليه وسلم

الجزء العاشر

اللهم ايدنا بالملائكة المقربين

﴿واعلموا انما غنمتم﴾ أى الذى اخذتموه من الكفار قهرا ﴿من شئ﴾ مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط ﴿فأن لله خمسه﴾ مبتدأ خبره محذوف أى فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما فى قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على خمسة المعطوفين ﴿وللرسول

---

* قوله عز وجل ﴿واعلموا أن ما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول﴾ الغنم الفوز بالشئ يقال غنم يغنم غنما فهو غانم واختلف العلماء هل الغنيمة والفئ اسمان لمسمى واحد أم يختلفان فى التسمية فقال عطاء بن السائب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من أموال المشركين فاخذوه عنوة وأما الارض فهى فئ وقال سفيان الثورى الغنيمة ما اصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال وفيه الخمس وأربعة أخماسه لمن شهد الوقعة والفئ ما صولحوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس فهو لمن سمى الله وقيل الغنيمة ما أخذ من أموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والفئ ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشور والجزية وأموال الصلح والمهادنة وقيل ان الفئ والغنيمة معناهما واحد وهما اسمان لشئ واحد والصحيح انهما يختلفان فالفئ ما أخذ من أموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب والغنيمة ما أخذ من أموالهم على سبيل القهر والغلبة بايجاف خيل عليه وركاب فذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا ان ما غنمتم من شئ يعنى من أى شئ كان حتى الخيط والمخيط فان لله خمسه وللرسول وقد ذكر أكثر المفسرين والفقهاء ان قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما أضافه لنفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه ان سهما منه لله مفردا لان الدنيا والآخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وابراهيم النخعى قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم

(واعلموا أن ما غنمتم) ما بمعنى الذى ولا يجوز أن يكتب الا مفصولا اذ لو كتب موصولا لوجب ان تكون ما كافة وغنمتم صلته والعائد محذوف والتقدير الذى غنمتموه (من شئ) بيانه قيل حتى الخيط والمخيط (فان لله خمسه) والفاء انما دخلت لما فى الذى من معنى المجازاة وان وما عملت فيه فى موضع رفع على أنه خبر مبتدأ تقديره فالحكم أن لله خمسه (وللرسول

(واعلموا) يا معشر المؤمنين (ان ما غنمتم من شئ) من الاموال (فان لله خمسه) يخرج خمس الغنيمة لقبل الله (وللرسول) لقبل

﴿ وأن تولوا ﴾ ولم ينتهوا ﴿ فاعلموا أن الله مولاكم ﴾ ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم ﴿ نعم المولى ﴾ لا يضيع من تولاه ﴿ ونعم النصير ﴾ لا يغلب من نصره

من أعمال العباد ونياتهم حتى يوصل اليهم ثوابهم ﴿ وان تولوا ﴾ يعنى وان أعرضوا عن الايمان وأصروا على الكفر وعادوا الى قتال المؤمنين وايذائهم ﴿ فاعلموا ﴾ يعنى أيها المؤمنون ﴿ ان الله مولاكم ﴾ يعنى ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم ﴿ نعم المولى ونعم النصير ﴾ يعنى ان الله سبحانه وتعالى هو نعم المولى فمن كان في حفظه ونصره وكفايته وكلاءته فهو له نعم المولى ونعم النصير

(وان تولوا) أعرضوا عن الايمان ولم ينتهوا (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته (نعم المولى) لا يضيع من تولاه (ونعم النصير) لا يغلب من نصره والمخصوص بالمدح محذوف

وان تولوا) عن الايمان (فاعلموا) يامعشر المؤمنين (ان الله مولاكم) حافظكم وناصركم عليهم (نعم المولى) الولى بالحفظ والنصرة (ونعم النصير) المانع

(هم الخاسرون) انفسهم واموالهم (قل للذين كفروا) اى ابى سفيان واصحابه (ان ينتهوا) عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول فى الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقتاله (فقد مضت سنت الاولين) بالاهلاك ﴿ ٤١ ﴾ فى الدنيا { سورة الانفال } والعذاب فى العقبى أو معناه

أو الى المنفقين ﴿ هم الخاسرون ﴾ الكاملون فى الخسران لانهم خسروا أنفسهم واموالهم ﴿ قل للذين كفروا ﴾ يعنى ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ﴿ أن ينتهوا ﴾ عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول فى الاسلام ﴿ يغفر لهم ما قد سلف ﴾ من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿ وأن يعودوا ﴾ الى قتاله ﴿ فقد مضت سنة الاولين ﴾ الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ لا يوجد فيهم شرك ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ وتضمحل عنهم الاديان الباطلة ﴿ فان انتهوا ﴾ عن الكفر ﴿ فان الله بما يعملون بصير ﴾ فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم فيكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعى اثابتهم للمباشرة يستدعى اثابة مقاتليهم للتسبب

﴿ هم الخاسرون ﴾ يعنى أنهم خسروا الدنيا والآخرة لانهم اشتروا باموالهم عقاب الآخرة * قوله سبحانه وتعالى ﴿ قل ﴾ يعنى قل يا محمد ﴿ للذين كفروا ان ينتهوا ﴾ يعنى عن الشرك ﴿ يغفر لهم ما قد سلف ﴾ يعنى ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام ﴿ وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين ﴾ يعنى فى اهلاك أعدائه ونصر أوليائه ومعنى الآية ان هؤلاء الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا فى دين الاسلام والتزموا شرائعه غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر وأصروا عليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك أعدائه ونصر أنبيائه وأوليائه وأجمع العلماء على ان الاسلام يجب ما قبله واذا أسلم الكافر لم يلزمه شئ من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته أمه يعنى بذلك انه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازى التوحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر فارجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ قال ابن عباس يعنى حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ يعنى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل نبى الله صلى الله عليه وسلم واليها دعا وقال محمد بن اسحق فى قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله يعنى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الانداد والشركاء ﴿ فان انتهوا ﴾ يعنى الشرك واقتتان المؤمنين وايذاءهم ﴿ فان الله بما يعملون بصير ﴾ يعنى فان الله لا يخفى عليه شئ

ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصى وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله فى ان المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الى أن لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده (فان انتهوا) عن الكفر وأسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يثيبهم على اسلامهم

(هم الخاسرون) المغبونون بالعقوبة (قل) يا محمد (للذين كفروا) أبى سفيان وأصحابه (ان ينتهوا) عن الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقتال محمد صلى الله عليه وسلم (يغفر لهم ما قد سلف) من الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقتال محمد صلى الله عليه وسلم (وان يعودوا) الى قتال محمد صلى الله عليه وسلم (فقد مضت سنت الاولين) خلت سيرة الاولين بالنصرة لاوليائه على أعدائه مثل يوم بدر

(وقاتلوهم) يعنى كفار أهل مكة (حتى (قا و خا ٦ لث) لا تكون فتنة) الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقتال محمد عليه السلام فى الحرم (ويكون الدين) فى الحرم والعبادة (كله لله) حتى لا يبقى الا دين الاسلام (فان انتهوا) عن الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقتال محمد صلى الله عليه وسلم (فان الله بما يعملون) من الخير والشر (بصير

اوقية أو في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله ﴿فسينفقونها﴾ بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ﴿ثم تكون عليهم حسرة﴾ ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها كأنها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ﴿ثم يغلبون﴾ آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك ﴿والذين كفروا﴾ أي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذا سلم بعضهم ﴿الى جهنم يحشرون﴾ يساقون ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾ الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون أو ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا﴾ فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم أو يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كما للكانزين ﴿فيجعله في جهنم﴾ كله ﴿أولئك﴾ اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث

لما أصيب من أصيب من قريش يوم بدر ورجع أبو سفيان بعيره الى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش قد أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يامعشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا بمن أصيب منا ففيهم نزلت ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله أي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون أموالهم على أمثالهم من المشركين ليتقووا بهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿فسينفقونها﴾ يعني أموالهم في ذلك الوجه ﴿ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون﴾ يعني ما أنفقوا من أموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان أموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يؤملون ﴿والذين كفروا﴾ يعني منهم لان فيهم من أسلم ولهذا قال والذين كفروا يعني من المنفقين أموالهم ﴿الى جهنم يحشرون﴾ يعني يساقون الى النار ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾ يعني ليفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المؤمنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز أهل السعادة من أهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المؤمنين في سبيل الله ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض﴾ يعني بعضه فوق بعض ﴿فيركمه جميعا﴾ يعني فيجمعه جميعا ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكم ﴿فيجعله في جهنم﴾ يعني الخبيث ﴿أولئك﴾ اشارة الى المنفقين في سبيل الشيطان أو الى الخبيث

سبيل الله (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة) ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الامر وهو من دلائل النبوة لانه أخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من أسلم وحسن اسلامه واللام في (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من الطيب) أي من الفريق الطيب من المؤمنين متعلقة بيحشرون ليميز حمزة وعلي (ويجعل الخبيث) الفريق الخبيث (بعضه على بعض فيركمه جميعا) فيجمعه (فيجعله في جهنم) أي الفريق الخبيث (أولئك) اشارة الى الفريق الخبيث

(فسينفقونها) في الدنيا (ثم تكون عليهم حسرة) ندامة في الآخرة (ثم يغلبون) يقتلون ويهزمون يوم بدر (والذين كفروا) أبو جهل وأصحابه (الى جهنم يحشرون) يوم القيامة (ليميز الله الخبيث من الطيب) الكافر من المؤمن والمنافق من المخلص والطالح من الصالح (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) الى بعض (فيركمه) فيجمعه (جميعا) الخبيث (فيجعله) فيطرحه (في جهنم أولئك

ان يصلى يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ يعنى القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود أتنا بعذاب ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ اعتقادا وعملا ﴿ ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله ﴾ نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جذر اوفى ابى سفيان استأجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين

وقال مجاهد كان نفر من بنى عبدالدار يعارضون النبى صلى الله عليه وسلم فى الطواف ويستهزؤن به ويدخلون أصابعهم فى أفواههم ويصفرون فالمكاء جعل الاصابع فى الشدق والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن قوله الا مكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفرا وقال مقاتل كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا على النبى صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بنى عبدالدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع أذى للنبى صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس أصح لان الله سبحانه وتعالى سمى ذلك صلاة فان قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت انهم كانوا يعتقدون ذلك المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهوان من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو المنع * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ يعنى عذاب القتل والاسر فى الدنيا وقيل يقال لهم فى الآخرة فذوقوا العذاب ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ يعنى بسبب كفركم فى الدنيا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى عبادة الكفار البدنية وهى المكاء والتصدية ذكر عقبها عبادتهم المالية التى لا جدوى لها فى الآخرة وقال الكلبى ومقاتل نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبدشمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البخترى بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وأبى بن خلف وزمعة بن الاسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش فى كل يوم عشر جزر وأسلم من هؤلاء العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال الحكم بن عتبة نزلت فى أبى سفيان بن حرب حين أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية كل أوقية اثنان وأربعون مثقالا وقال ابن أبزى استأجر أبو سفيان يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل

عليه وسلم فى صلاته يخلطون عليه (فذوقوا العذاب) عذاب القتل والاسر يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم ونزل فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزور (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله) اى كان غرضهم فى الانفاق الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو

(فذوقوا العذاب يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بمحمد عليه السلام والقرآن (ان الذين كفروا) وهم المطعمون يوم بدر أبو جهل وأصحابه وكانوا ثلاثة عشر رجلا (ينفقون أموالهم ليصدوا) ليصرفوا الناس (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته

(وهم يصدون عن المسجد الحرام) وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرام فنصد من نشاء وندخل من نشاء فقيل (وما كانوا أولياؤه) وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمر الحرم (ان أولياؤه الا المتقون) من المسلمين وقيل الضميران راجعان الى الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند أو أراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء) صفيرا كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت وهو فعال من مكا يمكو اذا صفر (وتصدية) وتصفيقا تفعلة من الصدى وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله

﴿ وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾ وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية ﴿ وما كانوا اولياؤه ﴾ مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ﴿ ان اولياؤه الا المتقون ﴾ من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان لله ﴿ ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾ ان لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالاكثر على ان منهم من يعلم ويعاند أو اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت ﴾ أى دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها ﴿ الا مكاء ﴾ صفيرا فعال من مكا يمكوا اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا ﴿ وتصدية ﴾ تصفيقا تفعلة من الصدى أو من الصد على ابدال احد حرفى التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روى انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

الثانى العذاب بالسيف وقيل أراد بالعذاب الاوّل عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الآخرة وقال الحسن الآية الاولى وهى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله ومالهم ألا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى ﴿ وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾ يعنى وهم يمنعون المؤمنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية ﴿ وما كانوا أولياءه ﴾ قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا أولياؤه يعنى ليسوا أولياء المسجد الحرام ﴿ ان أولياؤه الا المتقون ﴾ يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك ﴿ ولكن أكثرهم ﴾ يعنى المشركين ﴿ لا يعلمون ﴾ ذلك * قوله عز وجل ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ﴾ لما ذكر الله عز وجل ان الكفار ليسوا باولياء للبيت الحرام ذكر عقبه السبب فى ذلك وهو ان صلاتهم عنده كانت مكاء وتصدية والمكاء فى اللغة الصفير يقال مكا الطير يمكو اذا صفر والمكاء اسم طير أبيض يكون بالحجاز له صفير وقيل هو طائر يألف الريف سمى بذلك لكثرة مكائه يعنى صفيره والتصدية التصفيق وفى أصله واشتقاقه قولان أحدهما انه من الصدى وهو الصوت الذى يرجع من الجبل كالمجيب للمتكلم ولا يرجع الى شئ الثانى قال أبو عبيدة أصله تصددة فابدلت الياء من الدال قال الازهرى والمكاء والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر انهم جعلوا مكان الصلاة التى أمروا بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت * صلاتهم التصدى والمكاء * قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون

خرجت من بين أظهرهم (وهم يصدون) محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه (عن المسجد الحرام) ويطوفون حوله عام الحديبية (وما كانوا اولياؤه أولياء المسجد (ان أولياؤه) ما أولياؤه (الا المتقون) الكفر والشرك والفواحش محمد عليه السلام وأصحابه (ولكن أكثرهم) { وقال } كلهم (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون به (وما كان صلوتهم) لم تكن عبادتهم (عند البيت الا مكاء) صفيرا كصفير المكاء (وتصدية) تصفيقا

والنبي عليه الصلاة والسلام بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم فى قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقى فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم اغفر غفرانك أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ﴿ وما لهم الا يعذبهم الله ﴾ ومالهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون

الذى وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه ويلحق بحيث أمر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى المسلمين فلما خرجوا قال الله لهم ومالهم الا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال زيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدى معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أى لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا مستغفرين ولو أقروا بالذنب واستغفروا الله لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده لا أعاقبك وأنت تطيعنى أى أطعنى حتى لا أعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أى يسلمون يعنى لو أسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية أنه يؤمن ويستغفر مثل أبى سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون أى وفى اصلابهم من يستغفر وقيل فى معنى الآية ان الكفار لما بالغوا وقالوا ان كان محمد محقا فى قوله فامطر علينا حجارة من السماء اخبر الله سبحانه وتعالى ان محمدا محق فى قوله وانه مع ذلك لا يمطر على اعدائه ومنكرى نبوته حجارة من السماء ما دام بين أظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه اذا كانت اقامته مانعة من نزول العذاب بهم فكيف قال فى غير هذه الآية قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فالجواب ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستئصال والمراد من العذاب الثانى وهو قوله سبحانه وتعالى يعذبهم الله بايديكم هو عذاب القتل والسبى والاسر وذلك دون عذاب الاستئصال قال أهل المعانى دلت هذه الآية على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل على امانين لامتى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة أخرجه الترمذى * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ومالهم الا يعذبهم الله ﴾ يعنى أى شئ يمنعهم من ان يعذبهم يعنى بعد خروجك من بين أظهرهم لانه سبحانه وتعالى بين فى الآية الاولى انه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم بين أظهرهم وبين فى هذه الآية انه معذبهم ثم اختلفوا فى هذا العذاب فقيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل اراد به عذاب الآخرة وقيل أراد بالعذاب الاوّل عذاب الاستئصال وأراد بالعذاب

من المستضعفين (ومالهم ألا يعذبهم الله) اى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم ومالهم الا يعذبهم الله

يؤمنوا (ومالهم ألا يعذبهم الله) ان لا يهلكهم الله بعدما

ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره أو ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذى يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين ﴿وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف لاجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال

هذا فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وأنا أقول الحق قال فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله قال وانا اقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق يعني القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء يعني كما أمطرتها على قوم لوط أو ائتنا بعذاب أليم يعني مثل ماعذبت به الامم الماضية وفي النضر بن الحرث نزل سأل سائل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل في النضر بن الحرث بضع عشرة آية فحاق به ماسأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش صبرا طعيمة بن عدى وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وروى أنس بن مالك ان الذي قال ذلك أبو جهل (ق) عن أنس قال قال أبو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية فلما أخرجوه نزلت ومالهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام * قوله عز وجل ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ اختلفوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن اسحق هذه الآية متصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك أنهم قالوا ان الله لايعذبنا ونحن نستغفر ولايعذب أمة ونبيها معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكره جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ ثم قال تعالى ردا عليهم ومالهم ألا يعذبهم الله وان كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرم وقال آخرون هذا كلام مستانف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجماعة تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت يا محمد مقيم فيهم بين أظهرهم قالوا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون فانزل الله عز وجل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين أظهر الكافرين أذن الله في فتح مكة فهو العذاب

وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم لانك بعثت رحمة للعالمين وسنته ان لايعذب قوما عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هو في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم أو معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

صبرا (وما كان الله ليعذبهم) ليهلكهم أباجهل وأصحابه (وأنت فيهم) مقيم (وما كان الله معذبهم) مهلكهم (وهم يستغفرون) يريدون أن

بغتة (والله خير الماكرين) أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا كان عليه السلام يقرأ القرآن ويذكر أخبار القرون الماضية في قراءته فقال النضر بن الحرث لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم وأحاديث العجم فنزل (واذا تتلى عليهم

آياتنا) أي القرآن (قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين) وهذا صلف منهم ووقاحة دعوا الى أن يأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن فلم يأتوا به (واذا قالوا اللهم ان كان هذا) أي القرآن (هو الحق من عندك) هذا اسم كان وهو فصل والحق خبر كان روي ان النضر لما قال ان هذا الا أساطير الاولين قال له النبي عليه السلام ويلك هذا كلام الله فرفع النضر رأسه الى السماء وقال ان كان هذا هو الحق من عندك (فامطر علينا حجارة من السماء) أي ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل (أو ائتنا بعذاب أليم) نوع آخر من جنس العذاب الاليم فقتل يوم بدر صبرا

معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا ﴿والله خير الماكرين﴾ اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا الى الله انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم أو قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ﴿أن هذا الا الاساطير الاولين﴾ ما سطره الاولون من القصص ﴿واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم﴾ هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روى انه لما قال النضر ان هذا الا الاساطير الاولين قال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وتعالى اظهره وقواه والنصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره ﴿والله خير الماكرين﴾ فان قلت كيف قال الله سبحانه وتعالى والله خير الماكرين ولا خير في مكرهم قلت يحتمل أن يكون المراد والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع أقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل أن يكون المراد ان مكرهم فيه خير بزعمهم فقال سبحانه وتعالى في مقابلته والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا * قوله عز وجل ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ نزلت في النضر بن الحرث بن علقمة من بني عبد الدار وذلك انه كان يختلف الى أرض فارس والحيرة ويسمع أخبارهم عن رستم واسفنديار وأحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤن التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويبكون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد أوحي اليه وهو يقرأ ويصلي فقال النضر بن الحرث قد سمعنا يعني مثل هذا الذي جاء به محمد لو نشاء لقلنا مثل هذا فذمهم الله بدفعهم الحق الذي لا شبهة فيه بادعائهم الباطل بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدي وأبان عجزهم عن ذلك ولو قدروا ما تخلفوا عنه وهم أهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿ان هذا الا الاساطير الاولين﴾ يعني أخبار الماضين * قوله سبحانه وتعالى ﴿واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ نزلت في النضر بن الحرث أيضا قال ابن عباس لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحرث لو شئت لقلت مثل

يوم بدر (والله خير الماكرين) اقوى المهلكين (واذا تتلى) تقرأ (عليهم) على النضر بن الحرث وأصحابه (آياتنا) بالامر والنهي (قالوا قد سمعنا) ما قال محمد عليه السلام (لو نشاء لقلنا مثل هذا) مثل ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم (ان هذا) ما هذا الذي يقول محمد صلى الله عليه وسلم (الا أساطير) أحاديث (الاولين) وأخبارهم (واذ قالوا) قال ذلك النضر (اللهم ان كان هذا) الذي يقول محمد عليه السلام (هو الحق من عندك) أن ليس لك ولد ولا شريك (فأمطر علينا) على النضر (حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وجيع فقتل يوم بدر

من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ﴿ ليثبتوك ﴾ بالوثاق أو الحبس أو الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته لاحراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك ﴿ أو يقتلوك ﴾ بسيوفهم ﴿ أو يخرجوك ﴾ من مكة وذلك أنهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فزعوا فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال ابو البخترى رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ماصنع فقال بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي عليهما السلام واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضى الله تعالى عنه في مضجعه وخرج مع ابى بكر رضى الله تعالى عنه الى الغار ﴿ ويمكرون ويمكر الله ﴾ برد مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين

صلى الله عليه وسلم النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذى كان يبيت فيه وأذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب أن يبيت في مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه ان يخلص اليك منهم أمر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب وأخذ الله عز وجل أبصارهم عنه فخرج وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ انا جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وأبو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التى قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وأمانته قالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون أنه النبى صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه فرأوه عليا فقالوا له أين صاحبك قال لا أدرى فاقتفوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه أثر فمكث في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك قوله سبحانه وتعالى واذ يمكر بك الذين كفروا وأصل المكر احتيال في خفية ﴿ ليثبتوك ﴾ أى ليحبسوك ويوثقوك لان كل من شد شيأ وأوثقه فقد أثبته لانه لا يقدر على الحركة ﴿ أو يقتلوك ﴾ يعنى كما أشار اليهم أبو جهل ﴿ أو يخرجوك ﴾ يعنى من مكة ﴿ ويمكرون ﴾ يعنى ويحتالون ويدبرون في أمرك ﴿ ويمكر الله ﴾ يعنى ويجازيهم الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء مكرا لانه في مقابلته وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو من الله تعالى التدبير بالحق والمعنى أنهم احتالوا في ابطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه

(ليثبتوك) ليحبسوك ويوثقوك (أو يقتلوك) بسيوفهم (أو يخرجوك) من مكة (ويمكرون) ويخفون المكائد له (ويمكر الله) ويخفى الله ما أعد لهم حتى يأتيهم

(ليثبتوك) ليحبسوك سجنا وهو ماقال عمرو بن هشام (أو يقتلوك) جميعا وهو ماقال أبو جهل بن هشام (أو يخرجوك) طردا وهو ماقال أبو البخترى بن هشام (ويمكرون) يريدون قتلك وهلاكك يا محمد (ويمكر الله) يريد الله قتلهم وهلاكهم

﴿ وتعالى ﴾

الذين كفروا) لما ذكر الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه
عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما أسلمت الانصار فرقوا ان يتفاقم أمره فاجتمعوا في دار الندوة
متشاورين في أمره فدخل عليهم ابليس شيخ وقال أنا شيخ من نجد
دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو ورأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال ابليس بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل لعنه الله أنا أرى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال اللعين صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأي أبي جهل مجتمعين على قتله فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت
في مضجعه وأذن له الله في الهجرة فأمر عليا (قا و خا ه لث) فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا أثره فابطل الله مكرهم

الذين كفروا ﴾ تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه

الذين كفروا ﴾ لما ذكر الله المؤمنين نعمه عليهم بقوله تعالى واذكروا اذ أنتم قليل ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة والمعنى واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما أسلمت الانصار ان يتفاقم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر فاجتمع نفر من كفار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبو سفيان وطعيمة بن عدي والنضر بن الحرث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف فاعترضهم ابليس في صورة شيخ فلما رأوه قالوا له من أنت قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال أبو البختري أما أنا فأرى ان تأخذوا محمدا وتحبسوه في بيت مقيدا وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدي وقال بئس الرأي رأيتم لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي فقال أما أنا فارى ان تحملوه على بعير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع وأين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس اللعين ما هذا لكم برأي تعمدون الى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه الى غيركم فيفسدهم ألم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال أبو جهل والله لاشيرون عليكم برأي ما أرى غيره اني أرى ان تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسطا فتيا ثم نعطي كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وانهم اذا أرادوا ذلك قالوا العقل فتؤدي قريش ديته فقال ابليس اللعين صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا والقول ما قال لا أرى غيره فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجتمعون عليه فاتى جبريل

في دار الدوة (الذين كفروا) أبو جهل وأصحابه

تعالى ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبي لبابة ﴿ وان الله عنده اجر عظيم ﴾ لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه ﴿ ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أونصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين أومخرجا من الشبهات أونجاة مما تحذرون في الدارين أوظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان أى الصبح ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ ويسترها ﴿ ويغفر لكم ﴾ بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ماتقدم وماتأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم ﴿ والله ذوالفضل العظيم ﴾ تنبيه على أن ماوعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل ﴿ واذ يمكر بك

أن يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن وروى البغوى بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي فقبله وقال اما انهم مبخلة مجبنة وانهم لمن ريحان الله وأخرج الترمذى عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن أحد ابنى ابنته وهو يقول انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله قال الترمذى لانعرف لعمر بن عبد العزيز سماعا عن خولة قوله لمن ريحان الله أى لمن رزق الله والريحان في اللغة الرزق ❊ وقوله تعالى ﴿ وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ يعنى لمن أدى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة الآخرة وهو ثواب الله أفضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد ❊ وقوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنو ان تتقوا الله ﴾ يعنى بطاعته وترك معاصيه ﴿ يجعل لكم فرقانا ﴾ يعنى يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان أصله الفرق بين الشيئين لكنه أبلغ من أصله لانه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة أى يفرق بينكم وبين ماتخافون وقال محمد بن اسحق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفئ باطل من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهنه ﴿ ويكفر عنكم سيآتكم ﴾ يعنى ويمحو عنكم ماسلف من ذنوبكم ﴿ ويغفر لكم ﴾ يعنى ويستر عليكم بان لايفضحكم في الدنيا ولا في الاخرة ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ لانه هو الذى يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشئ وفى به قيل انه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيآت وقيل معناه ان بيده الفضل العظيم فلا طلب من عند غيره ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذ يمكر بك

حدوده (وأن الله عنده { الجزء التاسع } أجر عظيم) ﴿ ٣٢ ﴾ فعليكم ان تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا في الدنيا ولاتحرصوا على جمع المال وحب الولد (ياايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز أهله أوبيانا وظهورا يشهر أمركم ويثبت صيتكم وآثاركم في أقطار الارض من قولهم سطع الفرقان أى طلع الفجر أومخرجا من الشبهات وشرحا للصدور أوتفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة (ويكفر عنكم سيآتكم) أى الصغائر (ويغفر لكم) ذنوبكم أى الكبائر (والله ذو الفضل العظيم) على عباده (واذ يمكر بك

بلية لكم (وأن الله عنده أجر عظيم) ثواب وافر في الجنة بالجهاد ياايها الذين آمنوا ان تتقوا الله) فيما أمركم ونهاكم (يجعل لكم فرقانا) نصرة ونجاة (ويكفر عنكم سيآتكم) دون الكبائر (ويغفر لكم) سائر الذنوب (والله ذو الفضل) ذو المن (العظيم) على عباده بالمغفرة والجنة (واذ يمكر بك)

(الذين)

اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء بارض الشام فابى الا ان
ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله
فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ماترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه
انه الذبح قال ابو لبابة فمازالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت
فشد نفسه على سارية فى المسجد وقال والله لاأذوق طعاما ولاشرابا حتى اموت
أو يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل
نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذى
يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها
الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون
النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه اياه ﴿ وتخونوا
اماناتكم ﴾ فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول أو منصوب على الجواب بالواو
﴿ وانتم تعلمون ﴾ انكم تخونون أو انتم علماء تميزون الحسن من القبيح ﴿ واعلموا أنما
اموالكم واولادكم فتنة ﴾ لانهم سبب الوقوع فى الاثم والعقاب أو محنة من الله

من النبى صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن
عبدالله ان أبا سفيان خرج من مكة فاتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أبا
سفيان فى مكان كذا وكذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان أبا سفيان فى موضع
كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم
فخذوا حذركم فانزل الله عزوجل لاتخونوا الله والرسول ﴿ وتخونوا أماناتكم ﴾
ومعنى الآية لاتخونوا الله والرسول ولاتخونوا أماناتكم ﴿ وانتم تعلمون ﴾ يعنى
انها أمانة وقيل معناه وأنتم تعلمون ان ما فعلتم من الاشارة الى الحلق خيانة وأصل
الخيانة من الخون وهو النقص لان من خان شيأ فقد نقصه والخيانة ضد الامانة وقيل
فى معنى الآية لاتخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم أماناتكم وقال
ابن عباس معناه لاتخونوا الله بترك فرائضه ولاتخونوا الرسول بترك سنته ولاتخونوا
أماناتكم قال ابن عباس هى مايخفى عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والاعمال
التى أئتمن عليها العباد وقال قتادة اعلموا أن دين الله أمانة فادوا الى الله ما ائتمنكم عليه
من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ومنه الحديث
عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك
ولاتخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله
عزوجل ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ قيل هذا مما نزل فى أبى لبابة وذلك
لان أمواله وأولاده كانت فى بنى قريظة فلذلك قال ماقال خوفا عليهم وقيل انه عام
فى جميع الناس وذلك أنه لما كان الاقدام على الخيانة فى الامانة هو حب المال والولد
نبه الله سبحانه وتعالى بقوله واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة على انه يجب على العاقل

لاتستنوا به (وتخونوا) جزم عطف على لاتخونوا أى ولاتخونوا (أماناتكم) فيما بينكم بان لاتحفظوها (وانتم تعلمون) تبعة ذلك ووباله أو وأنتم تعلمون انكم تخونون يعنى ان الخيانة توجد منكم عن عمد لا عن سهو أو وأنتم علماء تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح ومعنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل فى ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل فى شئ فقد أدخلت عليه النقصان فيه (واعلموا انما اموالكم وأولادكم فتنة) أى سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم والعذاب أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على (وتخونوا أماناتكم) ولاتخونوا فى فرائض الله وهى أمانة عليكم (وأنتم تعلمون) تلك الخيانة (واعلموا) يعنى به أبا لبابة (انما أموالكم واولادكم) التى فى بنى قريظة (فتنة)

وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء فى أيدى فارس والروم ﴿ تخافون أن يتخطفكم الناس ﴾ كفار قريش أو من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم ﴿ فآواكم ﴾ الى المدينة أو جعل لكم مأوى تتحصنون به من اعدائكم ﴿ وايدكم بنصره ﴾ على الكفار أو بمظاهرة الانصار أو بامداد الملائكة يوم بدر ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ من الغنائم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ هذه النعم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾ بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون أو بالغلول فى المغانم وروى انه عليه السلام حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح

لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المؤمنين المهاجرين اذ أنتم قليل يعنى فى العدد مستضعفون فى الارض يعنى فى أرض مكة فى ابتداء الاسلام ﴿ تخافون أن يتخطفكم الناس ﴾ يعنى كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب بن منبه يعنى فارس والروم ﴿ فآواكم ﴾ يعنى الى المدينة ﴿ وأيدكم بنصره ﴾ يعنى وقواكم بالانصار وقال الكلبى وقواكم يوم بدر بالملائكة ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ يعنى الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ يعنى تشكرون الله على نعمه عليكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾ قال الزهرى والكلبى نزلت هذه الآية فى أبى لبابة هرون بن عبد المنذر الانصارى من بنى عوف بن مالك وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بنى النضير على أن يسيروا الى اخوانهم الى أذرعات وأريحاء من ارض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فقالوا يا أبا لبابة ماترى أننزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابة بيده الى حلقه يعنى انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة والله مازالت قدماى عن مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال اما لو جاءنى لاستغفرت له أما اذ فعل ما فعل فانى لا أطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا أبا لبابة قد تيب عليك فقال والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده ثم قال أبو لبابة ان تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن انخلع من مالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تصدق به فنزل فيه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدى كانوا يسمعون السر

قريش (تخافون أن يتخطفكم الناس) لان الناس كانوا لهم أعداء مضادين (فآواكم) الى المدينة (وأيدكم بنصره) بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم ولم تحل لاحد قبلكم (لعلكم تشكرون) هذه النعم (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله) بان تعطلوا فرائضه (والرسول) بان

(تخافون أن يتخطفكم الناس) أن يطردكم أهل مكة أو يأسروا (فآواكم) بالمدينة (وأيدكم بنصره) يعنى أعانكم وقواكم بنصرته يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمته بالنصرة والغنيمة يوم بدر (يا أيها الذين آمنوا) يعنى مروان وأبا لبابة بن عبد المنذر (لا تخونوا الله) فى الدين (والرسول) فى الاشارة الى بنى قريظة أن لا تنزلوا على حكم سعد بن معاذ

منكم خاصة بل تعمكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون لاتدخل المنفى فى غير القسم أو للنهى على ارادة القول كقوله

حتى اذا جن الظلام واختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا فى المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض ﴾ ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين

الظالم قال الحسن نزلت هذه الآية فى على وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا ومانرى انا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعنى ما كان منهم فى يوم الجمل وقال سدى ومجاهد والضحاك وقتادة هذا فى قوم مخصوصين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس أمر الله عز وجل المؤمنين أن لايقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم * روى البغوى بسنده عن عدى بن عدى الكندى قال حدثنى مولى لنا أنه سمع جدى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لايعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذى ذكره ابن الاثير فى جامع الاصول عن عدى بن عميرة الكندى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة فى الارض كان من شهدها فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها أخرجه أبو دود * عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على ان يغيروا عليه ولم يغيروا الا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا أخرجه أبو داود وقال ابن زيد أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى خير من الساعى من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه أن يوصل الفتنة الى من لم يذنب قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفى ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لايسئل عما يفعل وهم يسئلون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية أو لانه تعالى علم اشتمال ذلك على انواع من أنواع المصلحة والله أعلم بمراده * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ واعلموا ان الله شديد العقاب ﴾ فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التى حذره الله منها وقوله عز وجل ﴿ واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض ﴾

للتبعيض (واعلموا أن الله شديد العقاب) اذا عاقب (واذكروا اذ أنتم قليل) اذ مفعول به لا ظرف أى واذكروا وقت كونكم أقلة أذلة (مستضعفون فى الارض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم

(واعلموا أن الله شديد العقاب) اذا عاقب (واذكروا) يامعشر المهاجرين (اذ أنتم قليل) فى العدد (مستضعفون) مقهورون (فى الارض) أرض مكة

﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ماعسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أوغيره أوتصوير وتخييل تملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته ٭وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه ﴿وانه اليه تحشرون﴾ فيجازيكم باعمالكم ﴿واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لاتصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لاتصيب الظالمين

عند ربهم يرزقون ﴿واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه﴾ قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصى الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدى يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن أو يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان أحوال القلوب اعتقادات ودواعى وتلك الاعتقادات والدواعى لابد أن تتقدمها الارادة وتلك الارادة لابد لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك ان المتصرف فى القلب كيف شاء هو الله تعالى ﴿م﴾ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فقلنا يارسول الله قد آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء أخرجه الترمذى وهذا الحديث من أحاديث الصفات فيجب على المرء المسلم ان يمره على ماجاء مع الاعتقاد الجازم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل فى معنى الآية ان الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لايدرى مايصنع ولايعقل شيأ وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال والجهاد وكانوا فى غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا فى سبيل الله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمنا والجبن جراءة ٭ قوله عز وجل ﴿وأنه اليه تحشرون﴾ يعنى فى الآخرة فيجزى كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصى ٭ قوله سبحانه وتعالى ﴿واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ لما أخبر الله عز وجل أنه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء فى الفتن والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى اليكم جميعا وتصل الى الصالح والطالح وأراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها أصابتكم جميعا الظالم وغير

أحياء عند ربهم (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أى يميته فتفوته الفرصة التى هو واجدها وهى التمكن من اخلاص القلب فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله أو بينه وبين ماتمناه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائمه (وانه اليه تحشرون) واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة (واتقوا فتنة) عذابا (لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) هو جواب للامر أى ان أصابتكم لاتصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وجاز أن تدخل النون المؤكدة فى جواب الامر لان فيه معنى النهى كما اذا قلت أنزل عن الدابة لاتطرحك وجاز لاتطرحنك ومن فى منكم

وغيره (واعلموا) يامعشر المؤمنين (ان الله يحول) يحفظ (بين المرء وقلبه) بين المؤمن بأن يحفظ قلب المؤمن على الايمان حتى لايكفر ويحفظ قلب الكافر على الكفر حتى لايؤمن (وأنه اليه) الى الله فى الآخرة (تحشرون) فيجزيكم بأعمالكم (واتقوا فتنة) كل فتنة تكون (لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) ولكن تصيب الظالم والمظلوم (الظالم)

لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم احى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك فنؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى ﴿ ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ﴾ بالطاعة ﴿ اذا دعاكم ﴾ وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عليه السلام مر على ابى وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال مامنعك عن اجابتى قال كنت اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لاتقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لايحتمل التأخير وللمصلى ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول ﴿ لما يحييكم ﴾ من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته وقال

لاتعجبن الجهول حلته • فذاك ميت وثوبه كفن

أو مما يورثكم الحياة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال أو من الجهاد فانه سبب بقائكم اذلو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم أو الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون

وتعالى ولو احيالهم قصيا وسمعوا كلامه لتولوا عنه وهم معرضون * قوله عزوجل ﴿ ياايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ﴾ يعنى أجيبوهما بالطاعة والانقياد لامرهما ﴿ اذا دعاكم ﴾ يعنى الرسول صلى الله عليه وسلم وانما وحد الضمير فى قوله تعالى اذا دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد واستدل أكثر الفقهاء بهذه الآية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الآية تدل على انه لابد من الاجابة فى كل مادعا الله ورسوله اليه (ح) عن ابى سعيد بن المعلى قال كنت أصلى فى المسجد فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيته فقلت يارسول الله انى كنت أصلى فقال صلى الله عليه وسلم ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابى بن كعب وهو يصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبى فالتفت أبى ولم يجبه وصلى أبى وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام مامنعك ياأبى أن تجيبنى اذ دعوتك فقال يارسول الله انى كنت فى الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم أفلم تجد فيما أوحى الله الى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا أعود ان شاء الله تعالى وذكر الحديث أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبى صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد أن يقطع صلاته لدعاء أحد آخر وقيل لو دعاه أحد لامر مهم لايحتمل التأخير فله ان يقطع صلاته * قوله عزوجل ﴿ لما يحييكم ﴾ يعنى اذا دعاكم الى مافيه حياتكم قال السدى هو الايمان لان الكافر ميت فيحيا بالايمان وقال قتادة هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة فى الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحق هو الجهاد لان الله أعزه به بعد الذل وقيل هو الشهادة لان الشهداء أحياء

(ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم) وحد الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض (لما يحييكم) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما أن الجهل موت قال الشاعر

لاتعجبن الجهول حلته
فذاك ميت وثوبه كفن

أو لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم أو للشهادة لقوله تعالى بل

(ياأيها الذين آمنوا) يعنى اصحاب محمد عليه السلام (استجيبوا لله) أجيبوا لله (وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) الى مايكرمكم ويعزكم ويصلحكم من القتال

فى فلان أو يرجع الضمير الى الامر بالطاعة أى ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وأصله ولا تتولوا فحذف احدى التاءين تخفيفا (وأنتم تسمعون) أى وأنتم تسمعونه أو ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أى تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) أى ادعوا السماع وهم المنافقون وأهل الكتاب (وهم لا يسمعون) لانهم ليسوا بمصدقين فكأنهم

غير سامعين [illegible] تصدقون بالقرآن [illegible] فاذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) أى ان شر من يدب على وجه الارض البهائم وان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم [illegible] لانهم عاندوا بعد الفهم [illegible] بعد العقل (ولو علم الله فيهم) فى هؤلاء الصم البكم (خيرا) صدقا ورغبة (لاسمعهم) [illegible] [illegible] المصدقين [illegible] لتولوا) عنه [illegible] وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا (وهم معرضون) عن الايمان

ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله فى طاعة الرسول لقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذى دل عليه الطاعة ﴿ وانتم تسمعون ﴾ القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ﴾ كالكفرة أو المنافقين الذين ادعوا السماع ﴿ وهم لا يسمعون ﴾ سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا ﴿ ان شر الدواب عند الله ﴾ شر ما يدب على الارض أو شر البهائم ﴿ الصم ﴾ عن الحق ﴿ البكم الذين لا يعقلون ﴾ اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا ﴾ سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات ﴿ لاسمعهم ﴾ سماع تفهم ﴿ ولو اسمعهم ﴾ وقد علم ان لا خير فيهم ﴿ [illegible] ﴾ ولم ينتفعوا به أو ارتدوا بعد التصديق والقبول ﴿ وهم معرضون ﴾

صلى الله عليه وسلم لا فى حق الله تعالى والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معونته ونصرته فى الجهاد ﴿ وأنتم تسمعون ﴾ يعنى القرآن يتلى عليكم ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا ﴾ بألسنتهم ﴿ سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ يعنى وهم لا يتعظون ولا ينتفعون بما سمعوا من القرآن والمواعظ وهذه صفة المنافقين ﴿ ان شر الدواب عند الله ﴾ يعنى ان شر من دب على وجه الارض من خلق الله عند الله ﴿ الصم ﴾ عن سماع الحق ﴿ البكم ﴾ عن النطق به فلا يقولونه ﴿ الذين لا يعقلون ﴾ يعنى لا يفهمون عن الله أمره ونهيه ولا يقبلونه وانما سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من [illegible] كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم أحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ﴾ يعنى سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال الامام فخر الدين ان كان ما كان حاصلا فيجب أن يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه فى نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهيم ﴿ ولو أسمعهم ﴾ يعنى بعد ان علم انه لا خير فيهم لم ينتفعوا بما يسمعون من المواعظ والدلائل لقوله تعالى ﴿ لتولوا وهم معرضون ﴾ يعنى لتولوا عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم احى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن لك فقال الله سبحانه

عن أمر الله ورسوله (وأنتم تسمعون) مواعظ القرآن وأمر الصلح (ولا تكونوا) فى المعصية ويقال فى الطاعة (كالذين قالوا سمعنا) أطعنا وهم بنو عبد الدار والنضر بن الحرث وأصحابه (وهم لا يسمعون) لا يطيعون { وتعالى } ونزل فيهم أيضا (ان شر الدواب) الخلق والخليقة (عند الله الصم) عن الحق (البكم) عن الحق (الذين لا يعقلون) لا يفقهون امر الله وتوحيده (ولو علم الله فيهم) فى بنى عبد الدار (خيرا) سعادة (لاسمعهم) لاكرمهم بالايمان (ولو اسمعهم) اكرمهم بالايمان (لتولوا عنه) عن الايمان لعلم الله فيهم (وهم معرضون) مكذبون به

﴿ وان تنتهوا ﴾ عن الكفر ومعاداة الرسول ﴿ فهو خير لكم ﴾ لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين ﴿ وان تعودوا ﴾ لحاربته ﴿ نعد ﴾ لنصرته عليكم ﴿ ولن تغنى ﴾ ولن تدفع ﴿ عنكم فئتكم ﴾ جماعتكم ﴿ شيأ ﴾ من الاغناء أو المضار ﴿ ولو كثرت ﴾ فئتكم ﴿ وان الله مع المؤمنين ﴾ بالنصر والمعونة ، وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار أو تهييج العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين فى ايمانهم ويؤكد ذلك ﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه ﴾ أى

الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا أى تستنصروا فقد جاءكم الفتح أى النصر (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد مادون لحمه وعظمه مايصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قلت استدل البغوى بهذا الحديث على مافسر به أبى بن كعب الآية وفيه نظر لان هذه الوقعة المذكورة فى الحديث كانت بمكة والآية مدنية فلا تعلق للحديث بتفسير الآية والله أعلم ولكن النبى صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ببدر وسأله انجاز ماوعده من احدى الطائفتين وألح فى الدعاء والمسئلة حتى سقط رداؤه قال الله سبحانه وتعالى مجيبا له ان تستفتحوا يعنى تطلبوا النصر وانجاز ماوعدكم الله به فقد جاءكم الفتح يعنى فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ماوعدكم به وهذا القول أولى لان قوله فقد جاءكم الفتح لايليق الا بالمؤمنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء أما اذا فسرناه بالقضاء والحكم لم يمتنع ان يراد به الكفار أما قوله سبحانه وتعالى ﴿ وان تنتهوا فهو خير لكم ﴾ فهو خطاب للكفار يعنى وان تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم فى الدين والدنيا أما فى الدين بان تؤمنوا به وتكفوا عنه فيحصل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب وأما فى الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر ﴿ وان تعودوا نعد ﴾ يعنى وان تعودوا لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم ونصره عليكم ﴿ ولن تغنى عنكم فئتكم ﴾ يعنى جماعتكم ﴿ شيأ ﴾ يعنى لاتغنى عنكم شيأ ﴿ ولو كثرت ﴾ يعنى جماعتكم ﴿ وأن الله مع المؤمنين ﴾ يعنى بالنصر لهم عليكم يامعشر الكفار ＊ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ﴾ يعنى فى أمر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس ﴿ ولا تولوا عنه ﴾ يعنى عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان التولى لايصح الا فى حق الرسول

(وان تنتهوا) عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو) أى الانتهاء (خير لكم) وأسلموا (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (ولن تغنى عنكم فئتكم) جمعكم (شيأ ولو كثرت) عددا (وان الله مع المؤمنين) بالفتح مدنى وشامى وحفص أى ولان الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك وبالكسر غيرهم ويؤيده قراءة عبد الله والله مع المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى وأطيعوا الله ورسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شىء واحد من يطع الرسول فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير الى أحدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لاينفع

(وان تنتهوا) عن الكفر والقتال (فهو خير لكم) من الكفر والقتال (وان تعودوا) الى قتال محمد عليه السلام (نعد) الى قتلكم وهزيمتكم مثل يوم بدر (وان تغنى عنكم فئتكم) جماعتكم (شيأ) من عذاب الله (ولو كثرت) فى العدد (وان الله مع المؤمنين) معين المؤمنين بالنصرة (يا أيها الذين آمنوا (قا و خا ٤ اث) اطيعوا الله ورسوله) فى أمر الصلح (ولا تولوا عنه)

ألا عجل منا فتعجبت لذلك قال وغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم أنشب أن نظرت الى أبي جهل يجول في الناس فقلت ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما فقالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلاكما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لهما والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهما (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فانطلق بن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل وفي كتاب البخاري أنت أبا جهل هكذا قاله أنس فقال وهل فوق رجل قتلتموه أو قال قتله قومه وفي رواية فقال أبو جهل فلو غير أكار قتلني * عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا أبو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا أبا جهل قد أخزى الله الاخر قال ولا أهابه عند ذلك فقال أعمد من رجل قتله قومه فضربته بسيف غير طائل فلم يغن شيأ حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى برد أخرجه أبو داود وأخرجه البخاري مختصرا قال انه أتى أبا جهل يوم بدر وبه رمق فقال هل أعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء وقال السدي والكلبي كان المشركون لما خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ما سألوه فكان النصر لاهدى الفئتين وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بابي جهل بن هشام ان يلتمس في القتلى فقال اللهم لا يعجزك فلما سمعتها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضربته ضربة طيرت قدمه بنصف ساقه قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذتني جعلت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل وهو عقير معاذ بن عفراء فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق فمر به عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه فقلت هل أخزاك الله يا عدو الله قال وبما ذا أخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدولة قلت لله ولرسوله روى عن ابن مسعود انه قال قال لي أبو جهل لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعبا ثم احتززت رأسه ثم جئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال آلله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم ألقيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وقال أبي بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

﴿ الله ﴾

وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ماهو كماله والمقصود منه وقيل معناه مارميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات أو رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول *وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع مابعده في الموضعين ﴿ وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ﴾ ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ﴿ أن الله سميع ﴾ لاستغاثتهم ودعائهم ﴿ عليم ﴾ بنياتهم واحوالهم ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى البلاء الحسن أو القتل أو الرمي ومحله الرفع أي المقصود أو الامر ذلكم وقوله ﴿ وأن الله موهن كيد الكافرين ﴾ معطوف عليه أي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم *وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ﴿ ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين

حتى انهزموا ﴿ وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ﴾ يعني ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب فقد أجمع المفسرون على أن البلاء هنا بمعنى النعمة ﴿ ان الله سميع ﴾ يعني لدعائكم ﴿ عليم ﴾ يعني بأحوالكم * قوله عز وجل ﴿ ذلكم ﴾ يعني الذي ذكرت من أمر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذي فعلنا ﴿ وان الله ﴾ يعني واعلموا ان الله مع ذلك ﴿ موهن ﴾ أي مضعف ﴿ كيد الكافرين ﴾ يعني مكرهم وكيدهم * قوله عز وجل ﴿ ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان أبا جهل قال يوم بدر لما التقى الجمعان اللهم أينا كان أفجر يعني نفسه ومحمدا صلى الله عليه وسلم قاطعا للرحم فأحنه اليوم وقيل انه قال اللهم أينا كان خيرا عندك فانصره وقيل قال اللهم انصر اهدى الفئتين وخير الفريقين وأفضل الجمعين اللهم من كان أفجر وأقطع لرحمه فأحنه اليوم فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا ومعنى الآية ان تستحكموا الله على أقطع الفريقين للرحم وأظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعني جاءكم حكم الله بنصرة المظلوم على الظالم والمحق على المبطل والمقطوع على القاطع (ق) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فاذا أنا بغلامين من الانصار حديثة أسنانهما فتمنيت ان أكون بين أضلع منهما فغمزني أحدهما فقال أي عم هل تعرف أبا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن أخي قال أخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لئن رأيته لايفارق سوادي سواده حتى يموت

والاحسان الى المؤمنين فعل مافعل ومافعل الا لذلك (ان الله سميع) لدعائهم (عليم) باحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الامر ذلكم (وان الله موهن كيد الكافرين) معطوف على ذلكم أي المراد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين موهن كيد شامي وكوفي غير حفص موهن كيد حفص موهن غيرهم (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) ان تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لاهل مكة لانهم حين أرادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على الحق فانصرنا وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا للكافرين أى

(وليبلي المؤمنين) ليصنع بالمؤمنين (منه) من رمي التراب (بلاء) صنيعا (حسنا) بالنصرة والغنيمة (ان الله سميع) لدعائكم (عليم) بنصرتكم (ذلكم) النصرة والغنيمة لكم (وأن الله) بان الله (موهن) مضعف (كيد الكافرين) صنيع الكافرين (ان تستفتحوا) تستنصروا (فقد جاءكم الفتح) النصرة لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليكم حيث دعا أبو جهل قبل القتال والهزيمة فقال اللهم انصر أفضل الدينين واكرم الدينين واحبهما اليك فاستجاب الله دعاءه ونصر محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه عليهم

هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسألك ماوعدتنى فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴿ وما رميت ﴾ يامحمد رميا توصله الى اعينهم ولم تقدر عليه ﴿ اذ رميت ﴾ أى اتيت بصورة الرمى ﴿ ولكن الله رمى ﴾ اتى بما هو غاية الرمى فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم

فلم تقتلوهم أنتم ولكن الله قتلهم ﴿ وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ﴾ قال أهل التفسير والمغازى لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه انطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم أسلم غلام أسود لبنى الحجاج وأبو يسار غلام لبنى العاص بن سعد فأخذوهما وأتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أين قريش قالا هم وراء الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ماعددهم قالا لاندرى قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم مابين التسعمائة الى ألف ثم قال لهما من فيهم من أشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام والحرث بن عامر وطعمة ابن عدى والنضر بن حرث وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها فلما أقبلت قريش ورآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الرمل جاء الى الوادى فقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء عليه تراب فرمى به وجوه القوم وقال شاهت الوجوه يعنى قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل فى عينه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شئ فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة فى ميمنة القوم وبحصاة فى ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت لكن الله رمى اذ ليس فى وسع أحد من البشر أن يرمى كفا من الحصى فى وجوه جيش فلا تبقى عين الا وقد دخل فيها من ذلك شئ فصورة الرمى صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى صح النفى والاثبات وقيل فى معنى الآية وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب فى قلوبهم اذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم

(وما رميت) يامحمد (اذ رميت ولكن الله رمى) يعنى ان الرمية التى رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ أثرها الا مايبلغه أثر رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الاثر العظيم وفى الآية بيان ان فعل العبد مضاف اليه كسبا والى الله تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة لانه أثبت الفعل من العبد بقوله اذ رميت ثم نفاه عنه وأثبته لله تعالى بقوله ولكن الله رمى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن شامى وحمزة والملائكة (وما رميت) مابلغت التراب الى وجوه المشركين (اذ رميت ولكن الله رمى) بلغ

ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه فى الحرب ﴿ فلم تقتلوهم ﴾ بقوتكم ﴿ ولكن الله قتلهم ﴾ بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم روى انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه الصلاة

فى هاتين الحالتين وهى التحرف للقتال والتحيز الى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله ﴿ ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾

﴿ فصل فى حكم هذه الآية ﴾

اختلف العلماء فى ذلك فقال أبو سعيد الخدرى هذا فى أهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبى صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم تكن لهم فئة يتحيزون اليها دون النبى صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا انحازوا الى المشركين ولانها أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشدد الله عليهم أمر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فأما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن أبى حبيب أوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم أحد قال الله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال سبحانه وتعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله ابن عمر كنا فى جيش بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فانهزمنا فقلنا يارسول الله نحن الفرارون قال لا بل أنتم الكرارون انا فئة المسلمين قوله فحاص الناس حيصة يعنى جال الناس جولة يطلبون الفرار من العدو والحيص الهرب وقال محمد بن سيرين لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الى كنت له فئة أنا فئة كل مسلم وقال بعضهم حكم الآية عام فى حق كل من ولى ظهره منهزما بدليل قوله ياأيها الذين آمنوا وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الآية نزلت فى غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء فى الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء بن أبى رباح هذه الآية منسوخة بقوله تعالى الآن خفف الله عنكم فليس لقوم أن يفروا من مثليهم فنسخت بذلك الا فى هذه العدة وعلى هذا أكثر أهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا منهم ويولوهم ظهورهم وان كان العدو أكثر من المثلين جاز لهم أن يفروا منهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر ﴾ قوله عز وجل ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ قال مجاهد سبب نزول هذه الآية أنهم لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا ويقول الآخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الآية والمعنى فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعنى بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم بالملائكة قال الزمخشرى الفاء فى قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره وان افتخرتم بقتلهم

ومأواه جهنم وبئس المصير) و وزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز ولما كسروا أهل مكة وقتلوا واسروا وكان القاتل منهم يقول تفاخرا قتلت وأسرت قيل لهم (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) والفاء جواب لشرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا قيل

بسخط من الله (ومأواه) مصيره (جهنم وبئس المصير) صار اليه (فلم تقتلوهم) يوم بدر (ولكن الله قتلهم) بجبرائيل

(وأن للكافرين عذاب النار) تعني معأى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذى لكم فى الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير (يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) حال من الذين كفروا والزحف الجيش الذى يرى لكثرته كأنه يزحف أى يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمى بالمصدر (فلا تولوهم الادبار) فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم فى العدد أو تساووهم أو حال من المؤمنين أو من الفريقين أى اذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا) مائلا (لقتال) وهو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب (أو متحيزا) منضما (الى فئة) الى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها وهما حالان من ضمير الفاعل فى يولهم (فقد باء بغضب من الله

مثل باشروا أو عليكم لتكون الفاء عاطفة ﴿ وأن للكافرين عذاب النار ﴾ عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم فى الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما ، وقرئ وان بالكسر على الاستئناف ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا ﴾ كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمى به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال ﴿ فلا تولوهم الادبار ﴾ بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم أو اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين على القتال الآية ويجوز ان ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول اى اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثناعشر ألفا ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال ﴾ يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب ﴿ أو متحيزا الى فئة ﴾ أو منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه كان فى سرية بعثهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له أو الاستثناء من المولين أى الا رجلا متحرفا أو متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز ﴿ فقد باء بغضب من الله

من العذاب وهو قوله ﴿ وأن للكافرين عذاب النار ﴾ يعنى فى الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك بالعير ليس من دونها شئ قال فناداه العباس من وثاقه لا يصلح لك لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك قال صدقت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ٭ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا ﴾ يعنى مجتمعين متزاحفين بعضكم الى بعض والتزاحف التدانى فى القتال وأصل الزحف مشى مع جر الرجل كانبعاث الصبي قبل ان يمشى وسمى مشى الطائفتين بعضهم الى بعض فى القتال زحفا لانها تمشى كل طائفة الى صاحبتها مشيا رويدا وذلك قبل التدانى للقتال وقال ثعلب الزحف المشى قليلا قليلا الى الشئ ﴿ فلا تولوهم الادبار ﴾ يعنى فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم يولى ظهره ودبره ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾ يعنى ومن ينهزم ويول دبره يوم الحرب والقتال ﴿ الا متحرفا لقتال ﴾ يعنى الا منقطعا الى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة على العدو والعود اليه وهذا هو أحد أبواب الحرب وخدعها ومكائدها ٭ قوله عز وجل ﴿ أو متحيزا الى فئة ﴾ يعنى أو منضما وصائرا الى جماعة من المؤمنين يريدون العود الى القتال ﴿ فقد باء بغضب من الله ﴾ يعنى من انهزم من المسلمين وقت الحرب الا

(وان للكافرين) فى الآخرة (عذاب النار يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا) يوم بدر (زحفا) مزاحفة (فلا تولوهم) أى فلا تولوا منهم (الادبار) منهزمين (ومن يولهم) يتول عنهم (يومئذ) يوم بدر (دبره) ظهره منهزما (الا متحرفا لقتال) (فى) مستطردا للقتال ويقال للكرة (أو متحيزا) أو ينحاز (الى فئة) ينصرونه ويمنعونه (فقد باء بغضب من الله) فقد رجع واستوجب

واقطعوا اطرافهم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الضرب أوالامر به والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل احد من المخاطبين قبل ﴿ بانهم شاقوا الله ورسوله ﴾ بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين فى شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ﴾ تقرير للتعليل أووعيد بما اعدلهم فى الآخرة بعد ماحاق بهم فى الدنيا ﴿ ذلكم ﴾ الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع أى الامر ذلكم أوذلكم واقع أونصب بفعل دل عليه ﴿ فذوقوه ﴾ أو غيره

بدر كبته الله وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزا قال أبو رافع وكنت رجلا ضعيفا اعمل القداح وانحتها فى حجرة زمزم فوالله انى لجالس أنحت القداح وعندى أم الفضل جالسة اذ أقبل الفاسق أبولهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهرى فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب الى يا ابن أخى فعندك الخبر اليقين فجلس اليه والناس قيام عليه فقال أبو لهب يا ابن أخى أخبرنى كيف كانت احوال الناس قال لاشئ والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مالمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يتلقاهم شئ ولا يقوم لهم شئ قال أبو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدى وقلت تلك والله الملائكة فرفع أبولهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة فثاورته فاحتملنى فضرب بى الارض ثم برك على صدرى وكنت رجلا ضعيفا فقامت اليه أم الفضل بعمود من عمد الحجرة فضربته به ضربة فلقت رأسه شجة منكرة وقالت تستضعفه أن غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ماعاش الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذى أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بنى سلمة وكان أبو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى اليسر كيف أسرت العباس قال يارسول الله لقد أعاننى عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر فى صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان فى السنة الثانية من الهجرة النبوية ✻ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ذلك ﴾ يعنى الذى وقع من القتل والاسر يوم بدر ﴿ بانهم شاقوا الله ورسوله ﴾ يعنى بأنهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة وأصلها المجانبة كانهم صاروا فى شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون او شاقوا دين الله ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ﴾ يعنى ان الذى نزل بهم فى ذلك اليوم من القتل والاسر شئ قليل فيما أعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ✻ ثم قال تعالى ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى القتل والاسر الذى نزل بهم ﴿ فذوقوه ﴾ يعنى عاجلا فى الدنيا لان ذلك يسير بالاضافة الى المؤجل الذى أعده الله لهم فى الآخرة

عليهم النوعين (ذلك) اشارة الى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أى ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم أى مخالفتهم وهى مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين فى شق خلاف شق صاحبه وكذا المعاداة والمخاصمة لان هذا فى عدوة وخصم أى جانب وذا فى عدوة وخصم (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) والكاف فى ذلك لخطاب الرسول أو لكل أحد وفى ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب (ذلكم فذوقوه) والواو فى

مفصل (ذلك) القتال لهم (بانهم شاقوا الله) خالفوا الله (ورسوله) فى الدين (ومن يشاقق الله) يخالف الله (ورسوله) فى الدين (فان الله شديد العقاب) اذا عاقب (ذلكم) العذاب لكم (فذوقوه) فى الدنيا

اواجراء الوحى مجراه ﴿ فثبتوا الذين آمنوا ﴾ بالبشارة أو بتكثير سوادهم أو بمحاربة اعدائهم فيكون قوله ﴿ سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ كالتفسير لقوله انى معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب أو على ان قوله سألقى الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قل قولوا لهم قولى هذا ﴿ فاضربوا فوق الاعناق ﴾ اعاليها التى هى المذابح أو الرؤس ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ اصابع أى حزوا رقابهم

﴿ فثبتوا الذين آمنوا ﴾ أى قووا قلوبهم واختلفوا فى كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كما أن للشيطان قوة فى القاء الوسوسة فى قلب ابن آدم بالشر فكذلك للملك قوة فى القاء الالهام فى قلب ابن آدم بالخير ويسمى ما يلقى الشيطان وسوسة وما يلقى الملك لمة والهاما فهذا هو التثبت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم أى ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشى فى صورة رجل امام الصف ويقول أبشروا فان الله ناصركم عليهم ﴿ سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ يعنى الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث ألقى الرعب والخوف فى قلوب الكافرين ﴿ فاضربوا فوق الاعناق ﴾ قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعا عما قبله وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الانبارى ما كانت الملائكة تعرف تقاتل بنى آدم فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعنى الرؤس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك معناه فاضربوا الاعناق وفوق صلة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ يعنى كل مفصل وقال ابن عباس يعنى الاطراف وهى جمع بنانة وهى أطراف أصابع اليدين سميت بذلك لان بها صلاح الاحوال التى يمكن الانسان ان يبين ما يريدان يعمله بيديه وانما خصت بالذكر من دون سائر الاطراف لاجل ان الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح فى الحرب وقيل انه سبحانه وتعالى أمرهم بضرب اعلى الجسد وهو الرأس وهو أشرف الاعضاء وبضرب البنان وهو اضعف الاعضاء فيدخل فى ذلك كل عضو فى الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الانسان عن الحرب لان بالبنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله روى عن أبى داود المازنى وكان شهد بدرا قال انى لاتبع رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفى فعرفت انه قد قتله غيرى وعن سهل بن حنيف قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وروى عكرمة عن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا اهل البيت فاسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه وكان عدو الله أبو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مقتل أصحاب

(فثبتوا الذين آمنوا) بالبشرى وكان الملك يسير امام الصف فى صورة رجل ويقول أبشروا فان الله ناصركم (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) هو امتلاء القلب من الخوف والرعب شامى وعلى (فاضربوا) أمر للمؤمنين أو للملائكة وفيه دليل على انهم قاتلوا (فوق الاعناق) أى أعالى الاعناق التى هى المذابح تطييرا للرؤس أو أراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعنى ضرب الهام (واضربوا منهم كل بنان) هى الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما أن يقع على مقتل أو غير مقتل فامرهم ان يجمعوا

معينكم (فثبتوا الذين آمنوا) فى الحرب ويقال فبشروا الذين آمنوا بالنصرة (سألقى) سأقذف (فى قلوب الذين كفروا الرعب) المخافة من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فاضربوا فوق الاعناق) رؤسهم (واضربوا منهم كل بنان)

وقرئ أمنة كرحمة وهي لغة ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ﴾ من الحدث والجنابة ﴿ ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ يعني الجنابة لانها من تخييله أو وسوسته وتخويفه أياهم من العطش روى انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة ﴿ وليربط على قلوبكم ﴾ بالوثوق على لطف الله بهم ﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ أي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أو بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة ﴿ اذ يوحي ربك ﴾ بدل ثالث أو متعلق بيثبت ﴿ الى الملائكة اني معكم ﴾ في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي * وقرئ بالكسر على ارادة القول

عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المعجزة لانه أمر خارق للعادة * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ﴾ يعني المطر ﴿ ليطهركم به ﴾ وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل أعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فنزلوا عليه وأصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان وقال تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم فانزل الله سبحانه وتعالى مطرا سال منه الوادي فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب وملؤا الاسقية واطفأ الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر فذلك قوله سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعني من الاحداث والجنابة ﴿ ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ يعني وسوسته التي ألقاها في قلوبكم ﴿ وليربط على قلوبكم ﴾ يعني بالنصر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على أمر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدي ويشبه أن تكون لفظة على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالصبر وما أوقع فيها من اليقين وقيل ان لفظة على ليست بصلة لانها تفيد الاستعلاء فيكون المعنى ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها ﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ يعني ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل حتى تثبت عليه الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عند اللقاء * قوله سبحانه وتعالى ﴿ اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم ﴾ يعني ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى الملائكة الذين أمد بهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اني معكم بالنصر والمعونة

(و ينزل) بالتخفيف مكي وبصري وبالتشديد غيرهم (عليكم من السماء ماء) مطرا (ليطهركم به) بالماء من الحدث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش أو الجنابة من الاحتلام لانه من الشيطان وقد وسوس اليهم ان لا نصرة مع الجنابة (وليربط على قلوبكم) بالصبر (ويثبت به الاقدام) أي بالماء اذ الاقدام كانت تسوخ في الرمل أو بالربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر يثبت القدم في مواطن القتال (اذ يوحي) بدل ثالث من اذ يعدكم أو منصوب بيثبت (ربك الى الملائكة أني معكم) بالنصر

منة من الله لكم (وينزل عليكم من السماء ماء) مطرا (ليطهركم به) بالمطر من الاحداث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) وسوسة الشيطان (وليربط على قلوبكم) وليحفظ قلوبكم بالصبر (ويثبت به) بالمطر (الاقدام) على الرمل أي يشد الرمل حتى يثبت عليه الاقدام (اذ يوحي ربك الى الملائكة) ألهم ربك ويقال أمر ربك (اني معكم)

ونزول ما بها من الوحل لقلتكم وذلتكم ﴿ وما النصر الا من عندالله أن الله عزيز حكيم ﴾ وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لاتأثير لها فلاتحسبوا النصر منها ولاتيأسوا منه بفقدها ﴿ اذ يغشيكم النعاس ﴾ بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة أو متعلق بالنصر أو بما فى عندالله من معنى الفعل أو بجعل أو باضمار [illegible] مخفف من اغشيته الشئ اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى ه وقرأ ابن كثير وابوعمرو يغشاكم النعاس بالرفع ﴿ أمنة [illegible] ﴾ أمنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فتكون فعل المغشى وان جعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لايغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله

يهاب النوم ان يغشى عيونا ه تهابك فهو نفار شرود

وهذا يحقق انهم انما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو الاول وأنهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام * قوله عزوجل ﴿ وما النصر الا من عندالله ﴾ يعنى ان الله هو [illegible] أيها المؤمنون فثقوا بنصره ولاتتكلوا على قوتكم وشدة بأسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم أن لايتوكل الا على الله تعالى فى جميع أحواله ولايثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة ﴿ أن الله عزيز ﴾ يعنى انه تعالى قوى منيع لايقهره شئ ولايغلبه غالب بل هو يقهر كل شئ ويغلبه ﴿ حكيم ﴾ يعنى فى تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده * قوله سبحانه وتعالى ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] أمنة منه أى أمنا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم قال عبدالله بن مسعود النعاس فى القتال أمنة من الله وفى الصلاة من الشيطان والفائدة فى كون النعاس أمنة فى القتال أن الخائف على نفسه لايأخذه النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعددهم وعطشوا عطشا شديدا ألقى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة فى حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم [illegible] فى كون هذا النوم كان أمنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم [illegible] وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج

وربطا على قلوبكم (وما النصر الا من عندالله) أى ولاتحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة ووما النصر

من الملائكة وغيرهم من الاسباب الامن عندالله؛ المنصور من نصره

واختلف فى قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل عليه السلام فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر [illegible] فى خمسمائة على الميسرة وفيها على رضى الله عنه فى صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها [illegible] قاتلت حتى [illegible] ولاترى الشخص قتل من قبل الملائكة قال فيهم غلبونا لا انتم وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف فى اهلاك أهل الدنيا (ان الله عزيز) [illegible] يقهر أعدائه (اذ يغشاكم) بدل ثان من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو باضمار [illegible] يغشيكم [illegible] (النعاس) النوم والفاعل هو الله على القراءتين يغشاكم النعاس مكى وأبو عمرو (امنة) مفعول له أى اذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أى لامنكم أو مصدر أى فأمنتم أمنة فالنوم يزيح الرعب ويريح النفس (منه) صفة لها أى أمنة حاصلة لكم من الله (عن)

وما النصر) بالملائكة (الا من عندالله ان الله عزيز) بالنقمة من أعدائه (حكيم) حكم عليهم بالقتل والهزيمة وحكم لكم بالنصرة والغنيمة (اذ يغشيكم النعاس) ألقى عليكم النوم (أمنة) لكم (منه) من الله من العدو وهى

﴿ بألف من الملائكة مردفين ﴾ متبعين المؤمنين أو بعضهم بعضا من اردفته انا ذا جئت بعده أو متبعين بعضهم بعضا المؤمنين أو انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال أى متبعين أو متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء فى الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل أو بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف من الملائكة ليوافق ما فى سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة أو الساقة أو وجوههم واعيانهم أو من قاتل منهم واختلف فى مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل عليها ﴿ وما جعله الله ﴾ أى الامداد ﴿ الا بشرى لكم ﴾ الا بشارة لكم بالنصر ﴿ ولتطمئن به قلوبكم ﴾

بألف من الملائكة مردفين ﴾ فامده الله بالملائكة قال سماك فحدثنى ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف فاخضر ذلك أجمع وجاء فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين وقوله سبحانه وتعالى فاستجاب لكم يعنى فاجاب دعاءكم أنى ممدكم أصله بأنى ممدكم أى مرسل اليكم مددا وردأ لكم بالف من الملائكة مردفين يعنى يردف بعضهم بعضا بمعنى يتبع بعضهم بعضا روى انه نزل جبريل عليه السلام فى خمسمائة وميكائيل عليه السلام فى خمسمائة فى صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا اذنابها بين أكتافهم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابو بكر ان الله منجزلك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو فى العريش ثم انتبه فقال يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع (خ) عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب يعنى آلة الحرب قال ابن عباس كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة فى يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا وروى عن أبى أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا انه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى لاريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام فى سورة آل عمران هل قاتلت الملائكة أم لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس فى الذى ضربه بالسوط فحطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مددا وعونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما جعله الله الا بشرى ﴾ يعنى وما جعل الله الارداف بالملائكة الا بشرى ﴿ ولتطمئن به قلوبكم ﴾

ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله (بألف من الملائكة مردفين) بمعنى غيره بكسر الدال وفتحها فالكسر على أنهم أردفوا غيرهم والفتح على أنه أردف كل ملك ملك آخر يقال ردفه اذا تبعه وأردفته اياه اذا اتبعته (وما جعله الله) أى الامداد الذى دل عليه ممدكم (الا بشرى) الا بشارة لكم بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم) يعنى انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم

(بألف من الملائكة مردفين) متتابعين بالنصرة لكم (وما جعله الله) يعنى المدد (الا بشرى) لكم بالنصرة (ولتطمئن به) بالمدد (قلوبكم

﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾ أى فعل مافعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثانى لبيان الداعى الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ﴿ولو كره المجرمون﴾ ذلك ﴿اذ تستغيثون ربكم﴾ بدل من اذ يعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق أو على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لامحيص من القتال اخذوا يقولون أى رب انصرنا على عدوك اغثنا ياغياث المستغيثين ٥ وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم ألف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجزلى ماوعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد فى الارض فمازال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يانبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجزلك ماوعدك ﴿فاستجاب لكم انى ممدكم﴾ بأنى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول أو اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول

حتى لايبقى منهم أحد ﴿ليحق الحق﴾ يعنى ليثبت الاسلام ﴿ويبطل الباطل﴾ يعنى وينفى الكفر ﴿ولو كره المجرمون﴾ يعنى المشركون وفى الآية سؤالان الاول ان قوله ويريد الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق تكرير فما معناه والجواب أنه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ماوعد فى هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثانى تقوية القرآن والدين واظهار منار الشريعة لان الذى وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قلتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعنى الذى هو الشرك ٥ السؤال الثانى الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كون ذلك الحق حقا والمراد من ابطال ذلك الباطل اظهار كون ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق وتقويته وقمع رؤساء الباطل وقهرهم ٥ قوله عز وجل ﴿اذ تستغيثون ربكم﴾ أى واذكر يامحمد اذ تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفى المستغيثين قولان أحدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الزهرى والقول الثانى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له (م) عن ابن عباس قال حدثنى عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبى الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول اللهم أنجزلى ماوعدتنى اللهم اعطنى ماوعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لاتعبد فى الارض فمازال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فاخذ رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يانبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجزلك ماوعدك فانزل الله عز وجل ﴿اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم﴾

وشتان مابين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزكم وأذلهم (ليحق الحق) متعلق بيقطع أو بمحذوف تقديره ليحق الحق (ويبطل الباطل) فعل ذلك والمقدر متأخر ليفيد الاختصاص أى مافعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه وليس هذا بتكرار لان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لمراده فيمافعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها (ولو كره المجرمون) المشركون ذلك (اذ تستغيثون ربكم) بدل من اذ يعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لابد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أى ربنا انصرنا على عدوك ياغياث المستغيثين أغثنا وهى طلب الغوث وهو التخليص من المكروه (فاستجاب لكم) فاجاب وأصل (أنى ممدكم) بانى (ليحق الحق) ليظهر دينه الاسلام بمكة (ويبطل الباطل) يهلك الشرك وأهله (ولو كره المجرمون) وان كره المشركون أن يكون

﴿ وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾ يعنى العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ﴿ ويريد الله ان يحق الحق ﴾ ان يثبته ويعليه ﴿ بكلماته ﴾ الموحى بها فى هذه الحال أو باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ﴿ ويقطع دابر الكافرين ﴾ ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولاتلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين

يعنى مدينة الحبشة لجادلنا معك من دونه حتى نبلغه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك لانهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت فى ذمامنا فنمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لاتكون الانصار ترى عليها نصرته الامن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسيروا معه الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يارسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك مايتخلف منا أحد ومانكره ان تلقى بنا عدونا وعدوك انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله عز وجل قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم (م) عن أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذى بعثه بالحق ما أخطؤا الحدود التى حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يافلان بن فلان ويافلان بن فلان هل وجدتم ماوعدكم الله ورسوله حقا فانى قد وجدت ماوعدنى الله حقا فقال عمر يارسول الله كيف تكلم أجسادا لاارواح فيها فقال ما أنتم باسمع لما أقول منهم غير أنهم لايستطيعون ان يردوا على شيأ فذلك قوله سبحانه وتعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم يعنى طائفة ابى سفيان مع العير وطائفة أبى جهل مع النفير ﴿ وتودون ﴾ أى وتريدون وتمنون ﴿ أن غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾ والمعنى وتمنون أن العير التى ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح ﴿ ويريد الله ان يحق الحق ﴾ أى يظهر الحق ويعليه ﴿ بكلماته ﴾ يعنى بأمره اياكم بالقتال وقيل بعداته التى سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه ﴿ ويقطع دابر الكافرين ﴾ أى ويستأصلهم

(وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) أى العير وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت فى النفير لعددهم وعدتهم أى تمنون أن تكون لكم العير لانها الطائفة التى لاسلاح لها ولاتريدون الطائفة الاخرى (ويريد الله أن يحق الحق) أى يثبته ويعليه (بكلماته) بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وطرحهم فى قليب بدر (ويقطع دابر الكافرين) آخرهم والدابر الآخر فاعل من دبر اذا أدبر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى انكم تريدون الفائدة

(وتودون) تمنون (ان غير ذات الشوكة) الشدة والحرب (تكون لكم) غنيمة يعنى غنيمة العير (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته) ان يظهر دينه الاسلام بنصرته وتحقيقه (ويقطع دابر الكافرين) اصل الكافرين وأثرهم

برؤيا عاتكة فغدوت اطوف فلما رآنى أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت من طوافى أقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لى أبو جهل يا بنى عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وماذاك قال الرؤيا التى رأت عاتكة قلت ومارأت قال يا بنى عبد المطلب أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم لقد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك ماقالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا بانكم أكذب اهل بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه من كبير شئ الا انى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون عاتكة رأت شيأ ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتتنى فقلن أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم حتى تناول النساء وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان منى اليه من شئ وايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفيكنه قال فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب أرى انى قد فاتنى شئ أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لامشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان أبو جهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقلت فى نفسى ماله لعنه الله أكل هذا فرقا منى ان أشاتمه قال فاذا هو قد سمع مالم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه أموالكم مع أبى سفيان وقد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشغلنى عنه وشغله عنى ماجاء من الامر قال فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من أشراف قريش أحد الا أن ابا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى ان يأتونا من خلفنا فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من أشراف بنى بكر فقال أنا جار لكم من ان تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه فخرجت قريش سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه لليال مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذفران فاتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء أخذ عينا للقوم فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعى أريقط فاتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين أنها لكم اما العير واما قريش فكانت العير أحب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى طلب العير وحرب النفير فقام أبو بكر فقال وأحسن وقام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد

﴿ يعنى ﴾

الحق لايثارهم تلقى العير عليه ﴿ بعد ماتبين ﴾ انهم ينصرون انما توجهوا باعلام الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون ﴾ أى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذروى انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم انما كانت لفرط فزعهم ورعبهم ﴿ واذ يعدكم الله أحدى الطائفتين ﴾ على اضمار اذكر واحدى ثانى مفعولى يعدكم وقد ابدل منها ﴿ انها لكم ﴾ بدل الاشتمال

﴿ بعدماتبين ﴾ يعنى تبين لهم انك لاتصنع شيأ الا بامر ربك وتبين لهم صدقك فى الوعد ﴿ كأنما يساقون الى الموت ﴾ يعنى لشدة كراهتهم القتال ﴿ وهم ينظرون ﴾ يعنى الى الموت شبه حالهم فى فرط فزعهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم أنه آتيه * قوله عز وجل ﴿ واذ يعدكم الله أحدى الطائفتين ﴾ يعنى الفرقتين فرقة أبى سفيان مع العير وفرقة أبى جهل مع النفير ﴿ أنها لكم ﴾ يعنى احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحق والسدى أقبل أبو سفيان ابن حرب من الشأم فى عير قريش فى أربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهرى ومعهم تجارة كبيرة وهى اللطيمة يريد باللطيمة الجمال التى تحمل العطر والبز غير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خبرهم فندب أصحابه اليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا فلما سمع أبو سفيان بسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى مكة وأمره أن يأتى قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا فى أصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعا الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة أيام أفزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتنى وخشيت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعيرله حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر الى مصارعكم فى ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينماهم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها باعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر الى مصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها الا ودخلها منها فلقة فقال العباس والله ان هذه لرؤيا فظيعة فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر رؤيا عاتكة له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة قال العباس فعمدت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى نفر من قريش يتحدثون

(بعد ماتبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد وذلك لكراهتهم القتال (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) شبه حالهم فى فرط فزعهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لايشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) اذ منصوب باذكر واحدى مفعول ثان (أنها لكم) بدل من احدى الطائفتين وهما العير والنفير والتقدير واذ يعدكم الله أن احدى الطائفتين لكم

(بعد ماتبين) لهم انك لاتصنع ولا تأمر الا ما أمرك ربك (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) اليه (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) الفئتين العير أو العسكر (أنها لكم)

وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابوسفيان وعمرو بن العاص ومخرمة ابن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يااهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء اخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك اباجهل فقال مانرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تنبأت نساؤهم فخرج ابوجهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى دقران فنزل عليه جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا اخرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قدمضت على ساحل البحر وهذا ابوجهل قداقبل فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وقالا فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فيه فوالله لوسرت الى عدن ابين ماتخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث مااحببت لانا لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم براء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لايروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يارسول الله قال اجل قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لواستعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد ومانكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله تعالى قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه عباس وهو فى وثاقه لايصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ماوعدك فكره بعضهم قوله ﴿ يجادلونك فى الحق ﴾ فى ايثارك الجهاد باظهار

(يجادلونك فى الحق) الحق الذى جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى النفير لايثارهم عليه تلقى العير

﴿ يجادلونك فى الحق ﴾ وذلك ان المؤمنين لما أيقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا أنا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم

(يجادلونك) يخاصمونك (فى الحق) فى الحرب

بالحكمة والصواب (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) فى موضع الحال أى أخرجك فى حال كراهتهم وذلك أن عير قريش
أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان فاخبر جبريل النبي عليه السلام فاخبر أصحابه
فاعجبهم تلق العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج أبوجهل بجميع اهل مكة وهو
النفير فى المثل السائر لافى العير ولافى النفير فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فابى وسار بمن معه الى بدر
وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يامحمد ان الله وعدكم احدى
الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال
العير أحب اليكم أم النفير
قالوا بل العير أحب الينا
من لقاء العدو فتغير وجه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم ردد عليهم فقال
ان العير قد مضت على ساحل
البحر وهذا أبوجهل قد
أقبل فقالوا يارسول الله
عليك بالعير ودع العدو
فقام عند غضب النبى
صلى الله عليه وسلم أبو بكر
وعمر رضى الله عنهما
فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة
فقال انظر أمرك فامض
فوالله لوسرت الى عدن
ابين ماتخلف عنك رجل
من الانصار ثم قال المقداد
ابن عمرو امض لما أمرك الله
فانا معك حيث أحببت
لانقول لك كما قال بنو
اسرائيل لموسى اذهب
أنت وربك فقاتلا اناههنا
قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما (قا و خا ٢ اث) مقاتلون مادامت عين منا تطرف فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يارسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك ماتخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله
أبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله
وان فريقا من المؤمنين لكارهون قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا ويحتمل أن يكونوا
مخلصين وان يكون ذلك كراهة طبع لانهم غير متأهبين له

تقديره هذه الحال فى كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب فى كراهتهم له أو صفة
مصدر الفعل المقدر فى قوله لله والرسول أى الانفال ثبتت لله والرسول صلى الله عليه
وسلم مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعنى المدينة لانها
مهاجره ومسكنه أو بيته فيها مع كراهتهم ﴿ وأن فريقا من المؤمنين لكارهون ﴾
فى موقع الحال أى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام

لهذه الكاف ماهو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما
أخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك فى الانفال
وان كرهوا كما مضيت لامر ربك فى الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون
وقيل معناه فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما كان اخراج محمد صلى
الله عليه وسلم من بيته بالحق هو خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى
قوله سبحانه وتعالى لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق
حتى ينجزه الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وأنجز الوعد بالنصر والظفر
وقيل هى متعلقة بما بعدها تقديره كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق
منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على تقديره امض على
الذى أخرجك ربك من بيتك بالحق فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره
والذى أخرجك ربك من بيتك وجوابه يجادلونك فى الحق وقيل الكاف بمعنى
اذ تقديره واذكر يامحمد اذ أخرجك ربك من بيتك بالحق قيل المراد بهذا الاخراج
اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو
خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما أمرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة
بالحق يعنى بالوحى لطلب المشركين ﴿ وأن فريقا من المؤمنين لكارهون ﴾
يعنى للقتال وانما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم وسلاحهم

بالحرب (وأن فريقا) طائفة (من المؤمنين لكارهون) للقتال

[illegible] أو مصدر مؤكد كقولهم هو عبدالله حقا ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ﴿ومغفرة﴾ لما فرط منهم ﴿ورزق كريم﴾ اعدلهم في الجنة لاينقطع عدده ولاينتهي امده ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ خبر مبتدأ محذوف

سألتني عن قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فلاأدري أنا منهم أم لا وقال علقمة كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا من القوم فقالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر مانجيبهم حتى لقينا عبدالله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيأ قال هلا قلتم لهم أمن أهل الجنة أنتم ان المؤمنين هم أهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقا عندالله ثم لم يشهد انه في الجنة فقد آمن بنصف الآية [illegible] آخره الوجه الرابع ان قولنا أنا مؤمن ان شاءالله للتبرك لاللشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاءالله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق بأهل القبور الوجه الخامس ان المؤمن لايكون مؤمنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لايحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن أن يقول أنا مؤمن ان شاءالله فالمراد صرف هذا الاستثناء الى الخاتمة وأجاب أصحاب هذا القول وهم اصحاب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنهم عن استدلال أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم بقولهم ان المتحرك لايجوز أن يقول أنا متحرك ان شاءالله بان الفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل [illegible] تحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قوله انه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية بكونهم مؤمنين حقا ان أتوا بتلك الاوصاف الخمسة ولايقدر أحد ان يأتي بتلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول أيضا ان من أتى [illegible] على الحقيقة كان مؤمنا حقا ولكن لايقدر على ذلك أحد والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ❊ قوله عز وجل ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ يعني [illegible] من بعض لان المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف [illegible] فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطاء درجات الجنة يرتقون فيها باعمالهم وقال الربيع ابن أنس درجات الجنة سبعون درجة مابين الدرجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة ❊ وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة مابين كل درجتين مائة عام أخرجه الترمذي ❊ وله عن أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لوان العالمين اجتمعوا في احديهن لوسعتهم ﴿ومغفرة﴾ يعني ولهم مغفرة لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ يعني مأعدلهم في الجنة وصفه بكونه كريما لان منافعه حاصلة لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ اختلفوا في الجالب

تستثنى (لهم درجات) مراتب بعضها فوق بعض على قدر الاعمال (عند ربهم ومغفرة) وتجاوز لسيئاتهم (ورزق كريم) [illegible] عن [illegible] وخوف الحساب [illegible] (كما أخرجك ربك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون (من بيتك) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها كاختصاص البيت بساكنه (بالحق) اخراجا ملتبسا

(لهم درجات) [illegible] (عند ربهم) في الآخرة (ومغفرة) [illegible] في [illegible] (ورزق كريم) [illegible] في جنة (كما أخرجك ربك) [illegible] أخرجك [illegible] من بيتك) من المدينة (بالحق) بالقرآن ويقال

لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التى هى العيار عليها الصلاة

قتادة استحقوا الايمان وأحقه الله لهم وفيه دليل على انه لايجوز أن يصف أحد نفسه بكونه مؤمنا حقا لان الله سبحانه وتعالى انما وصف بذلك أقواما مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل أحد لايتحقق وجود تلك الاوصاف فيه ٭ وهذا يتعلق بمسئلة أصولية وهى أن العلماء اتفقوا على انه يجوز للرجل أن يقول أنا مؤمن واختلفوا فى أنه هل يجوز له أن يقول أنا مؤمن حقا أم لا فقال أصحاب الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه الاولى أن يقول أنا مؤمن حقا ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين ٭ الاول أن المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك ان شاء الله وكذا القول فى القائم والقاعد فكذلك هذه المسئلة يجب فيها أن يكون المؤمن مؤمنا حقا ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله ٭ الوجه الثانى انه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم الله لهم بكونهم مؤمنين حقا وفى قوله أنا مؤمن ان شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز ٭ وقال أصحاب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الاولى أن يقول الرجل أنا مؤمن ان شاء الله واحتجوا لصحة هذا القول بوجوه ٭ الاول أن الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل وكون الانسان آتيا بالاعمال الصالحة المقبولة أمر مشكوك فيه والشك فى أحد أجزاء الماهية يوجب الشك فى الماهية فيجب ان يقول أنا مؤمن ان شاء الله وان كان اعتقاده واقراره صحيحا وعند أصحاب أبى حنيفة أن الايمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل من مسمى الايمان فلا يلزم حصول الشك ٭ الوجه الثانى أن قولنا أنا مؤمن ان شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل أنا مؤمن فقد مدح نفسه بأعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شاء الله زال عنه ذلك العجب وحصل له الانكسار روى ان أبا حنيفة قال لقتادة لم استثنيت فى ايمانك فقال قتادة اتباعا لابراهيم عليه السلام فى قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال أبو حنيفة هلا اقتديت به فى قوله أولم تؤمن قال بلى فانقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة أن يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليطمئن قلبى فطلب مزيد الطمأنينة ٭ الوجه الثالث ان الله سبحانه وتعالى ذكر فى أول الآية انما المؤمنون ولفظة انما تفيد الحصر يعنى انما المؤمنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك أوصافا خمسة وهى الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والاتيان بالصلاة كما أمر الله سبحانه وتعالى وايتاء الزكاة كذلك ثم بعد ذلك قال اولئك هم المؤمنون حقا يعنى أن من أتى بجميع هذه الاوصاف كان مؤمنا حقا ولا يمكن لاحد أن يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى له أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله وقال ابن أبى نجيح [illegible] رجل الحسن فقال أمؤمن أنت فقال الحسن ان كنت سألتنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مؤمن وان كنت

[illegible] يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية أى كما لا يقطع بأنه من أهل [illegible] المؤمنين [illegible] تشبث من يقول أنا مؤمن ان شاء الله وكان أبو حنيفة رحمه الله لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثن فى ايمانك قال اتباعا لابراهيم فى قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال له هلا اقتديت به فى قوله أولم تؤمن قال بلى وعن ابراهيم التيمى قل أنا مؤمن حقا فان صدقت أثبت عليه وان كذبت فكفرك أشد من كذبك وعن ابن عباس رضى الله عنهما من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا وقد احتج عبد الله على أحمد فقال ايش اسمك فقال أحمد فقال أتقول أنا أحمد حقا أو أنا أحمد ان شاء الله فقال أنا أحمد حقا فقال حيث سماك والداك لا تستثن وقد سماك الله فى القرآن مؤمنا

بالمعصية بناء على ان العمل داخل ... وعلى ربهم يتوكلون ﴾ يفوضون اليه امورهم ولايخشون ولا يرجون الا اياه ﴿ الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا ﴾

ولما كانت التكاليف متوالية فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار تصديقا وايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا فى شيئين كان أكبر ممن يصدقه فى شئ واحد فقوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة أتوا باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة فى ايمانهم واختلف الناس فى ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص أم لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبى قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع أهل اللغة على أن الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع أمور ثلاثة وهى التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه الآية من وجهين * أحدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح فى أن الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص * الوجه الثانى انه ذكر فى هذه الآية أوصافا متعددة من أحوال المؤمنين ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على ان ... الاوصاف داخلة فى مسمى الايمان * وروى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان أخرجاه فى الصحيحين ففى هذا الحديث دليل على أن الايمان فيه أعلى وأدنى واذا كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكان له صحبة ان للايمان زيادة ونقصانا قيل ... زيادته قال اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن عدى ان للايمان فرائض وشرائط وشرائع وحدودا وسننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ معناه يفوضون جميع أمورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه * واعلم أن المؤمن اذا كان واثقا بوعد الله ووعيده ... من المتوكلين عليه لا على غيره وهى درجة عالية ومرتبة شريفة لان الانسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد فى شئ من أموره الا على الله عز وجل واعلم أن هذه المراتب الثلاث أعنى الوجل عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من أعمال القلوب * ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث أتبعها بصفتين من أعمال الجوارح فقال سبحانه وتعالى ﴿ الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ يعنى يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها وأركانها فى أوقاتها وينفقون أموالهم فيما أمرهم الله به من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة فى الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق فى أنواع البر والقربات * ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ أولئك ﴾ يعنى من هذه صفتهم ﴿ هم المؤمنون حقا ﴾ يعنى يقينا لا شك فى ايمانهم قال ابن عباس برؤا من الكفر وقال

باحكامها قبل (وعلى ربهم يتوكلون) يعتمدون ولا يفوضون أمورهم الى غيره ... لا يخشون ولا يرجون الا اياه (الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون) جمع بين أعمال القلوب من الوجل والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أولئك هم المؤمنون حقا) هو صفة لمصدر محذوف أى أولئك هم المؤمنون ايمانا حقا أو هو مصدر مؤكد للجملة التى هى أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله ان رجلا سأله أمؤمن أنت قال ان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وان كنت تسألنى عن قوله انما المؤمنون الآية فلا أدرى أنا منهم أم لا وعن الثورى من زعم انه مؤمن بالله حقا

ويقال تكريرا (وعلى ربهم يتوكلون) لا على الغنائم (الذين يقيمون الصلوة) يتمون الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها فى مواقيتها (ومما رزقناهم) أعطيناهم من الاموال (ينفقون) يتصدقون فى ... يؤدون زكاة أموالهم (أولئك هم المؤمنون حقا) صدقا يقينا

﴿ قتادة ﴾

وتسليم امره الى الله والرسول ﴿واطيعوا الله ورسوله﴾ فيه ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فان الايمان يقتضى ذلك أوان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان ﴿انما المؤمنون﴾ أى الكاملون فى الايمان ﴿الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه * وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفرقت أى خافت ﴿واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا﴾ لزيادة المؤمن به أولاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة أوبالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص

﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ فيما أمرانكم به ونهيانكم عنه ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ يعنى ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده * قوله سبحانه وتعالى ﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ لما أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله فى الآية المتقدمة ثم قال بعد ذلك ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين فى هذه الآية صفات المؤمنين وأحوالهم فقال سبحانه وتعالى انما المؤمنون ولفظة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون فى ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه وقال أهل الحقائق الخوف على قسمين خوف عقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه أشد خوف وأما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته فى ذكر الله * فان قلت انه سبحانه وتعالى قال فى هذه الآية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال فى آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما * قلت لامنافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعا فى آية واحدة وهى قوله سبحانه وتعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورجاء ثوابه وهذا حاصل فى قلب المؤمنين * ثم قال تعالى ﴿واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا﴾ يعنى واذا قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقا قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شئ من عند الله آمنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين * الوجه الاول وهو الذى عليه عامة أهل [illegible] ما حكاه الواحدى ان كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان ايمانه أزيد لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون [illegible] بالله اقوى فيزداد ايمانه * الوجه الثانى هو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله

السواء (وأطيعوا الله ورسوله) فيما أمرتم به فى الغنائم وغيرها (ان كنتم مؤمنين) كاملى الايمان (انما المؤمنون) انما الكاملون فى الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه (واذا تليت عليهم آياته) أى القرآن (زادتهم ايمانا) ازدادوا بها يقينا وطمأنينة لان تظاهر الادلة أقوى

الى الشيخ (وأطيعوا الله ورسوله) فى أمر الصلح (ان كنتم) [illegible] (مؤمنين) [illegible] الرسول (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله) اذا أمروا بأمر من قبل الله مثل أمر الصلح وغيره (وجلت) خافت (قلوبهم واذا تليت) قرئت (عليهم آياته) فى الصلح (زادتهم ايمانا) تصديقا بقول الله ويقال صدقا

قل الانفال لله والرسول) النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه والانفال الغنائم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين أم للانصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأى أحد (فاتقوا الله) في الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين في الله (وأصلحوا ذات بينكم) أحوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق وقال الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل أي فاتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على

﴿ قل الانفال لله والرسول ﴾ أي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أو الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردأ لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فأتيت به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسئلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسئلونك الانفال أي يسألك الشبان ما شرطت لهم ﴿ فاتقوا الله ﴾ في الاختلاف والمشاجرة ﴿ واصلحوا ذات بينكم ﴾ الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله

وسلم يصنع فيه ما يشاء ﴿ قل الانفال لله والرسول ﴾ أي قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمانها كيف شاآ واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال مجاهد وعكرمة والسدى هذه الآية منسوخة فنسخها الله سبحانه وتعالى بالخمس في قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الآية وقيل كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه وذلك ان الغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا في شرائع أنبيائهم فاباحها الله لهذه الامة بهذه الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت بآية الخمس وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا القول قل الانفال لله والرسول يضعها حيث أمره الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الآية وصح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا ابلا فاصاب كل واحد منا اثني عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا أخرجاه في الصحيحين فعلى هذا تكون الآية محكمة وللامام أن ينفل من شاء من الجيش ما شاء قبل التخميس ﴿ فاتقوا الله ﴾ يعني اتقوا الله بطاعته واتقوا مخالفته واتركوا المنازعة والمخاصمة في الغنائم ﴿ وأصلحوا ذات بينكم ﴾ أي اصلحوا الحال فيما بينكم بترك المنازعة والمخالفة وتسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله

(قل) يا محمد لهم (الانفال لله والرسول) الغنائم يوم بدر لله وللرسول ليس لكم فيه شيء ويقال لله وامر الرسول فيه جائز (واطيعوا)
(فاتقوا الله) في أخذ الغنائم (وأصلحوا ذات بينكم) ما بينكم من المخالفة فليؤد الغني الى الفقير والقوي الى الضعيف والشاب

فله كذا وكذا وانا قد قتلنا سبعين وأسرنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله مامنعنا
ان نطلب ماطلب هؤلاء زهادة فى الآخرة ولاجبن عن العدو لكن كرهنا ان تعرى
مصافك فتعطف عليك خيل من المشركين فيصيبونك فاعرض عنهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال سعد يارسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط
هؤلاء الذين ذكرت لايبقى لاصحابك كبير شئ فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الانفال
وقال محمد بن اسحق أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فى العسكر فجمع فاختلف
المسلمون فيه فقال من جمعه هولنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ
ماأصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو لولانحن ما أصبتموه وقال الذين يحرسون
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نقدر أن نقاتل العدو ولكنا خفنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم غرة العدو فقمنا دونه فما أنتم باحق منا فنزلت هذه الآية ❋ وروى
مكحول عن أبى امامة الباهلى قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر
أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا
وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا ❋ عن بواء
يقول على سواء وكان فيه تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح
ذات البين ❋ وعن سعد بن أبى وقاص قال لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت
يارسول الله ان الله قد شفى صدرى من المشركين أو نحو هذا هب لى هذا السيف فقال
هذا ليس لى ولا لك فقلت عسى أن يعطى هذا من لايبلى بلائى فجاءنى الرسول
فقال انك سألتنى وليس لى وانه قد صار لى وهولك فنزلت يسئلونك عن الانفال
الآية أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وأخرجه مسلم
فى جملة حديث طويل يتضمن فضائل سعد ولفظ مسلم فيه قال أصاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة واذا فيها سيف فاخذته فأتيت به رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت نفلنى هذا السيف فانا من قد علمت حاله فقال رده من حيث
أخذته فانطلقت به حتى أردت أن ألقيه فى القبض لامتنى نفسى فرجعت اليه
فقلت أعطنيه قال فشد على صوته رده من حيث أخذته فانزل الله عزوجل
يسئلونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت المغانم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خاصة ليس لاحد فيها شئ وما أصاب سرايا المسلمين من سبى أتوه به فمن حبس
منه ابرة أو سلكا فهو غلول ❋ وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى يسئلونك عن الانفال
استفتاء يعنى يسألك أصحابك يامحمد عن حكم الانفال وعلمها وهو سؤال استفتاء
لاسؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وقوله عن الانفال اى من الانفال وعن
بمعنى من وقيل عن صلة أى يسئلونك الانفال والانفال هى الغنائم فى قول ابن عباس وعكرمة
ومجاهد وقتادة وأصله الزيادة سميت الغنائم أنفالا لانها زيادة من الله عزوجل لهذه الامة
على الخصوص وأكثر المفسرين على انها نزلت فى غنائم بدر وقال عطاء هى ماشذ
عن المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد أو امرأة أو متاع فهو للنبى صلى الله عليه

﴿ سورة الانفال مدنية وآياتها ست وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يسئلونك عن الانفال ﴾ أى الغنائم يعنى حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمى به مايشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه

﴿ تفسير سورة الانفال ﴾

مدنية كلها الا سبع آيات منها نزلت بمكة وهى من قوله سبحانه وتعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الى آخر سبع آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهى خمس وسبعون آية وألف وخمس وسبعون كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله سبحانه وتعالى ﴿ يسئلونك عن الانفال ﴾ (ق) عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن سورة الانفال قال نزلت فى بدر واختلف أهل التفسير فى سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن اتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل قتيلا فله كذا فتسارع الشباب وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ماجعل لهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لاتذهبوا به دوننا ولاتستأثروا به علينا فانا كنا ردأ لكم ولو انكشفتم انكشفتم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال الآية قال أهل التفسير قام أبو اليسر بن عمرو الانصارى أخو بنى سلمة فقال يارسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا

﴿ سورة الانفال مدنية وهى خمس أو ست أو سبع وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسئلونك عن الانفال

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الانفال وهى كلها مدنية غير قوله ياأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فانها نزلت بالبيداء فى غزوة بدر قبل القتال آياتها ست وتسعون وكلماتها ألف ومائة وثلاثون وحروفها خمسة آلاف ومائتان واربع وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (يسئلونك عن الانفال) يقول يسألك أصحابك الغنائم يوم بدر وعن صلة

المجلد الثالث من التفسيرين الجليلين

المسبوك عليهما سطور الذهب سبك اللجين

الاول المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل لشيخ مشايخ الاسلام أعلم العلماء الاعلام الحبر النحرير حاوى فضيلتى البيان والبنان فى التقرير والتحرير كاشف قناع المشكلات وموضح دلائل المعضلات مظهر الكنايات والاشارات منبع العلى أفضل الورى علم الهدى ناصر مذهب أهل السنة وكاشف غمة مذهب الاعتزال عن هذه الامة شيخ ديار العجم والعرب وأمام أهل اللغة والادب فريد دهره ووحيد عصره القاضى ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى الشافعى المتوفى سنة (٦٨٥) وقيل (٦٩٢) قدس الله روحه ونور ضريحه

الثانى المسمى بلباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة والأئمة ناصر الشريعة ومحيى السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى الشافعى المعروف بالخازن فرغ من تأليفه سنة (٧٢٥) تغمده الله برحمته آمين

قد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسيرين النيرين ، الاول المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبى البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفى الحنفى المتوفى سنة (٧٠١) عليه سحائب الرحمة والرضوان .

الثانى تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لابى طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى الشافعى المتوفى سنة (٨١٧)

تنبيه

يقول المتوسل الى الله احمد رفعت بن عثمان حلمى القره حصارى المصحح بدار الطباعة العامرة اعانه الله على مشاق هذه الصناعة وضعت انوار التنزيل فوق الصحيفة ولباب التأويل تحتها مفصولا بينهما بجدول وكذلك وضعت مدارك التنزيل فوق الهامش وتنوير المقباس تحته مفصولا بينهما بجدول

الطبعة الاولى

بالمطبعة العامرة

سنة ١٣١٧ هجرية